موضح الدراية

لشرح باب البداية

تأليف

الحكيم الأصولي الفقيه المحدث

الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي

(المتوفى أوائل القرن العاشر الهجري)

المجلد الرابع

تحقيق وتصحيح

رضا يحيى پور فارمد

مؤسسة ابن أبي جمهور الأحسائي

لإحياء التراث

موضح الدراية لشرح باب البداية

الطبعة الأُولى
لبنان ـ بيروت
١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م
ISBN:

بطاقة تعريفيّة بالكتاب:
عنوان الكتاب: موضح الدراية لشرح باب البداية
تأليف: الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ (المتوفّى أوائل القرن العاشر الهجريّ)
تصحيح وتحقيق: رضا يحيى پور فارمد
الناشر: مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث
وكيل النشر: دار المحجّة البيضاء، لبنان ـ بيروت ـ الرويس، تلفاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٢٨٤٧
عدد الأجزاء: أربعة مجلّدات
تاريخ النشر: ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م
عدد صفحات الكتاب: ١٦٢٠ صفحة
كمّيّة الطبعة الأُولى: ١٠٠٠ دورة

مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث
مؤسّسة علميّة ثقافيّة مستقلّة، تعنى بنشر وإحياء تراث علماء الأحساء
الموقع الرسميّ للمؤسّسة على شبكة الإنترنت: www.Ibnabijumhur.com
البريد الإلكترونيّ للمؤسّسة: Ibnabijumhur@gmail.com
المركز الرئيسيّ للمؤسّسة: لبنان ـ بيروت

موضح الدراية

لشرح باب البداية

تأليف

الحكيم الألهي والفقيه المحدّث

الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي

(المتوفى اوائل القرن العاشر الهجري)

المجلد الأول

تصحيح و تحقيق

رضا يحيى پور فارمد

مؤسسة ابن أبي جمهور الأحسائي

لإحياء التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس الإجماليّ

كلمة الناشر

بسم اللّه الرحمن الرحيم

إحيـاء تراث منطقتنـا «الأحســاء» وما كان يُعرف قديماً بـ«بلاد البحرين»، كان ولا يزال يشــغـل بـال الكثيرين من أبنـاء المنطقـة، كـان أُمنيّـة وحلماً، ينتظره العديد من المثقّفين والواعين والحريصين على هذه البلاد وتاريخها وتراثها. وقد قيّض اللّه تعالى ـمنذ مدّةـ بعض المؤسّـسـات ودور النشـر والتحقيق لإحياء شـيء من ذلك التراث وتحقيقه ونشره، إلّا أنّه لا يزال العمل محدوداً ودون الطموح.

من هنا نشـأت «مؤسّـسـة ابن أبي جمهور الأحسـائيّ لإحياء التراث» لتسـدّ بعض الفراغ في هـذا المجـال، ولتقـدّم بعض الخـدمـة لتراث وتـاريخ هـذه البلاد العريقـة بعلمـائها وثقافتها وتاريخ أمجادها. ومن أبرز وأقدم من أنجبتهم هذه البلاد هو العلّامة الشــهير، والمتكلّم البـارع، والفقيـه المحقّق، الشــيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، الذي كان علَماً من أعلام الإماميّة في القرن التاسع والعاشر الهجريّين. لذا تشـرّفت المؤسّـسـة بجعل اسـمه عنواناً لها، وأخذت على عاتقها أن تبدأ بنشر تراثه القيّم ومؤلّفاته المتنوّعة المعارف، كما أخذت على عاتقها أن تسـلّط الضـوء على حياته ومسـيرته العلميّة والجهاديّة، ضـمن دراسـات ومقالات عن حياته وشـخصيّته تُنشر تباعاً.

وها نحن نضـع بين أيدي الباحثين والمحقّقين أثراً مهمّاً من آثاره، متمثّلاً في كتاب موضـح الدراية لشـرح باب البداية. عسى أن تأخذنا يد التوفيق لتحقيق جميع مصنّفاته وطباعتها.

ولا يفوتنا أخيراً تقديم الشكر والعرفان لأخينا المحقّق، رضا يحيى پور فارمد، الذي تجشّــم عناء تصــحيح وتحقيق نصّ هذا الكتاب وغيره من مصــنّفات ابن أبي جمهور، بما لا مزيد عليه دقّةً وتوثيقاً وتتبّعاً، فشكر اللّه سعيه، وأجزل في ثوابه.

نســأل اللّه ـ سـبحانه وتعالى ـ أن يوفّقنا لتقديم ما فيه خير للفكر الإنســانيّ عموماً والإسلاميّ خصوصاً.

مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث

١ يناير ٢٠٢٠ م

كلمة المحقّق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

القسم الأوّل: بحوث حول المؤلّف والكتاب

إطلالة عابرة على سيرة ابن أبي جمهور الأحسائيّ

وُلـد أبو جعفر محمّـد بن عليّ بن إبراهيم بن حســن بن فـاضــل بن أبي جمهور، المعروف بـابن أبي جمهور الأحســائيّ، في حدود ســنة ٨٣٨ للهجرة في واحدة من الأُســر العلميّة في قرية التيميّة في منطقة الأحســاء. لا توجد معلومات دقيقة بشــأن السنوات الأُولى من دراسته. ويبدو أنّ أهمّ أساتذته في تلك الفترة من حياته العلميّة هو والده الشـيخ زين الدين عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ. وقد صبّ ابن أبي جمهور في السنوات الأُولى من دراسته أغلب اهتمامه على علم الكلام، ولكنّه في الوقت نفسه لم يغفل عن العلوم النقليّة أيضـاً. وكان له في تلك الحقبة ـالتي لا نعرف تاريخها بشكل دقيق ـ سـفرة إلى النجف الأشـرف والحلّة؛ لمواصـلة الدراسـة هناك. وفي نهاية تلك الحقبة ألّف كتابَيه القيّمين، أعني مُعين الفكر ومُعين المُعين.

وعند بلوغه أعتاب الأربعين من عمره (سنة ٨٧٧ للهجرة) قصد الحجّ إلى بيت اللّه الحرام، ليعود بعد ذلك إلى الأحســاء. وبعد إقامة قصــيرة فيها، عقد العزم على زيارة العتبات المقدّسـة في العراق (سـنة ٨٧٨ للهجرة)، ومن هناك توجّه إلى زيارة مشـهد المقـدّســة. وفي أثنـاء الطريق عقـد العزم على تـأليف رســالـة مقتضــبة بعنوان زاد المســافرين، ليعمل بعد ذلك ـعند وصـوله إلى مشـهد المقدّسـة وبطلب من السـيّد محســن الرضـويّ القمّيّ ـ على شـرحها تحت عنوان كشف البراهين. وفي تلك السنة

نفســها، كانت له مناظرة مع أحد علماء أهل الســنّة من هرات، يعرف بالملّا الهرويّ، وقد تمّ عقد هذه المناظرات على مدى ثلاث جلسات.

وبعد سنوات سافر إلى النجف الأشرف ثانية؛ ليحضر درس الشيخ حسن بن عبد الكريم الفتّال الغرويّ (ما بين عامَي ٨٨٣ ـ ٨٨٥ للهجرة). ثمّ توجّه بعدها إلى كَرك نوح، ليقيم فيها شهراً واحداً، وحضر خلاله درس الشيخ عليّ بن هلال الجزائريّ (سنة ٨٨٥ للهجرة). وبعدها توجّه إلى زيارة بيت اللّه الحرام، وعاد من هناك إلى مسقط رأسه. وفي هذه الفترة من الإقامة في بلده ألّف كتابيه قبس الاقتداء، ومسلك الأفهام (سنة ٨٨٦ للهجرة).

وفي سفره الثاني إلى مدينة مشهد المقدّسة، قام بتأليف كاشفة الحال (سنة ٨٨٨ للهجرة)، والمشهديّة، والبرمكيّة، وشرحه الأنوار المشهديّة، والنيّة وذمّ الوسواس (سنة ٨٨٩ للهجرة).

وبعد ذلك بسنوات ألّف في النجف الأشرف باب البداية لبداية النهاية، ليعمل بعد ذلك على شرحه مباشرة، ويطلق عليه اسم موضح الدراية. ثمّ قصد زيارة بيت اللّه الحرام، والعودة من هناك إلى مسقط رأسه (سنة ٨٩٢ للهجرة). وفي هذه الفترة ألّف النور المنجي من الظلام في الأحساء (سنة ٨٩٣ للهجرة). وبعدها ذهب إلى الحجّ، ومنها توجّه إلى زيارة مرقد أمير المؤمنين عليّ ـعليه السلامـ للمرّة الثالثة (سنة ٨٩٤ للهجرة)، فقام بتأليف المسالك الجامعيّة ومسوّدة المجلي (سنة ٨٩٥ للهجرة)، وبعد سفره الثالث إلى مشهد المقدّسة فرغ من تبييض هذا الكتاب (سنة ٨٩٦ للهجرة). ثمّ باشر تأليف عوالي اللئالي في تلك المدينة (سنة ٨٩٧ للهجرة).

وفي الفترة الفاصلة ما بين عامي ٨٩٧ ـ ٨٩٨ للهجرة هاجر إلى أستراباد، وبعد فترة ألّف درر اللئالي (سنة ٩٠١ للهجرة).

لا نعلم التـاريخ الدقيق لعودته إلى مســقط رأســه. بيد أنّ الذي نعلمه هو أنّ آخر كتـاب كتَبـه وهو شــرح على الباب الحادي عشــر، قد أملاه على تلاميذه في المدينة المنوّرة (سنة ٩٠٤ للهجرة). إنّ الأثر الأخير الذي تركه ابن أبي جمهور وراءه عبارة عن إجازة كتبها بعد ذلك بسـنتين إلى الشـيخ عليّ بن قاسم المعروف بابن عذاقة، لتنقطع بعد ذلك أخباره عنّا بالمرّة، فلا نعلم شـيئاً عن حياته أو مؤلّفاته بعد عام ٩٠٦ للهجرة، ولا تاريخ وفاته، ولا محلّ دفنه. وما قيل في هذا الشأن لا يستند إلى مصدر موثوق.[1]

مؤلّفات ابن أبي جمهور

بشــكل عامّ يمكن تبويب مصــنّفات ابن أبي جمهور إلى عدّة أبواب، وذلك على النحو الآتي:

---

(١) راجع: العطاء العلميّ والفقهيّ عند الشيخ محمّد بن أبي جمهور: ١٢٢ ـ ١٣٣. وكُتب السـير والتراجم التي تمّ تـأليفها خلال القرون الخمســة الأخيرة، تشـتمل على معلومات متفرّقة بشـأن حياة ابن أبي جمهور الأحسـائيّ، ويمكن لنا الإشــارة من بينها إلى: الإجازة الكبيرة: ١٨؛ الأعلام: ٢٨٨/٦؛ أعيان الشيعة: ٤٣٤/٩؛ أمل الآمل: ٢٨٠/٢،٢٥٣؛ أنوار البدرين: ٣٩٨؛ إيضاح المكنون، ٦٠٦/١، ١٥١/٢؛ تعليقـة أمل الآمل: ٢٥٦؛ تنقيح المقال: ١٥١/٣؛ روضـــات الجنّات: ١٢٦/٧؛ ريـاض العلماء: ١٣٠/٦؛ ريحانة الأدب: ٢١٥/٥؛ فهرس التراث: ٧٨١/١؛ الفوائـد الرضـويّة: ٣٨٢، ٥٥٤؛ كشـف الظنون: ١٩٢٨/٢؛ الكنى والألقـاب: ١٨٣؛ لؤلؤة البـحريـن: ١٦٦؛ مجـالس المؤمنين: ٥٨١/١؛ مســتـدرك الوسـائـل: ٣٦١/٣، ٤٠٥؛ معجم المؤلّفين: ٢٩٩/١٠؛ معجم مؤلّفي الشـيعـة: ١٥؛ موســوعة طبقات الفقهـاء: ٢٤٤/١٠؛ هـــديّـة العارفين: ٢٠٧/٢. وقـد قدّمت زابينه إشــميتكه في مقـالـة لهـا تحـت عنوان «مصــادر تمّ الكشــف عنهـا مؤخّراً للتحقيق في حياة وآثـار ابن أبي جمهور الأحســائيّ» ـ من خلال اعتماد تواريخ النشاط العلميّ لابن أبـي جمهور في مؤلّفـاتـه المخطوطـة ـ مســاراً دقيقـاً لحيـاتـه العلميّـة. كما قدّم محـمّـد عليّ الحرز تفصــيلاً أكثر في الفصــل الثاني من كتابه: العطاء العلميّ والـفـقهيّ عنـد الشــيخ محمّـد بن أبي جمهور الأحسائيّ.

أ. الفلسـفة: الرسـالة الإبراهيميّة في المعارف الإلهيّة (مفقود)، باب البداية لبداية النهـاية، البوارق المحسـنيّة لتجلّي الدرّة الجمهوريّة، الدرّة المسـتخرجة من اللجّة، موضح الدراية لشرح باب البداية.

ب. الكلام: التحفة الكلاميّة (مشكوك الانتساب)، المشهديّة في الأُصول الدينيّة، زاد المسـافرين في أُصـول الدين، شرح على الباب الحادي عشر، عروة المستمسكين بأُصـول الدين، كشـف البراهين لشرح زاد المسافرين، مجلي مرآة المنجي في الكلام والحكمتين والتصوّف، مختصر التحفة الكلاميّة (مشكوك الانتساب)، مدخل الطالبين في أُصول الدين (مفقود)، مسلك الأفهام في علم الكلام، معين الفكر في شرح الباب الحادي عشـر، معين المعين في أُصول الدين، مفتاح الفكر لفتح الباب الحادي عشر، المجادلات في المذهب، النور المنجي من الظلام حاشية مسلك الأفهام.

ج. الفقه: الأقطاب الفقهيّة والوظائف الدينيّة على مذهب الإماميّة، الأنوار المشهديّة لشرح الرسالة البرمكيّة (مفقود)، البرمكيّة في فقه الصلاة اليوميّة، التحفة الحسينيّة في شـرح الرسـالة الألفيّة، ذكر مسـتحقّي الزكاة، صـلاة الجمعة (مشـكوك الانتسـاب)، الفصول الموسويّة في العبادات الشرعيّة (مفقود)، المسالك الجامعيّة في شرح الألفيّة الشهيديّة، موضح المشكلات لأوائل الاجتهاديّات (مفقود)، النيّة وذمّ الوسواس.

د. أُصـول الفقه: الرسـالة الجمهوريّة (مفقود)، حاشية تهذيب الوصول إلى علم الأُصول (مفقود)، الطوالع المحسـنيّـة في شـرح الرسـالة الجمهوريّة (مفقود)، قبس الاقتداء في شرائط الإفتاء والاستفتاء، كاشفة الحال عن أحوال الاستدلال، المعالم السنابسيّة (مفقود).

هـ. الحديث: تحفة القاصـدين في معرفة اصطلاح المحدّثين (مفقود ـ مشكوك الانتسـاب)، درر اللئـالي العمـاديّة في الأحاديث الفقهيّة، عوالي اللئالي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة.

و. **المتفرّقات:** كتاب في المقتل (مفقود ـ مشكوك الانتساب)، مجموعة الأخبار والمسائل التي جمَعها من كتب شتّى (مفقود ـ مشكوك الانتساب)، مجموعة المواعظ والنصائح والحكَم (مفقود ـ مشكوك الانتساب).

ز. **الإجازات:** وهي عبارة عن إجازات منحها لتلاميذه، وهم: الشيخ شمس الدين محمّد بن صالح الغرويّ الحليّ (خمس إجازات)، السيّد محسن بن محمّد الرضويّ القمّيّ (ثلاث إجازات)، السيّد جمال الدين حسن بن أبي شبانة، السيّد شرف الدين محمود بن علاء الدين الطالقانيّ الكاشانيّ، الشيخ ربيع بن جمعة الغزّيّ العباديّ، جلال الدين بهرام بن بهرام الأسترآباديّ، عطاء اللّه بن معين الدين السرويّ الأسترآباديّ، الشيخ عليّ بن قاسم المشهور بابن عذاقة.[1]

أحداث سيرة ابن أبي جمهور

الزمان	المكان	الحدث
حوالي ٨٣٨ هـ	الأحساء	الميلاد
٨٧٧ هـ	—	الحجّ إلى مكّة المكرّمة، الرجوع إلى مسقط رأسه، زيارة النجف، السفر إلى مشهد المقدّسة
١٠ ذو الحجّة ٨٧٨ هـ	مشهد	الجلسة الثانية من مناظرته مع الملّا الهرويّ
١٧ ذو الحجّة ٨٧٨ هـ	مشهد	إتمام تأليف كشف البراهين
٢٠ صفر ٨٨٦ هـ	الأحساء	إتمام تأليف قبس الاقتداء
٢٦ ذو القعدة ٨٨٦ هـ	القطيف	إتمام تأليف مسلك الأفهام

(١) أوّل من اهتمّ بتدوين فهرسة لمصنّفات ابن أبي جمهور هي المستشرقة الألمانيّة زابينه إشميتكه، حيث عمدت إلى تخصيص أحد فصول كتابها (عالم أفكار ابن أبي جمهور الأحسائيّ) لهذا الأمر. وقد عمد عبد اللّه الغفرانيّ مؤخّراً إلى تأليف كتاب تحت عنوان: فهرس مصنّفات ابن أبي جمهور الأحسائيّ، حيث اشتمل على دراسة مفصّلة لتراث ابن أبي جمهور، وقد تولّت مؤسّسة ابن أبي جمهور طباعة هذا الكتاب.

٢٣ محرّم ٨٨٨ هـ	جزيرة أوال	إتمام تأليف البوارق المحسنيّة
٣ ذو القعدة ٨٨٨ هـ	مشهد	إتمام تأليف كاشفة الحال
٢٥ محرم ٨٨٩ هـ	مشهد	إتمام تأليف المشهديّة في الأُصول الدينيّة
١٢ جمادى الأُولى ٨٨٩ هـ	مشهد	إتمام تأليف النيّة وذمّ الوسواس
٣٠ ربيع الأوّل ٨٩٢ هـ	النجف	إتمام تأليف باب البداية لبداية النهاية
١٥ ربيع الثاني ٨٩٢ هـ	النجف	إتمام تأليف موضح الدراية
٣ شعبان ٨٩٣ هـ	الأحساء	إتمام تأليف النور المنجي من الظلام
٨٩٤ هـ	—	الحجّ إلى مكّة المكرّمة، ثمّ التوجّه إلى النجف الأشرف
٢٤ ربيع الأوّل ٨٩٥ هـ	النجف	إتمام تأليف المسالك الجامعيّة
أواخر جمادى الآخرة ٨٩٥ هـ	النجف	إتمام مسوّدة المجلي
١٦ صفر ٨٩٦ هـ	مشهد	إتمام مبيّضة المجلي
٢٤ ربيع الآخر ٨٩٦ هـ	مشهد	إجازته لمحمّد بن صالح الغرويّ لرواية المجلي
٤ جمادى الأُولى ٨٩٦ هـ	مشهد	إجازته لمحمّد بن صالح الغرويّ لرواية المسالك الجامعيّة
غرّة جمادى الأُولى ٨٩٦ هـ	مشهد	إجازته التفصيليّة لمحمّد بن صالح الغرويّ
١٥ جمادى الأُولى ٨٩٦ هـ	مشهد	إجازته للشيخ محمّد بن صالح الغرويّ لرواية كاشفة الحال
٢٠ جمادى الأُولى ٨٩٦ هـ	مشهد	إجازته للسيّد محسن الرضويّ لرواية كاشفة الحال
٢٣ رمضان ٨٩٧ هـ	مشهد	إتمام تأليف عوالي اللئالي
١٥ ذو القعدة ٨٩٧ هـ	مشهد	إجازته للسيّد محسن الرضويّ لرواية عوالي اللئالي
١٥ جمادى الأُولى ٨٩٨ هـ	أستر آباد	إجازته للشيخ محمّد بن صالح الغرويّ لرواية عوالي اللئالي
غرّة ذي الحجّة ٨٩٨ هـ	أستر آباد	إجازته للشيخ ربيع بن جمعة الغزّيّ العباديّ لرواية عوالي اللئالي

٦ ذو الحجّة ٨٩٨ هـ	أستر آباد	إجازته لجلال الدين بهرام الأستر آباديّ لرواية عوالي اللئالي
١١ رمضان ٨٩٩ هـ	أستر آباد	إجازته للشيخ عطاء اللّه بن معين الدين السرويّ الأسترآباديّ
٧ شعبان ٩٠١ هـ	أستر آباد	إتمام مبيّضة درر اللئالي
٢٥ ذو القعدة ٩٠٤ هـ	مدينة النبيّ	إتمام شرح على الباب الحادي عشر
٩ رجب ٩٠٦ هـ	الحلّة	إجازته للشيخ عليّ بن قاسم المشهور بابن عذاقة لرواية منية اللبيب

فهرسة أهمّ الأبحاث والدراسات المنجزة حول ابن أبي جمهور

الزمان	الأبحاث والدراسات
١٩٧٧ م/ ١٣٩٧ هـ	**تركيب الكلام والفلسفة والعرفان في مسلك ابن أبي جمهور الأحسائيّ،** ويلفرد مادلونغ (أهمّيّة تاريخ وثقافة العالم الإسلاميّ في نهايات القرون الوسطى، سلسلة مقالات المؤتمر الثامن للاتّحاد الأوروبيّ حول الإسلام والعرب)، ١٩٧٨م، ص ١٤٧ ـ ١٥٦
١٩٨٢ م/ ١٤٠٢ هـ	**مدخل «ابن أبي جمهور الأحسائيّ»**، ويلفرد مادلونغ، دائرة المعارف الإسلاميّة، التحقيق الثاني، القسم التكميليّ، الكراسة الخامسة والسادسة، ١٩٨٢ م، ص ٣٧٠
١٩٨٥ م/ ١٤٠٥ هـ	**الردود والنقود**، شهاب الدين المرعشيّ النجفيّ، المطبوع ضمن: عوالي اللئالي، قم، ١٤٠٥ هـ، أربعة أجزاء، ج ١، خمس عشرة صفحة، (ترقيم مستقلّ).
١٩٩٣ م/ ١٤١٣ هـ	**الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائيّ، قدوة العلم والعمل**، موسى عبد الهادي بو خمسين، دار البيان العربيّ، بيروت، ١٤١٣ هـ، ٢٨٦ ص.
١٩٩٦ م/ ١٤١٦ هـ	**مدخل «ابن أبي جمهور الأحسائيّ»**، تودو لاوسون، المطبوع في: دائرة معارف إيرانيكا، ١٩٩٦ م، ج ٧، ص ٦٦٢ ـ ٦٦٣
١٩٩٧ م/ ١٤١٧ هـ	**«تأثير شمس الدين الشهرزوريّ على ابن أبي جمهور الأحسائيّ»**، زابينه إشميتكه، المذكرة الأُولى في: تضارب الكلمات والنصوص، (الدراسات الثقافيّة

بمناسبة الذكرى السنويّة الستّين على مولد إستفان ويلد، المقامة من قبل تلاميذه في مدينة بون)، المحقّقون: لوتس إدزارد، وكرستين زيسكا، هيلدسهايم، ١٩٩٧ م، ص ٢٣ ـ ٣٢

٢٠٠٠ م/ ١٤٢٠ هـ **الكلام والفلسفة والعرفان عند الشيعة الاثني عشريّة في القرن الهجريّ التاسع / الموافق للقرن الميلاديّ الخامس عشر: عالم أفكار ابن أبي جمهور الأحسائيّ**، زابينه إشميتكه، ليدن، بريل ٢٠٠٠ م، ١١ + ٣٥٥ ص.

٢٠٠٦ م/ ١٤٢٦ هـ «**ابن أبي جمهور الأحسائيّ وكتابه الأخير: *شرح الباب الحادي عشر***»، زابينه إشميتكه، المطبوع في: تأمّلات على التأمّلات، كتاب ثقافة الشرق الأدنى، الخاصّ بريناته جاكوبي، المحقّقون: أنجليكا نيو فيرت وأندرياس كريستين إيسليب، فيسبادن، ريتشارد، ٢٠٠٦ م، ص ١٤٥ ـ ١١٩[١]

٢٠١٣ م/ ١٤٣٤ هـ **مجلي مرآة المنجي في الكلام والحكمتين والتصوّف**؛ الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، تحقيق وتصحيح: رضا يحيى پور فارمد، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٤ هـ، ٥ ج، lxiv + ٢١٧٨ ص.

النور المنجي من الظلام حاشية مسلك الأفهام؛ الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، تحقيق وتصحيح: رضا يحيى پور فارمد، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٤ هـ، ٢ ج، ٨٠٠ ص.

فهرس مصنّفات ابن أبي جمهور الأحسائيّ؛ عبد اللّه الغفرانيّ، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٤ هـ، ٤٧٢ ص.

الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائيّ، قدوة العلم والعمل، موسى عبد الهادي بو خمسين، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٣٤ هـ، ٢٨٨ ص.

«**أُسلوب الجمع والتطبيق عند ابن أبي جمهور**»، رضا كوهكن، مجلّة جاويدان خرد، رقم ٢٣، ص ٧٧ ـ ١٠٠

---

(١) مجموعتان مخطوطتان، المقدّمة: ١٤

٢٠١٤ م/ **شرح على الباب الحادي عشر**، الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ،
١٤٣٥ هـ إشراف: زابينه إشميتكه، تحقيق وتصحيح: رضا يحيى پور فارمد، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٥ هـ، ٣ ج، ١٢٠٠ ص.

رسائل كلاميّة وفلسفيّة، الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، تحقيق وتصحيح: رضا يحيى پور فارمد، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٥ هـ، ٢ ج، ٨٤٠ ص.

الآراء الكلاميّة لابن أبي جمهور الأحسائيّ، غلام رضا رشيديان، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٥ هـ، ٣٠٨ ص.

ابن أبي جمهور الأحسائيّ في كتب التراجم والمصادر، بإشراف: مؤسّسة تراث الشيعة، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٥ هـ، ٥٠٨ ص.

العطاء العلميّ والفقهيّ عند الشيخ محمّد بن أبي جمهور الأحسائيّ، محمّد عليّ الحرز، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٥ هـ، ٤٤٦ ص.

في رحاب ابن أبي جمهور الأحسائيّ، هاشم محمّد الشخص، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٥ هـ، ٣١٩ ص.

المسالك الجامعيّة في شرح الرسالة الألفيّة، الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، تحقيق وتصحيح: وليّ اللّه القربانيّ القوجانيّ، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٥ هـ، ٤٩٦ ص.

الأقطاب الفقهيّة على مذهب الإماميّة، الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، تحقيق وتصحيح: غلام رضا نقيّ الجلال آباديّ، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٥ هـ، ٢٤٧ ص.

٢٠١٥ م/ **المجادلات في المذهب**، الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ،
١٤٣٦ هـ تحقيق وتصحيح: رضا يحيى پور فارمد، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٦ هـ، ٤٧٠ ص.

التحفة الحسينيّة في شرح المقدّمة الألفيّة، الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، تحقيق وتصحيح: وليّ اللّه القربانيّ القوجانيّ، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٦ هـ، ٣٨٠ ص.

نقد الرأي القائل بتوطئة ابن أبي جمهور الأحسائيّ للاتّجاه الأخباريّ، مهديّ الآشتيانيّ، مجلّة: پژوهشنامهٔ ثقلين، الدورة الثانية، العدد: ٣، ص ٤٩٩ _ ٥٢٨.

٢٠١٦ م/ ١٤٣٧ هـ **ملحقات رسائل كلاميّة وفلسفيّة**، المشتملة على الرسائل المحرّرة والمترجمة والمنسوبة لابن أبي جمهور الأحسائيّ، تحقيق وتصحيح: رضا يحيى پور فارمد، مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٧ هـ، ٢ ج، ٨٦٠ ص.

الرسائل الفقهيّة، الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، تحقيق وتصحيح: وليّ اللّه القربانيّ القوجانيّ، مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٧ هـ، ٣٥٣ ص.

مدينة الحديث (الجواهر الغوالي في شرح عوالي اللئالي)، السيّد نعمة اللّه الموسويّ الجزائريّ، تحقيق: مهديّ الآشتيانيّ ومحمود كريميان، مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٧ هـ، ٥ج، ٢٣٤٤ ص.

ابن أبي جمهور الأحسائيّ وكتابه: مجلي مرآة المنجي، زابينه إشميتكه، مرشد أُوكسفورد للفلسفة الإسلاميّة، تحقيق: خالد الرؤيهب وزابينه إشميتكه، أُوكسفورد، ص ٣٩٧ _ ٤١٤.

٢٠١٧ م/ ١٤٣٨ هـ **مقال جولة في: مجلي مرآة المنجي في الكلام والحكمتين والتصوّف**، ماثيو تيريه، مجلّة: چكيدەهاي إيرانشناسي، الأعداد: ٣٤ _ ٣٦، الفصل السابع، المقال الثالث.

المباني الإشراقيّة لابن أبي جمهور الأحسائيّ في تحليل الصفات الإلهيّة، طاهرة كمالي زاده، مجلّة: تأمّلات فلسفي، العدد: ١٧، ص ٣٩ _ ٦٠.

ابن أبي جمهور؛ مؤسّس الكلام الشيعيّ الإشراقيّ، طاهرة كمالي زاده ورضا كوهكن، مجلّة: كلام وفلسفۀ إسلامي، السنة التاسعة والأربعون، العدد: ٢، ص ٢٣٩ ـ ٢٥٥.

مدخل مقارن إلى المصادر المعرفيّة من مدرسة الحلّة (ابن أبي جمهور الأحسائيّ) إلى مدرسة أصفهان (صدر المتألّهين)، رضا رضا زاده وسميّة منفرد، مجلّة: تاريخ فلسفة، السنة الثامنة، العدد: ١، ص ٤١ ـ ٦٢.

٢٠١٨ م/ ١٤٣٩هـ **كشف البراهين لشرح زاد المسافرين**، الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، تحقيق وتصحيح: رضا يحيى پور فارمد، مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٩هـ، ٣ ج، ١٢٦٠ ص.

إجازات الحديث، الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، دراسة وتحقيق: محمّد حسين الواعظ النجفيّ، مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٩هـ، ٥١٢ ص.

درر اللئالي العماديّة في الأحاديث الفقهيّة، الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، تحقيق: لجنة من المحقّقين بإشراف ومراجعة: السيّد حسن الموسويّ البروجرديّ، مكتبة العلّامة المجلسيّ، قم، ١٤٣٩هـ، ٨ ج.

اعتبار ودور المصادر المعرفيّة في فكر ابن أبي جمهور الأحسائيّ، شمس اللّه سراج وسميّة منفرد، مجلّة: آينۀ معرفت، العدد: ٥٤، ص ٢١ ـ ٣٦.

رأي كبار علماء الشيعة في ابن أبي جمهور

لقد عبّر كبار علماء الشيعة عن رأيهم في ابن أبي جمهور الأحسائيّ في الغالب من خلال قراءتهم لتراثه في ما يتعلّق بالعلوم النقليّة. وقد بادر أكثر هؤلاء العلماء إلى الإشادة بشخصيّته، واصفين إيّاه بالمحدّث والفقيه الفاضل.

فقد ذهب القاضي نور اللّه التستريّ إلى اعتباره مجتهداً ذائع الصيت، مشهوداً له

بالفضل بين العلماء، وأنّ فنونه وكمالاته قد تجاوزت حدّ الإحصاء.[١]

وقد وصفه المحدّث النوريّ بالمحقّق الفاضل.[٢]

كما اعتبره الملّا عبد اللّه الأفنديّ الأصفهانيّ فقيهاً ومتكلّماً وصوفيّاً.[٣]

وذهب الشيخ الحرّ العامليّ إلى نعته بالفاضل المحدّث والعالم والراوي.[٤]

وقد وصفه الشيخ عبّاس القمّيّ بالشيخ الفاضل المحقّق والحبر الكامل المدقّق وخلاصة المتأخّرين.[٥]

واعتبره المحدّث النيسابوريّ متكلّماً وفقيهاً وصوفيّاً.[٦]

وإلى جانب هذا الإطراء والتبجيل هناك في المقابل من علماء الشيعة الكبار من وجه إليه سهام النقد، رغم اعترافه له بالفضل والكمال.

من ذلك نجد العلّامة المجلسيّ على الرغم من اعترافه بفضل ابن أبي جمهور وشهرته، يرى أنّه في نقله للأحاديث لم يميّز القشر من اللباب، ولذلك فقد اكتفى في بحار الأنوار بنقل بعض رواياته؛ لكونه قد أدخل أخبار المخالفين المتعصّبين في جملة روايته عن الأصحاب.[٧]

وذهب الشيخ يوسف البحرانيّ ـ بعد اعترافه بفضله ووصفه إيّاه بأنّه مجتهد ومتكلّم ـ إلى الاعتقاد بأنّه قد خلط بين الغثّ والسمين في رواية الأحاديث، وأنّه قد أفرط في الرواية عن العامّة، ومن هنا فقد ذهب بعض المشايخ إلى عدم الاعتماد عليه في الرواية.[٨]

---

(١) مجالس المؤمنين: ٥٨١/١
(٢) مستدرك الوسائل: ٣٣١/١
(٣) رياض العلماء: ١٤/٦
(٤) أمل الآمل: ٢٥٣/٢، ٢٨٠
(٥) الفوائد الرضويّة: ٣٨٢
(٦) روضات الجنّات: ٣٢/٧
(٧) بحار الأنوار: ٣١/١
(٨) لؤلؤة البحرين: ١٦١

وأمّا محمّد باقر الخوانساريّ فعلى الرغم من نعته ابن أبي جمهور الأحسائيّ بالشيخ الفاضل المحقّق والحبر الكامل المدقّق،[١] بيد أنّه يتأمّل في الاستناد إلى مرويّاته ومؤلّفاته، خاصّة بعد ثبوت منهجه الأخباريّ. كما أنّه لا يعتني بإطراء المحدّث النوريّ لابن أبي جمهور، وذلك بلحاظ أنّ المحدّث النوريّ نفسه يعتبر من أقطاب المدرسة الأخباريّة.[٢]

مسار التأليف

قام ابن أبي جمهور الأحسائيّ في رحلته الثانية إلى النجف الأشرف بتأليف رسالة مقتضبة في العلم الإلهيّ والطبيعيّ بأُسلوب إشراقيّ وسلوكيّ، وأسماها باب البداية لبداية النهاية، وقد أتمّها بتاريخ ٣٠ ربيع الأوّل ٨٩٢ للهجرة، ثمّ عمد بعد ذلك مباشرة إلى كتابة شرح عليها، وأكمل هذا الشرح خلال خمس عشرة ليلة، يعود تاريخ الفراغ من مسوّدة هذا الشرح إلى ١٥ ربيع الثاني ٨٩٢ للهجرة. وأمّا مبيّضة هذا الشرح فيعود الفراغ منها إلى ما بعد ذلك بعشرة أشهر، إذ تمّ الفراغ منها بتاريخ ٢٦ صفر ٨٩٣ للهجرة، وسمّى هذا الشرح بـ موضح الدراية لشرح باب البداية.

البحث في صحّة النسبة

يتمّ إثبات نسبة رسالة باب البداية لبداية النهاية وشرحها موضح الدراية لشرح باب البداية إلى ابن أبي جمهور من طريقين:

الأوّل: لقد ذكِر اسم ابن أبي جمهور في نهاية المخطوطتين الموجودتين لكلا الكتابين[٣].

---

(١) روضات الجنّات: ٢٦/٧

(٢) نفس المصدر: ٣٣/٧

(٣) الكتاب الراهن: ١٤٠١/٤ و ١٤٠٨

الثـاني: لقـد ذكَر ابنُ أبي جمهور هذين الكتابين في إجازتيه اللتين كتبهما إلى كلّ من الشـيخ محمّد بن صالح الغرويّ[١]، والشيخ ربيع بن جمعة الغزّيّ العباديّ[٢]، في جملة مؤلّفاته وكتبه[٣].

المصادر المعتمدة من قبَل المؤلّف

لقـد اعتمـد ابن أبي جمهور في هذا الكتاب على مؤلّفات وآثار العلماء المتقدّمين على نطـاق واسـع، بحيث يمكن القول: إنّ ما يقرب من ٩٠ بالمئة من حجم الكتاب مقتبس من آثار سـائر الحكماء والمتألّهين. كما صـرّح المؤلّف نفسـه في المقدّمة بأنّ هذا الكتاب عبارة عن خلاصـة للحكمة السـلوكيّة التي هي حصـيلة جولة على كتب القوم واستخراج لبابها من قشورها دون تغيير في عباراتها[٤].

لقد استفاد ابن أبي جمهور في تأليف باب البداية من ثلاثة مصادر، حيث نشهد في الفصـول الأُولى من الكتاب ـ إذا ما اسـتثنينا الفصـل الثامن المقتبس من شرح حكمة الإشراق لقطب الدين الشيرازيّ ـ استفادة واسعة من المؤلّف من رسالة كلمة التصوّف، بحيث نجده إمّا ناقلاً لعبارة شـيخ الإشـراق بنصّها، أو مختصراً لعبارته موكّلاً تفصيلها

(١) فهرس مصنّفات ابن أبي جمهور: ٢٨٠ ـ ٢٨١

(٢) نفس المصدر: ٣٠٤ ـ ٣٠٥

(٣) ورد اسـم الرسـالة الأصـل في الإجازة الأُولـى بـاب بـداية النهـاية في الحكمـة الإشـراقيّـة، وفي الإجازة الثانية باب البداية للنهاية في الحكمة الإشـراقيّة. ولكنّنا اخترنا لهـذه الرسـالـة عنوان بـاب البـدايـة لبداية النهاية؛ وذلك لأنّ هذا العنوان هو الذي ذكره الـمؤلّف في المقـدّمـة، وهـذا العنوان هو الأنسـب باسـم شـرحه، الذي هو موضـح الدراية لشـرح باب البداية. يضاف إلى ذلك أنّنا لا نرى التسـمية المذكورة في الإجازتين الآنفتين حجّـة؛ إذ نعرف نمـاذج أُخرى من مؤلّفات ابن أبي جمهور ذكرت أسـماؤها في الإجازات بشـكل مغاير لأسمائها المثبتة في مخطوطات تلك الكتب والرسـائل. ويمكن الإشـارة من بينها إلى كشـف البراهين لشرح زاد المسـافرين، وكاشـفة الحال عن أحوال الاستدلال.

(٤) الكتاب الراهن: ١٣٧/١

إلى موضح الدراية، أو أنّ روح وجوهر كلماته مقتبس من هذه الرسالة.

وفي الفصول الأخيرة من الرسالة، استفاد المؤلّف بشكل رئيس من كتاب أنوار الحقيقة للسيّد حيدر الآمليّ، ونقل عباراته في رسالته.

وأمّا مصادر ابن أبي جمهور في تأليف موضح الدراية فهي أكثر تنوّعاً، حيث اعتمد في تأليفه على خمسة عشر كتاباً ورسالة، وهي عبارة عن: إعجاز البيان (لصدر الدين القونويّ)، والألواح العماديّة (لشهاب الدين السهرورديّ)، وأنوار الحقيقة (للسيّد حيدر الآمليّ)، ورسالة الأنوار (لمحيي الدين ابن عربيّ)، ورسالة الزوراء (لجلال الدين الدوانيّ)، ورسائل الشجرة الإلهيّة (لشمس الدين الشهرزوريّ)، وشرح رسالة الزوراء (لجلال الدين الدوانيّ)، وشرح الأربعين حديثاً (لصدر الدين القونويّ)، وشرح حكمة الإشراق (لقطب الدين الشيرازيّ)، وشرح فصوص الحكم (لداوود القيصريّ)، وشرح منازل السائرين (لعبد الرزّاق الكاشانيّ)، وكلمة التصوّف (لشهاب الدين السهرورديّ)، ومشكاة الأنوار (لأبي حامد الغزّاليّ)، ومُعين المُعين (لابن أبي جمهور الأحسائيّ)، والنصوص (لصدر الدين القونويّ).

تكرار بعض الأبحاث في مختلف فصول الكتاب

إنّ بعض أبحاث هذا الكتاب قد تكرّرت أكثر من مرّة وفي مختلف الفصول. وقد يبدو للوهلة الأُولى أنّ ابن أبي جمهور لم يكن ملتفتاً إلى هذه المسألة، إلّا أنّه صرّح في خاتمة الكتاب بأنّ هذا التكرار كان مقصوداً؛ إذ يرى أنّ بعض الأبحاث لا يمكن الاكتفاء ببيانها مرّة واحدة وبشكل صريح، ولذلك يجب ذكرها في مواضع مختلفة ومقرونة بعبارات متنوّعة، كي تتّضح للقارئ بشكل لا لبس فيه[1].

ومن بين مصاديق هذا التكرار يمكن الإشارة إلى الموارد أدناه:

---

(١) الكتاب الراهن: ١٤٠٤/٤

الأوّل: بحث ارتباط العوالم ببعضها؛ إذ تكرّر ثلاث مرّات[١].

الثاني: بحث درجات الطهارة؛ إذ تكرّر مرّتين[٢].

الثالث: بحث سبب مشاهدة الجنّ والشيطان والغول؛ إذ تكرّر مرّتين[٣].

الرابع: بحث خوادم القوّة الغاذية؛ إذ تكرّر مرّتين[٤].

النسبة الخاطئة لبعض الكتب إلى غير مؤلّفيها

لقد نسب ابن أبي جمهور بعض الكتب في موردين من هذا الكتاب، إلى غير مؤلّفيها، وهذان الموردان عبارة عن:

الأوّل: نسبة رسائل الشجرة الإلهيّة إلى شيخ الإشراق. فقد نسب ابن أبي جمهور هذا الكتاب إلى الشيخ الإلهيّ في ستّة وعشرين موضعاً، في حين أنّه من تأليف شمس الدين الشهرزوريّ. ومن الواضح أنّ هذا اللقب لم يُستعمل بين الحكماء إلّا للشيخ شهاب الدين يحيى السهرورديّ المعروف بـ شيخ الإشراق.

ولكن هناك في البين بعض الأُمور التي تدعونا إلى التساؤل والقول: كيف ذهب الظنّ بابن أبي جمهور إلى نسبة هذا الكتاب إلى شيخ الإشراق؟

أ. نقلُ إشكال صاحب رسائل الشجرة الإلهيّة على الخواجة نصير الدين الطوسيّ حول معنى «الوقت» عند أهل العرفان. وعلى هذا الأساس إذا كان ابن أبي جمهور يعتبر هذا الكتاب لشيخ الإشراق، فهل كان يظنّ أنّ شيخ الإشراق متأخّر من الناحية الزمنيّة والتاريخيّة عن الخواجة نصير الدين الطوسيّ؟

ب. نقلُ عبارات عن صاحب رسائل الشجرة الإلهيّة في إحالة القارئ إلى مؤلّفات صاحب الشفاء والمطارحات بشأن الاستدلال التفصيليّ في باب مذاهب أهل الشعاع

---

(١) الكتاب الراهن: ٦٣٦/٢، ٩٤٨/٣ و١١٥٠

(٢) الكتاب الراهن: ١٣٣١/٤ و ١٣٦٥

(٣) الكتاب الراهن: ٨٧٣/٢، ٨٨٧/٣

(٤) الكتاب الراهن: ١٠١١/٣ و ١٠١٧

والانعكاس. في حين لو كانت رسائل الشجرة الإلهيّة من تأليف شيخ الإشراق، فما هو الداعي إلى التعريف بنفسه بوصفه صاحب المطارحات؟

جدير بالذكر أنّ ابن أبي جمهور قد استفاد كذلك من كتاب رسائل الشجرة الإلهيّة، في النور المنجي من الظلام، ومجلي مرآة المنجي ـالذي ألّفهما بعد موضح الدرايةـ وهو وإن لم يُصرح هناك باسم الشهرزوريّ، إلّا أنّه يستعمل بشأنه عبارات تثبت أنّه قد أدرك أنّ هذا الكتاب ليس من تأليف الشيخ شهاب الدين السهرورديّ. فقد عبّر عن الشهرزوريّ في هذين الكتابين بعبارات من قبيل: بعض المتأخّرين[١]، وبعض أهل الحكمة[٢]، وبعض أهل الإشراق[٣]، وبعض أهل الطريقة من المتأخّرين[٤]، وبعض أهل الفحص عن هذه الغوامض[٥]، وبعض المتأخّرين من الحكماء الإسلاميّين[٦]، وبعض الحكماء الإسلاميّين من المتأخّرين[٧].

الثاني: لقد نسب ابنُ أبي جمهور في موضع آخر من هذا الكتاب شرحَ فصوص الحكم إلى الخواجة نصير الدين الطوسيّ، في حين أنّه لداوود القيصريّ[٨].

كثرة الأخطاء في مخطوطات هذا الكتاب

لا يمكن العثور على مخطوطة تخلو من الأخطاء بالكامل. إنّ أُموراً من قبيل تخصّص الكاتب في ما يتعلّق بموضوع المخطوطة المستنسَخة، وكيفيّة النسخة التي يستنسخ عنها، وعدد الوسائط بين نسخته ونسخة المؤلّف، تعدّ من العناصر الحاسمة في مدى صحّة وإتقان عمل المستنسِخ.

إلّا أنّ المخطوطتين اللتين تمّ اعتمادهما في تصحيح موضح الدراية ـوهما

---

(١) مجلي مرآة المنجي: ٢/٦٤٥
(٢) نفس المصدر: ٢/٥٧٤
(٣) نفس المصدر: ٤/١٦٤١
(٤) نفس المصدر: ٤/١٥٩٥
(٥) نفس المصدر: ٤/١٥٩١
(٦) نفس المصدر: ٢/٥٧٦
(٧) نفس المصدر: ٤/١٥٨٧
(٨) الكتاب الراهن: ٢/٥١٣

النسـختان الوحيـدتـان الموجودتـان لهـذا الكتـاب ـ، فـالأخطـاء فيهما تفوق الحدّ المتعـارف. ويرتفع منســوب التعجّـب من هـذه الظاهرة عندما ندرك أنّ هذه الأخطاء كانت موجودة حتّى في نسـخة المؤلّف أيضاً. فقد ذكر كاتب النسخة B (محيي الدين الطريحيّ) في خاتمة هذه النسـخة، أنّه قد اسـتنسـخ هذه النسـخة عن نسـخة بخطّ المؤلّف، وبعد أن أدرك وجود أخطاء في نســخة المؤلّف، وبعد عثوره على المصــادر المعتمدة من قبَل ابن أبي جمهور ومراجعة تلك المصــادر، قام بتصـحيح نسـخته(١). وعلى الرغم من أهمّيّـة وقيمـة هـذا العمل، إلّا أنّه لم يكن كافياً؛ إذ بقيت هناك الكثير من الأخطاء في هذه النسـخة على حالها. وعمدة هذه الإشـكالات تكمن في زيادة أو نقصان حرف، أو تبديل حرف بحرف آخر، أو تبديل كلمة بكلمة أُخرى.

وإنّ جانباً من الأخطاء الموجودة في هاتين النسختين يعود إلى قيام ابن أبي جمهور بحذف جزء من العبارات المقتبسـة من المصـادر بغية اختصارها. وقد أدّى ذلك ـ في بعض الأحيان ـ إلى الإخلال في معنى النصّ المقتبس، دون أن يلتفت ابن أبي جمهور إلى هذا الاختلال. وقد عمدنا إلى تدارك هذا النقص من خلال الرجوع إلى المصــادر المعتمدة من قبَل ابن أبي جمهور، وإضافة الأجزاء المحذوفة من تلك العبارات.

وفي بعض الموارد لم يؤدّ حـذف الكلمـة أو الكلمات من قبَل ابن أبي جمهور إلى الإخلال بالمعنى، بيد أنّنا مع ذلك أضـفناها في الهامش، لفهم العبارة بشـكل أفضـل وأكمل، ولكي يقف القارئ على وجود الفرق بين نصّ موضح الدراية ونصوص مصادر ابن أبي جمهور.

منهج المؤلّف في تبويب فصول الكتاب

إنّ ابن أبي جمهور في رسـالة باب البداية لم يراع التبويب المتّبع في سائر مؤلّفاته.

---

(١) الكتاب الراهن: ١٤٠٨/٤

ذلك أنّه قد وضـع في سـائر آثاره عدداً من الفصول (يتراوح بشكل عامّ ما بين ٤ إلى ٧ فصول)، ويذكر لكلّ فصل موضوعاً، ويذكر المسائل ضمن هذه الفصول.

وأمّا في هذه الرسـالة، فقد عمد ابن أبي جمهور إلى ذكر موضـوع واحد أو عدد من المواضـيع تحت عنوان واحد، من قبيل: إرشـاد (٣ مرّات)، وإشـارة، وكشـف، وتنبيه، ودقيقـة (مرّتـان لكلّ واحد)، ومقدّمة، ومدخل، وإيقاظ، وإيضـاح، وتكميل، وختام، وانتقال، وردّ أغاليط، وتحقيق، وتذكير، وتلويح، وتتميم، وجمع، ووصـيّة، ووارد (مرّة لكلّ واحد)، حيث تشكّل عناوين لأبحاث هذه الرسالة.

وقد عمدنا إلى وضع كلّ واحد من هذه العناوين في فصل مستقلّ؛ تسهيلاً لوصول القـارئ إلى مطالـب الكتـاب، وعمـدنـا إلى ترقيمهـا على الترتيب، وأخذنا الفقرات الابتـدائيّـة والختاميّة لرسـالة باب البداية بوصـفها خطبة وخاتمة. وبذلك تكون هذه الرسالة مشتملة على خطبة، وستّة وعشرين فصلاً، وخاتمة.

ومن المفيد أن نذكر هنا بعض الأُمور حول تبويب فصول هذه الرسالة:

أوّلاً: كما سبق أن ذكرنا، فإنّ ابن أبي جمهور قد اعتمد في تأليف رسالة باب البداية على ثلاثة مصـادر، وهي: كلمة التصوّف (لشهاب الدين السهرورديّ)، وأنوار الحقيقة (للسيّد حيدر الآمليّ)، وشرح حكمة الإشراق (لقطب الدين الشيرازيّ). وإنّ العناوين السـتّة والعشـرين المذكورة ـ إذا ما اسـتثنينا الفصـلين الأخيرين من هذه الرسـالة ـ لا وجود لها في أيّ من المصادر المعتمدة من قبَله. ويبدو أنّ ابن أبي جمهور كان له نظر إلى أُسلوب ابن سينا في الإشارات والتنبيهات في تبويب مسائل هذه الرسالة.

ثـانياً: كان من الأجدر بابن أبي جمهور أن يجمع المسـائل التي تدور حول محور واحد ضـمن فصل مستقلّ، من قبيل مباحث صفات البارئ تعالى، التي نجدها مبعثرة في الفصل الخامس إلى الفصل الثامن.

ثالثاً: إنّ ابن أبي جمهور في الكثير من الموارد، لم يراع الترتيب المنطقيّ بين الأبحاث. من ذلك أنّه كان من الأجدر ـ على سبيل المثال ـ أن يدرج الفصل الثالث عشر (مباحث المعاد) بعد الفصلين الرابع عشر والسادس عشر (مباحث النبوّة والولاية). كما كان من الأجدر وضع الفصل السابع عشر ـ الذي يحتوي على الطبيعيّات ـ ضمن الفصول الأُولى من الكتاب (بعد الفصل الثالث، وقبل الدخول في مباحث الإلهيّات). كما لا تبدو هناك مناسبة في إقحام الفصل الخامس عشر (الأبحاث المرتبطة بالشيطان والجنّ) بين الفصلين الرابع عشر والخامس عشر (مباحث النبوّة والولاية).

المخطوطات المعتمدة

لا توجد مخطوطة مستقلّة لرسالة باب البداية. كما أنّ كتاب موضح الدراية يُعدّ منذ أعوام من بين التراث المفقود لابن أبي جمهور، إلى أن تمّ العثور مؤخّراً على مخطوطتين لهذا الكتاب، وهما:

١. المخطوطة رقم ٩٠٦، وهي موجودة في المكتبة العامّة للملك عبد العزيز، الرياض، المملكة العربيّة السعوديّة، بخطّ النستعليق، الكاتب: عبد العزيز، تاريخ الكتابة: يوم الاثنين ٢٦ ربيع الآخر ١٣١١ للهجرة[١]، عدد الأوراق: ٢٢٦ ورقة، عدد السطور: ١٧[٢]. وتوجد لهذه المخطوطة نسخة مصوّرة برقم ٣٣٦٥٥٤ في مكتبة مركز جمعة الماجد في دبي ـ الإمارات العربيّة المتّحدة. وقد ميّزنا هذه النسخة بالعلامة A.

٢. المخطوطة رقم ١٨٢٠١/١، مكتبة آية اللّه المرعشيّ النجفيّ، قم، إيران، خطّ

(١) لقد ذكر تاريخ كتابة هذه المخطوطة في خاتمتها: «يوم الاثنين في العشر الآخر من شهر ربيع الآخر في سنة إحدى عشر وثلاثمئة بعد الألف». وقد استفدنا من برنامج تبديل التاريخ وتوصّلنا إلى تاريخها الدقيق.

(٢) لم نعثر على مواصفات هذه المخطوطة في الفهرس المطبوع لمخطوطات هذه المكتبة.

النسخ، الكاتب: محيي الدين الطريحيّ، تاريخ الكتابة: أحد أيّام الاثنين من شهر ذي القعدة سنة ١٠٧٦ للهجرة، تاريخ التصحيح: ١٢ ربيع الآخر ١٠٧٨ للهجرة، عدد الأوراق: ٢٧٠، عدد السطور: ٢٢، حجم المتن: ١١/٥ في ٧ سم[1]. تبدأ هذه المخطوطة من أواخر الفصل السابع (أقسام كمالات الموجود)، بمعنى أنّ ما يزيد على الثُلث الأوّل قد سقط من هذا الكتاب. وقد ميّزنا هذه المخطوطة بالعلامة B.

تبدأ المخطوطة A بعبارات من تفسير ابن سينا لسورة التوحيد، وتتعرّض إلى بيان معنى «الهو المطلق». ولا يمكن العثور على أيّ مبرّر لابتداء الكتاب بهذه العبارة. كما أنّنا لا نجد أيّ صلة بينها وبين ما بعدها من المسائل والمطالب.

ولكن بعد التدقيق في المخطوطة B ندرك أنّ كاتب هذه المخطوطة قد أضاف النصّ الكامل لتفسير ابن سينا على سورة التوحيد إلى نهاية الكتاب بعد الخاتمة، وقال: إنّ هذا التفسير كان موجوداً بخطّ ابن أبي جمهور في نهاية مخطوطة المؤلّف من موضح الدراية أيضاً. ومن هنا يتّضح أنّ انتقال هذه العبارات إلى بداية الكتاب في المخطوطة A كان خطأً من قبَل كاتب هذه المخطوطة، وربّما كان السبب في ذلك يعود إلى اختلاط ترتيب أوراق المخطوطة التي اعتمد عليها. ولذلك فقد عمدنا إلى حذف هذه العبارات من بداية الكتاب.

أُسلوب التصحيح

لقد اخترنا لتصحيح هذا الكتاب اعتماد الأُسلوب الانتقائيّ. وهو أُسلوب متّبع عند عدم توفّر نسخة معتبرة للأثر المنشود، ولا يكون بحوزتنا سوى عدد من النسخ المغلوطة. ولكي يكون هذا الأُسلوب من التصحيح متقناً ومعتبراً، يجب أن يكون

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة آية اللّه المرعشيّ النجفيّ: ٢٠٠/٤٦ ـ ٢٠١. وقد تمّ تعريف هذه المخطوطة في هذا الفهرس تحت عنوان النور المنجي من الظلام.

المصـحّح من ناحية مسلّطاً على موضوع الكتاب الذي يعتزم تصحيحه، ومطّلعاً على الكتب الموازية له، وأن يكون من ناحية أُخرى متمكّناً من اللغة العلميّة وأُسـلوب بيان وتقرير مؤلّفه في سـائر الآثار الموجودة له، كي يتمكّن من انتقاء ما هو مسلّم الرجحان من بين المستندات المختلفة ليدخله في النصّ، ويخرج من النصّ ما هو مرجوح[(١)].

إنّ كلتا المخطوطتين المتبقّيتين من هذا الكتاب، زاخرة بالأخطاء وأنواع السقط غير القليلة للأسف الشديد. بالإضافة إلى أنّ النسخة B فاقدة للثُلث الأوّل من الكتاب.

على الرغم من أنّ مـا يقرب من ٩٠ بـالمئـة من حجم هـذا الكتـاب مقتبس ـكمـا أسـلفنا ـ من آثار الحكماء والمتألّهين الآخرين، وأنّ ابن أبي جمهور قد نقل عباراتهم في بعض الموارد حرفيّاً، وفي بعضـها الآخر مع تغيير طفيف، إلّا أنّ الوصول إلى مصادر ابن أبي جمهور لم يسـهّـل علينا عمليّة تقديم متن منقّح لهذا الكتاب كثيراً؛ وذلك لأنّ هذه المصـادر وإن كانت مصحَّحة ومنشورة، ولكنّها لا تخلو هي الأُخرى من الإشكال. ومع ذلك كلّه فإنّنا قد اسـتفدنا من النسَـخ المطبوعة لمصـادر ابن أبي جمهور بوصـفها نسَخ مستقلّة لتصحيح هذا الكتاب أيضاً، وقد ميّزنا هذه المصادر بالعلامة P [(٢)].

وفي تصـحيح هذا الكتاب، قد اخترنا ـبحسـب ما يقتضـيه الأُسـلوب الانتقائيّ ـ الضـبط الأصحّ من بين المخطوطتين A وB. وحيث لم يمكن الاستفادة من ضبط أيّ واحدة من هاتين المخطوطتين:

أ. إذا كانت العبارات لابن أبي جمهور، ولا توجد في آثار المتقدّمين، وضعنا الضبط الصـحيح بحسب اجتهادنا في المتن بين معقوفتين [ ]، وأدرجنا ضبط المخطوطتين

---

(١) تاريخ نسخه پردازي: ٤٣٥ ـ ٤٣٦

(٢) إنّ هذه العلامة لا تشير إلى كتاب بعينه. من ذلك مثلاً إذا كانت عبارة ابن أبي جمهور نقلاً عن رسـائل الشـجرة الإلهيّـة، كانت العلامـة P تخصّ هـذا الكتـاب، وإذا كانت العبارات في موضـع آخر منقولة عن إعجاز البيان، كانت العلامة P تخصّ هذا الكتاب.

A وB في الهامش.

ب. إذا كـان ابن أبي جمهور قد أخذ تلك العبارات من آثار المتقدّمين، رجعنا إلى ما هو مضـبوط في المصـادر المعتمدة لديه. فإذا كان الضـبط الصـحيح موجوداً في مصـادر ابن أبي جمهور، أدرجناه في المتن، وأثبتنا المضبوط في المخطوطتين A وB في الهـامش. وإذا كان المضـبوط في كلا المخطوطتين A وB وفي مصـادر ابن أبي جمهور خطأً كلّه، أثبتنا الضـبط الصحيح بين معقوفتين [ ]، وأثبتنا ضبط المخطوطتين A وB وضبط المصادر المعتمدة من قبَل ابن أبي جمهور في الهامش.

وحيث إنّ ابن أبي جمهور قد أجرى تغييرات طفيفة في عبارات المصادر المعتمدة من قبَله، وسـعى إلى تلخيص المطالب المقتبسـة من تلك المصـادر مع مراعاة الحدّ الأدنى من التغيير، إلّا أنّنـا حتّى في الموارد التي كان فيها ضـبط المخطوطتين A وB صـحيحـاً، رجعنا مع ذلك إلى المصـادر المعتمدة من قبَل ابن أبي جمهور وأدرجنا الضبط الموجود فيها ضمن الهامش؛ ليتّضح للقارئ ما هي التغييرات التي أدخلها ابن أبي جمهور في عبارات المصادر المعتمدة من قبَله.

إذا كانت التغييرات التي أدخلها ابن أبي جمهور في عبارات المصـادر المعتمدة على شـكـل تغيير أو حذف أو إضـافة كلمة أو عدد من الكلمات، فقد عمدنا إلى إثبات هذه التغييرات، وأمّا إذا كانت التغييرات تشمل حذف عدد من الجُمل أو عدد من الفقرات بل وحتّى عدّة صـفحات، فقد تجنّبنا إثباتها، إلّا إذا حصـل لنا اليقين بأنّ هذه التغييرات من قبَلـه مخلّـة بمعنى النصّ قطعاً. وفي هذه الموارد ـ وهي قليلة جدّاً في مجموع الكتاب ـ عمدنا إلى إعادة تلك الجُمل أو الفقرات المحذوفة من قبَل ابن أبي جمهور إلى المتن.

أُسلوب التحقيق

عمـدنـا في الخطوة الأُولى إلى التعرّف على المصـادر المعتمـدة من قبَل ابن أبي

جمهور وأخـذه عبـارات هـذا الكتـاب منهـا، وقد حدّدنا بدايتها ونهايتها على التوالي بالعلامتين < و >. وتتراوح هذه الاقتباسـات ما بين الأقلّ من السـطر وقد تصـل في بعض الأحيان إلى ما يزيد على العشـر صـفحات. وبذلك فقد اتّضـح أنّ ما يقرب من ٩٠ بـالمئـة من حجم الكتـاب مقتبس من آثار المتقدّمين على ابن أبي جمهور. وهذا بطبيعـة الحال لا يعني أنّ الـ ١٠ بالمئة الباقية هي لابن أبي جمهور بالضـرورة. فلربّما كانت هذه العبارات بدورها مقتبسة من مصادر لم يتمّ طبعها إلى الآن، أو أنّه لم نتمكّن من التعرّف عليها.

وفي الخطوة الثانية، عمدنا إلى التعرّف على مصـادرِ مصـادر ابن أبي جمهور. من ذلك مثلاً أنّ ابن أبي جمهور قد نقل في فصـلٍ عبارات عن رسـائل الشـجرة الإلهيّة للشـهرزوريّ، وقد كان للشـهرزوريّ بدوره في تصـنيف هذا الكتاب مصادر من قبيل: مؤلّفات ابن سينا، وشيخ الإشراق، أو الخواجة نصير الدين الطوسيّ. وفي هذه المرحلة تمّ التعرّف ـفي حدود الإمكانـ على جميع المصادر، وإذا لم نتمكّن من الوصول في موضـع إلى المصادر المشار إليها، ذكرنا في الهامش عجزنا عن الوصول إلى المصادر المنشودة.

وأمّا في الخطوات التالية:

١. في تخريج آيات القرآن الكريم، ذكرنا رقم السورة والآية. من ذلك مثلاً أنّ ٢/٢٥ يعني السورة رقم ٢٥ والآية رقم ٢. ولو تكرّرت آية في سورة واحدة أو في أكثر من سورة في القرآن الكريم، عمدنا إلى ذكر جميع الموارد المتكرّرة.

٢. في ما يتعلّق بتخريج الروايات، سـعينا إلى التعرّف على مواردها في المصـادر الروائيّة والتفسيريّة للشيعة، التي تمّ تأليفها قبل وفاة ابن أبي جمهور. وكان ترتيب ذكرنا لهذه المصـادر بأنّ نعمل أوّلاً على ذكر الكتب الأربعة، ثمّ كتُب الشـيخ الصـدوق، ثمّ

سائر المصادر الروائيّة والتفسيريّة بحسب ترتيب تاريخ وفيات مؤلّفيها. وبطبيعة الحال، في بعض الموارد القليلة التي لا تتجاوز أصابع اليد، لم نتمكّن ـ رغم البحث لبعض الروايات المذكورة في هذا الكتاب ـ من العثور على موارد في المصادر الشيعيّة المتقدّمة على ابن أبي جمهور. وقد اضطررنا في هذه الموارد إلى مراجعة المصادر الشيعيّة المتأخّرة عن ابن أبي جمهور، من قبيل: بحار الأنوار، والوافي.

٣. قام سعينا في تخريج الأشعار على ذكر اسم الشاعر مع إحالة ذلك البيت إلى ديوان الأشعار أو الكتاب المذكور فيه ذلك البيت.

وفي بعض الموارد توصّلنا إلى الشاعر، ولكنّنا لم نعثر على ديوان شعر أو كتاب له يحتوي على ذلك البيت. ولذلك أحلنا ذلك البيت إلى المصادر القديمة والمعتبرة القريبة من عصر حياة الشاعر، وأثبتناه في الهامش.

وفي بعض الموارد لم نجد أيّ أثر لقائل البيت. وفي مثل هذه الموارد صرّحنا بعجزنا عن الوصول إلى اسم الشاعر في الهامش، وأحلنا البيت إلى أقدم المصادر التي ذكرت هذا البيت وأكثرها اعتباراً.

٤. في مورد الآراء المنسوبة في هذا الكتاب إلى الأشخاص أو الفرَق الفلسفيّة والكلاميّة المختلفة، سعينا إلى العثور على تلك الآراء في كتب أُولئك الأشخاص أو الفرَق مورد البحث. وفي بعض الموارد، حيث لم يتمّ العثور على كتاب لذلك الشخص أو لتلك الفرقة، عمدنا إلى الرجوع إلى أكثر الكتب الفلسفيّة والكلاميّة اعتباراً، وعملنا على استخراج تلك الآراء من مصادرها، وإثباتها في الهامش.

٥. في ما يتعلّق بأسماء الأعلام المذكورة في هذا الكتاب، إذا كان لهم من الشهرة التي تغني عن التعريف (من أمثال: أرسطو، وأفلاطون، وابن سينا، والسهرورديّ)، أعرضنا عن التعريف بهم. وأمّا في سائر الموارد الأُخرى، كان لنا إشارة مقتضبة إلى حياة وآثار ذلك الشخص.

٦. في ما يتعلّق بأُسلوب كتابة الكلمات في هذا المتن ـحتّى في مورد آيات القرآن الكريمـ عمدنا إلى تغييرها لتوافق الأُسلوب السائد في العصر الراهن.

٧. إنّ كلتا المخطوطتين لهذا الكتاب تخلو عن الحواشي. ولذلك كلّما تمّ العثور فيه على حاشية أو تعليقة دون إحالة إلى مصدر محدّد، فهي تعود إلى محقّق الكتاب.

٨. إنّ بعض مباحث هذا الكتاب ـولا سيّما العرفانيّة منهاـ زاخرة بالمصطلحات غير المفهومة للقارئ المبتدئ. ولكن حيث إنّ توصيف هذه المصطلحات وشرحها يؤدّي إلى زيادة حجم هذا الكتاب، ويحتاج ذلك إلى مزيد من الوقت أيضاً، فقد أعرضنا عن ذلك. على أمل جبران هذا النقص من خلال كتاب مستقلّ سوف نؤلّفه بعنوان معجم مصطلحات ابن أبي جمهور.

٩. في ما يتعلّق بالأبحاث العرفانيّة لهذا الكتاب، حيث طبيعة فهمها أكثر تعقيداً من فهم الأبحاث الفلسفيّة، فقد استفدنا من وضع الحركات وعلامات ترقيم المتن بشكل أكثر من سائر الأبحاث والفصول الأُخرى.

علامات الاختصار المعتمدة

العلامة	المفهوم
A, B	المخطوطتان المعتمدتان في تصحيح هذا الكتاب.
P	النسَخ المطبوعة للمصادر المعتمدة من قبَل ابن أبي جمهور في تأليف هذا الكتاب.
As	نسخة بدل عن النسخة A.
Ai	الكلمة أو الكلمات الساقطة من المتن، والمكتوبة في الحاشية مع التذكير بأنّها متعلّقة بالمتن.
Ac, Bc	الكلمة أو الكلمات الواردة في متن المخطوطة خطأً، ثمّ صححها الكاتب في حاشية المخطوطة.
A1a, B1a	موضع الكلمة الأخيرة في الجانب الأيمن للورقة الأَولى من المخطوطتين A وB.
A1b, B1b	موضع الكلمة الأخيرة في الجانب الأيسر للورقة الأَولى من المخطوطتين A وB.



القسم الثاني: نظرة عابرة إلى محتوى الكتاب

خطبة الكتاب

لقـد تعرّض المؤلّف ـ بعد مقدّمة مقتضــبة في بيان ذات ومرتبة الحقّ تعالى ـ إلى بيـان معنى الحمـد، وقـال في ذلك: إنّ الحمد من حيث هو هو، أمر مطلق وكلّيّ مثل سـائر الصـفات والأسـماء والحقائق المجرّدة الكلّيّة. فلا اللغة تفي ببيان حقيقتها، ولا يبدو منها حُكماً.

ومن نـاحيـة أُخرى، يجـب في الحمد والثناء معرفة المحمود والمُثنى عليه. ولكن حيث إنّ جميع الموجودات كلمات اللّه، لا يكون هناك تغاير بين الحامد والمحمود.

ثمّ يقسّم الحمد إلى نوعين:

الأوّل: الحمد العامّ، حيث يكون الحمد على صفات المحمود.

الثـاني: الحمد الخاصّ، حيث يكون الحمد على ســبب النعم الواردة من جانب المحمود.

وهو يسمّي القسم الثاني شكراً، ولذلك فإنّه يرى الشكر قسماً من الحمد.

وفي الختام يعدّد أسباب وجوب الشكر، وهي:

أوّلاً: النعمة التي تصل من قبَل اللّه ابتداءً.

ثانياً: الإحسان الذي يرد في قبال الصبر على اختبار العبد.

وقد تعرّض ابن أبي جمهور في نهاية الخطبة إلى وصـف رسـالة باب البداية بشكل مختصــر، وقال: إنّها رســالة مختصــرة في العلم الإلهيّ والطبيعيّ بأُســلوب حكماء

الإشــراق وأهـل الســلوك؛ وأنّـه حصــيلة تفكير طويل في آثار الحكماء والمتألّهين، واستخراج اللباب من قشور كتبهم، دون تغيير في عباراتهم.

الفصل الأوّل

لقد عمد المؤلّف في هذا الفصل ابتداءً إلى تعريف الحكمة بأنّها عبارة عن التحلّي بالعلوم الحقيقيّة في حدود الطاقة البشـريّة، وأنّ الغاية من ذلك تشـبّه النفس الإنسانيّة النـاطقـة بـالعوالم العقليّـة العـالية. ثمّ قام بعد ذلك بنقل تقســيم العلوم المعهود بين الحكماء.

يرى ابن أبي جمهور أنّ شــرط حصــول الحكمة في النفس يكمن في جودة الفكر وكثرة الصبر، ويعتقد أنّ اجتماع هذين الأمرين شاقّ للغاية ونادر التحقّق.

ثمّ يذكر مؤيّدات من كلام النبيّ الأكرم ـصلّى اللّه عليه وآلهـ وأفلاطون وأرسطو؛ ليُثبت أنّ الحكمة التي يؤيّدوها ويشجّعوا عليها، هي هذه الحكمة المنشودة له.

ثمّ ينتقـل بعـد ذلـك إلى بيـان اختلاف مذاهب القوم في موضـــوع العلم الإلهيّ، ويثبت أنّ موضوع هذا العلم هو الموجود من حيث هو موجود.

الفصل الثاني

لقـد عمـد ابن أبي جمهور في الفصـــل الثـاني إلى تقـديم خلاصـــة عن مبـاحث الطبيعيّات. وقد بيّن لذلك بعض المقدّمات، لينتقل بعد ذلك إلى البحث عن مســائل العلم الطبيعيّ. وقد بحث أوّلاً عن حقيقة العلم، وقال بأنّها هي الصــورة التي تحصــل لدى المُدرِك عن المُدرَك. ثمّ قام بتقسـيم هذه الصــورة ـباعتبار ماـ إلى كلّيّة وجزئيّة، وقسّــمها ـباعتبار آخرـ إلى بســيطة ومركّبة. ثمّ انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن لازم الماهيّة واختلافها عن الذات، واستدلّ على عدم العثور على الكلّيّ في عالم الخارج.

وقـد عمـد ابن أبي جمهور ـتبعـاً للإشـراقيّين ـ إلى تقسـيم الممكن إلى الهيئـة والجوهر، ولا يرى فرقاً بين المحلّ والموضوع.

إنّ ابن أبي جمهور ـمثـل سـائر الفلاسـفـة ـ يخـالف نظرية المتكلّمين في باب الجوهر الفرد، ويأتي لإثبات مذهبه بثلاثة أدلّة، ويردّ على أدلّة القائلين بهذا المذهب.

وقد أقام لإثبات تناهي الأجسـام وامتناع تسـلسل العلل والمعلولات ثلاثة براهين، وهي كالآتي:

الأوّل: برهان التطبيق بتقريريه، والإجابة عن الإشكال الوارد عليه.

الثاني: برهان الكرة والمسامتة، والقول بعدم تماميّته.

الثالث: برهان التُرس نقلاً عن السهرورديّ، وترجيحه على سائر البراهين.

ثمّ تعرّض بعد ذلك إلى إثبات وجود محدّد الجهات وبساطته وعدم قابليّة تقسيمه، لينتقل بعد ذلك إلى بحث المكان، ويعدّد أمارات المكان، وعلى أساس هذه الأمارات قدّم تعريفه المختار للمكان.

وفي المبحـث التـالي تحـدّث ابن أبي جمهور عن الكيفيّـات الأربعـة والعناصـر الأربعة. وقد اسـتدلّ في البداية بأُسـلوبين على حصـر الكيفيّات بأربعة أنواع، وهي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسـة. ثمّ اسـتدلّ بطريقتين ـوهما طريقة الحكماء، وطريقة الأطبّاء ـ على حصـر العناصـر في أربعة أنواع، وهي: النار، والهواء، والأرض، والماء. ولكنّه في الختام يعمل على ترجيح رؤية السهرورديّ في حصر العناصر بثلاثة أنواع، وهي: الأرض، والماء، والهواء.

ثمّ تحدّث بشكل خاصّ عن كلّ واحد من العناصر الأربعة، وتعرّض إلى أحكامها.

وانتقـل بعـد ذلـك إلى بيـان اسـتدلال الحكماء المشّـائين لإثبات اختلاف هذه الكيفيّـات عن الصـور النوعيّـة، وأشـكـل عليـه. ثمّ قـدّم تعريفات لكلّ من المزاج،

والاسطقسّ، والعنصر، والركن.

ثمّ دخل في البحث عن الهيولى، ناقلاً أدلّة الحكماء الإشراقيّين والمشّائين، وأشكل على أدلّة المشّائين.

ليدخل بعد ذلك في بحث تركّب الجسم، وبعد نقل مذهب المشّائين في مورد تركّب الجسم من الهيولى والصورة الجسميّة والإشكال عليه، يعمل على ترجيح مذهب الإشراقيّين ـ القائم على نفي الجوهريّة المحضة، وإثبات دخول المقدار فيه ـ على مذهب المشّائين.

ثمّ نقل بعد ذلك استدلال الحكماء المشّائين على علّيّة الصورة للهيولى، واستحالة تصوّر الهيولى دون الصورة، وأورد عليه بعض الإشكالات.

ثمّ دخل في البحث عن الصور النوعيّة. حيث عمل أوّلاً على نقل أدلّة الحكماء المشّائين لإثبات الصور النوعيّة، ثمّ ذكر الاعتراضات الموجّهة ضدّ هذه الأدلّة مع أجوبة المشّائين عنها. وبعد ذلك نقل إشكال السهرورديّ على استدلال المشّائين، ورأى عدم صوابيّة الإجابات المقدّمة من قبَل الحكماء المشّائين عن إشكال السهرورديّ.

ثمّ ذكر بعد ذلك أمثلة عن تبديل كلّ واحد من العناصر الأربعة إلى الآخر، ويستنتج من ذلك أنّ هيولى العناصر مشتركة.

وفي المبحث اللاحق يدخل في بحث الأفعال والانفعالات المتعلّقة بكلّ واحد من الكيفيّات الأربعة. ثمّ عمل بعد ذلك على توجيه بعض الظواهر الطبيعيّة والفلكيّة، من قبيل: السحاب، والمطر، والثلج، والبَرَد، وكبر وصغر حجم قطرات المطر، ونزول البَرَد في الربيع والخريف، والهالة المستديرة حول قرص القمر، وقوس قزح، والشُميسات، والشُهُب، والرعد والبرق، والصواعق، والنجوم المذنبة، والرياح،

والعواصــف، والعيون الـدافقـة والراكـدة، والآبار والقنوات، والزلازل، وخلق الجبال، وخروج بعض الأراضـي من تحت المياه، وبقاء أكثرها تحت المياة، وكيفيّة سطوع نور الشـمس على الأراضــي الواقعـة في العروض المختلفـة، والطوفـان، وظهور الموادّ المعدنيّة وتقسيماتها.

واستطرد في هذا الفصل يتحدّث عن العلاقة بين الكيمياء والطبّ والنجوم والعلوم الطبيعيّـة. ثمّ يـدخـل بعـد ذلـك إلى البحث عن المكان، ويشــير إلى الاختلاف بين أفلاطون وأرسطو في تعريف المكان، ويعدّد أمارات المكان.

ثمّ يبحـث في مـذهـب القـائلين بترادف المكـان والخلأ، ويناقش الفروع المترتّبة عليـه، ويـذكر الإشــكالات الواردة على ذلك، وفي الختام يعمل على ترجيح مذهب أرسطو في تعريف المكان على التعاريف الأُخرى.

ثمّ ذكر اسـتدلال أرسـطو على اسـتحالة نفي وجود أكثر من عالم جسمانيّ واحد، واستطرد بعد ذلك في بيان مذهب الحكماء المتألّهين في باب وجود العالم المقداريّ غير العالم الجسمانيّ الراهن.

وينتهي الفصل الثاني ببيان هذا المطلب، وهو أنّ المواليد الثلاثة تتبلور من امتزاج العناصر الأربعة، وهذا لا يتنافى مع خلق الإنسان من تراب.

الفصل الثالث

لقد تعرّض المؤلّف في هذا الفصــل إلى مباحث النفس. وقد عمد في البداية إلى إثبات وجود النفس من طريق بيان المغايرة بين النفس والبدن، ثمّ تحدّث عن ضــرورة معرفة النفس. واسـتطرد بعد ذلك في بيان كلام الفلاسـفة المتقدّمين في تشبيه النفس بالنار والغبار، ثمّ تعرّض إلى التعبير عن النفس في القرآن بالقلب والروح.

وفي البحـث اللاحق تحدّث عن حدوث وقدم النفس. يذهب ابن أبي جمهور إلى

الاعتقاد بحدوث النفس، ويذكر لذلك دليلين. ثمّ عمد إلى بيان كيفيّة تشخّص النفس عند التعلّق بالبدن وبعد الانفصال عن البدن.

ثمّ تعرض بعد ذلك إلى بيان كيفيّة الارتباط بين النفس والبدن، وبعد ردّ الاحتمالات المختلفة، يرى أنّ هذا الارتباط هو من نوع الارتباط الشوقيّ_العشقيّ.

ثمّ عمل على إبطال مذهب أفلاطون في مورد قِدم النفس وتقدّمها على البدن. ليذكر بعد ذلك شواهد من القرآن، والروايات النبويّة، وكلمات مشايخ التصوّف في حقل تجرّد النفس.

وفي القسم التالي يعمد ابن أبي جمهور في البداية إلى ذكر التعريف المتداول للنفس الحيوانيّة، ثمّ يدخل في البحث عن قوى النفس الحيوانيّة، ويتحدّث عن أقسامها بالتفصيل.

ودخل بعد ذلك في بحث الروح، وبيّن وجه حاجة البدن إلى الروح واختلافه عن الروح المشار إليه في القرآن الكريم.

وتعرّض في ختام هذا الفصل إلى بيان مراتب هداية وضلال الإنسان في مختلف مراحل الخلق ببيان عرفانيّ.

الفصل الرابع

يختصّ هذا الفصل بمباحث العلّة والمعلول. فقد بحث ابن أبي جمهور في بداية هذا الفصل عن الجهات العقليّة (الوجوب، والإمكان، والامتناع). ثمّ عمد إلى تعريف العلّة وبيان أقسامها الأربعة (العلّة الفاعليّة، والعلّة المادّيّة، والعلّة الصوريّة، والعلّة الغائيّة).

ثمّ نقل بعد ذلك مذهب المتكلّمين في باب ملاك حاجة المعلول إلى العلّة ـ والذي هو الحدوث الزماني من وجهة نظرهم ـ وقام بالردّ عليه. ثمّ نقل بعد ذلك مذهب

الحكمـاء الـذين يقولون بـأنّ ملاك الحـاجـة هنا هو الإمكان، وهو الذي أيّده ابن أبي جمهور.

ثمّ تعرّض بعـد ذلـك إلى بيـان البحـث القـائـل بـأنّ وجود المعلول متعلّق بالعلّة المســتجمعـة لجميع مـا يحتاج إليه المعلول، وهذا يشــمل أمرين: وجود ما ينبغي، وارتفاع ما لا ينبغي. ثمّ قام بتوضيح كلّ واحد من هذين الأمرين، واستدلّ عليهما.

وبعـد ذلك بحث في الحركات الدوريّة الفلكيّة، وبيّن أنّ علّة الحدوث والعدم هي الحوادث الزمـانيّـة. وأثبـت أنّ هـذه الحركـات غير متنـاهيـة، ولا تجتمع في الوجود، وليســت مســتغنية عن واجب الوجود. ثمّ اســتدلّ على وجوب دوريّة هذه الحركات، ولماذا لا يمكن أن تكون مســتقيمة. وقد ذهب إلى الاعتقاد بأنّ لهذه الحركات علّة لها جزء ثـابـت وجزء متجدّد. وإنّ جزءها الثابت هو الإرادة الكلّيّة، وجزؤها المتجدّد هو الإرادة الجزئيّـة. ثمّ نقـل مذهب شــيخ الإشــراق في باب علّة هذه الحركات الدوريّة الفلكيّة، وأجاب عن الإشكال الذي أُورد عليه.

الفصل الخامس

لقد اختصّ الفصل الخامس ببعض أحكام واجب الوجود. وقد بدأ ابن أبي جمهور هـذا الفصــل بمقـدّمـة في عدم تقيّد الوجود من حيث هو هو بأيّ قيد من القيود، من قبيل: الإطلاق والتقييد، والكلّيّة والجزئيّة، والعموم والخصوص، والوحدة والكثرة. وهو يعتبر الوجود من حيث هو هو أعمّ وأظهر الأشــياء، وإنّ تحقّق كلّ شــيء ـ ســواء في الـذهن أو الخـارج ـ متوقّف عليـه، ولا يقبل أيّ تقســيم، ولا يمكن لأيّ تكثّر أن يجد طريقه إليه.

ومن فروع هـذا البحـث أنّ وجوب الواجـب تعـالى غير زائد على ماهيّته. وقد ذكر لإثبـات هـذا المطلوب ثلاثـة براهين، الأوّل عن الشــيخ الرئيس، والثـاني عن شــيخ

الإشراق، والثالث هو البرهان المشهور بين أهل الحكمة.

وفي ختام هذا القسم قام بنقل نقطة دقيقة عن شيخ الإشراق، وهي أنّ واجب الوجود ليس نفس الوجود. ثمّ أجاب عن الإشكالات التي أُوردت عليه.

وفي القسم الأخير من هذا الفصل، تعرّض إلى بيان سبب امتناع دلالة أيّ اسم على واجب الوجود بالمطابقة.

الفصل السادس

لقد قام ابن أبي جمهور في هذا الفصل بإثبات وحدانيّة واجب الوجود من طريقين، وهما الطريق الإشراقيّ، والطريق المشائيّ.

الفصل السابع

لقد عمد المؤلّف في هذا الفصل إلى إثبات واجب الوجود وبعض أحكامه. حيث قام في البداية بإثبات الموجد للممكنات من طريق كثرة الأجسام ووحدة الواجب تعالى. ثمّ استدلّ على نفي تركّب الواجب تعالى بالطريقتين الإشراقيّة والمشائيّة. ومن فروع هذا البحث نفي الجنس والفصل، والجسميّة، والتعريف بالحدّ، ونفي الضدّ والندّ والإشارة الحسّيّة إلى ذات الواجب تعالى.

ثمّ قام بإثبات أنّ واجب الوجود هو أجدر الأشياء بصدق اسم الحقيقة عليه. فهو خير محض وتامّ وفوق التامّ، وهو أجمل الأشياء وأكملها. ثمّ تعرّض إلى البحث عن سبب عدم إمكان الإحاطة العلميّة والمعرفيّة الشاملة بالواجب تعالى.

وفي القسم اللاحق دخل في نفي الصفات الزائدة على ذات الحقّ تعالى، ليدخل بعد ذلك في البحث عن الأسماء، وقال بأنّ الاسم الذي يُطلق على شيء يكون على ثلاثة أقسام:

الأوّل: أن يدلّ على نفس ذات الشيء.

الثاني: أن يدلّ على جزء من أجزاء الشيء.

الثالث: أن يدلّ على صفة خارج الشيء.

ثمّ بحث في كلّ واحد من هذه الأقسام، ليتّضح أيّ واحد من هذه الأقسام يصدق على الواجب تعالى.

ثمّ دخل بعد ذلك في البحث عن الصفات، وبدأ بتقسيمها إلى أربعة أقسام:

الأوّل: الصفات المتقرّرة في ذات الموصوف، غير الموجبة للإضافة إلى غيرها.

الثاني: الصفات الموجبة للإضافة إلى غيرها، غير المتقرّرة في ذات الموصوف.

الثالث: الصفات الموجبة للإضافة إلى غيرها، والمتقرّرة في ذات الموصوف، والتي يتغيّر الموصوف فيها بتغيّر المضاف إليه.

الرابع: الصفات الموجبة للإضافة إلى غيرها، المتقرّرة في ذات الموصوف، والتي لا يتغيّر الموصوف فيها بتغيّر المضاف إليه.

ثمّ بحث في كلّ واحد من هذه الأقسام، ليرى أيّ هذه الأقسام يصحّ أن يتّصف به الواجب تعالى.

ثمّ يدخل بعد ذلك في بحث علم الواجب تعالى. وقد تحدّث في البداية عن علم الواجب تعالى بذاته، وبيّن أنّه حيث يمتلك الواجب تعالى تجرّداً حقيقيّاً، فإنّه لا يكون غائباً عن ذاته ولوازم ذاته.

ثمّ دخل بعد ذلك في البحث عن علم الواجب تعالى بسائر الأشياء، وذكر في هذا البحث ثلاثة مذاهب رئيسة ومشهورة في علم البارئ تعالى بالأشياء لأرسطو وسائر الحكماء المشّائين، وأشكل على كلّ واحد منها بشكل منفصل. ثمّ انتقل إلى رأي شيخ الإشراق في هذا الباب، واعتبره محض الحقّ. ثمّ واصل هذا البحث بتقرير آراء

ابن سينا، والخواجة نصير الدين الطوسيّ، والكنديّ في هذه المسألة. وله في الختام عودة ثانية إلى مذهب شيخ الإشراق، حيث يراه أقوَم المذاهب في بيان كيفيّة علم الواجب تعالى بالأشياء.

وفي القسم اللاحق تعرّض إلى نفي لوازم الإمكان ـ من قبيل: الحلول، والمحلّ، والقيام بالغير، وعدم الضدّ والندّ ـ عن ذات البارئ تعالى.

وفي ختام هذا الفصل، عمد إلى تقسيم الكمالات الوجوديّة إلى قسمين: الكمالات غير الزائدة على الذات، والكمالات الزائدة على الذات. ثمّ رأى أنّ القسم الأوّل حيث لا يستوجب التكثّر في ذات البارئ تعالى، يكون ممكناً بالنسبة إليه بالإمكان العامّ، وحيث لا يمكن تصوّر الجهة الإمكانيّة في حقّ البارئ تعالى، يرى هذه الكمالات واجبة بالنسبة له.

الفصل الثامن

لقد عمد ابن أبي جمهور في هذا الفصل إلى تقسيم صفات البارئ تعالى إلى أربعة أقسام، وهي: الصفات الحقيقيّة، والصفات الإضافيّة، والصفات السلبيّة والصفات الاعتباريّة، واستدلّ بعد ذلك على بيان السبب في إمكان سلب القسم الأوّل فقط عن الواجب تعالى.

الفصل التاسع

تحدّث المؤلّف في هذا الفصل عن قاعدتَي «الواحد» و«الإمكان الأشرف». وقد عمد أوّلاً إلى تقرير قاعدة الواحد باختصار، وتحدّث عن بيان كيفيّة الاستدلال على وجود الصانع بواسطة هذه القاعدة. ثمّ انتقل بعد ذلك إلى تقرير قاعدة الإمكان الأشرف، وهي من فروع قاعدة الواحد. وسعى في نهاية هذا الفصل إلى إثبات هذه

المسألة، وهي أنّ الصادر الأوّل يجب أن يكون جوهراً عقليّاً وحدانيّاً.

الفصل العاشر

لقد تعرّض ابن أبي جمهور في هذا الفصل إلى مباحث الأغراض والحركات الفلكيّة، حيث تعرّض في بداية هذا الفصل إلى تعريف مفاهيم من قبيل: الغنيّ، والملِك، والجواد، وإثبات أنّ الغنيّ المطلق هو الملِك المطلق. ومن فروع هذا البحث إثبات وحدانيّة الواجب تعالى. ومن بين الفروع الأُخرى المترتّبة على الغنى المطلق للواجب تعالى نفيُ الغرض عن أفعاله؛ لأنّ هذا يعني استكمال العالي بالسافل، وهو محال. ثمّ تعرّض بعد ذلك إلى بيان الإشكالات التي تمّ إيرادها على هذه المسألة، وأجاب عنها واحدة واحدة. وفي ختام هذا القسم عمد إلى توجيه كلام أنباذقلس في نفي الغايات.

ثمّ دخل بعد ذلك في البحث الأصليّ لهذا الفصل، وهو حركات الأفلاك. وقد عمد في البداية ـ من خلال نفي الحركة الطبيعيّة والقسريّة ـ إلى إثبات أنّ حركة الأفلاك إراديّة، وعليه يلزم من ذلك أن تكون الأفلاك ذات نفوس. وكان المتقدّمون من المشّائين يقولون بأنّ نفوس الأفلاك منطبعة في أجرامها، إلّا أنّ ابن سينا كان هو أوّل من أثبت للأفلاك نفوساً ناطقة مجرّدة عن المادّة. وقد نقل المؤلّف ثلاثة براهين لإثبات هذا المدّعى من الشيخ الرئيس.

بعد أن ثبت أنّ للأفلاك حركة إراديّة، تكون حركتها بالتالي تابعة للغرض. وبعد طرح وردّ الاحتمالات المتنوّعة في مورد غرض هذه الحركات، يصل إلى هذه النتيجة وهي أنّ هذا الغرض عبارة عن إرادة كلّيّة وعامّة للتشبّه بالمعشوقات المتكثّرة، وهي ذات المفارقات الكلّيّة.

إنّ كلّيّة هذه الإرادة إنّما هي من جهة أنّها لو كانت جزئيّة، لتوقّفت الحركة بتحقّقها.

كما أنّ تكثّر هذه المعشـوقات هو من جهة أنّه لو كان معشوق جميع الحركات الفلكيّة واحداً، لتشابهت جميع الحركات؛ لجهة تشبّهها بمعشوق واحد.

وفي البحـث اللاحق، عمـد أوّلاً إلى تعـداد طبقـات العـالم الثلاثـة (الجبروت، والملكوت، والمُلك)، وبيان العلاقة القائمة في ما بينها. ثمّ تعرّض بعد ذلك إلى إثبات هـذه المســألة، وهي: لماذا كانت الأفلاك من الأزل والأبد مشــغولة ـ من وجهة نظر الحكماء المشّائين ـ برشح الخير الدائم على الموجودات السافلة؟ واستدلّ على ذلك بأنّ الأفلاك هي من حيث الوضـع بالقوّة، وإنّ دوامها على وضـع واحد غير ممكن؛ إذ يلزم من ذلك أن تبقى سـائر الأوضـاع في حالة الوضـع بالقوّة إلى الأبد. كما لا يمكن خروج جميع الأوضـــاع من القوّة إلى الفعـل في آنٍ واحد. وعليه فإنّ الفرض الممكن الوحيد هو أن تخرج هذه الأوضاع من القوّة إلى الفعل بالتدريج، وهذا هو ترشّح الخير الدائم على نحو أزليّ وأبديّ على الموجودات السافلة.

ثمّ انتقل بعد ذلك إلى بيان رأي شيخ الإشراق في مورد سبب دوام حركات الأفلاك. فهو يرى أنّ الأنوار القدسـيّة التي تكون في غاية اللذّة والبهجة، تشـعّ من الأفق الأعلى على الأفلاك، ونتيجـة لذلك تحدث تلك الحركات الفلكيّة. وبذلك فإنّ الإشــراقات العقليّـة تســتوجب الحركات الفلكيّة، وإنّ هذه الحركات تُعدّ لحصــول الإشــراقات العقليّة، وتستمرّ هذه الدورة دون انقطاع.

وبعـد أن تمّ إثبات أنّ الأجرام الفلكيّة ذات نفوس ناطقة مجرّدة عن المادّة، يتمّ إثبات أنّها مدرِكة لحركاتها ولوازم تلك الحركات وما فوقها من المجرّدات، وما دونها من الأُمور السـفليّة أيضـاً. والذي يؤيّد هذه المســألة هو صـحّة بعض المنامات والتحذيرات التي تحدث بالنســبة إلى كلّ واحد منّا. بيد أنّ هناك اختلافاً في كيفيّة حصـولها بين الســالك الذي تحدث له ملكة الإخبار الغيبيّ، والذي يفتقر إلى هذه الملَكة.

ثمّ انتقل بعد ذلك إلى إثبات هذه المسـألة وهي أنّ النفوس الفلكيّة الناطقة تمتلك علومـاً كلّيّة، هي في الحقيقة عبارة عن ضـوابط وقوانين لجميع الأحداث والكائنات، وإنّ هـذه القوانين واجبـة التكرار إلى ما لا نهاية له. وهذا يعني أنّ الأُمور التي سـوف تحدث في كلّ دور من أدوار المسـتقبلة، تشـبه ذلك الشـيء الذي حدث في الدور الأوّل.

ثمّ قـام المؤلّف في ختـام هـذا الفصـل بنقل مذاهب حكماء بابل والهند وإخوان الصفاء وغيرهم، في باب مقدار هذه الأدوار وجزئيّاتها.

الفصل الحادي عشر

لقد اختصّ هذا الفصـل ببيان ترتيب الوجود ومراتبه وطبقاته. حيث عمد المؤلّف في البـدايـة إلى تقرير أُسـلوب الحكمـاء المشّـائين في بيان ترتيب الوجود، ثمّ ذكر الإشـكالات الواردة على هذا الأُسـلوب، ثمّ انتقل بعد ذلك إلى أُسلوب شيخ الإشراق في بيان ترتيب الوجود، وقام بترجيحه على أُسلوب المشّائين.

وفي المبحـث اللاحق سـعى إلى إثبـات المثُـل الأفلاطونيّـة. فهو من خلال بيان الأفعال المعقّدة والمتقنة لقوى النفس (الغاذية، والنامية، والمولّدة، والمصوّرة)، وعدم إمكان نسـبتها إلى النفس الناطقة، يسـتنتج أنّ لكلّ نوع من الأنواع الفلكيّة والعنصريّة ومركّبـاتهـا، عقلاً واحـداً مجرّداً يرعى ذلك النوع ويعمل على تدبير أُموره، ويكون هو صاحب وربّ ذلك النوع. ثمّ نقل بعد ذلك شواهد على وجود أرباب الأنواع من القرآن الكريم والأحـاديـث النبويّـة وكلام أكـابر الحكمـاء والمتـألّهين (من أمثـال هرمس وأفلاطون).

ثمّ تحدّث بعد ذلك عن ترتّب الأنوار المجرّدة في الشدّة والضعف. حيث تبدأ هذه السلسلة من أضعف الأنوار المجرّدة ـ والذي هو نور الشمس ـ ليصل إلى أقوى الأنوار

المجرّدة ـ والذي هو نور الأنوار ـ.

ثمّ بحث في العلاقات العقليّة بين العقول والأجسام الفلكيّة والعنصريّة؛ ليستنتج من ذلك أنّ كلّ ما يحدث من أحوال وآثار هذا العالم ـ من السعادات والشقاوات والخيرات والشرور ـ إنّما هو من أحوال وآثار العقول والنسب القائمة بينها، وفيضان تلك الآثار على الكواكب والأفلاك، وثمّ فيضانها على العناصر البسيطة والمركّبة المستعدّة إلى قبول تلك النسب. إنّ هذه النسب النورانيّة بعد نزولها إلى عالم الحسّ، تكتسب ـ بسبب كثافة هذا العالم ـ تجسّماً متناسباً مع مقتضيات هذا العالم.

ثمّ تحدّث بعد ذلك عن إحاطة بعض طبقات العالم ببعضها الآخر. تقع الأرض التي هي أكثف الأجسام وأشدّها ظلمة في المركز، ويحيط بها الماء الذي يحظى بلطافة أشدّ، ثمّ يحيط بها الهواء، ثمّ النار، وهما ألطف من الماء على التوالي. ثمّ يصل الدور إلى فلك القمر وسائر الأفلاك الأُخرى، حيث يحيط كلّ واحد منها بفلك أشدّ ظلمةً منها. وتنتهي هذه السلسلة بمحدّد الجهات، حيث يحيط بجميع الأجسام. وله جهتان: واحدة جسمانيّة والأُخرى روحانيّة.

ويجري ذات هذا الترتيب في مورد الأنوار المجرّدة أيضاً. ففي كلّ مرتبة من مراتب هذه الأنوار تكون هناك إحاطة من النور الأشدّ بالنور الأضعف، من قبيل إحاطة النفس الكلّيّة بسائر النفوس، وإحاطة العقل الأنور بالعقل الأضعف نوراً، حتّى ينتهي الأمر إلى العقل الأوّل الذي يحيط بجميع النفوس والأجسام وأنوارها العرضيّة. والأعلى من العقل الأوّل هو النور المبدع الأوّل المحيط بالعقل الأوّل وجميع العقول والنفوس والأجسام. وعليه فإنّ كلّ موجود يتمتّع بلطافة ونورانيّة أشدّ فيكون هو الأقرب إلى الحقّ تعالى، وكلّما كانت كثافته وظلمته أشدّ فكان أقرب إلى الأرض ـ التي تمثّل الحلقة الأخيرة في هذه السلسلة ـ.

وفي نهاية هذا البحث، يســتنتج المؤلّف أنّ العوالم منظومة مترتّبة، حيث تبدأ من عـالم العقل، ويكون ابتداؤها من العقل الأوّل والعلّة الأُولى، وانتهاؤها بالعقل الأخير، الـذي يكون جوهره قريبـاً من جوهر النفس الكلّيّـة. ويتّصـــل آخر مرتبة النفوس بأوّل مرتبة عالم المثال والأشـباح، ويتّصل آخر مرتبة عالم المثال بأوّل مرتبة عالم الأجسام، حتّى تصـل إلى هذه السـلسلة إلى الأرض التي هي الحلقة الأكثف والأشدّ ظلمةً في هذه السلسلة.

ثمّ يـدخـل في مبـاحـث عـالـم المثال، ويعمل في البداية على إثبات عالـم المثال. ويرى أنّ الصور التي نراها في المنام أو المرآة، لا يمكن استيعابها في هذا العالـم أو في أجزاء الدماغ، كما أنّها ليســت عدماً محضـــاً، وعليه يجب أن تكون موجودة في عالم آخر باسم عالـم المثال.

ثمّ تعرّض بعـد ذلك إلى وصـــف خصـــائص العالـم المثاليّ وطبقاته، وبيان بعض العجائب الموجودة في هذا العالـم. ويرى أنّ إدراك هذه الأشـــباح المثاليّة، غير ممكن إلّا من طريق مظاهرها في العالـم الجسمانيّ.

الفصل الثاني عشر

إنّ هذا الفصـل يتعلّق ببيان سبب تكثّر معلولات العقل الفعّال. وقد استدلّ ابن أبي جمهور لبيـان هـذا الأمر بـأنّ كـلّ حادث يحتاج إلى مرجّح حادث، وإلّا لزم منه قِدم الحادث. وبعد نقل الكلام إلى ذلك المرجّح يرد ذات هذا البيان. وعليه يلزم أن تكون هناك سلسلة من الحوادث غير المتناهية، دون أن يكون لها اجتماع في الوجود، كي لا يلزم المحال. وحيث إنّ الحركة المسـتقيمة متناهية، يجب أن تكون هذه الحركة ـ التي يكون محلّهـا الأفلاكـ حركـة دوريّة تكون ســبباً في إيجاد الحوادث اللامتناهية. وإنّ فـاعـل هـذه الحركة هو العقل الفعّال، إلّا أنّ ســبب تكثّر معلولات العلّة الواحدة، هو

اختلاف قـابليّـاتهـا، وليس التغيير في العقول؛ لأنّ التغيير في العقول يســتلزم تغيير الواجب تعالى.

وأمّا سـائر مطالب هذا الفصـل فهي عبارة عن أبحاث عرفانيّة في باب بعض أسرار العالم، من قبيل: سرّ البدء والإيجاد، وسرّ الوحدة والكثرة، وسرّ الغيب والشهادة، وسرّ الإنسان الكامل.

الفصل الثالث عشر

تحدّث ابن أبي جمهور في هذا الفصل عن أبحاث المعاد. حيث استدلّ في البداية على اسـتحالة انعدام النفس الناطقة. فهو يذهب إلى الاعتقاد بأنّ تعلّق النفس بالجسد أمر عـارض، ولا دخل له في هويّة النفس؛ لأنّ الجوهر القائم بالنفس لا يبطل ببطلان الأحوال العارضة لها. ثمّ ذكر على هذه المسألة شواهد من الآيات والروايات.

وفي البحث اللاحق، تحدّث عن كيفيّة لذّة وألم النفس بعد مفارقة البدن. وقد عمد في البداية على تعريف اللذّة والألم. وعلى أسـاس هذا التعريف، يعتبر لذّة النفس في كمـالهـا، وألم النفس في نقصـانهـا. ولذلك كلّما ارتقت النفس إلى مراتب أعلى من الكمال، كانت لذّتها أقوى وأكمل.

يرى ابن أبي جمهور أنّ أعلى مراتـب عذاب النفس هي حصـيلة الجهل المركّب، وحيث إنّ الملَكات الحاصـلة من هذا الجهل لا يمكن إزالتها، فإنّ عذاب أصـحاب الجهل المركّب بدوره غير قابل للزوال أيضـاً. ويرى أنّ العذاب الحاصـل بسبب ابتعاد النفس عن الأنوار الإلهيّة أشدّ بكثير من العذاب بواسطة النار الجرمانيّة.

ثمّ تحدّث بعد ذلك عن شـبهة إمكان تحقّق اللذّة بالنسـبة إلى النفس بعد مفارقة البدن، وأجاب عن هذه الشـبهة. وعلى هذا الأساس، فإنّ إدراك النفس لذاتها غير زائد عن ذاتها، ولا يختلف هذا الإدراك بين ما قبل وما بعد مفارقة البدن.

ثمّ عاد بعد ذلك إلى بحث استحالة انعدام النفس الناطقة، وذكر دليلين على إثبات مدّعاه في هذا الشأن.

وبعد ذلك دخل في أهمّ بحث في هذا الفصل، وهو البحث الخاصّ ببيان أحوال النفوس بعد مفارقة الأبدان. يذهب الحكماء المشّاؤون إلى أنّ جميع النفوس تصبح بعد مفارقة الأبدان مجرّدة من المادّة. وفي هذه الحالة، سوف تصعد نفوس الأشخاص الكاملين (السعداء) إلى عالم العقل، ويتنعّمون باللذّات العقليّة والروحانيّة. وأمّا نفوس الأشخاص غير الكاملين (الأشقياء) فإنّها بسبب الكدورة والجهل بحقائق الموجودات، سوف تحجَب عن الأنوار العقليّة والأشعّة القدسيّة، وتبقى في الظلام إلى الأبد، وهذا من أشدّ وأقسى أنواع العذاب الممكن بالنسبة لهم.

ومن وجهة نظر القائلين بالتناسخ، تكون جميع النفوس بعد مفارقة الأبدان في انتقال دائم من بدن حيوانيّ إلى بدن حيوانيّ آخر. وهذا الرأي في مقابل رأي المشّائين.

والمذهب الثالث الذي يمثّل واسطة بين الرأيين الأوّلين، فهو يعود إلى أفاضل الحكماء وأصحاب الأديان. ترى هذه الجماعة أنّ نفوس الناس الكاملين تصل بعد مفارقة البدن إلى عالم العقل. وأمّا نفوس غير الكاملين (المتوسّطين والناقصين) فسوف تنتقل من بدن حيوان إلى بدن حيوان آخر. وبطبيعة الحال، فإنّ القائلين بهذا المذهب ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، ولكلّ واحد من هذه الأقسام رأي مختلف حول كيفيّة تناسخ نفوس المتوسّطين والناقصين. وهذه المذاهب الثلاثة الرئيسة عبارة عن: إخوان الصفا، والمحقّقون من الحكماء (من أمثال السهرورديّ)، وأرباب الكشف والسلوك (من أمثال أفلاطون، وأغاثاذيمون، وهرمس). ثمّ ذكر بعد ذلك شواهد من الآيات والروايات في تأييد التناسخ.

ثمّ تعرّض إلى تعريف اللذّة والألم، واختلاف اللذّة الحسّيّة واللذّة العقليّة.

وبعد ذلك تحدّث في القسم اللاحق عن مسألة عذاب الأشقياء. حيث عمد أوّلاً إلى بيان ماهيّة العذاب، وقال بأنّه عبارة عن ظهور صورة وحقيقة الأعمال في الموطن المعاديّ بشكله الأصليّ؛ إذ يمكن للحقيقة الواحدة أن تظهر في مختلف المواطن بصور مختلفة. وعلى هذا الأساس، فهو يرى أنّ إحاطة جهنّم بالكافرين في هذه الدنيا، بمعنى إحاطة الأخلاق الرذيلة والعقائد الباطلة التي سيطرت على وجودهم. بيد أنّ الذين لا يدركون الحقائق إلّا من خلال الصور المادّيّة، يعجزون عن فهم هذه المسألة.

ثمّ دخل بعد ذلك في مباحث الخير والشرّ. واستدلّ على ذلك أوّلاً بأنّ الشرّ أمر عدميّ، فهو إمّا بمعنى عدم الذات أو بمعنى عدم الكمال. ثمّ قال ـ بعد ذكر بعض الأمثلة ـ: إنّ تلك الأشياء التي تسمّى بحسب الظاهر شرّاً ـ من قبيل: البرد والحرّ الشديد أو الأخلاق المرذولة ـ إنّما تعدّ في الواقع شرّاً بالنسبة إلى الأُمور الأُخرى، وليس في ذاتها.

ثمّ قسّم الممكنات من حيث الخير والشرّ إلى خمسة أقسام، وهي: (١) خير مطلق، (٢) كثير الخير وقليل الشرّ، (٣) متساوي الخير والشرّ، (٤) كثير الشرّ وقليل الخير، (٥) شرّ مطلق. ليثبت بعد ذلك أنّ المتحقّق في العالم من بين هذه الأقسام الخمسة هو القسم الأوّل والثاني فقط.

ثمّ عمد إلى بيان أنّ الشرور إنّما تظهر بفعل التضادّ الواقع في الكون والفساد، وأنّ مقدارها أقلّ بكثير بالقياس إلى الخيرات الحاصلة من الكون والفساد. وهذا المقدار القليل من الشرور ـ حيث يكون من الشرور ـ لا يرضى به الحقّ تعالى، بل هو من لوازم الخيرات الكثيرة التي يستحيل انفكاكها عن الشرور. وإنّ مصدر هذه الشرور هو الإمكان والعدم، وذلك لأنّ الواجب تعالى الذي هو وجود محض، هو خير محض أيضاً.

ثمّ عمد إلى نفي شبهة غلبة الشرّ على نوع البشر، وأثبت أنّ الذي يغلب على النوع الإنسانيّ في الدنيا والآخرة هو التوسّط في الخيرات والسعادات.

ثمّ تعرّض إلى ردّ شبهة التنافي بين القضاء والقدر الإلهيّ ومعاقبة المذنبين. يذهب ابن أبي جمهور إلى الاعتقاد بأنّ الأخلاق السيّئة والملَكات الرذيلة تحمل معها العذاب بنفسها. إلّا أنّ هذا العذاب حتّى ما قبل مفارقة البدن لا يمكن للنفوس غير الكاملة أن تراه. وبعد مفارقة البدن، حيث يتمّ رفع الحجاب البدنيّ، يمكن مشاهدة ثمرة تلك الهيئات والملكات الرذيلة، وتعود إلى صاحبها.

وفي البحث الأخير من هذا الفصل، تناول ابن أبي جمهور بيان استحالة عالمٍ أكمل وأفضل من العالم الراهن. وذلك لأنّ إيجاد عالم بشكل أكمل من الوضع الموجود إذا كان ممكناً، لوجب على الحقّ تعالى إيجاده؛ إذ لا يتطرّق البخل إلى الذات الإلهيّة.

الفصل الرابع عشر

لقد تحدّث ابن أبي جمهور في هذا الفصل عن مباحث النبوّة. إنّ النبيّ أو الرسول ـمن وجهة نظرهـ عبارة عن الإنسان الكامل الذي يخاطَب من قبَل الملأ الأعلى لإصلاح نوع الإنسان، بغية إصلاح المجتمع وهداية العباد إلى السعادة الأبديّة. فإذا كان هذا الشخص في أعلى مراتب الكمال فهو النبيّ الأعظم، وإن كان في المراتب المتوسّطة أو المتدنّية من الكمال، فهو نبيّ متوسّط أو ضعيف.

ثمّ تحدّث عن وجه الحاجة إلى النبيّ، وأقام ذلك على أربع مقدّمات، وهي كالآتي:

الأُولى: إنّ الإنسان مضطرّ إلى العيش ضمن مجتمع.

الثانية: إنّ الحياة الاجتماعيّة تحتاج إلى وضع القوانين العامّة (الشريعة).

الثالثة: إنّ وضع القوانين تحتاج إلى واضع للقوانين (الشارع). وإنّ مثل هذا الشارع

يجب أن يكون أفضل من الآخرين من أبناء جلدته كي يقبلوا بشريعته. وإنّ هذه الأفضليّة تثبت باجتراح المعجزات القوليّة والفعليّة.

الرابع: يجب أن يكون ثابتاً في قوانين الشريعة أنّ إطاعة هذه القوانين تستوجب الثواب، وأنّ المتمرّد عليها يستحقّ العقاب. وبذلك فإنّ رجاء الثواب والخوف من العقاب يدفع العباد إلى إطاعة صاحب الشريعة.

والنتيجة المترتّبة على هذه المقدّمات الأربعة هي أنّ نظام العالم لا يكتمل إلّا بوجود نبيّ.

ثمّ انتقل بعد ذلك إلى بيان اختلاف معجزات الأنبياء عن الأُمور الخارقة التي تصدر عن السحَرة والكهَنة، ويرى الفارق بينهما في أمرين، وهما التحدّي، وعدم المعارضة.

ثمّ انتقل بعد ذلك إلى بيان فوائد بعث الأنبياء، من قبيل: معرفة طبيعة الأشياء والأغذية والأدوية، ومعرفة الأحكام الفلكيّة، ومعرفة الأعمال التي لا يعلم الإنسان فوائدها، وإرشاد الخلق إلى الصناعات والحرَف المفيدة والنافعة لإصلاح معاش العباد.

وتحدّث في القسم اللاحق عن كيفيّة صدور الأُمور الخارقة والإخبار بالأُمور الغيبيّة. يذهب ابن أبي جمهور إلى الاعتقاد بأنّ النفس وإن كانت منطبعة في البدن، بيد أنّها تترك تأثيراً على البدن. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ ارتفاع حرارة البدن بشدّة عند استيلاء الغضب على النفس. فإذا بلغت النفس مرحلة الكمال وسطعت الأنوار الإلهيّة عليها، سوف تغدو بمنزلة النفس لكلّ العالم، وتتأثّر بها مادّة العالم، ويمكنها بذلك أنّ تجترح العجائب. كأن يدرك علوماً دون تعلّم، أو أن يخبر عن الأُمور الغيبيّة على سبيل المثال. وقد ذكر المؤلّف هنا عدّة أمثلة، وعمل على بيان كلّ واحد منها

وتفسيرها فلسفيّاً وعرفانيّاً.

وفي ختام الفصل قام بشرح وبيان بعض الظواهر الحاصلة من تأثير النفوس والأوهام في العالم، من قبيل: الجنّ، والغول، والشيطان، والعفريت، والإصابة بالعين.

الفصل الخامس عشر

يختصّ هذا الفصل بمباحث الشيطان والجنّ. وقد ذهب المؤلّف في بداية هذا الفصل إلى إثبات أنّ الشيطان هو تلك القوّة الوهميّة التي غالباً ما تتغلّب على العقل، وتنكر أحكام العقل. ولكي يعمل على تقريب هذه المسألة، يعمل على مقارنتها بقصّة آدم وإبليس.

ثمّ عمل على بيان سبب مشاهدة الجنّ والشيطان والغول، ليقوم بعد ذلك بالإشارة إلى الاختلاف بين الحكماء في إثبات ونفي وجود الجنّ. ثمّ قام بجولة في مختلف أقوال القائلين بوجود الجنّ ـ سواء كان وجوداً روحانيّاً أو جسمانيّاً ـ. وفي الختام يردّ جميع هذه الأقوال، ويعمل على بيان رأيه المختار في هذا الشأن. فهو يرى أنّ كائنات من قبيل الجنّ والشيطان والعفريت والغول، عبارة عن نفوس إنسانيّة ناطقة فارقت أبدانها، ولكنّها تخلو من العلوم الحقيقيّة والكمالات الإنسانيّة، ومطبوعة على العقائد الرديئة والأخلاق السيّئة. وفي هذه الحالة، فإنّ نفوسها الناطقة قد تعلّقت بأبدان حيوانيّة تتناسب مع الأخلاق الرذيلة الغالبة عليها، وأنّها تتعذّب في تلك الأبدان لفترة طويلة أو قصيرة، حتّى تزول عن نفوسها تلك الأخلاق المرذولة. وفي المرحلة اللاحقة حيث لا تليق تلك النفوس بعالم المثُل الشريفة، فإنّها تتعلّق بالعالم المثاليّ الأسفل، حيث يكون مظهره عالم العناصر والمركّبات.

ثمّ تحدّث بالتفصيل عن أصناف وأحوال الجنّ، وفي الختام تعرّض إلى بحث جواز حصول نفوس الجنّ من فيض العقل، دون الانتقال من الأبدان البشريّة.

الفصل السادس عشر

لقد خصّ ابن أبي جمهور هذا الفصل بالبحث عن الاشتراك والافتراق بين النبوّة والولاية. وقال بأنّ الاشتراك بينهما يكمن في ثلاثة أُمور، وهي: تحصيل العلم من دون كسب، والقيام بالأعمال الخارقة للعادة، ومشاهدة عالم المثال في الحسّ المشترك؛ ويكمن افتراقهما في أمرين، وهما: الخطاب، والمعارج.

وقال بأنّ معارج الأنبياء تكون بالنور الأصليّ الذي ثبت في مرآة نفوسهم بواسطة الاستعداد الحقيقيّ لإشراق الأنوار اللاهوتيّة، في حين أنّ معارج الأولياء يكون بنور يفيض من النور الأصليّ. وبذلك فإنّ جميع المقامات التي يحصل عليها الوليّ إنّما تكون بواسطة روحانيّة النبيّ الذي سلك هذا الوليّ طريقه. ثمّ عمد إلى نقل شواهد من الروايات في تأييد هذه المسألة.

وبعد أن أثبت ابن أبي جمهور أنّ النبيّ الأعظم ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ جامع لجميع مقامات الأنبياء، أثبت أنّ مقام أولياء النبيّ محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ جامع لجميع مقامات الأنبياء. وذلك لأنّ أولياء النبيّ الأكرم محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ حيث قابلوا مرآة وجودهم بالمرآة التامّة والكاملة لوجود النبيّ محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ، وانعكاس أشعّة النور المحمّديّ الجامع لجميع مقامات الولاية والنبوّة، فإنّهم يشهدون جميع تلك المقامات. ومن هنا فإنّهم يكونون أفضل وأكمل من جميع الأنبياء، بمن فيهم الأنبياء من أُولي العزم.

ثمّ انتقل بعد ذلك إلى إثبات هذه المسألة وهي أنّ الوجود النورانيّ للنبيّ الأعظم ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ هو المعطي للمقامات المعنويّة إلى جميع الأنبياء والرسل وأوليائهم في عالم النور، وعالم الأرواح، وعالم المثُل، وأنّ جميع الأنبياء والأولياء السابقين قد أخذوا مقاماتهم من وجود النبيّ الأكرم، كما أنّ أولياء الولاية المحمّديّة

يأخذون مقاماتهم منه أيضاً.

ثمّ قام بتفسير الرواية النبويّة الدالّة على مشابهة علماء أُمّة النبيّ الخاتم ـصلّى اللّه عليه وآلهـ لأنبياء بني إسرائيل، على أساس الأُصول المستحصلة من أبحاث هذا الفصل.

وفي البحث اللاحق، تحدّث ابن أبي جمهور عن النسبة بين الخلافة والولاية. حيث يرى ترادف هذين المفهومين إن استعملا بشكل مطلق. وأمّا إذا استعملا في المعنى الأخصّ، فسوف يعنيان التصرّف المأخوذ من النبوّة. وفي مثل هذه الحالة، سوف تكون النسبة بين النبوّة وهذين المفهومين هي نسبة العموم والخصوص مطلق؛ إذ أنّ كلّ نبيّ وليّ وخليفة، دون العكس.

ثمّ بحث في النسبة بين الولاية والنبوّة، وقال بأنّ الولاية المطلقة أشرف من النبوّة، وإنّ الولاية الخاصّة أخسّ من النبوّة؛ وذلك لأنّ الولاية الخاصّة هي المبدأ للنبوّة.

لكن بعض حكماء الإشراق يذهبون إلى الاعتقاد بأنّ مبدأ الولاية هو الحكمة، حيث يقسّم هؤلاء الحكماءَ إلى سبع طبقات، وهي: (١) المتوغّل في التألّه وعديم البحث، (٢) المتوغّل في البحث وعديم التألّه، (٣) المتوغّل في التألّه والبحث، (٤) المتوغّل في التألّه والمتوسّط في البحث، (٥) المتوغّل في التألّه والضعيف في البحث، (٦) المتوغّل في البحث والمتوسّط في التألّه، (٧) المتوغّل في البحث والضعيف في التألّه.

ثمّ يختار من بين هذه الأقسام السبعة المتوغّل في التألّه والبحث؛ ليكون هو المستحقّ للخلافة والرئاسة. فإن لم يكن هذا الشخص متوفّراً، يتمّ الانتقال إلى المتوغّل في التألّه والمتوسّط في البحث؛ ليكون هو الخليفة في الأرض. وإن لم يتمّ العثور على هذا أيضاً، كان المتوغّل في التألّه وعديم البحث هو صاحب هذا المنصب

والمقـام. وعلى كـلّ حـال، يجـب أن يكون خليفـة اللّـه متوغّلاً في التـألّه؛ إذ أنّ ثمرة البحث لا تخلو من الشـكّ والترديد، بخلاف ثمرة التألّه، حيث لا يتطرّق إليها الشـكّ أبداً. ومن هنا فإنّ الأرض لا تخلو أبداً من المتوغّل في التألّه.

ثمّ يدخل ابن أبي جمهور في مباحث الأفعال في إطار بيان عرفانيّ. حيث عمد أوّلاً إلى بيان الأقسـام السـتّة للأفعال، مبيّناً أنّ أيّ واحد من هذه الأقسام يختصّ بالإنسان، ويذكر أقسـام الأفعال الدنيويّة للإنسـان. وهو يرى أنّ لكلّ فعل من أفعال الإنسـان في هذه الدنيا صـورةً وروحاً. إنّ الأفعال الحسنة للإنسان إنّما تصعد من الدنيا إلى الآخرة إذا كان فاعلها معتقداً بالتوحيد ومقرّاً بيوم الجزاء. وفي غير هذه الصـورة، سـوف يظهر حكم ذلك الفعل في خارج الجنّة وفي تلك المرتبة التي يستقرّ فيها الفاعل.

ثمّ عمد إلى تقسـيم الأفعال ـ بحسب مصيرها الأُخرويّ ـ إلى ستّة أقسام، وتحدّث عن حكمة وصول الجزاء إلى الشخص الذي صدر عنه الفعل.

أمّـا البحـث الآخر الـذي يتعرّض لـه المؤلّف فهو مبحث الغايات. فحيث عُلم أنّ الحقّ تعالى محيط بجميع الأشـياء ومصاحب لجميع الأشياء، يلزم من ذلك أن يكون غاية لجميع الكائنات التي تسـير إليه، ويحدث هذا السـير في الصراط المستقيم. وإنّ للصراط المستقيم ثلاث مراتب:

الأُولى: الاستقامة المطلقة العامّة، التي تعني التبعيّة القهريّة للشخص الذي يسلك الصراط المستقيم.

الثانية: الاستقامة الوُسطى، وهي مرتبة الشرائع السماويّة الخاصّة بالأُمم السابقة.

الثالثة: الاسـتقامة الخاصّـة الجامعة، وهي مرتبة الشـريعة المحمّديّة، وتحصـل بأصلَي الاعتدال والثبات.

ثمّ انتقـل بعد ذلك إلى الحديث عن كيفيّة انحراف الإنسـان عن الاعتدال، وكيفيّة

رعـايـة الاعتـدال ومراتـب ذلك، ويعدّد مراتب وأقســام أهل الهداية. ليذكر بعد ذلك الأقسـام السـبعة لأهل الاستقامة، ويرى أنّ أكمل تلك المراتب والأقسام ـ وهي مرتبة الاستقامة بالقول والفعل والقلب ـ مختصّة بالنبيّ الأعظم.

ثمّ تحدّث باختصار عن مراتب الإيمان، أي: مقام التوبة، ومقام الثبات على العمل الصالح، ومقام الولاية، ومقام الكمال المختصّ بصاحب الأحديّة.

وأمّا الأبحاث الختاميّة في هذا الفصــل فتختصّ بأســرار النبوّة. وفيها يرى ابن أبي جمهور أنّ للنبوّة صـورة (التشريع) وروح (القربة)، ولكلّ واحد منهما ثمرة وحكم. ثمّ يعمل على بيان كلّ واحد من هذه الأقسام.

الفصل السابع عشر

يعود ابن أبي جمهور في هذا الفصـل إلى مباحث الطبيعيّات ثانية. وقد تحدّث في هـذا الفصــل عن حكمـة بعض ظواهر العـالم، من قبيل: الهيولى، والأجرام الفلكيّة، ووضع الأرض بوصفها مركز العالم، ونورانيّة الكواكب، وشفّافيّة الأفلاك، وسرعة وبطء حركـات الأفلاك. ثمّ تحـدّث بـاختصــار عن حكمـة خلق القوى النبـاتيّة والحيوانيّة (الغاذية والنامية والمولّدة) وكيفيّة أفعالها.

ثمّ أضــاف قائلاً: إنّ الغاية من ارتباط النفس بالبدن، هو تكاملها بواســطة كســب الكمـالات في الدنيا. وعندما تفارق النفسُ البدنَ وترجع إلى الحقّ تعالى، تتحوّل إلى عقل، وذلك لارتفاع الارتباط المادّيّ الذي كان يحول دون هذا التشبّه.

ثمّ بعد بيان وجود التناسـب بين العالم الكبير والعالم الصـغير (الإنسـان)، سعى إلى إثبات أنّ كلّ ما يوجد في العالم الكبير، يجب أن يكون هناك نموذج له في العالم الصغير أيضــاً. ثمّ يتعرّض بهـذا البيـان إلى إثبـات القوى الثلاثـة (الغاذية والنامية والمولّدة) في النفس، وفي الختام يثبت أنّ جميع هذه القوى هي من فروع النور الإسفهبد.

الفصل الثامن عشر

لقد اهتمّ ابن أبي جمهور في هذا الفصل ببيان أخطاء بعض أدعياء الحكمة، والإجابة عن تلك الأخطاء، وهي كالآتي:

الأوّل: كلام جالينوس في مورد التساوي بين المزاج والنفس.

الثاني: كلام القائلين بقِدم العالم، والقول بوجوبه لذاته.

الثالث: كلام النصارى في مورد تركّب واجب الوجود من مفاهيم ثلاثة، وهي: الأب والابن وروح القدُس.

الرابع: كلام اليهود في القول باستحالة النَسخ.

الخامس: كلام المجوس في باب إيجاد الشرور من قبَل إله الشرّ (أهرمن).

وإذا ما استثنينا المورد الأوّل، نجد المؤلّف يبحث في المسائل الأُخرى بالتفصيل، ويبيّن فيها آراء الموافقين والمخالفين بالتفصيل، مع نقل الإشكالات الواردة على كلّ واحد منهم، ثمّ يعرض على القارئ الرأي الذي يستحسنه.

الفصل التاسع عشر

يتعرّض المؤلّف في هذا الفصل إلى هذه المسألة، وهي أنّ هناك الكثير من العجائب الكامنة في العالم العقليّ والعالم المثاليّ، بيد أنّ العقول البشريّة ما دامت في عالم الحسّ وفي قيد العلائق الجسمانيّة، لا تستطيع إدراك هذه العجائب. ثمّ نقل بعد ذلك شواهد من الروايات لبيان عجائب وغرائب العوالم العقليّة والمثاليّة.

ثمّ دخل بعد ذلك في مباحث العشق والشوق. وهو يرى أنّ العشق يحصل للشيء في كلتا حالتَي وجدان وفقدان الكمال، وأمّا الشوق فلا يحصل للشيء إلّا في حالة فقدان الكمال. ومن هنا فإنّ العشق يسري في جميع الكائنات، بخلاف الشوق الذي لا يجري إلّا في الكائنات التي يمكن تصوّر فقدان الكمال في حقّها.

وقد عمد المؤلّف أوّلاً إلى نقل الاستدلال اللمّيّ للحكماء على هذه المسألة. يرى الحكمـاء أنّ هويّات وكمالات جميع الكائنات، مســتفادة من عللها الفيّاضــة. ولكن حيث إنّ هذه العلل الفيّاضة، لا تقصد من ذاتها إلى إيجاد هذه الموجودات وكمالاتها، لذا كان يجب أن يكون لكلّ كائن عشـق عامّ بالنسبة إلى هويّته وكمالاته، لكي يحافظ بذلك على الكمالات الحاصلة له، ولكي يستجلب الكمالات التي يفتقدها.

ثمّ أشــكـل على هـذا الاســتـدلال، ورأى أنّ العشــق مختصّ بالكائنات العقليّة والنفسيّة، وليس جميع الكائنات.

ثمّ أضاف قائلاً: إنّ من بين العجائب الأُخرى في العالم انطباع صورة جميع الأُمور التي تحدث في عالم الكون والفسـاد. ولكن حيث إنّ الأفلاك أجسـام بسـيطة وشفّافة تخلو من جميع الكيفيّات؛ فإنّ هذه الصور والنقوش تكون بشكل غير محسوس، وتليق بأحوال الأجرام الفلكيّة.

الفصل العشرون

يتعرّض ابن أبي جمهور في هـذا الفصـــل إلى بيان قاعدة «لا مؤثّر في الحقيقة إلّا اللّه». حيث يذهب إلى الاعتقاد ـ بعد إثبات الوســائط وإســناد التأثير إليهاـ بأنّ هذه المسألة يجب أن لا تمنع من إسناد جميع الأُمور إلى الحضرة الربوبيّة؛ إذ في حضوره لا يكون لأيّ فاعلٍ استقلالٌ في التأثير، مثل نور الكواكب، التي لا تظهر آثارها في قبال نور الشــمس. وحيـث إنّ الواجب تعالى هو نور الأنوار، وإنّ إشــراقه بلحاظ الشــدّة والضــعف غير متناهٍ، فإنّه قاهر فوق جميع الوســائط ممّا دونه، وإنّ هذه الوســائط في الحقيقة ليســت ســوى شــروط، وإنّ الفاعل والمؤثّر الحقيقيّ هو الواجب تعالى فقط. ولذلك لو نسِب فعلٌ إلى غيره، فإنّما يكون ذلك على سبيل المجاز.

الفصل الحادي والعشرون

تحدّث المؤلّف في هذا الفصل عن الاختلاف بين العالم الصوريّ والعالم الحقيقيّ، ووجوب الالتفات إلى كلا العالمين.

إنّه يرى أنّ الحقائق العقليّة هي الحقائق الحقيقيّة، وذلك إذ لا يتطرّق إليها التغيير والتبدّل. وأمّا المحسوسات فهي مظاهر وأشباح هذه الحقائق حيث تنعكس في مرآة النفس.

إنّ غاية السالكين من الارتياض وقطع العلائق البدنيّة هي الوصول إلى هذه الحقائق الحقيقيّة. إنّ هذه الحقائق عندما تؤخذ بصورة ذاتيّة مستقلّة ومباينة لعلّتها، تكون ممتنعة من حيث الوجود ومن حيث الظهور أيضاً. وإنّ العبارة المعروفة عن كبار أهل التصوّف، والتي تقول: «الأعيان الثابتة ما شمّت رائحة الوجود»، إنّما تدرك من خلال فهم هذه النقطة.

وقد يحدث في بعض الأحيان أن يعمل الذين توصّلوا من خلال قطع العلائق البدنيّة إلى مرتبة مشاهدة الحقائق، أن يعتبروا الصور الجرميّة في عالم المادّة معدومة بالكامل، ولذلك يغضّون الطرف عنها بشكل كامل. إنّ هذه الجماعة بعد الوصول إلى الحقائق الثابتة في أصل الوجود، وإلى فهم أن لا وجود لأيّ موجود في الحقيقة غير ذات البارئ تعالى، وأنّه هو الفاعل الحقيقيّ، سوف تعتبر الأحكام التكليفيّة والظواهر النقليّة حجاباً يحول بينها وبين الوصول إلى الحقيقة؛ إذ أنّهم يعتقدون أنّ هذه الأُمور تخصّ أُولئك المنشغلين بمشاهدة الصور الجرميّة. أمّا الذين تجاوزوا هذه المرتبة، فلا يرون حاجة إلى هذه الأُمور في الوصول إلى الحقائق. وعليه يكون الاشتغال بها أمراً عبثيّاً، ورجوعاً عن المقصود بعد الوصول إليه.

إنّ المؤلّف يُسمّي هذه الجماعة من أهل السلوك بالإباحيّة، ويعتبرهم مثل أُولئك

الذين ينظرون إلى العالم بعين غير سليمة. ويرى أنّ الحكيم الفاضل هو الشخص الذي يمتلك القدرة على الجمع والتطبيق بين كلا العالمين الصوريّ والحقيقيّ. إنّ مثل هذا الشخص القادر على إدراك الارتباط بين الصور الجرميّة والحقائق العقليّة والمثاليّة، يعلم أنّ المعاني لا تكتمل ولا تتمّ من دون الصور الظاهريّة التي تدلّ عليها. وعليه فإنّ جميع الظواهر الشرعيّة والحقائق التكليفيّة من جهة وسائل من أجل الوصول إلى الحقائق العقليّة، وهي من جهة أُخرى مظاهر لها.

وفي قبال الإباحيّة يأتي الحشويّة، وهم الذين اكتفوا بالظواهر بسبب القصور في الوصول إلى الحقائق، ويتصوّرون أنّ تلك الظواهر هي الحقائق. ويرى المؤلّف أنّ هؤلاء أيضاً قد ضلّوا في طريق الجهالة، وينصح القارئ بالتخلّي عن كلتا الطائفتين، وأن يعمل من خلال إدراك العلاقة بين العالمين الصوريّ والحقيقيّ على المطابقة بينهما والنظر إلى كلا العالمين معاً.

ثمّ عمد إلى ذكر شواهد من الآيات والروايات يتوقّف فهمها بشكل دقيق على النظر إلى كلا الوجهين الظاهر والباطن منها. ومن هنا قالوا: «الكامل من لا يُطفئ نورُ عرفانه نورَ ورعه»؛ إذ الكمال بالنسبة إلى الكمّل يكون بالجمع بين العرفان الحقيقيّ والورع التامّ. لذلك نرى أنّ الأنبياء والأولياء الذين وصلوا إلى أعلى مراتب الكمال الإنسانيّ كانوا يراعون الحدود الشرعيّة بشدّة.

وأمّا الأبحاث الختاميّة لهذا الفصل فقد اختصّت بالرؤيا. وقد عمد المؤلّف إلى تصنيف الأشخاص على أساس كيفيّة رؤياهم إلى ثلاثة أصناف. وفي الختام بحث في السؤال من الأموات عن أحوال الآخرة، كما بحث عن شرائط الحصول على الجواب الصحيح من الأموات في هذا الباب.

الفصل الثاني والعشرون

لقد خصّ ابن أبي جمهور هذا الفصل بالبحث عن الفضائل والرذائل الأخلاقيّة. حيث تحدّث في البداية ببيان عرفانيّ عن سرّ تربية النفس، التي هي عبارة عن رعاية الاعتدال في الأمزجة الصوريّة والروحانيّة. ثمّ تعرّض بعد ذلك إلى أحوال طرفَي هذه المسألة، وهم: أهل الكمال في رعاية هذا الاعتدال، والمحجوبون عن هذا الاعتدال.

ثمّ بحث في العلاقة بين الصور الغذائيّة والكشف الروحانيّ. وهو يرى أنّه كلّما كان التناسب بين الغذاء والمغتذي أكبر، وكان المزاج الروحانيّ يتمتّع بسلامة أكثر، كان الكشف والشهود أقوى وأصحّ، ويمتلك مرتبة أعلى.

ثمّ عمد إلى بيان أنّ كلّ شخص يسعى إلى معرفة اللّه، يتعيّن عليه أن يتخلّق بقدر طاقته وقدرته بالأخلاق الإلهيّة. وكلّما كان مقدار الأوصاف الربوبيّة والأسماء الإلهيّة التي يحصل عليها الشخص أكثر، كان أقرب إلى حضرة الحقّ. ولذلك فإنّ النفس الناطقة كلّما اكتملت بالعلوم الحقيقيّة، وتنزّهت عن الأخلاق الرذيلة، وقل ارتباطها بالبدن، سوف يسطع عليها مقدار أكبر من الأنوار الإلهيّة. وعندما يثابر على هذه الحالات سوف تنطبع في وجوده صورة جميع العالم، ويصبح مثل العقل المجرّد من المادّة، وبعد مفارقة البدن تعود إلى حضرة الحقّ تعالى.

ثمّ عمد بعد ذلك إلى تعداد الأنوار المشرقة على إخوان التجريد. إنّ هذه الأنوار على مجموعتين: فبعضها يشعّ على أهل البدايا، وبعضها الآخر يسطع على المتوسّطين. ثمّ ذكر الأنوار التي تسطع على أهل البدايا حتّى يصلوا إلى مقام الفناء، ويثبت أنّ هذا الفناء لا يتنافى مع إدراك النفس لذاتها.

ثمّ عدّد بعد ذلك الأقسام الخمسة عشرة للأنوار المشرقة نقلاً عن شيخ الإشراق، مبيّناً أنّ جميع هذه الأنوار إشراقات تشعّ من العقل المفارق على النور المدبّر،

وتنعكس من هناك على الهيكل البدنيّ والروح النفسانيّة. وعندما يظهر الاستعداد التامّ في النفس والبدن لقبول هذه الأنوار، تحصل الأُمور الخارقة للعادة، من قبيل: السير على سطح الماء، أو الصعود إلى السماء بالجسم المثاليّ.

ثمّ استطرد في بيان أنّ النفوس القويّة ـ القادرة على القيام بالأُمور الكبرى والكثيرة ـ تشبه العقول الفعّالة في سبعة أُمور، وهي: الحكمة، والحرّيّة، والعفّة، والخيريّة، والكرم، والرحمة، والفتوّة. ثمّ عمد إلى تعريف كلّ واحد من هذه الأُمور.

ثمّ دخل بعد ذلك في مباحث تهذيب الأخلاق. وهو يرى أنّ كمال النفس إنّما يحصل من خلال الاتّصاف بالعدالة المطلقة، التي هي مزيج من الحكمة والشجاعة والعفّة. إنّ كلّ واحدة من هذه الفضائل الثلاثة تتعلّق بواحدة من القوى العقليّة والغضبيّة والشهويّة، حيث تقع بين رذيلتين أُخريين، هما طرفا الإفراط والتفريط لتلك القوّة. وبذلك تكون الحكمة وسطاً بين البلادة والجربزة، والشجاعة وسطاً بين الجبن والتهوّر، والعفّة وسطاً بين الشره والخمود.

ثمّ عمد إلى تعداد فروع كلّ واحد من هذه الأجناس الثلاثة من الفضائل. ثمّ قام بتعريف الخُلق، حيث يراها ملَكة تصدر عنها جميع الأفعال بيُسر ومن دون إجالة فكر أو رويّة. ليتعرّض بعد ذلك إلى اختلاف الحكماء في إمكان أو امتناع تغيير الخُلق، مرجّحاً رؤية القائلين بالإمكان وعمل على إثباتها.

ثمّ استطرد في تعداد أصناف السعداء ـ والمراد منهم هنا المتحلّون بالفضائل الأخلاقيّة ـ، ويعمل على تقسيمهم بحسب كيفيّة حصول تلك الفضائل (من حضرة الحقّ تعالى؛ أو على أثر التفلسف وترك المعاصي؛ أو على أثر التأديب الشرعيّ وتعلّم الحكمة) إلى ثلاثة أقسام. وقد رأى المؤلّف في البداية أنّ السعادة الحقيقيّة تتعلّق بالمجموعة الأُولى، ومِن ثمّ يراها متعلّقة بالمجموعة الثانية والثالثة، ويرى الذين هم

خارج هذا التصنيف في زمرة الأشقياء.

ثمّ تعرّض بعد ذلك إلى بيان الاختلاف بين الفضائل والرذائل الشبيهة بها، ذاكراً بعض الأمثلة في بيان متى وفي ظلّ أيّ ظروف يُعدّ صدور كلّ فضيلةٍ فضيلةً، ومتى يُعدّ رذيلةً. وفي الختام يستنتج من ذلك أنّ الفضائل إنّما تُعدّ حسنة إذا صدرت عن الحكيم، أي أنّها تصدر من المتحلّى بالحكمة في الزمان المناسب، وبالمقدار اللازم، وعلى أساس المصلحة.

ثمّ دخل بعد ذلك في البحث عن العدالة. حيث عمل في البداية على إثبات أنّ العدالة من أشرف الفضائل، وذكر لها ثلاثة أقسام. وقال بأنّ تطبيق العدالة يتوقّف على ثلاثة أُمور، وهي: الناموس الإلهيّ، والحاكم الإنسانيّ، والدينار. والناموس الإلهيّ ـ من وجهة نظره ـ هو واضع العدالة الذي هو مصدر الوحدة.

وفي قبال العادل يقع الجائر، وهو الشخص الذي يقضي على المساواة. والجائر على ثلاثة أقسام: الجائر الأعظم (الذي يتمرّد على أحكام الناموس الإلهيّ)، والجائر الأوسط (الذي يتمرّد على أوامر الحاكم الإنسانيّ)، والجائر الأصغر (الذي لا يؤيّد حكم الدينار).

ثمّ ينتقل بعد ذلك إلى تعداد أقسام العدالة في الأفعال، وقال بأنّها على ثلاثة أقسام: القيام بحقّ البارئ تعالى، والقيام بحقّ أبناء النوع الإنسانيّ، والقيام بحقّ الأسلاف. ثمّ بحث في مورد القسم الأوّل ـ الذي هو العبادات ـ وتحدّث عن أنواعها.

ثمّ تحدّث عن النسبة بين التفضّل والعدالة، حيث قال بأنّ التفضّل أشرف من العدالة؛ وذلك لأنّ التفضّل مبالغة في العدالة.

وفي ختام هذا الفصل أكّد المؤلّف على لزوم توظيف العدالة العامّة في النفس من أجل تعديل القوى وتكميل الملَكات. ومن طريق هذا الأمر يحصل الثبات والقوام

للنفس، ويتمّ دفع الكثرة الحاصلة من الدواعي المتعدّدة للشهوة والغضب.

الفصل الثالث والعشرون

لقد خصّ ابن أبي جمهور هذا الفصل بالبحث عن مقامات السالكين. حيث ذكر في البداية مقامات السالكين واحدة فواحدة، مع بيان توضيح مختصر لكلّ واحدة منها. وإنّ المقامات التي عمد إلى توصيفها عبارة عن: الحال، والخاطر، والتوبة، والإرادة، والرجاء، والخوف، والزهد، والصبر، والشكر، والتوكّل، والرضا، والمعرفة، والمحبّة، والنفحات، والسكينة، والتفرقة، والجمع، والغَيبة، والسكر، والصحو، والهيبة، والأُنس، والتوحيد، والمكاشفة، والوقت، والتعرّض، والفناء.

ثمّ تعرّض بعد ذلك إلى بيان تعريف الزاهد والعابد والعارف، مع بيان اختلاف كلّ واحد منهم عن الآخر. ويستنتج في الختام أنّ العارف حيث يكون عاشقاً للكمال الحقيقيّ، فإنّه يبحث عن الحقّ تعالى، ولذلك فإنّه لا يقدّم أيّ شيء على معرفة الحقّ وعبادته. ولا تأتي هذه العبادة من الرغبة في الحصول على الثواب أو الخوف من العقاب، بل لأنّه يجده أهلاً للعبادة.

وفي البحث اللاحق تعرّض إلى بيان درجات العرفان. حيث ذكر درجات العرفاء السبعة، وهي: الإرادة، والرياضة، والوقت، والسكينة، والتردّد، والوصول التامّ، والاتّحاد والوقوف؛ واحدة واحدة، مع توصيف كلّ واحد منها.

ثمّ نقل بعد ذلك تقسيماً آخر ذكره بعض الحكماء لدرجات العارفين. وعلى أساس ذلك تكون مراتب الوصول على ثلاث مراحل، وهي: السكينة، والحرق، والطمس.

وفي ختام هذا الفصل يتمّ التذكير بأنّ المراد من مقام الاتّحاد هو استغراق الإنّيّات في النور الأوّل، دون أن يحدث اتّصال جرميّ وامتزاج جسمانيّ، أو أن تبطل إحدى الهويّتين.

الفصل الرابع والعشرون

يُعدّ هذا الفصل تكميلاً وتوضيحاً لبعض مطالب الفصل السابق. حيث يقول المؤلّف: إنّ هذه المصطلحات وإن كانت مختلفة بحسب الظاهر، ولكن معانيها قريبة من بعضها. والخصيصة المشتركة بين جميع هذه المصطلحات هي أنّها بأجمعها سوانح تعرض على النفس الناطقة.

ثمّ تعرّض إلى بيان النسبة بين المعرفة والمحبّة. ويرى أنّ المعرفة تتقدّم على المحبّة تارةً، وتتأخّر عنها تارةً أُخرى. بمعنى أنّه كلّما أضحت المعرفة كاملة أدّت إلى حصول المحبّة، وكلّما اكتملت المحبّة استدعى ذلك حصول المعرفة.

ثمّ تحدّث بعد ذلك عن أمرين يلعبان دوراً هامّاً في وصول السالك إلى المقصود، وهما:

أوّلاً: الفطنة والحدس القويّ الذي يؤدّي بالسالك إلى الوصول إلى مقامات دون عناء كبير، في حين أنّ الآخرين لم يصلوا إليها رغم مكابدة العناء.

ثانياً: المشايخ؛ وذلك أنّ هؤلاء بسبب سعة اطّلاعهم على حقائق العرفان والعلم بالمقامات وكيفيّة الوصول إليها والانتقال من كلّ مقام إلى المقام الآخر، يستطيعون هداية وإرشاد السالك وإيصاله إلى المقصود دون كبير مشقّة أو عناء.

وفي المبحث اللاحق، ذكر أنّ الأهليّة للسلوك تتحقّق من خلال الجمع بين أمرين، وهما:

أوّلاً: المعرفة التي هي بمثابة السُلّم للصعود واجتياز المقامات، وهي تشمل معرفة المسائل الكلاميّة، والحكمة البحثيّة، والحكمة الإشراقيّة.

ثانياً: المكاشفة، وهي تحصل بواسطة الرياضات وتحلّي النفس بالأخلاق الحميدة.

ثمّ ينتقل بعد ذلك إلى التحقيق في معنى الاتّحاد والاتّصال عند الصوفيّة. فيستدلّ

في البـدايـة على أنّ الاتّحاد والاتّصــال عندما يســتعملان في المعنى الظاهريّ، إنّما يصـدقان على مورد الأجسـام فقط. وأمّا مراد الصوفيّة من استعمال هذه المصطلحات فهو رفع الحجُب الماثلة بين النفس وحضرة الحقّ، وشدّة القرب بينهما.

وكذلك في مورد اتّحاد العاقل بالمعقول ـبعد نقل مذهبين رئيســين في هذا الباب ينتميـان إلى فرفوريوس وأوائـل الحكمـاءـ وردّ المعنى الظـاهريّ لهما، يقول: إنّ مراد الحكماء من هذا المصـطلح هو أنّ النفس عند إدراك الصـور المعقولة، ليس لها توجّه إلى ذاتها، وعليه فإنّها لا تدرك سوى ذلك المعقول الروحانيّ المجرّد. ومن هنا بواسطة لطافة المدرِك والمدرَك، وشـدّة اتّصـالهما ببعضـهما، اختاروا لهما عبارة اتّحاد العاقل بالمعقول.

الفصل الخامس والعشرون

يختصّ هذا الفصـل ببيان وصـايا المؤلّف إلى كلّ من ينشـد الوصـول إلى الحقّ تعالى. يذهب المؤلّف إلى الاعتقاد بأنّه كما أنّ الشـمس جرم واحد بسيط تسطع عنها أشـعّة متكثّرة، دون أن يؤدّي هذا التكثّر إلى تكثّر في الشـمس، كذلك حضـرة الحقّ تعـالى حقيقـة واحـدة ذات أفعال متعدّدة تظهر فيها آثاره وأطواره ومظاهره، إلّا أنّ هذا الأمر لا يسـتوجـب التكثّر في ذاتـه. كـالشـخص الذي يقف أمام العديد من المرايا المحيطة به من كلّ جهة، فإنّ صـورته تنعكس فيها جميعاً، ومع ذلك يبقى هو شخص واحد ولا يتعدّد.

ثمّ شـبّه حضرة الحقّ بالمدينة، وشبّه طرق الوصول إليه بالطرق المختلفة الموصلة إلى تلك المدينة، ويقول: إنّ طرق الوصـول إلى اللّه بعدد أنفاس الخلائق. بيد أنّ هذه الطرق تختلف في ما بينها من حيث البُعد والقرب والسـهولة والوُعورة. ثمّ بيّن المراد من القرب الإلهيّ ببيان عرفانيّ.

ثمّ صــار بعد ذلك إلى بيان طرق كســب الاســتعداد إلى الســلوك. إنّ المعارف البرهـانيّـة، والاطّلاع عن أحوال المشــايخ وكيفيّـة ســلوكهم، والرياضــات والتخلّق بالأخلاق الحميدة، من بين الموارد الضروريّة لكسب الاستعداد إلى السلوك.

أمّا النصيحة التالية للمؤلّف فهي ضرورة الالتزام بالتكاليف الشرعيّة. حيث تعرّض بالتفصـيل وببيان عرفانيّ إلى حكمة وأُصـول وشروط التكليف، وتحدّث عن الحكمة من العقوبات.

ثمّ حذّر الســالك من الاشتغال بالأُمور غير الضروريّة، وأكّد بأنّ عليه بدلاً من ذلك أن يشتغل بطلب العلم، وترك الشهوات، وصلاة الليل، وترك الخواطر الشيطانيّة.

ثمّ تحدّث بعد ذلك عن ضــرورة تطهير النفس للســالك، وعدّد أقســام ودرجات الطهارة، وبحث في النسبة القائمة بين الطهارة وَسعة الرزق.

وأمّا النصيحة الأُخرى للمؤلّف فهي زيارة قبور الأنبياء والأولياء، والتعرّض لنفوسهم النورانيّة والقدسيّة، من أجل الحصول إلى أشعّة وجودهم النورانيّة، والتحلّي بأخلاقهم الإلهيّة. ثمّ تحدّث بعد ذلك عن ضرورة المثابرة على الدعاء والطلب من حضرة الحقّ والإكثار من قراءة القرآن والتدبّر في معانيه.

وفي الختام نقَل المناجاة التي ذكرها شـيخ الإشـراق في رسالة كلمة التصوّف لبيان كيفيّة الدعاء والطلب من حضـرة الحقّ تعالى، وقام بشـرح وتفصـيل العبارات الواردة فيها.

الفصل السادس والعشرون

لقد تحدّث ابن أبي جمهور في هذا الفصــل عن أحوال الســالكين إلى نور الأنوار. يرى المؤلّف أنّ الســالكين لطريق الأنوار من خلال التوسّــل إلى العلوم الحقيقيّـة، والأخلاق المرضـيّة، والإخلاص والصـبر، وبواسـطة سـطوع إشراقات الأنوار الإلهيّة،

يحصـلون على اسـتحقاق الحصول على التحف الملكوتيّة، التي هي في الواقع معرفة السـالكين واطّلاعهم على أسـرار عالم الملكوت. ثمّ يصـلون إلى عين الحياة، وهي العين التي سوف يحصل كلّ من يصل إليها إلى الحياة الخالدة. وإنّ السالكين يعملون في هذه العين ـ التي هي مصدر الكمال والجمال ـ من خلال تحصيل العلوم الحقيقيّة والأخلاق المرضيّة، على تطهير أرواحهم.

ثم يقول: إنّ اللّـه تعـالى هو الجواد المطلق، ويعرض نعمـاتـه على مخلوقاته دون بخل ودون المطالبة بالعوض والبدل. وأمّا قبول هذه العطايا فهو رهن بالطهارة الوجوديّة المجعولة من قبَلهم والحاصـلة بالسـعي والعمل. وهناك الكثير من الآيات والروايات الدالّة على هذه المسألة.

ثمّ تعرّض إلى بيان هذه المسـألة وهي أنّ الذنوب والمعاصي نجاسات باطنيّة، وأنّ الطـاعات مطهّرات باطنيّة. وأنّ لكلّ واحد من هذه المعاصـي والطاعات خصـائص تنتقل تارة من ظاهر الإنسان إلى باطنه، وتنتقل تارة أُخرى من باطن الإنسان إلى ظاهره. ثمّ تعرّض بعد ذلك إلى بيان منشـأ هذه الطهارة والنجاسـة الباطنيّة وأقسامها من حيث المحالّ الموصوفة بها، وبحث في أسباب طهارة وكدورة الباطن. ورأى أنّ طهارة الباطن يعود سـببها إلى قلّة التعلّقات أو العدم التامّ للتعلّقات بجميع الأُمور باسـتثناء حضـرة الحقّ تعـالى. وفي المقـابل، فإنّ كدورة الباطن هي نتاج كثرة التعلّقات وكثرة الأحكام الإمكانيّة.

ثمّ عاد إلى البحث في أحوال السـالكين مجدّداً. حيث يسـعى إخوان البصـيرة من خلال الخضـوع والقنوت والـدعاء والمناجاة إلى تخليص نفوسـهم الناطقة من قيود الجسـد. إنّ هؤلاء من خلال الحصـول على الأنوار والإشـراقـات الإلهيّـة ينتفعون بأنفسهم، ومن خلال انعكاسها على العوالم السفليّة يُنفعونهم بمقدار استعدادهم.

إنّ هؤلاء السالكين الذين قاموا بتطهير نفوسهم الناطقة صوريّاً وحقيقةً أثناء التعلّق بالبدن ليحصلوا على القرب الإلهيّ، يجتنبون جميع أنواع المعاصي، لاعتقادهم بأنّ كلّ معصية تُبعدهم عن حضرة الحقّ تعالى. إنّ هؤلاء هم أحبّاء حضرة الحقّ، وبواسطتهم يرفع اللّه العذاب عن الأرض وسكّانها.

إنّ هؤلاء السالكين بعد حصولهم على الطهارة الكاملة والحقيقيّة بفعل تربية الأنبياء والأولياء الربّانيّين، يتمكّنون من تخليص نفوسهم الناطقة من ظلمات الأبدان الجسمانيّة، ويصعدون إلى عالم العقل، ويغوصون في محيط الأنوار الإلهيّة والحياة الأبديّة، ويتمكّنون من لقاء حضرة الحقّ تعالى.

خاتمة الكتاب

يستهلّ المؤلّف خاتمة الكتاب بذكر مناجاة لطلب النجاة والاستقامة على صراط الحقّ تعالى. ثمّ يعرض نصائحة وتوصياته على القرّاء. وقد وجّه الخطاب إلى القارئ قائلاً: إنّ هذا الكتاب يشتمل على جملة من الأسرار التي ذكرها الأنبياء والأولياء الربّانيّون والحكماء الكبار على طول التاريخ. ويطلب من القارئ أن يقرأ المسائل المتفرّقة في هذا الكتاب بشكل دقيق؛ ليصل إلى الغاية منها. وعلى الرغم من أنّه قد يبدو للوهلة الأُولى أنّ مطالب الكتاب قد تكرّرت في عدّة فصول، إلّا أنّ هذا التكرار كان متعمّداً؛ إذ أنّ بعض المطالب تستلزم التكرار بعبارات متفاوتة وفي مواضع مختلفة.

ثمّ استطرد قائلاً: إنّ هذا الكتاب يحتوي على ثمار لذيذة قد تمّ قطافها من جنان متعدّدة، وتمّ جلبها بجهود كبيرة من مختلف الأمكنة، وتمّ وضعها أمام القارئ. ومن هنا يجب على القارئ أن يقدّر قيمة هذا الكتاب؛ وذلك لأنّ المؤلّف قد تمكّن في هذا الكتاب من القيام بأمر لم يكن متاحاً وميسوراً للمتقدّمين.

ثمّ طلـب من القـارئ أن لا يتعجّـل في الردّ والإنكـار إذا صـعب عليه فهم بعض عبارات الكتاب؛ وذلك لأنّ فهم هذا الكتاب يتوقّف على تلطيف السرّ وإصلاح المزاج، بل إنّ بعض مشاكل هذا الكتاب لا يمكن حلّها إلّا من خلال الكشف والشهود.

وفي الختام يعترف المؤلّف بقصوره وحاجته إلى صفح ومسامحة القارئ، ويطلب منـه عـدم نسـيـانـه في دعـائه له بالخير وطلب الغفران من أجل النجاة من أهوال يوم القيامة، والدخول إلى دار الكرامة.

شكر وتقدير

في الختام أرى لزاماً عليّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى جميع الأحبّة والأصدقاء الذين قدّموا لي يد العون في مختلف مراحل هذا المشروع، وأخصّ منهم بالذكر:

١. سماحة الشيخ أحمد عبد اللّه السُميّن (رئيس لجنة التحقيق والأبحاث العلميّة في مؤسّسة ابن أبي جمهور)، حيث كان الداعم لي طوال السنوات الثمانية الأخيرة، ولم يألُ جهداً في تحقيق الغاية من المساعي المبذولة في تحقيق سلسلة مصنّفات ابن أبي جمهور الأحسائيّ.

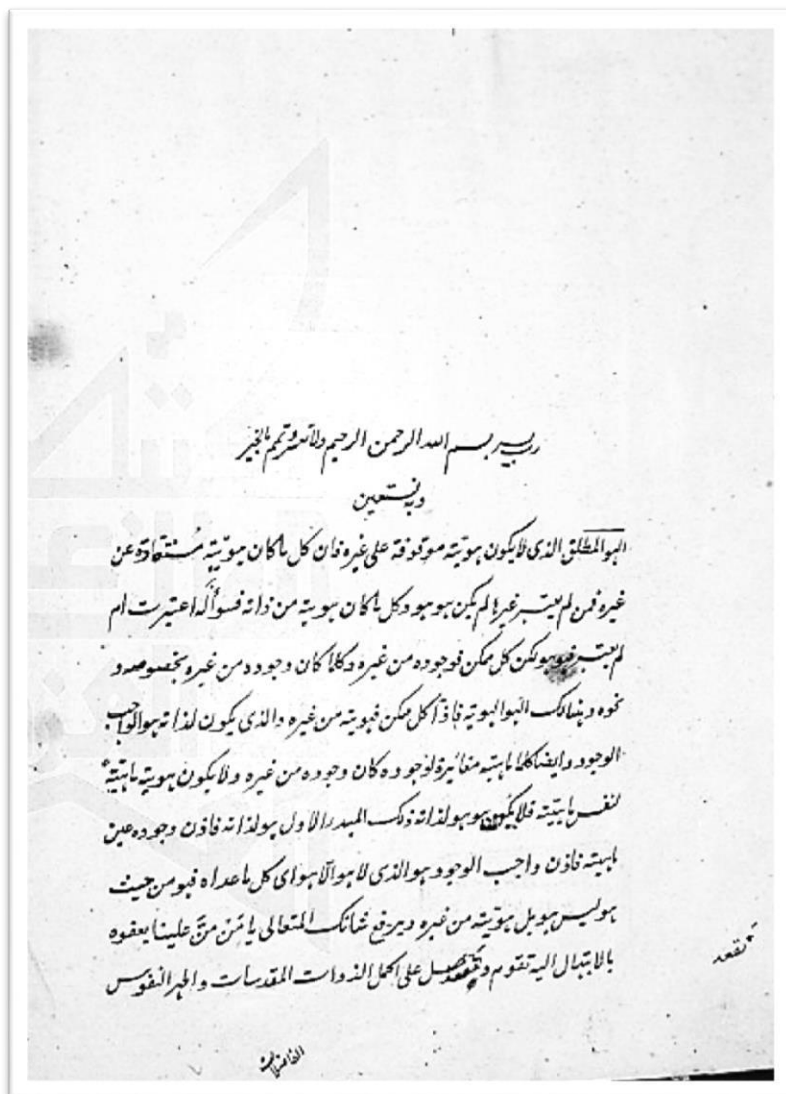
٢. سماحة السيّد عليّ باقر الموسى (المنسّق العامّ في مؤسّسة ابن أبي جمهور)، الذي يتابع الأعمال التنفيذيّة للمؤسّسة.

٣. المعرّب المحترم سماحة السيّد حسن عليّ مطر الهاشميّ، على ما بذله من جهد في ترجمة مقدّمة هذا الكتاب.

٤. سماحة الدكتور السيّد محمود المرعشيّ النجفيّ، وسماحة الشيخ أبو الفضل حافظيان بابلي، حيث أرشدانا إلى المخطوطة رقم B.

رضا يحيى پور فارمد
١ يناير ٢٠٢٠ م ـ مشهد المقدّسة
almakhtutat@gmail.com

نماذج مصوّرة من المخطوطات



رب يسر بسم الله الرحمن الرحيم ولا تعسر وتمم بالخير
وبه نستعين
الهو المطلق الذى لا يكون هويته موقوفة على غيره فان كل ما كان هويته مستفادة عن
غيره فمن لم يعتبر غيره لم يكن هو هو وكل ما كان هويته من ذاته فسواء اعتبرت ام
لم يعتبر فهو هو لكن كل ممكن فوجوده من غيره وكلما كان وجوده من غيره فخصوصية
نحوه وبهذا [illegible] الهو هوية فاذا كل ممكن فهويته من غيره والذى يكون لذاته هو الواجب
الوجود وايضا كلما ماهيته مغايرة لوجوده كان وجوده من غيره ولا يكون هوية ماهيته
لنفس ماهيته فلا يكون هو هو لذاته وذلك المبدأ الاول هو لذاته فاذن وجوده عين
ماهيته فاذن واجب الوجود هو الذى لا هو الا هو وكل ما عداه فهو من حيث
هو ليس هو بل هويته من غيره ويرتفع شأنك المتعالى يا من منّ علينا بعقود
بالابتهال اليه تقوم و[illegible] وصل على اكمل الذوات المقدسات واطهر النفوس

الصفحة الأُولى من مخطوطة A

٢٤٦

افضل الصلوات واكمل التحيات وعلى ذريته الطاهرين بعد الصلوة على سيد الاولين
والآخرين محمد خاتم النبيين والمرسلين والحمد لله رب العالمين تمت
تمت الكتاب بعون الملك الوهاب بيد الراجي الى رحمة الله العزيز فقير عبد العزيز
وكان الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة في يوم الاثنين في العشر الآخر
من شهر ربيع الآخر ختم الله بالخير والظفر في سنة احدى
عشر وثلاثمائة بعد الالف من هجرة النبي صلى الله
عليه وآله وسلم والحمد لله اولاً وآخراً
وظاهراً وباطناً

وكاتب اصل هذه النسخة يقول: وكان الفراغ من هذه النسخة تبييضاً في المسودة
المسماة بالمشهدية [illegible] منتصف ليلة الاحد في العشر الاواخر من [illegible] ختم بالخير والظفر
احد شهور سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ببلدة الاحساء حماها الله من الاسواء بقرية
التيمية صفت بالوطن في الاخير على يد مؤلفها الفقير الى الله الغني محمد بن علي
بن ابراهيم بن حسن بن ابي جمهور الاحسائي اصلاً ومسكناً والحمد لله
اولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ص.

كتبت هذه النسخة الشريفة [illegible] فقير محمد [illegible]
وارجو [illegible] الى يوم الدين آمين ثم آمين

الصفحة الأخيرة من مخطوطة A

١

وكذلك حياتها وقدرتها مما يكون زائدة على نفس
الذات وذلك كالكمالات الثابتة اللاحقة بذات
الشيء بعد أن تصير الذات حاصلة في الوجود وهذا
بخلاف الكمالات التي لا تكون زائدة على نفس الذات
فإنها لا يلحق الذات بسبب أمور خارجة عن الذات
بل تكون لاحقة بالذات من حيث هي ذات وموجود
لا من حيث خصوص الجسمية والتركيب والتكثر وغير
ذلك فهذا النوع من الكمالات يمكن بالإمكان العام
أن تثبت لواجب الوجود لذاته من حيث ذات
وموجود وكلما أمكن أن يثبت للواجب لذاته بالإمكان
العام يجب له فالكمالات التي يمكن أن تثبت للواجب
لذاته من حيث هو ذات وموجود تجب له أما
أما بيان أن الكمالات الثابتة لواجب الوجود من حيث
هو ذات وموجود ممكنة بالإمكان العام فلأنها
لا توجب تكثرا في ذاته فلا يمتنع على الواجب وكل
ما لا يمتنع عليه يجب له إذ لا قوة إمكانية له وأما
بيان المقدمة الثانية وهي كل ما أمكن على الواجب
بالإمكان العام يجب له فلوجوه الأول أن واجب الوجود
لا يكون أتم منه ولا أكمل إذ لو كان في الوجود
ما هو أتم وأكمل منه لكان ذلك الأتم والأكمل هو
الواجب لذاته فإنه لنقصه عنه لا بد وأن يكون
ممكنا ... والواجب إنما هو الأتم الأكمل من جميع

الصفحة الأُولى من مخطوطة B

٢٧٠

واكمل التحيات وعلى ذريته الطاهرين بعد الصلاة
على سيد الاولين والاخرين محمد خاتم النبيين
والمرسلين والحمد لله رب العالمين وكان الفراغ
من هذه النسخه تبييضا من المسوده المعموله
بالمشهد في منتصف ليله الاحد في العشر الاواخر
من صفر ختم بالخير والظفر احد شهور سنه ثلاثه
وتسعين وثمانمائه ببلدة الاحساء حماها
الله من الاسواء بقريه السمه حفت بالالطاف
الالهيه على يد مؤلفه الفقير الى الله الغفور محمد بن
علي بن ابراهيم بن حسن بن ابي جمهور الاحساوي
اصلا ومنشا ومسكنا ومنزله والحمد لله اولا واخرا
وظاهرا وباطنا اللهم اغفر لنا ولاخواننا من المؤمنين
ولوالدينا ولكافة المسلمين ولمن نظر
فيه واستفاد منه ودعا لنا
بالمغفرة انك غفور رحيم

الصفحة الأخيرة من مخطوطة B

باب البداية لبداية النهاية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وبه نستعين

[خطبة الكتاب]

يترفّع شأنك المتعالي، يا مَن منَّ علينا بعفوه! بالابتهال إليك نقوم ونقعد. صلِّ على أكمل الذوات المقدّسات، وأطهر النفوس الفاضلات، محمّد المصطفى وآله البرَرة الهُداة، ما دامت الأرض والسماوات.

وبعدُ، فهذه رسالة مختصرة الكلام، مرتّبة على نمطٍ حسن الانتظام، في العلم الإلهيّ الممزوج بالطبيعيّ، على النهج الإشراقيّ والطريق السلوكيّ. وهي لبّ خلاصة حكمة السلوك، وبداية مراتب الأكابر من الأفاضل الملوك، ممّا استفدتُه من خالص الفكر الطويل، وأتقنتُه بعد مجاوزة مبادئ ذلك السبيل، بعد المرور على عبارات القوم ومخضها، واستخلاص لبّها من قشرها، على أنّي لم أتعدّ عباراتهم الشائقة، ولا غيّرتُ إشاراتهم السابقة. وسمّيتُها بـ«باب البداية لبداية النهاية»، وأسأل من المبدأ الأوّل حسن التوفيق وهداية الطريق.



[الفصل الأوّل: في الحكمة وأقسامها وموضوعها]

مقدّمة: الحكمة هي التحلّي بالعلوم الحقيقيّة، بحسب الطاقة البشريّة.

وإنّما تحصل بجودة الفكر، وبشرط كثرة الصبر. وجمعُهما عزيز، بل اجتماعهما.

وينقسم الحكمة إلى علميّة وعمليّة.

ينقسم الأُولى إلى رياضيّة وطبيعيّة وإلهيّة.

والثانية إلى خُلقيّة ومنزليّة ومدنيّة ـ سياسيّة هي المُلكيّة، وناموسيّة هي النبويّة ـ.

هي أُمّهات العلوم الحقيقيّة، التي يصير النفس بها كاملة في قوّتها، فيحصل لها السعادة الأبديّة، والقرب من العقول النوريّة والحضرة الربّانيّة.



[الفصل الثاني: في الطبيعيّات وما يتّصل بها]

مدخل: إنّ إدراكك لغيرك حصول صورته فيك، فله أثر فيك، وإلّا فما علمتَه. وإن لم يطابقه فما علمتَه أيضاً. فإن طابقَت تلك الصورةُ كثيرين فكلّيّة، ولفظها الدالّ عليها كلّيّ تبعاً لها؛ وإلّا فجزئيّة.

وما لا جزء لها من الحقائق عقلاً بسيطةٌ، وذات الجزء عنده مركّبة. ولهذا لا تُعقل بدونها، فتقدّمُها عليها تقدّم عقليّ.

ولازم الماهيّة ما يمتنع رفعُه وجوداً أو وهماً، فلا تُعقل منفكّة عنه، مع كونه خارجاً.

ولازم الذات يطّرد، ولازم الماهيّة لا يطّرد.

والحكم على جزئيّات الماهيّة تبعاً للحكم بما يلزمها لذاتها، لا لاستقراء أشخاصها.

والكلّيّ لا يوجَد في الأعيان؛ إذ العين غير مشترك، والكلّيّ لا يمنع الشركة لذاته، ولا يتعدّد إلّا بلواحق تزيد عليه؛ إذ الافتراق لا يقع بما به الاشتراك.

وما حلّ في غيره شائعاً فيه هيئة؛ وما قامت به محلّ؛ وما لا يحلّ في غيره جوهر.

فما اشتمل منه على المقادير جسم. وتشترك في الجسميّة، وتفترق بالهيئات.

ولا يقبل الأجسامُ القسمةَ إلى ما لا ينقسم؛ وإلّا فمع التركيب إن حجب الواسطةُ انقسم، وإلّا تداخلت.

ولا تنتقل الهيئة، وإلّا تجسّمت.

ولا بدّ من تناهي الجسم، وكذا الأعداد الموجودة المترتّبة؛ للتطبيق وغيره، ولو فقد أحدهما لم يمتنع عدم النهاية.

وحينئذٍ نقول: لمّا لزمت لزمه الشكل والمقدار، لا للماهيّة الجرميّة، وإلّا لَتماثلت.

فهناك مفيد لها، ولا يكون جرماً، وإلّا عاد الكلام، فهو خارج.

اعلَم أنّ الجهات مختلفة؛ لاختلاف الحركات، وموجودة؛ للإشارة إليها، ولا تنقسم، وإلّا لوقعا في العدم. فالمحدّد واحد، وليس قاصراً على طرف، وإلّا لا يتحدّد به. وحينئذٍ لامتداده طرفان، فلا بدّ من جرم محيط، يحدّد القُرب بمحيطه والبُعد بمركزه. فلا ينخرق المحدّد، فلا يتحرّك مستقيماً، وإلّا لَما كان محدّداً، فهو يتحرّك وسطاً.

وما يقبل التشكّل بسهولة رطب، وإلّا فيابس، وما يتحرّك مستقيماً بخصوصيّة عن الوسط حارّ، وإلّا بارد. فهناك أربعة: حارّ يابس نار، وحارّ رطب هواء، وبارد رطب ماء، وبارد يابس أرض. فهو السفل والمركز، والعِلو محيط من جميع الجوانب.

ولهذه الأربع صور نوعيّة متخالفة الكيفيّات. ولمّا شاهدنا الماء يخلع الصورة المائيّة ويلبس الصورة الهوائيّة، فهناك شيء قابل لهما هو المادّة. فهي أحد جزئَي الجسم، وامتدادها جزؤه الآخر.

والعناصر مشتركة الهيولى. فالهواء يصير ماءً، وينقلب ناراً. فيتولّد حينئذٍ السحاب بتكاثف الأبخرة، وينزل بالبرد مطراً أو ثلجاً ـ إن اشتدّ البرد ـ.

ومكانُ العالم السطحُ الباطن من الحاوي، المماسّ لظاهر المحويّ.

ولا يخلو المكان من الجرم الشاغل، فالمحدّد ممتلئ بالأجسام.

واعلَم أنّ المواليد الثلاثة حصلت بامتزاج الأربعة. وكون الإنسان من الطين لا ينافيه.



[الفصل الثالث: في تجرّد النفس وقواها]

إرشاد: إنّك لا تغيب عن ذاتك، فذاتك معقولة لك، وأنت غافل عن بدنك وأجزائه، فأنت غيره.

وتعقل الجسم المطلق، ولو كانت صورته في جرم لَما طابق المختلفات. فمحلّها ليس بجرم ولا هيئة، فلا يُشار إليها؛ لخروجها عن عالم الجهات.

وكذلك الواحد المطلق، وإلّا لانقسم. فعاقله بريء من الأبعاد ولوازمها.

وهو عند أهل الحكمة النفسُ الناطقة، وعند أهل التصوّف الكلمةُ، وفي الكتب الإلهيّة يعبّر عنه بالقلب وبالروح.

فهي ذاتٌ لا جرم ولا جرمانيّة، قائمة بذاتها، مدرِكة، لها التصرّف في الجرم.

وهل توجد قبل المزاج؟

قيل: لا؛ لأنّها إن تعدّدت تميّزت، ولا تميّز قبل البدن؛ وإن اتّحدت اشترك الكلّ في أنانيّة واحدة، والوجدان يكذّبه.

وقيل: نعم، وإلّا لكان المزاج شرطاً في وجودها، فتنعدم بعدمه، هذا خلف.

ولكونها غير جرميّة شواهد من التنزيل؛ فإنّه وصَفها بالرجوع إليه، وبالعروج، وكونها عنده، وملاقاته، ومصيرها إليه، واستقرارها عنده، ودُنوّها منه، وكلّ تلك لا تُتصوّر في ذي الأبعاد الجرميّة والهيئات.

ومنه قوله ـعليه السلامـ: «أبيتُ عند ربّي، يطعمني ويسقيني».

وقوله ـعليه السلامـ: «الرفيق الأعلى».

وقوله: «المصلّي يناجي ربّه».

وسئل بعض المشايخ من أهل التصوّف، فقال: «من كان مع اللّه بلا مكان».

وقول بعضهم: «وكنّا حيثما كانوا، وكانوا حيثما كنّا».

وقول أبي طالب المكّيّ في حقّ أُستاذه أبي الحسن بن سالم، لمّا سئل عنه: «إنّه طوي له المكان».

ووصَف بعضُهم النبيَّ ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ، فقال: «إنّه غمض العين عن الأين».

ومثله قول بعضهم في وصفه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ: «إذا لبس لبسة رفع عنه الكون في المكان».

وقال بعضهم: «طلبتُ ذاتي في الكونين، فما وجدتُها».

ومثله قوله: «تبيّن ذاتي حيث لا أين».

وقوله ـلمّا أُريد صلبهـ: «حسب الواحد إفراد الواحد له».

وقال في حقّ الصوفيّ: «إنّه وحدانيّ الذات، لا يَقبل ولا يُقبل».

وما هو جرم أو هيئة يستحيل رفعه عن المكان.

ولها نسبة بالقدس ونسبة بالبدن.

ولها قوىً:

ـ قوّة مدرِكة، في الظاهر خمس وفي الباطن كذلك، ومحلّها الدماغ.

ـ وقوّة محرّكة، وتنقسم إلى قوّة باعثة، إمّا جالبة لنفع أو دافعة لضرر، الأُولى شهويّة والثاني غضبيّة؛ وإلى قوّة فاعلة.

وسبب نسبتها مع البدن جرم لطيف حارّ، حاصل عن لطيفة الأخلاط، مبدؤه القلب، يسمّى الروح، حامل هذه القوى، واسطة بين الكلمة والبدن؛ فإنّ جرم عضو الإنسان قد يموت مع بقاء تصرّف الكلمة في البدن؛ لسُدّة منعت هذا الروح عن النفوذ إليه. وهو غير الروح المنسوب إليه تعالى، أعني الكلمة التي قال اللّه تعالى فيها: ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي﴾، وقال تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾.



[الفصل الرابع: في العلّة والمعلول]

إشـــارة: الجهـات العقليّة ثلاثة: الوجوب، والإمكان، والامتناع. فالأوّل ضـــروريّ الوجود، والثالث ضـروريّ العدم، والوسـط وسط. فيجب ويمتنع بغيره، وهو العلّة. ولا يصـــير موجوداً لذاته، وإلّا لكان واجباً، فلا بدّ له من مرجّح، وهو العلّة التامّة، ســواء اتّحـدت أو تعـدّدت. ومـا لـه دخـلٌ في العلّيّـة فهو جزؤهـا، حتّى قبول القابل، وزوال المانع، والوقت. فعدم المعلول معلّل بعدم العلّة، كلّها أو بعضها.



[الفصل الخامس: في بعض أحكام واجب الوجود]

كشـف: واجب الوجود هو الوجود الصِـرف الذي لا خصـوص فيه ولا عموم، ولا كلّيّـة ولا جزئيّـة، ولا وحدة ولا كثرة. فما عداه منه وجوده، بواسـطة أو بغيرها. فينتهي المراتب في النزول إلى الضـعف، كانتهاء النور إلى ما ليس بنور، كما تنتهي في مراتب الصـعود إلى الشـدّة. فهو بسيط، لا تركيب فيه بوجهٍ من الوجوه. فلا اسمَ له عندنا يليق بكماله وبسـاطته، وإن كانت له أسـماء كثيرة باعتبار يليق بعقولنا ورَوَت بها الشـرائع الإلهيّة.

[الفصل السادس: في وحدانيّة واجب الوجود]

إيقـاظ: إنّـك إذا نظرتَ في نفس الوجود، وأنّـه لا يمكن للعقل فصـلُه إلى ماهيّة ووجود، وأنّه لا جزئيّات له ذهنيّة ولا خارجيّة، ولا كثرة فيه بوجهٍ من الوجوه، تيقّنتَ أنّه واحد، وأنّه ليس في الوجود واجبا وجودٍ، واستغنيتَ عن تطويلات القوم.

وإن شـئـتَ قلـتَ: لو كـان هنـاك واجبـا وجودٍ، لَاحتاجا إلى الفارق غير الذي به الاشتراك، فلا وجوب.



[الفصل السابع: في إثبات واجب الوجود وبعض أحكامه]

إشـــارة: لمّـا تعدّدت الأجســـام وهيئاتها، واتّحد الواجب، اتّفقت كلّها بالإمكان ضرورةً، فاحتاجت حينئذٍ إلى المرجّح، وهو الواجب.

ولا يتركّب من جزئين، وإلّا لَما كان واجباً.

ولمّا كانت الصـفة تحتاج إلى محلّها، لم يصـحّ أن تكون واجبة. فلا صفة للواجب زائدة يســتكمل بها، وإلّا لكان ناقصــاً وهب الكمال لنفســه، فهو أكمل من ذاته؛ إذ الواهب للكمال أكمل. ويلزم أن تكون قابلة وفاعلة.

وإدراكه لذاته عين حياته، وقدرته علمه؛ لأنّه غير محتاج إلى تحريك الآلات.

ومنه قول بعضهم: «إنّ مشيئته قدرته، وما يدرَك بصفة يدرَك بجميع الصفات؛ إذ لا اختلاف ثَمّة، فلا ثَمّة إلّا شيء واحد».

ومنه قول سيّد الأولياء: «لا يوصَف بالصفات».

ومنه قوله ـعليه السلامـ: «مَن وصَف اللّه ـسبحانهـ فقد قرَنه، ومن قرَنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله».

والعلم لا يوجب التكثّر في ذاته تعالى.

فكمالاته حاصـلة له، فلا يمكن عليه شيء؛ إذ ليس بذي جهة كائنة. وقد عرفتَ أنّ وجوده عين ماهيّته، فلا يكون عرضـاً أو عارضـاً ليحتاج إلى علّة. ولا كذلك الأجسام؛ لإمكانها، فوجودها يحتاج إلى علّة ضرورةً.

ولا مشـــاركة بين الواجب وبين غيره في جزء، ليحتاج إلى مميّز؛ لِوحدته المطلقة. فلا محلّ، ولا حالّ، ولا قيام له بغيره، ولا ضدّ، ولا ندّ، فكينونته ماهيّته ووجوده.



[الفصل الثامن: في سبب نفي الصفات الحقيقيّة عن الواجب تعالى]

إرشـاد: الذي نفَينا عن الواجب من الصـفات هي الحقيقيّة، لا الإضـافيّة والسلبيّة والاعتبـاريّـة؛ لأنّ الأُولى غير متقرّرة في ذوات الأشــيـاء، فلا تتغيّر بتغيّرهـا الـذات؛ كالمبدئيّة، والعلّيّة، والمُبدعيّة.

وكذا الثانية ـ كالقدّوسـيّة والفرديّة والأحديّة ـ، والثالثة ـ كالشيئيّة والحقيقة والحقّيّة والذاتيّة ـ، فإنّها إمّا سـلوب لعوارض، كالقدّوسيّة؛ وإمّا سلوب لقسمة، كالفرديّة؛ أو لا وجود لها في الأعيان، ككونه شيئاً وحقيقة؛ فإنّ هذه الثلاثة لا يتمّ فيها برهان المنع.

وإن حقّقتَ لم تجد إضافات متعدّدة، بل إضافة واحدة مصحّحة للكلّ، كالمبدئيّة. ولا سلوب كذلك، بل سلب واحد يتبعه جميع السلوب، وهو سلب الإمكان، المستلزم لسلب جميع لوازمه. فافهَمه؛ فإنّه دقيق.



[الفصل التاسع: في قاعدتَي «الواحد» و«الإمكان الأشرف»]

تنبيه: إنّ الواحد من جميع جهاته واعتباراته وإراداته لا يوجِب ما ليس بواحد. وله شواهد؛ فإنّه إذا صدر عنه اثنان من غير واسطة، فاقتضاء أحدهما غير اقتضاء الآخر، ففيه جهتان، يقتضي بإحداهما أحدهما وبالأُخرى الآخر، فليس بواحد. فلا بدّ من الواسطة. فالأوّل المرجّح لكلّ ما عداه دائمٌ، فيدوم الترجيح. وليس قبل الممكنات غيره، ولا وقت ولا شرط ولا داعية ليتوقّف عليه الترجيح، وليس في العدم حال ليكون أولى به فعل شيء لم يكن. فالعلّة متقدّمة في العقل، لا بالزمان، وهو التقدّم بالذات، فدوامها مستلزم للدوام.

وجود الممكن الأخسّ مستلزم لوجود الأشرف من فيّاض الوجود والجود، فلا يقتضي بجهته الوحدانيّة الأخسَّ، وإلّا لزم من فرض الأشرف وجودُ جهة أشرف ممّا عليه الواجب، وهو محال. فوجود الماهيّات المجرّدة المتصرّفة في عالم الأجرام مستلزم لوجود العقول؛ لأنّها أشرف منها، وهُم المسمّون بالكرّوبيّين والسُرادقات النوريّة.

وليس العقل الأوّل جسماً؛ لتركّبه من الهيولى والصورة، بل يكون جوهراً عقليّاً. فهو جوهر عقليّ وحدانيّ، هو الأمر الأوّل ونوره الأعلى.



[الفصل العاشر: في الأغراض وحركات الأفلاك]

تنبيـه: إنّ الجود إفـادة ما ينبغي لا لعوضٍ. ولمّا امتنع ذلك على الحقّ تعالى، فلا معـامل، فهو المَلِك، له ذات كلّ شـــيء، وليس ذاته لشـــيء. فهو الغنيّ المطلق، فلا يتوقّف كمال له على غيره. والعالي لا غرض له في السـافل، وإلّا لكان أولى به، تعالى اللّه عنه.

إنّ حركة الفلك غير طبيعيّة، وإلّا لَوقف، ولا قسـريّة؛ لعدم القاسـر. بل هي إراديّة تابعة لغرضٍ ليس بشـهوانيّ ولا غضبيّ؛ إذ لا زيادة، ولا مزاحم، ولا محمدة، ولا يُبنى الدوام على الظنّ، مع أنّه لا نسـبة بين العالي والسـافل. ولا لأمر جزئيّ، بل لأمر كلّيّ هو إرادة كلّيّة تشـبّهاً بمعشـوق ليس واحداً، وإلّا لَتشابهت الحركات. بل لكلٍّ معشوقٌ خاصّ هو علّته، تمدّه بنورها، وهي المفارقات بالكلّيّة، فتفيض عليه الأشـواق واللذّات الغير المتناهية من معشـوق مشترك. فلأجل ذلك تشابهت في الدوريّة الأحديّة لوجدة ولذّة، وتعاقبت على الدوام.

فالعوالم ثلاثة:

ـ عالم العقل، وهو الجبروت.

ـ وعالم النفس، وهو الملكوت.

ـ وعالم الجرم، وهو المُلك.

والأخير مطيع للأوسط، وهو مطيع للأوّل، والكلّ تحت قهر المُبدع.



[الفصل الحادي عشر: في ترتيب الوجود]

دقيقة: فيلزم عن القاعدة المذكورة تكثّرُ العقول؛ فإنّه لمّا ثبت أنّ هنا ذواتاً مجرّدة لا تعلّق لها بالأبدان فلا يُتصوّر كثرتُها ولا كثرة الأفلاك عن الأوّل من غير وسط، فوجب بالأوّل واحد. والأفلاك أيضاً لم تجب بواحد؛ إذ لكلّ فلك معشوق يكون علّته. فالعقول ينبغي أن يكون واحداً عن واحد سلسلة. وليس في كلّ واحد من الجهات، إلّا أنّه واجب بالأوّل، وله نسبة إليه، وممكن في ذاته، فاقتضى بما يعقل من نسبته إلى الأوّل شيئاً أشرف، هو عقل آخر، وباقتضاء ماهيّته وإمكانه جرماً ونفساً، فكان تسعة أفلاك، لها تسعة من المبادئ العقليّة، ومع القمر عاشر، منه العالم العنصريّ ـعلى ما قرّره المشّاؤون ـ.

ولا بدّ من ترتيبها في الطبقة الطوليّة والعرضيّة؛ لانتساب الأشرف إلى الأشرف، والأخسّ بالأخسّ.

وحصر العقول في التسعة ـكما يقوله المشّاؤون ـ لم يُقَم برهان عليه، بل لا يُحصي عددَهم عقولُ البشر. وله شواهد من الآثار النبويّة.

والعالم العنصريّ مرتّب مع الفلكيّ عقيب ترتيبه الطوليّ، حاصل عن الفعّال، وهو العقل العاشر ـعلى مذهب المشّائين ـ. وله معاونات من حركات الأفلاك، مُعدّة للعناصر لاستعدادات مختلفة، فيختلف استعداداتها للكمالات من الواهب. وهذا الواهب المُفيض للصور بواسطة الأفلاك المتحرّكة المُعدّة بتلك الحركة للعناصر بالاستعدادات المختلفة لقبول الأمزجة المختلفة المستلزمة لفيض النفوس اللائقة لذلك الاستعداد، يُسمّى بروح القدُس واللوح المحفوظ. فهو المُفيض للنفوس، ونسبتها إليه كنسبة الشمس إلى الأبصار، وهو القائل لمريم: ﴿أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾، فهو واهب المسيح وجميع نوعه.



[الفصل الثاني عشر: في تكثّر معلولات العقل الفعّال]

إيضـــاح: واعلَم أنّه لمّا كان الحادث يســتدعي مرجّحاً حادثاً، فلا بدّ من حوادث مترتّبـة غير مجتمعة الآحاد لا إلى نهاية، وهي الحركات. ولمّا كانت المســتقيمة ذات نهايةٍ، وجب أن يكون هي المستديرة. فالزمان مقدارها، فهي حركات الأفلاك.

وتكثُّر معلولات الفعّال بواسطة الاستعدادات المختلفة؛ لجواز اختلاف آثار الواحد باختلاف القوابل. ولا يتغيّر العقولُ ولا علومُها؛ لأنّها ليســت بزمانيّة. فتجدُّد الأشــياء بتجدُّد الاستعدادات. واجتماع الحركات محالٌ، فحال ماضيها كحال مستقبلها.



[الفصل الثالث عشر: في المعاد]

تكميـل: الكلمة لا تنعدم، ولا يتطرّق إليها الفناء؛ لدوامها في حقيقتها، ووجودُها بدوام موجبها الحاصـلِ عنه وجوبُها الغيريّ. ولا تنتفي لانتفاء شـرط ـلكمالهاـ. ولا تنتفي بوجود مانعٍ ينافي وجودها، فتبطل بوجوده؛ إذ لا مانع متصـوَّر هناك؛ لأنّها غير جرميّـة، فلا مزاحم لهـا حينئـذٍ ليكون وجوده مُنـافيـاً لوجودها لتنتفي بوجوده. وإنّما احتاجت إلى الآلات في تحصـيل أفعالها، والمزاج والروح إنّما هما شـرطان لتعلُّقها بالبدن، ولا شرطيّة لهما بالنسبة إلى ذاتها.

وإليه الإشارة في الكتاب الإلهيّ: ﴿أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً﴾.

وقال ـعليه السلامـ: «إنّكم لا تموتون، وإنّما تُنقَلون به مِن دارٍ إلى دارٍ».

وقول عليّ ـعليه السلامـ: «الناس نيامٌ، إذا ماتوا انتبهوا».

وقوله ـعليه السلامـ: «النوم أخو الموت».

واعلَم أنّ اللذّة إدراكُ ما وصـل من كمال المدرَك وخيره إليه، من حيث هو كذلك. والألـم هو إدراكُ ما وصل من شرّ المدرَك وآفته إليه، من حيث هو كذلك.

وكمالُها بانتقاشـها بالوجود ومعرفةِ المعاد ودقائق الكونين. ولذّتها أقوى اللذّات وأكملَها؛ لكمالِ إدراكها وشـرفِ مدرَكاتها، فلا عائق عن إدراك لذّاتها وآلامها؛ إذ ليس إلّا علاقتهـا، فتحقّق بـذلـك قوّة اللذّة والألم. فمتى فارقَت زال المانع فيه، وتلذّذت بالكمال المذكور، أو تألّمت بنقصها بعدم الانتقاش بالكمال.

والعذاب الحاصل بالنار التي تنبعث عن ذات النفس، ويكون منشؤها منها، بسبب بُعـدها عن المُبدِع لها، فإنّها أقوى في التأليم من عذابها بالنار الجرمانيّة؛ فإنّ تحكُّم

الملَكات الرديئة الحاصلة عن ذلك الجهل، الموجب لذلك التعلّق، المستلزم للبقاء في الظلمات والحُجُب بل والانحطاط إلى عالم الجرم والتعلّق فيه بالمظاهر المتعدّدة، ألمٌ لا يناسبه ألمٌ، نعوذ باللّه.

إنّ الحركات توجب الكائنات، والكلّ بالقدَر السابق، وهي حاملة لعذابها معها، بلا منتقمٍ خارجيٍّ. وليس ابتلاؤها بالمعاصي بالقدَر ليكون تعذيبها ظلماً، بل إنّما هي أعمالهم رُدَّت إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَحاطَتْ بِهِ خَطيئَتُهُ﴾، وإليه أشار بقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحيطَةٌ بِالْكافِرينَ﴾.



[الفصل الرابع عشر: في النبوّة]

ختام: إنّ احتياج الناس إلى ضـابطٍ لأُمور معاشـهم، مذكِّرٍ لهم بأحوال معادهم، رادعٍ لهم عن اختلال نظام اجتماعهم، يوجب في العناية وجودَ شـخصٍ كاملٍ في كلّ عصر، قائماً بذلك، مُصلِحاً للنوع، مؤيّداً بأمر إلهيّ؛ ليفرض عليهم قربات اللّه تعالى؛ ليُخرجهم عن القوّة البهيميّة.

إنّ ما تراه من الأفعال الخارقة للعادة ـ من التحريكات، والتسكينات، وإنزال العذاب، والاستسقاء، وغير ذلك ممّا يحصل من إخوان التجريد ـ لا يصعب عليك تعقُّلها والتصديق بها؛ فإنّ بدنَك أطاع الكلمةَ، مع عدم انطباعها فيه. وبدنُك قد يرد عليه مسخِّن شديد ـ وإن كان شديد البرودة ـ بغضب نفسك. والأوهام رأَينا من تأثيرها أمراً بليغاً، إذا تتبّعه مَن تحدّس الأحوالَ عرف آثاره العجيبة.

فمتى تمّ كمال النفس، تأيّدَت بروح القدُس، ويفيض عليها الأنوارُ المُشرِقة من الروحانيّات الفعّالة ما تفعل به الأعاجيب، ويتأثّر عنها مادّة العالم، فلا عجب من أن تكون كالنفس لجملة العالم. فتدرك العلوم بدون تعلُّمٍ؛ لقوّة جوهرها على إدراك المعقولات في أقصر زمان؛ لِقُربها من المبدأ.

والإخبار بالكائنات جائز لها؛ لأنّ الكلمات المتصرّفة في الأجرام الفلكيّة لها الاطّلاع على لوازم حركاتها الماضية والمستقبلة، ولا حجاب بينها وبين الكلمة الإنسانيّة الكاملة؛ إذ متى قطعَت العلاقة الجرميّة بالرياضات المُخلّة للمتوهّمة والمتخيّلة المشوّشَين لقوّتها بالذَكاء، انتقشَت بالأُمور القدسيّة، فتسري إلى عالم المثُل، وتلمع في الحسّ المشترك، فترى الأشياء مشاهدةً في نوم أو يقظة، وترى صوراً حسنة، وتسمع خطاباً جيّد السياق، ويظهر لها صور الغيب مشاهدةً.



[الفصل الخامس عشر: في الشيطان والجنّ]

دقيقة: إنّ الإنسـان ما دام في هذا العالم، لا ينقطع عنه وسـواس الخنّاس المسـلّط على الناس، وذلك هو الوهم. فهو إبليس الذي أبى عن السـجود لكلمة اللّه وخليفته، الذي سجدت له ملائكة القوى كلّها. ولهذا إنّ الوهم يُنكر أحكامَ العقل من المجرّدات عن الموادّ. ومن هذا الباب قال ـعليه السلامـ: «ما منكم إلّا وله شيطان».

وباستيلاء المتخيّلة على الحسّ المشترك ـلفَترة الحواسّ عن استعماله، أو اشتغال النفس عنه في الأفكارـ قد يلوح صور في الحسّ المشترك هي الجنّ.



[الفصل السادس عشر: في الاشتراك والافتراق بين النبوّة والولاية]

كشـف: النبوّة والولاية يشتركان في تحصيل العلم من غير كسبٍ، وفي فعل الخوارق بالهمّة في ما لم يَجرِ العادة بفعله إلّا بالقوّة الجسمانيّة، وفي رؤية عالم المثال في الحسّ المشترك.

ويفترقان بالخطاب؛ إذ خطاب النبيّ غير خطاب الوليّ. وفي المعارج؛ فإنّ معارج الأولياء ليس كمعارج الأنبياء؛ إذ لو اشتركوا في حكم المعارج، لَوجب أن يكون للوليّ ما للنبيّ، وليس. فاجتماعهما في المقامات. ومعارج الأنبياء بالنور المتأصّل، ومعارج الأولياء بالنور المُفاض عن النور الأصليّ. ولهذا إنّ كلّ وليّ يأخذ ما يأخذه بواسطة روحانيّة نبيّه وصاحبِ شريعته. فمِن مقامه يشهد، ومنه يعرف. وهنا أسرار لطيفة يضيق عنها العبارة، بها يتفاوتون في القرب والبُعد والحالات.

ولمّا كان محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ هو المَجمَع لجميع مقامات الأنبياء، كان مقام أولياء محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ جامعاً لجميع مقامات الأنبياء، بواسطة النور المحمّديّ الجامع يشهدون جميعها. فلهذا صاروا أفضل من الأنبياء وأكمل، حتّى قد يكون الواحد منهم حاوياً لمقامات أُولي العزم، بسبب ملاحظة الحالة الأحديّة، فيكون أكمل منهم.

وقد يكون منهم مَن يرثُ مقاماً واحداً منهم بسبب ملاحظة حالٍ من الأحوال المحمّديّة المناسبة لذلك المقام. فيكون حاله كحال إبراهيم أو كحال موسى، بسبب قوّة المعرفة بمقامه مع اتّصافه إلى القطب الذي هو قلب محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ المحيط بقلب إبراهيم وموسى وغيرهما. بل محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ

هو المُعطي لجميع الأنبياء والرسُل وأوليائهم مقاماتهم في عالم النور، وفي عالم الأرواح، وفي عالم المثُل، حتّى لاحت بالصور الجسميّة في عالم الجرم. فجميع الأنبياء والأولياء الذين سلفوا يأخذون عنه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ، فالولاية المحمّديّة شاركت الأنبياء في الأخذ عنه. ومن هذا يُعرف سرُّ قوله ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ: «علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل».

فإذا تطلّع سرّك على هذه الغوامض، وتنبّهتَ لمعانيها، علمتَ أنّك إن كنتَ حكيماً صرفتَ الهمّة في المجاهدة للوراثة المحمّديّة، حتّى تعرف ما تنال فيها بالاطّلاع على مقامك فيها؛ فإنّ الحكيم الكامل والمحقّق الفاضل مَن عرَف مقامَه، وعامَل كلَّ حالة ووقت بما يليق به، ولا يخلط مقاماً بمقام؛ فإنّ هذه كانت طريقةَ محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ والأولياء من بعده ـعليهم السلامـ.



[الفصل السابع عشر: في الرجوع إلى مباحث الطبيعيّات]

انتقال: وقوع الممكنات جميعها دفعةً مستحيلٌ. ولمّا كانت كلمات اللّه غير متناهية، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾، وقوّة الفاعل غير متناهية، والهيولى لها قوّة القبول الغير المتناهي، والمبادئ لا تتغيّر، وهناك أجسام متحرّكة لغرض علويّ، فيلزم ذلك رشح خير دائم، استلزم استعدادات لا يصحّ أن يكون كلّها نوريّة؛ لاشتداد الحرارة حينئذٍ، ولا ظلمانيّة، وإلّا لَما حصلَت العنصريّات؛ لبقائها في الظلمة دائماً، فلا تستعدّ لقبول النور، فلا يحصل الأنوار المدبّرة. فلا تبقى على حالة واحدة، ولا دائرة واحدة؛ لاستلزامه فساد الكائنات. فلا بدّ من حركة سريعة هي اليوميّة لكلّ فلك بالعرض؛ وأُخرى بطيئة لنفسه.

فالنار عند الفلك، ودونها الهواء؛ لشركته معها في الحرارة، ودونه الماء؛ لشركته له في الرطوبة، ودونه الأرض؛ فهي الثقيل المطلق، فكان للماء أخاديد عن الأرض لبقاء الحيوان، ﴿ذلِكَ تَقْديرُ الْعَزيزِ الْعَليمِ﴾.

وللعنصريّات المركّبة حرارة محلّلة ملطّفة محرّكة، وبرودة مسكّنة عاقدة، ورطوبة قابلة للتشكّل مرقّقة، ويبوسة حافظة للشكل. والحيوان احتياجه إلى الجوهر لحفظ الصورة وربط الأجزاء، والعناصر المتركّبة أوجبَت لكلّ مزاج كمالاً. والتحليلُ أوجب الغاذيةَ، والازديادُ في الكمال أحوَج إلى النامية، واستبقاءُ النوع استلزَم المولّدةَ. وللغاذية خوادم: جاذبة، وماسكة، وهاضمة، ودافعة.

وزاد للمزاج الشريف المعتدل بالكلمة المُدرِكة للمعقولات الكلّيّة، فإذا كمَلت عادت إلى ربّها، فمتى فارقت صارت عقلاً؛ فما خلِق الإنسانُ عبثاً؛ بل لا بدّ من رجعته يوم الحشر.



[الفصل الثامن عشر: في ذكر بعض الأغاليط، والجواب عنها]

ردّ أغاليط: قول جالينوس بالمزاج، وهو غلط فاحش خارج عن سنن أهل الحقّ.

وقولُ مَن قال بقدم العالم، وأنّه لا قيّم له، بل واجب لذاته.

والجواب أنّ العالم الممكن المحتاج إلى الصانع لا يُتصوّر أن يكون قديماً؛ إذ لا قديم إلّا واجب الوجود الواحد الفرد. فقول المَلاحِدة بقدم العالم وأنّه لا قيّم له، لا يُلتفَت إليه بعد بيان فساده بما تقدّم.

وحركات الأفلاك دائرة بأمره وكلمته، لا بطبعها، كما يقولون.

والأوّل تعالى لا يتقوّم بالأجزاء ـكما سبقـ، فقول النصارى بالأب والابن غلط فاحش؛ فإنّ الأب بمعنى المُبدِع، والكلمة هو الابن لروح القدُس بمعنى التسبّب، لا على ما توهّموه.

والتغيّرات الواقعة على الأجرام لا تتعدّى إلى مُبدِعها، فلا تغيّر في أمره، بل المتغيّر هو العالَم، لا المُبدِع. فبتغيُّر الأحكام لا يتغيّر البارئ، بل يتغيّر الخَلقُ.

والجهة الإمكانيّة التي هي أوّل جهاته وحيثيّاته أوّلُ خلقه، ليست هي منبع الشرّ؛ إذ منبعه العدم. فالشرّ لا ذات له؛ لأنّ العدم لا ذات له، بل الشرّ هو عدم كمال؛ إذ الوجود لا يُبطِل شيئاً عن غيره، ولا يُعَدّ شرّاً، بل الوجود كلّه خير محض، والخير المحض هو الوجود المحض. بل من الأجسام ما لا يُتصوّر إلّا ويتبعه شرّ قليل بالنسبة إلى خيرات وجوده، ولا يجوز في العناية تعطيلُ خيرٍ كثير لشرٍّ قليل. وإنّما لزم من الجهة الإمكانيّة، ولوازم الماهيّة لذاتها، لا يمكن رفعُها. فلا يُلتفَت إلى هذيان المجوس.



[الفصل التاسع عشر: في ممانعة الظلمات عن مشاهدة عجائب العالم العقليّ]

تحقيق: إنّ في العالم العقليّ والصُقع الإلهيّ عجائب لا يحيط بها عقولُ البشر المنغمسةُ في الظلمات. فما يشاهَد في عالم الجرم من الغرائب والعجائب، فهناك أطرف وأعجب؛ فإنّ تدبير المبدأ الأوّل المتقن وتنظيمه المحكم، لا تدركه أفكارنا؛ فإنّ ظلماتنا مانعةٌ عن المشاهدة لتلك العجائب. ومَن طمع في الاطّلاع على عالم الربوبيّة وعالم العقل، مع تعلّقه بعالم الحسّ وعلائق الأجسام وموانع الظلمات، فقد طمع في غير مَطمَع. كما أنّ الغائص في قعر اللُجّة لا يبصر السماء كمن هو في الهواء. فقِس ما غاب عنك على ما حضَرك حتّى يأتيك العيان.



[الفصل العشرون: في بيان أنّه لا مؤثّر في الحقيقة إلّا اللّه]

تذكير: ما أشـرنا إليه من إثبات الوسـائط وإسـناد التأثير إليها، لا تظنّ أنّه مانع من إسناد الكلّ إليه، بل لا فاعل في الحقيقة عندنا سواه؛ فإنّه لا يُتصوّر استقلالُ فاعلٍ منها بتأثير آثاره في حضور قهره العليّ.

واعتبر بنور الشـمس وقهره على سـائر أنوار الكواكب؛ فإنّ النور التامّ يقهر الناقص في تأثيره، ولهذا انطمست أنوار الكواكب بطلوع الشمس، فلا تظهر معها، ولا يظهر لها آثار عند تأثيرها، حتّى يصير الفعل بالحقيقة للشمس.

ولمّا كان المبدأ الأوّل إشـراقه غير متناهٍ قوّةً وشـدّةً، كان قاهراً لِما دونه، فهو الفاعل الغالب مع كلّ واسـطة، ومُعطيها فعلها، والفائض عليها التأثير. فهو الخلّاق المطلق، وهي في الحقيقـة شـروط. فهو الفاعل بذاته على الحقيقة؛ إذ ما عداه شـعاع منه، أو شعاع من شعاع منه. فما عداه ضعيف مقهور لأنواره وأشعّة ذاته. فليس شأن في الوجود ليس فيه شـأنه، منه المبدأ وإليه المنتهى. نعم! قد يتسامح المشايخ في نسبة الفعل إلى غيره على سبيل المجاز، لا الحقيقة؛ إذ لا مؤثّر في الحقيقة إلّا اللّه تعالى.



[الفصل الحادي والعشرون: في بيان أنّ الحقائق العقليّة هي الحقائق الحقيقيّة]

تلويح: إذا دقّقتَ نظرك وجدتَ أنّ الحقائق العقليّة هي الحقائق الحقيقيّة، وهذه المحسوسات مظاهرها، فهي مراياها. فالعالم الحقيقيّ هو المثاليّ، والعالم الجرميّ هو الخياليّ. ومقصودُ سُلّاك الأُمم وصولُ الحقائق بقطع علائق البدن، المانعة للكلمة لتصلَ إلى المقصود، فمَن وصَل اتّصل. وإليه الإشارة بقوله ـعليه السلام ـ: «اللّهمّ أرِنا الحقائقَ كما هي». فالواصل ينقطع عنه المشاهداتُ الخياليّة.

فلا تطرح الكون بالكلّيّة، وانظُر العالَمين وكيفيّة الانطباق بينهما، تُصِب الحكمة. فالمثاليّ لا يتمّ بلا مظاهره، والمظاهر لا تكون مظاهر بدون كونها مظاهره. ولا تسلبك أوهام الإباحيّة، الناظرين بالعين الواحدة السقيمة إلى أحدهما، وأغفلوا كيفيّةَ الارتباط؛ فإنّ كثيراً من السالكين قد استهام بهم الجِبتُ إلى الإباحة والإلحاد، فتركوا الظواهرَ بالكلّيّة وثوقاً بالوصول، وعطّلوا الحدودَ الشرعيّة، وذلك ضلالٌ عظيم وخسرانٌ مبين. وأهل القصور وقفوا على الظواهر، ووقفوا بالقشور، وحشوا معدتَهم بها، فوقَعوا بذلك في تيه العمى.

فأخِّر الطائفتين وراءك، وانبِذهم على سواء؛ وانظُر بعينك إلى العالَمين، والمَح ببصيرتك دقائقَ الكونَين، وافهَم قولَه تعالى لموسى ـعليه السلام ـ: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾؛ فإنّ له ظاهراً وباطناً.

وفي السنّة من هذا شيء كثير.

كقوله ـعليه السلام ـ: «لا تدخُل الملائكة بيتاً فيه كلب».

وقوله ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ: «الذين يشربون في آنية الفضّة إنّما يُجَرجر في

بطونهم نار جهنّم».

ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّما يَأْكُلُونَ في بُطُونِهِمْ ناراً﴾.

فلا تطوي بساط الأحكام الظاهرة، ولا تغفل عن الحقائق، فبين الأمرين ارتباطٌ لا يتوفّق له إلّا أُولوا البصائر. فقد قيل: «إنّ الكامل من لا يُطفئ نورُ عرفانه نورَ ورَعه»، بل الكُمَّل أشدّ مواظبةً على محافظة الحدود الشرعيّة والقيام بها. فلَم نجِد لأحدٍ منهم فَرطةً في إهمال شيء منها، ولا المسامحة في تركها لغيره.

فلا تلتفِت إلى أوهام الإباحيّة وقولهم: «إنّ الحكمة تركُ الصور ورفض الظواهر؛ إذ بالحكمة يتحقّق معاني الأشياء، دون صورها، فبمُمارستها تطّلع على الحقائق دون الظواهر». ولم يخطُر ببالهم أنّ الصور مرتبطة بالمعاني، وظواهر الأشياء مبنيّة على حقائقها. بل الحقيقة تركُ ملاحظة العمل، لا ترك العمل ـ كما توهّموه ـ. وإليه الإشارة بقول سيّد الأولياء: «ما عبدتُك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنّتك، بل وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتُك». وهؤلاء أبعدُ الطوائف عن الحكماء عقيدةً، وأخبثُ المُعاندين سريرةً.



[الفصل الثاني والعشرون: في الفضائل والرذائل]

إرشــاد: إذا أدمتَ فكركَ في الملكوت، مواظباً على الذكر الصــادر عن خضــوعٍ، وفكرةٍ لطيفـة مســتعـدّة عن تقليل الأغذية وإماتة الشــهوات وإســهار الليالي، بالذُلّ والاســتكانة عند الربّ الجليل بالإخلاص وحُســن الطَويّة، لا تلبَث إلّا قليلاً، وتأتيك البوارقُ اللامعة، والأنوارُ المُشرِقة، والخلساتُ اللذيذة.

إنّ كمال نفســك إنّما هو بتشــبُّهها بالمبادئ العالية بحســب الطاقة البشــريّة. فتجرَّد بحســب القدرة، وتلطَّف بتلطيف سرّك بالأفكار الصحيحة والرياضات المهذّبة بتهذيب أخلاقك، وطهارة ظاهرك وباطنك من جميع الكدورات. وليكن لنفســك اســتعلاءٌ على البدن، لا العكس؛ فإنّ كمالها بعلاقتها معه. وإنّما يحصل ذلك بالعدالة المطلقة المركّبة تركيباً اجتماعيّاً من الحكمة والشــجاعة والعفّة، وكلّ واحدة منها وســط بين طرفَي إفراط وتفريط، فهي فضــيلة محفوفة برذيلتَين. فالأُولى وســط بين البَلادة والجَربَزة، والثانية بين الجبن والتهوّر، والثالثة بين الشَــرَه والخُمود. وكلُّ الفضــائل والرذائل داخلةٌ تحتها، وهذه أُصولها.

ففروع الحكمة: الفِطنة، والبيان، وإصابة الرأي، والحزم، والصدق، والوفاء، والرحمة، والحياء، وعِظَم الهمّة، وحسن العهد، والتواضع.

وفروع العفّة: القناعة، والسخاء، والصبر، والحلم، وسَعة الصدر، وكتمان السرّ، والأمانة.

وفروع الشجاعة: الإقدام، والقهر، والتثبّت، وقوّة العزم، والشهامة، والنجدة، والغيرة.

فاستكمِل تكمُل.

[الفصل الثالث والعشرون: في مقامات السالكين]

تتميم: تعويدُك نفسَك للخيرات، والاتّصافُ بالكمالات حتّى تصير ملَكة لك، أوّلُ مقاماتك.

وما يعرض لك من الكمال، ثمّ ينطوي عنك بسرعةٍ، حالٌ.

وما يرد على النفس خاطرٌ. فإن كان عن الوهم، فخاطر شيطانيّ. وما هو عن دواعي الشهوة والغضب، نفسانيّ. وما هو في إصلاح القوّة العمليّة، ملَكيّ؛ لأنّه يطلب العدالة. والكلمة الزكيّة خاطر الحقّ.

وتداركُ الفائت والندم على فواته توبةٌ.

وحركةُ النفس للطلب إرادةٌ. فالطالب للطهارة الحقيقيّة مريد.

وابتهاجُ النفس بملائمها رجاءٌ، وتألّمُها بمكروهٍ خوفٌ، إذا حضرَت أسباب حصوله.

وإمساكُها عن الاشتغال بمَلاذّ البدن زهد.

وحبسُها عن الاضطراب صبر.

وملاحظتُها لنعم اللّه شكر.

وملاحظتُها للقضاء والقدر بلا طبيعةٍ توكّل.

وعدمُ تألّمها بهما رضىً.

وارتسامُ الحقائق في مرآتها معرفة.

وابتهاجُها بما هي فيه محبّة.

والخلسات اللذيذة المنطوية بسرعة نفحات، وإن بقيت زماناً فسكينة.

وتصرّفُ النفس في قواها البدنيّة تفرقة.

وحضور الغيب بخلسة الكلمة عن حواسّها غيبة.

والسوانح القدسيّة المُبطِلة نظامَ الحركات سكر.

وملاحظةُ مراتب المبادئ هيبة.

وانطماس الكلمة بالنسبة إلى المبادئ أُنس.

وإفرادها عن عالم الأجرام ـبحيث ينطوي ملاحظة المبادئ والترتيب في عظمته القيّوميّةـ توحيد.

وما تعلّق بالأُمور الجزئيّة من السوانح الغيبيّة مكاشفة.

والهيئات الفلكيّة الموجِبة لحصول هيئة في النفس الناطقة، طرأت بطريانها، وزالت بزوالها، وقت.

ولهذا رُبّ هيئةٍ أوجبَت حالاً من غير تعب كثير، وما عادَت لا بدّ من التعرّض لها. ولهذا قال ـعليه السلامـ: «إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها».

وغيبوبةُ الكلمة في ملاحظة لذاتها بمحبوبها ـلشدّة استغراقها معه، حتّى سقط شعورهاـ فناء. وهذا المقام ـأعني مقام الفناءـ هو آخر المراتب وأعلى المقامات.



[الفصل الرابع والعشرون: في ملاحظات حول هذه المقامات]

جمع: اعلَم ـأعانك اللّه ووفّقك ـ أنّ هذه الاصطلاحات وإن اختلفَت في عباراتها، فإنّ معانيها متقاربة. ويجمعها أنّها سوانح تعرض للكلمة، إمّا من البدن، أو من العالم الأعلى الروحانيّ. ومحو الروحانيّات للجرمانيّات.

وأمّا المعرفة فقد تتقدّم على المحبّة، وقد يتقدّم المحبّة عليها. ومتى كمُلت المعرفة أوجبَت المحبّة، وإذ تمّت المحبّة استدعَت المعرفة.

ومتى كنتَ ذا فِطنة وحدس قويّ، تحدّستَ أحوالك في تنزّلاتك من مكاشفات المفارقات، ونلتَ مقصودك من دون تعب كثير، ما لا يناله غيرك مع شدّة التعب. وللمشايخ في ذلك مدخل عظيم، والأهليّة للخدمة إنّما تحصل بالمعارف والمكاشفات.

واعلَم أنّ الاتّحاد والاتّصال لا يُتصوَّر ـعلى الظواهر ـ في ما ليس بجسم، بل هو راجع إلى استغراق النفس لأجل العلوم، بل راجع إلى انتقاش النفس بأمر غيبيّ يتأدّى إلى الحسّ المشترك، فهو معنى الاتّصال والاتّحاد. فالاتّصال بالعالم القدسيّ هو رفع الحُجُب، فهو اتّحاد عقليّ.



[الفصل الخامس والعشرون: في وصيّة المصنّف]

وصيّة: اعلَم أنّ الشمس الواحدة لا تتعدّد بتعدّد مظاهرها، بل والواحد الحقيقيّ لا يتكثّر بانطباعه في مرايا متعدّدة. والمدينة واحدة، والطرق إليها كثيرة مختلفة في القرب والبُعد، والحُزونة والسهولة. والحركات متعدّدة بتعدّد المتحرّكين، والمقصود عزيز المنال، والوصول إليه عسير، وأكثر الطرق خطير.

فاجتهد في أخذ الأُهبة بكثرةِ الزاد وكثرةِ الرواحل وإعدادِ الآلات. وعليك بعد ذلك كلّه بتقوى اللّه، والإخلاص في النيّة، بعد حفظ شرائعه بأوامره ونواهيه؛ فإنّها سَوطه الذي أدّب به عبادَه. واضبِط نفسَك عن الاشتغال بالزائد عن مهمّ بذلك الضروريّ. واستكمِل بالعلم، فيتأتّى لك كثيرٌ من الفضائل. وصُم عن الشهوات، وصلّ والليل مُظلِم، وعليك بالأوراد والتسابيحِ وقطعِ الخواطر الرديئة. وأكثِر من التطهير بطهارة روح القدُس. ونوِّر قلبَك باستحضار الأنفس المنوّرة القدسيّة، وقابِل معهم نفسَك؛ لتنجذب بالمماثلة، وينعكسَ عليها بعضُ شعاعاتهم، فتتخلّق بأخلاقهم. والتزم بالالتجاء إلى نور الأنوار، وَقِف على باب الملكوت بخضوع واستكانة، وتعرَّض لنفحاته، وأكثِر من الدعاء والابتهال إلى حضرة ذي الوجود والجود والإفضال، واسأل منه؛ فإنّه المُعطي الوهّاب. وتلاوة كتابه العزيز المحكم بالتدبّر لمعانيه من أعظم الذخائر وأجدى المنافع في حصول مطلوبك.

وقُل كما قاله بعضُ أهل الطريقة ـ بل صاحب الطريقة بالحقيقة ـ في بعض رسائله: يا قيّوم! الظلامُ أحاط بي، وحيّاتُ الشهوات لسعَتني، وتماسيح الهوى قصدَتني، وعقارب الدنيا لدغَتني، فصرتُ بين خُصومي غريباً، فخلِّصني يا ربّ! أُناديك يا ربّ! أنا غريق

في بحر الطبيعة. هالكٌ في نَهمة الشهوات، أنا مطروح على باب كبريائك، أ يحسن من لطفك ردّ الفقير؟ عبدك الملتجئ إلى جناب جبروتك، خلِّصه بجذبة من جذبات نورك. سبحان ربِّ الجبروت، سبّوحٍ قدّوسٍ، ربِّ الملائكة والروح.

إلهي! أنا العبد الآبِق، حلّ بي مرضُ المعاصي، ساقط على بابك على ظَمأٍ، فما بالُ مريضك لا تُعالجه، وظمآن لطفك لا تسقيه شربة من زلال عفوك؟

يا مَن قذف بنوره في هويّات السابقين، وتجلّى بجلاله على أرواح السائرين، وانطمس في عظمته ألباب الناظرين! اجعَلني من المشتاقين إليك، العالِمين بلطائفك.

يا ربَّ العجائب وصاحب العظائم، ومُبدِع الماهيّات وموجِد الإنّيّات، ومُنزِل البركات ومُظهِر الخيرات! اجعَلنا من المُخلَصين الشاكرين الذاكرين، الذين رضوا بقضائك، وصبروا على بلائك. إنّك الحيُّ القيّوم، ذو الجودِ العظيم والأيدِ المتين، والغفورُ الرحيم.

يا ربَّ الأرباب! يا مُمِدَّ الملكوت بنور جلاله! يا مَن إذا تجلّى لشيء خضع له! يا خفيّ اللطف! يا من رشّ نورَه على ذوات مُظلِمة، فنوَّرها، وقذَف شعلةَ شوقه على الأفلاك، فدوّرها وسيّرها! خضعَت لعظمتك الرقاب، ولانَت لهيبتك الصِلاب، وتلذّذَت بذكرك الأرواح الراقصات، وركدَت لبارق عزّتك الحواسّ الحائرات.

يا من برَق برقُ عزّته في سرائر المُنيبين، وزَمجَر رعدُ هيبته في قلوب الخاشعين! يا صاحبَ الكلمة العُليا! وربَّ السكينة الكبرى! هَب لنا من لدنك رحمةً. أفِض على نفوسنا لوامع بركاتك، وعلى أرواحنا سواطع خيراتك. اجعَلنا مِن السُعَداء العارفين لجلالك، المشاهدين لجمالك، الراهبين منك، إنّك على كلّ شيء قدير.



[الفصل السادس والعشرون: في أحوال السالكين إلى نور الأنوار]

وارد ورد على بعض أهل العرفان من مشايخ الصوفيّة، مسطورٌ في لوح الذكر من العقول العالِمات، والنفوس القاهرات، المنتقشة بجميع الكائنات. وهو أنّ السالكين السائرين إلى نور الأنوار ـ الحقّ تعالى وتقدّس ـ يقرعون أبواب النور، ويتوسّلون بالعلوم الحقيقيّة والأخلاق المرضيّة بالإخلاص والصبر، فيُجنّون بتُحَف الملكوت بالإشراقات النوريّة عليهم، ويُفاض عليهم صبّاً من ماء ينبوع البهاء والجلال ومنبع الكمال والجمال. فيطهَّرون بالطهارة النوريّة؛ فإنّ ذا الطَول يحبّ طُهرَ الوافدين إليه بالعلوم الحقيقيّة والأخلاق المرضيّة؛ فإنّ إخوان البصيرة اجتمعوا واتّفقوا على التنزيه المعنويّ أو اللسانيّ، ملازمين بخضوع وقنوت، ويذكرون ناظمَ طبقات عالمِ العناصر وعالمِ الأفلاك وعالمِ المثُل المعلّقة وعالمِ الأنوار المجرّدة، ويجتنبون الظلمات وأبناءها قياماً في هياكل قرباتهم، يُناجون أهل الحجُرات، يطلبون خلاص أسيرهم المحبوس في علائق الغواسق، ويقتبسون النورَ من معدِنه، اقتداءً بالصافّين والملائكةِ المقرّبين.

فقالوا: سبحان مَن جعَل الشمسَ ـ نوره الأوّل ـ وسيلةً لفيض جوده وإشاعة وجوده، وجواري شمسه وقمره خليفةً، وباقيها. فيتنعّمون ويُنعِمون بفيضهم وإشراقهم وأضوائهم في مدارجهم، فينتفعون ويُنفِعون النازلين في السوافل من المستعدّين. وأهل التطهير في مَحاريبهم في الصلاة خاشعين بالقرآن والأذكار، وينادون: ربّنا! اطمِس عنّا غياهب ظلمة الجهل؛ إنّه دثار الظالمين. إنّا آتيناك طائعين، وأشارَت إليك أرواحُنا بالتقاديس وأنواع التطهير؛ طلباً للترقّي والصعود إلى مقاعد جلالك ومَطرَح نورك. فطهِّرنا بأيدك

القويّ. وبسَطنا أيدينا لرزقك من الكشف والعرفان. فافتَح أبصارَنا بنورك؛ فإنّ جلالك وجدناه فوقَ أساطين الجبروت، ونظامه من ملوك الحضرة مرتدياً بالكبرياء، وتحت شعاعه جميعُ الأنوار المجرّدة والقاهرة إليه ينظرون.

فأُولوا العزيمة والكمال في البسيطة يطهّرون؛ ليصلحوا لجواره، ويبغضون السيّئات والمعاصي. ولو لاهم لقذفت السماء وبالاً وعذاباً على البسيطة، فترتجّ وترتعد، وتطحّن الظالمين.

ولمّا بعث اللّهُ أنبياءَه إلى خلقه لِيعبدوه، فريقٌ نسكوا، وفريقٌ زاغوا، فمالوا مبعَدين عن الحقّ. فالناسكون مرفوعون إلى مشاهدة الضياء والعوالم العقليّة، ويدخلون في صفوف هذه الملائكة، ويطهّرهم اللّهُ ويقدّسهم بطهارته، فيُنعَمون دائمون. وأمّا الزائغون فيبعُدون عن جواره، يُلقى عليهم الذُلّ والهَوان، مُنكَّسون على الرؤوس في حجاب الظلمات وحَنادس الجسمانيّات.

برزَت النفوسُ الطاهرة من ظلمات الهياكل إلى فضاء الأنوار، ووهب لها البسيطةَ والسعةَ، فرجعوا مُكرَّمين وضمان اللّه لهم، يقبضهم إلى جناب الحقّ وعالم العقل في عين الحيوان، مع الأنوار وبحر النور وعين الحياة على الآباد. فمطيعُ الرحمن يغشاه بارقٌ من نوره ويجعلهم بلقائه فائزين، ﴿أَلا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، جعَلنا اللّهُ وإيّاكم من المستعدّين، وألهَمنا وإيّاكم حسنَ اليقين، ورزَقنا وإيّاكم الفوزَ مع الفائزين برحمته، فهو أرحم الراحمين.



[خاتمة الكتاب]

والحمدُ للّه ربّ العالمين، وصلواته وتحيّاته على محمّد وآله الطاهرين وأصحابه الفاضلين.

فرغتُ من تأليفها ـوكانت بنت ليلتهاـ في منتصف آخر ليلة من شهر ربيع الأوّل، سنة اثنين وتسعين وثمانمئة، على يد الفقير إلى اللّه الغفور، محمّد بن عليّ بن أبي جمهور، بالمشهد الغرويّ المقدّس ـعلى ساكنه أفضلُ الصلاة والسلامـ. وغفر اللّهُ لنا ولكم ولجميع المؤمنين، إنّه غفور رحيم.



موضح الدراية لشرح باب البداية

[خطبة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ربِّ يسِّر، ولا تعسِّر، وتمِّم بالخير[١]

[بيان ذاته ومرتبته تعالى]

يترفّع شأنك المتعالي، يا مَن منَّ علينا بعفوه! بالابتهال [إليك نقوم ونقعد][٢]. صلِّ على أكمل الذوات المقدّسات، وأطهر النفوس[٣] الفاضلات، محمّد المصطفى وآله البرَرة الهُداة، ما دامت الأرض والسماوات.

[٤]< اعلَم أنّ كلّ موجود[٥] فله ذات ومرتبة، ولمرتبته أحكام تظهر في وجوده المتعيّن بحقيقته الثابتة، فيسمّى آثار تلك الأحكام في ذات صاحبها أحوالاً. والمرتبة عبارة عن حقيقة كلّ شيء، لا من حيث تجرّدها، بل من حيث معقوليّة نسبتها الجامعة[٦] بينها وبين الوجود المُظهر لها والحقائق التابعة لها؛ فإنّ بعض الحقائق تابع للبعض، والتابعة أحوالٌ للمتبوعة وصفاتٌ ولوازم. والموجودات[٧] ليست زائدة على حقائق مختلفة ظهرت بوجود واحد تعيَّن وتعدَّد في مراتبها وبحسبها؛ لأنّه[٨] إذا اعتبِر مجرّداً عن الاقتران بهذه الحقائق[٩] يتعدّد في نفسه.

---

(١) قد عمدنا إلى حذف بعض العبارات المذكورة بعد البسملة من مخطوطة A، وقد ذكرنا سببه في المقدّمة: ٣٢/١

(٢) إليك نقوم ونقعد: إليه تقوم وتقعد A

(٣) A1a

(٤) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(٥) موجود: + كائناً ما كان P

(٦) الجامعة: إلى A

(٧) الموجودات: الوجودات Ps

(٨) لأنّه: لا أنّه P

(٩) الحقائق: + لأنّه A

وللحقّ تعالى ذات ومرتبة.

ومرتبته[١] عبارة عن معقوليّة نسـبة[٢] كونه إلهاً، وهذه النسـبة من حيث هي هي[٣] مسمّاة بالأُلوهيّة. وله من حيث هي آثار[٤] في المألوهين، وصفات لازمة تسمّى أحكام الأُلوهيّة.

وذاتـه ـسـبحانهـ من حيث تجرّدها عن جميع الاعتبارات المقيّدة، وعدم تعلّقها بشـيء وتعلّقِ شـيء بها لعدم المناسـبة، لا كلام فيها. ومن حيث معقوليّة نسبة تعلّقها بالخلق وتعلّقهم بها، وبحسـب أحوالهم من كونهم مَجاليه ومَظاهره، ينضـاف[٥] إليها أحوال كالرضى والغضب، والإجابة والفرح[٦]، وغير ذلك، يعبّر عنها بالشؤون. وينضاف[٧] إليها من حيث آثار مرتبتها ـالتي هي الأُلوهيّة في كلّ مؤثّر فيهـ صفاتٌ تسمّى أحكام المرتبة، كالقبض والبسط، والإحياء والإماتة، والقهر واللطف[٨]، ونحو ذلك.

فاعلَم واسـتحضِـر هذه المقدّمة الكلّيّة؛ لتنتفع[٩] بها في ما نحن بصـدده ـإن شاء اللّه تعالىـ.

[بيان معنى الحمد]

فإذا عرفتَ ذلك، فاعلَم أنّ الحمد من مقام التفصيل والجمع، لا الأحديّة. ولا يصحّ بين متمـاثلين، بل لا بدّ من علوّ المحمود على الحامد من حيث هو محمود بالنسـبة إلى الحـامـد[١٠] من حيث هو حامد، حالَ الحمد وعلى أيّ حال[١١] ظهر الحمد؛ فإنّه

---

(١) ومرتبته: هي A
(٢) نسبة: ـ A
(٣) هي: ـ A
(٤) هي آثار: ـ A
(٥) ينضاف: يضاف P
(٦) الفرح: الفرج A
(٧) ينضاف: يضاف P
(٨) واللطف: ـ A
(٩) لتنتفع: لينتفع A
(١٠) A1b
(١١) حال: وجه P

من حيث صورته لسان من ألسنة الكمال. فهو في البداية إشارة إلى كمال قصد الحامد في نفسـه، وإلى كمال[١] مبدئيّة ظهور حكم القصد من كون الحامد متوجّهاً لإظهار ما شرع فيه بالحمد.

وهو أيضــاً تنبيـه على معرفة المُثني [على المحمود][٢]، من الوجه الذي بعَثه على الحمد[٣]، وبالحال الموجب له ذلك.

وهو[٤] في الآخر تعريف لكمال[٥] ما شـرع فيه، و[لحصـول][٦] ما كان مطلوباً، مع أنّه يسري في ذلك حكم طلبيّ متعلّقه دوام التحقّق بذلك الكمال، وبقاء[٧] حكمه بعد نفوذه على الوجه الأتمّ، وإيناعه[٨] الثمرات العظيمة الجَدوى. >[٩]

[١٠]< فالحمد من حيث هو مطلق وكلّيّ لا لسـان له، ولا حكم يظهر عنه أو يضاف إليه. وهكذا شـأن جميع الصـفات والأسـماء والحقائق المجرّدة الكلّيّة، المنسوبة إلى الحقّ وإلى الخلق، على سبيل الاختصاص أو الاشتراك النسبيّ.

[كيفيّة تعريف الإنسان]

ثمّ لتعلم[١١] أنّ الحمد هو الثناء، وكلّ ثناء من كلّ مُثنٍ على مُثنى عليه فهو تعريف. وهـذا التعريف من المُثني قد يكون بذاته، أو بأحوالها، أو بمرتبته[١٢]، أو بأحكامها، أو بالمجموع. ونبيّنه بمثال نذكره في الإنسـان؛ لأنّه الأُنموذج الأكبر[١٣]. فإذا عرفتَه فيه،

---

(١) كمال: ـ A

(٢) على المحمود: بالمحمود P

(٣) وهو ... الحمد: ـ A

(٤) هو: + أعني الحمد P

(٥) لكمال: بكمال P

(٦) لحصول: بحصول AP

(٧) وبقاء: ـ A

(٨) إيناعه: إيناع P

(٩) إعجاز البيان: ١٤٠ ـ ١٤٢

(١٠) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(١١) لتعلم: ليعلم P

(١٢) بمرتبته: لمرتبته A

(١٣) الأكبر: الأكمل P

عرفتَ اطّراده في ما سواه من الموجودات.

فنقول: حقيقة الإنسان عينه الثابتة، التي هي عبارة عن نسبة معلوليّته للحقّ، وتميّزه في حضرته أزلاً[١]، بحسب مرتبته وعلم ربّه. وأحوال هذه الحقيقة ما يتقلّب[٢] فيه الإنسان، وينضاف إليه، ويوصف به، من النشئات والصور والتطوّرات، وغيرها من الأُمور التي ظهرت بالوجود المستفاد من الحقّ.

ومرتبته عبارة عن عبوديّته ومألوهيّته.

وأحكام هذه المرتبة هي[٣] الأُمور والصفات المنضافة[٤] إليه، من كونه عبداً ممكناً ومألوهاً، ومن كونه[٥] مرآةً للحضرتين ـ الإلهيّة والكونيّة ـ، ونسخةً لِما اشتملتا[٦] عليه ظاهراً بصورة الحضرة والخلافة.

ولمّا كان جميع ما يظهر بالإنسان والعالَم وفيهما، ويوصفان به اشتراكاً أو تخصيصاً، لا يزيد على سرّ التجلّي الإلهيّ الأحديّ الجمعيّ، وظهور[٧] حكمه فيهما بحسب الأسماء والصفات، و[٨] بموجب أحكام النسب العلميّة المتعدّدة بقبول القابل[٩]، كان ثناء كلّ منهما[١٠] ـ جمعاً وفُرادى ـ على الحقّ من حيث كلّ اعتبار وقسم[١١] من الأقسام والاعتبارات، هو نفس دلالته على أصل ذلك الأمر ومنبعه من[١٢] الجناب الإلهيّ وإعرابه عنه، تارةً من حيث التفصيل، وتارةً من حيث[١٣] أحديّة الجمع، مرّة في

(١) أزلاً: أوّلاً A
(٢) يتقلّب: ينقلب A
(٣) هي: ـ P
(٤) المنضافة: المتضافة A
(٥) كونه: كونها P
(٦) اشتملتا: اشتملنا A
(٧) A2a
(٨) و: ـ A
(٩) بقبول القابل: القبول A
(١٠) منهما: + أعني الإنسان والعالَم P
(١١) وقسم: ـ A
(١٢) منبعه من: نسبه في P
(١٣) حيث: ـ A

مقام المُضاهاة من حيث المثليّة للظهور بالصورة، وأُخرى في مقام المقابلة بالنقائص؛ لِما يمتاز به الكون عن موجده، وما يتفرّد[١] الحقّ به[٢] ممّا لا يشاركه فيه سواه.

فثناؤه من جهة التفصيل أنّ كلّ فرد فرد من الحقائق[٣] الجوهريّة والعرضيّة، المشتملة عليها[٤] ذات الإنسان والعالَم، يُثني على الاسم والصفة الإلهيّة الناظرة إليها[٥] والمرتبطة بها بألسنٍ أربعة: لسان الذات، ولسان الحال، ولسان المرتبة، ولسان الحكم.

ومتعلّق الثناء من حيث الجملة بلسان أحديّة الجمع الحضرةُ الذاتيّة الجامعة المحيطة بجميع[٦] الأسماء والصفات والعوالم والحضرات والنسب والإضافات. وحكمُ هذه النسبة الجامعة يظهر[٧] في كلّ قسم من الأقسام[٨]، من حيث النسبة إلى الجناب الإلهيّ ذاتاً[٩] وصفةً[١٠] وفعلاً، وإلى المقام الكونيّ. ويعبَّر عن ذلك[١١] الحكم الجمعيّ الأحديّ في مقام الحمد بـ«حمد الحمد»؛ فإنّ له في كلّ مقام اسماً[١٢] بحسبه.

[سبب وجوب الحمد]

وموجب هذا الحمد أنّ النعمة الذاتيّة الإلهيّة الكبرى ـ التي بها وجود الأشياء وبقاؤها، وظهورُ أحكام الحقائق والأسماء والصفات وآثارها ـ لمّا كانت واصلة إلى

---

(١) يتفرّد: ينفرد P
(٢) به: + في مقام المقابلة P
(٣) الحقائق: + والأجزاء P
(٤) عليها: عليه P
(٥) إليها: إليه P
(٦) بجميع: لجميع A
(٧) يظهر: ـ A
(٨) الأقسام: + المذكورة P
(٩) ذاتاً: + وأسماءً A، واسماً Ps
(١٠) صفة: صفاتاً A
(١١) ذلك: هذا P
(١٢) اسماً: أسماءً A

الإنسان والعالَم وما اشتملا عليه، تارةً من جهة الأسماء والصفات والمراتب، وتارةً لا من حيثيّة تعيّنها[١]، اقتضت الحكمةُ العادلة وحكمُ الحضرة الكاملة مقابَلةَ ذلك، بحمد وشكر جامع وحدانيّ النعت، كامل الوصف، مستوعب جميعَ أنواع الحمد، يظهر بالكُمَّل من حيث حمدهم[٢] ربّهم به، ومن حيث حمده ـسبحانهـ نفسه[٣] به[٤]، بصورة جامعة بين الحمدين، وحالة واحدة لا حالتين، حمداً يعلو[٥] على حكم الحضرتين ـالإلهيّة والكونيّةـ وما اختصّ بهما من اسم ووصف وعين[٦].

[وجوب معرفة المُثنى عليه]

واعلَم أنّه لا يمكن أن يصدر ثناء من مُثنٍ على مُثنى عليه دون معرفة المُثنى عليه من حيث هو مُثنى عليه لهذا المُثني؛ لأنّ[٧] الثناء في الحقيقة تعريف، والتعريف لا يصحّ بدون معرفة المعرَّف[٨]، وذلك في ما عدا التعريف الذاتيّ؛ [إذ][٩] التعريف[١٠] أمر وجدانيّ، والوجدانيّات والأُمور الذاتيّة من أوضح مراتب العلم وأجلى أقسامه. فالمُثني[١١] بهذا الاعتبار هو المُثني على نفسه، والدالّ عليه من وجهين باعتبارين، كما أشرنا إلى ذلك، فافهَم.

وأيضاً فإنّ الموجودات كلّها كلمات اللّه، فكان ثناؤها عليه بما استفادته منه، وانطبع في مرائي أعيانها من تجلّيه. فالمقترن بها من نور الحقّ وسرّ صفاته وأسمائه[١٢] هو

---

(١) حيثيّة تعيّنها: حيثيّته بعينها P
(٢) A2b
(٣) نفسه: ـ A
(٤) به: بهم P
(٥) يعلو: يعاد A
(٦) عين: غير A
(٧) لأنّ: وإنّ P
(٨) المعرَّف: المعرِّف P
(٩) إذ: إذا A
(١٠) إذ التعريف: فالتعريف P
(١١) فالمثني: فالشيء P
(١٢) أسمائه: + بما استفادته P

المُثني فيهم ومنهم على الحقّ، فـإذَن الحقّ هو المُثني على نفســه من حيـث مراتـب خلقه وبخلقه[١].

وهكذا الشـأن في الأُمور كلّها غير الحمد، فرجع الأمر كلّه إليه، وعادت عاقبة كلّ ثناء عليه. فكان الحمد صـفته ونسـبةً من نسـبه، لا تغايره[٢] إلّا باعتبار تسميتها حمداً. فكـان الحـامـد ـمن هـذا الوجـه وهذا الاعتبارـ هو الحمد والمحمود. وتتذكَّر[٣] ما نبّهتُك[٤] عليه في حمد الحمد، فهذا من سرّه.

[أقسام الحمد]

وهاهنا لطيفة أُخرى، وهي اندرجت في ما تقدّم، إلّا أنّ لسان مرتبتها أقرب نسبةً من المدارك ممّا تقدّم، فنقول: الحمد ينقسم إلى حمد المحمود نفسَه، وإلى حمد غيره له.

ثمّ الحمـد بمـا يحمد الشـيءُ نفسَـه أو يحمده غيره على ثلاثة أنواع؛ لأنّه إمّا أن يحمده بصـفة فعلٍ، أو صـفة تنزيهٍ، أو صفة ثبوتيّةٍ قائمةٍ بالمحمود يستحسنها الحامد. فيُثني على المحمود من حيـث هي، أو عليها من حيث ظهور حكمها بالمحمود وفيه، بما بينه[٥] وبينها من المناسـبة الثابتة، بما فيه منها. وهذا القسـم يندرج في قسـم صفة الفعل من وجه؛ [إذ][٦] الاستحسان لا يخلو عن نوع[٧] انفعالٍ.

وحمد الحمد يسري و[٨] يظهر في الأقسام كلّها بذاته، ولو لا ذلك لَما صحّ حمدٌ؛ لِما عرفتَ من أنّ الحكم في كلّ موجود ومرتبة للسرّ[٩] الجمعيّ.

(١) بخلقه: + الأتمّ A، + لا هم P

(٢) تغايره: يغايره A

(٣) تتذكّر: تذكّر A

(٤) نبّهتك: نبّهت P

(٥) بينه: بيّنه P

(٦) إذ: إذا A، فإنّ P

(٧) A3a

(٨) يسري و: سارٍ A

(٩) للسرّ: السرّ A

[تقسيم آخر للحمد]

ثمّ الحمد نوعان:

ـ عامّ، وهو الحمد بما عليه المحمود.

ـ وخاصّ، وهو الحمد بما يكون منه[١]، ويسمّى شكراً.

وتعيين الكلمات والصور والصفات والأحوال والكيفيّات الظاهرة والمعقولة من حيث دلالتها على ما ذكرٍ لا يتناهى. وليس للحمد والمحمودينَ والحامدينَ قسم ولا مرتبة تخرج عن هذه الأحوال[٢] التي ذكرناها.

وخاتمة الضوابط في ما يتعلّق بهذا هو أن يُعلم[٣] أنّ كلّ ما[٤] ينسب إلى الجناب الإلهيّ بلسان الحمد[٥] والثناء، لا يخلو إمّا أن يفيد أمراً ثبوتيّاً أو سلبيّاً، فالسلب راجع إلى التسبيح، والإثبات مندرج في الحمد، فافهَم.

ومع أيّ مرتبة من مراتب الحمد المذكورة حضر[٦] معها الحامد حالَ الحمد؛ فإنّ النتيجة والجزاء من جهة الحقّ تكون[٧] لذلك الحامد من حيث تلك المرتبة وبحسبها. ومَن حضر[٨] مع الحمد وسرّ الجمعيّة بدون[٩] التقييد بمرتبة ما أو صفة أو موجب على التعيين، كان ثمرة حمده الحقّ ـ سبحانه وتعالى ـ؛ إذ ليس لصاحب هذا الحمد همّة متعلّقة بكون ولا متقيّدة بمرتبة ولا صفة ولا اسم ولا غير ذلك، والثمرات بحسب الأُصول.

---

(١) منه: عنه A

(٢) الأحوال: الأُصول P

(٣) يعلم: تعلم P

(٤) كلّ ما: كلّما A

(٥) الحمد: المدح A

(٦) المذكورة حضر: المذكور حصر A

(٧) تكون: يكون A

(٨) حضر: حصر A

(٩) بدون: دون P

فافهَم وتدبّر سرّ هذا الفصل[١] وحصره وإيجازه؛ فإنّك إن خرقتَ[٢] ـبعون اللّه ـ حُجُب جمله[٣]، تنزّهتَ في رياض تفاصيله، واللّه وليّ الإحسان والإرشاد. >[٤]

[سبب وجوب الشكر]

[٥]< وأمّا الشكر، فإنّه من نعوت الحقّ ـسبحانه ـ؛ فإنّه الشكور[٦]. ويتعيّن بالشكر التعريفُ والثناءُ المقيّد[٧]. وله موجبان:

أحدهما: النعمة الواصلة من غير[٨] المنّة ابتداءً، ومن حيث ملاحظة[٩] سرّ ﴿وَما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[١٠].

والآخر: الإحسان الوارد في مقابلة الصبر الظاهر والواصل لامتحان العبد، واستخلاص زُبَد نشأته بمخضات[١١] الشؤون التي تقلّب فيها. وهذا الإحسان هو ثمرة شكر الحقّ عبدَه، يثمر[١٢] في العبد شكراً آخر، يستوجب العبد به[١٣] المزيد، فلا يزال الأمر دائراً[١٤] أبداً بين المرتبة[١٥] الإلهيّة والعبديّة، حتّى يكمل حقيقة الشكر بظهور أحكامها في مقام العبد بها بهذا التردّد، والمخض[١٦] الواقع على النحو المذكور، فيظهر حال الكمال العبديّ والوضعيّ بصورة الكمال الإلهيّ.

وهكذا الأمر في كلّ وصف وحال يُضاف إلى الحقّ وإلى العبد على الوجه الذي

---

(١) الفصل: الأصل As
(٢) خرقت: عرفت A
(٣) جمله: ختمه A
(٤) إعجاز البيان: ١٤٢ ـ ١٤٦
(٥) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٦) القرآن الكريم: ٣٤/٣٥، ٢٣/٤٢، ١٧/٦٤
(٧) المقيّد: المفيد A
(٨) غير: عين P
(٩) ملاحظة: ـ A
(١٠) القرآن الكريم: ٥٣/١٦
(١١) بمخضات: لمخصات A
(١٢) يثمر: تثمر A
(١٣) A3b
(١٤) دائراً: يزداد A
(١٥) بين المرتبة: من الرتبة A
(١٦) والمخض: ـ A

يسمّى اشتراكاً في مقام الجمع والسوى، وفي[١] مقام الحجاب[٢] بالنسبة إلى الكون؛ فإنّ الصفة تتردّد[٣] بين الرتبة الربوبيّة و[٤] الكونيّة، تبدأ[٥] من حضرة الحقّ وجوداً، ومن حضرة الكون[٦] تعيّناً، وهي طاهرة مقدّسة مطلقة القبول، وقد تعيّنت أوّلاً بحكم العين في الكون، وليس لها[٧] إذ ذاك من العين إلّا نفس التعيّن.

فإذا دخلَت في الوجود الكونيّ وقعَت في دائرة المغالبة بين حكم طهارتها الأصليّة، وبين الانصباغ التي[٨] تقتضيها الأحكام الكونيّة، من حقائقها المختلفة أخذاً وردّاً، أو تأثيراً و[٩] تأثّراً، وقيداً وإطلاقاً، ببطون وظهور. فلا تزال[١٠] كذلك إلى أن تكمل تلك الصفة الإلهيّة بظهور أثرها في الطور والمقام الإنسانيّ الذي هو المجلى[١١] المقصود. ويستفيد الإنسان أيضاً من حيث تلك الصفة كمالاً حاليّاً وصفيّاً يتّحد به ويرقى[١٢] إلى الطور الإلهيّ[١٣]. فإذا ظهر سرّ الكمال من حيث كلّ اسم وصفة وحال ومظهر ومرتبة وزمان وموطن في المقامين ـ الإلهيّ والكونيّ ـ، وتحقّق العبد بحكم الطورين ـ الإطلاق من حضرة الحقّ، والتعيّنات من حيث الرتبة العبديّة ـ، فانطلق العبد في قيد، وتقيّد الحقّ في إطلاق، فقد ظهر[١٤] الكامل الجامع المقصود، ونعم الرفد المرفود، والمقام المحمود. >[١٥]



(١) السوى وفي: السواء ففي A
(٢) الحجاب: الحجب A
(٣) تتردّد: يتردّد A
(٤) الربوبيّة و: ـ A
(٥) تبدأ: يبتدأ A
(٦) الكون: الحقّ A
(٧) لها: بها Ps
(٨) التي: الذي P
(٩) و: أو A
(١٠) تزال: يزال APs
(١١) المجلى: المحلى A
(١٢) يرقى: يترقّى P
(١٣) الإلهيّ: + الذي هو حضرة أحديّة الجمع P
(١٤) ظهر: طهر A
(١٥) إعجاز البيان: ٣٥١ ـ ٣٥٢

[توصيف موجز لرسالة «باب البداية لبداية النهاية»]

وبعدُ، فهذه رسـالة مختصـرة الكلام، مرتّبة على نمطٍ حسـن الانتظام، في العلم الإلهيّ، [١]< وهو علم يُبحث فيه عن[٢] الإله وصـفاته، والمجرّدات، وأقسـام الوجود الغير المفتقر[٣] إلى المـادّة من حيث هو وجود، >[٤] **الممزوج بالطبيعيّ،** [٥]< وهو علم يُبحـث فيه عن متعلّقات المادّة الجسـمانيّة وأحوالها، وهو محتاج في وجوده وحدوده[٦] إليها، >[٧] **على النهج الإشـراقيّ والطريق [السلوكيّ. و][٨] هي لـبّ خلاصـة حكمة السـلوك، وبداية مراتب الأكابر من الأفاضـل الملوك، ممّا اسـتفدتُه من خالص الفكر الطويل، وأتقنتُه بعد مجاوزة مبادئ ذلك السبيل، بعد المرور على عبارات القوم و[مخضها][٩]، واستخلاص لبّها من قشرها، على أنّي لم أتعدّ عباراتهم الشائقة، ولا غيّرتُ إشاراتهم السابقة. وسمّيتُها بـ«*باب البداية لبداية النهاية*»، وأسأل من المبدأ الأوّل حسن التوفيق وهداية الطريق.**



---

(١) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) عن: + معرفة ذات P

(٣) أقسـام الوجود الغير المفتقر: الوجود وأقسامه الغير المفتقرة P

(٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١٠/٣

(٥) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.

(٦) A4a

(٧) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٥/١

(٨) السلوكيّ و: السلوك A

(٩) مخضها: مخصها A

[الفصل الأوّل: في الحكمة وأقسامها وموضوعها]

[الحكمة وأقسامها]

مقدّمة: الحكمة هي التحلّي بالعلوم الحقيقيّة، بحسب الطاقة البشريّة.

[١]< الحكمة صناعة نظريّة تحصل بنظر العقل واكتسابه، يستفاد بها كيفيّة ما عليه الوجود في نفسه، وكيفيّة ما يجب أن يفعل من الأعمال، وما ينبغي، وما لا ينبغي، بحسب الطاقة البشريّة، حتّى يصير النفس بذلك كاملة مُضاهية للعوالم العقليّة العالية، مشابهة للمبادئ الشريفة القدسيّة، فتستعدّ بذلك لأعلى منازل السُعَداء و[٢] مقامات الأنبياء والأولياء. فكلّما كان إمعان النفس في المعقولات[٣] ومعاينة المجرّدات أعظم، كانت اللذّة الأُخرويّة أفضل، والسعادة الحقيقيّة أكمل.

والعلوم إمّا أن تُطلب لكونها آلة لغيرها، أو تُطلب لذاتها.

والأوّل إمّا أن يكون عقليّاً صرفاً[٤]، أو لا.

والأوّل المنطق.

والثاني إمّا أن يتعلّق باللسان، أو لا.

والأوّل إن اشترط فيه الوزن هو الشعر، وآلته العروض والقافية. أو لا يشترط فيه ذلك، فإن كان النظر في نفس[٥] اللفظ فهو اللغة، وإن كان في عوارضه وحركاته فهو التصريف والنحو، وإن كان في اختيار ترتيبه[٦] على الوجه اللائق فهو علم البلاغة،

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) و: + أفضل P

(٣) المعقولات: + أتمّ P

(٤) صرفاً: معنويّاً P

(٥) نفس: + جوهر P

(٦) ترتيبه: تزيينه Ps

المنقسم إلى المعاني والبيان والبديع.

وأمّا ما لا يتعلّق باللسان، بل باليد والعين، فهو الكتابة والرماية.

والثاني ـ أعني المطلوب لذاته ـ ينحصر في قسمين: نظريّ علميّ[١] وعمليّ؛ لأنّه إمّا أن لا يتعلّق بأعمالنا وما ليس بقدرتنا فيه أثر، أو يتعلّق بذلك. والأوّل[٢] هو النظريّ العلميّ، والثاني العمليّ. >[٣]

[أقسام الحكمة النظريّة]

[٤]< وينحصر الأوّل في الطبيعيّ والرياضيّ والإلهيّ؛ لأنّ المبحوث عنه:

[إن لم][٥] يتعلّق بالمادّة، لا في وجوده، [ولا في عدمه][٦]، ولا في حدوده، لا على جهة الوجوب، ولا الإمكان، فهو الإلهيّ والعلم الأعلى.

وإن تعلّق بالمادّة:

فإمّا على جهة الإمكان، وهو العلم الكلّيّ.

وإمّا على جهة الوجوب، فلا يخلو إمّا أن يمكن تجريده عن المادّة، أو لا.

فالأوّل هو العلم الأوسط والعلم الرياضيّ والتعليميّ، وينقسم إلى أربعة؛ لأنّ موضوعه الكمّ، وهو متّصل ومنفصل، والمتّصل[٧] متحرّك أو ساكن. فالمتحرّك هو علم الهيئة، والساكن هو الهندسة، والمنفصل إن كان ذا نسبة تأليفيّة فهو الموسيقي، وإن لم يكن فهو علم العدد.

وأمّا الثاني ـ وهو الذي يجب تعلّقه بالمادّة في وجوده وحدوده ـ فهو العلم الطبيعيّ.

---

(١) علميّ: ـ A

(٢) A4b

(٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١/٢٠ ـ ٢١

(٤) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٥) إن لم: ـ A

(٦) ولا في عدمه: ـ A

(٧) المتّصل: المنفصل A

[أقسام الحكمة العمليّة]

وأمّا العمليّ، فإنّ التدبير البشريّ:

إن اختصّ بشخص واحد، فهو علم الأخلاق.

وإن كان لا بدّ معه من شركة، فإمّا بحسب منزل، أو بحسب مدينة[١].

فالأوّل علم تدبير المنزل.

والثاني علم تدبير المُدُن، وينقسم إلى ما يتعلّق بالمُلك والسلطنة، وإلى ما يتعلّق بالنبوّة والشريعة. ويسمّى الأوّل علم السياسة، والثاني علم النواميس.

[فروعات أقسام الحكمة]

وباقي العلوم متفرّعة على هذه.

فالطبّ والنجوم والفراسة والتعبير والطلسمات والنيرنجات ـ التي يدخل تحتها السحر والشعبذة والكهانة ـ والقيافة والكيمياء من فروع الحكمة الطبيعيّة[٢].

وعلم العدد والجمع والتفريق والجبر والمقابلة والمساحة والحيل والأُكَر وجرّ الأثقال والأوزان والآلات[٣] والمناظر والمرايا والمياه والزيجات والتقاويم من فروع الحكمة الرياضيّة.

والوحي وعلوم القرآن والفقه والحديث والتفسير والأُصول والكلام والكرامات من فروع الحكمة الإلهيّة[٤]. >[٥]

فهذه جملة أقسام العلوم.



(١) مدينة: مدنيّة A

(٢) الطبيعيّة: النظريّة A

(٣) الآلات: آلات A

(٤) الإلهيّة: العمليّة A

(٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٢/١ ـ ٣٢

[حصول الحكمة بجودة الفكر]

وإنّما تحصل بجودة الفكر، و[هي][١] أن يكون الفكر محموداً في جميع أحواله.

وإنّما تحصل [جودته][٢] بأُمور أربعة:

[٣]< **أ**. الذَكاء[٤]: وهو سرعة إنتاج القضايا وسهولة استخراجها، لكثرة مزاولة المقدّمات، ويصير ذلك ملَكة.

ب. سرعة الفهم: وهي[٥] حركة النفس من الملزومات إلى اللوازم بلا توقّف مع ملَكة.

ج. صفاء الذهن: وهو أن يكون للنفس استعداد استخراج المطلوب من غير اضطراب.

د. سهولة التعلّم: و[هي][٦] أن يكون للنفس حِدّة في اكتساب المطالب[٧] من غير ممانعة الخواطر المتفرّقة، بل تكون بكلّيّتها متوجّهة إلى المطلوب.

ويتمّ بأمرين:

أ. التحفّظ: وهو أن يكون صور الأُمور المدرَكة[٨] بالعقل أو الوهم بقوّة التفكّر مستحصلة بأقلّ نظر.

ب. التذكّر: وهو ملاحظة النفس تصوّر[٩] المحفوظ في أيّ وقت شاءت بسهولة، من[١٠] جهة الملَكة المكتسبة. >[١١]

وهذه هي فروع الحكمة.



(١) هي: هو A
(٢) جودته: جودة A
(٣) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٤) الذكاء: الزكاء A ll A5a
(٥) هي: هو A
(٦) هي: هو AP
(٧) المطالب: المطلوب P
(٨) المدركة: المذكورة Ac
(٩) تصوّر: صور A
(١٠) من: مع A
(١١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٨١/١

[اشتراط الصبر في حصول الحكمة]

وبشـرط كثرة الصـبر، الذي هو حبس النفس ومنعها عن الاضـطراب عند صدور الأُمور الشـاقّـة الجميلـة اللائقة بها، ومقاومة النفس للأُمور المُلذّة القبيحة، حتّى لا تصدر عنها.

ويتمّ بأُمور:

(١)< **أ**. كسـر النفس وتعويدها، المسـمّى بالسـكون(٢): وهو أن يكون النفس في الخصومات حافظةً لأدب الشرع والعقل(٣).

ب. علوّ الهمّـة: بـأن يكون النفس غير مـائلـة إلى الأُمور الدنيئة من المشـتهيات البدنيّة الدنيويّة، ولا متضجّرة بطلب الكمالات.

ج. التحمّل: وهو(٤) أن يكون النفس(٥) قويّة على اسـتعمال الآلات في اكتسـاب الأُمور اللائقة. >(٦)

فهذه من فروع الشجاعة.



(١) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) بالسكون: السكون A

(٣) في الخصومات ... العقل: حريصة على اقـتـنـاء الأُمـور العظيمـة لتوقّع الـذكر الجميل A

(٤) وهو: ـ A

(٥) النفس: ـ A

(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٨٢/١

[نُدرة اجتماع جودة الفكر وكثرة الصبر]

وجمعُهما [عزيز][(١)]**، بل اجتماعهما.** وإنّما [عزّ][(٢)] جمعهما لأنّ جودة الفكر عرفتَ أنّه من استواء الحكمة واعتدالها، وكثرة الصبر من الشجاعة واعتدالها، وبينهما تضادّ يريد تركيباً يحصل به انكسار كلّ منهما بالأُخرى، وذلك في غاية [الصعوبة][(٣)]؛ لميل كلّ منهما إلى غاية الطرف، فبينهما تباعد كثير.

وأمّا أنّ اجتماعهما [عزيز][(٤)] فلأنّ جودة الفكر من ميل المزاج إلى الحرارة، وكثرة الصبر من غلبة البرودة على المزاج، ولا ريب في تضادّهما. فاعتدالهما في[(٥)] تركيب المزاج قليل الوجود، نادر الوقوع، إلّا لمن أُيّد من العناية، «فمن أُوتي الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً»[(٦)].

[الحكمة في الكتاب والسنّة]

فعُلم بهذا أنّ الحكمة المُشار إليها في الآية الكريمة هي هذه المشتملة على هذه الأقسام؛ إذ ليس الحكمة إلّا معرفة الموجودات ومعانيها بعلم اليقين أو بعين اليقين. إذاً السعادة لمعرفتها، والشقاوة [لجهلها][(٧)]، فهي أُمّ الفضائل وأفضل الوسائل. وقد مدح اللّه الحكمةَ في مواضع من كتابه العزيز، وسمّى نفسه الحكيم[(٨)]، ويكفيك في ذلك أنّها الخير كلّه.

---

(١) عزيز: غريز A

(٢) عزّ: غرّ A

(٣) الصعوبة: الصعابة A

(٤) عزيز: غريز A

(٥) A5b

(٦) مقتبس من: القرآن الكريم: ٢٦٩/٢

(٧) لجهلها: بجهلها A

(٨) القرآن الكريم: ١٢٦/٣، ١/٣٩، ٢/٤٥، ٢/٤٦

وقال النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ: «الحكمة ضالّة المؤمن، يطلبها حيث وجدها».(١)

وقال: «لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم».(٢)

[الحكمة عند أرسطو وأفلاطون]

وقال المعلّم الأوّل: «من لم يكن حكيماً، لم يزل سقيماً».(٣)

وقال: «الحكمة خير الدنيا، وثوابها خير الآخرة».(٤)

وقال: «إذا غابت الحكمة عن النفس عمت(٥) عن نفسها».(٦)

وقال أفلاطون: «ليس في عطايا البارئ تعالى أعظم من الحكمة».(٧)

وفضائل الحكمة، والحثّ عليها من الأنبياء والأولياء، ومنافعها، أكثر من أن تُحصى.



---

(١) عوالي اللئالي: ٨١/٤

(٢) نفس المصدر: ٨٠/٤

(٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦/١

(٤) نفس المصدر.

(٥) عمت: عميت A

(٦) نفس المصدر.

(٧) نفس المصدر.

[استئناف القول في أقسام الحكمة]

وينقسم الحكمة إلى علميّة وعمليّة.

[ينقسم][١] الأُولى إلى رياضيّة وطبيعيّة وإلهيّة.

والثانية إلى خُلقيّة ومنزليّة ومدنيّة ـ سياسيّة هي المُلكيّة، وناموسيّة هي النبويّة ـ.

هي أُمّهات العلوم الحقيقيّة، التي يصير النفس بها كاملة في قوّتها، فيحصل لها السعادة الأبديّة، والقرب من العقول النوريّة والحضرة الربّانيّة.

وقد مرّ كيفيّة القسمة، وعدد العلوم المتنوّعة من الحكمة والمتفرّعة عليها.

[الحكمة الرياضيّة]

[٢]< فأمّا الرياضيّة فهي علم يتمكّن الوهم والخيال من تجريده عن المادّة، فلا يفتقر في كونه موجوداً إلى خصوص مادّة، كالتربيع والتثليث والتدوير والكُريّة والمخروطيّة والعدد وكيفيّته وخواصّه. فهو يفتقر إلى المادّة في وجودها، لا في حدودها.

ومنفعته رياضة النفس، بحيث تنتقل عمّا لا يدركه الحسّ[٣] إلى ما يجرّده[٤] الذهن عن المحسوس بالكلّيّة، فهو واسطة إلى ما ليس بمحسوس بالكلّيّة، أعني العلم الإلهيّ. >[٥]

---

(١) ينقسم: يتقسّم A

(٢) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٣) يدركه الحسّ: تدركه A

(٤) يجرّده: تجرّده A

(٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١/٢٤ ـ ٢٥

[الحكمة الطبيعيّة]

وأمّا الطبيعيّة، فهي[١] علم بما يجب تعلّقه بالمادّة. فموضوعه الجسم الطبيعيّ من حيث إنّه يتحرّك ويسكن ويتغيّر ويتبدّل.

فخرج الجسم التعليميّ ـ أعني المقدار ـ.

وخرج الجسم المطلق بقيد الحيثيّة؛ فإنّ البحث عن الجسم من حيث إنّه واجب أو ممكن أو جزئيّ أو كلّيّ ليس من الطبيعيّ، وكذا البحث عنه من حيث الكمّيّة والكيفيّة والأوضاع لا يكون منه أيضاً.

فلا يكون [موضوع][٢] الطبيعيّ إلّا البحث عنه من حيث كونه متحرّكاً وساكناً ومتغيّراً.

[الحكمة الإلهيّة]

وأمّا الإلهيّة، فقد عرفتَ أنّه علمٌ بما وراء الموادّ، فهو ينظر في الأُمور المجرّدة عنها.

فهو أشرفُ العلوم؛ لتعلّقه بالأُمور المجرّدة التي هي أشرف الذوات، وشرف العلم بشرف معلومه.

وأغمضُ العلوم وأعصاها على الأذهان؛ لِما في الاطّلاع على المجرّدات من الصعوبة على الأنفس المتعلّقة بالمادّة.

وفيه يُعرف جميع المبادئ الأوّليّة، والصفات العامّة الكلّيّة، والعلّة الأُولى.

وسمّي بالعلم الإلهيّ؛ لأنّ فيه معرفة ذات اللّه وصفاته، والمجرّدات، ومعرفة الوجود وأقسامه الغير المفتقرة إلى المادّة.

تتمّة: تشتمل على مسألتين:

---

(١) A6a

(٢) موضوع: ـ A

[الإطلاقات المختلفة للطبع والطبيعة والطباع]

[1]< **الأُولى:** معنى الطبيعة. وهي تقال على ما يصــدر عنه الحركة والسـكون أوّلاً وبالذات، من غير إرادة وشعور.

و«الطباع» يُقال لمصــدر الصـفة الذاتيّة الأوّليّة لكلّ شـيء، كما يُقال: «طبع الماء البرودة» و«طبع النار الحرارة»، فيكون[2] أعمّ من الطبيعة المتخصّـصة بصدور الحركة والسكون فقط.

ويُقـال أيضــاً «طبيعـة» على الكيفيّـة الغالبة على المركّب الممتزج من الكيفيّات المتضادّة، كما يُقال: «طبيعة الفلفل حارّة»، و«طبيعة الأفيون باردة».

ويُقال أيضـاً «طبع» و«طبيعة» و«طباع» على الاستعداد القويّ التامّ الظاهر[3] بأقلّ الأســباب، كقولهم للـذكيّ الفَطِن: «إنّـه مطبوع ولـه طبع»، وللمُهتدي[4] إلى بعض الأُمور بغير تعلّم ـ كـالضــحـك والبكاء والتقام[5] الثدي[6] وغير ذلكـ: «إنّه بالطبع والطبيعة».

ويُقال أيضاً «طبيعة» لِما يصدر عنه أمر لا يتخلّف عنه، ولا يحتاج إلى علّة خارجة، كهبوط الحجر وإســخان النار، لا كالماء الراجع عن طبيعة البرودة بإســخان النار، بل كنبات الحبوب وتصـوير النطف[7] حيوانات، وكذلك ما يصدر عن الحيوانات من غير تعلّم ولا قسرٍ من الحركات والأفعال.

و«الطبيعة» مخصّــصــة عند قوم بما يصــدر عنه الحركات على نهج واحد من غير شعور.

---

(١) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رســائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) فيكون: فتكون P

(٣) الظاهر: الطاهر A

(٤) للمهتدي: المهتدي A

(٥) التقام: انفطام As

(٦) A6b

(٧) تصوير النطف: تصويراً لنطف A

وقد سمّى قومٌ كلَّ قوّة جسمانيّة «طبيعة».

و«العلوم الطبيعيّة» هي الناظرة في كلّ متحرّك، وساكن، وما عنه الحركة، وما إليه الحركة، وما فيه، وما به، والسكون.

وأمّا «الطبيعيّات» فهي عبارة عن كلّ ما يقع تحت الحواسّ من الأجسام والأعراض، وسائر الأعراض من الأفعال والحركات.

فهذا ما قيل في الطبيعة والطباع والطبع، فاعرِفه. >(١)

[اختلاف الناس في موضوع العلم الإلهيّ]

المسألة الثانية: (٢)< اختلف الناسُ في موضوع [العلم](٣) الإلهيّ.

[المذهب الأوّل وردّه]

فزعم بعضهم أنّ موضوعه هو الإله تعالى، ويكون المراد معرفة صفاته وأفعاله.

وهو باطل بوجهين:

أ. إنّ وجوده ـ سبحانه ـ مطلوب بالبرهان، وإثباته إنّما يكون بهذا(٤) العلم، فهو من مطالبه، فيمتنع أن يكون موضوعاً له.

ب. إنّ موضوع العلم ما يُبحث فيه عن الأعراض الذاتيّة اللاحقة لِما هو هو، وهذا العلم يبحث عن تقاسيم الوجود ـ كالكلّيّ والجزئيّ، والوحدة والكثرة، والقوّة والفعل، والعلّة والمعلول، وأمثالها ـ. وهذه(٥) الأشياء لا تعرض لذاته(٦) من حيث هو هو، بل إنّما تعرض له من حيث إنّه موجود.

---

(١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١٣/٢ ـ ١٤

(٢) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٣) العلم: علم A

(٤) بهذا: في هذا P

(٥) هذه: أنّ A

(٦) لذاته: + تعالى P

[المذهب الثاني وردّه]

وزعم قوم أنّ موضوعه هو العلل الأربع.

وهو باطل بالوجهين السابقين.

[المذهب الثالث وإثباته]

بل الحقّ أنّ موضوع هذا العلم الموجودُ من حيث إنّه موجود.

واستدلّوا على ذلك بوجهين:

أ. إنّ جميع الأحوال والأعراض التي عدّدناها هي مطالب هذا العلم. فلا بدّ أن يكون موضوع هذا العلم هو الشيء الذي عرض له هذه الأحوال من حيث هو هو، وليس ذلك إلّا الموجود من حيث هو هو. فيجب أن يكون موضوع هذا العلم[1] لا مَحالة.

ب. إنّ هذا العلم هو فوق جميع العلوم، وليس فوقه علم آخر ليتبيّن[2] به موضوعه[3] فيه. فتعيّن أن يكون موضوع هذا العلم مستغنياً عن البيان، بيّناً بنفسه. وأظهر الأُمور وأوضحها هو الموجود من حيث هو موجود. فوجب أن يكون هو الموضوع لهذا العلم.

ولمّا كان هذا الموضوع أعمّ جميع الأشياء، وكان المطلوب فيه[4] الأعراض الذاتيّة التي للموجود من حيث هو موجود ـ كذات الباري وصفاته وأفعاله ـ، وجب أن يكون النظر في مطلوبات هذا العلم نظراً عامّاً كلّيّاً يتخصّص في مطالبه، حتّى ينتهي إلى مبادئ العلوم الجزئيّة التي هي من أقسام الوجود المطلق.

---

(١) A7a

(٢) ليتبيّن: يتبيّن P

(٣) موضوعه: + أو A

(٤) فيه: ـ A

وكـلّ واحد من أصــحاب العلوم الجزئيّة التي تحت هذا[١] العلم، إنّما يتســلّم[٢] مبادئه من أرباب هذا العلم[٣]، إمّا مع طيب نفس أو مع إنكار، حتّى ينتهي به النظر إلى هذا العلم الذي يتبيّن فيه جميع مبادئ العلوم الجزئيّة.

[سبب تقديم العلم الكلّيّ على الإلهيّ والطبيعيّ]

واعلَم أنّ المعلّم الأوّل هو أوّل من رتّـب العلوم، وميّز بينهـا، وأفرد[٤] العلمَ الكلّيّ عن الإلهيّ. وإنّمـا قـدّم العلمَ الكلّيّ ـالـذي فيه تقاســيم الوجودـ على الإلهيّ وفنّ الطبيعيّ؛ لأنّ موضوعه الوجود من حيث هو وجود.

وفي هذا العلم يُذكر تقاسيم الوجود، وأحكام كلّ قسم من تلك الأقسام.

فلمّـا ذكِر[٥] موضــوعه[٦] و[بطل][٧] ما ظُنّ أنّه موضــوع، ناســب ذلك[٨] البحثُ تقســيمَه إلى أقســامه العرضــيّة، وذكرَ أحكام تلك الأقســام، وتبيُّنَ[٩] مبادئ العلوم الجزئيّة، فلهذا السبب قدَّم العلم الكلّيّ على العلم الإلهيّ. ولا يوجد هذا التناسب في العلم الطبيعيّ ولا في غيره.

ومن أعطى تقاسيم الوجود في العلم الكلّيّ حقَّها، أمكنه أن يأتي في التقاسيم على قواعد العلم الطبيعيّ والرياضــيّ والإلهيّ والخُلقيّ، بحيث يصير العلوم كلّها علماً[١٠] واحداً، كما كان موجوداً في قديم الزمان قبل ظهور أرسطو.

---

(١) تحت هذا: تكون لهذا P
(٢) يتسلّم: يتعلّم A
(٣) العلم: + تسلّماً P
(٤) أفرد: أفرز P
(٥) ذكر: + في AP
(٦) موضوعه: موضعه P
(٧) بطل: أبطل P
(٨) ذلك: ذكر A
(٩) تبيّن: + أيضاً A
(١٠) علماً: ـ A

[سبب تقاسيم العلوم عند الحكماء]

وإنّما فصّلت الحكماءُ هذه العلومَ بعضها عن بعض لأنّ التفصيل أسهل وأليَق في التعلّم[١] والتعليم. وذلك لأنّ العلوم لو لم تُفصّل وتُرتّب على ما هي عليه الآن، بل كانت كلّها علماً واحداً، وابتدأ في التعليم من الكلّيّ الأعمّ الذي هو الوجود والمبادئ الأُوَل البعيدة[٢] عن الحسّ والخيال وغريزة النفس الضعيفة عن إدراك ذلك، بسبب تعلّقها بالموادّ وحصول آثارها فيها، فتعجز النفس عن إدراك الأُمور الكلّيّة العامّة و[٣] المبادئ الأُوَل البعيدة من أوّل وهلة، من غير أن تستعدّ بسبق[٤] رياضةٍ وتنبّهٍ واستيناسٍ بالعلوم الجزئيّة.

وأمّا إذا ابتدأ الطالب بالتعليم بما هو أقرب[٥] إلى غريزة النفس وطبيعتها ـ وهي المحسوسات ـ، فيستعين[٦] بالحسّ، ويعرف[٧] بذلك ما هو قريب منه، ويتسلّم[٨] مبادئه ومبادئ ما يقرب[٩] منه، حتّى يحصل لها[١٠] بهذا الطريق العلوم الجزئيّة. فإذا استبصر بها ترقّى منها إلى العلم الأعلى، الذي ليس فوقه علم، وهو الذي يتبيّن[١١] فيه مبادئ جميع العلوم الجزئيّة، فيتحقّق عنده علم المبادئ. ثمّ يكرّ[١٢] راجعاً في العلوم ممّا انتهى إليه[١٣] حتّى يعود إلى ما ابتدأ منه[١٤]، ويسمّى القدماء هذا الرجوع بالتعليم الحقيقيّ التحصيليّ[١٥].

---

(١) A7b
(٢) البعيدة: بعيدة A
(٣) و: ـ A
(٤) تستعدّ بسبق: يسبقه P
(٥) أقرب: الأقرب APs
(٦) فيستعين: فتستعين A
(٧) يعرف: تعرف A
(٨) يتسلّم: تتسلّم A
(٩) يقرب: تقرب A
(١٠) يحصل له: حصل لها A
(١١) يتبيّن: تبيّن A
(١٢) يكرّ: يكرّر A
(١٣) إليه: ـ P
(١٤) منه: عنه A
(١٥) التحصيليّ: التحصيل A

[شبهة الشيخ الرئيس على موضوع العلم الإلهيّ]

وأورد الشـيـخ في الشـفاء[١] شـكّاً، فقال: إنّكم إذا جعلتم الموجود بما هو موجود موضـوعـاً لهذا العلم، فلا يجوز أن تثبتوا[٢] مبادئ الموجودات فيه؛ لكون البحث في كلّ علم إنّما هو من العوارض العارضة لموضوع ذلك العلم، لا عن مبادئه.

[جوابه عن هذه الشبهة]

ثمّ إنّه أجاب[٣] بأنّ النظر في مبادئ الموجودات بحث عن عوارض هذا الموضوع؛ فـإنّ كون هذا الموجود مبدأً، غير مقوّم [للموجود][٤]، بل هو عارض له، خاصّ به، ولا شيء أعمّ من الوجود ليكون لاحقاً به[٥] لحوقاً أوّليّاً.

ثمّ المبدأ ليس[٦] مبدأً لجميع[٧] الموجودات بأسرها، وإلّا لزم أن يكون مبدأً لنفسه، وهو محـال. فـالموجود كلّـه لا مبدأ له، بل المبدأ إنّما يكون لبعضـها، وهو الموجود المعلول.

فهذا العلم لا يكون باحثاً عن مبادئ الموجودات مطلقاً، بل عن بعضـها، كسـائر العلوم[٨] الجزئيّـة التي[٩] لا يبرهن فيهـا على وجود مبادئها المشـتركة، بل إنّما يبرهن على وجود ما يكون مبدأً لِما بعدها.

[تقاسيم العلم الإلهيّ]

ولذلك انقسم هذا العلم:

---

(١) الشفاء، الإلهيّات: ١٤
(٢) تثبتوا: تبيّنوا A
(٣) أجاب: + عنه P
(٤) للموجود: للوجود A، الموجود P
(٥) به: _ A
(٦) ليس: الذي A
(٧) لجميع: بجميع A
(٨) A8a
(٩) التي: _ Ps

ـ إلى ما يبحث عن الأسـباب القُصـوى التي لكلّ موجود من وجوده، ويبحث عن السـبـب الأوّل الفائض عنه كلّ موجود[١] معلول، من حيث هو موجود معلول، لا من حيث إنّه متحرّك أو متكمّم[٢].

ـ وإلى ما يبحث عن العوارض العارضة للموجود.

ـ وإلى ما يبحث فيه عن مبادئ العلوم الجزئيّة.

وكلّ علم يكون أخصّ[٣]، يكون مبادئه مسـائل في العلم الأعمّ[٤]، كمبادئ النجوم في العلم الرياضيّ، والطبّ في العلم الطبيعيّ، والمساحة في الهندسة.

فيتّضـح في هـذا العلم مبـادئُ جميع العلوم الجزئيّـة، وهي الباحثة عن جزئيّات الموجودات. فهـذا العلم هو البـاحـث عن أحوال الموجود؛ وما هي له كالأنواع، وهي المقولات العشـرة؛ أو كالعوارض، كتقسـيمه إلى الكلّيّ والجزئيّ، والوحدة والكثرة، والقوّة والفعل، والعلّة والمعلول، وغير ذلك، حتّى ينتهي إلى ما يتخصّـص بموضـوع العلم الطبيعيّ، فيسـلّمه إلى صـاحبه؛ وإلى ما يتخصّـص بموضوع الرياضيّ، فيسلّمه إلى صاحبه؛ وكذلك يفعل في سائر العلوم.

[مسائل العلم الإلهيّ]

فمسائل هذا العلم مختلف[٥] وقوعها فيه:

فمنها: ما يقع في أسباب الموجود المعلول من حيث هو موجود معلول[٦].

ومنها: ما يقع في عوارض الموجود[٧].

ومنها: ما يقع في مبادئ[٨] العلوم الجزئيّة.

---

(١) موجود: وجود A

(٢) متكمّم: متكلّم A

(٣) أخصّ: + وكلّ A

(٤) الأعمّ: الأعلى A

(٥) مختلف: يختلف P

(٦) معلول: ـ A

(٧) ومنها ... الموجود: ـ A

(٨) مبادئ: المبادئ من A

فهذا العلم بالحقيقة هو الحكمة التي هي أفضل علم، وهو اليقين، بأفضل معلوم، وهو البارئ ـ جلّ جلاله ـ والأسباب القُصوى للكلّ.

[مشاركة هذا العلم للجدل والمغالطة ومخالفته لهما]

وهذا العلم يشارك الجدل[١] والمغالطة من جهة؛ لأنّ المبحوث عنه في هذا العلم يتكلّم فيه[٢] الجدليّ والمغالطيّ، ولا يتكلّم فيه صاحب العلم الجزئيّ.

ويخالفهما من وجه آخر، وهو أنّ الفيلسوف الأوّل ـ من حيث هو فيلسوف أوّل ـ لا يتكلّم في مسائل العلوم الجزئيّة[٣]، وأمّا[٤] هما فيتكلّمان فيها.

ويخالف الجدليَّ خاصّة؛ لأنّ[٥] الكلام الجدليّ يفيد الظنّ، دون اليقين.

ويخالف المغالطيَّ[٦] خاصّة بالإرادة؛ لأنّ صاحب هذا العلم يريد الحقّ، والمغالطيّ يريد أن يظنّ به[٧] أنّه حكيم يقول الحقّ، وإن لم يكن كذلك.

[عدم صلاحية الوجود لأن يكون موضوعاً للعلم الإلهيّ]

دقيقة[٨]: إذا ظهر أنّ الوجود والموجود من حيث هو وجود و[٩] موجود أمران اعتباريّان لا وجود لهما في الأعيان، وما لا وجود له في الأعيان لا يصحّ أن يكون معروضاً للأُمور المحقّقة الوجوديّة، فلا يصحّ أن يكون موضوعاً لعلم ما بعد الطبيعة، فالموجود لا يصحّ أن يكون موضوعاً له. فتدبَّر، ففيه سرٌّ. >[١٠]



(١) الجدل: الجدليّ A

(٢) فيه: في A

(٣) A8b

(٤) أمّا: ـ P

(٥) لأنّ: أنّ A

(٦) المغالطيّ: المغالطة APs

(٧) به: ـ A

(٨) دقيقة: + ~~يظهر~~ A

(٩) وجود و: ـ A

(١٠) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١١/٣ ـ ١٦

[الفصل الثاني: في الطبيعيّات وما يتّصل بها]

[بيان حقيقة العلم]

مدخل إلى المقصود، به يُتوصّل إليه، يكون كالمقدّمة له:

[١]< **إنّ إدراكك لغيرك حصول صورته فيك، فله أثر فيك، وإلّا فما علمتَه. وإن لم يطابقه**[٢] **فما علمتَه أيضاً.** >[٣]

اعلَم أنّ الإدراك التصوّريّ هو حصول صورة المدرَك في المدرِك؛ لأنّ الإدراك هو الوصول، فما لم يحصل صورة المدرَك في المدرِك لم يكن وصولاً إليه، فلا إدراك. فبالضرورة كانت النفس المقابلة بصورة المدرَك متأثّرة عنه، والصورة مؤثّرة؛ لأنّ حصولها فيها متوقّف على القبول، وهو مستلزم للتأثّر والتأثير، وبذلك التأثير يحصل العلم؛ إذ لو لاه لاستوى حاله قبل الإدراك وبعده، لكن ذلك باطل بالوجدان، فبالضرورة حصل أثر بواسطته حصل العلم.

لكن اسم العلم هل هو موضوع لذلك التأثّر الذي هو الانفعال، أو للصورة المؤثّرة، أو للنسبة الواقعة بينهما من جهة الفعل والانفعال؟ كلٌّ محتمل، وإلى كلّ ذهب فريق.

وحينئذٍ نقول: إنّ الصورة القائمة بالنفس لا بدّ أن [تكون][٤] قائمة مطابقة لذي الصورة؛ لأنّها مثاله وظلّه المنطبع في مرآة النفس، فلو لم تطابقه لم يحصل العلم به؛ لأنّ ذلك الأثر الحاصل في النفس هو صورته، فلا بدّ فيه من المطابقة[٥] له، وإلّا لكان جهلاً، لا علماً.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) يطابقه: تطابقه A

(٣) كلمة التصوّف: ١٠٤

(٤) تكون: يكون A

(٥) A9a

فكان في هذا الكلام إشـارة إلى دليل كون الصورة هي العلم؛ فإنّها بسبب المطابقة يكون علماً، وبعدمها يعدم العلم، فهي حينئذٍ حقيقة العلم.



[تقسيم الصورة المنطبعة في النفس إلى كلّيّة وجزئيّة]

[١]< فإن طابقَت تلك الصورةُ كثيرين فكلّيّة، ولفظها الدالّ عليها [كلّيّ][٢] تبعاً لها؛ وإلّا فجزئيّة. >[٣]

[فينقسم][٤] الصورة المنطبعة في مرآة النفس إلى كلّيّة وجزئيّة؛ لأنّها:

ـ إن صدقت على كثيرين فهي كلّيّة، كالإنسان المنطبق على أفراده المتعدّدة، ويرسم بأنّه الذي لا يمنع نفس تصوّره من الشركة.

ـ وإن لم تصدق على كثيرين فهي جزئيّة، كمفهوم «زيد» و«هذا الإنسان»، ورسِم بأنّه الذي يمنع نفس تصوّره من الشركة.

واللفظ الدالّ على الكلّيّ يسمّى كلّيّاً، تبعاً لِما وضِع له. واللفظ الدالّ على الجزئيّ يسمّى جزئيّاً كذلك.

والكلّيّة والجزئيّة بالحقيقة إنّما هي للمعاني، وصدقها على الألفاظ بطريق المجاز، من باب تسمية الدالّ باسم المدلول.



(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) كلّيّ: كلّيّاً A

(٣) كلمة التصوّف: ١٠٤

(٤) فينقسم: فتقسيم A

[تقسيم الحقائق إلى البسيطة والمركّبة]

وما لا جزء لها من الحقائق عقلاً بسيطةٌ، وذات الجزء عنده مركّبة.

[١]< إذ الحقيقة ما يُفهم من الشيء باعتبار ذاته. وتنقسم[٢] إلى:

ـ بسيطة، هي ما لا جزء لها في العقل، كمفهوم الوحدة والنقطة.

ـ ومركّبة[٣]، هي التي لها جزء[٤] عند العقل، كمفهوم الحيوان، المركّب من الجسم والأمر الـذي يوجـب حيوانيّته[٥]. >[٦] فأحدهما الجزء العامّ، والآخر الجزء الخاصّ، وحقيقتـه مركّبة عنهما. ولا يمكن حصـــول الماهيّة المركّبة عند العقل بدون حصـــول أجزائها عنده، والتئامها على هيئة مخصــوصــة، حتّى ينتقل منها إلى تلك الحقيقة بعد حضـــورها وتركيبها على الوجه المخصـــوص. فالجزء حينئذٍ [متقدّم][٧] على الكلّ[٨] تقـدّمـاً بـالطبع، وبـالـذات من بـاب تقدّم العلّة على المعلول؛ لأنّ التئام الأجزاء علّة لوجود الماهيّة وحصـــولها عنده. **ولهذا لا [تُعقل][٩] بدونها، فتقدّمُها عليها [تقدّم عقليّ][١٠].**



(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) تنقسم: ينقسم A

(٣) مركّبة: غير بسيطة P

(٤) جزء: أجزاء Ps

(٥) حيوانيّته: حياته P

(٦) كلمة التصوّف: ١٠٥

(٧) متقدّم: مقدّم A

(٨) الكلّ: + تقدّماً عقليّاً A

(٩) تعقل: يعقل A

(١٠) تقدّم عقليّ: تقدّماً عقليّاً A

[لازم الماهيّة والفرق بينه وبين لازم الذات]

ولازم[١] الماهيّة ما يمتنع رفعُه وجوداً أو وهماً، فلا تُعقل منفكّة عنه، مع كونه خارجاً.

ولازم الذات يطّرد، ولازم [الماهيّة][٢] لا يطّرد.

[٣]< إذ لا ريب أنّ اللازم التامّ للماهيّة عبارة عمّا لا يمكن رفعه عنها، لا في الوجود ولا في الوهم، وإلّا لم يكن لازماً، كزوايا المثلّث الثلاث[٤]؛ فإنّ فاعلاً لو أراد فعلَ مثلّثٍ دون زوايا ثلاث[٥] لا يمكنه؛ لأنّه محال. والزوايا مع ذلك ليست بداخلة في حقيقة ذلك[٦] المثلّث؛ فإنّه لا بدّ وأن يتحقّق المثلّث أوّلاً، حتّى يكون له زوايا.

واعلَم أنّ لازم الماهيّة[٧] إذا كان لذاتها[٨]، كان لازمها في جميع المواضع، فيطّرد معها وجوداً وعدماً[٩]. وإن لم يكن لازماً لها لخصوصها[١٠]، لا يطّرد معها في ما يشاركها في أمر عامّ. فحرارة النار ـ مثلاً ـ لخصوص[١١] حقيقتها، لا لجرميّتها[١٢]، حتّى يكون كلّ جرم حارّاً[١٣]. >[١٤] وهذا هو معنى قولنا: «لازم الذات يطّرد، ولازم الماهيّة لا يطّرد».



---

(١) A9b

(٢) الماهيّة: ـ A

(٣) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٤) الثلاث: ـ P

(٥) ثلاث: ثلاثة P

(٦) ذلك: ـ P

(٧) لازم الماهيّة: كلّ ما يلزم الماهيّة في موضوع P

(٨) لذاتها: بخصوصها وذاتها A

(٩) فيطّرد ... عدماً: ـ P

(١٠) لخصوصها: بخصوصها APs

(١١) لخصوص: بخصوص A

(١٢) لجرميّتها: بجرميّتها A

(١٣) حارّاً: حارّ A

(١٤) كلمة التصوّف: ١٠٥

[كيفيّة الحكم على جزئيّات الماهيّة]

والحكم على جزئيّات الماهيّة تبعاً للحكم بما يلزمها لذاتها، لا لاستقراء أشخاصها.

[1]< فنحن إذا حكَمنا على كلّ واحد من جزئيّات شيء، فإنّما نحكم بما يلزم الماهيّة[2] لذاتها، لا بناءً على استقراء الأشخاص. والاستقراء هو الحكم على كلّيّ[3]، بناءً على مشاهدة كثير[4] من جزئيّاته. وهو ضعيف؛ إذ ربّما يخالف حكمُ ما لم يعهد، حكمَ ما عهد، >[5] فلا يتحقّق به كلّيّة الحكم، فلا يصحّ بناء الحكم الكلّيّ على ذلك.



---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) الماهيّة: على الماهيّة P، على ماهيّته Ps

(٣) كلّيّ: كلّ P

(٤) مشاهدة كثير: كثرة A

(٥) كلمة التصوّف: ١٠٥

[عدم وجدان الكلّيّ في الأعيان]

[١]< **والكلّيّ لا يوجَد في الأعيان؛** إذ الموجود في العين ـأعني الخارجـ ما حصل له هويّة متشخّصة في الخارج[٢]، لا إمكان للشركة فيها. وما هذا حاله لا يكون كلّيّاً؛ إذ الكلّيّ لا يمنع[٣] الشركة لذاته. >[٤]

وقيد «[لذاته]»[٥] لأنّ من الكلّيّات ما يمنع الشركة لأمر عارض، كالشمس [التي][٦] لم يوجَد في الخارج [منها][٧] إلّا واحداً شخصيّاً. فمنع الشركة إنّما هو باعتبار الوجود الخارجيّ، لا باعتبار نفس الكلّيّة. وقد [يمثّلون][٨] بالواجب؛ فإنّه لا يمنع الشركة من حيث ذاته، بل[٩] بدليل الوحدة.

فعُلم أنّ الكلّيّ من حيث هو كلّيّ لا يوجَد في الأعيان الخارجيّة متشخّصاً؛ **إذ العين غير مشترك،** والكلّيّ مشترك، **والكلّيّ** أيضاً **لا يمنع الشركة لذاته** ـكما عرفتَـ، **ولا يتعدّد إلّا بلواحق [تزيد]**[١٠] **عليه؛ إذ الافتراق لا [يقع]**[١١] **بما به الاشتراك.** فتعدّد أفراد الكلّيّ ليس بما هو كلّيّ؛ لأنّه هو المشترك، فلا يقع به الامتياز، بل إنّما يتعدّد بأُمور لاحقة له، زائدة على ما به الاشتراك، فيقع التعدّد بواسطتها.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) متشخّصة في الخارج: ـ P
(٣) لا يمنع: لا تمتنع فيه P
(٤) كلمة التصوّف: ١٠٥
(٥) لذاته: بذاته A
(٦) التي: الذي A
(٧) منها: منه A
(٨) يمثّلون: تمثّلون A
(٩) A10a
(١٠) تزيد: تريد A
(١١) يقع: ـ A

[أسباب تعدُّد أفراد الكلّيّ]

وتلك اللواحق:

ـ إمّا مشـخّصـات، إن كان المشترك [نوعاً][(١)]؛ كالأين، والوضع، والكمّ، والكيف، في مشخّصات نوع الإنسان، التي وقع بها تعدّده.

ـ وإمّا فصـول منوِّعة، إن كان المشـترك جنسـاً؛ كالناطقيّة، والصـاهليّة، المتعدّد [بهما][(٢)] أنواع الحيوان.

ولا ريب أنّ هذه لواحق زائدة على نفس المشترك، بواسطتها حصل التعدّد.



(١) نوعاً: نوع A

(٢) بهما: بها A

[انقسام الممكن إلى الجوهر والعرض]

[١]< وما حلّ في غيره شـائعاً فيه هيئة[٢]؛ وما قامت به محلّ؛ وما لا يحلّ في غيره جوهر. >[٣]

فانقسم الممكن ـعلى اصطلاحه هذاـ إلى جوهر وعرض؛ لأنّ الممكن:

ـ إمّا حالّ في غيره على جهة الشـيوع فيه بالكلّيّة، [٤]< كالبياض الشـائع بكلّيّته في العـاج والقطن، بمعنى أنّـه ليس لـه سـمك لم يجامع العاج والقطن، كحال الماء في الكوز، والإنسان في البيت؛ فإنّ حلولهما في المحلّ ليس على جهة الشيوع؛ لأنّ لكلّ واحـد منهمـا سـمك لم يجامع الكوز والبيت. والأوّل هو المسـمّى بالعرض والهيئة والكيفيّة. >[٥]

ـ وإن كان غير حالّ في غيره، بل ولا يتصـوّر حلوله فيه بالكلّيّة، فهو المخصـوص باسم الجوهر.

هـذا مـا اصـطلح عليه هاهنا، وهو قريب من اصـطلاح الإشـراقيّين، وقريب منه اصطلاح المتكلّمين.

[الفرق بين المحلّ والموضوع عند المشّائين]

وأمّا [المشّـاؤون][٦] فيفرّقون بين المحلّ والموضوع[٧]، ولا يقولون: إنّ كلّ حالّ في

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) هيئة: ـ A

(٣) كلمة التصوّف: ١٠٥

(٤) بداية العبارات المنقولة من: الألواح العماديّة.

(٥) الألواح العماديّة: ٣٦

(٦) المشّاؤون: المشّائين A

(٧) الشفاء، الإلهيّات: ٥٩

غيره هيئة؛ فإنّ الصــورة عندهم حالّة في المادّة، مع أنّها جوهر عندهم. ولهذا يقولون: إنّ الممكن إن افتقر إلى المقوّم له في تشـخّصه[1] ـ كالبياض المفتقر في تشخّصه إلى العاج ـ سـمّي المحتاج إليه موضـوعاً، والمحتاج عرضـاً. وإن كان المقوّم للشـيء [محتـاجاً][2] إلى القائم به، سـمّي المقوّم به محلّاً، والقائم به حالّاً، كالمادّة المقوّمة بالصورة، مع أنّها محتاجة إليها في التشخّص الخارجيّ.

فالمحلّ غير الموضوع عندهم، فبينهما عموم وخصوص مطلق ـ على مصطلحهم ـ.



(١) A10b

(٢) محتاجاً: محتاج A

[اشتراك الأجسام في الجسميّة وافتراقها بالهيئات]

فما اشتمل منه ـأي من الجوهرـ **على المقادير** فهو **جسم. وتشترك** به الأجسامُ **في الجسميّة، وتفترق بالهيئات.**

فالجسميّة عرض [يعرض](١) لِما لا [يحتاج](٢) إلى المحلّ، بواسطة اشتماله على المقادير الثلاثة ـأعني الطول والعرض والعمقـ. فما انقسم إلى هذه الأبعاد، فهو جسم. فظاهره عدم زيادة هذه المقادير على الجسم، بل هي نفس الجسم، لا يُفهم الجسميّة بدونها. فلا تكون أعراضاً قائمة بها ـكما يقوله المشّاؤونـ، وما اختاره هنا هو ما حقّقه الإشراقيّون في مباحثهم.

وحينئذٍ نقول: يلزم اشتراك الأجسام في معنى الجسميّة، ومعه لا بدّ من المايز الموجب للتعدّد، وذلك إنّما هو بالهيئات [المختلفة](٣)، كافتراق الجسمين بالسواد والبياض، فبالضرورة هي زائدة عليها.

ولا تتمايز بالصور؛ لأنّها عندهم أعراض، ليست بجواهر عند الإشراقيّين، فالتمايز بها أيضاً تمايز بالهيئات.

وأمّا التمايز بالفصول ـكالنموّ، والحسّاسيّة، وعدمهماـ ليكون الجسم جنساً لهذه الأنواع، فإثباته من أصعب الأشياء؛ لعدم البرهان القاطع على إثبات أنّ هذه المميّزات أجزاء داخلة في الماهيّة الجسميّة، مميّزة لأنواعه. وكذا إثبات كون الجسميّة جزءاً مشتركاً هو تمام المشترك بين هذه الأنواع، ممّا لم [يعمّ](٤) البرهان عليه. وإيراد المنطقيّين ذلك في مثالاتهم مبنيّ على المسامحة في الأمثلة.



---

(١) يعرض: تعرض A
(٢) يحتاج: تحتاج A
(٣) المختلفة: المتخلّفة A
(٤) يعمّ: تعمّ A

[ردّ مذهب القائلين بالجوهر الفرد]

ولا يقبل الأجسامُ القسمةَ إلى ما لا [ينقسم][١]**؛ وإلّا فمع التركيب إن حجب الواسطةُ** الطرفين **انقسم** الوسط[٢] والطرفان، **وإلّا تداخلت** على تقدير عدم حجب الوسط. وبهذا ينتفي الجوهر الفرد، وينتفي تركّب الأجسام عنه، كما ذهب إليه المتكلّمون. بل الحقّ أنّ الجسم واحد في نفسه، [يقبل][٣] انقسامات بالقوّة لا إلى نهاية، كما هو مذهب أهل الحكمة، وذلك ممّا طال فيه التنازع بينهم وبين المتكلّمين. وللفريقين حجج متعدّدة مذكورة في مصنّفاتهم، وما ذكر هاهنا أقوى ما تمسّك به أهل الحكمة على مدّعائهم.

وحاصله أنّه على تقدير ثبوته يلزم:

ـ إمّا تداخل الأجزاء، بأن يصير الأجزاء المتعدّدة في حيّز جزء واحد وفي قدره، فلا يزداد الحجم، وإن تكثّرت الأجزاء.

ـ أو الانقسام.

وبديهة العقل [حاكمة][٤] ببطلان التداخل، فوجب الانقسام.

والملازمة ظاهرة ممّا تقدّم.

[٥]< وتحقيق المبحث أنّ أُناساً من قدماء الفلاسفة وجميع المتكلّمين ذهبوا إلى إثبات الجزء الذي لا يتجزّأ، المسمّى بـ«الجوهر الفرد»، فأشار إلى الردّ عليهم.

---

(١) ينقسم: تنقسم A

(٢) A11a

(٣) يقبل: تقبل A

(٤) حاكمة: حاكمه A

(٥) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

[بيان مذهب القائلين بالجوهر الفرد]

وبيان قولهم أنّهم زعموا أنّ الجسم ينقسم في الوهم والعقل إلى ما لا ينقسم[١]. وفائدة إيراد العقل أنّ الوهم ربّما يقف، إمّا لأنّه لا يقدر على استحضار ما يقسمه لصغره، وإمّا لأنّه[٢] لا يقدر على الإحاطة بما[٣] لا يتناهى. ولا كذلك العقل؛ فإنّه لا يقف؛ لأنّ الغرض العقليّ يتعلّق بالكلّيّات المشتملة على الصغير والكبير والمتناهي وغيره.

[احتجاج على هذا المذهب]

واحتجّوا على ذلك بأنّه لو انقسم إلى غير النهاية، لكان الجسم وجزء منه ـ كجبل وحصاة مثلاً ـ متساويين في المقدار؛ لتساويهما في قبول القسمة إلى غير النهاية. واستلزامُه تساويهما في المقدار لاستحالة أن يكون ما لا يتناهى أزيَد ممّا لا[٤] يتناهى. فإنّ ما نقص عمّا هو غير متناهٍ، فلا بدّ أن يكون ذلك لوجود شيء في الزائد ليس في الناقص ما[٥] هو في مقابله[٦]، إذا قوبل كلّ جزء من هذا بجزء من ذلك[٧]. ولا يُتصوّر ذلك إلّا أن يكون الناقص متناهياً، وقد فرض غير متناهٍ، هذا خلف. وإذا لم يتفاوت أجزاؤهما، لم يتفاوت مقدارهما بالضرورة؛ لأنّ تفاوت المقدار بحسب تفاوت الأجزاء، لكن مساواة الجزء المقداريّ للشيء لكلّه في خصوص المقدار محال.

[ردّ هذا الاحتجاج]

والجواب: أنّ لا نهاية إمكان القسمة خاصّة للأجسام كلّها، وكما[٨] لا يلزم من اشتراك الكلّ والجزء في الجسميّة اشتراكُهما في خصوص المقدار، كذلك لا يلزم من اشتراكهما

---

(١) ينقسم: نهاية له A
(٢) لأنّه: لأنّها A
(٣) بما: ما A
(٤) لا: ـ A
(٥) ما: ممّا A
(٦) مقابله: مقابلته P
(٧) A11b
(٨) كما: ـ A

في خاصّة الجسم ـ وهي لا نهاية إمكان القسمة ـ اشتراكُهما في خصوص المقدار[١].

سلّمنا أنّ الشيئين إذا اشتركا في عدم التناهي اشتركا في عدم التفاوت، ولكن لا مطلقاً، بل في ما يكون أعدادهما الغير المتناهي حاصلة بالفعل. أمّا إذا كانت بالقوّة فلا، كيف، والوجود يكذّبه؟

أ لا ترى أنّ الأُلوف المتضاعفة إلى غير النهاية بالقوّة والإمكان فيها من المئات الغير المتناهية بالقوّة عشرة أمثالها، ومن العشرات مئة أمثالها، مع أنّ[٢] عدد كلّ عقد من الثلاثة غير متناهٍ بالقوّة، بمعنى أنّا إلى أيّ حدٍّ انتهينا في العدد أمكن الزيادة عليه؟ لكن لمّا لم يكن هذه الأُلوف الغير المتناهية حاصلة بالفعل، لم يلزم من الاشتراك في اللا نهاية[٣] التساوي في الأعداد، المقتضي لتساوي مقدارَي الجزء والكلّ. >[٤]

[حجّة أهل التحقيق على استحالة الجوهر الفرد]

<[٥] ثمّ استدلّ أهل التحقيق من أهل الحكمة على استحالة الجزء الذي لا يتجزّأ في العقل وفي الوهم للجسم وانتهائه في القمسة إليه وتركّبه منه، بأنّ هذا الجزء إذا كان في الجهات ـ على ما يعتقده أو يسلّمه القائلون به ـ فما منه إلى جهة غير ما منه إلى أُخرى، فينقسم وهماً وعقلاً. ونستثني[٦] نقيض التالي ـ لمنافاة انقسامه؛ لكونه جوهراً فرداً ـ لنقيض[٧] المقدّم، وهو أنّ الجزء ليس بموجود في الجهات، بل مطلقاً؛ لأنّ تقدير الكلام: لو كان الجزء موجوداً لكان في الجهات، ولو كان فيها انقسم، لكنّه ليس

---

(١) كذلك ... المقدار: ـ A

(٢) أنّ: + كلّ A

(٣) اللا نهاية: أن لا نهاية A

(٤) شرح حكمة الإشراق: ٢٣٣ ـ ٢٣٤

(٥) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

(٦) نستثني: يُستثنى P

(٧) لنقيض: النقيض A

بمنقسم، فليس بموجود.

وهذا من أقوى الوجوه الدالّة[١] على نفي الجوهر الفرد[٢]؛ لدلالته على بطلانه مطلقاً، سواء تركّب منه الجسم[٣] أو لا، وسواء كان هو وأمثاله متناهي[٤] العدد في كلّ جسم متناهي المقدار ـعلى تقدير تركّبه منهـ أو لم يكن.

[دليلان آخران على إبطال الجوهر الفرد]

ولهم أيضاً دليلان آخران:

أ. لو كان للجسم جزء لا يتجزّأ، لكان الواحد ـإذا فرِضـ على ملتقى الاثنين، لمّا لم يُتصوّر أن يماسّ كلّ كليهما؛ إذ لا يكون حينئذٍ لا يتجزّأ؛ لانقسامه بهما. ولا أن يماسّ مقتصراً على مماسّة أحدهما؛ فإنّه على الملتقى. فلا بدّ من التقاء شيء من كلّ واحد من الطرفين والواسطة، فانقسمت الثلاثة.

ب. إنّ ذلك الواحد بين[٥] الاثنين، وهو الوسط، إن حجب الطرفين عن التماسّ ـوهو كون نهايتَي جسمين بحيث لا يتخلّلهما شيء من الأشياءـ لقي كلّ واحد من الطرفين بغير[٦] ما يلقى به[٧] الآخر، فانقسم الوسط.

وإن لم يحجب[٨] الوسط الطرفين عن التماسّ، بل كان كلّ واحد من الطرفين مماسّاً للآخر كمماسّته[٩] للوسط، كان الوسط مداخلاً لهما؛ إذ[١٠] التداخل هو أن يلاقي كلّ واحد من الجسمين بكلّيّته كلّيّة الآخر، بحيث يكون حيّزهما واحداً، ويكون

(١) A12a

(٢) الفرد: ـ A

(٣) الجسم: بجسم A

(٤) متناهي: تناهى A

(٥) بين: سرّ A

(٦) بغير: غير P

(٧) يلقى به: يلقاه P

(٨) يحجب: يحتجب A

(٩) كمماسّته: كمماسّة A

(١٠) إذ: إذا A

مقدار مجموعهما مقدار أحدهما. فوجود الوسط وعدمه سواء. فلو انضمّ إليهما رابع، كان حكم الوسط هكذا، وهلمّ جرّاً. فلا يزداد حجم الثلاثة على حجم الاثنين، ولا حجم الأربعة على حجم الثلاثة، فلم يبقَ في العالم حجم وهو محال. وإذا كان[١] محالاً في نفسه، ناقَض[٢] رأيهم في أنّ الأجسام تتألّف[٣] عنه، وأنّ الوسط يحجب الطرفين عن التماسّ.

وإذا لم يُتصوّر للجسم جزء لا يتجزّأ، فلا يُتصوّر[٤] لكلّ ما يكون في الجسم من سائر المتّصلات القارّة ـ كالخطّ والسطح والجسم التعليميّ ـ؛ لانقسامها بانقسامه، ومن غير القارّة، كالحركة[٥]؛ فإنّها واقعة في المسافة، فيلزم انقسامها إلى غير النهاية من انقسام المسافة. وذلك لتطابقهما في العقل؛ فإنّ الحركة[٦] إلى نصف المسافة نصف الحركة إلى كلّها.

وكذا الزمان ينقسم بانقسام الحركة؛ فإنّ زمان نصف الحركة نصف زمان كلّها. والزمان هو مقدار الحركة، لا من جهة المسافة التي توجد أجزاؤها المتقدّمة والمتأخّرة بحسب الحركة، بل من جهة المتقدّم والمتأخّر اللذين[٧] لا يجتمعان. فإذَن لا حركة مؤلّفة من أجزاء لا تتجزّأ ولا زمان.

وتبيّن[٨] منه أنّ قسمة الحركة والزمان إلى ماضٍ ومستقبلٍ وحالٍ لا يصحّ؛ لأنّ الحال حدّ مشترك هو نهاية الماضي وبداية المستقبل، والحدود المشتركة بين المقادير لا يكون أجزاؤها[٩]، وإلّا لكان التنصيف تثليثاً، بل هي موجودات مغايرة لما هي حدوده بالنوع.

---

(١) إذا كان: مع كونه P
(٢) ناقض: يناقض P
(٣) تتألّف: يتألّف A
(٤) يتصوّر: + هذا الجزء P
(٥) كالحركة: حتّى الحركة P
(٦) A12b
(٧) اللذين: الذين A
(٨) تبيّن: يتبيّن P
(٩) أجزاؤها: أجزاء لها P

ويظهر من هذا فساد الحجّة المذكورة على إثبات الجزء، وهي قولهم[١]: «إنّ الحركة موجودة، والماضي ليست بموجودة، وكذلك المستقبلة، فتعيّن الوجود في الحاضرة. وهي لا تنقسم، وإلّا لم تبقَ موجودة؛ لانحصار قسيمَيها[٢] في الماضي والمستقبل، وهما غير موجودين. وإذا لم ينقسم الحركة الحاضرة لم ينقسم المسافة المطابقة لها، وفيه المطلوب».

وقد ظهر[٣] فسادها؛ لابتنائها على قسمة الحركة إلى الثلاثة.

وقد يدفع أيضاً بأن يُقال[٤]: إن أردتَ بعدم الانقسام في[٥] الحركة الحاضرة عدمَ انقسامها بالفعل، فلا نسلّم لزوم المطلوب؛ لأنّ اللازم عدم انقسام المسافة بالفعل، والمطلوب عدم انقسامها بالقوّة. وإن أردتَ به عدم انقسامها بالقوّة، فلا نسلّم أنّها لو انقسمت بالقوّة لم تبقَ موجودة، وإنّما يلزم ذلك لو انقسمت بالفعل. >[٦]



(١) قولهم: ـ P

(٢) قسيميها: قسمتها P

(٣) قد ظهر: ظهور P

(٤) يدفع أيضاً بأن يُقال: يُقال في دفعها أيضاً P

(٥) الانقسام في: انقسام P

(٦) شرح حكمة الإشراق: ٢٣٤ ـ ٢٣٦

[امتناع انتقال الأعراض]

[1]< **ولا تنتقل الهيئة** من جسم إلى آخر، فتستقلّ[2] بالحركة في ما بين الجسمين[3]، **وإلّا تجسّمت،** فيلزمها طول وعرض وعمق؛ لاستقلالها بالجهات، فصارت بالضرورة جسماً[4].



---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) فتستقلّ: فيستقلّ A

(٣) بين الجسمين: بينهما P

(٤) جسماً: + وكانت هيئة وهذا محال P

[إثبات تناهي الأبعاد]

ولا بدّ من تناهي الجسم[١]، وكذا الأعداد الموجودة المترتّبة[٢]؛ للتطبيق وغيره، ولو فقد أحدهما لم يمتنع عدم النهاية.

[البرهان الأوّل]

وذلك لأنّ الامتداد[٣] الغير المتناهي و[٤] الصفات المترتّبة الغير المتناهية والعلل والمعلولات ـلو أمكنَت ـ لكان[٥] لنا أن نحذف[٦] منها عشرة أذرع أو عشرة أعداد من وسط السلسلة المترتّبة[٧] الغير المتناهية، ونوصل[٨] بين طرفَي المحذوف منه[٩]، فنأخذه[١٠] دون المحذوف سلسلة ومعه أُخرى، ونطبّق في العقل بين السلسلتين[١١]. فلا بدّ من التفاوت، وإلّا يستوي[١٢] الزائد مع الناقص، وهو محال. والتفاوت لا يقع في الوسط الموصول[١٣]، فيقع في الطرف. فالناقص يتناهى[١٤]، والزائد عليه زاد عليه بالمتناهي، وما زاد على المتناهي بمتناهٍ[١٥] فهو متناهٍ. >[١٦]

---

(١) ولا بدّ من تناهي الجسم: الجسم يجب أن يتناهى P

(٢) الأعداد الموجودة المترتّبة: كلّ عدد موجود آحاده معاً مع ترتيب ما P

(٣) A13a

(٤) و: أو P

(٥) لكان: كان P

(٦) نحذف: تحذف A

(٧) المترتّبة: ـ P

(٨) نوصل: تصل A

(٩) منه: ـ P

(١٠) فنأخذه: فتأخذه A

(١١) السلسلتين: الجملتين A

(١٢) يستوي: استوى Ps

(١٣) الموصول: للوصل المذكور P

(١٤) يتناهى: تناهى P

(١٥) بمتناهٍ: لمتناهٍ A

(١٦) كلمة التصوّف: ١٠٦

وكذا لو فرضنا جسماً.

واعلَم أنّ هذه المسألة من مقاصد العلم الطبيعيّ، وهي من المهمّات والمبادئ الذي يبتني عليها من الطبيعيّات مسألةُ إثبات محدّد الجهات، ومن الإلهيّات مسألةُ امتناع انفكاك الصورة وما يتبعها ـ أعني المقدار ـ عن الهيولى. [فيجب][1] نهاية جميع الأبعاد، سواء فرضناها في ملأٍ أو خلأٍ أو في الذهن.

واحتجّ عليه المصنّف ببرهان التطبيق، وهو برهان مشهور، وقد أشرنا إلى تقريره بما سلف.

[تقرير آخر لهذا البرهان]

وقد يفسَّر بوجهٍ آخر، هو أن يُقال: [2]< لو كانت الأبعاد غير متناهية، لكان[3] لنا توهّم امتداد غير متناهٍ، فنأخذه تارةً كما هو غير متغيّر[4]، وتارةً نقطع[5] منه قدراً متناهياً من وسطه، ثمّ نوصله في الوهم، ونتوهّم أنّهما خطّان أُطبق أحدهما على الآخر.

فإن ذهبا إلى غير النهاية من غير تفاوت، يلزم أن يكون الناقص مساوياً للزائد، والجزء للكلّ؛ فإنّ الامتداد المفروض أنّه غير متناهٍ هو جزء من مجموع القدر المتناهي مع نفس ذلك الخطّ. فإذا كان المقطوع منه يساوي المجموع من[6] نفس الخطّ وما ضممنا[7] إليه من المقطوع، يكون الكلّ مثل الجزء، وذلك محال.

وإن وقف أحدهما وذهب الآخر[8]، فقد وقع التفاوت بذهاب أحدهما وانصرام

---

(١) فيجب: ويجب A

(٢) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٣) لكان: كان P

(٤) متغيّر: متعيّن P

(٥) نقطع: يقطع A

(٦) من: مع P

(٧) ضممنا: ضمّها Ps

(٨) A13b

الآخر. فيتناهى أحدهما، وزاد الآخر عليه بقدر متناهٍ، وما زاد على المتناهي بمتناهٍ(١) فهو متناهٍ. فالامتداد الذي هو العالم المفروض أنّه غير متناهٍ فهو متناهٍ، وذلك هو المطلوب.

[إشكال على هذا البرهان]

وأُورد(٢) على هذا البرهان أنّ القطع والوصل(٣) فيه يقتضي الحركة(٤)، ولا تُتصوّر(٥) في ما لا يتناهى؛ لاستلزامها(٦) حركة جميع الخطّ الغير المتناهي، وما لا آخر له لا يتمّ فيه الحركة أصلاً.

[جواب عن هذا الإشكال]

وأُجيب بأنّ(٧) الحذف والقطع لم نأخذهما(٨) في الأعيان، ليحتاج إلى الجذب والمدّ والوصل بالفعل؛ فإن أُخذ(٩) الامتداد الواحد الذي فرضناه غير متناهٍ في الوهم كما هو تارةً، ومحذوفاً عنه قدراً متناهياً أُخرى(١٠)، فينظر الوهم إلى ذلك الامتداد دون عشرة أذرع مثلاً(١١) مرّة، ومعها أُخرى. وحينئذٍ لا احتياج(١٢) إلى جذب ومدٍّ ووصل وحركة في الأعيان، ليلزم المحذور الذي ذكرتموه(١٣).

[السلاسل التي يتمّ هذا البرهان فيها]

وهذا البرهان يتمّ في كلّ سلسلة مركّبة من أعداد مجتمعة في الوجود(١٤)، لها ترتيب

---

(١) بمتناهٍ: لمتناهٍ A
(٢) أورد: أوردوا P
(٣) الوصل: + المذكور P
(٤) الحركة: أن يكون هناك حركة P
(٥) تتصوّر: نتصوّر A، يتصوّر ذلك P
(٦) لاستلزامها: لاستلزام الحركة P
(٧) أُجيب بأنّ: الجواب أنّ P
(٨) نأخذهما: يأخذهما A
(٩) فإن أُخذ: بل نأخذ P
(١٠) أُخرى: آخر A
(١١) مثلاً: + مجتمعة في A
(١٢) احتياج: يحتاج P
(١٣) المحذور الذي ذكرتموه: ما ذكرتموه من المحذور P
(١٤) الوجود: + و P

وضعيّ، كمسألتنا؛ أو لها ترتيب طبيعيّ، كالعلل والمعلولات، والصفات والموصوفات. فيأخذ العقل هذه السلسلة كما هي تارةً، وبدون قدر متناهٍ[١] أُخرى. ثمّ يؤخذ[٢] ما بينهما أُخرى بالوهم، ويتوهّم[٣] أنّهما[٤] سلسلتان أُطبقت[٥] إحداهما على الأُخرى.

فإن كان بإزاء كلّ واحد من هذه السلسلة واحد من الأُخرى من غير تفاوت، لزم[٦] أن يكون الناقص مساوياً للزائد، وهو محال.

وإن تفاوت فيقع التفاوت في الطرف، فيتناهى إحداهما[٧]، ويزيد [الأُخرى][٨] عليه بمقدار متناهٍ، وما زاد على المتناهي بمتناهٍ فهو متناهٍ.

وصورة القياس أن نقول: لو صحّ وجود سلسلة مجتمعة في الوجود مترتّبة، لكان الناقص مساوياً للزائد، أو يكون الغير المتناهي يزيد على المتناهي بمتناهٍ[٩]؛ والتالي بقسمَيه[١٠] باطل، فكذا[١١] المقدّم.

[البرهان الثاني]

برهان آخر على تناهي الأبعاد: لو صحّ وجود الأبعاد الغير المتناهية، لكان لنا أن نفرض كُرةً خرج من مركزها خطٌّ غير متناهٍ مقاطعاً لخطّ آخر غير متناهٍ. ولا مَحالة يكون الخطّ الخارج من[١٢] المركز ملازماً للمركز من جهة النهاية. فإذا تحرّكت الدائرة تحرّك[١٣] الخطّ الخارج عنها؛ لملازمته[١٤] المركزَ. فينتقل عن التقاطع إلى المسامتة

---

(١) متناهٍ: _ A

(٢) يؤخذ: يوصل P

(٣) يتوهّم: نتوهّم A

(٤) أنّهما: كأنّهما P

(٥) أُطبقت: أُطبقتا P

(٦) لزم: يلزم A

(٧) إحداهما: أحدهما P

(٨) الأُخرى: الآخر AP

(٩) بمتناهٍ: لمتناهٍ A

(١٠) بقسميه: لقسميه A

(١١) فكذا: وكذا A || A14a

(١٢) من: عن P

(١٣) تحرّك: يحرّك A

(١٤) لملازمته: لملازمة A

الحادثة بعد أن لم تكن[١]، وكلّ حادث ـبعد أن لم يكن ـ له أوّل، فالمسـامتة لها أوّل. ولا يُتصـوّر ذلـك إلّا على نقطـة معيّنـة من الخطّ الخـارج ينتهى المقـاطعـة عندها، ويحدث أوّل المسامتة، وهي آخر نقطة من الخطّ الخارج، ينتهي عندها التقاطع. وكلّ نقطة في الخطّ الخارج فرضـت أنّها أوّل نقطة المسـامتة، والمسامتة[٢] مع النقطة التي فوقها تكون[٣] قبلها؛ لما ذكر أُقليدس أنّ لنا أن نصـل بين كلّ نقطتين بخطّ مسـتقيم، فيكون المفروض أنّه أوّل نقطة مسـامتة الخطّ اللازم للمركز لنقطة الخطّ الخارج ليس هو أوّل نقطـة المسـامتة. وكذلك الحال في المفروض أنّه آخر نقطة المسـامتة، وهي النقطـة التي يقع عليها تقاطع الخطّين ليسـت بآخر[٤] نقطة التقاطع أيضـاً، بل يكون بعدها نقطة أُخرى يتقاطع[٥] عليها الخطّان إلى غير النهاية، وهو محال.

فلو كانت الأبعاد الجسـمانيّة غير متناهية، لزم أن يحصـل في الخطّ نقطة هي أوّل نقطة المسـامتة وأن لا يحصـل فيه ذلك، وأن يحصل فيه نقطة هي آخر نقطة المسامتة وأن لا يحصل، وذلك جمع بين النقيضين، وهو محال.

وينضـمّ إلى هذا محال آخر، وهو أن لا يتمّ حركة دوريّة أصـلاً؛ لعدم تخلّص أحد الخطّين عن الآخر، وظاهر تمامها.

ويتوقّف هـذا البرهان على إثبات البرهان على وجود مسـامتة النقطة الفوقانيّة قبل التحتانيّة، وهو يظهر من مقدّمتين[٦]:

أ. إنّ الخطّ الخـارج عن المركز إذا كـان متناهياً وموازياً لخطّ آخر[٧] خرج[٨] غير متنـاهٍ، وتحرّكت الكُرة، انتقل الخطّ من الموازاة إلى المسـامتة، ثمّ تزول المسـامتة،

(١) تكن: يكن P
(٢) والمسامتة: ـ A، فالمسامتة Ps
(٣) تكون: يكون A
(٤) بآخر: آخر Ps
(٥) يتقاطع: تقاطع A
(٦) A14b
(٧) آخر: الآخر A
(٨) خرج: خارج P

وتنتقل من نقطة إلى أُخرى تحتها، إلى أن يقوم الخطّ المتناهي على ذلك الخطّ الغير المتناهي.

ب. ما صدّر به أُقليدس كتابه، أنّ لنا أن نصل بين كلّ نقطتين بخطّ مستقيم. وحينئذٍ فكلّ نقطة من الخطّ الغير المتناهي يمكن أن نصل بينها[١] وبين مركز[٢] الكُرة[٣] بخطّ مستقيم. فإذا تحرّك الخطّ المتناهي من الموازاة إلى المسامتة فينطبق على الخطّ الواصل بين تلك النقطة ومركز الكُرة. وهذا الانطباق يكون قبل انطباقه على الخطّ الواصل بين النقطة التحتانيّة ومركز الكُرة. ويكون انطباق ذلك الخطّ على هذه النقطة التحتانيّة أيضاً قبل انطباقه على ما تحتها، وهكذا إلى آخر النقط التي في الخطّ[٤]، وهذا ندركه بالمشاهدة الحسّيّة عند التشكيك[٥].

[إشكال على هذا البرهان]

وزعم الرازيّ[٦] أنّ هذا البرهان ـ المسمّى بـ[٧] «برهان الكُرة والمسامتة» ـ يدلّ على كون الأبعاد غير متناهية؛ لأنّا نفرض الكُرةَ المذكورة كُرةَ العالم، فأعظم[٨] خطوطها المستقيمة محور العالم. ثمّ نفرض خطّاً آخر خرج من مركزها موازياً للمحور. فإذا تحرّكت الكُرة بحيث يصير طرف هذا الخطّ المتناهي ـ الذي كان موازياً ـ مسامتاً لطرف المحور، فيحدث عند المركز زاوية بسبب ميل الخطّ المتناهي عن الموازاة إلى مسامتة طرف المحور. ويكون[٩] هذه الزاوية الحادثة قابلة للقسمة إلى غير النهاية، فإذا

---

(١) بينها: بينهما A

(٢) مركز: مركزة A

(٣) الكرة: ـ P

(٤) النقط التي في الخطّ: نقط الخطّ P

(٥) التشكيك: التشكيل A

(٦) المطالب العالية: ٦/١٨٥؛ والحقّ أنّ الرازيّ إنّما نقل كلام هذا القوم، وليس هذا معتقَده.

(٧) المسمّى بـ: وهو P

(٨) فأعظم: وأعظم A

(٩) ويكون: فيكون A

فإذا أخرجنا من هذه الزاوية خطّاً على زاوية أضيَق، فيسامت طرفُه نقطةً فوق طرف المحور[١]، وهكذا نخرج[٢] الخطوط من هذه الزاوية. فكلّما[٣] كانت أضيَق كانت المسامتة أبعَد، فيكون هذه المسامتات واقعةً فوق محور العالم، فيدلّ على عدم[٤] تناهي العالم.

ثمّ قال: إنّا لو فرضنا أنّا واقفون[٥] على طرف العالم الجسمانيّ، فإنّما نميّز بين قدامنا وخلفنا ويميننا ويسارنا بالبديهة، بحيث لا[٦] يمكننا أن نشكّك أنفسَنا ولا يشكّكنا غيرُنا في ذلك، كما لا يمكننا أن نشكّك في الأُمور البديهيّة.[٧]

قال: وهذه القضيّة أقوى عند الفطرة الأُولى والعقل السليم، الذي لم يتشوّش باعتياد المجادلات، وكثرة الشكوك، والإلف بالشبهات، والإلف بما يدنّس الفطرة، من المقدّمات التي ركّبتم منها برهان تناهي الأبعاد. فعلمنا أنّ هذه المقدّمة أولى بالقبول من مقدّماتكم.[٨]

[جواب عن هذا الإشكال]

والجواب عن الأوّل[٩]: أنّ خروج خطّين متوازيين من نقطة واحدة غير ممكن، فبطل ما بنى على ذلك من التوهّمات الكاذبة والخيالات الفاسدة. وعلى تقدير جوازه، فالبرهان قد قام على تناهي الأبعاد، فما ذكره من الوهم غير مطابق للعقل، ولا[١٠] يلتفت إليه. والأوهام الصحيحة هي التي تصدر عن طاعة العقل، كما فرضنا نحن في

(١) المحور: محور العالم P
(٢) نخرج: تخرج A
(٣) فكلّما: وكلّما APs
(٤) A15a
(٥) واقفون: واقفين A
(٦) لا: _ Ps
(٧) المطالب العالية: ١٨٦/٦
(٨) نفس المصدر.
(٩) عن الأوّل: أ A
(١٠) ولا: فلا P

التوهّمات التي بنينا عليها تناهي الأبعاد؛ فإنّه على تقدير صحّة مذهب الخصم ـأنّ الأبعاد غير متناهيةـ يصحّ ما ذكرناه من الفرض الوهميّ.

وبهذا يندفع ما ذكره في السؤال الثاني؛ فإنّ توهّمك أنّك[١] على طرف العالم وهمٌ كاذب يكذّبه البرهان والوجود، ولا يعضده العقل.

فقولك: «نميّز بين قدامنا وسائر الجهات» ليس بصواب؛ فإنّ القدام والخلف وسائر ما ذكره يستدعي جهة وصوباً وحيّزاً يكون فيه عند كونك على طرف العالم، ولا جهة ولا صوب هناك، فكيف تورد أمثال هذه التوهّمات[٢] التي لا حاصل لها، ولا فرج[٣] فيها.

ولو كان هذا الرجل من الحكماء والمتألّهين أو تنوّرت نفسه بشموس الحكمة وأنوارها، لَذبّ عنهم، وتعصّب[٤] لهم في تتميم براهينهم، وأجاب عن الشكوك الواردة على كلامهم، ولظهر[٥] من كلامه رسوخ أنوار الحكمة في قلبه، ولكن «كلٌّ ميسَّرٌ لِما خلِق له»[٦].

[تأمّل على إتمام هذا البرهان]

واعلَم أنّ في إتمام هذا البرهان صعوبة من جهة أنّه يحتاج إلى أن يثبت فيه أنّ حركة الجسم الغير المتناهي ممكن، ولا نقدر[٧] على إثبات ذلك.

وقولهم: «إنّ إتمام الحركة الدوريّة ظاهر وقوعها» لا يكفي هذا القدر، بل يحتاج أن

(١) أنّك: ـ A
(٢) التوهّمات: الترّهات P
(٣) فرج: روح P
(٤) A15b
(٥) لظهر: أظهر A
(٦) مرويّ عن النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآلهـ، كما في: التوحيد للصدوق: ٣٥٦؛ عوالي اللئالي: ١١٧/٤
(٧) نقدر: يقدر A

يقول: إنّ حركات الدوائر التي خرجت عنها[١] الخطوط الغير المتناهية، يصحّ وقوعها في الوجود، ويتعذّر إثبات ذلك. بل الحقّ أنّ الجسم إذا تحرّك بالاستدارة ـفسواء تمّت حركته أو لم تتمّـ فهو متناهٍ.

أمّا إذا تمّت، فهو ظاهر.

وأمّا إذا لم تتمّ، فعند حركته من المبدأ قدر شبرٍ فلا بدّ وأن يخرج كلّ جزء مفروض عن حيّزه؛ لأنّه جسم واحد متّصل، فيخرج جميع أجزائه عن حيّزه، فكانت الحركة آتية على جميع الأجزاء في زمان متناهٍ، فيلزم تناهيه بالضرورة، وإن لم يتمّ[٢] الدوريّة.

واعلَم أنّ هـذا البرهان[٣] إنّما يلزم منه استحالة وجود الأبعاد الغير المتناهية، عند كون الجسم المستدير الخارج من مركزه خطّ غير متناهٍ، مقاطعاً لآخر غير متناهٍ[٤]، متحرّكاً بالحركة المستديرة. ولا يلزم من ذلك استحالة وجود الأبعاد الجسمانيّة الغير المتناهية ـكيف كانـ، أو أن يكون وجود الأبعاد الغير المتناهية بدون هذا الفرض محال، إلّا أن يقرن بالبرهان حدس صائب يحصل[٥] منهما الجزم.

[البرهان الثالث]

وذكر الشيخ الإلهيّ[٦] برهاناً على المطلوب، زعم أنّه أجوَد من برهان ساقَي مثلّث، تقريره: لو كانت الأبعاد غير متناهية، لكان سعة العالم من جميع الجهات غير متناهية. فلنفرض جسماً مستديراً كالتُرس متناهياً، خرج من[٧] مركزه ستّة خطوط إلى غير

---

(١) عنها: منها P

(٢) يتمّ: + الحركة P

(٣) هذا البرهان: برهان حركة الدائرة P

(٤) مقاطعاً لآخر غير متناهٍ: ـ A

(٥) يحصل: تحصل A

(٦) المشارع والمطارحات (الطبيعيّات): ١٠٨

(٧) من: عن P

النهاية بحيث يقسم سعة الترس ـ الذي هو العالم ـ ستّة[١] أقسام[٢] متساوية. فكلّما[٣] ازداد البُعد بين تلك الخطوط ازدادت السعة بينها. والانفراج على نسبة ذهاب الخطوط في ما بين كلّ خطّين منها، إن لم يكن متناهياً لزم أن يكون ما لا يتناهى محصوراً بين حاصرين، وهو محال.

وإن كان ما بين كلّ خطّين من تلك الأقسام الستّة المتناهية متناهياً ـ لانحصارها بين تلك الخطوط ـ فيكون مجموع[٤] الأقسام متناهياً؛ لأنّ مجموع المتناهيات متناهٍ.

فسعة العالم ـ وهو الأبعاد الجسمانيّة ـ متناهية، وهو المطلوب.

ولا ريب أنّه أمتن من برهان ساقَي مثلّث، بل وغيره من [البراهين][٥]؛ لكون التُرس موجوداً، وكلّ جانب منه يحاذي طرفاً من العالم، والامتدادات على جوانبه لها ذهاب إلى غير النهاية، فلا يتمكّن الخصم من المنع كما في ساقَي مثلّث. >[٦]



(١) ستّة: بستّة P

(٢) A16a

(٣) فكلّما: فكلّ ما A

(٤) مجموع: جميع A

(٥) البراهين: البرهان A؛ بل وغيره من البراهين: ـ P

(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢/ ٩٠ ـ ٩٧

[لزوم الشكل والمقدار للجسم]

وحينئذٍ نقول: لمّا لزمت ـأي النهاية [للجسـم][١]ـ **لزمه الشـكل والمقدار، لا [للماهيّة][٢] الجرميّة، وإلّا لَتماثلت.**

[٣]< يريد [أنّه][٤] لمّا لزمت النهاية [للجسم][٥] بالضرورة، وجب أن يلزمه الشكل والمقدار. ولو لزمه ذلك للماهيّة الجرميّة لَاسـتوَت مقادير الأجرام وتماثلت أشـكالها، حتّى مقدار الكلّ والجزء وشكلهما، وذلك ممتنع.

فلا بدّ ممّن يفيدها. **فهناك مفيد [لها]**[٦] ـأي [المقدارَ][٧] والشـكلَـ. **ولا يكون** المفيـد **جرماً** من الأجرام، **وإلّا عـاد الكلام**، أي نقلنـا الكلام إلى ذلك المفيد. **فهو خـارج**، أي تعيّن أن يكون المفيـد لهـا خـارجاً عن الأجسـام. ولا ريب أنّ الأجسـام متعدّدة، وتعدّدها مُحوِج إلى مخصّـصـات لها، أي تحتاج إلى مخصّـصـات لهيئاتها. وتلك المخصّصات ـأعني الهيئاتـ لا بالجرميّة، فلا يقتضيها الماهيّةُ الجرميّة، وإلّا لاتّفقـت تلـك الهيئات فيها؛ لاتّفاقها في الجرميّة، فتتّفق في مقتضـياتها. لكن التالي باطل، فمفيدها لا يكون جسمانيّاً، أي فلا بدّ لها من مفيد لا يكون جسماً ولا جسمانيّاً. وهذا دليل[٨] على وجود الصانع. >[٩]



(١) للجسم: الجسم A
(٢) للماهيّة: لماهيّة A
(٣) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٤) أنّه: ـ A
(٥) للجسم: الجسم A
(٦) لها: لهما A
(٧) المقدار: للمقدار A
(٨) دليل: يدلّك P
(٩) كلمة التصوّف: ١٠٦ ـ ١٠٧

[أقسام الحركة]

اعلَم[١] أنّ الجهات مختلفة؛ لاختلاف الحركات.

[٢]< والحركة هيئة لا يُتصوّر ثباتها، وتنقسم[٣]:

ـ إلى طبيعيّة، كحركة الحجر إلى أسفل.

ـ وإلى إراديّة، وهي ما يصحّ[٤] إلى جهات مختلفة.

ـ وإلى قسريّة، كحركة الحجر إلى فوق.

وهي بالضرورة مختلفة باختلاف الجهات.

[ماهيّة الزمان]

وأنت تعلم من تأخيرك[٥] لأمرٍ إذا أدّى إلى فواته ممّا يختلف في القبليّة[٦] والبعديّة، أنّ في الوجود شيئاً غير ثابت متّصلاً، منه القبليّات والبعديّات. ولتحدّده وتقدّره[٧] يجب أن يكون شيئاً؛ إذ[٨] العدم البحت لا يتحدّد. ولعدم ثباته يجب[٩] أن يكون أمراً متعلّقاً بالحركة، وهو الزمان، فالزمان هو مقدار حركة الفلك[١٠]، إذا اجتمع[١١] في الذهن متقدّمُه ومتأخّرُه[١٢]. >[١٣]



---

(١) A16b

(٢) بداية العبارات المنقولة من: الألواح العماديّة.

(٣) تنقسم: ينقسم A

(٤) يصحّ: تصحّ A

(٥) تأخيرك: أخبرك A

(٦) في القبليّة: بالقبليّة A

(٧) تقدّره: تقديره A

(٨) إذ: إذا A

(٩) يجب: ينبغي A

(١٠) فالزمان ... الفلك: ـ A

(١١) اجتمع: جمع P

(١٢) متقدّمه ومتأخّره: متقدّمة ومتأخّرة A

(١٣) الألواح العماديّة: ٤٢

[أحكام محدّد الجهات]

[١]< إذا عرفتَ ذلك، فالجهات مختلفة **وموجودة،** فيكون لها وجود؛ **للإشارة إليها؛** إذ لا يقع الحركة والإشارة إلى العدم. ولا يُتصوّر أن يكون ما منه الجهة[٢] منقسماً، **ولا تنقسم** الجهة الواقعة فيه الحركة والإشارة، **وإلّا** ـ أي إذ لو انقسم ما منه ـ **لوقعا** ـ أعني الحركة والإشارة الحسّيّة ـ **في العدم،** وهو محال؛ لامتناع تحقّق ماهيّتهما فيه.

فالمحدّد واحد. فيكون محدّد الجهات[٣] ليس من جسمين فصاعداً، وإلّا[٤] يمكن ائتلافهما وانقسامهما، فينقسم ما منه الجهة، وهو محال.

وليس المحدّد بجرم واحد[٥] **قاصر على طرف، وإلّا**[٦] ـ أي فإنّه ـ **لا يتحدّد به** إلّا طرف واحد، **وحينئذٍ لامتداده**[٧] **طرفان.** ولا يختلف الجهات بجسم[٨] واحد متشابه الأجزاء؛ إذ لا أولويّة لعِلويّة بعض منه وسفليّة الآخر. **فلا بدّ من جرم** واحد **محيط،** لا من حيث هو واحد، **يحدّد القُرب**[٩] **[بمحيطه]**[١٠] **والبُعد بمركزه**[١١]. >[١٢]

[١٣]< وهذا إشارة إلى بيان أحكام محدّد الجهات. ولا ريب في أنّه جسم واحد

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) الجهة: الجسم A

(٣) الجهات: الجهة P

(٤) إلّا: لم A، لا Ps

(٥) بجرم واحد: جرم واحد غير A

(٦) إلّا: + لم A

(٧) حينئذٍ لامتداده: كلّ امتداد له P

(٨) بجسم: لجسم Ps

(٩) القرب: + منه P

(١٠) بمحيطه: لمحيطه A، بالمحيط P

(١١) بمركزه: بالمركز P

(١٢) كلمة التصوّف: ١٠٧

(١٣) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

بسـيط محيط بجميع الأجسـام، غير منقسـم بالفعل، وإن جاز عليه الانقسام الوهميّ. فالإشارات ـ التي هي امتدادات تأخذ من المشير إلى المُشار إليه ـ في جميع الجوانب ـ كاليمين[١] واليسـار والقدام والخلف والفوق والتحت ـ غايات يتوجّه نحوها الأجسام بالحركة، ويتناولها الإشـارة الحسّـيّة بأنّها هنا أو هناك، بخلاف العقليّة؛ فإنّها لا يمكن فيها ذلك.

وأنّه جسـم واحد، غير متألّف من أجسام مختلفة، محيط بجميع البرازخ، غير قابل للانفكاك والانفصال بالفعل.

ولمّا تبيّن امتناع تركّب سلسلة غير متناهية من مترتّبات مجتمعة ـ كيفما كانت[٢] ـ، تناهى المترتّبات المجتمعة الجرميّة، كالامتدادات الجسميّة الغير المتناهية، والأجسام المحيطـة بعضــهـا ببعض إلى غير النهـاية؛ بل وغير الجرميّة، كالمترتّبات المجتمعة الجرميّة العقليّة.

[دليل على وجود محدّد الجهات]

ودليـل وجوده أنّـه لو لـم يكن موجوداً، لكانت الحركةُ التي توجّه الجســم بها نحو الجهة، والإشارةُ التي تناولت الجهة بأنّها هنا أو هناك، عند عبورهما وخروجهما[٣] عن جميع الأجسـام واقعةً إلى لا شـيء. والعدم لا يُتصـوّر الإشـارة إليه، ولا الحركة، وهو ظاهر.

وأمّا بيان الشـرطيّة، فلأنّ المحدّد المحيط لو لـم يكن جســماً بسـيطاً غير منقســم بالفعل، فإمّا أن يكون منقسماً بالفعل أو مركّباً. وسواء كان ذلك المحدّد المحيط بالكلّ قابلاً[٤] للانقسام والانفصال، أو برازخ كثيرة متألّفة اجتمعت وتركّبت فصارت إيّاه، يلزم

(١) A17a
(٢) كانت: + وكذلك A
(٣) عبورهما وخروجهما: عبورها وخروجها P
(٤) قابلاً: قابل A

وقوع الحركة والإشارة إلى لا شيء.

أمّا على التقدير الأوّل، فلاستحالة حركة أجزاء المحدّد المحيط بالكلّ عند الانفصال بالفعل إلى جهة السفل؛ لأنّ حشو المحدّد ملأ[١]، لا يمكن أن ينفذ فيه شيء[٢]. فتحرّكُ[٣] الأجزاء بالضرورة إلى جهة العلو، ويلزم ما ذكرنا.

وبعبارة أُخرى: كلّ ما ينقسم بالفعل، ففي حال الانقسام لا بدّ من حركة أحد الجزئين عن الآخر. وحينئذٍ إمّا أن يكون وراء المحدّد جهة، أو لا يكون:

ـ فإن كان، فليس المحدّد المفروض جهة هي الغاية في ذلك الامتداد. وكلامنا في الجهة التي هي منتهى الإشارات والحركات في ذلك الامتداد.

ـ وإن لم يكن وراءه[٤] جهة مع أنّ أحد جزئيها يتحرّك عن الآخر، فتلك الحركة تكون[٥] حركة لا إلى صوب؛ لأنّ التقدير أنّ الجهة المنقسمة[٦] ـأعني المحدّدـ هي منتهى الأصواب، هذا خلف.

وأمّا على الثاني، فإنّ كلّ واحد من هذه الأجسام التي تركّب منها المحدّد، وإن فرض أنّه غير ممكن أن تنفصل[٧]، فلا بدّ و[٨] أن تكون[٩] مؤلّفة[١٠]، وإلّا لَما حصل منها المحدّد. وإن كانت[١١] مؤلّفة[١٢] بالفعل فيمكن تأليفها ـإذ لو امتنع تأليفها لَما حصل منها تركيب[١٣]ـ وانقسامها؛ لأنّ كلّ ما هو ممكن الائتلاف فهو ممكن الافتراق.

---

(١) ملأ: وما A
(٢) ينفذ فيه شيء: تنفذ بشيء A
(٣) فتحرّك: فيتحرّك P
(٤) وراءه: وراء P || A17b
(٥) تكون: يكون A
(٦) المنقسمة: منقسمة A
(٧) تنفصل: ينفصل A
(٨) و: من P
(٩) تكون: يكون A
(١٠) مؤلّفة: مؤتلفة P
(١١) كانت: + غير A
(١٢) مؤلّفة: مؤتلفة P
(١٣) تركيب: مركّب P

والافتراق[١] حركـة تسـتدعي[٢] جهة، وكلامنا في الجهة التي هي غاية الامتدادات[٣]. فإذا انقسـمت بالفعل، فيقع الحركة إلى لا شـيء ولا صـوب؛ لاسـتحالة أن يقع حركة الأجزاء المنقسمة إلى تحت؛ لِما مرّ. فتقع[٤] إلى فوق، ويلزم ما ذكرنا[٥]، وهو محال.

[دليل على بساطة محدّد الجهات]

وأيضاً لا يجوز تركّب المحدّد من أجسام مختلفة؛ لأنّ المختلفات التي تركّب منها المحـدّد لا بـدّ من حصـول أفرادها ـأي كلّ واحد منهاـ في أحيازها المختلفة أوّلاً، أي[٦] قبل التركيب. فإذا استعدّت للتركيب وجب حركتها عن أحيازها إلى حيّز المركّب حتّى تتركّب[٧]. وذلك يوجب تخصـيص كلّ جزء[٨] المركّب بجهة معيّنة دون غيرها ممّا تكون داخلة فيه، فيتقدّم[٩] الجهة على أجزاء المحدّد المتقدّمة عليه، فيتقدّم الجهة على محدّدها، وهو محال.

[ثمّ][١٠] استشعر أن يُتوهّم و[١١] يُقال: «كما لا يجوز أن يكون المحدّد مركّباً، كذلك لا يجوز أن يكون بسـيطاً؛ لوجوب تقدّم أجزاء البسـيط عليه، ويلزم تقدّم الجهة على محدّدها ـكما ذكرتـ».

ودفعُ هذا التوهّم أن يُقال: البسـيط يُجعل جسـماً واحداً دفعةً، لا دفعتين كما في المركّب؛ إذ لا جزء مادّيّاً[١٢] له، فيحتاج إلى حصوله في حيّزه أوّلاً، ثمّ إلى حصوله في

(١) والافتراق: ـ A
(٢) تستدعي: يستدعي A
(٣) الامتدادات: الامتداد A
(٤) فتقع: فيقع A
(٥) ذكرنا: ذكر P
(٦) أي: ـ A
(٧) حتّى تتركّب: حين تركّب A
(٨) جزء: جزئيّ A
(٩) فيتقدّم: فتنفذ A
(١٠) ثمّ: ولمّا AP
(١١) و: أن A
(١٢) مادّيّاً: حاوياً A

حيّز المركّب ثانياً. وأمّا الأجزاء المقداريّة للبسيط فتتأخّر عنه، ويتجزّأ بالفعل إن كان ممّا يقبل ذلك كالماء، أو لا يتجزّأ إن كان ممّا[١] لا يقبل ذلك كالسماء.

وإذا تبيّن استحالة انقسام المحدّد وتركّبه من المختلفات وحصوله لا دفعةً، فلا بدّ من المحيط الغير المنفصل الواحد البسيط؛ إذ المركّب لا يكون واحداً في الحقيقة. والمتشابه ما نفرض[٢] له[٣] أجزاء في الوهم هو المستدير؛ فإنّه الذي نسبة[٤] أجزائه الفرضيّة بعضها[٥] إلى بعض ونسبة جميعها إلى المركز[٦] متشابهة. ولو لم يكن نسبة[٧] الأجزاء إلى المركز[٨] متشابهة، بل كانت مختلفة، لكان بعضها أقرب إلى المركز وبعضها أبعد. وكان اختصاص بعضها بالقرب وبعضها بالبُعد يقتضي اختلاف أجزاء المحدّد، الموجب لتقدّم[٩] الجهة على المحدّد، وهو محال.

[عدم حصول جهتين مختلفتين من المحدّد]

واعلَم أنّ الجهات وإن كانت ستّاً ـ لأنّ امتدادات العالم متقاطعة[١٠] على قوائم ثلاثة، مع أنّ لكلّ امتداد طرفين هما جهتان ـ لكن المختلفة بالطبع ثنتان ـ فوق وأسفل ـ، ولهذا لا تتغيّران؛ فإنّ القائم لو صار منكوساً لا يصير ما يلي رأسه فوقاً وما يلي رجلَيه[١١] تحتاً، بل صار رأسه من تحت ورجلَيه[١٢] من فوق، فيكون الفوق والتحت بحالهما، بخلاف الأربعة الباقية؛ فإنّها وضعيّة. أ لا ترى أنّ اليمين يصير يساراً

---

(١) A18a
(٢) نفرض: يفرض P
(٣) له: + من A
(٤) نسبة: تشبّه A
(٥) بعضها: بعضاً A
(٦) المركز: المركّب A
(٧) نسبة: نسب A
(٨) المركز: المركّب A
(٩) لتقدّم: فتنعدم A
(١٠) متقاطعة: المتقاطعة P
(١١) رجليه: رجله P
(١٢) رجليه: رجله P

وبالعكس، وكذا القدام والخلف، ولا يصير الفوق أسفل ولا بالعكس؟

واختلاف الجهتين الطبيعيّتين يحتاج[١] إلى علّة توجب الاختلاف؛ فإنّه لو لم يختصّ إحداهما[٢] بأمر غير موجود للأُخرى[٣]، لم يكن طلب بعض الأجسام إحداهما[٤] أولى من الأُخرى. ولا بدّ أن يكون تلك العلّة:

ـ ذات وضع، قابلة للإشارة الحسّيّة، وإن لم يتناولها الإشارة.

ـ وكانت نسبتها إلى الجهتين واحدة، فلا يكون إحداهما[٥] في العلو[٦] أولى من الأُخرى.

ـ وليست بعرض[٧]؛ لعدم قيامه بذاته.

فهو جوهر جسمانيّ[٨] واحد، لا من حيث إنّه واحد؛ فإنّه من حيث هو واحد لا يحدّد[٩] إلّا ما هو قريب[١٠] منه دون ما بعُد[١١] عنه، مع وجوب تحديده[١٢] إيّاهما، بل من حيث إنّ له محيطاً ومركزاً حتّى يحدّد ما قرُب منه بمحيطه وما بعُد عنه بمركزه الذي يتحدّد بمحيطه[١٣] أيضاً؛ لأنّ المحيط يعيّن المركز، والمركز لا يعيّن المحيط؛ لجواز دوائر غير متناهية على مركز واحد، وتحصل منه الجهتان الطبيعيّتان[١٤]، وهو المطلوب.

وحاصله أنّه لا يحصل من المحدّد من حيث هو واحد جهتان مختلفتان، بأن[١٥]

---

(١) يحتاج: تحتاج A
(٢) إحداهما: أحدهما A
(٣) للأُخرى: للآخر A
(٤) إحداهما: ـ A
(٥) إحداهما: أحدهما A
(٦) في العلو: بالعلو P
(٧) بعرض: يعرض A
(٨) جسمانيّ: جسمان A
(٩) يحدّد: تحدّد A
(١٠) هو قريب: قرب P
(١١) A18b
(١٢) تحديده: تحدّده A
(١٣) يتحدّد بمحيطه: تحدّد لمحيطه A
(١٤) الجهتان الطبيعيّتان: جهتان طبيعيّتان A
(١٥) بأن: بل A

يكون بعضه[١] جهة علو و[٢] الآخر جهة سفل؛ فإنّه واحد[٣] متشابه الأجزاء المفروضة، فلا أولويّة لبعض أجزائه بتعيّن جهة دون أُخرى. وحينئذٍ لا يحصل من نفسه إلّا جهة واحدة، وهي[٤] العلو، وكلّ ما[٥] قرب منه هو العالي[٦]. وأمّا[٧] السفل هو ما يكون في غاية البُعد عن العلو، فإذَن لا يكون الأسفل إلّا في غاية البُعد عنه، وهو المركز.

وهذا هو الجسم المحيط، وهو جسم واحد بسيط مستدير، محيط بجميع الأجسام، إبداعيّ حصل دفعةً من العقل المفارق، لا أجزاء له بالفعل، وإن كانت له أجزاء بالقوّة والفرض، متشابهة غير[٨] مختلفة بالعِلو والسفل قبل تعيّن المركز. وأمّا بعد تعيّنه فلا شكّ في عِلويّة بعض الأجزاء بحسب بُعدها عنه، كما في فوقيّة[٩] أحد سطحَيه.

ومنه يظهر أنّ قوله[١٠]: «إنّ المتشابه ما يفرض له أجزاء في الوهم»[١١] ليس على ما ينبغي؛ لأنّ المراد منه ـ المتشابه ـ نسبة وضع ما يفرض[١٢] له أجزاء، على ما صرّح به الشيخ الإلهيّ وغيره، والوجود يكذّبه.

[استدلال على عدم انقسام المحدّد]

ولمّا جعل[١٣] المحدّدَ نفسَ جهة العِلو، لا محيطه، استدلّ على أنّ المحدّد لا ينقسم، بما استدلّ به الحكماء على أنّ الجهة لا ينقسم، وقال[١٤]: وممّا يدلّ على أنّ ما

(١) بعضه: بعضها P
(٢) و: + البعض P
(٣) واحد: + من شأنه A
(٤) هي: هو A
(٥) كلّ ما: كلّما A
(٦) العالي: العلو A
(٧) أمّا: لأنّ P
(٨) متشابهة غير: غير متشابهة P
(٩) فوقيّة: فوقه A
(١٠) قوله: قولهم A، والمراد منه السهرورديّ.
(١١) حكمة الإشراق: ١٣٠
(١٢) يفرض: نفرض A
(١٣) جعل: حصل A
(١٤) حكمة الإشراق: ١٣٠

منه الجهة ـ أعني المحدّد المفروض أنّه هو لا غير، أي[١] الذي فرض أنّ ما منه الجهة هو لا غير معه ممّا[٢] لا مدخل له في الجهة ـ لا ينقسم، أنّ[٣] المتحرّك إلى فوق لو قسمه المحدّد ونفذ فيه:

ـ فإمّا أن يتحرّك بعد عبور أقرب جزئيه إلى فوق[٤]، وحينئذٍ لا يكون الفوق إلّا الجزء الأبعد.

ـ أو يتحرّك من فوق، فلا يكون جهة الفوق إلّا من الجزء الأقرب.

وعلى[٥] التقديرين يصير جملة[٦] ما يُفرض جهةً جزؤه هو الجهة، فيكون الجزء الآخر لا مدخل له. وكلامنا في عين[٧] ما منه الجهة، الذي لا نأخذ[٨] معه ما لا مدخل له في الجهة.

[شبهة على هذا الاستدلال]

قال في المطارحات[٩]: «ولقائل أن يقول: هذه الحجّة إن دلّت على امتناع انقسام المحدّد، فيلزم[١٠] امتناع انقسام الأرض؛ لأنّها غاية السفل. فإذا وصل إليها المتحرّك وعبر أقرب[١١] الجزئين إمّا أن يُقال: يتحرّك بعد إلى أسفل، أو عنه. وعلى كلا التقديرين يصير أحد جزئَي الأرض سفلاً، لا كلّها، وكان[١٢] كلّها غاية السفل؛ لأنّ لها طبيعة واحدة متشابهة، والكلام كالكلام.

---

(١) أي: أعني A

(٢) ممّا: ما A

(٣) أنّ: إذ A

(٤) A19a

(٥) وعلى: فعلى P

(٦) جملة: حوله A

(٧) عين: غيره A

(٨) الذي لا نأخذ: التي لا يأخذ A

(٩) المشارع والمطارحات (الطبيعيّات): ١١٧

(١٠) فيلزم: + منها P

(١١) أقرب: لقرب A

(١٢) وكان: فكان A

[جواب عن هذه الشبهة]

والجواب: ليس غاية السفل الأرضَ، ولا السفل يتعيّن[1] بالأرض، بل يتعيّن بمركزيّة المحدّد. فإذا فرِض جسم يقطع الأرض، فيحصل له بحصّة نسبته إلى المحدّد بما أخذ من الحيّز بالقطع لأجزاء الأرض سفليّة كسفليّة الأرض؛ فإنّ السفل يتعيّن[2] بنفس[3] المحدّد، بخلاف الصاعد إلى فوق؛ إذ المحدّد لا يعيّنه شيء ليتحدّد[4] به موضعه، ويصير كلّ ما[5] وصل إلى حيّزه له حصّة من الفوقيّة، كفوقيّة المحدّد. فالمحدّد له الفوقيّة بماهيّته، والأرض لها السفليّة بحصولها[6] في حيّز على نسبة محدودة من المحدّد، حتّى لو خرج الأرض من ذلك الحيّز ـ ضرباً للمثل ـ كانت متحرّكة إلى فوق وتاركة للسفل، فليست السفليّة بها». هذا لفظه[7].

وإلى هذا السؤال والجواب أشار بقوله: «وليس هذا كالسفل المتعيّن بمركزيّة المحدّد، إذا وصل المتحرّك إلى غايته صار بحصّة حجمه من الكلّ، له السفليّة القُصوى بذاته[8]»[9]. وعليك بتطبيق هذا على ذلك.

[أمارات المكان]

ولمّا كان من أحكام المحدّد أن لا مكان له، وأراد أن يثبت ذلك، شرع أوّلاً في بيان المكان؛ لأنّ من أماراته المتّفَق عليها:

ـ أن يُنسب إليه الجسم بلفظ[10] «في».

---

(١) يتعيّن: معين A
(٢) يتعيّن: تعيّن A
(٣) بنفس: Ai
(٤) ليتحدّد: يتحدّد P
(٥) كلّ ما: كلّما A
(٦) بحصولها: لحصولها P
(٧) لفظه: ألفظه P
(٨) وإلى هذا ... بذاته: ـ A
(٩) حكمة الإشراق: ١٣٠
(١٠) بلفظ: بلفظة P

ـ وأن يصحّ انتقال للجسم عنه.

وكلّ شـيء كالمحويّ ـمثلاًـ يُنسب[١] إلى مكانه بأنّه فيه كالحاوي، يكون مكانه غيره[٢] وغير أجزائه؛ لأنّ المكان يُنسـب إليه[٣] الجسم بـ«في»، ولا شيء من الجسم وأجزائه ـمن الهيولى والصـورةـ ولا ما اسـتقرّ[٤] عليه الجسـم يُنسـب إليه الجسـم بـ«في»، فلا[٥] شـيء من المكان بجسـم، ولا ما استقرّ[٦] عليه الجسم، ولا الهيولى، ولا الصورة.

ويصـحّ تبدّل أجزائه ـأعني أجزاء ما نسِب إلى مكان بأنّه فيهـ بالنسبة إلى أجزاء ما فرِض مكاناً له، إن لم[٧] يمكن الانتقال بالكلّيّة عن مكانه، كما في الأفلاك؛ لصـورها النوعيّة، والنقل تقديره؛ أو[٨] يصـحّ النقل بالكلّيّة كغيرها[٩]، أي غير الأفلاك، كانتقال الماء عن الكوز[١٠].

وللمكان[١١] أمارتان أُخريان متّفَق عليهما:

إحـداهمـا: امتنـاع اجتمـاع[١٢] متمكّنين فيه، بخلاف المحلّ؛ لجواز اجتماع[١٣] حالّين فيه.

وثانيتهما[١٤]: اختلافه بالجهات، كفوق أو أسفل.

وعلى هذا لا يكون النفس مكاناً للجسم[١٥]؛ لأنّها مجرّدة، لا جهة لها.

---

(١) ينسب: نسب P
(٢) A19b
(٣) إليه: إلى A
(٤) استقرّ: يستقرّ P
(٥) فلا: ولا A
(٦) استقرّ: يستقرّ P
(٧) لم: ـ A
(٨) أو: إن A
(٩) كغيرها: كما في غيرها P
(١٠) الكوز: الكون P
(١١) للمكان: المكان Ac
(١٢) اجتماع: ـ A
(١٣) اجتماع: لاجتماع Ac
(١٤) ثانيتهما: ثانيهما A
(١٥) مكاناً للجسم: مكان الجسم P

[تعريف المكان]

وإذا لم يكن المكان شيئاً من المذكورات ـ لِما قلنا ـ، ولا الخلأ ـ لامتناع وجوده ـ، فالحقّ أنّه السطح الباطن من الحاوي المماسّ للسطح الظاهر من المحويّ؛ لاجتماع الأمارات الأربع المتّفَق عليها فيه. فإذَن كان المكان هو باطن حاويه الأقرب.

[المحدّد لا مكان له]

و[١] لأنّ المحـدّد لا حـاوي لـه، وما لا حاوي له لا مكان[٢] له، فالمحدّد لا مكان له[٣]، وهو المطلوب. >[٤]



(١) و: ـ A

(٢) مكان: لمكان Ac

(٣) فالمحدّد لا مكان له: ـ A

(٤) شرح حكمة الإشراق: ٣١٣ ـ ٣١٨

[كيفيّة حركة المحدّد]

[(١)]< وحينئذٍ **فلا ينخرق المحدّد، فلا يتحرّك مستقيماً، وإلّا لَما كان محدّداً، فهو يتحرّك وسطاً؛** إذ الاستقامة ملزوم التحرّك اللازم عن الانخراق. و[كلّ ما][(٢)] لا تنخرق لا يتحرّك مستقيماً، لا هو ولا شيء من أجزائه، وإلّا يلزم أن يكون وراءه جهة، فلا يكون هو المحدّد، وهو محال؛ إذ الفرض أنّه محدّد، فوجب أن يكون وسطاً في تحرّكه. >[(٣)]

[نفي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة عن المحدّد]

[(٤)]< فليس حينئذٍ بحارّ ولا بارد ولا رطب ولا يابس. فليس بخفيف ولا ثقيل؛ إذ ما يتحرّك على الاستقامة يجب أن يكون بخصوصيّة يقتضي الحركة عن الوسط، فهو قابل للخرق؛ إذ لا بدّ أن ينفصل عن كلّيّة نوعيّة، فيلزمه الحرارة؛ أو إلى الوسط، فيلزمه البرودة[(٥)]، هذا خلف.



(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) كلّ ما: كلّما A
(٣) كلمة التصوّف: ١٠٧
(٤) بداية العبارات المنقولة من: الألواح العماديّة.
(٥) البرودة: الوسط A

[الكيفيّات الأربعة والعناصر الأربعة]

فإذا تقرّر[١] ذلك، فنقول: **وما يقبل التشكّل بسهولة رطب، وإلّا فيابس، وما يتحرّك مستقيماً بخصوصيّة عن الوسط حارّ، وإلّا بارد.**

فهناك أربعة:

ـ **حارّ يابس،** يتحرّك إلى[٢] الفوق، هو الخفيف المطلق، **نار،** أي ذلك المتحرّك إلى الفوق الحارّ اليابس هو النار.

ـ **وحارّ رطب هواء،** وهو الخفيف بالنسبة إلى ما هو أثقل منه، وثقيل بالنسبة إلى ما أخفّ منه، فهو خفيف مضاف.

ـ **وبارد رطب ماء،** وهو الثقيل بالنسبة إلى ما هو أخفّ منه ـوهو الهواءـ، ويقتضي أن يستقرّ على الأرض.

ـ **وبارد يابس أرض،** فهو الثقيل المطلق، المستقرّ في السفل.

والهواء أخفّ من الماء، وإلّا لَما كان الزقّ المنفوخ المملوءة من الهواء يطفو على الماء ولا يرسب فيه إلّا بقاسر، ويطفو بطبعه. والأرض أثقل من الماء، وإلّا لَما رسب التراب إذا وقع في الماء. >[٣]

فهو ـأعني الأرضـ **السفل والمركز، والعِلو** ـأعني المحدّدـ **محيط من جميع الجوانب،** وكذا كلّ ما تحته، كلّ واحد محيط بما تحته من جميع الجوانب.

---

(١) A20a

(٢) يتحرّك إلى: ينحو أقصى P

(٣) الألواح العماديّة: ٤٢ ـ ٤٣

[طريقة لحصر الكيفيّات في أربعة]

<[١] وحينئـذٍ نقول: لمّا علمتَ أنّ الجهات الطبيعيّة جهتان ـعلو وسـفل ـ، فكلّ متحرّك إمّا أن يتحرّك إلى الوسـط، أو عنه، أو عليه. والحركة[٢] على الوسـط وضـعيّة دوريّة، والطبيعيّة لا يمكن أن تكون[٣] دوريّة وضـعيّة، فهي مكانيّة. فحركة المتحرّك إذا كانت بسـبب كيفيّة توجب الحركة عن الوسـط فهي الحرارة، وإن كانت لكيفيّة توجب الحركة إلى الوسط[٤] فهي البرودة.

والدليل على ذلك، أنّا نشـاهد المتسـخّن[٥] في الغاية يصـعد إلى فوق، وإذا[٦] برد إلى الغـايـة نزل. فعلّـة الحركـة إلى فوق إمّـا الحرارة، أو لازمهـا ـوهي الخفّة ـ. وعلّة الحركة إلى أسـفل إمّا البرودة، أو لازمها ـوهو الثقل ـ. وإذا كان الحارّ بالطبع يقتضـي الصـعود، فالنازل بالطبع غير حارّ. وكذلك إذا كان البارد يقتضـي النزول، فالصـاعد بالطبع غير بارد. فالحارّ[٧] إذا صـعد[٨] إلى غاية الفوقيّة بحسـب المناسـبة المسـتحقّة لـذلـك المكـان فهو النار، وإن كان دونه فهو الهواء. والبارد إذا نزل إلى غاية السـفليّة بحسب استحقاقه لذلك فهو الأرض، وإن كان دونه فهو الماء.

فالأجسـام بحسـب قبول التشـكّل والانفصال بسهولة أو بعسر، تنقسم[٩] إلى رطبة ويابسـة، ولا يخلو شـيء من الأجسام عنهما. وبحسب الثقل والخفّة والميل إلى العِلو والسفل، تنقسم[١٠] إلى الحرارة والبرودة، ولا يخلو جسم عنهما.

---

(١) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.
(٢) الحركة: + التي P
(٣) تكون: يكون A
(٤) فهي الحرارة ... الوسط: ـ A
(٥) المتسخّن: السخن A
(٦) وإذا: فإذا P
(٧) فالحارّ: والحارّ A
(٨) A20b
(٩) تنقسم: ينقسم A
(١٠) تنقسم: ينقسم A

والحرارة والبرودة كيفيّتـان فعليّتان[١]، والرطوبة واليبوســة كيفيّتان انفعاليّتان، فهذه أربعة. ثمّ إذا تركّبت حصلت أربعة أُخرى: حارّ يابس، وحارّ رطب، وبارد يابس، وبارد رطب.

والبسـائط العنصريّة[٢] وما تركّب عنها لا يخلو عن هذه الأربعة؛ لأنّ[٣] الأقسام بحسب التقسـيمين[٤] يكون عامّاً لجميع[٥] الأقســام. ولا يجوز أن يكون في بعض البســائط حرارة فقط أو برودة فحسب[٦]؛ فإنّ التقسيم الآخر أثبت عليه[٧] إمّا اليبوسة أو الرطوبة.

ولا يمكن[٨] اجتماع الكيفيّات الأربع ولا الثلاثة في بسـيط واحد، وإلّا لزم اجتماع المتضـادّات فيه، وذلك محال. فوجب من هذا انفراد كلّ بسـيط من هذه الأربعة باثنين من هذه الكيفيّات[٩]؛ فيتمّ بها الأركان الأربعة[١٠] للعالم، ويحصل بها الفعل والانفعال التـامّ المحتـاج إليـه في الممتزجـات. وهذه الكيفيّات الأربع صــور منوِّعة عند بعض الأوائل، وأعراض تنبعث عن الصور النوعيّة الغير المحسوسة عند المعلّم الأوّل.

وهذه الطريقة أقرب في حصر الأركان في أربعة[١١]، وانحصارها فيها مستلزم لحصر الأُسطقسّات فيها؛ إذ[١٢] التركيب والتأليف إنّما يكون من الأركان.

[طريقة أُخرى لحصر الكيفيّات في أربعة]

وقد حصـر[١٣] القدماءُ بطريقة[١٤] أُخرى، فقالوا: لو كان العنصر واحداً ما صحّ فعل

---

(١) فعليّتان: فاعلتان Ac
(٢) العنصريّة: الأربعة Ps
(٣) لأنّ: أنّ A
(٤) التقسيمين: القسمين Ac
(٥) لجميع: بجميع A
(٦) فحسب: فبحسب A
(٧) التقسيم الآخر أثبت عليه: تقسيم الأجزاء ثبت علّته A
(٨) يمكن: _ A
(٩) الأربع ولا ... الكيفيّات: _ A
(١٠) الأربعة: + التي P
(١١) في أربعة: _ A
(١٢) إذ: إذا A
(١٣) حصر: ذكر P
(١٤) بطريقة: طريقة P

وانفعال؛ إذ لا يمكن أن ينفعل شـيء عن نفسه، ولا أن يفعل[١] في ذاته كيفيّة تخالف مقتضى ذاته. والأفعال والانفعالات كثيرة، فتحتاج إلى التكثّر. وعلمتَ تناهي الأجسام، فيجب وقوف هذه الكثرة عند حدّ، وأن يكون كلّ واحد منها له صورة يصدر عنه بسببها فعل[٢] وانفعال؛ ليتمّ بذلك التركيب والمزاج.

والكيفيّات الأربع الأُولى الحاصلة للبسائط المحسوسة التي يقتضيها الصور الطبيعيّة، لمّا تقدّمت على الفعل والانفعال وعلى الكيفيّات الحاصلة منها بعد التفاعل، فيجب أن تكون[٣] علّة لهذه الأشياء، ومصحّحة للتوسّط[٤] المزاجيّ، ومحسوسة تشعر بها الحواسّ وتنفعل عنها؛ فإنّ معنى المزاج ليس إلّا التوسّط بين[٥] متضادّات، فيجب[٦] أن يكون في كلّ واحد من تلك البسائط حصّة تامّة من ذلك التوسّط.

وأمّا الكيفيّات التي لا تعمّ الأجسام ـ كالألوان، والطعوم، والروائح، وغيرها ممّا يخلو عنها بعض الأجسام ـ لو كانت من مقتضيات الصور الطبيعيّة[٧]، وجب أن لا يخلو عنها ولا عن طرفَي أضدادها وجنسها كثيرٌ من الأجسام. والكيفيّات الأُولى المحسوسة بخلاف هذا؛ فإنّه لا يخلو جسم عن شيء منها.

فالكيفيّات الأُولى اللاحقة بالعناصر[٨] تبعاً لصورها أربعة: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة.

ثمّ إنّهم يعدّدون[٩] ما عداها ويبيّنون[١٠] أنّه قد يخلو بعض الأجسام عن جنسها

---

(١) يفعل: تفعل A

(٢) A21a

(٣) تكون: يكون A

(٤) مصحّحة للتوسّط: مصحّح التوسّط A

(٥) التوسّط بين: توسّط P

(٦) فيجب: ويجب P

(٧) الطبيعيّة: الطبعيّة A

(٨) بالعناصر: للعناصر A

(٩) يعدّدون: يعدّون A

(١٠) يبيّنون: يثبتون Ps

وعن طرفَي أضـدادها ومتوسّـطاتها، فيقولون: إنّ الشـكل لا يوجب اختلاف العناصـر اختلافاً أوّليّاً؛ لاتّفاق أشـكال البسـائط. وكذلك الخفّة والثقل؛ فإنّه يُسـتدلّ بهما على صفة في الجسم توجب التحيّز، لا على حال التركيب.

وأمّا[١] باقي الكيفيّات الثواني الملموسة ـ كالهشاشة واللزوجة وغيرهما ـ فإنّها إنّما حصلت بعد التركيب.

وإذا لم[٢] يجُز أن يكون بـاقي الكيفيّات لاحقة بالعناصـر تبعاً لصـورها، تعيّن أن يكون ذلك هي الكيفيّات الأربع:

فـالحرارة والبرودة كيفيّتـان فـاعلتـان؛ لأنّ الحرارة كيفيّـة ملطِّفة محلِّلة مصـعِّدة، تجمع[٣] بين المتشـاكلات، وتفرّق بين المختلفات. وأمّا البرودة فهي كيفيّة[٤] مسكِّنة معقِّدة، تجمع[٥] بين المتشاكلات وغيرها.

وأمّا الرطوبة واليبوسـة فكيفيّتان منفعلتان؛ لأنّ[٦] الرطوبة كيفيّة يكون الجسـم[٧] بها[٨] سـهل القبول للتشـكّل[٩] وتركه والاتّصـال والانفصـال. وأمّا اليبوسـة فكيفيّة[١٠] يكون بها الجسم[١١] عسر القبول للتشّكل[١٢] وتركه والاتّصال والانفصال.

والحـارّ والبـارد مؤثّران في الرطـب واليـابس. وأمّـا الرطب واليابس فلا يؤثّران في الحارّ والبارد من حيث هما كذلك، لكنّهما يؤثّر كلّ واحد منهما في الآخر.

---

(١) أمّا: إذا يجز أن يكون Ac
(٢) لم: ـ A
(٣) تجمع: يجمع A
(٤) A21b
(٥) معقّدة تجمع: مفقدة يجمع A
(٦) لأنّ: ـ A
(٧) الجسم: للجسم Ac
(٨) يكون الجسم بها: بها يكون الجسم P
(٩) للتشكّل: التشكّل A
(١٠) فكيفيّة: كيفيّة P
(١١) الجسم: للجسم Ac، يكون بها الجسم: بها يكون الجسم P
(١٢) للتشكّل: للشكل A

فعُلم من هذا البيان المبنيّ على الاستقراء أنّ الكيفيّة التي تقوم[1] بالأُسطقسّات المعينة على الفعل والانفعال هي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة. فالأُسطقسّات الأُولى القائمة بها هذه الكيفيّات يجب أن تكون[2] حارّة وباردة ورطبة ويابسة.

[طريقة المحقّقين لحصر العناصر في أربعة]

وأمّا حصرهم العناصر في أربعة، فالطريقة القديمة لهم هي[3] أنّ المركّب لا بدّ وأن يكون تركّبه[4] من جسمين: كثيف ولطيف.

والكثيف إمّا أن يكون يابساً منعقداً، وهو الأرض؛ أو يكون سيّالاً، وهو الماء.

واللطيف إمّا أن يكون حرارته مشتدّة تحرق[5] ما لاقته، وهو النار؛ أو لا تشتدّ ولا تحرق[6]، وهو الهواء.

واعلَم أنّه إنّما يثبت[7] أنّ هذه الأربعة هي الأُسطقسّات إذا ثبت أنّها غير مركّبة من[8] غيرها، وأنّ المركّبات التي في عالمنا[9] إنّما تركّبت عنها[10].

والحقّ في هذا ما ذهب إليه المحقّقون ـ كالمعلّم الأوّل وأتباعه ـ أنّ العناصر أربعة، وهي غير متولّدة عن غيرها، وباقي الأجسام فمتولّدة عنها.

[طريقة الأطبّاء لحصر العناصر في أربعة]

والأطبّاء اعتمدوا على طريقة[11] التركيب والتحليل، وهي أنّا نشاهد المولّدات

---

(١) تقوم: يقوم A
(٢) تكون: يكون A
(٣) هي: في A
(٤) تركّبه: مركّبة A
(٥) تحرق: محرق A
(٦) تحرق: محرق A
(٧) يثبت: تثبت A
(٨) من: عن P
(٩) عالمنا: + هذا P
(١٠) تركّبت عنها: تركيب عن عالمنا A
(١١) طريقة: طريق A

الثلاثة ـ من المعادن والنبات والحيوان ـ مولّدة[١] من العناصر الأربعة، ولم يدلّ دليل على تركّبها عن غيرها.

وبيانه: أنّ أكثر الحيوانات متولّدة عن المنيّ ودم الطَمث[٢]، والمنيّ أيضاً يتولّد من الدم، فإذَن الحيوانات[٣] متولّدة من الدم. والدم تولّده من الأغذية المتولّدة عن النبات، فالحيوانات[٤] متولّدة من النبات المتولّدة عن العناصر. وذلك أنّ الماء إذا اختلط بالأرض، وتخلّل[٥] بينهما الهواء، وأفاضت الشمس آثارها على ذلك، تولّد النبات حينئذٍ[٦].

وأمّا التحليل، فإنّا إذا جعلنا قطعة من أحد الأجسام الثلاثة في القرع والأنبيق وأوقدنا تحته النار، قطَر منه جسم مائيّ، وانفصل عنه جسم بخاريّ وهوائيّ، وبقي في القرع جسم أرضيّ، وهذا يدلّنا[٧] على تكوّن الأجسام المركّبة من هذه العناصر.

[تأثير العناصر الأربعة على الكائن]

وإذا عرفتَ أنّ العناصر هي هذه الأربعة:

ـ خفيف مطلق، ينحو نحو العِلو الذي في الغاية، وهو النار.

ـ وخفيف بالنسبة إليه، وهو الهواء.

ـ وثقيل مطلق، ينحو نحو السفل في الغاية[٨]، وهو الأرض.

ـ وثقيل بالنسبة إليه، وهو الماء المتمكّن فوق الأرض وتحت الهواء.

فالأرض تفيد[٩] الكائن حكم الأشكال. والماء يفيده سهولة قبوله التشكيل،

---

(١) مولّدة: تولّدت P

(٢) الطمث: الحيض. (لسان العرب)

(٣) A22a

(٤) فالحيوانات: والحيوانات A

(٥) وتخلّل: يتحلّل A

(٦) حينئذٍ: جسداً A

(٧) هذا يدلّنا: هذه تدلّنا A

(٨) السفل في الغاية: غاية السفل P

(٩) تفيد: يفيد A

ويستمسك بالأرض فلا يسيل. والهواء يفيد[١] الكائن تخلخلاً، فيفيد[٢] وجود[٣] المنافذ والمسامّ. والنار تفيده[٤] نضجاً وطبخاً، على تقدير جعلِها جزءاً من المركّبات، وإلّا فالهواء مع أشعّة الكواكب كافٍ في المزاج.

[غناء الكيفيّات الأربعة عن التعريف]

ويجب أن تعلم أنّ الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة لمّا كانت من المحسوسات الأوّليّة، فهي مستغنية عن التعريف. فلا يجوز أن تعرَّف بالأقوال الشارحة؛ إذ حاصل تعريفها يرجع إلى أُمور إضافيّة لازمة لها، واللوازم لا تدلّ على حقائق الأشياء، فتعريفها بها[٥] لا يفيد[٦] ما يفيد الإحساس بها. وكذا الحكم في جميع الهيئات المحسوسة، إلّا[٧] أنّ الحكماء قصدوا في تعريفها وفي ما عرّفوه من الأُمور البديهيّة[٨] التنبيه على[٩] ذواتها وإخطارها[١٠] بالبال؛ فإنّه ليس كلّ ما[١١] هو بديهيّ لا يغيب عن الذهن، بل البديهيّ ما لا يفتقر[١٢] إلى معلومات سابقة[١٣]. >[١٤]

[ذكرُ حكم كلّ واحد من العناصر الأربعة]

[١٥]< ولنذكر حكم كلّ واحد من هذه العناصر.

---

(١) يفيد: تفيد A

(٢) فيفيد: ويفيد P

(٣) وجود: وجوه A

(٤) تفيده: يفيده A

(٥) فتعريفها بها: فتعريفاتها بذلك P

(٦) يفيد: تفيد P

(٧) إلّا: بها A

(٨) البديهيّة: البديهة A

(٩) التنبيه على: شرح A

(١٠) إخطارها: إحضارها A

(١١) كلّ ما: كلّما A

(١٢) يفتقر: يفيد Ac

(١٣) A22b

(١٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٠٢/٢ _ ٢١٠

(١٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

[الأوّل: النار]

[الاستدلال على وجودها]

فأمّا النار فاستدلّوا على وجودها بأنّ الدخان المرتفع إذا أمعن في الارتقاء إلى الجوّ العالي احترق. فلا يخلو إمّا أن يكون هناك طبيعة محرِقة(١)، أو لا. والثاني محال، وإلّا لَما دام الإحراق. فتعيّن أن يكون هناك طبيعة محرقة، وهي النار المقتضية لإحالة ما خالطها إلى جوهرها. فيلزم أن تكون(٢) لذلك بسيطة، فيجب أن يكون كريّة الشكل.

[سبب حركتها]

وزعموا أنّها متحرّكة(٣) بحركة الفلك؛ لتحرّك ذوات الأذناب(٤) بموافقة(٥) الفلك، ولهذا(٦) حارّة يابسة.

[سبب حرارتها]

أمّا حرارتها، فلِما ذكر من إحراقها الأدخنة. والطبقة العالية منها المماسّة لمقعّر الفلك هي النار الصرفة البسيطة.

[الاختلاف في إحراقها]

وقد نازع قوم من الأوائل في إحراقها، وقالوا: هي من جنس الحرارة الغريزيّة.

وردّ(٧) عليهم الشيخ(٨) بأنّ الطبيعة الناريّة مع القوّة المسخّنة موجودة، وكانت خالية عن العائق، فوجب أن يكون السخونة الشديدة في الغاية القُصوى.

---

(١) محرقة: محترقة A

(٢) تكون: يكون A

(٣) متحرّكة: تتحرّك P

(٤) الأذناب: + والشهب P

(٥) بموافقة: لموافقة A

(٦) لهذا: أنّها P

(٧) ردّ: يردّ A

(٨) الشيخ: _ A؛ الإشارات والتنبيهات: ٢٢٤

وردُّ فخر الدين[١] على الشيخ ـبقوله: إنّ الحرارة الفاترة المعتدلة مخالفة[٢] بالماهيّة للحرارة القويّة، فيجوز أن يكون طبيعة[٣] النار هناك تقتضي[٤] أحد النوعين، دون الآخرـ ليس بشيء؛ لأنّ الطبيعة الناريّة محرقة، ولا شيء من الحرارة الفاترة بمحرقة، فلا شيء من الطبيعة[٥] الناريّة بحرارة فاترة.

[سبب يبوستها]

وأمّا أنّ هذه النار يابسة، فلأنّها[٦] تقبل الأشكال وتتركها بعسر.

أمّا قبولها للأشكال فلأنّها تتشكّل[٧] بشكل الأجسام الملاقية لها.

وأمّا كونها عسرة القبول والترك، فلأنّها لو لم تكن قابلة لذلك بعسرٍ لَقبلت ذلك بسهولة، فكانت تكون رطبة لا يابسة؛ لأنّ الرطب هو القابل للأشكال وتركها بسهولة. ويمتنع[٨] أن تكون رطبة؛ لأنّ حرارة النار إذا كانت في الغاية والحرارة الشديدة، تفني الرطوبة عن المادّة، فتعود[٩] يابسة.

[إشكال السهرورديّ على هذا الاستدلال]

وذكَر الشيخ الإلهيّ في حكمة الإشراق[١٠] أنّه ليس بحقّ[١١] قولهم: «إنّ الرطوبة[١٢] قبولُ الشكل وتركه و[١٣] الانفصال بسهولة، واليبوسة قبول هذه بصعوبة»؛ لأنّ النار إن

---

(١) شرح الإشارات للرازيّ: ١٦٥/٢؛ شرح عيون الحكمة: ١٨٨/٢

(٢) مخالفة: فمخالفة A

(٣) طبيعة: طبعة A

(٤) تقتضي: يقتضي A

(٥) الطبيعة: الحرارة الطبيعيّة A

(٦) فلأنّها: فلأنّا A

(٧) تتشكّل: متشكّل A

(٨) يمتنع: تمنع A

(٩) فتعود: فتعدّ Ac

(١٠) حكمة الإشراق: ١٨٨

(١١) A23a

(١٢) الرطوبة: + هو P

(١٣) و: ـ A

أخذوها على ما هو المفهوم عند العامّة ـ وعندهم أنّ النار يدخل[١] في مفهومها النور ـ أو أخذوها[٢] بكون الإحراق داخلاً في مفهومها، وعلى [كلا][٣] التقديرين فحجّتهم في إثباتها عند الفلك إن كان هو قصَد[٤] هذه النار التي لجهة العِلو، فهو فاسد؛ لانقلاب النار الصاعدة على الفور هواءً، ويعدم[٥] ذلك الجسم النوريّة والحرارة التي هي من خاصّيّة النار. ولو كانت الحرارة باقية[٦] لأحرقت[٧] ما قابلها على خطّ[٨] مستقيم، وليس الأمر كذلك.

فإن[٩] كانت حجّتهم على إثباتها أنّ الفلك بحركته[١٠] يسخّن الهواء المجاور له، فلا يلزم أن يكون ناراً، بل يكون هواء متسخّناً[١١].

وإن كانت حجّتهم في إثباتها حصول ذوات الأذناب والشهب عند احتراق[١٢] الدخان قريباً من الفلك، فليس بصواب؛ لأنّ[١٣] الإحراق ليس من خواصّ النار؛ فإنّ الهواء الشديد الحرارة والحديدة الحامية تحرق أيضاً[١٤].

وقولهم: «نرى[١٥] في الفتيلة من شبه ثقبة في صنوبرتها[١٦] تحرق ما لاقته»، فهذا القدر لا يدلّ على أنّ ما في الثقب نار[١٧]؛ فإنّا بيّنّا أنّ الهواء الحارّ يحرق[١٨]، وهو أيضاً

---

(١) يدخل: مدخل A
(٢) أخذوها: يأخذونها A
(٣) كلا: كلي AP
(٤) قصد: الصعود A
(٥) يعدم: لعدم APs
(٦) باقية: الباقية A
(٧) لأحرقت: لأحرقنا Ac
(٨) خطّ: سطح A
(٩) فإن: وإن P
(١٠) بحركته: لحركته Ps
(١١) متسخّناً: مسخّناً APs
(١٢) احتراق: إحراق A
(١٣) لأنّ: لكون P
(١٤) أيضاً: _ A
(١٥) نرى: إنّه يُرى P
(١٦) صنوبرتها: صنوبريّتها A
(١٧) نار: ناراً A
(١٨) يحرق: تحرق A

شـفّاف[١] ينفذ فيه البصـر. فإن[٢] كانت النار قويّة، فهي أقدر على إحالة المادّة إلى[٣] الهواء بـالتلطيف. وإن كانت ضـعيفة عن الإحالة، قوي الدخان، والذي هو قريب من الفتيلة يتلطّف، فيصير[٤] هواء؛ لقوّة[٥] النار هناك.

ثمّ إذا كان اليابس[٦] عندهم ما قبل الشـكل وتركه والاتّصـال والانفصـال بصعوبة، فما عند الفلك والفتيلة ليس كذلك، بل يقبل[٧] ذلك بسـهولة، فهو هواء حارّ لا يمتاز عنه إلّا بحرارة تختلف[٨] بالشدّة والضعف.

وقولهم: «إنّ النـار يـابسـة؛ لأنّها تجفّف[٩] الأجسـام»، ليس بصـواب[١٠]؛ لأنّ التجفيف إنّمـا يكون[١١] بـإزالـة الرطوبـة، وإزالـة الرطوبـة[١٢] إنّمـا يكون بـالتلطيف والتصعيد، لا لأنّها في ذاتها يابسة.

وقولهم: «إنّها تفني[١٣] الرطوبة عن مادّتها، فتصـير[١٤] يابسـة»، فليس كذلك، بل ينبغي على حكم[١٥] قـاعـدتـه أنّها إذا حلّلت الموادّ التي[١٦] لها جعلها[١٧] إمّا بخاراً أو هواءً، فتصير أرطب وأشدّ ميعاناً.

[عدد العناصر عند السهرورديّ]

وكانت العناصـر على رأي هذا الفاضل[١٨] أرضاً وهواءً وماءً. والهواء[١٩] بعضه بارد

---

(١) شفّاف: + و A
(٢) فإن: فإذا P
(٣) إلى: في A
(٤) فيصير: ويصير P
(٥) لقوّة: فقوّة A
(٦) اليابس: الناس A
(٧) يقبل: تقبل A
(٨) تختلف: يختلف A
(٩) تجفّف: مجفّف A
(١٠) A23b
(١١) إنّما يكون: لا A
(١٢) إزالة الرطوبة: هو A
(١٣) تفني: يفني A
(١٤) فتصير: فيصير A
(١٥) حكم: _ A
(١٦) التي: الذي P
(١٧) جعلها: بجعلها P
(١٨) أي صاحب حكمة الإشراق.
(١٩) الهواء: _ A

وبعضه حارّ. فإن سمّى بعضهم ما اشتدّ حرّه ناراً فمسلّم ذلك. فيكون اللطيف ـو[١] هو الهواءـ باعتبار شـدّة كيفيّة واحدة وضـعفها[٢] ينقسـم إلى قسمين. وقد ذهب إلى هذا المذهب جماعة من عظماء الحكماء الأقدمين.

[مذهب أرسطاطاليس في عدد العناصر]

قال [الشـهرزوريّ][٣]: ورأيت في بعض كتب المعلّم الأوّل يقول بهذه العبارة: وأمّا الهواء والجرم الـذي اعتدنا[٤] أن نسـمّيه[٥] ناراً فليس هو بنار؛ فإنّ النار إنّما هي إفراط الحرارة وغليـانهـا، وهما حول[٦] الأرض والماء اللذين[٧] في الوسـط تحت[٨] العالم السماويّ.

[شكلها]

وزعم بعض القدماء أنّ كريّة النار غير تامّة؛ لأنّ الفلك إذا تحرّك فحركته عند القرب من القطبين حركة بطيئة ضعيفة، والحركة الضعيفة لا تقتضي[٩] شدّة السخونة.

[لونها]

والنار الصرفة لا لون لها، وإلّا لحجبت الأبصار عن رؤية الكواكب.

وأيضـاً فـإنّـا نشـاهـد كلّمـا كانت النار أقوى، كان لونها أقلّ. أ لا ترى أنّ [كور][١٠] الحدّادين عند قوّة ناره يقلّ النور فيها؟ وأُصـول الشعل والفتيلة لا يُرى[١١] لونها، فينفذ[١٢]

---

(١) و: ـ A
(٢) ضعفها: + و A
(٣) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٤) اعتدنا: اعتقدنا A
(٥) نسمّيه: تسمّيه A
(٦) حول: حرّك A
(٧) اللذين: الذين A
(٨) تحت: بحسب A
(٩) تقتضي: يقتضي A
(١٠) كور: كير AP
(١١) يرى: ترى A
(١٢) فينفذ: فتنفذ A

البصر فيها؛ لشفيفها وقلّة لونها[١]. >[٢]

[طبقاتها]

[٣]< وهي طبقة واحدة؛ فإنّها[٤] كانت شديدة الإحالة لِما جاورها إلى جوهر نفسها؛ لقوّة كيفيّة الحرارة وشدّتها، فلا جرمَ كانت طبقة واحدة. >[٥]

[الثاني: الهواء]

[شكله]

[٦]< وأمّا الهواء فكُريّته[٧] غير تامّة الاستدارة، من جهة مقعّره لمماسّة سطحه المقعّر للماء[٨] والأرض، فيدخل فيه[٩] الجبال الشوامخ[١٠] والأماكن المرتفعة والأغوار[١١] المنخفضة[١٢]، فلا يبقى لأجل ذلك مقعّره[١٣] مستديراً، بخلاف السطح المحدّب المماسّ لمقعّر كُرة النار؛ فإنّه يكون مستديراً.

[الاستدلال على كونه حارّاً رطباً]

وهو حارّ رطب.

أمّا أنّه حارّ فلتشبُّه الماء به[١٤] في الصعود[١٥] عند التسخين والتلطيف، أعني

---

(١) لونها: + شدّتها A
(٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢١٢/٢ ـ ٢١٦
(٣) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٤) فإنّها: + لما A
(٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٢٤/٢
(٦) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٧) فكريّته: كريّة P
(٨) المقعّر للماء: لمقعّر الماء A
(٩) فيه: فيها A
(١٠) الشوامخ: الشامخ Ac
(١١) الأغوار: الأعقار Ac
(١٢) A24a
(١٣) مقعّره: مقعّرة A
(١٤) الماء به: ـ A
(١٥) الصعود: + به A

التخلخل وصيرورته بخاراً. والبخار عبارة عن أجزاء صغار مائيّة كثيرة مختلطة بالهواء.

وإذا كانت الحرارة تقتضـي[١] الخفّة واللطافة[٢] ـكما كانت البرودة مقتضـية للثقل والكثافةـ [فكلّ ما][٣] كان أسـخن كان أخفّ وألطف، و[كلّ ما][٤] كان أبرد كان أثقل وأكثف. والهواء لمّا كـان أخفّ وألطف من الماء، و[كلّ ما][٥] كان أخفّ وألطف فهو أسخن، فالهواء أسخن من الماء.

وسـبب الإحسـاس بالبرودة منه في بعض الأزمان أنّه مختلط به[٦] أجزاء بخاريّة[٧] مائيّة بسـبب أشـعّة الكواكب، فيبرد الهواء بذلك[٨]. والهواء الملاصـق[٩] للأرض وإن كانت الأجزاء البخاريّة فيه أكثر، ومع ذلك فهو غير بارد، بل ما على رؤوس الجبال أبرد منه[١٠]؛ لأنّ شـعاع الشـمس والكواكب يوجب[١١] سـخونة الأرض بسـبب انعكاس الشعاع عن[١٢] سطح الأرض إلى ما هو قريب منها، فيتسخّن الهواء لذلك.

وأمّا الهواء العالي على رؤوس الجبال، فلا يصـل إليه تاثير التسـخين والانعكاس، فيبقى الأجزاء البخاريّة مخالطة لذلك الهواء، فلا جرمَ يبقى في غاية البرد. ولهذه العلّة يتسخّن الهواء إذا كانت الشمس على سمت الرأس؛ لتسخّن[١٣] هذه الأجزاء البخاريّة، ويبرد عنـد زوال الشـمس عن سـمـت الرأس؛ لعود الطبيعـة الباردة في تلك الأجزاء البخاريّة.

---

(١) تقتضي: يقتضي A
(٢) واللطافة: ـ A
(٣) فكلّ ما: فكلّما AP
(٤) كلّ ما: كلّما AP
(٥) كلّ ما: كلّما AP
(٦) مختلط به: يختلط P
(٧) بخاريّة: كائنة A
(٨) بذلك: لذلك P
(٩) الملاصق: ملاصق A
(١٠) بل ما ... منه: ـ P
(١١) يوجب: توجب A
(١٢) عن: على A
(١٣) لتسخّن: ليتسخّن P

وأمّـا كون الهواء رطبـاً، فاعلَم أنّ الرطوبة تطلق[١] ويُراد بها البلّة، التي هي[٢] عبارة عن سهولة التصاقها بالغير وانفصالها عنه. والماء بهذا التفسير رطب، دون الهواء الذي لا يحسّ[٣] فيه هذا[٤] المعنى.

وقـد يُراد بـالرطوبة اللطافة، التي هي عبارة عن سـهولة قبول الأشـكال[٥] وتركها، فيكون[٦] الهواء بهذا التفسـير رطباً؛ إلّا أنّ[٧] الرطوبة إذا[٨] كانت مفسَّـرة بهذا، كانت اليبوسة عبارة عن عسر[٩] قبولها الأشكال وتركها، وهذا المعنى هو الصلابة.

وقد حكموا بيبوسـة النار، فيجب أن تكون النار صـلبة كثيفة، وهو يخالف الحسّ والعقل، الحاكمان بأنّها ألطف البسائط وأرقّها وأسخنها وأكثرها تخلخلاً.

فإذا فسّـرنا الرطوبة بالبلّة، كان الرطب هو الماء والثلاثة الباقية تكون يابسـة. وإن فسّـرناها باللطافة ـ التي هي سهولة قبول[١٠] الأشكال وتركها ـ كان اليابس هو الأرض، والثلاثة الباقية تكون[١١] رطبة. وحينئذٍ يبطل ما ذكروه أنّ عنصـرين يابسـان وعنصـرين رطبان[١٢]؛ إلّا إذا التزم[١٣] أحد بأنّ النار الصـرفة صـلبة غليظة، وذلك بعيد عن أحكام الحسّ والعقل.

[لونه]

والهواء وإن كان شـفّافاً لا يحجب البصرَ عمّا وراءه، فهو يتكثّف[١٤] بضوء الشمس

---

(١) تطلق: يطلق A
(٢) هي: ـ A
(٣) لا يحسّ: تحسّ A
(٤) هذا: بهذا A
(٥) قبول الأشكال: قبولها للأشكال P || A24b
(٦) فيكون: ويكون P
(٧) إلّا أنّ: لأنّ A
(٨) إذا: لفظ Ac
(٩) عسر: ـ A
(١٠) قبول: قبوله A
(١١) تكون: يكون A
(١٢) رطبان: رطبين Ac
(١٣) التزم: ألزم P
(١٤) يتكثّف: يتكيّف A

والكواكب؛ لإضاءته[١] قبل طلوع الشمس والقمر. فلو لم يكن قابلاً للنور متكثّفاً بضوئهما[٢]، لَما شاهدناه[٣] مضيئاً. ثمّ إنّا نرى الكواكب بالليل دون النهار، فلو لم يكن الهواء متكثّفاً[٤] بضوء الشمس، لرأينا[٥] الكواكب ظهيرة[٦]، وليس كذا. فإذا كان الهواء مقابلاً للشمس صار مضيئاً، ثمّ يضيء ما يقابل ذلك الهواء من الأرض. >[٧]

[طبقاته]

[٨]< وللهواء طبقات أربع:

ـ الطبقة المجاورة للأرض، فالأبخرة الصاعدة من الأرض تخالطها، ثمّ يتسخّن[٩] هذه الطبقة بسبب انعكاس النور من مطرح الشعاع.

ـ والطبقة التي تصل الأبخرة المائيّة الباردة إليها وتخالطها. و[١٠] لبُعدها عن الأرض ينقطع عنها انعكاس النور من مطرح الشعاع، فتبقى بسبب الأجزاء الباردة المائيّة باردة، وتسمّى[١١] بالطبقة الزمهريريّة.

ـ والثالثة هواء صرف؛ لأنّه لا يصل إليه الأبخرة المتصاعدة ولا تخالطها.

ـ والطبقة الرابعة دخانيّة، ويحيط بها[١٢] كُرة النار؛ لأنّ الدخان أخفّ من البخار، فيعلو عنه إلى هذه الطبقة[١٣]؛ لقوّة نفوذه وشدّة[١٤] الحرارة فيه. >[١٥]

---

(١) لإضاءته: لإصابة A، لإضائة P
(٢) متكثّفاً بضوئهما: متكيّفاً بصورها A
(٣) شاهدناه: شاهدنا A
(٤) متكثّفاً: متكيّفاً A
(٥) لرأينا: لأرينا A
(٦) ظهيرة: أظهر A
(٧) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢١٦/٢ ـ ٢١٨
(٨) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٩) يتسخّن: تسخّن A
(١٠) و: ـ A
(١١) تسمّى: يسمّى A
(١٢) بها: به A
(١٣) A25a
(١٤) شدّة: شدّ A
(١٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٢٤/٢

[الثالث: الماء]

[شكله]

<[١] وأمّا الماء وإن لم يكن محيطاً بالأرض فهو مستدير الشكل؛ لأنّ راكب البحر إذا وصل إلى قريب من جبل[٢] يرى أعلاه قبل أسفله. فلو لم يكن لذلك الماء حَدبة تمنع وقوع البصر على أسفله، لكان مسطّحاً، فحينئذٍ كنّا[٣] نرى [أعلى][٤] الجبل وأسفله معاً، وليس كذلك.

[الاختلاف في اقتضائه الميعان أو الجمود]

وقال المشّاؤون: إنّ الماء لطيف يقتضي الميعان؛ فإنّه إذا خلِّي وطبيعته[٥] ـ من غير أن يعرض له أسباب فيه من خارج كالبرد ـ كان مائعاً.

ولا يُقال: «إنّ طبيعته البرودة المقتضية[٦] للجمود[٧]»، بل العلّة المقتضية للجمود إنّما هو غاية البرد، والماء ليس غاية في البرد، وإنّما الذي في الغاية هو الأرض.

[الاختلاف في شدّة الاحساس ببرودته دون الأرض]

وشدّة [الإحساس ببرودته][٨] دون الأرض قد اختلِف فيه.

فالذي ذكره الشيخ الرئيس في أكثر كتبه[٩] أنّ الماء أبرد من الأرض؛ لأنّ الإحساس

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٢) من جبل: الساحل A
(٣) كنّا: كما Ac
(٤) أعلى: أعلا AP
(٥) طبيعته: طبعه P
(٦) البرودة المقتضية: البرد المقتضي P
(٧) للجمود: الجمود A
(٨) الإحساس ببرودته: الحسّ برودته A
(٩) الإشارات والتنبيهات: ٢٢٤؛ وخالفه في بعض آخر من كتبه، فراجع: عيون الحكمة: ٣٢؛ وانظر تفصيله في: شرح عيون الحكمة: ١٩٠/٢

ببرودته[١] أشدّ من الإحساس ببرودة[٢] الأرض، وهو ظاهر.

وقال أبو البركات[٣]: إنّ الأرض أبرد؛ لأنّها أكثف، فلا يصل الإحساس ببرودتها إلى الحواسّ، كما يصل من الماء للطفه وفرط وصوله إلى المسامّ والحواسّ، فيلصق[٤] بالأعضاء أشدّ من التصاق الأرض، فينبسط على العضو واصلاً أثره إلى العمق، فيبرد[٥].

أ لا ترى أنّ النار[٦] كانت أسخن من[٧] النحاس المُذاب، والإحساس بحرارة النحاس المُذاب أشدّ من الإحساس بالنار؟ وإن كانت العلّة هنا في شدّة الإحساس غير ما كان في الماء؛ لأنّ المادّة الحاملة للحرارة في مسألة النحاس أكثف وأثقل، فهي لذلك أكثر استقراراً وطلباً للنفوذ في عمق العضو، فلا جرمَ يكون الإحساس به أشدّ، والنار بخلاف هذا.

والماء بارد رطب، وذلك ظاهر.

والماء الكلّيّ الذي هو العنصر هو البحر المحيط.

[سبب مُلوحته]

والماء في الأصل عذب، وإنّما يصير ملحاً لمخالطة[٨] أجزاء أرضيّة سبخيّة[٩] محترقة. ومُلوحته[١٠] عناية من البارئ تعالى، وإلّا لَتعفّن وتغيّر بطول[١١] المكث،

---

(١) ببرودته: ببرده P

(٢) ببرودة: ببرد P

(٣) المعتبر: ١٢٧/٢

(٤) فيلصق: فليصق Ac، فيلتصق P

(٥) فيبرد: فيستبرد P

(٦) النار: + لمّا AP

(٧) من: عن A

(٨) لمخالطة: بمخالطة P

(٩) A25b

(١٠) سبخيّة محترقة وملوحته: سبخة محرقة وملوحيّته A

(١١) بطول: لطول A

ونقلت الريح تلك الكيفيّة الرديئة إلى ما يجاوره من البلاد، فأهلكت الأُمم بذلك. >[١]

[البحر المحيط]

[٢]< وهذا البحر المحيط بأكثر[٣] الأرض:

ـ إمّا ظاهر فوق الأرض، فيكون هو[٤] البحر.

ـ وإمّا [باطن][٥] يلزم أن يكون أثقل منها، وهو محال، وإن[٦] كان لا شكّ أنّ الأغوار التي في باطن الأرض مملوءة ماءً.

[طبقاته]

والماء لا يوجد منه الخالص الصافي؛ فإنّ عمق الماء لمّا لم يكن كثيراً كعمق الهواء[٧]، فينفذ فيه آثار العِلويّات لا سيّما الشمس، إلى أن يصل الآثار إلى باطن الأرض، فتجذب[٨] اللطيفة منها وتبلغه[٩] إلى ظاهر الماء. ولو لا ذلك لم يكن مُرّاً مالحاً[١٠]. فالمُلوحة لمخالطة[١١] أجزاء أرضيّة محترقة مُرّة، كما يتّخذ الملح من الرماد المحترق[١٢]. وليس مُلوحته وتغيّره لمخالطة[١٣] الهواء؛ فإنّ الهواء يجعله عذباً.

فالماء[١٤] ـعلى هذاـ طبقة[١٥] واحدة، وإن كان مختلف[١٦] بالعذوبة والمُلوحة

---

(١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢١٨/٢ ـ ٢١٩

(٢) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٣) بأكثر: لأكثر A

(٤) هو: هذا Ac

(٥) باطن: باطناً A

(٦) إن: ـ A

(٧) الهواء: الماء Ac

(٨) فتجذب: فيحدث A

(٩) تبلغه: يبلغه A

(١٠) مالحاً: ملحاً P

(١١) لمخالطة: بمخالطة P

(١٢) المحترق: المحرق A

(١٣) لمخالطة: بمخالطة P

(١٤) فالماء: والماء A

(١٥) طبقة: طبعه A

(١٦) مختلف: يختلف P

والصفاء والكدورة، بحسب كثرة مخالطته[١] الأرضيّة وقلّتها. >[٢]

[الرابع: الأرض]

[شكلها]

[٣]< وأمّا الأرض فاستدلّوا على كريّتها بأنّها إمّا أن تكون[٤] من المشرق إلى المغرب مستقيمة، أو مقعّرة، أو محدّبة.

لا جائز أن تكون[٥] مستقيمة، وإلّا لكان طلوع الكواكب وغروبها عن جميع البلاد الذي في ذلك السطح في زمان واحد. وليس الأمر في الواقع كذلك؛ لأنّ أرباب الأرصاد رصدوا خسوفاً قمريّاً بعينه، فوجدوا ساعاته في البلدان التي من المشرق أكثر من الساعات التي في المغرب. ولو كانت الأرض من المشرق إلى المغرب مستقيمة السطح[٦]، كان طلوعها وغروبها على جميع تلك البلدان التي بين[٧] المشرق والمغرب في زمان واحد، فما كانت يختلف أوقات الخسوفات.

ولا جائز أن تكون[٨] من المشرق إلى المغرب مقعّرة، وإلّا لزم أن يكون طلوع الكواكب على البلدان المغربيّة قبل طلوعها على البلدان المشرقيّة، وليس كذلك.

فبقي أن تكون[٩] محدّبة[١٠] ما بين المشرق والمغرب.

وكذلك لا جائز أن يكون الأرض من الشمال إلى الجنوب مستقيمة السطح، وإلّا

---

(١) مخالطته: مخالطة P

(٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٢٣/٢ ـ ٢٢٤

(٣) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٤) تكون: يكون A

(٥) تكون: يكون A

(٦) السطح: + مستوية P

(٧) بين: من A

(٨) تكون: يكون A

(٩) تكون: يكون A

(١٠) A26a

لَما كان[١] الســائر إلى جهة الشــمال يزداد بالنســبة إليه ارتفاع الكواكب القريبة[٢] من القطب الشماليّ وينخفض ما بإزائه من الكواكب القريبة[٣] من القطب الجنوبيّ.

ولا جائز أن [تكون][٤] من الشــمال إلى الجنوب مقعّرة، وإلّا لكان السائر إلى جهة القطب الشــماليّ إذا توغّل فيه يخفى الكواكب القريبة[٥] من القطب الشــماليّ، وليس كذلك.

فيلزم[٦] أن يكون الأرض محـدّبـة من جميع الجهـات والجوانـب. وهذا يدلّ على كريّة القدر المســكون، ويجب كريّة الباقي، من حيث إنّ البســيط الواحد لا يقتضــي بطبيعته الأُمور المختلفة.

[دليل ثانٍ على كريّتها]

وأيضــاً يدلّ على كريّتها أنّ الانخســاف الكلّيّ القمريّ يقع مستديراً؛ إذ الانخساف لمّا كان عبارة عن ظلّ الأرض، وكان ظلّ الأرض مستديراً، فيكون ذا[٧] الظلّ مستديراً.

أمّا بيان أنّ الانخساف القمريّ[٨] عبارة عن ظلّ الأرض، فلأنّ معنى ظلّ الأرض هو عدم النور؛ لأجل توسّط الجرم الكثيف بين المضيء والمستضيء.

وأمّا بيان أنّ كلّ جرم له ظلّ مســتدير فهو مســتدير، فلأنّ[٩] امتداد الظلّ إنّما يكون واقعاً على شــكل[١٠] الفصــل المشــترك بين القطعة المضــيئة والقطعة المُظلِمة. وإذا كان[١١] الظلّ مســتديراً، فيكون الوصل المشترك مثله مستديراً. ويلزم من ذلك أن يكون

(١) لما كان: لكان A
(٢) القريبة: الغربيّة A
(٣) القريبة: الغربيّة A
(٤) تكون: يكون A
(٥) القريبة: الغربيّة A
(٦) فيلزم: فلزم P
(٧) ذا: ذاك A
(٨) الانخساف القمريّ: انخساف الأرض P
(٩) فلأنّ: فإنّ A
(١٠) شكل: سبيل A
(١١) كان: + ذلك P

الجرم الذي له الظلّ المستدير مستديراً أيضاً.

[إشكال على هذا الدليل]

وهذا لا يدلّ على كريّة جملة الأرض؛ فإنّها لو كانت نصف الأرض كُرة لكان الظلّ مستديراً، فلا بدّ من تتميمه بكون الطبيعة الواحدة لا تقتضي[١] أُموراً مختلفة، كما مرّ في الأوّل.

[شبهة على كريّة الأرض والجواب عنها]

وأمّا ما حصل في سطح الأرض من الجبال والأماكن المرتفعة والوهاد والأغوار، فلا يقدح في كريّتها؛ لأنّ ذلك بالنسبة إليها بمنزلة خشونة صغيرة في[٢] نارنجة.

[عدم تحرّكها]

وقد علمتَ أنّ[٣] الأرض غير متحرّكة بالاستقامة ولا بالاستدارة؛ لأنّها لو تحرّكت إلى المشرق، ما[٤] كان الطير[٥] المتحرّك إلى موافقة تلك الجهة واصلاً إلى[٦] البلدان المشرقيّة؛ لأنّ حركة البلدان بحركة الأرض أسرع لِثقلها، فتكون[٧] أسبق.

[سبب حدوث الجزُر]

ولمّا حصل في بعض نواحي الأرض ـ بواسطة اتّصالات[٨] فلكيّة وأحوال كوكبيّة ـ أغوارٌ وجبالٌ، سال الماء بطبعه إلى تلك المواضع المنخفضة العميقة، وصارت المواضع العالية الشامخة منكشفة بمنزلة[٩] جزيرة بارزة في البحر.

---

(١) تقتضي: يقتضي A
(٢) في: من P
(٣) A26b
(٤) ما: فإن A
(٥) الطير: الظلّ A
(٦) واصلاً إلى: وإضلال A
(٧) فتكون: فيكون A
(٨) اتّصالات: إيصالات P
(٩) منكشفة بمنزلة: مكشوفة بمثابة P

[القدر المكشوف من الأرض]

وأمّا القدر المكشوف من الأرض في الطول، فهو من المغرب إلى المشرق نصف الدور.

واستدلّوا على ذلك بالفضل[١] بين ساعات الخسوف؛ فإنّ غاية الفضل[٢] بين ساعاته لا يزيد على اثني عشر ساعة[٣]، فعلموا بذلك أنّ المعمور في الطول نصف الدور، وفي العرض من خطّ الاستواء إلى غاية العمارة في الشمال ستّة وستّون[٤] درجة، و[٥] من خطّ الاستواء وإلى جهة الجنوب ستّة عشر درجة، وهو القدر المسكون من المعمورة. >[٦]

[طبقاتها]

[٧]< وللأرض أربع طبقات:

أحدها: ما قرب عن المركز، وهي تراب صرف لا لون له عند بعضهم.

وثانيها: طبقة وصل إليها أثر الماء، وليست[٨] بتراب صرف ولا بطين.

وثالثها: طبقة طينيّة، وهي التراب المستنقع في الماء.

ورابعها: طبقة بعضها غائض في الماء، وبعضها يرتفع عنه.

والأرض مع الماء بمنزلة كُرة واحدة محيط[٩] بها الهواء. والماء الذي هو أحد العناصر إنّما هو البحر المحيط بأكثر الأرض، لا غير. >[١٠]



---

(١) بالفضل: بالفصل A

(٢) الفضل: الفصل A

(٣) ساعة: ساعات Ac

(٤) ستّون: ستّين A

(٥) و: ـ A

(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢١٩/٢ ـ ٢٢٢

(٧) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٨) وليست: فليست P

(٩) محيط: يحيط P

(١٠) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٢٧/٢

[احتجاج المشّائين على مغايرة الكيفيّات لصورها النوعيّة]

[1]< ولهذه الأربع صور نوعيّة متخالفة[2] الكيفيّات.

واحتجّ المشّاؤون على أنّ الكيفيّات غير الصور بأنّ جزء الماء غير قابل للشدّة والضعف، والكيفيّات الأربع قابلة للشدّة والضعف، ينتج من الثاني: فليس جزء الماء أحد الكيفيّات الأربع.

أمّا بيان الصغرى، فلأنّ جزء الماء لو كان قابلاً[3] للشدّة والضعف، لكان الماء وباقي العناصر يشتدّ ويضعف، وليس كذلك. ولأنّ برودة الماء والأرض وكذلك حرارة الهواء قد تزول، والحقائق الأرضيّة والمائيّة والهوائيّة باقية. ويختلف على[4] الماء الجمود[5] والميعان مع بقاء صورته النوعيّة المائيّة، فيجب أن يكون الصور النوعيّة غير هذه الكيفيّات.

وإذا أطلقوا على الماء الحارّ أنّه بارد، فمرادهم بذلك أنّ الماء الحارّ له صورة نوعيّة[6] أُخرى خلِّيت وذاتها ينبعث[7] عنها البرودة.

[إشكال على هذا الاحتجاج]

والجواب عن الأوّل أنّه من المغالطات؛ إذ ليس ما حمِل[8] عليه الجوهر ـ لجهة[9]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) متخالفة: مختلفة Ac

(٣) A27a

(٤) على: في A

(٥) الجمود: بالجمود A

(٦) نوعيّة: نوعيّته A

(٧) ينبعث: سعت A

(٨) حمل: ـ A

(٩) لجهة: بجهة P

ماـ يكون جوهراً؛ فإنّ الكرسيّ يحمل عليه أنّه جوهر بجهة ما، والأعراض التي صار بها كرسيّاً ـوهي جزء الكرسيّـ لا يلزم أن تكون[١] جوهراً. وأمّا إذا كان جوهراً[٢] من جميع الوجوه، يكون حينئذٍ[٣] جميع أجزائه جوهراً.

وأمّا الأرض والماء وغيرهما من البسائط، فإنّا لا نسلّم أنّها جواهر محضة؛ فإنّها جواهر من حيث الجسميّة، وخصوص الأرضيّة والمائيّة إنّما هو بالأعراض. فليست هذه البسائط نفس الجوهريّة، بل جواهر مع أعراض.

وعلى هذا فقوله: «جزء الماء غير قابل للشدّة والضعف» ممنوع؛ فإنّ بعض الكيفيّات القابلة للشدّة والضعف جزء الماء، فيكون جزؤه قابلاً للشدّة والضعف.

فالعناصر ليس فيها إلّا الجسميّة، والهيئات التي تشتدّ وتضعف ـو[٤] هي الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، وما يشبهها ممّا هو من توابعهاـ هي أعراض[٥].

[الأرض أثقل من الماء]

والأرض أثقل من الماء؛ لأنّها ترسب فيه.

وبعض ذهب إلى أنّ الماء أثقل؛ لأنّ أيّ موضع حفر في الأرض وجد الماء في قعرها.

وهذا لا[٦] يدلّ على ثقل الماء؛ لأنّ من لوازم الأرض أن يكون لها أغوار ووهاد، وفي بعض الجوانب تخلخل، فيسيل بواسطة ذلك الماءُ إلى قعرها، ويجذب إلى باطنها من البَرود[٧] وغيره.

---

(١) تكون: يكون A
(٢) وأمّا إذا كان جوهراً: Ai
(٣) حينئذٍ: جسد A
(٤) و: ـ A
(٥) هي أعراض: ـ P
(٦) لا: ـ A
(٧) البرود: النزّ P

[الهواء أخفّ من الماء]

والهواء أخفّ من الماء؛ لانسلال الزقّ المنفوخ[١].

ولا يجوز أن يُقال: «إنّ ذلك لضغط[٢] الماء إيّاه». ولو كان ذلك حقّا كان كلّما كان الزقّ أكبر وأعظم، كان أبطأ حركةً؛ لقوّة منعِه عن قبول القسر. لكنّه كلّما كان أكبر، كان أسرع حركة.

وبهذا بطل زعمُ من زعَم أنّ النار إنّما تتحرّك[٣] إلى فوق لجذب الأجسام الحارّة لها. ولو كان ذلك حقّاً كان الأكبر أبطأ حركة من الأصغر، وكان مع ذلك حركتها إلى فوق بالقسر. >[٤]

[تعريف المزاج]

<[٥] **خاتمة:** وأنت قد عرفتَ أنّ الصور الجرميّة والنوعيّة التي أثبتوها للعناصر لا وجود لها في الخارج. وأنّ التفاعل[٦] الواقع في العناصر إذا كان بسبب[٧] تلك الصور عندهم، فإذا لم يوجد الصور لم يصحّ أنّ التفاعل إنّما يكون بها، فلم يبقَ في العناصر سوى الكيفيّات الأربع التي تشتدّ وتضعف. فالمزاج[٨] كيفيّة متوسّطة حاصلة بين الكيفيّات المتضادّة الموجودة في عناصر متصغّرة الأجزاء، متشابهة في جميع الأجزاء.

[تأثير الشمس على عالم الطبيعة]

وإذا كانت النار التي عند الفلك لا يستنزلها قاسر ـ وهي غير متحرّكة بالطبع ـ إلى

---

(١) A27b
(٢) لضغط: لضغطها Ac
(٣) تتحرّك: يتحرّك A
(٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٢٧/٢ ـ ٢٢٩
(٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٦) التفاعل: البقاء في A
(٧) كان بسبب: كانت السبب A
(٨) فالمزاج: والمزاج A

محلّ الممتزجات، فلا تكون جزءاً منها. وأنت تشاهد[١] النيّر الأعظم في الإضاءة والتسخين[٢]، وكذا باقي السيّارات والثوابت، إلّا أنّ تأثير الشمس أعظم وأظهر. ولو لاه ما صحّ كون ولا فساد؛ إذ لو لا تسخينه[٣] ما صعد من الأبخرة والأدخنة شيء، وما صعد من المركز نحو المحيط شيء، ولم يتكوّن نبات ولا حيوان، ولا تحرّك متحرّك، ولا حدث ليل ولا نهار ولا فصول ولا مزاج. فحدوث جميع الأشياء التي في عالمنا ـ سواء كانت في باطن الأرض، أو على ظهرها، أو في الجوّ الأدنى أو[٤] الأقصى ـ إنّما هو بسبب شعاع هذا النيّر الأعظم، والملِك الأكرم، والسلطان الأنور، والكوكب الأزهر، سيّد عالم الطبيعة، ووجهة اللّه الكبرى، وهو للعالم وجه وعين وقلب وروح، وهو علّة المزاج والتركيب[٥].

وعرفتَ أنّ العناصر ثلاثة: الأرض والماء والهواء. فإذا امتزج لطيف[٦] التراب بالماء، وتخلّل بينهما الهواء الحارّ، وأشرقت عليها الأشعّة الكوكبيّة لا سيّما الشمس، فعل فيها هذا الشعاع بالخاصّيّة التي فيه بحسب استعداد المزاج، وأثّر في كيفيّاتها بمعاونات الجواهر العقليّة الذي هذا الشعاع كالآلة لها، فخلعت[٧] كيفيّاتها، وأفاض المفارق كيفيّات متوسّطة متشابهة هي المزاج. فهذا القدر من الإيماء والرمز كافٍ لمن له ذَكاء وفِطنة ووقوف[٨] على الأسرار الإلهيّة.

[شدّة أثر القوّة المسخّنة أو المبرّدة في المحلّ الأصغر]

واعلَم أنّ القوّة المسخّنة أو المبرّدة أو غيرهما يكون[٩] تأثيرها في المحلّ الأصغر

---

(١) تشاهد: فتشاهد A
(٢) التسخين: التسخّن A
(٣) تسخينه: تسخّنه A
(٤) أو: و A
(٥) A28a
(٦) لطيف: لطيفة A
(٧) فخلعت: فجعلت A
(٨) وقوف: وثوق A
(٩) يكون: تكون A

أقوى[١] من تأثيرها في المحلّ الأكبر. ولهذا السبب إذا[٢] كانت القوى المسخّنة مقتصرة التأثير على الظاهر، يكون تأثيرها قويّاً[٣]. فإذا استولت القوّة على ظاهر الجسم وباطنه، انتشرت القوّة وضعُف التأثير؛ لازدياد محلّ التأثير، مع بقاء تلك القوّة الأوّليّة[٤] كما[٥] كانت. فإذا كان في الجسم الذي غلب عليه قوّة مسخّنة أو مبرّدة أحدهما، فتأثير القوّة الأوّليّة[٦] ـالتي كانت حالّة في[٧] الجسمـ فيه [ضعيف][٨]؛ لكبر المحلّ. فإذا استولى الضدّ على الظاهر تقوى[٩] تلك القوّة في الباطن؛ لصغره واجتماعها فيه[١٠] بعد الانتشار.

وعلّل بعضهم اشتداد الأثر في الباطن عند غلبة الضدّ على الظاهر بأنّ[١١] الضدّ يهرب من ضدّه، فينتقل من الظاهر إلى الباطن، فيقوى الحرارة في الباطن عند غلبة البرد[١٢] على الظاهر، وبالعكس؛ فإنّ أجواف الحيوانات وباطن الأرض يكون في الشتاء حارّاً[١٣] وفي الصيف بارداً[١٤]؛ لِما ذكرنا من علّة الهزيمة والانتقال، وأنت فقد عرفتَ أنّ الأعراض لاتنتقل[١٥] من محلّ إلى محلّ.

ثمّ إنّ التمثيل[١٦] بالأجواف وباطن الأرض ليس بصحيح؛ لأنّه ليس في أجواف الحيوانات قوّة مبرّدة، بل مسخّنة؛ وباطن الأرض ليس فيها قوّة مسخّنة[١٧]؛ لبرودتها في طبيعتها.

---

(١) أقوى: أقول Ac
(٢) إذا: ـ A
(٣) قويّاً: قوّة A
(٤) الأوّليّة: الأوّلة APs
(٥) كما: كلّما Ac
(٦) الأوّليّة: الأوّلة APs
(٧) في: + ذلك Ps
(٨) ضعيف: ضعيفاً AP
(٩) تقوى: حوى A
(١٠) فيه: + ضعيفاً A
(١١) بأنّ: فإنّ A
(١٢) البرد: الضدّ A
(١٣) حارّاً: حارّ A
(١٤) بارداً: بارد A
(١٥) لا تنتقل: لانتقل A
(١٦) التمثيل: التمسّك A
(١٧) A28b

فإن قلتَ بأنّ أجزاء جسـمانيّة حارّة تميل إلى الباطن وتلتجئ إليه[١] عند اشـتداد الضـدّ على الظاهر، فيكون هذه مسـألة أُخرى غير ما نحن فيه؛ لأنّ كلامنا[٢] في القوّة المسـخّنـة أو المبرّدة، لا في الأجسـام الملتجئـة إلى الباطن بسـبب من الأسـباب السماويّة.

فبـاطن الأرض يجوز أن يعلّـل البرودة فيها بالطبيعة؛ لأنّ طبيعتها البرودة. وأمّا برد باطن الأجواف، فلا يجوز أن يعلَّل بانحصـار قوّة مبرّدة، بل يعلَّل برد الجوف[٣] بانتشار قوّة مسخّنة وبانفتاح المسامّ.

[تعريف الأُسطقسّ والعنصر والركن]

واعلَم أنّ كلّ واحد من البسـائط العنصريّة في حال كونه جزءاً من الجسم المركّب يسـمّى بالأُسطقسّ، كالأرض التي هي جزء المركّبات[٤] العنصريّة. وكلّ واحد منها إذا اسـتحال إلى شـيء يسـمّى عنصره[٥]، كالهواء إذا استحال سحاباً، والبخار ماءً. وإذا قسناه إلى مجموع عالم[٦] الكون والفساد يسمّى[٧] ركناً[٨]. >[٩]



---

(١) إليه: عليه A

(٢) كلامنا: كلاهما A

(٣) الجوف: الأجواف P

(٤) المركّبات: للمركّبات P

(٥) عنصره: عنصرة A

(٦) عالم: العالم Ac

(٧) يسمّى: تسمّى A

(٨) ركناً: ركنه P

(٩) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢/٢٦٠ ـ ٢٦٢

[استدلال الإشراقيّين على وجود الهيولى]

وإذا عرفتَ أحوال هذه العناصــر، فاعلَم أنّ هناك شــيء مشــترك بينها[١] يســمّى الهيولى، فلا بدّ من إثباته، فنقول:

[٢]< **ولمّا شاهدنا الماء يخلع الصورة المائيّة ويلبس الصورة الهوائيّة، فهناك شــيء قابل لهما هو المادّة، فهي أحد جزئَي الجســم، وامتدادها[٣] [جزؤه][٤] الآخر؛** إذ لا يعقل الجســم إلّا بامتداد وحامله. وأشــار بهذا إلى الاستدلال على وجود الهيولى.

وتقريره: أنّا نشــاهد الماء بالحرارة يصــير هواء، فلا يصــحّ أن يُقال: «إنّه قد بطل[٥] الماء بجميع أجزائه وحصل الهواء»، وإلّا يلزم أن لا يكون أحدهما قد صار آخراً. أو[٦] يُقال: «بقي الماء بحاله في حالة الهوائيّة، فيكون الشــيء ماء وهواء في حالة واحدة»، وذلك محال. فإذَن صــيرورة الماء هواءً هو أن يكون الجوهر الذي فيه الصورة[٧] المائيّة زالت عنه، وحصلت فيه الصورة[٨] الهوائيّة. >[٩]

[١٠]< فلا بــدّ هنــاك من محلّ قابل للصــورتين[١١]. و[١٢] ذلك المحلّ[١٣] يســمّى

---

(١) بينها: بينهما Ac

(٢) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٣) امتدادها: امتداد ما P

(٤) جزؤه: جزء A

(٥) بطل: أبطل A

(٦) أو: و A

(٧) الصورة: صورة P

(٨) الصورة: صورة P

(٩) كلمة التصوّف: ١٠٨

(١٠) بداية العبارات المنقولة من: الألواح العماديّة.

(١١) فلا بدّ ... للصورتين: _ P

(١٢) و: _ A

(١٣) المحلّ: الجوهر الذي يتبدّل عليه هذه الصور P

هيولى، وهي أحد جزئَي الجسم. فإذا أُخذت[١] مع اعتبار الامتدادات الطوليّة والعرضيّة والعمقيّة فهو الجسم. فالجسم هو المادّة الممتدّة في هذه الجهات، وهذه هي[٢] المقادير الثلاثة، والجسميّة حصلت بها، فلا تكون هي غيرها حتّى تكون أعراضاً قائمة بها ـعلى ما يقوله المشّاؤون[٣]ـ. فإذا أُخذت بالنسبة إلى الهيئات التي فيها، فهو المحلّ. وإذا [أُخذت][٤] بالنسبة إلى ما يحصل منه من الأنواع ويتبدّل عليه من الصور فهي الهيولى. فهو في الحقيقة شيء واحد، مختلف باختلاف النسب. فنسبة الهيولى إلى الصورة ـعلى سبيل[٥] المساهلةـ كنسبة الحديد إلى السيف، ويسمّى باسم المادّة. هذا تقرير ما [ذكروه][٦]. >[٧]

[الاستدلال المشّائين على وجود الهيولى]

[٨]< وقال المشّاؤون: الجسم ـويعنون به[٩] الجسم الطبيعيّ البسيط المتّصل بذاته في نفس الأمر، كما هو عند الحسّ، مثل الماء مثلاً؛ لبطلان تركّبه من الأجزاء التي لا[١٠] تتجزّأـ يقبل الاتّصال والانفصال، والاتّصال لا يقبل الانفصال؛ لأنّ الانفصال[١١] إن أُخذ ضدّاً، فالشيء لا يقبل ضدّه ولا يجامعه؛ وإن أُخذ عدماً مقابلاً للملَكة، احتاج إلى محلّ. وعلى التقديرين يكون قابل الانفصال محلّ الاتّصال، لا نفسه؛ إذ الشيء لا يكون محلّاً لضدّه، ولا لعدم نفسه، بل القابل هو المحلّ. كما أنّ قابل أحد[١٢] الضدّين هو

---

(١) A29a

(٢) هي: في Ac

(٣) فالجسم هو ... المشّاؤون: ـ P

(٤) أُخذت: أخذنا A

(٥) على سبيل: مبنيّ على A

(٦) ذكروه: ذكره A

(٧) الألواح العماديّة: ٤٦

(٨) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

(٩) الجسم ويعنون به: ـ A

(١٠) لا: ـ A

(١١) لأنّ الانفصال: Ai

(١٢) أحد: هذا A

محلّ الضدّ الآخر، لا هو؛ وقابل العدم ـ كالعمى ـ هو محلّ الملَكة، لا هي ـ كالبصر ـ.

وكما أنّ الاتّصال لا يقبل الانفصال، كذلك لا يقبل الاتّصال؛ لأنّ الشيء لا يقبل نفسه؛ إذ القابل غير المقبول بالبديهة، على ما يشهد به الفطرة السليمة.

وإذ[١] لا يقبلهما الاتّصال، ويقبلهما الجسم ـ مع أنّ القابل للشيء بالحقيقة يجب أن يبقى مع حصول المقبول، والجسم لا يبقى مع قبول الانفصال[٢]؛ لانعدام هويّته الاتّصاليّة، التي لا يعقل دونها ـ فينبغي أن يوجد في الجسم قابل لهما، وهو الهيولى. وهي ثابتة للجسم، وإن لم ينفصل بالفعل؛ لأنّ ثبوتها ليس بواسطة[٣] انفصال نفسه فقط، بل وبواسطة القوّة عليه. ولهذا كانت الهيولى ثابتة حال الانفصال وقبله وبعده. وليس لها في ذاتها اتّصال ولا انفصال، ولا وحدة ولا تعدّد، وإلّا لم تكن موضوعة وقابلة[٤] لهذه الأشياء.

وإذا كان كلّ ما هو جسم إمّا متّصل أو منفصل، وإمّا واحد أو متعدّد، فلا شيء ممّا هو قابل للجميع بجسم، بل القابل هو الهيولى، والمقبول هو الصورة الجسميّة.

وإذا رجع كلّ عاقل إلى نفسه، علم أنّ الهويّة الاتّصاليّة شيء مع متّصل، وليست شيئاً قائماً بذاته، ولا يعقل ماهيّة الجسم دونها، فهي من مقوّماته. وكلّ ما له جزء فلا بدّ له من جزء آخر، فللمتّصل جزء آخر[٥] غير الاتّصال، هو القابل للاتّصال والانفصال. فهو مركّب منه ومن قابله المسمّى بالهيولى، فالجسم مركّب من الهيولى والصورة الجوهريّتين[٦]، وهو المطلوب.

---

(١) إذ: إذاً A

(٢) الانفصال: الاتّصال P

(٣) A29b

(٤) تكن موضوعة وقابلة: يكن موضوعه وقابله A

(٥) فللمتّصل جزء آخر: ـ A

(٦) الجوهريّتين: الجوهريّين A

[زيادة المقدار على حقيقة الجسم]

وقالوا: المقدار غير داخل في حقيقة الأجسام؛ لاشتراكها في الجسميّة، وافتراقها في المقادير المختلفة بالعظم والصغر، وما به الاشتراك مغاير لِما به الامتياز، فالمقدار العرضيّ[١] زائد على الحقيقة الجسميّة.

ولأنّ جسماً واحداً ـ كالماء مثلاً ـ يصغّر ويكبّر بالتخلخل والتكاثف الحقيقيّين. والأوّل هو زيادة مقدار الجسم من غير أن ينضمّ إليه مادّة من خارج، والثاني هو أن ينقص مقداره من غير انفصال شيء منه. وإذا كان كذلك، كانت المادّة الواحدة قابلة للمقادير المختلفة، وباقية في الأحوال، غير مفتقرة إلى ما يحلّها منها، وكانت المقادير أعراضاً حالّة[٢] في المادّة الموضوعة لها.

[إشكالات على مذهب المشّائين]

وأُورد[٣] عليهم:

أمّا على قولهم: «إنّ الاتّصال لا يقبل الانفصال»، فبأن نقول[٤]: الاتّصال يُقال في ما بين جسمين، فيُحكم[٥] بأنّ أحدهما اتّصل بالآخر، وهو الذي يقابله الانفصال. وفي الجسم امتداد من الطول والعرض والعمق، والامتداد ليس يقابله الانفصال أصلاً؛ لأنّ الاتّصال الذي يقابله الانفصال[٦] لا يعقل إلّا بين شيئين، ولا كذلك الامتداد. وإذا كان كذلك، فإن عني بالاتّصال الامتدادُ على اصطلاح ثانٍ، لم يمتنع[٧] أن يكون هو القابل[٨] للانفصال؛ لكونه غير مقابل له، ولا يتمّ البرهان.

---

(١) العرضيّ: العرض Ac، عرض P
(٢) أعراضاً حالّة: أعراض ما حاله Ac
(٣) أُورد: يرد P
(٤) فبأن نقول: فإنّ A
(٥) فيحكم: فنحكم P
(٦) A30a
(٧) ثانٍ لم يمتنع: بأن لم يمنع A
(٨) هو القابل: هذا لقابل A

وأمّـا على قولهم: «إنّ المقـدار غير داخـل في حقيقة الجســم»، فبأن[١] نقول: فما قولك في من يدّعي أنّ الجسم مجرّد المقدار الذي يقبل الامتدادات الثلاث، لا غير؟

وقول القـائل: «إنّ الامتدادات الثلاث أعراض؛ لتبدّل الطول والعرض والعمق على شـمعة ـمثلاًـ مع بقاء الحقيقة الشـمعيّة، والزائل غير[٢] الباقي. فالامتدادات خارجة عن حقيقة الجســم، فهي أعراض زائدة عليها. وهو[٣] المقدار الذي يقبل الامتدادات، فلا[٤] يكون الجســم مجرّد المقـدار؛ لأنّـه جوهر، وهـذا عرض قائم به[٥]»، ليس إلّا دعوى مجرّدة عن البرهان؛ لأنّه إن جعل هذا المقدار القابل[٦] المتغيّر الذي هو أحد[٧] المقادير ذاهباً في بعض الجهات عرضاً، فهو مسلّم؛ لأنّه عرض في المقدار الجوهريّ الذي هو نفس الجسم، لكن لا يلزم منه كون الجوهريّ كذلك.

ودليلـه أنّـه ثابت لازم غير متغيّر؛ لأنّ[٨] ما يزداد[٩] في الطول عند المدّ ينتقص من العرض[١٠]، وكذا إذا انبســط[١١] في العرض ينتقص من طوله، فيتّصــل في المدّ بعض أجزاءٍ[١٢] متفرّقة، ويفترق[١٣] بعض ما كانت متّصلة. فذهاب المقدار الذي هو الجسم في الجهـات المختلفـة على ســبيـل البـدل عرض[١٤] لازم لـه[١٥]، غير متغيّر بتبـدّل الأشكال.

---

(١) فبأن: فإنّ A

(٢) غير: عن Ac

(٣) هو: كذلك A

(٤) فلا: ولا A

(٥) به: + و A

(٦) القابل: ـ P

(٧) أحد: آحاد A

(٨) لأنّ: فإنّ P

(٩) يزداد: يزاد A

(١٠) العرض: عرضه A

(١١) إذا انبسط: ما ينبسط P

(١٢) أجزاء: أجزائه Ac

(١٣) يفترق: تفترق A

(١٤) عرض: ـ A

(١٥) له: + ثابت P

وآحاد الذهاب في الجهات عرض متبدّل، والجسم ليس إلّا نفس المقدار الثابت في الأحوال كلّها، على معنى أنّه لا يزيد على ما كان، ولا ينقص منه عند تبدّل أشكاله، بل الذي يزيد وينقص هو بعض امتداداته. فالامتدادات الثلاث المتبدّلة هي ما يؤخذ بحسب[١] ذهاب جوانب الجسم في الجهات.

ولا يصحّ الاستدلال على عرضيّة المقدار بالتبدّل؛ لتبدّل الامتداد الجوهريّ أيضاً؛ فإنّ عدم تبدّله إلى[٢] جهة من الجهات ممتنع؛ فإنّ الامتداد الجوهريّ المتشخّص المتناهي إذا بقي بحاله ولم يتبدّل في قطر في حال صغره، كما كان في حال كبره، يلزم أن يكون للقطر[٣] الصغير امتداد آخر أكبر منه، يفضل عليه مع[٤] قيامه به، هذا خلف[٥].

وإذا كان هذا النوع من التبدّل لا ينافي جوهريّة الامتداد الجوهريّ، ولا يستلزم عرضيّته، فكذلك تبدّل المقدار الجوهريّ الذي هو حقيقة الجسم. هذا إن سلِّم[٦] أنّ ذلك المقدار تبدَّل[٧]، وليس كذلك؛ لِما علمتَ من ثباته وعدم تغيّره بزيادة ونقصان. وإنّما المتغيّر مقدار جوانب الشمعة، لا مقدار نفسها[٨]. فاعرِفه هكذا؛ فإنّه دقيق نفيس.

قال [الشهرزوريّ][٩]: والحقّ أنّ المقدار الجوهريّ لا يتبدّل، بمعنى أنّه لا يزيد مقدار مجموعه ولا ينقص بتبدّل الأشكال، لا بمعنى أنّه لا يتبدّل في بعض أقطاره، بل

---

(١) يؤخذ بحسب: يوجد A
(٢) A30b
(٣) للقطر: للقدر P
(٤) مع: بقدر Ac
(٥) خلف: + محال P
(٦) سلّم: يسلّم A
(٧) تبدّل: يتبدّل P
(٨) نفسها: + الذي هو نفسها A
(٩) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A

يتبدّل كالامتداد الجوهريّ، بعين ما ذكر فيه.

وقوله[١]: «الاتّصال لا يقبل الانفصال[٢]» صحيح إن[٣] عني به الاتّصال بين[٤] الجسمين؛ فإنّه لا يقبل الانفصال من حيث هما متّصلان. وإن عني بالاتّصال المقدارُ، فيُمنع أنّ المقدار لا يقبل الانفصال؛ فإنّ المقادير بأسرها عند عدم المانع تتّصل تارةً وتنفصل أُخرى، وهي القابلة للأمرين. واستعمال الاتّصال بإزاء المقدار يوجب الغلط؛ لأنّه اشتراك في اللفظ، فيُتوهّم[٥] أنّ المراد منه الاتّصال الذي يبطله الانفصال، وليس كذلك؛ لِما عرفت.

وقول القائل: «إنّ الأجسام تشاركت في الجسميّة، واختلفت في المقدار، فيكون المقدار[٦] خارجاً عنها» كلام فاسد؛ لأنّ[٧] الجسم المطلق بإزاء المقدار المطلق، والجسم الخاصّ بإزاء المقدار الخاصّ. وإذا كان كذلك:

ـ فإن أراد بالجسميّة الجسميّة الخاصّة، فلا نسلّم اشتراك الأجسام فيها.

ـ وإن أراد العامّة المطلقة المشتركة[٨] بين الكلّ، فمسلّم اشتراك الأجسام فيها[٩]، ولكن لا نسلّم اختلافها في المقدار الذي بإزائها؛ لاشتراكها في مطلق المقدار واختلافها بالمقدار الخاصّ الذي هو بإزاء الجسم الخاصّ[١٠].

وما هو[١١] إلّا كمن يقول: «المقادير الخاصّة[١٢] في الصغر والكبر مختلفة،

---

(١) قوله: قول Ac

(٢) الانفصال: للانفصال A

(٣) صحيح إن: صحّ إذا P

(٤) بين: من A

(٥) فيتوهّم: فيوهم P

(٦) فيكون المقدار: ـ A

(٧) لأنّ: فإنّ P

(٨) المطلقة المشتركة: المشتركة المطلقة A

(٩) وإن أراد ... فيها: Ai

(١٠) الذي هو ... الخاصّ: ـ A

(١١) A31a

(١٢) الخاصّة: الخارجيّة A

وتشـاركت في أنّها مقدار. فافتراقها بالصغر والكبر ليس إلّا لشيء[١] غير المقدار، حتّى يزيـد المقدار الصـغير على المقدار[٢] الكبير بشـيء غير المقدار؛ لاشـتراكهما في المقدار».

وهو فاسـد؛ فإنّ المقدار إذا زاد على المقدار لا يجوز أن يُقال: «زاد بغير المقدار»؛ إذ لا تفاوت في المقادير إلّا بالمقدار[٣]، فالتفاوت بنفس المقداريّة.

ولأنّ أحـدهمـا أتمّ والآخر أنقص، وهـذا التفـاوت كـالتفـاوت بين النور الأشـدّ والأضـعف، والحرّ[٤] الأشـدّ والأضـعف. ولا أعني بالنور الأشـدّ والحرّ الأشـدّ [إلّا شـدّته][٥] في[٦] القدرة و[٧] الممانعة، وغير ذلك ممّا يُقال في معنى الأشـدّيّة والقدرة، كالصلابة ونحوها.

وليس شدّة النور وضعفه لمخالطة[٨] أجزاء الظلمة؛ إذ الظلمة عدميّة، فلا يكون لها أجزاء. ولا بمخـالطـة أجزاء مُظلِمـة[٩]؛ فإنّ كلامنا في ما يحسّ من النور، وما ينعكس على أملس كالمرآة[١٠]. بل شدّة النور تماميّة[١١] وكمال له في الماهيّة.

والمراد من تماميّة الشـيء حصول ما يمكن له من الزيادة، ومن كماليّته[١٢] حصول ما يمكن له من الفضائل.

ففي الطول أيضـاً هكذا؛ فإنّ هذا الطول إذا كان أعظم من ذلك الطول، فإنّه أتمّ في

---

(١) لشيء: بشيء P
(٢) المقدار: ـ A
(٣) لا يجوز ... بالمقدار: ـ A
(٤) الحرّ: الجزء A
(٥) إلّا شدّته: الأشدّيّة A، إلّا أشدّيّة P، وما أثبتناه من: حكمة الإشراق: ٧٦
(٦) في: و A
(٧) و: في A
(٨) لمخالطة: بمخالطة P
(٩) ولا بمخالطة أجزاء مظلمة: ـ A
(١٠) كالمرآة: + من نيّر P
(١١) تماميّة: تماميّته A
(١٢) كماليّة: كلاميّة Ac

طوليّتـه ومقـداريّته. والزيادة أيضـاً طول، وهي أيضـاً مقدار[١]، لا أنّها غير طول وغير مقـدار؛ فـإنّ زيـادة الطول على الطول بنفس الطول. فإن لـم يســمّ[٢] هذا العظم[٣] في الطول شدّةً فيه[٤]، بسبب أنّ هاهنا ـ أي[٥] في الطول[٦]، بل في المقدار ـ يمكن الإشارة إلى قدر ما به المماثلة وإلى[٧] قدر الزائد، بخلاف الأتمّ بياضاً والأنقص بياضاً[٨]؛ فإنّ التفاوت بينهما ـ وهو زيادة بياض الأتمّ على بياض الأنقص ـ لا ينحصر ولا يتعيّن في الأتمّ، بخلاف الأتمّ طولاً[٩] مع الأنقص؛ لانحصـــار[١٠] التفـاوت بينهمـا وتعيّنـه في الأتمّ، كالأشـدّ بياضـاً؛ فإنّه[١١] لا ينحصـر[١٢] فيه التفاوت بينه وبين الأضـعف بياضاً، فيجعل الجامع الأتمّيّة دون الأشدّيّة؛ ليشمل الكلّ[١٣]، ولا يختصّ بالبعض. كما يُقال: هذا البياض أتمّ من ذلك البياض، كذلك يُقال: هذا النور أو الجسم أو السطح أو الخطّ أتمّ من ذلك النور أو الجسم[١٤] أو السطح أو الخطّ، ولا مُشاحّة في الأسامي؛ إذ النزاع في الحقيقة إنّما هو فيها[١٥].

فحاصـل[١٦] الكلام أنّ الجسـم المطلق هو المقدار المطلق، وأنّ الأجسام الخاصّة هي المقـادير[١٧] الخـاصّـة. وكما تشـاركت الأجسـام في المقدار المطلق وافترقت

---

(١) هي أيضاً مقدار: كذا مقدار أيضاً P

(٢) يسمّ: نسمّ P

(٣) العظم: العظمة A

(٤) فيه: في الطول P

(٥) أي: ـ A

(٦) الطول: الطويل A

(٧) إلى: الزائد A

(٨) والأنقص بياضاً: ـ P

(٩) طولاً: لا A

(١٠) لانحصار: لا يحصل A، لا تحصيل Ac

(١١) فإنّه: ـ A

(١٢) ينحصر: تنحصر A

(١٣) A31b

(١٤) أو الجسم: ـ P

(١٥) إذ ... فيها: لأنّ هذا نزاع فيها بالحقيقة P

(١٦) فحاصل: وحاصل A

(١٧) المقادير: المقدار Ac

بخصوص المقادير المتفاوتة، تشاركت في الجسميّة المطلقة وافترقت بخصوص المقادير التي هي الجسميّات المخصوصة المختلفة.

وأمّا التخلخل والتكاثف، فلا يشملهما[١] بالمعنى الحقيقيّ، وهو أن يزيد مقدار الشيء من غير انضمام شيء إليه، أو ينقص من غير نقصان شيء منه. ولا ما استدلّوا به عليهما، وهو أنّ المقدار عرض حالّ في المحلّ الذي لا مقدار له، ونسبته إلى جميع المقادير[٢] متساوية، فقبوله للمقدار الصغير كقبوله للكبير. وعلى[٣] هذا يجوز تبدّل المقادير عليه، وصيرورة العظيم صغيراً من غير انفصال شيء منه، والصغير عظيماً من غير انضمام شيء إليه؛ لأنّ المقدار هو نفس الجسم، وهو المادّة والمحلّ. فزيادة الجسم هي زيادة الجسم والمادّة والمحلّ، ونقصانه هو نقصانها.

وعلى هذا يستحيل أن يزيد مقدار الجسم أو ينقص دون انضمام شيء إليه أو انفصال شيء منه؛ لأنّه جوهر، وليس عرضاً حالّاً في شيء ليلزم[٤] ما ذكروه، بل نسلّمهما بالمعنى المجازيّ؛ إذ ليس التخلخل والتكاثف إلّا بتبديد[٥] الأجزاء واجتماعها وتخلّل الجسم اللطيف بين الأجزاء[٦]، وذلك في التخلخل، كما في العجين والقطن المحلوج. أو تخلّل[٧] الجسم اللطيف منها، أي[٨] انفصاله عنها، وذلك في التكاثف، وذلك كالمتنقّش الأجزاء إذا اندمجت أجزاؤه، أو مختلف الأجزاء إذا تحلّل[٩] لطيفها وانضمّت. <[١٠]

---

(١) يشملهما: نسلّمهما A

(٢) المقادير: المقدار Ac

(٣) وعلى: فعلى A

(٤) ليلزم: فيلزم A

(٥) بتبديد: تبديل A

(٦) بين الأجزاء: بينها P

(٧) تخلّل: تحلّل A

(٨) أي: و A

(٩) إذا تحلّل: يحلّل A

(١٠) شرح حكمة الإشراق: ٢٠٢ ـ ٢٠٨

[معرفة هيولى العالم العنصريّ]

[١]< إذا تقرّر ذلك، فاعلَم أنّ هيولى العالم العنصريّ -بل العالم الجسمانيّ- هو الجسم البسيط[٢] الذي هو المقدار القائم بنفسه، على ما ذهب إليه الأقدمون، لا ما ذهب إليه المتأخّرون، وهو أنّها موجودة[٣] فحسب، تقبل[٤] الصور والمقادير، وليس له تخصّص في نفسه إلّا بالصور؛ لأنّه إذا حقّق حاله لم يكن شيئاً موجوداً.

وحاصل ما ذكر أنّ كونه موجوداً أمر اعتباريّ، وكونه جوهراً عبارة عن سلب الموضوع، وهو عدميّ، وليس له وراء ذلك تخصّص، لا في الخارج ولا في العقل.

[إشكال على مذهب المشّائين في تركّب الجسم]

فلمّا[٥] تبيّن ذلك في الفصل السابق أنّ الجسم الطبيعيّ ليس إلّا المقدار القائم بنفسه، فليس شيء في العالم هو موجود فحسب، يقبل المقادير والصور الجسميّة والنوعيّة، وهو الذي سمّوه المشّاؤون الهيولى الأُولى[٦] البسيطة[٧]، التي يزعمون أنّها أحد جزئَي الجسم، والآخر الصورة الجسميّة. وليس في[٨] نفسه شيئاً متخصّصاً عندهم، بل تخصّصه بالصورة[٩] الجسميّة والنوعيّة الجوهريّتين[١٠] عندهم. وقالوا: الصورة هي فعل الفاعل في الهيولى، ومثّلوها بالكتابة التي هي فعل الكاتب في الكاغذ الذي هو كالهيولى. فحاصل ما سمّوه الهيولى يرجع إلى أنّه موجودٌ ما، وجوهريّته

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(٢) A32a
(٣) موجودة: موجود A
(٤) تقبل: يقبل A
(٥) فلمّا: فإذا A
(٦) الأولى: الأوّل Ac
(٧) البسيطة: البسيط A
(٨) في: من A
(٩) بالصورة: بالصور P
(١٠) الجوهريّتين: الجوهرتين A

سلب الموضوع عنه، وهو ليس بأمر وجوديّ.

وقال الشيخ الإلهيّ[١] في المطارحات[٢]: «وإذا لم يبقَ من رسم الهيولى إلّا الوجود[٣]، كانت ماهيّتها نفس الوجود، بل واجبة الوجود؛ لأنّكم قلتم أن ليس في الموجودات ما وجوده عين[٤] ماهيّته إلّا واجب الوجود».

وقولنا: «موجودٌ ما» أمر ذهنيّ؛ لأنّه[٥] لا صورة له في الأعيان، وما هو[٦] كذلك لا يوجد إلّا في الذهن، فالهيولى لا توجد إلّا فيه. فما سمّوه هيولى ليس بشيء موجود في الخارج، بل هو أمر اعتباريّ عدميّ، لا حصول له في الوجود، ولا صورة في الأعيان.

ولا يخفى أنّه إذا فسِّر الهيولى بما فسّر به المشّاؤون -من أنّها جوهر من شأنه أن يكون بالقوّة، دون ما يحلّ فيه- لم ينتظم من[٧] القياس[٨] الدالُّ على أنّه واجب الوجود[٩]، أو أمر عدميّ[١٠].

[رأي الإشراقيّين في تركّب الجسم]

وأمّا على القاعدة التي قرّرناها من رأي الأقدمين، هذا المقدار -الذي هو الجسم- جوهريّته اعتبار عقليّ. فإذا أُضيف بالنسبة إلى الهيئات المتبدّلة عليه -أي الأعراض[١١]-، وإلى الأنواع الجوهريّة الحاصلة من الجسم، أو من الهيئات المركّبة[١٢]، ومن محلّها،

---

(١) الشيخ الإلهيّ: _ P
(٢) المشارع والمطارحات (الطبيعيّات): ٨٧
(٣) الوجود: + و A
(٤) عين: عن Ac
(٥) لأنّه: كما سبق من أنّه P
(٦) هو: كان P
(٧) من: _ P
(٨) من القياس: بالقياس Ac
(٩) A32b
(١٠) أو أمر عدميّ: _ P
(١١) أي الأعراض: من الأعراض والأنواع A
(١٢) المركّبة: + وهي الهيئات الحاصلة من الأنواع الحاصلة من الهيئات المركّبة من الثبات A

وهو المقدار الذي هو الجسم؛ لاستحالة وجود الهيئات بدون محلّ تقوم[١] به، وهو تجويز تركّب[٢] نوع طبيعيّ من جوهر وعرض، بل الجسم كذلك، على ما قال الشيخ الإلهيّ في التلويحات[٣].

فالمقدار[٤] داخل في الجسم، وهو عرض، وللجسم جزء[٥] ثابت جوهريّ هو الهيولى، وآخر عرضيّ متجدّد بتجدّد أعداد الأجسام مع بقاء الحقائق النوعيّة، فليس الجسم محض الجوهر.

[نفيُ توهّم التناقض عن كلام السهرورديّ]

وقد يُظنّ في ظاهر[٦] الأمر أنّ بين كلامَيه تناقضاً؛ لحكمه ببساطة الجسم وجوهريّة المقدار في كتاب حكمة الإشراق، وحكمه في التلويحات بتركّب[٧] الجسم وعرضيّة المقدار.

ولا مناقضة في الحقيقة، وتوهّمُها إنّما[٨] هو من اشتراك اللفظ؛ لأنّ ذلك الجسم والمقدار غير هذا الجسم والمقدار؛ لما سبق أنّ في الشمعة مقدارين:

ـ ثابت، و[٩] هو جوهر لا يزيد ولا ينقص بتبدّل[١٠] الأشكال، وهو مقدار المجموع.

ـ ومتغيّر، هو مقادير الجوانب، وهو عرض في المقدار[١١] الذي هو جوهر.

ومجموعهما هو الجسم على اصطلاح[١٢] التلويحات، والجوهر الذي[١٣] هو الهيولى.

---

(١) تقوم: يقوم A
(٢) تجويز تركّب: تجوّز مركّب A
(٣) التلويحات: ٩٨
(٤) فالمقدار: المقدار A
(٥) للجسم جزء: الجسم A
(٦) ظاهر: ـ A
(٧) بتركّب: يتركّب A
(٨) توهّمها إنّما: توهّمنا إنّها A
(٩) و: ـ P
(١٠) بتبدّل: بتبديل A
(١١) في المقدار: فالمقدار A
(١٢) اصطلاح: الاصطلاح A
(١٣) الذي: ـ P

وعلى مصطلح حكمة الإشراق، الجسم هو المقدار البسيط الجوهريّ الثابت، وهو الذي بالنسبة إلى المذكورات يسمّى هيولى لتلك الهيئات والأنواع المركّبة، وقد يسمّى بالنسبة إلى الحالّ محلّاً، وبالنسبة إلى الأنواع المتحصّلة منه هيولى، لا غير. فليس غير ما ذكرناه شيئاً آخر هو الهيولى، بل الهيولى هو الجسم بهذا الاعتبار. وهو جسم بحسب ذاته، وهيولى بحسب[1] غيره. فالهيولى والجسم[2] شيء واحد بالذات، مختلف بالاعتبار:

ـ أمّا الأوّل، فلكون كلّ منهما غير متّصل ومنفصل بحسب الذات، و[3] قابل للاتّصال والانفصال والصور والهيئات.

ـ وأمّا الثاني، فلأنّ الجسم هو ثابت بالفعل، والهيولى بالقوّة.

[استدلال المشّائين على كون الصورة علّةً للهيولى]

ثمّ إنّ هؤلاء المشّائين بعد احتجاجهم على تركّب الجسم من الهيولى البسيط والصور الجسميّة والنوعيّة، حكموا بأنّ للصورة مدخلاً في وجود الهيولى؛ لكونها علّة للهيولى؛ بناءً على عدم تصوّر خلوّ الهيولى عن الصورة، فيستدلّون على كون الصورة علّة للهيولى بعدم تصوّر خلوّها عنها.

[إشكال على هذا الاستدلال]

وهو[4] استدلال غير متين؛ إذ امتناع خلوّ الهيولى عنها لا يدلّ على تقوّم وجودها بها؛ فإنّه يجوز أن يكون للشيء لازم لا يكون ذلك الشيء دون ذلك اللازم؛ لكونه من الأعراض اللازمة لموضوعاتها، كالزوايا الثلاث[5] للمثلّث، والزوجيّة للأربعة. ولا يلزم

---

(١) بحسب: باعتبار P
(٢) A33a
(٣) و: ـ A
(٤) هو: ذلك P
(٥) الثلاث: Ai

أن يكون ذلك اللازم علّةً للشـيء الذي هو موضـوعه وملزومه؛ لأنّ العرضـيّ اللازم للشـيء معلوله[(١)]؛ لاحتياجه إليه، لا علّته، وإلّا لكانت[(٢)] الزوايا علّةً للمثلّث، مقوّمةً لوجوده. وبطلانه ظاهر؛ لأنّها لازمة لماهيّته و[(٣)] متأخّرة عنها.

[استدلال المشّائين على استحالة تجرّد الهيولى عن الصورة]

و[(٤)] منهم مَن بيّن[(٥)] أنّ الهيولى لا يُتصوّر وجودها دون الصورة؛ لأنّها حينئذٍ:

ـ إمّا أن تكون[(٦)] منقسـمـة، فيلزم جسـميّتها؛ فإنّ الشـيخ الإلهيّ قال في المطارحات[(٧)]: إنّها إذا انقسـمت تسـتدعي[(٨)] مقداراً، ونحن نقول: لكن المقدار لا يخلو عن الجسـميّة؛ لأنّه[(٩)] إمّا نفسها على مذهبه، أو ملزومها على مذهب غيره. وإذا استلزمت الهيولى الجسميّةَ، فلا تكون مجرّدة عن الصورة، والمفروض خلافه.

ـ أو غير منقسـمة، فيكون عدم الانقسـام لذاتها؛ لاسـتحالة أن يكون لغيرها، وهو الصـورة وتوابعها؛ لتجرّدها عنها فرضـاً، فيسـتحيل عليها الانقسـام؛ لأنّ ما بالذات لا يزول، لكنّها تنقسم[(١٠)].

[إشكال على هذا الاستدلال]

وهذا غير مسـتقيم؛ فإنّها[(١١)] إذا كانت غير منقسـمة، فلا يلزم أن يسـتحيل عليها ذلك[(١٢)] الانقسـام، ويكون استحالة الانقسام عليها لذاتها، بل يستحيل فرض الانقسام

---

(١) معلوله: معلولة A
(٢) لكانت: كانت P
(٣) لماهيّته: لماهيّة P
(٤) و: ثمّ P
(٥) بيّن: يبيّن P
(٦) تكون: يكون A
(٧) المشارع والمطارحات (الطبيعيّات): ٧١
(٨) تستدعي: يستدعي A
(٩) لأنّه: لأنّها A
(١٠) تنقسم: ينقسم A
(١١) فإنّها: فإنّه A
(١٢) A33b

فيها لأجل انتفاء شـرط القسـمة، وهو المقدار؛ فإنّ الشيء يمتنع[١] لانتفاء شرطه الذي هو جزء علّتـه التـامّـة، كما يمتنع فرض الزاوية في السـطح دون الخطّ؛ لكونه[٢] من شرائط حصولها.

[استدلال ثانٍ لهذا المطلوب]

وممّا احتجّوا به[٣] على اسـتحالة تجرّد الهيولى عن الصورة، أنّ الهيولى إن فرضت مجرّدة، ثمّ حصـل فيها الصـورة، إمّا أن تحصـل في جميع الأمكنة والأحياز، أو لا في مكان وحيّز.

[إشكال على هذا الاستدلال]

وهما ظاهرا البطلان:

لاستلزام الأوّل كونَ جسم واحد في جميع الأحياز[٤].

والثـاني ـ أعني كونـه لا في حيّز ولا في مكان ـ باطل؛ لأنّ الجسـم قد يخلو عن المكان دون الحيّز، كالمحدّد. هذا إنّما يصحّ عند من يفرّق بين الحيّز والمكان.

وأمّا من يجعلهما واحداً، يلزم بلزوم كون[٥] الجسـم غير ذي وضـع، أو ذي وضـع بدون الصورة، وهما محالان.

أو في مكان مخصّص، ولا[٦] مخصّص للهيولى بمكان، على ما قالوا في بيان ذلك، [من][٧] أنّ المخصّص:

---

(١) يمتنع: تمنع A
(٢) لكونه: لكونها A
(٣) وممّا احتجّوا به: ومن جملة حججهم P
(٤) وهما ... الأحياز: ـ A
(٥) بلزوم كون: أن يكون A
(٦) مخصّص ولا: مختصّ فلا A
(٧) من: ـ A

ـ إمّا ذاتها، ويلزم منه الترجيح من غير مرجّح؛ لتساوي نسبتها من حيث هي إلى جميع الأحياز؛ لأنّ ما ليس له في نفسه وضع معيّن ولا مظهر كذلك، فنسبته إلى جميع الأوضاع والمظاهر المعيّنة على السواء، حتّى لو حصلت على صورة نوع لا يمكن تخصّصها[١] من جميع الأجزاء مكان ذلك النوع بجزء[٢]؛ لكونه ترجيحاً من غير مرجّح. وهذا بخلاف الهواء الذي يصير ماءً، وينحدر على خطّ مستقيم على زوايا قائمة؛ لأنّ الطبيعة إمّا تحرّك إلى أقرب الطرق، وهو مستقيم[٣]، فيتعيّن لمكانه الأوّل محلّ[٤] انحداره، وما اقتضى سبب[٥] آخر اتّفاقيّ، كريح[٦] عدلت به في انحداره[٧] عن عن الحيّز المحاذي إلى غيره. على أنّ الكلام يعود إلى اختصاص الهيولى بتلك[٨] الصورة النوعيّة؛ لتساوي نسبتها إلى جميع الصور النوعيّة.

ـ أو أمر[٩] غيرها: إمّا من الأُمور الدائمة، وقد برهِن[١٠] أنّه لا يؤثّر تأثيراً[١١] حادثاً إلّا لاستعداد[١٢] القابل، ولا استعداد؛ لعدم مقارنة الصورة. أو[١٣] من الأُمور الحادثة، كالحركات السماويّة والأُمور الأرضيّة، وهي إنّما[١٤] تؤثّر في ما له وضعٌ معيّن أو تعلّقٌ بذي وضع كذلك، كالنفس. فلو لا علاقتها مع البدن، لَما تأثّرت بالأُمور السماويّة وأسباب الحوادث. والهيولى إذا كانت مجرّدةً عن مناسبات الأوضاع الفلكيّة، لا يخصّصها حادث من الأُمور الطبيعيّة والفلكيّة بشيء إلّا بعد حصولها في عالم الأجرام

---

(١) تخصّصها: تخصيصها A
(٢) بجزء: ـ A
(٣) مستقيم: المستقيم P
(٤) محلّ: قبل A
(٥) اقتضى سبب: يقتضي شيئاً A
(٦) اتّفاقيّ كريح: اتّفاقيّاً كجريح A
(٧) انحداره: الحرارة Ac
(٨) بتلك: لتلك A
(٩) أمر: بأمر A، + آخر P
(١٠) برهن: يبرهن A
(١١) تأثيراً: ـ A
(١٢) لاستعداد: الاستعداد A
(١٣) الصورة أو: Ai
(١٤) A34a

وتعيّن مظهرها، والكلام في موجب المظهر وسببه.

والحاصل أنّ الهيولى لو تجرّدت عن الصورة ثمّ افترقت بها لزم المحال، وهو الترجيح من غير مرجّح، أو حصولها في جميع الأحياز، أو لا في حيّز. وبطلان التالي يدلّ على بطلان[١] المقدّم، وهو أنّه لا يجوز اقتران الصورة بالهيولى المجرّدة.

ولقائل أن يقول[٢]: امتناعها في مكان خاصّ لعدم المخصّص، لا لاستحالة التجرّد. وغاية ما يلزم من هذه الحجّة أنّ العالم إذا حصل وبقيت هيولى مجرّدة، لا يمكن عليها بعد ذلك لبس الصورة؛ لعدم المخصّص بمكان. واستحالة الشيء ـ وهو حصول الهيولى المجرّدة في الخارج ـ لغيره ـ وهو عدم المخصّص على تقدير لبس الصورة ـ لا يدلّ على استحالته في نفسه. وهذا وأمثاله لزم من إهمال الاعتبارات اللاحقة بالشيء لذاته ولغيره.

ولقائل أن يقول: إذا سلّمت دلالة الحجّة على أنّ الهيولى المجرّدة لا يجوز اقترانها بالصورة[٣]، انعكس بعكس النقيض إلى أنّ المقترنة بالصورة لا يجوز خلوّها عنها، وهيولى الأجسام[٤] المقترنةُ[٥] بالصورة، فيستحيل تجرّدها عن الصورة الجسميّة، وهو المطلوب. >[٦]

[إثبات الصور النوعيّة عند المشّائين]

[٧]< **تتمّة:** اعلَم أنّ المشّائين أثبتوا صوراً أُخرى غير[٨] الجرميّة، تسمّى الصور[٩]

---

(١) بطلان: فساد P

(٢) يقول: + لهم P

(٣) بالصورة: بصورة A

(٤) الأجسام: + هي P

(٥) المقترنة: مقترنة A

(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢١٤/٢ ـ ٢١٩

(٧) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٨) غير: عن Ac

(٩) الصور: بالصور P

النوعيّة الطبيعيّة. فقالوا في إثباتها: الهيولى لا يكفي(١) في وجودها مجرّد الصورة(٢) الجسميّة؛ فإنّ الجسم المطلق لا يُتصوّر وجوده، كما لا يُتصوّر وجود الهيولى المجرّدة(٣)؛ إذ لو كان للجسم المطلق وجود، والجسم لا يخلو عن:

ـ كونه ممتنعاً(٤) عليه القسمة ـ أي الانفصال ـ كالأفلاك.

ـ أو ممكن أنّه يقبل ذلك و(٥) التشكّل وتركه بسهولة، كالماء والهواء.

ـ أو يقبل هذه الأشياء بصعوبة، كالحجر والمدر.

فالمطلق لا يخلو عن أحد هذه(٦) الثلاثة. وأيّ واحد اقتضاه عند تجرّده كان اقتضاء لذاته؛ لأنّه لو لم يقتضه لذاته:

ـ فإمّا أن لا يكون له مقتضٍ أصلاً.

ـ أو يكون أمراً غير ذاته.

والأوّل باطل؛ لِما علمتَ أنّ كلّ ممكن لا بدّ له من مرجّح.

والثاني على قسمين؛ لأنّ ذلك المغاير لذات الجسم إمّا أن يكون مقارناً له، أو لا.

ـ فإن كان مقارناً، فذلك هو الصورة النوعيّة، وهو المطلوب.

ـ وإن كان مفارقاً(٧) له، فيكون الأمر الخارجيّ قد أفاد نفس الاستعداد أو عدمه من غير إفادة أمر به يحصل ذلك، وهو بيّن البطلان. ولو كان أحدهما اقتضاه(٨) لذاته ما فارقه أصلاً، استوى فيه جميع الأجسام، وليس كذلك. فلا بدّ من صورة أُخرى كالصور الفلكيّة والعنصريّة وغيرهما، تقتضي(٩) هذه الأشياء، ويتخصّص بها الجسم المطلق،

---

(١) يكفي: يكفيها P

(٢) الصورة: الصور A

(٣) المجرّدة: المجرّد A

(٤) A34b

(٥) و: أو A

(٦) هذه: ـ P

(٧) كان مفارقاً: لم يكن مقارناً P

(٨) اقتضاه: اقتضاء A

(٩) تقتضي: يقتضي A

وتكون(١) هي المخصّصات الأُولى للجسم المطلق، والمقوّمات لحقائق(٢) الأنواع، ولوجودَي(٣) الهيولى والجسم(٤) المطلق الذي يدخل تحته أنواع الأجسام؛ لأنّهما لا يوجَدان إلّا مقارنين لها(٥)، لا لماهيّتهما، وإلّا لَما أمكن(٦) تعقّل الهيولى ولا الجسم المطلق دون الصور النوعيّة المقوّمة لماهيّة النوع، بخلاف الصورة(٧) الجسميّة؛ فإنّها مقوّمة لماهيّة الجسم المطلق والمنوّع، وما بعدها -وهي المخصّصات الثواني(٨)، كقبول الانقسام بسهولة أو عسر وعدم(٩) ذلك- عوارض للتخصّص(١٠)، أي تعرض(١١) بعد تقوّم الجسم بمخصّصه(١٢)؛ لأنّها استعدادات محضة، فالتخصّص(١٣) بها يكون بعد التخصّص(١٤) بما به الاستعداد.

[إشكال على هذا الاستدلال]

قيل(١٥): الكلام(١٦) في تعدّد هذه المخصّصات(١٧) أنّها لو اقتضاها الجسميّة لَتساوت في الكلّ(١٨)، ويستثنى النقيض للنقيض.

[جواب عن هذا الإشكال]

وأُجيبَ بأنّ مقتضاها ليس الجسم؛ لِما ذكِرت من الحجّة، بل يفيدها مفيد من خارج(١٩).

---

(١) تكون: يكون A
(٢) لحقائق: بحقائق A
(٣) لوجودي: لوجود A
(٤) والجسم: فالجسم A
(٥) لها: لهما A
(٦) أمكن: أمكننا P
(٧) الصورة: الصور A
(٨) الثواني: البواقي A
(٩) عدم: غير P
(١٠) للتخصّص: المتخصّص Ac
(١١) تعرض: يفرض A
(١٢) بمخصّصه: لمخصّصه A
(١٣) فالتخصّص: فالتخصيص A
(١٤) التخصّص: التخصيص A
(١٥) قيل: قبل A
(١٦) الكلام: + يعود P
(١٧) المخصّصات: + إلى P
(١٨) الكلّ: الكلام Ac
(١٩) A35a

[إشكال آخر على هذا الاستدلال]

وأُورد: أنّ قبول الانقسام والتشكّل[١] وتركه[٢] بسهولة وعدم ذلك مفيدها المفيد الخارجيّ أوّلاً، فلا يحتاج[٣] إلى الصورة.

[جواب عن هذا الإشكال]

ورُدّ بأنّ هذه الأشياء استعدادات أو[٤] لا استعدادات. وهي في نفسها ليست[٥] بطبائع[٦] محصّلة يتقوّم[٧] بها أنواع الجسم؛ لاستحالة أن يتقوّم[٨] نوع جوهريّ ـ كالماء والسماء[٩] ـ بمجرّد استعداد لأمر آخر. بل هي توابع لأُمور محصّلة يتقوّم[١٠] بها الأنواع الجوهريّة؛ إذ المفيد الخارجيّ لا يفيد شيئاً هو نفس الاستعداد، بل يفيد أمراً يتبعه الاستعداد القريب أو[١١] البعيد، وهو الإمكان المطلق من اللوازم غير مستفاد من خارج، كما يعطي المادّة مزاجاً تستعدّ به لقبول نفس أو أثر[١٢] نفس أو صورة نوعيّة يتبعها الاستعدادات المذكورة، ويعطيها[١٣] حرارة شديدة تستعدّ بها لقبول الصورة الهوائيّة أو الناريّة. وإذا استحال كون هذه الاستعدادات المخصّصات الأُولى، فيكون الأُولى جواهر[١٤].

[إشكال السهرورديّ على هذا الكلام]

والشيخ الإلهيّ[١٥] منع كونها جواهر[١٦]؛ لجواز كونها أعراضاً. واستدلّ بأنّ هذه

---

(١) الانقسام: ـ P
(٢) تركه: قبوله A
(٣) يحتاج: تحتاج A
(٤) أو: و A
(٥) ليست: ليس A
(٦) بطبائع: طبائع P
(٧) يتقوّم: تنعقد A
(٨) يتقوّم: تقوّم A
(٩) السماء: الشمس A
(١٠) يتقوّم: فيقوم A
(١١) أو: إذ P
(١٢) أثر: أمر A
(١٣) يعطيها: تعطيها A
(١٤) جواهر: Ai
(١٥) الشيخ الإلهيّ: المصنّف P
(١٦) جواهر: جواهراً A

المخصّصات الأُولى ـالتي زعموا[1] أنّها جواهرـ كيفيّات. أمّا في العناصر فمثل الرطوبة واليبوسة والحرارة والبرودة، وأمّا في الأفلاك فهيئات أُخرى.

[إشكالات على كلام السهرورديّ والجواب عنها]

فإن قال قائل[2]: إنّ الأعراض ـالتي هي الكيفيّات والهيئاتـ لا يمكن عليها تقويم الجوهر، وما ذكرناه مقوّم الجوهر، ولا يكون الأعراض هي المخصّصات الأُولى.

أُجيب بأنّ كون هذه الأُمور التي سمّيتموها[3] صوراً مقوّمة للجوهر[4]، إن كان لكون الجسم لا يخلو عن بعضها، فكون[5] الشيء غير خالٍ عن أمرٍ لا يدلّ على تقوّمه بذلك الأمر؛ إذ من اللوازم أعراض، واللوازم العرضيّة ـكالمقدار والوضع والشكلـ لا يخلو عنها ملزوماتها التي هي الأجسام، مع أنّها غير مقوّمة لها؛ لكونها أعراضاً.

فإن قيل: إنّها كانت أعراضاً؛ لتبدّلها مع بقاء محلّها.

قيل: وهكذا[6] يجب[7] أن يقولوا في الصورة المتبدّلة مع بقاء الهيولى بعينها.

وإن قيل: يمتنع تجرّد[8] الجسم عن الصورة، دون المقدار والشكل.

قيل[9]: لا يمكنكم دعوى امتناع[10] التجرّد عن صورة بعينها، بل عنها وعن بدلها. وكما لا يخلو الجسم عن صورة وبدلها، فكذا لا يخلو عن شكل ومقدار وبدلهما.

وإن كان تقوّم الجسم بها لكونها مخصّصات الجسم[11] ـأي مقوّمات وجوده،

---

(١) زعموا: زعمتم P

(٢) قائل: ـ P

(٣) سمّيتموها: سمّوها A

(٤) للجوهر: الجوهر A

(٥) فكون: فيكون A

(٦) وهكذا: فهكذا P

(٧) A35b

(٨) يمتنع تجرّد: يمنع تجزّؤ A

(٩) قيل: قبل A

(١٠) امتناع: إمكان A

(١١) الجسم: للجسم A

ولهذا[١] تكون مقوّمة لوجود الهيولى المطلقة ـ فليس أيضاً من شرط المخصّص أن يكون صورة وجوهراً؛ فإنّ أشخاص النوع اعترفتم بأنّها تتميّز[٢] بالعوارض. ولو لا المخصّصات ما وجِدت الأنواع وغيرها ـ كالأصناف والأشخاص ـ. والطبائع النوعيّة ـ كالإنسانيّة والفرسيّة ـ ونحوهما، اعترفتم بأنّها أتمّ وجوداً من الأشخاص، ولا يُتصوّر فرض وجودها دون المخصّصات.

فإن كانت مخصّصات الجسم صوراً وجوهراً ـ لأجل أنّ أنّ الجسم لا يُتصوّر دون مخصّص ـ فمخصّصات[٣] الأنواع أولى بأن تكون جواهر[٤]؛ لكونها أتمّ وجوداً من الطبائع الجسميّة، وليس كذا، فيجوز أن يكون المخصّص للجسم المطلق ـ [الذي هو][٥] الصورة النوعيّة بزعمهم ـ عرضاً.

وما قيل ـ من[٦] أنّ مخصّصات الأنواع تابعة للمخصّص[٧] النوعيّ، وإن كان التخصّص بها، وعارضة[٨] عن أسباب خارجيّة[٩] لا يتقوّم بها ماهيّة النوع ـ فمِثله يمكن[١٠] أن يُقال في الصور النوعيّة، من أنّها تابعة للماهيّة الجسميّة، وإن كان بها تخصّصها، ولاحقة بها أو[١١] بالهيولى بزعمهم من أسباب خارجيّة[١٢]، ومقوّمة لوجودهما دون ماهيّتهما.

[جواز كون العرض شرطاً لتحقّق الجوهر]

والعرض قد يكون من شرائط تحقّق الجوهر، كما أنّ المخصّصات في الأنواع

---

(١) لهذا: + ما A
(٢) تتميّز: يتميّز A
(٣) مخصّص فمخصّصات: مخصّصات A
(٤) تكون جواهر: يكون جوهراً A
(٥) الذي هو: التي هي A
(٦) من: ـ A
(٧) للمخصّص: للمتخصّص A
(٨) وعارضة: عارضاً A، عرضاً Ac
(٩) خارجيّة: خارجة P
(١٠) يمكن: ـ A
(١١) أو: أمّا A
(١٢) خارجيّة: خارجة P

أعراض، ولا يتحقّق[١] النوع في الأعيان إلّا مع العوارض. وما يُقال ـ[من][٢] أنّ الماهيّة النوعيّة في نفسها تامّة، ولو فرض انحصار[٣] نوع الإنسان في شخصه، ما احتاج إلى مميّز، وأنّه ما لا مانع من انحصار النوع[٤] في الشخص إلّا أمر خارجيّ ـ فمثله يُقال في الماهيّة الجسميّة. وإن استدلّ على عدم تماميّة الماهيّة[٥] الجسميّة باحتياجها إلى المخصّصات، فالإنسان أيضاً غير تامّ؛ لاحتياجه إلى المخصّصات.

والذي يُقال: «إنّ الطبيعة[٦] النوعيّة تحصل[٧]، ثمّ يتبعها العوارض»، كلام ضعيف؛ فإنّ الطبيعة النوعيّة ـ كالإنسانيّة مثلاً ـ إن حصلت أوّلاً، ثمّ يتبعها العوارض، فكان حصولها إنسانيّة مطلقة كلّيّة، ثمّ تتشخّص[٨]. وهو محال؛ إذ لم تحصل[٩] إلّا متشخّصة، والمطلق لا يقع في الأعيان أصلاً.

وإن كانت هذه العوارض ليست بشرائط لتحقّق الطبيعة النوعيّة في الخارج، وليس ما يمتاز به هذا الشخص لازماً لحقيقة الإنسانيّة، فيجوز فرض إنسانيّة باقية على الإطلاق، كما حصلت أوّلاً، ثمّ لحقها العوارض دون مميّز؛ إذ هذه العوارض التي يتخصّص بها أشخاص النوع ليست من مقتضيات الطبيعة النوعيّة ولوازمها، وإلّا اتّفقت في الكلّ، فهي إذَن من فاعل خارج.

فإذا استغنت عنها الطبيعة النوعيّة، كان لنا[١٠] فرض وجودها دونها، وليس كذا. فصحّ من هذا جواز أن يكون العرض[١١] شرط وجود الجوهر ومقوّماً لوجوده بهذا

---

(١) يتحقّق: يتصوّر P
(٢) من: ـ AP
(٣) انحصار: ـ A
(٤) A36a
(٥) الماهيّة: Ai
(٦) الطبيعة: بالطبعيّة A
(٧) تحصل: يحصل A
(٨) تتشخّص: يتشخّص A
(٩) تحصل: يحصل A
(١٠) لنا: لها A
(١١) العرض: العوارض A

المعنى، وهو أنّه شرط تحقّقه في الخارج.

ثمّ إن جاز حصـول الإنسانيّة مطلقةً[١] ثمّ يتبعها المميّزات المخصّصات، فهلّا جاز حصـول الجسميّة مطلقة ثمّ يتبعها المخصّصات؟ وكلّ ما[٢] يعتذرون[٣] به هناك، مثله واقع في الأنواع.

[نماذج لجواز كون العرض شرطاً لتحقّق الجوهر عند المشّائين]

ثمّ العجب أنّ العقل[٤] إنّما يقتضـي الجسـم بتعقّله[٥] لإمكان[٦] نفسـه ـعلى ما قالوه المشّـاؤون ـ، والإمكان نفسه بالضـرورة عرض على قياس مذهبهم؛ لأنّه موجود في موضوع، ومذهبهم أنّ كلّ ما كان كذلك فهو عرض.

وإنّما قال[٧]: «على قياس مذهبهم» لأنّه عنده من الاعتبارات العقليّة التي لا وجود لها إلّا في الذهن.

وكذا تعقّل الإمكان عرض؛ لوجهين[٨]:

أ. إنّ تعقّـل الإمكـان غير تعقّـل الوجوب؛ لأنّهمـا إن كانا واحداً كان اقتضـاؤهما واحداً، وليس كذا[٩]؛ فإنّ مقتضـى الأوّل جوهر جسمانيّ، ومقتضى الثاني جوهر غير جسـمانيّ. فإذا كان تعقّل الوجوب غير تعقّل الإمكان، فهما زائدان على ماهيّة العقل؛ لاستحالة أن يكونا نفسه؛ إذ المختلفان:

ـ لا يكونان نفسه؛ لاستحالة أن يكونا نفس شيء واحد.

---

(١) مطلقة: مطلقاً A

(٢) كلّ ما: كلّما Ac

(٣) يعتذرون: معتدّون A

(٤) العقل: للعقل A

(٥) بتعقّله: بتعلّقه Ac، لتعقّله P

(٦) لإمكان: الإمكان A

(٧) قال: قلنا A، أي: قال السهرورديّ.

(٨) لوجهين: بوجهين P || A36b

(٩) كذا: كذلك P

ـ ولا داخلين فيه، وإلّا لزم تركّبه.

ـ ولا أن يكون أحدهما نفسه دون الآخر؛ للزوم الترجيح من غير مرجّح؛ لأنّهما[١] زائدان على ماهيّته.

ـ ولا أن يكون أحدهما داخلاً فيه والآخر خارجاً[٢] عنه، وإلّا لزم التركّب والترجيح من غير مرجّح.

فهما عرضيّان له، عرضان فيه، فتعقّل الإمكان عرض.

ب. إنّ الوجود لمّا لم يدخل في حقيقة الشيء ـ كما سبق بيانه ـ، فالأولى أن لا يدخله[٣] الإمكان والوجوب؛ لأنّهما صفة الوجود عند نسبته إلى الماهيّة. وإذا لم يدخل الموصوف في شيء كان عدم دخول الصفة أولى؛ لأنّ الصفة تتبع الموصوف، ويستحيل وجود التابع من حيث هو تابع دون المتبوع، فضلاً عن تعقّلهما؛ لأنّه أبعد من الدخول. فإذا كان تعقّلهما عرضاً، وباعتبار ذينك التعقّلين، حصل جوهر مفارق وآخر جسمانيّ. فصحّ أنّ الأعراض لها مدخل في وجود الجوهر بضرب من العلّيّة أو[٤] الاشتراط. وليس مقوّم الوجود إلّا ما له مدخل ما في وجود الشيء.

[أُنموذج ثانٍ]

ثمّ الاستعداد المستدعي للنفس الذي للبدن، أ ليس ذلك الاستعداد لأجل المزاج وهو عرض؛ لأنّه موجود في موضوع البدن، وهو من شرائط حصول النفس؟ فصحّ[٥] أنّ العرض له مدخل في وجود الجوهر. والنفوس بعد المفارقة، أ ليست تتخصّص[٦] ويمتاز[٧] بعضها عن بعض بالأعراض التي اكتسبتها عند التعلّق بالأبدان من الهيئات

---

(١) لأنّهما: لأنّها Ac

(٢) خارجاً: خارج Ac

(٣) يدخله: يدخل A

(٤) أو: و A

(٥) فصحّ: فيصحّ A

(٦) تتخصّص: تخصّصت A

(٧) يمتاز: امتازت A

والملَكات؟ فصحّ أنّ من[١] مخصّصات الجواهر الأعراضُ، والتخصّص[٢] بها شرط وجود الحقائق النوعيّة.

[أُنموذج ثالث]

والعجب[٣] أنّ المشّائين جوّزوا أن يكون الحرارة مبطلة للصورة المائيّة، وعدمها شرطاً[٤] لوجودها. فإذا جاز أن يكون عدم العرض شرطاً لوجود الجوهر وعلّةً، فلم لا يجوز أن يكون وجوده علّة أو شرطاً؟ وهل[٥] كان مقوّم الوجود إلّا ما كان[٦] له مدخل ما في وجود الشيء؟ وقد اعترف المشّاؤون[٧] بأنّ المستدعي للصورة الهوائيّة الحرارةُ، فهي[٨] من علل[٩] حصولها مع عرضيّتها.

[سبب هذه الأغاليط]

فمثل هذه الأغاليط لزم بعضُه[١٠] من استعمال الألفاظ على المعاني المختلفة، كلفظة الصورة، وغيرها.

[المعاني المختلفة للصورة والهيولى]

أمّا لفظ الصورة، فلأنّه عند المشّائين يُستعمل[١١] بمعنى الجوهر المقوّم، وعند الأوائل بمعنى العرض؛ إذ كلّ ما حلّ في محلّ عرض عندهم، سواء قوّم وجود المحلّ أم[١٢] لم يقوّم.

---

(١) من: ـ A
(٢) التخصّص: التخصيص A
(٣) A37a
(٤) شرطاً: شرط A
(٥) هل: محلّ Ac
(٦) كان: ـ P
(٧) اعترف المشّاؤون: اعترفوا P
(٨) فهي: وهي A
(٩) وهي من علل: ونفي من حصول Ac
(١٠) بعضه: ـ A
(١١) يستعمل: مستعمل P
(١٢) أم: له Ac

وأمّا غيرها كالهيولى[١]؛ فإنّها تُستعمل[٢] عند الأوائل بمعنى الجسم المطلق من حيث قبوله لأشياء أُخرى، وعند المشّائين بمعنى الجوهر البسيط الذي هو جزء الجسم.

[سبب آخر لهذه الأغاليط]

وبعضُه[٣] من الاستثناء عن القاعدة التي نسبة[٤] حجّة ثبوتها إليها وإلى ما استثني عنها سواء، كقولهم: كلّ ما[٥] حلّ في شيء وقوّم وجود محلّه كالصورة[٦] فهو جوهر، وإلّا فعرض؛ لأنّ جهة ثبوت تقويم الصورة[٧] إن كانت اللزوم أو[٨] استحالة الخلوّ أو[٩] التخصيص أو غيرهما ـ ممّا مرّ ـ، فهي ثابتة لبعض الأعراض، فيكون نسبتها إليها وإلى ما استثني[١٠] عنها سواء. >[١١]



(١) كالهيولى: فكالهيولى P
(٢) تستعمل: يستعمل A
(٣) بعضه: نقصه A
(٤) نسبة: تشبه A
(٥) كلّ ما: كلّما A
(٦) كالصورة: كالصور A
(٧) الصورة: الصور A
(٨) أو: و A
(٩) أو: إذ A
(١٠) استثني: يستثنى A
(١١) شرح حكمة الإشراق: ٢٢٠ ـ ٢٢٦

[جواز انقلاب بعض العناصر إلى بعض]

واعلَم بما قرّرناه أنّ **العناصر مشتركة الهيولى؛ فالهواء يصير ماءً، وينقلب[١] ناراً.**

<[٢] وهذا بيان لجواز انقلاب بعض العناصر إلى بعض، وهو عبارة عن الكون والفساد، الذي هو تغيّر الصور الجوهريّة عند من يقول بها، وتغيّر الكيفيّات عند من لا يقول بالصور.

[انقلاب الهواء ماءً]

فالهواء ينقلب ماءً، كما نرى ممّا يركب[٣] الطاسات المكبوبة على الجمَد من القطرات. ولا يُتصوّر أن يكون تلك القطرات بالترشّح[٤] من داخل الطاس إلى خارجه، وهو ظاهر؛ لأنّها تركب[٥] الطاس وإن لم يماسّه الجمد من داخل أصلاً. وكذا تركبه[٦] وإن ماسّ جميع داخل الطاس و[٧] لم يتحلّل منه شيء. وأيضاً يركبه لا في موضع الترشّح[٨]. ولو كان له لم يكن شيء من ذلك، ولكان من الماء الحارّ أولى للطفه وسرعة خروجه، والوجود يكذّبه. فتعيّن أن يكون تلك القطرات هواءً، صار لشدّة[٩] البرد ماءً.

---

(١) ينقلب: يتقلّب A
(٢) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(٣) ممّا يركب: ما تركب A
(٤) بالترشّح: للرشح P
(٥) A37b
(٦) تركبه: تركيبه P
(٧) و: + إن A
(٨) الترشّح: الرشح P
(٩) لشدّة: بشدّة P

[شبهة على هذا الانقلاب وردّها]

ولمّا استشعِر أن يُقال: «لا نسلّم أنّ القطرات لو لم يكن للترشّح[١] كانت لانقلاب الهواء ماءً؛ لجواز[٢] أن يكون لانجذاب الأجزاء المائيّة المخالطة للهواء إلى الطاس لبرودته، كما هو رأي منكري[٣] الكون والفساد»؛ فليس لقائل أن يقول: «الأجزاء المائيّة المتبدّدة في الهواء انجذبت إليه»؛ إذ[٤] لو كان كذلك لكان انجذابها إلى حياض كبيرة أولى؛ لأنّ الانجذاب[٥] للبرد وبرد الحياض المملوءة ماءً بارداً أو جمداً أكثر من برد الطاس. وليس كذا؛ إذ لو كان كذا لكان ركوب القطرات على الطاس عند الحياض أقلّ، والوجود بخلافه. حتّى أنّ الطاس ـوإن كان مكبوباً على الجمَد عند حياض ومستنقعاتـ يركبها من النداوة مثل ما كان دونها. وذلك أعني ـركوب النداوةـ في جميع المواضع على السويّة، فرض في جميع الأبخرة الكثيرة والقليلة. ولو كان ركوب النداوة لانجذاب الأجزاء البخاريّة إليه، لكان عند كثرة الأبخرة أكثر، وعند قلّتها أقلّ، والوجود يكذّبه.

[انقلاب الماء هواءً]

وصيرورة الماء[٦] هواءً تشاهد[٧] من تحلّل الأبخرة ـوهي ما يرتفع عن الأجسام الرطبة كالماء والطين بتأثير الشمس والنارـ تحلّلاً[٨] شديداً، وانحلالاً بالغاً، وتلطّفاً[٩] في الغاية، حتّى يزول اقتضاؤها[١٠] أصلاً، بحيث يتلطّف[١١] بالكلّيّة، ولا يمنع[١٢] النور

---

(١) للترشّح: للرشح P
(٢) لجواز: يجوز A
(٣) منكري: منكر A
(٤) إذ: و A
(٥) الانجذاب: الانجذابات P
(٦) صيرورة الماء: الماء صيرورته هواءً P
(٧) تشاهد: يشاهد A
(٨) تحلّلاً: ـ A
(٩) تلطّفاً: تلطيفاً A
(١٠) اقتضاؤها: اقتصادها P
(١١) يتلطّف: تتلطّف A
(١٢) يمنع: تمنع A

أصلاً، فتكون هواء.

[انقلاب الماء أرضاً]

وانقلاب الماء أرضاً يرى من استحجار المياه. وليس المراد كلّها ولا جلّها، بل بعضها في الحال عند الخروج عن منابعها، وهو مشهور معروف في بعض البلاد.

وأمّا أنّ التحجّر[(١)] لأجزاء أرضيّة في الماء ينعقد[(٢)] بعد انفصال الماء عنها بالتبخير، فليس بشيء؛ لأنّه لو كان كذلك لشوهدت الأجزاء الأرضيّة فيه؛ لكثرتها. ولمّا كان التحجّر دفعيّاً ـ لتوقّفه على التبخير ـ وهو لا يكون دفعيّاً، وليس، فليس.

وإذا جاز انقلاب الماء حجراً، لم يبعد أن ينقلب بعض الحيوانات حجراً، كما ورد في الآثار أنّ جماعة مسِخوا حجارة[(٣)]. ويؤيّده رؤية المسافرين في المُدُن [الخربة][(٤)] من هذه الآثار كثيراً.

[انقلاب الهواء ناراً]

وانقلاب الهواء ناراً ذات نوريّة كما نرى[(٥)] في:

ـ القدح. وهذا ممّا لا يخفى على بصير، فضلاً عن خبير.

ـ والنفّاخات العظيمة، كإلحاح النفخ على [كور][(٦)] الحدّادين بعد سدّ منافذه التي

---

(١) A38a

(٢) ينعقد: تنعقد A

(٣) أخرج عبد بن حميد عن ليث بن أبي سليم، قال: مسخوا حجارة الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾. (الدرّ المنثور: ٥٩٠/٣)؛ وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي الحلّة، قال: رأيتُ امرأةَ لوطٍ قد مسخت حجراً، تحيض عند كلّ رأس شهر. (نفس المصدر: ٤٦٢/٤)

(٤) الخربة: البحريّة A، الخرية P

(٥) نرى: يرى P

(٦) كور: كير AP

يـدخـل فيهـا الهواء الجـديد؛ فإنّه يحيل هواء [الكور][(١)] إلى النار[(٢)]. ولذلك إنّ النفخ يجعل الهواء ناراً ذات نوريّة.

والسموم من هذا القبيل عند بعض؛ لأنّه هواء انقلب ناراً، ولذلك يُحرق ما يصادفه من الحيوانات، لكنّك قد علمتَ أنّ الحرق[(٣)] لا يختصّ بالنار.

[انقلاب الأرض ماءً، والنار هواءً]

ولمّا تبيّن انقلاب الماء إلى الأرض، والهواء إلى النار، دون عكسهما، لا بدّ من ذكر دليل على وجوب عكسهما؛ ليكون قد ذكر جميع الازدواجات التي بين[(٤)] العناصر، فنقول: وإذا صحّ انقلاب أحد العنصرين إلى الآخر ـ كالماء إلى الأرض، والهواء إلى النار ـ يجب انقلاب الآخر إليه، أي الأرض إلى الماء، والنار إلى الهواء.

أمّا الأوّل فكما نشاهد[(٥)] من أصحاب الكيمياء، من تحليلهم الأحجار بالمياه الحادّة أمواهاً سيّالة.

وأمّا الثاني فكما نشاهد[(٦)] من الشعَل الصاعدة الصائرة هواء؛ لانتفاء الحرارة[(٧)] المحسوسة فيها.

وإلّا كان في الأدوار الغير المتناهية لم يبقَ شيء من ذلك إلّا انقلب إلى هذا، فلا يبقى منه شيء، وهو محال؛ لأنّه ينقص[(٨)] حينئذٍ[(٩)] العناصر، ويختلّ نظام التركيب؛ إذ لا بدّ له من الجميع.

---

(١) الكور: الكير AP
(٢) النار: الناريّة P
(٣) الحرق: الحريق P
(٤) بين: هي من A
(٥) نشاهد: يشاهد P
(٦) نشاهد: يشاهد P
(٧) الحرارة: الهواء Ac
(٨) ينقص: ينتقص A
(٩) حينئذٍ: جسد A

وأيضاً إذا صحّ الانقلاب في كلّ من العناصر إلى الآخر:

ـ إمّا بغير واسطة(١) كانقلاب أحدها إلى ما يخالفه في كيفيّة واحدة، كالهواء إلى الماء.

ـ أو بواسطة كانقلابه إلى ما يخالفه في كيفيّتين، كالهواء إلى الأرض بتوسّط انقلابه إلى الماء.

فنسبة الحامل ـ وهو الهيولى عند المشّائين، و(٢) الجسم المطلق عند الإشراقيّين ـ إليهما ـ أعني الصورتين أو الكيفيّتين التي خلعت والتي لبست ـ سواء في الإمكان، أعني(٣) في إمكان خلع إحداهما ولبس الأُخرى. فيكون لهما حامل(٤) مشترك يخلع إحدى(٥) الصورتين أو الكيفيّتين وتلبس الأُخرى.

[شرف النار]

والنار ذات النوريّة شريفة لنوريّتها؛ إذ بها(٦) شابهت العالم الأعلى، ولهذا صارت أشرف العناصر عند من يقول إنّها منها. وهي ـ أعني النار ـ ذات النور التي اتّفقت الفُرس على أنّها طلسم أُرديبهشت، وهو نور قاهر فيّاض للنار ذات النور، كما ذكروا أنّ كلّ نوع من الأنواع هو طلسم وصنم لنور من الأنوار المجرّدة القاهرة، هو الفيّاض لذلك النوع والمدبّر له.

[اشتراك هيولى العناصر]

وهذه(٧) الأشياء ينقلب بعضها إلى بعض، فلها هيولى مشتركة، لا بسيطة بمعنى أنّها

---

(١) A38b
(٢) و: ـ A
(٣) أعني: أي P
(٤) حامل: حاصل Ac
(٥) إحدى: ـ A
(٦) بها: بما P
(٧) وهذه: فهذه P

من شـأنها أن تكون(١) بالقوّة دون ما يحلّ فيها، على ما ذهب إليه المشّـاؤون؛ فإنّ ذلك قد [بطل](٢) في ما(٣) سـلف عند الإشـراقيّين، وبيّنوا(٤) أنّ الهيولى(٥) نفس الجسـم البرزخيّ. فلذلك قالوا: الهيولى هو البرزخ، أعني(٦) الجسـم. يُقال له في نفسـه ـ لا بالقياس إلى غيره ـ برزخاً، وبالقياس إلى الهيئات ـ أعني(٧) الأعراض القائمة بالجسم ـ حـاملاً ومحلّاً، وبالقياس إلى المجموع من الجسـم والهيئات ـ وهو النوع المركّب ـ هيولى. هذا على اصطلاح الإشراقيّين.

وهيولى الأفلاك غير مشـتركـة، أعني(٨) هيئـات برازخهـا الثـابتـة لا تفـارقهـا(٩)، ومجموعها لا تتبدّل(١٠)، وهو واضح. >(١١)



(١) تكون: يكون A
(٢) بطل: أبطل A
(٣) فإنّ ... في ما: فإنّه أبطله فيها سلف P
(٤) بيّنوا: ثبتوا Ac
(٥) الهيولى: + هي P
(٦) أعني: أي P
(٧) أعني: أي P
(٨) أعني: أي P
(٩) تفارقها: يفارقها A
(١٠) تتبدّل: يتبدّل A
(١١) شرح حكمة الإشراق: ٤٠٨ ـ ٤١١

[الأفعال والانفعالات المنسوبة إلى الكيفيّات الأربع]

[١]< وإذا ثبت أنّ هيولى العناصر مشتركة، وأنّ كلّاً منها ينقلب إلى الآخر، **فيتولّد [حينئذٍ]**[٢] **السحاب بتكاثف الأبخرة**[٣]**، وينزل بالبرد مطراً أو ثلجاً ـ إن اشتدّ البرد ـ؛** لأنّ الفعل والانفعال المنسوب إلى الكيفيّات الأربع التي تكوّن منها المزاج:

ـ منها: ما هو منسوب إلى الحرّ[٤].

ـ ومنها: ما هو منسوب إلى البرد.

لأنّ الحرارة والبرودة هما الفاعلتان.

[الأُمور المنسوبة إلى الحرارة]

فالأفعال[٥] المنسوبة إلى الحرّ:

[التبخير والتدخين]

ـ التبخير والتدخين.

والتبخير[٦] هو تحريك الأجزاء الرطبة متحلّلة من الجسم الرطب إلى فوق.

والتدخين مثله، إلّا أنّه للأجزاء اليابسة.[٧]

ومادّة التبخير مائيّة، ومادّة التدخين أرضيّة.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) حينئذٍ: جسد A

(٣) A39a

(٤) الحرّ: + التبخير A

(٥) فالأفعال: فالانفعال Ac

(٦) التبخير: التسخين A

(٧) والتدخين مثله ... اليابسة: ـ A

[التصعيد والتقطير]

ـ والتصعيد والتقطير.

وهما[(١)] نظير[(٢)] التبخير والتدخين، إلّا أنّها في الاستعمال مختصّان بالأُمور الصناعيّة؛ فإنّ التصعيد إنّما يختصّ[(٣)] بالأجزاء اليابسة، والتقطير[(٤)] بالرطبة، ومخالف التبخير؛ لأنّه إنّما كان تقطيراً بالنسبة إلى تحصيل مائيّة، فإنّه إذا صار بخاراً ولم يتقطّر ما سمّي تقطيراً[(٥)].

[الطبخ والشيّ والنضج والنهوة]

ـ و[(٦)] الطبخ والشيّ والنضج والنهوة.

وفاعل الطبخ حرارة رطبة مخلخلة تعطي الشيء رطوبة وتحلّل منه رطوبة، إلّا أنّه تعطيه من الرطوبة أكثر ممّا تحلّل منه؛ لأنّ رطوبته الطبيعيّة تتحلّل[(٧)] من ظاهره أكثر ممّا تحلّل من باطنه. وأمّا الرطوبة الغريبة التي[(٨)] يقبلها المطبوخ، فظاهره يقبل أكثر ممّا يقبل باطنه.

والطبخ إنّما يصحّ في ما فيه رطوبة؛ فإنّ التراب لا يطبخ ولا يصحّ الطبخ في الرطوبة المحضة، كالماء.

وأمّا الشيّ فإنّما يكون بحرارة يابسة ترد على المشويّ من خارج، فتأخذ[(٩)] من رطوبته الظاهرة أكثر ممّا تأخذ من باطنه، ولم يحصل فيه رطوبة من خارج، كما في المطبوخ.

---

(١) وهما: فهو P

(٢) نظير: نظيري A

(٣) التصعيد إنّما يختصّ: كان مختصّاً A

(٤) التقطير: + بالأجزاء P

(٥) ولم يتقطّر ... تقطيراً: لم يقطر A

(٦) و: + الحرّ يفعل A، + ممّا يتعلّق بالحرّ P

(٧) الطبيعيّة تتحلّل: الطبعيّة يتحلّل A

(٨) التي: الذي Ac

(٩) فتأخذ: فيأخذ A

ويفعل الحرّ النضجَ، وهو إحاله من الحرارة لجسم ذي رطوبة ليبلغه[١] إلى الغاية المقصودة.

فمنه[٢]:

ـ نضج[٣] النوع، كنضج الثمار، والفاعل موجود في جوهر النضيج[٤].

ـ ونضج الغذاء مخالف[٥] نضج النوع؛ لأنّ نضج الغذاء[٦] يفسد جوهره[٧] ويحيله[٨] إلى مشاكلة جوهر المغتذي. وفاعله ليس موجوداً في جوهر ما[٩] يستحيل إليه، إلّا أنّه إحالة الحرارة للرطوبة إلى العلّة المقصودة، وهو بدل ما يتحلّل. ويسمّى[١٠] هذا النضج بالهضم[١١].

ـ ونضج الفضل من حيث إنّه غير منتفع به في التغذية[١٢] مخالف للنوعين؛ لأنّه[١٣] إحالة للرطوبة إلى مزاج يسهل به دفعها.

ـ والنضج الصناعيّ، وهو بالطبخ والتطحين والقلي[١٤].

ويقابله النهوة والفجاجة، وهما عدم النضج[١٥]، وضدّه العفونة[١٦].

فالنهوة[١٧] والفجاجة بقاء[١٨] الرطوبة غير بالغة إلى الغاية المقصودة. والنهوة

---

(١) ليبلغه: لتبلغه A
(٢) فمنه: منه A
(٣) نضج: فنضج A
(٤) النضيج: النضج A
(٥) مخالف: يخالف P
(٦) الغذاء: النوع P
(٧) جوهره: جوهر الغذاء P
(٨) يحيله: يخلقه A
(٩) ما: ـ A
(١٠) A39b
(١١) هذا النضج بالهضم: الهضم A
(١٢) التغذية: + فهو P
(١٣) لأنّه: لأنّ هذا النضج P
(١٤) القلي: الغلي A
(١٥) عدم النضج: كالعدم للنضج P
(١٦) العفونة: العفوزة Ac
(١٧) فالنهوة: ـ A
(١٨) بقاء: أن تبقى P

تستعمل[١] في مقابلة النضج الصناعيّ، والفجاجة في مقابلة النضج الطبيعيّ.

[العفونة والتكرّج]

ومعنى[٢] العفونة استحالة[٣] الرطوبة إلى هيئة تنافي الانتفاع بها[٤] بحسب الغاية المقصودة.

وسببها حرارة غريبة تصادف حرارة غريزيّة ضعيفة. وهي سبب الفساد.

والتكرّج يشاركها في أنّ ابتداءه من الحرارة المتعفّنة[٥] إلّا أنّها تفعل[٦] في المتكرّج[٧] تبخيراً ناقصاً لا يتمكّن من تفصيل البخار بالكلّيّة، فيحبسه[٨] البرد على ظاهر الجسم[٩]، وتداخل جرمه، وبسبب[١٠] مخالطة الهواء للرطوبة[١١] يحدث فيه بياض كالزبد؛ فإنّه هواء مخالط[١٢] لأجزاء الماء عند الحركة[١٣].

و[١٤] الحرارة الغريبة إذا قويت حلّلت رطوبة الشيء بسرعة، فكان ذلك إحراقاً. والحرارة[١٥] المعفّنة ليس لها من القوّة ما يفني[١٦] الرطوبة، بل يحلّلها[١٧] على التدريج إلى هيئة رديئة.

[الإذابة]

وأمّا الإذابة فهو أن يكون الجسم المركّب القابل للذوب فيه[١٨] رطوبة يلازمها

---

(١) تستعمل: يستعمل A
(٢) معنى: أمّا P
(٣) استحالة: فهي أن تستحيل P
(٤) بها: ـ P
(٥) المتعفّنة: المعفّنة P
(٦) أنّها تفعل: ـ A
(٧) المتكرّج: التكرّج A
(٨) فيحبسه: فيحسّه A
(٩) الجسم: + المتكرّج P
(١٠) بسبب: سبب A
(١١) للرطوبة: الرطوبة P
(١٢) فإنّه هواء مخالط: لأنّه يخالطه A
(١٣) الحركة: الرطوبة A
(١٤) و: + أمّا P
(١٥) والحرارة: فالحرارة A
(١٦) يفني: تفني A
(١٧) يحلّلها: تحلّلها A
(١٨) فيه: فيها Ac

يبوسة، فيسيل الرطوبة مع ملازمة اليبوسة من غير انفكاك. وإن كانت الملازمة بعد سيلان الرطوبة زماناً يسيراً، ثمّ انفصلت الرطوبة عن اليبوسة، فذلك الجسم قابل للتبخير والذوب، كالشمع. وإن بطلت الملازمة بينهما في الحال فهو تبخير، لا غير.

[الاشتعال والتجمّر والتفحّم]

وأمّا المشتعل فهو الجسم الذي ينفصل عنه لها جسم رطب حارّ دهنيّ أو يابس لطيف، يستحيلان إلى الناريّة إشراقاً وإضاءةً وحرارةً. وإن كان[١] الجسم كثيفاً أو رطباً لا دُهنيّة فيه؛ فإنّه لا يشتعل.

والمتجمّر الذي لا يشتعل، فهو ما يستحيل أجزاؤه إلى الناريّة[٢] إشراقاً وإضاءةً وتسخيناً من غير انفصال شيء. إمّا ليبوسة كالصخرة[٣]، أو لشدّة رطوبة، فيكون ما يتحلّل منه[٤] بخاراً مائيّاً لطيفاً، و[٥] اليابس الباقي[٦] منه يحترق[٧].

و[٨] المشتعل الذي لا يتجمّر، فهو[٩] الذي يستحيل أجزاؤه بالتبخير إلى الناريّة، كالدُهن.

و[١٠] المشتعل المتجمّر، هو الذي[١١] اجتمع فيه الأمران، كالحطب.

و[١٢] التفحّم بطلان التجمّر والاشتعال قبل[١٣] فناء المادّة المستعدّة له[١٤]، والباقي

---

(١) كان: + ذلك P
(٢) A40a
(٣) ليبوسة كالصخرة: اليبوسة كالصخر A
(٤) منه: عنه P
(٥) لطيفاً و: لطيفاً غير مشتعل وأمّا P
(٦) الباقي: الذي يبقى منه P
(٧) يحترق: فيحترق P
(٨) و: + أمّا P
(٩) فهو: _ A
(١٠) و: + أمّا P
(١١) هو الذي: فهو ما P
(١٢) و: + أمّا P
(١٣) قبل: _ A
(١٤) المستعدّة له: التي فيها استعداد الاشتعال P

بعد تفرّق الأجزاء بالتمام هو الرماد، وبقايا غير المشتعل ممّا يحترق يسمّى عند أهل[١] الإكسير كَلساً.

[الحلّ والعقد والخثورة]

والحلّ هو جعل الجسم المتماسك الأجزاء ـ صلباً كان أو رطباً ـ ماءً واحداً سيّالاً لا اختلاف فيه أصلاً.

والعقد مقابله، فهما[٢] كالطرفين.

والخُثورة[٣] كالواسطة.

[نماذج من هذه الأفعال والانفعالات في الطبيعة]

والمائيّة تجمد بالبرد، وتنعقد باليبس، كالماء يصير أرضاً ويخثر[٤] لمخالطة[٥] أجزاء أرضيّة، ويتحلّل ويتلطّف ويرقّ بالحرّ.

ومن شأن الأرضيّة اشتداد جفافها[٦] بالحرّ وتنتدي[٧] بالبرد.

فالبرد من شأنه تجميد السيّال، وتليين ضدّه.

والحرّ من شأنه تجفيف اليابس وتجميده، وترقيق[٨] ضدّه.

والهواء والنار لا يجمدان الماء؛ للطفهما. والرطوبة الحاصلة فيها أرضيّة وهوائيّة، لا تجمد بسبب الهوائيّة، إلّا أنّها تخثر[٩] بالحرّ والبرد جميعاً.

أمّا بالحرّ فلأجل الأرضيّة.

---

(١) يسمّى عند أهل: يسمّيه أصحاب P

(٢) مقابله فهما: ما يقابله فالحلّ والعقد P

(٣) الخثورة: الصورة A

(٤) يخثر: يجبر A

(٥) لمخالطة: بمخالطة P

(٦) اشتداد جفافها: استعداد حقائقها A

(٧) تنتدي: يبتدي A

(٨) ترقيق: يرقّق P

(٩) تخثر: تجبر A

وأمّا بالبرد[1] فلأجل استحالة الهوائيّة التي فيها إلى المائيّة، كالزيت.

واليبس من شأنه أن يجمد ويحيل الضدّ إلى مشاكله.

وأمّا الرطوبة فتحلّ وتُذيب.

والحرارة تُعين[2] اليبوسةَ والرطوبة على فعلهما.

والرطوبة إذا كانت حارّة، فهي[3] أشدّ تحليلاً لِما تحلّه[4].

واليبوسة إذا كانت حارّة، فهي أشدّ عقداً لِما تعقده[5].

وما حلّه الحرّ وجمّده البرد فالغالب عليه الرطوبة؛ لأنّ البرد يجمد الرطب، كسائر المائعات وغيرها.

وما حلّه[6] البرد وجمّده الحرّ فالغالب عليه اليبوسة، كالملح.

والذائب في الرطوبة ينقسم إلى قسمين: منه ما ينحلّ فيها، ومنه ما يختلط بها.

فالذي[7] ينحلّ هو الذي لا يرسب[8]؛ لتجزّيه إلى أجزاء صغار ليس لها قوّة على خرق[9] أجزاء الرطوبة ونفوذها فيها، وهو كالملح والنوشادر.

والذي يختلط فهو يرسب، كالطين المحلول في الماء؛ فإنّ الماء لا تفعل[10] في تحليله ما تفعله[11] في تحليل الملح؛ لكثرة مسامّ الملح واستقامتها ولطف أجزائه.

[الأُمور المنسوبة إلى الرطوبة واليبوسة]

وأمّا الأُمور المنسوبة إلى الكيفيّتين المنفعلتين[12]:

---

(١) بالبرد: البرد A

(٢) تعين: بعين A

(٣) فهي: كانت P

(٤) تحلّه: يحلّه A

(٥) تعقده: يعقده A

(٦) حلّه: حلّ A

(٧) فالذي: والذي P

(٨) A40b

(٩) خرق: حرق A

(١٠) تفعل: يفعل A

(١١) تفعله: فعلته P

(١٢) المنفعلتين: ـ P

فمنهـا: مـا يكون بـإزاء هـذه الأفعال المنتســبة إلى الكيفيّتين الفاعلتين[١]، كقبول النضج والطبخ والانقلاء والانشواء، وقبول التبخير والتدخين، وقبول الاشتعال والذوبان والانعقاد.

ومنها[٢]: ما لا يكون بإزائها[٣]، بل يكون بقياس[٤] إحداهما[٥] إلى الأُخرى.

[الانفعالات المتعلّقة باليبوسة بالنسبة إلى الرطوبة]

فما يكون لليابس بالنسبة إلى الرطب، كالابتلال والانتقاع [والنشف][٦] والميعان.

[فالمبتلّ][٧] فهو الجسم الذي إذا مسّه ماء لزمه رطوبة غريبة منه.

وغير المبتلّ بالعكس، وهو ما لا يقبل ذلك، إمّا لشــدّة صــقالته، أو لدُهنيّة يحدث منها صقالة.

والانتقـاع[٨] غوص الجســم الرطب ـكالماءـ في جوهر المنتقع، ويحدث فيه[٩] بسـببه لين مع تماسك أجزائه. فمتى لم يحصل لين، لم يسمّ[١٠] انتقاعاً. فإن انحلّ ولم يبقَ التماسك سمّي حلّاً، لا انتقاعاً.

وأمّا[١١] النشف والميعان.

فالنشف[١٢] إنّما يكون بدخول المائيّة في مسامّ الجسم اليابس عقيب زوال الأجزاء

---

(١) الفاعلتين: الفاعليّتين A
(٢) منها: _ A
(٣) بإزائها: بإزاء الأفعال المذكورة P
(٤) يكون بقياس: لقياس A
(٥) إحداهما: إحدى الكيفيّتين P
(٦) والنشف: _ AP، وما أثبتناه من: الشفاء، الطبيعيّات، الأفعال والانفعالات: ٢٢٢
(٧) فالمبتلّ: فالابتلال A، أمّا الابتلال P
(٨) الانتقاع: أمّا الانتقاع فهو P
(٩) فيه: _ P
(١٠) يسمّ: يسمّى Ac، يتمّ P
(١١) أمّا: _ A، من ذلك P
(١٢) فالنشف: أمّا النشف P

الهوائيّة التي كانت محتبسة(١) في مجاريه قسراً؛ لضرورة عدم الخلأ. فإذا قامت الأجزاء المائيّة مقامها في تلك المسامّ فارقت. ولا ينشف(٢) من الأجسام اليابسة إلّا ما له مسامّ موجودة بالفعل لطيفة.

وأمّا(٣) الأجسام المصمتة وما مسامّه مملوء(٤) من غير الهواء فإنّه لا ينشف.

[الانفعالات المتعلّقة بالرطوبة وحدها]

وأمّا الانفعال المتعلّق بالرطب وحده، كالانحصار، وسرعة الاتّصال، والانخراق(٥):

فالانحصار أن يقبل(٦) الرطب وضعاً يلزمه شكل يساوي شكل باطن ما يحويه.

وأمّا سرعة الاتّصال فهو مختصّ بالرطب؛ لأنّ(٧) الرطب إذا لاقى مجانسه بطلت سطوحه بسهولة، وصار المجموع سطحاً واحداً بالاتّصال(٨). واليابس لا يكون كذلك.

وأمّا الانخراق فهو(٩) سهولة انفصاله بمقدار النافذ فيه مع التئامه عند زواله.

[الانفعالات المتعلّقة باليبوسة وحدها]

والانفعال المتعلّق باليابس وحده الانكسارُ، وهو أن ينفصل الجسم(١٠) الصلب إلى أجزاء كبار بدفع(١١) قويّ من غير نفوذ حجمه فيه.

والانرضاض مثله، إلّا أنّه ينفصل إلى أجزاء صغار.

والتفتّت مثل الانرضاض، إلّا أنّه(١٢) يكون ممّا يتهيّأ(١٣) رضّه لضعف قوّته.

---

(١) محتبسة: مخبئة A
(٢) ينشف: منشف A
(٣) وأمّا: فأمّا APs
(٤) مملوء: مملوءة A
(٥) الانخراق: الانحراف A
(٦) يقبل: تقبل A
(٧) لأنّ: إذ Ac
(٨) A41a
(٩) فهو: وهو P
(١٠) الجسم: _ A
(١١) بدفع: + دافع P
(١٢) إلّا أنّه: لكنّه P
(١٣) يتهيّأ: تهيّأ A

وكلّ هذه لها منافذ. فالمنكسر منافذه أقلّ وأعظم، والمنرضّ أكثر وأصغر، والمتفتّت منافذه كثيرة صغيرة ضعيفة التئام الحدود، والمنكسر والمنرضّ منافذهما تتّصل عند حدود محكمة[١].

[الانفعالات المتعلّقة بالرطوبة واليبوسة معاً]

والانفعالات المتعلّقة بالرطب واليابس:

الانشداخ: و[المنشدخ الذي][٢] هو تتحرّك[٣] أجزاؤه إلى باطنه. ثمّ إنّه قد يبقى بعد ذلك على هيئة ما عمل به، وقد[٤] يرجع إلى حاله الأوّل[٥]. والذي يبقى يسمّى المنطرق[٦] والمنعصر. إلّا أنّ المنطرق[٧] أجزاؤه متّصلة، لا يشوبها[٨] جسم غريب، بل يتطامن[٩] عند الدفع من غير خروج شيء منه؛ والمنعصر كذلك، إلّا أنّه يخرج منه شيء.

ثمّ إنّ المنعصر إن بقي على الهيئة التي أفادها العصر وكان يابساً سمّي متلبّداً، وإن كان رطباً سمّي منعجناً.

وأمّا التمدّد فهو حركة الجسم إلى الازدياد في الطول، منتقصاً في القطرين الآخرين. فإن كان هذا المتمدّد[١٠] لزجاً سمّي لدناً، وهو الجسم القابل للتمدّد والانعطاف من غير قبول الانفصال بسرعة.

وليس كلّ لزج متمدّداً[١١]؛ فإنّ الدُهن لا يتمدّد. والتمدّد[١٢] اللازم للمادّ بالالتصاق

---

(١) والمنكسر ... محكمة: ـ A
(٢) المنشدخ الذي: ـ A
(٣) تتحرّك: تحرّك A
(٤) وقد: أو P
(٥) حاله الأوّل: حالته الأُولى P
(٦) المنطرق: المتطرّق A
(٧) المنطرق: المتطرّق A
(٨) لا يشوبها: لاستوائها A
(٩) يتطامن: بباطن A
(١٠) المتمدّد: التمدّد A
(١١) متمدّداً: يتمدّد P
(١٢) التمدّد: ـ A

هو المسمّى باللزج، والذي يلزمه بتعلّقه به[١] ـ[كالقير][٢]ـ لا يسمّى لزجاً، بل لدناً. فاللزج ما سهل تشكّله وصعب تفرّقه. فيمتدّ متّصلاً من غير انفصال؛ لقوّة امتزاج الرطب باليابس. فيماسك رطوبته، ولا يسيل؛ لشدّة مخالطته لليبوسة[٣]. واليبوسة لا تتفتّت ولا تتفرّك؛ لشدّة ما جمعها من الرطوبة، فيتماسك الرطب متقوّماً باليابس، ويتماسك اليابس مجتمعاً[٤] بالرطب. >[٥]

[أقسام ما يحدث من العناصر بمعاونة الأجرام العلويّة]

[٦]< إذا عرفتَ ذلك، فنقول: يحدث من العناصر ويتكوّن منها بمعاونة الأجرام العِلويّة أشياء:

ـ [منها][٧]: ما لا يحدث بالتركيب المزاجيّ.

ـ ومنها: ما يحدث به.

فالأوّل: جميع ما يحدث من[٨] البخار والدخان.

[أثر العالم العلويّ في هذا العالم]

واعلَم أنّ العالم العِلويّ ـأعني الأفلاك والكواكبـ [مؤثّر][٩] في هذا العالم الذي نحن فيه من وجوه متعدّدة، بعضها جليّ وبعضها خفيّ. وأظهر الآثار وأجلاها آثار الشمس والقمر والسيّارات، وأخفاها آثار الثوابت.

---

(١) به: ـ A

(٢) كالقير: كالسير A، كالشيرز P، كالشير Ps، وما أثبتناه من: الشفاء، الطبيعيّات، الأفعال والانفعالات: ٢٤٧

(٣) مخالطته لليبوسة: مخالطة اليبوسة P

(٤) مجتمعاً: مجتمعة Ac

(٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٦٢/٢ ـ ٢٧٠

(٦) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٧) منها: ـ A || A41b

(٨) جميع ما يحدث من: ـ A

(٩) مؤثّر: مؤثّرات A

فالشـــمس تؤثّر بســـبب قربها وبُعدها من ســـمت الرأس [في][(١)] اختلاف الزمان وتحصيل الفصول الأربعة المختلفة الأمزجة، وهي علّة اختلاف[(٢)] أحوال هذا العالم.

والقمر يؤثّر في ما هو رطب، فيزيده رطوبةً وتخلخلاً ولطفاً عند كمال نوره وتبدّره.

ومنـه[(٣)]: المـدّ والجزر في البحـار. فبســـبب[(٤)] زيادة نوره وطلوعه يلطف ماء البحر ويتخلخـل[(٥)] حتّى يزيد مقدار حجمه، فيطلب مكاناً أعظم من المكان الأوّل، فيرتفع في الهواء، وينتشـر[(٦)] في البرّ، ويسيح على الساحل. ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر في وسط السماء، ثمّ يتناقص كلّما انحطّ وغاب نوره ونقص، إلى أن يعود إلى الحالة الأُولى.

ومنـه[(٧)]: زيـادة الأدمغـة، وإمخـاخ[(٨)] العظـام عند ازدياد نوره، وانتقاصـــها[(٩)] عند انتقاص نوره.

ومنه[(١٠)]: نضـج الثمار والفواكه، والإحشـاش بنُشوء[(١١)] بعضها، فتحدث[(١٢)] الألوان المختلفة فيها عند زيادة نوره، وضعف هذه الأحوال عند قلّة نوره[(١٣)].

فعَلمنا[(١٤)] أنّ اختلاف أحوال القمر علّة لاختلاف أحوال هذا العالم.

وأمّا أفعال[(١٥)] السـيّارات فتحتاج إلى تفصـيل، وهو مذكور في كتب أحكام النجوم.

---

(١) في: ـ A
(٢) وهي علّـة اختلاف: التي اختلافهـا علّة موجبة لاختلاف P
(٣) ومنه: فمن ذلك P
(٤) فبسبب: فبحسب P
(٥) يتخلخل: يتحلّل P
(٦) ينتشر: ينشر A
(٧) منه: من ذلك P
(٨) إمخاخ: انفتاح A؛ أمخّ العظم: صار فيه مخّ. (لسان العرب)
(٩) انتقاصها: انتقاص ذلك P
(١٠) منه: من ذلك P
(١١) بنشوء: ينمو A
(١٢) فتحدث: وحدوث P
(١٣) نوره: + وينقص إلى أن يعود إلى الحالة الأُولى A
(١٤) فعلمنا: فعلم P
(١٥) أفعـال: اختلاف هـذا العـالم بســبب اختلاف أحوال P

وإذا تأمّلتَ أحوال هذه[١] السـيّارات وجدتها ظاهرة؛ فإنّ الشـمس التي[٢] يحدث من حركتها الفصولُ، لا يختلف حركاتها، ولا تميل عن سمت دائرة البروج. مع أنّك تشاهد صـيفاً أحرّ من صـيف[٣]، وشـتاءً أبرد من شـتاء، وليس ذلك إلّا بسـبب اتّصـالات من السـيّارات. ولهذا إذا كانت الشـمس في البروج الصـيفيّة وقارنها كوكب حارّ المزاج يقوى[٤] ذلك الصيف، وإن كان الكوكب[٥] بارد المزاج كان الأمر بالعكس.

ومن آثارها أنّ الشـمس والقمر إنّما أثّرا بالإضاءة والتسخين، والتسخين إنّما كان[٦] بسبب الإنارة والإضاءة.

والكواكب السـيّارة نيّرة مضـيئة. ولو لا ذلك لكانت الظلمة خالصـة[٧] عند غيبوبة النيّرين، فوجب أن لا نشـاهد شيئاً من الأشياء[٨] بالكلّيّة، وليس كذلك. فهي[٩] مضيئة مسخّنة، فتكون[١٠] مؤثّرة، كالشمس والقمر.

ومن اعتبر الأحكام النجوميّة من[١١] وقوع الطوفانات العظيمة، والحروب الشديدة، والدول[١٢] الناشـئة والمندرسـة، وغير ذلك من الحوادث الكثيرة[١٣]، عرف أنّ الشمس والقمر لا يقتضـيـان ذلك كلّه، وإلّا لَما تخلّف [عنهما][١٤] وقتاً ما[١٥]، فهي بسـبب معاونات السيّارات والثوابت.

---

(١) أحوال هذه: الأحوال التي لهذه P
(٢) التي: الذي P
(٣) A42a
(٤) يقوى: + في P
(٥) الكوكب: كوكب A
(٦) بالإضاءة ... كان: _ A
(٧) خالصة: حاصلة A
(٨) نشاهد شيئاً من الأشياء: نشاهدها A
(٩) فهي: وهي A
(١٠) فتكون: فيكون A
(١١) من: و A
(١٢) الدول: الزلازل A
(١٣) الكثيرة: الكبيرة والصغيرة P
(١٤) عنهما: _ A، عنها P
(١٥) ما: _ A

ولا يبعد أن يكون للأجرام الفلكيّة تأثيرات يقصر عن إدراكها عقولُ(١) البشر، وكذلك الثوابت لها تأثيرات في هذا العالم.

وقيل: إنّ الهند إنّما تحكم(٢) على تقويم السَنة من الثوابت.

فكانت(٣) العِلويّات كلّها مؤثّرة.

فإذا أشرقت الشمس والكواكب على صفحة الأرض، حلّلت وصعّدت لسخونتها(٤) أجزاء رطبة ويابسة. فالأجزاء الرطبة المتحلّلة من الأشياء الرطبة المائيّة تسمّى(٥) بخاراً، واليابسة المتحلّلة من الأشياء اليابسة الأرضيّة تسمّى(٦) دخاناً.

[إشكال على كون البخار والدخان من العناصر الأربعة، والجواب عنه]

فقال بعض(٧): إنّهما خارجان من(٨) العناصر الأربعة، ولهما حقيقة أُخرى غيرها(٩).

وليس(١٠) بصواب؛ فإنّ البخار أجزاء مائيّة متحلّلة صغيرة مختلطة بالأجزاء الهوائيّة الصغيرة، بحيث لا يتميّز أحدهما عن الآخر. فلصغر(١١) أجزاء الماء والهواء وعدم تميّز(١٢) أحدهما عن الآخر لا يقوى الحسّ على التمييز بينهما، فيراه شيئاً آخر غير الماء والهواء، وهو في الحقيقة ليس(١٣) غير الماء.

وكذلك الدخان أجزاء أرضيّة وناريّة صغيرة متحلّلة مختلطة(١٤) بالهواء أو البخار،

---

(١) عقول: قوى P، قوّة Ps
(٢) تحكم: يحكم A
(٣) فكانت: فعلم أنّ P
(٤) لسخونتها: بسخونتها P
(٥) تسمّى: يسمّى A
(٦) تسمّى: يسمّى A
(٧) فقال بعض: واختلفوا في حقيقتهما فذكر بعضهم P
(٨) من: عن P
(٩) غيرها: غيرهما A
(١٠) ليس: + هذا القول P
(١١) فلصغر: فلتصغّر A
(١٢) تميّز: تمييز P
(١٣) A42b
(١٤) مختلطة: يختلط Ac

غير متميّز شيء منهما عن الآخر. فالرطب المحض لا يدخن، واليابس الصرف لا يبخر.

[السحاب والمطر والثلج والبرَد]

فشروق الشمس(١) على المياه وأراضي الرطبة يحلّل بخاراً، فيصعد في الجوّ. فإن كان قليلاً أو كثيراً وصادف حرّ الهواء بسبب قوّة الشمس، تلطّفت الأجزاء(٢) البخاريّة المائيّة بتلك الحرارة، وتحلّلت وانقلبت كلّها هواءً. فلم يحدث سحاب ولا شيء آخر(٣)، وإن كان البخار كثيراً، أو لم يصادف حرّاً(٤) يحلّله.

وكذلك إن كان قليلاً وسلم من التحلّل، فلا يخلو إمّا أن يبلغ في ارتقائه إلى الطبقة الباردة الزمهريريّة من الهواء، أو لا يبلغ.

فإن بلغ(٥) ولم يصادف هناك برداً قويّاً، تكاثف ذلك القدر من البخار بذلك القدر من البرد، فاجتمع وتقاطر. فالبخار المجتمع(٦) هو السحاب، والمتقاطر هو المطر.

وإن صادف ذلك البخار هناك برداً قويّاً، فإمّا أن يصل البرد إلى جميع أجزاء السحاب(٧) قبل اجتماعها وتشكّل تلك الأجزاء بشكل القطرات، أو بعد اجتماعها وتشكّلها بشكل الكُرة. فإن كان الأوّل انعقدت الأجزاء الصغار، وانضمّ بعضها إلى بعض، فتصير ثلجاً، فيثقل وينزل. وإن كان الثاني فإنّ تلك القطرات المتشكّلة بشكل الكُرة(٨) تصير بما أصابها من البرد برَداً.

ثمّ إن كان ذلك البخار المنعقد برَداً بعيداً من الأرض، فإنّه يكون صغير الحَبّ

---

(١) فشروق الشمس: إذا أشرقت الشمس والكواكب P
(٢) الأجزاء: الأبخرة A
(٣) آخر: ـ A
(٤) حرّاً: جزءاً P
(٥) فإن بلغ: Ai
(٦) المجتمع: الذي كان مجتمعاً P
(٧) أجزاء السحاب: أجزائه A
(٨) الكرة: الكرات P

مستديراً[١]؛ لذوَبان زواياه بالاحتكاك بالجوّ، فيصغّر[٢] ويستدير. وإن كان قريباً من الأرض، فإنّه لسرعة نزوله لا يذوب[٣]؛ فإنّه يكون كبير الحَبّ؛ لسلامته من الذوَبان[٤]، لا استدارة له، ويكون مختلف الشكل.

[علّة كبر قطرات المطر وصغرها]

وأمّا علّة[٥] كبر قطرات المطر وصغرها [فهي][٦] أنّ المطر إن كان في الأيّام الباردة، لم يكن هناك حرّ[٧] يقبض أجزاء الماء في السحاب، فينزل المطر قَطراً صغاراً. وفي الأيّام الحارّة هناك مضادّ[٨] من الحرّ الذي في البخار، والبرد في الهواء، فتنضغط[٩] تلك الأجزاء المائيّة في السحاب، فيكبّر القَطر.

وقد[١٠] يكون علّة الكبر قوّة ريح حارّة ضاغطة لأجزاء السحاب بعضها إلى بعض.

وأبو البركات[١١] قال بعلّة[١٢] أُخرى، [وهي][١٣] أنّ السحاب إن كان بعيداً من الأرض، فكلّما نزل إلى فضاء أضيَق حتّى يصل إلى الفضاء الذي لا أضيَق منه ـ وهو المماسّ لسطح الأرض ـ فيجتمع عنده الأجزاء، فيكبر القطرات بالضرورة. وإن كان السحاب قريباً من الأرض، فيكون المسافة قريبة، فيقلّ[١٤] اجتماع الأجزاء، فيكون القطرات صغيرة.

---

(١) صغير الحبّ مستديراً: صغيراً كحبّ مستدير A
(٢) فيصغّر: + قدره P
(٣) يذوب: تذوب A
(٤) الذوبان: + بأن P
(٥) علّة: Ai
(٦) فهي: فهو A، _ P
(٧) حرّ: جزء P
(٨) A43a
(٩) فتنضغط: فتضغط P
(١٠) قد: _ A
(١١) المعتبر: ٢١٣/٢
(١٢) وأبو البركات قال بعلّة: وقد قال أبو البركات علّة P
(١٣) وهي: _ AP
(١٤) فيقلّ: لنقل A

[علّة نزول البرَد في الربيع والخريف]

وأمّـا علّـة نزول البرَد في الربيع والخريف في البلاد البـاردة دون الشـتـاء، فلأنّ[١] البخـار إذا لم يتمّ تكـاثفه[٢] يكون الحرّ محيطاً به، فلا يجمد ثلجاً. فإذا أتمّ تكاثفه ثمّ أحاط به ريح حارّة أو حرّ الهواء احتقن البرد دفعةً إلى باطن السـحاب، فاسـتحصـف البخار وجمد دفعةً لخلخلة[٣] الحرارة له؛ لأنّ الحرارة وخلخلتها تقتضـي[٤] سـرعة الجمود؛ فإنّ الماء الحارّ أسرع جموداً من البارد.

وقـد يكون السـحـاب حـارّاً فتهـبّ عليه ريح باردة مغافصـةً، فتجمع[٥] أجزاءه، وتجمده[٦] ببرده. فقد قيل[٧]: إنّ الشيخ الرئيس شاهد ذلك[٨].

هذا إذا وصـل البخار إلى الطبيعة الباردة. فإن لم يبلغ إليها لِثقله أو لِبرد يصيبه، فإن كان كثيراً صـار ضـباباً، وإن كان قليلاً وتكاثف ببرد الليل، فإن لم يجمد نزل طلّاً، وإن جمد نزل صقيعاً.

والـذي يدلّ على ذلك أنّ ما ذكرنا أسـباب لهذه الأشـياء الحدسُ والتجربةُ، كما نشـاهد[٩] في الحمّام من صـعود بخار إلى الجامات[١٠] وتكاثفها بما هناك من البرد ونزولها قطرات، ويجمد[١١] من الأنفاس[١٢] في البرد الشديد على الشوارب واللُحى.

---

(١) فلأنّ: لأنّ P
(٢) تكاثفه: + و A
(٣) لخلخلة: تخلخله A
(٤) تقتضي: يقتضي A
(٥) فتجمع: فتخلع A
(٦) تجمده: تجمد A
(٧) فقد قيل: وقد A
(٨) الشـفـاء، الطبيعيّـات، المعادن والآثار العلويّة: ٣٧
(٩) تشاهد: نشاهد P
(١٠) الجامات: الحمّامات A
(١١) يجمد: تجمد A
(١٢) الأنفاس: الانتفاس A

[الاختلاف في وجود الهالات وقوس قزح والشميسات والنيازك]

وأمّا الهالات[١]، وقوس قزح، والشُـمَيسات، والنَيازِك[٢]، فقد زعم بعض الناس أنّها خيالات[٣] لا تحقّق[٤] لها في الخارج[٥].

وآخرون قالوا بوجودها.

واختار الشيخ الرئيس الأوّلَ، وهو أن نرى[٦] صورة الشيء مع صورة المرآة المظهِرة له، فنظنّ[٧] أنّ تلك الصور حاصلة في تلك المرآة، وليس الأمر كذلك في نفس الأمر.

ويُبنى ذلك على أُمور:

منها: أنّ الصورة التي نرى[٨] في المرآة غير منطبعة فيها.

ومنها: أنّ الرؤية لا تكون[٩] بانعكاس الشعاع المنفصل[١٠] من العين، الواقع على سطح المرآة، المنعكس إلى الوجه، ليصير الوجه مرئيّاً.

ومنها: أنّ الرؤية إنّما هي بانطباع شبح المرئيّات في العين، من غير انفصال شعاع سارٍ في الهواء، على ما يراه المعلّم الأوّل؛ فإنّ عنده إنّ الرؤية لا بالشعاع، بل يحصل الشبح في العين ابتداءً بواسطة الهواء الشفّاف، من غير احتياج إلى هذه الأفعال والانفعالات[١١] الطبيعيّة إلى مماسّة، بل مجرّد المُحاذاة كافٍ[١٢].

[تعريف الهالة]

فإذا عرفتَ ذلك، فالهالة دائرة عظيمة[١٣] بيضاء، تامّة أو ناقصة، تُرى حول القمر

---

(١) الهالات: الهالة P
(٢) الشميسات والنيازك: الشمسات والتبارك A
(٣) A43b
(٤) تحقّق: تخلق A
(٥) الخارج: خارج A
(٦) نرى: ترى P
(٧) فنظنّ: فتظنّ P
(٨) نرى: ترى P
(٩) تكون: يكون A
(١٠) المنفصل: المتّصل A
(١١) الانفعالات: الانفعال A
(١٢) كافٍ: + في هذا P
(١٣) عظيمة: ـ A

وغيره إذا قام دونه غيم لطيف رقيق لا يغطّيه.

[سبب تخيّلها]

وسبب تخيّلها إنّما يكون من انعكاس البصر عن الغيم الذي لا عَجب[١] ما وراءه إلى جرم القمر، ويكون الغيم موصوفاً بصفات:

ـ صقالته[٢]؛ ليصحّ انعكاس البصر عنه.

ـ وأن يكون أجزاء الغيم صغيرة، لا يتّصل بعضها ببعض؛ لكون[٣] المرآة الصغيرة تؤدّي اللون ولا تؤدّي الشكل، ويكون مجموع الأجزاء مؤدّياً لون النيّر دون شكله.

ـ وأن يكون الأجزاء مستوية على لون البياض؛ إذ لو اختلفت الألوان ـ كأن يكون للمرئيّ لوناً مختلفاً ممتزجاً ـ فلا يكون لوناً خالصاً.

ـ وأن يكون الأجزاء متّفقة الوضع، غير مختلفة؛ ليكون الخطوط التي بين البصر والغمام كلّها متساوية. فإذا كان النيّر فوق هذا الغمام والبصر تحته، فيحدث حينئذٍ مخروطان، من كلّ عين واحد، ويكونان متساوي الأضلاع والزوايا، قاعدتهما جرم الغمام، ورأس[٤] أحدهما البصر، ورأس المخروط الآخر هو النيّر، وينتظم هاتان القاعدتان على هيئة دائرة.

وبرهانه[٥] أنّا إذا تصوَّرنا خطّاً[٦] مستقيماً يخرج من البصر وينتهي[٧] إلى النيّر، ثمّ[٨] فرضنا خروج خطوط شعاعيّة من البصر إلى الغمام، بحيث[٩] ينعكس كلّ منها

(١) عجب: تحجب A
(٢) صقالته: صقاليّة A
(٣) لكون: لكن A
(٤) A44a
(٥) برهانه: برهان Ac
(٦) خطّاً: ـ A
(٧) ينتهي: تنتهي A
(٨) النيّر ثمّ: السهم A
(٩) بحيث: + لا A

إلى النيّر، فيحدث من ذلك مثلّثات كثيرة كلّها متساوية. وقاعدة هذه المثلّثات كلّها هو الخطّ المفروض أنّه خرج عن البصر إلى النيّر. والخطوط التي من البصر إلى الغمام كلّها متساوية، وكذلك التي من الغمام إلى النيّر كلّها متساوية، فيكون الخطّ الذي يمرّ[١] برؤوس المثلّثات الكائنة عند الغمام دائرة بالضرورة.

فهذا ما ذكروه في تقرير الهالة. ودليله التجربة، وما ينضمّ[٢] إليها من القرائن الموجبة[٣] لقوّة الحدس المقتضي[٤] لإفادة اليقين.

[بعض أحكام وأحوال الهالة]

والهالة دالّة على حدوث المطر؛ لدلالتها على رطوبة الهواء الدالّة على المطر. واضمحلالها يدلّ على الصحو[٥]؛ لدلالته على يبس الهواء. و[٦] كذلك ذهابها يدلّ على هبوب الرياح؛ لأنّ المحلّل لتلك[٧] الرطوبة هو البخار الحارّ اليابس الذي يكون مادّة الريح[٨]، وهذا إنّما يكون في القمر وبعض الكواكب.

وأمّا الشمس فقلّما يكون حولها هالة؛ لتحليل الشمس الغيومَ الرقيقة والسحب اللطيفة. وقد يتّفق[٩] أحياناً في الندرة[١٠] أن يكون حول الشمس هالة، وقد[١١] تكون تحت الشمس[١٢]، وهي أدلّ على المطر؛ لدلالة ذلك على كثرة الرطوبة والبخار التي ضعفت الشمس عن تحليله.

---

(١) يمرّ: تمرّ A
(٢) ينضمّ: تنضمّ A
(٣) الموجبة: ـ A
(٤) المقتضي: ـ A
(٥) الصحو: الضجر Ac
(٦) و: ـ A
(٧) لتلك: لذلك Ac
(٨) الريح: للريح P
(٩) يتّفق: تتّفق A
(١٠) الندرة: الندرات A
(١١) وقد: فقد A
(١٢) هالة فقد تكون تحت الشمس: Ai

وإذا وقعت سحابة تحت سحابة، أمكن تولّد هالة تحت هالة، ويكون التحتانيّة أكبر من الفوقانيّة.

وحكي عن الشيخ أنّه قال[١] في الشفاء[٢] أنّه شاهد هالة تامّة حول الشمس في ألوان قوس قزح، وأُخرى ناقصة، وشاهد بعد ذلك هالة تطيف[٣] بالشمس في بعض قوسها[٤].

ولا يُرى هالة الشمس إلّا عند كونها وسط السماء.

قال [الشهرزوريّ][٥]: والحقّ أنّ الهالة حكمها حكم الصور الظاهرة في المرآة، و[٦] متألّهو الحكماء يرون أنّها[٧] أُمور محقّقة[٨] موجودة في الخارج.

[قوس قزح]

وأمّا قوس قزح فاعلَم أنّه إذا كان في خلاف جهة الشمس سحاب مائيّ مستوى الأجزاء أو هواء[٩] رطب مائيّ صافٍ لا ضباب فيه، وضعه على هيئة الاستدارة، ويكون وراءها جسم كثيف، كجبل أو سحاب مُظلِم ـ إذ لو لم يكن وراءها ذلك، فلا يكون تلك الماهيّة مرآة، كالبِلّورة إن سترت مِن خلفها بكثيف صارت مرآة، وإلّا فلا ـ، فإذا اتّفق أن يكون الشمس مقابلها في الجانب الآخر من الأُفق، فإذا[١٠] نظرنا إلى ذلك السحاب أو[١١] الهواء المائيّين، وكلّ واحد من أجزاء الهواء الرشي صقيل في غاية

---

(١) حكي ... قال: حكى الشيخ P

(٢) الشفاء، الطبيعيّات، المعادن والآثار العلويّة: ٤٩

(٣) تطيف: لطيفة A

(٤) قوسها: + خفاء A

(٥) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A

(٦) في المرآة و: ـ A

(٧) A44b

(٨) محقّقة: + و P

(٩) أو هواء: والهواء A

(١٠) فإذا: فأمّا إذا A

(١١) أو: و P

الصـغر، ويكون كلّ واحد من تلك الأجزاء في وضـعه مستعدّاً لانعكاس شعاع البصر عنها إلى الشـمس لصـقالتها؛ لأنّ ضـوء البصـر إذا وقع على الصقيل انعكس منه إلى الجسم الذي وضعه منه، كوضع المضيء منه إن لم تكن جهته مخالفة لجهة المضيء، ودليله التجربة، فأدّت[١] ضوء الشمس؛ لأنّ كلّ واحد من تلك الأجزاء[٢] كان في غاية الصغر، فلا تؤدّي[٣] شكل الشمس، بل تؤدّي[٤] ضوءها، فيُرى قوس قزح.

واللون المشـاهَد يكون مركّباً من لون المرآة وضوء الشمس، ويختلف تلك الألوان بحسب اختلاف تركيب ألوان المرآة مع السحاب.

[رأي الشيخ الرئيس في الهالة وقوس قزح]

ولقد حكي عن الشيخ الرئيس[٥] أنّه شاهد[٦] مراراً على أحوال معتبر الهالةَ[٧]، فتارةً شـاهدها متولّدة مع السـحاب الصـافي، وتارةً مع الجوّ المُصـحي، وقال: وقد تواترت منّي هذه التجربة مراراً، فظهر لي أنّ السـحاب الكدر لا يصلح أن يكون مرآة لحدوث هذا الخيال.

والـدليـل على أنّ القوس حالها ما ذكرناه التجربةُ والاعتبار؛ فإذا[٨] أخذنا قطعة من الكاغذ مدهونة، ووضـعناها على ماء راكد، وكانت الشـمس على أحد الأُفقين، فيظهر شبه ألوان قوس قزح. وكذلك إذا نفخنا الماء في الجوّ حذاء الشمس أو السراج. ويتولّد أيضاً حوالي الشمعة في الحمّام من رطوباته[٩] هذا الخيال.

---

(١) فأدّت: فإذن A

(٢) الأجزاء: + المائيّة A

(٣) تؤدّي: يؤدّي A

(٤) تؤدّي: يؤدّي A

(٥) الشـفـاء، الطبيعيّـات، المعادن والآثار العلويّة: ٤٩

(٦) حكي ... شاهد: شاهد الشيخ الرئيس P

(٧) الهالة: لها A

(٨) فإذا: فإنّا إذا P

(٩) A45a

قال الشـيخ[١]: وقد رأيتُ في الغدوّات حول الشمس خيالاً هلاليّ الشكل قوسيّ[٢] اللون، وكان سـببه رطوبة عين المنتبه[٣] عن نوم، فكلّما مسـحتُ العين عن الرطوبة لم يظهر منه شيء.

وقـال[٤]: وقـد رأيـتُ في بعض الحمّـامـات هـذا الخيال منطبعاً تمام الانطباع في حـائطه، ليس على سـبيل الخيال، بل كان الشـعاع يقع[٥] على جام الكوّة، فينفذ في الهواء الرشـي الممتلئ منه الحمّام، فيرتفع على حائط الحمّام، وهو شـعاع مضـيء، فينعكس عنـه في الهواء الرشـي إلى ذلـك الحائط الآخر ألوان قوس قزح، لا يتبدّل[٦] موقعه بانتقال الناظر.

[إشكال الشهرزوريّ على رأي الشيخ الرئيس]

قال [الشهرزوريّ][٧]: والعجب من هذا الفيلسوف الفاضل كيف جزم في الأوّل أنّ القوس خيـال، وحكَم هـاهنا بأنّ هذا القوس المرئيّ في الحمّام ليس انطباعه فيه على سـبيل الخيال! فليت شـعري[٨] إذا كانت الأسـباب المقتضية لظهور هذا الأثر واحدة، فلمَ يكون بعضها خيالاً وبعضها لا يكون كذلك.

فالحقّ أنّ القوس وغيره ممّا يظهره المرايا أُمور محقّقة موجودة في الأعيان.

[سبب كون القوس نصف دائرة]

وأمّا سـبب كون القوس[٩] نصـف دائرة، فلأنّه ليس وضـعه[١٠] كوضـع الهالة موازياً

(١) الشـفـاء، الطبيعيّـات، المعادن والآثار العلويّة: ٥٢

(٢) قوسيّ: قويّ P

(٣) المنتبه: المتنبّه A

(٤) نفس المصدر.

(٥) يقع: _ A

(٦) لا يتبدّل: لاستدلال A

(٧) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A

(٨) شعري: + لمَ AP

(٩) القوس: _ A

(١٠) وضعه: وضع القوس P

للأرض فيكون جميعها مرئيّاً. بل وضـع القوس إنّما هو وضـع مقاطع الأُفق[١]، فإذا[٢] كـانـت الشـمس على الأُفق، وجعلنـاهـا مركز دائرة موهومة[٣]، فإنّها تقطع من الأُفق نصـفها، فيرى[٤] نصـف الدائرة التي يكون الشمس مركزها وسببها[٥]. وبحسب ارتفاع الشـمس من الأُفق يرتفع محور المنطقة، فينحطّ[٦] المنطقة، فينقص[٧] القوس إلى أن يصـل الارتفاع إلى حدّ لا يبقى قوس. وفي الشـتاء تحدث القوس في أنصـاف النهار؛ لقلّة ارتفاع الشـمس[٨]. ولا يمكن أن يحدث في أنصاف[٩] نهار الصيف؛ لكثرة ارتفاع الشمس فيه.

[ألوان القوس]

وألوان القوس مركّبة من صـفرة أو حمرة ناصـعة مع سـواد وهو الأرجوانيّ، ولون كراثي[١٠] مركّب[١١] من حمرة الأرجوانيّ وسواده.

قـال الشـيخ[١٢]: وأمّا ألوانها فلم أعرف أسـبابها، ولا قنعتُ بما ذكروا فيها. والذي أحدسه من أمر هذا[١٣] القوس لستُ واثقاً به لأودعه كتابي.

[الشميسات]

وأمّا الشُمَيسات[١٤]، فقال الشيخ[١٥]: إنّها خيالات كالشموس عن مرآة تكون شديدة

---

(١) الأفق: للأُفق P
(٢) فإذا: إذا A
(٣) موهومة: متوهّمة P
(٤) فيرى: ويرى A
(٥) وسببها: ـ P
(٦) فينحطّ: فيحيط A
(٧) فينقص: فينتقص P
(٨) الشمس: + حينئذٍ P
(٩) أنصاف: انتصاف A
(١٠) A45b
(١١) مركّب: ـ A
(١٢) الشـفاء، الطبيعيّات، المعادن والآثار العلويّة: ٥٠ و ٥٥
(١٣) أمر هذا: هذه A
(١٤) الشميسات: الشمسات A
(١٥) الشـفاء، الطبيعيّات، المعادن والآثار العلويّة: ٥٦

الاتّصال والصقالة[١] في جنبة[٢] الشمس، فتؤدّي[٣] لونها وشكلها.

[أسبابها القابلة والفاعلة]

و[٤] الأسباب القابلة لهذا[٥] ثلاثة:

ـ أن يحدث غيم كثيف صقيل قريباً من الشمس، فيقبل ذلك الغيم في ذاته ضوء الشمس، قبولَ القمر في ذاته ضوءها؛ لاشتراكهما في الكثافة والصقالة، ويؤدّي شكلها أيضاً.

ـ و[٦] أن لا يكون ذلك الغيم قابلاً لضوء الشمس في ذاته للطفه، بل يكون مؤدّياً لخيالها؛ فإنّ المرآة إذا كانت كبيرة، فكما تؤدّي اللون تؤدّي الشكل.

ـ وأن يكون البخار اللزج المرتفع عن الأشياء الرطبة يصعد في الهواء وتشكّل على هيئة الاستدارة ـكما هو طبيعة الأجسام الرطبةـ حتّى بلغ في ارتفاعه[٧] إلى كُرة النار فاشتعل[٨]، فيرى ذلك الاشتعال مستديراً على هيئة شكله، فيكون شكله كشكل الشمس. فإن كانت[٩] المادّة كثيفة بقيت مدّة، حتّى إنّها قد تبقى شهوراً. وقد يبلغ في الصعود إلى الموضع الذي يتحرّك فيه النار تبعاً لحركة[١٠] الفلك، فيتحرّك هو أيضاً على الاستدارة، ويكون له طلوع وغروب كالكواكب.

ويجب أن يكون العنصران الخفيفان غالبين[١١] على العنصرين الثقيلين، وأن يكون

---

(١) الصقالة: الصقال A
(٢) جنبة: جنبية A
(٣) فتؤدّي: فيؤدّي A
(٤) و: + اعلم أنّ P
(٥) لهذا: + الأثر P
(٦) و: أو A
(٧) ارتفاعه: ارتقائه P
(٨) فاشتعل: اشتعل P
(٩) كانت: + تلك P
(١٠) لحركة: بحركة A
(١١) غالبين: عاليين A

امتزاج أجزائه محكماً، وإلّا لم يبقَ في ذلك الجوّ العالي مدّة من الزمان.

وأسبابها الفاعلة[١] القوى الروحانيّة والاتّصالات الفلكيّة.

[النيازك]

وأمّا النيازك فهي خيالات في لون قوس قزح، تُرى[٢] مستقيمة؛ لأنّها تكون بجنب الشمس يُمنة أو يُسرة، لا تحتها ولا أمامها. وإنّما رؤيت مستقيمة لأنّها قد تكون قطعاً صغاراً من دوائر كبار، فتُرى لأجل ذلك مستقيمة، لا سيّما إذا توالت[٣] عن سحب، أو لأنّ مقام الناظر لها وأوضاع السحب تكون[٤] بحيث يُرى[٥] المنحدب[٦] مستقيماً.

وقلّما توجد[٧] في نصف النهار؛ لقوّة تحليل الشمس السحابَ الرقيقَ في أكثر الأحوال. بل إنّما توجد عند الطلوع والغروب[٨]، وعند الغروب يكون أكثر؛ لكثرة تمدّد[٩] السحاب، وقد تساير الشمس طالعة وغاربة.

وهي دالّة على المطر؛ لدلالتها على وفور الأبخرة الرطبة.

قال [الشهرزوريّ][١٠]: والحقّ أنّها أُمور موجودة[١١] في الأعيان، وهذه[١٢] السحب والأنداء والأهوية مظاهر لها، يقتضيها القوى الروحانيّة.

[الرعد والبرق]

وأمّا الرعد والبرق والصواعق والكواكب الرجمة[١٣] والشهب الدائرة وذوات

---

(١) أسبابها الفاعلة: أمّا الأسباب الفاعلة لها P

(٢) ترى: يرى A

(٣) A46a

(٤) تكون: يكون A

(٥) يرى: ترى A

(٦) المنحدب: المتحدّب P

(٧) توجد: + هذه النيازك P

(٨) والغروب: ـ A

(٩) تمدّد: تبدّد A

(١٠) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A

(١١) موجودة: + و A

(١٢) وهذه: فهذه A

(١٣) الكواكب الرجمة: كواكب الرجم P

الأذناب، فلأنّ شأن البخار المولّد للغمام أن يخالطه[١] دخان، ثمّ يرتفعان إلى الطبقة الباردة، فيعقد[٢] البخار غماماً[٣] يحتبس[٤] الدخان فيه لكثافته، فلا يتركه أن ينفذ في الهواء البارد النفوذَ السريع الذي له، ولو تركه لم يبرد؛ لأنّ سرعة حركته يحفظ عليه حرارته. فإن بقي على حرارته قصد الصعود، وإن احتبس مدّة وبرد قصد النزول. وكيفما كان، فإنّه يمزّق السحاب تمزيقاً عنيفاً، فيحدث منه الرعد، إلّا أنّه عند البرد يستحيل ريحاً عاصفة. ومن شأن الريح العاصفة في الهواء اللطيف الرقيق أن يُسمع لها صوت عظيم، فكيف إذا عصفت في سحاب كثيف؟ فلا بدّ أن يُسمع لذلك التمزيق صوت هائل.

ثمّ إنّ هذا الدخان الممزّق للسحاب مستعدّ للاشتعال بأدنى سبب، فكيف عند الحركة الشديدة والمحاكّة القويّة مع جسم السحاب؟ فلا عجب أن يستحيل المحاكّة والاضطراب ناراً مستعدّاً تسمّى[٥] برقاً.

والذي يدلّ على أنّ الأشياء اللطيفة تشتعل بأدنى سبب، أنّك إذا أمررتَ اليد على الأجسام السود في الليالي المُظلِمة مع كثافتها، رأيت ضوءً[٦] يحدث من تلك الحركة اللطيفة.

[معيّة الرعد والبرق في الحدوث]

ولا يكون برق إلّا ويصحبه رعد؛ إذ لا يكون إلّا من الريح المضطربة في الغمام التي تتخلّص مشتعلة، إلّا أنّ البرق يُرى بالبصر، والرعد يُسمع بالأُذن ولا يُرى،

(١) المولّد للغمام أن يخالطه: الذي يتولّد منه الغمام أن يختلط به P
(٢) فيعقد: فينعقد P
(٣) غماماً: + و P
(٤) يحتبس: ينحبس A
(٥) تسمّى: يسمّى A
(٦) A46b

وحدوثهما[١] معاً، فيُرى البرق في الآن، ويتأخّر عنه سماع[٢] الرعد؛ لأنّ البرق يُبصر في الآن.

[سبب التأخير في استماع صوت الرعد]

وأمّا الرعد الحادث معه[٣] فلا يسمع إلّا بعد زمان؛ لأنّ الإبصار لا يفتقر إلّا[٤] إلى المقابلة للمرئيّ والإشفاف فقط، وذلك آنيّ[٥] غير متعلّق[٦] بزمان، بخلاف السمع المحتاج في وصول الصوت إليه إلى تموّج الهواء المنتقل به الصوت إلى الصِماخ. وكلّ حركة تحتاج[٧] إلى زمان، ولهذا نرى[٨] حركة يد القصّار ثمّ نسمع[٩] الصوت بعده بزمان له قدر إذا كان بعيداً. فإن كان قريباً فلا نقدر[١٠] على التفرقة بين ذلك الزمان القصير وبين الآن.

[الصاعقة]

وأمّا الصاعقة فإنّها ريح سحابيّة ينفصل[١١] عنه مشتعلة، وتكون كثيفة لا لطف[١٢] لها، كالبرق الذي لا يبقى شعاعه زماناً، بل ينطفئ سريعاً. وتنتهي[١٣] في الاشتعال إلى الأرض؛ لكثافة جرمها وثقلها الأرضيّ.

[اختلاف جوهر الصواعق]

ويختلف جوهر الصواعق:

---

(١) حدوثهما: + يكونان P
(٢) سماع: _ A
(٣) معه: مع البرق P
(٤) إلّا: _ P
(٥) آنيّ: _ A
(٦) متعلّق: Ai
(٧) تحتاج: يحتاج A
(٨) نرى: يُرى A
(٩) نسمع: يُسمع A
(١٠) نقدر: يقدر A
(١١) ينفصل: منفصل A
(١٢) لطف: لطيف A
(١٣) تنتهي: ينتهي A

ـ فقد تكون[١] ريحاً سحابيّة دخانيّة ساذجة، وهي الصاعقة اللطيفة، فتنفذ[٢] في الأجسام المتخلخلة ولا تحرقها[٣].

ـ وقد تميل إلى السواد.

ـ وقد تكون[٤] غليظة تنفذ في الأجسام المتخلخلة نفوذاً يُبقي[٥] فيها أثرَ سواد. وإن لاقت الأجسام الصلبة المتكاثفة أذابتها[٦]، وللطفها تذيب الذهب في الكيس[٧] دونه، وإن احترق فمن الذوب.

وشرّ الصواعق السحابيّةُ المشتعلةُ الدائرةُ في الجوّ، ومادّتها كثيفة. وقد يُطفى هذه الصواعق، فتنقلب أجساماً أرضيّة حديديّة وحجريّة، فتصير باردة يابسة. وصواعق بلاد الترك يقع فيها نصول سهام من الجواهر النحاسيّة اليابسة.

[حكاية الشيخ الرئيس ممّا رأى من الصواعق]

قال الشيخ في الشفاء[٨]: وقد تكلّفت إذابة نصلٍ بخوارزم، فلم يذب، وكان يتحلّل منه دخان يضرب إلى الخضرة، حتّى لم يبقَ منه إلّا رماد[٩].

وقد[١٠] حكى أنّه وقع في زمانه في[١١] بلاد جوزجان قطعة من الحديد، وزنها مئة وخمسون منّاً، فنفذت في الأرض، ثمّ نبأت نبوةً أو نبوَتين[١٢] نبوَ كُرةٍ رُمي بها حائط،

---

(١) تكون: يكون A
(٢) فتنفذ: فينفذ A
(٣) تحرقها: يحرقها A
(٤) تكون: يكون A
(٥) يبقي: تبقي P
(٦) أذابتها: إذا هنا A
(٧) الكيس: الكير Ac
(٨) الشفاء، الطبيعيّات، المعادن والآثار العلويّة: ٥
(٩) رماد: رماداً A
(١٠) قد: ـ P
(١١) A47a
(١٢) نبوة أو نبوتين: نبأة أو نبأتين A

ثمّ نشِــبت[١] في الأرض، وكان لها صــوت هائل. فأُخرجت من الأرض، وحمِلت إلى والي جوزجان. فأنفذ محمود بن سُبُكتِكين بطلبها، فلمّا امتنع حملها لثقلها أرادوا كسر قطعة منها، فلم تعمل آلات الحديد والمثاقب[٢] والمبارد فيها[٣]. وبعد الجهد العظيم فصّــلوا قطعة ورام أن يطبع[٤] منها سـيفاً، فتعذّر عليه، وكان جوهرها[٥] مؤلّفاً من أجزاء جاروسيّة صغيرة مستديرة.

وقيل: إنّ كثيراً من السـيوف اليمانيّة مطبوعة من هذه الجواهر، ووصــفُ شــعراء العرب ذلك يدلّ على وقوعه.

ووقع في جبال طبرستان قطعة كبيرة من الحجارة.

والصواعق في الأكثر يتقدّمها رياح[٦] عاصفة.

[شهب الرجم]

وأمّا شــهب[٧] الرجم فمادّتها الدخان اللطيف السريع التحلّل. فإذا وصل إلى الجوّ المحرِق سـرى[٨] فيه الاشـتعال بسـرعة، فيرى كأنّ الكواكب منقذفاً. فإن كانت المادّة لطيفة تحلّلت سـريعاً، وإن كانت كثيفة بقي الاشتعال زماناً. ربّما[٩] له شرر. وقد يكون الاشـتعال بسـبب البرد؛ لانضـغاطه من البرد، وتحرّكه[١٠] إلى أسـفل لثقله عن البرد، فيشتعل لأجل الحركة. فقد[١١] يقع هذه الرجوم إلى الأرض، وقد يكون لها رماد.

---

(١) نشبت: ثبتت A

(٢) المثاقب: المناقب A

(٣) فيها: + شيئاً P

(٤) يطبع: ينطبع A

(٥) جوهرها: جوهراً A

(٦) رياح: ريح A

(٧) شهب: سبب A

(٨) سرى: يرى A

(٩) ربّما: فربّما كان P

(١٠) تحرّكه: بحركته A

(١١) فقد: وقد A

[سبب تكوّنها]

وأمّـا الشـــهـب وذوات الأذنـاب، فـدليل تكوّنها[١] من دخان، وكذا ما ذكرنا[٢] من الرجوم أنّ البخار[٣] الرطب والهواء لا يشتعل[٤]، واليابسة الثقيلة لا يمكن وصولها إلى هنالك لتشتعل، فلم يبقَ مادّة تليق بالاشتعال سوى البخار الدخانيّ اللطيف. فالشهب وذوات الأذناب السببُ في اشتعالها أنّها[٥] لمّا كانت مادّتها هذا الدخان اللطيف، فإذا وصـــل إلى الجوّ المحرق اشـــتعل، ثمّ انطفأ ســـريعاً للطف مادّته. ولا يجوز أن يكون الطفؤ[٦] بـالرطوبـة والهواء البارد[٧]، كما[٨] هو عندنا؛ لأنّ البرد والرطوبة لا يمكن أن يصل إلى هناك. فتعيّن أن يكون السبب الثاني من أسباب الطفؤ هو علّة طفؤها، وذلك هو اســـتحالة مادّتها بالتمام إلى جوهر النار[٩]، فتشـــفّ فلا ترى[١٠]. ويمكن أن يكون منها ما لا يطفأ[١١] زماناً على سبيل التجدّد والاتّصال، فيشتعل جزء، ثمّ يشفّ ويجيء جزء آخر مكانه، فيشـتعل، وهكذا على ســبيل التجدّد[١٢]، فتنحفظ الصــورة. هذا إذا كانت المادّة لطيفة.

فإذا[١٣] كانت المادّة كثيفة وثقيلة ولها مدد، فيبطئ اســتحالتها إلى النار الخالصــة، بشرط أن لا يكون لها مطفئ. ولا تمعن في الارتقاء إلى حيّز[١٤] النار الشديدة المحلّلة لها بسرعة، فيشتعل[١٥]، ويبقى مدّة من الزمان.

---

(١) تكوّنها: تكوينها A
(٢) كذا ما ذكرنا: كراما وكرما A
(٣) البخار: السحاب A
(٤) يشتعل: تشتعل A
(٥) أنّها: أنّه P
(٦) الطفؤ: ألطف A
(٧) البارد: + و A
(٨) A47b
(٩) إلى جوهر النار: _ A
(١٠) فتشف فلا ترى: فنشف فلا نرى A
(١١) يطفأ: ينطفئ A
(١٢) والاتّصال ... التجدّد: _ A
(١٣) فإذا: فإن P
(١٤) حيّز: حرّ A
(١٥) فيشتعل: فيستحيل A

[أقسام صورها]

فقد تكون على صورة ذؤابة أو ذنَب. وأكثر ما تقع(١) من جهة الشمال.

وقد تكون(٢) على صورة كوكب.

ذكر [الشهرزوريّ](٣) أنّ في سنة سبع وتسعين وثلاثمئة ظهر كوكب وبقي(٤) قريباً من ثلاثة أشهر. وكان يلطف على التدريج حتّى فنى، وكان في أوّل ظهوره يميل إلى السواد والخضرة، وما زال يرمى(٥) بالشرر، ويلطف وينقص قليلاً قليلاً حتّى اضمحلّ.

وقد يكون على صور شتّى، من حيوان له قرون أو لحية أو غير ذلك من الصور. كلّ ذلك(٦) إنّما يكون في المادّة الكثيفة الواقفة(٧) التي يلطف أجزاؤها وتتحلّل على التدريج، فيكون حالها كزوائد شعريّة أو قرنيّة.

وإذا كانت المادّة ثابتة لا تطفئ(٨)، فتتحرّك بحركة الهواء المتحرّك بحركة الفلك، فيكون لها شروق وغروب. ويقلّ وجوده هذه الآثار؛ لأنّ المادّة التي تصل(٩) إلى هذا الحيّز العالي(١٠) تحتاج إلى كثافة ليدوم فيها الاشتعال. فلا تصعّدها(١١) إلّا قوّة شديدة لا توجد إلّا في الندرة. وتحتاج(١٢) أيضاً أن تكون محفوظة من التبدّد في الطريق، وهو نادر.

وأمّا الأدخنة التي تعرض لها أن تكون رطبة كثيفة غليظة، فإنّها لا تشتعل عند الصعود، بل تتجمّر(١٣). فيرى لذلك في الجوّ علامات حمرة هائلة. وقد يكون ذلك من

---

(١) تقع: يقع A
(٢) تكون: يكون A
(٣) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٤) وبقي: فبقي P
(٥) يرمى: يرى A
(٦) ذلك: هذا P
(٧) الواقفة: الواقعة A
(٨) تطفئ: تنطفئ A
(٩) تصل: تتّصل A
(١٠) العالي: + المشتعلة مدّة P، + فلا A
(١١) تصعّدها: يصعّد هذه A
(١٢) تحتاج: يحتاج A
(١٣) تتجمّر: يتحجّر A

عكوس إشــراق الشــمس[١] على الغيوم المشــرقيّة في[٢] الصــبح، والمغربيّة[٣] وقت الغروب. وإن [تقحّمت][٤] وخيّلت أنّ في الجوّ هوات، وفي الســماء منافذ وأخاديد، فما استعرض وقلّ ثخنه يسمّى[٥] وهدة، وما قلّ عرضه وازداد ثخنه يسمّى[٦] غوراً. فإن كانت المنافذ ضـيّقة[٧] كانت أشـدّ تخييلاً[٨] لِما ذكرنا؛ لأنّ الأسود من شأنه أن يخيّل البُعد والمنفذ المُظلِم. أ لا ترى أنّه إذا اجتمع في سـطح سـوادٌ وبياضٌ، خيّل الأبيض أنّها أقرب من الأسـود؛ لكون[٩] الأبيض أشـبه بالظاهر، والظاهر أشـبه بالقريب. وأمّا الأسود فيكون بالضدّ من ذلك[١٠].

وجميع الآثار المتكوّنة من الدخان دالّة على كثرة الرياح، وفساد الجوّ، واستحراره، ويبسه، وعلى الأمراض الحارّة اليابسة، وعلى قلّة الأمطار.

[الاختلاف بين الإلهيّ والطبيعيّ في معرفة أسباب هذه الأُمور]

والحقّ أنّ[١١] هـذه أُمور محقّقـة في الأعيـان، وموادّهـا الأدخنـة اللطيفة والكثيفة، وفـاعلها القوى الروحانيّة والاتّصـالات الفلكيّة. وأكثر الحكماء متسـاهلون[١٢] فيها، فيذكرون الأسـباب المادّيّة، لا لأنّها[١٣] تامّة في العلّيّة، بل لأنّها أسـباب مادّيّة طبيعيّة يشهد[١٤] بها التجربة والحدس.

---

(١) الشمس: الشرق A
(٢) A48a
(٣) المغربيّة: المغرب A
(٤) تقحّمت: تفحّمت A، تفحّصت P
(٥) يسمّى: سمّي P
(٦) يسمّى: سمّي P
(٧) ضيّقة: ضعيفة A
(٨) تخييلاً: تخيّلاً A
(٩) لكون: ليكون A
(١٠) من ذلك: ـ A
(١١) أنّ: + كلّ P
(١٢) متساهلون: يتساهلون P
(١٣) لا لأنّها: إلّا أنّها A
(١٤) يشهد: شهد A

وصاحب هذا العلم الطبيعيّ لا يلزمه[١] أن يعطي[٢] الأسباب التامّة للأُمور الطبيعيّة، وإلّا لَخرج عن موضوع علمه؛ فإنّه لو سئل[٣] عن وقوع الأمزجة المختلفة، ولمَ ظهر في الشيء الواحد الأمزجةُ المختلفة ـ كالألوان العجيبة في أرياش الطواويس[٤] ـ يعجز[٥] أن يأتي بعلّة كلّ واحد على التفصيل، بل جوابه الإجماليّ أن يقول: الأمزجة المختلفة توجب[٦] استعدادات في المادّة لأُمور مختلفة.

و[٧] صاحب الإلهيّ عاجز عن[٨] تعليل الأُمور الطبيعيّة، وأحوال الأمزجة، وتوابعها على التفصيل. فالاقتصار[٩] على الإجمال في ذلك[١٠] أولى.

[الرياح وسبب تولّدها]

و[١١] من الأشياء المتولّدة من الأدخنة اليابسة الرياحُ. وهي متولّدة عن الأدخنة؛ لأنّها[١٢] إذا انتهت في صعودها[١٣] إلى الطبقة الباردة، فتثقل[١٤] بالبرد الذي أصابها هناك، فتهبط راجعة متحرّكة إلى الجهات المختلفة بحسب اختلاف الأسباب المحرّكة[١٥] والدافعة[١٦] إلى تلك الجهات. ويحصل من هبوطها بحسب قوّة حركتها

---

(١) صاحب ... يلزمه: لا يلزم صاحب العلم الطبيعيّ P
(٢) يعطي: + العلل P
(٣) سئل: + الطبيعيّ P
(٤) في الشيء ... الطواويس: العضو الواحد أو الريشة الواحدة من ألوان الطاووس والأُمور العجيبة من النقوش والألوان والهيئات P
(٥) يعجز: لعجز P
(٦) توجب: + حصول P
(٧) و: بل و P
(٨) عاجز عن: ليس له قدرة على P
(٩) فالاقتصار: بالاقتضاء A
(١٠) على الإجمال في ذلك: على تعاليل كلّ واحد من الأُمور الطبيعيّة على الإجمال P
(١١) و: + قد بقي P
(١٢) لأنّها: أنّها A
(١٣) صعودها: وجودها A
(١٤) فتثقل: فتشتعل A
(١٥) المحرّكة: المتحرّكة A
(١٦) A48b

وضعفها تموّج في الهواء، وهو الريح. فهذا هو السبب الأكثريّ في تولّد الرياح.

وأمّا السبب الأقلّيّ، فلأنّ الأدخنة إذا لم تبرد عند الوصول إلى الهواء البارد، وبقيت على حرارتها، فإنّها تصعد ـلخفّتهاـ إلى الكُرة الهواء المتحرّكة بحركة الفلك، فلا تقوى[1] على الصعود؛ لمنع الحركة الدوريّة الناريّة الأدخنةَ عن الصعود، فتعود نازلة إلى الجهات، ويحدث الرياح لهذا السبب.

وقد تحدث الريح بحركة[2] الهواء وحده؛ لِتخلخل بعضه بالسخونة؛ فإنّ الشمس تخلخل[3] ما مرّت به، فينبسط، ويسيل[4] الهواء، ويحصل الريح.

[مادّتها]

ومادّة الرياح هي الأدخنة اليابسة، ولو كان [مادّتها][5] الهواء نفسه لم يبقَ الريح زماناً طويلاً، بل كانت تبقى بمقدار ما يحرّكه شيء أو يخلخله.

ويعرف من تمانع الريح والمطر كلّ[6] منهما الآخر، أنّ مادّة أحدهما غير مادّة الآخر؛ فإنّ السَنة الكثيرة الأمطار لِتوفّر البخار يقلّ الرياح، وبالعكس؛ فإنّ[7] السَنة الكثيرة الرياح يقلّ المطر، ويحصل الجَدب[8].

[إعانتها على المطر]

وقد يعين[9] على المطر حدوث الريح؛ فإنّه إذا بلّ الأرضَ أعدّها لانفصال الدخان؛ لإعانة رطوبة المطر على تحليل اليابس وتصعيده. والريح تُعين على تولّد المطر

---

(١) تقوى: يقوى A
(٢) بحركة: لحركة P
(٣) تخلخل: يخلخل A
(٤) يسيل: + له P
(٥) مادّتها: مادّته AP
(٦) كلّ: كلّاً A
(٧) فإنّ: في P
(٨) الجدب: الجذب A
(٩) يعين: تعين A

بجمعها[(١)] السحابَ، أو تُعين على تحلّل ما فيه من البخار الدخانيّ[(٢)].

[الزوبعة]

والزَوبَعة[(٣)] أكثر ما تتولّد[(٤)] من الرياح السحابيّة الرطبة الثقيلة المندفعة إلى جهة السفل، فتصدم[(٥)] بسحابة[(٦)] أُخرى، فتلويها، فتستدير نازلة.

وقد يكون من[(٧)] مادّة ريحيّة نزلت إلى أسفل، فقرعت الأرض، وانثنت عنها، فلقيتها[(٨)] أُخرى، فلوتها.

وقد تكون من تلاقي[(٩)] ريحين، وقد تبلغ شدّتها أحياناً إلى أن تقلع الأشجار وتختطف[(١٠)] مراكب البحر.

وقد تشتمل على قطعة من السحاب، فتديره، [فترى][(١١)] كأنّ تنيناً يطير في الهواء.

[أصناف الرياح]

والرياح اثنا عشر صنفاً[(١٢)]:

ـ ثلاث مشرقيّة[(١٣)]، مشرق الاعتدال والانقلابين[(١٤)].

ـ ويقابلها[(١٥)] من المغرب مثلها.

ـ وثلاث شماليّة، تقاطع[(١٦)] خطّ نصف النهار والأُفق، ونقطتا تقاطع دائرتين

---

(١) بجمعها: لجمعها P

(٢) الدخانيّ: الدخان A

(٣) الزوبعة: ريح تدور في الأَرض، لا تقصد وجهاً واحداً، تحمل الغُبار، وترتفع إلى السماء، كأنّه عمود. (لسان العرب)

(٤) تتولّد: يتولّد A

(٥) فتصدم: فيصدم A

(٦) بسحابة: سحابة P

(٧) من: ـ P

(٨) فلقيتها: فتمنها A

(٩) تلاقي: ملاقي A

(١٠) تختطف: تخطف A

(١١) فترى: فيرى AP

(١٢) صنفاً: ـ A

(١٣) ثلاث مشرقيّة: ثلاثاً مشرقيّة من A

(١٤) A49a

(١٥) يقابلها: تقابلها A

(١٦) تقاطع: تتطالع A

موازيتين لدائرة نصف النهار مماسّتين للدائرتين[١] الدائمتي الظهور والخفاء.

ـ وثلاث تقابلها من الجنوب.

ولها[٢] أسماء عند اليونانيّين والعرب. فهذه[٣] هي العلل المادّيّة للرياح.

وأمّا العلل الفاعليّة فهي القوى الروحانيّة والاتّصالات الفلكيّة.

[الأُمور الحادثة على وجه الأرض]

ثمّ[٤] الأبخرة والأدخنة والأهوية المحتبسة[٥] في باطن الأرض، إمّا كثيرة قويّة، أو ضعيفة قليلة.

[العيون السيّالة]

والأوّل إن كان البخار كثيراً قويّاً على تفجير[٦] الأرض مستتبعاً كلّ جزء منها جزءاً آخر، حدثت العيون السيّالة المتفجّرة[٧]. فكلّما استحال[٨] ما في باطن الأرض والغيران من الأبخرة والأهوية المحتبسة ماءً بالبرد الشديد، جرت من المواضع العالية إلى السافلة. فلا بدّ وأن ينجذب[٩] إلى مواضعها من الأهوية والأبخرة ما يكون عوض ما جرى؛ لئلّا يلزم الخلأ. وهكذا دائماً[١٠] إن لم يمنع مانع[١١] من ذلك.

وليس هذا حصراً للسبب في تكوّن هذه المياه والعيون في هذه الأهوية والأبخرة، بل هو ذكر للسبب الدائميّ الأكثريّ. ولا يمنع أن يكون هناك أسباباً أُخرى لها غير

---

(١) للدائرتين: الدائرتين A

(٢) لها: لهما A

(٣) فهذه: فهذا A

(٤) ثمّ: ـ P

(٥) المحتبسة: + داخل A

(٦) تفجير: تفجّر A

(٧) المتفجّرة: المنفجرة P

(٨) استحال: استحالة A

(٩) ينجذب: تنجذب A

(١٠) دائماً: + و A

(١١) مانع: مائع A

ذلك، بل يجوز أن يكون الواحد النوعيّ منها له أسـباب متعدّدة، وإن كان عن البعض أكثر. وأهل الحكمة إنّما يذكرون الأسباب الأكثريّة الغالبة.

[العيون الراكدة]

فإن[١] كانت الأبخرة قويّة على تفجير الأرض، إلّا أنّها لا تكون بحيث يستتبع[٢] كلّ جزء منها جزءاً آخر، حدثت العيون الراكدة.

[القنى والآبار]

وإن كـانت كثيرة المقدار، بحيث يسـتتبع[٣] كلّ منها الآخر، إلّا أنّها لا تقوى على تفجير الأرض، حدثت القنى؛ فإنّها تتكوّن[٤] من أبخرة لا تقوى[٥] على شـقّ الأرض. فإذا أُعينَت بإزالة التراب عن وجهها وطُرِق لها[٦] السـبيل، فصـادفت عند ذلك منفذاً، فاندفعت إليه بأدنى حركة. وإن حفر في موضـع واحد، فسـال إليه مياه[٧] تلك النواحي القريبة، ولم يطرق[٨] له السبيل[٩] ولا أُعين بما[١٠] يوجب حركته ودفعه، فهو ماء البئر.

ونسبة القنى إلى الآبار، كنسبة العين السيّالة إلى العين الراكدة.

[أفضل المياه وأردؤها]

وماء العيون السيّالة أفضل؛ لأنّ هذه الحركة تلطّفها.

وأمّـا ميـاه النزّ[١١] فـأردأ الميـاه؛ لتولّـدها من بخارات كثيرة ليس لها قوّة على خرق

---

(١) فإن: وإن A
(٢) تكون بحيث يستتبع: تستتبع أن يكون A
(٣) يستتبع: تستتبع A
(٤) تتكوّن: يتكوّن A
(٥) تقوى: يقوى A
(٦) لها: ـ A
(٧) A49b
(٨) يطرق: يتطرّق A
(٩) السبيل: السيل A
(١٠) ولا أُعين بما: ممّا A
(١١) النزّ: البئر P

الأرض، فتندفع منتشرة[١]. والذي يتحلّل عنها أكثر من المتبخّر؛ لِرخو أرضها، والباقي المحتبس يتعفّن؛ لِطول إقامته، ومخالطته للأرض[٢]، وبطوء حركته إلى البروز.

وماء العيون الراكدة والآبار إذا نزِحت رجع إليها بدله؛ لأنّ البخار الذي هو مادّة لهما[٣] إنّما كانت قوّته أن تندفع[٤] إلى المبلغ المستقرّ عليه في الأوّل. ثمّ إنّه يثقل[٥] بعد ذلك، بحيث لا يتمكّن[٦] الماء الذي تحته أن يحمله وينزّ[٧] عنه، بل يكون ماء البئر كالستر[٨] له، كالأرض التي كانت قبل ذلك. فمتى نقص من ذلك الماء الثقلُ[٩] الذي هو المانع، كان للبخار من القوّة والقدرة ما يندفع ويصعد، إلى أن ينتهي إلى حدّه الأوّل.

[الزلزلة]

وأمّا إذا كان المتولّد في باطن الأرض دخاناً[١٠] كثيراً قويّاً له اندفاع كالريح، وكان وجه الأرض عديم المنافذ، والمسامّ كثيفة، فإنّه يطلب الخروج والترقّي إلى مصعد اليابس الخفيف. فإذا حاول ذلك ولم يتمكّن ـ لِما ذكرنا من كثافة وجه الأرض وصلابتها ـ تحرّك في ذاته، وصدم الأرض، وقاوَمها مقاومات شديدة. ولا يزال كذلك إلى أن يحرّك الأرض ويُقلقلها[١١]، وذلك هو الزلزلة. فإن كانت المادّة كثيرة والمقاومة شديدة، كانت الزلزلة عظيمة هائلة، وإلّا كانت متوسّطة أو ضعيفة.

---

(١) فتندفع منتشرة: فيندفع A
(٢) للأرض: الأرض A
(٣) لهما: ـ A
(٤) قوّته أن تندفع: قويّة أن يندفع A
(٥) يثقل: ينقل A
(٦) يتمكّن: يمكن A
(٧) ينزّ: يبرز P
(٨) كالستر: كالسدّ P
(٩) الثقل: الثقيل A
(١٠) دخاناً: بخاراً A
(١١) يقلقلها: يغلقها A

وقد تبلغ من قوّتها وشدّتها أن تشقّ الأرض أحياناً، فقد يخرج بعد ذلك نار محرقة مشتعلة معها الأصوات الهائلة. وقد تخرج أدخنة سود من غير اشتعال، ويكون لها رائحة كريهة. ويكون نظير حدوثها في الأرض وخروجها بالأصوات الهائلة والاشتعال من الأدخنة، كحدوث الرعد والبرق عن الأبخرة المتصاعدة في الجوّ، فهو[١] رعد الأرض وبرقه.

[منافع الزلازل]

ومنافع الزلازل تفتُّح مسامّ الأرض؛ ليتطرّق[٢] بذلك الماء إلى العيون والقنوات، وإشعارُ قلوب فسَقة العامّة الرعب من[٣] اللّه تعالى.

[قلّة وقوع الزلزلة في الشتاء والصيف]

وقلّما تعرض الزلزلة شتاءً؛ لشدّة إجماد برده الدخانيّ[٤]، ولا صيفاً؛ لشدّة تحليل حرّه، وأكثر ما يقع ربيعاً وخريفاً[٥].

[تكوُّن الجبال والحجارة]

وأمّا تكوُّن[٦] الجبال والحجارة فيكون من طين لزج جفَّ وتحجَّر، إمّا بالحرّ المفجّر، أو باليبس[٧] الشديد الأرضيّ. ولمّا كان الجبل يتكوّن في الماء، فالحرارة الشديدة المحتقنة في البحر إذا صادفت[٨] طيناً كثيراً لزجاً عقده[٩] حجراً عظيماً، إمّا

(١) A50a
(٢) ليتطرّق: ليتطرّقه A
(٣) الرعب من: رعب P
(٤) لشدّة ... الدخانيّ: لجماد برودة الدخان A
(٥) ربيعاً وخريفاً: ربيعيّاً وخريفيّاً P
(٦) تكوّن: ما يكون A
(٧) باليبس: اليبس A
(٨) صادفت: صار A
(٩) عقده: عقدته A

دفعةً، أو على مرور الأيّام.

ولمّـا كـان الطين غير متشـابه الأحوال، بل يختلف بالهيئات[١] الكثيرة، فيجب أن يختلف أيضاً أحواله بعد التحجّر بالرخاوة والصلابة واللين وغيرها من الهيئات[٢].

فبعد بروز الجبل وظهوره من الماء، لا يزال المياه القويّة الجريان والسيول الشديدة والرياح العاصفة تحفر[٣] الرخو الضعيف، ويبقى الصلب الشديد. ولا يزال ذلك فعلها على مرور الأيّام إلى أن يصـير بعضـها منخفضاً غائراً، وبعضها مرتفعاً شاهقاً، على ما هو هيئة الجبال الواقعة في الوجود.

وتحجّر الجبال إنّما يكون في مدّة[٤] لا يضبطها الأعمار ولا يفي بحفظها التواريخ، فجـاز أن يكون هـذه المعمورة في قـديم الزمـان غير معمورة، بـل مغمورة بـالماء. ثمّ تحجّرت بعـد الانكشـاف قليلاً قليلاً أو تحجّرت تحـت المـاء؛ لِما ذكرنا من احتقان الحرارة الشديدة هناك. ولأنّ أكثر الجبال في التفتّت؛ لبُعد عهد نُشوئها وتكوّنها، إلّا أن يكون في الجبال الباردة إن أمكن زيادتها، فبسبب[٥] تحجّر مياه أو سيول يؤدّي[٦] إليه طيناً كثيراً، فيتحجّر هناك.

وإذا ثبت أنّ الجبال الآن في سلطان التفتّت والانرضاض، وأنّ طبيعتها قابلة للفساد، وكلّ فاسـدٍ كائن، فلا بدّ من فسادها وذهابها بالكلّيّة، فلا يستبعد[٧] عند ذلك أن يصير البرّ بحراً والبحر[٨] برّاً؛ فإنّ الطبيعة ممتلئة[٩] بالعجائب ومشحونة بالغرائب.

---

(١) بالهيئات: بالهيئة A
(٢) الهيئات: الهيئة A
(٣) تحفر: يحفر A
(٤) مدّة: مدد P
(٥) فبسبب: بسبب A
(٦) يؤدّي: تؤدّي A
(٧) يستبعد: تستعدّ A
(٨) A50b
(٩) ممتلئة: حبلى P

[تحجّر بعض الحيوانات والنباتات]

وإذا كان الماء مع بُعده عن الأرضيّة يتحجّر[١] سريعاً لقوّة معدِنيّة فيه، فلا يبعد أن يتحجّر بعض الحيوانات والنباتات، فيستحيل حجارة صلبة؛ لقوّة معدِنيّة[٢] تغلب[٣] عليها، فتحيلها. فهي أقرب إلى الأرضيّة من الماء الذي شوهد تحجّره في أسرع وقت.

وقد شوهد بعض الحيوانات وقع في معدِن الملح، فصار ملحاً، والواقع في الحريق فصار[٤] ناراً.

وحكي عن[٥] الشيخ[٦] أنّه شاهد رغيفاً فيه جميع هيئات الرُغفان وتخاطيطه[٧]، وقد تحجّر. فإن كان رغيفاً حقّاً فهو لمثل تلك القوّة المعدِنيّة أو الهوائيّة التي تطرأ أحياناً بمعاونة[٨] القوى الروحانيّة والاتّصالات الفلكيّة على قوم أو بلدة، فتحجّرهم مع آلاتهم. فكثيراً[٩] ما يشاهد في البلدان الخربة المندرسة من ذلك أشياء.

[منافع الجبال]

و[١٠] منافع الجبال[١١] كثيرة، هي[١٢] حابسة للأبخرة والأدخنة التي يتولّد منها العيون والسحب والجواهر المعدِنيّة لصلابتها[١٣] وكثافتها، فلا تتركه ينفش[١٤] ويتحلّل، كما يكون في الأراضي السهلة الرخوة. فهي تحقن الحرارة المبخّرة، وتجمع

---

(١) يتحجّر: يعرض له التحجّر P
(٢) فلا يبعد ... معدنيّة: _ A
(٣) تغلب: يغلب A
(٤) فصار: وصار P
(٥) حكي عن: حكى P
(٦) الشفاء، الطبيعيّات، المعادن والآثار العلويّة: ٥
(٧) تخاطيطه: تخليطه A
(٨) بمعاونة: لمعاونة A
(٩) آلاتهم فكثيراً: الأتم فكثير A
(١٠) و: + أمّا P
(١١) الجبال: + فهي P
(١٢) هي: فهي P
(١٣) لصلابتها: بصلابتها P
(١٤) ينفش: ينعش A

البخار، وتعدّ[١] لبعضه منفذاً يخرج فيه، بعد أن يتكاثف ويصير مياهاً، وهي العيون.

وبعضه[٢] لقوّة جرمه وكثافته يخرج من الأرض غير متحلّل بسرعة، فيندفع إلى الحيّز البارد من الهواء، ويتكاثف، ويصير سحباً وغيرها[٣].

وبعضه يحتبس في باطن الجبل، مختلطة بالأرضيّة، مقيمة هناك إلى تمام كمالها، من غير انفشاش[٤] ولا تفرُّق، فلا شيء لهذه الأشياء أنفع من الجبال.

فلذلك[٥] ترى أكثر العيون والسحب منها تتولّد[٦]، ثمّ تتوجّه[٧] بعد ذلك إلى سائر النواحي، وكذلك الجواهر المعدِنيّة. والمعين على تولّد البخار وحفظه[٨] في باطن الجبال كثرة الأنداء في باطنها، وكثرة[٩] الثلوج على ظواهرها، المانعة من نفوذ الحرارة فيها.

ويشبّهون حقن الجبل الأبخرةَ وانفجارَ العيون عنه بالأنابيق الصلبة التي تحقن البخار وتجمعه ماء مقطّراً، ولو كان[١٠] من خشب متخلخل لكان ينقش ويخرج[١١]. فالجبال كالأنابيق، وما يستقرّ عليه من الأرض كالقرع، والعيون كالأذناب في الأنابيق، والأودية[١٢] والبخار كالقوابل.

وللجبال منافع أُخرى كثيرة، لا يمكن الإحاطة بها.

[أسباب انكشاف بعض نواحي الأرض]

واعلَم أنّ طبيعة كلّ عنصر أنّه محيط بما يليه، فينبغي أن يكون الماء محيطاً

(١) تعدّ: + له A
(٢) بعضه: ـ A
(٣) غيرها: غير ذلك A
(٤) انفشاش: انعشاش A
(٥) فلذلك: فذلك A
(٦) تتولّد: يتولّد A
(٧) تتوجّه: يتوجّه A
(٨) حفظه: حفظ A
(٩) كثرة: كثر A
(١٠) كان: كانت A
(١١) A51a
(١٢) الأودية: الأدوية A

بـالأرض. والوجود غير واقع على مـا هو طبيعيّ للمـاء والأرض، بـل هو واقع على مـا يقتضـيه نظام الكلّ؛ فإنّ العناية الإلهيّة تقتضي[١] إيجاد الحيوانات المتنفّسة المحتاجة إلى الأرض، فانكشف[٢] بعضها لأسباب:

منها: اسـتحالة[٣] العناصـر بعضـها إلى بعض. وإذا اسـتحال بعض الماء أرضـاً، وبعض الأرض ماءً وناراً، فيقع في الأرض بسببه تضريس، ويحصل فيها غور ونجد.

ومنها: مسـامتات الكواكب وتبدّل أوضاعها، لا سيّما الثوابت التي يتغيّر مسامتاتها وأوضـاعهـا المنتقلـة إلى الشـمـال تـارةً وإلى الجنوب أُخرى، وكـذا الأوجـات والحضـيضـات. وهذه من الأسـباب[٤] العظام الموجبة لانتقال العمارة والبحار[٥] من صُقع إلى صُقع، بتبخير الرطوبة وتصعيدها إلى جهة أُخرى.

ومنها: أنّه لا بدّ وأن يكون بين الماء والأرض طين، والشـمس والكواكب تحجِّره على ممرّ الأيّام، حتّى يصير ـكما قلناـ جبلاً عظيماً. فينتقل البحر برّاً، والبرّ بحراً، فينكشف لهذه[٦] الأسـباب الربع المسـكون. وهو في الطول نصف الدور، وفي العرض من خطّ الاستواء إلى تمام الميل الكلّيّ شماليّاً، ومنه إلى قريب ستّة عشر درجة جنوبيّاً.

[سبب غمور أكثر الأرض بالماء]

ولـم يقم[٧] برهـان واضــح على أنّ باقي الأرباع مغمورة بالماء، إلّا ما كان من غلبة الظنّ أنّ الطبيعة[٨] المائيّة تقتضي[٩] الغمور للأرض؛ لكون الماء أكثر[١٠] من الأرض؛

---

(١) تقتضي: يقتضي A
(٢) فانكشف: ما يكشف A
(٣) استحالة: استحال A
(٤) الأسباب: الأشياء A
(٥) البحار: ـ A
(٦) لهذه: لهذا A
(٧) يقم: تقم A
(٨) الطبيعة: الطبيعيّة A
(٩) تقتضي: يقتضي A
(١٠) أكثر: أكبر A

لكون العناية الإلهيّة تقتضي[١] أن يكون كلّ عنصر إذا استحال بالكلّيّة إلى آخر أن يكون مثله. فإذا استحال الماء إلى الأرض ـ على تقدير عدم الغمور للأكثر ـ يصير أصغر من[٢] الأرض. فثبت[٣] أنّ الماء يغمر الأكثر من الأرض.

[رأي القدماء في عمارة ناحية الجنوب]

والقدماء من أرباب الرصد قالوا[٤]: إنّ ناحية الجنوب لا تحتمل[٥] العمارة؛ لقرب الشمس من الأرض.

[جواب الشهرزوريّ عنهم]

قال [الشهرزوريّ][٦]: وفيه نظر؛ لأنّ خروج الشمس عن المركز هناك ليس بكثير. ثمّ إذا فرضنا ما تحت مدار الجَدي شديد الحرّ، فالإمعان بعد ذلك إلى ناحية القطب الجنوبيّ يكون أقلّ حرّاً، فيمكن المقام هناك، فيمكن أن يكون فيه عمائر في البرّ وجزائر في البحر.

واعلَم أنّ خطّ الاستواء يجتاز[٧] في البحر في أكثر المواضع. والأشبه أنّ ما جاوز خطّ الاستواء في ناحية الجنوب في حكم البهائم والسباع، وكذلك الحكم في ما جاوز تمام الميل في ناحية الشمال.

[رأي قدماء المشّائين في إمكان حياة الحيوان بين خطّ الاستواء ورأس الجَدي]

وقال قدماء المشّائين: إنّ الأرض المحترقة وهي التي بين الدائرة الخارجة عن

---

(١) تقتضي: يقتضي A
(٢) A51b
(٣) فثبت: فيثبت أنّ الأشبه P
(٤) والقدماء ... قالوا: ثمّ قال القدماء من أرباب الرصد P
(٥) تحتمل: يحتمل A
(٦) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٧) يجتاز: يختار A

[مجاز][(١)] رأس الجَدي، إلى الأرض المحترقة وهي التي تحاذيها[(٢)] الشـــمس بمدارها إلى خطّ الاســتواء، فإنّ الشــمس تســخّن[(٣)] هذا القدر تسخيناً شديداً لا يمكن أن يقيم فيه[(٤)] الحيوان.

[جواب الشيخ الرئيس عنهم]

قال الشيخ في الشفاء[(٥)]: إنّ ما[(٦)] حكموا به[(٧)] ليس بحقّ؛ لأنّ هاهنا بلاداً عرضها[(٨)] أقلّ من الميل، والشـــمس تســـامت رؤوس أهلها مراراً، مع أنّها عامرة. وفي نفس خطّ الاســتواء بلاد عامرة كسَــرَنديب[(٩)]. والقياس يقتضــي أن يكون خطّ الاســتواء أصــلح المواضــع للســكنى، وأولاها بالاعتدال؛ لأنّك علمتَ أنّ الحرّ ليس لأنّ الشـــمس أو شـعاعها ناريّ أو أنّها تقهر النار بالنزول؛ لأنّ الجســم المستعدّ لقبول الحرارة إذا أضاء سخن[(١٠)]، وكلّما كانت الإضاءة أشدّ كانت الحرارة أقوى.

واشتداد الحرارة في الصيف ليس بسبب القرب منّا؛ فإنّها في هذا الوقت في الأوج، فهي أبعد[(١١)]، بل هي أقرب مسامتةً. وفي الشتاء أقرب[(١٢)] مسافةً وأبعد[(١٣)] مسامتةً.

[كيفيّة إضاءة نور الشمس على البلاد في العروض المختلفة]

إذا عرفتَ هذا، فالشـعاع الواقع من الشـمس على سبيل التشبيه يكون[(١٤)] على هيئة

---

(١) مجاز: محاذ A، مجار P، وما أثبتناه من: الشفاء، الطبيعيّات، المعادن والآثار: ٢٧

(٢) تحاذيها: محاذيها A

(٣) تسخّن: يسخّن A

(٤) فيه: فيها A

(٥) الشفاء، الطبيعيّات، المعادن والآثار: ٢٧

(٦) إنّ ما: إنّما A

(٧) حكموا به: حكوه P

(٨) بلاداً عرضها: بلاد غرضها A

(٩) جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند. (معجم البلدان: ٢١٥/٣)؛ ويسمّونها اليوم سري لانكا.

(١٠) سخن: تسخّن A

(١١) أبعد: أبعدها A

(١٢) أقرب: لقرب A

(١٣) أبعد: أقرب A

(١٤) يكون: ـ A

مخروطة أو[١] أُسطوانة، ووسطه[٢] المتوهّم أنّه شيء متّصل بين[٣] الشمس والمستضيء، يكون خارجاً من المركز، نافذاً من وسط المخروط كالمحور، يكون أشدّ تسخيناً من الأطراف؛ لشدّة نوريّته وضعف الأطراف. فالبلاد الواقعة في وسط هذا المخروط أشدّ إنارة، فهي أشدّ سخونة[٤]. وما يبعد يكون أقلّ إضاءة وسخونة[٥]. وليس التسخين بهذه[٦] المسامتة فقط، وإلّا يلزم أن يكون حرّ السرطان أشدّ من حرّ الأسد، وحرّ الثور مساوياً[٧] لحرّ[٨] السنبلة، وليس كذا.

ثمّ لو جاز على الشمس الانتقالُ إلى السرطان دفعة، فإنّها لا تسخّن[٩] ما تحتها من البلاد تسخيناً قويّاً، كالنار الحاصلة من بيت دفعة؛ فإنّها لا تسخّن تسخيناً كثيراً، إلّا أن يدوم مكثها. فالمداومة تقتضي[١٠] زيادة حرّ إلى حرّ، ولأجل ذلك كان الحرّ بعد الزوال أشدّ ممّا قبل الزوال.

فالبلاد التي لها عروض تقرب[١١] الشمس منها بتدريج يتقدّمه تسخين بعد تسخين هكذا إلى حين المسامتة، فحينئذٍ[١٢] تقيم عندها مدّة غير متنحّية عن سمت الرأس؛ لصغر الميل وقلّته عند قرب الوصول[١٣] إلى أحد المنقلبين، لا سيّما إذا جاوزت سمت الرأس، ثمّ عادت[١٤] إلى المسامتة مرّة أُخرى، كالعروض الناقصة عن الميل الكلّيّ. وينضمّ إلى ذلك طول النهار وقصر الليل، فيدوم إلحاح[١٥] الشمس عليها بالتسخين،

---

(١) مخروطة أو: مخروط و P
(٢) A52a
(٣) بين: من A
(٤) سخونة: سخونته A
(٥) سخونة: سخونته A
(٦) بهذه: لهذه A
(٧) مساوياً: مساوٍ P
(٨) لحرّ: بحرّ A
(٩) تسخّن: + تسخيناً A
(١٠) تقتضي: يقتضي A
(١١) تقرب: بقرب A
(١٢) فحينئذٍ: فحين P
(١٣) الوصول: الفصول A
(١٤) عادت: عاودت P
(١٥) إلحاح: إنجاح A

فلا جرمَ يكون الحرّ كثيراً شديداً.

و(١) خطّ الاستواء فبخلاف ذلك(٢) كلّه؛ فإنّ الشمس فيه تُسامت دفعة؛ لكثرة الميول وتفاوتها، التفاوت الذي(٣) يكون التاثير فيه كتأثير(٤) المسامتة الحادثة مغافصة. ثمّ تبعد(٥) بعد ذلك عن سمت الرأس سريعاً من غير إلحاح ولا مكث، مع زيادة بُعد(٦) في كلّ ساعة وازدياد الميل مع مساواة الليل والنهار. فيعتدل حرارة نهارهم ببرد(٧) ليلهم، فلا يكون الهواء غاية في الحرّ ولا البرد. ثمّ لا تعود المسامتة إلّا بعد نصف سنة، فتعود(٨) مرّة أُخرى إلى المسامتة ـ على القانون الذي مرّ ـ، فلا يشتدّ الحرّ ولا البرد(٩) هناك.

والبلاد الكثيرة العرض(١٠) يكون البرد فيها قويّاً، ثمّ يتعقّبه الحرّ الشديد، فالأبدان فيها قد ابتُليت بالانتقال من الضدّ إلى الضدّ. وليس الأمر كذلك(١١) في خطّ الاستواء؛ فإنّ الأبدان ينتقل من الاعتدال إلى حدّ غير بعيد. فخطّ الاستواء متشابه(١٢) الأحوال، والأمزجة الناشئة فيه لا تحسّ(١٣) بتغيّر محسوس يقع فيها(١٤) لاعتدال أهويتهم، فيكون كأنّهم في ربيع دائم.

ولمّا كانت الشمس في خطّ الاستواء تُسامت رؤوسهم في السنة مرّتين، وتبعد عن سمت رؤوسهم مرّتين، فهناك صيفان وشتاءان. ولمّا توسّطت في طرف الشمال في

---

(١) و: + أمّا P
(٢) ذلك: هذا P
(٣) التفاوت الذي: للذي A
(٤) كتأثير: بتأثير A
(٥) تبعد: يبعد A
(٦) بعد: تعدّ A
(٧) ببرد: ببرودة P
(٨) فتعود: فيعود A
(٩) A52b
(١٠) العرض: العروض A
(١١) الأمر كذلك: كذلك الأمر A
(١٢) متشابه: مع تشابه A
(١٣) تحسّ: يحسّ A
(١٤) يقع فيها: فيها يقع A

ذهابها[١] مرّة وفي رجوعها أُخرى، وكذلك في طرف الجنوب، فهناك ربيعان وخريفان، ففصول السنة هناك ثمانية.

وللحرّ أسـباب أُخرى؛ فـإنّ البلاد الجبليّـة أبرد من الغابرة[٢]، والشـمال أبرد من الجنوب؛ لمرورها على الثلوج.

والجنوب تسـخّن[٣]؛ لمرورها على البحار والأماكن الحارّة، إلّا أن يكون في وجه البلدة جبل.

والبلاد الشـرقيّة[٤] أسـخن من الغربيّة، لا[٥] لِما قيل: إنّ الشـمس آخذة عنها في حركتهـا ومودَعـة إيّـاهـا في الغربيّة، والشـرقيّة تكون[٦] آخذة عنها؛ فإنّ كلّ نقطة من الأرض تأخذ[٧] الشمس إليها وعنها على السواء، بل لأنّ البحر الذي خلفه والذي عن جنوبه تُسـامته[٨] الشـمس قبل مسامتة رؤوسهم، فتثير بخاراً كثيراً[٩]، ووقت مسامتتهم لا يخلو عن بحر قريب تسامته[١٠] أيضاً.

والبلاد البحريّة تسـخن بالتبخير الكثير الذي يحمى بانعكاس شعاع الشمس، وإن عُدمت هذه العلّة كانت باردة؛ لتبريد الماء إيّاها.

وأمّا البلاد المغربيّة فإنّ الشـمس تأتيهم[١١] من غير مرور ببحر يعتدّ به؛ لأنّ البحر يقع غربيّاً عنهم، ووقت مُحاذاة الشمس له تكون[١٢] آخذة في البُعد عنهم.

وممرّات الكواكب لها أثر عظيم في الحرّ والبرد، إلّا أنّ إدراكها خفيّ[١٣].

---

(١) ذهابها: جهاتها A
(٢) الغابرة: الغابة A
(٣) تسخّن: يسخّن A
(٤) الشرقيّة: المشرقيّة A
(٥) لا: إلّا A
(٦) تكون: يكون A
(٧) تأخذ: يأخذ A
(٨) تسامته: مسامتة A
(٩) كثيراً: كثيرة A
(١٠) تسامته: يسامته A
(١١) تأتيهم: يأتيهم A
(١٢) تكون: يكون A
(١٣) خفيّ: + جدّاً P

[الطوفان]

واعلَم[١] أنّ الطوفان عبارة عن غلبة بعض العناصر على الربع المسكون، كلّه أو بعضه، بسبب اجتماعات من الكواكب على هيئة مخصوصة توجب تغليب أحد العناصر لاستعدادات عنصريّة؛ فإنّ العنصر قابل[٢] للزيادة والنقصان، والوجود المتوسّط وإن كان هو[٣] الغالب، إلّا أنّ وقوع أحد طرفَي الإفراط والتفريط ممكن، وذلك يقتضي انتقال العمارة. وإن كان انطباق منطقة البروج على معدّل النهار ممكناً ـكما قيلـ، فلا بدّ من فساد العمارة بالكلّيّة وفناء الأنواع، وذلك هو القيامة الكبرى. فيكون في العالم قيامات كثيرة تتوالى في سنين لا يضبطها الأعمار، ولا يحفظها التواريخ.

و[٤] بعد فساد الأنواع فيمكن أن تحدث[٥] بعد ذلك بالتولّد، دون التوالد؛ فإنّ الحيّات تتولّد[٦] من الشعر[٧]، والعقارب يتولّد من التبن[٨]، والباذَروج[٩] والضفادع من المطر، والفأر من المدر. فيمكن[١٠] أن يكون الإنسان وغيره من الحيوانات يفنى بالكلّيّة، ثمّ يحدث بالتولّد، دون التوالد.

وكون أمثال ذلك[١١] لا يقع إلّا[١٢] في النوادر عند تشكّل[١٣] غريب يقع من الفلك، لا يوجب امتناعه أو أن[١٤] لا يكون له وجود.

---

(١) A53a

(٢) العنصر قابل: العناصر قابلة P

(٣) هو: هذا A

(٤) و: + أمّا P

(٥) تحدث: يحدث A

(٦) تتولّد: يتولّد A

(٧) الشعر: الشعير P

(٨) التبن: التين A

(٩) الباذروج: نبتٌ طيّب الريح. (لسان العرب)

(١٠) فيمكن: ممكن P

(١١) ذلك: هذه P

(١٢) لا يقع إلّا: إنّما يقع P

(١٣) تشكّل: شكل A

(١٤) أن: ـ A

[تكوّن المعدنيّات]

وألحق بهذا الكلام المعدِنيّات.

اعلَم أنّ الأبخرة والأدخنة[١] التي تولّدت تحت الأرض، إن كانت مادّتها كثيرة وقوّتها شديدة، فإنّها تفجّر الأرض وتخرج عيوناً جارية[٢] أو زلازل هائلة. وإن كانت قليلة ضعيفة القوّة، بقيت محتبسة في الأرض، فتمزج القوى[٣] المودَعة في الأجسام بعضها ببعض، وتخلّطها على ضروب، فتُعدّها لقبول قوى[٤] وصور تكون[٥] بها أنواعاً، وهي الجواهر المعدِنيّة. ويختصّ كلّ واحد منها ببقعة من الأرض يوجد فيها، فإن أُخذ عادت القوّة المعدِنيّة فولدَته[٦] مرّة أُخرى، وهكذا يكون الحال مهما[٧] كانت القوّة هناك موجودة.

فإن نقلتَ ما تولّد في المعدِن[٨] فودعتَه[٩] في أرض أُخرى، فإنّه لا يتكوّن منه شيء؛ لكون القوّة المولّدة له[١٠] في أرض المعدِن فقط، بخلاف البزور التي تنقل[١١] من أرض إلى أرض إذا كانت التربة موافقة؛ فإنّها إذا زرِعت تولّد منها شيء. والقوّة المولّدة للحيوان الموجودة في الشخص يتولّد حيث يكون الشخص[١٢].

وشبّهوا القوى في المعادن للنفوس[١٣] والقوى النباتيّة والحيوانيّة في النبات والحيوان. ويكون الفرق بينهما أنّ هذه تتوالد أشخاصها، والمعدِنيّات تتولّد[١٤] معادنها[١٥].

---

(١) والأدخنة: ـ A
(٢) جارية: خارجة A
(٣) القوى: القوّة A
(٤) قوى: + أُخرى P
(٥) تكون: يكون A
(٦) فولدته: تولّده A
(٧) مهما: منهما A
(٨) A53b
(٩) فودعته: فزرعته P
(١٠) له: ـ A
(١١) تنقل: ينقل A
(١٢) الشخص: الشمس A
(١٣) للنفوس: كالنفوس A
(١٤) تتولّد: يتولّد A
(١٥) معادنها: بعادتها A

[أقسام الجواهر المعدنيّة]

وأجوَد التقاسيم للجواهر المعدِنيّة أن تقول:

إمّا أن يكون الجواهر المعدِنيّة ذائبة[(١)] أو غير ذائبة[(٢)].

فالذائبة[(٣)] على أقسام:

أ. الذائب المنطرق الذي لا يشتعل، و[(٤)] هو[(٥)] الأجساد السبعة.

ب. الذائب المشتعل الذي لا [ينطرق][(٦)]، وهي الكباريت[(٧)] و[الزرانيخ][(٨)].

ج. الذائب الذي لا ينطرق ولا يشتعل، وهي الزاجات[(٩)] والأملاح؛ فإنّها[(١٠)] تذوب وتنحلّ بالرطوبات.

والأجسام التي لا تذوب فقد تكون رطبة، وقد يكون يابسة.

فالرطبة كالزوابيق الغير القابلة[(١١)] للذوب، وهي مع ذلك في غاية الرطوبة.

واليابسة كاليواقيت والألماس، وغيرهما من الأحجار التي لا تقبل الذوب؛ لشدّة الصلابة واليبس.

فتحصّل[(١٢)] لنا من هذا[(١٣)] التقسيم أنّ المعدِنيّات[(١٤)] خمسة أقسام:

[الأوّل: الذائب المنطرق]

أ. الذائب المنطرق، وهو الجسم الذي يجمد فيه رطبه ويابسه[(١٥)] جمداً شديداً

---

(١) ذائبة: ذاتيّة A

(٢) ذائبة: ذاتيّة A

(٣) فالذائبة: فالذاتيّة A

(٤) و: + ذلك P

(٥) هو: هي A

(٦) ينطرق: يتطرّق AP

(٧) وهي الكباريت: كالكباريت P

(٨) الزرانيخ: الزرانج A، الزرانيج P

(٩) وهي الزاجات: كالزاجات P

(١٠) فإنّها: التي P

(١١) الغير القابلة: التي لا تكون قابلة P

(١٢) فتحصّل: فيحصل A

(١٣) هذا: هذه A

(١٤) المعدنيّات: + تنقسم إلى P

(١٥) رطبه ويابسه: رطبة ويابسة A

محكماً، بحيث لا يقوى النار على تفريق الرطب عن اليابس مع بقاء دُهنيّة قويّة بسببها يقبل الانطراق؛ لأنّ مادّة المنطرقات إنّما هو جوهر مائيّ وهو الرطب، يخالطه جوهر أرضيّ وهو اليابس، مخالطةً شديدة يعسر انفصال أحدهما عن الآخر. ثمّ انطبخ[١] أحدهما بالآخر، حتّى حصل هناك رطوبة دُهنيّة. فإذا انجمد ذلك المركّب بالبرد، وبقيت فيه الرطوبة ثابتة غير زائلة، كان منطرقاً لبقاء تلك الرطوبة الحيّة[٢] الدُهنيّة؛ فإنّ الرطوبة لو ماتت بعد ذلك[٣] الجمود[٤] وعدمت، لم يكن ذلك الجسم منطرقاً.

[الأجساد السبعة]

وهذه المنطرقات الذائبة[٥] هي الأجساد السبعة: الذهب، والفضّة، والنحاس، والرصاص ـ الأبيض وهو القلعيّ، والأسود وهو الأسرب، ويسمّى[٦] بالأبار والآنك[٧] ـ والحديد، والخارصينيّ ـ وهو صنف من النحاس، يتّخذ منه مرايا، لها[٨] خواصّ ـ.

[تركيب الأجساد السبعة من الزئبق والكبريت]

وهذه الأجساد السبعة مركّبة من الزئبق والكبريت، وهما أبواها.

ودليل ذلك[٩] أنّ جميع هذه الأجساد عند الذوب يرى[١٠] فيها زئبقيّة، لا سيّما الرصاص إذا ذاب؛ فإنّه لا شكّ أنّه زئبق رَجراج[١١].

---

(١) انطبخ: يطبخ A
(٢) الحيّة: الجنسيّة A
(٣) ذلك: ـ A
(٤) A54a
(٥) الذائبة: الذاتيّة A
(٦) يسمّى: تسمّى A
(٧) والآنك: ـ A
(٨) لها: أمّا A
(٩) دليل ذلك: الدليل على أنّ الزئبق عنصر لها، وجوه: الأوّل P
(١٠) يرى: تصير إليها فيرى P
(١١) رجراج: دحراج P

ولأنّ[(١)] الزئبق يتعلّق[(٢)] بهذه الأجساد كلّها؛ لكونه من جوهرها.

و[(٣)] أنّ الزئبق لمّا عقد بروائح[(٤)] الكبريت رصاصاً بسرعة، أشبه[(٥)] أن يكون عنصراً للذائبات.

وهذه الوجوه إقناعيّة تحتاج إلى[(٦)] أن تقوى بالحدس.

وأمّا كون[(٧)] الكبريت عنصراً[(٨)] فدليله أنّ[(٩)] الزئبق مركّب من مائيّة[(١٠)] كبريتيّة، فالدالّ على عنصريّة الزئبق دالّ على عنصريّة الكبريت، وامتحان علم الصنعة يدلّ على ما ذكرناه[(١١)].

[كيفيّة تكوّن الأجساد السبعة]

وهذه[(١٢)] الأجساد وإن تولّدت عن الزئبق والكبريت، فيختلف[(١٣)] تكوّنها[(١٤)] عنهما بحسب اختلافهما[(١٥)]؛ فإنّه إذا كان الزئبق نقيّاً، وكان الكبريت العاقد له أبيض غير [محرق][(١٦)] ولا درن، أفضل ما يستعمله أهل الصنعة، تولّد منهما الفضّة.

وإن كان الكبريت مع صفائه ونقائه أجوَد و[أنصَع][(١٧)]، وفيه قوّة لطيفة [صباغيّة][(١٨)]

---

(١) لأنّ: الوجه الثاني إنّ P
(٢) يتعلّق: تتعلّق A
(٣) و: الثالث P
(٤) بروائح: تزاويج A
(٥) أشبه: ـ A
(٦) إلى: ـ A
(٧) كون: ـ A
(٨) عنصراً: ـ A
(٩) فدليله أنّ: فلأنّ P
(١٠) مائيّة: ماهيّة A
(١١) ذكرناه: ذكرنا P
(١٢) هذه: هذا A
(١٣) فيختلف: + تولّد A
(١٤) تكوّنها: تكوّنهما A
(١٥) اختلافهما: اختلاف الزئبق والكبريت P
(١٦) محرق: محترق AP، وما أثبتناه من: الشفاء، الطبيعيّات، المعادن والآثار العلويّة: ٢٢
(١٧) أنصع: أصنع AP، وما أثبتناه من: نفس المصدر.
(١٨) صباغيّة: صائغة A، صياغة P، وما أثبتناه من: نفس المصدر.

ناريّة غير(١) [محرقة](٢)، وكان أفضل ممّا يستعمله أهل الصنعة، فإنّه يعقد الزئبق ذهباً.

وإن كـان الزئبق جيّـد الجوهر، وكـان الكبريـت العـاقـد(٣) لـه غير نقيّ، بـل كان [محرقاً](٤) تولّد منهما النحاس.

وإن كان الزئبق دنسـاً رديئاً أرضـيّة متخلخلة، وكان كبريته دنسـاً نجساً، تولّد منهما الحديد.

وإن كـان الزئبق جيّداً وكبريته رديئاً(٥) غير شـديد(٦) المخالطة، بل كان مداخلاً له سافاً فسافاً، تولّد منهما الرصاص القلعيّ، وبسبب عدم المخالطة التامّة يصرّ(٧).

وإن كان الزئبق رديئاً يقبل الأجزاء طينيّة(٨)، وكان كبريته(٩) مُنتِناً ضعيفاً لـم يستحكم انعقاده، تولّد منهما الأسرب.

وإن كان الزئبق والكبريت(١٠) صـافيين، وفي الكبريت حمرة وقوّة ناريّة لطيفة غير محترقة، ووصل إلى الزئبق(١١) قبل النضج التامّ بردٌ عقده، تولّد منهما الخارصينيّ.

[تعليل للحركة الدوريّة عند ذوب بعض هذه الأجساد]

والعلّـة في حركـة بعض هذه الأجسـاد الحركةَ الدوريّة عند الذوب أنّ الحرارة من شـأنها أن تفيد الميل المُصـعد إلى فوق، فالجسـم المتصـعّد كلّما كان ألطف(١٢) كان أقبل للتصعيد.

---

(١) غير: ـ A

(٢) محرقـة: محترقـة AP، ومـا أثبتناه من: نفس المصدر.

(٣) العاقد: عاقد A

(٤) محرقاً: محترقاً AP

(٥) أرضيّة ... رديئاً: ـ A

(٦) شديد: سديد A

(٧) يصرّ: يضرّ P

(٨) طينيّة: طينيّته A

(٩) كبريته: كبريتيّته A

(١٠) A54b

(١١) الزئبق: الرأس A

(١٢) ألطف: + وأخفّ P

فـإذا علمـت الحرارة في الجســم المركّب من كثيف ولطيف، ولم يكن[١] الامتزاج بينهما في غاية الإحكام، ســارَع[٢] اللطيف إلى الصـعود، وترَك[٣] الكثيف. فاجتمعت المتشــاكلات بانضــمام كلّ جزء إلى ما يجانســه، كما قيل: «الجنســيّة علّة الضــمّ»، وتفرّقت المختلفات.

وإن كان الامتزاج بين اللطيف والكثيف في غاية الإحكام، وكان قريبين من الاعتدال، فإذا أثّرت الحرارة في هذا الجسـم المركّب منهما، بادر اللطيف إلى الصعود، وتشبّث[٤] بـه الكثيف، وجـذبـه إلى[٥] حيّزه، ولزمـه لزومـاً مـانعاً له عن التفرّق[٦]، فيلزم من ذلك التمانعِ والتجاذب الحركةُ الدوريّة. وهذا إنّما يكون في الذهب[٧] والفضّة فقط.

وأمّـا إذا لـم يكن اللطيف والكثيف قريبين[٨] من الاعتـدال، فـإن كـان الغـالـب هو اللطيف يصــعد[٩]. فقد يســتصــحب معه كلّ الكثيف أو بعضــه، كالنحاس المرتجز بالنوشادر عند[١٠] تأثير الحرارة فيه الأثر القويّ، على ما حكاه أرباب التجربة.

وإن لـم يكن اللطيف غـالبـاً، فقد يؤثّر الحرارة[١١] القويّة في تليينه، لا في تســييله، كالحديد. وقد لا تؤثّر فيه الحرارة ليناً، كالطلق.

[الذائب المشتعل]

ب. الـذائـب المشــتعل، فهو الجســم الذي لا بدّ وأن يكون فيه رطوبة دُهنيّة مع

---

(١) لم يكن: كان APs

(٢) سارع: تنازع A

(٣) ترك: نزل A

(٤) تشبّث: شبت P

(٥) إلى: + الفور A

(٦) التفرّق: التفريق A

(٧) الذهب: الذهاب A

(٨) قريبين: قويّتين A

(٩) يصعد: تصعد A

(١٠) عند: + عمل P

(١١) فيه الأثر ... الحرارة: _ A

يبوسة، ويكون مزاجه مستحكم. وبسبب ذلك يقوى النار على التفريق بين رطبه ويابسه، وهو الاشتعال، كالكباريت والزرانيخ.

أمّا الكبريت فقد تولّد من مائيّة تخمّرت[١] بالأرضيّة والهوائيّة تخمّراً[٢] شديداً للحرارة، حتّى صارت دُهنيّة، ثمّ انعقدت بالبرد. ويقرب[٣] من تولّده تولّد الزرنيخ، إلّا أنّ دُهنيّة الكبريت أكثر. والكبريت[٤] أب للأجساد السبعة عند الطبيعيّين، دون الزرنيخ.

[الذائب المتحلّل]

ج. الذائب المتحلّل بالرطوبة؛ لاستيلاء المائيّة على مزاجه، وعدم استحكام مزاج ذلك الجسم المركّب، كالنوشادر، والشَبّ، والزاج، والملح، والقُلقَند، والقُلقَطار؛ فإنّ النوشادر والشبّ من جنس الأملاح، إلّا أنّ[٥] الناريّة في النوشادر أكثر من الأرض[٦]. فلهذه[٧] العلّة إذا صعد لا يبقى منه شيء، بل يتصعّد بالكلّيّة[٨]. فتولّده من ماء خالطه دخان حارّ لطيف كثير الناريّة، وانعقاده إنّما هو باليبس. وكذا الملح؛ فإنّ الأجزاء الأرضيّة الدخانيّة غالبة فيه.

والدليل على ذلك[٩] اتّخاذُ النوشادر من سُخام الأتّون بالتصعيد، وهي أجزاء دخانيّة، واتّخاذ الملح من الرماد المحترق بأن يطبخ ويصفى ويطبخ حتّى ينعقد ملحاً.

وأمّا[١٠] الزاجات فمركّبة من ملحيّة[١١] كبريتيّة وحجارة، إلّا أنّ فيها قوّة بعض الأجساد الذائبة[١٢].

---

(١) تخمّرت: تحمّرت A
(٢) تخمّراً: تحمّراً A
(٣) يقرب: يُعرف Ps
(٤) A55a
(٥) إلّا أنّ: لأنّ A
(٦) الأرض: الأرضيّة A
(٧) فلهذه: فلهذا A
(٨) بالكلّيّة: كلّه P
(٩) ذلك: + فيها A
(١٠) أمّا: _ P
(١١) ملحيّة: + و A
(١٢) الأجساد الذائبة: الأجزاء الذاتيّة A

وأمّـا القلقنـد والقلقطار فيتولّدان ممّا تحلّل من الزاجات مع الأجزاء الكبريتيّة التي فيها، والذي ينحلّ منها إنّما هي الأجزاء الملحيّة. وإذا انعقد يكون قد استفاد قوّة بعض الأجسـاد الـذائبة[١]. إن كان ذلك المسـتفاد منه قوّة الحديد، فهو القلقطار فيحمرّ[٢] ويصفرّ، وإن كان قوّة النحاس اخضرّ. وهما قد يعملان بالصناعة.

[الجوهر الذي لا يذوب ولا ينطرق لاستيلاء الأجزاء الرطبة على مزاجه]

د. الذي لا يذوب ولا ينطرق، فهو كالزئبق؛ لاسـتيلاء الأجزاء الرطبة على مزاجه، واسـتحكام الامتزاج بين الأجزاء الرطبة واليابسـة، بحيث لا يقوى النار على تفريقها. وتولّده[٣] من ماء يخالطه أرضـيّة لطيفة كبريتيّة شـديد المخالطة، بحيث لا ينفرد منه سطح إلّا يغشاه[٤] من تلك اليبوسة شيء، كأنّها جلدته. فلهذه العلّة لا يتعلّق باليد، ولا يتمسّـك بين الأصـابع. وبياضـه إنّما هو من صـفاء مائيّته[٥]، وبياض أرضـيّته اللطيفة، وممازجة الهوائيّة له.

[الجوهر الذي لا يذوب ولا ينطرق لاستيلاء الأجزاء اليابسة على مزاجه]

ه. الذي لا يذوب[٦] ولا ينطرق؛ لاسـتيلاء الأجزاء اليابسـة على مزاجه، والامتزاج بين أجزائـه[٧] الرطبـة واليـابسـة محكم، لا يقـدر النـار على تفريقهـا. وهي جميع الحجريّات، كاليواقيت، والزبرجد، و[البلخش][٨]، والعقيق، وسائر الأحجار. وتولّدها من مـائيّـة لا يكون جمودهـا بـالبرد وحـده، بـل[٩] بـالبرد المحيـل لتلـك المائيّة إلى

---

(١) الذائبة: _ P

(٢) فيحمرّ: فتحمرّ A

(٣) تولّده: يولده A

(٤) إلّا يغشاه: لا يغشاه P

(٥) مائيّته: ما بينه A

(٦) A55b

(٧) أجزائه: أجزاء A

(٨) البلخش: البلخس A، البدخش P

(٩) بل: + إنّما يكون جمودها P

الأرضــيّة، بحيث لا يبقى فيها رطوبة حيّة دُهنيّة أصــلاً. فبســبب انعقادها[١] باليبس لا تذوب إلّا بالحيل، وبسبب أن لا رطوبة حيّة دُهنيّة فيه لا ينطرق[٢].

[تقسيم آخر للجواهر المعدنيّة]

وقد قسّموا الجواهر[٣] المعدِنيّة من وجه آخر إلى أرواح، وأجساد، وأحجار.

فالأرواح عندهم أربعة: النوشادر، والكبريت، والزئبق، والزرنيخ.

وأمّا الأجساد فهي السبعة المذكورة.

وأمّا الأحجار فكالزاجات، والمرقشيشا[٤]، والطلق، و[المغنيسيا][٥]، وأمثالها.

[أقسام الجواهر المعدنيّة عند إخوان الصفاء]

وفي كتاب إخوان الصفاء[٦] أنّ الجواهر المعدِنيّة:

منها: ما يتكوّن في التراب والطين والأرضين السبخة[٧]، ويتمّ وينضج في سنة[٨] أو أقلّ من ذلك، كالكباريت والزاجات والزرانيخ والشبوب والأملاح وما أشبهها.

ومنهــا: ما يكون تكوّنه في قعر البحار، ويكون نضــجها في ســنة[٩] وأكثر، كالدرّ والمرجان. والدرّ[١٠] حيوانيّ، والمرجان نباتيّ.

ومنهــا[١١]: ما يكون تكوّنه[١٢] في جوف الأحجار وبطون الصــخور وكهوف الجبال وخلال الرمال، ويتمّ تكوّنها ويتكامل نضجها في سنين[١٣] متعدّدة، كالأجساد السبعة[١٤].

---

(١) انعقادها: أنّ عقدها P
(٢) ينطرق: يتطرّق A
(٣) الجواهر: الجوهر A
(٤) مرقشيشا: المرقسيثا P
(٥) المغنيسيا: المعنيسيا AP
(٦) رسائل إخوان الصفاء: ٩١/٢
(٧) السبخة: _ A
(٨) سنة: سنته A
(٩) أو أقلّ ... سنة: _ A
(١٠) والدرّ: فالدرّ P
(١١) منها: أمّا A
(١٢) تكوّنه: _ A
(١٣) سنين: سنتين A
(١٤) السبعة: + وما أشبهها P

ومن هـذا القسـم[١] مـا لا يتمّ تكوّنه[٢] إلّا في عشـرات من السـنين، كالياقوت، والزمرّد، والزبرجد، والعقيق، والألماس[٣].

[تقسيم آخر للجواهر المعدنيّة إلى سبعمئة نوع]

وذكر بعض الحكمـاء ممّن لـه عنـايـة بأحوال المعادن، أنّه عرف منها ما يقرب من سبعمئة نوعٍ مختلفة[٤] الطبائع والألوان والأشكال والثقل[٥] والخفّة والطعوم والروائح.

وأمّا ألوانها فبحسـب[٦] ألوان الكواكب المتولّية لها ـ على ما يذكرون ـ، وبحسـب مطارح أشـعّتها على البقاع التي تختصّ[٧] بها. فالسـواد منسوب إلى زحل، كالأسرب والحـديـد[٨]؛ والخضـرة للمشـتري، كالزمرّد والزبرجد؛ والحمرة للمرّيخ، كالعقيق والمرجان؛ والصفرة للشمس، كالياقوت الأصفر والذهب والزعفران؛ والزرقة للزهرة[٩]، للزهرة[٩]، كالبلخش[١٠] واللازوَرد؛ والملوّن لعطارد؛ والبياض للقمر، كبياض الفضّـة والبِلّور والملح[١١].

وطبـائع هذه الجواهر المعدِنيّة مختلفة بحسـب اختلاف القوى الروحانيّة الفاعلة لهـا[١٢]. فمنهـا متشـاكلـة[١٣] ومتضـادّة ومتنافرة. ولها تأثيرات[١٤]، كالجذب والدفع والمسك، وغير ذلك من العجائب المودَعة فيها. <[١٥]

---

(١) القسم: + الثالث P

(٢) تكوّنه: تكوينه A، + ويستحكم نضجه P

(٣) الألماس: ألماس A، + وما أشبهها P

(٤) مختلفة: ـ A

(٥) الثقل: النقل A

(٦) فبحسب: فتكون بحسب P

(٧) تختصّ: يختصّ A

(٨) الحديد: + والقار وما أشبهها P

(٩) A56a

(١٠) كالبلخش: كالبدخش P

(١١) الملح: + والقطن P

(١٢) لها: بها A

(١٣) متشاكلة: متشكّلة A

(١٤) تأثيرات: + بعضها في بعض P

(١٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٧١/٢ ـ ٣١٦

[ثمرة العلم الطبيعيّ وعمله]

[1]< واعلَم[2] أنّ لكلّ علم عملاً[3] نسبته إليه كنسبة الثمرة إلى الشجرة؛ فإنّ العلم الخالي عن العمل كالشجرة الخالية عن الثمرة، وكذلك العمل الخالي عن العلم كالشجرة بلا[4] أصل متمكّن في[5] الأرض. فعملٌ بلا علم خيرٌ من علم بلا عمل.

وثمرة العلم[6] الطبيعيّ وعمله إنّما هو صناعة الكيمياء، والطبّ، وأحكام النجوم. وهذه العلوم الثلاثة هي من علم المزاج ومتعلّقة به[7]، ومن القوى الطبيعيّة.

فكلّ من عرف العلم الطبيعيّ ولم يعرف العلم المنسوب إلى الإكسير، فقدْ فقدَ من شجرته أطيب ثمرتها وأشرفها[8]. ولأجل هذا العلم تكلّم الطبيعيّون في الكون والفساد والاستحالة والمعادن. و[9] مَن تعلّم هذا العلم ولم يتعلّم الطبّ فقدْ فقدَ أفضل ثمار شجرة. وكذا مَن عرفه[10] ولم يعرف أحكام النجوم فقدْ فقدَ من أشجاره ثماراً[11] لذيذة طيّبة.

[شرف العلم على العمل]

وقد ذكروا[12] أنّ العلم يُراد للعلم[13] والعمل، إلّا أنّ العلم أشرف من العمل؛ [لأنّه][14] فضيلة[15] عقليّة مُلذّة يشتاق النفس الفاضلة إليه[16] بالطبع. والتذاذها به

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٢) واعلم: زعم قوم من الحكماء P
(٣) عملاً: عمل A
(٤) بلا: لا A
(٥) في: من A
(٦) العلم: علم A
(٧) متعلّقة به: متعلّقه A
(٨) أشرفها: أشرفه P
(٩) و: + كذلك P
(١٠) عرفه: عرف هذا العلم P
(١١) ثماراً: ثمار A
(١٢) وقد ذكروا: والذي ذكره صاحب المعتبر في هذا P
(١٣) للعلم: العلم A
(١٤) لأنّه: لأنّها AP
(١٥) فضيلة: فضليّة A
(١٦) إليه: إليها A

يشبه لذّة الفرحة والنزهة الجامعة للنظر إلى محاسن الأشياء ولطائفها. فاللذّة بها يكون أفضل وأعظم(١) وأشرف ممّا عداها من الأُمور المُلذّة.

وأمّا العمل فليس شيئاً مقصوداً بالذات، بل تارةً يقصد به إزالة الموانع وظهور الاستعداد المؤدّي إلى انكشاف الحقائق، وتارةً يقصد به حصول الهيئات الفاضلة في النفس، وتارةً يتوصّل به إلى أسباب تؤدّي إلى كمال النفس. ولا يحصل العمل إلّا من العلم وبسببه.

[الاختلاف في إعانة العلم الطبيعيّ على الكيمياء]

وإذا عرفتَ ذلك(٢)، فهذا العلم ليس(٣) ما يحصل به الكيمياء، بل فيه ما يُبطله، ويُبعد عنه، ويؤيّس الطامعين عن طلبه؛ فإنّ الأُصول الطبيعيّة دلّت على أنّه لا أصل له ولا حقيقة، وإن كان حصوله بالتوفيق(٤) ـ كما قد قيل ـ فلا حاجة إلى هذا العلم.

هكذا قال بعض أهل الحكمة(٥)، وهذا الرجل لم يذكر برهاناً على امتناعه، ولا على إمكانه. فإن كان ممكناً، فلا ريب عند العاقل كيفيّة إعانة العلم الطبيعيّ في الكيمياء، لا سيّما معرفة الكون والفساد، وأنواع الاستحالات الواقعة بين البسائط، وتقاسيم الأمزجة، وأحوال القوى، ومعرفة طبائع الجواهر المعدِنيّة؛ فإنّ خلاصة علم الإكسير هو معرفة الحلّ والعقد الحقيقيّين، واحتياجهما إلى العلم الطبيعيّ بيّن ظاهر.

[رأي الشيخ الرئيس في الكيمياء]

وزعم الشيخ الرئيس(٦) أنّ أصحاب الحيل يمكن أن يعقدوا بالصناعة الزئبق

---

(١) أعظم: أعمّ P
(٢) A56b
(٣) فهذا العلم ليس: فليس في هذا العلم P
(٤) بالتوفيق: بالتوقيف P
(٥) وهو أبو البركات البغداديّ، في: المعتبر: ٢/٢٣١
(٦) الشفاء، الطبيعيّات، المعادن والآثار العلويّة: ٢٢

بالكبريت عقداً محسوساً يشبه[١] ما يصنعه الطبيعة من[٢] بعض الوجوه؛ فإنّ[٣] الأحوال الصناعيّة لا تشبه[٤] الطبيعة من جميع الوجوه، بل قد[٥] تكون قاصرة عنها، غير لاحقة بها، وإن بذل الجهد. وليس في أيدي أصحاب الإكسير أن يقلّبوا الأنواع[٦] قلباً حقيقيّاً، بل الذي في أيديهم تشبيهات حسّيّة من صبغ الأحمر أصفرَ وأبيضَ شبيهاً بالذهب والفضّة، وأن يصبغوا الأبيض صبغاً شديداً هو يشبه[٧] الذهب، وأن يسلبوا الرصاصات أكثر ما فيها من العيوب والنقص، ويكسوها كيفيّات مستعارة مع حفظ جواهرها الأصليّة، إلّا أنّه قد يبلغ التدقيق في المشابهة إلى حدّ يخفى الحال فيها على النقَدة من[٨] أهل الخبرة.

ولم يتبيّن[٩] إلى الآن أنّه يمكن سلب الفصول المنوِّعة عن الجواهر المعدِنيّة[١٠] وكَسوُها[١١] فصول أنواع أُخرى، بل يبعد عندي جوازه؛ إذ حلّ المزاج إلى مزاج آخر متعذّر؛ فإنّه يشبه أن لا يكون الأُمور المحسوسة هي الفصول المنوِّعة للأجساد، بل تكون[١٢] عوارض ولوازم[١٣]. و[١٤] الفصول التي لها مجهولة[١٥]، والمجهول لا يمكن أن يوجد، بل لهم أن يسلبوا الألوان[١٦] والروائح والطعوم والأوزان، وغير ذلك ممّا لم يقم على امتناعه برهان.

---

(١) يشبه: تشبهه A
(٢) من: + ~~تعليم~~ A
(٣) فإنّ: قال A
(٤) تشبه: تشبهه A
(٥) قد: _ P
(٦) أن يقلّبوا الأنواع: _ A
(٧) شديداً هو يشبه: شديد الشبه P
(٨) من: مع A
(٩) يتبيّن: نبيّن A
(١٠) المعدنيّة: _ A
(١١) كسوها: كسوتها A
(١٢) تكون: يكون A
(١٣) لوازم: لو لزم A
(١٤) و: _ A
(١٥) مجهولة: مجهول A
(١٦) A57a

ثمّ قال: والأشـبه أن يكون النسـبة التي بين العناصـر في تركيب كلّ جوهر منها غير ما[١] يكون في التركيب الآخر. وحينئذٍ لا يُعاد إليه التركيب إلّا بفكّه وإعادته إلى تركيب مـا يُراد[٢] إحـالتـه إليه. ولا يمكن أن يكون ذلك بإذابة تحفظ[٣] الاتّصـال من غير أن يختلط به شيء غريب و[٤] قوّة غريبة.

[ردّ الشهرزوريّ على مذهب الشيخ الرئيس]

قال [الشـهرزوريّ][٥]: إن أراد بالفصل المنوّع الكلّيَّ المميّز للشيء عمّا يشاركه في الجنس[٦]، فـالكلّيّ ذهنيّ، لا وجود لـه في الجسـم المحقّق في الخارج. وإن أراد به الصورة الجوهريّة، فقد قلنا[٧] إنّه ليس في الجسم إلّا الكيفيّات الأربع الأُولى ـ كما هو مذهب الأوائل[٨] ـ وعوارض أُخرى يمكن تبديلها وتغييرها[٩]، على ما صرّح بإمكانه.

ولئن سـلِّم[١٠] وجود الفصـول و[١١] الصـور، فليس يجب على من أراد تحصيل[١٢] نوع أن يعرف فصـوله؛ فإنّ فصـول المحسـوسـات مجهولة على زعمه. ومع ذلك فإنّا نقصـد إيجاد الحيّة من مادّة الشعر، والعقرب من الباذروج، وسائر الأنواع من الحبوب والأشجار.

ومتى[١٣] حصل الاستعداد ـ سواء كان بفعلنا أو بفعل[١٤] الطبيعة ـ فلا بدّ من إفاضة

---

(١) غير ما: غيرها A
(٢) يراد: يراه A
(٣) بإذابة تحفظ: بإزائه يحفظ A
(٤) و: فيه A
(٥) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٦) الجنس: + الكلّيّ A
(٧) قلنا: أبطلناها وبيّنّا P
(٨) مذهب الأوائل: مذاهب الأُول الذين استخرجوا هذه العلوم P
(٩) تغييرها: تغيّرها A
(١٠) سلّم: سلّمنا P
(١١) الفصول و: ـ A
(١٢) تحصيل: تحصّل A
(١٣) ومتى: ثمّ إذا P
(١٤) بفعل: نفعل A

صور الأنواع، سواء قصدنا الإيجاد أو لم نقصد[١].

وقد ردّ عليه علماء الصنعة، واستجهلوه في هذا العلم، وناقضوه[٢]، ونسبوه إلى غير اللائق به من الفضيلة.

نعم! الشـيخ[٣] لم يجزم بالامتناع ليردّ عليه[٤] جميع المناقضات، وإنّما قال: لَم يتبيّن عندي، واستبعد وقوعه بما ذكره[٥]. وهذا هو الجواب عمّا ذكره.

ثمّ قال[٦]: ونحن قد شاهدنا بعض الأحوال الدالّة على صحّة هذا العلم ووقوعه في الخارج، وهم يصنعونه من المعادن والنبات والحيوان، ويدّعون أنّ الحجر الأعظم الذي يقلب الحيّة منه قنطاراً إنّما يكون من الحيوان.

[ما يحتاج إليه الطبيب من العلم الطبيعيّ]

وأمّا علم الطبّ، فأكثره بالتجارب والقياسات[٧] من القواعد الطبيعيّة[٨]. ولا شكّ أنّ الطبيب كلّما كان أقهر[٩] فيها، كان أقدر على القياسات والاستنباطات. والقدر الذي يحتاج إليه منه[١٠] معرفة العناصر وفوائدها وقواها، والأفعال والانفعالات[١١]، وما بينهما من التضادّ والتناسب، والكون والفساد، والاستحالة والتغيّر، وخواصّ النبات والحيوان. ولا يحتاج إلى غير ذلك من الهيولى[١٢] والصورة، والجزء الذي لا يتجزّأ[١٣]،

---

(١) نقصد: يقصد A

(٢) ناقضوه: ناقصوه A

(٣) نعم الشيخ: والشيخ قدّس اللّه روحه P

(٤) عليه: ـ A

(٥) ذكره: + من أحوال الفصول المنوّعة P

(٦) أي قال الشهرزوريّ.

(٧) A57b

(٨) الطبيعيّة: الطبيعة A

(٩) أقهر: أمهر P

(١٠) منه: فيه P

(١١) الانفعالات: الانفعال A

(١٢) من الهيولى: فالهيولى A

(١٣) الذي لا يتجزّأ: ـ A

وتناهي الأبعاد، وبحوث[١] المكان والحركة والزمان.

[مخالفة أكثر أحكام النجوم للعلم الطبيعيّ]

وأمّا أحكام النجوم[٢] فلا يتعلّق بالطبيعيّ[٣] منه شـيء، وأكثر ما يذكرونه فمخالف للعلوم الطبيعيّة[٤]، كوصفهم الكواكب بالكيفيّات الأربع، كقولهم: زحل[٥] بارد يابس، والمرّيخ حارّ يابس، والمشتري معتدل، والمعتدل[٦] خير، والخير سعد، والإفراط شرّ، والشـرّ نحس، فالمرّيخ نحس. وهذه الكيفيّات من الملموسات، ولم يدلّ على وصفها بالكيفيّات دليل. والشـمس وإن دلّ الحسّ على حرارتها، فالعقل يدلّ على خلافه. ولو أمكن أن ينسـب إلى السـماوات شـيء من الأضـداد، فالأولى أن ينسب إليها الحرارة؛ لإنارتها وحركتها.

وممّا يخالف القواعدَ الطبيعيّة[٧] قسـمتُهم الفلكَ ـ مع تشـابهه في الطبيعة ـ إلى قسـمة وهميّة إلى بروج ودُرَج ودقائق. ثمّ نقلوا هذا الوهم إلى الوجود الخارجيّ، وبنو عليه أحكاماً.

وقولهم في الحدود: إنّ خمس درجات من برج كذا لكوكب[٨]، وستّة منه لآخر[٩]، وأربعة لآخر[١٠].

وأرباب البيوت كالملوك. فالأسد للشمس، والسرطان للقمر، وباقي الكواكب لكلّ واحد بيتان[١١]: واحد من حيّز الشمس، والآخر من حيّز القمر.

---

(١) بحوث: ـ A
(٢) أحكام النجوم: علم الأحكام النجوميّة P
(٣) بالطبيعيّ: بالعلم الطبيعيّ P
(٤) فمخالف للعلوم الطبيعيّة: بالأوصاف A
(٥) زحل: الزحل P
(٦) والمعتدل: ـ A
(٧) الطبيعيّة: الطبيعة A
(٨) لكوكب: الكواكب A
(٩) لآخر: آخر A
(١٠) وأربعة لآخر: ـ A
(١١) بيتان: ثنتان A

ثمّ هذه البروج سـمِّيت[١] بهذه الأسـماء لوجود كواكب على تلك الصورة في ذلك الموضع[٢]. ثمّ إنّها قد تنتقل[٣] إلى مواضع، ويحصل في مواضعها صور أُخرى.

ومَن طالِعه برج فربّ بيته[٤] صاحب ذلك[٥] البرج.

وكذلك قسـمتُهم الدرجات إلى المذكّرة والمؤنّثة، والنيّرة والمُظلِمة[٦]، والزائدة في السعادة وغير[٧] ذلك ممّا يتبدّل بانتقال كواكب أُخرى إليها.

ويقولون: إنّ كوكب كذا ينظر إلى كوكب كذا من ستّين درجة، وهو سدس الفلك، فهلّا قالوا: ينظر إليه من خمسـين أو سبعين درجة[٨]؟ فإن كان مرادهم ظهور الكواكب للكواكب[٩]، فقلّما يخفى[١٠] بعضـها عن بعض. وإن كان المراد اختلاط الشـعاعين، فالشعاعان يكونان دائماً مختلطين. وإن كان هناك معنى آخر، فليُظهروه لينظر[١١] فيه.

وكـذا الحكم في التربيع والتثليـث، وطبـائع البروج وثبـاتها وانقلابها، والتعـاليل المذكورة فاسـدة، كقولهم: إنّ الحمَل حارّ يابس ناريّ منقلب؛ لانقلاب الفصـل إلى الربيع[١٢] عند حلول الشـمس فيه. والثور بارد يابس أرضـيّ ثابت؛ لثبوت الفصـل عند حلول الشمس فيه. والجوزاء حارّ رطب هوائيّ، والسرطان بارد رطب مائيّ. فهلّا قالوا: إنّ السرطان إذا حلّت[١٣] الشمس فيه اشتدّ حرّ الزمان.

---

(١) سمّيت: سمت A
(٢) الموضع: الوضع A
(٣) تنتقل: ينتقل A
(٤) A58a
(٥) ذلك: _ A
(٦) النيّرة والمظلمة: المظلّة A
(٧) غير: غيرها A
(٨) درجة: _ A
(٩) الكواكب للكواكب: الكوكب للكوكب P
(١٠) يخفى: تخفى A
(١١) لينظر: لتنظر A
(١٢) الربيع: التربيع A
(١٣) حلّت: دخلت A

قال [الشهرزوريّ][١]: ولهم من هذه الخرافات أشياء[٢] كثيرة، لو استوفيناها لَطال الكلام.

[تبرير الشهرزوريّ لكلام أهل النجوم]

ثمّ قال: والذي يمكن أن يُقال: إنّك قد عرفتَ في ما تقدّم من تأثيرات الأجرام العِلويّة والأشعّة الكوكبيّة، وما ذكروه في كتب الأحكام فأكثره من[٣] التجربة دون القياس، وبعضه يدرك بالوحي والإلهام الربّانيّ، وبعضه بالدعوة العظمى للكواكب[٤]. ولا يدرك بالقياس وحده، بل القياس العقليّ يدلّ على خلافِ أكثر ما ذكروه. وليس مرادهم[٥] من قولهم: «إنّ بعض الكواكب موصوف بالحرارة، وبعضها بالبرودة والرطوبة واليبوسة وأمثالها» اتّصاف أجسامها بهذه الكيفيّات، بل مرادهم أنّ شعاع كلّ واحد منها له من الخاصّيّة[٦] الروحانيّة ما يفعل في كلّ موضع من مواضع الفلك أثراً مخصوصاً؛ فإنّهم وجدوا الاتّصالات المذكورة[٧] مؤثّرة تأثيراً لا يوجد في غيرها من الأبعاد الأُخرى. وجميع ما ذكروه من الأوضاع والاصطلاحات فهو بحسب التأثير والتأثّر.

وهذا العالم مبدؤه مأخوذ[٨] من الملأ الأعلى، وقبِله منهم الأنبياء والحكماء، كآدم[٩] وشيث وهرمس ونوح وأمثالهم، وكانوا لتأيّدهم يصيبون في الأحكام غاية الإصابة. والعلوم الروحانيّة التي كانت لهم فكلّها[١٠] كانت مبنيّة على علم الأحكام، لا تصحّ إلّا بها، ولا تقوم إلّا عليها. وقلّة الإصابة في هذا الزمان[١١] فلِقلّة استعداد العلماء،

---

(١) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٢) من ... أشياء: في هذه خرافات A
(٣) من: يدلّ عليه P
(٤) للكواكب: للكوكب A
(٥) مرادهم: مراد أرباب علم الأحكام P
(٦) الخاصّيّة: الخاصّة P
(٧) A58b
(٨) مأخوذ: موجود A
(٩) كآدم: وآدم A
(١٠) فكلّها: فعلها A
(١١) الزمان: ـ A

وضـعف اعتنائهم به، مع[١] اختلال الأرصـاد، وغير ذلك من الأسباب الموجبة للخطأ. وهو من العلوم الشـريفة المحتاج إليه في كثير من العلوم المهمّة، ولو أمكن أن يحيط الإنســان بجميع الجزئيّات من الحركات التي في الأجرام الســماويّة لأمكنه الاطّلاع على جميع الحوادث الموجودة في هـذا العالم[٢]، ولكن الأمر متعذّر. وقد عرفتَ في ما سـلف أنّ جميع الحوادث يسـتند إلى الحركات الفلكيّة وتأثيرات الأشـعّة الكوكبيّة، فالأشعّة إكسير الكون ومنبع الأنواع. >[٣]

[مكان البسائط والمركّبات]

واعلَم أنّ لكلّ جسـم [مكاناً طبيعيّاً][٤]، وهو الحاصـل له بحسب ما يستعدّ لقبوله بواسطة طبعه.

فأمّا [البسائط][٥] فقد عرفتَ أمكنتها باعتبار صفاتها اللازمة لها، المتخالفة باعتبار الثقل والخفّة.

وأمّـا المركّبات فمكانها الطبيعيّ ما يغلب عليها عن الطبائع باعتبار تركيب مزاجها، تميل إليه باعتبار ما يقتضـيه ذلك المزاج، وهو المكان الطبيعيّ. وما سـواه فهو المكان الغريب، إذا عاقه عن [الطبيعة][٦] عائق.



(١) مع: من A
(٢) العالم: العلم A
(٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣١٧/٢ _ ٣٢٣
(٤) مكاناً طبيعيّاً: مكان طبيعيّ A
(٥) البسائط: البسيط A
(٦) الطبيعة: الطبيعيّة A

[الاختلاف بين أرسطو وأفلاطون في تعريف المكان]

ومكانُ العالم السطحُ الباطن من الحاوي، المماسّ لظاهر المحويّ، فلا مكان للمحدّد.

أو البُعد المجرّد عن المادّة، المساوي لأقطار [الجسم](١).

التعريف الأوّل [اختاره](٢) أرسطو. و[اعترضوا عليه](٣) بعدم عموم المكان لسائر الأجسام؛ إذ الحاوي الغير المحويّ ـ الذي هو محدّد الجهات ـ لا يكون ذا مكان(٤)؛ إذ لا حاوي له، وكون جسم بلا مكانٍ غيرُ [معقول](٥).

والثاني مذهب أفلاطون. فهو قائل بوجود(٦) بُعد خالٍ وُجد فيه كُرة العالم، غير مادّيّ، مساوٍ لها في الأقطار، مداخلة له، ذاهبة فيه.



---

(١) الجسم: ـ A

(٢) اختاره: اختار A

(٣) اعترضوا عليه: اعترضوه A

(٤) A59a

(٥) معقول: مقبول A

(٦) بوجود: + الوجود A

[أمارات المكان]

ولا يخلو المكان من الجرم الشاغل، [فإذا عدمه][١] يجوز انتقاله، ولا يجتمع فيه [الشاغلان][٢]، وهي الأمارات الشهيرة الدالّة على وجود المكان:

[٣]< **أ**. أن يكون فيه جرم، فلا يخلو عنه، وإلّا لَما كان مكاناً.

ب. إنّـه يجوز أن ينتقـل عنـه إلى غيره. ولهذا لـم يكن الحامل [للعرض][٤] مكاناً؛ لأنّه لا يمكن انتقاله عنه.

ج. إنّه لا يجتمع فيه ذو مكان آخر معه؛ لاستحالة التداخل.

د. إنّه يختلف بالجهات. فظهر أنّ المكان ليس ما يستقرّ عليه الجسم. >[٥]



(١) فإذا عدمه: فعدم A

(٢) الشاغلان: ـ A

(٣) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٤) للعرض: المعرض A

(٥) كلمة التصوّف: ١٠٨ ـ ١٠٩ (مع شرح وتفصيل)

[امتلاء المحدّد بالأجسام]

فالمحدّد ممتلئ بالأجسام[١]؛ لأنّه متقدّر، والمقدار عرض لا يقوم بذاته؛ [٢]< فإنّا نفضـل[٣] ما بين جسـمين متباعدين على ما بين جسـمين متقاربين، وما يسع للجسم الأكبر أكبر ممّا[٤] يسـع للجسـم الأصـغر، فالخلأ متقدّر. وكيف يكون لا شـيء[٥] متقـدّراً؟ وإن عبّر عن شـيء فكـان متقدّراً، وإذا كان متقدّراً[٦] في جميع أقطاره فيكون جوهراً مقصوداً بالإشارة، له طول وعرض وعمق؛ >[٧] [٨]< إذ فرض مقادير قائمة لا في جسـم ممتنع؛ إذ لو اسـتغنى المقدار عن المحلّ ما افتقر بشـيء من جزئيّات حقيقته إليـه[٩]، >[١٠] وهو ظـاهر؛ لوجوب تسـاوي الحقيقة في ما يلزمها، لكن التالي باطل، فيكون المقدّم كذلك.

[تفصيل القول في أمارات المكان]

[١١]< وعقد الباب أنّه قد حصل النزاع في حقيقة المكان. والخلاف إنّما يكون حقيقيّاً عند تسـليم لازم من لوازمه، أو[١٢] خاصّـة من خواصّه[١٣]، أو أمر ذاتيّ، وإلّا فلا يصحّ

---

(١) بالأجسام: + و A
(٢) بداية العبارات المنقولة من: الألواح العماديّة.
(٣) نفضل: نفصّل A
(٤) ممّا: + لا A
(٥) لا شيء: ما ليس بشيء P
(٦) وإن عبّر ... متقدّراً: ـ A
(٧) الألواح العماديّة: ٤١
(٨) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٩) بشـيء من ... إليه: من جزئيّات حقيقته إليه شيء P
(١٠) كلمة التصوّف: ١٠٩
(١١) بـدايـة العبارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.
(١٢) أو: و A
(١٣) من خواصّه: ـ P

النزاع فيـه، وإن وقع فيـه الخلاف[١] فيكون لفظيّـاً؛ فـإنّه لا مانع عن الاصــطلاح، وأن يســمّى ما يســتقرّ عليه الجســم مكاناً. والأمارات ـالتي إذا ســلِّمت، ثمّ تُنوزع فيه بعد ذلك، يكون[٢] النزاع حقيقيّاً ـ أربعة باتّفاق الجمهور:

أ. جواز حركـة الجســم عنه إلى غيره. والمعترف بهذا اللازم ليس له أن يقول: «إنّ المكان هو الهيولى أو[٣] الصــورة»؛ لأنّه[٤] ســلّم أنّ المكان ما يصحّ أن ينتقل عنه، ولا شيء من الهيولى والصورة يصحّ الانتقال عنه[٥]، ينتج من الثاني: فلا شيء من المكان بهيولى ولا صورة.

ب. امتناع حصــول جســمين فيه. والمعترف بهذا يجب عليه أن يفرّق بين المكان والمحلّ؛ فإنّ ذا المكان يمتنع حصـول متمكّنَين عنه، وذا المحلّ يجوز حصول حالَّين فيه، كالحلاوة والبياض في السُكَّر.

ج. أن يُنسب إليه الجسم بلفظة[٦] «في» وما هو في معناها. والمعترف بهذا ليس له أن يقول: «المكـان ما يســتقرّ عليه المتمكّن[٧]»، ولا «إنّه هيولى أو[٨] صــورة»؛ لأنّ المكان ينســب إليه الجســم[٩] بـ«في»، ولا شــيء ممّا يســتقرّ عليه الجســم ينسب إليه الجســم[١٠] بـ«في»، ينتج من الثاني: لا شــيء ممّا يســتقرّ عليه الجسم بمكان. وكذلك الكلام في الهيولى والصــورة؛ لامتناع أن يكون الكلّ في كلّ واحد من أجزائه ليصحّ أن ينسب إليه بلفظة[١١] «في».

---

(١) الخلاف: الاختلاف P
(٢) يكون: يصير P
(٣) أو: و A
(٤) لأنّه: فإنّه A
(٥) عنه: عنهما A59b || P
(٦) بلفظة: بلفظ A
(٧) المتمكّن: الجسم P
(٨) أو: + لا A
(٩) الجسم: للجسم A
(١٠) الجسم: ـ A
(١١) بلفظة: بلفظ A

د. اختلافه باختلاف الجهات، كفوق وأسـفل[١]. والمعترف بهذا اللازم ليس له أن يقول: «إنّ النفس مكان الجسم»؛ فإنّ النفس لا جهة لها ولا مكان، ولا يصحّ نسبة[٢] الجسم إليها بـ«في».

فبعد تسليم هذه الأمارات الأربعة ـ كما هو عند الجمهور ـ لا معنى لقول من يقول: «إنّ المكان هو الهيولى أو الصورة، أو[٣] ما يستقرّ عليه الجسم»؛ فإنّ الأمارات[٤] لمّا كانت مسلّمة[٥] بالاتّفاق، فيجب أن يوجد جميعها في ما يسمّى مكاناً، ولا يصحّ اجتماعها في واحد من هذه الثلاثة.

[مذهب الأوائل في تعريف المكان بالخلأ]

وبعض الأوائل زعم أنّ المكان هو الخلأ؛ لتوهّمه أنّ الأمارات موجودة فيه. ثمّ عرّفه بأنّه امتداد يمكن أن يُفرض فيه أبعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا قائمة، لا في مادّة؛ لأنّ[٦] من شأنها أن يملأها الجسم.

فـ«الامتداد» كالجنس؛ لشموله الخطّ والسطح والجسم[٧].

وقوله: «يمكن فرض الأبعاد الثلاثة» فصل يخرج به[٨] الخطّ.

وقوله: «قائمة»[٩] يخرج به السطح.

وقوله[١٠]: «لا في مادّة» يخرج به[١١] الجسم التعليميّ؛ لاحتياجه إليها[١٢].

---

(١) أسفل: سفل P

(٢) نسبة: تشبّه A

(٣) أو: وأمّا A

(٤) الأمارات: + الأربعة P

(٥) مسلّمة: مشتملة A

(٦) لأنّ: ـ P

(٧) كالجنس ... والجسم: يشمل الأبعاد الثلاثة A

(٨) به: ـ P

(٩) لا في مادّة: ـ A

(١٠) قوله: + قائمة P

(١١) به: ـ A

(١٢) لاحتياجه إليها: الذي يحتاج إلى الحلول في المادّة P

وقوله: «من شـأنه أن يملأه الجسـم» يخرج به[١] الجسم الطبيعيّ؛ لامتناع أن يملأه جسم آخر؛ لكونه ملأ في نفسه.

فهذا الخلأ بهذا التعريف[٢] فيه مذهبان:

أ. إنّـه يجوز أن يخلو[٣] عن امتـداد طبيعيّ آخر يجـامعـه ويبقى فـارغاً، وإليه مال المتكلّمون.

ب. إنّه موجود، ولا يجوز أن يخلو عن الجســم، ويلزم عنه أن يكون البُعد يداخل بُعداً آخر.

وزعم بعض الأوّلين أنّ وراء العالم خلأ لا يتناهى.

وقال آخرون: إنّه لا خلأ ولا ملأ[٤]، بل الخلأ هو القدر[٥] الذي فيه العالم، لا غير. وقد يكون[٦] بين هذه الأجسـام الموجودة في هذا العالم ما يكون غير متماسّـة، فيكون خلأ.

والقائلون بالخلأ اختلفوا:

ـ فبعضهم زعم أنّه مقدار وشيء.

ـ وزعم آخرون أنّه ليس بمقدار ولا شيء.

[إبطال مذهب القائلين بأنّ وراء العالم خلأ لا يتناهى]

والذي يبطل مذهب القائلين بأنّ وراء العالم خلأ لا نهاية له، أنّه إن كان عدماً صرفاً فيكون لا شيء، فلا يكون بُعداً؛ لأنّ العدم لا يمكن فيه فرض البُعد.

وإن قـالوا بأنّه موجود، فيكون حينئذٍ امتداداً، وكلّ امتداد يجب فيه النهاية، ينتج من

(١) به: ـ A
(٢) بهذا التعريف: المعرّف بهذا الرسم P
(٣) A60a
(٤) ملأ: بلاد A
(٥) القدر: القدرة A
(٦) يكون: يوجد P

الأوّل: أنّ الخلأ الذي وراء العالم يجب فيه النهاية، وقد فرضوه غير متناهٍ، هذا خلف.

مع أنّه يجب أن يكون قابلاً للزيادة والنقصان، والتقدير بالكثرة والقلّة، والمساواة واللا مساواة، فيكون مقداراً كمّيّاً، فلا يكون لا شيء، فلا يكون بُعداً؛ لأنّ العدم لا يمكن فيه فرض البُعد.

وإن قالوا بأنّه موجود، فيكون حينئذٍ امتداداً، فإذا كان ذا طول وعرض وعمق ـ وهو قائم بنفسه ـ يكون جسماً، لا خلأ.

فكلّ[1] من قال بأنّ الخلأ مقدار قائم بنفسه، فقد قال بجوهريّته؛ لأنّه يمكن فيه فرض الأبعاد، ويكون مقصوداً بالإشارة الحسّيّة، ولا معنى للجسم إلّا ذلك. [فلا][2] نزاع مع الذين قالوا: إنّ الخلأ ليس بشيء[3]، ثمّ قالوا: وراء[4] العالم خلأ[5] متناهٍ أو غير متناهٍ، يخلو عنه الجسم أو لا يخلو عنه. نعم! النزاع مع الذين يقولون: إنّ بين الأجسام خلأ ليس فيه شيء[6]، يسمّى بُعداً مفطوراً.

[إبطال القول بالبُعد المفطور]

والذي يدلّ على إبطاله أنّ الخلأ الذي بين الجسمين المتباعدين أكثر ممّا بين الجسمين المتقاربين، وكلّ ما[7] كان كذلك فهو مقدار، فالخلأ مقدار. ولا يكون هذا المقدار مقدارَ ما هو بينه[8] من تلك الأجسام؛ فإنّ له أقطاراً[9] ثلاثة ومقداراً[10] يزيد المجموع على الأجسام المفروضة بينها.

---

(١) فكلّ: وكلّ A

(٢) فلا: ولا A

(٣) ليس بشيء: مقدار قائم بنفسه A

(٤) وراء: ـ A

(٥) A60b

(٦) شيء: + و P

(٧) كلّ ما: كلّما A

(٨) ما هو بينه: ماهويّته A

(٩) أقطاراً: أقطار A

(١٠) مقداراً: مقدار A

ثمّ الخلأ كمّ يطابق المقادير المتّصلة، ولا شيء من الكمّ المطابق للمقادير[١] المتّصلة بكمّ منفصل، فلا شيء من الخلأ بكمّ منفصل. وإذا لم يكن منفصلاً يكون متّصلاً. فهذا المتّصل لو كانت طبيعته مقتضية للاستغناء عن المحلّ، لَما تصوّر وجود مقدار في مادّة، وقد وُجد، فلا[٢] يستغني عنه مقدار. وكلّ ما هو مقدار قائمٌ بنفسه قابلٌ[٣] للأبعاد مقصودٌ[٤] بالإشارة فهو جسم، فالخلأ جسم.

ولا يحتاج إلى الطريق الذي يثبت[٥] به جسميّة الخلأ، وهو أنّ الخلأ امتداد يجب فيه النهاية، وكلّ ما وجب فيه النهاية فله مقطع، فالخلأ له مقطع. وكلّ ما له مقطع فهو يقبل الانفصال من حيث الطبيعة البُعديّة لِتشابهها، وكلّ ما كان كذلك[٦] فله مادّة قابلة لتلك الأبعاد، وكلّ ما كان[٧] كذلك كان جسماً.

[برهان آخر على إبطاله]

برهان آخر: لو كان الخلأ موجوداً، لزم أن يقبل[٨] الانفصال الوهميّ؛ لأنّه امتداد، وكلّ ما قبِل[٩] الانفصال الوهميّ قبِل الانفصال الانفكاكيّ[١٠]؛ لِما ذكرنا أنّه إذا أمكنَت القسمة على نوع ـكالماءـ أمكنَت القسمة الانفكاكيّة على جنسه، كالجسميّة من حيث هي جسميّة، إلّا لمانع خارج عن الطبيعة الجسميّة، كالصور[١١] النوعيّة للأفلاك. وكلّ ما قبِل الانفصال الانفكاكيّ فهو في مادّة، كما بيِّن في إثبات الهيولى والصورة.

---

(١) للمقادير: المقادير A
(٢) فلا: ولا A
(٣) قابل: بل A
(٤) مقصود: مقصوداً A
(٥) يثبت: ثبت A
(٦) كذلك: كذا P
(٧) كان: له P
(٨) يقبل: تقبل A
(٩) قبل: + ~~الامتداد~~ A
(١٠) الانفكاكيّ: الانفكاك A
(١١) كالصور: كالصورة A

ولزم من هذا أنّ الخلأ لو كان موجوداً لكان حلوله في مادّة، فما كان خلأ. >[١]

[احتجاجات المثبتين للخلأ والجواب عنها]

[٢]< **وأمّا المثبتون فقالوا:** إنّا عرفنا ثبوت الخلأ بالتحليل[٣]، كما عرفنا وجود البسائط بتحليل المركّب. فإذا رفعنا عن الطرف[٤] ما فيه، فيلزم وجود بُعد بين أطرافه.

وجوابه: أنّ هذا ليس بتحليل[٥]؛ لأنّ التحليل هو[٦] تفصيل الشيء إلى أجزائه وأفراده، وليس الخلأ جزءاً من المركّب ليمكن فيه تحليل. ثمّ إنّ مطلوبكم ليس بحاصل بالرفع وحده من غير توهّم وقفة الأطراف ليحصل[٧] الأبعاد الخالية بذلك، وهو محال الوقوع في الأعيان.

قالوا: إنّ الجسم إذا تحرّك إلى مكان آخر مفارقاً لمكانه[٨]، فحركته متقدّمة على حركة الجسم المنتقل إلى مكانه، وحينئذٍ يلزم أن يتخلّل[٩] بين حركة الجسمين زمان يخلو فيه المكان الأوّل.

وجوابه: أنّ تقدّم[١٠] الحركة على الحركة هاهنا إنّما هو بالذات، لا بالزمان، كما ذكرنا في حركة الإصبع والخاتم.

قالوا: إنّ آن حركة الجسم المتقدّم غير آن حركة الجسم المتأخّر، وبين الآنين زمان[١١] يخلو فيه المكان عن الجسمين.

---

(١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١٣٧/٢ _ ١٤٣
(٢) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٣) بالتحليل: بالتخيّل A || A61a
(٤) الطرف: الطرق A
(٥) بتحليل: + المركّب A
(٦) لأنّ التحليل هو: إنّه A
(٧) ليحصل: لتحصيل P
(٨) لمكانه: بمكانه A
(٩) يتخلّل: يتحلّل A
(١٠) تقدّم: يقدّم A
(١١) زمان: + هو زمان P

وجوابه: أنّ الحركة لا يقع في الآن، والتقدّم إنّما هو بالذات.

قالوا: إنّ الجسم إذا تحرّك عن مكانه، فحركة الهواء إلى مكانه ذلك ممكن؛ لأنّ[١] وجوب حركة الهواء بعد وجوب حركة ذلك الجسم؛ إذ لو لا حركة ذلك الجسم ما تحرّك ذلك الهواء المجاور له إلى مكانه. فيكون مع وجوب حركة ذلك الجسم إمكان حركة الهواء، ومع إمكان حركته إمكان لا حركته المقارن لإمكان الخلأ، فالخلأ[٢] ممكن الوقوع.

وجوابه: أنّ الهواء وإن كانت حركته ممكنة لذاتها، فتكون واجبة[٣] بعلّة، وتلك العلّة أنّه إن لم يتحرّك لزم الخلأ. فأخذ[٤] حركة الهواء الممكنة بذاتها، الواجبة بعلّة خارجة[٥] ـ وهو ضرورة عدم الخلأ ـ لا يكون أولى من أخذ الخلأ ممكناً بسبب إمكان لا كون الحركة؛ لأنّ الممكن ربّما وجب بعلّة، وتلك العلّة هنا ضرورة عدم الخلأ، وحينئذٍ فلا يلزم من فرض إمكان لا كون الممكن عدم تمكّنه[٦] في ذلك المكان. والحقّ أنّ وجوب العلّة[٧] يجعل المعلول الممكن واجباً، لأنّ[٨] فرض إمكان عدم الممكن يجعل العلّة الواجبة ممكنة الرفع[٩]؛ لأجل ضرورة عدم الخلأ.

ثمّ قالوا: إنّ الشراب الممتلئ به دنّ، متى حصل في زقّ[١٠] ووضع الزقّ[١١] في الدنّ يسعه. ولو لا أنّ هناك خلأ ما أمكن[١٢].

---

(١) لأنّ: لا A
(٢) فالخلأ: والخلأ A
(٣) فتكون واجبة: فيكون أوجبه A
(٤) فأخذ: فأحد A
(٥) خارجة: خارجيّة P
(٦) تمكّنه: يمكنه A
(٧) A60b
(٨) لأنّ: إلّا أنّ P، لا أنّ Ps
(٩) الرفع: الدفع A
(١٠) في زقّ: وضع رقّ A
(١١) الزقّ: الرقّ A
(١٢) أمكن: + ذلك A

وجوابه: أنّا[١] لا نسلّم أنّه إذا كان ملأ يسعه مع الزقّ[٢]. وعلى تقدير التسليم فلا يلزم الخلأ، بل يكون بتحلّل[٣] الشراب هواءً أو[٤] أمراً آخر.

وأمّا حصول الوتد في الحائط مع التراب، فلا يدلّ على أنّه كان هناك خلأ، بل التراب اجتمع، وخرج الهواء من المسامّ، وتمكّن[٥] الوتد في الحائط.

وأمّا قولهم: «إنّ الماء شيء يدفع[٦] الهواء، فيحصل الخلأ في مكانه» فليس بصواب؛ فإنّ ذلك القدر من الهواء ليس[٧] له انفراد[٨] بمكان، وإنّما الماشي عند حركته يخرق الهواء، فيحصل هناك حدود، وتصير[٩] مكاناً له، وقبل[١٠] ذلك لا حدود ولا مكان ولا متمكّن[١١].

وقولهم: «لو لم يكن الخلأ موجوداً، يلزم[١٢] من حركة جسم واحد حركة جميع الأجسام» غير لازم؛ فإنّه لا يلزم من حركة ذلك الجسم إلّا حركة ما يجاوره من الأجسام القريبة[١٣]، حتّى ينتهي الحركة في الضعف في الأبعد إلى حدّ لا يبقى لها أثر، كما تشاهد في[١٤] دوائر حركات الماء[١٥] وضعفها كلّما اتّسعت عند رمي الحصاة.

وقولهم: «إنّ السراقات التي للماء، لو لا وجود الخلأ الحابس للماء أو الجاذب له[١٦]، لما انحبس[١٧] فيها الماء» ليس بصحيح؛ إذ لو كان الحابس للماء هو الخلأ،

---

(١) أنّا: ـ A
(٢) الزقّ: الرقّ A
(٣) بتحلّل: يتحلّل A
(٤) أو: و A
(٥) تمكّن: يمكن A
(٦) يدفع: يرفع A
(٧) ليس: ـ A
(٨) انفراد: القرار P
(٩) تصير: يصير A
(١٠) قبل: قيل A
(١١) متمكّن: + مفرزة متميّزة P
(١٢) يلزم: للزم P
(١٣) القريبة: + فالقريبة A
(١٤) تشاهد في: نشاهد من P
(١٥) الماء: ـ A
(١٦) الجاذب له: الحادث به A
(١٧) انحبس: احتبس Ps

لوجـب أن يكون جميع الأواني عنـد الكبّ لا ينزل منها شـــيء. وإنّما لم ينزل لامتناع دخول الهواء لأجل امتناع الخلأ[١].

[بعض الإقناعيّات الدالّة على امتناع الخلأ]

ومن الإقنـاعيّـات[٢] الـدالّـة على امتنـاع الخلأ وقوف السُــفُن على وجـه المـاء والطاســات، وانجذاب البشـرة إلى المحجمة. والسبب فيه أنّ الأجسام الأرضيّة بالطبع طالبة للمركز. فإذا صـــادفت الماء في هبوطها رســبت فيه، إلّا أن يعوقها عائق. فالمانع للأجســام المجوّفـة من الرســوب ليس إلّا ما تثبّت[٣] في تجويفها من الهواء الملازم لسـطوحها الباطنة. وتبعُ البشـرة للانجذاب للهواء المحصور[٤] في المحجمة من هذا القبيل.

[اختيار المصنّف مذهب أرسطاطاليس]

ولمّا بطل أن يكون المكان الهيولى، أو الصـورة، أو ما يستقرّ عليه الجسم، أو الخلأ مطلقـاً، فالجســم في المكان لا على وجه التداخل وملاقاة الأســر، بل على ســبيل الإحاطة.

فالحقّ ما قاله المعلّم الأوّل[٥] إنّ المكان هو الســطح الباطن من الجســم الحاوي المماسّ للسـطح الظاهر من الجسم المحويّ. فما لا حاوي له ولا فوقه شيء ـ كالمحدّد ـ لا مكان له ولا حيّز، إذا عني[٦] بالحيّز المكان المحيط. وإن عني بالحيّز حيثيّة وضعيّة، يتعيّن بما تحته أو يتعيّن بالبُعد من جسم معيّن.

---

(١) الهواء ... الخلأ: الماء A

(٢) الإقناعيّات: الإقناعات A

(٣) ليس إلّا ما تثبّت: ما تشبث P || A62a

(٤) المحصور: المحصون A

(٥) الأوّل: + أرسطاطاليس P

(٦) إذا عني: أعني A

وعلّـة الحركـة ليس هو المكان فقط، بل له مدخل[١] في العلّيّة، وهو متقدّم بالطبع على الأجسام المتمكّنة فيه، والأمارات الأربعة موجودة[٢] فيه.

[شبهة أفلاطون على مذهب أرسطاطاليس]

وأبطل أفلاطون الإلهيّ أن يكون المكان هو السطح الباطن من الجسم الحاوي بأنّ هذه السطوح قد تتوارد[٣] متبدّلة على الجسم الساكن، كالسمكة الواقفة[٤] في الماء الجاري، والطير الواقف في الهواء المتحرّك؛ فإنّ سطوح الماء والهواء تمرّان[٥] متواردين على السمكة والطير، وتبدّل هذه السطوح يقتضي الانتقال من مكان إلى مكان، فوجب أن يكون السمكة والطير متحرّكين[٦]؛ لأنّ الحركة انتقال من مكان إلى مكان، وهو محال.

وقد يكون هذا السطح المسمّى بالمكان متحرّكاً بالمتمكّن[٧] مع بقاء مماسّته له، كالسطيحة[٨] الممتلئة[٩] من الماء المنقولة من بلد إلى بلد، وذلك يوجب أن يكون الماء المنقول من بلد إلى بلد غير متحرّك؛ لأنّ السكون ملازمة المكان، وهو محال[١٠].

[جواب عن شبهة أفلاطون]

والجواب: أنّا[١١] لا نسلّم أنّه يلزم أن يكون السمكة والطير متحرّكين، وليس الحركة عبارة عن تبدّل المكان، بل الحركة هيئة غير قارّة تحصل للجسم بسبب توجّهه بنفسه[١٢]

---

(١) مدخل: + ما P
(٢) موجودة: موجود A
(٣) تتوارد: يتوارد A
(٤) كالسمكة الواقفة: كالسمك الواقعة A
(٥) تمرّان: يمرّان P
(٦) متحرّكين: متحرّكان A
(٧) بالمتمكّن: بالتمكّن A
(٨) السطيحة: المَزادة تكون من جلدين. (لسان العرب)
(٩) كالسطيحة الممتلئة: كالسطحيّة المتمثّلة A
(١٠) وهو محال: ـ A
(١١) أنّا: ـ A
(١٢) بنفسه: لنفسه A

من حالة إلى حالة، وليس كذلك في السمكة والطير. وأمّا الماء في السطيحة[١] فهو[٢] متحرّك بالعرض، لا بالذات، كالراكب في السفينة.

وقولهم: «إنّه إن[٣] كان المكان هو السطح الباطن للحاوي، لزم أن يكون[٤] ذلك الجسم ذو[٥] السطح له مكان آخر، وهكذا إلى غير النهاية» ليس بحقّ مع قيام البرهان على تناهي الأبعاد، فينتهي الأجسام إلى المحدّد الأعظم الذي لا مكان له.

[امتناع وجود عالمين جسمانيّين أو أكثر]

واعلَم أنّه يمتنع وجود عالمين أو[٦] أكثر، كلّ واحد في محدّد؛ فإنّ أشكالها يجب أن يكون كريّة؛ لِما تقرّر أنّ الأجسام البسيطة يجب أن يكون كريّة. والكُرات إنّما تتماسّ[٧] على نقطة، فلا تتراصّ، فلا[٨] بدّ أن يكون بينها فرجة. فإن لم يكن فيها جسم لزم وجود الخلأ. وإن كان فيها جسم فلا يكون كريّاً، وإلّا لزم المحال الأوّل، فيكون جرماً غير كريّ على قدر الفرجة ذا امتداد، وكلّ امتداد فله طرفان، فيستدعي[٩] جهتين، فيحتاج إلى جسم يكون محدّداً له. فيجب أن يكون ذلك المحدّد محيطاً بالأجسام الثلاثة، ويلزم من ذلك أن يكون وراء المحدّدات محدّد آخر، فلا يكون المحدّد محدّداً، هذا خلف.

على أنّ المحيط بجميع الأجسام لا بدّ وأن يكون واحداً ـ على أيّ تقدير[١٠] ـ. هذا إذا كان كلّ عالم في محدّد.

---

(١) السطيحة: السطحيّة A
(٢) A62b
(٣) إن: لو A
(٤) أن يكون: ـ A
(٥) الجسم ذو: للجسم دون A
(٦) أو: و A
(٧) تتماسّ: يتماسّ A
(٨) فلا: ولا A
(٩) فيستدعي: يستدعي A
(١٠) تقدير: + كان P

وأمّا إذا كان العالمان في محدّد واحد، ويكون في كلّ كُرة منهما من الأجسام كما في الكُرة الأُخرى، فذلك محال؛ لأنّ مركزيهما إن كان هو مركز المحدّد بعينه، لزم أن يكون لمحيط واحد مركزان، وذلك محال. وإن لم يكن مركزاهما[١] هو مركز المحدّد، بل اختلف مركز المحدّد ومركزاهما، فيلزم أن يكون للسفل جهتان طبيعيّتان. فالجسم الأرضيّ إذا قصد جهة السفل يكون قاصداً لجهتين مختلفتين وموضعين طبيعيّين[٢]، وهو محال.

وعلى تقدير الجواز فإذا أخرجنا أحد النوعين عن أحد المكانين الطبيعيّين[٣]، فمحال أن يميل إلى كليهما معاً؛ لاستحالة التوجّه إلى الجهتين المختلفتين في حالة واحدة. وإن لم يمل[٤] يكن إلى أحد المكانين[٥] فلا يكون طبيعيّاً له؛ لأنّ معنى المكان الطبيعيّ هو الذي يميل إليه بطبعه. وإن مال إلى أحدهما دون الآخر فهو ترجيح بلا[٦] مرجّح، وكلاهما محالان. هذا كلام[٧] المعلّم الأوّل في الردّ على من قال: إنّ العالم الجسمانيّ أكثر من واحد.

[مذهب المتألّهين في وجود عوالم ذوات مقادير غير هذا العالم]

وقد قال متألّهو[٨] الحكماء ـ كهرمس، وأنباذقلس، وفيثاغورس، وأفلاطون، وغيرهم من الأفاضل والقدماء ـ: إنّ في الوجود عوالم أُخرى ذوات مقادير غير هذا العالم الذي نحن[٩] فيه، وغير عالم[١٠] النفس وعالم[١١] العقل، فيه العجائب والغرائب، فيها من

---

(١) مركزاهما: مركز لهما A
(٢) طبيعيّين: طبيعيّتين A
(٣) الطبيعيّين: الطبيعيّتين A
(٤) يمل: تميل A
(٥) A63a
(٦) بلا: من غير P
(٧) كلام: الكلام A
(٨) متألّهو: متألّهة P
(٩) نحن: نحسّ A
(١٠) عالم: ـ P
(١١) عالم: ـ P

البلاد والعباد والأنهار والبحار والأشجار والصور المليحة والقبيحة ما لا يتناهى، ويقع هـذه العوالم في الإقليم الثـامن الذي فيه جابَلقا وجابَرصـا وهورقليا، ذات العجائب، وهي[١] وسط ترتيب العالم.

ولهذا العالم أُفقان:

ـ الأدنى، وهو ألطف من الفلك الأقصى الذي نحن فيه، وهو مرتفع عن[٢] إدراك الحواسّ.

ـ والأُفق الأعلى يلي النفس الناطقة، وهو أكثف منها.

والطبقات المختلفة الأنواع ـ من اللطيفة والكثيفة، والمُلذّة [المُبهِجة][٣]، والمؤلمة المزعجة ـ لا تتناهى[٤] بينهما. ولا بدّ للسالك من المرور عليه، والفاضل منهم من خرج عنه إلى فضاء الأنوار المُشرقة. وقد يشاهد[٥] هذه العوالم بعض الكهَنة والسحَرة وأهل العلوم الروحانيّة. فعليك بالإيمان بها، وإيّاك والإنكار. وردُّ[٦] المعلّم الأوّل إنّما يتوجّه[٧] على ظاهر أقاويلهم، لا على مقاصدهم.

وإذا بطل الخلأ وبطل وجود عالمين جرميّين، فالأجرام كلّها متراصّة[٨] منتظمة في حشو المحدّد. فالعالم كلّه كُرة واحدة وبيضة واحدة لا مكان لها. فيجب أن يكون المحيط الذي لا مكان له روحانيّاً متّصلاً بأُفق العالم[٩]. ولكلّ نوع من الأجرام المتمكّنة في مقعّره نوع من المكان، بحيث يوازي[١٠] أعدادُه أعدادَه[١١]. >[١٢]

---

(١) هي: + في P

(٢) عن: على A

(٣) والملذّة المبهجة: الملذّة والمبهجة AP

(٤) تتناهى: يتناهى A

(٥) يشاهد: نشاهد A

(٦) وردّ: فردّ A

(٧) يتوجّه: تتوجّه A

(٨) متراصّة: متراضية A

(٩) العالم: + الأوسط P

(١٠) يوازي: يواري A

(١١) أعداده: ـ A

(١٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١٤٧/٢ ـ ١٥٤

[مفيد الشكل والمقدار للأجسام]

فإذا تبيّن ما قرّرناه فنقول: ولمّا لزمت [للجسم][(١)] النهايةُ بالضرورة، لزمه الشكل[(٢)] والمقدار، فوجب أن يكون كلّ جسم ذا شكل ومقدار. ولزمه ذلك لا لماهيّته الجرميّة، وإلّا لَتماثلت الأجسام، واستوَت في مقاديرها، وتماثلت في أشكالها، حتّى يلزم تساوي مقدار الكلّ والجزء وشكلهما، وذلك ممتنع. وإذا امتنع أن يكون لزوم الشكل والمقدار للماهيّة الجرميّة، فهناك بالضرورة مفيد لهما؛ لاستحالة تجرّد المعلول عن العلّة، وذلك بالضرورة يكون خارجاً عنها. ولا يصحّ أن يكون جرماً، وإلّا [عاد][(٣)] الكلام بأن ينقل إلى ذلك الجرم، ويلزم المحال المذكور. فهو ـ أعني المفيد للشكل والمقدار ـ خارج عن جميع الأجرام، ولا ريب في تعدّد الأجرام، وتعدّدها محوج إلى مخصّصات لها بهيئاتها. وتلك المخصّصات ـ أعني الهيئات ـ لا يقتضيها الماهيّة الجرميّة، بل مخصّصات لا بالجرميّة، وإلّا لاتّفقت ـ أي تلك الهيئات ـ فيها؛ لاتّفاقها في الجرميّة، فتتّفق في مقتضياتها، لكن التالي باطل. فلا بدّ لها من مفيد، فمفيدها لا يكون جسمانيّاً.

[وجوب كون المحدّد كريّ الشكل]

وهو ـ أي المحدّد ـ يجب أن يكون كريّ الشكل؛ لأنّه لو لم يكن كريّ الشكل[(٤)] لزمه الزاوية؛ إذ ما لا يكون كريّاً من الأشكال فهو مشتمل على زوايا، ويلزمه حينئذٍ الانفراج؛ لأنّ ما له زاوية ففيه انفراج؛ لأنّ الخطوط إمّا مائلة أو غير مائلة، وعلى التقادير يتحقّق الانفراج بينها؛ ليحصل حقيقة الزاوية. ومنَعه ـ أعني الانفراج ـ الكتابُ

---

(١) للجسم: الجسم A
(٢) A63b
(٣) عاد: عادة A
(٤) الشكل: + وإلّا A

الإلهيّ، فالانفراج اللازم عن الزوايا، اللازم على تقدير عدم الكريّة في المحدّد ممنوع في القرآن العزيز، في قوله ـعزّ من قائلـ: ﴿وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ﴾[١] مشير إلى السماء، وقال تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ﴾[٢]. وإذا لم يصحّ عليه الانفراج، لم يكن ذا زاوية، فيكون شكله كريّاً.



(١) القرآن الكريم: ٦/٥٠

(٢) القرآن الكريم: ٣/٦٧

[حصول المواليد الثلاثة بامتزاج العناصر الأربعة]

واعلَم أنّ المواليد الثلاثة حصلت بامتزاج الأربعة. أراد بالمواليد[١] الثلاثة المعدِنَ والنبات والحيوان. وإنّما كانت مواليد لأنّها بالنسبة إلى العناصر الأربعة ـ التي هي النار، والهواء، والماء، والأرض ـ كالأبناء، وهي كالأُمّهات، وحركات الأفلاك مع المناسبات الكوكبيّة كالآباء، فيحصل الانفعال المزاجيّ. ولا يزيد على ثلاثة؛ لأنّه إمّا أن يكون سبباً لذي صورة، [حافظاً][٢] لعناصره عن الافتراق، غير قابل للنموّ و[التغذّي][٣]؛ أو مع قبولهما.

والأوّل: المعدِن.

والثاني: إن قبِل معهما الحسَّ والحركة فهو الحيوان، وإلّا فهو النبات.

ثمّ الحيوان إن كان من شأنه [إدراك][٤] المعقولات الكلّيّة بواسطة الفكر فهو الناطق، وإلّا فهو الصامت.



(١) A64a

(٢) حافظاً: حافظة A

(٣) والتغذّي: ـ A

(٤) إدراك: الإدراك A

[عدم منافاته لخلق الإنسان من الطين]

وإذا سمعتَ **كون الإنسان من الطين،** فاحكم بأنّ ما ذكرناه **لا ينافيه.** وذلك لأنّ في الكتاب الإلهيّ من الإشارات اللطيفة ما يوهم أنّ الإنسان خلِق من الطين[١] والصلصال ومن حمإٍ مسنون[٢]. وكلّ ذلك لا ينافي ما قرّرناه من كون هذه المواليد حاصلة من امتزاج العناصر بالفعل والانفعال؛ فإنّ ذلك يوجب كونه من ماء وتراب، والصلصاليّة هي الهوائيّة، والحمائيّة هي الناريّة. فافهَم الإشارات، وتفكَّر في العبارات، تقف على أسرار الكون.



(١) القرآن الكريم: ١٢/٢٣، ٧/٣٢

(٢) القرآن الكريم: ٢٦/١٥، ٢٨، ٣٢

[الفصل الثالث: في تجرّد النفس وقواها]

[استلزام معرفة النفس لمعرفة الربّ]

إرشـاد إلى المقصـود بـالـذات والمطلوب الأقصـى، أعني البحث عن الوجود الحقيقيّ الإلهيّ الواجب: ولمّا كان معرفة الإنسـان بنفسه مستلزم لمعرفة بارئه المُشار إليه في قوله ـعليه السـلامـ: «من عرف نفسـه، فقد عرف ربّه»[١]، صـدّر أوّلاً بالتنبيه على معرفـة الإنسـان، فقال: [٢]< **إنّك لا تغيب عن ذاتك، [فذاتك][٣] معقولة لك، وأنت [غافل عن بدنك][٤] وأجزائه، فأنت غيره.**

[مغايرة الإنسان للبدن وأعضائه]

وهذا اسـتدلال على مغايرة الإنسـان لهذا الهيكل المحسوس، أعني البدن وجميع أعضـائه. وبيانه أنّك إذا فكّرتَ عرفتَ[٥] يقيناً أنّك لا تغيب عن ذاتك، مع غفلتك عن أعضـائك وهيئاتها وجميع أجزاء بدنك. فمنها ما تشـاهد بقاء المدرَك لك دونها، مثل اليد والرجل ونحوهما[٦]، ومنها ما لا [تعرفه][٧] إلّا بالمقايسـة أو بعلم التشـريح، بل وقد لا يخطر ببالك أصلاً، أو تعرفه بعد حين. ومع ذلك فذاتك[٨] معقولة لك دائماً في جميع هذه الأحوال، دون هذه[٩] الأجزاء وهيئاتها. فلو كان شيء منها جزء ذاتك، فما[١٠]

---

(١) عوالي اللئالي: ١٠٢/٤

(٢) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٣) فذاتك: فذلك A

(٤) غافل عن بدنك: عاقل غير بذلك A

(٥) A64b

(٦) نحوهما: نحوها A

(٧) تعرفه: نعرفه A

(٨) فذاتك: وذلك A

(٩) هذه: هذا A

(١٠) ذاتك فما: ذلك ممّا A

كنتَ عقلتَ ذاتك دونه؛ إذ لا يُعقل[١] المركّب[٢] دون أجزائه، فبالضرورة أنت غير هذه الأشياء. >[٣]



(١) يعقل: نعقل A

(٢) المركّب: الشيء P

(٣) كلمة التصوّف: ١٠٩

[دليل ثانٍ على هذه المغايرة]

دليل آخر: **وأنت تعقل الجسم المطلق، ولو كانت صورته في جرم لَما طابق المختلفات. فمحلّها ليس بجرم ولا هيئة، فلا [يُشار][١] إليها؛ لخروجها عن عالم الجهات.**

[٢]< وتقرير هذا البرهان أنّك عقلتَ الجسم المطلق الواقع بمعنى واحد[٣] على أجسام كثيرة مختلفة المقادير والأوضاع. فلو كانت صورته في جرم أو في بعض هيئاته، كانت أمراً جرمانيّاً متقرّرة فيه، فيلزمها وضع خاصّ ومقدار معيّن؛ لضرورة المحلّ، فما طابقَت حينئذٍ المختلفات[٤]. فلمّا طابقت ـ بأن أُخذت صورة عقليّة للحيوان يطابق جميع أنواعه من حيث الحيوانيّة، تشترك فيها القُمَّل[٥] والفيل. وذلك لأنّ الحسّ كالبصر لا يدرك إلّا مع علاقة وضعيّة، حتّى إذا زال الشيء عن المقابلة زال الإبصار. والخيال [يجرّده][٦] عن تلك الصورة وعن تلك العلاقة، فيرتسم فيه صورة الشيء مع غيبته. ولكن لا يقدر على التجريد بالكلّيّة عن العوارض الغريبة، مِن أين ووضع وكيف، والعقل [يجرّده][٧] تجريداً تامّاً، فيجعل ما كان محسوساً مخيّلاً مع عوارضه الغريبة معقولاً دونها، كما يأخذ الحيوانات صورة طابقَت جميع أنواع الحيوانات صغارها وكبارها ـ فليست حينئذٍ منطبعة فيه[٨]. فمحلّها منك ذات ليس بجرم ولا هيئة[٩] فيه،

---

(١) يشار: تشار A

(٢) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٣) واحد: + واحد A

(٤) حينئذٍ المختلفات: المختلفات فيهما P

(٥) القمّل: النمل P

(٦) يجرّده: تجرّده A

(٧) يجرّده: تجريده A

(٨) فيه: فيها A

(٩) لا هيئة: الهيئة A

وحينئـذٍ فلا يكون مشــاراً(١) إليها؛ لتنزّهها(٢) حينئذٍ عن عالم(٣) الجهات والأوضــاع، و[كلّ ما](٤) يشار إليه فهو ذو جهة، فلا يكون نفسك ذو جهة. >(٥)



---

(١) يكون مشاراً: يشار P

(٢) لتنزّهها: لينزّهها A، لتبرّئها P || A65a

(٣) عالم: عوالم P

(٤) كلّ ما: كلّما A

(٥) كلمة التصوّف: ١٠٩ ـ ١١٠

[دليل ثالث على هذه المغايرة]

دليـل ثـالـث: **وكذلك الواحد المطلق، وإلّا لانقســم. [فعاقله][١] بريء[٢] من الأبعاد ولوازمها.**

[٣]< وتقرير هـذا الوجه أنّك أيضـاً أدركتَ الواحد المطلق الذي لا خصــوص فيه كبياضــيّة أو ســواديّة أو مقداريّة[٤]. فصــورته لو كانت في جرم أو هيئة جرم لانقســم بالضرورة؛ لانقسام محلّها، فما[٥] كنتَ عقلتَ الواحد الغير المنقسم أصلاً. ولكنّك قد عقلتَه، فالعاقل له منك بريء من الانفعال والانقســام ولوازم الأبعاد، وإلّا لقسّــمه. وكلّ ما هو بريء[٦] من الأبعاد ولوازم القسمة لا يكون جسماً ولا جسمانيّاً. >[٧]



(١) فعاقله: فعاقلة A

(٢) بريء: يرى A

(٣) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٤) مقداريّة: + فهو بالضـرورة محلّها؛ لانقسام شيء لا ينقسم أصلاً A

(٥) فما: _ A

(٦) بريء: يرى

(٧) كلمة التصوّف: ١١٠

[تعبيرات أُخرى للنفس الناطقة]

وهذه وجوه ثلاثة دالّة على تجرّد الإنسان. فالإنسان مجرّد، **وهو عند أهل الحكمة النفسُ الناطقة، وعند أهل التصوّف الكلمةُ.** وقد يعبّرون [عنه][١] بعبارات أُخرى كالسرّ، والنور الإسفهبد ـ أي الرئيس لجنس الجسم ـ، والكتاب الجامع، والعرش المحيط، وعرش الكائنات، وأرض كلّ الحقائق، والأرض المقدّسة، ومستوى الرحمن.

[ضرورة معرفة النفس]

[٢]< واعلَم أنّ البراهين والاستبصارات[٣] الدالّة على أنّ النفس الناطقة قوّة روحانيّة إلهيّة مجرّدة عن الموادّ، غير منطبعة في[٤] جرم ولا منقسمة، كثيرة مذكورة في مطوّلات كتب القوم[٥]، وما ذكرناه منها فهو إشارة خفيّة[٦].

واعلَم أنّ النفس[٧] شعاع روح القدُس، كما أنّ هذا الشعاع المحسوس شعاع الشمس، إلّا أنّ الشعاع النفسيّ لمّا قام[٨] بنفسه، و[٩] كان ظاهراً في ذاته ولذاته، وكان ألطف من الشعاع الشمسيّ بمراتب لا يحصيها إلّا البارئ تعالى، غاب عن الحسّ، وأنكره الجسمانيّون من الإنس، وتفطّن له المؤيّدون بالقدس.

ومعرفة هذا الشعاع[١٠] القدسيّ من أهمّ المهمّات الحكميّة[١١] والمسائل

---

(١) عنه: ـ A
(٢) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٣) الاستبصارات: الاستنصارات A
(٤) في: + ~~جسم~~ A
(٥) القوم: + الحكماء A
(٦) خفيّة: حقيقة A
(٧) النفس: + شعاع من A
(٨) لمّا قام: ما كان A
(٩) و: ـ A
(١٠) الشعاع: + ~~الشمسيّ~~ A
(١١) الحكميّة: الحكمة A

الحقيقيّة[١]. ومعرفته[٢] مفتاح الحكمة، وليس للحكمة مفتاح غيرها، ولا يتوصّل إلى الدخول في ملكوت السماوات والأرض[٣] وتحصيل مراتب الملَكيّة[٤] إلّا بمعرفتها[٥]، فهي أُمّ الحكمة وأصل الفضائل. فهي كما قال بعض الحكماء: «من عرف نفسه، حقّ له[٦] أن يعرف كلّ شيء»، وإليه الإشارة بالحديث النبويّ: «من عرف نفسه، فقد عرف ربّه»[٧].

وما ذكرناه هاهنا فهو معرفة لهذا الشعاع من جهة البراهين والإقناعيّات. وأمّا معرفتها من جهة الذوق والشوق واللطف والصفاء والحدس، فهو مذكور في كتب الحكمة الإشراقيّة[٨] على أتمّ الوجوه الممكنة. ولا يصير الإنسان فيلسوفاً ولا حكيماً حتّى يعرف هذا الشعاع معاينة[٩]، ويعرف بالبراهين تجرّده وبقاءه بعد خراب البدن وكونه مدرِكاً لذاته ولغيره.

فإذا تقرّر هذا في نفس الطالب، يُستغنى[١٠] عن بيان كونها ليست[١١] ببدن، أو عضو، أو مزاج، أو نار، أو هواء، أو غير ذلك؛ فإنّ المذاهب كثيرة في ذلك للقدماء، والباطل لا يحصى ولا يضبط[١٢]، ومن وجد[١٣] برد اليقين استغنى عن مناقشة الغير[١٤] ومنازعته.

---

(١) الحقيقيّة: الحقّيّة A || A65b
(٢) معرفته: معرفة A
(٣) والأرض: ـ P
(٤) الملكيّة: الملائكة A
(٥) بمعرفتها: لمعرفتها A
(٦) حقّ له: أمكنه P
(٧) عوالي اللئالي: ١٠٢/٤
(٨) كتب الحكمة الإشراقيّة: الرسالة التي عملناها في النفس P
(٩) معاينة: معانيه A
(١٠) يستغنى: يستغني P
(١١) ليست: لست A
(١٢) يضبط: ينضبط A
(١٣) ومن وجد: من A
(١٤) الغير: اليقين A

[حلّ رمز كلام أفاضل القدماء في تشبيه النفس بالنار وغيرها]

والذي نسب إلى أفاضل القدماء من قولهم: «إنّ النفس نار، أو[١] شرر[٢]، أو[٣] هباء، أو جزء من الممتزجات»، فإن صحّ ذلك عنهم، فهي رموز لا شكّ في ذلك. وإلّا فالقوم ـقدّس اللّه أرواحهمـ كانوا منغمسين في النور الإلهيّ والشعاع القدسيّ، يشاهدون الملأ الأعلى، ويقتبسون منهم الحكمة العظمى، ومراتب الكمالات. فكيف[٤] يليق بهم أن يجهلوا هذا وأحكامه[٥] وأمثاله؟

مع أنّهم كانوا يرمزون على علوم شريفة كانت لهم من علوم الروحانيّات، كعلوم السيمياء[٦] والكيمياء التي هي صنعة أنواع الجواهر. ولهم فيه نفس، وروح، وسماء، وأرض، وغير ذلك؛ فإنّ الجزء اللطيف الذي يترقّى[٧] في التصعيد يسمّى ناراً؛ لِبريق[٨] فيه وصبغ وحرارة، فإذا صعد إلى رأس الآنية[٩] يسمّى سماء، فإذا ردّ إلى الكثيف[١٠] الذي هو كيموسه[١١] يسمّى نفساً، فحينئذٍ يكون من الممتزجات. فيقع في ألفاظ أساطين الحكمة ـكفيثاغورس، وأنباذقلس، وغيرهماـ من أمثال هذه الكلمات، فيقولون: إنّ النفس جزء من[١٢] الممتزجات، والمبادئ عددٌ ما، والأصل واحد، والرجوع إلى واحد، والأرض قبل السماء، والسماء بخار أو دخان، أو[١٣] السماء خفيفة أو مركّبة من العناصر، وإنّ العناصر أصلها ماء أو هواء أو غير ذلك، وإنّ النفس تنتقل

---

(١) أو: و A
(٢) شرر: شرار P
(٣) أو: و A
(٤) فكيف: ~~فليس~~ A
(٥) وأحكامه: ـ P
(٦) السيمياء: + الخمسة P
(٧) يترقّى: ـ A
(٨) لبريق: + يكون P
(٩) الآنية: الإنّيّة P
(١٠) A66a
(١١) كيموسه: كيلوسه P
(١٢) من: + النفس A
(١٣) أو: و A

من نبات إلى حيوان أو إنسان أو(١) أمثال ذلك. فلا تحملْ(٢) هذه الكلمات على(٣) أُمور العالم، فتضلّ أو تخطئ في نسبتهم إلى ما لا ينبغي، بل هذه الألفاظ رموز رمزوا بها على لطائف في علومهم، وكلّ(٤) واحد منها عبارة عن شيء.

وأرسطو إنّما(٥) ردّ(٦) على ظاهر كلماتهم المرموزة، وذلك صحيح، ولا يصحّ على قواعدهم و(٧) مقاصدهم، فلا ردّ على الرمز. ولعلّه رأى في الردّ عليهم مصلحة، أو لعلّه أراد أن يترأّس أو يعظّم(٨) نفسه بالردّ عليهم؛ فإنّ الرجل لم يكن مجرّداً، بل كانت أسباب الدنيا عليه غالبة متوفّرة، ولم يخلُ من طلب رئاسة. >(٩)



---

(١) أو: و A

(٢) فلا تحمل: فلمّا تحوّل A

(٣) على: إلى A

(٤) وكلّ: فكلّ P

(٥) إنّما: فإنّما P

(٦) ردّ: + عليهم A

(٧) قواعدهم و: ـ P

(٨) يعظّم: تعظّم A

(٩) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٦٧/٢ ـ ٤٦٩

[المراد من القلب والروح في القرآن]

وفي الكتب الإلهيّة ـ كالقرآن العزيز ـ **يعبّر عنه** ـ أي عن الإنسان ـ **بالقلب،** كما في قوله: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ﴾[1]، وقوله: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2]. وأراد به النفس الإنسانيّة؛ لأنّها محلّ الاعتقادات العلميّة.

ويعبّر عنه أيضاً بالروح، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنا فيها مِنْ رُوحِنا﴾[4]؛ فإنّ ذلك كلّه عبارات عن الإنسان المخاطَب بهذه الخطابات، والواقع عليه وظائف التكاليف.



(١) القرآن الكريم: ١٠٦/١٦

(٢) القرآن الكريم: ٢٨/١٣

(٣) القرآن الكريم: ٨٥/١٧

(٤) القرآن الكريم: ٩١/٢١، ١٢/٦٦

[بعض خواصّ النفس]

[١]< **فهي** ـأعني النفس الإنســانيّةـ **ذاتٌ لا جرم ولا جرمانيّة، قائمة بذاتها**[٢]**،** لا في محلّ، **مدرِكة، لها التصرّف في الجرم.** >[٣]

فينتج ممّـا قرّرناه أنّ النفس الناطقة الإنســانيّة ذات متحقّقة في نفســها، توصَــف بالصـفات الحقيقيّة والسـلبيّة والإضـافيّة والاعتباريّة[٤]. وهي من حيث هي ذات قائمة بـذاتها، مســتغنية في قيامها في الخارج و[تحقّقها][٥] فيه عن محلّ تقوم به. فليســت متحيّزة، ولا حالّة في ما هو متحيّز. فلا تقوم بالبدن، ولا [بشــيء][٦] من آلاته، بل هي متجرّدة عنـه، لا تجرّداً كلّيّـاً، بـل لها تعلّق به؛ لاحتياجها في أفعالها على آلاته. وهي مدرِكة لنفســها بنفســها؛ لِما ســيجيء من أنّ التجرّد يقتضــي التعقّل. ومدرِكة لغيرها بواسطة آلاتها البدنيّة، لها تصرّف وتملّك في الأبدان، فهي مستواها، و[بها][٧] تحصل كمالاتها وأفعالها، كما هو مقرَّر في مباحثهم.



(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) بذاتها: ـ P
(٣) كلمة التصوّف: ١١٠
(٤) A66b
(٥) تحقّقها: يستحقّها A
(٦) بشيء: شيء A
(٧) بها: به A

[الاختلاف في حدوث النفس وقدمها]

واختلف [في][١] أنّها **هل توجد قبل المزاج؟**

قيل: لا؛ لأنّها إن تعدّدت تميّزت، ولا تميّز قبل البدن؛ وإن [اتّحدت][٢] اشترك [الكلّ][٣] في أنانيّة واحدة، والوجدان يكذّبه.

وقيل: نعم، وإلّا لكان المزاج شرطاً في وجودها، فتنعدم بعدمه، هذا خلف.

[استدلال على حدوث النفس]

[٤]< ذهب المتأخّرون إلى أنّ النفس حادثة، لا وجود لها قبل البدن. واستدلّوا عليه [بأنّ][٥] النفوس[٦] لو كانت أزليّة، فإمّا أن تكون[٧] واحدة أو كثيرة، والتالي بقسميه[٨] باطل، فالمقدّم مثله.

أمّا اللزوم فبيّن.

وأمّا بطلان التالي:

أمّا أنّها غير واحدة، فلأنّها لو كانت واحدة، فبعد التعلّق بالبدن:

ـ إن بقيت واحدة كما كانت، وجب أن يكون ما[٩] يعلمه واحدة من الناس يعلمه جميع الخلق، وليس كذا.

---

(١) في: ـ A

(٢) اتّحدت: اتّخذت A

(٣) الكلّ: الشكل A

(٤) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٥) بأنّ: أنّ A

(٦) النفوس: النفس A

(٧) تكون: يكون A

(٨) بقسميه: لتسمية A

(٩) ما: هما A

ـ وإن تعـدّدت وتجزّأت بعـد التعلّق، فيلزم أن تكون[١] جســمانيّة؛ إذ التجزّؤ بعد الوحـدة إنّمـا هو من خواصّ الأجســام. ولمّـا قـام البرهـان على تجرّدها وبراءتها عن العلائق الجسميّة، بطل تعدّدها بعد الوحدة.

وأمّا أنّها ليسـت بكثيرة، فلأنّها لو كانت كثيرة وجب أن يمتاز كلّ واحد منها بشيء. فذاك[٢] المميّز:

ـ إمّا أن يكون بنفس الماهيّة.

ـ أو بما هو داخل فيها.

ـ أو بما هو خارج عنها.

والأوّلان ظاهرا[٣] البطلان؛ لكون النفوس الإنسانيّة متساوية في تمام الماهيّة.

والثالث أيضاً محال؛ لأنّ ذلك الخارج عن الماهيّة إمّا أن يكون[٤] لازماً أو مفارقاً.

وممتنع أن يكون المميّز لازماً لا يفارقه[٥] في جميع أفراد النوع.

ويمتنع أيضـاً أن يكون بالعوارض[٦] المفارقة؛ لأنّها لا يكون إلّا في الموادّ، والنفس لا مادّة لها غير البدن، ولا بدن قبل البدن.

أمّا أنّ العوارض لا تكون[٧] إلّا في الموادّ، فلأنّ العرض لا يخصّص الفاعلُ العقليّ بـه بعض الأفراد دون الآخر؛ لتســاوي جميع أفراد النوع بـالنسـبـة إليـه. فيفتقر في تخصـيص[٨] العرض ببعض الأفراد إلى مادّة تكون[٩] هي السـبب في اختصاص ذلك العرض به.

---

(١) تكون: يكون A
(٢) فذاك: فذلك P
(٣) ظاهرا: ظاهر A
(٤) A67b
(٥) يفارقه: تفاقه P
(٦) بالعوارض: العوارض A
(٧) تكون: يكون A
(٨) في تخصيص: تخصّص P
(٩) تكون: يكون A

[استدلال ثانٍ على حدوث النفس]

حجّـة أُخرى(١): إنّ وجود(٢) المبـدأ الأوّل لا أوّل(٣) لـه. فلو كـانت النفوس قديمة حاصـلة قبل الأبدان، كانت(٤) غير متناهية، فيكون أسـبابها وجهاتها غير متناهية أيضاً. ثمّ يعود الكلام إلى تلـك الأسـبـاب والجهـات، ويلزم أن يكون في المفـارقات علل ومعلولات مجتمعة في الوجود غير متناهية، والبرهان قام على امتناعه.

[استدلال ناقص على حدوث النفس، والجواب عنه]

وقول بعضـهم: «لو كانت النفس قبل البدن موجودة، لزم أن يكون الشـيء الواحد مجرّداً عن المادّة بالكلّيّة أحياناً(٥)، ومخالطاً لها أحياناً، وذلك محال»، ليس بصواب؛ فإنّ النفس لا تخالط المادّة، ولو ذكر هذا في الصور والأعراض لكان له وجه.

وإن أراد بـالمخالطة المذكورة تعلّق النفس بالبدن، فذاك إنّما يكون محالاً إن(٦) لو كان التجرّد عن المادّة والعلاقة(٧). أمّا إذا كانت العلاقة في حالة(٨) والتجرّد في أُخرى، فلمَ قلـت: إنّ ذلك محال؟ بل هو(٩) واقع بعد موت البدن للكاملين علماً وعملاً. وإن خصّص العلّة بقيد(١٠) فقال: لو تقدّمت النفس على البدن، لزم أن يكون الشيء الواحد مفارقاً للمادّة أوّلاً، ثمّ يعرض له أن يصـير(١١) له علاقة مع البدن، فذلك(١٢) نفس محلّ النزاع. فعُلم أنّ النفوس الإنسانيّة محدَثة.

---

(١) أُخرى: + تقرّر A
(٢) وجود: _ A
(٣) لا أوّل: _ A
(٤) كانت: لكانت P
(٥) أحياناً: _ A
(٦) إن: _ A
(٧) العلاقة: + معها معاً P
(٨) حالة: حاله A
(٩) هو: _ A
(١٠) بقيد: تعيد A
(١١) يصير: تصير A
(١٢) فذلك: فلذلك A

[تشخّص النفس في حال التعلّق بالبدن]

والتشخّص والامتياز في حال التعلّق يكون بهيئة[١] تعرض للنفس من قَبل البدن وقواه[٢]، لا بنفس البدن وقواه؛ لأنّ البدن مباين الذات[٣] لها، وهي مباينة لحامل[٤] القوى[٥]، فلا يجوز أن يكونا مميّزين؛ لأنّ المميّز[٦] للشيء عن غيره إنّما يكون بما له في ذاته، لا بالجوهر المباين. فيجب أن يكون المميّز للنفس هذه[٧] العلاقة الشوقيّة المتخصّصة بقوى[٨] بدنيّة وبدن خاصّ؛ فإنّ البدن وقواه وإن باينتا النفس، إلّا أنّ العلاقة التي للنفس مع القوى البدنيّة المتخصّصة ببدن خاصّ شوقيّةٌ، وهي أمر ينال ذات النفس، وكانت صالحة للتمييز[٩].

[تشخّص النفس بعد المفارقة عن البدن]

وأمّا تشخّصها وامتيازها بعد المفارقة فبأحوال وصفات ملَكيّة وأفعال وانفعالات إدراكيّة وغيرها من جهات أُخرى، مع شعور كلّ واحد[١٠] بذاته التي حصل في كلّ واحد منها من الهيئات البدنيّة الكاملة والناقصة ما يوجب امتياز كلّ منهما عمّا عداها. فلا يكون حال النفس بعد مفارقة البدن كحالها قبل مفارقته.

[كيفيّة العلاقة بين النفس والقوى، وبين القوى والبدن]

والعلاقة التي بين النفس والقوى، وبين القوى والبدن، لا يكون حالهما[١١] كحال

---

(١) بهيئة: لهيئة A
(٢) وقواه: _ A
(٣) الذات: _ P || A67b
(٤) لحامل: بحامل A
(٥) القوى: + أيضاً P
(٦) المميّز: التمييز A
(٧) هذه: هو P
(٨) بقوى: يقوى A
(٩) للتمييز: للمتميّز A
(١٠) واحد: أحد A
(١١) حالهما: حالها A

المتضـايفين؛ لكون المضـاف عرضـاً[١]، و[٢] لا يتصـوّر تعقّل أحدهما إلّا مع الآخر. وليس حال النفس والبدن كذا؛ فإنّهما جوهران ليسـا[٣] بمتضايفين لذاتهما[٤]، بل هما أمران يلحقهما الإضـافة؛ لكون النفسـيّة والبدنيّة يسـتدعى كلّ واحد منهما الآخر[٥]. ويكون القوى تابعة للإضافة، لا أنّها تكون[٦] نفس الإضافة.

وكذلك لا يكون علاقة النفس بالبدن كعلاقة الجسم بالجسم[٧] أو العرض بالجسم؛ لِما علمتَ أنّ النفس جوهر مجرّد عن المادّة، فكيف علاقته كعلاقة الجسم بجسم آخر ـإمّا بمماسّة، أو مقابلة، أو مجاورة، ونحوهـ، أو العرض بالجسم ـبحلوله[٨] فيهـ؟

وليس العلاقة بينهما كعلاقة[٩] العلّة بالمعلول[١٠]؛ فإنّ البدن لا يكون علّة للنفس؛ لأنّ[١١] الشيء لا يوجِد ما هو[١٢] أشرف منه؛ لأنّ تأثيره يختصّ[١٣] في ما يناسبه وضعاً. والنفس لا تكون[١٤] علـّة للبدن، وإلّا لامتازت دونه؛ لأنّها ما لم تحصـل متعيّنة لا تفعل.

فهي ـأي[١٥] العلاقةـ علاقة شـوقيّة عشقيّة تكون للنفس[١٦] إلى البدن[١٧] لمناسبة بينهما؛ لاستعداد البدن بالمزاج المخصوص لقبول أفاعيلها.

---

(١) عرضاً: عرض A
(٢) و: ـ P
(٣) ليسا: ليستا A
(٤) لذاتهما: بذاتيهما A
(٥) الآخر: للآخر A
(٦) تكون: يكون A
(٧) بالجسم: + آخر A
(٨) بحلوله: كحلوله A
(٩) بينهما كعلاقة: ـ A
(١٠) بالمعلول: مع المعلول A
(١١) لأنّ: أنّ A
(١٢) هو: ـ A
(١٣) يختصّ: مختصّ A
(١٤) تكون: يكون A
(١٥) أي: أعني P
(١٦) تكون للنفس: يكون النفس A
(١٧) A68a

[سبب تشبيه المزاج بالنار]

وشــبّـه الحكمـاء المزاجَ الـذي هو العلّـة في حـدوث[١] النفس وتعلّقهـا بـالبدن واشتعاله[٢] بنار النفس المشتعلة من النار العظيمة المسمّى بالعقل الفعّال الذي قد ملأ ملأ أقطارَ العالم نورُه بفتيلة مبتلّة بزيت واشـتعالها من مصـباح جاورها. ولِما كان بين الحديد والمغناطيس ـمع كونهما جسـمين ـ من العلاقة الروحانيّة ما اقتضت تحريك أحدهما الآخر[٣]، فلا يُتعجّب[٤] من تعلّق النفس بالبدن وتحريكها له.

[تبرير كلام القدماء في تقدّم النفس الكلّيّة على البدن]

وأمّـا مـا جاء في كلام القدماء [من][٥] أنّ النفس الكلّيّة متقدّمة على البدن، فليس مرادهم مـا يُفهم من ظـاهر اللفظ. وإنّمـا يريـدون بـالنفس الكلّيّـة مجموعَ النفوس[٦] الحاصــلة في الوجود؛ لأنّ كلّ بدن حادثٍ أو أبدان حادثة[٧] لا بدّ وأن يتقدّمها نفوس كثيرة غير متنـاهيـة. فهذه النفوس الحاصــلة يكون لها مجموع ســابق دائماً، بخلاف الأبدان الفاسدة[٨] التي لا كلّيّة لها حاصلة، فلا يكون لها مجموع.

وقد يريدون عند إطلاقهم أنّ النفس الكلّيّة متقدّمة على الأبدان، نفوسَ الأفلاك[٩]؛ فـإنّهـا متقـدّمة على أبداننا؛ لأنّ[١٠] نفوســنا حادثة[١١]، وحركاتها متقدّمة على جميع الحادثات. ولا يريدون بالتقدّم تقدّمَ نفوس الأفلاك على أبدانها؛ فإنّ جســم الفلك لا

---

(١) حدوث: صدور A
(٢) اشتعاله: اشتعالها A
(٣) الآخر: للآخر P
(٤) يتعجّب: تتعجّب P
(٥) من: ـ AP
(٦) النفوس: النفس A
(٧) حادثة: حاصلة A
(٨) الفاسدة: المفسودة P
(٩) الأفلاك: + وحركاتها A
(١٠) لأنّ: و A
(١١) حادثة: الحادثة A

يسمّونه بدناً، بل البدن إنّما يطلقونه على الحيوانات الأرضيّة.

[ردّ مذهب أفلاطون في تقدّم النفس على البدن]

والأظهر أنّ من قال بقدم[١] النفس من الحكماء، إن لم يكن أراد به ما ذكرناه، ولم يكن رمَز به[٢] على شيء، بل أراد بقدمها[٣] تقدّمها على البدن ـ كما نقل عن أفلاطون أنّها إنّما هبطت إلى هذا العالم لتكمل نقصها[٤] ـ فليس بصحيح؛ إذ[٥] لو جاز تقدّمها على البدن، مع كونها جوهراً مجرّداً عن المادّة، ظاهراً[٦] لذاته، وهو عاقل ومعقول، وكان المانع له عن التعقّل إنّما هو المادّة ولواحقها، فما كان بينها وبين المبادئ العقليّة حجاب ولا عائق ومانع. فكانت[٧] تنتقش بالصور[٨] العقليّة، وتشاهد عالم النور والروحانيّات وما هناك من الغرائب والعجائب، ويحصل لها الكمال الحقيقيّ. فلم تنجذب بعد الوصول إلى ما هو غاية مراتب الإنسانيّة إلى بدن طفل ضعيف مُظلِم لا نور فيه. والحدس الصحيح والفطرة السليمة يتنبّه[٩] لهذا الأمر بأقلّ سعي، دون الحاجة إلى هذا التطويل.

[تأويل كلمات نقلت عن متألّهي الحكماء حول النفس]

و[١٠] هاهنا كلمات نقلت عن متألّهي الحكماء، لا بدّ من تأويلها.

[هبوط النفس فراراً من غضب اللّه]

كقولهم: «إنّ النفس إنّما هبطت إلى هذا العالم فراراً من غضب اللّه تعالى[١١]».

---

(١) بقدم: تقدّم A
(٢) رمز به: رمزيّة A
(٣) أراد بقدمها: ـ A
(٤) نقصها: نفسها A
(٥) إذ: و P
(٦) ظاهراً: ظاهر A
(٧) A68b
(٨) تنتقش بالصور: تتنقّش بالصورة A
(٩) يتنبّه: تتنبّه A
(١٠) و: يبقى P
(١١) تعالى: ـ P

فإنّه لا يخفى عليهم أنّه ليس في العالم العِلويّ إمكان وقوع خطيئة وارتكاب معصية. كيف؟ ووقوع المعصية من الحوادث التي تحتاج إلى حركات فلكيّة، وذلك العالم فوق الحركات والاتّفاقات. وإنّما[1] يريدون بخطيئة النفس تعلّقها ببدنها؛ لاستعداده للحصول عن الواهب، وكانت عند[2] التعلّق ناقصة الجوهر؛ لكونها بالقوّة، فكانت[3] جريمتها الطبيعيّة إنّما هو نقصانها، وكان هبوطها إعراضها عن المفارق، لأجل العلاقة البدنيّة، فيكون تدبيرها للبدن مانعاً لها عن إدراك المعقولات. فهي هابطة مُعرضة عن العقل بسبب العلاقة البدنيّة، فيكون الفرار عن سخط اللّه هو طلبها للكمال النظريّ والعمليّ.

[حصول الظلمة من النور وحبسه عندها]

وقول بعض الحكماء من الفُرس: «إنّ الظلمة حاصرة للنور مدّة، وحبسَته حتّى أمدَّته الملائكة، فاستظهر على أهرِمن الذي هو الظلمة، فقهرها، ثمّ إنّه أمهلها إلى أجل محدود. والظلمة إنّما حصلت عن النور لفكرة رديئة سنحت له».

فمرادهم بهذه الرموز إنّما هو النفس والقوى البدنيّة؛ فإنّ النفس لمّا كانت جوهراً نورانيّاً، فالظلمة هي القوى البدنيّة، وسلطانها[4] على النفس وجذبُها إلى هذا العالم هو الذي حصرها[5] وحبسها.

وأمّا مدد الملائكة، فمعناه مصادفة توفيق القدَر بإعداد النفس للإشراقات العقليّة، وخروجها من القوّة إلى الفعل.

وأمّا الإمهال إلى أمَد محدود، فمعناه بقاء القوى واستعمالها إلى أوان الموت.

---

(١) وإنّما: دائماً A

(٢) عند: + ~~التعقّل~~ A

(٣) فكانت: وكانت A

(٤) سلطانها: تسلّطها P

(٥) A69a

وأمّـا مرادهم بـالفكرة الرديئة، فهو إعراض النفس عن الأُمور العقليّة، والتفاتها إلى الأُمور المادّيّة.

[امتزاج النور بالظلمة وخلاصه عنها]

وقـال زرادشـــت: امتزج النور بـالظلمـة ـوأراد النفس والبدنـ، وخلص النور عن الظلمة.

فجعـل المزاج مبـدأً، والخلاص معـاداً. وهو وأتبـاعه يرون أنّ النفس جوهر مجرّد نورانيّ، وهو من[١] عـالم النور، متعلّق بالبدن الذي هو من[٢] عالم الظلمة. فسـعادته خلاصـه عن الظلمة، وخرقُه[٣] الأفلاكَ، وخروجه إلى عالم النور؛ وشـقاوته إنّما هو بقاؤه في الظلمة. >[٤]

ولهم في[٥] المقام أسـرار لطيفة هي نفائس[٦] العلوم على التحقيق، أخفاها الزمانُ، كما أخفى العلومَ النافعة والمطالب المهمّة[٧] في الدنيا والآخرة[٨]. واشتغالُ الناس في هذه الأزمنة بما لا يُجدي نفعاً، ولا يخلص من الظلمات[٩] فيهما.



---

(١) من: ـ A

(٢) من: ـ A

(٣) خرقه: حرقة A

(٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٧٢/٢ ـ ٤٧٧

(٥) في: + هذا A

(٦) لطيفة هي نفائس: ونفائس هي P

(٧) المهمّة: + المفيدة P

(٨) الآخرة: الدين A

(٩) ولا يخلص من الظلمات: كثيراً P

[شواهد قرآنيّة على تجرّد النفس]

[١]< **ولكونها** ـ أي ولكون النفس ـ **غير جرميّة شـواهـد من التنزيـل.** فالقرآن العزيز دالّ على تجرّد النفس وكونها ليست من عالم الكون والفساد؛ **فإنّه** ـ أي التنزيل القرآنيّ ـ **وصَفها** ـ أي وصَف النفسَ ـ:

بالرجوع إليه تعالى، في قوله: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٢].

ووصَـفها أيضـاً بالعروج إليه تعالى، في قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْه﴾[٣]. وأراد بالروح هنا النفس.

ووصَـفها أيضـاً بأنّها عنده. **وكونها عنده** عبارة عن اسـتقرارها في حالة تجرّدها، وذلك في قوله تعالى: ﴿في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٤].

وكذلك **ملاقاته**، في قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾[٥].

ومصـيرها إليـه، في قولـه تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصـيرُ﴾[٦] و﴿إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ﴾[٧].

واستقرارها عنده، في قوله تعالى: ﴿إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ[٨]﴾[٩].

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) القرآن الكريم: ٢٧/٨٩ ـ ٢٨
(٣) القرآن الكريم: ٤/٧٠
(٤) القرآن الكريم: ٥٥/٥٤
(٥) القرآن الكريم: ٤٤/٣٣
(٦) القرآن الكريم: ٢٨/٣، ٤٢/٢٤، ١٨/٣٥
(٧) القرآن الكريم: ٣٠/٧٥
(٨) A69b
(٩) القرآن الكريم: ١٢/٧٥

ودُنوّها منه، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنا[1] فَتَدَلَّى ۞ فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى﴾[2].

وكلّ [تلك][3] لا تُتصوّر في ذي الأبعاد الجرميّة والهيئات؛ لأنّ جميع ما ذكرنا من هذه الأحوال المذكورة للنفس مع الحقّ تعالى دالّةٌ على تجرّدها؛ لأنّ تلك كلّها غير متصوّرة في مَن هو ذو أبعاد جرميّة، فيكون جسماً أو هيئة ملازمة [للمحلّ][4] والجهة؛ فإنّه لا يمكن ملاقاته وحضوره واستقراره عند مَن هو غير موصوف بالأبعاد؛ للتنزّه عن المكان والحلول و[لوازمهما][5]؛ لِما بينهما من المباينة الكلّيّة. فلا بدّ من كونها غير جرميّة؛ ليجري هذه الإشارات الرمزيّة القرآنيّة على حقائقها، دون مَجازاتها؛ فإنّه لا يُصار إليه إلّا مع تعذّر الحقيقة، ولا تعذّر هنا؛ لقيام الشواهد العقليّة على التجرّد، واعتضدت [هذه][6] الإشارات موافقة لِما شهد به العقل الصريح.



---

(١) ثمّ دنا: فدنا A

(٢) القرآن الكريم: ٥٣/٨ _ ٩

(٣) تلك: ذلك A

(٤) للمحلّ: المحلّ A

(٥) لوازمهما: لوازمها A

(٦) هذه: بهذه A

[شواهد نبويّة على تجرّد النفس]

ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «أبيتُ عند ربّي، يطعمني ويسقيني[1]»[2]. يريد من جملة الإشارات الدالّة على ما نحن بصدده، ما ورد في هذا الباب من السنّة النبويّة، بما أخبر به عن نفسه من الحديث المذكور.

ومثله **قوله ـ عليه السلام ـ** عند احتضاره: «**الرفيق الأعلى**»[3]، فإنّه من هذا الباب؛ لاستحالة المرافقة بين الجسمانيّات المقارنات والمفارقات.

ومنه **قوله: «المصلّي يناجي ربّه»[4]؛** إذ المناجاة المحسوسة مستحيلة في غير الأجرام، مع أنّ المصلّي المحسوس هو الجرم، فدلّ [على][5] أنّ المصلّي بالحقيقة ليس بجرم. فهو المناجي بالحقيقة؛ لأنّ ما ليس بجرم يصحّ أن [يكون][6] مناجياً لِما ليس كذلك؛ لِما بينهما من الاتّحاد في التجرّد عن المقارنات، وذلك هو معنى القرب المعنويّ والاتّحاد الشبهيّ والاتّصال العقليّ. وذلك من أقوى الدلالات على تجرّد الإنسان؛ لأنّه المصلّي المخاطب بها وبجميع أحوال التكاليف.



(١) يسقيني: يسقين A
(٢) عوالي اللئالي: ٢٣٣/٢
(٣) الكافي: ٣١٧/١٥؛ من لا يحضره الفقيه: ١٦٣/٤؛ الأماليّ للمفيد: ٥٣؛ إعلام الورى: ١٣٧؛ مناقب آل أبي طالب: ٢٣٧/١
(٤) عوالي اللئالي: ٣٩/٤
(٥) على: ـ A
(٦) يكون: تكون A

[شواهد من كلمات المشايخ على تجرّد النفس]

ولهذا **سـئل بعض المشـايخ من أهل التصـوّف، فقال: «من كان مع اللّه بلا مكان»**[١]. وإشارته[٢] إلى ما أشار به ـعليه السلام ـ من المناجاة المعنويّة بالتجرّد عن متعلّقـات البدن، والانسـلاخ عن الملابس الناسـوتيّة، والاتّصـال بالعالم اللاهوتيّ والأنوار المجرّدة، وكلّ ذلك متعذّر من الأجرام.

ومنه **قول بعضـهم: «وكنّا حيثما كانوا، وكانوا حيثما كنّا»**. وهذا القول منسـوب إلى الجنيد ـرحمه اللّه ـ وقد سئل عن الحقيقة، فأنشد:

وغنّى لي من قلبي، وغنّيت كما غنّى وكنّا حيثما كانوا، وكانوا حيثما كنّا[٣]

وفيه إشارة إلى التجرّد بالرياضات، والانسلاخ عن متعلّقات المادّة.

ومثله **قول أبي طالب المكّيّ في حقّ أُسـتاذه أبي الحسـن بن**[٤] **سـالم، لمّا سئل عنه: «إنّه طوي له**[٥] **المكان»**[٦]. وكلّ ذلك مستحيل في الجرميّات.

ووصَـف بعضُـهم النبيَّ ـصـلّى اللّه عليه وآله وسـلّم ـ، فقال: «إنّه غمض[٧] **العين عن الأين»**[٨]. وهو مرويّ عن حسـين [بن][٩] منصـور الحلّاج في كتـاب الطواسين.

---

(١) كلمة التصوّف: ١١١
(٢) A70a
(٣) رسائل الجنيد: ٢٤٨
(٤) أبي الحسن بن: الحسور A
(٥) له: عنه A
(٦) قوت القلوب: ١٢٧/٢
(٧) غمض: أغمض A
(٨) كتاب الطواسين: ٩٥
(٩) بن: ـ A

ومثله قول بعضهم في وصفه ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: «إذا لبس[١] لبسة رفع عنه[٢] الكون في المكان»[٣].

وقال بعضهم: «طلبتُ ذاتي في الكونين، فما وجدتُها»[٤]، وهو منسوب إلى الحلّاج.

ومثله قوله: «تبيّن ذاتي حيث لا أين»[٥].

وقوله ـ لمّا أُريد صلبه ـ: «حسب الواحد إفراد الواحد له»[٦].

وقال في حقّ الصوفيّ: «إنّه وحدانيّ الذات، لا يَقبل ولا يُقبل»[٧].

إلى غير ذلك من العبارات المشتملة على هذه الإشارات، الدالّة على تجرّد الإنسان، وأنّه ليس بذي أبعاد ولا جرمانيّ. **وما هو جرم أو هيئة يستحيل رفعه عن المكان**، أو إغماضه عن الأين. وكلّ جرم فهو منقسم، وكذا هيئة، والواحد لا ينقسم.

وفي كلام القوم من هذه كثيرة لا تنحصر، وكلّها دالّة على أنّ مذهب القوم القولُ بتجرّد الإنسان؛ لِما [شاهدوا][٨] في حال الكشف لهم عن حقيقته بالرياضات، فعاينوا [أنفسهم][٩] بهذه الحالة معاينة جليّة، فنطقوا بهذه الرموز، واتّفقوا[١٠] كلّهم فيها؛ لاتّفاقهم في الوصول إلى تلك[١١] المشاهدة.



---

(١) لبس: لبسه A

(٢) عنه: ـ A

(٣) كلمة التصوّف: ١١١

(٤) منسوب إلى أبي يزيد البسطاميّ، كما في: الألواح العماديّة: ٤٩؛ بستان القلوب: ٣٧١

(٥) ديوان الحلّاج: ١٦٠

(٦) نفس المصدر: ٧٦

(٧) كلمة التصوّف: ١١١؛ الرسالة القشيريّة: ٤٠٠

(٨) شاهدوا: شاهده A

(٩) أنفسهم: نفسهم A

(١٠) اتّفقوا: اتّفقت A

(١١) A70b

[جهتنا التجرّد والتعلّق للنفس]

ولها ـ أي للنفس ـ **[نسـبة]**(١) **بالقدس و[نسـبة]**(٢) **بالبدن،** >(٣) فكانت جامعة للجهتين:

ـ جهة التجرّد(٤) باعتبار الهويّة الذاتيّة، فصـارت بذلك متعلّقة بالجانب القدس، أعني عـالم التطهير، وهو عـالم المجرّدات النوريّـة من العقول والأنوار الربّانيّة. فلا بدّ هناك من علاقة هي شوق ومحبّة تحصل معه الانجذاب.

ـ وجهة تعلّق بالبدن باعتبار الأفعال وتحصـيل الكمالات الكسـبيّة، المتوقّفة على الآلات البدنيّة. فلا بدّ هناك من علاقة هي شـوق ومحبّة تحصـل معه الانجذاب إلى متعلّقات عمارة البدن والإلف به، فكانت بسـبب ذلك محتاجة إلى الموصِـل لها إلى الأفعال البرزخيّة.



(١) نسبة: نسبته A

(٢) نسبة: نسبته A

(٣) كلمة التصوّف: ١١٠ ـ ١١١ (مع شرح وتفصيل)

(٤) التجرّد: + و A

[قوى النفس الحيوانيّة]

ولها لأجل ذلك **قوىً:**

ـ [قوّة][١] مدرِكة، في الظاهر [خمس][٢] وفي الباطن كذلك، [و][٣] محلّها الدماغ.

ـ وقوّة محرّكة، و[تنقسم إلى][٤] قوّة باعثة، إمّا جالبة لنفع أو دافعة [لضرر][٥]، الأُولى [شهويّة][٦] والثاني غضبيّة؛ [وإلى قوّة فاعلة][٧].

[النفس الحيوانيّة وما تحتاج إليه]

[٨]< اعلَم أنّه إذا امتزجت العناصر امتزاجاً أتمّ ممّا للمعادن والنبات، قبلت من الكمالات كمالاً أشرف من كمالهما[٩]، وهي النفس الحيوانيّة المشتملة على الإدراك والتحريك، وباعتبارهما كانت[١٠] أشرف.

والمراد بالتمام ما كان إعداده لقبول الكمال من العقل المفارق أشدّ.

ولا يحتاج هذا[١١] إلى برهان لظهوره. وعلّة القبول لهذا[١٢] الكمال الأشرف هو

---

(١) قوّة: ـ A

(٢) خمس: حسّ A

(٣) و: ـ A

(٤) تنقسم إلى: ـ A

(٥) لضرر: لضارّ A

(٦) شهويّة: شهوته A

(٧) وإلى قوّة فاعلة: ـ A

(٨) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٩) كمالهما: كمالاتها A

(١٠) كانت: + النفس الأشرف P

(١١) هذا: ـ A

(١٢) لهذا: لهذه A

الاعتـدال الـذي ليس موجوداً في غيره. فـالحيوان أقرب إلى الاعتـدال الحقيقيّ من الصنفين، وكان أقبل للكمال الأشرف، وهو الإدراك والحركة الحسّيّة.

والمتعلّق الأوّل لهذه النفس هو مزاج الأرواح، وفيها من المناسبات الكثيرة الموجبة للتعلّق ما لا يوجد في غيرها، من صـفائها، ونوريّتها، وظهور المثال فيها، وقبولها صور الأشباح. و(١) لمّا كانت لطيفة احتاجت:

ـ إلى عضو يمنعها عن التفرّق والتلاشي(٢)، وهو القلب.

ـ و(٣) إلى عضو(٤) يُمدّها(٥) بالغذاء، وهو الكبد(٦).

ـ و(٧) إلى عضو يجعلها مستعدّة لأن تكون(٨) مبدأ الحسّ(٩) والحركة، وهو الدماغ.

ثمّ(١٠) سـائر الأعضـاء واحداً بعد واحد بحسـب الاحتياج إليه، حتّى(١١) ينتهي إلى أنملة الأصابع(١٢)، فيكمل بذلك(١٣) الشخص.

[تعريف النفس]

فالنفس الحيوانيّة كمال أوّل لجسم طبيعيّ آليّ من شأنه أن يحسّ ويتحرّك.

فـ«الكمال» هو ما يكمل به النوع.

واحترزنـا(١٤) بـ«الأوّل» عن الكمالات الثواني، كالعلم وغيره من الأفاعيل واللوازم؛ وبـ«الطبيعيّ» عن الصناعيّ؛ وبـ«الآليّ» عن صور(١٥) العناصر.

---

(١) و: لكنّها P

(٢) التلاشي: الانفشاش P

(٣) و: ثمّ تحتاج P

(٤) عضو: + آخر P

(٥) يمدّها: تمدّها A

(٦) وهو الكبد: ـ A

(٧) و: ثمّ P

(٨) تكون: يكون A

(٩) الحسّ: للحسّ P

(١٠) A71a

(١١) حتّى: إلى أن P

(١٢) الأصابع: الإصبع A

(١٣) بذلك: مدرك A

(١٤) احترزنا: احترز P

(١٥) صور: صورة A

فإذا أُريد[١] دخول الأنفس[٢] النباتيّة والمعدِنيّة، قيل[٣] بعد قوله[٤] «بجسم طبيعيّ آليّ» «ذي حياة بالقوّة»، ومعناه أن يكون[٥] ذا آلات يمكن أن يصدر عنه بتوسّط تلك الآلات وبغير توسّطها ما يصدر من أفاعيل الحياة التي هي التغذّي، والنموّ، والتوليد، والإدراك، والحركة الإراديّة، والنطق.

فإن أُريد[٦] دخول نفوس الأفلاك، قيل[٧] بعد قوله[٨] «بجسم طبيعيّ آليّ» «ذي إدراك وحركة يتبعان تعقّلاً كلّيّاً حاصلاً بالفعل».

[تفصيل القول في القوى الحيوانيّة]

والحيوان له بالقسمة الأُولى قوّتان: مدرِكة ومحرّكة. ولكن لمّا كانت الحركة عن إدراك، كان الإدراك متقدّماً[٩] على التحريك؛ لأنّه يستدلّ بالإدراك على الحركة.

والإدراكات الحيوانيّة تتعلّق[١٠] بقوىً ظاهرة وأُخرى باطنة.

[الحواسّ الظاهرة]

[البحث الأوّل][١١]: في الحواسّ الظاهرة. والحقّ أنّه لو أمكن أن يكون في الوجود قوّة أُخرى يدرك[١٢] بها هذه المحسوسات أو محسوسات أُخر[١٣] غير هذه ـ مع أنّ العلم كمال للنفس، واستعدادها محصول الكمال، وعدم البخل في الفاعل موجود ـ

(١) أُريد: أردنا P
(٢) الأنفس: + الأرضيّة أعني P
(٣) قيل: قلنا P
(٤) قوله: قولنا P
(٥) معناه أن يكون: معنى ذلك كونه P
(٦) أُريد: أردنا P
(٧) قيل: قلنا P
(٨) قوله: قولنا P
(٩) متقدّماً: في الرتبة مقدّم P
(١٠) تتعلّق: معلّق A
(١١) البحث الأوّل: القول A
(١٢) يدرك: مدرك A
(١٣) أُخر: أُخرى A

فكان يجب حصول تلك القوّة في النفس؛ فإنّه ﴿ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنينٍ﴾[١].

[الأُولى: اللمس]

الأُولى: اللمس. وهو[٢] أهمّ الحواسّ للحيوان، ولا يمكن بقاؤه دونه. واحتياجه إلى القوّة اللامسة أشدّ من احتياجه إلى سائر الحواسّ؛ لأنّ للحيوان[٣] حدّاً من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، لا يبقى الحيوان عند الزيادة عليه أو النقيصة عنه. فاقتضت[٤] الحكمة الإلهيّة هذه القوّة؛ ليتمكّن من الهرب عند زيادة الكيفيّات المُفسدة، وبواقي الحواسّ[٥] يقرب بواسطتها[٦] من جانب المنافع[٧]، إلّا أنّ دفع المضارّ المُهلكة أولى وأقدم من جلب[٨] المنافع المكمّلة[٩]؛ فإنّ جلب المنافع تابع لسلامة المزاج.

وإدراك هذه القوّة[١٠] للكيفيّات إنّما يكون إذا حصلت المماسّة بين العضو اللامس وبين محلّ الكيفيّة الملموسة[١١]. ودليله[١٢] الاستقراء.

ولا بدّ أن يكون الواسطة المؤدّية لتلك الكيفيّة خليّة عن مثلها[١٣]؛ فإنّه لو كان في الواسطة المؤدّية كيفيّة مشابهة لكيفيّة ما يؤدّيها، لم يحصل الانفعال، فلا[١٤] يحصل الشعور، مع لزوم محال آخر، وهو[١٥] اجتماع المثلين.

---

(١) القرآن الكريم: ٢٤/٨١

(٢) هو: هي A

(٣) للحيوان: كلّ حيوان لمزاجه P

(٤) فاقتضت: فخلقت P

(٥) A71b

(٦) بواسطتها: بواسطته A

(٧) المنافع: + المكمّلة P

(٨) جلب: جلبه A، جذب Ps

(٩) المكمّلة: المكلّمة A

(١٠) هذه القوّة: القوّة اللامسة P

(١١) الملموسة: ـ A

(١٢) دليله: يدلّ عليه P

(١٣) مثلها: تلك الكيفيّة P

(١٤) فلا: ولا A

(١٥) مع لزوم ... هو: ـ A

وكذلك لو كانت الكيفيّة الحالّة[١] في آلة اللمس أقوى من الملموسة، لم يحصل الانفعال في الآلة، بل كانت كيفيّة الآلة تفعل[٢] في الكيفيّة الملموسة، فلا[٣] يحصل الشعور.

ولمّا كانت الآلة المؤدّية للملموس[٤] غير خالية[٥] بالكلّيّة عن الكيفيّات الأربع، فيجب أن تكون[٦] مدرِكة للأطراف بسبب التوسّط المزاجيّ. فكلّما كانت الآلة أقرب إلى الاعتدال، كانت ألطف في الإحساس اللمسيّ.

ولمّا كان الإحساس انفعالاً[٧] ما، وهو إنّما يحصل عند زوال شيء وحصول آخر، فالكيفيّات[٨] المستقرّة لا انفعال لها[٩]، كالأمزجة الرديئة إذا استقرّت بطلت[١٠] الأمزجة الأصليّة وتصير كالأصليّة، وحينئذٍ لا تحسّ[١١]، كحرارة الدقّ التي لا تحسّ، وإن كانت أقوى من الغبّ. فيجب أن يكون الإحساس عند الحالة المضادّة لحالة[١٢] البدن.

والبسائط لا توسّط مزاجيّ[١٣] فيها، فلا لمس لها، فلا[١٤] حياة لها.

[ما تدرَك بالقوّة اللامسة من الكيفيّات]

والقوّة اللامسة تدرك ثمانية أنواع من الكيفيّات:

---

(١) الحالّة: الحاصلة له A
(٢) تفعل: يفعل A
(٣) فلا: ولا A
(٤) للملموس: للملموسة A
(٥) خالية: خليّة P
(٦) تكون: يكون A
(٧) انفعالاً: انفعال A
(٨) فالكيفيّات: والكيفيّات A
(٩) لها: بها A
(١٠) بطلت: بطلب A
(١١) تحسّ: يحسّ A
(١٢) لحالة: بحالة A
(١٣) مزاجيّ: المزاجيّ A
(١٤) فلا: ولا A

ـ فالأربعة الأُولى هي الكيفيّات الأربع الأُولى التي ما صحّ الكون والفساد إلّا بها.

ـ والأربعة الأُخرى: الثقل، والخفّة، والملاسة، والخشونة.

وأمّا اللزوجة، والصلابة، واللين، والهشاشة، فالإحساس بها إنّما هو بالتبعيّة للكيفيّات المذكورة.

[مذهب الشيخ الرئيس]

واختلف قول[١] الشيخ في أنّ القوّة اللامسة هل هي قوّة واحدة[٢] أو هي أربع.

وقال[٣] في الشفاء[٤] إنّها كثيرة، يدرك[٥] كلّ قوّة منها ما يختصّ بمضادّه، فيكون ما يدرك[٦] به المضادّةُ التي بين الحارّ والبارد غير ما يدرك[٧] به المضادّةُ بين الثقيل والخفيف. وكذلك الحكم في الرطوبة واليبوسة، والملاسة والخشونة؛ لأنّ هذه أفعال أوّليّة للحسّ، فيجب أن يكون لكلّ جنس منها قوّة خاصّة، لكن لمّا كانت هذه القوى منتشرة في جميع الآلات على السواء ـلشدّة الحاجة إليهاـ، ظُنّ أنّها قوّة واحدة.

[ردّ مذهبه]

ويرد عليه أنّك لمّا جوّزت أنّ هذه القوّة تدرك المضادّة الواحدة، فيجب أن تدرك الصفتين اللتين[٨] حكمتَ عليهما بتلك المضادّة[٩]، وإلّا لَما أمكن الحكم بأنّ أحدهما مضادّ للآخر. وإذا أدركَت القوّةُ الواحدة الصفتين المختلفتين[١٠] ـكالحرارة والبرودةـ، فلم لا يجوز أن يدرك باقي الكيفيّات الكثيرة بتلك القوّة الواحدة؟

---

(١) قول: قولي A

(٢) A72a

(٣) قال: الذي مال إليه P

(٤) الشفاء، الطبيعيّات، النفس: ٦٢

(٥) يدرك: تدرك A

(٦) يدرك: تدرك A

(٧) يدرك: تدرك A

(٨) الصفتين اللتين: الصنفين اللذين A

(٩) المضادّة: المادّة A

(١٠) الصفتين المختلفتين: الصنفين المختلفين A

[حضور القوّة اللمسيّة في جميع آلات الحواسّ الظاهرة]

ولمّا كانت القوّة اللامسة عامّة في جميع البدن، فما من آلة من آلات الحواسّ الظاهرة إلّا وفيها قوّة لمسيّة[١]، لا بمعنى أنّ قوّة واحدة[٢] موجودة في جميع الحواسّ؛ فإنّها وإن وجدت في اللسان، فليس للّسان[٣] وحده حسّ[٤]، وليست الجهة التي هو بها ذائق تكون لامساً.

[تعلُّق الحسّ اللمسيّ بالعصب واللحم معاً]

وليس الحسّ اللمسيّ متعلّقاً بالعصب وحده دون اللحم؛ فإنّه لو كان الحسّاس نفس العصب، لوجب أن يكون الحسّاس في الجلد شيئاً منتشراً كالليف، وأن لا يكون الحسّ اللمسيّ لجميع[٥] الإنسان[٦] أجزاءه. فالعصب الحاسّ[٧] قابل ومؤدّ إلى اللحم معاً، فاللحم[٨] قابل للحسّ لا بذاته، بل بتوسّط العصب.

[أقوى الأعضاء حسّاً لمسيّاً]

والقلب أقوى الأعضاء حسّاً لمسيّاً؛ لأنّه مبدؤه، فهو حسّاس بنفسه، وإن كان لحماً. على أنّ القلب يشتمل على ليف عصبيّ، فيجوز أن يكون القلب يلتقط[٩] عنه الحسّ، ويؤدّيه إلى أصل واحد. ثمّ يتأدّى عنه إلى الدماغ، وعنه إلى جميع الأعضاء.

[انفعال الروح وتغيّر المزاج عن الصور الحاصلة في العقل أو المشاعر]

ويجب أن يُعلم[١٠] أنّه لا يحصل في العقل أو في مشعر من المشاعر صورة[١١]

---

(١) لمسيّة: لمسيّ P
(٢) واحدة: ـ P
(٣) للّسان: اللسان P
(٤) حسّ: حسّاً P
(٥) لجميع: بجميع A
(٦) الإنسان: اللسان A
(٧) فالعصب الحاسّ: بالعصب الحسّاس A
(٨) فاللحم: ـ A
(٩) يلتقط: يلقط A
(١٠) يعلم: تعلم A
(١١) A72b

محبوبة أو مكروهة، إلّا وينفعل عنها الروح ويتغيّر مزاجه. فإن استحال إلى كيفيّة ملائمة للقلب التذّ بذلك، وإن استحال إلى غير ملائم تألّم. وكلّ لذّة وفرح ينال القلب فباستحالة الروح[١] إلى الكيفيّة الملائمة، وكلّ ألم وأذىً يناله فباستحالته[٢] إلى كيفيّة غير ملائمة.

[أقوى اللذّات والآلام البدنيّة]

وأقوى اللذّات والآلام البدنيّة وأثبتها[٣] إنّما هي المحسوسات اللمسيّة.

[مذهب البعض في نفي قوّة اللمس عن الأفلاك]

وأمّا الأفلاك فزعم بعضهم أنّها خالية من[٤] قوّة اللمس؛ إذ الحكمة التي خلِقت لأجلها قوّة اللمس[٥] غير موجودة فيها؛ لامتناع التغذّي والنموّ والخرق والفساد عليها، فلا حاجة إلى اللمس. فلو كانت موجودة فيها لكانت معطّلة، ولا معطّل في الوجود.

[جواب الشهرزوريّ عنهم]

وأجاب [الشهرزوريّ][٦] بأنّ القوّة اللامسة من توابع الحياة، وجسم الفلك ولو فرضنا خرقه وتمزيقه، إن لم يتألّم فلا حياة له. وقد قام البرهان على أنّ حركته نفسانيّة، فله[٧] حياة. فلا بدّ من التألّم والتأذّي[٨]، فله[٩] شعور وإدراك لمسيّ بالضرورة.

وقوله: إنّ[١٠] اللامسة إنّما خلِقت لأجل الملائم أو لدفع المُنافي[١١]، والأفلاك مستغنية عن ذلك.

---

(١) الروح: _ A
(٢) فباستحالته: فاستحالته A
(٣) أثبتها: أشبهها A
(٤) من: عن P
(٥) قوّة اللمس: هذه القوّة P
(٦) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٧) فله: فلا A
(٨) التأذّي: الأذى P
(٩) فله: فلا A
(١٠) إنّ: + القوّة P
(١١) المنافي: الضارّ A

قلنا: نحن نسـلّم ذلك في الحيوانات الأرضـيّة القابلة للكون[١] والفسـاد، وأمّا علّة اللمس في الأجسام الفلكيّة يجوز أن يعلّل بعلّة أُخرى غير ما ذكرتموه. ولو لم يكن في خلقـة[٢] هذه القوّة فيها إلّا لمس بعضـها ببعض[٣]، واحتكاك كلّ منها بالآخر، وتولّد النغمات الموسـيقيّة والنسـب التأليفيّة والألحان المضـطربة والأصـوات المُشـجية[٤] وتلذّذها[٥] بذلك، لكفى. وذلك علّة في وصـول[٦] المنافع واللذّات من جهة اللامسة، وحينئذٍ لا يكون وجودهما معطّلاً[٧].

[الثانية: الشمّ]

الثانية: الشـمّ. وهو قوّة مودَعة في زائدتي مقدم الدماغ، شـبيهتين بزائدتي الثدي، يـدرك[٨] بها جميع ما يلاقيها من الروائح بواسـطة جسـم لا رائحة له، كالهواء والماء الحاملة للروائح.

و[يدلّ][٩] على أنّ محلّها[١٠] الزائدتان ذهابُ الشمّ عند فساد مزاجهما[١١].

[الاختلاف في كيفيّة وصول الرائحة إلى قوّة الشمّ]

واختلف[١٢] في كيفيّة وصول الرائحة إلى قوّة الشمّ[١٣]:

[المذهب الأوّل]

فزعم بعضهم أنّ الرائحة إنّما تدرك[١٤] بواسطة تحلّل[١٥] أجزاء الجسم ذي الرائحة،

---

(١) للكون: للسكون A
(٢) في خلقة: خلقت A
(٣) ببعض: _ A
(٤) أشجاني: طرّبني وهيّجني. (لسان العرب)
(٥) تلذّذها: تلذّذ بها A
(٦) وصول: حصول Ps
(٧) معطّلاً: معدوماً A
(٨) يدرك: تدرك A
(٩) يدلّ: تدلّ A
(١٠) تدلّ ... محلّها: دليل أنّ محلّ القوّة P
(١١) مزاجهما: مزاجها A
(١٢) اختلف: + الحكماء A73a ll P
(١٣) قوّة الشمّ: القوّة A
(١٤) تدرك: يدرك A
(١٥) بواسطة تحلّل: بأن يتحلّل P

فيتبخّر، ويخالط الهواء المتوسّط، فيصل إلى قوّة الشمّ.

واحتجّ بأنّه لو لم يتحلّل من أجزاء ذي الرائحة شيء، ما كانت الحرارة وما يهيّجها ـ من الدلك والتبخير ـ تُذكي الروائح، ولا كان البرد يُخفيها، فالرائحة تصل إلى الشمّ[١] بالبخار المتبخّر المخالط[٢] للهواء. ولهذا إذا أكثرنا[٣] تشمُّم التفاحة ذبلت[٤].

وأُجيب بأنّ[٥] الروائح التي تملأ المحافل والمجالس، لو كانت بتحلّل[٦] شيء، لوجب أن ينقص وزن ذي الرائحة ويقلّ[٧] جسمه، وليس كذلك؛ فإنّ المسك كيف ينتشر منه في أقلّ الأزمنة من الأبخرة المتحلّلة ما يملأ البيوت العظيمة والأمكنة الفسيحة، ولَما ساوت رائحة الكافور الغير المبخّر برائحة المبخّر، بل كانت أعظم.

[المذهب الثاني]

وزعم[٨] آخرون أنّ الرائحة تتأدّى إلى الشمّ باستحالة الهواء المتوسّط وانفعاله من[٩] الرائحة، من غير أن يخالطه شيء من أجزاء ذي الرائحة المتحلّلة عنه؛ فإنّه لو لا انفعال الهواء ما أمكن انتشار الأبخرة في المواضع الفسيحة في الزمان اليسير، على ما ذكرناه من روائح المسك والكافور.

[المذهب الثالث]

وزعم آخرون أنّ الرائحة تتأدّى إلى الشمّ لا بتحلّل[١٠] شيء، ولا باستحالة الهواء المتوسّط وانفعاله من الرائحة من غير أن يخالطه شيء من أجزاء ذي الرائحة المتحلّلة

---

(١) واحتجّ ... الشمّ: ـ A
(٢) المخالط: المخلط A
(٣) أكثرنا: أكثر من A
(٤) ذبلت: + لما يتحلّل منها P
(٥) أُجيب بأنّ: الجواب أنّ P
(٦) بتحلّل: يتحلّل A
(٧) يقلّ: ثقل A
(٨) زعم: + قوم P
(٩) من: إلى A
(١٠) إلى الشمّ لا بتحلّل: لا يتحلّل A

عنه[١]، بل الجسم ذو الرائحة يفعل في الجسم الذي لا رائحة له، من غير أن يفعل في الجسم المتوسّط بينهما[٢]، بل يكون هذا المتوسّط ممكناً من فعل أحدهما في الآخر.

واحتجّ هؤلاء على بطلان[٣] المذهبين السابقين بأنّه لا يمكن أن يتحلّل من ذي الرائحة أجزاء تسافر[٤] مئة فرسخ أو[٥] أكثر، ولا يمكن أن يبلغ استحالة الهواء من الرائحة مسيرة أيّام متعدّدة، على ما هو واقع في الوجود؛ فإنّ المعلّم الأوّل حكى أنّ في بعض السنين وقعت ملحمة ببلاد اليونانيّين التي لا يوجد فيها رخَمة[٦]، فسافرت[٧] الرَخَم إليها برائحة الجيف من بلادها، وبين البلدين عدّة أيّام. ولا دليل لها إلّا الرائحة التي يمتنع[٨] وصولها إلى هناك بتحلّل[٩] الأبخرة و[١٠] الاستحالات من الهواء.

قالوا: ولأنّ النار أشدّ إحالة للهواء وما قاربها[١١] من الأجسام ذي الرائحة المحيل للهواء، مع أنّ النار[١٢] القويّة إنّما تسخّن ما حولها، ولا تبلغ المسافة البعيدة.

[مذهب رؤساء المشّائين]

والذي اختاره رؤساء المشّائين أنّ المشموم يجوز أن يكون هو نفس البخار المتحلّل، ويجوز أن يكون هو نفس الهواء المستحيل عن ذي الرائحة الذي صار له رائحة، فإذا بلغا إلى الشمّ أحسّت به القوّة[١٣]. ولو أمكن أن يلاقي المحسوس الحسَّ بذاته لأدركه من غير افتقار إلى واسطة.

---

(١) وانفعاله ... عنه: _ P
(٢) بل الجسم ... بينهما: _ A
(٣) واحتجّ ... بطلان: محتجّاً ببطلان A
(٤) تسافر: يسافر A
(٥) أو: و A
(٦) الرخمة: طائر أبقع على شكل النَسر خلقةً. (لسان العرب)
(٧) رخمة فسافرت: دخمة فسافروا A
(٨) يمتنع: تمنع A
(٩) بتحلّل: يتحلّل A
(١٠) و: + في A
(١١) A73b
(١٢) النار: _ P
(١٣) أحسّت به القوّة: أحسّه بالقوّة A

ثمّ بيّنوا أنّ الاستحالة لها مدخل في الإدراك؛ فإنّا إذا[١] بخّرنا الكافور[٢] حتّى أفنيناه بالكلّيّة، فإنّ رائحته تنتشر[٣] وتصل إلى حدّ معيّن. فإذا لم نبخّره[٤] ونقلناه من موضع إلى موضع، فإنّ رائحته تبلغ بذلك النقل أضعاف ما وصل إليه التبخير في الأوّل. ولو[٥] لا استحالة الهواء[٦]، لم يكن الأمر كذلك.

وأمّا حديث الرَخَم، فيجوز أن يكون الناقل لتلك الروائح و[٧] الأبخرة المتحلّلة عن الجيف إلى تلك البلاد التي فيها الرَخَم هي الرياح القويّة، فيحسّ بها الرخم[٨] المحلّقة في[٩] الجوّ العالي[١٠]، القويّة حسّ الشمّ، فيقصدها[١١].

ويجوز أن يكون الرَخَم أدركَت الجيف بحسّ البصر، لا بالشمّ؛ فإنّ قلل بعض الجبال قد ترتفع[١٢] إلى حدّ تُرى[١٣] من سبع مراحل، وشوهد، وقد أمعنَت النسور في الارتقاء[١٤] على قللها بقدر ضِعف[١٥] تلك الجبال. وإذا كان كذلك مع ما أوتيَت من قوّة حسّ البصر، فيجوز أن ترى الجيف من مسير خمسة عشر مرحلة، فتسافر إليها.

وأمّا ما قاله أصحاب التأدية ـ لا بالتحلّل ولا بالاستحالة ـ فإنّه بعيد؛ إذ التأدية إنّما تكون[١٦] بنسبةٍ ما ونصبة للمؤدّي عنه إلى المؤدّي إليه[١٧]، والجسم[١٨] ذو الرائحة لا

---

(١) فإنّا إذا: فإذا A
(٢) الكافور: بالكافور A
(٣) تنتشر: ينتشر A
(٤) نبخّره: تبخره A
(٥) لو: إذ A
(٦) الهواء: للهواء A
(٧) و: ـ A
(٨) هي الرياح ... الرخم: ـ A
(٩) في: + الهواء A
(١٠) العالي: العالية A
(١١) فيقصدها: فتنقذها A
(١٢) ترتفع: يرتفع A
(١٣) ترى: يرى A
(١٤) الارتقاء: الارتفاع A
(١٥) ضعف: ـ A
(١٦) تكون: يكون A
(١٧) ونصبة ... إليه: ـ A
(١٨) الجسم: ـ A

يفتقر إلى[١] ذلـك؛ فإنّ الكافور ـو[٢] كلّ ما له رائحةـ لو أُخذ إلى مســافة بعيدة أو[٣] فرضنا عدمه دفعة واحدة، أمكن بقاء رائحته في الهواء. فهو إمّا لاستحالة أو مخالطة.

[سبب تقدّم هذه القوّة في البحث]

ولـم يُتقدّم[٤] هذه القوّةُ لشرفها ـفإنّ البصر أشرف منها ومن السمع، وهو أشرف من الشمّ[٥]ـ، بل اتّباعاً للمشهور.

[مذهب متقدّمي المتألّهين في وجود الشمّ والروائح للجواهر الفلكيّة]

وجمـاعة من المتألّهين ـكأفلاطون، وفيثاغورس، وهرمس، وغيرهم من أســاطين الحكماءـ زعموا أنّ[٦] الجواهر الفلكيّة والكوكبيّة لها شمّ وفيها روائح.

[ردّ المعلّم الأوّل عليهم]

وردّ عليهم المعلّم الأوّل وأتبـاعـه بأنّ البخار المتحلّل أو الهواء الذي له مدخل في إدراك الرائحـة، لا وجود لهمـا[٧] هنـاك. فليس في عـالـم الأفلاك رائحة، ولا لها حسّ الشمّ.

[ردّ الشهرزوريّ على المعلّم الأوّل]

قال [الشهرزوريّ][٨]: وهذا كلام ضعيف؛ فإنّه[٩] استقراء ناقص.

وأيضــاً فإنّه[١٠] إن عنى بقوله: «إنّ البخار والهواء لهما مدخل في الرائحة» أنّهما[١١]

---

(١) إلى: + شيء من P
(٢) و: أو P
(٣) أو: إذ A
(٤) يتقدّم: تقدّم P
(٥) من الشمّ: منها A
(٦) A74a
(٧) لهما: لها A
(٨) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٩) فإنّه: لأنّه P
(١٠) فإنّه: ـ P
(١١) أنّهما: أنّها A

جزءاهـا[١]، فـذلـك بـاطـل؛ لأنّ المحـلّ ليس جزءاً من الحالّ، ولو كان كذلك لكان الجوهر جزءاً من العرض.

وإن عنى أنّهما[٢] شـرطان للرائحة[٣] والإدراك، فلا يلزم من اشـتراط الشـيء هاهنا اشـتراطه هناك. فيجوز أن يكون لشـيء واحد شرائط على سبيل البدل؛ فإنّ سواد القمر ليس معلّلاً بـالكيفيّـات[٤]، مع أنّ الألوان هنـا معلّلـة بهـا. والكلّيّ[٥] جاز أن يكون له أسـباب على سـبيل البدل، كالحرارة التي تكون علّتها المجاورة للنار، أو الشـعاع، أو الحركة.

ثمّ قال: والحقّ[٦] أنّ هناك روائح أفضـل وأشـرف ممّا عندنا، بل ما عندنا مثَل وظلّ لِما هناك، ولها شمّ غير مشروط بالأنف، وهو الإمكان الأشرف، فيجب لها أيضاً[٧]. ثمّ عند اتّصـالنا[٨] بها في نوم أو يقظة نشـمّ[٩] روائح طيّبة لذيذة من مسـك وعنبر وعود، وغير ذلك ممّا هو أشرف وأعظم ممّا[١٠] عندنا.

ثمّ أربـاب العلوم الروحـانيّـة متّفقون على أنّ كلّ كوكب له بخور مخصـوص[١١]، وكـذلـك كـلّ روحـانيّ لـه دَخَن معروفـة يسـتنشـقونها على زعمهم، ويتلذّذون بها وبروائح[١٢] الأطعمة المعمولة لهم، لا يؤثّر أعمالُهم بدونها، على ما شـهدت التجربة بذلك.

---

(١) جزءاها: جزءها A
(٢) أنّهما: أنّها A
(٣) للرائحة: في الرائحة A
(٤) بالكيفيّات: بالكلّيّات A
(٥) الكلّيّ: الكلّ A
(٦) والحقّ: فالحقّ P
(٧) أيضاً: شمّ P
(٨) اتّصالنا: اتّصالاتنا A
(٩) نشمّ: تشمّ A
(١٠) ممّا: ما A
(١١) مخصـوص: + وكذلك كلّ روحانيّ له بخور مخصوص A
(١٢) بروائح: روائح A

وهذه من[١] المسائل العظيمة التي لا تُدرك إلّا بالاعتبار والمباشرة والتجربة من الأسرار، فافهَم.

[الثالثة: الذوق]

الثالثة: الذوق. وهي تتلو[٢] اللمس في المنفعة التي يتقوّم بها البدن من اشتهاء[٣] الغذاء واختياره[٤].

[دور الرطوبة في الذوق]

واحتياجه إلى الملامسة[٥] كاللمس.

وتفارق اللمسَ في أنّ نفس ملامسة الحارّ تؤدّي[٦] الحرارة، ونفس ملامسة الطعم لا تؤدّي الطعم بدون متوسّط يقبل الطعم، ولا يكون له طعم في نفسه، وهو الرطوبة اللعابيّة العديمة الطعم؛ فإن اتّفق أن يخالطها مرارة كما للممرورين، أو حموضة كما للذين في معدتهم خلط حامض، خالط[٧] ذلك الطعم الوارد مرارة وحموضة.

ثمّ هذه الرطوبة:

ـ إمّا أن تكون متوسّطة، على سبيل أنّ أجزاء ذي الطعم يخالطها وينتشر فيها، ثمّ تغوص[٨] في اللسان، فتحسّ القوّة الذائقة بذلك الطعم.

ـ وإمّا أن تكون[٩] نفس[١٠] الرطوبة تتكيّف[١١] بالطعم الوارد من غير مخالطة. فإن

---

(١) من: ـ A
(٢) تتلو: يتلو A
(٣) A74b
(٤) اختياره: اختاره A
(٥) الملامسة: اللامسة A
(٦) تؤدّي: + إلى A
(٧) خالط: شاب P
(٨) تغوص: يغوص A
(٩) تكون: يكون A
(١٠) نفس: + تلك P
(١١) تتكيّف: يتكيّف A

كان الواقع هو الأوّل، لم تفد الرطوبة غير تسهيل وصول المحسوس إلى الحسّ، فيكون هـذا الإحساس[١] بمجرّد الملامسة بلا واسطة. وإن كان الواقع هو الثاني فيكون المحسوس هو الرطوبة، والإحساس به بلا واسطة، ويكون إحساس القوّة الذائقة بمحسوسها[٢] ـعلى كلا[٣] التقديرين ـ بلا واسطة.

فإن قلنا: «إنّ الرطوبة بالطعم الوارد عليها»، فليس ذلك بانتقال الطعم إليها؛ فإنّ الأعراض لا تنتقل[٤]، بل لأنّ[٥] مخالطة ذي الطعم يُعدّها لأن يفاض ذلك الطعم عليها من واهب الصور والأعراض.

وربّما تركّب[٦] من الطعم واللمس إدراكٌ لا يمكن أن يظهر للحسّ[٧] التغايرُ بينهما، كالحرافة المشتملة على تفرّق[٨] اتّصال وتسخّن، فينفعل عند المضغ عنه[٩] سطحُ الفم انفعالاً لمسيّاً، ويحصل مع ذلك أثر ذوقيّ، فلا يتميّز الإدراك الذوقيّ عن اللمسيّ. وكذلك الحموضة التي يحصل منها التفريق والتبديد، وكذلك العفوصة الحاصل منها التكثيف والتجفيف[١٠].

ويجب أن يُعلم[١١] أنّ الطعوم المدرَكة بقوّة[١٢] الذوق تسعة، كما هو المشهور في حصرها.

[أهمّيّة حسّ الذوق]

والذوق أهمّ الحواسّ للحيوان بعد اللمس؛ لأنّ الحيوان مركّب[١٣] من جسم حارّ

---

(١) الإحساس: إلّا A

(٢) بمحسوسها: لمحسوساتها A

(٣) كلا: كلي P

(٤) تنتقل: ينتقل A

(٥) لأنّ: لا أنّ A

(٦) تركّب: يركّب A

(٧) للحسّ: الحسّ A

(٨) تفرّق: حرق A

(٩) عنه: عند A

(١٠) التجفيف: التحصيف APs

(١١) يعلم: تعلم P

(١٢) بقوّة: لقوّة A

(١٣) مركّب: ـ A || A75a

رطب. فالحرارة إذا عملت في الرطوبة لا بدّ وأن تصعد[١] أبخرة. فإذا لم يكن لذلك الجسم غذاء[٢] يقوم بدل ما تحلّل منه[٣]، توالى عليه الضعف إلى أن يؤدّي إلى الهلاك. والاغتذاء إنّما يكون عند وجود قوّة الذوق. فاللمس[٤] تأثيره في دفع المضارّ المُهلكة، والذوق تأثيره في جلب المنافع الضروريّة، وباقي الحواسّ تأثيرها في جلب المنافع الغير الضروريّة.

[تعريف الذوق]

والذوق قوّة منبثّة في العصب المفروش على جرم اللسان، من شأنها أن تدرك التسعة بواسطة الرطوبة.

[عدم احتياج الأجرام الفلكيّة إلى هذه القوّة]

والأجرام الفلكيّة فليس لها إلى[٥] هذه القوّة حاجة[٦]؛ لعدم احتياجها إلى الغذاء القائم بدل المتحلّل[٧]، إلّا أنّ لها شعوراً بما يجده الحيوان من هذه اللذّة؛ لأنّها من المبادئ[٨] الموجبة لحصول[٩] هذه القوّة.

[الرابعة: السمع]

الرابعة: السمع. وهي قوّة مودَعة في العصبة المفروشة على سطح باطن الصِماخ، يدرَك بها الأصوات بتوسّط الهواء المنضغط[١٠] بين القارع والمقروع.

---

(١) تصعد: يصعد A
(٢) غذاء: من الغذاء ما P
(٣) تحلّل منه: يتحلّل P
(٤) فاللمس: واللمس A
(٥) إلى: ـ A
(٦) حاجة: خاصّة A
(٧) المتحلّل: ما يتحلّل P
(٨) المبادئ: مبادئ A
(٩) لحصول: بحصوله A
(١٠) المنضغط: المنضغطة A

[استغناء الصوت عن التعريف]

والصـوت كيفيّة مدرَكة بحسّ السمع، مستغنية عن التعريف؛ فإنّها أقوى الإدراكات وأظهرها، فيمتنع تعريفها بما[١] يكون أظهر منها.

[السبب المقتضي للصوت]

و[٢] سببه المقتضي له[٣]، قالوا: إنّه تموّج الهواء. وليس المراد بالتموّج حركة انتقاليّة من هواء واحد بعينه، بل حالة شبيهة بتموّج الماء الحادث[٤] بصدم بعد صدم وسكون بعد سكون.

[سبب تموّج الهواء]

و[٥] سـبب التموّج إمّا مسّ عنيف، وهو المسـمّى بالقرع؛ أو تفريق عنيف، وهو[٦] المسمّى بالقلع.

واعتُبِر[٧] قيـد «العنف» لأنّ قرع[٨] الصـوف والقطن بلينٍ لا يظهر لهمـا صـوت. وكذلك في القلع؛ فإنّا لو قلعنا خشـبة مغروزة في صـوف أو قطن لم يكن لها صـوت، بخلاف ما إذا كانت في مكان صلب.

وأمّـا كون كـلّ واحـد منهمـا[٩] موجباً للتموّج فلأنّ القارع يلجئ[١٠] الهواء إلى أن ينفلت[١١] إلى خلاف جهة القرع بعنف شـديد. وكذلك في القلع يتولّج[١٢] الهواء بين

(١) بما: + لا P
(٢) و: + أمّا P
(٣) له: لوجوده P
(٤) الحادث: الذي يحدث P
(٥) و: + أمّا P
(٦) وهو: ـ A
(٧) اعتبر: إنّما اعتبروا P
(٨) قرع: قرعنا P
(٩) منهما: من القرع والقلع P
(١٠) يلجئ: يلحق A
(١١) ينفلت: ينقلب P
(١٢) A75b

الجسمين المنقطعين[١] بعنف شديد. فإذا حدث القرع أو القلع على كيفيّة مخصوصة يلزم حدوث الصوت على كيفيّة مخصوصة. ثمّ يتأدّى[٢] التموّج إلى باطن سطح الصِماخ، ويؤدّي معه الصوت المخصوص. فحينئذٍ يحصل سماع الصوت، ويدرَك الحروف بسبب تقطيعات حاصلة[٣] للصوت. وهذا السماع إنّما يحصل[٤] عند وصول التموّج إلى الصِماخ.

[استدلال على كيفيّة سماع الصوت]

وبرهانه أنّ الأصوات الواصلة إلينا من المواضع العالية يختلف وصولها بحسب اختلاف هبوب الرياح، وكذلك[٥] مَن وضع فمه على أُنبوبة طويلة ووضع الطرف الآخر على أُذن إنسان وتكلّم بكلام، فإنّه لا يسمع كلامه إلّا ذلك الإنسان[٦] دون غيره. وذلك[٧] يدلّ على أنّ الوصول شرط[٨] في السماع.

والوصول لا يكون دفعةً، بل يحتاج إلى زمان؛ فإنّا قد نشاهد[٩] من يضرب بالمِعوَل، بالمِعوَل، فنرى الضربة في الآن[١٠]، ونسمع الصوت بعد ذلك بزمان يختلف قصره وطوله بحسب مقدار بُعد المسافة وقربها. فلو لا توقّفه على وصول الهواء[١١]، لكانت الرؤية والسماع معاً.

[إشكال على اشتراط وصول الصوت في السماع]

وقال أقوام: لا حاجة إلى التأدية والوصول؛ فإنّه لو كان وصول الصوت إلى الصِماخ

---

(١) المنقطعين: المنفصلين P
(٢) يتأدّى: تتأدّى A
(٣) حاصلة: الحروف الحاصلة P
(٤) إنّما يحصل: لا يحصل إلّا P
(٥) كذلك: بذلك A
(٦) الإنسان: + الواصل إلى أُذنه التموّج P
(٧) ذلك: هو A
(٨) شرط: مشروحاً A
(٩) نشاهد: + من البعد P
(١٠) الآن: الأُذن A
(١١) الهواء: + المتموّج إلى الصماخ P

مشـروطاً بالهواء، لوجب أن لا يُسمع الكلمة من وراء الجدار الذي لا مسامّ فيه. وعلى تقدير أن يكون له[١] مســامّ فهي قليلة، فيقتضــي تشــوّش الهواء و[٢] الأمواج الحاملة للصوت بصدم الجدار، فلا يبقى تقطيعات الحروف وأشكالها كما خرجت من الحلق.

[جواب عن هذا الإشكال]

أُجيب بأنّ[٣] الجدار الحائل إن لم يكن فيه منفذ بالكلّيّة، امتنع الســماع؛ لأنّا نعلم بالتجربة أنّ الحائل كلّما كانت منافذة أقلّ، كان الصوت أضعف. فإذا لم يوجد المنافذ بالكلّيّة، وجب أن لا يحصل السماع بالكلّيّة.

وأمّـا انكســار أشــكـال[٤] الحروف بصــدمات المنافذ، فيجب أن تعلم أنّ تكوّن الحروف إنّما تكون بإطلاق الهواء بعد حبســه[٥]، فلا تكون التموّج[٦] الفاعل للحروف مختصّــاً بكـلّ الهواء دون أجزائـه. بـل الحقّ أنّ كلّ جزء من أجزاء الهواء يتشــكّل[٧] بحروف الصــوت. فالتمويجات الهوائيّة الواصــلة دفعة[٨] أيّ جزء منها وصــل[٩] إلى الصِماخ، حصل الشعور بذلك الصوت والكلمة.

والدليل على هذا، ســماع الخلق[١٠] الكثير للكلمة[١١] الواحدة في[١٢] مكان واحد في آن واحـد، وســمـاع البعض دون البعض عند تمويجات الرياح، بحســب شــدّة اضطراب بعض الأجزاء الهوائيّة دون البعض الآخر.

---

(١) له: هناك P
(٢) الهواء و: ـ P
(٣) أُجيب بأنّ: والجواب أنّ P
(٤) أشكال: ـ P
(٥) A76a
(٦) التموّج: التمويج A
(٧) يتشكّل: مشكّل A
(٨) دفعة: + إلى A
(٩) وصل: ويصل A
(١٠) الخلق: الحلق A
(١١) للكلمة: الكلمة P
(١٢) في: من A

[الاختلاف في ماهيّة المسموع من الصوت]

واختلف الحكماء في أنّ المسموع من الصوت أ هو الصوت القائم بالهواء القارع للصِماخ فقط، أو يكون الصوت القارع محسوساً[١]، وقبل القرع حال[٢] كونه في الخارج سالكاً إلى الصِماخ محسوس[٣] أيضاً.

وهذا القول الأخير هو الأصوَب؛ لأنّا إذا سمعنا صوتاً أدركنا جهته وقربه وبُعده، فلو كان المسموع[٤] هو الصوت حالة القرع فقط، فكان يجب أن لا ندرك[٥] الجهة والقرب والبُعد؛ لانتفاء أثر التموّج عند الوصول إلى الصِماخ. كما إذا لمسنا شيئاً، فإنّا نشعر به لا من حيث[٦] لمسه من وروده من قريب أو بعيد، بل لا ندركه إلّا من حيث انتهى إلينا. وليس إدراكنا للصوت كذلك[٧]؛ لأنّا ندرك جهته[٨]، ونميّز بين قريبه وبعيده[٩]. فالأصوات القائمة في الهواء من خارج مدرَكة.

لا[١٠] يُقال: إنّما أدركنا الجهة لأنّ الهواء القارع توجّه إلينا منها، وإنّما[١١] أدركنا القرب والبُعد لأنّ الأثر[١٢] الحاصل من القرع القريب يكون أقوى من الأثر الحاصل من البعيد[١٣].

لأنّا نجيب عن الأوّل[١٤]: إنّ الصوت ربّما كان على يميننا، فنسدّ[١٥] الأُذن الأيمن

---

(١) محسوساً: محسوس A
(٢) حال: حالة P
(٣) محسوس: محسوساً P
(٤) المسموع: + إنّما P
(٥) ندرك: تدرك A
(٦) حيث: جهة P
(٧) كذلك: كذا P
(٨) جهته: جهتها P
(٩) قريبه وبعيده: قربها وبعدها P
(١٠) لا: ولا يجوز أن P
(١١) إنّما: _ A
(١٢) الأثر: للأثر A
(١٣) البعيد: + الأضعف P
(١٤) نجيب عن الأوّل: نقول A
(١٥) فنسدّ: فيسدّ A

ونسمع الصوت بالأيسر، مع شعورنا بأنّ الصوت ورد من اليمين؛ لأنّ التموّج يصل إلى اليمنى أوّلاً، ثمّ ينعطف على اليسرى ثانياً، فنسمعه. فلا يكون إدراك الجهة لأجل أنّ القارع ورد من تلك الجهة.

وعن الثاني[١]: أنّ ما ذكروه لو كان حقّاً، لكنّا إذا سمعنا صوتين[٢] من بُعد واحد مع اختلافهما في القوّة والضعف، وجب على ما يقوله[٣] أن نحكم بأنّ الأقوى أقرب، والأضعف أبعد، والأمر ليس كذلك.

[دفع شبهة إدراك الجهة بالسمع]

واعلَم أنّ أحداً[٤] لم يقل: «إنّ الجهة التي هي أطراف الامتدادات مدرَكة بالسمع»، بل إنّما مرادهم بإدراك الجهة أنّ الصوت تحمله الأمواج الهوائيّة إلى الصِماخ، وهو المسموع. ولكن لمّا كان وصوله موقوفاً على حركة وزمان، وتلك الحركة واقعة في[٥] مسافة، وبيّنّا[٦] أنّ الصوت مدرَك في حال حركته في تلك المسافة، فإذا اتّبعنا[٧] الأثر أدركنا الصوت في جهة من المسافة. والجامع للإدراكين هو النفس، فالنفس تدرك[٨] الجهة والصوت معاً.

ومن لوازم السمع إدراك الصوت في جهة، ولا يلزم من ذلك أن يكون الجهة مدرَكة[٩] للسمع. على أنّ الحقّ أنّ هذه القوى الظاهرة لا إدراك[١٠] لها ولا شعور[١١]،

---

(١) لأنّ التموّج ... الثاني: ـ A
(٢) صوتين: صوته A
(٣) يقوله: نقوله A
(٤) A76b
(٥) في: على A
(٦) بيّنّا: + أنّ الحقّ P
(٧) اتّبعنا: تتبّعنا P
(٨) تدرك: مدرك A
(٩) مدركة: مدرك A
(١٠) لا إدراك: للإدراك A
(١١) شعور: + لها A

بـل هي آلات فيهـا اســتعـدادات مختلفـة تـدرك[١] النفسُ النـاطقـة بواسـطـة هـذه المحسوسات فقط. وليس هذا موضع يليق ببيان ذلك؛ لمخالفته للمشهور[٢].

[مغايرة الصوت للقلع والقرع]

وليس الصوت نفس القلع والقرع:

ـ لإمكان تعقّل الصوت بدونهما.

ـ وبقائه بعد الفراغ من القلع والقرع. ولو كان نفســه أو جزءاً منها ما بقي الصــوت بعدهما.

ـ ولأنّ القرع والقلع يدرَكان[٣] بالبصر، والصوت لا يدرك إلّا بالسمع.

[مغايرة الصوت للحركة التموّجيّة الحاصلة من القلع أو القرع]

وليس الصوت نفس الحركة التموّجيّة الحاصلة من القلع أو[٤] القرع؛ لإمكان تعقّل الصوت دونها، وتعقّل الحركة التموّجيّة دونه.

ثمّ التموّج يدرك بحاسّة البصر، دون الصوت.

[عروض الصوت على الحركة القرعيّة أو القلعيّة]

والصوت أمر عارض للحركة القرعيّة أو القلعيّة. فإذا انتهت تلك الحركة التموّجيّة[٥] ـهوائيّة كانت أو مائيّةـ إلى الصِماخ، وفي تجويفه هواء راكد، موّجه[٦] وشكّله بشكل نفسه. ثمّ وقع على الجلدة الممدودة على العصبة المقعّرة، كمدّ الجلد[٧] على الطبل،

(١) تدرك: مدرك A

(٢) لمخالفته للمشهور: لمخالفة المشهور A

(٣) يدركان: منذ كان A

(٤) أو: و P

(٥) التموّجيّة: الموجبة A

(٦) موّجه: موجيّة A

(٧) الجلد: الحبل A

فيحصل الشعور بذلك بالقوّة[١]. والحروف تدرك[٢] بسبب التقطيعات.

[الاختلاف في وجود أصوات الجواهر الفلكيّة]

وأمّا أصوات الجواهر الفلكيّة فقد أثبت[٣] وجودها أكثر القدماء ـ كهرمس، وفيثاغورس، وأفلاطون، وغيرهم من الأساطين ـ، ومنعها[٤] أرباب البحث والنظر ـ كالمعلّم الأوّل وأتباعه ـ.

[حجّة المُثبِتين]

والمثبتون للأصوات أثبتوا الهواء بينها[٥] وخروجه عنها، وإنّما لم تُسمَع[٦] تلك الأصوات لامتلاء أسماعنا منها[٧].

[ردّ الشهرزوريّ عليهم]

قال [الشهرزوريّ][٨]: وهذا الكلام في غاية الضعف؛ فما أدري إثباتهم للهواء بينها أ هو لكونه متوسّطاً ـ كما هو عندنا ـ، أو هو رمز.

ثمّ قال: والأظهر أنّه رمز؛ فإنّ مراتب أُولئك الحكماء أعظم من[٩] أن يخفى عليهم أمثال هذه؛ فإنّ أنواع العلوم الحكميّة الواصلة إلينا من استنباطاتهم واستخراجاتهم، وكانت عزيزة[١٠] عندهم، يتكلّمون بها على الرمز والإيماء لمصالح. وأرسطو هو الذي جمع تلك الأقاويل، وكساها ترتيباً وتهذيباً.

---

(١) بالقوّة: للقوّة A

(٢) الحروف تدرك: الحرف مدرك A

(٣) فقد أثبت: هذا ثبت A

(٤) A77a

(٥) بينها: منها A

(٦) تسمع: نسمع P

(٧) منها: منه P

(٨) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A

(٩) من: ـ A

(١٠) عزيزة: غريزة A

[حجّة النافين]

والنافون لهذه الأصوات إنّما نفوها لعدم وجود المؤدّي للصوت من الهواء أو[١] الماء؛ فإنّهم لمّا وجدوا هاهنا لا يصحّ قيام الصوت إلّا بهما، وهما معدومان هناك، فهو استقراء ناقص؛ فإنّه يجوز أن يكون للشيء[٢] عدّة أسباب، فيمكن أن يكون الأصوات الفلكيّة معلّلة بأسباب أُخرى. كيف؟ وقد علمتَ أنّ التموّج والهواء ليسا بجزءين من حقيقة الصوت، وإنّما هما من مقوّمات وجوده، فيجوز أن يكون هناك أسباب غير ما ذكِر ـ من القرع والقلع والتموّج ـ التي لا توجد في عالم الأفلاك.

وعدم سماعنا لهذه الأصوات لا يدلّ[٣] على عدمها؛ إذ جاز[٤] أن يكون عدم سماعنا معلّلاً بعدم الموصِل المؤدّي إلى أسماعنا. و[٥] أصواتها إنّما يكون في داخلها، لا سبيل لها إلى الخروج، وهي غير منخرقة، ولا في داخلها هواء لحمل[٦] الصوت إلينا، فلا مُبلِغ، فلا[٧] وصول.

وقول بعضهم: «لو كانت ذات[٨] أصوات، لكانت عظيمة هائلة مناسبة لأجسامها، وكان يجب أن تهدم[٩] الجبال الشامخة، وتشقّق الصخور الهائلة والعمارات الموجودة في العالم، كما تفعله الرعود الهائلة والبروق الشديدة؛ فإنّ هذا كلّه إنّما يلزم إن[١٠] لو كان[١١] هناك مُبلِغ و[١٢] مؤدٍّ لتلك[١٣] الأصوات إلى هاهنا[١٤] من هواء[١٥] وغيره.

---

(١) أو: و A
(٢) للشيء: الشيء A
(٣) يدلّ: تدلّ A
(٤) إذ جاز: فإنّه يجوز P
(٥) و: ثمّ P
(٦) لحمل: يحمل P
(٧) فلا: ولا A
(٨) ذات: لها P
(٩) تهدم: يهدم A
(١٠) إن: ـ A
(١١) A77b
(١٢) و: ـ A
(١٣) لتلك: تلك P
(١٤) هاهنا: هنا P
(١٥) هواء: هؤلاء A

[مذهب المتألّهين]

وجميع السُـلّاك والأفاضل الواصلين إلى الأُمور الشريفة الروحانيّة ـ من الفهلويّين والبابليّين واليونانيّين والهند ـ يثبتون هذه الأصـوات في العالم الأوسـط، لا في مقام جـابَلقا وجابَرصـا، بل في المقام الثالث المسـمّى عندهم هورقليا، الكثير العجائب والغرائـب، يظهر للواصـل إليـه روحـانيّـات الأفلاك، ومـا فيها من الصـور المليحة والمحاسـن الأنيقة والأصـوات الموسـيقيّة والنسـب التأليفيّة، التي يحيّر لها العقل[١] ويتعجّب منها النفس.

وحكي عن فيثاغورس أنّه عرج بنفسـه إلى العالم العِلويّ، حتّى سمع بصفاء جوهر نفسـه وذَكاء قلبه نغمات الأفلاك وأصـوات حركات الكواكب، وسـمع مع أصـوات حركات الأفلاك حفيف[٢] الأفلاك. ثمّ رجع ورتّب عليها الألحان والنغمات، وكمّل[٣] علم الموسـيقي. وهو أوّل من تكلّم في هـذا العلم، ثمّ تبعه نيقوماخس، وبطلميوس، وأُقليدس، وغيرهم من الحكماء.

قال [الشـهرزوريّ][٤]: ثمّ كيف لا يكون لها أصوات، وقد أُبدعت على أتمّ وأحكم مـا يمكن أن يكون عليـه الأجسـام المتحرّكـة بـالحركة الدائمة من الوثاقة والصـلابة والملاسـة؟ والخلأ محـال. فإذا احتكّت بعضـها ببعض، فلا بدّ وأن يظهر لها ألحان ونغمات تناسب[٥] عشقها وشوقها.

ولا يجوز أن يكون هـذه الأصـوات خيـالات؛ فإنّ هذا المقام لا يصـل[٦] إليه إلّا السُـلّاك[٧] والمرتـاضـون، وهـم يعلمون أنّه أرفع من الخيال. ولهم على صـحّة هذه

---

(١) العقل: العقول A

(٢) الحفيف: الصوت. (لسان العرب)

(٣) كمّل: كلّ A

(٤) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A

(٥) تناسب: يناسب A

(٦) يصل: تصل A

(٧) السلّاك: السالك A

الأُمور(١) موازين يميّزون بها بينها وبين الخيال.

فالحاصل أنّ من لدن الفلك الأعظم إلى منتهى فلك القمر روح وريحان، ونغمات لذيذة(٢)، وألحان مُشجية، وصور حسان، ومساكن الحور والولدان، وسرور وخير، كلّه لا ألم فيه. فأصوات العالم الفلكيّ بالألحان المطربة(٣) والنغمات اللذيذة مرتفعة دائماً بالتسبيح(٤) والتقديس والثناء والمدح باللغات المختلفة والألسن(٥) المتفنّنة(٦) للواجب لذاته ـعزّ شأنه، وعظم سلطانه(٧)ـ.

وقد اتّفق الحكماء أنّ العالم السفليّ ظلّ العالم(٨) العِلويّ، وكلّ ما يكون هاهنا يجب أن يكون هناك أفضل منه وأكمل؛ إذ لو لم يوجد النطق هناك لم يمكن وجوده هاهنا.

[الصدى]

وأمّا الصَدى(٩) فهو تموّج من الهواء الراجع إلى خلف(١٠) من مصادمة جبل أو حائط المنضغط، بين(١١) كلّ واحد منهما وبين ما يقرعه من هواء آخر؛ فإنّ الكُرة المرميّ بها الحائط إذا رجعت تموّجت(١٢) الهواء.

[الاختلاف في ماهيّته]

وهل هو نفس الصوت الحادث من تموّج الهواء الثاني، أو لازم تموّج الهواء الأوّل المنعطف؟

---

(١) الأُمور: ـ A
(٢) يميّزون بها ... لذيذة: ـ A
(٣) المطربة: المضطربة A
(٤) بالتسبيح: في التسبيح A
(٥) الألسن: الألسنة P
(٦) المتفنّنة: المتغيّرة A78a || Ps
(٧) وعظم سلطانه: ـ P
(٨) العالم: للعالم P
(٩) الصدى: الصداء A
(١٠) خلف: حلق A
(١١) بين: ـ A
(١٢) تموبجت: موّجت P

قال [الشــهرزوريّ][(١)]: الأشــبه أنّه[(٢)] تموّج الهواء المنعطف الثاني، ولأجل ذلك يكون على صــفته وهيئته[(٣)]. والقرع الكائن من هذا الهواء المولّد صــوتاً من تموّج هواء ثانٍ لا يكون شديداً، ولو كان كذلك لأضرّ بالسمع.

ولا يبعد أن يكون لكلّ صــوت صَــدىً[(٤)] عند كلّ مصادمة، ولكن لا يُسمع، كما أنّ لكلّ ضوء عكساً، وقد لا يُرى لضعفه.

[سبب عدم استماع الصدى في البيوت]

وإنّما[(٥)] لم يســمع الصَــدى[(٦)] في البيوت لأنّ المســافة إذا كانت قريبة من الصوت وتعــاكس الصــوت، يقع الصــوت والتعاكس في زمان واحد، فلا يحصــل التباين[(٧)] بينهما، فلا يقع الشـعور بالعكس الصدائيّ. ولأجل هذا يكون المغنّي في البيوت أقوى ممّا يكون في الصـحراء؛ لانضـمام العكس إلى الصـوت الأصـليّ، بخلاف ما إذا كان العاكس[(٨)] بعيداً؛ فإنّ الزمان يفرّق[(٩)] بين الصوتين تفريقاً محسوساً.

[سبب انعكاس الصدى مراراً كثيرة]

وإذا كان الموجب للصَدى[(١٠)] شيئاً أملس، فإنّ الصَدى ثبت زماناً لتواتر الانعكاس بسـبب قوّة الاندفاع، فيدفع الجزء الواحد من المنعكس مراراً كثيرة، كما هو في الحمّامات. ويكون بين[(١١)] كلّ صدمة ورجوع تخلّل سكناتٍ[(١٢)] ـعلى ما رأى الجماعةـ.

---

(١) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٢) أنّه: أنّ A
(٣) صفته هيئته: صفة هيئة A
(٤) صدىً: صداء A
(٥) إنّما: إنّ A
(٦) الصدى: الصداء A
(٧) التباين: التمايز P
(٨) العاكس: التعاكس P
(٩) يفرّق: مفرّق A
(١٠) للصدى: للصداء A
(١١) بين: من A
(١٢) تخلّل سكنات: يخلّل سكتات A

ويرد عليهم بأنّ الهواء إذا سكن قبل الانعكاس، فلا تنحفظ[١] تقطيعات الحروف و[٢] تشكيلاتها، فلا يسمع الصوت المخصوص من الصَدى[٣]. وإن لم يسكن فقد خالفوا مذهبهم في إثبات السكون.

فإن أجابوا بأنّ التموّج الذي انتهى إلى مُصادم يدفعه[٤]، ينضغط بينه وبين هواء آخر خلفه[٥]، يقرعه، فيموّجه ويشكّله بشكل نفسه.

فيُقال لهم: إنّ الهواء لا يكون له من القوّة أن يشكّل بالتقطيعات هواء آخر؛ فإنّ الهواء جسم سيّال لطيف سريع الالتئام والافتراق، فكيف[٦] يحفظ الشكل وتقطيعات الحروف؟

ثمّ كان يجب أن يكون الهواء الذي في الصِماخ إذا تشوّش لا يسمع شيئاً؛ لأنّ التموّجات تشوّشت واختلفت.

فإن قالوا بأنّ الصوت يخرق الهواء وينفذ فيه ـ لقوّته وشدّته ـ، فلا يتشوّش.

فيُقال: إذا تشوّش جميع الهواء الذي في الصِماخ، لا يبقى للبعض الآخر قوّة النفوذ، ولا يمكن أن يمتاز عن الهواء الثاني. وأنت فقد علمتَ أنّ القلع والقرع والتموّج غير داخلة في ماهيّة الصوت، بل هي أسباب مادّيّة وفاعليّة لوجود الصوت، غير تامّة السبب[٧]. والسبب الأصليّ المتمّم والمشكّل للصوت بالحروف والحافظة زماناً[٨] ما، هو[٩] بعض الروحانيّين المقدّسين[١٠]. وكذلك في الشمّ، والذوق، وغيرهما. >[١١]

---

(١) فلا تنحفظ: ولا تحفظ A || A78b

(٢) تقطيعات الحروف و: _ A

(٣) الصدى: الصداء A

(٤) يدفعه: توقّفه A

(٥) خلفه: حلقة A

(٦) فكيف: وكيف A

(٧) السبب: _ P

(٨) زماناً: زمان A

(٩) هو: + لوجود A

(١٠) المقدّسين: المتقدّسين P

(١١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣٤٧/٢ ـ ٣٧٠

[الخامسة: البصر]

[١]< **الخامسة**: البصر.

[المذاهب المختلفة في الإبصار]

زعم قوم من الحكماء وجماعة من أرباب العلوم الرياضيّة[٢] أنّ الإبصار[٣] مشروط[٤] بخروج شعاع من العين.

ومنهم من قال: إنّ المرئيّ إذا كان مضيئاً وقابَله البصر[٥] حدث في الرطوبة الجليديّة صورة مساوية لصورة المرئيّ، فيحصل بذلك الإبصار.

وآخرون قالوا[٦]: الإبصار ليس بالشعاع ولا بالانطباع، بل إذا كان المرئيّ حاضراً والحاسّة سليمة والشروط كلّها موجودة، يحصل الإبصار.

وأهل الشعاع قال فريق منهم: إنّ الشعاع يخرج من العين، ثمّ يتّصل[٧] بالمرئيّ[٨]، ويكون عنده الإبصار.

وفريق قال[٩]: إنّ الشعاع الخارج يتّصل بالهواء المتّصل بالمرئيّ، ويصير ذلك الشعاع المتّصل بالهواء المتّصل بالمرئيّ سبباً للإبصار.

[إبطال مذهب الفرقة الأُولى من أهل الشعاع]

وبطل[١٠] مذهب الشعاع بوجوهٍ:

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٢) الرياضيّة: الربّانيّة A
(٣) الإبصار: + إنّما هو P
(٤) مشروط: مشروطة A
(٥) قابله البصر: قابلة للبصر A
(٦) آخرون قالوا: منهم من قال P
(٧) يتّصل: تتّصل A
(٨) A79a
(٩) وفريق قال: فمنهم من قال P
(١٠) بطل: أبطل A

[الدليل الأوّل]

أ. إنّ[١] الشعاع الخارج[٢] إمّا أن يكون[٣] جسماً أو عرضاً.

الثاني محال[٤]؛ لأنّ الأعراض لا يصحّ عليها الانتقال[٥].

والأوّل كذلك[٦]، وإلّا لوجب أن يختلف الإبصار عند هبوب الرياح وركودها، كاختلاف السماع. ولَما اختلفت الرؤية بالقرب والبُعد؛ لأنّ الشعاع هو المبصر، فمتى اتّصل بالمرئيّ أدركه كما هو، قريباً كان أو بعيداً.

[الدليل الثاني]

ب. إنّه لو كان جسماً[٧]، لكانت حركته[٨] على خطّ مستقيم على زاوية قائمة، فما رؤيت الأشياء على خطوط غير قائمة، ولا المختلفات في الجهات كفوق وأسفل؛ فإنّ الجسم[٩] له طبيعة واحدة، لا يجوز أن يتحرّك بتلك الطبيعة إلى جهات مختلفة.

وإن كانت حركته[١٠] إراديّة، فالإرادة إمّا[١١] له أو لنا.

فإن كانت لنا، كان لنا أن نفتح[١٢] البصر ولا نرى ما تقابلنا من المضيء و[١٣] المستضيء، بأن نقبض[١٤] الشعاع إلينا بالإرادة، وليس كذلك.

وإن كانت الإرادة للشعاع[١٥]، لكان حيواناً متحرّكاً بالإرادة، فيكون إدراكه لذاته، لا لنا.

---

(١) إنّ: + ذلك P
(٢) الخارج: + من العين P
(٣) أن يكون: ـ A
(٤) الثاني محال: لا جائز أن يكون عرضاً P
(٥) الانتقال: + فيمتنع وصفها بالدخول والخروج P
(٦) الأوّل كذلك: لا جائز أن يكون جسماً P
(٧) جسماً: + به الإبصار P
(٨) حركته: حركة A
(٩) الجسم: كلّ جسم P
(١٠) حركته: حركة هذا الشعاع P
(١١) إمّا: + أن تكون P
(١٢) نفتح: يفتح A
(١٣) و: أو P
(١٤) نقبض: يفيض A
(١٥) للشعاع: ـ A

وكلّ ذلك محال، فكونه جسماً محال.

[الدليل الثالث]

ج. إنّـه لو كان جســماً[١]، لكان رؤية ما في الخزف أولى ممّا في الزجاج[٢]؛ لكثرة المسامّ في الخزف بدليل الرشح.

ولا يجوز أن يُقال: إنّ رؤية ما في الزجاج وتحت الماء الصـافي للمسامّ التي هناك ـكمـا هو[٣] رأيهم ـ، فكان يجب أن لا[٤] يرى جميع ما في الزجاج[٥]، بل كان يرى[٦] بقدر المسامّ الموجودة. وليس[٧] الأمر كذلك؛ فإنّا قد نرى ما تحت الماء أكبر.

[الدليل الرابع]

د. لو كان الإبصـار بالشــعاع، لوجب أن لا نرى الشــمس والكواكب؛ لاســتحالة الخرق على الأفلاك، فلا يخرقها الشعاع الجسمانيّ.

ولوجب أن نرى القمر قبل الثوابت بزمان يناسب تفاوت المسافة بينهما. وليس كذا، بل نرى نصف كُرة[٨] العالم دفعةً واحدةً. وكذا عند تغميض العين وفتحها تعدّد الرؤية دفعة.

[إبطال مذهب الفرقة الثانية من أهل الشعاع]

و[بطل][٩] مذهب الفرقة الثانية من أهل الشعاع بوجوه:

---

(١) جسماً: + به الرؤية P
(٢) الزجاج: الزجاجة A
(٣) هو: ـ A
(٤) لا: ـ A
(٥) الزجاج: + وتحت الماء الصافي P
(٦) يرى: نرى A
(٧) ليس: نفس P
(٨) A79b
(٩) بطل: أبطل A

[الدليل الأوّل]

أ. لو كان الشعاع الخارج من العين يفعل في الهواء، فيُحيله[١] إلى كيفيّة صالحة لحصول[٢] الإبصار، لكان كلّما كان الناظرون أكثر، كانت الكيفيّة الموجبة للإبصار أقوى؛ لقبول الهواء[٣] حينئذٍ بسبب اتّصال الشعاع به للأشدّ والأضعف، فكان يجب أن يكون الإبصار أقوى وأشدّ.

وكان[٤] إذا اجتمع ضعفاء[٥] البصر للإبصار، يكون إدراكهم[٦] الشيءَ[٧] أتمّ وأكمل ممّا إذا كانوا[٨] متفرّقين[٩]؛ لأنّ انفعال الهواء من المجموع أشدّ من انفعاله من الواحد المنفرد بالرؤية.

وكان[١٠] يجب أن لا يُرى[١١] الكواكب؛ لامتناع وصول الهواء المنفعل إليها.

[الدليل الثاني]

ب. لو كانت الرؤية بانفعال الهواء عن الأشعّة البصريّة، فالأشعّة المجتمعة لجماعة[١٢] على جسم واحد بسبب استحالة الهواء، إمّا أن تتراكم، أو تتدافع[١٣]، أو تتداخل[١٤]، أو يماسّ كلّ واحد من الأشعّة بغير[١٥] ما مسّه الآخر. والأقسام الثلاثة باطلة.

---

(١) فيحيله: فيحيل A
(٢) لحصول: بحصول A
(٣) لقبول الهواء: بقبول الهوى A
(٤) كان: + أيضاً P
(٥) ضعفاء: ضعف A
(٦) إدراكهم: إدراكه A
(٧) الشيء: للشيء P
(٨) كانوا: كانا A
(٩) متفرّقين: منفردين P
(١٠) وكان: فكان A
(١١) يرى: نرى P
(١٢) لجماعة: كجماعة A
(١٣) تتراكم أو تتدافع: يتراكم أو يتدافع A
(١٤) تتداخل: يتداخل A
(١٥) بغير: غير P

أمّا التراكم فلأنّه يوجب أن يكون الأبعد من الأشـعّة المتراكمة لا يَرى صـاحبُها ما يَرى صـاحبُ الأقرب المماسّ للجسـم المرئيّ. فكان يلزم أنّ الشخص[١] إذا نظر إلى شيء بعدَ نظر جماعة، أن لا يرى كما يرى إذا نظر إليه قبلهم.

وكان الشعاع المتأخّر يرى المتقدّم بمماسّته[٢] له.

وكانت الجماعة[٣] الناظرون إلى شـيء واحد، يكون[٤] بعضـهم أولى بالسـبق من البعض الآخر، وكلّ ذلك محال.

وأمّـا التـدافع، فإنّه يوجب أن يكون صـاحب الأشـعّة المدفوعة لا يرى شـيئاً مع التحديق ومقابلة المضيء والمستضيء، وليس كذلك.

وأمّا التداخل، فقد عرفتَ استحالته.

وأمّا القسـم الأخير ـوهو الذي يماسّ كلّ شعاع غير ما مسّه الآخرـ فيقتضي أن لا يرى أصحاب الأشعّة شيئاً واحداً، وهو باطل[٥]. وهكذا يكون حكم الأهوية المنفعلة.

[الدليل الثالث]

ج. لو كـان الإبصـار بخروج شـعـاع[٦] من العين يلاقي المبصَـرات، لَما أمكن لأحوَل[٧] أن يرى الشـيء شـيئين؛ لأنّ كـلّ جزء من الشـعـاع يقع على جزء[٨] من الشـعاع[٩] ويماسّه[١٠]، فلا يمكن أن يرى غيره. فلا يصحّ أن يرى الجزء الواحد مرّتين، سـواء وقعت الأجزاء[١١] الشـعاعيّة على الجسـم المرئيّ متفرّقة أو مجتمعة على سـبيل

---

(١) الشخص: ما لشخص A

(٢) بمماسّته: بمماسّة A

(٣) وكانت الجماعة: فكانت جماعة A

(٤) يكون: تكون A

(٥) A80a

(٦) شعاع: الشعاع A

(٧) لأحول: الأحول A

(٨) جزء: موضع P

(٩) الشعاع: المشاع A

(١٠) يماسّه: ما مسّه P

(١١) الأجزاء: أجزاء A

الاتّصال، لا على سبيل التراكم الذي قد عرفتَ استحالته[١].

وأيضاً ما كان رؤية الشيء الواحد شيئين مختصّاً بالأحوَل[٢]، بل كان في الكلّ كذلك؛ فإنّا إذا غمضنا إحدى[٣] العينين وفتحنا الأُخرى ورأينا[٤] بها الشيء بخروج الشعاع المتّصل به[٥]، فإذا فتحنا العين الأُخرى، فيخرج منها أشعّة أُخرى توجب رؤية ذلك الشيء مرّة أُخرى[٦].

[مذهب أهل الشعاع في رؤية ما في المرآة]

واعلَم أنّ أصحاب الشعاع يقولون: إنّ جميع ما يُرى من صور المرايا إنّما هو بانعكاس الشعاع البصريّ من المرايا إلى ما يحاذيها. مثلاً إذا وصل الشعاع إلى المرآة رآها، فإذا انعكس منها إلى جسم آخر رآه[٧] أيضاً معاً، فيكون الشعاع الواحد يرى شيئين معاً، فيتخيّل[٨] إلى الرائي[٩] أنّ أحد الشيئين يراه في الآخر.

[ردّ مذهبهم]

وهذا فرع على القول بصحّة الشعاع، وقد بطل الأصل، فبطل ما تفرّع.

و[نزيده][١٠] وضوحاً، فنقول: إنّ الناظر في الماء يرى صورة الثوابت والكواكب. ويمتنع[١١] خروج الشعاع من العين إلى سطح الماء، ثمّ منه إلى الثوابت، ومن الثوابت يكرّ راجعاً إلى الماء. كلّ ذلك السفر والإياب الطويل في آنٍ واحدٍ، ويلزم منه وقوع

---

(١) استحالته: استحاله A
(٢) بالأحول: بالأحوال P
(٣) إحدى: أحد A
(٤) الأُخرى ورأينا: أُخرى وأرينا A
(٥) به: ـ A
(٦) مرّة أُخرى: ـ A
(٧) رآه: رأته A
(٨) فيتخيّل: فيتحيّل A
(٩) الرائي: الرأي A
(١٠) نزيده: يزيده A
(١١) يمتنع: تمنع A

الحركة لا في زمان، وهو من المحالات المقرَّرة[١].

وأيضاً الناظر في المرآة الصغيرة[٢] يرى وجهه صغيراً، مع كمال الصورة والأعضاء وتمامها. فإذا انعكست الأشعّة من المرآة على[٣] الوجه وعمّته ووصلت إلى جميعه، وجب أن يرى صورة[٤] وجهه كما هو، لا أصغر منه.

وإن انعكست الأشعّة منها إلى بعض الوجه[٥]، فكان يجب[٦] أن يرى ذلك البعض على ما هو عليه من كمال الصورة[٧] والهيئة، دون البعض الآخر.

وإن انعكست ولاقت من كلّ عضو بعضه، فما كنّا نرى صورة الوجه على تمامه، بل من كلّ[٨] عضو بعضه.

والأقسام كلّها باطلة.

وبالجملة فقد قال [الشهرزوريّ][٩]: مذهب أهل الشعاع والانعكاس يتبيّن ضعفه بأقلّ سعي، ولا يحتاج إلى تطويل[١٠]، وقد طوّل في هذا الباب صاحب الشفاء[١١] والمطارحات[١٢].

ثمّ قال: وقد نقلنا عيون ما ذكراه[١٣].

[مذهب المعلّم الأوّل في الإبصار]

وأمّا ما يراه المعلّم الأوّل أرسطاطاليس وأتباعه[١٤] أنّ الرؤية البصريّة إنّما تكون[١٥]

---

(١) وهو ... المقرّرة: وقد علمت استحالته P
(٢) الصغيرة: الصغير A
(٣) على: إلى P
(٤) صورة: ـ A
(٥) الوجه: الوجوه A
(٦) A80b
(٧) كمال الصورة: كان A
(٨) كلّ: كلّه A
(٩) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(١٠) تطويل: هذا التطويل P
(١١) الشفاء، الطبيعيّات، النفس، المقالة الثالثة في الإبصار: ٧٩ ـ ١٣١
(١٢) المشارع والمطارحات (الطبيعيّات): ٣٣٩ – ٣٦٠
(١٣) ذكراه: ذكروه A
(١٤) أتباعه: + من A
(١٥) تكون: يكون A

بانطباع صورة المرئيّ في آلة البصر، وهي الرطوبة الجليديّة، لا بأن ينتقل الصورة عن الشيء إلى الرطوبة الجليديّة؛ فإنّ الأعراض لا تنتقل[١]، بل يحصل تلك الصورة فيها من العقل الفيّاض؛ لاستعداد يحصل[٢] بالمقابلة، والقوى البشريّة عاجزة[٣] عن تعليل ذلك.

والرؤية لا تكون[٤] بمجرّد الانطباع في الرطوبة الجليديّة، وإلّا لكنّا نرى الشيء[٥] الواحد شيئين؛ لانطباعه في جليدتَي العينين. وليس كذلك، بل يتأدّى الشبح من الرطوبتين العصبتين المجوّفتين بواسطة الروح الذي فيهما إلى ملتقاهما الصليبيّ، فيحصل إبصار الشيء هناك ـعلى ما يقولونـ.

[سبب رؤية الواحد اثنين]

وأمّا سبب رؤية الواحد اثنين[٦]، فتختلف أسبابه باختلاف المذاهب:

[مذهب أهل الشعاع]

فأصحاب[٧] الشعاع يقولون: سببه انكسار أوضاع الشعاع عند آلة البصر، فيرى ذلك[٨] الشيء الواحد كشيئين متباينين.

وهذا باطل؛ فإنّ الإبصار إن كان بمماسّة[٩] أطراف الشعاعات وقد اجتمعت، فيجب أن يرى المبصَر واحداً[١٠]، ولا يضرّ انكسار الأطراف الشعاعيّة.

---

(١) تنتقل: ينتقل A
(٢) يحصل: تحصل A
(٣) عاجزة: عاجز A
(٤) تكون: يكون A
(٥) الشيء: ـ A
(٦) اثنين: شيئين P
(٧) فأصحاب: وأهل A
(٨) ذلك: لذلك P
(٩) بمماسّة: بماسّة A
(١٠) واحداً: واحد A

[مذهب أهل الانطباع]

وأمّا على قاعدة[١] الانطباع، فيقولون: إنّ رؤية الشيء الواحد اثنين له[٢] أسباب:

منها: انتقال الآلة المؤدّية للشبح الذي في الرطوبة الجليديّة إلى ملتقى العصبتين المجوّفتين، فلا يتأدّى الشبحان إلى موضع واحد على الاستقامة. وإنّما ينتهي كلّ واحد إلى جزء من الروح الباصر[٣] المرتّب هناك، لكون الخطّين المؤدّيين للشبحين لم ينفذا نفوذاً يكونان متقاطعين عند ملتقى العصبتين، فلأجل ذلك ينطبع من[٤] كلّ شبح خيال. واعتبِر هذا بلمس حِمَّصة بإصبعين ملتويتين[٥].

ومنها: أنّ حركة الروح توجب[٦] أن يرتسم فيه[٧] الشبح قبل التقاطع، فيرى بسببه شبحين، كما يرتسم الشبح من الشمس في الماء الراكد مرّة[٨] واحدة، وفي الماء المتموّج يرتسم مراراً كثيرة.

[سبب رؤية الأبعد أصغر والأقرب أكبر على قاعدة الانطباع]

وأمّا السبب في رؤية الأبعد أصغرَ والأقربِ أكبرَ على قاعدة الانطباع[٩]، أنّ الأبعد ينطبع في جزء أصغر من الجليديّة، والأقرب في جزء أكبر منها؛ فإنّا إذا توهّمنا خروج خطوط شعاعيّة من الجليديّة إلى المبصَر على هيئة مخروط مبدأة[١٠] من الجليديّة دائرة صغيرة على قدرها، وهذه الخطوط الخارجة إلى المبصَر[١١] مثلّثات متّسعة

---

(١) قاعدة: + أصحاب P
(٢) فيقولون ... له: _ A
(٣) الباصر: الباصرة A || A81a
(٤) من: في A
(٥) ملتويتين: متلوّنين A
(٦) توجب: يوجب A
(٧) فيه: _ A
(٨) مرّة: من A
(٩) الانطباع: انطباع الشبح P
(١٠) مبدأة: مبدؤه A
(١١) المبصر: البصر A

الأسافل متضايقة الأعالي، فإن كان المبصَر قريباً، كانت الزوايا التي عند البصر عظيمة، فيرى المبصَـر كذلك. فكلّما بعُد المبصَـر عن البصر يستدقّ المخروط، فتضيق زواياه التي عند البصـر، ويضـيق لأجله دائرة المخروط الصـغيرة التي عنده، فيرى الشـيء صـغيراً. ولا يزال هكـذا كلّما ازداد المبصَـر بُعداً يزداد صـغر الزوايا الدائرة، إلى أن يُمحى[1] بالكلّيّة عند التوغّل في البُعد، فلا يُبصر[2].

[اعتراض الرازيّ على هذا المذهب]

وبعض أفاضل المتأخّرين[3] اعترض على هذا بوجهين[4]:

[الوجه الأوّل]

أ. إنّا إذا نظرنا عند الاضطجاع إلى عمود قائم على الأرض طوله عشرون ذراعاً على بُعـد عشـرين ذراعـاً[5]، ونظرنا في هذه الحالة إلى إنسـان على بُعد ذراعين عنّا، فإذا وضـعنا بصرنا على سطح الأرض الذي صار العمود والإنسان قائمين عليه، فإنّا لا نرى ارتفاع العمود أقلّ من ارتفاع قامة الإنسان، مع أنّ الزاوية التي رأينا بها[6] العمود نصف قـائمـة[7]، والزاوية التي رأينا بها[8] الإنسـان أعظم من نصـف قائمة[9]؛ لأنّه لمّا كان بُعد[10] العمود عن البصـر عشـرين ذراعاً[11] والطول مثله، كان المربّع الحاصـل منهما متسـاوي الأضـلاع. فالخطّ المتوهّم الخارج عن البصـر إلى رأس العمود يكون قطراً

---

(١) يمحى: تنمحي الصورة P
(٢) يبصر: تبصر P
(٣) وهو فخر الدين الرازيّ، في: شرح عيون الحكمة: ٢٣٩/٢
(٤) هذا بوجهين: هذا الكلام من وجهين P
(٥) على بعد عشرين ذراعاً: ـ A
(٦) رأينا بها: رأيناها A
(٧) قائمة: قامة A
(٨) رأينا بها: رأيناها A
(٩) قائمة: قامة A
(١٠) بعد: ـ A
(١١) A81b

للمربّع وقاسماً لتلك الزاوية القائمة إلى نصفين، فلا جرمَ رأينا[١] نصف قائمة.

وأمّا الإنسان إذا بعُد عن البصر ذراعين، وكان طوله أكثر من ذلك، فإنّ المربّع الحاصل منهما يكون مستطيلاً، فيكون الخطّ المتوهّم الخارج عن البصر إلى رأس الإنسان غير قاطع لهذا المربّع بنصفين، فلا جرمَ رأينا بأكثر من نصف قائمة.

فثبت أنّه لا يلزم مِن صغر زاوية الإبصار أن يُرى المبصَر صغيراً، ولا مِن كبرها أن يُرى المبصَر كبيراً.

[الوجه الثاني]

ب. إنّا إذا أبصرنا شيئاً على بُعد نصف ذراع، ثمّ تباعد عنّا خمسة أذرع، فإنّه لا يتفاوت مقدار ذلك المبصَر ويتفاوت مقدار الزاوية جدّاً[٢]. فعُلم أنّ صغر الزاوية لا يوجب أن يُرى المبصَر أصغر، ولا كبرها يوجب أنّه يُرى أكبر.

[اعتراض أصحاب الشعاع على أصحاب الانطباع]

واعترض أصحاب الشعاع[٣] على أصحاب الانطباع بوجوه:

[الوجه الأوّل]

أ. العقل الصريح يقتضي بامتناع[٤] انطباع العظيم ـ كنصف كُرة العالم والجبال الشامخة والمسافات الشاسعة ـ في المحلّ الصغير، وهي الرطوبة الجليديّة؛ لأنّ هذه الصور إذا حلّت في هذه الرطوبة، فإمّا أن تبقى على عظمها[٥] أو لا:

ـ فإن بقيت لزم مساواة العظيم للصغير، وهو محال بالضرورة.

---

(١) رأينا: ـ A
(٢) جدّاً: حدّاً A
(٣) أصحاب الشعاع: ـ A
(٤) يقتضي بامتناع: يمنع P
(٥) عظمها: العظم الأوّل P

ـ وإن لم يبقَ لزم أن لا يُرى عظيماً، وهو مكابرة.

[الوجه الثاني]

ب. لو كان الإبصار بالانطباع[١]، فكنّا إذا أدركنا القربَ والبُعد الذي معناه حصول مقادير[٢] الأبعاد بين الرائي والمرئيّ، فكان يجب ارتسام هذه الأبعاد في البصر، وهو باطل؛ لأنّ المبصَر الذي مقدار طوله[٣] ألف ذراع يمتنع[٤] ارتسامه في البصر، وإلّا لكان قد حصل في البصر الذي مقداره أقلّ من إصبع مقدارُ ألف ذراع.

[الوجه الثالث]

ج. لو كان الإبصار بالانطباع، فالرطوبة الجليديّة إن كانت غير ملوّنة، امتنع ارتسام[٥] الأشباح فيها، كما يمتنع ذلك في الهواء الخالي عن اللون. وإن كانت ملوّنة لزم أن لا تتأدّى الصورة الشبحيّة إلى ملتقى العصبتين، وإنّما يرتسم في الجليدتين، فكان يجب أن يرى المبصَر شيئين، لا شيئاً واحداً.

وأيضاً لو كان لها لون، فإن كان لون المبصَر على خلاف لونها، يجب[٦] أن يرى لونه ممتزجاً من لون الجليديّة ولون نفسه. كما إذا أكثرنا النظر إلى الخضرة، ثمّ نظرنا بعد ذلك إلى الجسم الأبيض، فإنّا نراه على لون ممتزج منهما؛ فإنّ الجليديّة لمّا تكيّفت بالخضرة، فإذا نظرنا بعد ذلك إلى الأبيض، امتزج اللونان. فكذا يكون الحكم في ما نحن فيه.

---

(١) لو كان الإبصار بالانطباع: إذ الانطباع هو الإبصار A
(٢) مقادير: المقادير A
(٣) طوله: + عنّا P
(٤) يمتنع: تمنع A
(٥) A82a
(٦) يجب: لزم P

[الوجه الرابع]

د. لو كان الإبصار بالارتسام في الرطوبة الجليديّة، لكان في موضع معيّن منها. فكان[١] مَن نظر إليها يشاهد تلك الصورة الشبحيّة فيها، من غير أن يختلف ذلك الإبصار باختلاف مقامات الناظرين. ولمّا اختلف علِمنا أنّه لا ارتسام هناك، ولا صورة شبحيّة بالكلّيّة.

[جواب أهل الانطباع عن الإشكال الأوّل]

وبعض أهل الانطباع أجاب عن الإشكال الأوّل ـلأنّه[٢] أقوى الإشكالات الواردة عليهمـ بما تقريره[٣]: أنّ هذه الأجسام العظيمة تقبل[٤] القسمة الوهميّة إلى غير النهاية، وكذلك الجليديّة أيضاً، فيجوز أن يكون اشتراكهما في هذا اللازم يجوّز ارتسام العظيم[٥] في الصغير.

[تقبيح هذا الجواب]

وهو كلام في غاية الوهن[٦]؛ فإنّ الأجسام المذكورة وإن كانت قابلة للقسمة[٧] الغير المتناهية وكذلك الرطوبة الجليديّة[٨]، إلّا أنّ هذه الأجسام العظيمة تنقسم[٩] إلى أجزاء لا تحصى، كلّ واحد منها أعظم من الجليديّة مراراً كثيرة، فضلاً عن أجزائها. فكيف يرتسم هذه الأجزاء العظيمة في الرطوبة الجليديّة التي هي كالذرّة؟ وهذا يناسب قولهم: إنّ الجبل يسعه قشرة[١٠] بُندُقة؛ لأنّ كلّ واحد منهما[١١] يقبل القسمة إلى غير النهاية.

---

(١) فكان: وكان A
(٢) لأنّه: الذي هو P
(٣) بما تقريره: وهو P
(٤) تقبل: يقبل A
(٥) العظيم: العظيمة A
(٦) في غاية الوهن: الفاسد P
(٧) كانت قابلة للقسمة: قبلت القسمة P
(٨) الجليديّة: ـ A
(٩) تنقسم: ينقسم A
(١٠) قشرة: عشرة P
(١١) منهما: منها P

قال [الشهرزوريّ][١]: وهذا التعليل ـكما ترىـ أوهن[٢] من بيت[٣] العنكبوت.

[جواب آخر لأهل الانطباع عن الإشكال الأوّل]

وبعض المتأخّرين[٤] سلّم هذا، واعترف بأنّه لا يمكن أن ينطبع في الجليديّة إلّا ما[٥] هو مقدارها، إلّا أنّ النفس تستدلّ[٦] بعد ذلك بالمقدار المرتسَم فيها أنّ الشيء الذي صورته هكذا[٧] كم يكون أصل مقداره.

[ردّ الشهرزوريّ عليهم]

قال [الشهرزوريّ][٨]: هذا وإن كان أجوَد ممّا ذكروه، إلّا أنّه فاسد أيضاً؛ فإنّا إذا رأينا جبلاً مقدار ارتفاعه ألف ذراعٍ مشاهدة، فإنّا لا نرى في البصر جزءاً صغيراً ثمّ نستدلّ[٩] بـه على الباقي، بل نرى[١٠] الكلّ دفعةً واحدة، مشاهدةً لا يمكن أن يشكّكنا فيه مشكّك.

فإن قالوا: «إنّ[١١] النفس تشاهده بصورة متقدّرة تحصل[١٢] فيها»، فهم يسلّمون أنّ[١٣] المقادير الجرميّة لا تحصل في النفس. ولو[١٤] أمكن حصولها في النفس بدون البصر لاستغنت عنه، وليس كذا.

---

(١) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٢) أوهن: + البيوت A
(٣) A82b
(٤) لم أعثر على قائله، ونقله السهرورديّ في: حكمة الإشراق: ١٠٠
(٥) ما: بما A
(٦) تستدلّ: يستدلّ A
(٧) هكذا: هذا P
(٨) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٩) نستدلّ: يستدلّ A
(١٠) نرى: ترى A
(١١) إنّ: بأنّ P
(١٢) تحصل: يحصل A
(١٣) أنّ: لك A
(١٤) لو: + كان A

ثمّ إذا كان المبصَـــر هو القدر الذي في الجليديّة، فيكون ممتازاً عن الباقي بمزيّة[١] الإبصار، فلا يكون الباقي مبصَراً.

[جواب آخر لأهل الانطباع عن الإشكال الأوّل]

وأجاب بعضهم بأنّ المادّة تقبل[٢] المقدار الصغير والكبير، فيكون المقدار الصغير حاصلاً في مادّة الجليديّة على أنّه مقدارها، والمقدار الكبير حاصلاً فيها على أنّه مقدار شبح الشيء المبصَر.

[ردّ الشهرزوريّ عليهم]

وهو فاسد أيضاً؛ فإنّ شبح المقدار العظيم[٣] في الجليديّة:

ـ إن فضل على[٤] مقدارها، فالصورة[٥] الشبحيّة تجاوزت أطرافها الجليديّة وجميع مـدرَكـات الإنســان، فلا تكون مدرَكة[٦]، بل يكون المدرَك مقدار ما انطبع في المدرِك فقط.

ـ وإن لم يفضــل الصــورة[٧] الشــبحيّة على الجليديّة، بل كانت مثلها، فلا يرى به الجسم العظيم كما هو. وليس كذا؛ فإنّا نبصر الأجسام على ما هي عليه.

وأيضاً الرطوبة الجليديّة وما يشاكلها من المرايا التي يظهر فيها الصور، إنّما ظهرت فيها لملاســتها وصـقالتها. فإذا لم يكن الصـور[٨] في المرآة ـعلى ما سيأتي وساعدتم عليهـ فلا يكون في مرآة[٩] الجليديّة صورة شبحيّة أصلاً، فسقط جميع ما ذكرتموه.

---

(١) بمزيّة: غير A
(٢) تقبل: يقبل A
(٣) العظيم: + إن ارتسم P
(٤) على: عن A
(٥) فالصورة: بالصورة A
(٦) تكون مدركة: يكون مدركه A
(٧) الصورة: ـ A
(٨) الصور: الصورة A
(٩) مرآة: المرآة A

[سبب صدور هذه الآراء العجيبة]

قال [الشهرزوريّ][١] ـ بعد ما أورد مذاهب الجماعة[٢] في هذا المعنى ـ: وليس عندي ريب في أنّ الرجل إذا لم يدخل[٣] الحكمة من أبوابها، ولم يهذّب نفسه بالأخلاق الشريفة، ولم يكمّل ذاته بأنواع الحكمة النظريّة، ولم يتلطّف بالرياضات والمجاهدات لإدراك جوهر نفسه وما[٤] فوقها من الروحانيّات بمشاهدات[٥] ومكاشفات، ثمّ رام[٦] إدراك الحكمة والأُمور المهمّة الصعبة، وأراد أن يتصرّف فيها دون تأييد قدسيّ، فقد حاول إدراك ما ليس في وُسعه وطاقته، فلا جرمَ يكثر غلطه، ويعظم زلله، ويخبط في ميدان الحكمة خبط عَشواء[٧].

[المذهب الحقّ في الإبصار]

ثمّ قال: والمذهب الحقّ في الإبصار أنّه لا يكون بخروج الشعاع، ولا بدخوله، ولا بانطباع شبح، ولا باستدلال. وإنّما هو بمقابلة المستنير للعضو الباصر الذي فيه رطوبة صقيلة مرآتيّة. فعند وجود هذا الشرط يقع للنفس علم إشراقيّ حضوريّ على المبصَر، فيدركه النفس مشاهدة. وهذا لا يُفهم حقّ الفهم إلّا بعد الرياضة وإدراك النفس الناطقة.

[خلوّ المرآة عن الصور]

واعلَم أنّ الصور[٨] ليست في المرآة. وأعني بالمرآة كلّ صقيل يظهر عند مقابلته[٩] الأشباح الروحانيّة.

---

(١) الشهرزوريّ: الشيخ A
(٢) A83a
(٣) يدخل: + على P
(٤) وما: فما A
(٥) بمشاهدات: مشاهدات A
(٦) رام: دام A
(٧) يُضرَب مثلاً للسادر الذي يركب رأسه، ولا يهتمّ لعاقبته. (لسان العرب)
(٨) الصور: الصورة A
(٩) مقابلته: مقابلة A

ولو كانت هذه الصور[١] في المرآة، لوجب أن لا يختلف رؤيتنا لها بحسب اختلاف مواضع نظرنا إليها؛ فإنّ الهيئات الثابتة في الشيء لا تختلف[٢] باختلاف الناظر إليها.

ولأنّه إذا كان بين سطح المرآة وبين وجهنا ذراع ولمسناها بإصبعنا، وجدنا بين رأس الإصبع الظاهر في المرآة وبين الوجه الظاهر فيها مسافة لا يفي[٣] بها عمق[٤] المرآة.

فصور المرايا ليست فيها.

وأيضاً هذه الصور لا يجوز أن تكون[٥] في البصر، ولا حاصلة بالانعكاس عن المرآة، فقد أبطلنا[٦] المذهبين. ولا هي في[٧] الهواء؛ لأنّه[٨] شفّاف.

ولو كانت في نفس المرآة، لكانت في سطحها الظاهر؛ لأنّه هو المصقول، فكانت[٩] فيه كالسواد والبياض وسائر الأعراض المحسوسة. وحينئذٍ يجب[١٠] أن لا يختلف ظهورها بالمقابلة[١١] وغيره، وليس كذا.

ولا يجوز أن يكون ما تراه نفس ذلك الشيء تراه بطريق آخر؛ فإنّا قد نرى مثال الشيء[١٢] أصغر من ذلك الشيء بكثير، مع تمام هيئة جميع الأعضاء مع توجّهها إلى خلاف جهة ذلك الشيء.

فالصور والأشباح الظاهرة في جميع المرايا ليست في المرايا، ولا في جسم من الأجسام أصلاً. ولمّا كانت الجليديّة مرآةً، فيكون نسبتها إلى المبصَرات الظاهرة فيها كنسبة المرآة إلى الصور الظاهرة فيها. >[١٣]

---

(١) الصور: الصورة P

(٢) تختلف: يختلف A

(٣) يفي: بقي A

(٤) عمق: عشق A

(٥) تكون: يكون A

(٦) فقد أبطلنا: بطلان A

(٧) هي في: شيء من A

(٨) لأنّه: أنّه A

(٩) فكانت: + تكون P

(١٠) يجب: وجب A

(١١) A83b

(١٢) الشيء: شيء P

(١٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣٧٤/٢ _ ٣٩٢

[المبصَرات]

وإذ فرغنا من البحث عن الإبصار، فلا بدّ من البحث عن المبصَرات، فنقول:

[أقسام الأجسام بحسب حجبها ما وراءها]

[1]< إنّ الأجسام إمّا[2] أن يحجب ما وراءها عن الإبصار، أو لا:

ـ فإن حجبت فهي الأجسام الكثيفة.

ـ وإن لم تحجب[3] فهي الأجسام الشفّافة.

[أقسام الأجسام الكثيفة]

فالأجسام الكثيفة:

ـ إمّا أن لا تحتاج[4] في رؤيتنا إلى حضور جسم آخر غير الشافّ، و[5] هو المضيء.

ـ أو تحتاج[6] إلى حضور ذلك، وهو[7] الجسم المتلوّن[8].

ثمّ الشافّ إنّما يصير شافّاً بالفعل إذا صار المتلوّن متلوّناً بالفعل. وإنّما يصير المتلوّن متلوّناً بالفعل إذا قابله المضيء، وأمّا[9] قبل المقابلة فهو متلوّن بالقوّة.

والشافّ حكمه كذلك؛ فإنّه قبل أن يصير المتلوّن متلوّناً بالفعل يكون شافّاً بالقوّة، فإذا صار متلوّناً بالفعل صار الشافّ شافّاً بالفعل.

[مذهب البعض في كون ألوان المتلوّنات نفس شعاع المضيء]

وزعم بعض المتأخّرين[10] أنّ ألوان المتلوّنات[11] هو نفس الشعاع الحاصل من

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) الأجسام إمّا: للأجسام A

(٣) تحجب: يحجب A

(٤) تحتاج: يحتاج A

(٥) و: ـ A

(٦) تحتاج: يحتاج A

(٧) وهو: ـ A

(٨) المتلوّن: الملوّن A

(٩) وأمّا: فأمّا A

(١٠) المشارع والمطارحات (الطبيعيّات): ٣٣٦

(١١) المتلوّنات: الملوّنات A

المضـيء. فسواد الأسود وحمرة الأحمر هو حصّة من الشعاع الحاصل من النيّر، وإنّما اختلفت الألوان بسبب اختلاف الاستعدادات.

قـالوا: والألوان ليسـت حـاصـلـة في الظلمة محجوبة بها؛ فإنّ الظلمة عدميّة لا تحجـب(١)، فلو كـان موجوداً لرُئي. واللون إنّمـا هو كيفيّة ينفعل عنها البصـر. فإذا لم يحصـل انفعال البصـر عنها في الظلمة، فلا تكون(٢) موجودة، وإذا لم تكن(٣) موجودة في الظلمة العدميّة ووجدت في الشعاع فهي نفسه.

[ردّ هذا المذهب]

والجواب أنّ هذا الكلام في غاية الضعف؛ فإنّ عدم ظهور(٤) اللون فيها ـأي(٥) في الظلمةـ لا يدلّ(٦) على عدم اللون، بل يدلّ(٧) على انتفاء شـرط الظهور، وهو الشعاع، أو أمر آخر.

وقوله في حدّ اللون: «إنّه كيفيّة(٨) ينفعل عنها البصـر»، فللخصـم أن يمنع أنّ ذلك حدّ(٩)؛ فإنّ انفعال البصـر عن الشـيء لا يكون نفس حقيقة ذلك الشـيء، بل هو تابع لحقيقته؛ فإنّ الشـيء يجب تحقّقه أوّلاً، ثمّ يلزمه بعد ذلك أن ينفعل البصـر عنه ثانياً. وليس انفعال البصـر بالفعل(١٠) لازماً للّون؛ فإنّ بعض الأشياء المتلوّنة أو المضيئة غير مرئيّة بالفعل، إمّا لعدم باصـر، أو لاختلال البصـر، أو لانتفاء قصـد. فعُلم أنّ انفعال البصر لا يكون لازماً للّون(١١) مع ما ذكرتم.

---

(١) تحجب: يحجب A

(٢) تكون: يكون A

(٣) تكن: يكن A

(٤) A84a

(٥) فيها أي: ـ P

(٦) يدلّ: تدلّ A

(٧) يدلّ: تدلّ A

(٨) كيفيّة: كيفيّته A

(٩) حدّ: حدّاً A

(١٠) بالفعل: + لا يكون A

(١١) للّون: + مع ما ذكرتم A

فإن قال بأنّ انفعال البصر إنّما يلزم اللون عند حضور الباصر والمقابلة والتحديق، والثلاثة موجودة في الظلمة، مع أنّا لا نرى شيئاً، فالألوان في الظلمة معدومة.

فيقول الخصم: إنّما يكون انفعال البصر لازماً للّون مع ما ذكرتم من(١) زيادة قيدٍ آخر(٢) وهو «إشراق الشعاع».

ثمّ إذا كان انفعال البصر متوقّفاً على أُمور أُخرى وراء اللون ذكرناها، على ما ساعد(٣) عليه الخصم، فلم يبقَ في اللون سوى(٤) استعداد انفعال البصر. فعدم انفعال البصر(٥) عن اللون في الظلمة لا يدلّ(٦) على عدم الأمر المستعدّ له.

ثمّ إنّه لا يلزم من عدم وجود اللون في الظلمة ووجوده عند الشعاع، أن يكون نفس الشعاع؛ فإنّه ربّما(٧) كان لازماً له، أو من بعض شروط وجوده، فقد علمتَ أنّه لا يلزم من تلازم شيئين اتّحاد حقيقتهما.

فبقي أن يكون الحقّ هو أنّ الظهور في الأعيان [أمر مغاير](٨) للسواد والبياض، فيكون الشعاع غير اللون، وهو شرط في ظهوره(٩).

[نفي الظلمة عن الهواء عند المشّائين]

وقول المشّائين: «إنّ الهواء ليس بمُظلِم؛ لأنّه عبارة عن انتفاء النور في ما يمكن عليه النور(١٠)» ضعيف(١١)؛ فإنّه لا يلزم من أن يكون بعض أسماء السلوب مع الإمكان

---

(١) من: مع P
(٢) آخر: ـ A
(٣) ساعد: يساعد P
(٤) سوى: سواء A
(٥) فعدم انفعال البصر: ـ A
(٦) لا يدلّ: ولا تدلّ A
(٧) ربّما: إنّما A
(٨) أمر مغاير: أمراً مغايراً AP
(٩) ظهوره: ظهورها P
(١٠) النور: التنوّر P
(١١) ضعيف: ـ P

اسماً لشيء في بعض المواضع[١]، أن يكون في الجميع كذا.

[استدلال على ظلمة الهواء]

والـذي يدلّ على ظلمة الهواء أنّا إذا فتحنا أعيننا في الليالي المُظلِمة ولم نرَ شـيئاً، سـمّينا ما عندنا ظلمة، سواء كان جبلاً، أو جداراً، أو هواء طلقاً، أو غير ذلك، سواء كان ذلك الشيء قابلاً للنور، أو لم يكن قابلاً له[٢].

[الظلمة عند الحكماء المتألّهين]

والظلمـة ـعند جماعة من الحكماء المتألّهين ـ عبارة عن انتفاء النور مطلقاً[٣] من غير أن يشترط[٤] فيه الإمكان؛ فإنّا لو فرضنا العالَم خلاً أو فلكاً لا نور فيه، كان مُظلِماً، ولازمتْه الظلمة مع عدم إمكان النور فيه. وليس هذا الفرض محالاً بالنسبة إلى ذات العالم، وإن كـان محالاً بالنسـبة إلى علله؛ فعند هؤلاء كلّ ما[٥] لا نور فيه فهو مُظلِم ـكيف كان ـ. >[٦]

[الحواسّ الباطنة]

[٧]< **البحث الثاني**: في الحواسّ الباطنة.

القوى[٨] إمّا مدرِكة أو محرّكة.

والمدرِكة:

---

(١) A84b

(٢) له: _ P

(٣) مطلقاً: _ A

(٤) يشترط: تشترط A

(٥) كلّ ما: كلّما A

(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣٧١/٢ _ ٣٧٤

(٧) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٨) القوى: + الباطنة P

ـ إمّا[١] للكلّيّات، وهي النفس الناطقة.

ـ وإمّا للجزئيّات، فهي الحواسّ الظاهرة، وقد مضى حالها.

وأمّا الحواسّ الباطنة فإمّا مدرِكة فقط، أو مدرِكة ومتصرّفة.

والمدرِكة إمّا للصور الجزئيّة، أو للمعاني الجزئيّة.

والأُولى المدرِكة للصور المحسوسة بالحواسّ الظاهرة، و[٢] تسمّى[٣] بالحسّ المشترك، وباليونانيّة بنطاسيا[٤]، وخزانته الخيال، وهو الحافظ لصور الجزئيّات بعد زوالها عن الحسّ المشترك.

والثانية هي المدرِكة للمعاني الجزئيّة القائمة بالمحسوسات، ككون هذا الشخص صديقاً وذلك الآخر عدوّاً، وهي الوهم، وخزانته الحافظة، وهي التي تحفظ المعاني الجزئيّة.

وأمّا المدرِكة والمتصرّفة فهي التي تتصرّف في المدرَكات المخزونة في الخزانتين اللتين[٥] للحسّ المشترك والوهم بالتركيب والتحليل، فتركّب إنساناً له رأسان، وبحراً من زئبق. وهي عند استعمال العقل تسمّى مفكّرة، وعند استعمال الوهم تسمّى متخيّلة.

فهذه خمس قوىً.

[الأُولى: الحسّ المشترك]

الأُولى: الحسّ المشترك. وهي القوّة المرتّبة في مقدم[٦] التجويف الأوّل من الدماغ، وهو المَنبت الذي ينبت[٧] منه أعصاب الحواسّ الظاهرة. يجتمع عندها مثُل

(١) إمّا: + أن تكون مدركة P
(٢) و: ـ P
(٣) تسمّى: يسمّى A
(٤) بنطاسيا: بنطاشيا A
(٥) اللتين: التي APs
(٦) المرتّبة في مقدم: المربّية مع عدم A
(٧) ينبت: نبتت A

جميع المحسـوسـات الظاهرة[١]، فتدركها على سـبيل المشـاهدة، فيكون الصـورة المأخوذة من خارج منطبعة فيها، ما دامت النسـبة بينها وبين المبصَـر أو المسـموع أو غيرهما محفوظة أو قريبة العهد. فإذا غاب المبصَـر أو غيره انمحَت الصـورة عنها، ولم تثبت زماناً معتبراً.

ومهما كانت الصـور[٢] في الحسّ المشترك فهي[٣] محسوسة فقط. وإذا انطبع فيها صـورة كاذبة ـكما للممرورين ـ أحسَّـته، فإذا انتقلت الصورة إلى الخيال تصير متخيّلة لا محسوسة.

[احتجاج المشّائين على إثبات هذه القوّة]

واحتجّ المشّاؤون على إثبات هذه القوّة بوجوه:

[الوجه الأوّل]

أ. إنّا إذا رأينا لون العسل نحكم[٤] عليه بأنّه حلو، والحاكم بالشيء على الشيء ـكالحكم على لون العسـل بأنّ موضـوعه حلوـ لا بدّ وأن يحضـره المقضيّ به وعليه، فيكون مدرِكاً لكلّ واحد منهما؛ بناءً على أنّ التصديق يسبقه[٥] تصوّر الطرفين، فوجب إثبات قوّة مدرِكة لمحسـوسـات الحواسّ الخمس. وهذا الحكم ليس للنفس الناطقة؛ لأنّهـا مجرّدة عن المـادّة، فمـدرَكاتها كذلك[٦] مجرّدة عن اللواحق المادّيّة، فلا تدرك الجزئيّات المحسوسة بالحواسّ الخمس المادّيّة، فلا بدّ من وجود قوّة أُخرى جسمانيّة مدرِكة لجميع هذه المحسوسات، وهي[٧] الحسّ المشترك.

---

(١) A85a

(٢) الصور: + المحسوسة A

(٣) فهي: وهي A

(٤) نحكم: يحكم A

(٥) يسبقه: سبقه A

(٦) كذلك: يجب أن تكون P

(٧) هي: بقي A

[الوجه الثاني]

ب. إنّا نرى القطرة النازلة من العِلو خطّاً مستقيماً[١]، والنقطة الدائرة بسرعة خطّاً مستديراً. كلّ ذلك على سبيل المشاهدة، لا على سبيل تخيّل. فإمّا أن يكون ذلك كذلك في الخارج، وهو محال؛ فإنّه[٢] ليس في الخارج إلّا نقطة. فالنقطة المتحرّكة عند وصولها إلى مكانٍ مقابلٍ للبصر[٣] يرتسم فيه نقطة، ثمّ تزول عنه بزوال المقابلة التي إنّما تحصل في آن يحيط[٤] به زمانان لا تكون[٥] حاصلة فيهما؛ لأنّ الحركة غير قارّة[٦] الذات، فلو لم يكن قوّة غير البصر يرتسم فيها النقطة ويبقى فيها زماناً ليتّصل بها باقي الارتسامات المتتالية في البصر، لم يمكن أن نرى[٧] خطّاً. فبقي أن يكون فينا قوّة أُخرى تدرك[٨] ذلك. ولا يجوز أن يكون هي القوّة الباصرة[٩]؛ فإنّها لا تدرك[١٠] إلّا ما يقابله، ففينا ما يدرك[١١] الأُمور الجزئيّة مشاهدة، ويسمّى[١٢] الحسّ المشترك.

[الوجه الثالث]

ج. إنّ النائم والمُبَرسَم وبعض المرضى يشاهدون صوراً محسوسة لا وجود لها في الخارج؛ إذ[١٣] لو كانت موجودة فيه[١٤] لرآها كلّ سليم الحسّ. وليس وجودها في بعض الحواسّ[١٥] الظاهرة؛ لأنّ جميعها معطّل إمّا بالنوم أو بأمرٍ آخر. فيلزم أن تكون[١٦]

---

(١) مستقيماً: _ A
(٢) فإنّه: إنّه A
(٣) للبصر: المبصر A
(٤) يحيط: تحيط A
(٥) تكون: يكون A
(٦) قارّة: مادّة A
(٧) نرى: يرى A
(٨) تدرك: يدركه A
(٩) A85b
(١٠) فإنّها لا تدرك: فإنّه لا يدرك A
(١١) ما يدرك: قوّة تدرك P
(١٢) يسمّى: تسمّى P
(١٣) إذ: إنّها A
(١٤) فيه: _ P
(١٥) الحواسّ: _ A
(١٦) تكون: يكون A

في قوّة أُخرى يدركها على سبيل التخيّل، وهو الحسّ المشترك.

قال [الشهرزوريّ][(١)]: لا يرتسم في الحسّ المشترك شيء. ولستُ أقول: لا يظهر فيه شيء؛ بل هو من جملة مرايا النفس الذي[(٢)] يظهر فيه الأُمور[(٣)] الغريبة العجيبة.

فعُلم من قوله أنّ المدرِك لصور هذه المحسوسات في الحقيقة هو النفس بواسطة مرآة الحسّ المشترك، كما في الإبصار ـ بل وسائر القوى ـ بالإشراق الحضوريّ.

[الثانية: الخيال]

الثانية: الخيال. ويسمّى[(٤)] بالمصوِّرة، وهي مرتّبة في آخر التجويف الأوّل. يجتمع عندها مثُل جميع المحسوسات بعد غيبتها عن الحواسّ وعن الحسّ المشترك، فتدركها. وهي خزانة[(٥)] الحسّ المشترك، تؤدّي إليه على سبيل الاستخزان. وقد تخزن ما ليس مأخوذاً[(٦)] عن الحسّ المشترك، بل[(٧)] عن المفكّرة، كما إذا تصرّفَت في الصور التي فيها بالتحليل والتركيب، فركّبَت صورة منها أو[(٨)] فصّلَتها، استحفظَتها في هذه الخزانة أيضاً.

[سبب تسمية الخيال بخزانة الحسّ المشترك]

وإنّما حكَمنا على الخيال بأنّه خزانة[(٩)] الحسّ المشترك لأنّا إذا شاهدنا زيداً مثلاً، ثمّ ذهلنا عنه زماناً، فإنّ صورته تبقى في ذلك الزمان في الخيال؛ لأنّا إذا شاهدناه بعد ذلك مرّة أُخرى، فإنّا نحكم عليه بأنّ هذا المشاهَد هو الذي شاهدناه قبل ذلك.

---

(١) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٢) الذي: أي A
(٣) الأُمور: ـ A
(٤) يسمّى: تسمّى A
(٥) خزانة: خزانته A
(٦) مأخوذاً: موجوداً A
(٧) بل: ـ A
(٨) أو: و A
(٩) خزانة: خزانته A

[الاستدلال على مغايرة الخيال للحسّ المشترك]

واستدلّوا على مغايرتها للأُولى[(١)] بوجوه:

[الوجه الأوّل]

أ. إنّ صور جميع المحسوسات إذا تأدّت من حواسّها إلى الحسّ المشترك وانطبعت فيه، كانت مشاهَدة. وإذا كانت في خزانة الخيال لم يكن مشاهَدة، بل كانت متخيّلة، فالحسّ المشترك غير الخيال.

[الوجه الثاني]

ب. إنّ الحسّ المشترك قابل، له قوّة أخذ هذه[(٢)] الصورة. أمّا الخيال فله قوّة حفظها، والقابل[(٣)] غير الحافظ[(٤)].

أمّا أوّلاً، فلأنّ الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد، فلا يكون الذي له قوّة القبول بعينه هو الذي له قوّة الحفظ.

وأمّا ثانياً، فلأنّ[(٥)] الحفظ لا يحصل به القبول؛ لأنّ الماء له قوّة قبول[(٦)] الصور وأخذها[(٧)]، وليس له قوّة حفظها.

[الوجه الثالث]

ج. إنّا قد نستحضر صور جميع المحسوسات تارةً، ونذهل عنها أُخرى. ثمّ ذلك الذهول[(٨)] قد يكون مع نسيان، وقد لا يكون؛ فإنّ الاستحضار لمّا كان عبارة عن

---

(١) مغايرتها للأُولى: مغايرة هذه القوّة للحسّ المشترك P
(٢) أخذ هذه: فقد A
(٣) A86a
(٤) الحافظ: + لوجهين P
(٥) أمّا ثانياً فلأنّ: لأنّ P
(٦) قبول: بقبول A
(٧) وأخذها: واحدها A
(٨) الذهول: + غير A

حصــول الصــورة في القوّتين، وكان الذهول عبارة عن حصــولها في القوّة الحافظة دون القابلة، والنســيان هو زوال الصــورة عن القوّتين جميعاً، فالذي عنده الذهول غير الذي عنده الحضور، فالحسّ المشترك غير الخيال.

[إشكال الشهرزوريّ على هذه الوجوه]

قال [الشهرزوريّ][١]: والكلّ ضعيف.

[إشكاله على الوجهين الأوّل والثالث]

أمّا اســتدلاله لكون[٢] الخيال خزانة بأنّا[٣] نذهل عن الصــورة زماناً وانحفاظها في ذلك الزمان بعد الغيبوبة عن الحسّ المشــترك عن الخيال؛ فإنّ هذا القدر لا يدلّ على أنّها كـانـت في الخيال محفوظة. ولِمَ لا يجوز أن يكون الصــورة منقوشــة في بعض الأفلاك[٤] محفوظة فيها، فيســتفيدها[٥] النفس وتســتحضــرها من هناك، إمّا بطلب أو بغير طلب، بسـبب حركات فلكيّة ومناسـبات إدراكيّة؟ وقد يتّفق أنّا ننســي الشيء، إمّا صــورة خيـاليّة أو معنىً وهميّاً يكون[٦] في الحافظة ـعلى زعمهمـ، ثمّ نجتهد[٧] في ذُكره ولم نـذكره، ثمّ إنّا نظفر به بعينه[٨] بغتةً ونذكره ونســتحضــره. فلو كان في بعض القوى البـدنيّـة لم يجُز[٩] أن يغيــب عن النفس المـدبّرة للبـدن وجميع مـا فيه. وكيف يغيب[١٠] عن الخازن النورانيّ شــيء وضَــعه في خزانته، وليس بينه وبينه حجاب ولا مانع جســمانيّ؟ فإنّه مجرّد عن المادّة، مُشــرِف على البدن وعلى جميع[١١] ما فيه من

---

(١) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٢) لكون: بكون A
(٣) خزانة بأنّا: خزانته فإنّا A
(٤) الأفلاك: + و P
(٥) فتستفيدها: فتستعيدها A
(٦) يكون: نكون A
(٧) نجتهد: يجتهد A
(٨) بعينه: ـ P
(٩) يجز: يجزه A
(١٠) يغيب: نذهب A
(١١) جميع: ـ P

الخزائن والذخائر في جميع الأحوال. فالتذكّر لا بدّ وأن يكون في عالم الأفلاك.

ولو كان في الخيال صور منطبعة، لكانت حاضرة وأدركَتها النفس، ونحن لا نجد في[1] أنفسنا عند غيبة زيد[2] وذهولنا عنه شيئاً مدرَكاً. فإذا أحسسنا بشيء يناسبه أو تفكّرنا فيه بسبب من الأسباب، ينتقل فكرنا إلى زيد، فيستفيد النفس ذلك من عالم الأفلاك.

وبما ذكرنا من استحالة[3] انطباع العظيم في الصغير، يمتنع أن ينطبع في الخيال شيء؛ فإنّا قد نتخيّل الأفلاك العظيمة وما فيها من الكواكب الكثيرة الكبيرة والجبال الشامخة والبحار الهائلة وغير ذلك من المسافات الشاسعة، فكيف ينطبع جميع ذلك في الخيال الذي يكون بقدر إصبع؟ ما هذا إلّا عجيب!

ثمّ قال: وإنّي لَأتعجّب من المعلّم الأوّل وأصحابه مع ما آتاهم اللّه تعالى[4] من الذَكاء والفِطنة والفضيلة التامّة واستخراج الأُمور اللطيفة والمسائل العويصة المشكلة، كيف غفلوا عن هذا وأمثاله؟ وما لذلك سبب إلّا ترك السلوك[5] والتجرّد والرياضة واشتغالهم بمَلاذّ الدنيا، وإلّا[6] فالقوم كانوا من رؤساء العالَم وأشراف الناس وأفاضل[7] الخلق.

وبهذا يندفع استدلالهم على التغاير بين الحسّ المشترك والخيال في الوجه الأوّل والثالث[8].

[إشكاله على الوجه الثاني]

وقولهم في الثاني: إنّ القابل غير الحافظ.

---

(١) في: من A
(٢) A86b
(٣) استحالة: امتناع P
(٤) تعالى: _ P
(٥) السلوك: _ A
(٦) وإلّا: _ P
(٧) أفاضل: أفضل P
(٨) والثالث: _ APs

فنقول لهم: الذي حفظ شيئاً، إن كان قابلاً[١] له[٢]، فقد خالفتم ما قلتموه: «إنّ القوّة الواحدة لا يصدر عنها اثنان[٣]»، وحينئذٍ لا يصحّ قولكم: «إنّ الحفظ يحصل بما[٤] لا يحصل به[٥] القبول».

وإن لم يكن الحافظ قابلاً[٦] فهو محال؛ لأنّ الحافظ إذا لم يقبل تلك الصورة، كيف يمكن أن[٧] يحفظها؟ فإنّ الحفظ فرع القبول؛ فمهما لم يقبل الشيء، فإنّه لا يتصوّر أن يحفظه[٨].

ثمّ الذي يدلّ على أنّه لا ينطبع في هذه الخزانة شيء، أنّه لو جاز أن ينطبع فيها الصور الكثيرة المختلفة مع صغرها، يلزم أن يقع النقوش[٩] التي لها بعضها على بعض، ويختلط البعض بالبعض، ويختلّ[١٠] جميع تلك الصور، فلا يمكننا بعد ذلك تخيّل شيء منها ولا استحضاره. وكذلك الحكم في الحسّ[١١] المشترك.

وإن رجعتم عن[١٢] مذهبكم وقلتم: «ما ارتسم فيها صورة شيء بالكلّيّة» فهو المطلوب.

وقولهم: «إنّ محلّ الحسّ المشترك والخيال هو البطن الأوّل من الدماغ، إلّا أنّ الحسّ المشترك في مقدّمه، والخيال في مؤخّره[١٣]»، يلزم منه أنّه إذا اختلّ أحد الفعلين[١٤] باختلال محلّه أن لا يختلّ الآخر. وليس كذا؛ فإنّهم يقولون: متى اختلّ أحد

---

(١) قابلاً: دليلاً A
(٢) له: ـ P
(٣) اثنان: أثران P
(٤) بما: ما A
(٥) به: ـ P
(٦) قابلاً: قبولاً Ac
(٧) أن: ـ A
(٨) يحفظه: يحفظ A
(٩) النقوش: النفوس A
(١٠) يختلّ: يخيّل P
(١١) في الحسّ: بالحسّ P
(١٢) A87a
(١٣) مؤخّره: + و P
(١٤) الفعلين: النعلين A

الفعلين[١] اختلّ الآخر. وحينئذٍ لا يمكن الاستدلال بتغاير[٢] القوّتين لتغاير محلّهما.

[الثالثة: الوهميّة]

الثـالثـة: الوهميّـة. وهي القوّة التي يـدرك[٣] بهـا الحيوانُ المعـاني الجزئيّـةَ الغير المحسـوسـة بالحواسّ الظاهرة التي لم يتأدّ إليها من الحواسّ، كإدراك الشاة معنىً في الـذئـب موجبـاً للهرب وهي العدواة، وإدراك زيد معنىً في عمرو موجباً للطلب وهي المحبّة والصداقة والموافقة، وأمثالها من المعاني الجزئيّة[٤] الموجودة في المحسوسات. وإذا لم يكن للحواسّ الظاهرة[٥] ولا للحسّ المشـــترك والخيال قوّةُ إدراكها، فلا بدّ من إثبات قوّة أُخرى تدركها[٦]، هي الوهميّة.

[مغايرتها للحسّ المشترك والخيال]

وأيضـــاً فهـذه المعـاني المدرَكة بهذه القوّة لم يتأدّ إليها من الحواسّ الظاهرة، وهو دليل على مغايرتها للحسّ المشترك والخيال.

[مغايرتها للنفس الناطقة]

وكون القوّة الوهميّـة موجودةً في الحيوانـات العُجم يـدلّ على مغـايرتهـا للنفس الناطقة ـعلى ما يقولون ـ.

ووجه آخر في مغايرتها للنفس، أنّها ربّما خوّف من شـــيء لا ينبغي أن يُخاف منه، كالثبات عند الموتى، والنفس الناطقة[٧] تؤمنه من ذلك الخوف. ونعلم[٨] بالضرورة أنّ الذي يؤمن غير الذي يخوِّف[٩].

---

(١) الفعلين: النعلين A
(٢) بتغاير: يتغاير A
(٣) يدرك: تدرك A
(٤) الجزئيّة: + الموجبة A
(٥) للحواسّ الظاهرة: الحواسّ الظاهر A
(٦) أُخرى تدركها: أُخرى غيرها تدركها و P
(٧) على ما ... الناطقة: _ A
(٨) نعلم: يعلم A
(٩) يخوّف: خوّف P

[استدلال على وحدة الوهم والخيال]

وذكر بعضهم[١] أنّا إذا حكَمنا على هذا الشخص المحسوس بكونه عدوّاً، والمدرِك للعـداوة[٢] والحاكم بها هي القوّة الوهميّة، وهي موجودة في الشـخص، فتكون القوّة الوهميّة الحاكمة مدرِكة لمعنى العداوة، ومدرِكة للشخص أيضاً؛ لأنّ الحاكم بشيء[٣] على شيء يجب أن يكون مدرِكاً لكلّ واحد منهما، فيكون المدرِك للمعاني هو المدرِك للصور، فالوهم والخيال قوّة واحدة، وهذا قريب.

[الرابعة: المتخيّلة]

الرابعـة: المتخيّلـة. وهي المـدرِكـة[٤] المتصـرّفـة. وهي قوّة من شـأنها التركيب والتفصـيل، فتركّب الصـور والمعاني التي في الخيال[٥] والحافظة بعضـها ببعض[٦]، فتجمع[٧] بين المختلفات المتباينة[٨]، وتفرّق بين المتناسبات المجتمعة، وتمثّل أُموراً لا توجد في الخارج.

[أمثلة لأفاعيل هذه القوّة]

ومثال تركيبها الصـور الخياليّة بعضـها ببعض[٩] أن تركّب إنساناً له ألف رأس، أو له جناحان يطير بهما في الهواء، وجبل من ياقوت، وبحر من زئبق، وأمثال ذلك.

ومثال تركيبها الصور الخياليّة بالمعاني الوهميّة، كحُكمنا بأنّ هذا الشخص صديق والآخر عدوّ.

---

(١) وهو فخر الدين الرازيّ في: شـرح عيون الحكمة: ٢٤٩/٢

(٢) والمدرك للعداوة: فالمدرك العداوة A

(٣) بشيء: شيء A

(٤) المدركة: + و P

(٥) A87b

(٦) ببعض: مع بعض A

(٧) فتجمع: فتجتمع A

(٨) المتباينة: المباينة A

(٩) ببعض: مع بعض A

ومثال تفصيلها، كما نفرض صورة إنسان بلا رأس ولا رِجلين، أو نفرضه عارياً[١] عن المعاني الوهميّة، كالصداقة وغيرها.

وهذه القوّة[٢] التي تسمّى عند استعمال الوهم متخيّلة، وعند استعمال العقل مفكّرة.

ومن طبيعة هذه القوّة الحركة دائماً، لا تسكن نوماً ولا يقظة، وبها يقتنص[٣] الحدّ الأوسط، ويحاكي المدرَكات والهيئات[٤] المزاجيّة.

مثال محاكاة الإدراكات أن تدرك[٥] السلطانَ نوماً أو يقظةً فتحاكيه بالشمس، أو الوزيرَ فتحاكيه بالقمر، أو العدوَّ فتحاكيه بالحيّة، إلى غير ذلك.

ومثال[٦] محاكاتها للهيئات المزاجيّة كما إذا غلب على مزاج الدماغ الحرارةُ رأى النيران في النوم، وإن غلب البرد رأى المياه والثلوج.

والأطبّاء يستدلّون بهذه المنامات على تغيّر المزاج وتقلّبه[٧]، وعلى أحوال الأخلاط. وهي متفنّنة[٨] الانتقالات، فتنتقل[٩] من الضدّ إلى الضدّ ومن الشبيه أو المناسب إلى مثله، وقد تنتقل[١٠] من الضدّ إلى الشبيه وبالعكس.

[إشكال على وجه الحاجة إلى المتخيّلة]

ويرد على هذا[١١] أنّ القوّة المتخيّلة المتصرّفة في الصور والمعاني الجزئيّتين إن كانت مدرِكة لهما، فقد صدر عن القوّة الواحدة إدراك وتصرّف، وأنتم لا تقولون به. وإن

---

(١) عارياً: عارضاً A
(٢) القوّة: القوى A
(٣) يقتنص: يقبض A
(٤) الهيئات: الهيئة A
(٥) تدرك: يدرك A
(٦) مثال: + ذلك A
(٧) تقلّبه: تنقّله P
(٨) متفنّنة: منتفية A، متغيّرة Ps
(٩) فتنتقل: فينتقل A
(١٠) تنتقل: ينتقل A
(١١) هذا: _ A

لم تكن مدرِكة ـكما هو مذهب بعضـهم ـ فمن لا إدراك له أو لا شعور له بشيء، كيف يمكنه أن يتصرّف فيه بالتركيب والتحليل؟

ثمّ إذا تصـرّفَت وفعلَت من غير[١] إدراك، ففعلُها إن كان طبيعيّاً محضـاً، فلا يكون على جهات مختلفة، كتفصيل أمر وتركيبه[٢]. وإن كان إراديّاً وكانت الإرادة لها، فكيف أرادت ولا إدراك لها[٣]؟ وإن كانت لغيرها[٤] فذلك الغير لا يجوز أن يكون ذا إرادة كلّيّة كالعقل؛ فإنّه لا يتمكّن بها من لا يتمكّن بها من التركيب والتفصيل الجزئيّ، فيحتاج[٥] إلى تصـوّر[٦] تركيب وتفصـيل جزئيّ خاصّ وتصـوّر الأحكام الخاصّـة؛ ليتعيّن إرادة جزئيّـة خـاصّـة. فذلك الغير إذا كان جامعاً للتصـوّرات الخاصّـة الجزئيّة والأحكام الخاصّة، فيكون له الجمع والتفصيل بذاته، فلا يحتاج معه إلى إثبات المتخيّلة التي ما دلّ عليها إلّا التفصيل[٧] والتركيب الذي أثبتناه لغيرها.

[محلّ القوّتين الوهميّة والمتخيّلة]

ومحلّ القوّة الوهميّة والمتخيّلة هو التجويف الأوسط من الدماغ.

[ردّ قول القائل بوحدة الوهم والمتخيّلة]

ولمـدّعٍ أن يدّعي أنّ الوهم هو المتخيّلة، فهما قوّة واحدة تحكم وتركّب وتفصّـل. واسـتدلالاتهم على تغـاير القوى إمّـا بـاختلال بعضـهـا مع بقاء بعض، وإمّا بتعدّد الأفاعيل.

---

(١) غير: ـ A
(٢) A88a
(٣) لها: ـ A
(٤) لغيرها: بغيرها A
(٥) فيحتاج: فتحتاج A
(٦) تصوّر: + و A
(٧) بذاته ... التفصيل: ـ A

فـإن كـان الأوّل، فلا يمكنهم دعوى بقـاء المتخيّلة سـليمة من غير أن يكون هناك حاكم وهميّ في الجزئيّات. فإنّهما لمّا كانا في البطن الأوسـط من الدماغ، وكنّا عرفنا اختلال القوى باختلال[١] مواضـعها، فلا يمكن أن يختلّ أحدهما مع بقاء الآخر. وإذا لم يختلّ[٢] أحدهما مع بقاء الآخر، فلا يتمّ استدلالهم على التغاير.

وإن كان الثاني، فلا[٣] يمكنهم أن يسـتدلّوا على تعدّد[٤] القوى بتعدّد[٥] الأفاعيل؛ فلأنّ[٦] القوّة الواحدة يجوز أن يصـدر عنها أفعال باعتبارات؛ فإنّ القوّة البدنيّة لمّا كان لها تركيب الموادّ والأعضاء وبحسب تصرّفات النفس وغيرها من القوى والاستعدادات التي في البدن، يحصل عنها أحكام كثيرة وأفعال متعدّدة. والقوّة الواحدة التي لا يصحّ أن يصـدر عنها أفعال متعدّدة، إنّما هو في[٧] المجرّد عن المادّة بالكلّيّة، لا في الأُمور ذوات العلائق؛ فـإنّ النفس مع كونهـا واحـدة أثبتوا لهـا قوّتين مختلفتين: إحداهما[٨] نظريّـة، والأُخرى عمليّـة. والحسّ[٩] المشـترك مع كونـه قوّة واحـدة يـدرك جميع المحسـوسات الظاهرة التي لا يمكن إدراكها إلّا بحواسّ خمسة. فلمَ لا يجوز مثله في المتخيّلـة، مع كون الأحكـام الوهميّـة غير مخالفة لأفعال المتخيّلة؟ ثمّ المتخيّلة إنّما تتمكّن[١٠] من الأحكـام عنـد النظر في الصـور المخزونة في الخيال. فلا يتصـوّر أن يختلّ[١١] الخيال أو[١٢] موضعه مع سلامة المتخيّلة وبقائها على أفعالها.

---

(١) باختلال: باختلاف A
(٢) يختلّ: تختلّ A
(٣) الثاني فلا: ولا A
(٤) على تعدّد: بتعدّد P
(٥) بتعدّد: لتعدّد P
(٦) فلأنّ: فإنّ P
(٧) في: ــ A
(٨) إحداهما: أحدهما A
(٩) A88b
(١٠) تتمكّن: يتمكّن A
(١١) أن يختلّ: ــ A
(١٢) أو: و A

[وحدة الوهم والمتخيّلة والخيال]

فـالحقّ[١] أنّ الـذي يلزم من هـذا أن يكون الوهم والمتخيّلة والخيال[٢] قوّة واحدة يعبّر عنهـا بهـذه العبـارات الثلاثة، مع كونها في نفس الأمر حقيقة واحدة، وهذه القوّة غير النفس الناطقة.

وبرهانه أنّ القوّة العقليّة إذا عزمت على التثبّت[٣] على شيء -كالانفراد مع ميّت-، نجد في أبداننا ما ينفر عن ذلك ويهرب. فنعلم بالضرورة أنّ الذي يجتهد في التثبّت[٤] غير الذي يجتهد في الهرب. ونعلم[٥] أيضـاً أنّ الذي يقبل بعض الأشياء الحقّة -كوجود موجود لا جهـة لـه، ولا هو داخل العالم، ولا خارجه- غير الذي ينكر ذلك. وإذا كان في أبداننا ما أحكامه يخالف أحكام نفوسـنا، فهو[٦] غير نفوسـنا، فهي لقوّة لزمت عن النفس الناطقة منطبعة في الدماغ. فيكون لذلك ظلمانيّة، تنكر[٧] الأنوار المجرّدة، ولا تعترف[٨] إلّا بالمحسـوسـات ومتعلّقاتها. وقد تنكر[٩] نفسـها أحياناً، وتسـاعد في المقدّمات المنتجة، فإذا وصـلت إلى النتيجة، نكصت على عقبها، فأنكرَت موجبَ ما سلّمَت.

[الخامسة: الحافظة]

الخامسـة: الحافظة، وتسمّى الذاكرة أيضاً. وهي قوّة مرتّبة في التجويف الآخر من الدماغ، من شـأنها أن تحفظ أحكام الوهم من المعاني الجزئيّة التي في المحسوسات

(١) فالحقّ: والحقّ A
(٢) الخيال: + ثلاثتها P
(٣) التثبّت: التثبيت A
(٤) التثبّت: البيت A
(٥) نعلم: يعلم A
(٦) فهو: هو A
(٧) تنكر: ينكر A
(٨) تعترف: يعترف A
(٩) تنكر: ينكر A

وجميع تصـــرّفـات المتخيّلـة[١]. وهي خزانـة للوهم[٢]، كما كان الخيال خزانة الحسّ المشـترك. وهذه القوّة الحافظة سريعة الطاعة للقوّة الناطقة في التذكير، ويتأتّى للرويّة بسببها[٣] أن تستخرج[٤] عن أُمور معهودة أُموراً منسيّة كانت مصاحبة لها.

[الاختلاف في وحدة الحافظة والمتذكّرة أو مغايرتهما]

وهل[٥] هذه القوّة[٦] هي المتذكّرة المسترجعة لِما غاب عن الحفظ، أو هي غيرها؟

[مذهب الرازيّ]

فبعض المتـأخّرين[٧] ذكر أنّـه يجـب أن يتغايرا[٨]؛ لتغاير مفهومَي الحفظ للمعاني الوهميّة واسـترجاعها بعد زوالها؛ لكون الحفظ إمساكاً[٩] والتذكير استرجاعاً[١٠]، وهو فعل. فعلى هذا يكون القوى ستّة؛ لانتساب كلّ فعل إلى قوّة.

[مذهب الشيخ الرئيس]

وذكر الشـيخ في الشـفاء[١١] ما يدلّ على كونهما[١٢] واحدة، إلّا أنّها تسـمّى حافظة باعتبار ومتذكّرة باعتبار آخر، فقال: إنّ الحافظة تســمّى متذكّرة، إلّا أنّها إنّما تكون[١٣] حافظة لصـيانتها ما فيها من المعاني الجزئيّة، وتكون متذكّرة باعتبار سـرعة استعدادها لاستثبات تلك المعاني واستعادتها[١٤] عند فقدِها.

---

(١) المتخيّلة: المتخلّية P

(٢) من المعاني ... للوهم: ـ A

(٣) بسببها: ونسبتها A

(٤) تستخرج: يستخرج A

(٥) هل: ـ A

(٦) هذه القوّة: القوّة الحافظة بعينها P

(٧) وهو فخر الدين الرازيّ في: شرح الإشارات والتنبيهات: ٢٦٣/٢

(٨) يتغايرا: يتغاير A || A89a

(٩) إمساكاً: إمساك A

(١٠) استرجاعاً: استرجاع A

(١١) الشفاء، الطبيعيّات، النفس: ١٤٩

(١٢) كونهما: أنّها A

(١٣) تكون: يكون A

(١٤) استعادتها: استفادتها APs

وذكر أيضـاً في باب مباحث النفس من الكتاب هذه العبارة: «ويُشـبه[١] أن يكون القوّة الوهميّة هي بعينها المفكّرة والمتخيّلة والمتذكّرة، وهي بعينها الحاكمة، فتكون[٢] بذاتها حاكمة، وبحركاتها وأفعالها متخيّلة ومتذكّرة. فتكون[٣] متخيّلة بما تعمل في الصـور والمعاني، ومتذكّرة بما ينتهي إليه أعمالها[٤]. وأمّا الحافظة فهي قوّة خزانتها، ويُشبه أن يكون التذكّر الواقع بالقصد معنىً للإنسان وحده».[٥]

وهذا كلام صريح في أنّ الوهم والمتخيّلة والمفكّرة والمتذكّرة قوّة واحدة، لكنّها بحسب اعتبارات أُخرى يعبّر عنها بهذه العبارات المختلفة، وهو موافق لِما ذكرناه من قبل أنّ المجموع قوّة واحدة.

[مذهب الشهرزوريّ]

قال [الشهرزوريّ][٦]: وكنّا قد ذكرنا إن[٧] لو كان في خزانة الحافظة شيء مخزون، لَما غاب عن النور المدبّر بعد السعي البالغ في طلبه. وأنّ الذُكر إنّما هو من مواقع سلطان الأنوار الفلكيّة التي لا ينسى[٨] شيئاً، ولا يغيب عنها شيء. بل يجوز أن يكون في البطن المؤخّر قوّةٌ ما واستعدادٌ ما للتذكّر من العالم الفلكيّ، تستفيد[٩] النفس الناطقة المنسيّ منه بواسطة هذا الاستعداد.

[مذهب نصير الدين الطوسيّ]

وقول بعض المتأخّرين[١٠]: «إنّ مراد الشيخ من قوله ـ إنّ هذه القوى[١١] واحدة ـ أنّ

---

(١) يشبه: نسبة A
(٢) فتكون: فيكون A
(٣) فتكون: فيكون A
(٤) أعمالها: عملها P
(٥) الشفاء، الطبيعيّات، النفس: ١٥٠
(٦) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٧) إن: من أنّه P
(٨) ينسى: ينسي P
(٩) تستفيد: تستعدّ A
(١٠) وهو نصير الدين الطوسيّ في: شرح الإشارات والتنبيهات: ٣٤٨/٢
(١١) القوى: القوّة A

المبدأ الذي ينسب إليه التخيّل والتفكّر والتذكّر والحفظ هو الوهم، كما أنّ المبدأ للجميع في الإنسان هو النفس الناطقة» ليس[١] بسديد؛ فإنّه ليس في كلام الشيخ ما يدلّ على ذلك، بل كلامه صريح[٢] في أنّها واحدة.

وأمّا استدلاله[٣] على التغاير بقوله: إنّ الشيخ قال متّصلاً في الكلام الذي نقلناه عنه قبله: «وهذه القوّة المركّبة بين الصورة والصورة، وبين الصورة والمعنى، وبين المعنى والمعنى، هي كأنّها القوّة الوهميّة بالموضوع، لا من حيث تحكم[٤]، بل من حيث تعمل، لتصل إلى الحكم، وقد جعِل مكانها وسط الدماغ؛ ليكون لها اتّصال بخزانتَي المعنى والصورة»، قال: «وهذا يدلّ على أنّ حامل[٥] القوّتين عضو واحد. ومن مذهبه أنّ القوّة الواحدة بالآلة الواحدة لا يصدر عنها فعلان مختلفان، فيحتاج إلى وجود قوّتين مختلفتين».[٦]

[ردّ الشهرزوريّ على نصير الدين الطوسيّ]

قال [الشهرزوريّ][٧]: وأقول: قد ذكرنا أنّ القوّة الواحدة يجوز أن يصدر عنها فعلان وأكثر، بحسب تعدّد الآلات والقوابل وتصرّفات من النفس. وهذه القوى إذا جعلناها واحدة، فيكون أفعالها متكثّرة بحسب المَحالّ البدنيّة.

والبطون الثلاثة الدماغيّة وإن كان محلّها الخاصّ بها هو البطن الأوسط ـ وأنت فقد جوّزت ذلك؛ لأنّ[٨] المتخيّلة على مذهبك حالّة[٩] في البطن الأوسط ـ، ومع ذلك

(١) A89b
(٢) صريح: كالصريح P
(٣) أي استدلال نصير الدين الطوسيّ.
(٤) تحكم: يحكم A
(٥) حامل: الحامل A
(٦) شرح الإشارات والتنبيهات للطوسيّ: ٣٤٨/٢
(٧) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٨) لأنّ: أنّ A
(٩) حالّة: حاله A

فهي تنظر في خزانة الخيال والحافظة، وتركّب وتفصّل منهما.

ثمّ الشيخ لم يجزم[١] أنّ الموضوع الذي للقوّتين، إذا كان واحداً واختلف الأفعال، يجب أن يختلف القوى.

[عدد القوى الباطنة عند المشّائين]

فهذه هي القوى الخمس الباطنة على مذهب القوم:

ـ قوّتان للتصوّر[٢] الجزئيّ ـمبدأ وخازنـ، وهما الحسّ المشترك والخيال.

ـ وقوّتان للتصديق الجزئيّ[٣] كذلك، وهما الوهم والحافظة.

ـ وقوّة أُخرى للإدراك والتصرّف، وهي المتخيّلة.

[عدد القوى الباطنة عند المتألّهين]

وأمّا على مذهب[٤] المتألّهين[٥]، فترجع إلى قوّة واحدة[٦]، وبحسب اختلاف الأفعال والآلات تسمّى باسمٍ آخر.

[عدد القوى الباطنة عند الأطبّاء]

وعند الأطبّاء ثلاث[٧]:

ـ خيال، وآلته البطن المقدّم من الدماغ.

ـ وفكر، وآلته البطن الأوسط عند الدودة.

ـ وذكر، وآلته البطن الأخير منه.

---

(١) ثمّ ... يجزم: لمَ لا يجوز A

(٢) للتصوّر: لتصوّر A

(٣) الجزئيّ: ـ A

(٤) مذهب: + أهل الحقّ من P

(٥) حكمة الإشراق: ٢٠٨

(٦) قوّة واحدة: قوّتين A

(٧) ثلاث: فالقوى ثلاثة P

قال [الشـهرزوريّ][١]: والحكماء من أهل البحث[٢] والأطبّاء مقصّـرون في بحوث القوى، والذي بلغ الغاية القُصوى في التحقيق هم المتألّهون[٣].

[الروح]

ولكـلّ واحـد من هـذه الآلات[٤] روح يختصّ به، وهو جرم حارّ لطيف حادث من لطافة الأخلاط على النسبة المحدودة المخصـوصـة. ويتولّد في التجويف الأيسر من القلب، وهو يضــرب[٥] إلى شــبه الأجرام الســماويّة؛ لنوريّته. ولهذا تهشّ القوى إذا أبصـرت النور، وتسـتوحش من الظلمة؛ لأنّ النور مناسـب لمركبها، فيقوى به مركبها، والظلمة مضادّة له، وهو حامل جميع القوى المدرِكة والمحرّكة.

[أقسام الروح]

والروح المتولّد في القلب يسمّى روحاً حيوانيّاً.

والســائر منـه إلى الكبد يســمّى روحاً طبيعيّاً، وبه يتمّ الأفعال النباتيّة من التغذّي والنموّ والتوليد.

والصــاعـد منـه إلى الدماغ يعتدل بتردّده في تجاويفه لبرودة الدماغ، ويكتســب السلطان النوريّ، يسمّى روحاً نفسانيّاً. فيفيض إلى جميع الأعضاء المدرِكة والمحرّكة، منبثّاً في جميع أجزاء البدن، وبه يحصل الحسّ والحركة في الحيوان[٦]، وحينئذٍ يستعدّ لقبول القوى من واهب الصور.

وهـذا الروح ليس مزاجه متشــابهة الحال متّفقاً[٧] في الكلّ، وإلّا لزم اتّفاق القوى

---

(١) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ A
(٢) A90a
(٣) المتألّهون: + منهم P
(٤) الآلات: آلات A
(٥) يضرب: يقرب Ps
(٦) في الحيوان: للحيوان P
(٧) متّفقاً: متّفق A

والآثـار. وليس كـذا، بل لكلّ جزء من الدماغ والبدن مزاج خاصّ يخالف مزاج الروح الآخر.

[استدلال على كون الروح هو المتعلّق الأوّل للنفس]

والذي يدلّ على أنّ المتعلّق الأوّل للنفس هو الروح أنّه إذا انسدّت(١) مجاري البدن وانقطع بـذلك سـريانه فيه ينقطع(٢) الحسّ والحركة الإراديّة وآثار الحياة بالكلّيّة. وإذا زال الانسـداد وجرى الروح في الأعضـاء على المجرى الطبيعيّ عادت الحياة وآثارها. وكذا إذا [شـددنا](٣) العضـو شدّاً(٤) منيعاً، بحيث يمنع(٥) نفوذ الروح إلى العضو، بطل عنه الحياة وتوابعها.

وهذا الروح لطيف جدّاً، ولذلك يسـرى في شِـباك الأعصاب والعظام. وإذا تعلّقت النفس أوّلاً بالروح، تعلّقت بسببه بالقلب، ثمّ بالدماغ(٦) والكبد، ثمّ بسائر الأعضاء.

[مغايرة الروح للهواء]

وبعضهم قال(٧): «إنّ الروح هو الهواء».

وليس ذلك بصـواب؛ فإنّ الروح يزيد بتناول الغذاء، وينقص عند نقصـانه. وليس كذلك الهواء، بل الهواء يصـحب الروح في العروق والمنافذ لتعديله ونقص فضـلته الدخانيّة فقط، لا أنّه نفس الروح.

[رؤساء البدن]

والعضـو الرئيسـيّ(٨) على الإطلاق إنّما هو القلب، ويليه في الرئاسـة الدماغ، ثمّ

---

(١) انسدّت: أفسدت A
(٢) ينقطع: + عنه P
(٣) شددنا: سددنا A، شدّدنا P
(٤) شدّاً: سدّاً A
(٥) يمنع: تمنع A
(٦) A90b
(٧) وهو أرسطاطاليس، في كتابه: في النفس: ٩٨
(٨) الرئيسيّ: الرئيس P

الكبد. فهذه الثلاثة[١] رؤساء البدن.

[ردّ مذهب جالينوس في مبدأ الروح]

وزعم جالينوس أنّ المبدأ للروح إنّما هو الدماغ.

ولو كان كذلك لكان[٢] الدماغ كثير الحرارة؛ لأنّ الروح الحارّ الرطب الذي يكون فيه يسخّنه ويلطّفه، فلم يكن مزاجه بارداً رطباً على ما هو موجود في الواقع، وكان يشتعل ناراً عند انضمام التسخين الحاصل من أفعال القوى وحركات الأفكار. بل الصانع تعالى ـلكمال عنايته وتمام حكمتهـ خلَق مزاجه بارداً رطباً؛ ليعتدل الروح الحيوانيّ الصاعد إليه من القلب بتردّده في تجاويفه، ولئلّا يشتعل عند الأفكار، فيحترق. >[٣]

[الاستدلال على كون الخيال جرميّاً]

[٤]< وإذ قد عرفتَ أمر القوّة التي تسمّى[٥] بالخيال تارةً، وبالوهم أُخرى أو[٦] بالمتخيّلة، فقد ذكرنا[٧] أنّها قوّة واحدة جرميّة درّاكة.

وقد استدلّ القدماء على أنّ الخيال جرميّ بوجوه:

[الوجه الأوّل]

أ. إنّا نتخيّل[٨] صغيراً وكبيراً وطويلاً وقصيراً من نوع واحد ـكالإنسان مثلاًـ. فهذا التفاوت الموجود[٩] في خيالنا وتصوُّرنا لا يجوز أن يكون بسبب النوع؛ فإنّه واحد لا تفاوت فيه. ولا للمأخوذ عنه، فقد نتخيّل ما ليس بموجود في الخارج. فليس التفاوت

---

(١) الثلاثة: + هم P

(٢) لكان: كان P

(٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣٩٣/٢ ـ ٤١٠

(٤) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٥) تسمّى: يسمّى A

(٦) أو: و A

(٧) ذكرنا: ذكر لنا A

(٨) نتخيّل: نخيّل A

(٩) التفاوت الموجود: المتفاوت الموجودة A

إلّا بمحلّ متقدّر هو فيه، فهو قوّة جرميّة.

[الوجه الثاني]

ب. إنّا إذا تخيّلنا شكلاً صليبيّاً على مقدار وهيئة لا يوجد[١] في العالم ولا يؤخذ[٢] منه، فإنّا نفرّق بين الجانب الأيمن والأيسر من ذلك الجسم المقاطع للآخر. فلا يخلو إمّا أن يكون اليمين واليسار المتخيّلين باعتبار المأخوذ عنه، وليس كذا[٣]؛ لأنّا لم نأخذه عن[٤] شيء خارجيّ معيّن، ليلزم أن يكون اليمين واليسار المتخيّلين بسبب يمين[٥] ذلك الخارج ويساره.

وليس أيضاً اليمين واليسار لاختلاف نوع المتخيّل الصليبيّ؛ فإنّا فرضناه من نوع واحد. ولا للمقدار والشكل والسواد والبياض وغير ذلك من الأحوال؛ فإنّا فرضنا تساويهما في ذلك.

وليس ذلك ليمين ويسار كلّيّ في النفس؛ فإنّ المتخيّل المذكور نشاهد[٦] يمينه ويساره وجميع امتداداته متشخّصة متعيّنة، لا كلّيّة.

فبقي أن يكون ذلك اليمين واليسار إنّما هو لِوضع[٧] حامله، وحامله القوّة الخياليّة، فتبيّن أنّ الخيال قوّة جرمانيّة.

ثمّ لو كانت هذه الصورة المتخيّلة مع امتداداتها المتعيّنة في المجرّد عن المادّة كيف كان، فأجزاء المتخيّلة[٨] المفروضة لا تجتمع في محلّ واحد؛ فإنّها لو اجتمعت لا يبقى لها[٩] ترتيب ومقدار. فيلزم أن يكون أمر متقدّر[١٠] ليحلّ كلّ جزء مفروض من

---

(١) يوجد: توجد A
(٢) يؤخذ: توجد A
(٣) A91a
(٤) عن: على A
(٥) يمين: عين A
(٦) نشاهد: شاهد A
(٧) لوضع: لموضع A
(٨) المتخيّلة: المتخيّل P
(٩) لها: لنا A
(١٠) أمر متقدّر: أمراً متقدّراً A

المتخيّـل في محلّ غير ما يحلّه الجزء[١] الآخر، وحينئذٍ يكون ما فرِض مجرّداً متقدّراً، وهو محال.

[الوجه الثالث]

ج. لو لم يكن الخيال جرميّاً، لأمكننا أن نتخيّل السواد والبياض في محلّ واحد من خيالنا، ونحن لا نتخيّلهما إلّا في محلّين متباينين، فهو قوّة جرميّة.

فهـذا مـا ذكروه في معنى الخيال. وأنت قد عرفتَ من الأُصـــول المقرَّرة أنّ الخيال والوهم والمتخيّلة قوّة واحدة جرميّة مدرِكة، فقد صدقوا في [هذه][٢] الدعوى.

[عدم جواز حلول الصور الخياليّة في خزانة في تجاويف الدماغ]

وأمّا قولهم: «إنّ ما نتخيّله يكون في قوّة جرميّة حالّة في بعض أجزاء الدماغ، لا في قوّة مجرّدة» فليس بصـــواب. فقد بيّنّا أنّه لا يجوز أن يكون في بعض تجاويف الدماغ خزانة[٣] يحلّ فيها الصور[٤] الخياليّة أو المعاني[٥] الوهميّة.

ثمّ نقول هاهنا: مسـلّم أنّ هذه الصورة المتخيّلة لا تحلّ في الجوهر؛ لِما ذكرتم أنّه يلزم تقدُّره، وليســت في الخارج، فلم يلزم[٦] أن تكون حالّة في الدماغ. ومن الجائز[٧] أن يكون الصورة قائمة بذاتها أو[٨] منقوشة في الفلك، كما يكون المعنى الذي نتذكّره[٩] في نفس أو عقل، كما هو مذهب القدماء من الحكماء[١٠]، فلا يتمّ البرهان[١١]. >[١٢]

(١) الجزء: الأجزاء A
(٢) هذه: هذا AP
(٣) خزانة: خزانته A
(٤) الصور: الصورة P
(٥) المعاني: _ A
(٦) A91b
(٧) الجائز: الأقسام P
(٨) أو: و A
(٩) نتذكّره: يذكره A
(١٠) الحكماء: + وعلى هذا P
(١١) البرهان: برهانك P
(١٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٧٨/٢ _ ٤٧٩

[القوّة المحرّكة]

[(١)]< **البحث الثالث:** القوّة المحرّكة. وتنقسـم[(٢)] إلى محرّكة[(٣)] باعثة، وإلى محرّكة[(٤)] فاعلة.

[المحرّكة الباعثة]

فالمحرّكة[(٥)] الباعثة هي القوّة الشـوقيّة، وذلك لأنّ الحيوان إذا لم يشـتق إلى شـيء يدركه ـ إمّا بالعقل[(٦)]، أو بالتخيّل[(٧)]، أو بالحسّ ـ لم ينبعث إلى طلبه بالحركة الإراديّة.

وليس الشوق نفس الإدراك؛ فإنّا قد ندرك أشياء كثيرة، ولا نجد في أنفسنا شوقاً إلى طلبها، كتخيُّر[(٨)] الطعام عند الشبع، واللذّات المُستكرَهة عند حسن[(٩)] الأخلاق.

وليس الشـوق بشـيء من القوى المـدرِكة؛ فإنّه ليس لها[(١٠)] إلّا الحكم والإدراك. وليس كلّ من أدرك أو أحسّ يجب أن يشـتاق إلى[(١١)] الشيء؛ فإنّ جماعة من الناس[(١٢)] قد يتّفقون[(١٣)] في إدراك شيء، ويختلفون في الشوق إليه.

والشـوق قـد يختلف في الحيوان. فمنـه مـا يكون ضـعيفـاً، ومنـه ما يقوى حتّى يوجب[(١٤)] الإجماع. وليس الإجماع نفس الشـوق؛ فإنّ الشـوق قد يشتدّ إلى شيء، ولا يجمع إلى الحركة إليه، كما أنّ التخيّل يقوى في بعضـهم في شـيء من غير أن يشـتاق

---

(١) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) تنقسم: ينقسم A

(٣) محرّكة: + على أنّها P

(٤) محرّكة: + على أنّها P

(٥) فالمحرّكة: + على أنّها P

(٦) بالعقل: بالفعل A

(٧) بالتخيّل: بالمتخيّل A

(٨) كتخيّر: كتخيّل P

(٩) حسن: حسّ A

(١٠) لها: له A

(١١) إلى: + ذلك P

(١٢) الناس: + أو الحيوان P

(١٣) يتّفقون: ينفعون A

(١٤) يوجب: توجب A

إلى ما يخيّله[١]. فإذا حصــل الإجماع أطاعت القوى المحرّكة المشــنِّجة للعَضَــل[٢] والمرسلة لها.

وليســت هذه القوى المحرّكة نفس الإجماع أو الشوق؛ لأنّ الحيوان قد يُمنع[٣] عن الحركة، ولا يمكن أن يُمنع[٤] من شــدّة الشــوق ولا من الإجماع. والإجماع هو العزم الذي ينجزم[٥] بعد التردّد في الفعل والترك، ويسمّى بالإرادة والكراهة.

[أقسام القوّة الشوقيّة]

والقوّة الشوقيّة تنقسم[٦] إلى قسمين:

ـ إلى شهوانيّة، وهي الحاملة على طلب ما يلائم من اللذيذ أو النافع.

ـ وإلى غضبيّة، وهي الحاملة على طلب الغلبة ودفع ما لا يلائم.

وقـد يكون في الحيوانـات حركـات إلى غير شــهوة، كحركـة الوالـدة إلى ولـدها، والأليف إلى أليفـه، واشــتياق الطيور إلى [الانفلات][٧] عن الأقفاص[٨]. فهذا وأمثاله وإن لم يكن شهوة للقوّة[٩] الشهوانيّة، فهو اشتياق إلى شهوة القوّة الخياليّة، كما نشتاق ونتحرّك[١٠] لأجل الجميل من المعقولات[١١].

[المحرّكة الفاعلة]

وأمّا المحرّكة[١٢] الفاعلة فهو القوّة التي تنبثّ[١٣] في الأعصــاب والعضــلات، من

---

(١) يخيّله: تخيّله A
(٢) للعَضَل: للعُضل P
(٣) يمنع: يمتنع A
(٤) يمنع: يمتنع A
(٥) ينجزم: ينخرم A
(٦) تنقسم: ينقسم A
(٧) الانفلات: الانقلاب AP، وما أثبتناه من: الشفاء، الطبيعيّات، النفس: ١٧٣
(٨) A92a
(٩) شهوة للقوّة: بشهوة القوّة A
(١٠) نشتاق ونتحرّك: يشتاق ويتحرّك A
(١١) من المعقولات: ـ A
(١٢) المحرّكة: + على أنّها P
(١٣) تنبثّ: تنبعث A

شأنها أن تشنّج العضلات لجذب الأوتار والرباطات أو[١] إرخائها وتمديدها.

فلكلّ[٢] حركة إراديّة مبدأ قوّة في كلّ عضو يخصّها يوجد[٣] في العَضَل المختصّة بتلك الحركة. فيكون[٤] القوى المحرّكة[٥] في البدن خمسمئة وسبعة وعشرين مبدأً بعدد العضلات.

وجميع القوى المدرِكة والمحرّكة إنّما تكون موجودة في الحيوان الكامل، فقد يتعرّى بعض الحيوانات الضعيفة عن بعضها.

[كون جميع القوى المدرِكة والمحرّكة جسمانيّة]

وجميع هذه القوى المذكورة ـ المدرِكة والمحرّكة[٦] ـ جسمانيّة؛ لأنّ أفعالها لا تتمّ إلّا بالأجسام؛ لاختلافها بحسب اختلاف الأجسام، وكلّ ما لا يتمّ فعلها إلّا بالأجسام ويختلف فعلها بحسب اختلاف الأجسام فهي قوّة جسمانيّة، ينتج أنّ القوى المذكورة جسمانيّة.

[عدم تماميّة أفعال هذه القوى إلّا بالأجسام]

أمّا بيان أنّ هذه القوى لا يتمّ أفعالها إلّا بالأجسام، ويختلف تلك الأفعال بحسب اختلاف الأجسام، فيدلّ عليه وجوه:

[الوجه الأوّل]

أ. إنّ الآفات الداخلة على الأفعال الصادرة عن القوى تكون على ثلاثة أضرُب: التشوّش، والنقصان، والبطلان. فحصول التشوّش يكون بسبب الحرارة، والنقصان

(١) أو: و A

(٢) فلكلّ: فكلّ A

(٣) يوجد: توجد A

(٤) فيكون: + الحركة A

(٥) المحرّكة: المتحرّكة A

(٦) المدركة والمحرّكة: ـ P

والبطلان بسـبب البرد. وهذه القوى يحصل فيها جميع هذه الوجوه الثلاثة. فالبصر إذا لم يرَ الشيء على ما هو عليه يكون لتشوّش[(١)] عرض له، وإن رآه ضعيفاً فهو لنقصان[(٢)]، أو لم يره بالكلّيّة فهو بطلان. وكذلك حكم سائر الحواسّ الظاهرة والباطنة.

فعُلم أنّ هـذه القوى لا يتمّ فعلهـا[(٣)] إلّا بالأجسـام. فإذا تغيّرت الأجسـام[(٤)] عن الأمزجـة الموافقـة للأفعـال، لاختلّـت[(٥)] الأفعـال أيضـاً تبعاً لها، إمّا بالتشـوّش، أو بالنقصان[(٦)]، أو بالبطلان[(٧)].

[الوجه الثاني]

ب. إنّ هذه القوى لا يدرِك كلّ واحد منها آلتَها المخصـوصة؛ لأنّ القوّة الباصرة لا تدرك[(٨)] العين، ولا الشامّة تدرك الأنف، وكذا الباقي. ولا يدرك هذه القوّة إدراكها؛ لأنّ القوّة البـاصـرة لا ترى كونها رائية، ولا تدرك نفسـها أيضـاً. وإذا امتنع إدراكها لذاتها و[إدراكها][(٩)] لآلتها ـ لأنّه لا يتوسّـط بينها وبين آلتها شـيء من الآلات ـ فتكون[(١٠)] جسمانيّة تحتاج[(١١)] في أفعالها إلى الأجسام.

[الوجه الثالث]

ج. إنّ هذه القوى لا تدرك الضعيف بعد القويّ، فلا يُنظر[(١٢)] السراج عند النظر إلى الشـمس، ولا يُسـمع[(١٣)] صـوت البعوضـة عند سـماع الرعد، ولا يُحسّ[(١٤)] الحرارة

---

(١) يكون لتشوّش: تكون التشوّش A
(٢) لنقصان: ـ A
(٣) فعلها: أفعالها P
(٤) فإذا تغيّرت الأجسام: ـ A
(٥) لاختلّت: اختلّت P
(٦) بالنقصان: النقصان A
(٧) A92b
(٨) تدرك: يدركه A
(٩) إدراكها: لإدراكها AP
(١٠) الآلات فتكون: آلات فيكون A
(١١) تحتاج: يحتاج A
(١٢) ينظر: تنظر P
(١٣) يسمع: تسمع P
(١٤) يحسّ: تحسّ P

الضعيفة عند الإحساس بالحرارة القويّة.

والعلّة فيه أنّ الإحساس[١] انفعال وتأثّر عن المحسوس، وإذا قوي الإحساس قوي الانفعال، فيثبت الأثر، وإذا ثبت الأثر القويّ لا يتنفّس[٢] الأثرُ الضعيف معه.

[الوجه الرابع]

د. إنّ بعد الأربعين يأخذ البدن في الضعف، ويتبعه هذه القوى في ذلك. فلمّا كان ضعف البدن مستلزماً لضعف هذه القوى، دلّ على أنّ هذه القوى جسمانيّة.

وأنت فقد عرفتَ أحوال هذه القوى، وأنّه ليس في الدماغ إلّا قوّة واحدة، والباقي استعدادات للإدراك والتصرّف. وأنّ الموصوف بجميع القوى المدرِكة والمحرّكة إنّما هو جوهر النفس الناطقة، وهو حسّ[٣] جميع القوى البدنيّة.

ويجوز أن يكون[٤] المدرِك والمتصرّف في الكلّ[٥] هو جوهر النفس. واختلاف أفعاله وإدراكاته عند اختلاف الأجسام لا يدلّ على أنّ المدرِك جسمانيّ؛ لجواز أن يكون هذه الأجسام آلات للنفس في هذه الأفعال بسبب[٦] استعدادات موجودة فيها، فإذا اختلّت الأجسام اختلّت الأفعال لذاك[٧].

وإدراكها لكلّ نوع من أنواع المحسوسات الظاهرة والباطنة يكون مشروطاً بوجود آلة، وحصول استعداد فيه، وسلامته[٨] من الموانع. فيدرك النفس[٩] بالقوّة الباصرة الأضواءَ والألوان، ولا تدرك[١٠] بها غير ذلك[١١]، وكذلك الحال في باقي القوى.

---

(١) الإحساس: + إنّه A

(٢) يتنفّس: ينتقش A

(٣) حسّ: حسن A

(٤) يكون: تكون A

(٥) الكلّ: + و A

(٦) بسبب: سبب A

(٧) لذاك: لذلك P

(٨) سلامته: سلامة A

(٩) فيدرك النفس: فيدركه النفس في A

(١٠) تدرك: يدرك A

(١١) A93a

ثمّ استدلّوا على أنّ القوّة[١] المحرّكة جسمانيّة؛ لأنّ تحريكها لا يمكن إلّا أن يكون[٢] مع حركة الآلات الجسمانيّة، وهي الأعصاب والعَضَل والأوتار والرباطات. وكلّ ما لا يمكن تحريكها إلّا مع الآلات الجسمانيّة فهي جسمانيّة، فالقوى المحرّكة جسمانيّة.

[تأمّل في عدم احتسابهم جوهرَ النفس محرّكاً للبدن وأجزائه]

ولقائل أن يقول: لمَ لا يجوز أن يكون المحرّك للبدن وجميع[٣] أجزائه هو جوهر النفس، ويكون ذلك التحريك موقوفاً على توسّط هذه الآلات الجسمانيّة وحصول[٤] استعدادات خاصّة فيها؟ وإن سمّيتم هذا[٥] الاستعداد قوّةً فمسلّم، ولكن لا يكون محرّكاً وفاعلاً للحركة، بل يكون حصوله شرطاً يُعدّ النفس لتحريك كلّ واحد من الأعضاء. ويكون الفاعل المطلق للحركة ولغيرها[٦] هو جوهر النفس؛ فإنّي أعلم بالضرورة أنّي أنا الذي تحرّكتُ وأبصرتُ وسمعتُ وذقتُ ولمستُ وتخيّلتُ وتفكّرتُ واشتهيتُ وغضبتُ، لا غيري[٧]. ولو كان لي[٨] مشارك في إدراك هذه الأشياء من هذه القوى، لكان للنفس شعور بذلك الإدراك المغاير لإدراكها. ونحن لا نجد عند إبصارنا[٩] لزيدٍ في أنفسنا إلّا أنّا أدركناه عند مقابلته[١٠] للبصر، ولا نجد عند[١١] البصر أو غيره إدراكاً آخر يؤدّيه إلى النفس، على ما يقولون[١٢]: إنّ القوى تدرك المحسوسات ويؤدّي[١٣] بعضها إلى بعض، حتّى ينتهي التأدية إلى النفس. وكذا حكم جميع القوى.

---

(١) القوّة: القوى A
(٢) إلّا أن يكون: أن يكون إلّا P
(٣) جميع: لجميع P
(٤) وحصول: وصول A
(٥) هذا: هذه A
(٦) لغيرها: لغيره P
(٧) غيري: غير P
(٨) لي: ـ A
(٩) إبصارنا: أبصرنا A
(١٠) مقابلته: مقابلة A
(١١) للبصر ... عند: ـ A
(١٢) يقولون: تقولون P
(١٣) يؤدّي: تؤدّي A

فالنفس[١] هي المدرِكة للمحسوسات الجزئيّة بواسطة هذه الآلات والحواسّ الجزئيّة، وتدرك الكلّيّات بذاتها، وهذا واضح جليّ عند التأمّل.

[كلام في اليقظة والنوم]

وممّا يناسب الكلام في القوى الحسّيّة، الكلام في النوم واليقظة.

[اليقظة]

فنقول: اليقظة عبارة عن الحالة التي[٢] يكون النفس فيها مستعمِلة للحواسّ الظاهرة والقوى المحرّكة بالإرادة.

ولا ينتقض بالذي[٣] يُمسك حواسّه الظاهرة[٤] عن الإحساس بها بالفعل، وقواه المحرّكة عن[٥] التحريك بها[٦]، فلا يستعملهما[٧] بالفعل؛ لأنّ هذا الإمساك أيضاً فعلٌ وتصرّفٌ في الحواسّ الظاهرة التي اليقظة عبارة عن استعمالها. وعلى تقدير أن لا يكون هذا الإمساك فعلاً[٨]، فليس من شرط الاستعمال للحواسّ الظاهرة أن يكون اليقظان مستعمِلاً لها بالفعل، بل[٩] اليقظة حالة يتأتّى[١٠] فيها هذا الاستعمال بالفعل. فيكون اليقظة هي حالة يكون للنفس شعور بإحدى[١١] الحواسّ الظاهرة مع صدور الحركات والأفعال الإراديّة.

[النوم]

وأمّا النوم فهو ما يقابل ما ذكرنا. فيكون حالة إعراض النفس عن استعمال الحواسّ

---

(١) فالنفس: والنفس A
(٢) التي: + بها A
(٣) ينتقض بالذي: ينتقض هذا التعريف بالإنسان الذي P
(٤) A93b
(٥) عن: عند P
(٦) بها: ـ A
(٧) يستعملهما: يستعملها A
(٨) فعلاً: فعل A
(٩) بل: ـ A
(١٠) يتأتّى: ينافي A
(١١) بإحدى: بأحد A

الظاهرة إلى استعمال الحواسّ الباطنة إعراضاً طبيعيّاً؛ ليخرج عنه الإغماء والغشي، فينجذب[(١)] الروح من الظاهر إلى الباطن.

[أقسام عود الروح من الظاهر إلى الباطن]

وعود الروح من[(٢)] الظاهر إلى الباطن وعدم بروزه إمّا أن يكون طبيعيّاً، أو لا يكون.

[أقسام العود الطبيعيّ]

أمّا أقسام العود الطبيعيّ فلأنّ عود الروح النفسانيّ إلى الباطن إمّا أن يكون تبعاً لغيره، أو لا يكون:

ـ فإن كان تبعاً لغيره، فيكون ذلك الغير من الأُمور الطبيعيّة، مثل أن يرجع[(٣)] الروح الحيوانيّ إلى الباطن لنضج[(٤)] الغذاء، فيتبعه الروح النفسانيّ.

ـ والذي لا يكون تبعاً لغيره، فعندما يتحلّل[(٥)] من الروح شيء كثير في اليقظة بسبب الحركات المُسرعة، فيرجع إلى الباطن لتحصيل[(٦)] بدل ما يتحلّل[(٧)].

[أقسام العود غير الطبيعيّ]

وأمّا الذي لا يكون رجوع الروح طبيعيّاً:

ـ فإمّا عند إقبال الطبيعة[(٨)] على هضم الغذاء يتبعها الروح النفسانيّ أيضاً، وهو[(٩)] يُشبه[(١٠)] الأوّل.

---

(١) فينجذب: فتنجذب A
(٢) من: ـ A
(٣) يرجع: ترجع A
(٤) لنضج: ليصحّ A
(٥) يتحلّل: تحلّل A
(٦) لتحصيل: ليحصل A
(٧) يتحلّل: تحلّل A
(٨) الطبيعة: الطبيعيّة A
(٩) هو: هذا القسم P
(١٠) يشبه: + القسم P

ـ أو يكون قد عرض له تخيّل[١] غير طبيعيّ ـكالنصب، والتعب، والاستفراغـ، فيرجع إلى الباطن لتحصيل البدل، وهو يُشبه[٢] الثاني.

ـ أو لأنّ البرد يوجب النوم؛ لأنّه يكثف مجاري الروح النفسانيّ، فلا يتمكّن من النفوذ فيها. و[لأنّ][٣] البرد قد يكون أفسد ما في المجاري من[٤] الروح النفسانيّ، فلا يقبل[٥] بعد ذلك القوى النفسانيّة، ويهرب الباقي من الضدّ.

ـ وكذلك الرطوبة موجبة للنوم؛ لأنّها تغلّظ جوهر الروح، فيتعسّر[٦] نفوذه في المجاري. ولأنّها تسدّ المجاري والمنافذ. ولأنّها تُرخي الأعصاب والعضلات، فتنطبق مجاري الروح وتنسدّ. وهذه الرطوبة التي في الدماغ الموجبة لهذا، وقد ترقى[٧] من المعدة إلى الدماغ، وقد يكون تولّدها في الدماغ.

ـ أو لأنّ الدماغ قد انضغط[٨] تحت عظم القِحف[٩]، عندما يعرض له صدمة أو ضربة.

ـ أو يصيب عَضَل الصُدغ[١٠] أو فم المعدة أو الرحِم آفة، فينقبض الدماغ للمشاركة[١١] التي بينه وبين كلّ واحدٍ منها[١٢]، فينسدّ لذلك مسالك الروح، فيصعب عليه الحركة والنفوذ فيها.

---

(١) له تخيّل: تحلّل A
(٢) هو يشبه: هذا يشبه القسم P
(٣) لأنّ: أنّ A
(٤) من: عن A
(٥) يقبل: تقبل A || A94a
(٦) فيتعسّر: وحينئذٍ يعسر P
(٧) ترقى: ترتقي P
(٨) انضغط: تضغط P
(٩) القحف: + وذلك P؛ القحف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة. (لسان العرب)
(١٠) الصدغ: ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحيين، وقيل: هو ما بين العين والأُذن. (نفس المصدر)
(١١) للمشاركة: بالمشاركة A
(١٢) منها: ـ A

[أسباب عدم البروز الطبيعيّ]

وأمّا عدم البروز الطبيعيّ:

ـ فإمّا أن يكون لقلّة الروح النفسـانيّ، فلا يفي بالانبسـاط على الظاهر، مع بقاء[١] بعضه في المبدأ الذي هو الدماغ.

ـ وإمّا لانسداد المجاري لامتلاء الدماغ من الرطوبات، فلا يتمكّن الروح من النفوذ.

ـ وإمّا لرطوبة الروح، فلا يقوى[٢] على البروز، كما يعرض للنائم[٣] عند الشبع. >[٤]



(١) بقاء: + ~~ظاهره~~ A

(٢) يقوى: تقوى A

(٣) للنائم: للمتألّم A

(٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤١٠/٢ ـ ٤١٦

[سبب الحاجة إلى الروح]

فإذا اطّلعت على أسرار قوى النفس، فاعلَم أنّها تحتاج في تعلّقها بالبدن إلى متوسّط؛ لِما بينهما من التباين؛ لأنّ البدن في غاية الكثافة والتعلّق بالمادّة الموجبين للغاسقيّة والظلمة، والنفس في غاية النوريّة واللطافة والتجرّد عن متعلّقات المادّة، فاحتيج إلى متوسّط يجمع بينهما.

[١]< **وحينئذٍ** نقول: **سبب نسبتها مع البدن جرم لطيف حارّ، حاصل عن**[٢] **لطيفة الأخلاط، مبدؤه**[٣] **القلب، يسمّى الروح**[٤]**، حامل هذه القوى**[٥]**، واسطة بين الكلمة** ـأعني النفسـ **و**[٦] **البدن.** >[٧]

وقد مضت الإشارة إلى ذلك في ما تُلي عليك في أحوال القوى، و[لنزيده][٨] هنا فنقول:

[٩]< لا بدّ في الحيوان من جرم لطيف[١٠] حارّ يحصل من لطافة الأخلاط، مبدؤه القلب. قيل: ينبعث[١١] من جانبه الأيسر، سمّاه الحكماء الروح[١٢]، وهو حامل جميع القوى.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) حاصل عن: يحصل من P
(٣) مبدؤه: + من A
(٤) يسمّى الروح: سمّاه الحكماء الروح وهو P
(٥) هذه القوى: جميع القوى وهو P
(٦) و: + هي A
(٧) كلمة التصوّف: ١١٣
(٨) لنزيده: لنريده A
(٩) بداية العبارات المنقولة من: الألواح العماديّة.
(١٠) جرم لطيف: جسم اللطيف A
(١١) ينبعث: تنبعث A
(١٢) A94b

فما[1] يصــعد منه إلى الدماغ، ويعتدل بتبريده[2]، ويكتســب الســلطان النوريّ من النفس، يسمّى الروح النفسانيّ، وبه يتمّ التحريك والإرادة.

وما يســري إلى الكبد منه[3] في الأوردة يســمّى روحاً طبيعيّاً، وبه يتمّ أفعال القوى النباتيّة. ولو لا لطف هذا الجسم لَما نفذ[4] في شِباك الأعصاب. >[5]

فهو الواســطـة بين النفس والبـدن؛ فـإنّ البـدن في غـاية الكثافة، والنفس في غاية اللطافة، واللطف في الغاية لا يتعلّق بالكثيف في الغاية بدون متوسّـط؛ لعدم المناسبة. فلا بدّ من هذا المتوسّـط؛ لمناسبته لكلّ منهما لجهة، فهو السبب المُعدّ لتعلُّق النفس بالجرم.



(١) فما: ممّا A

(٢) بتبريده: به تبريده A

(٣) منه: من القلب P

(٤) نفذ: تفد A

(٥) الألواح العماديّة: ٥١

[مغايرة هذا الروح للروح المنسوب إليه تعالى]

[١]< وأيضاً **فإنّ جرم عضو الإنسان قد يموت مع بقاء تصرّف الكلمة في البدن؛ لسُدّة[٢] منعت هذا[٣] الروح عن النفوذ إليه. وهو غير الروح المنسوب إليه[٤] تعالى، أعني الكلمة التي قال اللّه تعالى فيها: ﴿فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي﴾**[٥]، **وقال تعالى[٦]: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ[٧]﴾**[٨]. >[٩] وهذه الإضافة تؤذن بشرفها وتجرّدها وكونها جوهراً إلهيّاً.

[توحيد الوجود]

وهاهنا بحث شريف يتعلّق بمباحث الإنسان وأحواله، هو من تتمّة مباحث النفس الإنسانيّة:

[١٠]< اعلَم أنّ التمييز[١١] للعلم، والتوحيد للوجود. لا بمعنى[١٢] أنّ العلم يُكسِب المعلومَ التميّزَ[١٣] بعد أن لم يكن متميّزاً، بل بمعنى[١٤] أنّه يُظهِر تميّزه[١٥] المستور عن المدارك؛ لأنّه نور، والنور له الكشف، فهو يكشف التميّزات[١٦] الثابتة في نفس الأمر.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) لسدّة: لشدّة A
(٣) هذا: هذه P
(٤) إليه: إلى اللّه P
(٥) القرآن الكريم: ٢٩/١٥، ٧٢/٣٨
(٦) تعالى: + روح اللّه A
(٧) وروح منه: ـ A
(٨) القرآن الكريم: ١٧١/٤
(٩) كلمة التصوّف: ١١٣
(١٠) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(١١) التمييز: التميّز A
(١٢) بمعنى: للمعنى A
(١٣) التميّز: التمييز A
(١٤) بمعنى: حتّى A
(١٥) تميّزه: تمييزه A
(١٦) التميّزات: التمييزات A

وتوحيـد الوجود[١] عبـارة عن انبســاطه على الحقائق المتميّزة في علم الموحّد[٢] أزلاً[٣]، فيوحّد كثرتها؛ لأنّه القدر المشترك بين سائرها، فيناسب كلّاً منها بذاته الواحدة البسيطة.

[كون هدايته تعالى للإنسان حكماً من أحكام العلم]

إذا عرفـتَ ذلك، فهداية[٤] اللّه تعالى للإنســان حكم[٥] من أحكام العلم؛ فإنّ بها تميّز[٦] المستقيم من المُعوَجّ، والصواب من الخطأ، والضارّ من النافع، والأسدّ والأولى من كلّ أمرين مرادين لجلب منفعة أو دفع[٧] مَضـرّة أو وسيلتين، فترجَّح[٨] أحدهما[٩] بالنسبة إلى الغايات المقصودة والمطالب المتعيّنة عند الطالب والمفقودة الغائبة حالَ الطلب.

فنعمة الهداية وصــول العدل والإصــابة. فالإصــابة ثمرة العلم؛ لأنّ الخطأ ـ على اختلاف مراتبـه ـ ثمرة الجهـل. فالأصــل[١٠] العلم، لكنّه ـ من حيث هو علمٌ ـ مجرّد مطلق عن قيد الإضـافة[١١] إلى شـيء لا حكم له، ومن حيث إضافته مطلقَ[١٢] الإضافة له أحكام[١٣] تنحصر في أمرين[١٤]:

أحدهما: من حيث إضافته إلى الحقّ، وله باعتبارها[١٥] أوصاف كثيرة[١٦].

---

(١) الوجود: + هنا P
(٢) الموحّد: الموجد A
(٣) أزلاً: أوّلاً A
(٤) عرفت ذلك فهداية: تقرّر هذا فاعلم أنّ هداية P
(٥) حكم: حكمة A
(٦) تميّز: تعيين P
(٧) A95a
(٨) فترجّح: تترجّح P
(٩) أحدهما: إحداهما P
(١٠) فالأصل: + فيه P
(١١) الإضافة: إضافته P
(١٢) إضافته مطلق: _ A
(١٣) أحكام: + شتّى P
(١٤) أمرين: حكمين P
(١٥) باعتبارها: _ P
(١٦) كثيرة: + كالقدم والحيطة وغيرهما P

والثاني: من حيث إضافته إلى الممكنات.

فالنعمة الكلّيّة المختصّة بالممكنات من جهة علم الحقّ هي مطلق اختياره تعالى[١] لعبده ما فيه الخير، والخيرة له في كلّ[٢] حالٍ يتلبّس به، أو مقامٍ يخصّه[٣] أو يمرّ عليه، أو نشأةٍ تظهر بها نفسُه، وموطنٍ يتعيّن فيه النشأة، وزمانٍ يحويه[٤] من حيث تقيّده به[٥] ودخوله في دائرته، ومكان يستقرّ فيه من حيث[٦] هو [متحيّز][٧]. وأوّل كلّ[٨] ذلك ومبدؤه هو من حال تعلّق الإرادة الإلهيّة بإظهار تخصيصه الثابت أزلاً في علم الحقّ، ثمّ اتّصال حكم القدرة به لإبرازه في التطوّرات الوجوديّة وإمراره على المراتب الإلهيّة والكونيّة. وله في كلّ عالَم وحضرة يمرّ[٩] عليه صورةٌ تناسبه من حيث ذلك العالم و[١٠] الحضرة، وحالٌ تخصّه، ووديعة يأخذها هي من جملة النعم.

وحظّه من النعم[١١] الذاتيّة والأسمائيّة يتفاوت بحسب استعداده وحظّه من نعمة[١٢] حسن الخلق والتسوية والتعديل والتهمّم به بموجب[١٣] المحبّة الذاتيّة التي لا[١٤] سبب لها حال التصوير. فإنّ الحقّ باشَر[١٥] تسويته وتعديله، وجمَع له بين يديه المقدّستين[١٦]، ونفخ[١٧] فيه من روحه نفخاً استلزم «معرفة[١٨] الأسماء كلّها وسجود

---

(١) تعالى: سبحانه P
(٢) كلّ: _ A
(٣) يخصّه: يحلّه P
(٤) يحويه: يجريه A
(٥) به: _ A
(٦) حيث: + ما P
(٧) متحيّز: متميّز A، متحيّر P
(٨) كلّ: _ A
(٩) يمرّ: تمرّ A
(١٠) و: أو A
(١١) وحظّه من النعم: _ A
(١٢) استعداده وحظّه من نعمة: استعداد وحظّ A
(١٣) بموجب: لموجب A
(١٤) لا: لها A
(١٥) فإنّ الحقّ باشر: فكم فرق بين من باشر الحقّ A
(١٦) المقدّستين: المقدّسين A
(١٧) ونفخ: ثمّ نفخ بنفسه P
(١٨) معرفة: معرفته P

الملائكة له[١] أجمعين»[٢]، وإجلاسه[٣] على مرتبة النيابة[٤] في الكون[٥].

[كيفيّة انحراف الإنسان]

فلم يزل[٦] الإنسان مباشراً في سائر[٧] مراتب الاستيداع[٨] ـ من حين إفراد[٩] الإرادة له من عرصة العلم باعتبار[١٠] نسبة ظاهريّته[١١]، وتسليمها إيّاه إلى القدرة، ثمّ تعيينه[١٢] في مقام القلم الأعلى الذي هو العقل الأوّل، ثمّ في المقام اللوحيّ النفسيّ، ثمّ في مرتبة الطبيعة باعتبار ظهور حكمها في الأجسام، ثمّ في العرش المحدّد للجهات، ثمّ في الكرسيّ الكريم مستوى اسم[١٣] الرحيم[١٤]، ثمّ في السماوات السبع، ثمّ في العناصر، ثمّ المولّدات[١٥] الثلاثة، إلى حين استقراره بصفة صورة الجمع، بعد استيفاء أحكام مراتب الاستيداع[١٦] ـ مباشرةً تابعةً للمشيئة والعناية التابعتين[١٧] للمحبّة الذاتيّة بالإيجاب العلميّ.

ومكثُ الإنسان في كلّ عالم وحضرة يمرّ عليها، ويهتمّ[١٨] أهل ذلك العالم والمرتبة به[١٩] وبخدمته وإمداده وحسن تلقّيه أوّلاً ومشايعته ثانياً، هو بحسب ما

---

(١) له: ـ A
(٢) مقتبس من: القرآن الكريم: ٣١/٢ و ٣٤
(٣) إجلاسه: أخلسه A
(٤) النيابة: النباتيّة A
(٥) الكون: + وبين مَن خلَقه بيده الواحدة أو بواسطة ما شاء، ولم يقبل حكمَي التسوية والتعديل ما قبله من اختير للنيابة P
(٦) فلم يزل: فلا يزال P
(٧) سائر: سرائر A
(٨) الاستيداع: الإبداع A
(٩) إفراد: إفراز P
(١٠) A95b
(١١) ظاهريّته: + لا نسبة ثبوته P
(١٢) تعيينه: تعيّنه A
(١٣) اسم: الاسم P
(١٤) الرحيم: الرحم A
(١٥) المولّدات: المولودات P
(١٦) الاستيداع: الأنواع A
(١٧) التابعتين: التابعين A
(١٨) يهتمّ: تهتمّ A
(١٩) به: ـ A

يدركونه فيه من سـمة العناية وأثر الاختصـاص. وما من عالم من العوالم العِلويّة يمرّ[١] عليه إلّا وهو بصـدد التعويق أو الانحراف المعنويّ؛ لغلبة صـفة بعض الأرواح ـ الذي يتّصـل حكمـه بهـ عليه، والأفلاك بالنسـبة إلى البواقي، فيتعوّق أو[٢] ينحرف ممّا[٣] يقتضـيه حكم الاعتدال الحاليّ[٤] الجمعيّ الوسـط الربّانيّ، الذي هو شـأن من يُختار للنيابة[٥]، ثمّ الأمثل فالأمثل[٦].

فإذا دخل عالـم المولّدات[٧] ـ وسيّما من حين تعدّي مرتبة المعدِن إلى مرتبة النبات وعالمِهـ إن لم يصـحبه العناية و[٨] لم يصـحبه الحقّ بحسـب[٩] المعونة والمرافقة والحراسـة والرعـاية، وإلّا خيف عليه؛ فإنّه بصـدد آفات كثيرة؛ لأنّه عند دخوله عالم النبـات إن لـم يكن محروسـاً معتنىً به، وإلّا قد[١٠] ينجذب ببعض المناسـبات التي يشـتمـل عليهـا جمعيّتُـه إلى نباتٍ رديء لا يأكله حيوان، أو لا يمكن أكل الأبوين أو أحدهما له، ويفسُـد ذلك النبات الرديء، فيخرج منه إلى عالم العناصـر، ويبقى فيه حائراً عاجزاً حتّى يُعان ويُؤذَن له في الدخول مرّة أُخرى.

ثمّ بعد دخوله واتّصاله بنباتٍ صالحٍ مغذٍّ[١١] ربّما عرضت له آفة[١٢] من العناصر من برد شديد، أو حرّ مفرط[١٣]، أو رطوبة زائدة[١٤]، أو يبس بالغ، فيتلف ويخرج ليستأنف[١٥]

---

(١) يمرّ: تمرّ A
(٢) الانحراف المعنويّ ... أو: ـ A
(٣) ممّا: عمّا P
(٤) الحاليّ: الحال A
(٥) للنيابة: النيابة A
(٦) فالأمثل: والأمثل A
(٧) المولّدات: المولودات P
(٨) و: أو A
(٩) بحسب: بحسن P
(١٠) قد: فقد P
(١١) مغذّ: معدّ A
(١٢) A96a
(١٣) مفرط: مفرطة A
(١٤) زائدة: زائلة A
(١٥) فيتلف ويخرج ليستأنف: فينقلب فيخرج استأنف A

دخولاً آخر. هكذا مراراً شتّى حسبَ[١] ما شاء اللّه وقدّره.

ثمّ على تقدير[٢] سلامته أيضاً ممّا[٣] ذكرنا بنعمة[٤] الحراسة ونعمة الرعاية وباقي النعم التي يستدعيها فقره، ربّما تمّ في صورة نباتٍ[٥]، لكن[٦] تناوَله حيوان، ولم يقدّر للأبوين[٧] أكل ذلك الحيوان لمانع[٨]، أو منع مانعٌ من أخذ ذلك النبات وتناوله، لمّا لم يكن في رزق اللذين[٩] سبق في علم اللّه أن يكونا أبويه.

وإذا قدّر مؤاتاة[١٠] ما ذكرناه وتناوَله الشخصان المتعيّنان في العلم أن يكونا أبويه أو أحدهما، وصار ذلك النبات كيلوساً، ثمّ دماً، ثمّ منيّاً، فإنّه قد يخرج على غير الوجه الذي يقتضي تكوينَه منه. فهو مفتقر بعد الاتّصال بالأبوين إلى نعمة الحراسة والرعاية[١١].

فإذا تعيّن في الرحِم، فقد تعدّى مراتب الاستيداع، وصار مستقرّاً في الرحِم متطوّراً فيه على الوجه المعلوم عند الجمهور من حيث الشرع ومن حيث ظاهر الحكمة، فيحتاج إلى حراسة أُخرى ومعونة ورعاية لحسن[١٢] الغذاء واعتدال حركات الوالدة وسلامتها من الأمراض[١٣] والآفات، وأن يكون انفصاله عنها في وقت صالح سعيدٍ مناسبٍ؛ فإنّ لحكم[١٤] الزمان والمكان حالَ سقوط[١٥] النطفة وحالَ الانفصال عن

---

(١) حسب: حيث A
(٢) تقدير: تعدّد A
(٣) ممّا: فيما P
(٤) بنعمة: تبعه A
(٥) نبات: + ما P
(٦) لكن: لا A
(٧) للأبوين: لأبوين A
(٨) لمانع: + من الموانع P
(٩) رزق اللذين: ورق الدين A
(١٠) مؤاتاة: + كلّ P
(١١) الرعاية: + وغيرهما P
(١٢) لحسن: بحسن A
(١٣) الأمراض: الأعراض A
(١٤) لحكم: بحكم A
(١٥) سقوط: مسقط P

الوالدة مدخلاً[١] في أمر الإنسان من حيث ظاهره وباطنه.

فالمختصّ بمَسقط النطفة مِن حكمَي المكان والزمان شاهدان على كثير من أحواله الباطنة، والمختصّان بحال الولادة شاهدان على مُعظَم أحواله الظاهرة. وسرّ الابتداء في السلوك إلى جناب الحقّ -سبحانه- أو[٢] إلى ما يرغب الإنسان فيه ويطلُب الاستكمالَ به، ينبّه[٣] على الأمر[٤] الجامع بين الظاهر والباطن.

وجملة الحال أنّه ما من مرتبة من هذه المراتب التي ذكرناها إلّا والإنسان من[٥] حيث الخلق التقديريّ -المنبّه عليه بقوله[٦] -عليه السلام-: «خلق اللّه الأرواح قبل الأجساد بألفَي[٧] عام»[٨]، وأُخبرنا أنّ تعيّن صور الأشياء في اللوح المحفوظ بالكتابة الإلهيّة القلميّة[٩] سابق على التعيّنات الروحانيّة والجسمانيّة- مَعرض للآفات التي أجملنا ذكرها[١٠] ممّا لا يستقلّ العقول بإدراكه.

فأين مَن يكون أحديّ السير من حين صدوره من غيب الحقّ إلى عرصة الوجود العينيّ، لم يتعوّق من حيث حقيقته وروحانيّته[١١] في عالم من العوالم ولا حضرة من الحضرات، متذكّراً حين[١٢] كشف الغطاء عنه هنا ما مرّ عليه، يسأل عن ميثاق «ألستُ»[١٣]، فيقول: كأنّه الآن في أُذني[١٤] وغيرُه يخبر بما[١٥] هو أكثر من ذلك ممّن

---

(١) مدخلاً: + كبيراً P
(٢) أو: و A
(٣) ينبّه: وينتبهه A
(٤) الأمر: أمر A
(٥) من: + يتّخذ A || A96b
(٦) بقوله: لقوله A
(٧) بألفي: + ألف P
(٨) معاني الأخبار: ١٠٨؛ الأماليّ للمفيد: ١١٤؛ مناقب آل أبي طالب: ٣٥٧/٢
(٩) القلميّة: العلميّة A
(١٠) ذكرها: ذكرهما A
(١١) حقيقته وروحانيّته: حقيقة وروحانيّة A
(١٢) حين: من حيث A
(١٣) مقتبس من: القرآن الكريم: ١٧٢/٧
(١٤) أُذني: أدنى A
(١٥) يخبر بما: بخبرهما A

يتعوّق ويتكرّر وُلوجُـه وخروجه[1] المقتضــيان كثافةَ حجُبه وكثرتَها وتقلُّبَه في المحن والآفات، التي الإنســان مَعرض لها أيضـاً من حين ولادته[2]، بل من حين استقراره في الرحِم إلى حين تحقّقه بمعرفة[3] ربّه وشـهوده وتيقُّنة بالفوز[4] بتحصيل أسباب الرشد والسـعادة، بل إلى حين تحقّق حسن الخاتمة بالبُشرى الإلهيّة، أو بما شاء اللّه بالنسبة إلى البعض، فغير خافٍ[5] على العقلاء، وبالنســبة إلى البعض إلى حين دخول الجنّة، كما ورد: «لا تأمن مكري حتّى تجوز الصــراط»[6]. فما من مقامٍ ولا حالٍ ولا زمانٍ ولا مكانٍ ولا نشـأةٍ من النشـئات الاسـتيداعيّة والتطوّرات الاسـتقراريّة التي ذكرها اللّه في خلق الإنســان ـ من تراب[7]، وماء مهين[8]، «ونطفة، ثمّ علقة، ثمّ مُضغة، ثمّ عظم، ثمّ لحم»[9]، إلى تمـام النشــأة الـدنيـاويّة، ثمّ البرزخيّة، ثمّ الحشــريّة، ثمّ الجِنانيّة ـ إلّا وللّه[10] فيها للإنسان نعم كثيرة ـ كما بيّنّا ـ موقّتة ومستصحبة.

فالموقّتة منها كلّ نعمة[11] من لوازم كلّ نشـأة وحالة يتلبّس الإنســان بها، ثمّ ينسلخ عنها في العوالم والمراتب والأطوار التي يمرّ[12] عليها.

والغير الموقّتـة[13] نعمـة الحراســة، ونعمـة العناية، ونعمة الرعاية، ونعمة[14] قبول

---

(١) خروجه: + ووجوده المفضيان A
(٢) ولادته: الولادة P
(٣) بمعرفة: لمعرفة A
(٤) بالفوز: النور A
(٥) خافٍ: خافية P
(٦) رواه ابن عربيّ من حديث كعب الأحبار أنّه وجد هذا الخبر في التوراة (الفتوحات المكّيّة: ٥٢٧/٤)، لكن لم أعثر عليه في التوراة، ولا في المصــادر الروائيّـة عنـد الفريقين.
(٧) مقتبس من: القرآن الكريم: ٥/٢٢، ٢٠/٣٠، ١١/٣٥، ٦٧/٤٠
(٨) مقتبس من: القرآن الكريم: ٨/٣٢، ٢٠/٧٧
(٩) مقتبس من: القرآن الكريم: ١٤/٢٣
(١٠) إلّا وللّه: الأوّليّة A
(١١) نعمة: + هي P
(١٢) يمرّ: تمرّ A
(١٣) الموقّتة: + والمستصحبة P || A97a
(١٤) نعمة: بعد A

الأعمال الذاتيّة، ونعمة صحّة المعرفة اللازمة للشهود الذاتيّ، ونعمة الارتضاء والقبول الذاتيّ، ونعمة حســن التعويض والتبديل والإنشــاء، ونعمة التخلّي للتجلّي[١]، ونعمة إشــهاد الخلق الجديد في كلّ آنٍ، ونعمة حســن المرافقة في كلّ ذلك وســواه، ونعمة الإمداد بما يحتاج إليه في ذاته وخواصّـها[٢] ولوازمها، وما يحتاج إليه في الوصول إلى مرتبـة الكمال الذي أُهّل له، ونعمة التوفيق والهداية المقرّبَين[٣] للمدى، المُنافيَين لما عليه العِدى[٤]، ونعمة العافية، ونعمة تهيئة[٥] الأسباب الملائمة في كلّ الأُمور.

والأعلى والأشــرف[٦] نعمـةُ المشــاهـدة الـذاتيّة التي لا حجاب بعدها ـمع كمال المعرفة والحضـور معه ـسبحانهـ، على أتمّ وجه يرضاه الكُمَّل[٧]ـ منه ومنهم له[٨] دنياً وبرزخاً وآخرةً، فافهَم ـوفّقك اللّه تعالىـ. >[٩]



---

(١) التخلّي للتجلّي: التحلّي للمتحلّي A

(٢) خواصّها: جوارحها A

(٣) المقرّبين: المقرنان A

(٤) العدى: العداء A

(٥) تهيئة: هيئة A

(٦) الأشرف: + و A

(٧) الكمّل: للكمّل P

(٨) له: ـ A

(٩) إعجاز البيان: ٢٩١ ـ ٢٩٧

Mūḍiḥ al-dirāyah
li-sharḥ Bāb al-bidāyah

Mūḥammad b. Alī b. Abī Jumhūr al-Aḥsāʾī
(d. beginnings of 10th/16th century)

Volume 1

Edition & Research:
Reza Yahyapur Farmad

Mu'assasat Ibn Abī Jumhūr al-Aḥsā'ī
li-Iḥyā' al-Turāth
Bayrūt - 1442/2021

الطبعة الأُولى
لبنان ـ بيروت
١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م
ISBN:

بطاقة تعريفيّة بالكتاب:

عنوان الكتاب: موضح الدراية لشرح باب البداية

تأليف: الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ (المتوفّى أوائل القرن العاشر الهجريّ)

تصحيح وتحقيق: رضا يحيى پور فارمد

الناشر: مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث

وكيل النشر: دار المحجّة البيضاء، لبنان ـ بيروت ـ الرويس، تلفاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٢٨٤٧

عدد الأجزاء: أربعة مجلّدات

تاريخ النشر: ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م

عدد صفحات الكتاب: ١٦٢٠ صفحة

كمّيّة الطبعة الأُولى: ١٠٠٠ دورة

مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث
مؤسّسة علميّة ثقافيّة مستقلّة، تعنى بنشر وإحياء تراث علماء الأحساء
الموقع الرسميّ للمؤسّسة على شبكة الإنترنت: www.Ibnabijumhur.com
البريد الإلكترونيّ للمؤسّسة: Ibnabijumhur@gmail.com
المركز الرئيسيّ للمؤسّسة: لبنان ـ بيروت

موضح الدراية

لشرح باب البداية

تأليف

الحكيم الإلهي والفقيه المحدث
الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي
(المتوفى أوائل القرن العاشر الهجري)

المجلد الثاني

تصحيح وتحقيق

رضا يحيى پور فارمد

مؤسسة ابن أبي جمهور الأحسائي
لإحياء التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

[الفصل الرابع: في العلّة والمعلول]

[الجهات العقليّة]

[١]< **إشـــارة: الجهات العقليّة [ثلاثـة][٢]: الوجوب، والإمكـان، والامتنـاع. فالأوّل ضــروريّ الوجود، والثالث ضــروريّ العدم، والوســط وســط**، بمعنى أنّ الممكن الوســط في الترتيـب وســط في اســتحقاق الوجود والعدم، بمعنى أنّه ليس بضــروريّ الوجود من ذاته، ولا ضــروريّ العدم من ذاته. وهو [بشــرط][٣] حضور علّته يجب و[بشــرط][٤] عدم حضــور علّته يمتنع. **فيجب ويمتنع بغيره**[٥]، **وهو العلّة. ولا يصــير موجوداً لـذاتـه، وإلّا لكـان واجبـاً، فلا بدّ له من مرجّح، وهو العلّة التامّة، ســواء اتّحدت أو تعدّدت. وما له دخلٌ في العلّيّة فهو جزؤها، حتّى قبول القابل، وزوال المانع، والوقت. فعدم المعلول معلّل**[٦] **بعدم العلّة، كلّها أو بعضها.**

[تعريف العلّة]

والعلّـة هي الموجبـة، فهي مـا يجب بها وجود غيرها. فالممكن لا يصــير موجوداً لذاته؛ إذ لو اقتضــى الوجود لذاته كان[٧] واجباً، لا ممكناً، فلا بدّ له من مرجّح للوجود على العدم. والعلّة إذا تمّت وجب أن تحصل بها المعلول، سواء[٨] كانت ذات وحدانيّة أو ذات أجزاء[٩]. وكلّ ما به[١٠] يصـير الشيء علّة فله مدخل في العلّيّة، إرادة كانت[١١]،

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) ثلاثة: _ A

(٣) بشرط: شرط A

(٤) بشرط: شرط A

(٥) بغيره: لغيره A

(٦) معلّل: متعلّق P

(٧) كان: لكان P

(٨) سواء: _ P

(٩) A97b

(١٠) وكلّ ما به: كلّما A

(١١) كانت: _ P

أو وقتاً، أو معاوناً كالآلة، أو محلّاً قابلاً كالمادّة[١]، أو غيرها كارتفاع مانع. >[٢]

[أقسام العلّة]

[٣]< فالشيء قد يكون له علّة فاعليّة كالنجّار للكرسيّ، ومادّيّة كالخشب له، و[٤] صوريّة كهيئته[٥]، وغائيّة وهي ما لأجلها اتُّخذ[٦] كحاجة الجلوس عليه. فهذه مع الأُمور المذكورة أوّلاً المجموع علّة تامّة، فلو انتفى جزء من العلّة انتفى وجود المعلول. >[٧]

[كيفيّة صدور أفعال المبدأ الأوّل]

واعلَم أنّ هذا البحث إشارة إلى البحث عن كيفيّة صدور أفعال المبدأ الأوّل تعالى، فنقول:

[مذاهب القوم في سبب بقاء الحوادث]

[٨]< ظنّ جماعة[٩] أنّ كلّ مفعول حادثٌ؛ لأنّ المفعول يدخل في مفهومه ـ في وهمهم[١٠] ـ سبقُ العدم، وكلّ ما[١١] دخل في مفهومه سبقُ العدم فهو حادث، فالمفعول حادث. وسبب ذلك توهّمهم أنّ افتقار المفعول إلى الفاعل إنّما هو في حدوثه، دون بقائه، وأنّه حال بقائه يستغني عن الفاعل، حتّى أنّ[١٢] جماعة كثيرة من هؤلاء ـ الذين هم[١٣] عوامّ الناس، بل العوامّ[١٤] أحسن حالاً منهم[١٥] ـ حكموا بجهلهم أنّه لو فرِض

---

(١) كالمادّة: ـ P

(٢) كلمة التصوّف: ١١٣

(٣) بداية العبارات المنقولة من: الألواح العماديّة.

(٤) له و: أو A

(٥) كهيئته: كهيئة الكرسيّ P

(٦) اتّخذ: + الشيء P

(٧) الألواح العماديّة: ٥٥

(٨) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٩) جماعة: + المتكلّمين P

(١٠) في وهمهم: عندهم P

(١١) كلّ ما: كلّما A

(١٢) أنّ: ظنّ A

(١٣) هم: ـ P

(١٤) بل العوامّ: ـ P

(١٥) منهم: + و A

عـدم البـارئ ـجـلّ وعلا[١]ـ لا يلزم من عـدمـه عـدمُ العـالـم ـتعـالى اللّه عن قول المُلحِدين[٢]ـ، ومثّلوا ذلك بالبِناء الباقي بعد موت البنّاء.

وجمـاعـة[٣] توهّموا أنّ العالم بعد حدوثه يبقى ببقاء غير باقٍ، بل يبقى ببقاءٍ يخلقه اللّه تعالى[٤] حالاً بعد حالٍ. فلا يستغني العالم بعد حدوثه عند هؤلاء عن البارئ، بل يفتقر في بقـائـه إلى ذلـك البقـاء المفتقر إلى البـارئ[٥]. وهذا[٦] مع بطلانه أقرب إلى الحقّ من المذهب الأوّل.

وجمـاعـة[٧] حكموا بـأنّ الجواهر الحـادثـة تبقى بعـد حدوثها بأعراضٍ غير باقية، يخلقها اللّه[٨] فيها حالاً بعد حالٍ، وهذا العرض يسمّى تأليفاً[٩].

وآخرون قالوا: إنّها باقية بغيره من الأعراض، وبقي البقاء.

فهذه هي مذاهب هؤلاء القوم، الذين لم يرتقوا[١٠] عن مرتبة المحسوسات والمتخيّلات.

[احتجاج القائلين بأنّ السبب في الحاجة هو الحدوث]

واحتجّ القائلون بأنّ السبب في الحاجة هو الحدوث[١١] بأنّ الحادث بعد حدوثه لو كان محتاجاً[١٢] إلى المؤثّر، فذلك المؤثّر إمّا أن يصدر عنه حال البقاء[١٣] أثر، أم لا.

فإن لم يصدر عنه أثر، فالمطلوب[١٤].

---

(١) وعلا: جلاله P
(٢) عن قول الملحدين: عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً P
(٣) جماعة: + أُخرى منهم P
(٤) تعالى: _ P
(٥) البارئ: + تعالى P
(٦) وهذا: فهذا المذهب P
(٧) جماعة: + أُخرى P
(٨) اللّه: + سبحانه وتعالى P
(٩) تأليفاً: بالبقاء A
(١٠) يرتقوا: يترقّوا P
(١١) القائلون ... الحدوث: أصـحاب المذهب الأوّل P
(١٢) محتاجاً: + حال بقائه P || A98a
(١٣) البقاء: بقاء الحادث P
(١٤) فالمطلوب: ثبت مطلوب القائل بالاستغناء بعد الحدوث P

وإن صدر عنه أثر، فذلك الأثر إن كان حاصلاً قبل كان تحصيلاً للحاصل، وهو محال. وإن لم يكن حاصلاً، لزم أن يكون المؤثّر غير مؤثّر[١] في الباقي، بل إنّما كان مؤثّراً في أمر حادث[٢]، دون البقاء، وهو المطلوب[٣].

[جواب عن هذا الاحتجاج]

والجواب[٤]: أنّ المؤثّر يصدر عنه أثر حال البقاء[٥]، ويكون ذلك الأثر حاصلاً قبل ذلك، ولا يلزم تحصيل الحاصل؛ فإنّه إنّما يلزم[٦] إن[٧] لو كان[٨] حال الحصول يفيد المفعول حصولاً[٩] آخر مغايراً للحصول الأوّل. وليس الأمر كذلك، بل[١٠] المفعول في حال حصوله كان[١١] حاصلاً بذلك المؤثّر الذي كان سبب حصوله أوّلاً.

و[١٢] حديث البناء وبقائه بعد موت البنّاء، ضعيف؛ لأنّ:

ـ من المعلول ما يكون علّة وجوده هي بعينها علّة ثباته، كمعلولات بعض المجرّدات، ومثله القالَب المشكِّل للماء.

ـ ومنه ما يكون علّة وجوده غير علّة[١٣] ثباته، كحال البناء والبنّاء.

ولا ريب أنّ الأوّل إذا عدمت علّة وجوده[١٤] لا يمكن [بقاؤه][١٥]؛ لأنّها إذا كانت بعينها علّة الثبات، فكيف يكون ثابتاً مع زوالها[١٦]؟

---

(١) مؤثّر: مؤثّرة A
(٢) حادث: + فقط P
(٣) البقاء وهو المطلوب: الباقي A
(٤) الجواب: + عن هذه الحجّة أنّا نختار P
(٥) البقاء: بقائه P
(٦) يلزم: + ذلك P
(٧) إن: ـ A
(٨) كان: + المؤثّر في P
(٩) حصولاً: حاصلاً A
(١٠) الدمر كذلك بل: قابل A
(١١) كان: ـ A
(١٢) و: + أمّا P
(١٣) غير علّة: مغايراً لعلّة P
(١٤) وجوده: الوجود P
(١٥) بقاؤه: بناؤه A؛ بقاء المعلول بعد ذلك P
(١٦) فكيف ... زوالها: فمتى عدمت لا يبقى لذلك المعلول وجود ولا ثبات بالكلّيّة P

وأمّا الثاني فلا؛ فإنّ عدم علّة الوجود لا يُعدم علّة الثبات[١]؛ لتغايرهما[٢]، فيستمرّ وجود المعلول بعلّة ثباته[٣] الموجودة بعد زوال علّة الوجود، كما في المثال[٤]؛ فإنّ البنّاء كان علّة موجدة للبناء، الذي هو تحريك الآلات وترتيب الآجر[٥]، وهذا غير باقٍ[٦] بعد تمام البناء، سواء مات البنّاء أو بقي.

وأمّا ثبات البناء الباقي فإنّما هو بتماسك الأجزاء[٧] المعلَّل بيبوسة[٨] العنصر، لا البنّاء. فهو[٩] غير معدوم، بل باقٍ ما دام العنصر يابساً. فإذا زالت علّة الثبات، انعدم المعلول بكلّيّته، وانهدم[١٠] البناء.

[الاختلاف في اعتبار جميع أجزاء المحدث في الاحتياج]

وحينئذٍ نرجع[١١] ونقول: إنّه إذا كان احتياج المفعول سبب حدوثه الذي هو [الوجود][١٢] بعد العدم، فهل جميع أجزاء المحدَث معتبرة في الاحتياج، أو[١٣] بعضها[١٤] معتبر[١٥] والآخر مقارن[١٦]؟

[مذهب المتكلّمين]

فجمهور المتكلّمين ظنّوا أنّ المفهوم من لفظ «المفعول» أخصّ من المفهوم من لفظ «المحدَث الزمانيّ»؛ لأنّ المفعول عندهم لا يتناول إلّا المحدَث الصادر عن

---

(١) الثبات: الثبوت Ac

(٢) لتغايرهما: لمغايرتها لها P

(٣) بعلّة ثباته: بسبب علّة الثبات P

(٤) المثال: مسألتنا هذه P

(٥) الآلات وترتيب الآجر: الأجزاء P

(٦) هذا غير باقٍ: هذه العلّة غير باقية P

(٧) الأجزاء: الإجراء A

(٨) المعلّل بيبوسة: وهو معلول ليبوسة P

(٩) فهو: وهو A

(١٠) بكلّيّته وانهدم: بالكلّيّة فانهدم P

(١١) نرجع: يرجع A

(١٢) الوجود: ـ A

(١٣) أو: أم A

(١٤) A98b

(١٥) معتبر: + في الاحتياج P

(١٦) مقارن: + له بطريق العرض P

إرادة، ويلزم من ذلك أن لا يكون(١) كلّ محدَث مفعولاً(٢)؛ فإنّ(٣) الحادث من غير إرادة لا يسمّى عندهم مفعولاً.

[ردّ مذهبهم]

فيُقال لهم: إن أردتم بقولكم: «إنّ المفعول أخصّ(٤)» أنّ أرباب اللغة لا يُطلقونه إلّا على الصادر عن إرادة، وأنّ الصادر عن غير إرادة لا يسمّى مفعولاً، فذلك بحث لغويّ صِرف، لا تعلّق له بالمباحث العقليّة، فيُرجَع فيه إلى أئمّة اللغة.

وإن أردتم به(٥) أنّ(٦) لِسبق الإرادة والعدم مدخلاً في تعلّق(٧) المفعول بالفاعل، فليس بحثاً لغويّاً، بل هو بحث عقليّ يحتاج إلى بيان(٨).

[مذهب الحكماء]

والذي عليه(٩) الحكماء أنّه ليس لِسبق العدم والإرادة مدخلٌ في ذلك المفهوم(١٠)، بل المفعول أعمّ من المحدَث الزمانيّ؛ فإنّ كلّ محدَث فهو مفعول، أي(١١) معلولُ علّةٍ(١٢). ولا ينعكس؛ إذ ليس كلّ مفعول محدَثاً زمانيّاً؛ فإنّ المفعول الدائم الوجود الممكن(١٣) غير مستغنٍ(١٤) عن العلّة.

هذا هو المفهوم من المفعول مطلقاً(١٥). فإذا زيد على هذا المفهوم قيد «سبق

---

(١) أن لا يكون: أنّ A

(٢) مفعولاً: مفعول A

(٣) فإنّ: لأنّ P

(٤) أخصّ: + من المحدث الزمانيّ P

(٥) به: بذلك P

(٦) أنّ: أنّه A

(٧) تعلّق: + ~~المدخول~~ A

(٨) بيان: البيان P

(٩) الذي عليه: المختار عند P

(١٠) ذلك المفهوم: مفهوم تعلّق المفعول بالفاعل P

(١١) أي: بمعنى أنّه P

(١٢) علّة: بعلّة A

(١٣) الممكن: من الأُمور الثابتة P

(١٤) مستغنٍ: مستغنية P

(١٥) هذا ... مطلقاً: _ A

العـدم» أو «كونـه بالإرادة»، صـــار المفعول بهذه الإضـــافة أخصّ من مطلق المفعول بسبب الإضافة المذكورة[١].

و[٢] المتكلّم يسـلّم أنّ الموجود بعد العدم كما يسـمّي[٣] «محدَثاً» يسمّي أيضاً[٤] «مفعولاً»، إلّا أنّ مفعوليّتـه لكونـه موجوداً[٥] بعـد العـدم، أو[٦] لتقيّـده لـه بالإرادة أو بالطبع[٧]. لكن الحقّ أنّ الإرادة والطبع لا مدخل لهما في مفهوم الفعل، وإلّا لَما صحّ التقيّـد بأحدهما؛ للزوم إمّا التكرار أو المناقضـــة، فعُلم أنّ المفعول أعمّ من المحدَث الزمانيّ.

وبيان أنّ ســبق العدم لا مدخل له في الفعل، وأنّه ليس من شـــرط المفعول[٨]، أن نحلّل[٩] معنى المحدَث وننظر[١٠] في معانيه في ما يُنسب إلى الفاعل منها، فنقول:

المحدَث اشتمل على وجود، وعدم[١١]، وكون الوجود بعد العدم.

فالعدم[١٢] لا ينسب إلى الفاعل؛ لأنّه عدم محض ونفي صِرف، فلا[١٣] يتصوّر تأثير الفاعل فيه.

وكذلك الوجود المســبوق بالعدم لا يُنسَــب إليه؛ لأنّه[١٤] صــفة للمحدَث، واجبة الثبوت له بعد[١٥] حصــول الوجود له. ولا اســتبعاد في أنّ كثيراً من الممكنات يلحقها

---

(١) الإضـافـة المـذكورة: إضـافـة القيدين المذكورين P
(٢) و: ثمّ إنّ P
(٣) كما يسمّي: ـ A
(٤) يسمّي أيضاً: و P
(٥) لكونه موجوداً: ـ A
(٦) أو: ـ A
(٧) أو بالطبع: ـ A
(٨) المفعول: + أن يتقدّمه عدم زمانيّ P
(٩) نحلّل: تحلّل A
(١٠) ننظر: تنظر A
(١١) A99a
(١٢) فالعدم: + الذي للمفعول P
(١٣) فلا: فكيف P
(١٤) لأنّه: لكونه P
(١٥) بعد: + ثبوت A

أوصـاف ممكنة، فإذا اتّصـفت بتلك الأوصـاف كان اتّصـافها بصـفة أُخرى واجباً لها. فالوجود وإن لم(١) يكن واجب(٢) الحصـول للمحدَث، إلّا أنّ حصـول الكيفيّة له ـ وهي الوجود بعـد العدم السـابق ـ عند حصـول الوجود واجب لذلك المحدَث. وإذا كان الحدوث(٣) واجباً للحادث، امتنع انتسابه إلى الفاعل وافتقاره إلى المؤثّر.

فتعيّن أن يكون انتسـاب الحـادث إلى الفـاعـل وتعلّقـه به إنّما هو من حيث إفادة الوجود الممكن الخـاصّ، لا الوجود المطلق؛ فـإنّه(٤) غير متعلّق بالفاعل، ولا الوجود الواجب(٥).

فمتعلّق الفاعل إمّا وجود شـيء ليس بواجب، وإمّا وجود شـيء مسـبوق بالعدم. والأوّل أعمّ من الثاني(٦) ـ كما تقدّم ـ، وتعلّق الأوّل بالفاعل أوّلاً(٧) وبالذات، والوجود لا يلحق الثاني إلّا وقد لحق الأوّل. فتحقّق بهذا أنّ تعلّق الحادث بفاعله ليس من جهة عدمه السابق، ولا من جهة وجوده المسبوق بالعدم، بل من جهة وجوده فقط.

ثمّ إنّا نقول: المفعول الممكن بذاته(٨) الواجب بغيره، ينقسم(٩):

ـ إلى ما لا يسبقه عدم، وهو الواجب بغيره دائماً.

ـ وإلى مسبوق بالعدم، وهو الواجب بغيره وقتاً ما.

فيكون أعمّ من كـلّ واحـد من القسـمين، كمـا أنّ الدائم أعمّ من الدائم الذي هو معلول للغير والـدائم الواجـب لـذاتـه. فليس(١٠) اللا دوام الذي هو المحدَث ـ أعني

---

(١) لم: + ~~يجب~~ A

(٢) واجب: واجباً A

(٣) الحدوث: + الذي هو مسبوقيّة الوجود بالعدم P

(٤) فإنّه: فإنّ وجود الواجب P

(٥) ولا الوجود الواجب: ـ P

(٦) الثاني: + لانقسـامه إلى الدائم الوجود والمحدَث المسبوق بالعدم P

(٧) أوّلاً: أولى A

(٨) بذاته: لذاته A

(٩) بغيره ينقسم: بالغير يمكن أن يقسَّم P

(١٠) فليس: وليس P

الموجود[١] بعد العدم_ داخلاً في مفهوم الفعل والمفعوليّة _كما توهّموه[٢]_.

فتحقّق[٣] أنّ تعلّق المفعول بالفاعل إنّما هو من جهة وجوده[٤] الممكن، سواء كان هذا التعلّق[٥] حاصلاً له دائماً في جميع أوقات وجوده[٦]، أو كان التعلّق في وقت حدوثه حسب[٧].

فالواجب بغيره دائماً [مفعول][٨]، ولا تنازَع أحدٌ في هذه التسمية، بعد أن بيّنّا أنّ سبق العدم لا يكون من أثر[٩] الفاعل، وليس بداخل[١٠] في مفهوم الفعل، بل الذي من الفاعل إنّما هو الوجود الممكن. واسم هذا المفعول «المبدَع»، والفعل «الإبداع»، وفاعله «المبدِع».

[الإبداع عند الشيخ الرئيس]

فالإبداع _على ما ذكره الشيخ[١١]_ أن يكون للشيء وجود من الغير من غير توسّط مادّة أو آلة أو زمان. فعلى هذا لا يكون المبدَع[١٢] إلّا العقل الأوّل، وما عداه موجود بتوسّط. وصرّح الشيخ[١٣] بإبداع المحدّد[١٤]، فيكون العقول والأفلاك مبدَعة. ولا يستقيم ذلك إلّا أن يحذف[١٥] الآلة من تعريف الإبداع[١٦]، وهو أعلى من التكوين والإحداث المفتقرَين إلى توسّطهما[١٧].

---

(١) الموجود: للوجود A
(٢) توهّموه: توهّمه المتكلّم P
(٣) فتحقّق: فعلم من هذا P
(٤) وجوده: _ A
(٥) A99b
(٦) وجوده: هذا الوجود P
(٧) حسب: فحسب P
(٨) مفعول: مفعولاً A
(٩) أثر: _ P
(١٠) ليس بداخل: لا يدخل P
(١١) الإشارات والتنبيهات: ٢٨٦
(١٢) المبدع: + الأوّل A
(١٣) وصرّح الشيخ: لكنّه صرّح P
(١٤) الشفاء، الطبيعيّات، السماء والعالم: ٢٨
(١٥) أن يحذف: إذا حذفنا P
(١٦) تعريف الإبداع: التعريف P
(١٧) المفتقرين إلى توسّطهما: اللذين يتقدّم عليهما المادّة والزمان P

[برهان ثانٍ على مذهب الحكماء]

فكـلّ موجود ممكن لـذاتـه هو محتـاج إلى العلّـة[١] في وجوده وبقائه؛ لأنّ الدائم الوجود إذا كـان ممكنـاً لـذاتـه في جميع أحوالـه، فهو[٢] مفتقر إلى مرجّح في[٣] بقائه واستمراره؛ لاتّصافه بالإمكان في حال البقاء.

ودليلـه[٤] أنّ الممكن في ذاتـه قـابـل للوجود والعـدم؛ إذ لو كان لذاته[٥] غير قابل لواحد منهما[٦] وجب أن لا يقبله أبداً؛ لأنّ ما بالذات لا يفارق[٧] في حالٍ ما. فالممكن في حـال بقـائه إن امتنع عليه[٨] العدم لذاته وجب أن يمتنع عليه دائماً، وما يمتنع عليه العـدم لـذاتـه يكون واجبـاً[٩]، هـذا خلف. وإن يكن العدم ممتنعاً عليه حال بقائه فهو ممكن في حـال بقائه، وكلّ ممكن ـكما عرفتَـ يفتقر إلى علّة مرجّحة، لو اسـتغنى عنهـا لزم انقلاب الممكن لـذاتـه واجبـاً لـذاتـه وبـالعكس[١٠]، وذلك محال؛ لامتناع انقلاب الحقائق[١١]. >[١٢]

[ترتّب المعلول على العلّة]

[١٣]< واعلَم أنّ وجود المعلول يتعلّق بالعلّة المسـتجمعة لجميع ما يحتاج إليه في علّيّته بالفعل، من وجودِ ما ينبغي، وارتفاعِ ما لا ينبغي.

---

(١) العلّة: ذلك A

(٢) فهو: وهو A

(٣) في: + حال P

(٤) دليله: الدليل على ذلك P

(٥) كان لذاته: لا ذلك لكان A

(٦) منهما: منها A

(٧) بالذات لا يفارق: يكون للشيء لذاته لا يفارقه P

(٨) عليه: علّته A

(٩) واجباً: واجب الوجود لذاته P

(١٠) بالعكس: العكس A

(١١) الحقائق: + بعضها إلى بعض P

(١٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٩٤/٣ ـ ٣٠٣

(١٣) بـداية العبارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.

[ما ينبغي وجوده لعلّيّة الفاعل]

أمّا وجود ما ينبغي فينقسم:

ـ إلى ما لا يخرج عن ذات[١] العلّة، كالطبيعة المقتضية للحركة من غير[٢] شعور، والإرادة[٣] الموجبة لها[٤] مع الشعور؛ فإنّ العلّة التي للحركة لا يمكن وجودها إلّا بأحدهما. وكذلك الحال في النفس النباتيّة التي هي علّة لحركة[٥] غير طبيعيّة ولا إراديّة.

ـ وإلى[٦] ما يخرج عن ذات العلّة، إلّا أنّ لها مدخلاً في تتميم علّيّتها بالفعل. وتلك إمّا أُمور مضافة[٧] إلى العلّة بسببها يتمكّن العلّة من الفعل، وإمّا أُمور[٨] غير مضافة إلى العلّة.

والأوّل لا يخلو إمّا أن يكون أمراً يتوسّط[٩] بينها وبين معلولها كالآلة، أو لا يكون أمراً متوسّطاً. وذلك الأمر إمّا ذاتٌ مضافة إلى العلّة[١٠] كالمعاون، كحاجة النشّار[١١] إلى مثله؛ أو وصف لها كالداعي والإرادة، كحاجتك في إرادة الأكل إلى الجوع.

وأمّا الأمر الذي هو غير مضاف إمّا محلّ الفعل، فذلك كالمادّة؛ وإمّا الأمر الذي ليس بمحلّ لفعل العلّة، فهو كالوقت الذي يحتاج إليه البنّاء والدبّاغ؛ فإنّهما يحتاجان إلى الصيف.

[ما ينبغي ارتفاعه لعلّيّة الفاعل]

وأمّا ارتفاع ما لا ينبغي فهو كزوال المانع، مثل حاجة القصّار إلى زوال الغيم؛ فإنّ

---

(١) ذات: وقت A
(٢) A100a
(٣) الإرادة: لا إرادة A
(٤) لها: له P
(٥) لحركة: بحركة A
(٦) إلى: أيّ A
(٧) مضافة: إضافيّة A
(٨) أُمور: أن تكون أُموراً P
(٩) يتوسّط: متوسّط A
(١٠) العلّة: + الأُولى A
(١١) النشّار: النجّار A

المانع ما لم يزل لا يوجد المعلول.

[استدلال على تعلّق وجود المعلول بوجود العلّة التامّة]

وبالجملة كلّ ما[١] يصير به الشيء علّةً لغيره بالفعل فله مدخلٌ في العلّيّة، فإذا وجِد الجميع لم يتأخّر عنها المعلول؛ لأنّه لو تأخّر عنها لزم أن يكون صدوره عنها في وقت دون غيره من الأوقات مفتقراً[٢] إلى مخصّص.

فذلك المخصّص إن لم يكن زائداً على تلك العلّة التي فرضناها مستجمعةً لجميع[٣] الأُمور المعتبرة في العلّيّة، كان ترجيحاً من غير مرجّح، وهو محال.

وإن كان ذلك المخصّص زائداً على العلّة، لزم أن يكون من جملة[٤] الأُمور المعتبرة في العلّيّة. فلا يكون العلّة بدون ذلك المخصّص مستجمعةً لجميع الأُمور المعتبرة في العلّيّة بالفعل[٥]، وقد كنّا فرضناها مستجمعةً لجميعها، هذا خلف.

[استدلال على تعلّق عدم المعلول بعدم العلّة]

وعدم المعلول يتعلّق بعدم العلّة، إمّا بجميع أجزائها، أو بانتفاء[٦] أمر به يتمّ العلّيّة. وذلك لأنّ الموجود الممكن إذا عُدم فلا بدّ لعدمه من سبب[٧]. ويمتنع أن يكون ذلك السبب الموجب لِعدمه[٨] نفس ذاته[٩]، وإلّا لم يمكن وجوده، وقد فرضناه موجوداً. فالسبب[١٠] المُعدم له يجب أن يكون غيره. فذلك الغير إمّا أن يكون عدم علّته، أو أمراً آخر.

---

(١) كلّ ما: كلّما A
(٢) مفتقراً: مفتقر A
(٣) لجميع: بجميع A
(٤) جملة: جعله A
(٥) بالفعل: الفعل A
(٦) بانتفاء: لانتفاء P
(٧) A100b
(٨) لعدمه: لعدم A
(٩) ذاته: ذات ذلك الممكن P
(١٠) فالسبب: والسبب A

فإن كان[١] الأوّل، فهو[٢] المطلوب.

وإن كان[٣] الثاني، فذلك[٤] الأمر إمّا أن يكون[٥] وجوديّاً أو عدميّاً.

والأوّل إذا لم يختلّ بسببه أمر من الأُمور المعتبرة في العلّيّة، لزم تخلّف المعلول عن العلّة التامّة، وهو محال. وإن اختلّ بسببه أمر[٦] من الأُمور المعتبرة، فقد عدم بعض أجزاء العلّة، وهو المطلوب.

والثاني إمّا أن لا يكون له مدخل في علّيّة وجود المعلول، أو يكون له مدخل. والأوّل يوجب[٧] تخلّف المعلول عن العلّة التامّة، وهو محال. والثاني[٨] نفس المطلوب، وهو عدم المعلول بعدم بعض أجزاء العلّة.

فإذا[٩] تسَرمَد وجود العلّة بالفعل تسَرمَد وجود المعلول، كما هو الحال في معلول الواجب لذاته، والمعلولات المجرّدة، والأجرام العِلويّة الدائمة الوجود[١٠]. وإذا استمرّ عدم العلّة ـ إمّا بكلّها أو ببعضها ـ استمرّ عدم المعلول.

[تقدّم إمكان الممكن على وجوبه الغيريّ]

واعلَم أنّ إمكان الممكن لذاته يجب أن يكون قبل وجوبه[١١] بغيره قبليّةً ذاتيّةً؛ إذ لو لم يكن ممكناً قبل ذلك، لكان إمّا واجباً أو ممتنعاً، وكلاهما يمتنع تعلّقهما بالغير.

أمّا الوجوب فلاستغنائه[١٢] عن الغير[١٣].

---

(١) فإن كان: و A
(٢) فهو: هو A
(٣) إن كان: ـ A
(٤) فذلك: ذلك A
(٥) أن يكون: ـ A
(٦) أمر: + ما P
(٧) يوجب: موجب A
(٨) الثاني: + هو P
(٩) فإذا: وإذا P
(١٠) الوجود: ـ A
(١١) وجوبه: وجوده A
(١٢) فلاستغنائه: فلكونه مستغنياً P
(١٣) الغير: التعلّق بالغير P

وأمّا الامتناع فلكونه معدوماً، لا وجود له ليتعلّق به.

فعُلم أنّ الوجوب بالغير لا يوجد إلّا بعد وجود الإمكان بالذات. فالإمكان للممكن سابقٌ على الوجوب بالغير.

[تقدّم لا استحقاق الوجود للممكن على استحقاقه الوجود بغيره]

ثمّ الممكن لذاته لا يستحقّ الوجود ولا العدم من ذاته؛ إذ لو استحقّ الوجود من ذاته لكان واجباً، ولو استحقّ العدم من ذاته لكان ممتنعاً. فلا استحقاقُ الوجود للممكن بحسب إمكانه متقدّم على استحقاق وجوده بغيره تقدّماً بالذات؛ فإنّا نعلّل استحقاق الوجود بالغير بعدم استحقاقه الوجود بذاته، فلا وجوده متقدّم(١) على وجوده(٢) عقلاً، وهو الحدوث(٣) الذاتيّ المتحقّق في كلّ وقت في دائم الوجود(٤) بغيره لا بذاته، كما أنّ الحدوث(٥) الزمانيّ هو تقدّم لا وجود الممكن على وجوده تقدّماً زمانيّاً.

[الحدوث الذاتيّ في القرآن]

وقد جاء في الوحي الإلهيّ الإشارة إلى هذا الحدوث(٦) الذاتيّ الصادق على الدائم الوجود بغيره في دائم الأوقات، وهو قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ﴾(٧)، أي كلّ شيء من الممكنات هالكٌ، بمعنى أنّه(٨) ليس له من ذاته وجود إلّا جهة الوجوب(٩) بالغير الذي هو البارئ ـ جلّ جلاله ـ؛ فإنّ تلك الجهة غير هالكة، بل واجبة، بسببها

(١) متقدّم: متقدّماً A
(٢) وجوده: + بالذات A
(٣) الحدوث: الحدث P || A101a
(٤) الوجود: + لكن P
(٥) الحدوث: الحدث P
(٦) الحدوث: الحدث P
(٧) القرآن الكريم: ٨٨/٢٨
(٨) أنّه: _ A
(٩) الوجوب: الوجود A

حصل لذلك الممكن الوجودُ. وأمّا من[١] جهة ذاته فهو غير مستحقّ للوجود[٢]، بل هو مستحقّ للهلاك. وهذا التفسير هو البطن الأوّل من بطون التحقيق، وما ذكِر في صحف أهل التفسير فهو ظهرٌ.

[عدم تناهي الحركات الدوريّة الفلكيّة]

فإذا[٣] عرفتَ أنّ الحادث ينقسم إلى ذاتيّ وزمانيّ، فإذا حدث شيء لم يكن ثمّ كان فهو ممكن؛ إذ لو كان واجباً لم يكن قبل وجوده معدوماً، ولو كان ممتنعاً لم يمكن[٤] حدوثه. فإذا ثبت إمكان الحادث، فلا بدّ له لا مَحالة من مرجّح. ثمّ ذلك المرجّح يعود إليه الكلام في أنّه ليس بممتنع، وإلّا لم يكن موجوداً مرجّحاً لوجود الحادث؛ ولا واجباً لذاته، وإلّا لكان المعلول الحادث غير حادث، بل قديماً دائم الوجود بالعلّة الواجبة، وإلّا لكان حدوثه في ذلك الوقت الذي حدث فيه ترجيحاً من غير مرجّح، وهو محال. فلا بدّ أن يكون ذلك المرجّح حادثاً، إمّا بجملته أو ببعض أجزائه. ثمّ يعود الكلام إلى هذا المرجّح في احتياجه إلى مرجّح آخر[٥]، و[٦] يتسلسل هذه الحوادث إلى غير النهاية بلا انقطاع إلى حادثٍ مستغنٍ عن المرجّح، وإلّا لَعاد المحال[٧].

وهذه الحوادث الثابت[٨] عدم تناهيها لا[٩] يجوز أن تكون[١٠] موجودة دفعة واحدة؛ لِما عرفتَ من امتناع وجود الأُمور الغير المتناهية المترتّبة[١١] الموجودة معاً. فلا بدّ أن

---

(١) من: ـ A

(٢) للوجود: الوجود A

(٣) فإذا: وإذا P

(٤) يمكن: يكن A

(٥) آخر: ـ A

(٦) و: + هكذا P

(٧) وإلّا لعاد المحال: لأنّه محال A

(٨) الثابت: التي ثبت بهذا البرهان P

(٩) لا: و A

(١٠) تكون: يكون A

(١١) المترتّبة: المرتّبة A

يكون هذه الأُمور موجودة على سبيل التعاقب، غير منتهية إلى حادث لا يتقدّمه حادث آخر.

ويجب[١] أن يكون هذه العلل الحادثة التي لا نهاية لها ولا اجتماع ولا ثبات هي الحركات الدوريّة الفلكيّة؛ لأنّ ما عداها من الحركات لها انقطاع. فهذه الحركات الدائمة الفلكيّة عللُ[٢] حدوث الحادثات وعلّة عدمها أيضاً؛ لكون العدم الكائن في زمان معيّن يفتقر إلى مرجّح في ذلك الزمان، من وجود ما لا ينبغي، وهو الذي[٣] عدمه شرط في وجود ذلك الحادث؛ أو[٤] عدم ما ينبغي، وهو الذي وجوده شرط في وجود الحادث.

[عدم استغناء هذه الحركات عن الواجب]

ولا يلزم أن لا تنتهي في الاحتياج إلى الواجب؛ لوجوه:

[الوجه الأوّل]

أ. إنّ الحوادث إمّا أن يمكن وقوعها دفعةً، وهو ما وراء الحركة من الحوادث؛ وإمّا أن لا يمكن وقوعها دفعةً، وهي الحركات.

والذي يقع دفعةً لا بدّ وأن يبقى زماناً؛ إذ لو لم يبقَ لكان[٥] آنُ حدوثها غير آنِ عدمها؛ لامتناع اتّحاد الآنين، وبين الآنين زمان ثبات، وإلّا لزم تتالي الآنات. فجميع الحوادث الواقعة دفعةً لها زمان ثبات، فتحتاج[٦] إلى علّة ثبات. ويجب[٧] أن يكون علل الثبات مجتمعةً؛ فإنّ الشيء الثابت لا يمكن أن يثبت مع زوال مثبِته[٨]. وإذا كانت

---

(١) يجب: يحب A101b ‖ P

(٢) علل: + و A

(٣) الذي: ـ A

(٤) أو: و A

(٥) لكان: فكان A

(٦) فتحتاج: فيحتاج A

(٧) ويجب: فيجب A

(٨) مثبته: سببه A

علل الثبات مجتمعة، فلا بدّ وأن تنتهي إلى الواجب لذاته.

[الوجه الثاني]

ب. إنّ الحركات الفلكيّة محتاجة إلى الموضوع، وهي أجرامها الثابتة ونفوسها المحرّكة. وكذلك هيولى العالم العنصريّ وما تعلّق بها من النفوس المدرِكة لذواتها، كلّها ثابتة غير متبدّلة، فتفتقر[١] إلى علّة ثبات تنتهي إلى الواجب لذاته، وهو المطلوب.

[الوجه الثالث]

ج. إنّ مجموع الممكنات ـ من حيث مجموعيّتها[٢] ـ أمر ثابت، فتفتقر[٣] إلى علّة وجود و[٤] ثبات[٥]، وعلّة وجود مجموع[٦] الموجودات وثباتِها هو[٧] الواجب الوجود لذاته.

[إشكال على استناد عدم المعلول بعدم علّته]

وقد تقرّر هنا سؤال، هو أنّ عدم المعلول لازم لعدم العلّة، غير منفكّ عنه، ويلزم من عدم أيّ أمر كان عدمُ علّته، ومن عدم علّته عدمُ علّة علّته[٨]، ولا يزال الأمر كذلك حتّى ينتهي إلى عدم الواجب لذاته، وذلك محال.

[جواب عن هذا الإشكال]

فهذا الإشكال وجميع[٩] ما يناسبه من الإشكالات [ينحلّ][١٠] بوجود الحركة

---

(١) فتفتقر: فيفتقر A
(٢) مجموعيّتها: مجموعها A
(٣) فتفتقر: فيفتقر A
(٤) و: ـ A
(٥) ثبات: ثابت Ac
(٦) وجود جميع: مجموع A
(٧) هو: هي Ac
(٨) A102a
(٩) جميع: الجميع A
(١٠) ينحلّ: تنحلّ A

الـدائمـة؛ فـإنّ المـادّة بسـبـب الحركة الدائمة تسـتعدّ في كلّ زمان لحدوث حادث مخصوص وعدمه في زمان آخر، كما ذكرناه.

فالحركة الدائمة[١] وإن كانت واحدة متّصلة على الدوام من حيث الذات، لا جزء لهـا بـالفعل، فلها[٢] أجزاء بالقوّة والفرض، فهي علّة حدوث الحادثات بما يفرض لها من الأجزاء الشخصيّة الغير الثابتة. وعلّة ثبات الحادث مدّةً بسبب ثبات الحركة الدائمة الـدوريّة غير مُنافية[٣] للحادث؛ فإنّ باسـتمرار مدّة تثبت[٤] نسـبة الحادث إلى علّته الموجِـدة[٥] المثبِتة له، حتّى يأتي صـنف من نوع الحركة الدوريّة يقتضـي قطع تلك النسـبة، فحينئذٍ ينعدم[٦] ذلك الحادث. فالنسـبة التي للحادث إلى علّته[٧] ثابتة لثبات المـدّة، ويكون الحركـة موجبـة لحدوث[٨] الحادثات وبطلانِها من حيث تجدّد أعداد المدّة وأجزائها.

وبيّنوا ذلك بمثال جليّ[٩] يظهر منه أحوال هذه المسـألة، وذلك بحركة[١٠] الشمس فوق الأرض؛ فإنّ هذا الصنف من نوع الحركة الدوريّة موجب لوجود النهار مدّة بقائها فوق الأرض، وقطعهـا لكـلّ درجـة ودقيقة من هذا الصـنف يكون كأشـخاص ذلك الصنف، وذلك الصنف باقٍ مدّة[١١] بقاء الشمس فوق الأرض مع تجدّد أشخاصه على سبيل الحدوث.

---

(١) الدائمة تستعدّ ... الدائمة: _ A
(٢) فلها: ولها A
(٣) منافية: منافياً A
(٤) مدّة تثبت: هذه ثبت A
(٥) علّته الموجدة: علّة الموجودة A
(٦) فحينئذٍ ينعدم: فينقطع A
(٧) علّته: علّة A
(٨) لحدوث: لوجود A
(٩) جليّ: حتّى A
(١٠) بحركة: بحرارة A
(١١) بقائها فوق ... مدّة: _ A

وهذه المدّة التي هي مدّة بقاء الشمس فوق الأرض هي المُديمة لنسبة ثبات النهار إلى علّـة وجودهـا وثبـاتهـا. ثمّ تلك المدّة بعينها مقرّبة لزوال النهار بما[١] يفرض من الأجزاء الشخصيّة المقرّبة إلى الغروب المُزيلة للنهار بسبب انصرامها.

وهكذا[٢] ينبغي أن يتصـوّر هذا الحكم في الحركة الدائمة الدوريّة، فيعرف بذلك كيفيّة وجودها وتأثيرها[٣] في حدوث الحادثات. وينحلّ[٤] بذلك جميع الإشـكالات والأسئلة، فيجب[٥] وجود حركة دائمة لا تنصرم.

[كيفيّة حركة الأفلاك]

وعلمـتَ في[٦] الطبيعيّ أنّهـا الـدوريّـة؛ فـإنّ الحركات المسـتقيمة لها انصـرام، والحوادث لا انصـرام لهـا، وهي نفسـانيّـة[٧]، تـابعة للإرادات الكلّيّة الدائمة لنفوس الأفلاك واسـتناد الإرادات الجزئيّة إليها، فيكون الإرادات الكلّيّة الدائمة لنفوسـها بإزاء حركـة دائمـة توجب إرادات جزئيّة لحركة[٨] جزئيّة من نقطة إلى أُخرى. فكلّ[٩] نقطة يُفرض[١٠] وصـول المتحرّك إليها فهي معلولة لإرادة كلّيّة لمطلوب كلّيّ ثابت بسـبب تخصّـص الإرادة الجزئيّة بالحركة عنها إلى نقطة أُخرى. فيكون الوصـول إلى كلّ نقطة مع الإرادة الكلّيّة الدائمة علّة لحدوث إرادة جزئيّة لازمة من إرادات كلّيّة بسبب الوصول إلى نقطة جزئيّة.

فلحركـة الفلـك علّـة لها جزء ثابت، وهو الإرادة الكلّيّة[١١]؛ وجزء آخر متجدّد غير

---

(١) بما: ممّا A

(٢) وهكذا: فهكذا P

(٣) وتأثيرها: ـ P

(٤) وينحلّ: فتحلّ P

(٥) الأسئلة فيجب: في هذا الباب بالضرورة P

(٦) في: + العلم P

(٧) A102b

(٨) لحركة: بحركة A

(٩) فكلّ: وكلّ APs

(١٠) يفرض: نفرض A

(١١) الدائمة علّة ... الكلّيّة: ـ A

ثـابت، وهي الإرادة الجزئيّة. والإرادة الجزئيّة علّة للحركة، والحركة علّة للوصـــول إلى نقطـة أُخرى، وهكـذا إلى غير النهـايـة. وينضـــبط الكلّ بوجود الإرادة الكلّيّة الدائمة الثابتة.

ولا يلزم من توقّف الإرادة الجزئيّـة على الحركة الجزئيّة وبالعكس دورٌ؛ فإنّ الإرادة الجزئيّـة المتوقّفة على حركة جزئيّة معيّنة غير(١) الإرادة التي توقّفت عليها تلك الحركة الجزئيّة المعيّنة؛ لتوقّفها على إرادة أُخرى من نوعها، فلا دور ممتنع.

ومثّلوا حصـول الحركة الجزئيّة من الإرادة الجزئيّة والكلّيّة، بمن أراد سـفراً إلى بلد معيّن. فتلك الإرادة لذلك السـفر لا يحصـل عنها خطوة إلّا بعد حصـول إرادة جزئيّة. فإذا حصـلت الخطوة من الإرادة الجزئيّة، حدث تصـوّرٌ لِما وراء الخطوة، فيحصل من ذلك التصـوّر إرادةٌ جزئيّة أُخرى للخطوة الثانية. وهذه الإرادة إنّما حصـلت من الإرادة الكلّيّة الموجبة لدوام الحركة إلى أوان الوصول إلى البلدة المقصودة. فالثابت إلى أوان الوصـول هو الإرادة الكلّيّة، والحادث هو التصوّر الجزئيّ والحركة مع الإرادة الجزئيّة. والإرادة الجزئيّة(٢) إنّما حدثت بالتصوّر الجزئيّ مع الإرادة الكلّيّة، إلّا أنّ الفرق بين(٣) حركة الأفلاك مع إرادتها الكلّيّة وحركةِ من أراد سـفراً وإراداته الكلّيّة أنّهما في الأفلاك غير منقطعين ولا منصرمين(٤)، وفي المريد للسفر ينقطعان بالوصول إلى المقصود.

[مذهب السهرورديّ في علّة الحركة الدوريّة المستمرّة]

وهـاهنـا بحـث لطيف، وهو من الأســرار والغوامض الحكميّـة، نبّه عليه الشــيخ الربّانيّ(٥)، وهو أنّ الحركة الدوريّة المستمرّة الوجود على الاتّصال لا تحتاج(٦) إلى علّة

---

(١) غير: عن P

(٢) والإرادة الجزئيّة: ـ A

(٣) بين: من A

(٤) المنصرمين: المتصرّفين A || A103a

(٥) لم أعثر عليه في مصنّفاته، بل وجدته في: الجديد في الحكمة: ٤٩٨

(٦) تحتاج: يحتاج A

حادثة؛ لأنّها باعتبار أنّها لا ابتداء زمانيّ لها، تكون[١] دائمة الوجود، مستغنية عن العلّة الحادثة. وهذه الحركة المذكورة تكون[٢] حادثة باعتبار تجدّدها وتغيّرها[٣] على الدوام. ويكون جميع الحوادث مستندة إليها باعتبار حدوثها؛ فإنّ الحادث لا يستند إلّا إلى علّة حادثة.

[إشكال على مذهبه]

فإن قلتَ: فإذا كانت الحركة الدوريّة المستمرّة التي جميع الحوادث مستندة إليها حادثةً بهذا الاعتبار، وكلّ حادث يحتاج إلى علّة حادثة، فكيف استغنت ذلك عن العلّة الحادثة مع كونها حادثة على هذا الاعتبار؟

[جواب عن هذا الإشكال]

قلتُ: الحكماء إذا[٤] أطلقوا لفظ الحادث فهُم[٥] يريدون به الماهيّة التي عرض[٦] لها الحدوث من حيث هي معروضة له فحسب. وبهذا الاعتبار لا يكون الحركة حادثةً، بل هي حادثة[٧] بمعنى آخر، وهو[٨] أنّها حادثة لذاتها، أي أنّ[٩] ماهيّتها هي الحدوث والتجدّد، لا أمر[١٠] آخر عرض له ذلك الحدوث. وهذا الحدوث والتجدّد لمّا كان دائماً مستمرّ الوجود، فلا يحتاج إلى علّة حادثة. فإذا كان المعلول متجدّداً[١١] حادثاً، وكان الحدوث زائداً على ماهيّة المعلول، وجب أن يكون العلّة لا مَحالة حادثة.

---

(١) تكون: يكون A
(٢) تكون: يكون A
(٣) تغيّرها: بغيرها A
(٤) إذا: _ A
(٥) فهم: وهم A
(٦) عرض: _ A
(٧) بل هي حادثة: _ A
(٨) هو: هي A
(٩) أنّ: _ A
(١٠) لا أمر: _ A
(١١) متجدّداً: تجدّد A

وأمّـا إذا كـان المعلول الحـادث نفسُـــه هو التجـدّد والتغيير[١] ـكما هو الحال في الحركـات الدوريّة المســتمرّةـ فلا يجب أن يكون العلّة حادثة، إلّا أن يكون الحادث يعرض لـه تجـدّد وتغيّر[٢] يزيـدان على ذاتـه، كالحركة التي تحدث بعد أن لم تكن[٣] للأجسام[٤] العنصريّة، فيجب أن يكون علّتها حادثة.

وأمّا الحركات الدوريّة المتّصــلة فإنّها مســتمرّة الوجود، ليســت بحادثة بعد أن لم تكن، فلا[٥] تحتـاج إلى علّـة حـادثـة، وهـذا ظـاهر عنـد العقل إذا تأمَّله حقّ التأمّل. فجميع[٦] الحوادث تنتهي[٧] في الافتقـار إلى ماهيّة دائمة هي نفس الحدوث والتغيّر؛ فـإنّهـا بهـذا الاعتبـار تكون[٨] علّةً للمتغيّرات. وأمّا[٩] من حيث اعتبار الدوام الذي لا ابتـداء لـه زمـانيّ[١٠]، فلا يكون علّة لحادث[١١] أصـــلاً. فافهَم؛ فإنّه بحث دقيق يجب تأمّله، ويحتاج إليه من أراد التوغّل في العلوم الحكميّة. >[١٢]



(١) التغيير: التغيّر Ps

(٢) تغيّر: تعيّن A

(٣) تكن: يكن A

(٤) للأجسام: في الأجسام P

(٥) فلا: ولا A

(٦) فجميع: بجميع A

(٧) تنتهي: ينتهي A

(٨) تكون: يكون A

(٩) وأمّا: ما A

(١٠) A103b

(١١) لحادث: الحادث P

(١٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٣٠٦ ـ ٣٢٠

[الفصل الخامس: في بعض أحكام واجب الوجود]

[عدم تقيّد الوجود من حيث هو هو بأيّ قيد]

كشـفٌ لِما هو المقصـود بالذات والمطلوب الأقصـى من العلم الإلهيّ، وبيان [جليّة][١] الحال فيه، فنقول: **واجب الوجود هو الوجود الصِـرف الذي لا خصـوص فيه ولا عموم، ولا كلّيّة ولا جزئيّة، ولا وحدة ولا كثرة.**

[٢]< اعلَم أنّ الوجود من حيـث هو هو غير مقيّد بالإطلاق والتقييد[٣]، ولا هو كلّيّ ولا جزئيّ، ولا عـامّ ولا خـاصّ، ولا واحـد بالوحدة الزائدة[٤] ولا كثير، بل يلزمه هذه الأشـياء بحسب مراتبه وتجلّياته ومقاماته[٥]، فيصير مطلقاً ومقيّداً، وكلّيّاً وجزئيّاً، وعامّاً وخاصّاً، وواحداً[٦] وكثيراً، من غير حصول شيء فيه[٧].

وليس بجوهر ولا عرض؛ لِصدقه عليهما، وكونه مأخوذاً في تعريفهما.

وليس أمراً اعتباريّاً كما يقوله[٨] الظالمون؛ لتحقّقه في الأعيان[٩] مع عدم المعتبرين إيّاه[١٠] فضلاً عن اعتباراتهم، سواء كانت[١١] عقولاً أو غيرها.

وليس بصفة عقليّة وجوديّة، كالوجوب للواجب[١٢]، والإمكان للممكن.

---

(١) جليّة: حلية A

(٢) بداية العبارات المنقولة من: شرح فصوص الحكم للقيصريّ.

(٣) التقييد: التقيّد A

(٤) الزائدة: + على ذاته P

(٥) تجلّياته ومقاماته: جنسيّاته A

(٦) وواحداً: _ A

(٧) شيء فيه: التغيّر في ذاته وحقيقته P

(٨) يقوله: يقول P

(٩) الأعيان: ذاته P

(١٠) إيّاه: _ A

(١١) كانت: كانوا P

(١٢) للواجب: الواجب A

[جملة من أحكام الوجود من حيث هو هو]

وهو أعمّ الأشياء باعتبار عمومه وانبساطه على الماهيّات الذهنيّة والخارجيّة.

وهو أظهر من كلّ شيء تحقّقاً وإنّيّة، حتّى قيل فيه: «إنّه بديهيّ»، وأخفى من جميع الأشياء ماهيّة وحقيقة.

ولا يتحقّق شيء في العقل ولا في الخارج إلّا به، وقوام الأشياء به؛ لأنّ الوجود لو لم يكن، لم يكن لشيء وجود[١] في العقل ولا في الخارج. فهو مقوّمها[٢]، بل هو عينها؛ إذ لا واسطة بينه وبين العدم، كما لا واسطة بين الموجود والمعدوم مطلقاً.

فخالف جميع الحقائق؛ لوجود[٣] أضدادها وتحقّق أمثالها[٤]؛ لأنّ به يتحقّق الضدّان ويتقوّم[٥] المثلان، بل هو الذي يتّحد فيه الأشياء كلّها؛ فإنّ الظهور والبطون وجميع الصفات الوجوديّة المتقابلة مستهلكة في عين الوجود. فلا مغايرة إلّا بالاعتبار العقليّ[٦]، بل الصفات المسلوبة عن بعض الذوات التي مفهومها[٧] عدميّ راجعة[٨] إلى الوجود من وجه.

والوجود الذهنيّ والخارجيّ نوعان من أنواعه.

ولا يقبل[٩] الانقسام والتجزّؤ أصلاً، خارجاً وذهناً وعقلاً؛ لبساطته. فلا جنس له، فلا[١٠] فصل له، فلا حدّ له.

وهو حقيقة واحدة، لا تكثّر فيها. وباعتبار انبساطه وامتداده على سائر الأعيان تصير

---

(١) لشيء وجود: شيء لا P
(٢) مقوّمها: مفهومها A
(٣) لوجود: الوجوديّة A
(٤) أمثالها: + دونه P
(٥) يتقوّم: يقوم A
(٦) بالاعتبار العقليّ: في اعتبار العقل P
(٧) A104a
(٨) راجعة: راجع A
(٩) يقبل: تقبل A
(١٠) فلا: ولا P

مدرَكة. [فبه][١] تنوّر[٢] سماوات الغيوب[٣] والأرواح وأرض الأجسام والأشباح[٤]؛ لأنّها به توجد وتتحقّق، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾[٥].

فتقيّداته ومَحالّه غير منحصرة. فإن أُخذ باعتبار أنّه كلّيّ طبيعيّ، احتاج إلى تعيّنات كلّيّة منوِّعة له، لا في تحقّقه في نفسه؛ لأنّ كلّ ما تشخّص أو تنوّع فهو متأخّر عن الطبيعة الجنسـيّة والنوعيّة بالذات، والمتأخّر لا يكون علّة لتحقّق المتقدّم، بل الأمر بالعكس أولى. والجاعل للطبيعة طبيعة أولى منها[٦] أن يجعل تلك الطبيعة نوعاً أو شخصاً بضمّ ما يعرض[٧] عليها من المنوِّع والمشـخِّص. وجميع التعيّنات الوجوديّة راجعة إلى غير الوجود، فلا يلزم احتياج حقيقة الوجود في كونها في الخارج إلى غيرها. >[٨]

هكذا حقّقه [القيصـريّ][٩] في بعض مباحثه في ما نقِل عنه. فهذه مقدّمة نافعة في ما نحن بصدده.



(١) فبه: فيه A

(٢) تنوّر: منوّر P

(٣) الغيوب: العيوب A

(٤) والأشباح: ـ P

(٥) القرآن الكريم: ٤٥/٢٥

(٦) منها: منهما P

(٧) يعرض: يفرض A

(٨) شرح فصوص الحكم للقيصريّ: ١٣ ـ ١٩

(٩) القيصريّ: الإمام نصير الدين A

[جملة من أحكام واجب الوجود]

ثمّ نقول: فـإذا عرفـتَ حقيقـة الوجود ـعلى مـا قرّرنـاهـ، **فما عداه منه وجوده، بواسطة أو بغيرها. فينتهي المراتب في النزول إلى الضعف، كانتهاء النور إلى ما ليس بنور، كما تنتهي في مراتب الصعود إلى الشدّة.**

فـالوجود الواجبيّ لغـايـة كماله وشـدّة نوريّته وقوّة لمعانه، يمتاز عن غيره بكماله ونقص غيره. فلكماله استغنى عن ذاتٍ يقوم بها. فلذلك كان كلّ الوجود، فليس وجود كامل إلّا هو، وسائر الوجودات من فيضان وجوده وكماله.

[١]< فـذلك الوجود المقدّس وجود صِـرف لا يخالط[٢] شـيئاً من الماهيّات، فلا ينضـمّ إليه مميّز، ذاتيّاً [كان][٣] أو عرضيّاً؛ إذ ليس في الموجودات ما أتمّ منه[٤] وأكمل حتّى يمتاز بشيء منها؛ لكونه في أعلى مراتب الكمال ونهاية درجات الأتمّيّة.

فلا يُتصـوّر لـه جزئيّ من نوعه؛ إذ لو فرِض لم تجده[٥] غيره؛ إذ متى حقّقتَ النظر وجدتَه هو بعينه؛ إذ لا امتياز في الوجود الصِرف الذي لا أتمّ ولا أكمل منه.

فلِتمامه وكماله لا يُتصـوّر فيه تكثّر. فلا جزئيّ من نوعه ذهناً ولا خارجاً، فليس في الوجود واجبان.

فواجـب الوجود[٦] هو الوجود المحض المجرّد، ووجوبه كماليّة وجوده، فلا معنى آخر له[٧] غير محض الوجود. >[٨]

---

(١) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) يخالط: يخالطه A

(٣) كان: ـ AP

(٤) A104b

(٥) تجده: نجده P

(٦) الوجود: + و A

(٧) له: ـ A

(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٥٦/٣ ـ ٢٥٧

[ماهيّة الواجب تعالى نفس إنّيّته]

[١]< فعقد هذا الباب أن [نقول][٢]: الذي يليق بجلال الواجب[٣] وعظمته أن لا يكون وجوده زائداً[٤] على ماهيّته، بحيث[٥] يكون له ماهيّة ووجود، بل ماهيّته هي نفس الوجود المجرّد الذي لا يكون عارضاً للماهيّات. والحكماء يعبّرون عن هذا[٦] المعنى بأنّ[٧] ماهيّته نفس إنّيّته[٨].

[برهان الشيخ الرئيس]

والذي ذكره الشيخ الرئيس[٩] أنّ وجوده لو كان زائداً على ماهيّته لزم أن يكون محتاجاً إلى تلك الماهيّة، والمحتاج[١٠] لا مَحالة ممكن[١١]، فيحتاج الوجود الواجبيّ إلى علّة، إمّا نفس[١٢] الماهيّة أو غيرها.

والأوّل يستلزم أن يكون الماهيّة متقدّمة على وجود نفسها بالوجود، فتكون قبل الوجود موجودة. وذلك الوجود إمّا نفس ما فرضناه أو غيره. والأوّل يستلزم كون الشيء متقدّماً على نفسه، والثاني يعود الكلام فيه، ويلزم وجودات مترتّبة غير متناهية موجودة معاً، وكلاهما محال.

والثاني يستلزم أن يكون الواجب لذاته محتاجاً في وجوده إلى الغير، فلا يكون الواجب لذاته واجباً لذاته، هذا خلف[١٣]. <[١٤]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٢) نقول: تقول A
(٣) الواجب: + لذاته P
(٤) زائداً: زائد A
(٥) بحيث: حيث A
(٦) هذا: ذلك P
(٧) بأنّ: أنّ A
(٨) إنّيّته: آنيّته A
(٩) الشفاء، الإلهيّات: ٣٤٤
(١٠) المحتاج: + إلى الشيء P
(١١) ممكن: + لذاته P
(١٢) نفس: + تلك P
(١٣) والثاني يستلزم ... خلف: _ A
(١٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٤٩/٣ _ ٢٥٠

[برهان السهرورديّ]

[١]< واستخرج الشيخ الإلهيّ[٢] طريقة[٣] لطيفة في أنّ الوجود الواجبيّ لا يجوز أن يفصّله الذهن إلى ماهيّة ووجود، ويجوز ذلك في الماهيّة[٤] الممكنة، فماهيّة الواجب في العقل ليس إلّا الوجود الخارجيّ الخاصّ المشخّص.

وبرهانه أنّ الواجب[٥] في العقل[٦] لو جاز أن ينقسم ذهناً[٧] إلى ماهيّة ووجود، لوجب أن يكون له ماهيّة كلّيّة. والماهيّة الكلّيّة لا تمتنع[٨] لذاتها أن يكون لها جزئيّات كثيرة غير متناهية. فتلك الجزئيّات[٩] لا يجب وجود شيء منها[١٠] لنفس الماهيّة الكلّيّة؛ لأنّ نسبة جميع الجزئيّات إليها نسبة واحدة[١١]، فلا يجب وجود[١٢] بعض منها دون بعض؛ لأنّه ترجيح بلا[١٣] مرجّح. وإذا لم يجب وجود[١٤] شيء منها[١٥] لنفس[١٦] ماهيّته، يلزم أن لا يكون الواجب لذاته واجباً لنفس ماهيّته، وذلك محال.

[تقرير آخر لهذا البرهان]

وقرّره بوجهٍ آخر، فهو أن يُقال[١٧]: إنّ الذي فصّل الذهنُ وجودَه عن ماهيّته، لا يخلو

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٢) الشيخ الإلهيّ: الشيء A؛ التلويحات: ٢٠٤
(٣) طريقة: + حسنة P
(٤) الماهيّة: ـ A
(٥) الواجب: + لذاته P
(٦) العقل: + ليس إلّا الوجود الخاصّ المشخّص A
(٧) ذهناً: في الذهن P
(٨) تمتنع: يمتنع A
(٩) A105a
(١٠) منها: هاهنا A
(١١) واحدة: + على السواء P
(١٢) وجود: ـ A
(١٣) بلا: من غير P
(١٤) وجود: ـ A
(١٥) منها: من جزئيّات الماهيّة الواجب لذاتها P
(١٦) لنفس: النفس A
(١٧) فهو أن يُقال: ـ A

ذلك الماهيّة إمّا أن تكون[١] ممتنعة أو ممكنة أو واجبة.

فـإن كانت ممتنعة الوجود لذاتها وجب أن يمتنع وجود كلّ[٢] شـــيء من جزئيّاتها. وإن فرِض وجود بعضـــها فلا يمتنع وجود الباقي ممّا[٣] لم يقع من الجزئيّات المعقولة لذلك الكلّيّ[٤] لنفس ماهيّتها، وإلّا لَما أمكن وجود[٥] البعض المســاوي لها في تمام الماهيّة. فإذا امتنع بعض الجزئيّات لماهيّته وجب امتناع الباقي منها، فلا يمكن وجود شيء من تلك الجزئيّات، وقد فرض وقوع شيء منها. وحينئذٍ يجب أن يكون الجزئيّات التي لم تقع ممكنةً بحسب ماهيّاتها.

وإذا[٦] كـان الواقع من جزئيّـات ذلـك الكلّيّ واجبَ الوجود، وكان له ماهيّة مغايرة للوجود، فيمكننـا أن نـأخذ تلك الماهيّة كلّيّة. ويمكن أن يوجد لها جزئيّ آخر لذاتها؛ فإنّه لو لم يمكن وجود ذلك الجزئيّ[٧] لكان إمّا ممتنعاً أو واجباً.

لا جـائـز أن يـكون[٨] ممتنعـاً، وإلّا لَمـا أمكن وجود شـــيء من[٩] الجزئيّـات المشـــاركة[١٠] له في[١١] الماهيّة. فلا يمكن وجود الجزئيّ الواجب لذاته، وقد فرضـــناه واقعاً، هذا خلف. فذلك الجزئيّ غير ممتنع.

وذلك الجزئيّ لا يصـــحّ أن يكون واجباً؛ فإنّ جزئيّات الماهيّة الكلّيّة الغير الواقعة تكون ممكنة بحسب ذاتها، وإلّا لكانت إمّا واجبة أو ممتنعة[١٢]. ولا يصحّ أن تكون[١٣]

---

(١) تكون: يكون A
(٢) كلّ: ـ P
(٣) ممّا: ما A
(٤) الكلّيّ: الكلّ A
(٥) وجود: + ذلك P
(٦) وإذا: فإذا P
(٧) فإنّه لو ... الجزئيّ: ـ A
(٨) يكون: + وجوده P
(٩) من: + تلك P
(١٠) المشاركة: المشارك A
(١١) في: + تمام P
(١٢) فإنّ جزئيّات ... ممتنعة: لما تقدّم A
(١٣) تكون: يكون A

واجبةً لذاتها، وإلّا لوجب وقوعها بالكلّيّة. ولا جائز أن تكون[١] ممتنعةً بذاتها، وإلّا لَما وقع ما شاركها في تمام الماهيّة. فعُلم أنّ كلّ كلّيّ كان بعض جزئيّاته موجوداً كان ذلك الكلّيّ وكلّ واحد من جزئيّاته ـ سواء كانت واقعة أو غير واقعة ـ ممكنةً. وإذا صار بعض جزئيّات[٢] الماهيّة الكلّيّة ممكناً، فيلزم[٣] أن يصير الواجب لذاته ممكناً لذاته، هذا خلف.

[اختلاف مراتب الوجود في الكمال والنقص]

فقد صحّ من هذا أنّ الواجب لذاته يستحيل أن يكون له ماهيّة وراء الوجود، فلا يمكن أن يفصّلها[٤] الذهنُ إلى ماهيّة ووجود. فواجب الوجود هو الوجود[٥] المحض المجرّد الغير المضاف إلى ماهيّة. بل هو الوجود الصرف الذي لا يشوبه شيء من خصوص وعموم، وما عداه فمنه وجوده[٦]، سواء كان بواسطة أو بغير واسطة. وكلّما تكثّرت مراتب الموجودات بالنزول ضعُف وجودُها، كالشمس التي[٧] يحصل منها في ما يقابلها نور قويّ، ثمّ يضعف بعد ذلك بحسب تكثّر مراتب العكوس، حتّى ينتهي[٨] إلى مرتبة ليس فيها شيء من النور أصلاً. كما انتهت مراتب الوجود النازل من الواجب إلى مرتبة لا يمكن أن يحصل منها شيء من الوجود.

فالوجود الواجبيّ لغاية كماله وشدّة نوريّته وقوّة لمعانه يمتاز عن باقي الموجودات الممكنة بالكمال والنقص. فالكمال في ذاته، والنقصان في غيره. فوجوده لكماله يستغني عن ماهيّة يقوم بها. والماهيّات الممكنة لنقصها لا يستغني وجودها عن ماهيّة يقوم[٩] بها. ولأنّ الوجود الواجبيّ لشدّة كماله كان عين ذاته، امتنع أن يكون أمراً

---

(١) جائز أن تكون: ـ A
(٢) موجوداً كان ... جزئيّات: ـ A
(٣) فيلزم: يلزم P
(٤) A105b
(٥) هو الوجود: ـ A
(٦) فمنه وجوده: فيه A
(٧) التي: الذي A
(٨) ينتهي: تنتهي A
(٩) يقوم: تقدّم A

اعتباريّاً. والماهيّات الممكنة لنقصها وضعفها كان وجودها أمراً اعتباريّاً[١] لا وجود له في الأعيان. فلذلك كان الوجود الواجبيّ كلّ الوجود، بخلاف الماهيّات الممكنة التي يفصّلها العقل إلى ماهيّة ووجود. فلا تكون[٢] كلّ الوجود، بل هي غير الوجود. والوجود الذي يُضاف إليها ليس هو نفسَ ذاتها كما كان في الواجب، ولا هو داخل فيها، بل هو أمر عارض لها بحسب اعتبار الذهن[٣]. فليس الوجود الكامل إلّا هو ـ عزّ شأنه وتقدّست أسماؤه ـ، وسائر الموجودات الممكنة الموجودة[٤] عن فيضان وجوده وكماله ناقصةٌ في مرتبة الوجود.

[نفي الجزئيّات العقليّة عن واجب الوجود]

إن قلتَ: إنّ الوجود الذي هو ذات الواجب كلّيّ، فله[٥] جزئيّات عقليّة غير متناهية. ولا يجوز أن يكون بعض جزئيّاته الواقعة واجبة[٦]، وإلّا لَأمكنت الجزئيّات التي لم تقع. ولزم أن يكون الواجب لذاته[٧] الواقع ممكناً لذاته؛ لكونه[٨] مشاركاً للجزئيّات الغير الواقعة[٩] في تمام الماهيّة، فالمحذور اللازم في الماهيّة لازم في نفس الوجود.

قلتُ: الفرق بين الماهيّة والوجود حاصل؛ فإنّ الوجود الواجب لمّا لم يكن[١٠] أتمّ منه ولا أكمل، ولذلك لم يكن عارضاً لشيء من الماهيّات، بل كان ذلك الوجود المجرّد نفس ذات واجب الوجود[١١] لذاته، لم يمكن أن يكون له في الذهن جزئيّات؛

---

(١) والماهيّات الممكنة ... اعتباريّاً: ـ A
(٢) تكون: يكون A
(٣) الذهن: الذهنيّ A
(٤) الموجودة: ـ A
(٥) فله: فلا بدّ له من P
(٦) واجبة: واجب A
(٧) لذاته: ـ A
(٨) لكونه: لكون الواجب الواقع P
(٩) A106a
(١٠) يكن: يمكن A
(١١) واجب الوجود: الواجب P

فإنّه ليس سبب تكثّر جزئيّات الماهيّة إلّا انضمام[١] أعراض توجب التكثّر[٢]، أو لكونها مختلفة بالكمال والنقص. وليس في الوجود الواجب ـالذي هو نفس الماهيّةـ شيء من هذين الأمرين؛ لكون ذلك الوجود المقدّس [وجوداً صرفاً][٣] لا يخالط شيئاً من الماهيّات، ولا ينضمّ إليه مميّز ـذاتيّاً [كان][٤] أو عرضيّاًـ يوجب تكثّر الجزئيّات.

وليس في الموجودات ما هو أتمّ منه ولا أكمل، ليمكن امتياز أحدهما عن الآخر بالكمال والنقص، وإن كان امتيازه عن جميع ما عداه من الممكنات بالكمال والنقص؛ فإنّ الوجود الواجب لمّا كان نفس الذات كان في أعلى مراتب الكماليّة[٥] ونهاية درجات الأتمّيّة، وما عداه من سائر الممكنات فوجودها[٦] بالنسبة إلى وجوده[٧] في غاية النقص ونهاية الضعف؛ لكونها وجوداً ممكناً لا واجباً، فلا بدّ وأن يكون مضافاً إلى الغير ومخالطاً له.

فالوجود الواجب لا يُتصوّر بوجهٍ من الوجوه أن يكون له جزئيّ آخر من نوعه. ولو فرضنا وقوع هذا الجزئيّ ذهناً[٨] المستحيل وقوعه عيناً، فإنّا إذا[٩] نظرنا إلى ذلك الجزئيّ لم نجده مغايراً للأوّل، بل إذا حقّقنا النظر إليه كان هو الأوّل بعينه، من غير أن يكون بينهما تفاوت أصلاً؛ لعدم إمكان الامتياز في صِرف الوجود الواجب الذي لا يُتصوّر أن يكون أتمّ منه ولا أكمل. وكذلك لا يمكن الاختلاف بالشدّة والضعف في صِرف كلّ شيء من حيث الصِرفيّة للعلّة المذكورة.

---

(١) انضمام: بانضمام A
(٢) التكثّر: التكثير A
(٣) وجوداً صرفاً: وجود صرف AP
(٤) كان: ـ AP
(٥) الكماليّة: الكمال A
(٦) فوجودها: فوجوداتها P
(٧) وجوده: وجود A
(٨) ذهناً: ـ A
(٩) فإنّا إذا: فإذا P

وأمّا الماهيّة المعروضة للوجود في الذهن فإنّه يُتصوّر[١] أن يكون لها جزئيّات؛ لأنّها[٢] بسبب قبولها للعرضيّ الذي هو الوجود وكونِها غير مانعة من الشركة، يجب وقوعها تحت مقولة من المقولات الخمس. وكلّ واحد من تلك المقولات فلها جزئيّات معلومة بالمشاهدة[٣] أو الاستدلال[٤]. وجميعها يقبل الأشدّيّة والأضعفيّة، فلا بدّ أن تكون[٥] مخالطة لغيرها كما في المقولات العرضيّة، ومفتقرة إلى غيرها من المخصّصات كما في مقولة الجوهر.

فالمقولات[٦] وما هو داخل فيها لا بدّ لها[٧] من كثرة، بخلاف الوجود الغير المخالط[٨] بشيء من الماهيّات؛ فإنّه لِكماله وتمامه لا يُتصوّر فيه تكثّر، فلا[٩] يمكن أن يكون له جزئيّ من نوعه، لا ذهناً ولا عيناً، فلا يكون في الوجود واجبان.

فواجب الوجود هو الوجود المحض المجرّد، ووجوبه كماليّة وجوده، وليس له معنىً آخر مغاير للوجود[١٠] المحض. ولو كان كذلك للزم أن يكون متكثّراً[١١] أو مركّباً، وقد بيّنّا امتناع ذلك. فالوجود[١٢] المجرّد الذي هو عين ذاته بسيطٌ واحدٌ لا يُتصوّر فيه تركيب بوجهٍ من الوجوه.

[مذهب السهرورديّ في استحالة كون واجب الوجود نفس الوجود]

وذكر الشيخ[١٣] أيضاً في كتاب المقاومات[١٤] دقيقة، وهي من النفائس، وهي أنّه

---

(١) A106b

(٢) لأنّها: لا نهاية لها A

(٣) بالمشاهدة: بالشهادة Ac

(٤) الاستدلال: بالاستدلال P

(٥) تكون: يكون A

(٦) فالمقولات: _ A

(٧) لها: فيها P

(٨) المخالط: المخالطة A

(٩) فلا: ولا P

(١٠) للوجود: الوجود A

(١١) متكثّراً: مكثّراً A

(١٢) فالوجود: فالموجود A

(١٣) الشيخ: + الإلهيّ P

(١٤) المقاومات: ١٨٧

لمّا قام البرهان على كون الوجود أمراً اعتباريّاً، فلا يمكن أن يُقال: «إنّ الواجب الوجود هو نفس الوجود»؛ فإنّه اعتباريّ، وكيف يُتصوّر أن يكون ذات الذوات وأصل الوجود أمراً اعتباريّاً؟

ثمّ قال: إنّ مرادنا بالوجود هو الموجود عند نفسه، وهو الحيّ؛ فإنّ كون الشيء موجوداً عند نفسه إنّما هو بسبب الحياة؛ فإنّ الموجود عند النفس إنّما هو خاصّيّة الحيّ[1]؛ فإنّ غير الحيّ لا يمكن أن يوجد عنه[2] شيء لا نفسه ولا غيره، ولو لا الحيّ ما تحقّق مفهوم الوجود نفسه، ومفهوم الحياة غير مفهوم الوجود الذي هو اعتباريّ. فيجب أن يكون جوهر المدرِك هو الحياة، لا غير؛ فإنّ ما وراء الحيّ يمكن أن يغفل عنه مع إدراك الأنانيّة. فامتنع من هذه الجهة أن يكون الوجود ماهيّة عينيّة[3]. ولو كان الواجب لذاته هو نفس الوجود، فنحن نفهم ما عين ماهيّة الوجود، ونشكّ في أنّه هل يتحقّق له وجود[4] في الأعيان أم لا. فيلزم أن يكون له وجود زائد، ولذلك الوجود وجود، وهو[5] محال.

[عدم لزوم وقوع الواجب لذاته تحت مقولة الجوهر من هذا الرأي]

لا يُقال: إنّ الواجب لذاته إذا كان له[6] مفهوم غير الوجود يكون واقعاً تحت مقولة الجوهر، ويلزم أن يكون له جزئيّات تقتضي[7] إمكانه.

لأنّا نقول: إنّ الجوهريّة معناها كماليّة قوام الماهيّة، وهي اعتباريّة أيضاً. والشركة[8]

---

(١) فإنّ كون ... الحيّ: ـ A

(٢) عنه: عنده P

(٣) ماهيّة عينيّة: عينه A || A107a

(٤) يتحقّق له وجود: له تحقّق وجود P

(٥) لذلك الوجود وجود وهو: كذلك للوجود وجود إلى غير النهاية وذلك P

(٦) له: + ~~وجود~~ A

(٧) تقتضي: يقتضي A

(٨) الشركة: الشرك A

في الأُمور الاعتبـاريّـة لا يخـلّ بمفهوم الوحـدة؛ فإنّ الشـركة[١] في أمثال هذه الأُمور ضروريّة.

ولمّا كان سـلب الجماديّة لازماً للحيوانيّة، لا نفس مفهومها، فكذلك يكون سـلب المـادّة لازمـاً للحيّ المدرِك[٢] لذاته، لا نفس مفهومه. فالحيّ المدرِك[٣] هو الظاهر[٤] لنفسـه، وهو النوريّة المجرّدة المقدّسـة، ثمّ يلزمها سـلب القيام بالغير، بخلاف نوريّة الأجسام؛ فإنّها غير ظاهرة لنفسها[٥]، بل لغيرها.

والنور[٦] القائم بالأجسام[٧] مثال للنور[٨] القائم بذاته وظلّ له، الضعيف للضعيف، والقويّ للقويّ.

والنور الشـمسيّ القاهر للأبصار والأنوار لمّا كان أشدّ الأنوار الجرميّة وأقواها، فهو مثـال للنور[٩] الأعلى الواجبيّ القـاهر لجميع[١٠] الأنوار العقليّـة وظـلّ له. فافهَم؛ فإنّه السرّ الدقيق والعلم المخزون. >[١١]



(١) الشركة: الشرك A
(٢) المدرك: المذكور A
(٣) المدرك: المذكور A
(٤) الظاهر: الطاهر A
(٥) ظاهرة لنفسها: طاهرة بنفسها A
(٦) والنور: فالنور A
(٧) بالأجسام: في الأجسام P
(٨) للنور: النور A
(٩) للنور: النور A
(١٠) لجميع: بجميع A
(١١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٥١/٣ _ ٢٥٩

[عدم دلالة اسم عليه بالمطابقة]

فإذا تقرّر هذا، **فهو** -أي الوجود- **بسيط، لا تركيب فيه بوجهٍ من الوجوه. فلا اسمَ له عندنا يليق بكماله وبساطته، وإن كانت له أسماء كثيرة باعتبار يليق بعقولنا ورَوَت بها الشرائع الإلهيّة.**

(١)< والمقصود أنّه لا يصحّ أن يكون للحقّ تعالى اسم(٢) يدلّ عليه بالمطابقة، بحيث لا يُفهم منه معنىً(٣) آخر.

[الوجه الأوّل]

أمّا أوّلاً، فلأنّ(٤) الحقّ من حيث ذاته وتجرّده عن سائر التعلّقات لا يقتضي أمراً، ولا يناسبه شيء، ولا يتقيّد(٥) بحكم ولا اعتبار، ولا(٦) يتعلّق به(٧) معرفة، ولا ينضبط بوجهٍ. فكلّ(٨) ما سمّي أو تُعقّل فبواسطة(٩) اعتبار أو اسم، فيلزم أن يتقيّد بوجهٍ وينضبط وينحصر. وهو(١٠) من حيث إطلاقه وتجرّده وغناه الذاتيّ لا يصحّ(١١) عليه(١٢) ذلك(١٣)، بل(١٤) ولا يصحّ عليه حكم إيجابيّ أو سلبيّ أو ما يجمعهما(١٥)، بل لا لسان لهذا المقام ولا حكم عليه(١٦).

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٢) تعالى اسم: اسم علَم P
(٣) معنى: - A
(٤) فلأنّ: فإنّ P
(٥) يتقيّد: مقيّد A
(٦) ولا: فلا A
(٧) به: - A
(٨) فكلّ: وكلّ P
(٩) فبواسطة: بواسطة P
(١٠) هو: الحقّ P
(١١) يصحّ: يجوز P
(١٢) A107b
(١٣) ذلك: شيء ممّا ذكرنا P
(١٤) بل: - P
(١٥) ما يجمعهما: جمع بينهما P
(١٦) عليه: - A

[الوجه الثاني]

وأمّا ثانياً، فلأنّ إدراك حقائق أشياء من حيث بساطتها ووحدتها متعذّر؛ لأنّ الواحد والبسيط لا يدركه إلّا واحد وبسيط، ويتعذّر إدراكنا شيئاً[١] من حيث أحديّتنا؛ لِتوقّف إدراكنا على الوسائط والآلات. ولا كلام[٢] في أحديّة الحقّ وتجرّده، من حيث ذاته وعدم تعلّقه بشيء، تجرّداً يعلو على كلّ تجرّد وبساطة.

فإذا عجزنا عن إدراك حقائق الأشياء في مقام تجرّدها ـ والمناسبة ثابتة بيننا وبينها مع عدم خلوّها عن مطلق[٣] التعلّق والقيود ـ فلأن نعجز[٤] عن إدراك حقيقته وتسميتنا لها باسمٍ يدلّ عليها بالمطابقة دون استلزام شيء زائد على الحقيقة، أظهر في الاستحالة ضرورةً.

[عدم جواز عثورنا باسمٍ يدلّ عليه بالمطابقة]

فإن قلتَ[٥]: هَب أنّا لا نقدر على ذلك، فلمَ لا يجوز أن يسمّي نفسه تعالى باسمٍ يدلّ عليه مطابقةً[٦]، ثمّ يعرِّفنا ذلك[٧].

[الوجه الأوّل]

قلتُ[٨]: هذا النوع لم نجِدهُ في أسمائه الواردة على لسان الشرع، ولا نقِل إلينا عن أحد من الرسُل. ولو أمكن حصوله لأحدٍ لكان الأولى به نبيّنا محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ صاحب الجمعيّة التامّة، لكنّه لم يحصل له ذلك؛ لقوله: «اللّهمّ إنّي أسألك بكلّ[٩] اسم هو لك، سمّيتَ به نفسك، أو أنزلتَه في شيء مِن كتُبك، أو

---

(١) إدراكنا شيئاً: إدراكها بشيء A
(٢) كلام: خلاف P
(٣) مطلق: ـ P
(٤) نعجز: يعجز A
(٥) قلت: قيل P
(٦) عليه مطابقة: على ذاته بالمطابقة P
(٧) ذلك: بذلك P
(٨) قلت: فنقول P
(٩) بكلّ: لكلّ A

استأثرتَ به في علم الغيب عندك»[١]. فلو ظفر بالاسم المذكور لَما توسّل بغيره؛ لأنّ مثل هذا يكون أجلّ[٢] الأسماء وأشرفها وأكملها.

[الوجه الثاني]

وأيضاً لو كان كذلك، لَكان لا بدّ من واسطة في وصوله إلينا ضرورةً. والواصل إلينا بالواسطة لا يبقى[٣] على ما كان عليه؛ لأنّه لا يصحّ إدراكنا له[٤] بحسبه، بل بحسبنا. فيصل إليه وتغيَّر[٥] من جهة القابل[٦]، فلا يبقى على تجرّده، مع أنّ تقيُّده[٧] بالصفة الخطابيّة مُخرجاً له عمّا كان عليه من التجريد والإطلاق. وكيف؟ والأمر لا ينفكّ عن أحكام القيود. ومع ذلك[٨] فلا مطابقة؛ إذ المقيّد بالاعتبارات والقيود لا يطابق المطلقَ التامَّ الإطلاقِ والتجريدِ العاري عن كلّ نعتٍ وصفةٍ وحكمٍ وقيدٍ واعتبارٍ وغير ذلك[٩]. مع أنّ إدراكه من جهة التجلّي والشهود ـ إن ادّعاه مدّعٍ ـ كذّبه الذوق الصحيح السليم؛ فإنّ مشاهدة الحقّ يقتضي الفناء، ومعه لا يبقى مشاهدة ليضبط لها إدراك[١٠]. مع أنّ تجلّيه الغيبيّ الذي يقبله المتجلّى له، إنّما قبِله بواسطة ما استعدّ به من قبول ما يبدو له من التجلّيات بعد توسّط المظاهر الصفاتيّة والأسمائيّة، ومن هذا قيل: «ما يعرف اللّهَ إلّا اللّهُ»[١١].

---

(١) مصباح المتهجّد: ٥٠٩/٢
(٢) أجلّ: أهل A
(٣) يبقى: تبقى A
(٤) له: به A
(٥) تغيّر: يعتبر A
(٦) القابل: القائل A
(٧) تقيّده: يقيّده A
(٨) A108a
(٩) عن كلّ ... ذلك: ـ A
(١٠) مشاهدة ليضبط لها إدراك: للمشاهد فضلة يضبط معها ما أدرك P
(١١) منسوب إلى أبي عبد اللّه الكتانيّ، وأبي العبّاس الأشقر، والضرير السلاويّ، وأبي سعيد الخرّاز، وأبي حامد الغزاليّ، كما في: الفتوحات المكّيّة: ١٦٠/١

وبالجملة فنحن مقيّدون باستعداداتنا ومراتبنا وأحوالنا، فلا نقبل[١] إلّا مقيّداً مثلنا وبحسبنا ـكما مرّـ. فجميع التجلّيات الواردة علينا ـذاتيّة كانت أو أسمائيّة أو صفاتيّةـ لا تخلو عن أحكام القيود.

[الوجه الثالث]

ومن طريق آخر: إنّ وضع الاسم للإشارة[٢] إلى المسمّى، وقد ثبت أنّ أحداً لا يعرف ذات الحقّ البتّة، فلا يبقى لوضع[٣] اسم لتلك[٤] الحقيقة فائدة، فهذا[٥] النوع من الاسم مفقود.

[الوجه الرابع]

طريق آخر: الاسم إنّما يُحتاج إليه في ما[٦] يدرَك بالحسّ، ويُتصوّر بالوهم، وينضبط بالعقل[٧]، حتّى يمتاز به[٨] ذاته المخصوصة. وهو تعالى[٩] منزّه عن إدراك الحواسّ وتصوّر الأوهام والانضباط بإدراك العقول، فيمتنع وضع اسم له. نعم! قد وضع الشارع له أسماءً متعدّدة لا [تُخالف][١٠] مقتضى العقول السليمة والأذواق التامّة. ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها﴾[١١]، كالخالق، والرازق، والبارئ، والمحسن، ونحو ذلك. ومَجمَعها هو الاسم الجامع لجميعها، وهو لفظ «اللّه».

فجميع أسماء الحقّ تعالى يُنسب إليه، ولا يُنسب هو إلى شيء منها. ويدلّ عليه

---

(١) نقبل: يقبل A
(٢) إنّ وضع الاسم للإشارة: المراد من وضع الاسم الإشارة بذكره P
(٣) لوضع: في وضع P
(٤) لتلك: تلك A
(٥) فهذا: فثبت أنّ هذا P
(٦) ما: الشيء الذي P
(٧) بالعقل: في العقل P
(٨) به: بذلك الاسم الموضوع P
(٩) هو تعالى: الحقّ سبحانه P
(١٠) تخالف: يخالف A
(١١) القرآن الكريم: ١٨٠/٧

الآية المتقدّمة؛ فإنّه نسب فيها جميع أسمائه إليه، تنبيهاً على جامعيّته وجلالته.

[عدم جواز تسمية أحد باسم «اللّه»]

ولهذا لا يصحّ أن يسمّى أحد بهذا الاسم. والسرّ فيه أنّه لمّا لم يصحّ[١] استناد العالم إلى الحقّ من حيث ذاته، بل من حيث معقوليّة نسبة أحديّة هي كونه[٢] إلهاً، وتعقُّل[٣] الحقّ من حيث كونه إلهاً[٤] اعتبار زائد على ذاته، وتعلّق العالم بالحقّ والحقّ بالعالم إنّما يصحّ بهذه النسبة، فلا جرمَ صار مرجع سائر الأسماء والمراتب والنسب إلى هذه النسبة الواحدة الجامعة لسائر النسب، فهي[٥] أصل كلّ حُكمٍ واسمٍ. فافهَم ـأرشدك اللّهـ، فهو من الأسرار الكبار. >[٦]



(١) يصحّ: + هذه النسبة A
(٢) أحديّة هي كونه: ـ P
(٣) تعقّل: يعقل A
(٤) A108b
(٥) فهي: فإنّها P
(٦) إعجاز البيان: ١٤٧ ـ ١٥٥

[الفصل السادس: في وحدانيّة واجب الوجود]

[إثبات وحدانيّته تعالى]

وهاهنا **إيقاظ** إلى بحث، ربّما تعقله ممّا سبق في هذه المباحث، أُشيرُ إليه زيادةً في الإيضاح وتنبيهاً على المراد.

اعلَم **أنّك إذا نظرتَ في نفس الوجود، وأنّه لا يمكن للعقل [فصلُه]**(١) **إلى ماهيّة ووجود، وأنّه لا جزئيّات له ذهنيّة ولا خارجيّة، ولا كثرة فيه بوجهٍ من الوجوه، تيقّنتَ** من ذلك و[بسبب](٢) معرفتك به **أنّه** ـأعنى الوجودـ **واحد** بالوحدة الحقيقيّة المحضة المطلقة، لا بوحدة قائمة به، هي وصف من أوصافه. **وأنّه ليس في الوجود واجبا وجودٍ، و[استغنيتَ]**(٣) بما اطّلعتَ عليه **عن تطويلات القوم.**

وإن شئتَ أن تستدلّ على هداية المطلوب بوجهٍ آخر، **قلتَ: لو كان هناك واجبا وجودٍ، لَاحتاجا إلى الفارق غير الذي به الاشتراك، فلا وجوب.**

[طريقة الإشراقيّين]

(٤)< قد علمتَ ـفي ما سبق في بحث الوجودـ أنّ العقل لا يمكن أن يفصّله إلى ماهيّة ووجود، ولا يمكن أن يكون(٥) له جزئيّات ذهنيّة ولا خارجيّة، ولا كثرة بوجهٍ من الوجوه. فثبت بذلك كون واجب الوجود واحداً(٦)، وأنّه ليس في الوجود واجبان، وهي طريقة حسنة من خواصّ أهل الإشراق والذوق(٧).

---

(١) فصله: فضله A

(٢) بسبب: سبب A

(٣) استغنيت: استغنيته A

(٤) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٥) يكون: ـ A

(٦) واحداً: واحد A

(٧) أهل الإشراق والذوق: صاحب الإشراق P

[طريقة المشّائين]

والطريقة الأُخرى المذكورة هي المشهورة، وهي طريقة المشّائين، وهو أنّه لو كان في الوجود واجبان لزم أن يكون كلّ واحد منهما نفسَ الوجود المجرّد ـكما قلناه(١)ـ. فالواجبان اللذان كلّ واحد منهما نفسُ الوجود، إمّا أن يشتركا في(٢) جميع الوجوه، وهو محال؛ لامتناع(٣) الاثنينيّة من غير مميّز. فلا بدّ أن يتميّزا، وليس الامتياز بينهما من جميع الوجوه؛ لاشتراكهما في الوجود المجرّد الواجبيّ. فإذا اشتركا فيه(٤) فيجب الامتياز بينهما(٥) بما وراءه(٦)، فيكون المميّز لا مَحالة عرضيّاً للوجود المجرّد الذي هو تمام ماهيّتهما(٧).

وقد عرفتَ أنّ الاختلاف بين المشاركات إن كان بالعدد، فالامتياز بينهما بالأعراض؛ وإن كان(٨) بالحقائق(٩)، فالامتياز بالفصول. ولمّا كان الاشتراك هنا(١٠) في الوجود المجرّد الواجبيّ، كان الامتياز بينهما بالعرضيّ المفارق. وهذا العرضيّ المفارق(١١) المميّز لافتقاره إلى ما يقوم به(١٢) يستحيل(١٣) أن يكون واجباً، فيكون بالضرورة ممكناً. وما به الاشتراك ـالذي هو الوجود المجرّد الذي هو تمام ماهيّة كلّ واحد منهماـ لافتقار كلّ واحد منهما إلى مميّز عرضيّ يكون ممكناً، فيلزم أنّ الواجب لذاته ممكناً لذاته، هذا خلف. فواجب الوجود المقدّس واحد. >(١٤)



---

(١) قلناه: قرّرناه في ما سلف P
(٢) في: من P
(٣) لامتناع: + حصول P
(٤) فيه: في وجوب الوجود المجرّد P
(٥) A109a
(٦) وراءه: وراء ذلك P
(٧) ماهيّتهما: ماهيّة الواجب P
(٨) كان: + الاختلاف بينها P
(٩) بالحقائق: بحقائق A
(١٠) هنا: هاهنا P
(١١) المفارق: ـ P
(١٢) به: ـ A
(١٣) يستحيل: يمتنع P
(١٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٦١/٣ ـ ٢٦٢

[الفصل السابع: في إثبات واجب الوجود وبعض أحكامه]

[إثبات الموجِد للممكنات]

إشــارةٌ إلى تتميم ما هو المقصــود، وبيانٌ لِما هو عليه في الوجود، وقدّم له مقدّمة موطئـة لِمـا هو المراد فيها، هي أنّه **لمّا تعدّدت الأجســام وهيئاتها،** وهي أعراضـــها وصفاتها القائمة بها، **و[اتّحد]**[١] **الواجب** تعالى، بما بيّنّا في ما سلف من إثبات وحدة الوجود الواجبيّ المجرّد، **اتّفقت كلّها** ـ أي كلّ الأجسام وهيئاتها ـ **بالإمكان ضرورةً، فاحتاجت حينئذٍ إلى المرجّح** المقتضـي لترجيح الوجود على العدم، المتساويين لها بالنسبة إلى ذاتها الممكنة، **وذلك** المرجّح **هو الواجب.**

[توقّف هذا الدليل على إثبات وحدة الواجب]

واعلَم أنّ هذا الدليل يتوقّف على [إثبات][٢] وحدة الواجب، وقد سلف بيانه.

[الوجه الأوّل]

[٣]< وإن شـــئتَ فقُل: لا يجوز أن يكون شـــيئان هما واجبا[٤] الوجود؛ فإنّهما إن اشـــتركا في وجوب الوجود، فلا بدّ من فارق بينهما، فيتوقّف وجود أحدهما أو كليهما عليه، وما يتوقّف على شـيء فهو ممكن. ولا يُتصـوّر أن يكون شيئان ليس بينهما فرق؛ فإنّهما حينئذٍ واحد[٥]. >[٦]

[الوجه الثاني]

وأيضاً فلو تعدّدا:

---

(١) اتّحد: اتّحدت A

(٢) إثبات: ثبوت A

(٣) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٤) واجبا: واجبي A

(٥) حيئنذٍ واحد: واحد حينئذٍ P

(٦) كلمة التصوّف: ١١٣ ـ ١١٤

ـ فإن علِم كلٌّ منهما [بحقيقة الآخر، فيكون كلّ واحد منهما][١] معلومَ الآخر، وما هو معلومه معلوله، هذا خلف.

ـ وإن لم يعلم كلٌّ منهما بحقيقة الآخر، لم يكونا إلهين؛ لعدم شمول [علمهما][٢].

ـ وإن علِم أحدهما دون الآخر، فهو الإله.

[إثبات الموجِد من طريق كثرة الأجسام ووحدة الواجب]

[٣]< إذا عرفتَ ذلك[٤] فالأجسام كثيرة، والهيئات كذلك. وواجب الوجود لا يُتصوّر إلّا واحداً ـكما عرفتَـ. فهي كلّها ممكنة، وجميع الممكنات يحتاج إلى المرجّح، وهو واجب الوجود ـسبحانهـ. وهذا طريق آخر في إثبات موجدٍ لهذه الممكنات. >[٥]

[٦]< وفي هذا دقيقة، وهي أنّ الممكن الوجود يحتاج إلى شيء آخر ضرورةً يجعله[٧] بالفعل موجوداً. وكلّ ما هو ممكن الوجود فهو دائماً[٨] باعتبار ذاته ممكن الوجود، إلّا أنّه يعرض له أن يجب وجوده بغيره، إمّا دائماً أو في وقت دون وقت. وهذا يجب أن يكون له مادّة تتقدّم[٩] وجوده بالزمان. والذي يجب أن يجب وجوده بغيره دائماً فهو أيضاً غير بسيط الحقيقة؛ لأنّ الذي له باعتبار ذاته غير الذي له من غيره، وهو حاصل الهويّة فيها جميعاً في الوجود. فلذلك لا شيء غير الواجب يعرى عن ملابسة[١٠] ما بالقوّة والإمكان باعتبار نفسه[١١]. فهو الفرد، وغيره زوج تركيبيّ. >[١٢]



---

(١) بحقيقة الآخر ... منهما : ـ A

(٢) علمهما: عملهما A

(٣) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٤) A109b

(٥) كلمة التصوّف: ١١٤

(٦) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٧) يجعله: لجعله Ps

(٨) دائماً: دائم A

(٩) تتقدّم: بتقدّم A

(١٠) ملابسة: ملابس A

(١١) نفسه: ـ A

(١٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٧٦/٣

[نفي التركّب عن الواجب لذاته]

(١)< **وحينئذٍ لا يتركّب** الواجب **من [جزئين]**(٢)**، وإلّا لَما كان واجباً؛** لأنّ وجوده حينئذٍ يتوقّف عليهما، فيكون ممكناً.

وأيضاً فالجزءان لا يُتصوّر أن يكونا واجبين؛ لِما قلنا إنّه لا واجبين، فيكون الإمكان لازماً، هذا خلف. >(٣)

[الوجه الأوّل]

(٤)< واعلَم أنّ كلّ ما له جزء فهو معلول، وكلّ معلولٍ ممكنٌ، ينتج من الأوّل: كلّ ما له جزء ممكن.

أمّا بيان الصغرى، فلأنّ كلّ ما له جزء مفتقر إلى جزئه؛ ضرورةَ افتقار الكلّ إلى كلّ واحد من أجزائه، والجزء غير الكلّ، وكلّ ما افتقر إلى غيره(٥) ممكنٌ معلولٌ، فكلّ ما له جزء معلول.

وأمّا الكبرى فظاهرة؛ لكون المعلول مفتقراً(٦) إلى العلّة الموجدة له.

فعُلم أنّ كلّ ما له جزء فهو ممكن.

فإذا ضممنا إلى هذه المقدّمة «ولا شيء من الممكن بواجب(٧)»، ينتج أيضاً من الأوّل: لا شيء ممّا له جزء بواجب الوجود. فيثبت أنّ الواجب(٨) الوجود لا جزء له،

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) جزئين: هو بين A

(٣) كلمة التصوّف: ١١٤

(٤) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٥) غيره: + فهو P

(٦) مفتقراً: مفتقر A

(٧) بواجب: + الوجود P

(٨) الواجب: واجب P

ولا تركيب فيه بوجهٍ من الوجوه، فهو بسيط واحد.

[الوجه الثاني]

وذكر فضلاء المشّائين[١] شيئاً آخر، هو أنّ واجب الوجود إذا كانت[٢] ماهيّته هي الوجود المجرّد، فلا يجوز أن يكون ذلك الوجود نوعاً تحته[٣] أكثر من شخص واحد؛ إذ لو كان كذلك، وجب اشتراك تلك الأشخاص في ذلك الوجود المجرّد التي هي الطبيعة النوعيّة. فتلك الطبيعة النوعيّة:

ـ إن كانت مقتضية لذاتها[٤] شخصاً معيّناً، وجب أن لا يوجد منها[٥] إلّا شخص واحد هو واجب الوجود، وقد فرضناه أكثر، هذا خلف.

ـ وإن كانت تلك الطبيعة غير مقتضية أن تكون[٦] شخصاً معيّناً، فتخصيص الطبيعة النوعيّة بكونها ذلك الشخص أو بهذا الشخص محتاج[٧] إلى مخصّص، والمحتاج إلى الغير ممكن، فالأشخاص الواقعة تحت الطبيعة النوعيّة[٨] التي فرضناها واجبة الوجود هي ممكنة[٩] الوجود، هذا خلف.

فثبت أنّ نوع واجب الوجود[١٠] لذاته ممتنع أن يكون إلّا شخصاً واحداً حسب[١١].

وهذا[١٢] مبنيّ على أنّ[١٣] ماهيّة الواجب هي الوجود المجرّد؛ فإنّا لو أخذنا وجوده زائداً على ماهيّته أو أخذناه أمراً اعتباريّاً، فلا يتمّ[١٤].

---

(١) المشّائين: المشّاؤون A
(٢) A110a
(٣) تحته: عنه A
(٤) لذاتها: + أن يكون P
(٥) منها: بينها A
(٦) تكون: يكون A
(٧) محتاج: يحتاج P
(٨) النوعيّة: + بكونها ذلك الشخص A
(٩) ممكنة: ممكناً A
(١٠) واجب الوجود: الواجب P
(١١) حسب: فحسب P
(١٢) هذا: + البرهان P
(١٣) مبنيّ على أنّ: إنّما يتمّ إذا كانت P
(١٤) فإنّا لو ... يتمّ: ـ A

وقد علمتَ أنّ واجب الوجود لا كثرة فيه بوجهٍ من الوجوه، فلا يصحّ إطلاق اسم النوع عليه إلّا على سبيل المجاز.

[سبب الحاجة إلى إقامة البرهان على الوحدانيّة]

فالكثرة في ذات واجب الوجود وإن كانت ممتنعة الوقوع، فإنّها أيضاً ممتنعة التصوّر. وإذا فرضنا له ثانياً، ثمّ حقّقنا النظر إليه، كان هو الأوّل بعينه من غير تفاوت بوجهٍ. وامتناع تصوّر الثاني في الماهيّة الواجبة إنّما هو بالنظر إليها من حيث هي هي. وأمّا إذا[1] تصوَّرنا الذات الواجبة وصفاته الإضافيّة والسلبيّة، جاز أن يُتصوّر[2] لها ثانياً. ولأجل ذلك احتاج الحكماء إلى إقامة البرهان على الوحدانيّة.

[نفي الجنس والفصل عن الواجب لذاته]

وإذا كان واجب الوجود لا جزء له ـ لا في الأعيان، ولا في الأذهان؛ لامتناع انفصاله في الذهن إلى أمرين ـ فهو غير داخل تحت جنسٍ[3]؛ لوجوب[4] تركّب[5] ما دخل تحته في الذهن من الجنس والفصل. فواجب الوجود لا جنس له، ولا فصل له.

[نفي الجسميّة عن الواجب لذاته]

[الوجه الأوّل]

وكذلك الواجب لذاته ليس بجسم؛ لأنّه[6] مع كونه مركّباً من الهيولى والصورة ينقسم إلى أجزاء[7] الكمّ وأجزاء الحدّ، وينقسم إلى الأنواع، كانقسام الجسم الكلّيّ

(١) إذا: ـ A
(٢) يتصوّر: نتصوّر P
(٣) جنس: الجنس P
(٤) لوجوب: الوجوب A
(٥) تركّب: + كلّ P
(٦) لأنّه: فإنّه P
(٧) A110b

إلى النـار والهواء والمـاء والأرض والسـمـاء والكواكـب، والأشـخاص كزيد وعمرو والشـمس والقمر وغير ذلـك. وقـد علمـتَ أنّ واجـب الوجود يمتنع(١) أن يكون لـه جزئيّات، لا خارجيّة ولا ذهنيّة.

[الوجه الثاني]

ولأنّ للجسـم ومـا قـام به من الأعراض مفتقر إلى الغير. أمّا الجسـم فإلى أجزائه ومخصّـصـاته، وأمّا(٢) الأعراض فإلى مَحالّها. وكلّ مفتقر إلى الغير ممكن، فالجسـم وأعراضـه ممكنة، فلا بدّ له من علّة، وإن كانت ممكنة عاد الكلام(٣)، فلا بدّ أن تنتهي إلى الواجب لذاته(٤) ـعلى ما مرّـ، فظهر أنّ الواجب لذاته لا جزء له بوجهٍ من الوجوه.

[استئناف القول في نفي الفصل عن الواجب لذاته]

ولمّـا كـان ممتازاً عن سـائر الموجودات بكمال ذاته وتمام ماهيّته، فلا يحتاج إلى فصل.

ولأنّ الفصل إنّما يحتاج إليه الشيء عند مشاركته لغيره(٥) في جنس. ولمّا لم يدخل تحـت جنسٍ فلا يشـارك غيره في الـدخول تحـت جنس، فلا يحتـاج إلى المميّز الفصليّ(٦).

على أنّ مـا ذكرنـاه ـمن أنّ العقـل لا يمكن أن يفصّـل الواجـب لـذاته إلى ماهيّة ووجود، وأنّه لا كثرة فيه أصلاًـ يستغنى به عن أمثال هذه الأشياء، إلّا أنّه لمّا كان مسألة إثبـات الواجب لذاته ومسـألة الوحدانيّة من أهمّ المباحث العقليّة والأنظار الحكميّة،

---

(١) يمتنع: ممتنع A
(٢) أمّا: لها A
(٣) الكلام: + إليها P
(٤) لذاته: بذاته A
(٥) مشاركته لغيره: مشاركة الغير له P
(٦) الفصليّ: الفصل A

أحببنا[١] التطويل [فيهما][٢] والإسهاب؛ لكثرة الفائدة[٣] وإزالة الشكوك والشُبَه، وليستقرّان[٤] في العقل على ما ينبغي. >[٥]

[نفي التعريف بالحدّ عن الواجب لذاته]

[٦]< فظهر أنّ الواجب لذاته لا جنس له، ولا فصل، ولا جزء له في الأعيان ولا في الأذهان، فلا تعريف له يقوم[٧] مقام الحدّ[٨]؛ إذ كلّ محدود مركّب.

[نفي الندّ عنه]

ولمّا لم يكن الواجب إلّا واحداً، فلا ندّ له؛ إذ الندّ هو المثل، ولا واجب لذاته غيره، وهو أتمّ الموجودات وأكملُها، فلا ندّ له.

[نفي الضدّ عنه]

وكذلك لا ضدّ له، لأنّه المتعاقبان على موضوع[٩]، والواجب لذاته لا موضوع له، فلا ضدّ له على اصطلاح الخاصّة.

ولا[١٠] على اصطلاح العامّة؛ لأنّ الضدّ عندهم هو المساوي في القوّة[١١] الممانعُ، وجميع ما في الوجود معلوله، منه مبدؤه، وإليه معاده، فلا ضدّ له أيضاً بهذا الاصطلاح[١٢].

---

(١) أحببنا: أجبنا A

(٢) فيهما: فيها A، _ P

(٣) لكثرة الفائدة: تكثيراً للفائدة A

(٤) ليستقرّان: ليستقرّ هاتان المسألتان P

(٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٢٦٥ _ ٢٦٨

(٦) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٧) يقوم: تقوم A

(٨) تعريف له ... الحدّ: حدّ له P

(٩) موضوع: + واحد وبينهما غاية الخلاف P

(١٠) لا: أمّا P

(١١) A111a

(١٢) بهذا الاصطلاح: على هذا الاصطلاح العامّيّ P

[نفي الإشارة الحسّيّة عنه]

ولمّا كان مبرّأً من[١] الأجرام والأبعاد المقتضية للجهة، فلا جهة له، فلا إشارة حسّيّة إليه، بل إنّما يشار إليه[٢] بصريح العقل والعرفان.

[كونه موجوداً لذاته وبذاته]

وواجب الوجود[٣] هو الوجود البحت، فلا ذات في نفسه موجودة إلّا هو؛ فإنّ الواجب لذاته موجود لذاته وبذاته.

أمّا بذاته فلأنّه لا سبب له[٤] كما للجواهر.

وأمّا لذاته فلأنّ وجوده ليس [لغيره][٥] كالأعراض التي ليست موجودة بذاتها؛ لاحتياجها إلى سبب آخر، ولا لذاتها؛ لاحتياجها إلى القيام بغيرها.

[نفي الهويّة المستقلّة عن جميع ما عداه]

فوجود[٦] جميع الممكنات ـ من الجواهر والأعراض ـ إنّما هو من غيرها، لا من ذاتها، مع افتقار الأعراض إلى القيام بالغير. فصحّ أنّه لا ذات[٧] في نفسه موجودة إلّا هو[٨]. فهو الوجود البحت الغير المخالط لغيره، وما عداه فليس له حقيقة ووجود من ذاته وفي نفسه[٩]، بل ذلك له من الواجب لذاته.

ولمّا كان جميع الموجودات الجوهريّة والعرضيّة وأجسامها وما قام بها[١٠] إنّما هي حاصلة من فيَضان نور ذاته ولمَعان[١١] شعاعه، وكان[١٢] نسبتها إليه كنسبة شعاع

---

(١) مبرّأً من: منزّهاً عن P
(٢) بل إنّما يشار إليه: ـ A
(٣) الوجود: + و A
(٤) له: ـ A
(٥) لغيره: غيره AP
(٦) فوجود: موجود A
(٧) ذات: + له A
(٨) موجودة إلّا هو: ـ A
(٩) فهو الوجود ... نفسه: ـ A
(١٠) بها: لها A
(١١) لمعان: + شعاع P
(١٢) وكان: فكان A

الشـمس وعكوسـها إلى نفس قرصـها، فلا ذات على الحقيقة إلّا هو[١]، ولا هو على الإطلاق إلّا هو، وليس لأحد من نفسه هويّة[٢] مستقلّة.

[اختصاص الوحدة المطلقة به من جميع الوجوه]

ولمّا كانت القسـمة التقديريّة والحدّيّة والوهميّة ممتنعة على الواجب لذاته، فهو[٣] الواحد المطلق من جميع الوجوه.

[أحقّ الأشياء باسم الحقيقة]

ولمّا كانت حقيقة كلّ شـيء إنّما هو عبارة عن خصـوصـيّة وجوده[٤] الثابت له، فلا أحقّ باسم الحقيقة ممّن يكون نفس وجوده خصوصيّته، وهو الواجب لذاته، فهو الحقّ الصرف المطلق.

وقد يطلقون اسـم «الحقّ» على ما يكون الاعتقاد بوجوده صـادقاً دائماً، ولا أحقّ بـذلـك ممّن يـدوم الاعتقاد بوجوده صـادقاً أبداً، وهو الواجب لذاته وبذاته، الذي هو وجود محض.

[الخير المحض]

وهو الخير المحض؛ فـإنّه قد يُراد بـ«الخير» النافع، ولا أنفع من الواجب لذاته؛ فإنّه الذي أبدع الماهيّات، وأفادها الكمالات التي تستحقّها[٥]، كما جاء في الوحي الإلهيّ: ﴿أَعْطى كُلَ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾[٦]. وهو الخير باعتبار أنّه معشوق يتشوّقه كلّ شيء، ومنه منبع وجوده، وإليه مرجع معاده.

---

(١) إلّا هو: _ P

(٢) هويّة: + و A

(٣) فهو: وهو A

(٤) وجوده: وجود A

(٥) A111b

(٦) القرآن الكريم: ٢٠/٥٠

[التمام وفوق التمام]

والواجب[١] لذاته الذي هو الخير المطلق وهو التمام[٢] وفوق التمام، لم يفضل[٣] من وجوده ما يليق أن يكون ذاتاً أُخرى.

[أجملُ الأشياء وأكملُها]

وهو أجمل الأشياء وأكملها؛ لأنّ كلّ كمال وجمال في الوجود فإنّه رشح وفيض وظلّ من كماله وجماله. فله الجمال الأبهى[٤] والكمال الأقصى والجلال الأرفع والنور الأقهر، تعالى وتقدّس عمّا يقول الجاهلون[٥].

[استحالة الإحاطة العلميّة بالحقّ الأوّل]

فهو محتجب بكمال نوريّته[٦] وشدّة ظهوره[٧]. والحكماء المتألّهون العارفون به[٨] يشاهدونه لا بالكُنه[٩]؛ لأنّ شدّة ظهوره[١٠] وقوّة لمعانه وضعف ذواتنا المجرّدة النوريّة يمنعنا[١١] عن مشاهدته بالكلّيّة، كما[١٢] منَع شدّةُ ظهور الشمس وقوّة نوريّتها أبصارَنا عن اكتناهها؛ لأنّ شدّة نوريّتها حجابها. فنحن نعرف الحقّ الأوّل ونشاهده، لكن لا نحيط به علماً، كما ورد في الوحي الإلهيّ: ﴿وَلا يُحيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[١٣].

وإثبات الوحدانيّة وإن كان من أهمّ المطالب وكذلك وجوب وجوده، إلّا أنّ العلم

---

(١) والواجب: فالواجب P
(٢) التمام: التامّ P
(٣) يفضل: يفصل A
(٤) الأبهى: الإلهيّ A
(٥) الجاهلون: + علوّاً كبيراً P
(٦) نوريّته: ربوبيّته A
(٧) ظهوره: طهوره A
(٨) به: ـ A
(٩) بالكنه: بالكلّيّة A
(١٠) ظهوره: طهوره A
(١١) يمنعنا: يمنعها A
(١٢) كما: ـ A
(١٣) القرآن الكريم: ١١٠/٢٠

بوجوده يشهد به[١] الفطرة الأصليّة، وهو ممّا يكاد يكفي فيه التنبيه حسب[٢]، كما هو دأب الأنبياء والرسُل والمتألّهين من قدماء الحكماء ـقدّس اللّه أرواحهم أجمعين ـ. >[٣]

[سبب حيرة الكلّ عن فهم حقيقته تعالى]

بحث شريف يتعلّق بحال أهل العرفان، وما يدّعى فيه، وأنّه لم يحصل[٤] في الحقيقة لأحد، بل الكلّ في الحيرة.

[٥]< اعلَم أنّ الوجود المحض من حيث هو [هو][٦] لا يكون مرئيّاً ولا متعيّناً ولا منضبطاً[٧]. وأعيان الممكنات ـسواء قيل فيها: إنّها عين الأسماء، أو حكِم بأنّها غيرها[٨]ـ فإنّها من حيث إنّها هي أعيان مجرّدة[٩] لا يتعلّق بها إدراك أصلاً، ولا تنضبط[١٠] إلّا من حيث التصوّر الذهنيّ. وتعيُّنها في الذهن عارض؛ إذ ليس هو نفس تعيُّنها الأوّل في علم الحقّ؛ فإنّ ذلك ثابت أزلاً وأبداً لثبوت[١١] الحقّ، وهذا التعيّن[١٢] عارض لذهن المتصوِّر. وغاية هذا التعيّن[١٣] أن[١٤] يُشبه ذلك من حيث المحاكاة، والمحاكاة إنّما تكون[١٥] بحسب تصوّر[١٦] المحاكي و[قوّه ذهنه، وليست][١٧] بحسب ما هي الحقائق المتصوَّرة في نفسها بالنسبة إلى تعيُّنها[١٨] في نفس الحقّ. فليس أحد

(١) يشهد به: تشهده A
(٢) حسب: فحسب P
(٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٢٧٠ ـ ٢٧٣
(٤) يحصل: + فيه A
(٥) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٦) هو: ـ AP
(٧) منضبطاً: مضبوطاً A
(٨) غيرها: غير A
(٩) مجرّدة: مجرّد A
(١٠) تنضبط: ينضبط A
(١١) لثبوت: ثبوت P
(١٢) التعيّن: التعيين A
(١٣) التعيّن: التعيين A
(١٤) A112a
(١٥) تكون: يكون A
(١٦) تصوّر: التصوّر A
(١٧) قوّة ذهنه وليست: قوّته وذهنه ليس AP
(١٨) تعيّنها: تعيينها A

من الخلق بمـدرِك لها من حيث هي كما هي، ولا للوجود[١] ولا لذات الحقّ من حيث إطلاقها عن أحكام النسب والإضافات.

ولا شـكّ[٢] أنّ ثَمّـة إدراكـاً أو إدراكـاتٍ لمـدرِك أو لمـدرِكين يتعلّق[٣] بمـدرَك أو مـدرَكـاتٍ، فمـا الـذي أدرك؟ ومَن المـدرِك له؟ وليس ثَمّة إلّا ما ذكرنا وبيّنّا أنّه يتعذّر إدراكـه كمـا هو. إن كـان متعلّق الإدراك النسـب مع أنّهـا أُمور عدميّة، يلزم أن يكون المدرِك لها وما أدرك به مثلَها؛ لأنّ الشـيء لا يدرَك بغيره[٤] من حيث ما يغايره، ولا يؤثّر فيه ما ينافيه من وجه المباين. هذا ما لا تردُّد فيه عند الكُمَّل ولا دفاع له. ولا ثَمّة[٥] ـكما مرّـ إلّا وجود واحد تفرّع منه ما أُضيف إليه ممّا[٦] يسمّى صفاتاً[٧] وأحوالاً ولوازم.

وكلّها معانٍ بسيطةٌ لا تقوم[٨] بنفسها، ولا يظهر حكمها إلّا بالوجود. والوجود شرط لا مؤثّر، ومع كونه كذلك فلا يتعيّن بنفسـه فيدرَك، ولو تعيّن مَن كان مدرِكه إذا كان ما سـواه لا وجود لـه إلّا به، وهو غير متعيّن بنفسـه، بل لا بدّ له من أمر يظهر به ويكون مرآتـه، ووظيفتـه ـأعني الوجودـ الإظهار لا غير، والإظهار له[٩] من كونه نوراً، والنور يدرَك به[١٠] ولا يدرَك هو، فلا يسـتقلّ بالظهور، فكيف بالإظهار؛ لأنّ الإظهار موقوف على اجتماع واقع بين النور وما يقبله ويظهر بظهوره، إمّا لمعنىً يعبَّر عنه بالاشتعال، أو المُحـاذاة والانطباع. فهو حينئذٍ موقوف على نسـبة الجمع، والجمع أيضـاً نسـبة أو حال[١١] كيف قلت. فكيف يتحصّل من مجموع ما لا يقوم بنفسه ولا يستقلّ ولا يثبت،

---

(١) للوجود: الموجود A
(٢) شك: نشكّ P
(٣) لمدرِكين يتعلّق: لمدرَك متعلّق A
(٤) بغيره: + بل A
(٥) لا ثمّة: ما ثمّ A
(٦) ممّا: ما A
(٧) صفاتاً: صفاتٍ P
(٨) تقوم: يقوم A
(٩) له: + هو P
(١٠) به: ـ A
(١١) حال: + أو A

ما يقوم[١] بنفسه ويُحكَم بثبوته؟ وكيف ينقسم ما لا يقوم بنفسه لذاته أوّلا[٢] في ثاني[٣] حال إلى ما يقوم بنفسه ويكون مرئيّاً، وإلى ما يقوم بنفسه وبغيره[٤] ويسمّى رائياً، وإلى ما لا يقوم بنفسه كالأمر في الأوّل، وهو بعينه عين كلّ قسم من الأقسام المذكورة[٥]، فيَرى لا يَرى، ويُرى[٦] لا يُرى، وينقسم[٧] لا ينقسم، ويستقلّ[٨] لا يستقلّ، ويجتمع مع أنّه لا يتعدّد ولا يتغيّر[٩]، ويظهر بالجمع الذي لا وجود لعينه مع استحالة ظهوره بنفسه، ومع كون الجمع صفته الذاتيّة. فالجمع حالة واحدة، والاجتماعات بحكم الجمع أحوال لعين[١٠] واحدة. والوحدة لا تُتصوَّر إلّا بمقابلها، وهو معنى الكثرة، ولا كثرة[١١]؛ إذ ليس ثَمّة إلّا أمر واحد متنوّع. فأين الجمع؟ والوحدة ليست ثمّة أيضاً إلّا بالتقدير؛ فإنّ المدرَك هو الكثير، والمميّز عن الكثرة حالَ طلب التميّز[١٢] والحكم به غير متميّز، بل مقدَّر له التميّز[١٣] بالفرض وبالنسبة إلى تشخّصه في بعض الأذهان. وأمّا هل هو[١٤] في نفسه ـ مع قطع النظر عن هذا الفرض وهذا التشخّص ـ على نحو ما قدِّر له وحُكِم به عليه [أو لا][١٥]، حديث[١٦] آخر. بل الأمر في نفسه جزماً ليس كذلك؛ لأنّ هذه الأحكام كلّها طارئة، والذي يقتضيه المحكوم عليه لذاته ثابت له أزلاً من[١٧] نفسه، لا لموجِب.

---

(١) يقوم: تقوم A
(٢) أوّلاً: ولا A
(٣) ثاني: ما في A
(٤) A112b
(٥) كالأمر في ... المذكورة: ـ A
(٦) يرى: + و A
(٧) ينقسم: + و A
(٨) يستقلّ: + و A
(٩) يتغيّر: يتعيّن A
(١٠) لعين: الغير A
(١١) ولا كثرة: ـ A
(١٢) التميّز: التمييز A
(١٣) التميّز: التمييز A
(١٤) هو: ـ A
(١٥) أو لا: أوّلاً AP
(١٦) حديث: لحديث A
(١٧) من: في A

ثمّ[١] هـذه الأحكام كلّها والأحوال تابعة لإنّيّة كلّ مدرِك من المدرِكينَ بالنسبة إلى مَداركه ومَشاعره، فالشيء لم يدرَك على ما هو عليه أصلاً.

ثمّ نقول: والمسمّى عالَماً[٢] يكن مظروفاً للحقّ؛ لاستحالة ذلك، ولا ظرفاً له؛ لأنّ «اللّه تعالى[٣] كان ولا شيء معه»[٤]. ولا كان عدماً محضاً فصار وجوداً؛ لأنّه لو كان كذلك لزم انقلاب الحقائق، وإنّه محال. فمَن المدرِك منّا؟ ومَن المدرَك؟ ومَن العالَم من مجموع[٥] ما ذكرنا؟ ومَن الحقّ؟ ومَن العالِم و[٦] العلم والمعلوم؟

و[٧] النِسب ـكما بيّنّاـ أُمور عدميّة، لا وجود لها إلّا في الأذهان. والأذهان وأصحابها لم يكونوا ثمّ كانوا، وكينونة[٨] الجميع إن كانت من النِسب ـكما مرّـ فقد ظهر الموجود من المعدوم؛ وإن كانت ظاهرة عن الوجود، فالوجود لا يظهر عنه ما لا وجود له ولا أثر له من حيث[٩] هو وجود صرف؛ لأنّه واحد، والواحد البَحت لا ينتج شيئاً ولا يناسب ضدَّه فيرتبط به، وما لا وجود له مضادّ للوجود، فكيف الأمر[١٠]؟

ولا يظهر عن الوجود عينه؛ لأنّه يكون تحصيلاً للحاصل. وإن ظهر عينه لا على النحو الحاصل لا بدّ له من موجِب غير نفس الوجود؛ لأنّه لو كان موجِبه نفسَ الوجود لزم مساوقته له أزلاً وأبداً. ولا جائز أن يكون الموجب نسبة عدميّة؛ لأنّه يلزم حينئذٍ تأثير المعدوم في الموجود[١١].

---

(١) ثمّ: + إنّ P

(٢) عالماً: + ~~لم يدرك~~ A

(٣) تعالى: ـ P

(٤) مرويّ عن أبي جعفر ـعليه السلامـ أنّه قال: «كان اللّه ولا شيء معه». (التوحيد للصدوق: ٦٧)

(٥) من مجموع: المجموع A

(٦) و: + من A

(٧) و: ـ A

(٨) كينونة: كينونيّة A

(٩) حيث: ـ A

(١٠) A113a

(١١) الموجود: الوجود P

واستناد كلّ ما[١] ظهر إمّا[٢] إلى ما لا وجود له، وإمّا لوجود ونسبة[٣] معاً بشرط اجتماعهما. واجتماعُهما إن كان طارئاً لزم منه مفاسد لا يكاد تنحصر[٤]؛ لأنّ المقتضي للاجتماع إمّا كلّ[٥] منهما، أو أحدهما، أو أمر[٦] ثالث.

فإن[٧] كان الوجود لزم أن يكون فيه جهة يقتضي الاقتران بالنسبة إلى المعدومة ثانياً، مع عدم اقتضائها[٨] ذلك أوّلاً، وفيه ما فيه من المحالات التي لا حاجة إلى تعديدها[٩].

وإن[١٠] كانت النسبة هي المقتضية للجمع[١١]، لزم أن يكون ما لا وجود له يوجب حكماً وأثراً في الوجود، وأن يكون سبباً لظهور كلّ موجود، وغير ذلك من المحالات، مع أنّ الجمع[١٢] في نفسه لا وجود له، بل هو نسبة ـ كما مرّ ـ.

وإن كان أمراً ثالثاً عاد السؤال؛ لأنّ ذلك الثالث لا يخلو إمّا أن يكون وجوداً أو نسبة، ويلزم ما مرّ.

والأمر غير خارج من هذه الضروب، فثبت[١٣] الحيرة.

وإن استندنا إلى الإخبارات الإلهيّة، فالكلام فيها كالكلام في ما مرّ؛ لأنّها لا بدّ وأن تكون[١٤] تابعة للمدارك، والمدارك أوصاف تابعة للموصوف، والموصوف لم يثبت بعدُ

---

(١) كلّ ما: كلّما A
(٢) إمّا: ـ A
(٣) لوجود ونسبة: الوجود ونسبته A
(٤) تنحصر: ينحصر A
(٥) إمّا كلّ: ـ A
(٦) أمر: ـ P
(٧) فإن: إن A
(٨) اقتضائها: اقتضاء A
(٩) تعديدها: تعدّدها A
(١٠) وإن: فإن A
(١١) للجمع: ـ A
(١٢) الجمع: الجميع A
(١٣) الضروب فثبت: الضروب المذكورة فكيف الأمر فيثبت P
(١٤) تكون: يكون A

مـا هو، فمـا الظنّ بما هو تبع له ومتفرّع عنه؟ ومع هذا كلّه، فالإدراكات حاكمة متعلّقة بمـدارك[١] متعـدّدة من حيث تنوّع ظهوراته، أو بمدرَكات[٢] شـتّى. وثَمّ لذّة هي إدراك الملائم وألم يعبّر عنه بأنّه إدراك غير الملائم. وثَمّ[٣] ظلمة ونور، وحزن وسرور. فالكلّ ثَمّة، وما ثمّة[٤] كلّ ولا جزء ولا ثَمّة، فما العمل، ومَن، وكيف؟

ولا تظنّنّ أنّ هذه الحيرة[٥] سببها قصور في الإدراك، أو نقص مانع من كمال الجلاء هـاهنـا[٦]، والاســتجلاء لمـا[٧] هنـاك. بـل هذه حيرة[٨] إنّما يظهر حكمها بعد كمال التحقّق بـالمعرفـة والشــهود[٩]، ومعاينة ســرّ كلّ موجود، والاطّلاع التامّ على أحديّة الوجود. ولكن مَن تقيَّـد وقَف[١٠] لضــيقـه، ومـا ســـار وانقهر بحكم[١١] مـا عـايَن، فانحرف[١٢] ومار، ومَن اتّسـع جمع وكشف، فأحاط فدار وحار، وما إن حار، بل جرى وانطلق، فمار و[١٣] جار واسـتوطن غيب ذات ربّه، متنوّعاً[١٤] بشـؤونه ـ سـبحانه[١٥] ـ، بعد كمال الاستهلاك فيه به، ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[١٦]، وهذا هو مقام[١٧] السار.

[تمثيل لتقريب البحث إلى الأذهان]

تمثيل نفيس يزلّ به الأفهام، ويستأنس ويتّضح[١٨] [به][١٩] سرّ هذه الغوامض:

---

(١) بمدارك: بمدرك A
(٢) بمدركات: لمدركات A
(٣) ثمّ: ثمّة P
(٤) ثمّة: ـ A
(٥) الحيرة: الحياة A
(٦) هاهنا: هنا P
(٧) لما: ـ A
(٨) حيرة: خيره A
(٩) والشهود: بالشهود A || A113b
(١٠) وقف: ـ A
(١١) بحكم: لحكم P
(١٢) فانحرف: فالحرف A
(١٣) ومن اتّسع ... و: ـ A
(١٤) متنوّعاً: متبوعاً A
(١٥) سبحانه: + وبحسبه P
(١٦) القرآن الكريم: ٢٤/١٣
(١٧) مقام: المقام A
(١٨) يستأنس ويتّضح: تستأنس وتتّضح A
(١٩) به: بها A

أيّها المتأمّل! ربّما استنكرتَ ما أشرتُ إليه[١] في سرّ[٢] الحيرة؛ لأنّ[٣] فهمك قد ينبو عن إدراك[٤] سرّه، وأنت المعذور، فتنزَّل[٥] من تلك المراتب، فها أنا أتنزّل[٦] معك بالتمثيل للتفهيم[٧]، فارعَني سمعَك، وأرصِد[٨] لي لبَّك.

اعلَم أنّ المتأمّل لهذا الكلام ـ سواء كان من المرجّحين لمذهب المتكلّمين، أو[٩] النُظّار والبحّاثين [من أهل][١٠] الفلسفة الذوقيّة[١١] الكشفيّة أو البحثيّة الرسميّة ـ فإنّه لا يشكّ أنّ ما يدركه من[١٢] عالم الأجسام الذي هو فيه، مركّب[١٣] من جوهر وعرض، أو هيولى وصورة. فالجوهر لا يظهر إلّا بالعرض، والعرض لا يكون إلّا بالجوهر، كما أنّ الهيولى لا يوجد إلّا بالصورة، والصورة لا تظهر إلّا بالهيولى. ومعقوليّة الجسم المتعيّن في البين عبارة عن معنىً ما يمكن أن يُفرض فيه أبعاد[١٤] ثلاثة: الطول، والعرض، والعمق.

ثمّ إنّ الهيولى المجرّدة[١٥] عند أهل النظر لا تقبل[١٦] القسمة عقلاً، وكذلك الصورة، مع أنّه بحلول الصورة في الهيولى صارتا[١٧] جسماً، وقبلتا القسمةَ، فانقسم ما كان لذاته[١٨] غير قابل للقسمة، مع أنّه لم يحدث[١٩] إلّا الاجتماع، وهو نسبة[٢٠] كسائر النسب، فافهَم.

---

(١) إليه: إليك A
(٢) سرّ: هذه A
(٣) لأنّ: ـ A
(٤) إدراك: درك P
(٥) فتنزّل: فتزلّ A
(٦) أتنزّل: أنزل A
(٧) للتفهيم: للتفهّم A
(٨) أرصَد له الأمر: أعدّه. (لسان العرب)
(٩) أو: و A
(١٠) من أهل: ولأهل A
(١١) الذوقيّة: + و A
(١٢) أنّ ما يدركه من: إنّما يدرك A
(١٣) مركّب: ـ A
(١٤) أبعاد: + كثيرة A
(١٥) المجرّدة: المجرّد P
(١٦) تقبل: يقبل P
(١٧) صارتا: صارا A
(١٨) لذاته: ذاته A
(١٩) يحدث: + عند الاجتماع A
(٢٠) نسبة: نسبته A

ثمّ إنّ الطبيعـة التي تولّد عنها ما تولّد، عبارة[١] عن معنىً مجرّد مشـتمل على أربع حقائق، تسمّى[٢]: حرارة، وبرودة، ورطوبة، ويبوسة. وذلك المعنى يناسب كلّاً من هذه الأربعة بذاته، بل هو على كلّ واحدة[٣] منها مع تضـادّها، ومع كونها ـ أعني الطبيعة ـ من حيـث هي معنىً جـامعاً[٤] للأربعة المذكورة. وهذه[٥] و[٦] ما تقدّم ذكره عبارة عن معـانٍ[٧] مجرّدة لا يمكن ظهور شـيء منها وإدراكه بمفرده[٨]، ولا بدون الوجود؛ فإنّ وجود الجميع[٩] من حيث[١٠] كونه وجوداً بحتاً لا يتعيّن بنفسه، ولا يظهر من حيث هو فيدرَك. فإذَن اجتماع هذه المعاني هو المسـتلزم لظهورها وإدراكها، والاجتماع نسبة أو حـالـة لا وجود لهـا في عينها، وما ثَمّ[١١] أمر آخر يتعلّق به[١٢] الإدراك، وقد تعلّق، فما هو، وكيف هو؟ وهذه صـورتك التي من حيث هي[١٣] أمكنك إدراك ما تدرك ناتجة[١٤] عن الأُصول المذكورة[١٥]، وأجلّها[١٦] الطبيعة، فالصور ظهرت عن الطبيعة.

وإذا أمعنت النظر في ما ظهر عنها لم تُلفِه[١٧] شـيئاً زائداً عليها، ومع أنّ الذي ظهر ليس غيرها، فليسـت من حيث معقوليّة كلّيّتها عين ما ظهر، ولم تزدد بما ظهر عنها ولا تنتقص[١٨] ولم تتميّز[١٩]؛ إذ ليس ثمّـة غير يتميّز[٢٠] عنـه؛ لأنّ الـذي ظهر عنهـا جزماً

---

(١) عبارة: + أيضاً P
(٢) تسمّى: يسمّى A
(٣) واحدة: واحد A
(٤) جامعاً: جامع A
(٥) A114a
(٦) و: + جميع P
(٧) معانٍ: معاني A
(٨) بمفرده: بمفردة A
(٩) الجميع: + أيضاً P
(١٠) حيث: ـ P
(١١) ثمّ: ثمّة P
(١٢) به: ـ A
(١٣) هي: ـ A
(١٤) ناتجة: ما تجه A
(١٥) المذكورة: المذكور شأنها P
(١٦) أجلّها: أصلها A
(١٧) ألفى الشيء: وجده. (لسان العرب)
(١٨) تنتقص: ينتقص A
(١٩) تتميّز: يتميّز A
(٢٠) يتميّز: فيتميّز P

ليس غيرها، وهذا ما لا خفاء فيه[١].

وأمّا روحك[٢] التي تزعم أنّه مدبّر[٣] لصورتك وكلّ[٤] ما يسمّى روحاً، فالحديث فيه أبسَط وأطوَل، وسرّه أخفى وأشكَل، وعن كُنه ربّك فلا تسأل، فقد مُنعتَ عن الفحص[٥] فيه وأُويِستَ. فلا تُطِل بتردّد[٦] بعدُ، ولا تسِر، وألق عصا التَّسيار[٧]، «فما بعد العشيّة من عَرار[٨]»[٩]. >[١٠]

وإذا تحقّق لك ما تلوناه عليك، وأردتَ الاطّلاع على أسرار الصفات، فاعرِف حقيقة قولهم.



---

(١) فيه: + فافهم P

(٢) روحك: نفسك A

(٣) مدبّر: + لك و A

(٤) كلّ: _ A

(٥) عن الفحص: الخوض P

(٦) بتردّد: فسِر P

(٧) ألقى عصاه: أثبت أوتاده في الأرض، ثمّ خيّم. (لسان العرب)

(٨) عرار: غرار A

(٩) مصرع من شعر للصمّة بن عبد اللّه القشيريّ، كما في: لسان العرب: ٤/٥٦٠

(١٠) إعجاز البيان: ٣٢٤ _ ٣٢٩

[نفي الصفات الزائدة على ذاته تعالى]

[١]< **ولمّا كانت الصفة [تحتاج][٢] إلى محلّها، لم يصحّ أن [تكون][٣] واجبة؛** لاحتياجها إلى محلّ يقوم به؛ لاستحالة قيام الصفة بدون موصوفها، فلو قامت بذاتها لم [تكن][٤] صفة، هذا خلف. فواجب الوجود لا يستكمل بصفة زائدة، فيكون ناقصاً في نفسه، فوهب الكمال لنفسه، وواهب الكمال أكمل من قابله، فذاته أكمل من ذاته، فإنّها القابلة والفاعلة، وإنّه محال؛ <[٥] لأنّ جهة الفعل تغاير جهة القبول، فيتكثّر الواجب، فينافي الوحدة [الحقيقيّة][٦].

وأيضاً جهة القبول جهة [الإمكان][٧]، وهو ينافي وجوب الوجود الصرف.

فلا صفة [للواجب][٨] زائدة[٩] يستكمل بها، وإلّا لكان ناقصاً وهب الكمال لنفسه، فهو أكمل من ذاته؛ إذ الواهب للكمال أكمل. ويلزم أن [تكون][١٠] قابلة وفاعلة.

[معرفة أسمائه تعالى]

[١١]< وتحقيق هذا الباب أنّك قد عرفتَ أنّ الحقّ تعالى واحد، وأنّ له أسماء كثيرة

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) تحتاج: يحتاج A
(٣) تكون: يكون A
(٤) تكن: يكن A
(٥) كلمة التصوّف: ١١٤
(٦) الحقيقيّة: الحقيقة A
(٧) الإمكان: إمكان A
(٨) للواجب: الواجب A
(٩) A114b
(١٠) تكون: يكون A
(١١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

هي أسماء معانٍ، ليست بأسماء أعلام، ولا هي مترادفة[١]؛ فإنّه يُفهم من كلّ واحدٍ منها غير ما يُفهم من الآخر. فهي أسماء متباينة متواردة على ذات واحدة، هي ذات الواجب تعالى[٢]. >[٣]

[٤]< والاسم الذي يطلق[٥] على شيء، لا يخلو إمّا أن يُفهم منه[٦] ما يدلّ على:

ـ نفس ذات ذلك الشيء.

ـ أو جزء[٧] من أجزاء ذلك الشيء.

ـ أو صفة[٨] خارجة عنه.

وذكر جماعة[٩] أنّ الأوّل يستحيل عليه، وقد عرفتَ ذلك في ما تقدّم، وأقمنا البرهان عليه. وحاصله أنّ حقيقته[١٠] المخصوصة غير معلومة للبشر، وكلّ ما لا[١١] يُعلم حقيقته[١٢] لا يمكن وضع الاسم له، وهذا هو الحقّ الصريح.

وقال بعض[١٣] بجوازه، وزعم أنّ الخواصّ من أفاضل البشر يعرفونه، فيضعون له اسماً وهو أعظم أسمائه، وذلك هو الاسم الأعظم.

وقال بعضهم: إنّه الحيّ القيّوم.

وقال آخرون: إنّه اللّه.

وقال[١٤]: ولا يلزم أن يكون واضع هذا الاسم عارفاً [بكنهه][١٥] الحقيقيّ[١٦]؛ فإنّ

---

(١) مترادفة: + على معنىً واحد P

(٢) تعالى: لذاته P

(٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٨٠/٣

(٤) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٥) يطلق: أطلق P

(٦) منه: ـ A

(٧) جزء: جزءاً A

(٨) صفة: ضدّ A

(٩) جماعة: + من الحكماء P

(١٠) حقيقته: حقيقة A

(١١) لا: + يمكن A

(١٢) حقيقته: حقيقة A

(١٣) وهو الشهرزوريّ، في: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(١٤) والقائل الشهرزوريّ، كما مرّ ذكره.

(١٥) بكنهه: بكنه A

(١٦) بكنهه الحقيقيّ: به كنه المعرفة P

ذلك محال في حقّ عظماء الملائكة وملوكها؛ فإنّه لا يعرفه كما هو إلّا هو. فالواضع[١] الأوّل لهذا الاسم وضعه على قدر معرفته به[٢]. وقد يجوز أن يكون البارئ تعالى هو الذي وضع هذا الاسم لنفسه، فلا يرد ما ذكروه.

وقد عرفتَ ـفي ما سلفـ ما هو الحقّ في هذا المقام، وبيّنّا أنّه لا يجوز ذلك بالاعتبارين، فلا وجه لإعادته.

والقسم الثاني ـوهو الاسم الدالّ على جزء من أجزاء ذات الشيءـ ممتنع عليه تعالى لا مَحالة؛ لأنّه واحد، منزّه عن التركيب من الأجزاء.

القسم الثالث ـوهو الاسم الدالّ على صفة خارجة عن الذاتـ فإمّا أنّ[٣] الصفة حقيقيّة، أو إضافيّة، أو سلبيّة، أو ما يتركّب [منها][٤]. و[القسمان الأخيران جائزان][٥] عليه، وكذا ما يتركّب[٦] منهما. فيجوز أن يُجعل له بحسب كلّ إضافة[٧] إلى غيره اسمٌ محصّل، و[٨] بحسب كلّ سلب اسمٌ محصّل، وكذلك يجعل له بحسب ما يتركّب من الإضافة والسلب اسم[٩] محصّل، مثل[١٠]: «إنّه تعالى[١١] أوّل»؛ فإنّه مركّب من الإضافة والسلب؛ إذ معناه أنّه[١٢] سابقٌ على ما سواه، وهو إضافة محضة، وأنّ غيره غير سابق عليه، وهو سلب محض.

---

(١) فالواضع: فيكون الواضع P
(٢) به: _ A
(٣) أنّ: أن تكون تلك P
(٤) منها: منهما A؛ ما يتركّب منها: صفة حقيقيّة مع إضافيّة أو مع سلبيّة أو صفة إضافيّة مع سلبيّة P
(٥) القسمان الأخيران جائزان: القسم الأخيرين جائزين A
(٦) A115a
(٧) إضافة: + له P
(٨) و: + كذلك P
(٩) اسم: + آخر P
(١٠) مثل: كقولك P
(١١) تعالى: يقال A
(١٢) أنّه: + تعالى P

وله في الشرائع الإلهيّة أسماء كثيرة، والإضافيّة والسلبيّة وما يتركّب منهما كثير.

[معرفة صفاته تعالى]

واعلَم أنّ الصفات تنقسم[١]:

ـ إلى ما يتغيّر الموصوف بتغيّر الأُمور الخارجة عن ذاته.

ـ وإلى ما لا يتغيّر بتغيّرها[٢].

وذلك لأنّ الصفة:

ـ إمّا أن تكون[٣] متقرّرة في ذات الموصوف[٤]، غير موجبة للإضافة إلى غيرها.

ـ أو لا يكون كذلك.

والأوّل ككون الشيء أبيض أو أسود؛ فإنّ البياض والسواد[٥] متقرّران في ذات الجسم[٦] الموصوف بأحدهما عند حلوله فيه[٧]، ويتغيّر الجسم الموصوف بالبياض عند زواله وحلول السواد فيه. وهذا القسم[٨] هو المسمّى بالصفات الحقيقيّة.

وإمّا أن[٩] لا يكون كذلك، فلا يخلو:

ـ إمّا أن يكون تلك الصفة موجبة للإضافة إلى غير الموصوف، من غير أن تكون[١٠] متقرّرة في ذاته، ككون الشيء يميناً أو[١١] شمالاً، وهذا القسم هو الإضافة المحضة، وهو مقابل القسم[١٢] الأوّل.

---

(١) تنقسم: ينقسم A

(٢) بتغيّرها: ـ A

(٣) تكون: يكون A

(٤) الموصوف: + أو A

(٥) السواد: + صفتان P

(٦) الجسم: ـ A

(٧) فيه: ـ A

(٨) القسم: + من الصفات P

(٩) إمّا أن: أنّ الذي P

(١٠) تكون: يكون A

(١١) أو: و A

(١٢) القسم: للقسم P

ـ وإمّا أن يكون[١] الصفة متقرّرة في ذات الموصوف، وموجبة للإضافة إلى غيره. وهذا القسم ينقسم إلى ما لا يتغيّر الموصوف بتغيّر المضاف إليه، وإلى ما يتغيّر الموصوف بتغيّره.

والقسم الأوّل هو الصفة المتقرّرة في ذات الموصوف، الموجبة لإضافته إلى غيره الغير المتغيّرة بتغيّر الأمر الخارجيّ، وإن كانت إضافته إلى غير ذلك متغيّرة لا مَحالة. وذلك كالقدرة التي هي[٢] متمكّنة في الذات، يصحّ أن يصدر عن تلك الذات بسبب تلك الهيئة فعلٌ، وهي مع ذلك توجب كون ذلك القادر مضافاً إلى مقدور عليه، إلّا أنّ القادر غير متغيّر بتغيّر الأمر الخارجيّ المضاف إليه؛ لأنّ القادر[٣] على تحريك حجر لا يصير عند انعدامه غير قادر في ذاته.

فعُلم أنّ القادر لم يتغيّر في ذاته عن مقدوريّته عند تغيّر الأمر الخارجيّ الذي هو انعدام الحجر مثلاً. بلى! يتغيّر[٤] إضافته إلى ذلك الشيء المنعدم الذي هو الحجر؛ فإنّه لا يقدر[٥] على تحريكه لانعدامه، وإن كان قادراً في نفسه؛ لأنّ القدرة إنّما تستلزم[٦] الإضافة إلى الشيء الكلّيّ[٧] لزوماً[٨] أوّليّاً ذاتيّاً. ثمّ إنّها تستلزم الإضافة إلى جزئيّات ذلك الكلّيّ لزوماً ثانياً بطريق العرض بسبب ذلك الكلّيّ الذي كانت الصفة متعلّقة به، فهو[٩] غير متغيّر أبداً، بخلاف الجزئيّات التي تحته؛ فإنّها يتغيّر بتغيّر الإضافات الجزئيّة العرضيّة التي يتعلّق بها.

---

(١) يكون: ـ P
(٢) هي: + هيئة P
(٣) A115b
(٤) يتغيّر: بتغيّر A
(٥) يقدر: يكون قادراً P
(٦) تستلزم: يستلزم A
(٧) الكلّيّ: + ~~الذي~~ A
(٨) لزوماً: وجوباً A
(٩) فهو: ـ A

والقسم الثاني من هذين القسمين هو الصفة المتقرّرة في الموصوف الموجبة لإضافته إلى الأمر الخارجيّ المتغيّر[١] بتغيّر ذلك الشيء في الخارج. فذلك[٢] كالعلم الذي هو هيئة وصورة متقرّرة في نفس العالِم، وتلك الهيئة موجبة لإضافته إلى أمر خارجيّ هو المعلوم، والعالِم ـ الذي هو الموصوف بالعلم ـ يتغيّر بتغيّر ذلك المعلوم؛ فإنّ العالِم بكون زيد[٣] مثلاً في المسجد، يتغيّر علمه عند خروجه عن ذلك المسجد؛ لأنّ العلم لا يستلزم إلّا معلوماً معيّناً. فإن كان متعلّقاً بالكلّيّ، فلا يتعلّق بالجزئيّ الذي تحته، وبالعكس. اللّهمّ إلّا أن يستأنف العلم بذلك المعلوم الآخر، فحينئذٍ تعلّق به تعلّقاً[٤] آخر؛ فإنّ علمنا بكون الحيوان جسماً، لا يوجب علمنا بالجزئيّ الذي تحته، وهو أنّ «الإنسان جسم»، حتّى ينضمّ إليه علم آخر، وهو أنّ «الإنسان حيوان»؛ لأنّ «الإنسان جسم» علم آخر[٥] مستأنف عن العلم الأوّل، وهو أنّ[٦] «الحيوان جسم»، فله إضافة أُخرى مستأنفة. فيجب أن يختلف حال الموصوف باختلاف حال الإضافات المتعلّقة بالصفة، بخلاف القسم الذي قبله؛ فإنّ القدرة إذا تعلّقت بالمقدور[٧] الكلّيّ أوّلاً[٨]، فإنّها تستلزم التعلّق بالمقدور الجزئيّ الذي تحته بحسب التعلّق بذلك المقدور الكلّيّ ثانياً، كما بيّنّا حاله في ما تقدّم.

فهذه حال الأقسام الأربعة.

فكلّما[٩] أوجب تغيُّرُ الصفة تغيّرَ الموصوف، فهو مستحيل على الواجب لذاته، كما

---

(١) المتغيّر: المتغيّرة P
(٢) فذلك: وذلك P
(٣) بكون زيد: يكون زيداً A
(٤) تعلّقاً: تعلّق A
(٥) وهو أنّ ... آخر: ـ A
(٦) أنّ: ـ P
(٧) A116a
(٨) أوّلاً: ـ A
(٩) فكلّما: وكلّما A

في القســم الأوّل والرابع؛ فـإنّـه تعـالى ذات غير متغيّرة. فمـا أوجـب تغيّره فهو ممتنع الوجود. وكلّ ما[١] لا يوجب ذلك فهو جائز عليه تعالى، كما في القسم الثاني والثالث؛ فإنّه لا محذور في جوازه.

أمّا في القســم الثاني ـالذي هو[٢] الإضـافات المحضـةـ فإنّه يتغيّر ما على يميننا ويسارنا ومُحاذاتنا دون تغيُّر[٣] في ذواتنا؛ لعدم افتقارنا إلى القبول الموجب للتغيّر.

[ما لا يصحّ عليه تعالى من الصفات]

و[٤] القســم الرابع فقد بيّنّا حاله. ولأنّ الواجب لذاته لو كان له صــفة[٥] متقرّرة في ذاته، لكانت غير واجبة الوجود؛ لوجهين:

أ. إنّه قد تبيّن[٦] أنّه لا واجبان في الوجود.

ب. إنّ جملة[٧] الصـفات مفتقرة[٨] إلى محلّ تقوم[٩] به، والمفتقر إلى الغير ممكن في ذاته، فجميع الصفات ممكنة في ذاتها، محتاجة إلى ما تقوم[١٠] به، فكلٌّ[١١] محتاجٌ إلى علّـة. ولا يجوز أن يكون علّـة تلـك الصــفات المتقرّرة في ذات الأوّل نفسَ ذاته، فيكون قابلاً لتلك الصفات وفاعلاً لها، وجهة الفعل غير جهة القبول؛ لوجهين:

أ. إنّ فعل الفاعل[١٢] قد يكون في غيره، وهو مسلّم عند الخصم، ولا مانع من ذلك في نفس الأمر. والقبول للقـابـل لا يجوز أن يكون في غيره[١٣]. وينتج المقـدّمتـان من

---

(١) كلّ ما: كلّما A
(٢) الذي هو: التي هي P
(٣) تغيّر: أن نتغيّر P
(٤) و: + أمّا P
(٥) صفة: ـ A
(٦) تبيّن: بيّن A
(٧) جملة: جميع P
(٨) مفتقرة: يفتقر A
(٩) تقوم: يقوم A
(١٠) تقوم: يقوم A
(١١) فكلّ: وكلّ ممكن P
(١٢) فعل الفاعل: الفعل للفاعل P
(١٣) وهو مسلّم ... غيره: ـ A

الشكل الثاني أنّ جهة الفعل[١] غير جهة القبول بالضرورة.

ب. إنّ الجهة الفاعليّة تقتضي[٢] الوجوب إذا كانت من العلل التامّة، كتأثير الواجب لذاته في معلوله الأوّل؛ فإنّه تأثير فعليّ غير متوقّف على غير ذاته، مِن قابلٍ أو شرطٍ أو غير ذلك.

وأمّا الجهة القابليّة فإنّها لا تقتضي[٣] الوجوب، ولا يمكن أن تكون[٤] علّة تامّة ولا مُعطية للوجود[٥]، بل لا تقتضي[٦] إلّا التهيّؤ والاستعداد، فالجهة المقتضية للوجوب غير الجهة المقتضية[٧] للاستعداد. ولو كانت جهة[٨] الفعل المقتضية للوجوب بعينها جهة القبول الموجبة للاستعداد، وجب أن لا يكون[٩] الوجوب مبطلاً للقوّة التي اقتضتها القابليّة؛ فإنّ الشيء الواحد لا يكون مبطلاً بذاته ما كان مقتضياً بذاته[١٠]، لكن الوجوب مبطل للقوّة الاستعداديّة؛ فإنّ الاستعداد لا يبقى موجوداً عند الوجود الذي اقتضاه الوجوب، فهما متغايران.

وأيضاً لو كانت جهة الفعل هي جهة القبول بعينها[١١]، لَما أمكن أن تصيرا شيئين[١٢]، كما لا يمكن أن يصير الواحد اثنين؛ فإنّ الجهتين لو اتّحدتا وجب أن يبقيا واحداً أبداً، فما كان يمكن[١٣] انفكاك جهة الفعل عن جهة القبول، وبالعكس، وقد بيّنّا أنّ إحدى[١٤] الجهتين تنفكّ[١٥] عن الأُخرى، فليست الجهتان واحدة. فيثبت[١٦] أنّ

(١) الفعل: الفاعل A
(٢) تقتضي: يقتضي A
(٣) تقتضي: يقتضي A
(٤) تكون: يكون A
(٥) معطية للوجود: تعطيه الوجود A
(٦) تقتضي: يقتضي A
(٧) للوجوب ... المقتضية: ـ A
(٨) جهة: ـ A
(٩) A116b
(١٠) بذاته: لذاته P
(١١) بعينها: + واحدة P
(١٢) شيئين: اثنين P
(١٣) يمكن: + أن A
(١٤) إحدى: أحد A
(١٥) تنفكّ: ينفكّ A
(١٦) فيثبت: فثبت P

الصفة الممكنة المتقرّرة في الذات الواجبة لذاتها، إذا كانت الذات هي العلّة الموجبة لتلك الصفة، يلزم أن يكون في ذاته جهتان متغايرتان، وهما [جهتا][١] الفعل والقبول.

فهاتان الجهتان إمّا أن تكونا داخلتين[٢] في تلك الذات الواجبة مقوّمتين[٣] لها، أو خارجين، أو أحدهما داخلاً والآخر خارجاً.

والأوّل يوجب أن يكون الذات الواجبة البسيطة الواحدة من كلّ وجهٍ مركّبةً من الأجزاء الذاتيّة، وذلك محال.

والثاني ـ وهو أن [تكونا خارجتَين][٤] ـ فإن كانتا من عوارضه المفارقة، كانتا مستفادتين من غير[٥] تلك الذات، ويلزم من ذلك أن يكون الغير مؤثّراً في ذات الواجب، وهو محال. وإن كانتا من لوازمه، عاد الكلام الأوّل بعينه، من أنّ المفيد لهما إن كان نفس الذات كانت فاعلة وقابلة، ويلزم أن يكون ذلك بجهتين متغايرتين، ثمّ يعود الكلام إلى تلك الجهتين الآخرتين[٦]، وهلمّ جرّاً إلى غير النهاية، وعرفتَ استحالته. فلا بدّ من الانتهاء إلى جهتين داخلتين في حقيقة الذات، وهو[٧] موجب للتركيب الممتنع في حقّ الواجب تعالى[٨]. وكذا[٩] الحال في ما يتركّب من الداخل والخارج. فالواجب لذاته كما كان واحداً في ذاته، فهو واحد من جميع جهاته، فلا صفة حقيقيّة متقرّرة في ذاته، ولا صفة حقيقيّة يلزمها إضافة، إذا[١٠] كان تغيُّرها[١١] موجباً لتغيّر الذات ـ كما مرّ تقريره ـ.

---

(١) جهتا: جهتي A؛ جهة P

(٢) تكونا داخلتين: يكونان داخلين P

(٣) مقوّمتين: مقوّمين P

(٤) تكونا خارجتين: يكونا خارجيّين A، يكونا خارجين P

(٥) غير: غيره و A

(٦) الآخرتين: الأُخريين P

(٧) هو: ذلك P

(٨) في حقّ الواجب تعالى: ـ A

(٩) كذا: كذلك P

(١٠) إذا: فإذا A || A117a

(١١) تغيّرها: بغيرها A

[ما يصحّ عليه تعالى من الصفات]

وأمّا ما يصحّ عليه من[١] الصفات فهي الإضافات التي هي من المقولات الخمس المذكورة، كالمَبدئيّة والمُبدعيّة والعلّيّة وأمثالها؛ فإنّها غير متقرّرة[٢] في ذات الشيء، ولا يكون تغيّرها موجباً لتغيّر الذات المضافة ـ كما ذكرنا[٣] ـ. وإنّما يصحّ عليه نفس الإضافة، لا صفة يلزمها الإضافة[٤]؛ فإنّك قد عرفتَ أنّ الإضافة تعرض للكمّ والكيف والحركة، فلو اتّصف الواجب لذاته بشيء من هذه المقولات لزم المحال[٥]. ولا يجوز أن يلحقه إضافات مختلفة توجب حيثيّات مختلفة، فيتكثّر في ذاته تعالى، بل له إضافة واحدة تصحّح جميع الإضافات[٦]، كالمَبدئيّة المصحّحة لباقي الإضافات، كالرازقيّة والخالقيّة والمصوّريّة ونحوها.

وكذلك[٧] يصحّ عليه من الصفات السلوبُ ـ كالقدّوسيّة والفرديّة ـ؛ فإنّهما[٨] سلب لعوارض، أو سلب لقسمة. ولا يجوز عليه سلوب مختلفة توجب[٩] حيثيّات مختلفة يقتضي ذلك تكثّراً في الذات الأحديّة، بل له[١٠] سلب واحد، وهو سلب الإمكان، يتبعه جميع السلوب، كسلب الجسميّة والجماديّة والعرضيّة وغيرها.

وله صفات اعتباريّة، كالوجود، والوحدة، والحقيقة، والسببيّة، وغير ذلك من الاعتبارات العقليّة. بل يجب له هذا القبيل من الصفات، وإلّا فلم يُفهم منه تعالى شيء. وهذه الإضافات الاعتباريّة في حكم الصفات[١١] السلبيّة؛ لأنّها لا تخلّ

---

(١) من: + جملة P
(٢) متقرّرة: مقرّرة A
(٣) ذكرنا: ذكرناه P
(٤) الإضافة: إضافة P
(٥) المحال: + المذكور P
(٦) توجب حيثيّات ... الإضافات: ـ A
(٧) كذلك: لذلك P
(٨) فإنّهما: فإنّها A
(٩) توجب: توجبه A
(١٠) له: ـ A
(١١) وإلّا فلم يفهم ... الصفات: ـ A

بوحدانيّته تعالى. >[١]

[كيفيّة إدراك النفس لذاتها]

وحينئذٍ نقول: وإذا دريتَ أنّك أدركتَ ذلك إدراكاً مانعاً من الشركة، فلا يكون بصورة، وإلّا كانت كلّيّة. وهذا توطئة مقدّمة يُستعان بها على إثبات كونه تعالى عالماً، وأنّ علمه ليس بصورة.

وهو أنّ الإنسان مدرِك نفسه، فلا يصحّ أن يكون إدراكه لذاته بصورة؛ فإنّ الصورة التي في ذاته هي بالنسبة إليها، فكيف يكون إدراك ما عداه إدراكاً بصورة؟ فذاته مدرِكة لنفسها لا بصورة، وإلّا لكانت تلك الصورة كلّيّة؛ لأنّ[٢] المدرَك لا بواسطة الحواسّ من الصور لا يكون إلّا كلّيّاً؛ لامتناع إدراك الصور الجزئيّة لا بدون توسّط الحواسّ الظاهرة.

<[٣] وإدراك النفس لذاتها إدراكاً جزئيّاً، فليس بواسطة الحسّ الظاهر ضرورةً، فلا يكون بصورة، بل لأنّها جوهر مجرّد عن المادّة، غير غائب عن ذاته. وقد علمتَ أنّ المانع عن المعقوليّة هو المادّة؛ إذ ما لم يتجرّد[٤] الصورة عنها وعن[٥] غواشيها لا تصير معقولاً[٦]، فإدراكها إنّما كان لتجرّدها عن المادّة. >[٧]

<[٨] فإدراكها لذاتها هو أنّها ذات ليست في المحلّ، مجرّدة[٩] عن المادّة، غير غائبة عن ذاتها. وما غاب عنها ولا يمكن استحضار ذاته[١٠]، فيستحضر صورته، فلا تغيب عن ذاتها.



---

(١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٨٢/٣ _ ٢٨٩

(٢) A117b

(٣) بداية العبارات المنقولة من: الألواح العماديّة.

(٤) يتجرّد: تجرّد A

(٥) عن: نحن A

(٦) معقولاً: عاقلاً A

(٧) الألواح العماديّة: ٥٨

(٨) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٩) مجرّدة: مجرّد A

(١٠) غير غائبة ... ذاته: _ A

[كيفيّة إدراك الواجب لذاته]

وواجب الوجود [جلّ][١] عن المادّة والصورة، بل له التجرّد الحقيقيّ، فهو أولى [بأن][٢] لا يغيب عن ذاته ولوازم ذاته، ولا يعزب عن علمه شيء؛ لتجرّده بالكلّيّة، المستلزم لعدم الغيبة عن الذات ولوازمها، «فلا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض والسماوات العُلى»[٣]، وله الجلال الأرفع والكمال الأعلى.

وإدراكه لذاته عين[٤] حياته، وقدرته علمه؛ لأنّه غير محتاج إلى تحريك الآلات. >[٥]



(١) جلّ: حلّ A

(٢) بأن: أن A

(٣) مقتبس من: القرآن الكريم: ٣/٣٤

(٤) عين: ـ P

(٥) كلمة التصوّف: ١١٤

[كلام أبي طالب المكّيّ في توحيد الصفات]

ومنه قول بعضهم ـوهو أبو طالب المكّيّـ: «**إنّ مشيئته قدرته، وما يدرَك بصفة يدرَك بجميع الصفات؛ إذ لا اختلاف ثَمّة، فلا ثَمّة إلّا شيء واحد**»[(١)]. فأشار بهذا الكلام إلى إثبات الوحدة المطلقة له تعالى، وأنّ تكثّر هذه الأسماء لا يوجب تكثّراً في المسمّى، وأنّ الصفات المتعدّدة في الحقيقة شيء واحد هو الذات، وكلّها [تختلف وتخالُفها][(٢)] بالاعتبارات.



---

(١) قد نسب السهرورديّ هذه العبارات بأبي طالب المكّيّ (كلمة التصوّف: ١١٤)، ولكن لم أعثر عليها في قوت القلوب. ويقرب منها بعض كلماته في هذا الكتاب، ومن جملتها أنّه قال: «وقدرته في مشيئته» (قوت القلوب: ١٤٤/٢)، وقال: «يدرك الأشياء كلّها ـعلى اختلاف أوصافهاـ بصفة من صفاته، ثمّ يدرك بجميع أوصافه ما أدركه بهذه الصفة». (نفس المصدر: ١٤٣/٢)

(٢) تختلف وتخالفها: يختلف ويخالفها A

[كلام عليّ ـعليه السلام ـ في توحيد الصفات]

ومنه ـأعني من هذا الباب، وهو باب توحيد الصـفات ـ **قول سـيّد الأولياء** يعني أمير المؤمنين عليّ ـعليه السـلام والتحيّة ـ: «**لا يوصَـف بالصـفات**»(١)، لا نفياً لها بـالكلّيّـة من حيـث الجهـات الأسـماثيّة والإطلاقات الاعتباريّة، بل [نفي](٢) لكونها حقائق قائمة بذاته؛ فإنّ ذلك ممّا يوجب المحاذير المذكورة آنفاً.

ومنه أيضـاً **قوله ـعليه السـلام ـ**: «**مَن وصَـف اللّه ـسـبحانه ـ**، فجعل له من الصـفات القائمة بذاته ما يكون متحقّقاً في نفســه، قائماً به قيام القابل في مقبوله، **فقد قرَنه** بالغير، **ومن قرَنه** بغيره **فقد ثنّاه** ضـرورةً؛ [لأنّ](٣) المتقاربين بالضـرورة [أمران متغـايران](٤)، بينهما نسـبة المقارنة، وذلك يوجب العدديّة. **ومن ثنّاه**، فجعله متعدّداً معـدوداً، **فقـد جزّأه**، فجعله متجزّئاً؛ لأنّ كلّ عدد منقســم، وكلّ منقســم فله أجزاء بالضرورة. **ومن جزّأه** وجعله [ذا](٥) أجزاء متعدّدة ينقسم إليها **فقد جهله**»(٦)؛ لأنّه قد علمـه على غير الوجـه المطـابق لِمـا عليـه الأمر نفســه، وذلـك هو الجهل المركّب، والضــلال المبين، والخســران العظيم؛ إذ التعدّد والقســمة [اللازمان](٧) عن التجزئة [مســتلزمان](٨) للإمكان؛ لأنّهما بالضــرورة من لوازمه، فيكون ممكناً في اعتقاد هذا المعتقد، وذلك خلاف ما في نفس الأمر؛ لِما تقرّر فيه أنّه تعالى واجب الوجود.



---

(١) لم أعثر عليـه في كلمات أمير المؤمنين، ولا غيره من الأئمّة المعصومين ـعليهم السلام ـ بعين هذه الكلمات.
(٢) نفي: بقى A || A118a
(٣) لأنّ: الآن A
(٤) أمران متغايران: أمرين متغايرين A
(٥) ذا: ذو A
(٦) نهج البلاغة: ٣٩؛ الاحتجاج: ١/١٩٩
(٧) اللازمان: اللازمين A
(٨) المستلزمان: المستلزمين A

[عدم زوال وحدته تعالى بكثرة الصور المتقرّرة في ذاته]

(١)< **والعلم** الثابت له تعالى **لا يوجب التكثّر في ذاته تعالى.** >(٢)

[مذهب أرسطاطاليس في إثبات كونه تعالى عالماً]

(٣)< والكشــف لهـذا الحال أن يُقال: إنّ المعلّم الأوّل وأتباعه قالوا في بيان إثبات كونه تعالى عالِماً بما تقريره: أنّ كلّ مجرّدٍ قائمٍ بذاته يجب أن يكون عاقلاً لذاته ولغيره.

أمّـا أنّ كـلّ مجرّدٍ قـائمٍ بذاته يجب أن يكون عاقلاً لذاته ولغيره، [لأنّه](٤) يعقل مع سـائر المعقولات، وكلّ ما أمكن أن يعقل مع سـائر المعقولات أمكن أن يقارنه سائر(٥) المعقولات في العقل، وكلّ ما كان(٦) كذلك أمكن أن يقارنه صور المعقولات، وكلّ ما كان كذلك فإمكان(٧) مقارنة المعقولات(٨) لازم له؛ إذ لو امتنع لزم انقلاب الشـيء من الإمكان إلى الامتناع، وذلك محالٌ.

فإذا(٩) كان كلّ مجرّد يمكن أن يقارنه صـور المعقولات، وكلّ ما(١٠) أمكن للمجرّد(١١) كان واجب الثبوت له، وإلّا لكان موقوفاً على اسـتعداد المادّة، فلا يكون المجرّد مجرّداً، هـذا خلف؛ والتعقّـل لمّـا كـان(١٢) عبـارة عن مقارنة صـور المعقولات للعاقل، وكانت

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) كلمة التصوّف: ١١٤

(٣) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رســائل الشجرة الإلهيّة.

(٤) لأنّه: أنّه A

(٥) سائر: صور P

(٦) كان: أمكن A

(٧) فإمكان: فأمكن A

(٨) المعقولات: للمعقولات A

(٩) فإذا: وإذا P

(١٠) كلّ ما: كلّما A

(١١) للمجرّد: المجرّد A

(١٢) A118b

المقارنة المذكورة واجبة الوجود لكلّ مجرّدٍ عن المادّة قائمٍ بذاته بالطريق المذكور، كان كلّ مجرّد فهو عاقل لغيره، وكلّ ما يعقل غيره فإنّه يعقل بالفعل ـ متى شاء ـ أنّ ذاته عاقلة لتلك الغير؛ لأنّ تعقّله[١] لغيره[٢] عبارة عن حصول ذلك الغير له، وكونه متعقّلاً[٣] لذلك الحصول هو حصول الحصول له، ولا مَحالة[٤] أنّ حصول ذلك الغير له لا ينفكّ عن حصول ذلك الحصول له، وتعقّلُه[٥] أنّ ذاته عاقلة لذلك الغير عقلٌ منه لذاته؛ لأنّ العلم بالتصديق علمٌ بتصوّر[٦] كلّ واحد من الطرفين. فكلّ[٧] ما يعقل غيره، فيجب أن يعقل ذاته. فكلّ مجرّد عن المادّة بالكلّيّة فهو عاقل لذاته ولغيره.

وأنت فقد عرفتَ أنّ الواجب لذاته مجرّد عن المادّة بالكلّيّة، قائم بذاته، فيجب أن يكون عاقلاً لذاته ولِما عداه من سائر الممكنات؛ لإمكان تعقّله[٨] مع كلّ ما عداه.

[ردّ هذا المذهب]

وهذا دليل قد ورد على كلّ من مقدّماته منعٌ. مع أنّه إنّما ينتج أنّ الواجب لذاته لا[٩] يعقل الأشياء إلّا[١٠] بحصول صورها في ذاته، فيلزم أن يكون محلّاً للصور العقليّة المقارنة له[١١]. <[١٢]

[مذهب آخر في إثبات علمه تعالى بالأشياء]

[١٣]> وسلك آخرون في كيفيّة ذلك[١٤] مسلكاً آخر، فقالوا: إنّ الواجب لذاته مجرّد

---

(١) تعقّله: يعقله A
(٢) لغيره: لذلك الغير P
(٣) متعقّلاً: متعلّقاً A
(٤) محالة: محاليّة A
(٥) تعقّله: يعقله A
(٦) بتصوّر: يتصوّر A
(٧) فكلّ: وكلّ A
(٨) تعقّله: يعقله A
(٩) لا: إنّما P
(١٠) إلّا: ـ P
(١١) المقارنة له: المفارقة A
(١٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٧٦/٣ ـ ٤٧٨
(١٣) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٤) ذلك: علم الواجب الحقّ بالأشياء P

عن المـادّة، قـائم بذاته، و[١] غير غائب عن ذاته. وكلّ ما هو كذا فهو معقول لذاته، من غير افتقار إلى عمل يجعله معقولاً، كما هو الحال في تجرّد الصورة الإنسانيّة والفرسيّة وغيرهمـا عن المـادّة، ثمّ يعقـل[٢] بعد ذلك غيره. بل واجب الوجود كما هو مجرّد عن المـادّة لذاته، فهو معقول لذاته. ثمّ إنّه يلزم من كونه معقولاً لذاته أن يكون عاقلاً لذاته؛ لأنّ كلّ معقوليّة لا بدّ لها من عاقليّة، فيرجع حاصـــل عاقليّته ومعقوليّته إلى تجرّد ذاته عن المادّة وعدم غيبته عنها. ويلزم من ذلك أن يكون الواجب لذاته في الأعيان عاقليّته نفس[٣] معقوليّتـه، فهو لا مَحالة عقل وعاقل ومعقول باعتبارات ثلاثة. ومع ذلك فهو ـسـبحانهـ بسـيط واحد، غير متعدّد ولا متكثّر في الأعيان بوجهٍ من الوجوه، وأمّا في الأذهان فيمكن فيه التفصيل المذكور. وأنت تعرف[٤] أنّ عدم الغيبة والتجرّد عن المادّة سلبيّ.

ثمّ قالوا[٥]: الواجب لذاته يعقل جميع الأشـياء؛ لأنّه إذا عقل ذاته المقدّسة يلزم من ذلـك أن يكون عاقلاً للوازم ذاته على سـبيل الإجمال؛ لأنّ العلم بلوازم ذاته منطوٍ في تعقّله لذاته؛ فإنّا إذا تعقّلنا الإنسـانيّة تعقّلنا لوازمها ـكالناطقيّة والضـاحكيّة والكاتبيّةـ على سبيل الانطواء في تعقّل الذات.

قالوا: والفرق بين أن يكون العلم حاصـلاً[٦] للعاقل على سبيل التفصيل[٧] وبين كونه حاصـلاً[٨] بالقوّة مع قوّة استحضاره متى شاء من غير[٩] أن يكون الصورة حاصلة[١٠]، أنّ

---

(١) و: + هو P

(٢) يعقل: تعقل P

(٣) عاقليّة فيرجع ... نفس: ـ A

(٤) A119a

(٥) قالوا: + إنّ P

(٦) حاصلاً: حاصل A

(٧) التفصيل: التفصّل A

(٨) حاصلاً: حاصل A

(٩) غير: + عسر A

(١٠) حاصلة: + حاصله P

الإنسـان الفاضـل[١] إذا أُورد عليه مسائل كثيرة دفعة واحدة، فيحصل لذلك الإنسان علم إجماليّ بجواب تلك المسـائل كلّها، ثمّ يأخذ بعد ذلك[٢] تفصـيلها[٣] شـيئاً فشـيئاً إلى تمام تفاصيل الأجوبة. والعلم الإجماليّ علم واحد بأُمور متعدّدة كثيرة.

وفرّقوا بين هـذا العلم الإجماليّ الواحد الحاصـل بعد السـؤال وبين علمه الذي بالقوّة قبل السؤال، بأنّ العلم الإجماليّ[٤] ليس علماً بالقوّة، كما هو الحال قبل السؤال؛ فـإنّ كـلّ عـاقل يفرّق بين الحالين؛ فإنّ قبل السـؤال يكون[٥] بالقوّة المحضـة، وبعد السؤال يكون له علم بتلك الأجوبة على سبيل الإجمال، دون التفصيل. فالواجب لذاته يعلم ذاته، ويعلم ما عداه من الأشياء اللازمة لذاته بانطوائها في علمه بذاته.

[إشكال على هذا المذهب]

وفي هذه الطريقة تساهل؛ لأنّهم أثبتوا كونه معقولاً بواسطة كونه مجرّداً عن المادّة، لا غير. وهـذه الحجّـة[٦] يرجع حـاصـلها إلى قياس من الشـكل الثاني، مركّب من موجبتين[٧]، وصـورته هكذا: الذات القائمة بذاتها الغير المجسّـمة مجرّدةٌ عن المادّة، والمعقول من الصورة بالفعل ذاتٌ مجرّدةٌ عن المادّة، وينتج[٨] أنّ الذات القائمة بنفسها الغير المجسّمة معقولة.

وأنت قد[٩] عرفتَ أنّه لا يطابق القانون؛ لاشـتراط اختلاف مقدّمتي هذا الشـكل بالسلب والإيجاب.

---

(١) الإنسان الفاضل: الفاصل A
(٢) ذلك: ـ A
(٣) تفصيلها: بتفصيلها P
(٤) الواحد الحاصل ... الإجماليّ: ـ A
(٥) يكون: ـ P
(٦) هذه الحجّة: ـ A
(٧) موجبتين: موجبين A
(٨) ينتج: تنتج المقدّمتان P
(٩) قد: فقد P

مع أنّ قولهم: «إنّ علمه بالأشياء المتكثّرة اللازمة له منطوٍ في علمه بذاته» غير صحيح(١)؛ لأنّ علمه عبارة عن تجرّده وعدم الغيبة، فهو أمر سلبيّ، فكيف يندرج فيه العلم بالأشياء الكثيرة؟ >(٢)

[مذهب متأخّري المشّائين في إثبات علمه تعالى بالأشياء]

(٣)< والمتأخّرون عدلوا عن هذه الطريقة ـ لمّا رأوها مبنيّة على هذه المسائل ـ إلى طريقة أُخرى، فقالوا: إنّ الواجب لذاته يعلم ذاته بذاته، ويعلم سائر الموجودات الممكنة بحصول صورها في ذاته، فذاته فيها صور جميع الموجودات الكثيرة.

قالوا: ولمّا كانت هذه الكثرة من الصور الحالّة في ذاته(٤) اللازمة لها خارجة عن حقيقة ذاته، فهي كثرة(٥) تابعة للذات، لا داخلة في ذاته.

ويقرّرون ذلك بأنّه ـ تبارك وتعالى ـ لمّا عقل ذاته بذاته، وكانت ذاته المقدّسة علّة(٦) للكثرة، لزمه تعقّل الكثرة بسبب تعقّله لذاته بذاته، ويكون(٧) تعقّل تلك الكثرة لازم معلول لذاته، وصورها التي هي معقولاته(٨) ولوازمه المترتّبة متأخّرة عن ذاته؛ لأنّ المعلول وجوده(٩) متأخّر عن وجود العلّة، فلا يكون ذاته متقوّمة بتلك اللوازم المعلولة بأسرها، بل تكون واحدة في ذاتها. وتكثّر المعلولات واللوازم(١٠) ـ سواء كانت متقرّرة في الذات، أو كانت مباينة لها ـ لا يقدح(١١) في وحدة علّتها الملزومة. فالواجب لذاته

---

(١) A119b
(٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٧٩/٣ ـ ٤٨٢
(٣) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٤) فذاته فيها ... ذاته: ـ A
(٥) كثرة: كثيرة A
(٦) علّة: علمه A
(٧) يكون: تكون A
(٨) معقولاته: + معلولاته P
(٩) وجوده: وجود A
(١٠) المعلولات واللوازم: الوازم والمعلولات P
(١١) يقدح: ينقدح A

لا يزول وحدته بكثرة الصور المتقرّرة في ذاته.

وإلى هذا أشار المصنّف بقوله: «والعلم لا يوجب التكثّر في ذاته». [و][١] هكذا ذكره الشيخ في الإشارات[٢]. >[٣]

[ردّ هذا المذهب]

[٤]< وهذا الكلام لا حاصل له؛ إذ لقائل أن يقول: إنّ الواجب[٥] إذا كان في ذاته صور جميع الموجودات الممكنة، فكيف لا يخلّ ذلك بوحدته، وكيف لا يتّصف بها؟ وهي أعراض حالّة في ذاته، متقرّرة في ذاته[٦]، والماهيّات بأسرها إنّما اتّصفت بصفاتها لكون الأعراض المتّصفة بها حالّة فيها، وهي محلّ لها، وذلك ظاهر.

بل وكيف لا يكون الواجب منفعلاً عنها، مع أنّه محلّ لها؟ وتوهُّمهم أنّ الانفعال المحال هو الانفعال التجدّديّ غير صحيح؛ فإنّ الانفعال مستحيل عليه ـ كيف كان ـ، ونفس قبول الصور الحالّة في ذاته نفس الانفعال، فيمتنع[٧] أن يكون في ذاته شيء من الصور والأعراض. >[٨]

[٩]< فالقول بإثبات الصور في ذات الواجب[١٠] فاسد بالكلّيّة، لا يمكن تصحيحه[١١]؛ إذ يلزم أن يكون الذي أفاده تلك الصور أشرف منه[١٢]، و[١٣] عرفتَ أنّه لا أشرف ولا

---

(١) و: ـ A
(٢) الإشارات والتنبيهات: ٣٢٩
(٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٨٣/٣ ـ ٤٨٤
(٤) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٥) الواجب: + لذاته P
(٦) في ذاته: فيها P
(٧) A120a
(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٨٤/٣ ـ ٤٨٥
(٩) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٠) الواجب: + لذاته P
(١١) تصحيحه: + بوجه من الوجوه P
(١٢) منه: عنه A
(١٣) و: + قد P

أكمل من ذات واجب الوجود[١].

فهذه[٢] الطرق التي مسالك[٣] الحكماء المتقدّمين والمتأخّرين[٤] في مسألة العلم[٥]، وحاصل أفكارهم ـ و[٦] هي كما ترى «لا تسمن ولا تغني من جوع[٧]»[٨] ـ مخالفةٌ لأهل السلوك[٩] من أهل[١٠] الكشف والذوق التامّ[١١].

[مذهب السهرورديّ في إثبات علمه تعالى بالأشياء]

وقد فتح اللّه للشيخ الإلهيّ طريقة لطيفة حسنة[١٢]، هي محض الحقّ، إلّا أنّها متوقّفة[١٣] على معرفة المجرّدات وإشراقاتها، والاطّلاع[١٤] على علم النفس ومكاشفاتها، الذي هو العلم المخزون والسرّ المصون الذي لم يطّلع عليه إلّا الأقلّون. وهي طريقة[١٥] لا مزيد عليها في الحُسن[١٦] والجودة، لكن يتوقّف على معرفة الإنسان نفسه، ثمّ يرتقي إلى كيفيّة علم الواجب بنفسه و[١٧] بغيره، و[١٨] علم المبادئ العقليّة.

[مقدّمة لبيان كيفيّة معرفة الإنسان بنفسه]

فنقول: من له أدنى بصيرة يعلم أنّه يدرك نفسَه، فإدراكه[١٩] لها بها[٢٠] أو بغيرها.

---

(١) واجب الوجود: الأوّل تعالى P
(٢) فهذه: + جموع P
(٣) مسالك: ذكرَتها P
(٤) المتقدّمين والمتأخّرين: المتقدّمون والمتأخّرون P
(٥) العلم: علم الواجب لذاته P
(٦) و: ـ A
(٧) جوع: + وهي P
(٨) مقتبس من: القرآن الكريم: ٧/٨٨
(٩) لأهل السلوك: للسلّاك P
(١٠) أهل: أرباب P
(١١) التامّ: ـ P
(١٢) حسنة: + و P
(١٣) إلّا أنّها متوقّفة: وهي موقوفة P
(١٤) الاطّلاع: الإشراف P
(١٥) هي طريقة: هذه الطريقة P
(١٦) الحسن: الحسّ A
(١٧) و: ـ A
(١٨) و: + معرفة P
(١٩) فإدراكه: + له A
(٢٠) لها بها: لذاته بنفس ذاته P

الثاني غير جائز؛ لوجهين:

أ. إنّ المـدرِك لـذاته مدرِكاً لغيره، ومن أدرك غيره فقد أدرك أنّه هو الذي أدرك ذلك الغير، فقـد أدرك ذاتـه. ولا يصـحّ أن يكون المدرِك جسـمانيّاً؛ لأنّه يمتنع عليه إدراك المجرّد؛ لِما ثبت من تجرّد النفس. ومدرِك المجرّد[١] لا بدّ وأن يكون مجرّداً. ولا نعني بـالنفس إلّا ذلـك المـدرِك لنفسـه ولغيره المجرّدين[٢]. ثمّ ننقل[٣] الكلام إلى أنّه هل أدرك[٤] ذاته بذاته أو بغيرها. لا يصـحّ أن يكون بغيرها، وإلّا عاد الكلام ويتسلسل. فتعيّن أن يكون إدراكه لذاته بذاته، وهو المطلوب.

ب. إنّ كلّ من له أدنى تميّز[٥]، إذا رفض الشـواغل البدنيّة زماناً ورجع[٦] إلى ذاته، فإنّه لا يشـكّ في أنّه هو المدرِك لذاته بذاته، لا أنّ غيره هو المدرِك لها قطعاً. و[٧] هذا الحكم من البديهيّات المستغنية عن إقامة البرهان بأدنى تنبيه.

وإذا عرفتَ ذلك[٨]، فإدراكها لها إمّا[٩] بحصول أثر لذاتها في ذاتها، أو لا بحصول أثر.

فإن كان الأوّل، فذلك الأثر إمّا أن يكون[١٠] مطابقاً للنفس، أو غير مطابق.

والثاني [يستلزم][١١] أن لا يكون صورتها، فلا يكون النفس مدرِكة لذاتها.

والأوّل يسـتلزم أن يكون صـورتها، لكن النفس لا يجوز أن لا يكون إدراكها لذاتها بصورة؛ لوجوه:

أ. إنّ الصورة التي في النفس[١٢] ليست بعينها هي النفس، بل هي مثالها وصورتها،

---

(١) مدرك المجرّد: المدرك للمجرّد P؛ + يستحيل A
(٢) المجرّدين: + لا التي لا تدرك ذاتها P
(٣) ننقل: ينقل A
(٤) أدرك: يدرك P
(٥) تميّز: تميّزاً A؛ ذكاء وفطنة P
(٦) ورجع: فرجع A
(٧) و: حتّى أنّ A
(٨) ذلـك: أنّ النفس الناطقة هي المدركة لذاتها بذاتها P || A120b
(٩) إمّا: ـ A
(١٠) أن يكون: ـ A
(١١) يستلزم: مستلزم A
(١٢) النفس: ـ A

وهي زائـدة عليهـا؛ لأنّ(١) مثال الشـــيء ليس هو الشـــيء. فلو كان الإدراك بالصـــورة والمثال، لزم أن يكون إدراك الأنانيّة هو بعينه إدراك ما هو هو، وأن يكون إدراك ذاتها هو بعينـه إدراك غيرهـا، وذلـك محـال؛ إذ من هو مـدرِك لـذاته فإنّما هو مدرِك لعين ما به أنانيّته، لا لصورة مطابقة لتلك الأنانيّة، فليس إدراك النفس لذاتها بالصورة والمثال.

ب. إنّها لو أدرك ذاتها بالصورة والمثال، فإن علمَت أنّ ذلك(٢) مثال ذاتها وصورتها، فتكون لا مَحـالـة قد أدركَت ذاتها لا بالمثال. وإن لم تعلم أنّه مثال، فلم(٣) تعلم ذاتها، هذا خلف.

ج. إنّ النفس الناطقة(٤) لو أدركَت نفسـها بالصـورة، فتلك الصـورة إمّا صورة لها(٥) من حيث هي(٦) مطلقة، أو من حيث هي متخصّصة(٧) بمميّزاتها(٨).

والأوّل محال، وإلّا لَما كان إدراكها لها ـ من حيث هي هذه النفس المتخصّـصـة ـ إدراكـاً لهـا من هـذه الجهـة، ونحن نتكلّم في إدراك النفس لـذاتهـا من حيـث الجهة المتخصّصة، فليست النفس مدرِكة لذاتها بصورة مطلقة(٩).

والثـاني كـذلك؛ لأنّ إدراكها لذاتها(١٠) لا يكون من حيث هي متخصّـصـــة؛ لأنّ المـاهيّـة وإن تقيّـدت بقيود كثيرة، لا تخرج عن كونها كلّيّة. وإذا كانت كلّيّة فلا تكون متخصّصة. >(١١)

---

(١) عليها لأنّ: على ذات النفس و P

(٢) ذلك: + الشيء P

(٣) أنّه مثال فلم: أنّ ذلك الشـيء مثال ذاتها فلم تكن P

(٤) إنّ النفس الناطقة: ـ A

(٥) لها: للنفس P

(٦) هي: + نفس P

(٧) متخصّصة: مخصّصة A

(٨) بمميّزاتها: بصـفـات زائدة تميّزها عن غيرها من النفوس الأُخرى P

(٩) هذه النفس ... مطلقة: ـ A

(١٠) لذاتها: لذلك A

(١١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٨٧/٣ ـ ٤٩٠

[١]< فلا يكون إدراكها بصورة كلّيّة ولا جزئيّة، بل تدرك ذاتها بذاتها؛ لأنّها نفس الظهور والنوريّة، وظهورها[٢] لذاتها لا[٣] يخفى؛ لأنّ ما ذاته نفس الظهور والنوريّة، كيف يُتصوّر غيبوته عن ذاته؟ [فهي][٤] العاقل والعقل والمعقول.

مع أنّها أيضاً تدرك أُموراً[٥] أُخرى لا بصورة ومثال، بل بمجرّد[٦] حضور ذلك الشيء لها[٧]. فتُدبّر[٨] البدنَ[٩] وتتصرّف فيه تصرّفات مختلفة، فهي لا مَحالة مدرِكة له. ولا يكون[١٠] بحصول صورته فيها؛ فإنّ الصورة الحاصلة في النفس كلّيّة. ويمتنع أن تدرك بتلك الصورة الكلّيّة[١١] البدنَ الجزئيّ، و[١٢] نعلم ضرورةً[١٣] أنّا ندرك بدننا الخاصّ ونحرّكه ونتصرّف فيه، فلا يكون ذلك بصورة منطبعة فينا.

وكذلك[١٤] تدرك وهمها وخيالها وجميع قواها البدنيّة؛ إذ لو لم[١٥] تدركها لم تستعملها[١٦] ولا تصرّفت[١٧] فيها. والوهم لا يدرك[١٨] ذاته، ولا القوى البدنيّة، ولا يدرك شيء منها أيضاً نفسه، والوهم وإن أنكر نفسه[١٩] وغيره من القوى، فهو غير جاحد لآثاره وآثار سائر[٢٠] القوى.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٢) وظهورها: فظهورها P
(٣) لا: + يمكن أن P
(٤) فهي: وهي A، فالنفس المدركة لذاتها بذاتها P
(٥) أُموراً: أُمور A
(٦) بمجرّد: لمجرّد A
(٧) ذلك الشيء لها: _ A
(٨) فتدبّر: فتدرك A
(٩) A121a
(١٠) يكون: يجوز أن يكون إدراكها للبدن P
(١١) الكلّيّة: + التي فيها ذلك P
(١٢) و: + نحن P
(١٣) ضرورة: بالضرورة P
(١٤) كذلك: من ذلك أنّها P
(١٥) لم: _ A
(١٦) تستعملها: يمكنها استعمالها P
(١٧) تصرّفت: تصرّفها P
(١٨) يدرك: تدرك A
(١٩) والوهم وإن أنكر نفسه: _ A
(٢٠) سائر: _ A

فالمدرِك لجميع هذه الأشياء هو النفس. وإدراكها لها لا[١] بصورة منطبعة فيها[٢]؛ لِما تقـدّم. بـل لو لا أنّ النفس[٣] تطّلع على الجزئيّات، لم يمكنها اسـتخدام المفكّرة[٤] ولا ترتيب[٥] الجزئيّات و[٦] الحدود. والمتخيّلة[٧] وسـائر القوى[٨] لا تدرك[٩] نفسـها[١٠]، ولا الكلّيّـات[١١] أصـلاً، فلو[١٢] لم يكن للنفس اطّلاع على الجزئيّـات، فكيف ركّبَـت المقدّمات وفصّـلَتها، وانتزعَت[١٣] الكلّيّات من الجزئيّات، ولم تأخذ الصور الجزئيّة من الخيال؟

و[بالجملة][١٤] هي تدرك هذه القوى وتصـرّفاتها الخاصّة، وتدرك ما فيها وما يظهر فيها[١٥] وما هو حاضر لها لا بصورة ومثال. >[١٦]

[١٧]< فعُلم أنّ من المدرَكات ما يكفي في إدراكها[١٨] حضـورها للنفس أو حضورها لِما هو حاضـر لها كالقوى البدنيّة[١٩] مع التفاتها[٢٠] إليها، تدركها مشـاهدةً، لا بصورة كلّيّة، بل بصـورة جزئيّة. فمتى[٢١] حصـل المبصَـر[٢٢] مقابلاً للآلة[٢٣] مع عدم[٢٤]

---

(١) لا: + يجوز أن يكون P
(٢) فيها: في ذاتها P
(٣) النفس: + تتصرّف تصرّفاً جزئيّاً و A
(٤) المفكّرة: الفكرة A
(٥) ولا ترتيب: التي تفصّل وتركّب P
(٦) و: + ترتّب P
(٧) المتخيّلة: المتخيّلات A
(٨) سائر القوى: غيرها من القوى الجزئيّة P
(٩) تدرك: يدرك A
(١٠) نفسها: ذاتها ولا بعضها بعضاً P
(١١) الكلّيّات: + العقليّة P
(١٢) فلو: فإن P
(١٣) انتزعت: نزعت A
(١٤) بالجملة: الجملة A
(١٥) فيها: ـ A
(١٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٩٢/٣ ـ ٤٩٣
(١٧) بـداية العبارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.
(١٨) إدراكها: + نفس P
(١٩) أو حضورها ... البدنيّة: ـ A
(٢٠) التفاتها: التقاتها A
(٢١) فمتى: فإذا P
(٢٢) المبصر: للبصر A
(٢٣) مقابلاً للآلة: في مقابلة البصر P
(٢٤) عدم: ارتفاع P

الحجاب، حصل للنفس إشراق حضوريّ على[١] المبصَر، فتدركه[٢] لا بصورة ومثال منه في النفس، ولا بصورة كلّيّة، بل بصورة جزئيّة مشاهديّة[٣].

وكذلك الحال في الصورة الخياليّة[٤] والمناميّة، والصور التي تراها أرباب الكشف والذوق، كلّها تدرك بالإشراق الحضوريّ[٥].

فيجب على الإنسان الفاضل أن يعترف بالعلم الإشراقيّ الحضوريّ لجميع النفوس المجرّدة عن الموادّ.

[أجوَد التعاريف للتعقّل]

فإذا عرفتَ ذلك، فمن عرّف التعقّل بأنّه عدم غيبة الشيء عن الذات المجرّدة عن المادّة، فهو[٦] أجوَد ممّن عرّفه بأنّه حضور الشيء للذات المجرّدة عن المادّة؛ فإنّ عدم الغيبة يعمّ إدراك الشيء لذاته ولغيره؛ إذ[٧] كلّ مجرّدٍ قائمٍ بنفسه لا يغيب عن ذاته، كما قد لا يغيب عنه غيره. بخلاف الثاني؛ فإنّه لا يعمّ إدراك الشيء لذاته ولغيره. فلا[٨] يُقال: «إنّ الشيء[٩] حاضر عند نفسه»، بل يُقال[١٠]: «حاضر لغيره[١١]»، فالتعريف الأوّل أصلح[١٢].

[أقسام المعقول وكيفيّة إدراك النفس لكلّ منها]

ثمّ المعقول[١٣]:

---

(١) على: + ذلك P

(٢) فتدركه: + النفس P

(٣) مشاهديّة: فشاهدته A

(٤) الخياليّة: الحاليّة P

(٥) بالإشراق الحضوريّ: بالحضور الإشراقيّ فحسب P || A121b

(٦) فهو: هو A

(٧) إذ: لأنّ P

(٨) فلا: ولا A

(٩) إنّ الشيء: إنّه P

(١٠) يقال: + إنّه P

(١١) لغيره: عند غيره P

(١٢) الأوّل أصلح: الأوّل لعمومه لذاته ولغيره أصلح من التعريف الثاني P

(١٣) المعقول: التعقّل P

ـ قد يكون غائباً عن الذات[١] العاقلة أحياناً، كأكثر[٢] الأشياء الغائبة عن النفس.

ـ وقد لا يكون غائباً عن ذات العاقل، كإدراك المجرّد[٣] ذاته دائماً؛ فإنّ المجرّد يدوم إدراكه لذاته بدوام ذاته. ولكن لا يلزم من ذلك أن لا يكون متعقّلاً لغيره، بل يجب أن يكون مع دوام تعقّله لذاته تعقّله لغيره، كالمبادئ العالية[٤] والنفوس الكاملة؛ فإنّ كلّاً[٥] منها مع دوام تعقّل ذاته يتعقّل سائر المجرّدات دائماً، وكلّما كان التجرّد عن المادّة أتمّ وأقوى كان الإدراك أكمل وأفضل. ولهذا لمّا كان العقل أشدّ تجرّداً من[٦] النفوس، كان إدراكه أقوى وأشدّ من إدراكها[٧]. وكذلك[٨] يختلف إدراك النفوس بحسب اختلاف تجرّدها، وميلها إلى القوى البدنيّة، وانغماسها فيها[٩]، وقوّة علاقتها معها[١٠]، وارتفاعها[١١] عنه وعن قواه، وميلها إلى الجهة العالية.

وأنت فيمكنك معرفة[١٢] حقيقة ذلك لمجرّد[١٣] الاعتبار وتجرّدها عن المادّة، فبقدر[١٤] قوّة تجرّدها عن المادّة يشتدّ إدراكها لذاتها، وبقدر شدّة حضور الغير لها وانكشافه يقوى إدراكها لغيرها.

وإذا كان الشيء غائباً عن النفس، فيشترط في إدراكه أن يحضر عندها إمّا[١٥] بذاته أو بصورته.

---

(١) الذات: ـ A
(٢) كأكثر: ككثير من P
(٣) المجرّد: كلّ مجرّد عن المادّة من النفوس والعقول P
(٤) كالمبادئ العالية: كما هو الحال في المبادئ العقليّة P
(٥) كلّاً: كلّ واحد P
(٦) من: عن P
(٧) إدراكها: إدراك النفس P
(٨) وكذلك: فلذلك A
(٩) فيها: في ذلك P
(١٠) معها: مع البدن P
(١١) ارتفاعها: إيقاعها A
(١٢) معرفة: أن تعرف P
(١٣) ذلك لمجرّد: هذا عند P
(١٤) فبقدرك فيقدر A
(١٥) إمّا: ـ A

والحاضر[١] بذاته تدركه[٢] بالحضور الإشراقيّ.

والحاضر[٣] بصورته، فالمدرَك بتلك الصورة[٤] إمّا أن يكون جزئيّاً أو كلّيّاً.

والأوّل إدراكه إنّما يكون[٥] بحصول[٦] صورته في قوىً جسمانيّة حاضرة للنفس المدرِكة، كإدراك زيدٍ الغائب عنّا بصورته.

والثاني فلا يصحّ أن يدرَك بحصول صورته في قوّة جسمانيّة[٧]؛ لامتناع انطباع الكلّيّات في الأجسام وقواها. فصورته حاصلة في ذات النفس[٨]. فالمدرَك هو الصورة، لا ما خرج عن التصوّر ممّا تطابقه الصورة الحاصلة[٩]؛ لأنّ[١٠] الخارج عن التصوّر لا يكون مدرَكاً بالقصد الأوّل، فإن أُدرك فإنّما هو[١١] بالقصد الثاني.

والنفس[١٢] تدرك بالطرق الثلاثة عدّةً من المدرَكات. فتدرك ذاتها وبدنها وقواها والأشياء الحاضرة عندها بالحضور[١٣] الإشراقيّ، وتدرك الجزئيّات الغائبة[١٤] بالصور الجزئيّة الحاصلة[١٥] في قواها، وتدرك الكلّيّات بالصور الحاصلة[١٦] في ذاتها.

[رجوع الإدراك بالصورة إلى الإدراك الحضوريّ]

فإذا[١٧] أمعنتَ النظر وجدتَ الإدراك بالصورة[١٨] راجعاً[١٩] إلى الإدراك الإشراقيّ

---

(١) والحاضر: فإن كان حاضراً P
(٢) تدركه: فيدرك P
(٣) الحاضر: إن كان حاضراً لها P
(٤) فالمدرك بتلك الصورة: ـ A
(٥) يكون: هو P
(٦) A122a
(٧) حاضرة للنفس ... جسمانيّة: ـ A
(٨) النفس: + الناطقة P
(٩) عن التصوّر ... الحاصلة: عنها ممّا يطابقها A
(١٠) لأنّ: فإنّ P
(١١) فإن أُدرك فإنّما هو: وإن قيل إنّه مدرك فهو P
(١٢) النفس: + الناطقة P
(١٣) بالحضور: بمجرّد الحضور P
(١٤) الغائبة: + عنّا P
(١٥) الحاصلة: ـ A
(١٦) الحاصلة: ـ A
(١٧) فإذا: وأنت إذا P
(١٨) بالصورة: + سواء كانت كلّيّة أو جزئيّة P
(١٩) راجعاً: راجع A

الحضــوريّ؛ فإنّ المدرَك بالحقيقة[١] هو الصــور الخياليّة الحاضــرة في القوى، لا ما خرج عن التصوّر، وكذلك المدرَك[٢] نفس الصـور الكلّيّة، لا ما طابقه من المجرّدات العقليّة. فالإدراك[٣] هو حصول الشيء للذات المجرّدة[٤] عن المادّة.

ولمّا كان إدراك الشــيء لذاته[٥] يختلف بشـدّة[٦] التجرّد وضـعفه، وإدراكه للأشياء مختلف[٧] بحسب شدّة حضوره و[٨] قوّة انكشافه وجلائه، فكلّما[٩] كان التجرّد أكثر ـوذلك[١٠] يكون بتسـلّط[١١] النفس على البدن وقواه واستيلائها عليه ـ كان إدراكها لذاتها ولغيرها أشـدّ وأقوى؛ فإنّ الإدراك يختلف باختلاف شـدّة[١٢] الحضـور وقوّة انكشـافه وجلائه، وله في ذلك مراتب كثيرة.

يُعرف[١٣] ذلـك بالرؤية وقت الظهر، وعند طلوع الشــمس، وقبل طلوعها، وفي[١٤] أوّل الصــبح، وفي الليل المُدلَهَمّ[١٥]، تجد الإدراك مختلفاً باختلاف[١٦] النور المُظهر، فيختلف[١٧] حضوره عند النفس.

و[١٨] كـذلـك يختلف الإدراك عنـد رؤيتك الشــيء[١٩] بالمقابلة، وعند رؤيتك له بالخيال[٢٠] عند تغميض العين؛ فإنّه[٢١] عند فتح العين أقوى وأشدّ انكشافاً.

---

(١) بالحقيقة: على الحقيقة إنّما P
(٢) عن التصوّر ... المدرك: و A
(٣) فالإدراك: فصحّ أنّ الإدراك P
(٤) المجرّدة: المجرّد A
(٥) إدراك الشيء لذاته: الإدراك A
(٦) بشدّة: بقدر شدّة P
(٧) مختلف: يختلف P
(٨) و: ـ A
(٩) فكلّما: وكلّما A
(١٠) وذلك: دائماً A
(١١) بتسلّط: بقدر تسلّط P
(١٢) باختلاف شدّة: لشدّة A
(١٣) يعرف: ولك أن تعتبر P
(١٤) في: + أكل A
(١٥) ادلهمّ الليل: كثُف واسودّ. (لسان العرب)
(١٦) باختلاف: لاختلاف P
(١٧) فيختلف: + بذلك P
(١٨) و: ـ A
(١٩) الشيء: الأشياء A
(٢٠) بالخيال: الخيال A
(٢١) فإنّه: فإنّ الإدراك P

فهذا تحقيق[١] علم النفس[٢]، ومنه يُعرف[٣] علم المبادئ العقليّة[٤].

[كيفيّة علم الواجب تعالى بذاته وبغيره]

وأمّا علم[٥] الواجب لذاته بذاته وبغيره[٦]، فهو أنّ العلم كمال مطلق للموجود من حيث هو موجود، وكلّ كمال كذلك[٧] لا[٨] يمتنع على الواجب، ينتج من الأوّل: «أنّ[٩] العلم لا يمتنع على[١٠] الواجب». وما لا يمتنع عليه يجب[١١] له؛ إذ لا قوّة إمكانيّة فيه.

ونعني بالكمال المطلق أن لا يكون كمالاً من وجه ونقصاً من[١٢] آخر.

ولمّا كان الواجب أتمّ ذاتاً وأولى بكلّ كمال من غيره ـ لأنّه الواهب لكلّ كمال بغيره، فهو أولى به[١٣] ـ فيدرك ذاته بذاته، لا بأمر زائد على ذاته، ويدرك[١٤] جميع الأشياء بالإشراق الحضوريّ.

ثمّ لمّا كان العلم[١٥] لا يجب أن يكون بصورة ومثال ـ من حيث ذاته ـ ولا بأثر[١٦]، وعرفتَ أنّ النفس لها علوم حضوريّة إشراقيّة يكفي فيها مجرّد الإضافة الخاصّة، وهو حضور الشيء المدرَك حضوراً إشراقيّاً لا غير، فالواجب لذاته ـ تقدّست أسماؤه ـ يدرك ذاتَه[١٧] بذاته؛ لتجرّده عن المادّة، وكونه هو الوجود البحت الذي لا يشوبه شيء،

---

(١) تحقيق: هو التحقيق في P

(٢) النفس: النفوس P

(٣) يعرف: يمكنك معرفة P

(٤) العقليّة: ـ A

(٥) علم: كيفيّة معرفة P

(٦) بغيره: لغيره A، + من سائر الممكنات P

(٧) كذلك: مطلق للموجود من حيث هو موجود P || A122b

(٨) لا: فلا P

(٩) أنّ: ـ A

(١٠) على: عن A

(١١) يجب: بحث A

(١٢) من: + وجه P

(١٣) به: بها P

(١٤) يدرك: مدرك A

(١٥) العلم: كمالاً للوجود من حيث هو وجود P

(١٦) بأثر: تأثّر A

(١٧) يدرك ذاته: مدرك A

ويدرك غيرَه من ســائر الممكنات بحضــورها[١] له؛ فإنّه لمّا كان الإدراك للذات بقدر التجرّد، وكان الإدراك للغير بقدر الحضور والتسلّط، وكان الواجب لذاته أشدّ تجرّداً من كلّ مجرّد[٢]، وكان تسـلّطه[٣] على الأشـياء وقهره لها أعظم من كلّ تسـلّط، فهو تعالى أشـدّ الأشـياء إدراكاً لذاته ولغيره، والأشـياء حاضرة[٤] له أعظم وأقوى من كلّ حضور؛ فإنّه المبدأ[٥] لجميع[٦] الأشياء ومتسلّط[٧] عليها بقوّته[٨] الغير المتناهية أشدّ[٩] تسلّط، فلا[١٠] نسـبة لتسـلّط غيره إلى تسلّطه، فيكون الإضافة المبدئيّة التسلّطيّة بالقوّة النوريّة الغير المتناهية الشدّة هي الموجبة لحضور[١١] الأشياء له.

ولمّـا لم يكن في الوجود إلّا ذاته ولوازم ذاته، فهو غير غائب عن ذاته وعن لوازمها، فعدم غيبته عنهما[١٢] اللازم عن التجرّد[١٣] هو إدراكه[١٤] لها. فهو محيط بجميع الأشياء ـعلى اختلافها في[١٥] مراتبها وأحوالهاـ على سـبيل الحضـور، سـواء كان الحاضـر مجرّداً عن المادّة، أو[١٦] مادّيّاً، أو[١٧] ذا[١٨] صورة ثابتة في بعض الأجسام، أو في بعض المجرّدات، أو[١٩] غير ذلـك[٢٠]؛ فإنّه يدركها كلّها[٢١] ويحيط بها على الوجه المذكور.

---

(١) بحضورها: لحضورها Ps
(٢) مجرّد: + عن المادّة P
(٣) كان تسلّطه: تسلّط P
(٤) حاضرة: حاضر A
(٥) المبدأ: لمّا كان مبدأً P
(٦) لجميع: بجميع A
(٧) ومتسلّط: كان متسلّطاً P
(٨) بقوّته: نعوته A
(٩) أشدّ: + من كلّ P
(١٠) فلا: بل لا P
(١١) لحضور: بحضور A
(١٢) عنهما: عن ذاته ولوازمها P
(١٣) اللازم عن التجرّد: مع التجرّد المذكور P
(١٤) إدراكه: + كما A
(١٥) اختلافها في: اختلاف P
(١٦) أو: + كان أمراً P
(١٧) أو: ـ A، + كان P
(١٨) ذا: ـ P
(١٩) A123a
(٢٠) غير ذلك: كانت غير ثابتة P
(٢١) كلّها: ـ P

فالحوادث[١] الماضية والمستقبلة ـ الثابتة[٢] صورها في المدرَكات الفلكيّة ـ كذلك[٣] أيضاً؛ لأنّ الإحاطة الإشراقيّة[٤] له على حامل تلك الصورة، فتكون[٥] له[٦] على تلك[٧] الصورة.

وكذا المبادئ العقليّة إن كان فيها صورة، فالإحاطة الإشراقيّة عامّة له ولجميع المبادئ العقليّة، إلّا أنّ إدراكه تعالى لذاته ولجميع الأشياء وإحاطته بها أشدّ وأقوى من كلّ إدراك وإحاطة، «فلا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء»[٨].

وذلك الإدراك لا بصورة في ذاته، بل بالحضور الإشراقيّ الذي هو أفضل أنحاء الإدراك، وكانت[٩] السلوب والإضافات جائزين في حقّه تعالى ـ كما مرّ ـ، فإذا علم[١٠] شيئاً بذلك الحضور، كصورة زيدٍ، كان له إضافة مبدئيّة إليه. فإذا بطلت صورة زيد بطلت تلك الإضافة المبدئيّة التي له إليه. ولكن لا يلزم من بطلانها تغيّره[١١] في نفسه، و[١٢] قد عرفتَ أنّ الإضافات المحضة لا يلزم من تغيّرها تغيّر المضاف إليه، كتغيّر ما على اليمين [إلى ما][١٣] على اليسار.

وأمّا العلم الزمانيّ الموجب لتغيّر العالِم، فإنّه[١٤] ممتنع في حقّ الواجب تعالى[١٥]؛ فإنّ بتغيّره يتغيّر ذات العالِم به ضرورةً، أو يلزم الجهل، وذلك مستحيل في حقّه تعالى.

---

(١) فالحوادث: والحوادث A
(٢) الثابتة: الثابت A
(٣) كذلك: حاضرة له P
(٤) الإشراقيّة: + لمّا كانت P
(٥) فتكون: فيكون A
(٦) له: + أيضاً P
(٧) تلك: ـ A
(٨) مقتبس من: القرآن الكريم: ٣/٣٤
(٩) كانت: ـ A
(١٠) علم: عمل A
(١١) تغيّره: بغيره A
(١٢) و: فإنّك P
(١٣) إلى ما: ـ A
(١٤) فإنّه: ما به A
(١٥) تعالى: لذاته P

لكنّـه إنّمـا يلزم على تقـدير كون العلم بـالصـــورة والمثال؛ فأمّا إذا[1] علمتَ أنّ علمه بالإشـراق الحضـوريّ التسلّطيّ على[2] الأشياء وصورِها[3] التي في المدرِكات الفلكيّة التي يجوز[4] عليها التغيّر، فلا يلزم من تغيّرها تغيّره؛ لِما ذكرنا أنّ بطلان شيء منها إنّما يلزم منـه بطلان الإضـــافـة المبـدئيّـة التي[5] له إليه، ولا يلزم التغيّر بتغيّر الإضـــافات المحضة ـكما عرفت[6]ـ.

[كلام السهرورديّ في بيان قاعدة الإشراق]

وذكر الشـيخ الإلهيّ في حكمة الإشـراق[7] أنّ الحقّ في العلم هو قاعدة الإشراق[8]، وهو أنّ علمه بذاته كونه نوراً لذاته وظاهراً لذاته[9]، وعلمه[10] بالأشياء اللازمة له[11] هو كونها ظاهرة لها بذواتها أو بمتعلّقاتها التي هي مواضـع الشعور[12] المستمرّ للمدبّرات العِلويّة، وذلك إضافة محضة، وعدم الحجاب[13] سلبيّ.

ثمّ[14] قـال: والـذي يـدلّ على أنّ هـذا القدر كافٍ في العلم، أنّ الإبصـــار إنّما هو بمجرّد إضـافة ظهور الشـيء للبصـر مع[15] عدم الحجاب. فإضـافته لكلّ[16] ظاهر له إبصـار وإدراك. وتعدّد الإضافات العقليّة لا يوجب تكثّراً في ذاته تعالى. فنور الأنوار له ظهور وحضـور لا يُتصـوّر أن يكون أتمّ منه وأكمل، فلا يحجبه شيء عن شيء. فعلمه

(١) فأمّا إذا: فإنّا كما A
(٢) على: لذوات P
(٣) صورها: لصورها P
(٤) التي يجوز: الجائز P
(٥) التي: الذي A
(٦) عرفت: يعدم A
(٧) حكمة الإشراق: ١٥٢
(٨) أنّ الحقّ ... الإشراق: ـ A
(٩) وظاهراً لذاته: ـ A
(١٠) وعلمه: فعلمه A
(١١) له: و A
(١٢) A123b
(١٣) الحجاب: حجاب A
(١٤) ثمّ: ـ P
(١٥) مع: من A
(١٦) لكلّ: إلى كلّ P

وبصــره واحد، وعلمه بذاته هو حياته، ولا يزيد حياته[١] على ذاته النوريّة، ونوريّته هو نفس قـدرتـه؛ فـإنّ النور فيّـاض لذاته. وجميع صـفات الكمال[٢] والمدح ـ كالعلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، وما أشبهها ـ فهي نفس ذاته.

والعلم الإشـراقيّ الحضوريّ إذا حصل[٣] فينا، فلا بدّ من حصول شيء للمدرِك منّا لم يكن حاصـلاً من قبل، وهو الإضافة الإشراقيّة فقط، من غير افتقار إلى مطابقة العلم للصـورة. وتقسـيم العلم إلى التصـوّر والتصـديق إنّما هو في العلوم التي هي غير علم المجرّدات بذواتها، وغير العلم بالأشياء التي يكفي فيها مجرّد الإشراق الحضوريّ[٤]؛ فإنّها ليست تصوّريّة ولا تصديقيّة[٥]، بل هو علم أعلى وأكمل.

فهذه هي[٦] الطريقة العظمى الشـريفة[٧] في مسـألة العلم، ولا يكمل معرفتها إلّا بخلوات وريـاضـات يتجلّى[٨] فيها على النفس النورُ[٩]، فيظهر ظهوراً تامّاً[١٠] أتمّ من ظهور الشمس، ويظهر بظهوره فوائد[١١] أُخرى من المهمّات، فاعلَم ذلك[١٢].

[تحيُّر الشيخ الرئيس في تبيين كيفيّة علمه تعالى]

والشـيخ الرئيس لمّا لم يتيسّـر له هذه[١٣] الطريقة، ولم يظفر بها، و[١٤] كاعَ[١٥] في كيفيّـة علم[١٦] الواجب، وكان العلم عنده بالصــور[١٧]، فتحيّر في ذلك. فتارةً يقول: إنّ

---

(١) حياته: ـ A
(٢) الكمال: + والمجد P
(٣) حصل: ـ A
(٤) الحضوريّ: ـ A
(٥) تصـوّريّة ولا تصـديقيّة: من المدركات التصوّريّة ولا التصديقيّة P
(٦) فهذه هي: وهذه A
(٧) الشريفة: ـ P
(٨) يتجلّى: تتجلّى A
(٩) فيها على النفس النور: بها النور النفسيّ P
(١٠) تامّاً: ـ P
(١١) فوائد: أُمور P
(١٢) فاعلم ذلك: ـ P
(١٣) يتيسّر له هذه: تيسّر لهذه A
(١٤) و: ـ A
(١٥) كاع: جبُن. (مجمع البحرين)
(١٦) علم: علمه A
(١٧) بالصور: بالتصوّر A

جميع صــور الموجودات لا يجوز أن تكون[1] في ذاته؛ لئلّا يتكثّر ذاته[2]، فتارةً[3] يجعلها في بعض الموجودات، وتارةً يقول: تكون في صُقع[4] من الربوبيّة.

قال صاحب الشجرة[5]: «ولا أفهم هذا الصُقع الذي يكون فيه هذه الصور[6]».

وتارةً يلتزم أنّ هذه الصور في ذاته تعالى[7]، ولا[8] يلزم تكثّره؛ فإنّها كثرة[9] خارجة[10] عن الذات، لاحقة بها[11]، لا داخلة فيها. وهذا مختاره في الإشارات[12].

[مذهب نصير الدين الطوسيّ في تبيين كيفيّة علمه تعالى]

ولمّـا تفطّن الشــارح لهـذا الكتـاب[13] أنّ هـذا القول معتقَـد رديء ـ لِمـا فيه من المفاسد السابقة ـ فحاول إثبات طريقة أُخرى لهذا المطلوب. >[14]

[15]< فقال[16]: إنّ كلّ عاقل لا يفتقر في إدراكه لذاته إلى صــورة غير صــورة ذاته، وكذلك لا يفتقر في إدراكه[17] لِما[18] يصـدر عن ذاته إلى غير صـورة ذلك الصادر، بل نعرف[19] الأُمور الغائبة عنّا بصــور صــادرة عنّا، ونعقلها[20] بذاتها، لا بصــور أُخرى؛ لامتناع تضــاعف الصــور وتسـلسُــلها[21]. فالواجب لذاته هو الذي صــدر عنه جميع

---

(١) تكون: يكون A

(٢) ذاته: + الوحدانيّة P

(٣) فتارة: وتارة A

(٤) الصقع: الناحية. (لسان العرب)

(٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٠٢/٣

(٦) الصور: الصورة A

(٧) ذاته تعالى: ذات الواحد الحقّ P

(٨) ولا: من غير أن P

(٩) كثرة: _ A

(١٠) A124a

(١١) بها: لها A

(١٢) الإشارات والتنبيهات: ٣٢٩

(١٣) شرح الإشارات والتنبيهات للطوسيّ: ٣٠٣/٣

(١٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٩٤/٣ _ ٥٠٢

(١٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(١٦) شرح الإشارات والتنبيهات للطوسيّ: ٣٠٤/٣

(١٧) إدراكه: إدراكها A

(١٨) لما: إلى ما P

(١٩) نعرف: يفرّق A

(٢٠) نعقلها: تعلّقها A

(٢١) تسلسلها: إلى غير النهاية P

الموجودات من غير مشـــاركـة غيره، فهو أولى أن لا يفتقر في إدراكهـا إلى غير ذاتـه المعيّنة، فليس من شرط كلّ تعقُّل أن يكون المدرِك محلّاً للصور المتعقّلة.

فقد عرفتَ أنّ كلّ واحد منّا يدرك ذاته ويدرك[١] الأشـياء الحاضـرة له[٢] لا بصـورة ومثال حالّة فينا، بل كوننا[٣] محلّاً لتلك الصـورة هو شـرط في حصـول تلك الصـورة لنا[٤]. وأمّا بطريق آخر غير الحلول فينا، فلا توجب حصول التعقّل لنا.

ولا شـكّ أنّ حصـول الشـيء لعلّته[٥] الفاعليّة ليس بدون حصوله لعلّته القابليّة في كونه حصـــولاً لغيره. فإذا[٦] كان الأمر كذلك، لزم أن يكون الذات العاقلة لذاتها عاقلةً لجميع معلولاتها الذاتيّة وحاصلةً[٧] لها من غير أن تحلّ فيه.

وإذا عرفـتَ هـذه المقدّمة، فاعلَم أنّ الواجب لذاته لمّا لم يكن بين ذاته وبين عقله لـذاتـه تغـاير، بل كان عقله لذاته هو نفس ذاته في الوجود، فكذلك لا تغاير بين وجود المعلول[٨] الأوّل وبين تعقّل الواجب له؛ لأنّ ذاته لمّا كانت علّة لذات المعلول الأوّل، فتعقّلـه[٩] لـذاتـه علّة لتعقّل معلوله الأوّل. وكان اتّحاد العلّتين في الوجود ـ أعني ذات الواجب وعقله[١٠] لذاته شيئاً واحداً في الوجود مع[١١] تغايرهما الاعتباريّ ـ علّةً لاتّحاد معلولهمـا[١٢] في الوجود، أعني المعلول الأوّل وتعقّل الواجب، اللذين[١٣] هما شـــيء واحد في الوجود مع تغايرهما الاعتباريّ أيضاً. وحينئذٍ يكون تعقّل الواجب لذاته و[١٤]

---

(١) يدرك: ـ P

(٢) له: ـ A

(٣) كوننا: كونها A

(٤) الصورة لنا: ـ A

(٥) لعلّته: بعلّته A

(٦) فإذا: وإذا P

(٧) حاصلة: حاصله A

(٨) المعلول: المعقول APs

(٩) فتعقّله: فعقله P

(١٠) A124b

(١١) مع: + أنّ A

(١٢) معلولهما: معلولها A

(١٣) اللذين: الذين P

(١٤) و: ـ P

لمعلوله الأوّل نفس وجوده، من غير أن يحتاج إلى حضــور صــورة مســتأنفة تحلّ ذاته تعالى.

وقد عرفتَ أنّ كلّ مجرّد يعقل[١] ذاته وغيره من المجرّدات. فالجواهر العقليّة تعقل ما ليســت بمعلولات لها بحصــول صــورها فيها[٢]، وتعقل الواجب لذاته أيضاً. فجميع صــور الوجود[٣] -الكلّيّة والجزئيّة- حاصــلة فيها، والواجب لذاته علّة لجميعها، فهو يعقل[٤] جميع تلك الجواهر العقليّة مع الصور التي فيها، لا بصور[٥] غيرها، بل بأعيان تلك الجواهر والصور. وبهذا الطريق يعقل الوجود -على ما هو عليه[٦]- من غير لزوم شيء من المحالات المذكورة، فإذَن ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي[٧] الْأَرْضِ﴾[٨].

ثمّ قال[٩]: فإذا تحقّقتَ هذا الأصــل وبسطتَه، ظهر لك كيفيّة إحاطته تعالى بجميع الموجودات، و﴿ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ﴾[١٠].

[مذهب الكنديّ في تبيين كيفيّة علمه تعالى]

وقــال يعقوب بن إســحــاق الكنديّ[١١] قريباً من هذه الطريقة، وهو: إذا كانت العلّة الأُولى متّصـــلــة بنا لفيضـــه علينا، وكنّا غير متّصـــلين به إلّا من جهةٍ، فقد يمكن فينا ملاحظته على قدر ما يمكن للمفاض عليه أن يلحظ الفائض. فيجب أن لا ينسب قدر

(١) يعقل: تعقل A
(٢) فيها: فيه P
(٣) الوجود: الموجود P
(٤) يعقل: تعقل A
(٥) بصور: يصوّر A
(٦) على ما هو عليه: كما هو علّته A
(٧) لا في: _ A
(٨) القرآن الكريم: ٣/٣٤
(٩) شرح الإشارات والتنبيهات للطوسيّ: ٣٠٧/٣
(١٠) القرآن الكريم: ٥٤/٥، ٢١/٥٧، ٤/٦٢
(١١) لم أعثر عليه في مصنّفات الكنديّ.

إحاطته بنا إلى قدر ملاحظتنا[١] له؛ لأنّها أغزر وأوفر وأشـدّ استغراقاً لنا. وإذا كان الأمر كذلك، فقد بعُد عن الحقّ بُعداً كثيراً مَن ظنّ أنّ العلّة الأُولى لا تعلم[٢] الجزئيّات.

[أفضليّة طريقة السهرورديّ على سائر الطرق]

وأنت ـ أيّها الناظر![٣] ـ إذا لاحظتَ[٤] طريقة الشيخ الإلهيّ، عرفتَ أنّه ليس وراءها طريقة أقوى وأمتن منها[٥]؛ لمساعدة كلّ مَن سلك سبيل اللّه وكوشف ببعض الأنوار الإلهيّة عليها. وما ذكره الإمام نصير الدين في شرحه هذا ـ الذي ذكرناه ـ، أجوَد من سائر الطرق التي ذكرها المشّاؤون، ولا فرق بينها وبين طريقة الشيخ إلّا في إثباته لجميع[٦] صور الموجودات في[٧] الجواهر العقليّة. وعلى طريقة الشيخ إنّ المبادئ العقليّة تعرف ذاتها بذاتها، وجميع الموجودات الباقية بالإشراق الحضوريّ، بلا حصول صورة أو أثر، وتلك الأُمور المادّيّة كذلك، فلا صور حاصلة في المبادئ العقليّة. نعم! هذه الطريقة أصلح الطرق، فتحدَّس تقِف على المراد ـ إن شاء اللّه تعالى ـ. <[٨]



---

(١) ملاحظته على ... ملاحظتنا: ـ A

(٢) تعلم: يعلم A

(٣) أيّها الناظر: ـ P

(٤) لاحظت: تأمّلت P

(٥) أقوى وأمتن منها: أُخرى في القوّة والمتانة P

(٦) لجميع: بجميع A

(٧) A125a

(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٠٤/٣ ـ ٥٠٧

[نفي لوازم الإمكان عنه تعالى]

فإذا وقفتَ على ما انكشـف لك، **فكمالاته حاصلة له، فلا يمكن عليه شيء؛ إذ ليس بـذي جهـة كائنة. وقد عرفتَ أنّ وجوده عين ماهيّته، فلا يكون عرضـاً أو عارضاً ليحتاج إلى علّة؛** لأنّ ذلك من لوازم الإمكان، ولوازم الوجوب [تنافيها][1]؛ لِما عرفتَ. **ولا كذلك الأجسام،** بل يصحّ عليها العروض والمعروضيّة؛ **لإمكانها،** ولوازم الإمكان [تقتضي][2] ما [ينافي][3] لوازم الوجوب. **فوجودها** ـ أعني الأجسام ـ **يحتاج إلى علّة ضرورةً؛** إذ الإمكان علّة الاحتياج.

ولا مشـاركـة بين الواجـب وبين غيره في جزء؛ لِمـا بينهما من المباينة؛ لأنّ ما غايره ممكن أو ممتنع، ولا كلام في المباينة الذاتيّة بينهما، فلا مشـترك يكون شـاملاً لهما ليكون جزءاً منهما، حتّى يكون هناك جنس شامل لهما، **ليحتاج** الواجب **إلى مميّز** به يمتاز عن ذلك المشارك في الجنس؛ **[لِوحدته][4] المطلقة.** فالواحد من [جميع][5] جهاته واعتباراته لا يصدق عليه الكثرة بوجهٍ، والاشتراك والامتياز يوجبا التكثّر.

وحينئذٍ **فلا محلّ؛** لمنافاته للوحدة الحقيقيّة ووجوب الوجود؛ لاسـتحالة [كونه][6] قابلاً فاعلاً.

ولا [حالّ][7]؛ وإلّا لافتقر إلى المحلّ الذي هو المادّة.

---

(١) تنافيها: تنافياً A

(٢) تقتضي: يقتضي A

(٣) ينافي: لا تنافي A

(٤) لوحدته: لوجدته A

(٥) جميع: ـ A

(٦) كونه: و A

(٧) حالّ: حالّة A

ولا قيام [له بغيره][١]، وإلّا لَتحقّق الحلول، هذا خلف.

ولا ضدّ بمعنيَيه؛ لاستحالة العرضيّة والمشاركة.

ولا ندّ؛ للوحدة المطلقة [النافية][٢] للتعدّد بجميع أنواعه وجهاته.

[فكينونته][٣] **ماهيّته [و]**[٤] **وجوده.** فهذه عبارات ثلاثة، هي في الحقيقة شيء واحد. فلا زيادة في أحدها على الآخر، بل ولا مغايرة.

[أقسام كمالات الموجود]

[٥]< ونظمُ هذا الباب أنّه يجب أن يُعلم[٦] أنّ الكمالات التي تكون[٧] للموجود[٨] على قسمين:

أ. الكمالات التي لا تكون زائدة على[٩] الذات، كعلم المبدأ الأوّل والمبادئ العقليّة والنفوس الناطقة بذواتها، وكذلك[١٠] حياتها وقدرتها.

ب. ما تكون[١١] زائدة على نفس الذات، وذلك كالكمالات الثابتة[١٢] اللاحقة بذات الشيء بعد أن يصير الذات حاصلة في الوجود[١٣]. وهذا بخلاف الكمالات التي لا تكون[١٤] زائدة على نفس الذات؛ فإنّها لا تلحق[١٥] الذات بسبب أُمور خارجة عن الذات، بل تكون لاحقة بالذات من حيث هي ذات وموجودة[١٦]، لا من حيث

---

(١) له بغيره: لم يغيّره A

(٢) النافية: الباقية A

(٣) فكينونته: فكينونيّته A

(٤) و: _ A

(٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٦) يعلم: تعلم P

(٧) تكون: يكون A

(٨) A125b

(٩) على: + نفس P

(١٠) بداية مخطوطة B

(١١) تكون: يكون A

(١٢) الثابتة: الثانية A

(١٣) الوجود: + نوعاً من الأنواع P

(١٤) تكون: يكون AB

(١٥) تلحق: يلحق B

(١٦) موجودة: موجود AB

خصوص الجسميّة والتركيب والتكثّر وغير ذلك.

[إثبات القسم الأوّل من الكمالات له تعالى]

فهـذا النوع من الكمالات يمكن بالإمكان العامّيّ أن يثبت[١] لواجب الوجود لذاته من حيـث هو[٢] ذات وموجود، وكـلّ مـا أمكن أن يثبت للواجب لذاته بالإمكان العامّ يجب له، فالكمالات التي يمكن أن تثبت[٣] للواجب لذاته من حيث هو ذات وموجود تجب له.

أمّـا بيان أنّ الكمالات الثابتة لواجب الوجود ـ من حيث هو ذات وموجود ـ ممكنة بـالإمكـان العامّ، فلأنّها[٤] لا توجب تكثّراً في ذاته، فلا تمتنع[٥] على الواجب، وكلّ ما لا يمتنع عليه يجب له؛ إذ لا قوّة إمكانيّة له.

وأمّا بيان المقدّمة الثانية ـ وهي أنّ كلّ ما أمكن على الواجب بالإمكان العامّ، يجب له ـ فلوجوه[٦]:

أ. إنّ واجب الوجود[٧] لا يكون[٨] أتمّ منه ولا أكمل؛ إذ لو كان في الوجود ما هو أتمّ وأكمـل منـه، لكان ذلك الأتمّ والأكمل هو الواجب لذاته؛ فإنّه لنقصـــه عنه لا بدّ وأن يكون ممكنـاً، لا واجبـاً، والواجـب إنّمـا هو الأتمّ الأكمل من جميع[٩] الوجوه. وهذه التمـاميّـة والكمـاليّـة ليســت بزائدة على ذاته؛ لأنّ كلّ كمال وتمام يزيد على الذات يســتلزم[١٠] التكثّر في تلك الذات ـ كما مرّ بيانه ـ. بل هما نفس الذات، وكلّ كمال هو

(١) يثبت: ثبت B
(٢) هو: ـ AB
(٣) تثبت: يثبت A
(٤) فلأنّها: لأنّها P
(٥) تمتنع: يمتنع A
(٦) فلوجوه: لوجوه P
(٧) واجب الوجود: الوجود الواجب P
(٨) يكون: + ذاته A
(٩) B1b
(١٠) يستلزم: يلزم P

نفس الذات فهو غير زائد ولا متكثّر، فالواجب لذاته أولى به من الممكن. فإذا كان الإدراك والحياة[(١)] والقدرة وغيرهما من الكمالات الغير الزائدة حاصلةً[(٢)] للممكن، وجب بالضرورة حصولها للواجب لذاته.

ب. إنّ الكمالات الحاصلة للموجودات الممكنة من حيث هي ذوات[(٣)] موجودة من غير اعتبار أُمور مخصوصة ـكالجوهريّة، والعرضيّة، والجسميّة، والتركيب، ونحوهاـ فهي مستفادة من الواجب لذاته، وغير[(٤)] زائدة على ذواتها. وكلّ[(٥)] كمال غير زائدٍ هو[(٦)] مستفاد من الواجب لذاته، فالواجب أولى بذلك الكمال؛ فإنّ الشيء لا يوجِد ما هو أشرف[(٧)] وأتمّ منه؛ لأنّ وجود المعلول إنّما هو مستفاد من وجود العلّة، فيكون بالضرورة تابعاً لها[(٨)]، فلا[(٩)] يكون مساوياً لها، فكيف يمكن أن يكون أتمّ وأشرف منها؟

والحكماء المتألّهون متّفقون على أنّ الماهيّة المعلولة نسبتها إلى العلّة كنسبة الظلّ إلى[(١٠)] ذي الظلّ. وكما أنّ الظلّ أضعف من ذي الظلّ، فالماهيّة المعلولة أضعف وأنقص من العلّة. وهذه المقدّمة قريبة من العقل، ولا[(١١)] يحتاج الفَطِن فيها إلى تنبيه.

ج. إنّ الكمالات الغير الزائدة[(١٢)] ممكنة عليه بالإمكان العامّ الذي لا ينفكّ عن أن يكون إمّا واجباً أو ممكناً خاصّاً. وإذا امتنع أن يمكن عليه شيء بالإمكان الخاصّ ـوإلّا

---

(١) A126a
(٢) حاصلة: حاصله B
(٣) ذوات: + و P
(٤) غير: غيره A
(٥) وكلّ: فكلّ A
(٦) هو: فهو A
(٧) أشرف: + منه A
(٨) لها: + فلا يكون متابعاً لها AB
(٩) فلا: + يمكن أن P
(١٠) إلى: من P
(١١) B2a
(١٢) الزائدة: + الممكنة AB

لزم أن يكون فيه جهة إمكانيّة تقتضي[١] تركّب[٢] ذاته المقدّسة من جهتين، فيتكثّر، وذلك محال ـ تعيّن أن يكون ما أمكن لا بدّ وأن يكون واجباً.

فثبت[٣] بهذا[٤] أنّ كلّ كمال للوجود من حيث هو وجود، وهي[٥] الكمالات الغير الزائدة[٦] التي لا توجب التركيب والتكثّر بوجهٍ من الوجوه ـ كالإدراك، والحياة، وما أشبههما ـ لا يمتنع[٧] على الواجب لذاته، وكلّ ما لا يكون ممتنعاً عليه يجب[٨] له، ينتج من الأوّل: أنّ كلّ[٩] كمال للوجود غير زائد على الذات يجب للواجب بذاته، وهو المطلوب. >[١٠]



---

(١) تقتضي: يقتضي AB

(٢) تركّب: تركيب A

(٣) فثبت: فيثبت B

(٤) بهذا: من هذا البيان P

(٥) وهي: من AB

(٦) الزائدة: + على الذات وهي P

(٧) يمتنع: يمنع A

(٨) يجب: فيجب P

(٩) كلّ: ـ AB

(١٠) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٨٩/٣ ـ ٢٩٢

[الفصل الثامن: في سبب نفي الصفات الحقيقيّة عن الواجب تعالى]

[سبب نفي الصفات الحقيقيّة عن الواجب تعالى]

[١]< إرشاد: الذي نفَينا عن الواجب من الصفات هي الحقيقيّة، لا[٢] الإضافيّة والسلبيّة[٣] والاعتباريّة؛ لأنّ الأُولى غير متقرّرة في ذوات الأشياء[٤]، فلا تتغيّر[٥] بتغيّرها[٦] الذات[٧]؛ كالمبدئيّة، والعلّيّة، والمُبدعيّة.

وكذا الثانية ـ كالقدّوسيّة والفرديّة والأحديّة ـ، والثالثة ـ كالشيئيّة[٨] والحقيقة والحقّيّة والذاتيّة ـ، فإنّها إمّا سلوب لعوارض، كالقدّوسيّة؛ وإمّا سلوب لقسمة، كالفرديّة[٩]؛ أو لا وجود لها في الأعيان، ككونه شيئاً وحقيقة؛ فإنّ هذه الثلاثة لا يتمّ فيها برهان المنع.

وإن حقّقتَ[١٠] لم تجد إضافات متعدّدة، بل إضافة واحدة مصحّحة للكلّ، كالمبدئيّة[١١]. ولا سلوب كذلك، بل سلب واحد يتبعه جميع السلوب، وهو سلب الإمكان، المستلزم لسلب جميع لوازمه. فافهَمه؛ فإنّه دقيق. >[١٢]

[١٣]< اعلَم أنّ الواجب تعالى ليس له هيئة ولا صفة متقرّرة في ذاته؛ لأنّ تلك الصفة

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(٢) لا: دون P
(٣) A126b
(٤) في ذوات الأشياء: ـ AB
(٥) تتغيّر: تغيّر AB
(٦) بتغيّرها: بتغيّر فما A
(٧) الذات: في الذات المضافة شيء يتعلّق بفعل وانفعال P
(٨) كالشيئيّة: كالتشبيه A
(٩) كالفرديّة: + والأحديّة P
(١٠) B2b
(١١) كالمبدئيّة: هي المبدئيّة P
(١٢) شرح حكمة الإشراق: ٣٠٣ ـ ٣٠٤
(١٣) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

لا تكون[١] واجبةً؛ إذ لا واجب في الوجود غيره.

ولا معلولةً لواجب آخر؛ لذلك بعينه.

ولا لِممكن[٢]، وإلّا لكان منفعلاً عن معلوله؛ لانتهاء كلّ الممكنات في سلسلة الحاجة إليه، وهو بيّن الاستحالة.

بل تكون ممكنة ومعلولة لذاته[٣]، وهو محال؛ لأنّه لو أوجب لنفسه هيئة لَفعَل وقبِل[٤]، وجهة الفعل غير جهة القبول:

ـ إمّا لأنّ فعل الفاعل قد يكون[٥] في[٦] غيره، وقبول القابل لا يكون في غيره.

ـ وإمّا لأنّ الفاعل قد يكون علّة تامّة للمفعول، والقابل لا يكون علّة تامّة للمقبول.

وينتجان من الشكل الثاني: أنّ جهة الفعل غير جهة القبول[٧].

ولو كان جهة الفعل بعينها جهة القبول، لكانت الجهتان واحدة، ولَما صارت اثنتين؛ لاستحالة صيرورة شيء غير ذي جزئين وغير قابل للتفصيل[٨] شيئين؛ إذ لو وُجد[٩] فيه الاثنينيّة:

ـ فإمّا أن يبقى هو ويحدث[١٠] غيره، فما صار هو اثنين في نفسه.

ـ وإن بطل، فلم يصِر[١١] الواحد اثنين.

فلو[١٢] كانت الجهتان واحدة، لَبقيت واحدة أبداً، ولم ينفكّ[١٣] الفعل عن القبول،

---

(١) تكون: يكون AB

(٢) لممكن: ممكن AB

(٣) لذاته: لذات نور الأنوار P

(٤) قبل: قبل A

(٥) يكون: تكون A

(٦) في: من P

(٧) القبول: + لكانت الجهتان واحدة A

(٨) للتفصيل: + بل P

(٩) وجد: جاز P

(١٠) ويحدث: فيحدث AB

(١١) يصر: يصير A

(١٢) فلو: ولو A

(١٣) ينفكّ: يبعد A، يتعدّ B

ولا القبول عن الفعل، بل لكان كلّ قابل[١] لِما قبِل فاعلاً لِما قبِل، وكلّ فاعل لِما فعل قابلاً لِما فعل[٢] بنفس الفعل من غير احتياج إلى شيء آخر. وليس كذا[٣]؛ لِما عرفتَ من[٤] انفكاك جهة الفعل عن جهة القبول بوجدان فعل[٥] الفاعل في غيره.

واعلَم أنّ الجهتين حيث تعدّدتا[٦] في موضع، فلا تصيران[٧] واحداً أبداً؛ لأنّهما إن بقيتا فهما اثنتان[٨]، وإن لم يبقَ إحداهما أو كلتاهما فلا اتّحاد. وهذا بخلاف صيرورة شيئين شيئاً واحداً باتّصال وامتزاج، كمائين[٩]؛ أو بتبدّل[١٠] أحد جزئَي شيء وبقاء[١١] الآخر، فيصير[١٢] شيئاً آخر، كالماء يصير هواءً، والأبيض أسود. فيلزم أن يكون فيه تعالى ـ على[١٣] هذا التقدير ـ جهة تقتضي[١٤] الفعل، وجهة تقتضي[١٥] القبول. وهاتان الجهتان إمّا أن تكونا[١٦] داخلتين في ذاته، أو خارجتين عنها، أو إحداهما داخلة والأُخرى خارجة.

فإن كانتا خارجتين أو إحداهما فقط خارجة، فالمفيد لهما:

ـ إمّا غير ذات الواجب، وهو محال؛ لاستحالة تأثّره[١٧] عن الغير المعلول له.

ـ وإمّا ذاته، وهو محال أيضاً؛ لاقتضائه أن يكون ذاته فاعلة للخارج وقابلة له، وأن يكون ذلك بجهتين على أحد الأقسام الثلاثة.

---

(١) B3a
(٢) قابلاً لما فعل: ـ B
(٣) A127a
(٤) من: + أنّ AB
(٥) بوجدان فعل: يوجبان محلّ AB
(٦) تعدّدتا: تعدّدا AB
(٧) تصيران: يصيران AB
(٨) اثنتان: اثنان AB
(٩) كمائين: كما بين A، + أو ماء ولبن P
(١٠) بتبدّل: تتبدّل A
(١١) بقاء: بقي AB
(١٢) فيصير: فتصير A
(١٣) على: + جهة A
(١٤) تقتضي: يقتضي AB
(١٥) تقتضي: يقتضي AB
(١٦) تكونا: يكونا AB
(١٧) تأثّره: تأثيره AB

ويعود الكلام أبداً متى فرِضتا[١] خارجتين أو إحداهما فقط كذلك. ولا[٢] يتسلسل إلى غير النهاية[٣]، فينتهي إلى جهتين في ذاته، فيكون[٤] ذاته مركّبة لا بسيطة، هذا خلف.

وبطريق آخر أعلى، إنّ الجهتين[٥] ليس كلّ واحد منهما نوراً غنيّاً؛ إذ لا نورين غنيّين؛ لِما تقرّر أنّه لا نورين غنيّين في الوجود.

ولا أحدهما[٦] نور غنيّ والآخر نور فقير؛ لأنّ الفقر إذا[٧] كان هيئة فيه فيعود الكلام السابق، من أنّ علّته إمّا الذات أو غيرها، وهما محالان.

وإن لم يكن هيئة[٨] فهو مستقلّ، فلا[٩] يكون فيه، وقد فرِض جهةً في ذاته، وذلك ممتنع؛ للزوم خلاف المفروض.

ولا أن يكون أحدهما[١٠] نوراً والآخر هيئة ظلمانيّة؛ لأنّه يعود الكلام فيه بعينه، من أنّ مفيد الهيئة الذاتُ أو غيرها.

ولا أن يكون أحدهما[١١] جوهراً غاسقاً والآخر نوراً محضاً[١٢]، فيكون كلّ واحد غير متعلّق بالآخر، فلا يكون ذلك[١٣] الجوهر الغاسق في ذات نور الأنوار كالنور الفقير المستقلّ، هذا خلف.

فثبت[١٤] أنّ نور الأنوار مجرّد عمّا سواه من جميع الموادّ و[١٥] البرازخ والهيئات

---

(١) فرضتا: فرضنا A
(٢) لا: _ AB
(٣) النهاية: + لاستحالة التسلسل P
(٤) فيكون: ويكون A
(٥) B3b
(٦) أحدهما: إحداهما A
(٧) الفقر إذا: الفقيران P
(٨) هيئة: + هو A
(٩) فلا: ولا B
(١٠) أحدهما: إحداهما A
(١١) أحدهما: إحداهما A
(١٢) محضاً: مجرّداً P
(١٣) ذلك: _ P
(١٤) فثبت: فيثبت B
(١٥) و: _ AB || A127b

والصـفات، لا ينضـمّ إليه شـيء ما من الهيئات، وإن كانت نورانيّة، وإلّا لاسـتنار بها، وكـان في الوجود أنور منـه؛ لأنّ المنير أنور من المسـتنير، مع أنّه لا أنور منه؛ لأنّه نور الأنوار والنور المحض، الذي لا يتخصّـص بشـيء من الأشـياء، وما عداه لمعة من لمعات[(١)] أنواره، وشرر من شرار ناره. ولا يُتصوّر أن يكون أبهى منه؛ لأنّه أحسنُ الأشياء وأجملُها وأتمُّها وأكملُها.

ولمّا رجع حاصـل علم الشـيء بنفسـه إلى كون ذاته ظاهرة[(٢)] لذاته، وهو النوريّة المحضـة التي[(٣)] لا يكون ظهورهـا[(٤)] لغيرها[(٥)]، بل يكون ظهورها لذاتها بذاتها، فنور الأنوار حيـاته وعلمه بذاته لا يزيد[(٦)] على ذاته، بل هو نفس ذاته. وقد سـبق بيان ذلك وحقيقة[(٧)] قولنا: إنّ النور المحض المجرّد ظهوره[(٨)] لذاته نفس ذاته، وهو علمه وحياته الغير الزائدين على نفس الذات.

[سبب عدم نفي الصفات الإضافيّة والسلبيّة والاعتباريّة]

إذا فهمتَ ذلك، فاعلَم أنّ الذي نفينا عن الواجب من الصـفات هي الحقيقيّة، دون الإضافيّة والسلبيّة والاعتباريّة.

أمّـا الإضـافيّـة فهي من[(٩)] جملة المقولات العرضـيّة[(١٠)] التي هي من[(١١)] أُمّهات العوالي، ولا يجوز عليهـا[(١٢)] منهـا غيرهـا؛ لأنّها غير متقرّرة في ذات[(١٣)] الأشـياء، ولا

---

(١) لمعات: لمعان A
(٢) ظاهرة: ظاهر A، طاهر B
(٣) B4a
(٤) ظهورها: طهورها B
(٥) لغيرها: بغيرها P
(٦) يزيد: تزايد A؛ تريد B
(٧) حقيقة: حقيقته A
(٨) ظهوره: طهوره B
(٩) من: ـ AB
(١٠) العرضيّة: الفرضيّة B
(١١) من: ـ AB
(١٢) عليها: عليه AB
(١٣) ذات: ذوات P

يتغيّر[١] بتغيّرها في الذات المضـافة شـيءٌ يتعلّق بفعل وانفعال. ومثالها[٢] في الواجب المَبدئيّةُ والعلّيّة والمُبدعيّة.

واعتبِر عـدمَ تقرّرهـا[٣] في الـذات بتبـدّل[٤] ما علي يمينك إلى شـمالك، وما في مُحـاذاتـك إلى غير مُحـاذاتـك، من غير أن يتغيّر في ذاتـك، فلا يحتـاج[٥] الإضـافة وتغيّرها[٦] إلى قبول وتغيّر في ذات الشـيء المضـاف، فلا يسـتمرّ برهان نفي اتّصـاف الواجب بالصفات الحقيقيّة فيها.

وما سـوى الإضـافة من العرضـيّات العوالي ـوهي الكمّ، والكيف، والحركةـ إذا اتّصـف الواجب بشـيء منها، لزم من اتّصـافه به[٧] شيء من المحالات المذكورة، فله صـفات إضـافيّة. وإنّما يصـحّ عليه نفس الإضـافة، لا صـفة تلزمها الإضافة[٨]، كصفة حقيقيّة هي في نفسها كيفيّة أو نحوها. ويعرض[٩] لتلك الصفة الحقيقيّة إضافة إلى أمر آخر، كمـا عرفـتَ من عروض الإضـافة للمقولات[١٠] كلّها؛ فإنّ الصـفة الحقيقيّة لا تجوز[١١] على الواجـب، سـواء لزمتهـا الإضـافـة[١٢] أم لا؛ إذ على التقديرين يلزم ما ذكرناه[١٣] في البرهان من المحالات المذكورة[١٤].

وأمّا الصـفات السـلبيّة والاعتباريّة ـفكالقدّوسيّة، والفرديّة، والوحدة، والشيئيّة[١٥]،

---

(١) يتغيّر: تتغيّر P
(٢) مثالها: أمثالها AB
(٣) تقرّرها: تقريرها B
(٤) بتبدّل: يتبدّل A
(٥) يحتاج: + إلى AB
(٦) تغيّرها: بغيرها A
(٧) به: بها AB
(٨) A128a
(٩) يعرض: نفرض AB
(١٠) للمقولات: المقولات A
(١١) تجوز: يجوز AB
(١٢) B4b
(١٣) ذكرناه: ذكرنا P
(١٤) المذكورة: ـ P
(١٥) الشيئيّة: الشيبة A

والحقّيّة[١] ـ فإنّ هذه كلّها إمّا سلوب لعوارض، كالقدّوسيّة؛ وإمّا سلوب لقسمة، كالفرديّة والأحديّة؛ وإمّا اعتبارات لا وجود لها في الأعيان، ككونه تعالى شيئاً وحقيقة ـكما عرفتَـ، فهي في حكم الأُمور السلبيّة في كونها لا تخلّ[٢] بوحدانيّته تعالى، فمثل هذه الصفات يجوز عليه، بل يجب[٣] له.

وممّا يجب أن تعلمه وتحقّقه أنّه لا يجوز أن يلحق الواجبَ إضافاتٌ مختلفة توجب[٤] اختلاف حيثيّات فيه. بل له إضافة واحدة هي المبدئيّة، تصحّح[٥] جميع الإضافات، كالرازقيّة والمصوّريّة ونحوهما[٦]. ولا سلوب كذلك، بل له سلب واحد يتبعه[٧] جميعها، وهو سلب الإمكان؛ فإنّه يدخل تحته سلب الجسميّة والعرضيّة وغيرهما. كما يدخل تحت سلب الجماديّة عن الإنسان[٨] سلبُ الحجريّة والمدريّة تحته، وإن كانت السلوب لا تكثّر لها بحال[٩].

وهذا البحث ممّا استُفيد من مباحث الشيخ الإلهيّ من بعض[١٠] تصانيفه، وهو من الأسرار والمباحث الدقيقة، فالحَظه وتفطّن له. >[١١]



(١) الحقّيّة: الحقيقة AB

(٢) تخلّ: تحلّ AB

(٣) يجب: تجب AB

(٤) توجب: يوجب AB

(٥) تصحّح: فصحّح A

(٦) نحوهما: نحوها AB

(٧) يتبعه: يتبعها AB

(٨) الإنسان: ـ AB

(٩) لا تكثّر لها بحال: لا تكثر على كلّ حال P؛ بحال: محال A

(١٠) بعض: بعد A

(١١) شرح حكمة الإشراق: ٣٠١ ـ ٣٠٤

[الفصل التاسع: في قاعدتَي «الواحد» و«الإمكان الأشرف»]

[بيان قاعدة «الواحد لا يصدر عنه إلّا الواحد»]

وهاهنا **تنبيه** يظهر منه مباحث جليلة:

[١]< منهـا: **أنّ الواحـد من جميع جهـاته واعتباراته و[إراداته]**[٢] من غير اعتبار تكثّر الآلات[٣] والقوابل **لا يوجِب** من غير توسّـطٍ **ما ليس بواحد، وله شـواهد؛ فإنّه إذا**[٤] **صدر عنه اثنان من غير واسطة، فاقتضاء أحدهما غير اقتضاء الآخر، ففيه جهتان، يقتضـي بإحداهما أحدهما**[٥] **وبالأُخرى الآخر**[٦]**، فليس بواحد.** وإذا كان الأوّل موجِباً ومرجِّحاً لجميع[٧] ما عداه[٨]، والمرجّح دائم، فيدوم الترجيح[٩]. **فلا بدّ من الواسـطة. فالأوّل المرجّح لكلّ ما عداه دائمٌ، فيدوم الترجيح. وليس قبل**[١٠] **الممكنـات**[١١] **غيره، ولا وقـت ولا شـرط ولا داعية ليتوقّف**[١٢] **عليه الترجيح**[١٣]**، وليس**[١٤] **في العدم حال ليكون**[١٥] **أولى به فعل شيء**[١٦] **لم يكن. فالعلّة متقدّمة في العقل، لا بالزمان، وهو التقدّم بالذات، فدوامها**[١٧] **مستلزم للدوام.**

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) إراداته: إرادته AB
(٣) الآلات: آلات B
(٤) إذا: لو P || B5a
(٥) أحدهما: إحداهما P
(٦) الآخر: الأُخرى P
(٧) لجميع: بجميع AB
(٨) عداه: سواه P
(٩) الترجيح: + وإلّا يتوقّف جميع الممكنات على غيره P
(١٠) قبل: + جميع P
(١١) A128b
(١٢) ليتوقّف: فيتوقّف AB
(١٣) الترجيح: كما في أفعالنا P
(١٤) ليس: لا يُتصوّر P
(١٥) ليكون: يكون P
(١٦) شيء: + بعد أن P
(١٧) فدوامها: فداومها B

وكلّ ذلك ظاهر[١]، من حيث إنّه لا يُتصــوّر في العدم حال يكون الأولى به[٢] فعل شــيء بعد أن لم يكن. بل كلّ ما[٣] يســنح له يعود الكلام فيه، من إرادة وحال. ولمّا أمكنـك أن تقول[٤]: «تحرَّك الإصــبع، فتحرَّك الخاتم»، ولا تقول[٥]: «تحرَّك الخاتم، فتحرَّك[٦] الإصــبع»، فحركة الخاتم تابعة[٧] لحركة[٨] الإصــبع، وهي المتقدّمة في العقل، لا بالزمان[٩]، ويسمّى التقدّم بالذات، فلو دامت المتقدّمة دامت المتأخّرة. >[١٠]

[دلالة هذه الطريقة على وجود الصانع]

[١١]< وهذا يدلّ على وجود الصــانع؛ فإنّ الحركات ظاهرة، والحركة لا يقتضــيها نفس الجسميّة، وإلّا لكان كلّ جسم متحرّكاً، ولكانت الحركات[١٢] غير مختلفة، وليس كذا. فلا بدّ للأجسام التي هي محلّ هذه الحركات[١٣] من مبدأ، بل ولهذه الحركات[١٤]. فلا بـدّ أن يكون هو الواجب أو منتهياً إليه، فليس بمتحرّك[١٥] ولا متغيّر. وما أقرب هذه الطريقة من طريقة إبراهيم الخليل[١٦] ـعليه السلام ـ. >[١٧]



---

(١) ظاهر: طاهر B
(٢) به: فيه AB
(٣) كلّ ما: كلّما AB
(٤) تقول: نقول AB
(٥) تقول: نقول AB
(٦) فتحرّك: فيتحرّك A
(٧) تابعة: تابع AB
(٨) لحركة: بحركة A
(٩) بالزمان: بالبرهان B
(١٠) كلمة التصوّف: ١١٥ ـ ١١٦
(١١) بداية العبارات المنقولة من: الألواح العماديّة.
(١٢) الحركات: الحركة A
(١٣) التي هي ... الحركات: ـ AB
(١٤) بل ولهذه الحركات: للحركة P
(١٥) B5b
(١٦) القرآن الكريم: ٧٦/٦ ـ ٧٩
(١٧) الألواح العماديّة: ٥٨

[بيان قاعدة «الإمكان الأشرف»]

[(١)]< وحينئذٍ نقول: **وجود الممكن الأخسّ مستلزم لوجود الأشرف من فيّاض الوجود والجود، فلا يقتضي بجهته الوحدانيّة الأخسَّ، وإلّا لزم من فرض[(٢)] الأشرف وجودُ[(٣)] جهة[(٤)] أشرف ممّا عليه الواجب، وهو محال. فوجود الماهيّات المجرّدة المتصرّفة في عالم الأجرام مستلزم لوجود العقول؛ لأنّها أشرف منها، وهُم المسمّون بالكرّوبيّين والسُرادقات[(٥)] النوريّة.** >[(٦)]

[(٧)]< وهذا الكلام متفرّع من قاعدة الإمكان الأشرف، وهي أنّ الممكن الأخسّ إذا وُجد يلزم أن يكون الممكن الأشرف قد وُجد قبل الأخسّ. وهو أصل عظيم يُبنى[(٨)] عليه مسائل مهمّة في علم الإشراق، وهو من فروع أنّ الواحد الحقيقيّ لا يصدر عنه إلّا واحد[(٩)]. فالحقّ تعالى لا يقتضي [بجهته][(١٠)] الوحدانيّة الأخسَّ؛ لأنّه ذو جهة واحدة[(١١)]. وحينئذٍ:

ـ إمّا أن يجوز صدور الأشرف عنه بواسطة.

ـ أو بدونها[(١٢)].

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) فرض: خوض A

(٣) وجود: + ذو AB

(٤) جهة: وجهة B

(٥) السُرادق: ما أحاط بالبناء. (لسان العرب)

(٦) كلمة التصوّف: ١١٦

(٧) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

(٨) يبنى: يبتني P

(٩) واحد: الواحد P

(١٠) بجهته: لجهته AB، بجهة P

(١١) واحدة: + لا أكثر P

(١٢) بدونها: دونها P

ـ أو(١) لا يجوز مطلقاً.

فـإن كـان الأوّل، جـاز أن يصــدر عن الواجب(٢) في مرتبة واحدة(٣) شــيئان، هما الأخسّ والأشرف، وهو محال.

وإن كـان الثاني، لزم أن يكون المعلول(٤) أشــرف من علّته، وهو محال؛ لأنّ العلّة أشرف من المعلول، ومتقدّمة عليه بالذات.

وإن كان الثالث، وقد وُجد الأشـرف، فوجوده يقتضـي ويسـتدعى جهة يقتضـيه(٥) أشــرف(٦) ممّا عليه واجب الوجود؛ لكونه حينئذٍ(٧) أشـرف من معلوله، مع أنّ شــرف المعلول من شـرف علّته(٨)، وذلك محال؛ لاسـتحالة تصـوّر جهة أشـرف(٩) ممّا عليه واجب الوجود. >(١٠)

(١١)< إذا تقرّر ذلك فنقول: قد برهَنّا على وجود النفس المدبّرة في(١٢) الإنسان، وأنّها مجرّدة. ولا ريب أنّ العقل المجرّد أشــرف من المدبّر؛ لأنّ النفس المدبّرة مفتقرة إلى الاســتكمـال دون العقـل، ولبُعـد العقـل عن متعلّقات الظلمة وعن جميع التعلّقات، فيكون أتمّ تجرّداً(١٣)، والنفس لها تعلّق تدبير. فالمجرّد بالكلّيّة أشرف من المدبّر، وهو ممكن، وإلّا لَمـا وُجـد، ولكنّـه وُجـد، فـإمكـان المجرّد الأخسّ دليل على إمكان(١٤)

(١) أو: إذ A || A129a
(٢) الواجب: + لذاته P
(٣) واحدة: ـ P
(٤) المعلول: الحلول A
(٥) يقتضيه: نقيضه B
(٦) B6a
(٧) حينئذٍ: ـ P
(٨) علّته: + واقتضائها P
(٩) أشرف: الشرف A
(١٠) شرح حكمة الإشراق: ٣٥٢ ـ ٣٥٣
(١١) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(١٢) في: لأبدان A، لا بدّ أنّ B
(١٣) تجرّداً: مجرّداً B
(١٤) دليل على إمكان: مستلزم AB

المجرّد الأشــرف. وإذا أمكن وجوده، وجـب أن يكون وجوداً ســـابقـاً على النفس ومتقدّماً[١] عليها، بناءً على القاعدة. فلا بدّ من وجود هذه الجواهر المجرّدة الشــريفة الغير المتعلّقة، ويســمّونها أهل الحكمة بالعقول، وأهل التصـوّف بالسُـرادقات النوريّة والكرّوبيّين، وقد يسمّى بالأنوار المجرّدة وبالأنوار القاهرة. >[٢]



(١) متقدّماً: متقدّمة A

(٢) شرح حكمة الإشراق: ٣٥٣ ـ ٣٥٤

[وجوب كون الصادر الأوّل جوهراً عقليّاً وحدانيّاً]

<(1) **وليس العقل** الصـادر **الأوّل** من المبدع **جسـماً؛ لتركّبه** ـأعني الجسـم ـ **من الهيولى والصـورة،** وكـلّ مركّـب اثنان، هذا خلف. **بل** يجب أن **يكون جوهراً عقليّاً. فهو** حينئـذٍ **جوهر** واحـد **عقليّ وحـدانيّ، هو** المسـمّى بـ **الأمر الأوّل ونوره** تعـالى **الأعلى؛** >(2) لأنّ الصـادر الأوّل لا يصحّ أن يكون غير العقل؛ لأنّ الجواهر منحصرة في المادّة، والصورة، والجسم، والنفس، والعقل؛ لأنّ الممكن الغير القائم بالموضوع إمّا [أن يكون](3) حالّاً في غيره، أو محلّاً لغيره، أو مركّباً منهما، أو ليس واحداً من الثلاثة، فإمّا له تعلّق بـالأبـدان، أو لا. فـالحـالّ هو الصــورة، والمحلّ هو المادّة(4)، والمركّب منهما هو الجسـم، وما تعلّق بالأبدان(5) هو النفس، وما ليس له تعلّق أصلاً هو العقل. فلا يصحّ أن يكون الصـادر عن الواحد الحقيقيّ بلا واسطةٍ واحداً من الأربعة؛ لعدم الوحدة الحقيقيّة في شيء منها، فلو صدر شيء منها لَصدر عن الواحد اثنان، هذا خلف. فواجب أن يكون الصــادر الأوّل [جوهراً عقليّاً وحدانيّاً](6)، هو الأمر الأوّل، كما قال تعالى: ﴿وَما أَمْرُنا إِلّا واحِـدَةٌ(7) كَلَمْحٍ بِالْبَصَــرِ﴾(8)، وتقديره: إلّا حقيقة واحدة. وفي الحديث: «أوّل ما خلق اللّـه العقـل»(9)، وفي آخر: «أوّل مـا خلق اللّـه العلم»(10)، يعني العقـل، وهو نور اللّـه الأعلى؛ لقربه من نوره تعالى، فلا أعلى ولا أتمّ منه من المخلوقات.



---

(1) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(2) كلمة التصوّف: ١١٦
(3) أن يكون: ـ AB || A129b
(4) B6b
(5) بالأبدان: بالإنسان B
(6) جوهراً عقليّاً وحدانيّاً: جوهر عقليّ وحدانيّ AB
(7) واحدة: واحد A
(8) القرآن الكريم: ٥٤/٥٠
(9) عوالي اللئالي: ٤/٩٩
(10) تفسير المحيط الأعظم: ٣/٢٥

[الفصل العاشر: في الأغراض وحركات الأفلاك]

[إثبات كونه تعالى غنيّاً مطلقاً]

[١]< **[تنبيه:]**[٢] فاعلَم[٣] **أنّ الجود إفادة**[٤] **ما ينبغي لا لعوضٍ**[٥]. فمن أعطى لمدحٍ أو ثناءٍ أو لتخلّصٍ من مذمّة[٦] فهو معامل ومستفيد، لا جواد[٧]. **ولمّا امتنع ذلك على الحقّ تعالى فلا معامل**[٨]، **فهو المَلِك، له ذات كلّ شيء، وليس ذاته لشيء.** وإذا كان كذلك، كان هو المَلِك على الإطلاق. **فهو** حينئذٍ **الغنيّ المطلق، فلا يتوقّف** شيء[٩] من كمالاته على غيره، حتّى يكون فعلُه مستلزماً لكونه كاملاً به؛ لاستلزامه[١٠] عدم غَنائه[١١] مطلقاً. فلا يتوقّف **كمال له على غيره. والعالي لا غرض**[١٢] **له في السافل، وإلّا لكان أولى به، تعالى اللّه عنه،** فلا يكون عالياً عليه. فالعالي مطلقاً[١٣] لا غرض له في السافل؛ إذ لا بدّ وأن يكون الغرض أولى[١٤] بالفاعل في[١٥] وجوده، وما يكون الأولى به فعل شيء، إذا لم يفعل فقد عدم الأولى، فيكون حينئذٍ كماله متوقّفاً على الغير، «تعالى الواجب [وجوده][١٦] عن هذا علوّاً كبيراً[١٧]»[١٨]. <[١٩]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) تنبيه: _ AB

(٣) فاعلم: واعلم B

(٤) إفادة: أفاده A

(٥) هكذا عرّفه الشيخ الرئيس في: الإشارات والتنبيهات: ٢٩٦

(٦) مذمّة: مدحه B

(٧) جواد: جواداً A؛ فهو معامل ... جواد: _ P

(٨) معامل: معاملة B

(٩) شيء: بشيء A

(١٠) لاستلزامه: + و A

(١١) غنائه: عنّا به A

(١٢) غرض: عرض A

(١٣) مطلقاً: في الجملة P

(١٤) أولى: أوّلاً A

(١٥) في: _ P

(١٦) وجوده: الوجوده AB

(١٧) كبيراً: كثيراً B

(١٨) مقتبس من: القرآن الكريم: ٤٣/١٧

(١٩) كلمة التصوّف: ١١٦

[معرفة الفقير والغنـيّ المطلق]

[١]< وتحقيق هـذا المطلوب أن يُقـال: اعلَم أنّ الغـاية المطلقة هي[٢] التي لأجلها يصدر المعلول عن علّته الفاعليّة.

وأمّا غاية الحركة فهي ما يتحرّك إليه الشيء، ومتى وصل إليها وقف.

و[٣] الغنيّ المطلق هو الذي لا يتعلّق بغيره ممّا[٤] هو خارج عنه في أُمور ثلاثة:

أ. في ذاته.

ب[٥]. في هيئات[٦] متمكّنة في ذاته، كالشكل.

ج[٧]. في هيئات[٨] هي كمالات لذلك الشــيء في نفســه، ويكون[٩] تلك الهيئات مبادئ إضافات له إلى غيره، كالعلم، والقدرة، وما أشبههما.

والفقير هو الذي يتعلّق بغيره في شيء ممّا[١٠] ذكرناه.

ويرجع حـاصـــل الغنى[١١] المطلق في الآخر[١٢] إلى وجوب الوجود من جميع الوجوه، كما أنّه يرجع حاصل الفقر[١٣] إلى إمكان الوجود.

وأمّا المَلِك الحقّ فهو الغنيّ المطلق الذي يفتقر كلّ شيء إليه، وله ذات كلّ شيء.

[تعريف الجود]

وأمّا الجود فهو إفادة ما ينبغي لا لعوض[١٤].

---

(١) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رســائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) B7a

(٣) و: + اعلم أنّ A130a || P

(٤) ممّا: ما A

(٥) ب: وب B

(٦) هيئات: هيئة A

(٧) ج: وج B

(٨) هيئات: هيئة A

(٩) ويكون: فيكون AB

(١٠) ممّا: ما A

(١١) الغنى: الغنيّ P

(١٢) الآخر: الأخير P

(١٣) الفقر: الفقير AB

(١٤) لعوض: لغرض AB

وإنّما اشــترطنا كون ما يفيده الجواد ممّا[1] يكون ينبغي[2] بالقياس إلى الذي يفيده مرغوباً فيه عنده، لأنّ المفيد لما لا ينبغي ليس بجواد؛ لعدم الاستفادة.

وإنّما اشترطنا أن يكون الإفادة لا لعوض[3]، لأنّ المفيد لِما[4] ينبغي طالباً به عوضاً من الأعواض[5] ــســواء كــان عبثاً، أو مدحاً وثناءً، أو تخلّصــاً عن مذمّة وقبيح، أو[6] إظهار فضيلة وقدرة[7]، أو غير ذلك ممّا أشبهه ــ ليس بجواد، بل هو معامل.

[وجوب كون الغنيّ المطلق ملِكاً مطلقاً]

واعلَم أنّ الغنيّ المطلق هو الذي لا[8] يستغني عنه شيء من الأشياء؛ إذ لو استغنى عنه شــيء[9] منها، لكان[10] فقر ذلك الشــيء إلى الغنيّ أولى بذلك الغنيّ من لا فقره إليــه. ويلزم[11] من اســتغناءِ ذلك الشــيء عن ذلك الغنيّ المطلق وعدمِ فقره إليه، أن ينتفي عن الغنيّ[12] المطلق مـا هو الأولى بـه. وإذا انتفى عنـه مـا هو الأولى فهو عادمُ كمال، وكلّ عادم كمال فهو مفتقر إلى غيره في تحصــيل ذلك الكمال، وكلّ مفتقر إلى الغير[13] لا يكون غنيّاً مطلقاً. ولو[14] اســتغنى عن الغنيّ المطلق شيء، لزم أن لا يكون الغنيّ المطلق غنيّاً مطلقاً؛ لكونه مفتقراً إلى غيره[15] في تحصيل ذلك الكمال المفقود. ومتى كان[16] الغنيّ المطلق موجوداً، لزم بالضــرورة أن لا يســتغني[17] عنه شــيء من

---

(١) ممّا: ما B

(٢) ينبغي: مبتغىً P

(٣) لعوض: لغرض AB

(٤) لما: + لا A

(٥) عوضاً من الأعواض: غرضاً من الأغراض AB

(٦) أو: و AB

(٧) قدرة: قدره A

(٨) لا: ـ A

(٩) من الأشياء ... شيء: ـ AB

(١٠) لكان: وكان AB

(١١) B7b

(١٢) الغنيّ: الغنى P

(١٣) الغير: غيره P

(١٤) ولو: فلو P

(١٥) غيره: الغير P

(١٦) A130b

(١٧) لا يستغني: لاستغنى B

الأشــياء. فكلّ[١] ما هو غنيّ مطلق، لا بدّ وأن يكون مَلِكا مطلقاً، وإلّا لم يكن ذات كلّ شــيء لـه؛ لأنّ المَلِـك هو الذي ذات كلّ شــيء له، وإذا لم يكن ذات كلّ شــيء له فيستغني عنه بعض الأشياء، فلا[٢] يكون غنيّاً مطلقاً، وقد فرضناه كذلك، هذا خلف.

[دلالة هذا الكلام على وحدانيّته تعالى]

وهـذا يدلّ على وحدانيّة الواجب لذاته؛ فإنّه غنيّ مطلق. فلا[٣] يجوز أن يكون في الوجود واجبان، وإلّا لكانا غنيّين مطلقين. ويلزم بالتقرير المذكور أنّ كلّ ما يستغني[٤] عنه شــيء، لا يكون غنيّاً[٥] مطلقاً. فعلى تقدير أن يكون في الوجود غنيّان[٦] مطلقان، يلزم أن يكون الغنيّ[٧] المطلق منهمـا لا مَحـالة واحداً، وذلك محال. فواجب الوجود الغنيّ المطلق لا يكون إلّا واحداً، وذلك هو المطلوب.

[نفي الغرض عن فعل الواجب لذاته]

والمقصــود من تفســير معنى الغنيّ[٨] والمَلِك والجواد[٩]، وأنّ الموصــوف بها[١٠] ليس إلّا واجب الوجود لذاته دون ما عداه، أن يكون ذلك مقدّمة لنفي الغرض عن فعل الواجـب لـذاتـه. ويلزم من ذلك أن لا يكون فعله[١١] بالإرادة والاختيار؛ لعدم خلوّهما عن الغرض؛ فإنّ فعل الواجب لذاته لو كان لغرضٍ، فلا بدّ وأن يكون ذلك الغرض هو الاستكمال بذلك الفعل. وكلّ من استكمل بفعل خارج عن ذاته، لا يكون كاملاً بذاته.

---

(١) فكلّ: وكلّ AB
(٢) فلا: ولا AB
(٣) فلا: ولا AB
(٤) يستغني: استغنى P
(٥) غنيّاً: غيناً B
(٦) غنيّان: غينان B
(٧) الغني: المغني B
(٨) B8a
(٩) الجواد: الجود P
(١٠) بها: بهما A
(١١) فعله: + تعالى P

ينتج: أنّ فعل الواجب لذاته لو كان لغرضٍ[١]، لم يكن كاملاً لذاته[٢].

وكلّ مَن فعل بالإرادة والاختيار هذه[٣] حاله، أعني أنّه[٤] لا بدّ وأن يكون مستكملاً بالغير، فلا يكون كاملاً في ذاته؛ فإنّ كلّ مريد ومختار لا بدّ وأن يختار[٥] أحد طرفَي النقيض ـدون غيرهـ لغرضٍ ما من الأغراض المذكورة، أعني العبث، والمدح، والثناء، والتخلّص من مذمّة، أو غير ذلك. فإذا[٦] وجد الغرض ـالذي هو عبارة عمّا يجعل وجود الفعل عند الفاعل أولى من لا وجودهـ، وجدت الإرادة والاختيار الموجبتان[٧] للترجّح[٨]، فوجد الفعل. وإذا[٩] انتفى الغرض لم يُتصوّر وجود الفعل؛ لعدم تصوّر ترجّح[١٠] أحد طرفَي النقيض؛ لاستوائهما بالنسبة إلى المريد والمختار. فلا[١١] يمكن حينئذٍ ترجّح[١٢] جانب الوجود على جانب العدم؛ لخلوّه عن الفائدة.

[سبب اختيار الفاعل جانبَ الوجود على جانب العدم]

ولقائل[١٣] أن يقول: لِمَ اختار الفاعل جانب الوجود على جانب العدم، مع تساويهما عنده؟

وليس لقائل أن يقول: إنّ الفاعل إنّما اختار الوجود على العدم لغرض يرجع[١٤] إلى الغير، وفائدة تعود إليه، لا لفائدة تعود إلى ذلك الفاعل بالاختيار والقصد[١٥]. بل

---

(١) فلا بدّ وأن ... لغرض: ـ AB
(٢) لذاته: بذاته A
(٣) هذه: هذا P
(٤) أنّه: ـ P
(٥) لا بدّ وأن يختار: ـ A
(٦) فإذا: وإذا P
(٧) الموجبتان: المدحتان A
(٨) للترجّح: للترجيح AB
(٩) وإذا: فإذا P
(١٠) ترجّح: ترجيح A
(١١) فلا: ولا AB
(١٢) ترجح: ترجيح A
(١٣) A131a
(١٤) يرجع: ترجع B
(١٥) والقصد: ـ P

القصد إنّما هو إفاضة[١] الخير على الغير فقط، كما يختار الإنسان إنقاذ غريق[٢] لا لفائدة تعود إليه، بل لإفاضة[٣] الخير عليه. أو يُقال: إنّ اختيار إيجاد الفعل حسنٌ في ذاته، فيكون وجوده في ذاته أولى من عدمه.

لأنّا نقول[٤]: إنّك قد علمتَ أنّ الفاعل بالإرادة والاختيار لا يخلو عن الغرض[٥]. فإن كان الغرض عائداً[٦] إلى الغير، فنقول: إنّ ذلك الغرض الذي هو إفاضة الخيرات على الغير و[٧] الإحسان إليهم، أو كون الفعل حسناً[٨] في نفسه، لا يخلو إمّا أن يكون ذلك أولى وأحرى من لا حصوله، أو يكونا[٩] متساويين.

والثاني محال؛ لامتناع ترجّح[١٠] ذلك الفعل على تركه؛ لكون ذلك الترجّح[١١] والترك ضدّان، واجتماعهما[١٢] محال.

والأوّل ـوهو أن يكون القصد بالفعل[١٣] الإحسان إلى الغير والإفاضة عليهم أولى وأحرى من تركهـ فيلزم [منه][١٤] حصول الغرض؛ لأنّ فعل ذلك الإحسان وإفاضة الخيرات عليهم ممّا يحصل له تلك الأولويّة، فيكون ذلك الفاعل مستكملاً بذلك الغير، فيكون لا مَحالة ناقصاً[١٥] في ذاته. وكلّ فاعل بالإرادة والاختيار[١٦] له غرض[١٧]

---

(١) B8b
(٢) غريق: عريق B
(٣) لإفاضة: إفاضة AB
(٤) نقول: + في الجواب P
(٥) الغرض: غرض P
(٦) عائداً: عائد AB
(٧) و: أو P
(٨) حسناً: حسن AB
(٩) يكونا: يكون A
(١٠) ترجّح: ترجيح A
(١١) الترجّح: الترجيح AB
(١٢) اجتماعهما: اجتماع الضدّين P
(١٣) بالفعل: + و AB
(١٤) منه: _ ABP
(١٥) ناقصاً: ناقضاً B
(١٦) الاختيار: الإحسان A
(١٧) غرض: عرض B

يكتسب به كمالاً من الغير، فلا يكون كاملاً في ذاته.

ولمّا كان الواجب لذاته له الكمال الأتمّ والجود الأعمّ، وكانت جميع الكمالات الإلهيّة -التي هي منبع[١] لسائر الكمالات الإمكانيّة- حاصلةً[٢] له[٣] بالفعل من جميع الوجوه، فلا[٤] يُتصوّر أن يكون[٥] إيجاد الفعل بالنسبة إليه أولى وأحسن عنده من لا إيجاده، وإلّا لزم أن يكون مستكملاً بالغير، ناقصاً في ذاته، وذلك بيّن البطلان.

فظهر أنّ الواجب لذاته[٦] لا يفعل بالإرادة والاختيار، بل يكون فعلُه أعلى وأشرف من ذلك، إلّا أن يريدوا بالإرادة[٧] والاختيار كونه تعالى عالماً بفيضان الوجود عنه، من غير أن يكون صدوره عنه مُنافياً لذاته، بحيث لا يكون كارهاً لذلك الصدور والفيضان، بل يكون راضياً[٨] بذلك، فيكون الواجب مريداً ومختاراً بهذا المعنى. وأمّا الإرادة والاختيار بمعنى القصد إلى الفعل المؤدّي[٩] إلى حصول الغرض والاستكمال، فهو -كما علمتَ- ممتنع عليه.

[نفي الغرض عن العالي بالنسبة إلى السافل]

فإذا[١٠] عرفتَ أنّ الواجب لذاته منزّه عن الغرض في صُنعه على الإطلاق، فيجب أن تعلم[١١] أنّ كلّ عالٍ[١٢] في مرتبة العلّيّة لا غرض[١٣] له بالنسبة إلى السافل في مرتبة المعلوليّة، وإلّا لزم أن يكون العالي في مرتبة العلّيّة مستكملاً بالسافل في مرتبة

---

(١) منبع: متبع A
(٢) حاصلة: حاصله B
(٣) له: _ AB
(٤) فلا: ولا AB
(٥) B9a
(٦) A131b
(٧) بالإرادة: ما الإرادة A
(٨) راضياً: راضٍ AB
(٩) المؤدّي: الرديء A، المروي B
(١٠) فإذا: وإذا P
(١١) تعلم: يعلم AB
(١٢) أنّ كلّ عالٍ: _ AB
(١٣) غرض: عرض B

المعلوليّة، والمستكمل بالشيء من حيث هو مستكمل به أنقص ممّا حصل به الاستكمال من حيث هو كذلك، وذلك يقتضي أن يكون المعلول أكمل وأشرف من العلّة، وهو محال؛ لأنّ كمال المعلول إنّما حصل[١] من كمال العلّة، والمعلول أثر من آثار العلّة، فكيف يساويها في كماله التامّ، فضلاً[٢] عن كونه أكمل؟ فالعالي لا غرض له في السافل أصلاً بالمعنى المذكور.

[شبهة الرازيّ على استكمال الفاعل بالغرض، والجواب عنها]

وما ذكره فخر الدين[٣] في بيان ذلك أنّ العالي لو كان له غرض في السافل لكان مستكملاً به؛ لأنّ ما يُراد لغيره[٤] فهو أنقص وأخسّ[٥] من ذلك الغير، فذلك منتقض[٦] بالراعي للغنم[٧] والمعلّم والنبيّ؛ فإنّ الراعي يُراد به للغنم[٨]، والمعلّم للمتعلّم، والنبيّ للأُمّة. فلو كان ما لأجله الغرض أكمل، لكانت الغنم أفضل من الراعي، والمتعلّم من المعلّم، والأُمّة من النبيّ، وذلك بيّن البطلان.

والجواب: أنّ الغنم أفضل من الراعي من حيث هو راعٍ[٩]، لا من حيث كونه إنساناً؛ فإنّه من حيث إنسانيّته أفضل من الغنم. وكذلك الحال في المعلّم بالقياس إلى المتعلّم، والنبيّ بالقياس[١٠] إلى الأُمّة.

[إشكالات وأجوبة]

وأوردوا على قولهم: «إنّ كلّ مريد ومختار لا بدّ وأن يترجّح بالنسبة إليه أحد طرفَي

---

(١) حصل: هو حاصل P
(٢) فضلاً: فصلاً B
(٣) فخر الدين: ـ AB؛ لم أعثر على هذا الكلام في مصنّفاته.
(٤) B9b
(٥) أنقص وأخسّ: أنقض وأحسن B
(٦) منتقض: فينقص A، ينتقض P
(٧) للغنم: الغنم A
(٨) للغنم: الغنم A
(٩) راعٍ: راعي P
(١٠) A132a

النقيض، وإلّا لكانت النسبة إمكانيّة، وعرفتَ أنّ كلّ ممكن لا يقع في الوجود إلّا بمرجّح[١]»، أنّه يجوز أن يكون الإرادة مخصّصة لترجّح أحد الطرفين المتساويين ـ دون الآخر ـ لا لغرض يقتضي ترجّح ذلك الطرف الواقع بالقياس إلى ذلك الفاعل، بل لأنّ الإرادة نفسَها من شأنها وخاصّيّتها أن ترجّح أحد الطرفين المتساويين[٢] لا[٣] بمرجّح و[٤] مخصّص. وإذا كان ترجيح أحد المثلين من خاصّة[٥] الإرادة ولوازمها، ولوازم الماهيّات غير معلَّلة، فينقطع اللمّيّة بالكلّيّة، و[٦] لا يلزم المحذور المذكور من أنّ الفاعل بالإرادة والاختيار لا بدّ أن يكون مستكملاً بفعله.

وأجابوا بأنّ ترجيح أحد طرفَي النقيض من غير مرجّح محالٌ في ذاته، والإرادة[٧] إذا تساوى[٨] الطرفان[٩] بالنسبة إليها لا يمكن أن يرجّح[١٠] أحدهما دون الآخر، إلّا بمرجّح[١١].

وأمّا قولهم: «إنّ الإرادة يجوز أن يكون من خاصّيّتها[١٢] ترجيح أحد الطرفين المتساويين لا لمرجّح، ولا يُسأل[١٣] عن لمّيّة ذلك؛ لأنّ لوازم الماهيّات[١٤] لا تُعلَّل»، ليس بصواب؛ لأنّ الإرادة إذا كانت من خاصّيّتها[١٥] الترجيح، فلو كانت اختارت الطرف الآخر لكانت الخاصّيّة[١٦] حاصلةً أيضاً. وحينئذٍ يكون النسبة إمكانيّة[١٧]،

---

(١) بمرجّح: لمرجّح AB
(٢) دون الآخر ... المتساويين: ـ AB
(٣) لا: إلّا A
(٤) بمرجّح و: لمرجّح AB
(٥) خاصّة: خاصّيّة P
(٦) و: + حينئذٍ P
(٧) الإرادة: لا إرادة AB
(٨) تساوى: ـ AB
(٩) إذا تساوى الطرفان: إذا نظر فإنّ B
(١٠) يرجّح: يترجّح AB
(١١) بمرجّح: لمرجّح AB
(١٢) خاصّيّتها: خاصّيّتهما B
(١٣) يسأل: نسأل P
(١٤) B10a
(١٥) خاصّيّتها: خاصّتها B
(١٦) الخاصّيّة: الخاصّة A
(١٧) إمكانيّة: إمكانه A

فتحتـاج[١] إلى مرجّح يرجّح أحـد الطرفين. فلا يكون المرجّح الإراديّ مرجّحـاً لذاته من غير مرجّح، بل لا بدّ من أولويّة تعود[٢] إلى الفاعل تقتضي[٣] الترجيح. وتخصيص الإرادة بالترجيح لأحد الطرفين المتسـاويين بدون هذه الأولويّة محال؛ لِعود[٤] السؤال مع المرجّح الإراديّ. فلا بـدّ لتخصـيص الإرادة بأحد الطرفين من مرجّح يكون أولى بالفاعل. وتلك الإرادة المتخصّـصة بأحد الطرفين لا تحصل[٥] إلّا بعد حصول الترجيح المتقدّم[٦] على الإرادة.

وكلّ عاقل إذا راجع[٧] إلى ذاته، يعلم علماً يقينيّاً[٨] أنّ الإرادة نفسَـها لا ترجّح أحد الطرفين المتسـاويين، إلّا إذا تقدّمها أمر يقتضـي حصول الإرادة، كالعلم الحاصل في أذهاننا أنّ فعل هذا الشـيء مصـلحة مفيدة، فينشـأ[٩] من هذا العلم[١٠] إرادة خاصّـة لذلك الفعل المعيّن. وكلّ إرادة لا بدّ لها من علّة مرجّحة لوجودها، وهو العلم اليقينيّ أو الظنّيّ، إذا[١١] لم يكن هنـاك مانع عن حصـول الإرادة؛ فإنّا إذا حصـل لنا[١٢] علم وجـدانيّ[١٣] بـالجوع، نرجّح[١٤] لا مَحالة إرادة الأكل، إلّا إذا منع مانع، كالصـوم، أو الحِمية، أو عدم وجدان الطعام الحلال، وأمثال ذلك.

وإذا بطل كون الإرادة غير مخصّصة لأحد الطرفين بالوقوع دون مرجّح، فثبت[١٥] أنّ

---

(١) فتحتاج: فيحتاج AB
(٢) تعود: يعود AB
(٣) تقتضي: يقتضي AB
(٤) لعود: يعود A
(٥) تحصل: يحصل AB
(٦) المتقدّم: المقدّم A
(٧) راجع: رجع P
(٨) يقينيّاً: يقيناً AB
(٩) فينشأ: فحينئذٍ ينشأ P
(١٠) A132b
(١١) إذا: إذ لو AB
(١٢) لنا: لها A
(١٣) وجدانيّ: وحدانيّ B
(١٤) نرجّح: ترجّح AB
(١٥) فثبت: ثبت B

واجب الوجود لذاته لا يفعل لغرض، ولا يصنع لغاية أصلاً؛ فإنّ الغاية لا يخلو[١] عن أولويّة، ويلزم المحذور المذكور من استكماله بالغير. إلّا إذا عني بالغاية لا ما لأجله الشيء، بل ما ينتهي إليه فعل الفاعل، أو[٢] أشرف ما ينتهي إليه الفعل؛ فإنّ هذا لمّا لم يكن علّة غائيّة، لم يكن ممتنعاً في حقّ الواجب لذاته، فيكون لفعله غاية بهذا التفسير.

لكن ليس لمن أثبت له[٣] الغايةَ بهذا المعنى أن يحكم أنّه تعالى أوجد طبقات العين لأجل الإبصار، والأنف لأجل الشمّ، والأسنان للطحن، والرِجل للمشي، وغير ذلك من منافع الأعضاء وفوائدها؛ فإنّه إذا أوجد هذه الأعضاء لهذه العلل الغائيّة[٤] المتصوّرة في ذاته، كان السؤال الأوّل عائداً[٥] في أنّ الواجب لذاته لمّا خلق الأنياب[٦] محدّدة الرؤوس لأجل القطع، والأضراس عريضة الرؤوس لأجل الطحن، هل كان أولى به حصول هذا[٧] التقطيع[٨] والطحن، أو لا يكون ذلك أولى به؟

والثاني محال؛ لأنّه إذا لم يكن إيجادها على ذلك الوجه أولى وأليَق، فلمَ أوجدها على ذلك الوجه، دون العكس؟ وإن كان الإيجاد على ذلك الوجه أولى به، لزم أن يكون لفعله غرض، وقد مرّ بطلانه.

وليس لقائل أن يقول: إنّ كون الأنياب خلِقت محدّدة الرؤوس والطواحن عريضةً، ليس تلك الأولويّة تعود إلى الخالق، بل هي عائدة إلى المخلوق.

لأنّا نقول[٩]: إنّ حصول هذه الأولويّة بالمخلوق هل هي مع ذلك أولى بالخالق، أو لم يكن؟

---

(١) B10b
(٢) أو: و AB
(٣) لمن أثبت له: لمراتب AB
(٤) الغائيّة: الغاية AB
(٥) عائداً: عائد AB
(٦) الأنياب: الأسنان AB
(٧) هذا: هذه B
(٨) التقطيع: للتقطيع P
(٩) إنّ كون الأنياب ... نقول: ـ AB

فـإن لم يكن ذلك أولى[١]، فلمَ أوجدها على ذلك الوجه دون غيره، مع اســتوائهما بالنسبة إليه[٢]؟

وإن كان ذلك أولى به، كان له غرض، ولزم توقّف كماله على غيره، وذلك محال.

وما يُقال: إنّه فعَل ذلك[٣] لا لغاية يلزم عنها أولويّة توجب[٤] اســتكماله بالغير، بل فعَل ذلك لأنّه جواد فحسب، فلا[٥] يلزم من ذلك استكماله بغيره.

فيُقال لهذا القائل[٦]: جواديّته لا تخلو[٧] إمّا أن لا تكون[٨] حاصلة إلّا بهذه الأشياء، ففعل[٩] ليحصل له الجواديّة؛ أو يكون جواداً دون ذلك، ثمّ لزم هذا عن[١٠] الجواد.

فإن كانت الجواديّة غير حاصــلة إلّا بهذه الأشــياء، ثمّ فعل ليحصــل له الجواديّة، فالجواديّة لا مَحالة أولى به؛ إذ لو لم يكن أولى لم يفعل لحصـولها، وإذا كانت أولى به كان كماله متعلّقاً على[١١] غيره، وعرفتَ بطلانه.

وإن[١٢] كان جواداً دون هذه الأشــياء إلّا أنّها لزمت عن الجواد، فيُقال: هذا يحتمل وجهين:

أحدهما: أنّه إذا كان جواداً دون هذه الأشــياء إلّا أنّ ذلك الجواد[١٣] فعَل شــيئاً[١٤] لمصــلحة شيء آخر، كما فعَل «أ» لأجل «ب» اقتضاءً لجوده[١٥]، فلزم عنه «أ» كذلك لا على قصــد منه. ثمّ لزم من ذلك اللزوم أن يكون «أ» صــالحاً لمصــالح «ب». فهذا

---

(١) أولى: ـ AB
(٢) A133a
(٣) B11a
(٤) توجب: يوجب AB
(٥) فلا: ولا P
(٦) القائل: + إنّ P
(٧) تخلو: يخلو AB
(٨) لا تكون: يكون AB
(٩) ففعل: فعقل A
(١٠) يكون جواداً ... عن: هو جود دائم لزم عن هذا AB
(١١) على: + كماله B
(١٢) إن: إذا P
(١٣) الجواد: الجود P
(١٤) شيئاً: شيء P
(١٥) لجوده: بجوده AB

ليس بعلّـة[1] غـائيّة يجعل تصـوّرُها الفاعلَ فاعلاً لأجله، بل هذا هو انتهاء الفعل إلى مصلحة شيء. وهذا ليس بممتنع في حقّ الواجب لذاته، والعالي بالنسبة إلى السافل.

والثاني: أن يتصوّر[2] الفاعل «أ»، ثمّ إنّ ذلك التصوّر[3] أوجب وجود «ب» لأجله، حتّى حصل من ذلك الفعل ما هو الأولى لـ«أ»، فيكون تلك الأولويّة جعلت الواجب[4] لذاته فاعلاً لـ«أ». ويلزم من ذلك أن يكون الواجب لذاته جعل الغاية التي هي حصـول الأولويّـة[5] لـ«أ»[6] علّـةً موجبة لـ«ب»[7]. وحينئذٍ لا بدّ وأن يكون ذلك أولى بالواجب لـذاتـه؛ إذ لو لم يكن ذلك أولى به لم يترجّح عنده حصـول «ب» على لا حصـوله. وحينئـذٍ يلزم توقّف ذلك الأولى الذي للواجب[8] على غيره، فيكون مسـتكملاً بذلك الغير، وهو محال.

ثمّ جود الواجب لذاته إذا كان وقوعه إنّما هو بحصول الفعل عنه، وكانت الغاية هي التي جعلـت الفـاعـل فاعلاً لذلك الفعل، فيكون الغاية لا مَحالة[9] هي العلّة الفاعليّة له. وتلك الفاعليّة هي علّة موجبة، فيكون الغاية علّة موجبة لجوده[10]، والجود أولى به، فيتوقّف ذلـك الأولى على غيره الذي هو الغاية، فيكون مسـتكملاً به. وليس الجود[11] هو الذي حصـل أوّلاً، ثمّ إنّه أوجب حصـول «ب» لمصـلحة «أ»، بل الجود فعله، وإضـافته إلى حصـول الفعل الصـادر عنه إنّما هو بسـبب الغاية التي هي علّة لفاعليّة الفـاعـل. فـالغاية علّة الجود[12]، وهي الموجبة؛ لكون الفاعل جواداً بالفعل. وإذا كان

---

(١) ليس بعلّة: لعلّة AB

(٢) يتصوّر: تتصوّر A

(٣) التصوّر: المتصوّر AB

(٤) الواجب: ـ AB

(٥) الأولويّة: + جعلت الواجب AB

(٦) B11b

(٧) لـ«ب» : لفعل «ب» P

(٨) إذ لو لم يكن ... للواجب: ـ AB

(٩) A133b

(١٠) فتكون الغاية ... لجوده: لوجوده AB

(١١) الجود: + و A

(١٢) الجود: للجود P

كذلك، فما[١] صـــحّ قولهم: «إنّ الجود هو الذي كان مبدأ الغاية[٢]، وإنّه يتوقّف عليها أصـلاً، فالغاية على هذا الوجه ـوهي[٣] الموجبة لاستكماله بغيره ـ هي الممتنعة على الواجـب لـذاتـه. وأمّـا الغاية التي لا تكون علّة غائيّة لفعله، بل هي نهاية ما ينتهي إليه الفعل، فيجوز عليه ذلك.

وسبب غلط من اثبت له الغاية أمران:

الأوّل[٤]: اشتراك لفظ الغاية بين المعنيين المذكورين.

الثـاني[٥]: مـا وقع لهم من الظنّ الفـاسـد أنّ الغاية قد تكون حاصـلة في غير[٦] الفاعل؛ فإنّ[٧] الذي يريد أن يبني[٨] داراً، غايته إنّما هو حصـول[٩] صـورة الدار[١٠] في موادّ قابلة[١١] لها. ويجب أن تعلم[١٢] أنّ حصول صورة الدار في موادّها القابلة[١٣] ليس بعلّـة غائيّة أوّليّة، بل الغاية إنّما هو انتفاع[١٤] الفاعل وحصـول لذّة. ولمّا كان الواجب لذاته غنيّاً من جميع الوجوه، فيمتنع أن يكون لفعله غاية مصـلحيّة بالمعنى المذكور. بل ذاته المقدّسـة[١٥] ذات يحصـل منها جميع الأشـياء على أتمّ ما ينبغي وأكمل ما يمكن؛ لتمام ذاته وكمال فاعليّته، لا لقصد منه إلى رعاية المصالح وحفظها.

ثمّ لو كـانت الغاية بالمعنى الذي لأجله الشـيء ثابتةً للواجب[١٦] لذاته والمبادئ

---

(١) فما: فلما AB

(٢) الغاية: للغاية P

(٣) وهي: فهي AB

(٤) الأوّل: ـ AB

(٥) الثاني: و AB

(٦) غير: عين AB

(٧) فإنّ: وإنّ AB

(٨) يبني: ينشئ AB

(٩) حصول: حصوله A

(١٠) صورة الدار: تصوّره للدار AB

(١١) قابلة: قابله B

(١٢) تعلم: يعلم AB

(١٣) B12a

(١٤) انتفاع: انقطاع AB

(١٥) المقدّسة: المقدّمة B

(١٦) للواجب: ـ AB

العقليّـة[١]، لكان المعلول الأوّل للواجب[٢] لذاته علّتة[٣] الغائيّة[٤] هي المعلول الثاني لـه، بحيـث يكون وجود الأوّل مؤدّياً إلى وجود الثاني، وهكذا إلى آخر المراتب العلّيّة والمعلوليّـة. فلزم[٥] أن يكون المعلولات كلّمـا بعُـدت عن الواجـب لذاته أكثر كانت أشرف، بحيث يكون[٦] هيولى عالم الكون والفساد أشرف من جميع الأفلاك، والأفلاك أشـرف من النفوس، والنفوس من العقول، ويكون كلّ ما[٧] سفل منها أشرف ممّا علا؛ لأنّ الغاية القُصوى لا تحصل[٨] إلّا بعد جميع ما يبتنى عليه حصولها.

فالواجب مع كونه لا علّة غائيّة له، هو غاية جميع الموجودات بأسـرها؛ لأنّها بحسب ما لها من الكمالات الممكنة[٩] الأوّليّة لا تزال[١٠] دائماً طالبة[١١] لما لها من الكمالات الثواني، متشبّهة في ذلك كلّه بالكمالات الحقيقيّة التي للواجب لذاته بقدر الإمكان.

وجميع المفارقات[١٢] لها عشق عقليّ إلى ذلك الكمال، دون الشوق الذي[١٣] لا بدّ بدّ فيه من حصـول شـيء وفقدِ شيء. والمفارقات جميع كمالاتها حاصلة لها بالفعل. وأمّـا النفوس والأجسـام فلهـا شـوق وعشـق إلى ذلك الكمال، إمّا إراديّ إن كان له حياة[١٤]، وإمّا طبيعيّ[١٥] إن لم يكن له ذلك.

ويجب أن تعلم[١٦] أنّه لو لا العشق والشوق إلى الواجب لذاته ـ عزّ شأنه، وتقدّست أسـماؤه ـ ما تكوّن متكوّن، ولا حدث حادث، ولا تحرّك متحرّك، ولا حصـل النظام

---

(١) العقليّة: الفعليّة A
(٢) المعلول الأوّل للواجب: الواجب AB
(٣) علّتة: علّيّة B
(٤) الغائيّة: غائيّة AB
(٥) فلزم: للزم AB
(٦) A134a
(٧) كلّ ما: كلّما AB
(٨) تحصل: يحصل AB
(٩) الممكنة: + الذاتيّة P
(١٠) تزال: نزال A، يزال B
(١١) طالبة: طلبه AB
(١٢) المفارقات: المقارنات AB
(١٣) B12b
(١٤) حياة: حيرة A
(١٥) طبيعيّ: طبعيّ A
(١٦) ويجب أن تعلم: فيجب أن يعلم AB

العجيب والترتيب الغريب في عالمنا هذا؛ فإنّه لو لا عشق العالي لانطمس السافل.

[تبرير كلام أنباذقلس في إنكار الغايات]

وأمّا ما نسِب إلى الحكيم الإلهيّ أنباذقلس من إنكاره للغايات واعترافه بالبخت والاتّفاق، فليس الأمر كما ذكروا(١)، و(٢) لم ينكر العلّة الغائيّة في الممكنات، وإنّما أنكرها في الواجب لذاته. وهو ومن تقدّمه يسمّى الأُمور اللاحقة بالأشياء لا لذاتها بل لغيرها أُموراً(٣) اتّفاقيّة. فعلى هذا لو(٤) قيل: «العالم(٥) وُجد(٦) بالاتّفاق، بمعنى أنّ وجوده ليس من ذاته، بل من الواجب لذاته»، كان ذلك صحيحاً غير منكَر. ولا يعنون بالاتّفاق ما يفهمه العوامّ من أنّ الاتّفاق ما يكون موجوداً من ذاته، أو ما يكون الواجب لذاته أوجده جزافاً؛ فإنّ هذا ما قاله حكيم أصلاً(٧). وهذا السهو إنّما وقع للنقَلة(٨) بسبب الاصطلاحات، واختلاف طبائع اللغات، ونقلِها من لسان إلى لسان، مع أنّ كلام القوم مبنيّ على الرموز والألغاز. وإلّا فهذا الرجل(٩) كان من كبار الحكماء وأساطينها، وله ملَكة الخلع والمشاهدات العِلويّة الرفيعة(١٠). >(١١)

قال الشيخ الإلهيّ(١٢): رفِع(١٣) إليّ كلامُه، فوجدتُه يدلّ على قوّة سلوكه(١٤)، وشدّة اتّصاله(١٥) بالعالم العقليّ، ومشاهداته [الحقيقيّة](١٦).



---

(١) ذكروا: ذكروه AB

(٢) و: فإنّه P

(٣) أُموراً: أُمور A

(٤) لو: إذا P

(٥) العالم: للعالم إنّه P

(٦) وجد: وحد A

(٧) A134b

(٨) للنقلة: للنقالة AB

(٩) الرجل: + أعني أنباذقلس P

(١٠) الرفيعة: الرفعيّة B || B13a

(١١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٣٦٤ _ ٣٧٥

(١٢) المشارع والمطارحات (العلم الثالث): ٤٣٣

(١٣) رفع: وقع AB

(١٤) سلوكه: سلوك P

(١٥) اتّصاله: اتّصال P

(١٦) الحقيقيّة: حقيقة AB

[إثبات كون حركة الأفلاك إراديّة]

[(١)]< وإذا تقرّر ما ذكرناه، فاعلَم **أنّ حركة الفلك غير طبيعيّة، وإلّا [لَوقف]**[(٢)]**؛** لأنّ[(٣)] المتحرّك بالطبع يقصد الملائم، فإذا وصل وقف. وكلّ نقطة يقصدها الفلك يفارقها، فليست حركته[(٤)] طبيعيّة.

ولا قسريّة؛ لعدم القاسر.

بل هي إراديّة تابعة لغرض؛ لأنّ كلّ أمر إراديّ فلا بدّ فيه من غرض يكون الأولى به فعله. فإذاً هناك غرض مقصود **ليس بشهوانيّ ولا غضبيّ؛** لأنّ ذلك الغرض[(٥)] ليس لجلب[(٦)] نفع أو دفع[(٧)] ضرر ليكون شهوانيّاً أو غضبيّاً؛ إذ لو كان كذلك، لكان له زيادة ومزاحم[(٨)]. **وإذ[(٩)] لا زيادة، ولا مزاحم، ولا محمدة**[(١٠)]، فلا شهوة ولا غضب؛ لأنّ مقصود الشهوة طلب الازدياد، ومقصود الغضب دفع المزاحم[(١١)]، وليس الأمر في الفلك كذلك. ولا طلب المحمدة من السافل؛ فإنّ ذلك كمال مظنون، **ولا يُبنى الدوام على الظنّ،** فلا يصحّ ابتناء الأمر الواجب الدوام ـأعني الحركة الغير المنقطعةـ على أمر مظنون الحصول. وكيف ذلك؟ **مع أنّه لا نسبة بين العالي**

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) لوقف: لوقفت AB
(٣) لأنّ: إذ P
(٤) حركته: حركة A
(٥) الغرض: للغرض A
(٦) لجلب: يجلبه A
(٧) دفع: لدفع B
(٨) مزاحم: مراحم A
(٩) وإذ: فإذ A
(١٠) محمدة: مجلدة A، أن يحمده السافل P
(١١) المزاحم: التزاحم A

والسافل؛ فإنّ السافل ليس له نسبة معتبرة إلى العالي [ليتوقّف][(١)] غرض العالي عليه؛ لِما بينهما من المباينة الكلّيّة.

ولا يكون حركة الفلك **لأمر جزئيّ،** أي لا يصحّ أن يكون الغرض من الحركة أمراً جزئيّاً؛ فإنّه متى حصل[(٢)] وقف، فينقطع[(٣)] الحركة، هذا خلف. **بل**[(٤)] يجب أن يكون ذلك **لأمر كلّيّ؛** فإنّه إذا لم يكن جزئيّاً وجب أن يكون كلّيّاً؛ لعدم الواسطة. وذلك الكلّيّ[(٥)] **هو**[(٦)] **إرادة كلّيّة** و[(٧)] علم كلّيّ حاصل عن[(٨)] كلمة ناطقة، **تشبّهاً بمعشوق**[(٩)]، أي للتشبّه[(١٠)] بمعشوق[(١١)] مستتبع لدوامه، فتدوم الحركات. وذلك المعشوق **ليس واحداً، وإلّا لَتشابهت الحركات.** فحركة بعض الأفلاك وجرمه ليسا معشوقين[(١٢)] لبعض، وإلّا تشابهت الحركات. وكذا يجب[(١٣)] تشابه الحركات لو كان معشوقها واحداً، فوجب أن لا يكون المعشوق واحداً.

بل لكلٍّ معشوقٌ خاصّ هو علّته، تمدّه[(١٤)] **بنورها، وهي**[(١٥)] **المفارقات بالكلّيّة،** وهي الكرّوبيّون[(١٦)]، **فتفيض**[(١٧)] **عليه الأشواق واللذّات الغير المتناهية من معشوق مشترك** هو الأوّل. **فلأجل ذلك**[(١٨)] **تشابهت** الحركات في دوريّتها الغير

---

(١) ليتوقّف: ليوقف AB
(٢) حصل: + أو قنط P
(٣) B13b
(٤) بل: + ما A
(٥) A135a
(٦) هو: ـ A، فلها P
(٧) و: ـ A
(٨) حاصل عن: و P
(٩) بمعشوق: لمعشوق A
(١٠) للتشبّه: التشبّه A
(١١) بمعشوق: لمعشوق B
(١٢) ليسا معشوقين: ليستا بمعشوقين P
(١٣) يجب: تجب A
(١٤) تمدّه: يمدّه A
(١٥) وهي: من AB
(١٦) وهي الكرّوبيّون: أعني الكرّوبيّين P
(١٧) فتفيض: فيفيض AB
(١٨) فلأجل ذلك: فلذلك P

المتناهية، وتشابهت **في الدوريّة الأحديّة لوجدة**[١] **ولذّة، وتعاقبت على الدوام،** فتشبّهت أجرامها أيضاً بالعلل[٢]؛ فإنّها لو ثبتت[٣] على وضع واحد[٤] بقي الآخر بالقوّة أبداً، ولم يمكن الجمع بين الجميع، فاستحفظت بالتعاقب تشبّها للمتجدّد[٥] بدوام تجدّده بالدائم الذي لا يتجدّد[٦].



(١) لوجدة: بوحدة A، لوحدة B
(٢) بالعلل: بالفلك AB
(٣) ثبتت: تثبت A
(٤) واحد: ـ P
(٥) للمتجدّد: للتجدّد AB
(٦) الذي لا يتجدّد: ـ P

[طبقات العالم]

فالعوالم حينئذٍ **ثلاثة:**

ـ **عالم العقل، وهو الجبروت** في لسان أهل التصوّف.

ـ **وعالم النفس، وهو** في لسانهم **الملكوت.**

ـ **وعالم الجرم، وهو** عندهم **المُلك.**

والأخير[١] ـأعني عالم الجرمـ **مطيع للأوسط،** وهو عالم النفس، والنفوس متصرّفة[٢] في عالم الأجرام، وهو مسخَّر لها، البعض للبعض أو الكلّ للبعض. **وهو**[٣] ـأعني عالم النفسـ **مطيع للأوّل،** وهو عالم العقل، فهو متصرّف في النفس. **والكلّ** من العوالم الثلاثة[٤] بجميع[٥] أحوالها ونسبها[٦] و[ارتباطاتها][٧] داخل **تحت قهر المُبدع الأوّل؛** >[٨] لأنّه المؤثّر في الكلّ بواسطة أو بغيرها، ومُعطي كلّ واسطة ما صدر عنها.

[٩]< فهو تعالى ربَط العوالم والموجودات بعضها ببعض[١٠]، وأوقف ظهور بعضها على البعض، وجعل بعضها مرائي ومظاهر للبعض. فالعالم السفليّ بما فيه مرآة للعالم العِلويّ و[١١] مظهر لآثاره. و[١٢] العالم العِلويّ مرآة يتعيّن[١٣] فيه أرواح أفعال

---

(١) الأخير: إلّا جبر A

(٢) متصرّفة: متصرّفه B

(٣) B14a

(٤) العوالم الثلاثة: الثلاثة العوالم AB

(٥) بجميع: + ~~أجزائها~~ A

(٦) نسبها: نسبتها A

(٧) ارتباطاتها: ارتباطها AB

(٨) كلمة التصوّف: ١١٧

(٩) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(١٠) ببعض: بالبعض P

(١١) و: ـ P

(١٢) و: + كذلك P

(١٣) يتعيّن: بتعيّن A، + وينطبع P

العالم السفليّ تارةً، وصورها تارةً، والمجموع[١] أُخرى[٢]. وعالم المثال الكلّيّ من حيث عموم[٣] حُكمه وإطلاقه مرآة للكلّ من كلّ[٤] فعلٍ وموجود ومرتبة. فهو عالم رابع لهذه العوالم الثلاثة، [و][٥] مرآة لجميعها[٦]، وانفرد الحقّ ـ سبحانه ـ بإظهار كلّ شيء على حدّ علمه. >[٧]

[اقتضاء كلّ جسم لمكان يختصّ به]

[٨]< وإتمام هذا البحث وتكميله أن يُقال: إنّ الجسم إذا فرضناه خالياً عن كلّ ما يلحقه بواسطة أمر خارج، فلا بدّ له من حيّز معيّن وجهة معيّنة. و[٩] سبب يوجب ذلك[١٠] لا يجوز أن يكون أمراً خارجاً؛ لأنّا فرضناه خالياً عمّا لا يقتضيه ذاته، فالمقتضي لاختصاصه بذلك هو طبيعته المخصوصة.

فمكانه الطبيعيّ له[١١] واحد؛ لِما بيّنّا أنّ[١٢] له باعتبار ذاته مكان معيّن، وكلّ[١٣] نوع يقتضي بطبيعته مكاناً غير ما يقتضيه الآخر. واقتضاء الجسم للمكان معناه أنّه[١٤] إن كان فيه لم يطلب المفارقة، وإن كان خارجاً عنه[١٥] مال إليه بالطبع.

[كون المكان الطبيعيّ للجسم البسيط واحداً]

فالجسم[١٦] إن كان بسيطاً ولم يكن مكانه الطبيعيّ واحداً[١٧]، يلزم أن يكون له

---

(١) المجموع: + تارةً P
(٢) A135b
(٣) عموم: ـ B
(٤) للكلّ من كلّ: لكلّ P
(٥) و: ـ AB
(٦) فهو عالم ... لجميعها: ـ P
(٧) إعجاز البيان: ١٨٨
(٨) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٩) و: + من P
(١٠) ذلك: + وذلك السبب P
(١١) فمكانه الطبيعيّ له: والمكان الطبيعيّ للجسم P
(١٢) أنّ: أنّه AB
(١٣) وكلّ: فكلّ AB
(١٤) أنّه: ـ AB
(١٥) عنه: ـ AB
(١٦) B14b
(١٧) واحداً: + لم A

مكانان طبيعيّان[١]. فعند حصوله في أحدهما إمّا أن يطلب الآخر، أو لا.

ـ فإن طلب، لم يكن ما هو فيه طبيعيّاً.

ـ وإن لم يطلب، كان ذلك الآخر غير طبيعيّ.

ولو فرِض[٢] خارجاً عنهما[٣]:

ـ فإن لم يطلبهما ولا واحداً منهما، لم يكونا طبيعيّين له[٤].

ـ وإن طلبهما معاً فذلك[٥] محال؛ إذ[٦] توجّهه[٧] إلى أحدهما ينافي توجّهَه[٨] إلى الآخر بالضرورة.

ـ وإن طلب أحدهما دون الآخر، فيكون المتوجّه[٩] إليه هو الطبيعيّ دون الآخر[١٠]، فالطبيعيّ أحدهما[١١].

[كون المكان الطبيعيّ للجسم المركّب واحداً]

وأمّا المركّب:

ـ فإن غلب عليه[١٢] أحد البسائط[١٣]، فمكانه مكان ذلك الغالب، كما في المعادن والنبات والحيوان.

ـ وإن تساوت مقادير القوى فيه[١٤] [فهو][١٥] المعتدل.

---

(١) طبيعيّان: طبيعيّتان A

(٢) لو فرض: أمّا إذا فرضناه P

(٣) عنهما: + بالكلّيّة P

(٤) له: + والتقدير أنّهما طبيعيّان P

(٥) فذلك: فهو P

(٦) إذ: لأنّ P

(٧) توجّهه: توجيهه A

(٨) توجّهه: توجيهه A

(٩) المتوجّه: فالتوجّه AB

(١٠) الآخر: الذي لا يتوجّه إليه P

(١١) فالطبيعيّ أحدهما: فيكون المكان الطبيعيّ هو أحدهما فقط والمقدّر خلافه P

(١٢) عليه: ـ AB

(١٣) البسائط: + الأربعة P

(١٤) فيه: في ذلك المركّب P

(١٥) فهو: وهو AB، يسمّى معتدلاً P

فإن مال بعد ذلك إلى أمكنة بعض البسـائط المركّب منهما، كان ذلك ترجيحاً من غير مرجّح، وهو محال. وإن لم يمل إلى أحد الأمكنة[١]، فمكانه[٢] الذي اتّفق تركيبه فيه.

فيكون لكلّ جسم ميلٌ إلى مكانه[٣] الطبيعيّ.

[ماهيّة الميل]

وماهيّة الميل وحقيقته هي[٤] الممانعة التي يحسّ بها في[٥] الزقّ المسـكّن تحت الماء أو[٦] في الحجر الهابط. وهذه الممانعة محسوسة، فوجود الميل[٧] معلوم بالحسّ.

وليس هو[٨] نفس الحركة؛ لوجوده حال فقدها[٩]، كالزقّ المنفوخ[١٠] المسكّن[١١].

[أقسام الميل]

وينقسم[١٢] الميل:

ـ إلى ما يكون من ذات الجسم.

ـ وإلى ما يكون من غيره.

والأوّل إن كان المحدِث له هو الطبيعة[١٣]، سمّي[١٤] بالميل الطبيعيّ.

وإن كان المحدِث له هو النفس، فإن كان بلا[١٥] شعور، فهو الميل النفسانيّ.

وإن كان معه[١٦] شعور[١٧] فهو الميل الإراديّ، كميل الحيوانات إلى الحركات الإراديّة.

---

(١) فإن مال ... الأمكنة: ـ AB
(٢) فمكانه: فيكون مكانه P
(٣) مكانه: ـ AB
(٤) هي: ـ AB
(٥) يحسّ بها في: يحسّها الإنسان من P
(٦) أو: ـ A، و B
(٧) فوجود الميل: فوجوده P
(٨) هو: هذا الميل P
(٩) فقدها: ما تكون الحركة مفقودة P
(١٠) المنفوخ: المنفوح B
(١١) المسكّن: + فهو غير الحركة P
(١٢) A136a
(١٣) الطبيعة: + كميل الحجر عند هبوطه P
(١٤) سمّي: فيسمّى P
(١٥) كان بلا: لم يكن لها P
(١٦) معه: لها P
(١٧) شعور: ـ AB

وإن كان الميل[١] لا من ذات الجسم، بل من غيره ـ كميل السهم المنفصل[٢] عن القوس، والحجر عند رميه[٣] إلى الفوق ـ فهو الميل القسريّ، وبحدوثه[٤] يبطل الميل الطبيعيّ والإراديّ.

[سبب بطلان الميل القسريّ]

وبطلان القسريّ لا بدّ له من علّة ليس هي[٥] نفسه[٦]؛ لأنّ الشيء لا يكون علّة لعدم نفسه، وإلّا لامتنع وجوده.

ولا يجوز أن يكون المبطِل له المتحرّك ولا نفس الحركة، وإلّا لاستمرّ[٧] وجوده[٨].

ولا أمراً مغايراً لهما؛ لأنّه إن كان من الصفات الثابتة[٩] وجب أن لا يستمرّ الميل معه. وإن كان نفس الحركة، فهي من مقتضيات الميل، فلا[١٠] تكون[١١] مبطلة له.

فيكون مبطله[١٢] هو المتحرّك فيه، أعني المسافة المخروقة[١٣] على سبيل المعاونة[١٤] للمقسور؛ لأنّ الميل الطبيعيّ وإن لم يكن موجوداً في المقسور، فمبدؤه يكون موجوداً فيه، فذلك المبدأ للميل الطبيعيّ[١٥] يقتضي ضعف الميل القسريّ. فوجب أن ينقطع عند ابتداء تأثيره فيه. فلا[١٦] يزال أجزاء ما يتحرّك فيه المقسور يعاون المقسور بإضعاف[١٧] الميل القسريّ الذي انقطع[١٨] مدده وتوهينه[١٩] الميل الطبيعيّ

---

(١) كان الميل: ـ AB
(٢) المنفصل: عند انفصاله P
(٣) رميه: صعوده P
(٤) B15a
(٥) هي: + في A
(٦) نفسه: نفس الميل القسريّ P
(٧) لاستمرّ: استمرّ A
(٨) وجوده: + في جميع زمان الحركة P
(٩) الثابتة: الثانية AB
(١٠) فلا: ولا B، فكيف P
(١١) تكون: يكون AB
(١٢) مبطله: مبطلة A
(١٣) المخروقة: المحروقة AB
(١٤) المعاونة: المعاوقة AB
(١٥) وإن لم يكن ... الطبيعيّ: ـ AB
(١٦) فلا: ولا B
(١٧) أجزاء ما ... بإضعاف: ـ AB
(١٨) الذي انقطع: المنقطع P
(١٩) مدده وتوهينه: مسدّدة يوهنه AB

قليلاً قليلاً[١] حتّى يفنى[٢] بـالكلّيّـة، فيعود الميـل الطبيعيّ عقيبـه دفعـة، وهـذا حكم سـائر[٣] المقسـورات. ولهذا كلّما كان الميل الطبيعيّ أقوى، كان أمنع[٤] لجسـمه عن قبول الميل القسـريّ. فيكون الحركة بالميل القسريّ أبطأ[٥] وأضعف ممّا إذا كان الميل الطبيعيّ أضعف[٦]. >[٧]

[مقتضي الحركة للجسم]

[٨]< وحينئذٍ نقول: الجسم لا يقتضي لذاته الحركة؛ لأنّه لو اقتضاها لذاته فما كانت تتخلّف عنه[٩]؛ لأنّ ما بالذات[١٠] لا يزول. فكان يجب أن يدوم الحركة بدوام الجسميّة، فلم يصحّ السكون على شيء من الأجسام. والتالي باطل، فالمقدّم مثله. >[١١]

[١٢]< وكـذلـك الطبيعة لا يجوز أن تكون موجبة للحركة مطلقاً؛ لأنّ الطبيعة ثابتة، وكلّ ما هو ثابت فإنّه لا يقتضي غير ما هو[١٣] ثابت.

فعُلم[١٤] أنّ الجسـم لا يتحرّك إلّا لطلـبِ ملائمٍ لـه وموافقٍ كـان فقَـده[١٥]، فهو يحصّـلـه[١٦] بـالحركـة. فمتى[١٧] كـان معـه جميع مـا يلائمه[١٨]، لا يمكن أن يتحرّك

---

(١) قليلاً: _ P
(٢) يفنى: فنى B
(٣) سائر: جميع P
(٤) أمنع: أمتع A
(٥) فيكون الحركة ... أبطأ: _ AB
(٦) ممّا إذا ... أضعف: _ AB
(٧) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١١٩/٢ _ ١٢٣
(٨) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.
(٩) فما كانت تتخلّف عنه: ما تخلّف عنها B
(١٠) بالذات: من ذات الشيء P
(١١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١٧٧/٢ _ ١٧٨
(١٢) بـداية العبارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.
(١٣) ما هو: _ P
(١٤) فعلم: ويجب أن تعلم P
(١٥) A136b
(١٦) يحصّله: تحصيله A
(١٧) فمتى: فإذا P
(١٨) B15b

بالكلّيّة. فإذا خرج الجسم عن مكانه[١] الطبيعيّ، فقد عرض له ما لا يلائمه، فلا بدّ له من الحركة إلى المكان الطبيعيّ. فحركته[٢] لا تكون[٣] طبيعيّة محضة، بل تبتني على القسريّة. فإذا أطلقوا[٤] الحركة الطبيعيّة، فليس مرادهم أنّ نفس الطبيعة وحدها اقتضتها؛ بل المراد أنّ الطبيعة المفارقة لِما لا يلائمها اقتضت تلك الحركة، وإلّا فالطبيعة ثابتة، لا تقتضي ما ليس بثابت.

فللحركة علّة، وهو الطبيعة[٥] الثابتة، فهو جزء العلّة[٦]. والجزء الآخر هو الوصول إلى كلّ نقطة مفروضة غير ملائمة. وهذا الجزء غير ثابت، بل هو متجدّد[٧] شيئاً بعد شيء على سبيل البدل. فالوصول إلى كلّ نقطة مفروضة في المسافة الغير الملائمة لسكون الجسم الهابط عندها مع الطبيعة الثابتة[٨] علّةٌ للحركة منها إلى نقطة أُخرى مفروضة. وهكذا تتجدّد[٩] النقط[١٠] إلى أن يصل إلى مكانه الطبيعيّ، فينصرم الحركة، ويسكن الجسم[١١] في ذلك المكان الطبيعيّ[١٢].

وهذه النقط[١٣] لا تكون[١٤] متعيّنة في أجزاء المسافة عيناً؛ لأنّ الحركة موصولة واحدة، والمسافة كذلك، بل هي أُمور يفصّلها الوهم، وملاحظات يتصوّرها[١٥].

وكذلك الأُمور النفسانيّة الثابتة لا[١٦] يكون مقتضاها الحركة الغير الثابتة؛ فإنّها لو

(١) مكانه: المكان P
(٢) فحركته: + هذه P
(٣) تكون: يكون AB
(٤) أطلقوا: أطلق A
(٥) وحدها اقتضتها ... الطبيعة: _ AB
(٦) العلّة: بالعلّة B
(٧) متجدّد: متحدّد A
(٨) الثابتة: الثانية AB
(٩) تتجدّد: يتحدّد A، تجدّد P
(١٠) النقط: النقطة B
(١١) الجسم: _ AB
(١٢) الطبيعيّ: + له P
(١٣) النقط: النقطة B
(١٤) تكون: يكون A
(١٥) يتصوّرها: بتصوّرها A
(١٦) لا: + يجوز أن P

اقتضت الحركة لوجب أن يدوم الحركة بدوام النفس، وليس كذا. فالنفس إذا اقتضت الحركة[١] إنّما تقتضي[٢] ذلك بواسطة دواعٍ[٣] وإرادات متجدّدة. والقوى ـ باعتبار التوجّه إلى الكمال الذي لها ـ فهي مقتضية للحركة عند الوصول إلى حدود لا تكون[٤] هي المقصد والغاية، بل هي[٥] طريق الكمال. >[٦]

[وجوب كون حركات الأفلاك دوريّة إراديّة]

[٧]< فأشرف الحركات وأدوَمها[٨] المستديرة، وأتمّها وأقدمها ما كان بالإرادة. فلا يجوز[٩] أن تكون الحركات قسريّة ولا طبيعيّة[١٠]؛ لِما عرفتَ من حال هاتين[١١] الحركتين أنّهما [ترجعان][١٢] إلى الانقضاء والانقطاع الغير الملائم بحال هذه الحركة الدائمة المتواصلة. فوجب أن يكون حركات الأفلاك دوريّة إراديّة. فلحركاتها الشرف المطلق والكمال الأتمّ؛ لثبات الإرادات ودوام الحركات والحياة والتقدّم. >[١٣]

[اختلاف الحكماء في نفوس الأفلاك]

فوجب أن يكون للأفلاك[١٤] نفوس محرّكة لها هذا النوع من الحركة بالإرادة[١٥] الشوقيّة الدائمة.

---

(١) الغير الثابتة ... الحركة: ـ AB
(٢) تقتضي: يقتضي AB
(٣) دواعٍ: دواعي P
(٤) تكون: يكون AB
(٥) هي: + في P
(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١٧٩/٢ ـ ١٨٠
(٧) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٨) أدومها: أقدمها P
(٩) يجوز: تجوز AB
(١٠) لا طبيعيّة: الطبيعيّة A
(١١) B16a
(١٢) ترجعان: يرجعان AB
(١٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ١٨٢/٢
(١٤) للأفلاك: الأفلاك B
(١٥) A137a

[١]< واختلف الحكماء في تلك النفوس[٢].

[مذهب قدماء المشّائين]

فأكثر[٣] قدماء المشّائين على[٤] أنّ نفوسها منطبعة في أجرامها.

[مذهب الشيخ الرئيس]

ولم يزل هذا القول[٥] مستمرّاً حتّى[٦] ظهر الشيخ الرئيس. فكأنّه[٧] أوّل من تفطّن أنّ لها نفوساً ناطقة مجرّدة عن الموادّ، وهي المحرّكة لأجرامها.

[البرهان الأوّل]

وهذا هو الحقّ؛ لِما علمتَ أنّ حركاتها ليست طبيعيّة ولا قسريّة، وإنّما هي إراديّة. فلا يخلو[٨] أن يكون مطلوبها بتلك الحركة الإراديّة إمّا نفس تلك الحركة، أو غيرها.

والأوّل محال؛ لأنّها ليست من الكمالات العقليّة ولا الحسّيّة المطلوبة حتّى تكون[٩] مطلوبة لذاتها، بل لغيرها. فلا يجوز أن يكون نفوس[١٠] الأفلاك ولا أجرامها مقتضية للحركة؛ لِما[١١] عرفتَ أنّها ثابتة، والثابت لا يقتضي[١٢] الغير الثابت من الحركة. فلا بدّ[١٣] أن يكون مطلوبها بالحركة غير الحركة. فذلك المطلوب إمّا أن يكون حاصلاً، أو غير حاصل.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) تلك النفوس: نفوس الأفلاك P

(٣) فأكثر: فذهب أكثر P

(٤) على: _ P

(٥) هذا القول: القول بهذا المذهب P

(٦) حتّى: إلى أن P

(٧) فكأنّه: + هو P

(٨) يخلو: تخلو P، + إمّا ABP

(٩) تكون: يكون A

(١٠) نفوس: نفس AB

(١١) لما: كما B

(١٢) لا يقتضي: _ AB

(١٣) بدّ: + و P

والأوّل محال؛ لكونه تحصيلاً[١] للحاصل.

والثاني[٢] فإمّا أن يكون جزئيّاً، أو كلّيّاً.

والأوّل محال، وإلّا لَما دامت حركاتها؛ لأنّ الجزئيّ وقوعُه دفعةً؛ لِما عرفتَ أنّ كلّ حادث غير الحركة يجب أن يقع دفعةً. فلو[٣] كان المطلوب هو الجزئيّ الذي يقع دفعةً، فإمّا أن يكون وقوعه في وقت، أو لا يمكن وقوعه أصلاً، وعلى[٤] التقديرين لا بدّ من وقوف الحركة الفلكيّة.

أمّا إذا أمكن وقوعه في وقت[٥] فظاهر؛ إذ[٦] المطلوب بالحركة[٧] إنّما هو تحصيل ذلك الجزئيّ، وقد حصل. فلو استمرّت الحركة بعد ذلك مع كون المطلوب هو[٨] الجزئيّ، لكان تحصيلاً للحاصل.

وإن لم يمكن وقوعه أصلاً مع كونه هو المطلوب بالحركة، كان الطالب طالباً للمحال. وهو باطل؛ لعدم استمراره ودوامه، فيجب وقوف الحركة على هذا التقدير.

وأمّا بطلان التالي[٩] فلدوام حركاتها.

وإذا بطل أنّ[١٠] المطلوب بالحركة أمر جزئيّ[١١]، فمطلوبها لا مَحالة أمر كلّيّ. فيكون لنفوس[١٢] الأفلاك المحرّكة إرادة كلّيّة موجبة لعلم كلّيّ، وكلّ ما[١٣] له علم كلّيّ فله نفس[١٤] ناطقة مجرّدة عن المادّة، غير منطبعة فيها؛ لِما مرّ[١٥].

---

(١) B16b
(٢) الثاني: + وهو أن يكون المطلوب غير حاصل P
(٣) فلو: فإذا P
(٤) على: + كلَي P
(٥) وقت: + ما P
(٦) إذ: لأنّ P
(٧) بالحركة: من الحركة P
(٨) هو: + ذلك P
(٩) التالي: الثاني A
(١٠) أنّ: أن يكون P
(١١) أمر جزئيّ: أمراً جزئيّاً P
(١٢) لنفوس: النفوس B
(١٣) كلّ ما: كلّما AB
(١٤) A137b
(١٥) مرّ: + في العلم الطبيعيّ P

[البرهان الثاني]

البرهان الثاني: إنّك قد عرفتَ قبل هذا[١] أنّ الأفلاك لها إرادات جزئيّة مضبوطة بإرادات كلّيّة، فيكون الإرادة التي لكلّ[٢] فلك منها علّة لِتجدُّد الإرادات الجزئيّة. ولو لا الإرادة الكلّيّة ما أمكن تجدُّد الإرادات الجزئيّة الموجبة لحصول[٣] الحركة. وإذا كانت الإرادة الكلّيّة الموجبة للعلم الكلّيّ موجودةً، وجب الجزم بأنّ لها نفوساً ناطقة مجرّدة غير منطبعة في أبدانها، وذلك هو المطلوب.

[البرهان الثالث]

البرهان الثالث[٤]: النفوس الفلكيّة إمّا أن تكون[٥] طالبة بحركتها الإراديّة أمراً حيوانيّاً، أو أمراً عقليّاً.

فإن كان حيوانيّاً وكان جذب ملائم، سمّي[٦] شهوة؛ وإن كان دفع منافٍ سمّي غضباً، والأغراض الحيوانيّة منحصرة فيهما. ولا يجوز أن تكون[٧] طالبة لأحدهما أو لكليهما؛ لاختصاصهما بالأجسام الكائنة[٨] الفاسدة المحتاجة إلى التغذّي، والنموّ، والهرب من الضدّ والمزاحم، وغير ذلك ممّا هو ممتنع على الأجرام الفلكيّة؛ لامتناع الخرق والالتئام ـللحركة[٩] المستقيمةـ عليها؛ فإنّ النموّ لا يكون إلّا بالتغذّي الذي إنّما يكون بالحركة المستقيمة، كما أنّ المزاحمة على المكان أو المحلّ إنّما تكون بالحركة المستقيمة[١٠] الممتنعة[١١] عليها ذلك ـكما عرفتَ[١٢]ـ. وكونها لا يتّصل بها

---

(١) البرهان الثاني ... هذا: _ A
(٢) لكلّ: للكلّ AB
(٣) لحصول: بحصول B17a || A
(٤) البرهان الثالث: وأيضاً AB
(٥) تكون: يكون AB
(٦) سمّي: يسمّى A
(٧) تكون: يكون AB
(٨) الكائنة: الكاملة A
(٩) للحركة: والحركة AB
(١٠) كما أنّ ... المستقيمة: _ AB
(١١) الممتنعة: الممتنع AB
(١٢) عرفت: عرفته P

شـيء ولا ينفصل عنها شيء، يوجب أن لا يكون مطلوبها أمراً شهوانيّاً، وكونها مباينة[١] عن تفرّق الاتّصال وفساد الصور ومزاحمة الضدّ يوجب[٢] أن لا يكون [مطلوبها][٣] أمراً غضبيّاً. فلم يبقَ إلّا أن يكون مطلوبها[٤] بالحركة[٥] الإراديّة أمراً عقليّاً، وذلك لا يكون إلّا إدراكاً عقليّاً. وقد عرفتَ أنّه لا يكون إلّا في المجرّد عن المادّة، فنفوسها ناطقة، وذلك هو المطلوب.

[الغرض من الحركات الفلكيّة]

وإذا ثبت أنّ مطلوبها أمر كلّيّ عقليّ، فذلك الأمر لا بدّ وأن يكون لها غرض في تحصيله. فذلك الغرض المطلوب بالتحريك إمّا أن يكون أمراً مظنوناً[٦] ـ كالثناء والمدح ـ، أو لا يكون كذلك.

والأوّل[٧] باطل.

أمّا أوّلاً، فلأنّ الحركات الفلكيّة واجبة الدوام، فيجب ابتناؤها[٨] على علّة واجبة[٩] الدوام. والأمر المظنون[١٠] ليس بواجب الدوام، فالحركات الدائمة لا تبتني على الأُمور المظنونة[١١].

وأمّا ثانياً، فلأنّ تحريك الأفلاك لغرضٍ عِلويٍّ غير مظنون[١٢] هو الإمكان الأشرف، فيجب لها ذلك.

---

(١) مباينة: متأبّية B
(٢) يوجب: فوجب A
(٣) مطلوبها: مطلبها ABP
(٤) مطلوبها: مطلبها AB
(٥) بالحركة: الحركة A
(٦) مظنوناً: مضموناً A؛ مضموماً B
(٧) B17b
(٨) ابتناؤها: ابتناؤه P
(٩) A138a
(١٠) المظنون: المضمون AB
(١١) المظنونة: المضمونة AB
(١٢) مظنون: مضمون A

وأمّا إذا كان غرضــها[1] ومطلوبها أمراً غير مظنون، فإمّا أن يكون ذلك لما[2] تحتها، أو لا.

لا جائز أن يكون غرضها في التحريك لما تحتها من العنصريّات؛ فإنّها بالنسبة إلى الأجرام الشريفة أخسّ وأحقر من أن تتحرّك[3] لأجلها؛ فإنّ مجموع العالم العنصريّ لا نسـبة له محسوسةً إلى فلك الثوابت، فضلاً عمّا فوقه أو مجموعه[4]. مع أنّ الأفلاك لها القوّة الغير المتناهية، وهي غير كائنة ولا فاسـدة، ومع هذا الشـرف الأصـيل كيف[5] تتحرّك للعنصـريّات الخسيسة الحقيرة من جهة الكمّ والكيف؟ والحدس الصحيح لا يتوقّف في هذا الحكم الذي هو قريب من الأوّليّات.

وذكر الشـيخ الإلهيّ[6] أنّه لو كان غرضها بالتحريك الإراديّ نفعَ[7] السافلات، لَما أمكن انـدراس العلوم والفضـائل الحكميّة في الأزمنة الطويلة، ولَما وُجدت[8] الملل الجاهليّة، والدول الظالمة، والسياسات المذمومة، والاعتقادات الباطلة، وغير ذلك من الأُمور المختلّـة[9] في هذا العالم، بل كان يجب أن يكون الأُمور فيه على أتمّ ما ينبغي وأكمله، وليس الأمر كذلك.

وقد عرفتَ أنّ العالي لا يعمل[10] للسـافل، فلو كان غرضـها نفع[11] السـافل لكان ذلك أولى لها. ويلزم من ذلك أن تكون مستكملة بما[12] تحتها، والشريف لا يستكمل بالخسيس[13].

---

(١) غرضها: عرضها A
(٢) لما: لا A
(٣) تتحرّك: يتحرّك A
(٤) مجموعه: مجموعة A
(٥) كيف: _ AB
(٦) المشارع والمطارحات (العلم الثالث): ٤٤٠
(٧) نفع: تقع A
(٨) وجدت: وحدت AB
(٩) المختلّة: المتخيّلة P
(١٠) B18a
(١١) نفع: نفس AB
(١٢) بما: لما AB
(١٣) بالخسيس: الخسيس A

وإذا لم يكن الغرض لأجل ما تحتها، بل لأجل ما فوقها، فيجب أن يكون ذلك المطلوب معشوقاً لها؛ لأنّ التحريك الإراديّ الذي لا بدّ وأن يكون لطلب شيء يكون حصوله بالنسبة إليها أولى وأفضل من لا حصوله، وكلّ ما هو كذا فهو محبوب.

والمحبّة[١] إذا أُفرطت سمِّيت عشقاً، لكن الحركة المقصود بها حصول[٢] المحبوب لمّا كانت دائمة مستمرّة الوجود، دلّ ذلك على إفراط المحبّة المسمّاة بالعشق.

فثبت أنّ حركاتها لأجل معشوق، فإمّا أن يكون مطلوبها نيل ذاته، أو نيل صفة من صفاته.

فإن كان الأوّل فإمّا أن[٣] يمكن نيله دفعةً، أو لا دفعةً.

فإن كان ما ينال دفعةً، وجب أن يقف الحركة المستمرّة الوجود، وذلك محال.

والثاني محال أيضاً[٤]؛ فإنّ الذي لا يمكن حصوله دفعةً بل على التدريج، لا يكون ذاتاً، بل هو حركة؛ فإنّ الحركة لا تحصل إلّا على التدريج.

وإن كان المطلوب نيل صفة من صفاته فذلك محال؛ لأنّ الصفة المطلوبة للعاشق حالّة[٥] في ذات المعشوق، ولا يمكن حصولها للطالب إلّا بالانتقال، وذلك محال على الصفات العرضيّة.

وإن لم تنتقل، بل حصل مثلها، لم يحصل لها عينُ المطلوب، بل مثلُه وشبهُه[٦].

وأمّا إذا كان المطلوب المعشوق[٧] لا يمكن نيله هو ولا ما يشابهه[٨]، فهو محال؛ لامتناع استمرار طلب[٩] ما لا يمكن حصوله بالإرادة الكلّيّة. فبقي أن يكون المطلوب

---

(١) والمحبّة: فالمحبّة AB

(٢) A138b

(٣) أن: + ~~يكون~~ A

(٤) أيضاً: ـ AP

(٥) حالّة: حاله B

(٦) شبهه: ما يشبهه P

(٧) المعشوق: المعشوقيّ P

(٨) يشابهه: يشبهه P

(٩) B18b

بالحركة الدائمة هو التشبّه[١] بمعشوق لا ينال دفعةً، بل على التدريج.

[تعيين المعشوق المتشبّه به للحركات الفلكيّة]

ولا يجوز أن يكون[٢] المتشبّه به جرماً فلكيّاً، بحيث يكون كلّ فلك متشبّهاً بفلك آخر؛ إذ لو كان كذلك لزم أن يكون الحركات الفلكيّة بأسرها متّفقة في الجهة[٣]، وليس الأمر كذلك.

وليس بصحيح قول من قال: «إنّ المانع من اتّفاق حركاتها في الجهة طبيعةُ[٤] كلّ واحد منها»؛ فإنّ الأوضاع التي للأجرام الفلكيّة الكُريّة من حيث اقتضاء الطبيعة الجرميّة والميل المستدير متساوية، فكيف تقتضي[٥] الحركة من تلك الحيثيّة إلى جهة معيّنة[٦] ولا وضع معيّن أيضاً؟

ولو كان للأجرام الفلكيّة طبائع تقتضي[٧] الوضع المعيّن لكان انتقالها عنه بالقسر الممتنع في الأفلاك، لكن كلّ جزء من أجزاء الفلك يمكن أن يوجد عن[٨] كلّ نسبة ممكنة على طبيعته المقتضية لتشابه[٩] أجزائه وأحواله. فلا يكون شيء من الأجرام الفلكيّة يقتضي الوضع المعيّن، ولا الحركة إلى الجهة المعيّنة.

ولو كان المتشبّه به نفوساً فلكيّة، لزم تشابه الحركات في الجهات. والتالي باطل، فالمقدّم مثله.

واللزوم بيّن.

---

(١) التشبّه: النسبة P
(٢) يكون: + ذلك P
(٣) في الجهة: _ AB
(٤) طبيعة: طبيعته A
(٥) تقتضي: يقتضي AB
(٦) معيّنة: معينه B
(٧) تقتضي: يقتضي A
(٨) عن: على P
(٩) A139a

ولا يجوز أن يكون نفوسها مريدة للحركة إلى جهة معيّنة أو وضع معيّن بحسب اقتضاء الطبيعته الفلكيّة؛ فإنّ[١] الإرادة تابعة للغرض، لا للطبيعة، وليس الغرض تابعاً للإرادة، بل الحقّ أنّ الإرادة تابعة للغرض[٢]. فلا يكون نفوس الأفلاك يقتضي طبعُها إرادةَ الحركة إلى جهة معيّنة أو وضع معيّن، ليلزم من ذلك أن يكون الإرادة تابعة للطبيعة.

وإذا بطل أن يكون المتشبّه به جرماً فلكيّاً أو نفساً لها، بطل أن يكون المتشبّه به عرضاً حالّاً في كلّ واحد منهما.

ولا يجوز أن يكون المتشبّه به هو الواجب لذاته، أو عقل واحد من العقول، وإلّا لزم ما ذكرناه[٣] من اتّحاد الحركات واتّفاقها[٤] في الجهات؛ لأنّ الغرض[٥] إذا كان واحداً متّحداً كان المطلوب متّحداً، وليس كذلك.

فبقي أن يكون الأفلاك متشبّهة في الحركات الدائمة الدوريّة[٦] الإراديّة بعقول كثيرة[٧]؛ فإنّ التشبّه إذا كان بالأعراض الحالّة في تلك العقول كان المتشبّه بها[٨] أيضاً في تلك الأعراض التي لها، فلا يكون التشبّه أيضاً خارجاً عن أن يكون بعقول كثيرة.

[وجوب كون العقول المتشبّه بها بالفعل من جميع الوجوه]

ويجب[٩] أن يكون العقول المتشبّه بها[١٠] بالفعل من جميع الوجوه[١١]؛ إذ لو كانت بالقوّة من بعض الوجوه، فإمّا أن يمكن[١٢] خروجها إلى الفعل بواسطة الحركات

---

(١) B19a
(٢) لا للطبيعة ... للغرض: ـ A
(٣) ذكرناه: ذكرنا P
(٤) اتّحاد الحركات واتّفاقها: اتّفاق الحركات P
(٥) الغرض: العرض B
(٦) الدوريّة: ـ P
(٧) كثيرة: + فيجب A
(٨) بها: به AB
(٩) ويجب: فيجب AB
(١٠) بها: + في A
(١١) الوجوه: الجهات B
(١٢) يمكن: يكون A

الفلكيّة، أو لا يمكن.

والأوّل محـال، وإلّا لزم أن يكون الأُمور المجرّدة عن المـادّة مســتكملـةً بالأجرام الفلكيّـة وحركـاتها، فتكون متعلّقة بها. ويلزم أن يكون العقول المجرّدة نفوســاً فلكيّة، وذلك محال.

والثاني محال أيضـــاً، وإلّا لكانت العقول المجرّدة فاقدةً لبعض الكمالات العقليّة الممكنـة دائمـاً[١]، وذلـك محال؛ فإنّ تلك الكمالات لو لم تكن[٢] ممكنة لها لكانت ممتنعة، فلا تكون[٣] كمالاً لها. لكن[٤] قاعدة[٥] الإمكان الأشـرف تقتضي[٦] أن يكون إمكان تلك الكمالات ووقوعها بالفعل ـعلى ما مرّ تقريره ـ.

وإذا ثبـت أنّ المتشـــبّه به[٧] بالفعل من جميع الوجوه، فيكون النفوس الفلكيّة التي ليســت بالفعل من جميع الوجوه متشبّهةً بتلك العقول في إخراج كمالاتها الممكنة لها من القوّة إلى الفعل في كلّ وقت على التعاقب شيئاً فشيئاً إلى غير النهاية.

[امتناع خروج جميع كمالات النفوس الفلكيّة إلى الفعل دفعةً واحدةً]

ولا يجوز أن يكون جميع تلـك الكمـالات تخرج إلى الفعل في وقت من الأوقات، حتّى لا يبقى فيها شـيء بالقوّة، وإلّا لَصـارت عقولاً مجرّدة بالكلّيّة، فتسـتغني[٨] عن تحريك تلك الأجرام، وذلك يقتضـي انقطاع الحركات الواجبة[٩] دوامها واسـتمرارها، وذلك محال، بل هي دائمة بالقوّة من بعض الوجوه.

---

(١) A139b
(٢) تكن: يكن AB
(٣) تكون: يكون AB
(٤) لكن: + على AB
(٥) B19b
(٦) تقتضي: يقتضي AB
(٧) به: _ P
(٨) فتستغني: فيستغني B
(٩) الواجبة: لا واجب A، الواجب B

ولمّـا امتنع خروج كمـالاتهـا كلّهـا دفعـةً واحدةً، وجب أن تخرج[١] على التدريج والتعاقب أزلاً وأبداً.

[إثبات معشوق خاصّ لكلّ فلك، ومعشوق واحد مشترك]

قال المشّاؤون: ولكلّ[٢] واحد منها معشوق عقليّ يتشبّه[٣] به في حركاته، وللجميع معشـوق واحد مشـترك. واشـتركت الحركات في دوريّتها طلباً للتشـبّه بمعشوق واحد مشترك بينها، واختلفت حركاتها في الجهات؛ لاختلاف معشوقاتها.

[سبب رشح الأفلاك الخيرَ الدائم على السافل أزلاً وأبداً]

ثمّ قالوا: إنّ الأفلاك بالفعل لا[٤] من جهة الوضـع، فإنّها بالقوّة من تلك الجهة. ولا يجوز أن تـدوم على وضـع واحـد، وإلّا لزم بقـاء بـاقي[٥] الأوضـاع فيها بالقوّة الغير الخارجة إلى الفعل أبداً مع إمكانها. ولمّا لم يمكنها[٦] الجمع بين جميع الأوضـاع دفعةً واحدة، فأخرجت الأوضـاعَ[٧] الممكنة من القوّة إلى الفعل على التدريج والتعاقب المتحفّظ[٨] لنوع ما يمتنع[٩] بقاء شـخصـه بشـخص منتشر[١٠]. ثمّ يتبع ذلك[١١] رشح الخير[١٢] الدائم على السافل أزلاً وأبداً، لا قصداً منها للنفع، بل تشبّهاً بالعالي.

وأمّا[١٣] ما يُقال: «إنّها تطلب بأصل الحركة التشبّهَ بالعالي، إلّا أنّ اختلاف الجهات

---

(١) تخرج: يخرج ذلك P
(٢) ولكلّ: فلكلّ P
(٣) يتشبّه: تتشبّه P
(٤) لا: إلّا P
(٥) بقاء باقي: يلاقي AB
(٦) يمكنها: يكن A، يمكن B
(٧) لأوضاع: لأوضاع A
(٨) المتحفّظ: المستحفظ P
(٩) يمتنع: تمتنع A
(١٠) بشخص منتشر: لشخص متيسّر AB
(١١) B20a
(١٢) الخير: الخبر A
(١٣) A140a

اختارته[١] ـ مع تساويها بالنسبة إليها ـ لنفع[٢] السافل»، ليس بصحيح؛ إذ[٣] لو جاز[٤] ذلك، لَجاز في أصل الحركة[٥] ذلك، فيُقال: «إنّ الحركة والسكون متساويان بالنسبة إليها، إلّا أنّها اختارت الحركةَ لنفع[٦] السافل». وذلك محال؛ لِما عرفتَ أنّ الأفلاك لا تتحرّك[٧] لِما تحتها، وأنّ الشريف لا يستكمل بالخسيس.

[مذهب السهرورديّ في سبب دوام حركات الأفلاك]

وذكر الشيخ الإلهيّ[٨] أنّه لو كان قصدها التشبّه بالعالي في إخراج الأوضاع من القوّة إلى الفعل، ما دامت حركاتها[٩] على قطبين ثابتين؛ لبقاء أوضاع بالقوّة غير واقعة أبداً[١٠]. بل النفوس الفلكيّة تنال من الأُفق الأعلى والعالم الأسنى المجرّد عن الموادّ والتغيّرات أنواراً قدسيّة في غاية ما يكون من اللذّة، وينبعث[١١] عنها لأجلها حركات بعد[١٢] تلك الحركات لإشراق آخر، وذلك الإشراق لحركة[١٣] أُخرى، وهكذا لا تزال الإشراقات العقليّة موجبة للحركات الفلكيّة، والحركات مُعدّة لحصول الإشراقات من غير انصرام ولا انقطاع.

وهذه الحالة حاصلة لكلّ من تأمّل واعتبر[١٤] حاله عند الطرب؛ فإنّ البدن وأعضاءه[١٥] يتحرّك بسببه؛ لِما علمتَ من انفعال كلّ واحد من النفس والبدن عن أحوال

---

(١) اختارته: اختياريّة AB

(٢) لنفع: ليقع B

(٣) إذ: فإنّه P

(٤) جاز: + أن يقال P

(٥) الحركة: الحقيقة AB

(٦) لنفع: ليقع B

(٧) تتحرّك: يتحرّك AB

(٨) التلويحات: ٢٢٥

(٩) حركاتها: حركتها P

(١٠) أبداً: + حينئذٍ P

(١١) تنبعث: ينبعث A

(١٢) حركات بعد: ـ AB

(١٣) لحركة: بحركة AB

(١٤) تأمّل واعتبر: اعتبر وتأمّل P

(١٥) أعضاءه: إعطاءه A

صاحبه. والبارقات الإلهيّة إذا وردَت[١] على النفس أدّى ذلك إلى حركة البدن واضطرابه، كما نرى[٢] ذلك من أهل المواجيد[٣] في السماعات[٤]؛ فإنّ الإنسان إذا حصل في نفسه شيء من الهيئات بسبب أُمور عقليّة أو تخيّليّة، يتحرّك شيء من أعضائه، حتّى ربّما أدّى إلى رقص وتصفيق وحركات بدنيّة[٥] محمودة أو مذمومة مناسبة لذلك المتعقَّل أو المتخيَّل.

وإذا عرف العاقل هذا من نفسه، فلا ينبغي أن يتعجّب من دوام حركات الأفلاك واستمرار مواجيدها عن أنوار تأتيها وتشرق[٦] عليها من العالم العقليّ والصُقع الإلهيّ[٧]. بل إذا انفعلت نفوسها عن تلك اللذّات القدسيّة والبهجات الروحانيّة والإشراقات العِلويّة، فيتبع ذلك انفعال أجرامها العِلويّة الفلكيّة بالحركات الدوريّة المناسبة لتلك الإشراقات النوريّة.

ولمّا كانت النفس الناطقة التي لنا[٨] عند استغراقها في المعقولات وإمعانها[٩] في الأفكار، لا تخلو[١٠] عن استصحاب الخيال وتمثيل أُمور تحاكي[١١] ما أدركَته النفس من المعقولات نوعاً ما من المحاكاة، ثمّ يتبع[١٢] ذلك انفعالُ بدنه ـ كلّه أو بعض أجزائه ـ عن تلك التصوّرات، فلا يبعد أن يكون حال نفوس الأفلاك مع أجرامها ذلك الحال.

فإذا حصل في نفوسها إشراقات عقليّة وأنوار قدسيّة، فتنفعل أجرامها الشريفة عنها انفعالات مستمرّة الدوام، تابعة[١٣] لانفعال يحصل[١٤] من تصوّر لها يُشبه[١٥] الخيال

---

(١) B20b
(٢) نرى: ترى AP
(٣) المواجيد: التواجد AB
(٤) السماعات: السماع P
(٥) حركات بدنيّة: يديه AB
(٦) تشرق: تشرف A
(٧) A140b
(٨) لنا: لها AB
(٩) إمعانها: إمكانها B
(١٠) تخلو: يخلو AB
(١١) تحاكي: محاكي AB
(١٢) ستبع: تبع AB
(١٣) تابعة: تابع AB
(١٤) يحصل: محصّل A
(١٥) تصوّر لها يشبه: تصوّرها نسبة AB

الذي لنا. ويكون تلك الانفعالات(١) الفلكيّة حاصلة عن تصوّر الكمالات الحاصلة لنفوسها من العقول المفارقة. ولمّا كانت النفوس الفلكيّة وأجرامها خلِقت(٢) تامّة على أكمل ما ينبغي في مرتبتها وهي بالفعل، ليس فيها شيء بالقوّة، إلّا في ما يتعلّق بجسمه(٣) من الأوضاع. وكمالُه من هذه الجهة إخراج كلّ وضع يمكن فيه من القوّة(٤) إلى الفعل دائماً على التعاقب.

[دفع إشكال المتأخّرين على قول الحكماء في الغرض عن حركات الأفلاك]

وأمّا الإشكال الذي أورده المتأخّرون ـ أنّ الحكماء يزعمون أنّ الغرض في حركات الأفلاك إنّما هو إخراج الأوضاع من القوّة إلى الفعل(٥) ـ باطل؛ لأنّ الإنسان إذا تردّد في زوايا بيته قاصداً بذلك إخراج الأوضاع التي فيه من القوّة إلى الفعل، نُسب(٦) ذلك الإنسان إلى الجهل والغباوة، وكذلك(٧) الحال في الأفلاك.

فالجواب(٨) عنه أنّ أحداً من الحكماء لم يذهب إلى أنّ حركاتها لأجل إخراج الأوضاع الممكنة، بل الذي يقولونه(٩) أنّها تتحرّك لِما ينالها من الكمالات(١٠) العقليّة والأنوار الروحانيّة. وتلك الكمالات المتحرّكة لأجلها(١١):

ـ قد تكون(١٢) بحسب أجرامها الشريفة، وهو إخراج الأوضاع الممكنة من القوّة إلى الفعل.

---

(١) B21a
(٢) خلقت: حلقت A
(٣) بجسمه: لجسمه A
(٤) من القوّة: بالقوّة AB
(٥) الفعل: + وهو A
(٦) نسب: ليُنسب P
(٧) كذلك: + يكون AB
(٨) فالجواب: والجواب P
(٩) يقولونه: تقولونه A، + هو ما ذكرناه P
(١٠) A141a
(١١) لأجلها: لأجله P
(١٢) تكون: يكون AB

ـ وقد تكون[(١)] بحسب نفوسها الناطقة، وهي ما تناله من الأنوار العقليّة والأشعّة القدسيّة.

ثمّ يتبع هذا الحصول والنيل ويلزمه[(٢)] حركة أجرامها، المستلزمة لإخراج الأوضاع المختلفة، المستلزم لرشح الخير[(٣)] الدائم أزلاً وأبداً على كلّ قابل مستعدّ ممّا في عالمنا هذا. والمؤثّر في هذا العالم إنّما هو اختلاف[(٤)] أوضاع الأجرام العِلويّة الفلكيّة والكوكبيّة، لا نفس الأوضاع. وقد ظهر لك ـفي ما سلف[(٥)]ـ أنّه لو لا اختلاف أوضاع الأجرام العِلويّة، لم يختلف الآثار هنا. فما كان يتكوّن متكوّن، ولا يفسد فاسد أصلاً.

وإذا لم يكن المقصود هو إخراج الأوضاع، بل هو التشبّه بالمبادئ العقليّة فقط[(٦)]، يلزم ذلك إخراج الأوضاع المختلفة، المستلزم ذلك[(٧)] لنفع السافل على سبيل التبعيّة، لا على سبيل القصد.

وإذا ثبت أنّ المتشبّه[(٨)] ليس بواحد، ثبت أنّ المتشبّه به ذوات عقليّة كثيرة، هي بالفعل من جميع الوجوه. وكلّ فلك[(٩)] يتشبّه في حركته بعقل هو معشوق له، و[(١٠)] بهذا الطريق[(١١)] ثبت وجود العقول المتشبّه بها.

[الاختلاف بين الحكماء في عدد العقول]

فبعض الحكماء جعلوا في بادئ نظرهم العقولَ بعدد الأفلاك الكلّيّة، وهي تسعة:

---

(١) تكون: يكون AB
(٢) يلزمه: يلزم AB
(٣) الخير: الخبر A
(٤) B21b
(٥) ما سلف: الطبيعيّات على سبيل الإجمال P
(٦) فقط: + و ABP
(٧) ذلك: ـ P
(٨) المتشبّه: + به AB
(٩) فلك: ذلك A
(١٠) و: ـ AB
(١١) الطريق: + و AB

الأطلس، وفلك الثوابت، وسبعة أفلاك للسيّارات[١] السبعة: أعلاها زحل، ويليه المشتري، ثمّ المرّيخ، ثمّ الشمس، ثمّ الزهرة، ثمّ عطارد، ثمّ القمر، وهو أدناها. وجعلوا كلّ فلك كلّيّ كحيوان واحد له نفس واحدة، وجعلوا الأفلاك الجزئيّة كأعضاء ذلك الحيوان.

وبعضهم جعل[٢] العقول بعدد الأفلاك الكلّيّة والجزئيّة. وكان رأي المعلّم الأوّل[٣] يقرب[٤] من خمسين[٥] فلكاً، إذا اعتُبرت كلّيّتها وجزئيّتها من المُميلات[٦]، والخوارج المراكز، والتداوير، والأفلاك المحرّكة في العرض[٧]، والميل، وغير ذلك ممّا ذكر في علم الهيئة. >[٨]

[اطّلاع النفوس الفلكيّة على عالم المجرّدات]

[٩]< **خاتمة**[١٠]: لمّا[١١] علمتَ أنّ للأجرام الفلكيّة[١٢] نفوساً ناطقة مجرّدة عن المادّة[١٣]، محرّكة لها عن مبدأ عقليّ، فلها لا مَحالة شعور بحركاتها الصادرة عنها، ولوازمِ تلك الحركات الحاصلة عنها في عالم الأجرام. ولها علوم بما[١٤] فوقها من عالم المجرّدات والأُمور الغير المادّيّة، وبما تحتها من الأُمور السفليّة.

وبرهان ذلك أنّ كلّ واحد فقد ثبت عنده صحّة منامات وصدق إنذارات.

---

(١) للسيّارات: السيّارات AB

(٢) جعل: جعلوا A، + عدد P

(٣) الأوّل: _ AB

(٤) يقرب: بقرب AB

(٥) خمسين: جسمين B

(٦) المميلات: الممثّلات AB

(٧) A141b

(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣٧٦/٣ _ ٣٨٦

(٩) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(١٠) B22a

(١١) لمّا: قد P

(١٢) الفلكيّة: السماويّة P

(١٣) المادّة: + و P

(١٤) بما: ممّا AB

أمّا السالك المحقّق فقد جرّبه[1] من نفسه في اليقظة والنوم.

وأمّا غيرهم من الكافّة فيحصل لهم الإنذارات بالمغيبات من المنامات التي يرونها في[2] أنفسهم أو من غيرهم.

وكلّهم يعترفون بأنّ هذه الإنذارات بالمغيبات الماضية والمستقبلة إنّما تحصل لهم من ذات مدرِكة مطّلعة على جميع الحوادث والأحوال الماضية والمستقبلة، وهو المفيد لنفوسنا الاطّلاعَ على المغيبات يقظةً ونوماً؛ فإنّ[3] المفيد لنفوسنا العلومَ والمعارف والإنذارات بالمغيبات، كيف يمكن أن يكون جاهلاً بها؟ فالحقّ أنّ معلّمنا العلومَ في النوم ومُنذرنا بالمغيبات، له عليها الاطّلاع[4].

[الفرق بين السالك وغيره في كسب العلوم عن النفوس الفلكيّة]

والسالك القويّ ـوهو الذي له ملَكة الإشراقات العِلويّة النوريّة والإخبارات الغيبيّةـ لا يفتقر في حصول ذلك إلى وسط، بل يعلم[5] بالمشاهدة أنّ المُلقي[6] للمغيبات ذو[7] إدراك وحياة، وأنّ له مظاهر كثيرة مختلفة يظهر فيها بحسب استعداد[8] ذلك الذي يظهر له، وإن كان قلّما يتشابه له مظهران. ويشاهد هذا الشخصُ المستعدّ لهذا[9] الإلقاء من العجائب والغرائب ما لا يفتقر معه إلى برهان.

وأمّا من هو دون هؤلاء في الرتبة[10]، فله أن ينظر في أحوال المنامات، وما يحصل فيها من الإنذارات بالأُمور المغيبة؛ إذ[11] ذلك ليس إلّا لقلّة شواغل النفس في تلك

---

(١) جرّبه: جرّب P
(٢) في: من P
(٣) فإنّ: وإنّ AB
(٤) الاطّلاع: اطّلاع P
(٥) يعلم: بعلم P
(٦) الملقي: التي AB
(٧) ذو: ذي AB
(٨) B22b
(٩) لهذا: لها AB
(١٠) الرتبة: المرتبة P
(١١) إذ: أنّ P

الحال التي[١] يقع فيها الاطّلاع.

وأنت تعلم أنّ حصول هذا الاطّلاع ليس عن تصرّف فكريّ، وإلّا لَكان الإنسان[٢] في حال اليقظة أقدر على الفكرة من حال النوم، مع أنّه لا يتيسّر له ذلك إلّا في حال النوم[٣]، فذلك الاطّلاع ليس له سبب إلّا اتّصال النفس بالأُمور التي عندها[٤] الإنذارات[٥] بالمغيبات الماضية[٦] والكائنات المتعلّقة بالأزمنة. وذلك إنّما يكون للنفوس الفلكيّة العالمة بجميع الحوادث والوقائع الحاصلة في كلّ زمان بسبب الحركات الفلكيّة. ولمّا كانت عالمةً بحركاتها ولوازم حركاتها، وكان كلّ ما يحدث في عالمنا فهو من آثار حركاتها، وجب أن يكون لها اطّلاع على جميع الكائنات الزمانيّة.

[وجوب قوانين للحوادث واجبة التكرار إلى غير النهاية]

وإذا عرفتَ أنّ النفوس الفلكيّة عالمةٌ بجميع الحوادث الواقعة في الماضي والمستقبل والحال، وكانت الحوادث الواقعة في الماضي والمستقبل غير متناهية، فلا يخلو[٧]:

ـ إمّا أن يكون علومها غير متناهية مترتّبة، كحوادث[٨] غير متناهية في أزمنة غير متناهية مترتّبة[٩]، يقع شيء منها بعد شيء، فيكون[١٠] تلك العلوم الغير المتناهية بالحوادث الغير المتناهية مترتّبة بحسب ترتّب الأزمنة الغير المتناهية.

ـ وإمّا أن يكون علومها متناهية بحيث تنتهي[١١] إلى جهل.

---

(١) A142a
(٢) الإنسان: ـ AB
(٣) مع أنّه ... النوم: ـ A
(٤) عندها: عندنا AB
(٥) الإنذارات: لإنذارات AB
(٦) الماضية: + والمستقبلة P
(٧) يخلو: تخلو P
(٨) كحوادث: بحوادث P
(٩) B23a
(١٠) فتكون: فيكون A
(١١) تنتهي: ينتهي AB

ـ وإمّا أن يكون لها علوم كلّيّة هي ضوابط وقوانين لجميع[1] الحوادث والكائنات، واجبة التكرار إلى غير النهاية.

والقسمان الأوّلان باطلان، فتعيّن[2] الثالث.

و[3] بيان بطلان[4] الأوّل ـوهو أن يكون لها علوم غير متناهية مترتّبة بحسب ترتّب الأزمنة لكلّ زمان مقتضاهـ فتبيّن ذلك من وجوه ثلاثة:

أمّا أوّلاً، فلأنّه يلزم أن يكون العلوم بالحوادث الغير المتناهية التي لا تجتمع[5] في الوجود مترتّبة في النفوس المدرِكة لها[6]، فيحصل منها سلسلة غير متناهية مترتّبة ترتّبَ الأزمنة؛ فإنّ الزمان الثاني كما لا يوجد إلّا بعد الزمان الأوّل، فكذلك العلم بالزمان[7] الثاني لا يكون إلّا بعد العلم بالزمان الأوّل.

وإذا كانت العلوم المترتّبة ترتّبَ الأزمنة غير متناهية، لزم وجود السلسلة المترتّبة الغير المتناهية، وقد عرفتَ امتناع وجود أمثال هذه السلسلة[8].

وأمّا ثانياً، فلأنّ علمها بالحوادث الغير المتناهية المترتّبة[9] التي تقع في المستقبل، إمّا أن يكون كلّ واحد منها لا بدّ وأن يقع في زمانٍ ما، أو يكون فيها ما لا يقع أبداً.

فإن كان كلّ واحد منها يقع في زمانٍ ما، فيأتي زمان بالضرورة يقع فيه الكلّ، فيلزم تناهي السلسلة المفروضة غير متناهية، وذلك محال.

وإن كان[10] في الحوادث المستقبلة المفروضة غير متناهية ما لا يقع أصلاً، فليس

---

(١) لجميع: بجميع AB
(٢) فتعيّن: + صحّة القسم P
(٣) و: أمّا P
(٤) بطلان: + القسم P
(٥) تجتمع: يجتمع A
(٦) لها: ـ AB
(٧) A142b
(٨) السلسلة: السلاسل P
(٩) المترتّبة: المرتّبة AB
(١٠) B23b

من المدرَكات المفروضة أنّها ستكون في الزمان المستقبل، وقد فرضناها ستكون فيها، هذا محال.

وأمّا ثالثاً، فلأنّها لو كان لها علوم غير متناهية لحوادث غير متناهية[١] مترتّبة ترتّب الأزمنة، فعلومها إذاً كانت بالماضي، كعلومها بالمستقبل. ثمّ الحوادث المستقبلة لا بدّ وأن تصير ماضية[٢]، وهي غير متناهية. فإذا كان عندها علوم غير متناهية مترتّبة ترتّبَ الأزمنة، فيكون فيها[٣] صور الحوادث الماضية الغير المتناهية مجتمعةً في إحاطتها. وليست[٤] الأدوار والأكوار الماضية الغير المتناهية والقرون الخالية معاً، بل هي مترتّبة. فإذا فرضنا النفوس الكلّيّة[٥] الفلكيّة محيطة[٦] بالكلّ على سبيل التفصيل، وجب بالضرورة نهايتها، وقد فرضناها[٧] غير متناهية[٨]، هذا خلف. فبطل أن يكون لها علوم غير متناهية مترتّبة ترتّبَ الأزمنة.

وأمّا[٩] القسم الثاني ـوهو أن يكون عندها علوم متناهية تنتهي[١٠] إلى جهلـ فهو محال أيضاً؛ إذ لو صحّ ذلك لَوجب أن ينقرض[١١] علومها في الأدوار الغير المتناهية، فما كان يصحّ بعد ذلك إنذار غيبيّ، ولا يصحّ تعبير[١٢] منامٍ ممّا يتعلّق بالزمان المستقبل بعد ذلك[١٣]؛ لأنّ[١٤] المُلقي للأُمور الغيبيّة المطّلع عليها قد صار جاهلاً،

---

(١) لحوادث غير متناهية: _ AB
(٢) ماضية: ماضيه A
(٣) فيها: _ AB
(٤) ليست: إسناد AB
(٥) الكلّيّة: _ A
(٦) محيطة: محيط A
(٧) فرضناها: فرِضت P
(٨) متناهية: + وذلك محال وإن كان في الحوادث المستقبلة AB
(٩) أمّا: + بطلان ABP
(١٠) تنتهي: ينتهي AB
(١١) ينقرض: ينفرض AB
(١٢) تعبير: تعيّن AB
(١٣) A143a
(١٤) لأنّ: أنّ A

وذلك باطل بالضرورة؛ لصحّة المنامات والإنذارات الغيبيّة.

فإن قال قائل بأنّ علومها متناهية، إلّا أنّها تستفيد[١] العلوم[٢] ممّا فوقها؛ فيعود الكلام المذكور أيضاً إلى ذلك الغير الذي يفيدها ذلك العلم.

وإن[٣] قال بأنّه كلّما انقضى منها علوم يُخلق فيها علوم أُخرى؛ فيعود الكلام أيضاً إلى ذلك الخالق[٤] في أنفسها تلك العلومَ، وهو المُخرج لها من القوّة إلى الفعل:

ـ إن كان هو أنفسها، فالشيء لا يجوز أن يُخرج نفسَه من القوّة إلى الفعل[٥].

ـ وإن كان المُخرج لها هو غيرها، عاد الكلام السابق بعينه إليه.

وإذا بطل القسمان الأوّلان، تعيّن صحّة القسم الثالث، وهو أن يكون الحوادث لها ضوابط كلّيّة واجبة التكرار. ومعناه أنّ الأُمور الآتية في كلّ دور من الأدوار المستقبلة تعود[٦] إلى شبيه[٧] ما كان في الدور الأوّل الذي قبله؛ لا أنّ[٨] المعدوم الذي في الدور الأوّل بعينه يُعاد[٩]؛ فإنّك قد علمتَ بأنّ إعادة المعدوم بعينه محال، بل يُعاد شبيهه. فيكون[١٠] عند النفوس الفلكيّة والمبادئ العالية أحكام لحوادث[١١] مضبوطة معيّنة يقع جملتها في كلّ دور تامّ، وهو مبلغ من الأُلوف[١٢] الجمّة مضبوطة يوماً[١٣] بعد يوم، وشهراً[١٤] بعد شهر، وسنةً بعد سنة، وألفاً[١٥] بعد ألف، إلى تمام ذلك الدور.

---

(١) تستفيد: يستفيد A
(٢) العلوم: العلم BP
(٣) وإن: فإنّه AB
(٤) الخالق: الخلاف A
(٥) الفعل: + في تلك العلوم P
(٦) تعود: يعود AB
(٧) شبيه: شبهه A
(٨) لا أنّ: لأنّ AB
(٩) يعاد: لا يعاد AB
(١٠) B24a
(١١) لحوادث: الحوادث AB
(١٢) الأُلوف: الآلاف P
(١٣) يوماً: يوم AB
(١٤) شهراً: شهر AB
(١٥) ألفاً: ألف AB

ثمّ يعود الحركات بعد عبور تلك المدّة إلى شبيه[١] ما كانت في الدور الأوّل، وهكذا يمضي دورٌ بعد دور إلى غير النهاية[٢]. ولا يكون مضبوطاً عند المبادئ العالية أنّ هذه الضوابط الواقعة في كلّ دور لم يتكرّر[٣] مقتضاها في العالم؛ فإنّ الغير المتناهي لا يمكن أن يضبط تكرُّره واستئنافه، لا[٤] في الماضي ولا في المستقبل. فوصولها إلى كلّ نقطة وإدراكُ ما يلزم من ذلك عندها، كاستثناء شرطيّات كلّيّة[٥]: كلّما كان كذا، كان كذا[٦].

وهذه المسألة من الأسرار المشتملة على كثير من اللطائف والمعارف، ويمكن أن تستخرج[٧] منها فروعاً كثيرة ومسائل متعدّدة، و[٨] لا ينبغي أن يباح بها إلّا إلى أهلها. وجميع حكماء[٩] أهل الهند والصين وفارس وبابل والروم ومصر وغيرهم من أفاضل أهل الملل والنحل قائلون بتكرار الضوابط والأدوار على الوجه الذي ذكرناه، لا يختلفون في ذلك، وهذا هو تناسخ الأدوار والأكوار؛ فإنّ حركات الأفلاك لمّا كانت دوريّة، فلا بدّ من وصول رأس البركار[١٠] إلى[١١] ما بدأ. فإذا دار دورة ثانية على الخطّ الأوّل، فإنّه لا بدّ وأن يفيد ما أفاد الدور الأوّل؛ إذ لا[١٢] اختلاف بين الدور والدور ليُتصوّر اختلاف بين الأثرين؛ فإنّ المؤثّرات عادت إلى[١٣] ما بدأت. والنجوم والأفلاك دارت على المركز الأوّل، وما اختلفت أبعادها واتّصالاتها[١٤] ومنظراتها ومناسباتها بوجهٍ من الوجوه.

---

(١) شبيه: شبهه A
(٢) النهاية: + في تلك P
(٣) يتكرّر: تتكرّر B
(٤) لا: إلّا A
(٥) A143b
(٦) كان كذا: _ AB
(٧) تستخرج: يستخرج A
(٨) و: _ P
(٩) حكماء: _ AB
(١٠) البركار: التذكار AB
(١١) إلى: _ A
(١٢) B24b
(١٣) إلى: _ AB
(١٤) أبعادها واتّصالاتها: آثارها وإيصالاتها AB

[النسبة بين الكون والفساد]

وبهـذا[١] يظهر أنّ كـلّ كائن فاسـد، وكلّ فاسـد كائن. فلا يبقى من المركّبات من المواليد الثلاثة شيء دائماً؛ إذ لو بقي[٢] شيء منها دائماً، لزم أن يعود في كلّ دور مثله، والأدوار غير متناهية في التكرار، فيصير أعدادها في تلك الأنواع من الأجسام باقية مع كونها غير متناهية، وذلك محال؛ فإنّك قد عرفتَ تناهي الأبعاد، ثمّ لا تفي[٣] بها المادّة والأجسام المتناهية.

[الاختلاف بين الحكماء في مقدار الدور]

واختلف حكماء أهل الأقاليم والأُمم والأرصـاد في مقدار الدور[٤] الذي يعود كلّ ما[٥] فيه من دقيق وجليل[٦] إلى دور الآخر الذي بعده.

[مذهب حكماء بابل]

فقال قوم من حكماء[٧] بابل: إنّ الدور التامّ تسـعة[٨] وأربعون ألف سـنة، وجعلوا المدبّر للعالم في كلّ سبعة ألف[٩] سنة كوكباً[١٠] من الكواكب السيّارة.

فالمدبّر[١١] للعالم في أوّل الدور سبعة آلاف سنة زحلُ، وفي[١٢] زمان تدبيره يخلق[١٣] اللّه تعالى بواسـطة الحركات الفلكيّة[١٤] والمبادئ العقليّة آدمَ الأوّل ـوهو أبو البشـر ـ

---

(١) بهذا: هذا A
(٢) بقي: يبقى A، نفى B
(٣) تفي: بقي A، نفى B
(٤) الدور: ـ AB
(٥) كلّ ما: كلّما AB
(٦) وجليل: ـ AB
(٧) حكماء: الحكماء A
(٨) تسعة: سبعة AB
(٩) ألف: آلاف AB
(١٠) كوكباً: كوكب AB
(١١) فالمدبّر: والمدبّر AB
(١٢) في: هو AB
(١٣) يخلق: بخلق A
(١٤) A144a

من الطين، وكذا زوجته. فيزعمون أنّ في أوّل دور زحل يستولى البرد واليبس ـالذي في طبيعته ـ على العالم، حتّى لا يبقى فيه شيء[١] من الحيوان والنبات؛ لشدّة البرد والجمود وكثرة الثلج، حتّى أنّ الحجارة تتفتَّت[٢] وتصير كالملح[٣]، وتنشقّ[٤] الأرض[٥] فتصير أغواراً بعيدة. فإذا دُكّت الجبال، وطحِنت الحجارة فصارت[٦] رملاً، وأنشأت[٧] ذلك الرمل في شقوقات الأرض، فاستوَت حينئذٍ جميع[٨] الأرض، وصارت بسيطاً واحداً، وذلك في مئة سنة[٩] من الألف الأوّل[١٠].

ثمّ يتولّد الغُيوم الكثيرة المتراكمة من البخارات المتكاثفة، وارتفعت وصارت طبقات وليدة البرد، فجمد الغيم في الجوّ بعد إحاطته بجميع الأرض. فحينئذٍ يشتدّ ظلمة الأرض، وضوء الشمس والكواكب من فوقها يسخّنها[١١]. فإذا صار مدّة[١٢] التسخين سنة، ابتدأت تلك الغُيومُ بالتحلّل، [و][١٣] كثرت الأمطار والسيول العظيمة الدائمة مع شدّة البرد، إلى أن يتمّ الألف سنة[١٤] الأوّلة في دور زحل بانفراده.

وإذا دخلت الألف الثانية التي[١٥] لزحل بمشاركة[١٦] المشتري، سكن المطر[١٧] في هذه الألف الثانية مُبتلّة مُعفّنة.

---

(١) شيء: ـ AB
(٢) التفتُّت: التكسُّر. (لسان العرب)
(٣) كالملح: كالرمل P
(٤) تنشقّ: تتشقّق BP
(٥) B25a
(٦) فصارت: وصارت AB
(٧) أنشأت: أنساب B
(٨) جميع: مخدع A
(٩) سنة: سنته A
(١٠) الأوّل: الأوّلة AB
(١١) يسخّنها: تسخّنها AB
(١٢) مدّة: هذا AB
(١٣) و: ـ ABP
(١٤) سنة: سنته A
(١٥) التي: ـ AB، الذي P
(١٦) بمشاركة: لمشاركة B
(١٧) المطر: الألف Ac، + وتبقى الأرض P

وفي الألف الثالثة [التي][١] بمشاركة المرّيخ يتولّد على وجه الأرض الحشرات ـكالحيّات، والعقارب، والوزغ، وأنواع البقّ، والذباب ـ وما أشــبهها من الدبيب الذي يحيى بالنسيم لِهبوبها في هذه الألف.

وفي الألف سـنة[٢] الرابعة بمشاركة الشمس تحلّلت[٣] باقي الغيوم وسكن البرد في كلّ يوم؛ لشـدّة الحرّ. ثمّ يقع شـعاع الشـمس[٤] على الأرض، فيتسخّن وجه الأرض، ويتميّز النهار من الليل، ويتعفّن الأرض، ويتولّد الحيوانات الصـغار من تلك العفونة، مثل الفأر، والسـنّور، واليربوع، وما أشـبهها. وفي آخر هذه الألف يتولّد أنواع السـباع والخيـل[٥] والحمير وسـائر ذوات[٦] الحـافر والخُفّ. وفي هـذه الألف[٧] يحيى[٨] الأرض، وينبع الميـاه، ويظهر الأنهـار جارية على وجه الأرض، ويبتدئ النبات[٩] في الظهور[١٠] في هذه الألف أيضاً، وكلّما[١١] ظهر منه شيء أفنوه.

ثمّ يدخل الألف الخامسـة بمشـاركة الزهرة، فيحيى[١٢] الأمطار المعتدلة الغير الدائمة، ويهبّ الرياح الباردة، وينبت الأشـجار النافعة ذوات الفواكه الحسـنة والروائح الطيّبة والطعوم المُلذّة[١٣] والرياحين المتنوّعة. ويتولّد فيها[١٤] الحيوانات النافعة ـكالجِمال، والجواميس، والبقر، والغنم، وما أشـبهها ـ، ويتكوّن أنواع الطيور في المئة الأخيرة من هذه الألف، ويمتلئ[١٥] الأرض بالأشجار المشتبكة.

---

(١) التي: الذي ABP

(٢) سنة: ـ P

(٣) تحلّلت: تحلّل AB

(٤) الشمس: ـ AB

(٥) A144b

(٦) B25b

(٧) الألف: الأرض B

(٨) تحيى: تجفّ P

(٩) النبات: البنات B

(١٠) الظهور: + و AB

(١١) كلّما: كلّ ما AB

(١٢) فيحيى: فتجيء P

(١٣) الملذّة: + والألوان المُبهجة P

(١٤) فيها: منه AB

(١٥) يمتلئ: تميل AB

ثمّ يدخل الألف السادسة بمشاركة عُطارِد، فيكثر هبوب الرياح في أوّلها، ويكثر تكوّن الحبوب النافعة ـ كالحِنطة، والشعير، والذُرّة، والحِمّص، والعدس، وما أشبهها ـ.

ثمّ إنّ الشيخ الكبير «زحل[١]» والحكيم[٢] اللطيف «عطارد» يبتدئان في تكوّن الإنسان بعد أن يمضي[٣] سبعون[٤] سنة من هذه الألف.

وحكماء بابل يذكرون في تكوّنه طريقين:

أحدهما: التناسل، وهو المشهور، وهو الذي تكوّنّا نحن منه.

والطريق الثاني: الطويل[٥]، وهو التولّد. فنقول في صفته: إنّ أصل جميع ما يتكوّن على الأرض من سائر المركّبات إنّما هو الماء، وحرارة الشمس بمعاونة أشعّة باقي الكواكب. والماء الذي يتكوّن منه الإنسان ألطف المياه وأعذبها وأصفاها.

فإذا مضى من هذه[٦] الألف قريب من[٧] سبعين سنة، واشتدّت عناية زحل وعطارد وباقي المبادئ في تكون الإنسان، ارتفع من أعدل الأقاليم والنواحي بخار لطيف معتدل، فانعقد ببرودة زحل وعطارد سحاباً لطيفاً[٨]، ثمّ نزل إلى أرض معتدلة، وكانت الشمس حينئذٍ في البرج الذي هو على صورة الإنسان، وهو برج الدَلو، وكان عطارد في اثنين وعشرين درجة منه مغرب، وكان الدَلو برجاً هوائيّاً هو بيت زحل، ومثلّثة عطارد[٩]، وزحل في أوّل برج الجَدي ينظر إلى المشتري[١٠] نظر تسديس، وكان الطالع برج الجوزاء، أو[١١] القمر مقارن لعطارد في الدَلو.

---

(١) زحل: دخل B
(٢) الحكيم: + والمهندس P
(٣) يمضي: يمضى P
(٤) سبعون: سبعين AB
(٥) الطويل: التطويل Ps
(٦) B26a
(٧) من: ـ B
(٨) معتدل فانعقد ... لطيفاً: ـ AB
(٩) في اثنين ... عطارد: ـ AB
(١٠) A145a
(١١) أو: و AB

فإذا نزل ذلك المطر -بعد انعقاده سحاباً- على أرض معتدلة نقيّة التربة صحيحتِها سليمة[1] من جميع الطعوم المخالفة للعذوبة، وتكون تلك التربة شديدة البياض متخلخلة المسامّ، فيخرق السيل بقوّته موضعاً كالبئر الصغيرة[2] غير العميقة، فيدخل[3] فيها ماء ذلك المطر، و[يتخلّل][4] بأجزاء ترابها، ويستنقع[5] فيها ذلك الماء اللطيف النازل، و[يمتزج][6] بتربتها امتزاجاً معتدلاً. ثمّ يحمي بحرارة باطن الأرض باعتدال، فيرتقي ذلك الماءُ عند لطفه بالسخونة وصيرورته بخاراً إلى الطبقة الباردة، فيتكاثف بذلك القدر من البرد، فينحدر مطراً إلى ذلك الموضع من البئر الذي صعد منه. ولا يزال ذلك دأبه في الصعود عند اللطف[7] والنزول عند الكثافة، إلى أن يزول عنه أكثر مائيّته[8]، واشتدّ لطفه بالسخونة والحركة في الصعود والنزول، حتّى صار دُهناً[9] [لطول[10] زمان سخونته الليّنة رطباً سيّالاً.

فإذا انتهت الشمس إلى برج الجوزاء أو سخن الجوّ وظاهر الأرض، جفّ ذلك الدُهن، وابتدأ ينعقد بسخونة باطن الأرض وظاهرها.

ولمّا كانت تلك الأرض متخلخلة المسامّ، لا جرمَ نفذ فيها النسيم إلى ذلك الدُهن، فنفخه نفخاً ليّناً. وكانت حرارة ظاهر الأرض تزيد في كلّ يوم، وهي عاملة في ذلك الدُهن، إلى أن ينعقد ويقوى ويصلب شيئاً يسيراً. فحينئذٍ يبتدئ في التصوير بسبب الحرّ والبرد العاملَين في تلك الرطوبة باليبس.

ثمّ النسيم الواصل إليه لم يكن يصل إليه من جهة المباشرة والمخالطة، بل كان

---

(١) سليمة: سلمة A

(٢) الصغيرة: الصغير AB

(٣) فيدخل: فدخل P

(٤) يتخلّل: يتحلّل AB، تخلّل P

(٥) يستنقع: يستنفع B، استنقع P

(٦) يمتزج: امتزج ABP

(٧) اللطف: اللطيف P

(٨) مائيّته: ماهيّته B

(٩) دهناً: دهنيّاً AB

(١٠) بداية العبارات الساقطة من كلا المخطوطتين.

يصـــل إليـه من جهـة حجـاب لطيف. فلمّا بلغ الحال في هذه المادّة الدُهنيّة إلى هذا الحدّ، صوّر البارئ تعالى والمبادئ العقليّة صورةَ الإنسان، وتمّمت في تلك البئر على الهيئة المذكورة. وتولّى كلّ واحد من الكواكب جزءاً من جســـده في حال التصـــوير، وأحدث فيه شيئاً.

وكان المتولّي لنفس الصـــورة الإنســـانيّة عطارد بمشـــاركة زحل والقمر. وكان هذا الشـخص عند كمال صورته قاعداً على إليتَيه، وذَقنه على رُكبتَيه، قد ضمّ ذراعَيه إلى ما يليهما من جسمه، وضمّ ساقَيه كذلك، وهو مجتمع على هذه الهيئة.

فلمّا كمَلت جميع أعضائه وتمّ تخاطيط بدنه، نفخ فيه الروح الذي يحيى بها البدن من القمر بنفَس من منخرَيه، وشـمّ النسيم الحارّ المعتدل، فانبسط بدنه، وتحرّكت فيه الروح، وعملت أعمالها في ذلك الجســـد، وأعطت كلّ عضـــوٍ ما يليق به. فقام حينئذٍ قائماً عرياناً يتمطّى ويتنفّس، ورجلاه تجتذب بقيّة ذلك الدُهن الفاضـــل عن جســـده بالطبع؛ للمشاكلة والمناسبة التي بينهما.

ثمّ إنّه لمّا تمطّى وتنفّس حصل له كسلٌ، فوقع وصار يتمرّغ في ذلك الدُهن الباقي، وبدنه يجتذب تلك الرطوبات الدُهنيّة التي هي غذاء بدنه إلى تسـعة أشـهر، ووصـــل النيّر الأعظم إلى أوّل العقرب. فقوي حينئـذٍ ذلـك الإنســـان وانتعش وفتح فمَه لطلب الغذاء، فقام يمشـي بعد تمام أربع سـنين لطلب ما يغتذي به. وكانت العناية الأزليّة قد هيّأت له ما يصـــلحه ويحتاج إليه من المآكل، فوجد قريباً منه شـجراً من شـــجر التين والعنب، فجعل يأكل ما بلغ ونضج منه حتّى شبع، ولم يزل القمر يحفظه ويحوطه إلى أربع ســـنين. وكان أكلُه التينَ والعنب في آخر الأربع ســـنين، وهو أوّلُ أكلٍ أكلَه بفَمه، وبعد ذلك شرَع في أكل الثمار غير التين والعنب وغيرها من الحبوب.

فهذا كيفيّة التكوّن الطويل، وهو يناســـب تكوّن التناســـل. فالرحِم كالبئر، واغتذاؤه

للـدُهن بالمَصّ[1] كاغتذاء الجنين بالدم، وحرارة الأرض كحرارة بطن المرأة، وتكوين الأُنثى من بقيّـة تلـك الرطوبـة الـدُهنيّة كتكوين الذكر، إلّا أنّه غلب على تلك المادّة الباقية البردُ والرطوبة، وكان أيضاً زمان تكوّنها هو زمان برد الهواء وازدياد رطوبته.

وهذا الإنســان المتولّد على هذه الصــفة هو آدم الأوّل أبو البشــر، الذي خلقه اللّه تعالى من الطين، وتسمّى الأُنثى حوّاء.

وعنـد هؤلاء أنّ لكلّ واحد من هذه الكواكب الســيّارة الســبعة تدبير لهذا العالم، مقدار مدّة تدبير كلّ واحد منها له سـبعة آلاف سـنة: ألفٌ بانفراده بنفسـه، وستّة آلاف الأُخرى بمشـاركة الستّة الكواكب الأُخرى، كلّ ألف بمشاركة كوكب واحد في أوّل كلّ تدبير. لكلّ كوكب يجيء آدم، يرســله ذلك الكوكب رســولاً إلى كافّة الخلق، وتهيئة العلوم والمعارف والأعمال العجيبة الخارقة للعادة، ويكون هؤلاء بالتوالد والتناســل، غير آدم المتكوّن في دور زحل بالتولّد المذكور.

وقد ضــاعت تواريخ هؤلاء المســمّون بآدم، وعلومهم، وما كانوا عليه من الحال؛ لبُعـد زمانهم، وطول المدّة التي بيننا، وكثرة وقوع الحوادث العامّة المُفنية لأكثر الخلق وأفـاضــلهم. ويبقى الباقي من الأراذل منهم، كالبهائم لا يفقهون شــيئاً، ويتلف أكثر الكتب والأقلام. ولم نعرف من أسمائهم ـعلى ما وجدنا في الكتبـ إلّا آدم الذي كان في أوّل دور الشمس؛ فإنّ اسمه قشوفونيا، ورأيتُ له كتاباً سمّاه بـ أسرار النيّرين.

وقد ظهر بعده في هذا الدور الذي للشــمس بعد مُضــيّ ألفَين أو ثلاثة آلاف ســنة رجلٌ يسـمّى بـ«ذواتا»، ويسـمّيه أهل زمانه بـ«سـيّد البشـر». وكان من أفاضل خلق اللّه تعالى علماً وعملاً، ورأيتُ له كتاباً سـمّاه بـ أسرار النيّرين أيضاً، يذكر فيه أنّه عمل دعوة القمر، ثمّ ترقّى حتّى دعـا النيّر الأعظم، فمكـث اثنين وأربعين يومـاً بليـاليهـا مواجهاً

---

(١) المصّ: قصب السكّر. (لسان العرب)

الشــمس، يدعو ويتضــرّع له، ويُثني عليه الليل والنهار من غير فتور، وهو مع ذلك لم يذُق في هذه المدّة طعاماً ولا شــراباً ولا نوماً ولا راحةً، ولا قعد في هذه المدّة، بل كان قائماً متوجّهاً إليه بالنهار، وإلى باقي الكواكب في الليل.

فلمّــا كــان بعد تمام هذه المدّة، وكان في صــبيحة يوم الأحَد، حين طلع هذا النيّر بالأُبّهة والعظمة، وشعشعة الأنوار ولمَعان الأضواء، وامتلأت نواحي آفاق العالم بالأنوار المُبهِجة المُحيية والأضــواء المُلذّة المُنمية، أخذ سِــكّيناً وضَــعها على حلقه؛ ليقرب نفســه إلى هذا النيّر الأعظم والسلطان الأكرم. فخاطَبه عند ذلك، ونهاه عن قتل نفسه، وقال له: «إنّ الإله الأعظم والعلّة الأُولى الذي فوقنا ورؤســاء حضــرته ونحن مستغنون عن دمك، ولكن سَل حاجتك». وعرض عليه مُلك الدنيا، وأعطاه خزائن كنوز الأرض من الــذهــب وغيره ممّــا يناســبه، فلم يرضَ بذلك، وطلب أن يُريَه جميع العوالم، وأن يُكاشَف بالعلّة الأُولى وسائر مصنوعاته. فأعطى ذلك كلَّه، وخاطَبه أيّاماً، وأمَره أن يقف تُجاهه عند الطلوع في كلّ أحد بالثياب المنســوجة بالذهب والتاج المرصّــع مشــدود الوســط بــالزُنّار، بعد أن يُهيّئ المآكل الكثيرة والمشــارب العذبة الطيّبة من كلّ نوع، والضيافات الهانئة لجميع الخلق، فيسجد عند طلوعه، ويتضرّع ويقف ذليلاً بين يديه. فحينئذٍ يخاطبه بأنواع العلوم، ويشافهه بأصناف المعارف والصنائع.

قال سـيّد البشــر ذواتا: «فعلَّمني تسعين ألف مسألة، وأمَرني أن لا أظهرَ منها ثلثين ألفاً لأحد من خلق اللّه تعالى، و[أن][(١)] أظهرَ خواصّ البشر على ثلاثين ألفاً أُخرى دون عوامّهم، وأن أظهرَ الخاصّ والعامّ على الثلاثين الألف الأُخرى».

ثمّ صبّ عليه العلومَ وأرشدَه إلى العوالم.

ثمّ سأله: هل يأتي أحدٌ من أبناء البشر من بعدي يدرك ما أدركتُ ويصل إلى ما وصلتُ؟

---

(١) أن: إن P

فقال له: نعم! يأتي من أولادك في أوّل دور القمر رجل يقال له آدم، يُعطيه جملةً من العلوم.

وهذا يدلّ على أنّ هذا آدم الفاضل الذي ابنه شيث، وسائر الأنبياء من أولاد ابنه شيث، كان متولّداً بالتناسل والتوالد، دون التولّد.

ورأيتُ لهذا آدم كتُباً، منها كتاب أسرار النيّرين، وله في المغيبات والعلوم الروحانيّة كتُب، ومن عيون كتُبه السِفر المعروف بـ سِفر آدم، وغير ذلك ممّا دثَر وانطمَس ولم يقع إلينا.

فنحن قد وقَعنا في آخر هذه الأدوار، وقد بقي من تمام هذا الدور ـ على ما عليه أهل الكتب المُنزَلة وبعض الحكماء والمنجّمين ـ ثلاثمئة وعشرون سنة تقريباً. فإذا تمّ كانت القيامة الكبرى والطامّة العظمى. فيقع الفناء والدثور في هذا العالَم، كما أشار إليه محمّد بقوله: «بعِثتُ أنا والساعة كهاتين»[1]، وقوله: «عمرُ الدنيا سبعة آلاف، بعِثتُ في آخرها ألفاً»[2]. وكلّما وصل التدبير إلى كوكب من هذه السيّارات يسمّون ذلك عالماً ودنيا أُخرى. وقد ذكرنا ما عليه الحال في أوّل دور زحل، وهو ربّ الدور بعد تمام دور القمر، فتعود الأشياء إلى شبيه ما كانت عليه في ذلك الدور الأوّل.

فهذا حكاية مذاهب حكماء بابل في الأدوار، على ما حكاها أبو بكر ابن وحشيّة في ما نقل عنهم من الكتب. وهذه وإن لم يُقَم البرهان على صحّتها، إلّا أنّ فيها عبرة لمن اعتبر من الأذكياء، واستبصار لمن استبصر من الفضلاء. فليس جميع مطالب الحكمة يمكن أن يقام عليها برهان، ولا كلّ مقاصد السالكين يُتصوّر أن يدلّ عليها تبيان. بل لا بدّ للحكيم من فكر صحيح، ونظر مستقيم، وحدس قويّ، ولطف ذكيّ، وإلهام شديد،

---

(١) الجعفريّات: ٢١٢؛ الأماليّ للمفيد: ١٨٨؛ كشف الغمّة: ١٣٤/٢

(٢) تفسير القرآن الكريم لصدر المتألّهين: ٥٢/٦

وغور بعيد، فيستقرّ الحكمة حينئذٍ في النفس، وتمتزج بنور العقل، و﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ﴾[1].

[مذهب بعض آخر من أهل الأدوار]

وعند قوم من أهل الأدوار إنّ كلّ ستّة وثلاثين ألف سنة ينتقل أوجات الكواكب وجوزهراتها ونوبهراتها إلى موضع حضيضاتها وبالعكس، على أنّ كُرة الثوابت تتحرّك كلّ مئة سنة درجة واحدة؛ فإنّ الأوجات تتحرّك بحركة الثوابت. فإذا كان كذلك، عاد العالم إلى شبيه ما كان عليه من الحال في الزمان والمكان والأشخاص والأوضاع، لا تتخالف في ذلك مثقال ذرّة.

[مذهب حكماء الهند]

وقومٌ من قدماء حكماء الهند ومَن وافَقهم من أصحاب الهزارات يقولون: إنّ الدور الأعظم هو ثلاثمئة وستّون ألف سنة؛ لأنّ الفلك مقسوم إليها، فيعطون لكلّ درجة منه ألف سنة، فيكون مجموع ذلك ثلاثمئة وستّين ألف سنة، ويهلك العالم في آخر هذه المدّة بأسره. ويبقى هالكاً ثلاثمئة وستّين ألف سنة عند قوم، وعند قوم يبقى هالكاً أقلّ من ذلك. ثمّ يعود بعد ذلك إلى الحال الذي كان عليه في الأوّل، لا يحرم ذرّة واحدة، إلّا أنّ النفوس المدبّرة للأبدان غير النفوس التي كانت مدبّرة لها في الدور الأوّل، وزمانها غير الزمان، وما عدا ذلك فيعود موجوداً.

[مذهب بعض آخر من أهل الأدوار]

وقوم آخرون يقولون: إنّ الولاية لكلّ واحد من الكواكب السبعة على العالم ألف سنة، ويسمّوه دوراً، فيقولون: هذا الدور لزحل، وبعد انقضائه يصير الدور للمشتري، وهكذا

---

(١) القرآن الكريم: ٥٤/٥، ٢١/٥٧، ٤/٦٢

إلى آخر الأدوار التي للقمر، فإذا تمّت الأدوار السبعة هلك العالم، ثمّ يعود كما بدأ.

[مذهب بعض آخر من أهل الأدوار]

وزعم قوم أنّ الدور مأخوذ من سلطنة البروج على هذا العالم، لكلّ برج منها مدّة: فجعلوا سلطنة برج الحمل اثني عشر ألف سنة، وسلطنة الثور [عشرة آلاف][1] سنة، وسلطنة الجوزاء عشرة آلاف سنة، وسلطنة السرطان تسعة آلاف، وسلطنة الأسد ثمانية آلاف، وسلطنة السنبلة سبعة آلاف، وسلطنة الميزان ستّة آلاف، وسلطنة العقرب خمسة آلاف، وسلطنة القوس أربعة آلاف سنة، وسلطنة الجَدي ثلاثة آلاف، وسلطنة الدلو ألفين، وسلطنة الحوت ألف سنة، فمجموع ذلك من السنين ثمانية وسبعون ألف سنة.

وزعموا أنّ العالم يفنى عند انقضائه، ثمّ يعود جديداً. وزعموا أنّ السلطان في هذا الوقت السنبلة، وهو سبعة آلاف سنة، وذلك هو عمر هذا العالم. وإذا استكمل قطَع الكوكبُ الذي له التدبير مسافةً ذكروها، فيقع هناك الدثور والفناء. فإذا استكملت الكواكب ما لها من كور ودور، عاد التدبير إلى الأوّل، وحينئذٍ يعود الأشخاص التي كانت في كلّ دور وصورة وهيئاته مع اجتماع الموادّ التي كانت لها في الحال الأوّل، وهكذا يكون شأن العالم سرمداً إلى غير النهاية.

[مذهب إخوان الصفاء]

وذكر جماعةٌ من أصحاب الأدوار والأكوار ـ ومن جملتهم صاحب رسائل إخوان الصفاء[2] ـ: أنّ للأشخاص الفلكيّة حول الأركان الأربعة أدواراً كثيرة، ولأدوارها كوراً، ولكواكبها في أدوارها وأكوارها قرانات. ويحدث في كلّ دور وكور وقران في عالم الأركان حوادث لا يمكن عدّها وإحصاؤها، إلّا أنّهم ذكروا من الأدوار خمسة أنواع، وما يحصل من كلّ نوع في عالم الكون والفساد:

---

(١) عشرة آلاف: عشر ألف P

(٢) رسائل إخوان الصفاء: ٢٤٩/٣ ـ ٢٦٧

فالأوّل: أدوار الكواكب السيّارة في أفلاك تداويرها.

والثاني: أدوار مراكز تداويرها في أفلاكها الحاملة.

والثالث: أدوار أفلاكها الحاملة في فلك البروج.

الرابع: أدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج.

الخامس: أدوار الفلك المحيط.

وأمّا الأكوار فهو عبارة عن استئنافاتها الأدوار وعودات هذه الكواكب والنقط إلى مواضعها مرّة بعد أُخرى.

وأمّا القرانات فهي اجتماعاتها في درجات البروج ودقائقها، وهي ستّة أجناس ومئة وعشرون نوعاً: فمنها ٢١ قراناً ثنائيّة، و٣٠ قراناً ثلاثيّة، و٣٥ قراناً رباعيّة، و٢١ قراناً خماسيّة، و٣١ قراناً سداسيّة، وقران واحد سباعيّ.

وأمّا أدوار الأُلوف فهي أربعة:

فمنها: سبعة آلاف سنة.

ومنها: اثنا عشر ألف سنة.

ومنها: إحدى وخمسون ألف سنة.

ومنها: ثلاثمئة وستّون ألف سنة ـعلى ما مرّ بيانهـ.

فأعظم الأدوار الواقعة في زمان طويل أدوارُ الكواكب الثابتة، وهي تقع في كلّ ستّة وثلاثين ألف سنة مرّة واحدة.

وأمّا الأدوار الواقعة في أقصر الأزمنة ـوهو دور الفلك المحيطـ في كلّ أربع وعشرين ساعة مرّة واحدة.

وباقي الأدوار يقع في ما بينهما.

ومن القرانات ما يقع في كلّ ستّ وثلاثين ألف سنة مرّة واحدة، وهو أن يجتمع

الكواكب السيّارة كلّها بأوساطها في أوّل دقيقة من برج الحمل، إلى أن يجتمع فيها مرّة أُخرى، ويُسمّي السندُ هندسيّة الدور بأيّام العالم.

وأمّا القرانات التي تكون في كلّ شــهر مرّة واحدة، فهو اجتماع القمر مع كلّ واحد من السيّارات والثوابت. وباقي القرانات فتقع بين هذين الوقتين.

ومن الأدوار القصار ما يكون في كلّ دور أربعة عشر يوماً مرّة واحدة، وهو دور مركز فلك تدوير القمر في فلكه الحامل له.

ومن الأدوار ما يكون في كلّ سبعة وعشرين يوماً وسبع ساعات ونصف مرّة واحدة، وهو دور فلك البروج بحركة الحامل.

ومن الأدوار حركة الجوزهر في كلّ سبعة عشر سنة ومئتين وسبعة وعشرين يوماً مرّة واحدة.

ومن الأدوار ما يكون في كلّ مئة وستّة عشر يوماً مرّة واحدة، وهو أدوار عطارد في فلك تدويره.

ومن الأدوار ما يكون في كلّ ثلاثمئة وخمسة وستّين يوماً وربع مرّة واحدة، وهو أدوار الشمس والزهرة وعطارد في فلك البروج.

ومن الأدوار ما يكون في كلّ ثلاثمئة وثمانية وسبعين يوماً مرّة واحدة، وهي أدوار زحل في فلك تدويره.

ومن الأدوار ما يكون في كلّ ثلاثمئة وتسعة وتسعين يوماً مرّة واحدة، وهي أدوار المشتري في فلك تدويره.

ومن الأدوار ما يكون في كلّ خمسمئة وأربعة وستّين يوماً مرّة واحدة، وهي أدوار الزهرة في فلك تدويرها.

ومن الأدوار ما يكون في كلّ سبعمئة وثمانين يوماً مرّة واحدة، وهي أدوار المرّيخ في فلك تدويره.

ومن الأدوار ما يكون في كلّ ستّمئة وسبعة وثمانين يوماً مرّة واحدة، وهي أدوار المرّيخ في فلك البروج بحركة الحامل.

ومن الأدوار ما يكون في كلّ أربعة آلاف وثلاثمئة وثلاثين يوماً مرّة واحدة، وهي أدوار مركز تدوير المشتري في فلك البروج.

ومن الأدوار ما يكون في عشرة آلاف وسبعمئة واحد وأربعين يوماً مرّة واحدة، وهي أدوار مركز تدوير زحل في فلك البروج.

فمجموع هذه الأدوار أربعة عشر يوماً.

وأمّا القرانات التي يكون زمانها قصيراً فهي أنواع:

فمن ذلك ما يكون في كلّ مئة وستّة عشر يوماً مرّة واحدة، وهو اقتران عطارد مع الشمس.

ومن ذلك ما يكون في كلّ مئتين واحد وتسعين يوماً مرّة، وهو اقتران الشمس والزهرة وعطارد مع زحل.

ومن ذلك ما يكون في كلّ ثلاثمئة وتسعة وتسعين يوماً مرّة، وهو اقتران المشتري والزهرة وعطارد والشمس.

ومن ذلك ما يكون في كلّ خمسمئة وأربعة وسبعين يوماً مرّتين، وهو اقتران الزهرة مع الشمس.

ومن ذلك ما يكون في كلّ سبعمئة وخمسة وثمانين يوماً مرّة، وهو اقتران المرّيخ مع الشمس.

ومن ذلك ما يكون في كلّ سنتين ونصف بالتقريب مرّة، وهو اقتران المرّيخ وزحل والمشتري.

ومن ذلك ما يكون في كلّ عشرين سنة بالتقريب مرّة، وهو اقتران المشتري وزحل.

ومن القرانات التي يطول زمانها ما يستأنف في كلّ مئتين وأربعين سنة مرّة، وهو أن يستوفي زحل والمشتري اثني عشر قراناً في مثلّثة واحدة.

ومن ذلك ما يكون في كلّ تسعمئة وستّين سنة مرّة واحدة، وهو أن يستوفي زحل والمشتري ثمانية وأربعين قراناً في المثلّثات الأربعة.

ومن ذلك ما يكون في كلّ ثلاثة آلاف وثمانمئة وأربعين سنة مرّة واحدة، وهو أن يستوفي زحل والمشتري القرانات في المثلّثات كلّها، وتفصيله مذكور في كتب الأحكام.

وأمّا الحوادث والأحكام التابعة لهذه الأدوار والقرانات في العالم الأرضيّ فما لا يحصى. وقد علمتَ أنّ جميع الحوادث التي عندنا تابعة لحركات الأفلاك والكواكب في البروج، وقرانات بعضها مع بعض، واتّصالاتها، إلّا أنّ بعض الحوادث ظاهر جليّ للكافّة، وبعضها خفيّ يفتقر إلى فكر وتأمّل.

وذلك أنّ كلّ حادث في عالمنا هذا سريع النُشوء، قليل البقاء، قريب الاستئناف، سريع الفساد. فهو كائن عن حركة قصيرة الزمان، قريبة الاستئناف، كحركة الفلك المحيط، التي تتمّ في كلّ أربعة وعشرين ساعة، وهي التي يكون بها الليل والنهار والنوم واليقظة؛ فإنّ الشمس إذا طلعت أضاء الهواء وأشرق وجه الأرض، فانتبهت أكثر الحيوانات، وتحرّكت وترنّمت وانتشرت في طلب المعاش، وتفتّق أكثر أكمام زهر النبات، وفاح نسيم روائحها، وذهب الناس في مطالبهم. وإذا غابت الشمس أظلم الهواء ووجه الأرض، واستوحشت الحيوانات، ورجعت إلى أوطانها، وانصرف الناس عن الأسواق ومواضع أعمالهم إلى بيوتهم، ووقع عليهم النوم والكسل والسكون. فيكون هذا العالم بالنهار كأنّه حيوان منتبه متحرّك حسّاس، وبالليل كأنّه نائم أو ميّت.

ويتكوّن أيضاً عن هذه الحركة بعض النبات، كخضراء الدمن؛ فإنّها تكون بالغدوّات خضرة ريّانة من نداوة الليل وطيّب نسيم الهواء، ثمّ يجفّ نصف النهار من حرارة

الشمس، وأكثر ما يكون في أيّام الربيع.

ويتكوّن عن هـذه الحركـة اليوميّـة أيضـاً بعض الحيوانات الضـعيفة ـكالذباب، والبراغيث المتولّدة من العفونات السماديّة والروثيّة والجيفيّة وأمثالهاـ، ثمّ تهلك بأقلّ أذىً مِن حرّ أو برد.

ولا يبقى مـا يتولّـد عن هـذه الحركة من النبات والحيوانات الضـعيفة سـنةً تامّة؛ لِتلاشيها بحرّ الصيف أو برد الشتاء. والذي يحصل من حركة القمر على محيط التدوير وقطعِـه له في كلّ أربعة عشـر يوماً مرّة، وهو نصـف الشـهر الأوّل، وهو الذي يكون النصـف الـذي يلينـا منه ممتلئاً كثرة النموّ والزيادة في الأشـياء من المعادن والنبات والحيوان والمدّ وكثرة الرطوبات والأنداء.

وفي النصف الثاني من الشهر يدور القمر في التدوير مرّة ثانية، ويكون الممتلئ من النصـف الذي لا يلينا. ويحصـل من هذه الحركة الذبولُ والهزال في الأشـياء النامية، والنضج والجفاف واليبس في الأشياء البالغة، إلى التمام من الحبوب والثمار.

ويتكوّن في مدّة هذه الحركة أيضاً من المعادن الملحُ والكماءة وأمثالهما، ومن النبات البقولُ وبعض الحشـائش. ويتكوّن بعض الحيوان كالطيور والزنابير وكثير من الدِيدان[١]؛ فإنّ أكثر هذه يتمّ خلقتها في أربعة عشر يوماً، وتخرج بعد أحد وعشرين يوماً.

ومدّة بقاء الحيوانات والنباتات الكائنة عن هذه الحركة لا [تتجاوز][٢] مئة وعشرين يوماً في الأطوَل بقاءً، وفي الأقصر دون ذلك.

وأمّا الذي يحصـل من حركة عطارد في تدويره وقطعِه له في كلّ أربعة أشـهر تقريباً مرّة واحدة، وتتمّ فيه صـنعة الإكسـير. أمّا من النبات فالسـمسم، والذُرّة، والشعير، وما شاكلها. وأمّا من الحيوان كبعض السباع، والوحوش، والغزلان، وبعض الغنم.

---

(١) الديدان: جمع الدُودة. (لسان العرب)

(٢) تتجاوز: يتجاوز P

ويعرض عن هذه الحركة لبعض الناس عند احتراقه أمراضٌ وأوجاع، لا سيّما الصبيان.

ويعرض لبعض الكُتّاب والعُمّال والوزراء وأصحاب الدواوين من العزل والحبس والمصادرات.

ولبعض الصُنّاع من العُطلة والكسل.

ولبعض التجّار من الخسران والمحق.

ولبعض الناس من الحبس والاستتار والعزّ.

فإذا استقام وشرق، يعرض لهم الخلاص، والسلامة، والظهور، والولاية، والنشاط، واستقامة الأحوال.

فإذا وقف ورجع، يعرض لهم الحيرة، والشكوك، والظنون، والتوقّف، والتخلّف، والإدبار، والعصيان، وما أشبه ذلك.

فإذا هبط إلى الحضيض، يعرض لهم سقوط الجاه، وذهاب العزّ، ونقصان المراتب.

وهذا كلّه بحسب تشكّل الفلك في أُصول المواليد وطبقاتهم.

وأمّا الذي يحصل من حركة الشمس ومركز فلكَي تدوير الزهرة وعطارد في كلّ سنة مرّة واحدة في جميع الحالات. أمّا في أوّل برج الجَدي صاعدة في الجنوب إلى الشمال، فتبتدئ الطبيعة في جذب الرطوبات المختلفة بالتراب، وامتصاصها في عروق الشجر والنبات إلى أُصوله وقضبانها وإمساكها هناك، إلى أن تبلغ الشمس آخر الحوت. فإذا نزلت أوّل دقيقة من الحمل استوى الليل والنهار في الأقاليم، واعتدل الزمان، وطاب الهواء، وهبّ النسيم، وذابت الثلوج، وسالت الأودية، وانبعثت العيون، وارتفعت الرطوبات إلى أعلى فروع الأشجار، ونبت العُشب، وطال الزرع، وتمّ الحشيش، وتلألأ الزهر، وأورق الشجر، وهاج النور، واخضرّ وجه الأرض، وتلوّنت الجبال والحيوان، ونتجت البهائم، ودرّت الضروع، وانتشر الحيوان في البلاد، وأخذت

الأرض زُخرُفها، وفرح الحيوان بطيب نسـيم الهواء، وصـارت الدنيا كأنّها جارية شابّة، قد تزيّنت وتجلّت للناظرين.

فلا يزال الأمر كذلك إلى أن يبلغ الشمس أوّل السرطان. فحينئذٍ يتناهى طول النهار وقصـر الليل، ويأخذ النهار في النقصـان والليل في الزيادة، ويدخل الصـيف، ويشتدّ الحرّ، ويحمى الجوّ، ويهبّ السـمائم، وينقص المياه، وييبس العُشب، ويستحكم الحبّ، وأدرك الحصـاد للثمار، وأخصـبت الأرض، وسمنت البهائم، واتّسع القوت من الثمار والحبّ للحيوان، وصارت الدنيا كأنّها عروس منعَّمة بالغة تامّة كاملة كثيرة العشّاق.

فلا يزال الأمر كـذلك إلى أن تبلغ الشـمس أوّل الميزان، وحينئذٍ يدخل الخريف، ويسـتوي الليـل والنهـار مرّة أُخرى، ويبتدئ الليل بالزيادة والنهار بالنقصـان، ويبرد الهواء، ويهبّ الشمال، ويتغيّر الزمان، وينقص المياه، ويجفّ الأرض، ويغور العيون، ويفنى الثمـار، وأحرز النـاس الحـبّ والثمر، ويعرى وجه الأرض من النبات، وماتت الهوامّ[١]، وانجحرت[٢] الحشـرات، وانصرف الطير والوحش إلى البلاد الحارّة، وأحرز الناس القوت للشـتاء، ودخلوا البيوت، ولبسـوا الجلود، وتغيّر الهواء، وصـارت الدنيا كأنّها كهلة مُدبِرة قد تولّت عنها أيّام الشباب.

فلا يزال الأمر كذلك إلى أن يبلغ الشـمس أوّل الجَدي، فيدخل الشـتاء، ويتناهى طول الليل وقصـر النهار. ثمّ يأخذ النهار في الزيادة، ويشـتدّ البرد، ويتسـاقط الورق، ومـات أكثر النبات، وانجحرت أكثر الحيوانات باطن الأرض وكهوف الجبال، وكثرت الأنـداء والغيوم، وأظلم الجوّ، وكلَح[٣] وجـه الزمـان، وهزلت البهائم، وضـعف قوى

---

(١) الهوامّ: الحيّات، وكلّ ذي سمّ يقتل سمُّه. (لسان العرب)

(٢) أجحره فـانجحر: أدخله الجُحر فدخله. (نفس المصدر)

(٣) كلح كلوحـاً، والكلوح: العُبوس. (نفس المصدر)

الأبدان، وصارت كأنّها عجوز هرمة قد دنا منها الموت.

وأمّا الذي يحصل من حركتَي زحل والمشتري في فلكَي تدويرَيهما في كلّ ثلاثة عشر شهراً بالتقريب مرّة واحدة، كثير من الحوادث في المشايخ، والعجائز، والتجّار، والأكَرة[1]، والسادة، والأشراف، والقضاة، والعدول، والعلماء، وأمثالهم ممّن استولى عليه زحل والمشتري في مولده ما يعرض لأصحاب عطارد.

ويحصل أيضاً من هاتين الحركتين وأحوالهما المختلفة كثيرٌ من المعادن والنبات والحيوان.

وأمّا الذي يحصل من حركة الزهرة في فلك تدويرها في كلّ خمسمئة وأربعة وثمانين يوماً مرّة واحدة، وحركة المرّيخ في فلك تدويره في كلّ سبعمئة وثمانين يوماً مرّة ما، يعرض لطبقات الناس من النساء والصبيان والمخانيث وأصحاب اللذّات واللهو والشُطّار والعيّارين والجُند وساسة الدوابّ وأمثالهم ما عرض لأصحاب عطارد.

والذي يحصل من حركة فلك المشتري في فلكه الحامل في كلّ أربعة آلاف وثلاثمئة وأربعة وثلاثين يوماً مرّة واحدة من الحوادث، اعتدالُ أهوية بعض البلاد بعد فسادها، وعمارة بعض البقاع بعد خرابها، وتكوّن بعض المعادن، ونُشوء بعض النبات، وزكاء بعض الثمار، وصلاح بعض الحيوانات في بعض المُدُن، وتجديد النعم على أقوام، وغير ذلك من الصلاح والخير.

وأمّا الذي يحصل من حركة المرّيخ في اثني عشر برجاً اثنا عشر رجعة في كلّ خمسة وعشرين سنة مرّة واحدة، نضجُ بعض المعادن، وسرعة النُشوء في بعض النبات، وزيادة القوّة في بعض السلاطين، وخروج بعض الخوارج، وتجديد الآيات في

(١) الأكّار: الحرّاث، والجمع الأكرة. (نفس المصدر)

المُلك، وما شاكل ذلك من قوّة المرّيخ.

والقصـد فيها إصلاح حال الكائنات. والغرض منها وصولها إلى الكمال، إلّا أنّه قد يتّفق أسباب موجبة للفساد، مثل إثارة فتن وحروب وتعصّب في طلب الغارات. وحينئذٍ يخرب بعض البُلدان، ويذهب دولة قوم، ويزول نعمتهم. ولكن ما يعرض من الفسـاد عن هذه الحركة في جنب ما يكون منها من الصلاح في العالم شيء يسير. كما يحدث من حرّ الشـمس هلاكُ بعض الحيوان والنبات، لكن ذلك يسـير بالنسـبة إلى النفع الحاصل منها في جميع أنواع الكائنات. وكذلك حكم الأمطار والسيول، وهكذا حكم المرّيخ وزحل والذنب ومناحسـها، أمر يسـير بالنسـبة إلى ما يحصـل من حركاتها من الصلاح في العالم.

ومن هـذا يُعلم أنّ زحـل والمرّيخ والذنب ليسـوا بنحوس مطلقاً، والزهرة والقمر والمشـتري ليسـوا بسعود مطلقاً؛ لأنّه قد يعرض من إفراط الرطوبات والبرودات فساد، مثـل مـا يعرض من إفراط حرّ الشـمس، وبرد زحـل، ويبس المرّيخ، ورطوبـة الزهرة والقمر، وكما يعرض أكثر العفونات عن المرّيخ وزحل.

وأمّا الذي يحصـل عن حركة تدوير زحل في الفلك الحامل في كلّ عشـرة آلاف وسـبعمئـة واحد وأربعين يوماً من الحوادث. أمّا من المعادن فكالكُحل و[الزرنيخ][1] والحـديـد، ونماء بعض الزرع والنبات كالزيتون والجوز، وبلوغ بعض الناس، وعمارة بعض البلاد، واسـتحداث بعض المُدُن والقُرى، وانتقال المال من قوم إلى قوم، وأمثال ذلك.

ويحصـل من آثار الحركة البطيئة الطويلة الزمان ـ كحركة الثوابت هي في كلّ ستّ وثلاثين ألف سنة، وأوجات السيّارة، وحضيضاتها، وجوزهراتها ـ من الحوادث في هذا

(١) الزرنيخ: الزرنيج P

العالم انتقال العمارة من ربع إلى ربع، فيصير البرّ بحراً والبحر برّاً.

وأمّا الحوادث الحاصلة من القرانات، فهي سبعة أنواع:

فمنها: المُلك والدول اللتان يستدلّ عليهما من القرانات الكبار الكائنة في كلّ ألف سنة بالتقريب مرّة واحدة.

ومنها: ينتقل المُلك من أُمّة إلى أُمّة، ومن بلد إلى بلد، ومن بيت إلى آخر، وهي التي يستدلّ على حدوثها بالقرانات][١] الكائنة في كلّ مئتين وأربعين سنة مرّة واحدة.

ومنها: يتبدّل[٢] الأشخاص على سرير المُلك، ويحدث بسبب ذلك فتنٌ وحروب يستدلّ عليها من القرانات الكائنة في كلّ عشرين سنة[٣] مرّة واحدة.

ومنها: الحوادث التي تحدث[٤] في كلّ سنة ـ من الرُخص، والغلاء، والخوف[٥]، والوباء، والأمراض، والسلامة ـ، ويستدلّ على حدوثها من تحاويل سني العالم في التقاويم.

ومنها: حوادث الأيّام شهراً فشهراً[٦] ويوماً فيوماً[٧]، ويستدلّ عليها من أوقات الاجتماعات والاستقبالات المذكورة في التقاويم.

ومن ذلك أحكام المواليد لكلّ واحد من الناس في تحاويل سنيهم[٨] بحسب ما يقتضيه شكل الفلك، ومواضع الكواكب في أُصول المواليد وتحاويل سنيهم[٩]، والقرانات الدالّة على قوّة[١٠] النحوس، وفساد الزمان، وخروج المزاج عن الاعتدال،

---

(١) نهاية العبارات الساقطة من كلا المخطوطتين.
(٢) تتبدّل: تبدّل A
(٣) سنة: سنته A
(٤) تحدث: يحدث AB
(٥) الخوف: الحرب P
(٦) فشهراً: شهراً AB
(٧) فيوماً: يوماً AB
(٨) سنيهم: سنّتهم A
(٩) سنيهم: سنّتهم A
(١٠) A145b

وانقطاع الوحي، وقلّة العلماء، وموت الأخيار، وجور الملوك[١]، وفساد أخلاق الناس، وسوء أعمالهم، واختلاف آرائهم، وامتناع نزول البركات من السماء بالغيث، فلا يزكو[٢] الأرض، ويجفّ النبات[٣]، ويهلك الحيوان، ويخرب المُدُن والبلاد، إذا هي تولّت أمر القران.

وأمّا القرانات الدالّة على قوّة السعود، واعتدال الزمان، واستواء طبيعة الأركان بوحي الأنبياء، وتواتر الوحي، وكثرة عدّة العلماء، وعدل الملوك، وصلاح أحوال الناس، ونزول البركات من السماء بالغيث، ويزكو[٤] الأرض، ويكثر تولّد الحيوان، ويعمر البلاد، ويكبر شأن[٥] المُدُن، إذا هي تولّت القران.

وقال[٦] بعضهم[٧]: إنّ عند تمام[٨] الدور يصير البرّ بحراً، والبحر برّاً، والربع الشماليّ جنوبيّاً، والجنوبيّ شماليّاً، بانتقال العمارة من أحدهما إلى الآخر.

وكيفيّة ذلك أنّ الربع الشماليّ الآن هو المعمور، والجنوبي هو المغمور بالبحار[٩]. والأمطار والسيول والأهوية[١٠] لا تزال مزيلة من ناحية الشمال وجبالها الحجارةَ، والتراب[١١] تدفعه إلى الأودية، والأودية تدفعه إلى البحار، ويبس[١٢] ذلك، ويتراصّ[١٣] في قعور البحار، ويصير[١٤] بحرارة الشمس والكواكب حجراً صلداً وجبلاً عالياً.

ويختلف[١٥] ألوان تلك الحجارة بحسب اختلاف الطين الذي بني منه ذلك الجبل.

---

(١) الملوك: الملك AB

(٢) فلا يزكو: فلا تركوا A، وتركو B

(٣) النبات: البنات B

(٤) يزكو: تركوا AB

(٥) يكبر شأن: يكثر بنيان P

(٦) B27a

(٧) لم أعثر على قائل هذا الكلام.

(٨) تمام: تامّ A

(٩) المغمور بالبحار: المعمور بالبخار AB

(١٠) الأهوية: + و AB

(١١) التراب: + و AB

(١٢) يبس: ينبني P

(١٣) يتراصّ: يغوص P

(١٤) يصير: تصير AB

(١٥) يختلف: مختلف A

ولا يزال ذلك دأبها حتّى يظهر أعالي[١] تلك الجبال في البحر، وبحسب[٢] ظهور أعاليها وأبقاعها[٣] ينخفض الجبال في الشمال، حتّى تصير أرضه[٤] مستوية، فيميل البحر إليها حينئذٍ، وتصير بحراً، وينكشف[٥] البحر، ويصير[٦] برّاً. فحينئذٍ ينتقل العمارة من الشمال إلى الجنوب، ولا يزال ذلك دأب العالم، وكذلك أحوال الدنيا دائماً.

وهذه الأحكام من هؤلاء لم تكن[٧] راجعة إلى قياس، بل كانوا يأخذونها من كبرائهم[٨] ومتألّهي حكمائهم.

وزعم قوم أنّ هذه الأحكام أُخذت بالوحي والإلهام وتوقيف من الروحانيّات، وبواسطة[٩] دعوة الكواكب والرياضات والخلوات.

وقد ذكرنا[١٠] مذهب من يقول بحركة الأوجات والحضيضات وعود العالم إلى ما كان عليه في[١١] الأوّل عند انتقال الأوجات إلى مكان الحضيضات وبالعكس.

ولمّا لم يظهر لبطلميوس حركة أوج الشمس، بل يراه ثابتاً غير متغيّر، حكَم بسرمديّة العالم[١٢] على ما هو عليه من الترتيب والنظام، كما هو مذهب الفلاسفة الطبيعيّين والإلهيّين. >[١٣]



(١) أعالي: ـ AB

(٢) بحسب: نحسب A

(٣) أبقاعها: ارتفاعها AB

(٤) أرضه: أرضاً P

(٥) ينكشف: تنكشف AB

(٦) يصير: تصير AB

(٧) A146a

(٨) كبرائهم: كهّانهم P

(٩) بواسطة: + و A

(١٠) ذكرنا: ذكرناه B

(١١) في: من AB

(١٢) B27b

(١٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٠٧/٣ ـ ٥٣٤

[الفصل الحادي عشر: في ترتيب الوجود]

[كيفيّة تكثّر العقول]

فإذا وقفتَ على حقيقة الأُمور نقول:

[١]< **دقيقة: [فيلزم]**[٢] **عن القاعدة المذكورة** ـفي ما سلفـ **تكثّرُ العقول؛ فإنّه لمّا ثبت أنّ هنا [ذواتاً]**[٣] **مجرّدة** بالكلّيّة، يعني **لا تعلّق لها بالأبدان** أصلاً، وهي العقول، وهي معشوقات الأفلاك، **فلا يُتصوّر كثرتُها ولا كثرة الأفلاك عن الأوّل**[٤] **من غير وسط**[٥]**، فوجب**[٦] **بالأوّل واحد. والأفلاك**[٧] **أيضاً لم تجب بواحد؛ إذ لكلّ**[٨] **فلك معشوق**[٩] **يكون علّته. فالعقول ينبغي أن يكون واحداً**[١٠] **عن واحد سلسلة. وليس في كلّ واحد من الجهات، إلّا أنّه واجب بالأوّل**[١١]**، وله نسبة إليه، وممكن في ذاته، فاقتضى بما يعقل من نسبته إلى الأوّل شيئاً أشرف**[١٢]**، هو عقل آخر، وباقتضاء ماهيّته**[١٣] **وإمكانه جرماً ونفساً، فكان تسعة أفلاك، لها تسعة من المبادئ العقليّة، ومع القمر عاشر، منه العالم العنصريّ ـعلى ما قرّره المشّاؤون**[١٤]**ـ.** >[١٥]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) فيلزم: فاستلزم AB

(٣) ذواتاً: ذوات AB

(٤) الأوّل: أوّل P

(٥) من غير وسط: ـ P

(٦) فوجب: ووجب A

(٧) والأفلاك: فالأفلاك AB

(٨) لكلّ: الكلّ A

(٩) معشوق: + خاصّ P

(١٠) واحداً: واحد AB

(١١) بالأوّل: الأوّل A

(١٢) أشرف: + و P

(١٣) ماهيّته: ـ A

(١٤) على ما قرّره المشّاؤون: ـ P

(١٥) كلمة التصوّف: ١١٨

ولا بدّ من ترتيبها في الطبقة الطوليّة والعرضيّة؛ لانتساب الأشرف إلى الأشرف، والأخسّ بالأخسّ.

وحصر العقول في التسعة ـ كما يقوله[١] المشّاؤون ـ لم يُقَم برهان عليه، بل لا يُحصي عددَهم عقولُ البشر.

وله شواهد من الآثار النبويّة، مثل قوله ـ عليه السلام ـ: «أطّت السماء، وحقّ لها أن تئطّ. فليس فيها موضع قدَمٍ إلّا وعليها[٢] ملَك قائم، أو قاعد، أو راكع، أو ساجد»[٣].

وقوله ـ عليه السلام ـ: «ما مِن قطرة مطر تنزل من السماء إلّا وينزل معها ملَك»[٤].

وغير ذلك.

والعالم[٥] العنصريّ مرتّب مع الفلكيّ عقيب ترتيبه الطوليّ، حاصل عن الفعّال، وهو العقل العاشر ـ على مذهب المشّائين ـ.

[٦]< وله معاونات من حركات الأفلاك، مُعدّة[٧] للعناصر لاستعدادات مختلفة، فيختلف استعداداتها للكمالات[٨] من الواهب. وهذا الواهب المُفيض للصور بواسطة الأفلاك المتحرّكة المُعدّة بتلك الحركة للعناصر بالاستعدادات المختلفة لقبول الأمزجة المختلفة المستلزمة لفيض النفوس[٩] اللائقة لذلك[١٠] الاستعداد[١١]، يُسمّى بروح القدُس[١٢] واللوح المحفوظ. فهو المُفيض للنفوس،

---

(١) يقوله: يقول B

(٢) A146b

(٣) عوالي اللئالي: ١٠٧/٤

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٥٢٥/١

(٥) B28a

(٦) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٧) معدّة: معدّات P

(٨) للكمالات: للكلمات AB

(٩) النفوس: + الاستعداد A

(١٠) لذلك: + حركات B

(١١) الاستعداد: + و AB

(١٢) ويسمّى بروح القدس: ـ A

ونسبتها إليه كنسبة الشمس إلى الأبصار، وهو القائل[١] لمريم: ﴿أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾[٢]، فهو واهب المسيح وجميع نوعه[٣]. >[٤]

[طريقة المشّائين لبيان ترتيب الموجودات]

[٥]< والتحقيق لهذا المقام أن نقول: إنّ الطريقة المشهورة لأفاضل المشّائين في ترتيب الموجودات ـكما عرفتَـ مبنيّة على أنّ الواجب لذاته لا يصدر عنه بلا واسطة إلّا واحداً؛ لِما تقدّم من نفي[٦] تكثّره. وقدّموا لذلك مقدّمة، وهي: أنّ الجسم لا يجوز أن يكون علّةً لجسم[٧]. واستدلّوا بأنّه لو جاز ذلك، لكان إمّا أن يكون أحدهما حاوياً للآخر، أو لا[٨].

فإن كان الأوّل[٩]، فلا يخلو إمّا أن يكون الحاوي علّةً للمحويّ، أو المحويّ علّة للحاوي.

والأوّل محال؛ إذ لو جاز أن يكون الحاوي علّةً للمحويّ، مع كون نسبة المعلول إلى العلّة[١٠] هو الإمكان، ونسبة العلّة إلى المعلول هو[١١] الوجوب، فوجود[١٢] العلّة ووجوبها متقدّمان[١٣] على وجود[١٤] المعلول ووجوبه تقدّماً ذاتيّاً[١٥]، و[١٦] وجود

---

(١) القائل: الذي قال P

(٢) القرآن الكريم: ١٩/١٩

(٣) المسيح وجميع نوعه: نوع المسيح P

(٤) كلمة التصوّف: ١١٨

(٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٦) نفي: بقي AB

(٧) لجسم: + آخر P

(٨) لا: يكونا متباينين P

(٩) الأوّل: أحدهما حاوياً للآخر P

(١٠) العلّة: + و AB

(١١) هو: هي AB

(١٢) فوجود: ووجود AB

(١٣) متقدّمان: مقدّمان AB

(١٤) وجود: ـ AB

(١٥) ووجوبه تقدّماً ذاتيّاً: ـ AB

(١٦) و: فيكون P

المعلول ووجوبـه متأخّران[١] عن وجود العلّة ووجوبها. فمع وجوب الحاوي إمكانُ[٢] المحويّ؛ لكون[٣] وجوب المحويّ إنّما يكون بعد وجوب الحاوي ووجوده، فيكون مع وجود الحاوي[٤] الذي هو العلّة، إمكان كون المحويّ[٥] الذي هو المعلول. وقد عرفتَ أنّ إمكـان وجود المعلول عنـد قطع النظر عن العلّـة مقـارن لإمكـان العدم، فيكون لا مَحـالـة مع تقـدير وجود الحـاوي إمكـان كون المحويّ المعلول. ويلزم من ذلـك أن يقارنه[٦] إمكان الخلأ، وذلك محال؛ لأنّ الخلأ ممتنع الوجود لذاته[٧].

وأمّـا أنّ المحويّ لا يجوز أن يكون علّةً للحاوي، فلأنّه لو جاز أن يكون علّةً، لكان المحويّ أشرف من الحاوي، وأفضل منه. والتالي باطل، فالمقدّم مثله.

وبيـان اللزوم أنّ العلّـة يجـب أن تكون أتمّ وجوداً وأكمـل هويّةً من المعلول، وهو ظـاهر. والحـاوي لمّـا كـان محيطاً بالمحويّ وقاهراً ومحرّكاً له، فهو أعظم منه مقداراً، وأكبر صـورةً، وأشدّ قوّةً، فيكون لا محالة أشرف من المحويّ وأكمل، والمحويّ أخسّ وأنقص وأضـعف. وقد سـبق أنّ الأخسّ لا يكون علّة للأشرف، فالمحويّ لا يكون علّةً للحاوي.

وإذا ظهر أنّ الحـاوي لا يجوز أن يكون علّـة للمحويّ، ولا بـالعكس، ظهر أنّـه لا يجوز أن يكون شـــيء من الأجرام الفلكيّة علّة لجرم فلكيّ أو عنصـــريّ. وإذا امتنع أن يكون الأجرام الفلكيّة ـمع شـرفها وكمالهاـ علّة لشـيء من الأجسـام، امتنع أن يكون الأجرام العنصـريّة ـمع خسّـتهاـ علّة لشـيء من الأجسـام، سـواء كانت على سـبيل

(١) متأخّران: متأخّرين P
(٢) إمكان: بإمكان AB
(٣) لكون: يكون AB
(٤) B28b
(٥) A147a
(٦) يقارنه: تعاونه A
(٧) لذاته: + لا ممكن الوجود P

الإحاطة، أو على سبيل التباين. فظهر أنّ الجسم لا يجوز أن يكون علّة لجسم آخر مطلقاً.

وإذا لم يجُز أن يكون الجسم علّة لجسم آخر، امتنع أن يكون علّة للنفس والعقل اللذين هما أشرف من الجسم؛ لأنّه إذا لم يصلح أن يكون علّة للأخسّ، فأحرى أن لا يكون علّة للأشرف[١]. >[٢]

[جواز كون السافل أشرف من العالي عند السهرورديّ]

[٣]< وذكر الشيخ الإلهيّ في حكمة الإشراق[٤] أنّ الجسم لو جاز أن يكون علّةً لجسم[٥] آخر، وجب أن يكون الجسم العالي من الأجسام الفلكيّة ـلعلوّ مكانه، و[٦] كمال رتبته، وقربه من المبادئ العقليّةـ أشرف من السافل، فهو[٧] أولى بالعلّيّة من العكس. لكن قد يكون السافل أشرف من العالي؛ فإنّ الشمس أسفل من المرّيخ والمشتري وزحل وجميع الثوابت، مع كون الشمس أشرف من جميع الكواكب؛ فإنّها أعظمها حجماً وأشدّها نوراً، فالعالي لا يكون علّة للسافل.

وأمّا الأجسام السفليّة، فإنّ تضادّها وتغالبها وانقلاب بعضها إلى البعض يقتضي أن لا يكون بعضها علّة للبعض، بل الحقّ أنّ بين الأجسام العِلويّة تكافؤ من وجوه[٨] مختلفة، وكذا بين السفليّة. >[٩]

[تتميم القول في بيان طريقة المشّائين]

[١٠]< إذا عرفتَ ذلك، فالصادر الأوّل عن الحقّ ـسبحانهـ هو العقل. ولمّا كانت[١١]

---

(١) وأمّا أنّ المحويّ لا يجوز ... للأشرف: ـ AB
(٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٣٩٦ ـ ٣٩٨
(٣) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٤) حكمة الإشراق: ١٤٤
(٥) لجسم: الجسم A
(٦) و: ـ AB
(٧) فهو: وهو AB
(٨) وجوه: جهات B
(٩) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٤٠٢
(١٠) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١١) كانت: كان A

فيه الجهات الثلاثة، وهي جهات الكثرة التي صار بها متكثّراً، وليست تلك الكثرة كلّها حاصلة له من ذاته، وإلّا لكان كثيراً في ذاته، فلا يصحّ صدوره عن الواحد، هذا خلف. بل [البعض][١] منها من ذاته، والبعض الآخر من علّته البسيطة.

وبيانه[٢]: أنّ الواحد الحقيقيّ ـ أعني المبدأ الأوّل ـ يجب[٣] أن يكون هويّة ما صدر[٤] عنه مغايرة[٥] له[٦]، ويكون مفهوم كونه صادراً[٧] مغايراً[٨] لمفهوم كونه ذا هويّة. فهاهنا[٩] أمران معقولان:

ـ الأمر الصادر، وهو[١٠] الوجود.

ـ والهويّة اللازمة له، وهو[١١] الماهيّة.

وهي[١٢] باعتبار وجوبها عن المبدأ تابعة[١٣] للوجود، وإلّا لم تكن حاصلة. ومن حيث العقل الوجودُ تابع للهويّة[١٤]؛ لأنّه صفة للماهيّة، فإذا أُضيفت الماهيّة إلى وجودها وجب تعقّل الإمكان، فهو لازم الماهيّة بالنسبة إلى وجودها، فإذا أُضيفت إلى المبدأ الأوّل وجب تعقّل الوجوب بالغير. فالوجوب لازم للماهيّة بالنظر إلى المبدأ، وصحّ اتّصاف الماهيّة بالوجوب تارةً وبالإمكان أُخرى. فإذا [اعتُبر][١٥] الوجود وحده قائماً بذاته كان عاقلاً لها، وإذا اعتُبر إلى الأوّل كان عاقلاً له.

---

(١) البعض: الشخص AB

(٢) B29a

(٣) يجب: + إنّما A

(٤) ما صدر: حاصلاً A؛ صدر: يصدر P

(٥) مغايرة: مغايراً AB

(٦) له: للمبدأ الأوّل P

(٧) صادراً: + عن الأوّل P

(٨) مغايراً: مغاير AB

(٩) فهاهنا: هاهنا A، فيلزم أن يكون هاهنا P

(١٠) الصادر وهو: الذي صدر عن المبدأ الأوّل وهو المسمّى بـ P

(١١) له وهو: لذلك الوجود وهو المسمّى بـ P

(١٢) وهي: فتلك الهويّة P

(١٣) الصادر وهو ... تابعة: ـ B

(١٤) A147b

(١٥) اعتبر: اعتبرها AB

ثمّ هـذه الاعتبـارات المتكثّرة في ذلـك[١] الواحـد، بعضـــها له[٢] من ذاته، وهي[٣] الهويّـة والإمكان والوجود وتعقّله لذاته، إلّا أنّ الهويّة والإمكان هما لذاته[٤] من حيث إنّه بالقوّة[٥]، والوجود وتعقّله لذاته هما له من حيث إنّه بالفعل. وأمّا البعض الذي له[٦] من علّته فهو وجوبُه بتلك العلّة وتعقّلُه لها[٧].

وهـذه الكثرة المعنويّـة وإن كـانـت موجودةً في المعلول لازمةً له، فهو في الخارج بســيط واحـد هو العقل، ويكون اســم[٨] العقل متناولاً لهذه الاعتبارات المذكورة[٩] تضمّناً والتزاماً.

فمجموع الاعتبـارات التي للعقـل ثمـانيـة، هي: المـاهيّـة، والوجود، والإمكـان، والوجوب، وتعقُّل هذه الأربعة أربعة أُخرى:

فالوجود[١٠] في أوّل المراتب.

والهويّـة[١١] اللازمـة لـه[١٢] في ثاني[١٣] المراتب[١٤]، وكذلك التعقّل للذات باعتبار تجرّدها عن الموادّ، و[١٥] التعقّل للمبدأ اللازم له.

وأمّـا الإمكـانُ الـذي لـه من ذاتـه، والوجوبُ الـذي له من الغير، فهما في ثالثة[١٦] المراتـب، بـاعتبـار تـأخّر الهويّة عن الوجود. وباعتبار تقدّم الهويّة على الوجود يكون

---

(١) ذلك: المعلول P
(٢) له: للمعلول P
(٣) هي: هو A
(٤) لذاته: له P
(٥) إنّه بالقوّة: هي AB
(٦) له: للمعلول P
(٧) لها: لذاته AB
(٨) ويكون اسم: فاسم AB
(٩) المذكورة: الأربعة AB
(١٠) فالوجود: + يكون P
(١١) B29b
(١٢) له: لذلك الوجود P
(١٣) ثاني: أيّ A
(١٤) المراتب: + باعتبار مغايرته للأوّل P
(١٥) و: ثمّ P
(١٦) ثالثة: ثالث P

الإمكـان والوجوب في ثـانية المراتب مع الوجود، ويكون تعقّل الإمكان والوجوب في ثالثة المراتب.

ثمّ إنّ الهويّة والإمكان يتشاركان[١] في كونهما حالّةً للمعلول في ذاته، من حيث إنّه بـالقوّة. والوجود والتعقّل للذات يتشـاركان في كونهما حالّةً في ذات المعلول[٢]، من حيث إنّه بالفعل. وأمّا الوجوب[٣] والتعقّل للمبدأ فيتشـاركان في أنّهما حالّةٌ تُسـتفاد[٤] من المبدأ. وهذه الثلاثة يعبّرون عنها بالتثليث الحاصلة في العقل الأوّل.

ويشـترك الحالة الأُولى والثانية في أنّهما حالّة في ذات المعلول. وأمّا الحالة الثالثة والثانية فهما له بالقياس إلى مبدئه الأوّل، وهي الحالة التي يعبَّر عنها بالتثنية.

والعقل وإن كانت فيه هذه الكثرة الذهنيّة، فهو في الخارج بسيط. ولهذا قال الشيخ: «إنّه[٥] معلول، فلا مانع عن[٦] أن يتقوّم بمختلفات[٧]»[٨]، يعني إنّه يتقوّم بمختلفات[٩] كثيرة في الذهن، لا في الخارج، كما يتقوّم السواد في الذهن من لونيّة[١٠] هي الجنس، وجامعيّةِ البصر هي[١١] الفصل، والسوادُ في الأعيان[١٢] واحد، لا تركيب[١٣] فيه خارجاً[١٤].

و[١٥] هذه الكثرة المعنويّة الموجودة عقلاً[١٦] هي التي يحصـل منها وجود الكثرة،

---

(١) يتشاركان: متشاركان A

(٢) في ذات المعلول: للمعلول في ذاته A

(٣) A148a

(٤) تستفاد: يستفاد AB

(٥) إنّه: ولأنّه P

(٦) عن: ـ AB

(٧) بمختلفات: لمختلفات AB

(٨) الإشـارات والتنبيهـات: ٣١٦، ونقلـه السهرورديّ في: التلويحات: ٢٣٥

(٩) بمختلفات: لمختلفات A

(١٠) لونيّة: لونيه AB

(١١) هي: في A

(١٢) الأعيان: + شيء P

(١٣) B30a

(١٤) خارجاً: في الخارج P

(١٥) و: + اعلم أنّ P

(١٦) عقلاً: في العقل P

لكن[١] يجب أن يحصل بالجهة والاعتبار الأشرف ـوهو تعقّل وجوبه بالأوّلـ معلولٌ أشرف[٢] هو العقل، وبالاعتبار الأخسّ ـوهو تعقّله لذاته ولإمكانهـ أخسّ وهو النفس الفلكيّة وجرمه؛ فإنّه إذا استُند معلولان أحدهما أشرف من الآخر، فإنّه يجب استناد المعلول الأشرف إلى العلّة الأشرف، والمعلول الأخسّ إلى العلّة الأخسّ، بناءً على قاعدة الإمكان الأشرف.

فيجب أن يكون الاعتبار الذي للمعلول من ذاته ـوهو بالقوّة ومن أخسّ الجهات كالإمكان وتعقّله[٣]ـ علّةً لأخسّ[٤] المعلولين الذي هو جرم الفلك الذي هو هيولى لصورته[٥] النوعيّة. وأن يكون الأمر الذي هو بالفعل ـوهو تعقّل الوجود والذاتـ علّةً لِما هو بالفعل ـوهو النفس الفلكيّة التي يسمّونها صورة نوعيّةـ. وأن يكون الوجوب بالغير وتعقّله[٦] له ـوهو أشرف الجهاتـ علّةً لأشرف المعلولات ـوهو العقلـ.

فلمّا كان الصادر[٧] عن البارئ ـجلّ جلالهـ هو العقل الأوّل، كانت فيه الجهات الثلاثة المذكورة، فيكون الوجوب بالأوّل تعالى وتعقّلُه له علّة لعقل ثانٍ، وإمكانه في نفسه وتعقّلُه له علّةً لجرم الفلك الأقصى، وتعقّلُه لوجوده وذاته علّةً لوجود نفس ذلك الفلك.

ثمّ العقل الثاني فيه الجهات الثلاثة أيضاً[٨]. فيكون الجهة الأشرف فيه علّةً لعقل[٩] ثالث، والأخسّ فيه علّة لكُرة الثوابت، والأوسط علّة نفسه.

---

(١) لكن: ـ AB
(٢) أشرف: + و P
(٣) تعقّله: يعقله A
(٤) لأخسّ: الأخسّ A
(٥) لصورته: لصورة AB
(٦) تعقّله: يعقله A
(٧) A148b
(٨) كانت فيه الجهات الثلاثة ... أيضاً: ـ AB
(٩) لعقل: تعقّل A

والعقل الثالث جهةُ الأشــرف [فيه][(١)] علّة لعقل رابع، والأخسّ [فيه][(٢)] علّة لزحل، والأوسط علّة لنفسه.

وهكذا إلى أن ينتهي الأمر إلى فلك القمر، الذي هو آخر الأجسام الفلكيّة.

ثمّ عقلُ فلك القمر ـوهو العقل العاشـرـ يحصل منه باعتبار تعقّل[(٣)] إمكانه لنفسه هيولى[(٤)] العالم العنصـريّ المشـتركة بين جميع العناصـر[(٥)]، ويحصـل منه[(٦)] باعتبار تعقّل ماهيّته صـورُ العناصـر، ويحصل منه[(٧)] باعتبار تعقّل[(٨)] وجوب الوجود لمبدئه[(٩)] نفوسُـــنا[(١٠)] الناطقة. وإنّما يكون ذلك بمعاونة الأجرام الســماويّة المناســبة وحركاتِها المتغيّرة؛ فإنّك قد علمتَ أنّ الأمر الثابت لا يكون علّةً لمتغيّر[(١١)] حادث، إلّا بواســطة متغيّر[(١٢)].

ولمّا كانت الأجسـام العنصـريّة[(١٣)] يشـترك كلّها في هيولى واحدة، وتتباين بالصور النوعيّة المختلفة، وكان كلّ واحد من الهيولى المشـتركة والصور المختلفة قابلاً للتغيّر والحركة في نفســه، وجب أن يكون العلّة للمادّة المشــتركة أمراً مشـتركاً[(١٤)] في الأجرام الفلكيّة، وأن يكون العلّة للصور المختلفة أمراً مختلفاً[(١٥)] فيها. لكن الأمر المشترك بين الأفلاك كونُها طبيعةً خامســةً مقتضيةً للحركة المستديرة الدائمة، فيناسب[(١٦)] أن يكون

---

(١) فيه: ـ ABP

(٢) فيه: ـ ABP

(٣) تعقّل: يعقل A

(٤) B30b

(٥) العناصر: + الأربعة P

(٦) منه: ـ AB

(٧) منه: ـ AB، + أيضاً P

(٨) ماهيّته صور ... تعقّل: ـ A؛ تعقّل: ـ P

(٩) لمبدئه: بمبدئه P

(١٠) نفوسنا: نقوشنا B

(١١) لمتغيّر: لأمر متغيّر P

(١٢) متغيّر: فتغيّر B

(١٣) الأجسام العنصريّة: العناصر AB

(١٤) أمراً مشتركاً: أمر مشترك AB

(١٥) أمراً مختلفاً: أمر مختلف AB

(١٦) فيناسب: فناسب P

هذا الأمر المشترك علّةً لوجود أمر مشترك، وهو[١] المادّة. والأمر[٢] الذي يفترق[٣] به الأفلاك هو اختلافها في الحركات الدوريّة، فيناسب[٤] أن يكون علّةً لصورها النوعيّة المختلفة، الاشتراكاتُ بإزاء الاشتراكات، والافتراقاتُ بإزاء الافتراقات. ويكون العقل هو الذي يفيض منه المادّة بمعاونة[٥] الحركات الفلكيّة الدوريّة. ويكون في تلك المادّة[٦] رسم صور العالم السفليّ باعتبار الانفعال الذي فيها، كما أنّ في العقل الفعّال رسم تلك الصور باعتبار الفعل الذي فيه.

فأصلُ وجود المادّة إنّما[٧] هو من العقل[٨] الفعّال. وكونُها بحيث تقبل الحركةَ والتغيّرَ[٩] من الأجرام الفلكيّة. و[١٠] تخصّصها بصورة معيّنة دون غيرها من الصور الأُخرى، لا يكون حاصلاً لها ذلك من العقل الثابت الغير المتغيّر. فيجب أن يكون ذلك من متغيّر، وليس ذلك[١١] إلّا الأجرام الفلكيّة؛ فإنّ الموادّ بسبب اختلاف نسبها[١٢] إلى تلك الأجرام الشريفة، يحصل لها استعدادات مختلفة، تقبل[١٣] بها من العقل المفارق صوراً وأعراضاً مختلفة.

وربّما يكون الاستعداد الحاصل لبعض الموادّ من بعض الأجرام العنصريّة، كالنار المُعدّة للماء بالتسخين الشديد لصيرورته هواءً، فيُفيض الجوهرُ العقليُّ على مادّة الماء صورةَ الهوائيّة[١٤] عند كمال الاستعداد.

---

(١) هو: هي P
(٢) والأمر: وللأمر AB
(٣) يفترق: يتفرّق AB
(٤) فيناسب: فناسب P
(٥) بمعاونة: لمعاونة AB
(٦) المادّة: _ AB
(٧) A149a
(٨) العقل: _ AB
(٩) B31a
(١٠) و: _ AB
(١١) ذلك: _ AB
(١٢) نسبها: نسبتها A
(١٣) تقبل: يقبل AB
(١٤) الهوائيّة: هوائيّة AB

ولمّا كانت الموادّ العنصريّة لها استعدادان:

أحدهما: عامّ، وهو الذي يكون نسبة الصور إليها واحدة.

وثانيهما(١): الخاصّ، وهو الذي يترجّح نسبته لقبول إحدى(٢) الصور دون غيرها.

فيفتقر المادّةُ في حصول الصورة المخصوصة إلى حصول هذا الاستعداد الخاصّ بعد العامّ؛ فإنّ مادّة الهواء مستعدّة لقبول صورة الناريّة والمائيّة على السواء، إلّا أنّ غلبة الحرارة عليها(٣) يجعلها أولى لقبول صورة(٤) الناريّة من المفارق، كما أنّ عند غلبة البرد عليها يصير أولى لقبول صورة(٥) المائيّة بحصول(٦) الاستعداد بسبب البرودة، فيخلع المادّةُ حينئذٍ [صورةَ](٧) الهوائيّة وتلبس [صورةَ](٨) المائيّة.

فإذا وجِدت المادّة المشتركة التي للأجسام السفليّة من المفارق، ووجِد منه أيضاً صورها المختلفة وأعراضها بسبب معاونات الأجرام الفلكيّة، ثمّ وجود العناصر الأربعة، ثمّ إنّها بسبب تأثير(٩) الأجرام العِلويّة فيها(١٠) تمتزج امتزاجات(١١) كثيرة مختلفة، ويحصل من ذلك الامتزاج الآثارُ العِلويّة والمعادن والنبات(١٢) والحيوان، كلّ ذلك من واهب الصور. فالأجرام السماويّة بسبب(١٣) الحركات الدوريّة(١٤) المختلفة والاتّصالات المتنوّعة ـ من المقابلة، والمقارنة(١٥)، والتثليث، والتسديس، والتربيع،

---

(١) ثانيهما: + هو الاستعداد P

(٢) نسبته لقبول إحدى: نسبة قبول لإحدى AB

(٣) عليها: + ممّا P

(٤) صورة: الصورة AB

(٥) صورة: الصورة AB

(٦) بحصول: عند حصول P

(٧) صورة: الصورة ABP

(٨) صورة: الصورة ABP

(٩) تأثير: تأثّر A

(١٠) فيها: ـ AB

(١١) B31b

(١٢) النبات: البنات B

(١٣) بسبب: سبب A

(١٤) A149b

(١٥) المقارنة: المقاربة A

وغير ذلك من الانفراج الذي[1] يختلف به مطارح شعاعاتها ـ لا تزال[2] مفيدة للاستعدادات المتنوّعة في هذه الأجسام[3]. والعقل المفارق بسبب ذلك لا يزال يُفيض[4] الصور والنفوس والأعراض على كلّ قابل مستعدّ، فيدوم بذلك وجود هذا العالم، ويستمرّ تجدّد الحوادث إلى غير النهاية.

[إفاضة الخير من المبدأ الأوّل على جميع الموجودات من غير بُخل]

فالخير الفائض من المبدأ الأوّل[5] بواسطة العقل الأوّل والمبادئ العقليّة على[6] جميع الموجودات من غير بُخل[7] بإفادة الخيرات وإفاضة[8] الكمالات. وعدم حصول بعض الكمالات لبعض الموجودات إنّما هو لقصوره عن قبول ذلك الكمال، لا لبخلٍ في المبادئ الفيّاضة[9]، كإفاضة نور الشمس[10] على كلّ قابل مستعدّ، من الأجسام الهوائيّة والمائيّة والأرضيّة وغير ذلك. فالفيض على هذه الأجسام وإن كان متساوياً، إلّا أنّ قبولها لنورها مختلف بحسب اختلاف استعداداتها؛ فإنّ قبول الأرض أكثر من قبول الهواء، وينعكس الشعاع من الماء والهواء[11] أكثر ممّا ينعكس من الأرض. فهذا الاختلاف[12] لم يكن من الشمس[13]، بل لاختلاف[14] استعدادات[15] الموادّ. فكذا[16] يكون الحال في إفاضة الأشعّة العقليّة والكمالات الجسميّة من العقول المفارقة.

---

(١) الانفراج الذي: الاتّصالات التي AB
(٢) تزال: نزال A
(٣) الأجسام: + التي تلينا P
(٤) يفيض: + منه P
(٥) على كلّ قابل ... الأوّل: ـ AB
(٦) على: عن AB
(٧) بخل: محلّ A
(٨) إفاضة: أفاضه B
(٩) الفيّاضة: + بالطبع P
(١٠) الشمس: + بالطبع P
(١١) الهواء: المرآة P
(١٢) فهذا الاختلاف: فاختلاف القبول للشعاع P
(١٣) الشمس: + فإنّها فيّاضة بالطبع P
(١٤) لاختلاف: الاختلاف A
(١٥) استعدادات: استعداد P
(١٦) فكذا: فكذلك P

فالفيض من المبادئ العقليّة إنّما يحصل لتغيّر القوابل واستعدادها، لا لتغيّرها في ذاتها. وإلّا لو جاز عليها التغيّر، لكان ذلك بسبب[١] تغيّر علّتها الفاعلة، وتغيّر العلّة لِتغيّر[٢] ما فوقها من العلل، وهكذا يذهب التغيّرات[٣] في الارتقاء حتّى تنتهي[٤] إلى تغيّر الواجب[٥]، وذلك محال. >[٦]

[٧]< فالعقل الأخير ـ وهو العاشر ـ هو الذي يصدر عنه صور العناصر والمواليد الثلاثة[٨]، حتّى ينتهي[٩] الترتيب إلى النفس الناطقة، فيقف[١٠] عندها ترتيبُ الوجود العقليّ[١١]. فهي أدوَن مراتب الموجودات المجرّدة؛ لافتقارها إلى الاستكمال بآلات البدن[١٢].

[مراتب البدء]

فالوجود يبتدئ من الأشرف فالأشرف، حتّى ينتهي إلى الأخسّ[١٣] فالأخسّ، وهي مراتب البدء، وهي أربعة[١٤]:

ـ مرتبة[١٥] العقول المجرّدة، من العقل[١٦] الأوّل إلى العقل[١٧] الفعّال.

---

(١) B32a
(٢) لتغيّر: بتغيّر A
(٣) التغيّرات: التغيّر P
(٤) تنتهي: ينتهي التغيّر P
(٥) الواجب: واجب الوجود لذاته P
(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٠٤/٣ ـ ٤١٠
(٧) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٨) الثلاثة: + التي هي المعادن والنبات والحيوان P
(٩) ينتهي: + الوجود في P
(١٠) فيقف: وهي التي يقف P
(١١) العقليّ: العقل AB
(١٢) بآلات البدن: بالآلات البدنيّة P
(١٣) A150a
(١٤) أربعة: + مراتب P
(١٥) مرتبة: مترتّبة AB
(١٦) العقل: ـ AB
(١٧) العقل: ـ AB

ـ ومرتبـة النفوس[١] الفلكيّـة، من نفس الفلك الأعلى إلى نفس الفلك الأدنى مع كواكبها[٢].

ـ ومرتبة الصور النوعيّة[٣]، من[٤] الفلك الأعلى إلى صور أدنى العناصر.

ـ ومرتبة الهيولى، من هيولى الفلك الأعلى إلى الهيولى المشتركة للعناصر[٥].

[مراتب العود]

ومراتب العود خمسة:

ـ مرتبة الأجسام[٦]، من أقصى الفلك إلى[٧] الأرض.

ـ ومرتبة صور المركّبات[٨]، من صور المعادن إلى[٩] الحيوان.

ـ ومرتبة النفوس النباتيّة.

ـ ومرتبة النفوس الحيوانيّة[١٠].

ـ ومرتبـة النفوس النـاطقـة[١١]. ومراتبهـا من الهيولانيّ، إلى الملَكـة، إلى العقـل بالفعل، إلى المستفاد، ونهايتها النفس القدسيّة.

فمراتب البدء[١٢] أشـرفها ما قرب[١٣] من المبدأ الأوّل، ثمّ ما يليها على الترتيب[١٤]

---

(١) النفوس: + الناطقة P

(٢) نفس الفلك الأعلى ... كواكبها: النفس الكلّيّة الأُولى إلى آخر نفس فلك القمر AB

(٣) النوعيّة: ـ P

(٤) من: + صورة P

(٥) المشتركة للعناصر: المشتركة التي للعناصر الأربعة P

(٦) الأجسام: + البسيطة النوعيّة P

(٧) الفلك إلى: الفلك الأعلى إلى آخر العناصر التي هي P

(٨) المركّبات: + الثلاثة الحادثة بعد التركيب P

(٩) من صور المعادن إلى: كصور المعادن والنبات و P

(١٠) ومرتبة النفوس الحيوانيّة: ـ AB

(١١) الناطقة: + البشريّة P

(١٢) البدء: + و P

(١٣) قرب: قربت P

(١٤) الترتيب: + النازل حتّى ينتهي P

إلى آخر المراتب. ومراتب العود بالعكس، تبتدئ(١) من الأخسّ إلى الأعلى(٢).

[جهتا وجوب وإمكان للنفس الإنسانيّة]

فالنفس الإنسانيّة لها جهتان:

إحداهما(٣): وجوبٌ بالعلّة.

و**[ثانيتهما]**(٤): إمكانٌ من ذاتها.

وبسبب ذلك حصل لها وجهٌ إلى عالم القدس باعتبار وجوبها بالعلّة(٥)، ووجهٌ إلى العالم الحسّيّ(٦) باعتبار إمكانها.

وقالوا(٧): إنّ الجهات لا يجب أن يحصل(٨) عنها عقل ونفس وفلك، وإلّا لزم عدم(٩) تناهي العقول والأفلاك، وهو محال.

[اختلاف العقول بالكمال والنقص]

و(١٠) العقول مختلفة(١١) بالكمال والنقص(١٢)، فلا يلزم أن يحصل عن كلّ عقل بسبب الجهات(١٣) شيء(١٤)؛ إذ لبعضها خصوصيّة بحسب نوعه، أو شدّة نوريّته، يجب(١٥) أن يصدر عنه باعتبار تلك الجهات عقلٌ وفلكٌ ونفسُه(١٦)، وبعضها له

---

(١) تبتدئ: تبدأ A

(٢) الأخسّ إلى الأعلى: أخسّها حتّى تنتهي إلى أشرفها وهي العقل المستفاد والنفس القدسيّة P

(٣) إحداهما: أحدهما AB

(٤) ثانيتهما: ثانيهما ABP

(٥) وجوبها بالعلّة: العلّة AB

(٦) الحسّيّ: الحسّ A

(٧) وقالوا: ثمّ قال المشّاؤون P

(٨) يحصل: تحصل AB

(٩) B32b

(١٠) و: ثمّ إنّ P

(١١) مختلفة: + إمّا بالنوع على ما هو المشهور أو P

(١٢) النقص: + على ما هو الحقّ وعلى كلا التقديرين P

(١٣) الجهات: + المذكورة P

(١٤) شيء: شتّى A

(١٥) يجب: بحسب A

(١٦) باعتبار تلك ... نفسه: _ AB

خصـوصيّة بحسب نوعه[١] أو ضعف نوريّته، يمتنع أن يصدر عنه باعتبار الجهات عقل وفلك ونفسه[٢].

فهذا خلاصة ما ذكره المشّاؤون، وإليه أشار بقوله: «وحصرُ العقول في التسعة ـ كما يقوله المشّاؤون ـ». <[٣]

[امتناع إقامة البرهان على أكثر أحكام المشّائين في بيان ترتيب الوجود]

[٤]< وأمّـا الأوائـل من الحكمـاء[٥] فلم يحكموا بهـذه الأحكام في ترتيب الوجود، وليس لهم جزم بهـذا الترتيـب؛ لعدم الاسـتناد فيه إلى حجّة برهانيّة. فلمّا صـعب[٦] عليهم تفصـيل ذلك لغموضـه ودقّته، مع أنّهم المُنشـئون لهذه العلوم، فلا جرمَ ذكروا أُنموذجاً في كيفيّة ذلك، تسهيلاً لمن يأتي بعدهم، والتفاصيل على أهل الذَكاء.

فقالوا: الذي يجزم[٧] به العقل في هذا الباب[٨]:

ـ أنّ العقول المجرّدة يجب أن يستمرّ نزولها إلى آخر مراتبها.

ـ وأنّ العقول التي لا يصدر عنها الأفلاك، لا بدّ أن يستمرّ نزولها[٩] بحسب استمرار نزول الأفلاك.

ـ وأن لا ينقص عدد الأفلاك عن عدد[١٠] العقول.

ـ وأنّ العقل باعتبار واحد وجهة واحدة يمتنع[١١] أن يصدر عنه شيئان فصاعداً.

---

(١) له خصـوصـيّة بحسـب نوعه: بحسـب خصوصيّة تنوّعه AB

(٢) باعتبار الجهات ... نفسه: ـ AB

(٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤١٣/٣ ـ ٤١٦

(٤) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.

(٥) الحكماء: + رضي اللّه عنهم P

(٦) A150b

(٧) يجزم: تجزم AB

(٨) في هذا الباب: ـ AB

(٩) نزولها: + و AB

(١٠) عدد: عدم AB

(١١) يمتنع: تمنع A

وما عدا ذلك من الأحكام فلا يُقام على أكثرها برهان.

ثمّ الجهات الثلاثة ـ التي هي تعقُّل الماهيّة، وتعقُّل الوجوب، والإمكان ـ إذا جعلنا تعقّل الوجوب علّةً لعقلٍ يبقى في العقل جهتان(١)، فكيف يصحّ أن يكون علّةً لجرم الفلك ونفسه(٢)، مع كون الجرم له هيولى وصورة جرميّة(٣) وأُخرى نوعيّة؟

ثمّ الفلك(٤) الذي فيه الكواكب الثابتة ـ التي لا تُحصى كثرةً ـ والنفوس المتعلّقة بها، كيف يصحّ أن يكون الجهات الثلاثة المذكورة علّةً لهذه(٥) الكثرة التي لا تُحصى؟ لافتقارها(٦) إلى جهات كثيرة مختلفة؛ لاختلافها وتعدّدها. ولا تكون(٧) لاحقة بسبب الحركات، وإلّا لم تكن الجهات الثلاثة علّةً لتلك الكثرة.

ثمّ(٨) الأجرام الفلكيّة بسيطة، فطبيعتها واحدة، فتخصُّص(٩) كلّ كوكب بموضع معيّن ليس من لوازم الماهيّة(١٠)؛ لاستواء نسبته(١١) إلى جميع المواضع التي للفلك(١٢). فلا بدّ من مخصّص يخصّصه(١٣) بالأين(١٤) المعيّن والوضع المعيّن(١٥).

ثمّ كلّ كُرة من كُرات الكواكب السبعة تشتمل(١٦) على عدّة كُرات، بعضها محيط(١٧) بالأرض ـ كالممثّلات والحوامل ـ، وبعضها غير محيط ـ كالتداوير ـ، وفي

---

(١) جهتان: + هما تعقّل الماهيّة والإمكان P
(٢) نفسه: ـ A
(٣) جرميّة: جزء منه P
(٤) B33a
(٥) لهذه: لهذا A
(٦) لافتقارها: لافتقار A
(٧) تكون: يكون AB
(٨) ثمّ: + قد عرفت أنّ جميع P
(٩) فتخصّص: فتخصيص AB
(١٠) الماهيّة: ماهيّته P
(١١) نسبته: نسبتها AB
(١٢) التي للفلك: ـ AB
(١٣) يخصّصه: ـ AB
(١٤) بالأين: بالموضع P
(١٥) المعيّن: + دون غيرهما P
(١٦) تشتمل: يشتمل AB
(١٧) محيط: محيطاً B

كـلّ حـامل كوكب. ولكلّ كُرة من تلك الكُرات والكواكب[١] طبيعةٌ مغايرة لطبيعة باقي الكُرات والكواكـب[٢]، وحركـة مخالفة لحركاتها[٣]. ولكلّ واحدة[٤] من الكُرات مادّة، وصورة، وشكل، ومقدار، ونفس ناطقة، وهذه الكثرة لا تفي بها هذه الجهات الثلاثة[٥]. بـل الحقّ أنّ كـلّ فلك وكلّ كوكب ـبل كلّ نوع من الأنواعـ يفتقر في وجوده إلى علّة عقليّـة منهـا وجوده. وتلـك العلـل العقليّة والذوات النورانيّة الموجودة في عالم العقل أُلوف أُلوف ليس في طاقة البشـر حصرها وعدّها[٦]، كما قال تعالى: ﴿وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلّا هُوَ﴾[٧].

[طريقة السهروردي لبيان ترتيب الموجودات]

وقد ذكر الشـيخ الإلهيّ[٨] في ترتيب الوجود طريقةً أُخرى، هي أنســب بمذاهب الإشــراقيّين من طريقة المشّــائين، فقال[٩]: العقول المجرّدة كثيرة جدّاً، ولا بدّ لها من ترتيب. فإذا[١٠] كان الصــادر عن الواجب[١١] واحداً[١٢]، هو أقرب الموجودات إليه[١٣]. و[١٤] يحصـــل منـه[١٥] ثـانٍ، ومن[١٦] الثاني ثالث[١٧]، ومن الثالث رابع، ومن الرابع[١٨]

---

(١) من تلك الكرات والكواكب: ولكلّ طبيعة كوكب AB
(٢) A151a
(٣) لحركاتها: حركاتها A
(٤) واحدة: واحد P
(٥) الثلاثة: + المذكورة P
(٦) عدّها: عددها AB
(٧) القرآن الكريم: ٣١/٧٤
(٨) حكمة الإشراق: ١٣٨
(٩) فقال: + إنّ P
(١٠) فإذا: وإذا P
(١١) الواجب: + لذاته لا محالة عقلاً P
(١٢) واحداً: واحد AB
(١٣) إليه: ـ AB
(١٤) و: ثمّ P
(١٥) منه: من هذا العقل الأوّل P
(١٦) من: عن AB
(١٧) B33b
(١٨) من الرابع: ـ AB

خامس، وهكذا يذهب الأنوار العقليّة في النزول، إلى أن يحصل في هذه السلسلة مبلغ كثير من العقول.

ثمّ إنّ هذه الأنوار العقليّة الحاصلة من النور الأوّل بتوسّط العقل الأوّل وتوسّط بعضها بعضاً ـعلى ما ذكِر(١)ـ لا حجاب بينها وبين الواجب(٢)؛ لأنّه(٣) من لوازم المادّة(٤)، فهي تشاهد(٥) الأوّل، ويقع شعاعُه عليها، ثمّ ينعكس النور من بعضها على بعض. فكلّ(٦) نور(٧) عالٍ في المرتبة يشرق(٨) ما تحته، والسافل(٩) يقبل الشعاع النوريّ من نور الأنوار بتوسّط ما(١٠) فوقه.

فالنور(١١) الثاني يقبل(١٢) النور الفائض مرّتين: واحدة بغير واسطة، وأُخرى بواسطة الأوّل.

و(١٣) الثالث يقبل(١٤) النور الفائض عن الحقّ تعالى أربع مرّات: ما يقبله منه تعالى بلا وسط(١٥)، وما يقبله بتوسّط الأوّل، وما ينعكس عليه من مرّتَي الثاني.

والنور الرابع يقبل ثمان مرّات، والخامس ستّة عشر مرّة، وهكذا لا تزال الأنوار الفائضة(١٦) تتضاعف(١٧) كلّما نزلت، حتّى تبلغ [مبلغاً](١٨) كثيراً لا ينضبط(١٩) بقوى

---

(١) ما ذكر: الوجه المذكور P
(٢) الواجب: النور الأوّل الواجبيّ P
(٣) لأنّه: إذ الحجاب إنّما هو P
(٤) المادّة: + وتوابعها P
(٥) تشاهد: + النور P
(٦) فكلّ: وكلّ B
(٧) نور: + عقليّ P
(٨) يشرق: يشرف B، + على كلّ P
(٩) السافل: كلّ نور سافل في المرتبة P
(١٠) ما: كلّ واحد ممّا P
(١١) فالنور: حتّى أنّ النور العقليّ P
(١٢) يقبل: + من P
(١٣) و: + أمّا النور العقليّ P
(١٤) يقبل: + من P
(١٥) بلا وسط: بغير واسطة P
(١٦) الفائضة: الفائزة A
(١٧) تتضاعف: يتضاعف AB
(١٨) مبلغاً: _ AB
(١٩) A151b

البشـر، فيحصـل من هذه الإشراقات ـممّن كان وعلى مَن كان ـ نورٌ مجرّدٌ عقليٌّ، وبه يتكثّر الأنوار المجرّدة العقليّة.

ثمّ هذه الأنوار لمّا لم يكن بينها وبين نور الأنوار ولا بينها و[١] بين بعضها حجابٌ ـلِما ذكرنا ـ، فكلّ واحد منها يشـاهد نور الأنوار[٢]. والمشاهدة[٣] غير الشروقِ وفيضِ الشـعاع، فيحصل[٤] من مشاهدة العالي[٥] وإشراق نوره على الأنوار[٦] السافلة بواسطة وغيرهـا جملـة أُخرى من الأنوار المجرّدة[٧]، كمـا حصـــل[٨] في الأنوار العقليّـة من الإشـراقات، فيتضـاعف الأنوار بسـبب الانعكاسـات العقليّة الإشراقيّة والمشاهديّة[٩]. وإنّما حصل من كلّ إشراق ومشاهدة نورٌ عقليٌّ[١٠]؛ فإنّ[١١] الإشراقات الكثيرة المتعدّدة إذا وقعت على حيّ لا يغيب ذاتُه عن ذاته، فيكون له شـعور بما يشـرق عليه من الأنوار العقليّة وزيادتها[١٢]، فيحصـل[١٣] من هذه الإشراقات والمشاهدات والانعكاسات أنوارٌ مجرّدة عقليّة[١٤]، بخلاف ما إذا وقعت على ميّت؛ فإنّه لا شـعور له بتلك الإشـراقات، ولا بزيادتها، فلا يحصل[١٥] شيء من الأنوار العقليّة.

ثمّ هذه الأنوار مترتّبة في النزول العلّيّ[١٦]، وهذه الأنوار هي الأُصـول، ثمّ يحصـل منهـا[١٧] بـاعتبـار الجهات والمناســبات أعداد من الأنوار كثيرة؛ فإنّ الأنوار العقليّة لا

---

(١) بينها: ـ AB
(٢) الأنوار: + والأنوار العقليّة أيضاً P
(٣) المشاهدة: هي AB
(٤) فيحصل: يحصل AB
(٥) العالي: كلّ عالٍ P
(٦) B34a
(٧) جملة أُخرى ... المجرّدة: ـ AB
(٨) حصل: ـ AB
(٩) المشاهديّة: المشاهدة AB
(١٠) وإنّما حصل ... عقليّ: ـ AB
(١١) فإنّ: لأنّ P
(١٢) زيادتها: بزيادتها P
(١٣) فيحصل: + من كلّ واحد P
(١٤) أنوار مجرّدة عقليّة: نور مجرّد عقليّ P
(١٥) يحصل: تحصل A، + من تلك الإشراقات P
(١٦) العلّيّ: العقليّ AB
(١٧) منها: + منها B

تخلو[١] عن الجهات والمشاركات والمناسبات والمباينات؛ لوجودها في عالم الأجسام. وكلّ ذلك بمشاركة جهة الاستغناء، أو بجهة الفقر[٢]، أو بجهة القهر، أو بجهة المحبّة، وكذلك جهة الاستغناء مع القهر تارةً ومع المحبّة أُخرى، وغير ذلك من التراكيب والاعتبارات التي لا يعلمها[٣] ولا يحيط بها إلّا الحقّ[٤] تعالى وخواصّ ملائكته. فيحصل من كلّ جهة من هذه الجهات بانفرادها وبمشاركة كلّ اثنين منها في جهة من الجهات شيء، وكذا بين كلّ ثلاثة وأربعة فصاعداً شيء، وعلى هذا حكم كلّ جهة من[٥] المناسبات التي بينها.

ويحصل[٦] بمشاركة أشعّة أنوار الجميع ـ لا سيّما الأربعة الضعيفة النازلة[٧] في الجميع[٨] ـ غيرُ ما حصل منها بالاعتبارات المذكورة الثوابتُ وكرتُها. وكذا صور الثوابت[٩] حصلت باعتبار مشاركة أشعّة بعضها مع أشعّة بعض مع اعتبار[١٠] جهة الاستغناء والمحبّة والقهر والمناسبات[١١] العجيبة التي بين[١٢] الأشعّة الكاملة الشديدة.

ويحصل من باقي الأنوار الحاصلة من الأشعّة والمشاهدات وما بينها من المناسبات والمشاركات الأجسامُ الفلكيّة والكوكبيّة والبسائط العنصريّة ومركّباتها، وكلُّ ما تحت كُرة الثوابت من الأجسام المذكورة. فمبدأ كلّ واحد منها[١٣] نور مجرّد من هذه الأنوار، وتسمّى[١٤] أرباب الأصنام[١٥] النوعيّة، وطلسمات البسائط والمركّبات

---

(١) تخلو: يخلو A
(٢) بجهة الفقر: لجهة الفقراء A
(٣) يعلمها: يعرفها P
(٤) الحقّ: البارئ P
(٥) من: مع B
(٦) A152a
(٧) B34b
(٨) الجميع: الجمع A
(٩) الثوابت: + فإنّها P
(١٠) اعتبار: ـ AB
(١١) المناسبات: + الغريبة P
(١٢) بين: من AB
(١٣) منها: ـ AB
(١٤) تسمّى: يسمّى A
(١٥) الأصنام: الأجسام AB

العنصريّة، وهي المسمّاة بالمثُل الأفلاطونيّة.

وصاحب هذه الطريقة[١] لمّا رأى الثوابت وما تحتها من الأجسام ليست مرتّبة[٢] في الكمال والنقص[٣] والشرف والخسّة ـ بحيث يكون كلّ ما[٤] هو أعلى[٥] أشرف وأكمل ممّا هو أسفل، وإلّا لَما كانت الشمس أشرف ممّا[٦] فوقها من الكواكب العِلويّة، بل بينهما[٧] تكافؤ من وجوه ـ لم يجعل علّتها من الأنوار المجرّدة الطوليّة التي هي الأُصول المترتّبة[٨] الغير المتكافئة؛ فإنّ المعلولات المتكافئة يجب أن يكون عللُها لا مَحالة متكافئةً، فجعل عللَها من الطبقة الثانية العرْضيّة، وهي أرباب الأصنام والطلسمات المتكافئة الحاصلة بسبب المشاركات والمناسبات الواقعة بين الأنوار الأصليّة الطوليّة ـ على ما ذكرنا ـ.

ولمّا كان الفلك الأعلى أشرف من جميع الأفلاك[٩] على الإطلاق شوقاً وعشقاً وقوّة وعِظَماً، جعَل علّتَه أشرف العلل، وهو العقل[١٠] الأوّل والنور الأقرب، ويصدر عنه مع ذلك نور مجرّد عقليّ. وذلك لأنّ النور الأقرب له فقر في نفسه، وغناء بالأوّل تعالى، وهو يعقل[١١] غناه بالأوّل ووجوبَه به، وهو هيئة نوريّة، ويعقل فقرَه في نفسه، وهو هيئة ظلمانيّة فيه.

فباعتبار غَنائه بالأوّل تعالى، ووجوبه به[١٢]، ومشاهدة جلاله وعظمته، فيصدر عنه نور مجرّد عقليّ.

---

(١) أي السهرورديّ في: حكمة الإشراق: ١٤٤

(٢) مرتّبة: بمرتبة AB

(٣) النقص: النقصان P

(٤) كلّ ما: كلّما AB

(٥) أعلى: + و AB

(٦) ممّا: من AB

(٧) بينهما: بينما A

(٨) المترتّبة: المرتّبة AB

(٩) الأفلاك: الفلك A، + الذي تحته P

(١٠) B35a

(١١) يعقل: تعقل AB || A152b

(١٢) وهو هيئة نوريّة ... به: ـ AB

و[١] باعتبار مشاهدته للبارئ تعالى ولنفسه، يستغسق ويستظلم[٢] نفسه بالنسبة إلى ذاتـه تعـالى؛ لكون النور الأتمّ يقهر النورَ الأضـعف، فيظهر فقره لـه[٣]. فبـاعتبـار اسـتغسـاقه[٤] واسـتظلامه بالقياس إليه و[٥] ظهورِ فقره له يحصـل منه ظلّ، هو الفلك الأوّل الـذي لا أعظم منـه. فالنور القائم ضـوء منه، والجرم الأعلى ظلّه، وظلّه إنّما هو لظلمة فقره.

ثمّ العـالم المثـاليّ الـذى هو ألطف من العالم الحسّـيّ، يشـتمل على كثرة من الأفلاك والكواكب والعناصـر والمركّبات. فلا بدّ وأن يكون له علل من الأنوار المجرّدة أفضل وأشرف من علل عالم الحسّ، ولم يذكر ذلك، ولا أشار إليه بشيء.

[بيان إقناعيّ للشهرزوريّ في علّة تكوين العالمَين المثاليّ والحسّيّ]

واعلَم أنّ هذا الموضـع أحد المواضـع الصـعبة المشـكلة التي لا يمكن الإنسـان الكامل أن يعرفها على التحقيق في هذا العالم الذي هو عالم الغربة، اللّهمّ إلّا أن يكون بعد المفارقة بالكلّيّة.

والـذي يمكن أن يُقـال من جهـة الإقنـاع الـذوقيّ أنّ[٦] الطبقـة الأُولى الطوليّة من الأنوار[٧] لا يحصـل[٨] عن شـيء منها شـيء من الأجسـام؛ لشدّة نوريّتها[٩]، وضعف الجهـة الظلمـانيّـة. فالأنوار المجرّدة الحاصـلة من هذه الطبقة الطوليّة هي الطبقة[١٠] الثانية العرْضيّة[١١].

---

(١) و: _ AB

(٢) يستغسق ويستظلم: يستضيق وتستظلم A

(٣) له: _ AB

(٤) استغساقه: استنساقه A

(٥) إليه و: إلى AB

(٦) يحصل منه ظلّ ... أنّ: فلك وفي AB

(٧) الأنوار: + المجرّدة P

(٨) يحصل: تحصل A

(٩) نوريّتها: + وقوّة جوهريّتها P

(١٠) هي الطبقة: _ AB

(١١) العرضيّة: الفرضيّة A

و[١] أرباب الأصنام تنقسم[٢]:

ـ إلى ما يحصل من جهة المشاهدات التي من الأنوار المجرّدة من الطبقة الطوليّة[٣].

ـ وإلى ما يحصل من جهة الإشراقات التي لها[٤].

ولمّا كان الأنوار المجرّدة من أرباب الأصنام الحاصلة من جهة المشاهدات العقليّة أشرفَ ممّا يحصل من جهة الإشراقات، وكان عالم المثال الخياليّ أفضلَ من العالم الحسّيّ، وجب أن يكون الأنوار الحاصلة من جهة المشاهدات علّةً للعالم المثاليّ، و[ما][٥] يحصل من جهة الإشراقات علّةً للعالم الحسّيّ، الأشرف للأشرف، والأخسّ للأخسّ، على ما في كلّ واحد منهما من التكافؤ المذكور؛ فإنّ الأفلاك والكواكب والعناصر والمركّبات العنصريّة والنفوس المتعلّقة بها، وبالجملة[٦] فكلّ ما في عالم الحسّ، فمثله موجود في عالم المثال.

ويجب أن يكون لكلّ واحد من قسمَي أرباب الأصنام عقلٌ[٧] هو أعظمها شوقاً وعشقاً ونوراً، هو علّة الفلك الأعلى الذي فيه.

وكما[٨] أنّ الفلك الأعلى المحيط بكلّ واحد من العالمين لا يُدانيه[٩] شيءٌ ممّا تحته من الأجسام ولا يكافئه، بل هو أكمل منه[١٠] وقاهر له، كذلك[١١] حكم العقل الذي هو علّة بالنسبة إلى الأنوار[١٢] العقليّة التي في الطبقة الثانية العرْضيّة.

---

(١) و: + هي AB

(٢) تنقسم: ينقسم A

(٣) التي من ... الطوليّة: العقليّة أشرف ممّا يحصل من جهة الإشراقات AB

(٤) التي لها: ـ AB

(٥) ما: ممّا ABP

(٦) B35b

(٧) عقل: نور عقليّ AB

(٨) وكما: فكما P

(٩) يدانيه: بدائيّة A

(١٠) منه: من الكلّ P

(١١) كذلك: فكذلك P

(١٢) الأنوار: الأُمور AB

فهذا غاية ما يمكن أن يدركه القوى البشريّة المتعلّقة بالقوالب البدنيّة الإنسانيّة[١]. >[٢]

[تحقيق في المثُل الأفلاطونيّة والمثُل المعلّقة]

[٣]< ولنتمّ هذا البحث بذكر المثُل الأفلاطونيّة، والعالِم المثاليّ الذي يسمّى عند أفاضل الحكماء بالمثُل المعلّقة. ولا يكفي في إثباتها مجرّد البرهان، بل يحتاج إلى تلطّف ورياضة[٤]، وحدس صائب، وذوق كشفيّ، واعتبارات عقليّة، وتجرّدات نفسانيّة. ولمّا كانت حكمة المشّائين مقصورةً على البحث الصرف الغير المَشوب بالذوق والكشف والتألّه، لم يتيسّر لهم إثبات المثُل النوريّة، ونسبوا القائلين بها إلى ضعف الحكمة والقصور.

[إثبات المثُل الأفلاطونيّة]

واحتجّ الشيخ الإلهيّ[٥] لأهل الكشف على إثبات المثُل النوريّة بأنّ القوى النباتيّة ـ أعني الغاذية والنامية والمولّدة ـ أعراض؛ لاحتياجها في القيام إلى محلّ يستغني عنها، وهي لا مَحالة أعراض، وهي فرع على المزاج، فهي لا تُحدث[٦] المزاجَ ولا تحفظه[٧].

فالقوّة النامية تأتي بالغذاء[٨] على البدن، تُحدث[٩] فيه عند وروده خللاً يستلزم تحريك الوارد وتحريك[١٠] المورود عليه بإحداث[١١] الخلل[١٢] فيه، فتُحدث حركات متخالفة[١٣].

---

(١) A153a
(٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤١٦/٣ ـ ٤٢٥
(٣) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٤) تلطّف ورياضة: تلطيف ورياضة للنفس P
(٥) المشارع والمطارحات (العلم الثالث): ٤٥٥
(٦) يحدث: يخدم AB
(٧) تحفظه: يحفظه AB
(٨) بالغذاء: + الوارد P
(٩) تحدث: يجذب AB
(١٠) B36a
(١١) بإحداث: بإجلاب AB
(١٢) الخلل: الحلل B
(١٣) متخالفة: إلى جهات مختلفة P

وكذا حكم الغاذية؛ فإنّها تحرّك تحريكات مختلفة؛ لأنّها تسدّ[١] بالغذاء ما[٢] يحلّل منه وتلصقه[٣] بالأجزاء المختلفة بماهيّاتها وجهاتها[٤].

وكذا الكلام في المولّدة، فهذه الأفاعيل المختلفة لا يمكن أن يصدر عن قوّة واحدة بسيطة متشابهة لا شعور لها[٥].

وكذا الأبدان النباتيّة[٦] والحيوانيّة ـعلى[٧] ما فيها من التركيب العجيب، والنظام المتقن الغريب، والهيئات الحسنة، والتخاطيط[٨] المستحسنةـ لا يُتصوّر أن تكون صادرة عن طبيعة قوّةٍ لا إدراك لها ولا ثبات[٩].

وكذا القوّة المصوّرة قوّة بسيطة، فكيف يصدر[١٠] عنها تصوير الأعضاء الكثيرة المختلفة[١١]، وغير ذلك من العجائب التي يشمل عليها كتب التشريح؟

فإذا انضمّ إلى ذلك[١٢] عجائب الصنع التي في كتاب الحيوان والنبات، وتأمّل الفَطِن لذلك حقَّ التأمّل، علِم أنّ هذه الأفاعيل العجيبة المتقنة المتكثّرة[١٣] المختلفة المترتّبة[١٤] المشتملة على الغرائب والعجائب و[١٥] الحِكَم التي لا يقدر البشر على إحصائها ولا[١٦] إحصاء[١٧] منافعها وإدراك كُنه حقائقها، لا يمكن أن تصدر عن قوّة[١٨]

---

(١) تسدّ: يسدّ A
(٢) ما: من AB
(٣) تلصقه: للطفه AB
(٤) بماهيّاتها وجهاتها: بالماهيّة والجهات P
(٥) لها: + ولا تصوّر AB
(٦) النباتيّة: البناتيّة B
(٧) على: مع P
(٨) التخاطيط: التخطيط A
(٩) ثبات: + في النبات والحيوان P
(١٠) يصدر: صدر P
(١١) المختلفة: + الأشكال والهيئات والتخاطيط P
(١٢) إلى ذلك: ذلك إلى P
(١٣) المتقنة المتكثّرة: المتفنّنة الكثيرة P
(١٤) A153b
(١٥) و: من P
(١٦) إحصائها ولا: ـ P
(١٧) أحصى: أخصّ A
(١٨) قوّة: قوىً AB

لا شــعور لهــا ولا إدراك. فلا[١] بدّ أن يكون صــادرة عن قوّة مجرّدة عن المادّة، مدرِكة لـذاتهـا ولغيرها، وهي المدبّرة للأجســام النباتيّة[٢]، وتســمّى[٣] عقلاً، هو من الطبقة العرْضيّة التي هي أرباب الأصنام والطلسمات.

وليســت هي النفوس النـاطقـة؛ لأنّها قد تكون غافلة[٤] عن هذه التدابير المختلفة والأفعال الكثيرة، بل ولا شــعور لها بشــيء من تلك الأفعال العجيبة الكثيرة. فالمدبّر لأبداننا والفاعل فيها هذه الأفاعيل[٥] غير نفوسنا.

فيجـب أن يكون لكـلّ نوع من الأنواع الفلكيّـة والعنصــريّـة ومركّباتها عقل واحد مجرّد[٦] مـدرِك[٧] معتنٍ[٨] في حقّ ذلك النوع، وهو[٩] صــاحب ذلك النوع وربّه. فهو المدبّر لهذه[١٠] التدابير العجيبة، القائمُ[١١] بذاته، الفائضُ بعنصـره على ما هو صـنم له وظلّ. فلكلّ واحد[١٢] صاحب مجرّد[١٣] مدبّر له[١٤]. ولكلّ نوع من أنواع الحيوانات[١٥] مدبّر له، ولها[١٦] نفوس حيوانيّة[١٧]. وللنوع الإنسانيّ صاحب نوعٍ[١٨] هو العقل الفيّاض عليه، وله نفس ناطقة؛ لكمال مزاجه.

ونسبة[١٩] صاحب النوع الإنسانيّ[٢٠] إلى صاحب أنواع المعادن والنبات والحيوان،

---

(١) فلا: بل لا P
(٢) النباتيّة: البناتيّة B
(٣) تسمّى: يسمّى AB
(٤) غافلة: عاقلة AB || B36b
(٥) الأفاعيل: الأفعال P
(٦) مجرّد: + عن المادّة P
(٧) مدرك: مدركه A
(٨) معتنٍ: معيّن AB
(٩) هو: سمّوه P
(١٠) لهذه: بهذه A
(١١) القائم: _ A
(١٢) واحد: نوع من أنواع المركّبات المعدنيّة والنباتيّة P
(١٣) مجرّد: + عن المادّة مدرِك P
(١٤) له: لذلك النوع P
(١٥) الحيوانات: + ربّ نوع P
(١٦) لها: _ AB
(١٧) حيوانيّة: + أيضاً لاستعدادها لذلك P
(١٨) نوع: + مجرّد مدرِك P
(١٩) نسبة: نسبه AB
(٢٠) النوع الإنسانيّ: نوع الإنسان P

كنسبة نوع الإنسان إلى سائر الأنواع. فكما أنّ الإنسان[١] أفضل الأنواع السفليّة وأكملها وأجلّها[٢]، فصاحب نوعه كذلك أفضل أرباب الأنواع السفليّة. ولمّا كان أشرف[٣]، كان وسائطه[٤] أكثر من النفس الناطقة، والقوى البدنيّة، والروح الحيوانيّ.

[الفرق بين ربّ النوع والنفس]

والفرق بين ربّ النوع والنفس ـ مع[٥] أنّ لكلّ منهما[٦] تصرّفاً[٧] فيه ـ أنّ النفس تتألّم وتتضرّر بتضرّر البدن وتألّمه، بخلاف ربّ النوع؛ فإنّه لا يصل إليه ضرر ولا ألم. بل ولا نفع ولا استكمال، بخلاف النفس؛ لأنّ صاحب النوع فيّاض بنفسه[٨]، لا يفتقر إلى الاستكمال بالبدن؛ لأنّ له رتبة الإبداع[٩]، فلا يفتقر إلى التصرّف المؤدّي إلى كمال جوهره بالبدن. >[١٠]

[تصريح أوائل الحكماء المتألّهين بمشاهدة هذه الأنوار المجرّدة]

[١١]< وجميع الأوائل من الحكماء المتألّهين ـ كهرمس، وأغاثاذيمون[١٢]، وأنباذقلس، وفيثاغورس[١٣]، وأفلاطون، وغيرهم من الأوائل ـ يدّعون فيها المشاهدة، ويصرّحون بأنّهم رأوها في عالم النور.

وحكى[١٤] أفلاطون عن نفسه أنّه خلع الظلمات البدنيّة[١٥] وشاهَدها. وكذلك

(١) الإنسان: النوع الإنسيّ P
(٢) وأجلّها: ـ P
(٣) كان أشرف: كان أرباب النوع الإنسيّ أشرف وأعلى من أرباب أنواع النبات والحيوان P
(٤) وسائطه: وسائط P
(٥) مع: و AB
(٦) منهما: + عناية بذلك النوع و P
(٧) تصرّفاً: تصرّف AB
(٨) A154a
(٩) الإبداع: الأبدان AB
(١٠) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٢٦/٣ ـ ٤٣٢
(١١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٢) أغاثاذيمون: أغاذيمون P
(١٣) B37a
(١٤) حكى: حكاه AB
(١٥) البدنيّة: ـ AB

حكمـاء الفُرس والهنـد وغيرهم كلّهم على هذا الرأي. وكلّ من حصـــل له ملَكة خلع البدن والانسـلاخ من الهياكل الإنسيّة، فإنّه لا بدّ أن يشاهد هذه الأنوار المجرّدة ذوات الأصنام، وأكثر إشارات الأنبياء وأساطين الحكمة إلى هذا. >[١]

[شواهد دالّة على وجود أرباب الأنواع]

[٢]< وممّا يوجب اليقينَ بها عند ذوي البصـائر والأحداس[٣] الإلهاماتُ الحاصـلة دفعةً في العلوم والسياسات، وفي الأطفال وعُجم الحيوانات، من[٤] معالجاتِ أمراضها بالحشائش والمياه والأدوية، ومعرفةِ مصالحها، وقصدِ الثَدي عند الولادة[٥]، وتغميض العين[٦] عند قصد الإصبع لها أو[٧] الحديدة، وغير ذلك من الإلهامات والعجائب، كلّ ذلـك إنّما هو لربّ نوع[٨] مُلهِم لذلك النوع[٩] ما يليق به من المصـالح والمنافع، كما قال تعالى: ﴿أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَ هَدى﴾[١٠].

وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا عِنْدَنا خَزائِنُه﴾[١١].

وقوله: ﴿فَالْمُدَبِّراتِ[١٢] أَمْراً﴾[١٣].

وقوله ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ: «إنّ لكلّ شيء ملَكاً، وينزل مع كلّ قطرة من السماء ملَكاً»[١٤].

---

(١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٣٣/٣ ـ ٤٣٤

(٢) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٣) ذوي البصائر والأحداس: المستبصرين من ذوي الأحداس وغلبة الظنّ عند غيرهم P

(٤) من: في P

(٥) الولادة: + والحبّ عند انكسار البيضة P

(٦) تغميض العين: تغميضها للعين P

(٧) أو: و B

(٨) نوع: النوع AB، + حافظ P

(٩) لذلك النوع: ذلك AB

(١٠) القرآن الكريم: ٥٠/٢٠

(١١) القرآن الكريم: ٢١/١٥

(١٢) فالمدبّرات: والمدبّرات AB

(١٣) القرآن الكريم: ٥/٧٩

(١٤) من لا يحضره الفقيه: ٥٢٥/١

وقوله: «ما في السماء موضع قدَمٍ، إلّا وفيها ملَك راكع أو ساجد»[١].

وقال هرمس: «إنّ ذاتاً[٢] روحانيّة ألقَت إليّ المعارفَ والعلوم. فقلتُ لها: مَن أنت؟ فقالت[٣]: أنا طباعك التامّة»[٤].

فهذا الكلام يشير[٥] به إلى ربّ النوع الإنسيّ الذي هو طبعه[٦] التامّ، وربّ[٧] كلّ نوع[٨] هو طبعه التامّ. فافهَم ولا تتوهّم أنّها مثُلنا، بل هي ذوات روحانيّة مجرّدة عن المادّة، تُطابق[٩] المعنى المعقول من ذلك النوع وتُناسبه[١٠].

وقال أفلاطون وأتباعه: إنّ النور المحض هو عالَم العقل.

وكذا كلّ من الحكماء قالوا: إنّ العالَم المجرّد عن الموادّ، الغائبَ عن الحواسّ لشدّة لطفه، هو النور المحض والضياء الصرف. وإنّما لم يدرِكه الحسُّ البصريّ لكثافة البصر وجسمانيّته، فلا يدرك الأنوار، بل إنّما يدرك نوراً أشرق[١١] على جسم؛ للمناسبة التي بين النور الباصر والمبصَر. وإذا لطُف النور الباصر جدّاً كنور النفس الناطقة، غاب عن الحسّ البصريّ[١٢]؛ لشدّة لطفه وكثافة النور البصريّ. فلا يتمكّن النور البصريّ الكثيف الجسمانيّ من إدراك اللطيف الروحانيّ الذي هو النفس؛ لضعفه وعجزه؛ إذاً[١٣] النور الأتمّ يقهر الأضعف.

بلى[١٤]! النور النفسيّ الكامل بعد خراب البدن، أو قبل خرابه إذا حصل ملَكة خلع

(١) عوالي اللئالي: ١٠٧/٤
(٢) ذاتاً: ذواتاً AB
(٣) فقالت: قال AB
(٤) المشارع والمطارحات (العلم الثالث): ٤٦٤
(٥) يشير: تشير A
(٦) طبعه: طبيعة A
(٧) B37b
(٨) A154b
(٩) تطابق: يطابق A
(١٠) تناسبه: يناسبه A، _ P
(١١) أشرق: أشرف AB
(١٢) البصريّ: + و AB
(١٣) إذاً: فإنّ P
(١٤) بلى: بل AB

البدن، فإنّه يدرك الأنوارَ المجرّدة؛ للمناسبة بينها وبين تلك الأنوار حينئذٍ. بل[١] ويدرك أيضاً الحسّ[٢] البصريّ وغيره من الجسمانيّات، إمّا بالآلات الجسمانيّة إذا لم يحصل للنفس[٣] الملَكات الفاضلة[٤]، أو بالإشراق الحضوريّ الروحانيّ كما هو الحال في الكاملين من[٥] إخوان التجريد.

ولقد حكى أفلاطون[٦] عن نفسه أنّه[٧] في بعض الأحوال[٨] يخلع بدنه[٩]، فيصير[١٠] مجرّداً عن ملابس الهيولى، فيرى في ذاته من النور والبهاء والمحاسن العجيبة الأنيقة ما يبقى منه[١١] متعجّباً حائراً. ثمّ يرتقي إلى العلّة الأُولى الإلهيّة المحيطة[١٢] بالكلّ، فيصير كأنّه موضوع فيها، معلّق بها، ويرى النور العظيم في الموضع الشاهق الإلهيّ، فلا يقوى على كُنه إدراكه. ويعجز القوّة البشريّة عن النظر إلى ذلك النور الأعظم الذي لا أشدّ منه، فتهبط إلى علّة الفكرة[١٣]، فيحجب الفكرة عند[١٤] ذلك النور.

وقد ورد في الحديث عنه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ: «إنّ للّه سبعة وسبعين حجاباً ـ وفي رواية: سبعمئة، وفي أُخرى: سبعين ألف حجاب ـ من نور وظلمة، لو كشفها عن وجهه[١٥] لأحرقَت سُبُحاتُ وجهه ما أدرك بصرُه من خلقه[١٦]»[١٧].

---

(١) حينئذٍ بل: _ P
(٢) الحسّ: بالحسّ AB
(٣) للنفس: فلنفس B
(٤) الفاضلة: الفاصلة B
(٥) من: _ AB
(٦) أفلاطون: + الإلهيّ P
(٧) أنّه: + إنّما يصير P
(٨) الأحوال: + بحيث P
(٩) بدنه: البدن P
(١٠) فيصير: ويصير P
(١١) منه: _ B38a || P
(١٢) المحيطة: المحيط A
(١٣) A155a
(١٤) عند: عنه B
(١٥) وجهه: وجهة B
(١٦) خلقه: خلفه A
(١٧) عوالي اللئالي: ١٠٦/٤

وفي القرآن العزيز: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[١].

وفي الحديث: «إنّ العرش من نوري»[٢].

وفي الدعاء: «يا نور النور! احتجبتَ دون خلقك، فلا يدرك نورَك نورٌ. ويا نور النور[٣]! قد استنار بنورك أهل السماوات، واستضاء بنورك أهل الأرض. يا نور كلّ نور! [خامد][٤] لنورك كلّ نور[٥]»[٦].

وفي دعائه ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ: «أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك»[٧].

وأمثال[٨] ذلك كثيرة[٩].

وهذه الشواهد إذا اعتُضدت بالحدس الصحيح، والذَكاء القويّ[١٠]، والرياضات المستمرّة، وصفاء جوهر النفس عن الكدورات، توصّل بها إلى اليقين.

[ترتّب الأنوار المجرّدة في النزول والصعود]

وهذه الأنوار المجرّدة لأرباب[١١] الأنواع مترتّبة في النزول، مثل ترتّب[١٢] أنواع الحيوان والنبات[١٣] والمعادن في النزول. فكلّما[١٤] أمعنَت في النزول قلّ نورها، ونقصت قوّتها، فيصير العقل النازل القريب من النفس كالنفس. وبعض النفوس لشدّة نقصه لا تحتاج في تعلّقه إلى الروح، كالنفوس النباتيّة[١٥] والمعدِنيّة. ومن المعدِنيّة ما

---

(١) القرآن الكريم: ٣٥/٢٤
(٢) البرهان في تفسير القرآن: ١٢٦/٢
(٣) النور: ـ AB
(٤) خامد: حامد P
(٥) خامد لنورك كلّ نور: ـ AB
(٦) مكارم الأخلاق: ٣٤٣
(٧) إرشاد القلوب: ١٥١/١
(٨) أمثال: ـ AB
(٩) كثيرة: كثير AB
(١٠) القويّ: المفرط P
(١١) لأرباب: من أرباب P
(١٢) ترتّب: ترتيب B
(١٣) النبات: البنات B
(١٤) فكلّما: كلّما AB
(١٥) النباتيّة: البناتيّة B || B38b

يقرب من النبـات[١]، كـالمرجان. ومن النبات[٢] ما يقرب إلى الحيوان، كالنخل. ومن الحيوان ما يقرب إلى الإنســان، كالقرد. وكذا الحال في كلّ نوع من أنواع الموجودات، حتّى يصــير بعض العقول قريباً من النفس، ومن النفوس ما يكون كالعقل. فكلّ طبقة مرتبطة بالأُخرى ومتّصلة بها على الترتيب في المبدأ والمعاد.

فأضـعف الأنوار المجرّدة نور الشـمس، ثمّ أقلّ درجات أرباب الأصنام، وهكذا[٣] يترتّب[٤] الأنوار المجرّدة في الصـعود، حتّى ينتهي إلى نور مجرّد هو الغاية في الشـدّة واللمعـان والقوّة، لا أشــدّ من نوريّتـه، ولا أقوى من لمعـانـه، هو نور الأنوار وواجـب الوجود. ونسـبته إلى العقل في شدّة نوريّته كنسبة[٥] نور الشمس في الشدّة إلى الأنوار العرضــيّـة. فهو شـــمس عالم العقل[٦]، كما أنّ هذه شـــمس عالـم الحسّ[٧]. وجميع الأنوار[٨] شرر ولمعة من نوريّته، وشعاع ضعيف من نوره، فلا نور في الحقيقة إلّا نوره، ولا موجود إلّا هو، ﴿لا إِلهَ إِلّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصيرُ﴾[٩].

فلا يتناهى نوريّته شـدّةً وكمالاً، فلا يتسـلّط عليه شـيء بالإحاطة؛ إذ الأضـعف لا يحيط بـالأقوى. فـاحتجـابـه[١٠] لكمـال نوريّته وضـــعف قوانا، لا لخفائه[١١]؛ فإنّه[١٢] أظهر[١٣] من كلّ ظاهر[١٤].

فكمـاله حجابه، ولا يتخصّـــص بحدّ[١٥] يُتوهّم أنّ وراءه غيره[١٦]؛ إذ لو كان كذلك

---

(١) النبات: البنات B
(٢) النبات: البنات B
(٣) A155b
(٤) يترتّب: ترتّب A
(٥) كنسبة: كنسبه B
(٦) العقل: العقليّ A؛ + عالم B
(٧) الحسّ: + والجسم P
(٨) الأنوار: + العرضيّة والجوهريّة P
(٩) القرآن الكريم: ٣/٤٠
(١٠) فاحتجابه: + عنّا P
(١١) لا لخفائه: لإطفائه A
(١٢) فإنّه: فهو P
(١٣) أظهر: أطهر A
(١٤) ظاهر: طاهر A؛ كلّ ظاهر: الشمس P
(١٥) بحدّ: شدّة نوريّته تعالى عند حدّ P
(١٦) غيره: نور P

لزم أن يكون له حدّ وتخصّص[١]، فيستدعي مخصّصاً[٢]، فيكون أشدّ منه، وقاهراً[٣] عليه[٤]، وهو[٥] محال. فهو[٦] القاهر على جميع الأنوار، وقدرته[٧] نوريّته وقهره للأشياء، والفاعليّة من خاصّيّة[٨] النور[٩].

وجميع الأنوار العقليّة المجرّدة فهي[١٠] متناهية[١١] الشدّة[١٢]؛ لأنّ وراءها ما أتمّ منها. وإن عُني بالشدّة كونها صالحةً لأن يحصل منها آثار غير متناهية، فهي غير متناهية الشدّة بهذا المعنى[١٣]. فنور الأنوار وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى.

والنور الأضعف لا يمكنه الاستقلال بأفعاله دون غلبة النور التامّ عليه. فنور الأنوار هو الفاعل المطلق، الغالبُ على كلّ نور، والقاهرُ مع كلّ واسطة[١٤]، والمحصِّل منها فعلَها، والقائمُ على كلّ فيض. فهو[١٥] الخلّاق المطلق مع الواسطة وبدونها، ليس شأن ليس فيه شأنه، فإن[١٦] نسِب إلى غيره الفعلُ[١٧] فإنّما هو على سبيل المجاز. >[١٨]

[المناسبات العقليّة السارية في العقول والأجسام الفلكيّة والعنصريّة]

[١٩]< واعلَم أنّ العقول تنقسم إلى عالية وسافلة، و[٢٠] السافلة متولّدة عن العالية.

---

(١) تخصّص: مخصّص AB

(٢) فيستدعي مخصّصاً: _ AB

(٣) قاهراً: قاهر AB

(٤) عليه: له P

(٥) هو: ذلك P

(٦) فهو: بل هو P

(٧) قدرته: + هو P

(٨) خاصّيّة: خاصّته A

(٩) النور: _ AB

(١٠) فهي: غير AB

(١١) B39a

(١٢) الشدّة: لشدّة A

(١٣) وإن عني ... المعنى: _ AB

(١٤) واسطة: + ومع غيرها P

(١٥) فهو: + على الحقيقة P

(١٦) فإن: فإذا P

(١٧) الفعل: فعلاً AB

(١٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٤١/٣ _ ٤٤٦

(١٩) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٢٠) العقول تنقسم ... و: _ AB

فلكلّ[(١)] قسم منهما مناسبات عقليّة ـ شعاعيّة ومشاهديّة ـ ومشاركات ومناسبات، بسبب[(٢)] أحوال المحبّة والقهر والعزّ والذلّ. وهذه النسب طبقات بحسب طبقات العقول[(٣)]، تحذوا حذوَها، وتبتدئ[(٤)] من الأوّل متسلسلةً في الهبوط[(٥)] إلى الآخر. وإذا كانت العقول منقسمةً إلى أعلى وأدنى، فكذلك[(٦)] النسب منقسمة إلى أعلى وأدنى. و[(٧)] كما أنّ الطبقة العرْضيّة على طبقات، فكذلك النسب[(٨)] تحذوا[(٩)] حذوَها.

فالأفلاك تركّبُها[(١٠)] ومقادير أجرامها ومقادير هذه الأركان[(١١)] ووضع بعضها مع بعض وأبعاد ما بينها، حاصلةٌ من تلك المناسبات العقليّة. وكذلك حركاتها المتّفقة والمختلفة متشبّهةٌ بمناسبات الأُمور القدسيّة. وأشعّة الأنوار العقليّة آتية[(١٢)] على تلك النسبة من لدن العقل الأوّل[(١٣)]، هابطاً نازلاً إلى آخر[(١٤)] المراتب، حتّى يأتي على جميع[(١٥)] تلك النسب[(١٦)]، و[(١٧)] يتمّ الدور الأعظم، ثمّ يستأنف الدور.

فإذا[(١٨)] شرعت في أوّل الدور على استيفاء النسبة[(١٩)]، يكون النسبة[(٢٠)] أقوى وأتمّ؛ لكونها نسبةً[(٢١)] بين العقول[(٢٢)] العالية. وكلّما[(٢٣)] هبطت ضعفت؛ لِكونها بين العقول

---

(١) فلكلّ: وفي كلّ P
(٢) بسبب: سبب B
(٣) العقول: + و P
(٤) تبتدئ: يبتدئ A
(٥) A156a
(٦) إذا كانت العقول ... فكذلك: ـ AB
(٧) و: ـ AB
(٨) النسب: ـ A
(٩) تحذوا: يحذوا AB
(١٠) تركّبها: تركيبها A
(١١) الأركان: + ومولّداتها P
(١٢) آتية: ـ AB
(١٣) الأوّل: + الذي هو مبدأ النسب العقليّة P
(١٤) آخر: أقصى P
(١٥) جميع: جمع A
(١٦) النسب: + والأحوال العقليّة P
(١٧) و: + حينئذٍ P
(١٨) فإذا: وإذا P
(١٩) النسبة: النسب AB
(٢٠) النسبة: ـ AB
(٢١) نسبة: ـ AB
(٢٢) B39b
(٢٣) وكلّما: فكلّما AB

النازلة. وكلّما استوفَت نسبة من هذه النسب العقليّة، أفاضَتها[١] على الأفلاك بواسطة الكواكب الذي هي[٢] كالأعضاء الرئيسة القلبيّة[٣]. وأفاضت الكواكب والأفلاك تلك النسبة على البسائط العنصريّة والمركّبات الثلاث[٤] والإنسان بحسب[٥] أحوالها. وقبلَت[٦] هذه الأشياءُ ما يقتضيه[٧] تلك النسبة بحسب[٨] استعدادها.

ولهذا يكون الأعمار في أوّل الدور أطول من الأعمار التي تكون في آخره[٩]؛ لقوّة النسبة في أوّله[١٠]، وضعفها في آخره[١١]. وكذلك حال العلوم والسياسات والصنائع والأفكار والتخيّلات.

وبالجملة كلّ ما[١٢] يحدث في هذا العالم من الآثار والأحوال ـ كالسعادات والشقاوات، والخير والشرّ، وغير ذلك من آثار الكواكب والأفلاك ـ فهي من آثار العقول ونِسبها وأحوالها. و[١٣] وقوعُها بسبب فيضها على الكواكب والأفلاك عند قبولها لتلك النسب[١٤] بواسطة الحركات المستعدّة لفيضان تلك النسب[١٥]. ثمّ يفيض الأفلاك والكواكب تلك النسب على المستعدّات العنصريّة[١٦] ـ بسائطها ومركّباتها ـ بسبب الحركات الموجبة للاستعداد لقبول تلك النسبة. فبسبب البروز إلى عالم الحسّ وتجسُّمها وتكثُّفها[١٧] تصير تلك النسبة متجسّمة في عالم الحسّ بحسب مقتضاها.

---

(١) أفاضتها: وإفاضتها AB
(٢) هي: هو AB
(٣) القلبيّة: الفلكيّة AB
(٤) الثلاث: من المعادن والنبات والحيوان P
(٥) بحسب: بسبب AB
(٦) قبلت: قلبت B
(٧) ما يقتضيه: مقتضى P
(٨) بحسب: + قبولها و P
(٩) آخره: الأخير P
(١٠) أوّله: الأوّل P
(١١) آخره: الأخير P
(١٢) كلّ ما: كلّما AB
(١٣) و: ـ AB
(١٤) النسب: النسبة P
(١٥) النسب: النسبة P
(١٦) A156b
(١٧) تكثّفها: تكيّفها AB

فإذا تمّت الأفلاكُ والكواكب استيفاءَ المناسبات العقليّة، وأفاض الشمسُ والقمر[١] وسـائر الكواكب[٢] ما في طبائعها[٣] وطبائع البروج وقوى الأفلاك، ونفد ما[٤] في البروج والأفلاك من الروح والريحان والسرور والشرور، و[٥] استوفت إفاضة[٦] المناسبات العقليّة، كانت القيامة الكبرى.

فالأفلاك خزائن اللّه[٧] الجسمانيّة، و[٨] العقول خزائنه[٩] الروحانيّة، وهي غير نافذة أزلاً وأبداً. وهي واصلة إلى الأرض على سبيل التدريج، فلا يصل إلى العالم العنصريّ إلّا بواسطة الحركات الفلكيّة وتبدُّل أوضاعها. فبحسب كلّ وضع يخرج مناسبةٌ مناسبةٌ[١٠] على الترتيب النازل من العِلو إلى السفل. وكما أنّ الأوضاع لا تأتي دفعةً، كذلك المناسبات. وكلّ أثر في عالمنا فهو واحد من[١١] المناسبات المتكثّرة[١٢]. قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[١٣]. >[١٤]

[إحاطة طبقات العوالم بعضها ببعض]

[١٥]< ولمّا كانت الأجسام[١٦] بعضها مُحاطاً[١٧] ومشتملاً عليه، كالأرض التي هي

---

(١) B40a
(٢) الكواكب: + على A
(٣) طبائعها: طباعها AB
(٤) نفد ما: تقدّماً AB
(٥) و: _ AB
(٦) إفاضة: أفاضت AB
(٧) اللّه: _ AB
(٨) و: _ B
(٩) خزائنه: خزائن AB
(١٠) مناسبة مناسبة: مناسبه مناسبه AB
(١١) واحد من: من أحد AB
(١٢) المتكثّرة: + سواء كانت حركة أو سكوناً P
(١٣) القرآن الكريم: ٢١/١٥
(١٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٤٧/٣ _ ٤٤٩
(١٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٦) الأجسام: + الحسّيّة من الأفلاك والكواكب والعناصر P
(١٧) محاطاً: محيطاً P

المركز، كانت أكثفَ الأجسام وأغلظَها وأظلمَها. وتحيط بها[١] الماء الذي هي ألطف منها إحاطةً غير تامّة. والهواء محيط بالماء ـوهو ألطف منهـ إحاطةً تامّة. ويحيط به النار إحاطةً تامّة، وهي ألطف منه[٢]. ويحيط بها[٣] أفلاك[٤] القمر، وهي ألطف منه بكثير. وكذا الأفلاك بعضها ببعض، الأعلى بالأدنى[٥] على نسبة اللطف والتعلّق؛ لكون الأعلى ألطف وأشفّ[٦] وأقرب إلى الروحانيّة، حتّى ينتهي[٧] إلى فلك الأفلاك[٨] ومحدّد الجهات، الذي هو[٩] منتهى الإشارات الحسّيّة، المحيط بجميع الأجسام، وهو ألطفها وأصفاها وأشفّها والطافي فوقها[١٠] بجملتها[١١].

وله طرفان:

ـ جسمانيّ، محيط بجميع الأجسام، يماسّ[١٢] سطحُه الأدنى السطحَ الأعلى من فلك[١٣] الثوابت.

ـ وروحانيّ، بسبب شدّة لطافته وشفيفه القريبة من لطافة النفس الناطقة.

ولذلك استغنى عن المكان والزمان والجهات، بل هو علّة الأمكنة بسبب ذاته، وعلّة الزمان بسبب صفاته.

وإذا فهمتَ هذا في الأجسام، ففهَم مثلَه في الأنوار العرضيّة التي لهذه الأجسام؛ فإنّها يحيط[١٤] بعضها ببعض، الأقوى والأشدّ نوراً بالأضعف والأنقص نوراً. فأضعف

---

(١) بها: ـ A
(٢) ويحيط به النار ... منه: ـ P
(٣) بها: بالهواء P
(٤) أفلاك: الأفلاك A
(٥) الأعلى بالأدنى: الأعلى فالأعلى بالأدنى فالأدنى AB
(٦) أشفّ: + وأصفى من الأسفل P
(٧) ينتهي: تنتهي A، + ترتيب الأجسام P
(٨) B40b
(٩) هو: ـ A
(١٠) A157a
(١١) بجملتها: كلّها P
(١٢) يماسّ: مماسّ B
(١٣) فلك: ـ P
(١٤) يحيط: محيط A

الكواكـب نوراً يحيط[١] بـالأجســـام. ثمّ يحيط[٢] الأقوى بـالأقوى نوراً من الثوابـت والسـيّارات، حتّى ينتهي الأمر[٣] إلى أقوى الثوابت نوراً، كسـهيل والشِعرى والدَبَران[٤] وغيرها. ثمّ[٥] من السيّارات، حتّى ينتهي[٦] إلى المشتري والزهرة والقمر، ثمّ الشمس، و[٧] هو النيّر الأعظم، نورُ اللّـه[٨] الأكرم، المحيطُ بجميع الأنوار[٩]، الطـامسُ لهـا، كإحاطة الحقّ الأوّل بجميع أنواع المجرّدات العقليّة.

و[١٠] نسبة إحاطة الفلك الأعلى بالأجسام وقهرِه لها ولطفِه وصفائِه[١١] وشدّةِ شفيفه وروحانيّته، كنسـبة إحاطة نور الشـمس ولطافتِه وشـدّة نوره وروحانيّته إلى باقي الأنوار العرضـيّة. فيكون الشـمس أقرب إلى الروحانيّة من سـائر الأنوار والأجسـام؛ لإحاطته ونفوذه في سائرها[١٢]، إلّا مقدار مخروط ظلّ الأرض.

وكذلك الأنوار المجرّدة[١٣]، فإنّك تجد[١٤] النورَ الأشدّ منها محيطاً بالأضعف، إلى أن ينتهي الأمر[١٥] إلى النفوس، و[١٦] إلى النفس الكلّيّـة التي هي أشـدّ عـالم النفس نوراً[١٧] وصفاءً ولطافةً.

ثمّ يحيط[١٨] العقل الأشدّ نوراً بالأضعف نوراً[١٩] على الترتيب، حتّى ينتهي الأمر[٢٠]

---

(١) يحيط: محيط A
(٢) يحيط: محيط A
(٣) الأمر: ـ AB
(٤) الدبران: الديدان A
(٥) ثمّ: ـ AB
(٦) حتّى ينتهي: ـ P
(٧) و: ـ AB
(٨) نور اللّه: نورانيّة P
(٩) المحيط بجميع الأنوار: ـ AB
(١٠) و: + تكون P
(١١) صفائه: صفاته A
(١٢) سائرها: سائر الأجسام P || B41a
(١٣) الأنوار المجرّدة: المجرّدات العقليّة من النفوس والعقول والبارئ تعالى P
(١٤) فإنّك تجد: ـ AB
(١٥) الأمر: ـ AB
(١٦) و: ـ P
(١٧) نوراً: + وشفيفاً P
(١٨) يحيط: محيط A
(١٩) نوراً: ـ AB
(٢٠) الأمر: ـ AB

إلى العقل الأوّل، المحيطِ بجميع النفوس والأجسام وأنوارها. ونورُ المُبدع الأوّل محيط بـالعقـل وبجميع العقول و[١] النفوس والعوالم المثـاليّـة التي[٢] حكمُهـا حكمُ عـالم الأجســام من وجـه، والروحـانيّـات من آخر. وكـذا يحيط[٣] بـالعوالم الجســمـانيّـة وأنوارها[٤]. فهو تعالى قاهرٌ لكلّها[٥]، نافذ فيها نفوذَ الشــمس في الأجســام الشــفّافة اللطيفة، وقهره لها كقهر النور الشمسيّ لسائر الأنوار العرضيّة.

فلمّا عرفتَ أنّ العوالم ـ من العقول والنفوس والأجســام، على اختلافها في اللطافة[٦] والكثافة، والجسـميّة الحسّـيّة والمثاليّة، والنفسيّة والعقليّة واللاهوتيّة ـ محيطة بعضها ببعض، الأعلى بالأدنى، والأشـدّ بالأضعف، والألطف بالأكثف، على الترتيب المذكور، كان المجموع عالَماً واحداً مركّباً من أعضـاء وآلات وهيئات كثيرة، مشتملاً على قوىً روحـانيّـة[٧] لا تتنـاهى[٨]، يبتدئ من العلّة الأُولى[٩]، وهو النور المحض القاهر لجميع الموجودات، وينتهي[١٠] إلى مقابله في[١١] الكثافة والظلمة والغِلَظ، وهو[١٢] الأرض.

فـالأقرب[١٣] إلى الحقّ تعـالى ألطفُ وأصــفى وأطفى وأنفـذ[١٤] في ســائر العوالم الباقية[١٥]، وغائب[١٦] عن الحسّ. وكلّما قرُب من الأرض كثف وغلظ ورســب، فظهر[١٧] للحسّ.

---

(١) العقول و: ـ AB
(٢) التي: ـ AB
(٣) يحيط: محيط A
(٤) أنوارها: + العرضيّة A || A157b
(٥) لكلّها: لها P
(٦) في اللطافة: باللطافة P
(٧) روحانيّة: من الروحانيّات P
(٨) تتناهى يبتدئ: يتناهى تبتدئ AB
(٩) الأُولى: + الذي هو أشدّها لطفاً وصفاءً P
(١٠) وينتهي: ـ AB
(١١) في: من P
(١٢) هو: هي P
(١٣) فالأقرب: وكلّما قرب الشيء P
(١٤) ألطف وأصــفى وأطفى وأنفـذ: لطف وصفا وطفا ونفذ P
(١٥) العوالم الباقية: الأجسام AB
(١٦) غائب: غاب P
(١٧) فظهر: وظهر P

[إحاطة الأفلاك الروحانيّة بالفلك الأعلى]

وسطح الفلك الأعلى[١] ليس مماسّاً للعدم، ولا نقول[٢]: «إنّ وراءه لا خلأ ولا ملأ»، حتّى[٣] يكون وراءه عدم محض؛ فإنّ الوجوديّ لا يجاور العدميّ ولا يماسّه، بل وراءه فلك روحانيّ مثاليّ قائم بذاته، لا في مكان ولا زمان. وهو وإن كان[٤] محيطاً به إحاطة روحانيّة، فهو نافذ[٥] في جميع الأجسام والمجرّدات وسارٍ فيها[٦].

ثمّ يحيط[٧] بذلك الفلك الروحانيّ أفلاكٌ أُخرى روحانيّة، حاصلةٌ بالإبداع، وهي[٨] طبقات كثيرة لا تتناهى[٩] إلّا من جهة العلّة الأُولى. >[١٠]

[نفوذ كلّ مجرّد في ما دونه ومشاهدته لما فوقه]

[١١]< وكلّ واحد من المجرّدات[١٢] ينفذ في ما دونه، ويشاهده، ويشاهد ما فوقه، إلّا أنّه لا يحيط بها إحاطة تامّة. وهذا حكم عامّ[١٣] في جميعها[١٤]. فالعقل الأوّل مع شدّة نوريّته لا يتمكّن من مشاهدة الحقّ[١٥] على سبيل الإحاطة، والنور الناقص أُنموذج ومثال للتامّ. فافهَم هذه اللطائف؛ لتكون حكيماً[١٦]. فمن لم يتيسّر له معرفتها، فهو بعيد عن الحكمة. >[١٧]

---

(١) B41b
(٢) ولا نقول: كما يقال P
(٣) حتّى: ليلزم من ذلك أن P
(٤) وهو وإن كان: ـ AB
(٥) فهو نافذ: نافذاً AB
(٦) فيها: +على ما هو الحال في الأُمور الروحانيّة P
(٧) يحيط: محيط A
(٨) وهي: ـ AB
(٩) تتناهى: يتناهى AB
(١٠) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٤٥١ ـ ٤٥٤
(١١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٢) المجرّدات: + النوريّة P
(١٣) حكم عامّ: الحكم مستمرّ P
(١٤) جميعها: جميع الأنوار العقليّة والنفسيّة والجسمانيّة العرضيّة P
(١٥) الحقّ: البارئ تعالى P
(١٦) حكيماً: حكماً A
(١٧) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٤٥٥

[سبب كثافة الأرض]

[١]< وفي كثافة الأرض حكمة عظيمة؛ لتكون[٢] مســتقرّاً للمركّبات العنصــريّة. ولو لاه[٣] لَما قبلَت الفيضَ الجرميّ[٤] والعقليّ وحفظَتهما[٥] مدّة.

[ارتباط كلّ عالم بالعالم الذي يليه]

فـالعوالم[٦] منظومـة مترتّبـة، وكلّ عالـم مرتبط[٧] بالعالـم الذي يليه. ابتدأ من عالم العقـل، الذي أوّله العلّة الأُولى، وآخره العقل الأخير، القريب جوهره من جوهر النفس الكلّيّة[٨]. ثمّ آخر مرتبة النفوس يتّصل[٩] بأوّل مرتبة عالم المثال والأشباح. وآخر مرتبة عالم المثال يتّصل بأوّل عالم الأجسام، إلى الأرض.

فهذه بحوث شريفة نفيسة، فاحتفِظ[١٠] بها، وتفطَّن لها؛ فإنّها لبّ الحكمة. >[١١]

[سبب الحاجة إلى إثبات العالم المثاليّ]

[١٢]< تكميل في تحقيق العالم المثاليّ: اعلَم أنّ الصفة الخياليّة التي تدركها[١٣] في اليقظة أو تراها في النوم، ليســت[١٤] في الدماغ، ولا في[١٥] شيء[١٦] من أجزائه، ولا في عـالم الحسّ، ولا[١٧] عدماً محضــاً. وإذا لم يكن كذلك، تعيّن أن يكون لا مَحالة في

---

(١) بـداية العبـارات المنقولة من: رســائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) لتكون: ليكون A

(٣) A158a

(٤) الجرميّ: الجزئيّ A

(٥) حفظتهما: حفظهما AB

(٦) فالعوالم: + بأسرها P

(٧) مرتبط: يرتبط B

(٨) ابتدأ من عالم ... الكلّيّة: ـ AB

(٩) يتّصل: تتّصل A

(١٠) فاحتفظ: فاحفظ A

(١١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٥٦/٣

(١٢) بـداية العبارات المنقولة من: رســائل الشجرة الإلهيّة.

(١٣) تدركها: يدركها A، يتخيّلها الإنسان P

(١٤) ليست: ليس شيء منها P

(١٥) B42a

(١٦) شيء: جزء P

(١٧) لا: ليست P

عـالم آخر، يســمّى بالعالـم المثاليّ والخياليّ، وهو فوق عالم الحسّ والمكان، ودون عالم العقل، فهو متوسّط بينهما[١].

وجميع مبـاحـث[٢] العلم الرياضــيّ ـ من الأشــكال، والمقادير، والأجســام[٣]، والســطوح، والخطوط، والنقط ـ موجود في هـذا العالم الأوســط. ولهذا تســمّى[٤] بالحكمة الوُسطى والعلم الأوسط.

وكذلك صـور المرايا ليســت فيها[٥]، ولا في الهواء، ولا في البصـر، وليســت بعدم محض[٦]، فهي في هذا العالم المثاليّ.

وكذلك جميع ما يُرى في المنام ـ من الجبال، والبحار، والأرَضــين، والأصــوات، والأشخاص ـ كلّها مثُل قائمة لا في مكانٍ ومحلٍّ[٧]. >[٨]

[أوصاف للعالم المثاليّ]

[٩]< فالعالم المثاليّ عالم عظيم شـديد الفسـحة، لا ضيق فيه؛ لأنّ الضيق إنّما هو بـاعتبار[١٠] الأمكنة والأبعاد الهيولويّة[١١]، والصــور فيه قائمة بذاتها، لا تحتاج[١٢] إلى مادّة. فلا مكان، فلا تزاحُم.

وأصـلُ هذا العالم[١٣] الحاصـل[١٤] من المبادئ العقليّة ـ من الأفلاك، والكواكب،

---

(١) بينهما: بين هذين العالمين P
(٢) مباحث: ما يتخيّله أرباب P
(٣) الأجســام: + وما يتعلّق بها من الحركات والسكنات والأوضاع والهيئات P
(٤) تسمّى: سمّاه الحكماء P
(٥) فيها: في المرايا P
(٦) لا عدماً محضاً: لا عدم محض AB
(٧) لا في مكان ومحلّ: _ AB
(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٥٧/٣ _ ٤٥٨
(٩) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رســائل الشجرة الإلهيّة.
(١٠) باعتبار: في P
(١١) الهيولويّة: الهوائيّة AB
(١٢) تحتاج: يحتاج AB
(١٣) العالم: + المثاليّ المُبدَع P
(١٤) الحاصل: حاصل AB

ونفوسها، والعناصر، ومركّباتها، والإنسان ـ متناهٍ، وهو يحذو[1] حذوَ العالم الحسّيّ. فكما أنّ العالم الحسّيّ أفلاكه وكواكبه دائماً في الحركة، والعناصر والمركّبات دائماً في قبول الآثار[2]، فكذلك العالم المثاليّ أفلاكه وكواكبه دائماً في الحركة، والأشباح العنصريّة دائماً تقبل[3] آثار[4] الحركات المثاليّة وإشراقات[5] العوالم العقليّة[6]. فلا يتناهى أشخاص العالم المثاليّ بحصول[7] الأشخاص الغير المتناهية، وإن كانت طبقاته متناهية.

ولكلّ واحد من العقول أشباح كثيرة على صور أشياء[8] مختلفة[9]، وهي المظاهر التي يظهرون بها في هذا العالم بحسب وجود العلل المقتضية لظهورهم. >[10]

[عدم جريان أحكام عالم الحسّ في عالم المثال]

[11]< وجميع ما في عالم العقل والمثال لا ضدّيّة بينها[12]، ولا تنافي[13]، ولا تمانُع، ولا تزاحُم على محلّ[14] أو مكان؛ إذ ليس في عالم العقل والمثال موضوع ولا مادّة، والصور الشبحيّة في غاية اللطف. فإذا رأيناها في نوم أو يقظة أنّها تنتقل[15] من حالٍ

---

(١) يحذو: بحذر A
(٢) الآثار: + الاستعداديّة من الأفلاك والنفوس من الأملاك إلى غير النهاية P
(٣) تقبل: يقبل A، + من P
(٤) آثار: + تلك P
(٥) إشراقات: الإشراقات A || A158b
(٦) العوالم العقليّة: العلوم AB
(٧) بحصول: محصول A، لحصول P || B42b
(٨) أشياء: شتّى A، شيء B
(٩) مختلفة: + بحسب شرف العقل وفضيلته للأشرف أشرف وللأخسّ أخسّ P
(١٠) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٦٠/٣ ـ ٤٦٢
(١١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٢) بينها: بينهما AB
(١٣) تنافي: ينافي بعضها بعضاً P
(١٤) محلّ: محالّ A
(١٥) تنتقل: ينتقل AB

إلى حالٍ، ومن شكلٍ إلى شكلٍ، فيجوز أن يكون هذا الانتقال والشكل جائزاً[١] عليها للطافتها[٢]. وأن تكون[٣] غير منتقلة ولا متغيّرة، بل يتخيّل ذلك[٤]، بل تغيب[٥] عن المشاهدة صورةٌ وتحضر[٦] أُخرى.

ولهذا يظهر الشيء في صور، ثمّ يتغيّر[٧] إلى [أُخرى][٨] كالبرق الخاطف، فيتوهّم الانقلاب، وليس كذلك؛ لاستحالة انقلاب الحقائق. ويظهر الأمثلة للنائم بحسب أوصافه وأخلاقه، تُفاض[٩] عليه بحسب الاستعداد. فإذا أفاضتها[١٠]، ثمّ رجعَت[١١] إلى المظهر الحسّيّ، بقيت[١٢] المظاهر المثاليّة باقيةً ثابتةً في العالم المثاليّ، أو[١٣] يكون بعض البرازخ[١٤] مظهراً لها. >[١٥]

[طبقات عالم المثال]

[١٦]< وكلّ طبقة من طبقات هذا العالم فيها أشخاص غير متناهية من سائر الأنواع التي في عالمنا[١٧]. وهذه الطبقات[١٨] بعضها نوريّة مُلذّة فاضلة شريفة[١٩]، هي طبقات الجنان، التي يلتذّ بها أهل التوسّط[٢٠] من أهل الجنّة. وهي[٢١] متفاوتة في الشرف

---

(١) الشكل جائزاً: للشكل AB
(٢) للطافتها: في ذاتها للطفها P
(٣) تكون: يكون AB
(٤) ذلك: + وليس كذا في نفس الأمر P
(٥) تغيب: يغيب AB
(٦) صورة وتحضر: وتحضر صورة P
(٧) صور ثمّ يتغيّر: صورهم بتغيّر A
(٨) أُخرى: _ AB
(٩) تفاض: يفاض AB
(١٠) أفاضتها: + جديدة P
(١١) رجعت: + النفس P
(١٢) بقيت: تغيب P
(١٣) أو: و AB
(١٤) البرازخ: + العلويّة الفلكيّة P
(١٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٦٣/٣ _ ٤٦٤
(١٦) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٧) عالمنا: + هذا P
(١٨) وهذه الطبقات: _ AB
(١٩) شريفة: + و P
(٢٠) أهل التوسّط: المتوسّطون P
(٢١) هي: هذه الطبقات P

والفضل على حسب تفاضلهم. وبعضها مُظلِمة مُؤلمة[١] هي طبقات الجحيم التي هي لأهل[٢] النار، [و][٣] متفاوتة أيضاً في الشدّة والظلمة والوحشة.

والفاضلة من طبقاته مُتاخمة[٤] لعالم العقل، فهي في[٥] أُفقه. والسافلة المُظلِمة من آخر طبقاته مُتاخمة[٦] لعالم الحسّ، فهي في[٧] أُفقه. وباقي الطبقات الكثيرة محصورة بينهما. وكلّ طبقة منها يسكنها قوم من الملائكة والجنّ والشياطين[٨]، لا يتناهى[٩] عددهم.

فإذا ارتقيتَ في السلوك إلى هذه الطبقات، فكلّما وصلتَ[١٠] إلى طبقة أعلى وجدتَها[١١] ألطف، وأكثر نورانيّةً[١٢] وروحانيّةً، وأحسن صوراً، وأعظم لذّةً ممّا تحتها. والمقيم فيها لذّاتُه[١٣] أتمّ وأكمل من لذّات[١٤] المقيم في الطبقة التي[١٥] دونها.

[ذكر بعض عجائب من عالم المثال]

وهذا العالم لا يتناهى عجائبه، ولا يُدرَك غرائبه في[١٦] العالم الظلمانيّ، ولا يحيط بحقائقه ـعلى ما هو عليهـ إلّا المبدأ الأوّل تعالى[١٧].

والخيال حصّة من عالم المثال، يجري[١٨] فيه مجرى الجدول من النهر العظيم؛

---

(١) B43a
(٢) هي لأهل: يتألّم بها أهل P
(٣) و: ـ AB
(٤) متاخمة: المتاخمة AB
(٥) في: ـ AB
(٦) متاخمة: المتاخمة AB
(٧) في: ـ AB
(٨) A159a
(٩) لا يتناهى: غير متناهٍ P
(١٠) وصلت: قصدت AB
(١١) وجدتها: وحدتها B
(١٢) نورانيّة: نوريّة P
(١٣) لذّاته: ـ AB
(١٤) لذّات: ـ AB
(١٥) التي: + هي P
(١٦) في: + هذا P
(١٧) تعالى: + والمبادئ العقليّة P
(١٨) يجري: تجري AB

لأنّ عالم المثال لا يُدرَك طبقاته لكثرتها، ولا يُدرَك من عجائبه وعجائب أشخاصه إلّا القليل. فلا جرمَ كان الخيال جدولاً صغيراً من عالم المثال الكبير[١].

وقد ذكروا من جملة فروع هذا العالم أنّ فيه من الأشجار الهائلة[٢] من كلّ نوع من الأنواع، وأنواع أُخرى لا توجد عندنا، يظلّ الشجرة الواحدة منها أهل الأرض. وفيها من الثمار الطيّبة والفواكه الجمّة[٣] والطعوم والروائح والأطعمة المُلذّة والأشربة الحُلوة وغيرها. وأنهار منها تجري على وجه الأرض، كدجلة، والفرات، والنيل[٤]، وسيحون، وجيحون، ومنها أنهار صغار وكبار. وفي الأحواض الكثيرة والأواني من الجواهر النفيسة والقصور العظيمة المُتقنة البُنيان[٥] والمرافق[٦] من سائر الجواهر النفيسة والبساتين المزيّنة[٧] والأنهار المطّردة والأطيار المغرّدة[٨]، والحور والولدان الحسنة الجميلة ساكنون في تلك القصور والبساتين، حتّى أنّه ليكون البستان والقصر له من الكبَر حدٌّ ما[٩] يمشي فيه الراكب المُجدّ في طوله وعرضه سنين. وهذه هي طبقات نفس الجنان، يلتذّ بها السُعَداء من[١٠] المتوسّطين.

وفي الجملة[١١]، لا يتمكّن الكاملون من البشر من شرح عجائب هذا العالم وغرائبِ ما فيه من النعيم المقيم والعذاب الأليم، من النيران العظيمة المُحرقة، والأهوال الهائلة، والحيوانات القبيحة المؤذية ـ من الحيّات والعقارب والأفاعي[١٢]، الواحدة كالجبل العظيم والليل البهيم ـ، والأودية المُظلِمة، والجبال المُثلجة الباردة،

---

(١) الكبير: الكثير B
(٢) الهائلة: + الغير المتناهية P
(٣) الجمّة: الحسنة P
(٤) B43b
(٥) البنيان: البينان B
(٦) المرافق: المرافقة A
(٧) المزيّنة: المرتّبة P
(٨) المغرّدة: المفردة A
(٩) ما: ـ P
(١٠) من: و AB
(١١) في الجملة: بالجملة AB
(١٢) A159b

وغير ذلك من الأشياء المؤلمة للأشقياء من أهل النيران.

وما أحسن[١] ما وصَف ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ الجنّةَ التي هي أحد طبقات عالم المثال النيّرة بقوله[٢]: «فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[٣]، وفيه كفاية للذكيّ الفَطِن.

وكذلك وصَف النار بمثل ما ذكرناه[٤].

ولو شرَعنا في تفصيل بعض أحوال هذا العالم العظيم، لَسوّدنا[٥] فيه الأوراق الكثيرة الطويلة[٦]، ولم نأتِ على بعضٍ بعضٍ يسيرٍ[٧] منه. فالحقّ تعالى[٨] ما أبدع من المُبدَعات وخلَق من المخلوقات أعظمُ وأكملُ من أن يدركها عقولُ البشر.

[كيفيّة إدراك الأشباح المثاليّة]

واعلَم أنّ القوى الإنسانيّة لا[٩] تدرك هذه الأشباح المثاليّة إلّا بمظاهر. فيجوز أن يكون لها مظاهر[١٠] من هذا العالم تظهر[١١] في بعض الأحيان؛ لِصقالة[١٢] تحصل في الهواء، أو[١٣] في شيء آخر من أجزاء الأرض، أو في الماء.

ولهذا قال الشيخ الإلهيّ[١٤]: إنّها ربّما تنتقل[١٥] في مظاهرها[١٦] من مظهر إلى آخر. ومنها يحصل[١٧] ضرب من الجنّ والشياطين، وقد شاهدهم في زمانه جماعة

---

(١) أحسن: + و A
(٢) بقوله: لقوله A
(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢٩٥/١، ١٧/٤
(٤) بمثل ما ذكرناه: بقريب ممّا ذكرنا P
(٥) لسوّدنا: يسوّدنا A
(٦) الأوراق الكثيرة الطويلة: مجلّدات كثيرة P
(٧) بعض بعض يسير: عُشر عُشره P ‖ B44a
(٨) فالحقّ تعالى: فالبارئ تعالى و P
(٩) لا: ـ A
(١٠) مظاهر: مظهر P
(١١) تظهر: تطهر B
(١٢) لصقالة: + و A، كصقالة P
(١٣) أو: و B
(١٤) حكمة الإشراق: ٢٣١
(١٥) تنتقل: ينتقل AB
(١٦) مظاهرها: مظاهره P
(١٧) يحصل: ـ AB

عظيمة في بلاد[١] دربند وأهل ميانج، وشـــهدوا أنّهم[٢] رأوا الصـــور الكثيرة. فكانوا[٣] يرونهم في مجمع عظيم مراراً كثيرة، يظهرون لهم[٤]، إلّا[٥] أنّه[٦] لا يصـــل إليهم أيدي الناس، ولا شيء من جوارحهم[٧].

وكذلك أهل الرياضـات والمجاهدات والخلوات، يشـاهدون أحياناً أجساماً[٨] غير ملموسة، ليس مظهرها[٩] الحسّ المشترك، بل تكاد تتدرّع[١٠] بجميع البدن[١١].

[كلام السهرورديّ في كيفيّة ارتقاء النفوس إلى العلّة الأُولى]

ثمّ قال: وليَ في نفسي تجارب صحيحة، تدلّ على أنّ العوالم أربعة:

ـ أنوار مجرّدة عقليّة.

ـ وأنوار مدبّرة.

ـ والعالم الحسّيّ بأفلاكه وكواكبه وعناصره.

ـ والعالم المثاليّ الذي فيه الصـور المعلّقة[١٢] المستنيرة والمُظلِمة[١٣]. في الأُولى النعيم للسعداء، وفي الثانية العذاب للأشقياء.

وكلّ[١٤] حيوان وإنسان في ذلك العالم[١٥]، فله نفس[١٦] متعلّقة به مدبّرة[١٧]. وبعض

---

(١) في بلاد: من أهل P
(٢) أنّهم: أنّه A
(٣) فكانوا: وكانوا B
(٤) لهم: + في كلّ وقت P
(٥) إلّا: ولا A
(٦) أنّه: أنّهم AB
(٧) جوارحهم: + ~~جهنّم~~ A
(٨) أجساماً: + مثاليّة P
(٩) مظهرها: مظاهرها P
(١٠) تتدرّع: يتدرّع AB
(١١) البدن: + وتقاوم البدن وتصارع الناس P
(١٢) المعلّقة: المعلّى A
(١٣) المظلمة: الظلمانيّة P
(١٤) وكلّ: فكلّ B
(١٥) ذلك العالم: عالم المثال P
(١٦) A160a
(١٧) مدبّرة: تعلّق نفوسنا بأبداننا P

تلك النفوس من النفوس التي انقطعت علاقتها من أبدان هذا العالم، فتعلّقت[١] بأبدان ذلك العالم. فإذا[٢] كانت الملَكات التي لها فاضــلةً وأخلاقها حميدةً، تعلّقت بالأبدان البشريّة في أعلى الطبقات. وإن كان الأمر بالعكس، تعلّقت بحسب ما يغلب عليها[٣] من أبدان[٤] الحيوانات العجم المنتكسـة في أسفل الطبقات. فإذا انقطعت علاقتها من ذلـك العالم، تتجرّد[٥] بالكلّيّة، وتتعلّق[٦] بعالم العقل المحض، أو تتعلّق[٧] بأبدان في طبقة أعلى[٨]. وهكذا ترتقي[٩] من طبقة إلى طبقة بعد أن تمكث[١٠] في كلّ طبقة زماناً طويلاً أو قصـيراً، بحسـب ما فيها من الهيئات، إلى أن تصل[١١] إلى أعلى طبقات عالم المثُل[١٢]. ومنها[١٣] تتخلّص[١٤] إلى عالم العقل؛ لأنّ العوالم يتّصــل بعضــها ببعض، إلى أن ينتهي إلى العلّة الأُولى. وبعض نفوس هذا العالم يحصل منها الجنّ والشياطين والغيلان، ولها مظاهر من هذا العالم، تظهر[١٥] بها أحياناً بحســب[١٦] الاســتعدادات الفلكيّة[١٧]. >[١٨]

[النهي عن تكذيب العالم المثاليّ وعجائبه]

[١٩]< وإذا سمعتَ من كلام القدماء أنّ في الوجود[٢٠] عالماً مقداريّاً غير هذا العالم

---

(١) فتعلّقت: وتعلّقت P
(٢) فإذا: فإن P || B44b
(٣) يغلب عليها: يليق بها P
(٤) أبدان: _ P
(٥) تتجرّد: يتجرّد A
(٦) تتعلّق: يتعلّق A
(٧) تتعلّق: تعلّق B
(٨) طبقة أعلى: الطبقة العليا P
(٩) ترتقي: + إلى A
(١٠) تمكث: يمكث AB
(١١) تصل: ترتقي P
(١٢) المثل: المثال AB
(١٣) منها: + ما A
(١٤) تتخلّص: يتخلّص AB
(١٥) تظهر: تطهر B
(١٦) بحسب: + ما تقتضيه P
(١٧) الفلكيّة: + والحركات الكوكبيّة P
(١٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٤٦٤ _ ٤٦٩
(١٩) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٢٠) الوجود: الموجودات P

الحسّـيّ وغير العقليّ وغير النفسيّ، فيه مُدُن لا تُحصى[١] [فلا تكذّبهم][٢]. من جملة ذلك ما سمّاه الشارع جابَلقا وجابَرصا، وهما مدينتان من مُدُن عالم المثال، لكلّ واحد منهما ألف باب، لا يُحصـي ما فيها من الخلائق إلّا اللّه تعالى، لا يدرون أنّ اللّه خلَق آدم وذرّيّتـه.[٣] وهورقليـا ذات العجـائـب من جملـة مـدائنـه. والأفاضـــل من الأنبياء والحكماء والأولياء يُقرّون بوجود هذا العالم[٤]، فلا يتبادر[٥] العاقل إلى تكذيب هؤلاء من غير برهان.

و[٦] الأقويـاء من الســالكين يرون هذا العالم في أثناء ســلوكهم. ولهم فيه[٧] مآرب وأغراض من إظهـار العجـائب والخوارق[٨] من[٩] الكرامات والمعجزات. بل الماهر[١٠] من الكهَنـة والســحَرة وأرباب العلوم الروحانيّة[١١] قد يشــاهدونه، ويُظهرون منه صــوراً وعجـائـب وغرائـب من الحيوانـات والنبـات[١٢] والفواكه بمظاهر حسّــيّة وطلســمات يصنعونها[١٣]. فإن كذّبتَهم بالحجّة كذّبوك بالمشاهدة. فإن سلكتَ وتفطّنتَ[١٤] وتلطّفتَ بالأنوار الروحانيّة، وأمعنتَ النظر في مثل هذا الكتاب، ربّما تفهم[١٥] شيئاً من ذلك.

ومن هـذا البـاب قولهم: «إنّ الحكيم هو الـذي يصــير بدنه كقميصٍ، يخلعه تارةً ويلبســه[١٦] أُخرى. فإن شاء عرج إلى عالم النور، وإن شاء ظهر في أيّ صورة أراد»[١٧]،

---

(١) تحصى: + أو أنّها غير متناهية P
(٢) فلا تكذّبهم: _ AB
(٣) بصائر الدرجات: ٤٩٠/١؛ أعلام الدين: ٢٨٠؛ عوالي اللئالي: ١٠٠/٤
(٤) العالم: + في أثناء سلوكهم A
(٥) يتبادر: يبادر P
(٦) و: ثمّ جميع P
(٧) فيه: _ AB
(٨) B45a
(٩) من: و AB
(١٠) الماهر: البرهة P
(١١) A160b
(١٢) النبات: البنات B، غرائب من النباتات P
(١٣) يصنعونها: يعلمونها AB
(١٤) وتفطّنت: _ P
(١٥) تفهم: يفهم AB
(١٦) يلبسه: تلبسه A
(١٧) المشارع والمطارحات (العلم الثالث): ٥٠٣

فذلك إنّما هو في عالم المثال.

[ظهور الأنوار المجرّدة والنفوس السماويّة والكاملة في صور مختلفة]

و[١] الأنوار المجرّدة ـ من البارئ تعالى و[٢] العقول ـ والنفوس السماويّة[٣]، والنفوس الكاملة المفارقة و[٤] غير المفارقة، يظهرون في صور مختلفة، من اللطيفة والكثيفة، والمليحة والقبيحة، والهائلة والضعيفة، وغير ذلك من الأحوال[٥]، على قدر قوّة الذات التي تظهر[٦] عندها[٧] الصورة وشدّة استعدادها لذلك، وبحسب ما يقتضيه الوقت والحال الذي لأجله يظهر المثال. والعقل قد يظهر تارةً في صورة حسنة لطيفة مُلذّة، وتارةً في صورة هائلة مؤلمة، وتارةً في صورة قبيحة مُملّة[٨]، بحسب اختلاف الأحوال المقتضية لذلك الظهور[٩] في الصور النوعيّة[١٠]. >[١١]

وإذا تمّ[١٢] لك معرفةُ ما أشرنا إليه، وأحوال العوالم، وكيفيّة مبدئها عن الفاعل، فتحقَّقه[١٣].



(١) و: فإنّ AB
(٢) البارئ تعالى و: ـ AB
(٣) والنفوس السماويّة: ـ AB
(٤) الكاملة المفارقة و: الناطقة الإنسيّة المفارقة والكاملة من P
(٥) الأحوال: + والصفات P
(٦) تظهر: يظهر A
(٧) عندها: عندنا AB
(٨) مملّة: ـ AB
(٩) لذلك الظهور: للظهور P
(١٠) الصور النوعيّة: الصور المختلفة النوعيّة والصنفيّة P
(١١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٤٧٠ ـ ٤٧١
(١٢) تمّ: أتمّ A
(١٣) فتحقّقه: متحقّقة A

[الفصل الثاني عشر: في تكثّر معلولات العقل الفعّال]

[تكثّر معلولات العقل الفعّال]

[١]< إيضاح: واعلَم أنّه[٢] لمّا كان الحادث يستدعي مرجّحاً حادثاً، فلا بدّ من حوادث مترتّبة غير مجتمعة الآحاد لا إلى نهاية، وهي الحركات. ولمّا كانت المستقيمة ذات نهايةٍ، وجب أن يكون هي المستديرة. فالزمان مقدارها، فهي حركات الأفلاك.

وتكثُّر معلولات الفعّال بواسطة الاستعدادات المختلفة؛ لجواز اختلاف آثار الواحد باختلاف القوابل. ولا يتغيّر العقولُ ولا [علومُها][٣]؛ لأنّها ليست بزمانيّة. فتجدُّد الأشياء بتجدُّد الاستعدادات. واجتماع الحركات محالٌ، فحال ماضيها كحال مستقبلها[٤].

وعقده أن نقول: اعلَم أنّ كلّ حادث بالضرورة يستدعي مرجّحاً حادثاً، عنده أوجب رجحانه؛ لاستحالة ترجيحه بنفسه. ولا يصحّ أن يكون ذلك المرجّح قديماً، وإلّا لَوجب قدم الحادث، هذا خلف. فلا بدّ [من][٥] حادث رجّح به، أو جهة لها مدخل في ترجيحه حادثة أيضاً. ثمّ يعود الكلام إلى ذلك المرجّح الحادث، فينبغي أن يتسلسل الحوادث إلى غير النهاية، بل ذلك لازم. ولمّا لم يُتصوّر أن يكون العلل الغير المتناهية مجتمعةً، وجب أن تكون مترتّبة[٦] حادثة غير مجتمعة في الوجود الخارجيّ؛ لِما بيّنّاه من استحالة التسلسل المجتمع الآحاد في الخارج[٧]. فلا يتصرّم[٨]، وإلّا عاد

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) B45b
(٣) علومها: علومهم AB
(٤) A161a
(٥) من: ـ AB
(٦) تكون مترتّبة: يكون مرتّبة AB
(٧) الخارج: + المرتّب A، المترتّب B
(٨) يتصرّم: ينصرم P

الكلام إلى ما هو المبدأ. والحادث الذي يجب تجدّده، إنّما هو الحركة. والمستقيمات لها نهاية، فيجب أن تكون[١] هي المســتديرات. فالزمان هو مقدار حركتها، ومحلّ هذه الحركات هو الأفلاك، فالزمان مقدار حركة الأفلاك[٢]. فتكثّرت معلولات العقل الفعّال بواسطة الاستعدادات المختلفة بحركات[٣] مختلفة.

فالفاعل المتشابهة[٤] أحواله يجوز أن يختلف آثاره؛ لاختلاف القابليّات. ولا يجوز أن يتغيّر العقول[٥]، وإلّا أدّى تغيّرها[٦] إلى تغيّر الواجب، وذلك ممتنع.

وعلوم المفارقات ليست زمانيّة؛ لعدم دخولها تحت حيطة الزمان، فلا يصحّ تغيّرها ولا تبـدّلها. و[٧] علم ما ســيكون يتغيّر إذا وقع الشـــيء أو[٨] زال، فتغيّرها[٩] يســتلزم تغيّر[١٠] التشبّه، فهذه الأشياء المتجدّدة من الواهب تجدّدها بتجدّد الاستعدادات.

والجاحدون لتسلسل الحركات مبنى كلامهم في وجوب نهايتها إنّما هو لامتناع ما لا يتناهى، وهي حركات معدومة، واجتماعها محال. وهو ضـعيف؛ لأنّها إذا كانت معدومة فلا كلّ لها في الوجود، فحال ماضيها[١١] كحال مستقبلها، فبطل معتصمهم. >[١٢]

[بحث في كشف بعض أسرار العالم]

وهاهنا بحث شريف يتعلّق بسرّ[١٣] البدء والإيجاد، والوحدة والكثرة، يشاكل[١٤] ما أشرنا إليه ـ في ما تقدّم[١٥] ـ على طريق أهل التصوّف من أهل الذوق والكشف.

---

(١) تكون: يكون AB
(٢) B46a
(٣) بحركات: لحركات P
(٤) المتشابهة: المتشابه AB
(٥) العقول: القبول AB
(٦) تغيّرها: بغيرها A
(٧) و: فإنّ P
(٨) أو: إذ B
(٩) فتغيّرها: فتغيّره A
(١٠) تغيّر: بغير A
(١١) ماضيها: + ماضيها B
(١٢) كلمة التصوّف: ١١٨ ـ ١١٩ (مع اختلاف يسير)
(١٣) بسرّ: سرّ B
(١٤) A161b
(١٥) تقدّم: يقدّم B

[سرّ البدء والإيجاد]

[١]< اعلَم أنّ الحقّ تعالى عَلِم كلّ شيء من عين علمِه بذاته، لم يتّصف بعلم مستفاد من غيره ولا بغيره، ثمّ أوجد العالم على نحو ما علِمه في نفسه أزلاً[٢]. فالعالم صورة علمه ومَظهرُه، فلم[٣] يزل[٤] ـسبحانه ـ محيطاً[٥] بالأشياء علماً ووجوداً. وكلّ ما[٦] ظهر فإنّما ظهر منه؛ إذ لم يكن لغيره وجود مساوق لوجوده. وإليه الإشارة بقوله ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ: «كان اللّه، ولا شيء معه[٧]»[٨]. وأشار ـسبحانه ـ بقوله: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾[٩] إلى[١٠] هذا المعنى. فعُلم بالكشف الحقيقيّ أنّ المراتب وإن كثرت، فإنّها ترجع إلى مرتبتَي الغيبِ[١١] والشهادةِ والحقيقةِ الجامعة بينهما، وهي ذات الحقّ.

فكلّ شيء فله ظاهر هو صورته وشهادته[١٢]، وباطن هو روحه ومعناه[١٣]. فنسبة جميع الصور ـعلى اختلاف أنواعها[١٤]ـ إلى الاسم «الظاهر» المنعوت بالشهادة، ونسبة جميع المعاني والحقائق المجرّدة التي هي أُصول ما[١٥] ظهر من الصور الجزئيّة المتعيّنة[١٦] إلى الغيب والاسم «الباطن».

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٢) أزلاً: أوّلاً A
(٣) فلم: ولم P
(٤) يزل: تزل A
(٥) محيطاً: محيط A
(٦) كلّ ما: كلّما AB
(٧) لا شيء معه: لم يكن معه شيء P
(٨) تأويل الآيات الظاهرة: ٧٤٩؛ إثبات الهداة: ٢٣٠/٢؛ البرهان في تفسير القرآن: ٦٠٧/٥؛ بحار الأنوار: ٣/٢٥
(٩) القرآن الكريم: ٧٣/٦، ٧٤/٩، ١٠٥، ٩/١٣
(١٠) B46b
(١١) الغيب: العيب B
(١٢) شهادته: بينها وتد A
(١٣) معناه: + وغيبه P
(١٤) أنواعها: + الخفيّة والجليّة P
(١٥) ما: لما P
(١٦) المتعيّنة: + أو أسباب أو شروط كيف شئت قلت P

وكلّ[١] موجود فهو من حيث معناه أو[٢] روحانيّته[٣] متقدّم على صورته بالرتبة[٤] والشرف، وله درجة الأوّليّة باعتبار. وللصورة ـ من وجه آخر ـ تقدُّم على المعنى والروحانيّة[٥] من حيث التقدّم العلميّ؛ فإنّ العلم بالجزء متقدّم على العلم بالكلّ، والعلم بالظاهر متقدّم على العلم بالباطن، وشرطٌ في معرفته. وخصوصاً الأرواح الإنسانيّة؛ فإنّها إنّما تتعيّن[٦] بعد الإنشاء المزاجيّ وبحسبه[٧] أيضاً. فظهر أنّ كلّ واحد من الصور والحقائق الباطنة أوّلٌ من وجه وباعتبار، وآخرٌ من وجه وباعتبار.

ولمّا صحّ أنّ[٨] الحقّ تعالى وسِع كلّ شيء رحمةً وعلماً ـ كما أُشير إليه في الكتاب الإلهيّ[٩] ـ، والرحمة هي الوجود الشامل؛ فإنّ ما عداه لا شمول فيه ولا عموم، ظهرت[١٠] إحاطة اسم الرحمن للأشياء. ولمّا كان لكلّ شيء خصوصيّة[١١] يمتاز بها، وحصّة متعيّنة من الوجود المطلق لا يشارك فيها، عُلِم عموم اسم الرحيم أيضاً على كلّ شيء بالخصوص. فصحّ أنّ الحقّ[١٢] محيط بالأشياء[١٣] علماً ووجوداً من حيث ذاته، ومن حيث أسمائه الكلّيّة[١٤].

فنقول[١٥]: كلّ ما ظهر وشوهد فمن بطونٍ متقدّمٍ على الظهور تقدّمَ[١٦] الغيب على

---

(١) كلّ: + شيء P
(٢) أو: و AB
(٣) روحانيّته: + أو هما معاً P
(٤) بالرتبة: تقدّماً بالمرتبة P
(٥) والروحانيّة: الروحانيّ AB
(٦) تتعيّن: يتعيّن AB
(٧) بحسبه: يحسبه A
(٨) لمّا صحّ أنّ: ـ AB
(٩) مشير إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾. (القرآن الكريم: ٤٠/٧)
(١٠) ظهرت: طهرت B
(١١) A162a
(١٢) الحقّ: الكلّ AB
(١٣) بالأشياء: + كلّها P
(١٤) B47a
(١٥) فنقول: ثمّ نقول و P
(١٦) تقدّم: يقدّم B

الشهادة، سواء كان(١) تقدّماً بالوجود، أو بالمرتبة(٢). فالاسم «الظاهر» وسائر(٣) ما ظهر به(٤) من الصور كانت غيباً في غيب(٥) الحقّ، فكانت مستهلكةً تحت قهر الوحدانيّة التي هي أقرب النعوت(٦) نسبةً إلى الغيب، فمنعها حجاب الوحدانيّة والاستهلاك بالقرب المُفرَط من إدراكها ذاتَها وربَّها. ثمّ أظهرها(٧) الحقّ بنور تجلّيه لمّا ميّزها حسَب ما علِمها، فاستنارت بنوره، وظهرت بظهوره، فصارت مشهودة موجودة بعد أن كانت باطنة مفقودة. وسمِّيت المرتبة الجامعة لها من حيث نسبة(٨) ظهورها شهادةً، كما سمِّيت المرتبة الأُولى ـ الحاويةُ لها، المتقدّمةُ على ما ظهر ـ غيباً.

[سرّ الوحدة والكثرة]

ثمّ إنّ الغيب(٩) غيبان: إضافيّ وحقيقيّ. فالإضافيّ ما يرد تفصيل حكمه، والحقيقيّ هو حضرة ذات الحقّ وهويّته.

ومن المتّفَق عليه أنّ حقيقته لا يحيط بها علمُ أحدٍ سواه؛ لأنّه لا يتعيّن عليه حكم مخصوص، ولا يتقيّد بوصف، ولا يتميّز، ولا يتعيّن، ولا يتناهى. وما لا يتميّز بوجهٍ، لا يمكن تعقّله؛ إذ(١٠) العقل لا يحيط بما لا ينضبط ولا يتميّز عنده. فإن تعيّن ـ ولو بنسبةٍ ما أو وجهٍ ما ـ عُلم بتعيّنه من حيث ما تعيّن به(١١)، لا مطلقاً.

وهذا هو القدر المتعلّق بمعرفة(١٢) هذا الغيب، فهي معرفة إجماليّة حاصلة بالكشف الأجلى والتعريف الإلهيّ الأعلى، الذي(١٣) لا واسطة فيه غير التجلّي

---

(١) سواء كان: ـ AB
(٢) بالمرتبة: + أو بهما معاً P
(٣) فالاسم الظاهر وسائر: فسائر AB
(٤) به: ـ AB
(٥) غيب: عيب B
(٦) النعوت: المنعوت A
(٧) أظهرها: أظهرهما A
(٨) نسبة: ـ A
(٩) الغيب: + نسبة A
(١٠) إذ: إذا A
(١١) به: + وبحسبه P
(١٢) بمعرفة: لمعرفة B
(١٣) الذي: ـ AB

المتعيّن من هذه الحضرة الغيبيّة الغير المتعيّنة. ثمّ الاستدلال عليه ثانياً[١] بما ظهر منه وامتاز عنه، من الأسماء والآثار الوجوديّة والتجلّيات[٢] النوريّة المظهريّة؛ فإنّ هذا الغيب هو أصل كلّ ما ظهر وعُلم، وسواهما ممّا[٣] انفرد الحقّ بمعرفته[٤] هو[٥] مقام الغنى[٦] عن العالمين. ونسبة كونه واحداً لنفسه فقط، من غير تعقّل كون الوحدة صفة، لا تعلّق لها بسواه؛ لارتفاع المناسبة. فأمّا من حيث نسبة تعلّقه بالعالم وتعلّق العالم به من جهة الأُلوهيّة وحكمها، وسرّ المناسبات المذكورة في سرّ العلم والتأثير، فمحكوم عليه بما ظهر به وما[٧] أظهره وأخبر وعلّم وجلّى لمن شاء من عباده من غيب ذاته مهما تجلّى.

وأقرب المراتب نسبةً إلى هذا الغيب، العماءُ الذي هو النفَس الرحمانيّ[٨]، وإليه يستند الأحديّة التي هي أوّل أحكام التعيّن الأوّل[٩]، وأقربها نسبةً إلى إطلاقه. وهو ـ أعني[١٠] العماء ـ حضرة الأسماء كلّها والصفات، وصاحبة[١١] النعوت المذكورة من قبل[١٢]، وهو أوّل مرتبة الشهادة بالنسبة إلى الغيب الإلهيّ، وإلّا فهو[١٣] غيب بالإضافة إلى ما تحته، وهو آخر مرتبة الشهادة من حيث انتهاء كلّ كثرة صوريّة أو معنويّة إليها، باعتبار تحليل الأجزاء الصوريّ والمعنويّ الذي هو إعراض النفس عن أحوالها وصفاتها ولوازمها[١٤].

---

(١) B47b
(٢) التجلّيات: التحلّيات B
(٣) ممّا: أعني ما P
(٤) بمعرفته: + و AB
(٥) A162b
(٦) الغنى: الغنيّ P
(٧) ما: ـ P
(٨) الرحمانيّ: الرحمن A
(٩) الأوّل: ـ AB
(١٠) أعني: + حضرة P
(١١) صاحبة: صاحبه AB
(١٢) المذكورة من قبل: ـ AB
(١٣) فهو: فهي AB
(١٤) باعتبار تحليل ... لوازمها: عند التحليلَين P

والكثرة المشـهودة(١) في العالم مُنبثّة(٢) من الأحديّة، وظاهرة(٣) بها(٤)، لا بمعنى أنّ الواحد من حيث هو واحد يكون منبعاً للكثرة من حيث هي كثرة؛ إذ لا يصحّ أن يظهر من(٥) شيء(٦) ما يُضادّه من حيث الحقيقة. ولا خفاء في منافاة الوحدة للكثرة، والواحد للكثير، فتعذّر(٧) صـدور أحدهما عن الآخر من الوجه المُنافي. لكن للواحد والوحدة نِسـب متعدّدة، وللكثرة أحديّة ثابتة، فمتى ارتبطت إحداهما(٨) بالأُخرى أو أثّرت، كان جامعاً بينهما.

[كيفيّة الجمع بين الوحدة والكثرة]

وكيفيّة الجمع(٩) أنّ للواحد حكمين:

أحدهما: كونه واحداً لنفسه فحسب(١٠)، من غير تعقُّل أنّ الوحدة صفة له، أو اسم، أو نعت، أو حكم ثابت، أو عارض، أو لازم، بل بمعنى كونه هو لنفسه هو(١١). وليس بين الغيب المطلق الذي هو الهويّة وبين هذا التعيّن الأحديّ فرق؛ لأنّه ليس لشيء(١٢) في هـذا الغيب تعيُّن ولا تعدُّد(١٣) وجوديّ فيكونَ(١٤) الحقّ ظرفاً(١٥) لغيره، تعالَت أحديّته عن ذلك.

و(١٦) **الآخر:** هو كونه يعلم نفسـه بنفسـه، ويعلم أنّه يعلم(١٧)، ويعلم وحدته(١٨)، وأنّ(١٩)

---

(١) المشهودة: المشهورة A
(٢) منبثّة: مبنيّة B
(٣) ظاهرة: طاهرة B
(٤) بها: + باعتبار ولكن P
(٥) من: في AB
(٦) شيء: + كائناً ما كان P
(٧) B48a
(٨) إحداهما: أحدهما AB
(٩) كيفيّة الجمع: صورته في ما نروم بيانه P
(١٠) لنفسه فحسب: في نفسه AB
(١١) هو: ـ AB
(١٢) لشيء: بشيء A، شيء B
(١٣) A163a
(١٤) فيكون: لتكون AB
(١٥) ظرفاً: طرفاً A
(١٦) و: + الحكم P
(١٧) يعلم: + ذلك P
(١٨) وحدته: + ومرتبته P
(١٩) أنّ: كون P

الوحدة نسبة ثابتة له، أو حكماً، أو[١] لازماً، أو صفة لا يشارك فيها[٢]. وهذه النسبة هي حكم الواحد من حيث نسبته[٣].

ومنها يُعرف[٤] نسبةُ الغِنى عن التعلّق بالعالم، ونسبة التعلّق به، ومن هذه النسبة انتشَت[٥] الكثرة من الواحد بموجب هذا التعدّد النسبيّ الثابت، من حيث إنّ[٦] معقوليّة[٧] نسبة كونه يعلم نفسه بنفسه، وكونه واحداً لذاته لا شريك له في وجوده مغايرة لحكم الوحدة الصرفة، فالتعدّد بالكثرة النسبيّة أظهر التعدّدَ العينيّ.

وهذان الحكمان اللازمان للواحد، مسبوقان بالغيب الذاتيّ المجهول الذي يصحّ عليه حكم مخصوص، ولا يتعيّن[٨] له صفة متميّزة، من وحدة أو كثرة.

وحكم[٩] الوحدة بالنسبة إلى العدد[١٠] هو كونها من شأنها أن يُعدَّ بها[١١]، وأن تُظهر[١٢] العدد[١٣]، لا أنّها منه. والاثنينيّة علّة للعدد، لكنّها كالعلّة المادّيّة. والثلاثة أوّل العدد التامّ، وأوّل كثرته، وأوّل تركيباته.

ثمّ إنّ للكثرة[١٤] قسمين:

أحدهما: كثرة الأجزاء[١٥] والمقوّمات التي تلتئم منها الذات، كجزئَي المادّة والصورة، أو[١٦] الجوهر و[١٧] العرض للجسم[١٨]، وكالأجناس والفصول بالنسبة إلى

---

(١) أو: _ AB
(٢) فيها: + ولا تصحّ لسواه P
(٣) نسبته: نسبه B
(٤) منها يعرف: من هنا يعلم P
(٥) انتشت: انتسب AB
(٦) إنّ: _ AB
(٧) معقوليّة: معقوليّته B
(٨) يتعيّن: تعيّن B
(٩) حكم: حكمه AB
(١٠) العدد: + و A
(١١) يعدّ بها: يعذّبها AB || B48b
(١٢) تظهر: يظهر A، يطهر B
(١٣) العدد: للعدد A
(١٤) للكثرة: الكثرة A
(١٥) الأجزاء: الإجراء B
(١٦) أو: و B
(١٧) و: أو A
(١٨) للجسم: بالنسبة إلى الجسم على اختلاف المذهبين P

الأنواع الحاصلة منهما. وبالجملة كثرةٌ يُفتقر إليها أوّلاً؛ ليُتصوّر[١] حصول الشيء منها ثانياً.

والثـاني: كثرة لوازم الشـيء، وهو أن يكون للشـيء[٢] الواحد في نفسـه الوحدةُ الحقيقيّة، أو المركّب من أجزاء[٣] أو مقوّمات تلزمه[٤] بعد وجوده[٥] معانٍ وأوصافٌ في ذاته، ولا تكون ذاته[٦] ملتئمة منها، سـواء كان في نفسه ملتئماً من غيرها أو لم يكن، بل تتبع[٧] ذاتَه ضـرورةً ووجوداً، بحيث لا يُتصـوّر وجود[٨] ذلك الشـيء أو تعقّله إلّا[٩] ويلزمه تلك المعاني، كالسـتّة ـ مثلاً ـ التي لا يُتصـوّر وجودها إلّا أن تكون[١٠] زوجاً؛ لأنّ الزوجيّـة جزء من أجزائهـا، بل هي[١١] لازمة لها، لزومَ اضـطرارٍ وتأخّرٍ في الرتبة، تتضمّن[١٢] أيضاً معقوليّة النصف والثلث والفرديّة التي في الثلاثة والخمسة وغير ذلك.

ومن هنا يتنبّه الفَطِن الذي لم يبلغ درجة التحقيق لمعرفة سرّ[١٣] الإحاطة، مع كون المحيط ليس ظرفـاً[١٤] للمُحـاط، ولا المُحـاط[١٥] بـه جزءاً من أجزاء المحيط، وكون الصفات اللازمة للواحد غير قادحة في أحديّته.

[سرّ الغيب والشهادة]

وإذا اتّضح ذلك فنقول: إنّ الحقّ ـ سبحانه وتعالى[١٦] ـ نظَر بعلمه الذي هو نوره في

---

(١) ليتصوّر: لا يتصوّر A

(٢) للشيء: الشيء AB

(٣) أجزاء: إجراء B

(٤) تلزمه: يلزمه AB

(٥) وجوده: + كيفما كان P

(٦) ولا تكون ذاته: ـ AB

(٧) تتبع: يتبع AB

(٨) وجود: ـ AB

(٩) تعقله إلّا: تعلّقه أو لا A

(١٠) تكون: يكون AB

(١١) A163b

(١٢) تتضمّن: ويتضمّن AB

(١٣) سرّ: ـ AB

(١٤) ظرفاً: صرفاً A

(١٥) لا المحاط: للمحاط A

(١٦) وتعالى: ـ BP

حضـرة[١] غيب ذاته[٢] نظرَ[٣] تنزّهٍ في الكمال الوجوديّ الذاتيّ المطلق الذي لا يتوقّف ثبوتـه لـه على أمر خـارجيّ؛ إذ ما ثَمّ ما يخرج[٤] عنه. وليس هذا[٥] النظر عن حجاب متقدّم، ولا أمرٍ[٦] متجدّدٍ لم يكن حاصلاً من قبل، تعالى عن ذلك[٧]. فلا تجدّد هناك، ولا قبليّة، ولا بعديّة[٨]، ولكن لسـان علم المشاهِد في عالمنا الآن ـبعد معرفة الأُمور، ومـا بينها من التفاوت في الحكم والنعت، والتقدّم والتأخّر، وإدراكه لها في الحضـــرة العلميّة النوريّة الغيبيّة ـ يُعرِب[٩] عن أسـرار الحقائق على[١٠] مقدار ما يحتمله العبارة، ويقتضـــيه حـالُ المخـاطَـب والمخـاطِـب[١١] ومراتبُهمـا ومواطنُهما؛ إذ لكلٍّ حكمٌ يوجب[١٢] أثراً في الأمر المعبَّر عنه، يخرجه عمّا كان عليه من النزاهة، والإطلاقِ السابق السـابق للتقيّد[١٣] اللاحق له والعارض بسـبب الموادّ والكيفيّات المختلفة، حسَـب ما يقتضيه أدوات التوصيل والقيود.

وبالجملة، فقُوى نشـأة الإنسـان تضـعف عن ضـبط كلّ ما[١٤] تدركه نفس العارف حالَ المشاهدة والتجريد، وعن كمال محاكاته والتعبيرِ عنه، والإبراز على نحو ما تعلّق به الشـهود. ولذلك لا يسـتحضـر حالَ الرجوع[١٥] إلى عالم الشـهادة، إلّا كلّيّات ما شـاهَده[١٦]، وبعض الجزئيّات، لا كلّها؛ لعدم مسـاعدة القوى الطبيعيّة، وقصورها عن

---

(١) حضرة: ـ AB
(٢) B49a
(٣) نظر: نظرة A، نظيره B
(٤) ما يخرج: تخرج A
(٥) هذا: هنا A
(٦) أمر: + خارج P
(٧) عن ذلك: الحقّ عمّا لا يليق به P
(٨) بعديّة: + إلّا بالنسبة P
(٩) يعرب: يغرب A
(١٠) على: عن AB
(١١) المخاطب: + حين الخطاب P
(١٢) يوجب: توجب A
(١٣) للتقيّد: للتقييد AB
(١٤) كلّ ما: كلّما AB
(١٥) الرجوع: ـ AB
(١٦) شاهده: شاهد AB

مَدى مُدرَك البصيرة، وضيق فلكها بالنسبة إلى[١] فسيح مَسرَح النفس وسَعة دائرة مرتبتها[٢] في حضرة القدس.

وحالُ العارف في ما ذكرنا، كحال الكاتب المُجيد ذي الارتعاش، في كونه[٣] يعرف الكتابة معرفةً تامّةً في نفسه، ولا يقدر على[٤] إظهارها على نحو ما يعلمها؛ لعدم مساعدة الآلة له على ما يريد[٥]. فمن لا يعرف مراتب الوسائط والآلات وحكمَها وقصورَها بالنسبة إلى ما في نفس مستعمِلها، يَنسب القصور إلى المستعمِل، وليس كذلك. وإنّما العيب من الآلة وقصورِ استعدادها الجزئيّ المجعول الوجوديّ أو الغيبيّ الكلّيّ الخارج عن دائرة الوجود والجعل عن حُسن المؤاتاة التامّة للفاعل على ما يريد إظهاره بها.

ثمّ إنّ الحقّ شاهَد بالنظر المذكور ـعلى النحو المُشار إليهـ كمالاً آخر مستجنّاً في غيب[٦] هويّته غيرَ[٧] الكمال الأوّل الوجوديّ الذاتيّ الوجوبيّ، وإذاً رقيقة[٨] متّصلة بين الكمالين، اتّصالَ تعشّق تامّ. فكان ذلك الكمال المُستجنّ[٩] كمالَ الجلاء والاستجلاء، فاستدعَت واستتبعَت تلك[١٠] النظرة العلميّة المقدّسة عن[١١] أحكام الحدوث من حيث النسبة الشهوديّة، التي لمّا ظهر تعيّنُها عندنا في ما بعد وعُقلت، عبِّر عنها باسم[١٢] «البصير»، انبعاثَ تجلٍّ غيبيّ آخر، فتعيَّن ذلك التجلّي لنفسه، منصبغاً بصبغة حُبّيّة[١٣] متعلّقة بما شاهَده العلم، يطلب[١٤] ظهوره، وذلك لتقدُّم مرتبة

---

(١) إلى: ـ AB
(٢) A164a
(٣) B49b
(٤) على: في AB
(٥) يريد: يزيد B
(٦) غيب: عيب AB
(٧) غير: عين AB
(٨) رقيقة: دقيقة AB
(٩) المستجنّ: المستحقّ AB
(١٠) تلك: لكن A
(١١) عن: ـ AB
(١٢) باسم: بالاسم P
(١٣) حبّيّة: حيثيّة AB
(١٤) يطلب: بطلب AB

العلم على مرتبة المحبّة؛ إذ المجهول مطلقاً لا يتعلّق به محبّة أصلاً.

ولمّا لم يكن في الغيب إلّا ما هو معلوم للحقّ ومشهود له ـ لإحاطته بالأشياء وارتسامها في ذاته ـ كان ذلك تقدُّماً بالنسبة والمرتبة، كتقدّم الإرادة على القدرة، ونحو ذلك. فنظير العلم في ذلك نِسبتا[١] حُكمِه وحكمتِه اللذين[٢] كانت[٣] الرؤيتان منّا ـ البصريّة والعقليّة ـ مَظهرَين ونظيرَين[٤] لهما.

فعُلم أنّ حصول المطلوب يتوقّف على تركيب مقدّمتين؛ إذ الواحد من حيث وحدانيّته وفي مقام أحديّته لا ينتج غيرَه، ولا يَظهر عنه كثرة[٥]، فلا يصحّ معه إلّا هو فقط. وعُلم أنّ الكمال المطلوب لا يظهر بدون الكثرة، فعُلم أنّ ما لا يحصل المطلوب إلّا به فهو مطلوب.

ولم يتعيّن من مطلق الغيب[٦] إلّا مقدّمة واحدة، وهي التجلّي بالباعث[٧] الحبّيّ[٨]، فلم ينفذ الحكم؛ لِما عرفت[٩] من سرّ الوحدانيّة، وسرّ[١٠] الغنى الذاتيّ الغيبيّ الوجوديّ الذي هو السلطنة[١١] والإحاطة بما ذكرنا من النِسَب.

وهذا من سرّ أحديّة[١٢] التركيب الستّة الغير المفيدة والمنتجة، وهو اتّصال أحكام التجلّيات بعضِها ببعض من دون[١٣] آخر يكون مُظهراً لحكمها المسمّى فعلاً لا يفيد ولا ينتج، وعين الفعل هو التجلّي[١٤] بنسبة التأثير الواصل من الحقّ ـ من كونه موجِداً

---

(١) نسبتا: من نسبتَي B50a ‖ AB

(٢) اللذين: الذين AB

(٣) كانت: كأثناء A، كانتا B

(٤) نظيرين: نظيرتين P

(٥) A164b

(٦) الغيب: + حالتئذٍ P

(٧) بالباعث: بالناعت B

(٨) الحبّيّ: الحقّ A، الحسّيّ AsB

(٩) عرفت: ذكرنا P

(١٠) سرّ: بسرّ AB

(١١) هو السلطنة: له السلطنة حالتئذٍ P

(١٢) أحديّة: أحد AB

(١٣) دون: + أمر P

(١٤) التجلّي: التحلّي B

وخالقاً ـ إلى المفعول فيه، أو به، أو معه، أو له، على اختلاف المراتب.

فـ«فيه» إذا كان هو المقصود، أو من جملة المقصود. و«به» إذا كان الواسطةَ والشرطَ. و«معه» إذا كان جزءَ علّة، أو أحدَ الأسباب، أو مراداً[١]. و«له» إذا كانت فائدة ذلك الفعل تعود عليه، أو كانت[٢] غايته[٣]. وهو سرّ إيجاد[٤] العالِم للعالَم، وسرّ الأمر بالعبادة[٥] لأجل العابد، لا للمعبود؛ لأنّه يتعالى ـ من حيث عزّه[٦] وغناه ـ عن[٧] أن يكون فعله لغرض، بل رحمةٍ ذاتيّةٍ بالكون[٨]. وقِس على ذلك باقي مراتب الفعل، فقد فتحتُ لك الباب.

ثمّ نقول: والموجِب الآخَر لتأخّر حصول النتيجة ونفوذ الحكم لمجرّد[٩] التجلّي الحبّيّ[١٠]، هو أنّه لو فرضنا وقوع الأمر بهذه المقدّمة الواحدة أو إمكانه، لَسبق إلى مدارك بعض مَن يتعيّن بذلك الحكمِ ويَظهر عينه[١١] أنّ الأمر الإيجاديّ والإنشاء الكونيّ إنّما متعلّقه وغايته تحصيل ما يختصّ بحضرة الحقّ، لا غير. فكان ذلك نوعَ نقصٍ متوهَّم في مرتبة الغنى الكماليّ الوجوديّ الذاتيّ، وتعالى ذلك الجناب عمّا لا يليق به.

فلمّا لم[١٢] ينفذ حكمُ التجلّي المذكور لهذه الموانع[١٣]، عاد يطلب[١٤] مستقرَّه[١٥]

---

(١) مراداً: + باعتبار P
(٢) كانتك كان AB
(٣) غايته: غائبة A
(٤) إيجاد: + الحقّ P
(٥) بالعبادة: بالعيادة A
(٦) عزّه: غيره نحوه A
(٧) عن: ـ AB
(٨) B50b
(٩) لمجرّد: بمجرّد P
(١٠) الحبّيّ: الحسّيّ AB
(١١) عينه: غيبه AB
(١٢) فلمّا لم: فلم A
(١٣) الموانع: + وغيرها ممّا لا يمكن ذكره P
(١٤) يطلب: يطلبه A
(١٥) مستقرّه: مستقرع A

من الغيب المطلق، كما[١] هو[٢] سنّة[٣] سائر التجلّيات[٤] المتعيّنة بالمظاهر وفيها عند انقضاء حكمها في المتجلّى له؛ فإنّها بالذات[٥] تطلب[٦] الرجوعَ[٧] إلى أصلها عند انقضاء حكمها بالمظاهر وفيها؛ لعدم المناسبة بينها وبين[٨] عالم الكثرة. وهذا هو سبب الانسلاخ الحاصل للتجلّيات التفصيليّة بعد التلبّس[٩] بأحكام المتجلّى له، وعودها إلى الغيب الذي ذكرتُه في سرّ التجلّي والمتجلّى له[١٠]، وفي مراتب التصوّرات، وسببِ تجرّد الأرواح الإنسانيّة عن النشئات التي تتلبّس بها بعد الاستكمال بها واستصحابِها زُبَد أسرار كلّ نشأة ولطائفَ خصائص كلّ صورةٍ وموطنٍ[١١]، وعودها إلى أصلها منصبغةً بأحكام الكثرة، لا بصورتها الفائضة[١٢] القادحة في وحدتها.

فحصل بهذا العود[١٣] المذكور حركةٌ غيبيّة، ودورةٌ[١٤] مقدّسة شوقيّة، سرى حكمها في ما حواه الغيب من الحقائق الأسمائيّة والكونيّة. ومرّ[١٥] ذلك التجلّي في عوده على سائر التعيّنات العلميّة، فمخضها[١٦] بتلك الحركة القدسيّة الغيبيّة الشوقيّة، فانبثّت[١٧] بتلك المخضة[١٨] البواعث العشقيّة والحركات المعنويّة الحُبّيّة من سائر الحقائق تطلب من الحقّ ـ بحكم[١٩] ما سرى فيها من أثر التجلّي الحبّيّ[٢٠] ـ ظهورَ أعيانها وما

---

(١) A165a
(٢) هو: ـ AB
(٣) سنّة: نسبته A
(٤) التجلّيات: التحلّيات B
(٥) بالذات: + هي P
(٦) تطلب: يطلب AB
(٧) الرجوع: + والتقلّص P
(٨) المناسبة بينها وبين: مناسبتها P
(٩) التلبّس: التلبيس A
(١٠) وعودها إلى ... له: ـ AB
(١١) موطن: موطئ AB
(١٢) الفائضة: ـ P
(١٣) بهذا العود: لهذا العدد AB
(١٤) B51a
(١٥) مرّ: من A، ـ B
(١٦) فمخضها: لمحضها A، فمحضها B
(١٧) فانبثّت: فانتشت P
(١٨) المخضة: المحضة AB
(١٩) بحكم: ـ AB
(٢٠) الحبّيّ: الحسّيّ AB

فيه كمالُها، فصار ذلك مفتاحَ سائر الحركات الدوريّة الإحاطيّة، المُظهِرة للخفيّات، والمُخرِجة ما في قوّة الإمكان والغيب إلى الفعل من أعيان الكائنات. وكانت النسبة الجوديّة الوجوديّة من جملة الحقائق المُستهلَكة تحت قهر الأحديّة الغيبيّة، فانبعث لبيان[١] مرتبتها ـ لحبّ[٢] ظهور عينها[٣] وكمالها المتوقّف على نفوذ حكمها، على نحو ما ذكِر ـ يطلب إسعاف السائلين. فحصلَت المقدّمتان:

إحداهما[٤]: الطلب الذي تضمّنه التجلّي الحبّيّ[٥].

والأُخرى: الطلب الاستعداديّ الكونيّ بصفة القبول الذي بيّنّا أنّه مُظهِر الفعل.

فتعيّنت النسبة ـ المسمّاة عندنا الآن قدرةً ـ تطلب متعلّقاً تُعيِّنه[٦]، فتمّت الأركان[٧]؛ لأنّ[٨] التجلّي الذي أوجب للعلم شهودَ ما ذكِر، هو تجلّي الهويّة منصبغاً بحكم نسب[٩] الحياة المُظهِرة[١٠] عينَ النور الوجوديّ الغيبيّ، ثمّ أظهر التجلّي الحبّيّ[١١] بالعلم نسبة الإرادة التي هي عنوان السرّ الحبّيّ[١٢]، ثمّ تعيّنت القدرة ـ كما بيّنّا ـ.

فتمّت الأُصول التي يتوقّف عليها ظهورُ النتيجة المطلوبة[١٣]، وهما المقدّمتان، كلّ مقدّمةٍ مركّبةٌ من مفردَين، فصارت أربعة، فتردّد[١٤] الواحد منها ـ وهو سرّ أحديّة الجمع ـ من حيث نسبة الإرادة الصابغة بحكمها[١٥] الثلاثةَ الباقيةَ حين خفائها[١٦] في

---

(١) لبيان: لسان AP
(٢) لحبّ: تحت AB
(٣) عينها: غيبها AB
(٤) إحداهما: أحدهما AB
(٥) الحبّيّ: الحسّيّ AB
(٦) تعيّنه: بعينه B
(٧) A165b
(٨) لأنّ: ـ B
(٩) نسب: نسبة P
(١٠) المظهرة: المظهر P
(١١) الحبّيّ: الحسّيّ AB
(١٢) الحبّيّ: الحسّيّ A، الحسبي B
(١٣) B51b
(١٤) فتردّد: وتردّد P
(١٥) بحكمها: يحكمها A
(١٦) خفائها: حقائقها AB

الثلاثة؛ لحصـول[١] الأثر وكماله، فحصلت الفرديّة، ثمّ ظهر بتلك الحركة الغيبيّة الذي هو التَرداد ســرُّ النكاح، فتبعَتها[٢] النتيجةُ تبعيّةَ اســتلزام، لا تبعيّة ظهور. وبقي تعيين المرتبـة التي هي محـلّ نفوذ الاقتـدار بالحركة الحُبّيّة[٣]؛ ليظهر عين المراد بحســب أحكام الأُصـول التي هي النِسـبُ الأصـليّة والأسـماءُ الذاتيّة اللازمة حضرةَ الوحدانيّة الغيبيّة، حاملاً خواصّـها ومُظهراً[٤] أسرارها، وما عدا هذه الأسماء من الأسماء[٥]، فهي التالية لها إن كانت كلّيّة، وإلّا فهي الأسماء التفصيليّة المتعلّقة بعالم التدوين والتسطير والمتعيّنة فيه[٦].

وقد كنّا بيّنّا أنّه لا يمكن تأثير الشـيء في نفسه من حيث وحدته وبساطته، فاقتضى الأمر تمييزَ مقام الوحدة عمّا يغايرها ممّا هو دونها في المرتبة؛ ليتميّز منها ما يصلح أن يكون محملاً[٧] لنفوذ الاقتدار؛ فإنّ المتكافئَين في ما هما فيه متكافئان ـ نسبيَّين[٨] كانا أو أمرين وجوديَّين ـ لا يكون اختصاص أحدهما بالمؤثّريّة في الآخر بأولى من صاحبه. فلا بـدّ من موجـبٍ أو معنىً كماليّ يرجّح أحدهما على الآخر به، يصـحّ له أن يكون مؤثّراً، وينزل[٩] الآخر منه بالمرتبة؛ لعود[١٠] تلك الصـفة الكماليّة، أو الأمر المقتضـي للترجيح، فيكون محلّاً لأثر هذا المؤثّر المرجّح[١١].

ولمّـا لم يكن في الغيب الإلهيّ تعدّدٌ وجوديٌّ لشـــيءٍ ما[١٢] ـ لتقدّمه على[١٣] كلّ

(١) لحصول: بحصول AB
(٢) فتبعتها: فتتبعها A
(٣) الحبّيّة: الخبيئة AB
(٤) مظهراً: مظهر AB
(٥) الأسماء: + لهما P
(٦) فيه: _ AB
(٧) محملاً: محتملاً A، محلّاً P
(٨) نسبيّين: نسبتين A، بنسبتين P
(٩) ينزل: يترك B
(١٠) لعود: لفوز A
(١١) المرجّح: المترجّح AB
(١٢) B52a
(١٣) A166a

شـــيء، وكونـه منبع التعدّد والمتعدّدات[١] والمعدودات ـ كان هذا تعدّداً[٢] معنويّاً من حيث النِسب، وترجيحاً واقعاً بين الأحوال الذاتيّة، فكانت[٣] الكثرة في مقام المقابلة[٤] من الوحدة. وعلى إحدى[٥] جنبتَي الوحدة أحكامُها ونِسـبها[٦] ناظرة إلى الكثرة، وعن الجانب الآخر نسـبة الظهور ينظر إليها الكثرة، والجميع ناظر[٧] إلى مقام كمال الجلاء والاسـتجلاء، وكلّ ذلك تودّدٌ وتعشّـقٌ بعين المناسـبة والارتباط الغيبيّ. فسرى الحكم الذاتيّ الأحديّ الجمعيّ في النسـبة العلميّة بالشـروع في تحصـيل المقصـود وإظهار غيبـه[٨]، فانقســم الغيب الإلهيّ[٩] شــطرين. ومع أنّ الســرّ الحبّيّ له الســلطنة في الأمر[١٠]، فلم يخـلُ من أمرٍ[١١] قهريّ هو من لوازم المحبّـة والغيرة التـابعـة للأحـديّة، فتعلّق ـ أعني الحكمَ القهريّ الأحـديّ ـ بـالكثرة من حيـث مـا ينـافيهـا عزّاً وأنفةً من مجـاورة[١٢] الكثرة لهـا بعـد ظهور تعيّنهـا؛ إذ قبـل التعيّن لـم يظهر للمنافاة[١٣] والغيرة حكمٌ، ولا لأمثالهما من النِسب.

ومن هنا[١٤] يتنبّه اللبيب إلى سرّ منشأ التنزيه ومبدئه[١٥]، وسرّ الرحمة والغضب[١٦]، وسرّ سبق الرحمة[١٧]، والرضى والسخط، والجمال والجلال، والقهر واللطف؛ فإنّه[١٨]

---

(١) والمتعدّدات: ـ P
(٢) تعدّداً: العدد AB
(٣) فكانت: وكانت AB
(٤) المقابلة: القابلة A
(٥) إحدى: أحد AB
(٦) نسبها: نسبتها AB
(٧) ناظر: ناظراً A
(٨) غيبه: عينه A
(٩) الإلهيّ: + سرّ AB
(١٠) الأمر: الآخر AB
(١١) أمر: حكم P
(١٢) مجاورة: محاورة B
(١٣) للمنافاة: للمحبّة AB
(١٤) هنا: هاهنا B
(١٥) مبدئه: مبدأ P
(١٦) الغضب: الغصب B
(١٧) سرّ سبق الرحمة: السبق المشار إليه P
(١٨) فإنّه: فإنّ الجميع P

يرجع إلى هذين الأصلين، وأسدّ[١] العبارات عنهما وأشدّها مطابقةً ما ورد به التعريف الإلهيّ[٢]. فانفصلت في أحد الشطرين نسبة الوحدة التي تستند[٣] إليها الكثرة من حيث أحكامها المتعدّدة بسائر[٤] توابعها. فتعيّنت[٥] مرتبة الاسم «الظاهر»[٦] بالانفصال المذكور من حضرة الغيب، فتعيّن التعيّنُ لنفسه وللمتعيّن به قبل أن يظهر التعدّد للمعدود في مقام الكمّ والكيف وأخواتهما ـ كالمتى والأين ـ، وامتاز بالشهادة عن الغيب، فتعيّنت للباطن مرتبة تجلّيه[٧] بامتياز الظاهر عنه، وشوهد بغيب الظاهر من حيث ظهوره ما أظهر من الأحكام والصفات[٨] والصور واللوازم التابعة له. فعُلم الغيبُ[٩] بالشهادة الظاهرة منه، وعُلمت[١٠] الشهادةُ بالغيب المستبطَن فيه. وجميع ما انفصل في الشطر المختصّ بالاسم «الظاهر»، فإنّما هو في تعيّنه[١١] كمال الجلاء والاستجلاء وخدمته، وبقي الشطر الآخر على إطلاقه في مقام عزّه الأحمى، وكماله المنزّه عن النعوت والقيود والأحكام وتعلّقات المدارك، ما عدا التعلّق الإجماليّ المُشار إليه.

وتسميته شطراً ليس لتعيّنه وتقيّده، بل لمّا تعيَّن منه شطرٌ[١٢] صار دليلاً عليه؛ لأنّه الأصل، فالمتعيّن منه دليل عليه من حيث إنّه[١٣] متعيّن، فكان[١٤] هو الدليل والمدلول، وكلّ دليل فإنّه حجاب على المدلول، مع أنّه معرِّف له من جهة التي من حيث هي[١٥] تدلّ عليه.

---

(١) أسدّ: أتمّ P
(٢) الإلهيّ: + أعني الرحمة والغضب P
(٣) تستند: يستند B || B52b
(٤) بسائر: سائر A
(٥) فتعيّنت: فتضيّفت A
(٦) الظاهر: الطاهر AB
(٧) تجلّيه: جميلة P
(٨) A166b
(٩) الغيب: ـ P
(١٠) وعلمت: فعلم P
(١١) تعيّنه: تعيينه A، تبعيّة P
(١٢) شطر: شطراً AB
(١٣) إنّه: + غير P
(١٤) فكان: وكان B
(١٥) هي: ـ AB

ثمّ إنّه اخترع له، وظهر[١] بحسب حُكمه[٢] في كلّ ما تعيُّن به[٣]، ومنه اسم يدلّ عليه دلالتين:

ـ دلالة الحكم المختصّ بالأمر المتعيّن.

ـ ودلالة أُخرى إجماليّة تعرِّف أنّه أصل كلّ ما[٤] تعيّن.

وهذا هو سرّ التسمية.

ثمّ إنّه لم يكن بدّ مِن حافظٍ يحفظ[٥] الحدّ الفاصل بين الشطرين، ويمنع الشطر المنفصل من الامتزاج والاتّحاد بما انفصل عنه بعد التعيّن والامتياز؛ ليبقى[٦] الاسم «الظاهر» وأحكامُه على الدوام، ويستمرَّ نفاذ حكم التجلّي الإيجاديّ والحكم التعيّنيّ؛ فإنّه إن لم يكن ثمّة حافظ يمنع ممّا ذكرنا، اختلّ النظام؛ لأنّ في الممتاز المنفصل ما يطلب الغيبَ الأوّل طلباً ذاتيّاً؛ فإنّه معدِن الجميع. والأشياءُ تَحِنّ إلى أُصولها، والجزئيّاتُ إلى كلّيّاتها. فكانت الأحديّة نعتَ ذلك الحدّ[٧] المُشار إليه، فهو معقول غيبيّ لا يظهر له عين أصلاً. وهكذا كلّ فاصل يحجز[٨] بين أمرين إنّما يظهر حكمُه لا عينُه، وكان الحافظ لهذا الحدّ هو الحقّ، ولكن من حيث باطن الاسم «الظاهر»، وهي النسبة الباقية منه في الغيب الذي به صحّ بقاؤه[٩] ودلالته على المسمّى الذي هو «الباطن».

[سرّ الإنسان الكامل]

وهذه النسبة الباطنة من الظاهر لا تقبل[١٠] الانفصال من الغيب؛ فإنّها عبارة عن الأمر الجامع بين الظاهر والباطن المطلق، والفعل والانفعال، والطلب والمطلوبيّة[١١]،

---

(١) وظهر: فظهر P

(٢) حكمه: حكمة B

(٣) به: ـ A

(٤) كلّ ما: كلّما AB || B53a

(٥) يحفظ: محفظ A

(٦) ليبقى: لتبقى A

(٧) الحدّ: + المشترك AB

(٨) يحجز: بحجر B، يحجب P

(٩) A167a

(١٠) تقبل: يقبل B

(١١) المطلوبيّة: المطلوب A

ولهذه النسبة وجه يلي الظاهر، ووجه يلي الباطن المطلق. فأحد وجهَيه يلي الإطلاق الغيبيّ، والآخر له التقيّد والتعدّد الشهاديّ[١]، فأشبهت الهويّة التي انفصل منها الشطرُ المذكور من حيث[٢] اتّحاد الشطرين في الأصل، وكونِ التغاير لم يكن إلّا بالامتياز، وهو نسبة عدميّة، لا أمر وجوديّ.

فتلك الحقيقة الحافظة المذكورة هي مرتبة الإنسان الكامل، الذي هو برزخ بين الغيب والشهادة، ومرآة يظهر فيها حقيقة العبوديّة والسيادة، واسم المرتبة بلسان الشريعة[٣] «العماءُ»، ونعتُها الأحديّةُ، والصفاتُ المتعيّنة فيها بمجموعها هي الأسماء الذاتيّة، والصورةُ المعقولة الحاصلة من مجموع تلك الأسماءِ المتقابلة وأحكامِها والصفاتِ والخواصِّ اللازمة لها من حيث بطونها هي الصورة الإلهيّة المذكورة.

وهذه الأسماء وما يتلوها في المرتبة من الأسماء الكلّيّة، لا ينفكّ بعضها عن بعض، ولا يخلو أحدها[٤] عن حكم البواقي، مع أنّ الغلبة في كلّ مرتبة وكلّ شأن كلّ آنٍ بالنسبة إلى كلّ ما هو مظهر لها[٥] لا تكون[٦] إلّا لواحد[٧] منها، ويكون[٨] البواقي مقهورةً تحت حكم ذلك الواحد، وتابعةً له، ومن جهته[٩] يصل الأمر الذاتيّ الإلهيّ إلى ذلك المظهر المستند إلى الحقّ من حيث ذلك الاسم وتلك المرتبة من حيث وجوده ومن حيث عبوديّته، فيُقال له -مثلاً-: عبد القاهر[١٠]، وعبد الحيّ، وعبد الجواد، وغيرها[١١] من الأسماء.

---

(١) الشهاديّ: الإشهاديّ AB
(٢) B53b
(٣) بلسان الشريعة: باسم الشرع AB
(٤) أحدها: أحدهما AB
(٥) مظهر لها: مظهرها P
(٦) تكون: يكون AB
(٧) لواحد: الواحد AB
(٨) يكون: + أحكام P
(٩) جهته: جهة A
(١٠) القاهر: القادر P
(١١) وغيرها: إلى غير ذلك P

ومن لم يستند[١] إلى أحد الأسماء أقوى[٢] من غيرها، ولم ينجذب من الوسط إلى إحدى المراتب لمزيدِ مناسبةٍ أو حكمٍ أو تعشّقٍ، مع قبوله آثار جميعها والظهور[٣] بجميع أحكامها دون تخصيص غير[٤] ما خصّصه[٥] الحقّ من حيث الوقت والحال والموطن، مع[٦] عدم استمرار حكم ذلك التخصيص والتقيّد به، فهو عبد[٧] الجامع.

والمستوعب لِما ذكرنا بالفعل ـ دون تقيُّده بالجمع[٨] والظهور والإظهار والتعرّي عنه وغير ذلك، مع التمكّن ممّا شاء متى شاء، مع كونه مَظهراً للمرتبة والصورة بحقيقة[٩] العبوديّة والسيادة اللتين هما نسبتا مرتبتَي الحقّ والخلق[١٠] ـ هو الإنسان الكامل، ومن أسمائه[١١] القريبة النسبة إلى مرتبته «عبد[١٢] اللّه».

وكمال الجلاء هو كمال ظهور الحقّ بهذا العبد الذي هو الإنسان المذكور.

وكمال الاستجلاء[١٣] عبارةٌ عن جمع[١٤] الحقّ[١٥] بين شهود[١٦] نفسه بنفسه في نفسه وحضرة وحدانيّته، وبين شهوده نفسَه في ما امتاز عنه، فسمّي[١٧] بسبب الامتياز غيراً، ولم يكن قبل الامتياز كذلك. وعبارةٌ عن مشاهدةِ ذلك الغير في إرضاء نفسه بنفسه من كونه غيراً ممتازاً، ومشاهدةِ[١٨] مَن امتاز عنه أيضاً بعينه[١٩] وعين مَن[٢٠] امتاز

---

(١) يستند: يكن نسبته P
(٢) أقوى: الأقوى AB
(٣) A167b
(٤) غير: عين AB || B54a
(٥) خصّصه: يخصّصه P
(٦) مع: و AB
(٧) عبد: عند AB
(٨) بالجمع: بالجميع AB
(٩) بحقيقة: بالحقيقة A
(١٠) الخلق: + و AB
(١١) أسمائه: الأسماء P
(١٢) عبد: عند AB
(١٣) الاستجلاء: + هو P
(١٤) جمع: جميع A
(١٥) الحقّ: الخلق AB
(١٦) شهود: شهوده P
(١٧) فسمّي: فيسمّى P
(١٨) مشاهدة: مشاهدته P
(١٩) بعينه: لعينه AB
(٢٠) من: _ AB

عنه[١]. فتميّز[٢] الواحدُ عمّن ثناه بالفرقان[٣] النسـبيّ[٤] الذي حصـل بينهما، وظهر[٥] منهما، فانفرد كلٌّ بأحديّته وجمعيّته.

ولمّـا كـانـت أعيـان الموجودات ـ التي هي نِسـب العلم ومظـاهرُ أحكـام الكثرة وأحديّتها ـ مُستجنّةً[٦] في غيب الحقّ، وكانت من حيث التعدّد النسبيّ مغايرةً للأحديّة التي هي أقرب النعوت نسـبةً إلى إطلاق الحقّ وسَـعَته وغيبه[٧]، كانت معقوليّة النسبة الجامعة لتعيّناتها وأحكامِها المتعدّدة المختصّـة بها، من حيث تسـاوي قبولها للظهور بالتعيّن واللا ظهور بالنظر إليها، مسـمّاةً بمرتبة الإمكان، والكثرة صـفة لازمة لها، لزومَ الزوجيّة للأربعة.

فظهر التغاير بين مرتبتها وبين مرتبة الوحدانيّة من هذا الوجه. فتعلّقَت المشـيئة[٨] بتميّز[٩] مقـام الوحـدانيّـة[١٠] عمّا لا يناسـبها من الوجه المغاير، وهو أحد[١١] حكمَي الوحدة التي هي منشـأ الكثرة المذكورة؛ فإنّ المغايرة غير حاصـلة من الوجه الآخر[١٢] المختصّ بالحضرة العلميّة الذاتيّة الغيبيّة؛ لعدم التعدّد هناك. ولهذا ما برِحت الأشياء من حيـث حقـائقها في الغيب، ولم تفارق الحضـرةَ العلميّة من الوجه الذي لا يتعدّد لنفسـهـا[١٣] ولا يتكثّر وجودهـا، وامتـازت بـاعتبـار آخر للمغـايرة المـذكورة. فظهر بالاتّحاد[١٤] كمالُ مرتبة الوحدانيّة بانفصـال ما قويت نسبته[١٥] من الكثرة عنها، وسرى

---

(١) عنه: + أيضاً P

(٢) فتميّز: فيمن AB

(٣) بالفرقان: بالعرفان AB

(٤) النسبيّ: البيّنيّ P

(٥) ظهر: + بينهما P

(٦) مستجنّة: مسجّنة A

(٧) B54b

(٨) المشيئة: المشبّه B

(٩) بتميّز: بتمييز AB

(١٠) A168a

(١١) أحد: _ A

(١٢) الآخر: _ B

(١٣) لنفسها: نفسها AB

(١٤) بالاتّحاد: الإيجاد P

(١٥) نسبته: بسببه AB

حكم الوحدانيّة في كلّ نسبة[١] من نِسب الكثرة من الوجه الذي تكثّرت به، فظهر[٢] سلطان الأحديّة على الكثرة. فعَلِم كلُّ متكثّر أنّه من وجهٍ[٣] غير متكثّر وكثير، وأنّ لكلّ موصوفٍ بالكثرة أحديّةً تخصّه. وظهر لمجموع[٤] أجزاء الكثرة أحديّة متساوية للأحديّة المنفيّ[٥] عنها التعدّد. فاتّصل الأمر ـ بعد بلوغ الكثرة إلى غايتها ـ بالأصل الذي منه[٦] انبعث[٧] الوحدة والكثرة. وما تعيَّن وظهر بهما فهو[٨] الغيب الإلهيّ، معدِن سائر التعيّنات[٩]، و[١٠] منبع جميع التعدّدات الواقعة في الحسّ وفي العقول والأذهان.

ثمّ نقول: فلمّا امتاز الاسم «الظاهر» من الغيب المطلق حاملاً صورةَ الكثرة المعبَّر عنها بالإمكان، وتميّزت مرتبته في العماء الذي هو منزل التدلّي النكاحيّ الغيبيّ، ومحلّ نفوذ الاقتدار، انفصل مع الاسم «الظاهر» سائرُ التوابع واللوازم المنضافة إليه[١١]. فشهد الحقّ نفسَه بنفسه في مرتبة ظاهريّته الأُولى الممتازة عن[١٢] غيب باطنه وهويّته. فظهرت ذاته[١٣] له بأسمائه الذاتيّة ونسبِها[١٤] الأصليّة الظاهرِ تعيّنها بحكم المقام الأحديّ الذاتيّ، والتعيّنِ الأوّل الذي هو الحدّ المذكور، وذلك في حضرة أحديّة الجمع الذي هو العماء.

فأوّل المراتب والاعتبارات العرفانيّة المحقَّقة بغيب الهويّة، الاعتبارُ المسقِط لسائر الاعتبارات، وهو الإطلاق الصرف عن القيد[١٥] والإطلاق، وعن الحصر[١٦] في أمر من

---

(١) نسبة: نسبه B
(٢) فظهر: وظهر P
(٣) وجه: الوجه P
(٤) ظهر لمجموع: ظهور بمجموع AB
(٥) المنفيّ: المتعيّن AB
(٦) B55a
(٧) انبعث: ينبعث AB
(٨) فهو: وهو AB
(٩) التعيّنات: التغيّيات B
(١٠) و: ـ P
(١١) إليه: فيه AB
(١٢) عن: من P
(١٣) ذاته: ـ AB
(١٤) نسبها: نسبتها A
(١٥) A168b
(١٦) الحصر: الحضرة AB

الأُمور الثبوتيّة والسلبيّة، كالأسماء والصفات، وكلّ ما[١] يُتصوّر ويُعقل ويُفرض بأيّ وجهٍ كان[٢]. وليس لهذا المقام لسان، وغاية[٣] التنبيه عليه هذا ومثله.

ثمّ اعتبار علمه نفسَه[٤] بنفسه وكونه هو لنفسه[٥] هو فحسب، من غير تعقُّلِ تعلّقٍ، أو اعتبار حكم، أو تعيّن أمر ثبوتيّ أو سلبيّ[٦]، ممّا يعقله غيره[٧] بوجهٍ من الوجوه، ما عدا هذا الاعتبار الواحد المنفيّ حكمُه عن[٨] سواه. ومستندُ الغنى والكمال الوجوديّ الذاتيّ والوحدة الحقيقيّة[٩] الصرفة[١٠] قوله: «كان اللّه، ولا شيء معه»[١١]، ونحو ذلك من[١٢] الأمر الذي يضاف إليه. هذا الاعتبار الثاني.

ويليه مرتبة شهوده ـسبحانهـ نفسَه بنفسه في مرتبة ظاهريّته[١٣] الأُولى بأسمائه الأصليّة، وذلك أوّل[١٤] مراتب الظهور بالنسبة إلى الغيب الذاتيّ المطلق. وجميع ما مرّ ذكرُه من التعيّنات إلى هنا، هي تعيّنات الظاهر بنفسه لنفسه على النحو المُشار إليه، قبل أن يظهر للغير عين[١٥]، أو يبدو لمرتبته حكم. فافهَم واستخلِص المقصود من الكلام غير متقيّد بألفاظ[١٦] كلّ التقيّد؛ فإنّها أضيَقُ ما يكون، وأضعفُ في مثل هذا المقام، وعن[١٧] الإفصاح عن كُنهه على[١٨] ما هو عليه.

---

(١) كلّ ما: كلّما AB
(٢) كان: تصوِّر أو تعقِّل أو فرِض P
(٣) غاية: + بل AB
(٤) نفسه: بنفسه AB
(٥) لنفسه: في نفسه A
(٦) سلبيّ: + كائناً ما كان P
(٧) B55b
(٨) حكمه عن: حكم ما AB
(٩) الحقيقيّة: الحقيقة B
(١٠) الصرفة: + و AB
(١١) مرويّ عن أبي جعفر ـعليه السلامـ كما في: التوحيد للصدوق: ٦٧
(١٢) من: هو AB
(١٣) ظاهريّته: ظاهريّة A، طاهريّته B
(١٤) أوّل: ـ AB
(١٥) عين: عن A، غير B
(١٦) غير متقيّد بألفاظ: بألفاظ والتقيّد بها AB
(١٧) عن: ـ P
(١٨) كنهه على: كنه AB

وما ألَيَق هذا المقام بما قيل: (شعر)[١]

وما كلّ معلوم يُباح مصونه[٢] وما كلّ ما أملَت عيون الظباء[٣] يروى[٤]

فإن [خرقتَ][٥] حجابها، [استشرفتَ][٦] على غاية المراد وتمام المقصود.

ويلي هذا الذي ذكرناه[٧] مرتبة شهود الظاهر نفسَه في مرتبةِ سواه، من غير أن يدرك ذلك الغيرُ نفسَه، وما ظهر من الأمر به أو له؛ لقرب نسبته وعهده ممّن امتاز عنه، ولغلبة حكم الغيب المطلق والتجلّي الوحدانيّ عليه، وهذا صفة المهيَّمين[٨] في جلال جمال الحقّ وحالهم.

ثمّ ظهر حكمُ تعلّق[٩] الإرادة بنسبتَي[١٠] التفصيل والتدبير؛ لإيجاد[١١] عالم التدوين والتسطير، وإبراز الكلمات الإلهيّة التي هي مظاهر نوره، وملابس[١٢] نِسب علمه، ومرائي أسمائه، ومعيَّناتها في رقّ مسطور[١٣]. فكان ثمرةُ هذا التعلّق الإراديّ شهودَ الظاهر نفسَه في مرتبة الغير الممتاز عنه[١٤] في الشهادة الأُولى؛ ليظهر[١٥] حكم الغيب بظهوره في كلّ نسبة ظهر تعيُّنها[١٦] في مرتبة الظهور بحسب تعيُّنها الثبوتيّ[١٧] في العلم، وبحسب التوجّه الإراديّ نحو تلك النسبة. وليشهده أيضاً ما امتاز[١٨] عنه في

---

(١) شعر: _ P
(٢) مصونه: مصوبه A
(٣) الظباء: الظبي AB
(٤) وما أليق ... يروى: _ P؛ لم أعثر على قائله، وأقدم مصدره: إعجاز البيان: ٣٠٠
(٥) خرقت: حرقت AB
(٦) استشرفت: استشرقت AB
(٧) هذا الذي ذكرناه: ما ذكرنا P
(٨) المهيّمين: المهيمن AB
(٩) حكم تعلّق: تعلّق حكم AB
(١٠) B56a
(١١) لإيجاد: لاتّحاد A
(١٢) A169a
(١٣) مسطور: مسطوره P
(١٤) عنه: _ AB
(١٥) ليظهر: ليطهر B
(١٦) تعيّنها: بعينها AB
(١٧) الثبوتيّ: الشؤونيّ A
(١٨) امتاز: + به P

مرتبة الشـهادة، وتعيّنت له نسـبة ظاهرة يسمّى[١] بها[٢] خلقاً وسِوى، فيدرك[٣] بها هذا التجلّي عينه[٤]، ومن امتاز عنه، وما امتاز به عن غيره.

وهاهنا سـرّ عزيز وضـابط شريف أُنبّه[٥] عليه[٦]، ثمّ أذكر سرّ الترتيب الإيجاديّ ما يستدعي[٧] الحال[٨] ذكره، فأقول: كلّ موجود أو أمر يكون جامعاً لصفات شتّى أو نِسب نِسب متعدّدة؛ فإنّ وصول حُكمه وأثره إلى كلّ قابل في كلّ شأنٍ أو آنٍ وشأنٍ إنّما يتعيّن بحسب أوّليّة الأمر الباعث له على ذلك[٩] الحكم والتأثير، وبحسب الصفة[١٠] الغالبة الحكم عليه بالنسـبة إلى باقي صـفاته حالَ التحكّم والتأثير في القابل، وبحسـب حال القابل واسـتعداده. ولا يخلو كلّ توجّه صـادرٍ من كلّ متوجّه إلى كلّ متوجّه إليه من أن يتعيّن بحسب أحد هذه الأُمور الثلاثة، ويبقى حكم الأمرين الآخرين.

وأحكام باقي النســب والصـفات التي للقابل تابعة لغلبة إحدى[١١] هذه الأُصــول. وكذلك صــورة ثمرة ذلك التوجّه تكون تابعةً لحكم[١٢] الأغلبيّة المذكورة، وظاهرةً[١٣] بحســبها، وإن انعجن فيها حكمُ باقي النســب والصــفات، ولكن يكون حكمها خافياً بالنســبة إلى حكم ذلك الأمر الواحد الغالب، وتبعاً له. ولا يثمر توجّه متوجّه إليه قطّ، إلّا إذا كـان متعلّق التوجّـه أمراً واحـداً، ومهمـا تعلّق بأمرين فصــاعداً فإنّه لا يثمر ولا ينفذ[١٤] له حكم أصــلاً. وســببه أنّ الأثر من كلّ مؤثّر في كلّ مؤثّر[١٥] فيه لا يصـحّ إلّا

---

(١) يسمّى: سمّي P
(٢) بها: لها AB
(٣) فيدرك: فتدرك A، فندرك B
(٤) عينه: غيبه AB
(٥) أنبّه: ابنه B
(٦) عليه: عنه AB
(٧) يستدعي: استدعى AB
(٨) الحال: هذا الباب P
(٩) ذلك: هذا P
(١٠) الصفة: صفة AB
(١١) إحدى: أحد B56b || P
(١٢) لحكم: بحكم AB
(١٣) ظاهرة: + هي P
(١٤) ينفذ: تنفذ A
(١٥) في كلّ مؤثّر: ـ AB

بالأحديّة، والنتيجة تتبع الأصل.

وبيـانه: أنّ مبدأ التوجّه الإلهيّ للإيجاد صـدر[١] من ينبوع الوحدة بأحديّة الجمع، فتعلّق[٢] بكمـال الجلاء والاسـتجلاء المعبَّر عن حُكمه تارةً بالعبادة، وتارةً بالمعرفة، وهو قوله تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣] بالتفسيرين. والظاهر بهذا التوجّه من غيب الحقّ هو الوجود المنبسط على الأعيان، لا غير.

ولمّا كان العالَم بما فيه ظلّاً لحضـرة الحقّ ومَظهراً لعلمه، سـرى الحكم واطّرد في كلّ[٤] تابع للعلم وفرع عليه[٥]، فاعلَم ذلك. <[٦]

وما أحسـنَ ما قال بعضُ أجلّاء هذه الطريقة، مشـيراً إلى أسـرار هذه الأُمور بالرمز الخفيّ والإشارة الوافية: (شعر)

فلو لاه[٧] ولو لانا لَما كان الذي كانا   فصار الكون[٨] مقسوماً بإيّاه وإيّانا[٩]

إشـارة إلى حامل الكثرة[١٠] عن الأحديّة، وكيفيّةِ انبسـاط الوجود الواجبيّ[١١] على الماهيّات الظاهر فيها سرّ الكثرة[١٢] [بلزوم][١٣] الإمكان.

وقال آخر في سـرّ أحديّة الجمع ـوهو لطيف في الغاية، عميق [في][١٤] المقصود، يُفهَم سرُّه ممّا مضىـ: (شعر)

الكـونُ خـالٌ قـد بـدا مِـن خـدِّه   ولقـد تجـلّى خـدُّه مِـن خـاله[١٥]

---

(١) A169b
(٢) فتعلّق: وتعلّق P
(٣) القرآن الكريم: ٥٦/٥١
(٤) كلّ: ما هو P
(٥) وفرع عليه: وقوع A
(٦) إعجاز البيان: ١٠١ ـ ١١٨
(٧) فلو لاه: ـ A، لو لاه B
(٨) الكون: الأمر P
(٩) قائله ابن عربيّ، في: فصوص الحكم: ١٤٣/١
(١٠) الكثرة: الكرة A
(١١) B57a
(١٢) الكثرة: الكرة B
(١٣) بلزوم: يلزم AB
(١٤) في: ـ AB
(١٥) ديوان كامل شمس مغربي: ٦١

ومثله قول الآخر في المعنى:

كُــنّا حــروفــاً عاليــاتٍ لــم نقــل ... متعــلّقاتٍ فــي ذرى أعلــى القُــلَل

أنا أنــت فيه، ونحــن أنت، وأنت هو ... والكلّ في هو هو، فسَل عمّن وصل[١]

وقول الآخر مثله:

البحــر بحــر علــى ما كان في قــدم ... إنّ الحــــوادث أمــــواج وأنهــــار

لا يحـــجبنّك أشـــكال تشاكلـــها ... عمّــن تشــكّل فيــها، فهــي أستار[٢]

وذلك في أمثالهم ورموزهم كثير.

[تتميم بيان سرّ بدء الأمر]

وإذا تقرّر هذا، فلنعُد إلى [تتميم][٣] بيان سرّ البدء للأمر[٤] لنستوفيه.

[٥]< فنقول: فانســحــب حكم التوجّـه الإلهيّ الأحـديّ لإيجـاد عالم التدوين[٦] والتسطير على الأعيان الثابتة، بعد ظهور الأرواح المُهيَّمة[٧] ـالتي مرّ حديثهاـ مُنصبِغاً بحكمِ[٨] كلّ ما[٩] حواه الغيب ممّا تعيّن به في ما بعد[١٠]، وامتاز عنه من وجهٍ، فكان[١١] توجّهاً جمعيّاً[١٢] وحدانيّ الصفة.

فأمّا جمعيّته فلِما حواه الغيب ممّا أحاط به من العلم وتعلّق بإبرازه[١٣].

---

(١) منسوب إلى ابن عربيّ، كما في: لطائف الأعلام: ٣٨٣/٢

(٢) لم أعثر على قائله، وأقدم مصـدره: رسالة في التوحيد والنبوّة والولاية للقيصريّ: ١٣

(٣) تتميم: تميم AB

(٤) البدء للأمر: بدء الأمر P

(٥) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(٦) التدوين: التدوير AB

(٧) المهيّمة: المهيمنة AB

(٨) بحكم: يحكم B

(٩) كلّ ما: كلّما AB

(١٠) في ما بعد: ـ P

(١١) فكان: وكان AB

(١٢) جمعيّاً: جميعيّاً AB

(١٣) A170a

وأمّا أحديّته فلأنّ الإرادة وحدانيّة، ومتعلَّقها من كلّ مريد في الحال الواحد لا يكون إلّا أمراً واحداً. والمريد الحقّ -سبحانه- واحد، فإرادته واحدة لا مَحالة، فمتعلَّقها لا يكون في كلّ شأن إلّا أمراً واحداً، هو غاية ذلك التوجّه الإراديّ ونتيجتُه. ومنزلُ[١] التوجّه الإلهيّ ومحلُّ نفوذ اقتداره، ليس إلّا أمراً واحداً، وإنّه العماء[٢]. فأنتجَ هذا التوجّه[٣] -كما قلنا[٤] في مقام عالم التدوين والتسطير- نتيجةً[٥] وجوديّةً متوحّدةً[٦] حاملةً كثرةً عينيّةً[٧] نسبيّةً، فسمّاها الحقُّ قلَماً وعقلاً.

فعقلاً من حيث الوجه الذي يلي ربَّه، ويقبل منه[٨] ما يهبه ويمدّه، ومن حيث[٩] أنّه أوّل موجود متعيّن عقَل[١٠] نفسَه، ومَن تميّز عنه، وما تميّز به عن غيره، بخلاف مَن تقدّمه بالمرتبة، وهُم المُهيَّمون[١١].

وقلَماً من حيث الوجه الذي يلي الكونَ، فيؤثّر ويمدّ، و[١٢] من حيث إنّه حاملُ الكثرة[١٣] الغيبيّة الإجماليّة المودَعة في ذاته؛ ليفصّلها في ما يظهر بتوسّط مرتبة[١٤] وبدونها. فلمّا كان هو ثمرة التوجّه المقدَّم ذكرُه، ظهر مشتملاً على خاصّيّتَي[١٥] الجمع والأحديّة، وظهر به سرّ التربيع من حيث التثنية الظاهرة في وجوده، التالية[١٦] للمقام الأحديّ من حيث التثنية المعقولة من التوجّهِ المنبَّهِ عليه، المنتجِ له. لكن لمّا كان

---

(١) منزل: مقول B
(٢) B57b
(٣) هذا التوجّه: التوجّه الإلهيّ المذكور P
(٤) كما قلنا: _ AB
(٥) نتيجة: نسخة AB
(٦) متوحّدة: متّحدة AB
(٧) عينيّة: غيبيّة P
(٨) منه: به P
(٩) حيث: _ AB
(١٠) عقل: عقلا B
(١١) المهيّمون: المهيمنون AB
(١٢) يمدّ و: يمدد AB
(١٣) الكثرة: للكثرة AB
(١٤) مرتبة: مرتبته AB
(١٥) خاصّيّتي: خاصّتي B
(١٦) التالية: الثالثة AB

الواحد من هذه الأربعة هو السرّ[١] الذاتيّ الجمعيّ ـ وهو ساري الحكم في كلّ شيء من المراتب والموجودات، فلا[٢] يتعيّن له نسبة ولا مرتبة مخصوصة ـ كان الأمر في التحقّق[٣] مثلّثاً، وذلك سرّ الفرديّة الأُولى[٤] المُشار إليه[٥]. فلمّا انتهى حكم الإرادة بنفوذ حكمها، وظهر القلم[٦] الذي كان متعلّقَها، تعيّنت نسبة أُخرى بتوجّه ثانٍ من حيث التعيّن، لا من حيث الحقّ؛ فإنّ أمره واحد، فظهر وتعيّن من الغيب تجلٍّ ذو حكمين:

أحدهما: الحكم الذاتيّ الأحديّ الجمعيّ.

والآخر: من حيث انصباغ عين ذلك الحكم[٧] بما مرّ عليه وامتاز عنه، وهو القلم.

فتعيّن[٨] بحكم التثليث في المرتبة التالية[٩] لمرتبة القلم وجودُ اللوح المحفوظ حاملاً سرَّ التربيع؛ لأنّه انضاف[١٠] إلى حكم التثليث حكمُ المرتبة اللوحيّة، فحصل تربيع تابع للتثليث، فتعيّنت المرتبة الجامعة لمراتب الصور والأشكال، أعني التثليث والتربيع. فظهر في اللوح تفصيل الكثرة التي حواها العماء، فكمَلت مظهريّة الاسم[١١] «المفصِّل»، كما كمَلت بالقلم المذكور مظهريّة الاسم «المدبِّر» من حيث اشتماله على خاصّيّتَي[١٢] الجمع والأحديّة.

ثمّ تعيّنت مرتبة الطبيعة باعتبار ظهورها[١٣] من حيث حُكمها في الأجسام.

---

(١) السرّ: ـ AB
(٢) فلا: ـ A
(٣) التحقّق: التحقيق AB
(٤) الأولى: الأوّل A
(٥) إليه: إليها AB
(٦) القلم: العلم AB
(٧) A170b
(٨) B58a
(٩) التالية: الثالثة AB
(١٠) انضاف: أيضاً A؛ لا يضاف B
(١١) مظهريّة الاسم: مظهريّته للاسم AB
(١٢) خاصّيّتي: خاصّتي B
(١٣) ظهورها: طهورها B

وللطبيعة[١] هنا ظاهريّة[٢] الأسماء الأُول الأصليّة.

ثمّ تعيّنت مرتبة الهيولى المنبِّهة على الإمكان الذي هو مرتبة العالم الجسمانيّ[٣].

و[٤] بالجسم الكلّ[٥] ـ الذي تعيّنت به مرتبة بعد هذه المرتبة الهيولانيّة ـ ظهر[٦] سرّ التركيب المعنويّ المتوهَّم الحصول من ارتباط الممكنات بالحقّ، وارتباطه من حيث أُلوهيّته[٧] بها.

ثمّ ظهر العرش الذي هو مَظهر الوجود المطلق، ونظيرُ القلم، وصورةُ الاسم «المحيط».

ثمّ الكرسيّ الذي هو مَظهر الموجودات المتعيّنة من حيث ما هي متعيّنة، ونظيرُ اللوح المحفوظ.

فللتثنية الأُولى، الباءُ التي هي أوّل المراتب العدديّة[٨].

وللتثليث الجامع[٩] للكثرة السينُ.

وللتربيع الجامع بين إجمال[١٠] الكثرة وتفصيلها الميمُ.

ولاسم[١١] «اللّه» من حيث جمعيّته[١٢]، النفسُ الذي ظهرت به ومنه الموجوداتُ، ولا يتعيّن[١٣] له في عالم الصور مرتبة جامعة[١٤] ظاهرة.

ثمّ يليه مرتبة الاسم[١٥] «الرحمن» المستوي[١٦] على العرش[١٧].

---

(١) للطبيعة: الطبيعة AB
(٢) ظاهريّة: طاهريّة B
(٣) الجسمانيّ: ـ P
(٤) و: + به و P
(٥) الكلّ: الكلّيّ AB
(٦) ظهر: طهر B
(٧) أُلوهيّته: أُلوهيّة P
(٨) العدديّة: ـ AB
(٩) الجامع: الحامل P
(١٠) إجمال: جمل AB
(١١) لاسم: الاسم B، الاسم P
(١٢) جمعيّته: + ثمّ P
(١٣) يتعيّن: بتعيّن A
(١٤) جامعة: ـ P
(١٥) الاسم: ـ AB
(١٦) B58b
(١٧) مشير إلى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾. (القرآن الكريم: ٥/٢٠)

ثمّ الاسم(١) «الرحيم» المستوي على الكرسيّ. >(٢)

فاشـتملت البسملة على سرّ الموجودات وبدء أمرها، على ما قرّره هؤلاء الفضلاء. فتـدبَّر أقوالَهم، فلا تجـدُهـا [مغـايرةً](٣) لأذواق أهل الذوق ـ من الحكماء المتألّهين، وأهل الأسـرار المكاشـفين ـ إلّا في العبارات و(٤) الرموز والإشـارات(٥). واللّه الهادي، ووليّ التوفيق.



(١) الاسم: ـ AB

(٢) إعجاز البيان: ١١٨ ـ ١٢٠

(٣) مغايرة: ـ AB

(٤) و: + مغايرة AB

(٥) A171a

[الفصل الثالث عشر: في المعاد]

[بحوث في المعاد]

ثمّ نقول: لا بـدّ من **تكميـل** يكمل به المباحثُ الســابقة؛ لأنّها كانت في مباحث المبدأ، فلا بدّ من إتمامها بمباحث المعاد.

[امتناع انعدام النفس الناطقة]

(١)< فنقول: **الكلمة** ـ أعني النفسَ الناطقة المتعلّقة بالأبدان الإنســانيّة ـ **لا تنعدم، ولا يتطرّق**(٢) **إليهـا الفنـاء؛ لـدوامهـا في حقيقتهـا، [و]**(٣) **وجودُها بدوام موجبها الحـاصــلِ عنه وجوبُها الغيريّ،** الذي هو العلّة التامّة في انبســاط الوجود عليها من المبدأ الفيّاض. **ولهذا لا [تنتفي]**(٤) **لانتفاء شـرط** ـ كالمزاج، والروح، وما عداهما(٥) من الأغـذيـة والأحوال الملائمة ـ **لكمالها. ولا [تنتفي]**(٦) أيضــاً **بوجود مانعٍ ينافي وجودها، فتبطل**(٧) **بوجوده؛ إذ لا مانع متصوَّر هناك؛ لأنّها غير جرميّة، [**فتكون**]**(٨) ذاتَ أبعادٍ حاصــلة في الجهات، وســاريةً فيها، فتحتاج إلى أين أو متى، وإلّا لَما كانت مجرّدة، بـل كـانت جرماً جســمانيّاً، هذا خلف. **فلا مزاحم**(٩) **لها حينئذٍ ليكون**(١٠) **وجوده مُنافياً**(١١) **لوجودها لتنتفي بوجوده،** ويكون مانعاً من اســتمراره؛ لِما تقرّر في

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) يتطرّق: يتطرّف A

(٣) و: ـ A

(٤) تنتفي: ينتفي AB

(٥) عداهما: يمدّهما B

(٦) تنتفي: ينتفي AB

(٧) فتبطل: فنبطل B

(٨) فتكون: فيكون AB

(٩) مزاحم: تزاحم B

(١٠) ليكون: فيكون A

(١١) منافياً: متنافياً B

المباحث السابقة من استغنائها بالمبدأ المُفيض لها عن ذلك. **وإنّما احتاجت إلى الآلات في تحصيل أفعالها،** التي هي أُمور عارضة لها، خارجة عن ذاتها[١] ولوازم ذاتها. **والمزاج والروح إنّما هما شرطان لتعلُّقها**[٢] **بالبدن** الذي هو عن عوارضها، **ولا شرطيّة لهما بالنسبة إلى ذاتها** ـ كما يقرَّر آنفاً ـ.

ونظم هذا الاستدلال أنّها لو انتفَت:

ـ فإمّا أن يكون انتفاؤها لانتفاء شرط، وأحرى[٣] ما يكون شرطها كمالها، فكانت[٤] عديمة الكمال، فلا[٥] يُتصوَّر استمرار وجودها، وإن كانت متصرّفة في البدن؛ إذ هي غير منطبعة فيه[٦].

ـ أو يكون انتفاؤها[٧] لوجود مانع، وليست بمكانيّةٍ، ولا حالّة في شيء، حتّى يُضادّها ويُزاحمها شيء. فلو كان لها مانع أو[٨] مُبطل لَكانت هيئاتها الرديئة[٩]، فذات الرذائل ما تقرّر[١٠] وجودها. وليس الأمر كذلك؛ لأنّها قد وُجدت.

وحينئذٍ لا فرق في ذلك بين مفارقة البدن[١١] وقبلها ـ أي قبل المفارقة له ـ، فلا يصحّ عليها العدم في الحالتين؛ لعموم الدليل. فحينئذٍ لا فرق بين الحالتين، إلّا بقطع العلاقة بينها وبين البدن بعد تعلّقها به. وتلك العلاقة العرضيّة المنقطعة ـ المعبَّر عنها بالموت في لسان الشرع والعرف ـ لا يوجب عدمَها في نفسها؛ لأنّ الأمر العارض لا دخل له في الهويّة، فلا يلزم مِن تغيّره وتبدّله تغيّرٌ في الهويّة أو تبدّلٌ. وذلك لأنّ

---

(١) B59a
(٢) لتعلّقها: لتعلّقهما A
(٣) أحرى: أُخرى BP
(٤) فكانت: وكانت B
(٥) فلا: لا P
(٦) فيه: ـ P
(٧) يكون انتفاؤها: ـ P
(٨) أو: ـ P
(٩) الرديئة: الرؤية B
(١٠) تقرّر: يقدر P
(١١) A171b

الجوهر القائم بنفسه ـالذي لم يَحتَج إلى موضوع يقوّمه ـ لا يبطل[١] في ذاته وهويّته ببطلان الإضافاتِ اللاحقة والأحوالِ العارضة لهويّته، فتبدّلُها وتغيّرُها لا يوجب شيئاً في الهويّة من حيث هي. نعم! يتغيّر باعتبار تلك تغيّراً عارضيّاً، ويعرض لها عوارض أُخرى، والحقيقة الذاتيّة بحالها[٢]. <[٣]



(١) يبطل: تبطل AB

(٢) B59b

(٣) كلمة التصوّف: ١١٩ـ١٢٠ (مع تصرّف وتفصيل)

[شواهد من الآيات والروايات على امتناع انعدام النفس الناطقة]

وإليه ـ أي وإلى الحُكم بعدم بطلانِ الكلمة وانعدامِها بقطع العلاقة البدنيّة ـ **الإشارة في الكتاب الإلهيّ؛** فإنّه أشار إلى ما حقّقه الأفاضلُ وأهلُ التجريد من هذه المباحث بقوله ـ تعالى وتقدّس ـ: ﴿**أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً**﴾[١]، [إنكاراً][٢] على سبيل الاستفهام، ردّاً على ما عساه يعرض للأوهام، مِن أنّ الإنسان ـ الذي هو النتيجة الجامعة، والعالَم الصغير، والمظهر لجميع[٣] الموجودات [الظاهرة و][٤] سرّ العبوديّة ـ إنّما خلِق وأُبرز إلى الوجود لمدّة تعلُّقه بالأبدان وتدبيره إيّاها، وبانحلال تركيبها وبطلان أمزجتها ينعدم ويضمحلّ وجوده. [و][٥] لو كان الأمر كذلك، لكان إنّما[٦] أنشأكم عبثاً خالٍ[٧] عن الفائدة، والحكمةُ اللازمة في هذه الفطرة المُبدَعة على أحسن الترتيب وأكمل الوجوه. فلا يكون العناية الأزليّة مقتضيةً لسوقها[٨] إلى كمالها الممكن لها، ولا موجبةً لحصول[٩] استعدادها المُخرِجِ لِما فيها من القوّة إلى الفعل. كلّا! إنّ ذلك اعتقاد المُلحِدين وأوهام الضالّين، الذين لم يعرفوا أسرار هذه الحِكَم، ولا قاموا بشكر هذه النِعَم، ولا عرفوا[١٠] حقَّ العبوديّة، ولا تفطّنوا لِما يوجبه أحوال الإلهيّة والعناية الأزليّة.

---

(١) القرآن الكريم: ٢٣/١١٥
(٢) إنكاراً: إنكار AB
(٣) لجميع: بجميع A
(٤) الظاهرة و: الظاهر AB
(٥) و: ـ AB
(٦) إنّما: + خلقناكم و AB
(٧) خال: خالي A؛ حال B
(٨) لسوقها: لسبوقها A
(٩) لحصول: بحصول A
(١٠) A172a

فردّ اللّه تعالى عليهم على لســان نبيّه ـخاتم الختمـ بالبيان الواضــح والخطاب اللائح، تنبيهاً للغافلين وإرشـاداً للضـالّين[١]، **وقال ـعليه السلامـ** مشيراً إلى ما في الآيـة وموضِــحاً لها بأوجز عبارةٍ وألطف إشــارةٍ: **إنّكم لا تموتون.** أي الموتُ الذي [تعتقـدونـه][٢] أنّـه موت بواســطة مفارقةِ البدن وقطعِ العلاقة عن تدبيره، ليس بموتٍ حقيقيٍّ كما هو في خيالكم وتحقَّق في أذهانكم، بواســطة الغفلة[٣] عن مقتضـــى هذا التعلّق وعدم إدراك حقيقته وحقيقة الإنسان، وأنّ إنسانيّته بواسطة هذه العلاقة وبقطعها تفنى. بـل ليس الأمر كذلك، **وإنّما** بهذا الذي هو [في][٤] خيالكم موتٌ **[تُنقَلون]**[٥] **بـه مِن دارٍ إلى دارٍ.**[٦] وأراد بـالـدار التعلّقَ بـالمظـاهر النفســانيّة؛ فإنّه لمّا كان مبدأ المظاهر[٧] الإنسـانيّة وأوّلها الصيصيةُ البدنيّة ـولذا سمّاها أهلُ الحكمة بابَ الأبواب؛ لأنّ بواســطتها يدخل الإنســان في أبواب شــتّىـ فكنى عن هذه المظاهر[٨] المترتّبة بـالـدار، فتعـدّدت بواســطة تعدّدها[٩]. فعند المفارقة للمَظهر الأوّل والتعلّق بالمَظهر البرزخيّ وما بعده من المظاهر، ينتقل الإنســان بذلك من دارٍ إلى دارٍ، وله في كلّ دارٍ من هذه المظاهر[١٠] عوارض وتطوّرات وشــؤون متعدّدة، متفاوتة في الكماليّة والنقص بحسب أحواله في المَظهر[١١] الأوّل، الذي هو الباب الأوّل [و][١٢] باب جميع الأبواب.

---

(١) للضالّين: ـ A

(٢) تعتقدونه: يعتقدونه AB || B60a

(٣) الغفلة: العقلة B

(٤) في: ـ AB

(٥) تنقلون: ينقلون AB

(٦) مرويّ عن النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآلهـ أنّه قـال: «مـا خلِقتم للفناء، بل خلِقتم للبقاء، وإنّمـا تُنقَلون من دارٍ إلى دارٍ». (اعتقادات الإماميّة: ٤٧)

(٧) المظاهر: المطاهر B

(٨) المظاهر: المطاهر B

(٩) تعدّدها: تعدّها B

(١٠) المظاهر: المطاهر B

(١١) المظهر: المطهر B

(١٢) و: ـ AB

[و][١] بواسطته[٢] يتّصف بصفات كماليّة في الغاية أو متوسّطة، أو [نقصيّة][٣] في الغاية أو متوسّطة، يختلف حالاته في تلك المظاهر[٤] باختلاف حالاتها.



---

(١) و: أو AB

(٢) بواسطته: بواسطة A

(٣) نقصيّة: يقضيه AB

(٤) المظاهر: المطاهر B

[سبب تشبيه عليّ ـعليه السلام ـ الحياةَ بالنوم والموتَ بالانتباه]

وما أحسن **قول عليّ ـعليه السلام ـ** في المعنى: «**الناس نيامٌ**[(١)]**، إذا**[(٢)] **ماتوا انتبهوا**»[(٣)]. فجعل ـعليه السلام[(٤)] ـ المظهرَ[(٥)] البدنيّ[(٦)] بالنسبة إلى أحوال الإنسان [نوماً][(٧)]؛ لأنّ النوم العُرفيّ به يتحجّب[(٨)] النفس عن التصرّف في الصيصية بطريق الحواسّ الظاهرة[(٩)]، وينقطع علاقتها معها، فتعطّل الصيصية به تعطّلاً يوجب بطلان الإدراكات الحسّيّة والحركات الاختياريّة، ويغطّي[(١٠)] ذلك على مدركات الأفكار وما يحصل بواسطتها؛ لأنّ مبدأها الإدراكات الحسّيّة. فذلك هو النوم المعروف، وقد أشرنا ـفي ما مضى ـ إلى شيء من أحواله وأحوال اليقظة بحسب الظاهر.

وحينئذٍ نقول: وجهُ تسميته ـعليه السلام ـ ذلك التعلّقَ الأُولى والمظهر[(١١)] البدنيّ في هذه القوالب نوماً، لِما بينه وبين النوم المعروف من المناسبة العقليّة؛ فإنّه لمّا كان ذلك الظهور بذلك المظهر عائقاً للإنسان ومانعاً له عن التعلّق بالمجرّدات العقليّة والأنوار الإلهيّة، بسبب انغماسه في أحوالِ الطبيعة ومتعلّقاتِ المادّة، وإحاطةِ الظلمات

---

(١) نيام: ينام B

(٢) إذا: أو A؛ إذ B، فإذا P

(٣) مرويّ عن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ في: خصائص الأئمّة: ١١٢؛ عيون الحكم: ٦٦؛ وعن النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآله ـ في: تنبيه الخواطر: ١٥٠/١؛ عوالي اللئالي: ٧٣/٤

(٤) B60b

(٥) المظهر: المطهر B

(٦) البدنيّ: البدن A

(٧) نوماً: نوم AB

(٨) A172b

(٩) الظاهرة: الطاهرة B

(١٠) يغطي: يعطي A

(١١) المظهر: المطهر B

البدنيّة والغواسقِ الجسمانيّة، كان ذلك مُبطِلاً لِما كان [يُمدّه][١] ويُشرق[٢] عليه من الأنوار والعلوم الحقيقيّة والاطّلاعِ على الأُمور الغيبيّة. وكان ذلك المنع مُماثلاً لمنع النوم المعروف عن الأفاعيل والإدراكات الحسّيّة والعقليّة، فكان[٣] نوماً، بل أحقّ باسم النوم؛ لِما يحصل فيه ـبسبب طول المدّة ودوام العائقـ من البُعد عن المشابهات والمشاكلات، الموجبة للقرب من الحضرة الإلهيّة والتعلّق بعالم التطهير، الموجب ذلك لانغماس الإنسان في الظلمات وبقائه في عالم الكون والفساد بالمظاهر المتعدّدة الموجبة للعذاب[٤] الدائم المقيم، فذلك هو النوم بالحقيقة[٥].

وإنّما كانت هذه الحالة نوماً، لا موتاً، لأنّها قد تناسب أحوال الموت المعروف، بل هي الموت على الحقيقة[٦]. وإنّما سمّاها نوماً باعتبار عروض السلامة منها لبعض الأشخاص، بعدم الالتفات إلى مقتضيات الطبيعة وأحوال الصيصية[٧]، بسبب المجاهدات والرياضات والعبادات، فتكون انتباهاً[٨] عن رَقدة الطبيعة ويقظةً[٩] عن [نوم][١٠] التعلّقات المادّيّة، فلهذا كانت نوماً.

وجعَل ـعليه السلامـ الموتَ المعروف انتباهاً ويقظةً؛ فإنّ مع قطع العلاقة البدنيّة يظهر للإنسان ما كان أغفله بسبب [رَقدة][١١] الطبيعة[١٢]، وإهماله نفسَه في المداومة عليها؛ لِما يراه من أحواله الثابتة بعد الموت، وما يحصل عنده في مظاهره وأطواره من الكمالات أو نقيضها، فيعرف أنّها كانت في الحقيقة عوائق عن هذه اللوازم التي لا

---

(١) يمدّه: يستمدّه AB
(٢) يشرق: يشرف A
(٣) فكان: وكان B
(٤) B61a
(٥) بالحقيقة: بالحقيقيّ A
(٦) الحقيقة: الحقيقيّ A
(٧) A173a
(٨) انتباهاً: انتباه A
(٩) يقظة: يقصد A
(١٠) نوم: نومه AB
(١١) رقدة: الدورة A، الرقدة B
(١٢) الطبيعة: الطبيعيّة B

يمكن بعد ذلك مفارقتها والانتقال عنها، فيكون حينئذٍ متنبّهاً متيقّظاً غير[١] مشتغل عن أحـد كمالاته[٢] ومدرَكاته بشـيء من الشـواغل العائقة عن إدراكها على أتمّ أحوالها. فلازمُ الكمـالِ اللـذّاتُ العظيمـة والبهجـاتُ الـدائمة، ولازمُ النقص الآلامُ الشـديدة والعذابُ السرمديّ، وذلك حقيقة الانتباه الذي لا نومَ معه ولا موتَ.

ويناسـبه **قوله ـعليه السلام ـ: «النوم أخو الموت»**[٣]، ويعرف مرموزه في هذا الحديث ممّا تقدّم.

[إبطال التناسخ]

ومجموع مـا ذكرناه[٤] إشـارةٌ إلى باب المعاد، بناءً على بطلان التناسـخ الذي هو انتقال الإنسـان من صيصية إلى أُخرى. [٥]< وذلك لأنّ[٦] المزاج يستدعي من الواهب كلمةً، ويقارنه[٧] الكلمة المسـتنسـخة، فكان[٨] في حيوانٍ واحدٍ وصـيصـيةٍ واحدةٍ[٩] ذاتان مُدرِكتان مدبّرتان، وذلك محال. >[١٠]



---

(١) غير: عن A

(٢) أحد كمالاته: إدراكاته A

(٣) مرويّ عن النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآله ـ في: عوالي اللئـالي: ٧٣/٤؛ وعن أبي عبد اللّه ـعليه السلام ـ في: مصباح الشريعة: ٤٤

(٤) B61b

(٥) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٦) لأنّ: أنّ A

(٧) ويقارنه: فلو قارنته P

(٨) فكان: وكان AB

(٩) وصيصية واحدة: ـ P

(١٠) كلمة التصوّف: ١٢٠

[كيفيّة اللذّة والألم للنفس بعد مفارقتها البدن]

[١]< **واعلَم أنّ اللذّة[٢] إدراكُ ما وصل من كمال المدرَك وخيره إليه، من حيث هو كذلك. والألم هو إدراكُ ما وصل من شرّ المدرَك وآفته إليه، من حيث هو كذلك.** وقد يصل[٣] اللذيذ والمكروه للشيء، فلا يتألّم به ولا يلتذّ؛ لمانع، كمن به خدَر[٤]، فضرب أو مرض، فهجر الطعام اللذيذ.

ولكلٍّ من القوى لذّةٌ[٥] على حسب كمالها، وألمٌ على حسب شرّها. **وكمالُها** ـ أعني الكلمة ـ **بانتقاشها بالوجود** المطلق على حسب استعدادها، وكيفيّةِ انبساطه على الماهيّات الظاهرة به، وكيفيّةِ تلك الظهورات بالأطوار المختلفة، ومعرفةِ النظام الحاصل هاهنا[٦]، وارتباطِ العوالم بعضها ببعض، **ومعرفةِ المعاد[٧] ودقائق الكونين؛** فإنّها متى انتقشت[٨] بجميع ذلك، وصلَت إلى حدّ كمالها الممكن لها، وإن تفاوتت المراتب بكيفيّات تفاوت الانتقاش. فإذَن الانتقاش بالوجود من لدن مسبّب الأسباب إلى آخر الوجود يوجب كمالها به. **ولهذا كانت لذّتها[٩] أقوى اللذّات وأكملَها** وأتمَّها؛ **لكمالِ إدراكها** حينئذٍ؛ لعدم العائق والمزاحم ثَمّة، **وشرفِ مدرَكاتها؛** إذ لا أشرف ممّا عليه الوجود. فلمّا كانت الكلمة إدراكها ومدرَكاتها أشرف وأكرم[١٠]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) اللذّة: + هي P

(٣) يصل: يحصل AB

(٤) خدر: حذر AB

(٥) A173b

(٦) هاهنا: بينها B

(٧) المعاد: اتّحاد A

(٨) انتقشت: انقسمت B

(٩) لذّتها: لذّاتها A

(١٠) B62a

وأقوى وأكثر من الإدراكات الحسّــيّة وكمالاتها، فلا جرمَ[١] ازدادت لذّاتها على لذّاتها. **فلا عائق عن إدراك لذّاتها وآلامها؛ إذ ليس إلّا علاقتها، فتحقّق**[٢] **بذلك** ـ[أي][٣] بقطعها ـ **قوّة اللذّة والألم**؛ إذ ليس ثَمّة مانع، إلّا أنّ اشتغالها بالبدن منَعها عن الوصول إلى اللذّة الحقيقيّة والألم الحقيقيّ. **فمتى فارقَت** ذلك الاشـتغال، **زال المانع فيه، [و]**[٤] **تلذّذت** حينئذٍ ـإذا كانت كاملةً ـ **بالكمال المذكور، أو تألّمت بنقصــها بعدم الانتقاش بالكمال،** خصوصاً[٥] إذا كان جهلُها الحاصل لها الموجبُ لنقصها باعتقاد ضـدّ الحقّ، وهو الجهل المركّب؛ إذ النقص به أشـدّ من النقص بالجهل البسـيط؛ فإنّ المركّب لا يكاد يزول ملَكاته بواسـطة اشـتباهه بالحقّ، فلا يزول عذابه بواسـطة عدم زواله. وذلك دليل على عدم انقطاع عذاب الأشـقياء، ومن هذا القبيل[٦] إمكان زوال عذاب غيرهم[٧].

واعلَم أنّ **العذاب الحاصل بالنار التي تنبعث عن ذات النفس، ويكون منشؤها منها،** لا بواسطة أمر عارض[٨]، **بسبب بُعدها عن المُبدِع لها،** الذي هو ضدّ مقتضي العنـايـة ومـا وجِـد في العالم العقليّ، اللازم لها عن أحد الجهلين، المُشــار إليه في الكتـاب الإلهيّ في قولـه ـتعـالى وتنزّه ـ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[٩]. وكنى بالحجاب عن بُعدهم عن الأنوار الإلهيّة بسـبب الجهل الموجب للتعشّـقات[١٠] البدنيّة، المسـتلزمة للكثرة المباينة للوحدة المطلقة[١١]؛ إذ بواسطة ذلك تبقى في عالم

---

(١) فلا جرم: فالأجرام A
(٢) فتحقّق: متحقّق A
(٣) أي: ـ AB
(٤) و: ـ AB
(٥) خصوصاً: سيّما P
(٦) ومن هذا القبيل: من هذا القبيل و AB
(٧) A174a
(٨) عارض: + بل AB
(٩) القرآن الكريم: ١٥/٨٣
(١٠) للتعشّقات: للتغسيقات A
(١١) B62b

الظلمات، منغمسةً في أحكام الطبيعة والهيولى، بعيدةً عن العوالم النوريّة والاتّصال بها. فذلك هو حجابُهم الموجب لانبعاث النار المُحرِقة؛ **فإنّها** حينئذٍ **أقوى في التأليم** وأتمّ في التعذيب **من**[1] **عذابها** ـأي النفس الموصوفة بما ذكرناهـ **بالنار الجرمانيّة** الجسميّة المحسوسة بهذه الحواسّ؛ **فإنّ تحكُّم الملَكات الرديئة الحاصلة عن ذلك الجهل، الموجب لذلك التعلّق، المستلزم للبقاء في الظلمات والحُجُب** [المذكورة][2]، **بل والانحطاط** بواسطة ذلك **إلى عالم الجرم والتعلّق فيه بالمظاهر المتعدّدة**، مسلوبةً للآلات الإنسانيّة والصور المليحة والقوى الكماليّة، وحصولها في القوالب الخسيسة المتنكّسة[3]، ذلك **ألمٌ لا يناسبه** من الآلام ولا يشابهه[4] **ألمٌ**، بل ذلك أقوى الآلام وأشدّها[5]، **نعوذ بالله** من حصول ووقوع أسبابه وموصِلاته، إنّه جواد و[عطاؤه][6] واسع. >[7]

وإلى ما أشرنا إليه وحقّقناه الإشارةُ في الكتاب الكريم بقوله ـعزّ من قائلـ: ﴿وَمَنْ كانَ في هذِهِ أَعْمى﴾ عن التجلّي بالكمال والانتقاش بمعرفة[8] الوجود، ﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ﴾ والدار الثانية اللازمة عن هذه الدار ﴿أَعْمى﴾ أيضاً عن الوصولِ إلى الكمالات الإلهيّة، والابتهاجِ بلذّة النظر إلى الوجه الكريم، ﴿وَأَضَلُّ سَبيلاً﴾[9] وأظلمُ طريقاً عن الوصول[10] إلى منتهى السعادة، وملاقاةِ الأنفس القدسيّة، والتنزّه في رياض فلَوات الملكوت. والمُنكِر لهذه اللذّات الحقيقيّة كالعنّين إذا أنكر لذّة[11] الوِقاع.

---

(١) من: عن A
(٢) المذكورة: المذكور AB
(٣) المتنكّسة: المتناكسة Bs
(٤) يشابهه: يشابه A
(٥) أشدّها: أسدّها B
(٦) عطاؤه: عطاء AB
(٧) كلمة التصوّف: ١٢٠ (مع تصرّف وتفصيل)
(٨) بمعرفة: يعرفه A
(٩) القرآن الكريم: ٧٢/١٧
(١٠) A174b
(١١) B63a

[شبهة على إمكان حصول اللذّة للنفس بعد المفارقة، والجواب عنها]

[١]< ويمكن أن يكون في الكلام المذكور في هذا الفصل إشارةٌ إلى جواب سؤال، تقريره: لا نسلّم أنّ إدراك الكمال بعد المفارقة يوجب اللذّة؛ لجواز أن يكون قبول النفس لصور أعيان الموجودات من العقل المفارق مشروطاً بتعلّقها بالبدن. وبعد المفارقة يكون الشرط زائلاً، فيزول المشروط، وهو إدراك أعيان الموجودات. وحينئذٍ لا يكون اللذّة حاصلةً بعد المفارقة.

أجاب[٢] بأنّ إدراك النفس لذاتها غير زائد على ذاتها، وقد عرفتَ بقاءها بعد المفارقة، فيكون إدراكها لذاتها بعد المفارقة أقوى وأتمّ من إدراكها لذاتها حالَ التعلّق البدنيّ؛ لكونه إدراكاً مَشوباً بالشعور بالبدن وأحواله؛ لعدم غفلتها عن البدن وقواه في حال وجود العلاقة. وإذا كانت النفس غير منفكّة عن إدراكها لذاتها[٣] في حال التعلّق[٤]، وكان الإدراك بعد انقطاع العلاقة أتمّ وأكمل وأصفى عن شوائب اختلاطه[٥] بالبدن وقواه، وكذلك الحال في ما عدا إدراك الذات من المعقولات الباقية، فإنّ إدراكها بعد المفارقة أقوى وأتمّ وأصفى عن شوائب الحسّ والخيال والوهم[٦]؛ فإنّه لا يمكننا إدراك[٧] شيء من المعقولات في حال التعلّق البدنيّ، إلّا ويقترن به خيال أو وهم[٨]؛ لغلبتهما[٩] على العقل ما دامت[١٠] العلاقة. فإذا زال التعلّق البدنيّ، قويَ الإدراك بذاتها وبسائر المعقولات، وصفى[١١] عن الشوائب بغيره، فيكون إدراك النفس لذاتها ولغيرها

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٢) أجاب: أجابوا P
(٣) حال التعلّق البدنيّ ... لذاتها: ـ AB
(٤) التعلّق: + وبعده P
(٥) اختلاطه: اختلاطها AB
(٦) والوهم: ـ P
(٧) إدراك: أن نعقل P
(٨) وهم: ما يشبهه P
(٩) لغلبتهما: لغلبة الخيال P
(١٠) ما دامت: عند وجود P
(١١) صفى: صفاء AB

من المعقولات حينئذٍ أتمّ وأقوى.

والسعادة لمّا كانت عبارةً عن شعور الذات بذاتها وبسائر المعقولات التي هي أعيان الموجودات، وكان هذا الشعور بعد المفارقة أتمّ وأفضل، فيكون التذاذها[١] بإدراك ذاتها وبغيرها[٢] كذلك أتمّ وأكمل؛ فإنّ المانع عن كمال الإدراك لذاتها ولغيرها إنّما هو الشواغل[٣] البدنيّة والأحوال الحسّيّة. فإذا[٤] انقطعت تلك العلاقة بالكلّيّة، ارتفعت الشواغل، وزال الحجاب، فشاهدت ذاتها وجميع[٥] المجرّدات العقليّة؛ لأنّها[٦] لا يحجب[٧] بعضها عن بعض. وعند ذلك يحصل لها اللذّة الكبرى والراحة العظمى[٨]، التي لا يمكن شرحها ووصفها في هذا العالم كما ينبغي. >[٩]

وكذا الكلام في النفس الناقصة[١٠] بعد المفارقة؛ فإنّه يكون حالها[١١] على العكس من حال النفس الكاملة؛ فإنّها زمانَ التعلّق بالبدن غير مُدرِكة لظلماتها وحجابها ـ الذي هو نارها المُحرِقة وعذابها الموجع ـ لاشتغالها بالعلاقة. فمتى زالت العلاقة، أدركَت ذاتها بذلك النقص والظلمة والحجاب، و[تدرك][١٢] توابعَ هذه الأُمور من التعلّق بالظلماتِ والأجسامِ الكثيفة المُظلِمة[١٣] والانحطاطِ عن الدرجات إلى الدركات، فيقع لها التحسّرُ[١٤] العظيم والألمُ المُقيم والحريقُ الدائم والنارُ المؤلمة؛ لعدم الحجاب المانع حينئذٍ عن ذلك الإدراك، فالأمر فيهما[١٥] سواء.

---

(١) B63b
(٢) بغيرها: لغيرها A
(٣) A175a
(٤) فإذا: وإذا AB
(٥) جميع: + الموجودات و AB
(٦) لأنّها: إذ المجرّدات P
(٧) يحجب: يحجبه A
(٨) العظمى: ـ AB
(٩) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٠٨/٣ ـ ٦٠٩
(١٠) الناقصة: الناطقة A
(١١) يكون حالها: يكونها A
(١٢) تدرك: يدرك AB
(١٣) المظلمة: الظلمانيّة Bs
(١٤) التحسّر: التحيّر A
(١٥) فيهما: في ما A

[بقاء النفوس بعد مفارقة الأبدان]

[١]< وبسطُ هذا الباب ـبعد طيّه في ما أشرنا إليهـ أن نقول: يجب أن تعلم أنّ النفس الناطقة يمتنع عليها العدمُ بعد مفارقة الأبدان[٢] وترك[٣] التصرّف فيها؛ لبطلان مزاجها الذي كان سبباً في التصرّف[٤]. بل ذلك الجوهر النوريّ يبقى[٥] بعد فساد المزاج ببقاء العلّة الفيّاضة لوجوده، أعني العقل الفعّال الدائم الوجود الممتنع عليه العدم[٦]. >[٧]

[الوجه الأوّل]

[٨]< ودليله أنّ النفس[٩] جوهر مباين للبدن وقواه[١٠]، غير منطبع فيه، والعلاقة الشوقيّة التي لها مع البدن إضافة، و[١١] هي أضعف الأعراض. فلا يبطل النفس ببطلانها، وإلّا لزم أن يكون[١٢] الجوهر متقوّماً بأضعف الأعراض، وذلك محال. وليست النفس ذات محلّ أو مكان، ليُتصوَّر أن يكون لها مضادّ ومزاحم مُبطِل لجوهرها. ولا يلزم من بطلان الجوهر المباين الذي ليس بعلّة لها بطلانها، وعلّتها الفيّاضة لوجودها[١٣] باقية دائمة الوجود، فيدوم ببقائه ووجوده بقاؤها ووجودها أبداً، فلا تعدم بعد الموت وانقطاع العلائق البدنيّة.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٢) الأبدان: البدن A
(٣) وترك: ترك A، بترك B
(٤) في التصرّف: للتصرّف في تلك الأبدان P
(٥) يبقى: باقياً AB
(٦) الوجود الممتنع عليه العدم: ـ AB
(٧) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٣٥/٣
(٨) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٩) B64a
(١٠) قواه: قوله B
(١١) و: ـ AB
(١٢) أن يكون: كون P
(١٣) A175b

[الوجه الثاني]

وجه[١] آخر: أنّ كلّ شـيء يمكن أن يبطُل، فيجب أن يكون ذلك الشيء قبل بطلانه باقٍ بالفعل، ويكون فيه[٢] قوّة أن يبطل، و[كلّ ما][٣] كان كذلك[٤] فله قوّة أن لا يبقى. فـالنفس لو جـاز عليها العدم بعد الوجود، وجب أن يكون باقية بالفعل قبل العدم، وأن يكون فيها[٥] قوّة أن لا تبقى، فيكون فيها قوّة العدم مقارنة لقوّة الثبات.

وأنت قد[٦] عرفتَ أنّ النفس جوهر بسـيط وحدانيّ الذات بالفعل، فلا يكون فيها البقـاء بـالفعـل مع وجود قوّتَي البقـاء والفنـاء، فلا يمكن أن يكون فيهـا قوّة البطلان؛ لوحـدتها وتجرّدها، والشـيء الواحد يمتنع أن يكون بالفعل في ذاته، ومع ذلك يكون بالقوّة في شيء.

ولمّـا كـانت النفس لا قابل لها، فلا يكون فيها قوّة العدم[٧] في ذاتها ولا في غيرها؛ لأنّ البسـيط إنّما يكون[٨] عدمه في ما يحمله، وهو الذي يكون فيه قوّة وجوده وعدمه، كمـا هو الحـال في الأعراض والصـور بـالنسـبة إلى حواملها. فلو كانت النفس قابلة للعدم، وجب أن يكون فيها شـيء يقبل العدم، وهو المحلّ، وشيء يعدم بالفعل، وهو الحالّ، فيكون مركّبةً من المادّة والصورة، وذلك محال. >[٩]

[١٠]< ولمّا كانت النفس جوهراً مجرّداً مبايناً للبدن، فاسـتعداده لوجود نفس تُفاض عليه من المفارق يوجب وجود النفس[١١] في ذاتها. فإذا[١٢] خرج البدن عن الاسـتعداد

---

(١) وجه: ووجه A

(٢) فيه: له P

(٣) كلّ ما: كلّما AB

(٤) وكلّ ما كان كذلك: _ P

(٥) فيها: + قوّة أن تعدم و P

(٦) قد: فقد P

(٧) العدم: + لا P

(٨) B64b

(٩) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٣٩/٣ _ ٥٤٠

(١٠) بـداية العبارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.

(١١) وجود النفس: أن تكون تلك النفس P

(١٢) فإذا: فمتى P

لأن يتعلّق به النفس لفساد مزاجه، لا يستلزم انتفاء ذلك النفس[١]؛ لِما قلنا إنّ[٢] الجوهر المباين لا يلزم من انتفائه لغيره[٣] انتفاؤه في نفسه.

واعتبر ذلك بالنجّار الذي له مدخل في وجود الكرسيّ، الذي لا يلزم من انتفاء الآلة انتفاؤه.

[إبطال القول بأنّ البدن محلّ لإمكان حدوث النفس وبقائها]

واعلَم أنّ البدن لا يصحّ أن يكون محلّاً لإمكان[٤] حدوث النفس، ولا لإمكان فسادها؛ لمباينتها له. بل يكون[٥] البدن مع الهيئة المخصوصة الموجودة قبل حدوث النفس محلّاً للإمكان[٦] ومُهيّئةً لحدوث[٧] الصورة الإنسانيّة المقارنة له[٨]، فهي تُقوّمه وتجعله[٩] نوعاً محصّلاً. وتلك الصورة لا يمكن حصولها إلّا بوجود النفس التي هي المبدأ القريب لوجود تلك الصورة الإنسانيّة[١٠]. والشيء لا يصحّ وجوده قبل[١١] وجود مبدئه[١٢]. فالنفس الناطقة إنّما حدثت بسبب وجود الاستعداد البدنيّ، مع التهيّؤ الذي زال بحدوث تلك الصورة ومبدئها النفسيّ[١٣]. ويزول[١٤] بذلك الحدوث ذلك الإمكان والتهيّؤ عن البدن؛ لزوال ما كان البدن معه محلّاً لإمكان حدوث النفس، وهو الهيئة المخصوصة.

---

(١) الاستعداد لأن يتعلّق ... مزاجه: استعداد أن يكون له نفس بسبب فساد المزاج لا يلزم أن تكون النفس منتفية في ذاتها P

(٢) قلنا إنّ: ذكرنا أنّ P

(٣) لغيره: بغيره AB

(٤) A176a

(٥) يكون: _ AB

(٦) للإمكان: لذلك الإمكان P

(٧) مهيّئة لحدوث: تهيّئه بحدوث AB

(٨) له: _ AB

(٩) تقوّمه وتجعله: مقوّمة ومحصّلة AB

(١٠) الإنسانيّة: + على ما يراه محقّقو المشّائين P

(١١) قبل: بدون P

(١٢) مبدئه: مبدأ AB

(١٣) النفسيّ: النفس AB || B65a

(١٤) يزول: تزول A

ثمّ إنّ البدن[١] يبقى بعد ذلك محلّاً لإمكان فساد تلك الصورة المقارنة له، و[٢] يزول الارتباط الحاصل للنفس عند حدوثها. فلا يكون البدن[٣] مع تلك الهيئة المخصوصة شرطاً في حدوث النفس من حيث كونها جوهراً مجرّداً، بل يكون شرطاً في حدوثها من حيث هي صورة منوِّعة أو مبدأ صورة منوِّعة، فالشيء لا يعدم بعدم ما هو شرط في حدوثه. فإذا استعدّ البدن لحدوث صورة منوِّعة، وجب حدوث مبدئها النفسيّ. ثمّ لو[٤] فسدت الصورة المنوِّعة، ففسادها لا يوجب فساد ذلك المبدأ النفسيّ؛ لوجود جميع علله بشرائطها[٥].

ومثال البدن الذي هو شرط حدوث النفس، مثال[٦] [شبكة][٧] اقتنص بها وجود النفس من مبدئها[٨] العقليّ. فإذا وقعت النفس في الوجود بواسطة شبكة البدن، لا [تكون][٩] مفتقرة إلى بقاء تلك الشبكة، بل تكون باقية ببقاء العلّة الفيّاضة لوجودها. >[١٠]

[أحوال النفوس بعد المفارقة عن الأبدان]

[١١]< فإذا عرفتَ ذلك، فاعلَم أنّه أشار في هذه المباحث إلى بيان أحوال النفس بعد المفارقة عن الأبدان[١٢]، المسمّى بالمعاد.

وقد اختلَف الناس[١٣] في أنّها بعد المفارقة هل:

---

(١) البدن: البدنيّ AB
(٢) و: + حينئذٍ P
(٣) البدن: البدنيّ AB
(٤) لو: إذا P
(٥) بشرائطها: لشرائطها AB
(٦) مثال: مثل B
(٧) شبكة: الشبكة AB
(٨) مبدئها: مبدأ AB
(٩) تكون: يكون AB
(١٠) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٥٤٥ _ ٥٤٧
(١١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٢) بعد المفارقة عن الأبدان: في حال المقارنة AB
(١٣) A176b

ـ تبقى مجرّدة عن المادّة بجميعها.

ـ أو بعضها يتجرّد وبعضها[١] يتعلّق بالأجسام.

ـ أو يكون الجميع منها يتعلّق بالأجسام.

[مذهب المشّائين]

[فالمشّاؤون][٢] قالوا [بتجرّدها][٣].

فالسُعَداء الكاملون يتّصلون[٤] بالمحلّ الأعلى والمقام الأسنى، وهو عالم العقل البحت، وينالون من اللذّات والابتهاجات العقليّة و[٥] الروحانيّة «ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[٦]، ويستمرّون على ذلك أبد الآباد[٧].

وأمّا الأشقياء الناقصون فيحجبون عن الأنوار العقليّة والأشعّةِ القدسيّة والابتهاجاتِ الروحانيّة؛ لظلمة نفوسهم وكدورتِها؛ لجهلهم[٨] بحقائق الموجودات، ويبقون[٩] في ظلمة هذا الحجاب بهذا العقاب، وهو عذابها الأليم وحميمها[١٠] الدائم المقيم.

[مذهب أفاضل الحكماء والملّيّين]

وأفاضل حكماء الأُمم وأماثلُ علماء الملل قالوا بتجرّد بعض النفوس دون بعض، وقالوا بتناسخ الأرواح التي لم تتجرّد[١١] بحسب الهيئات التي لهم، دون الأرواح التي

---

(١) بعضها: البعض B || B65b

(٢) فالمشّاؤون: فالمشّائين AB

(٣) بتجرّدها: بتجرّد AB

(٤) يتّصلون: فيتّصلون P

(٥) العقليّة و: ـ P

(٦) من لا يحضره الفقيه: ٢٩٥/١؛ الأماليّ للصدوق: ٤٣٢؛ ثواب الأعمال: ٥٦؛ روضة الواعظين: ٣١٥/٢؛ مكارم الأخلاق: ٤٣٢؛ الخرائج والجرائح: ٥٤٥/٢؛ تنبيه الخواطر: ٢٦٣/٢؛ الإقبال بالأعمال الحسنة: ٢٣١/٣؛ عوالي اللئالي: ١٠١/٤

(٧) أبد الآباد: أزلاً وأبداً إلى غير النهاية P

(٨) لجهلهم: وجهلهم P

(٩) يبقون: تبقى كذلك أزلاً وأبداً P

(١٠) حميمها: جهنّمها P

(١١) الأرواح التي لم تتجرّد: أرواح الذين لم يتجرّدوا P

خلصت بالتجرّد إلى عالم العقل الصرف.

[مذهب التناسخيّة من الحكماء]

وقال طائفة [من][١] الحكماء بعدم تجرّد[٢] جميع النفوس[٣]، وزعموا أنّ النفس جرميّة دائمة الانتقال في الحيوانات، وهم المعروفون بالتناسخيّة.

[اختلاف أفاضل الحكماء والملّيّين في مذهبهم]

و[القائلون][٤] بتجرّد بعض النفوس بعد المفارقة ـ وهي نفوس الكاملين ـ، وعدم التجرّد في البعض ـ وهي نفوس الناقصين والمتوسّطين ـ، هم أفاضل الحكماء والملّيّين، القائلين بتناسخ الأرواح الناقصة في الأبدان، إلّا أنّهم يختلفون في كيفيّة الانتقال. >[٥]

[٦]< فالتناسخ عندهم انتقال نفس الإنسان أو غيره من الحيوان من تدبير بدنها إلى تدبير بدن آخر. >[٧]

[٨]< وهؤلاء يسمّون انتقالَ النفس من[٩] البدن الإنسانيّ إلى آخر مثله نسخاً، إلى الحيوان مسخاً، وإلى النبات[١٠] فسخاً، وإلى الجماد[١١] رسخاً. >[١٢]

[مذهب إخوان الصفاء]

[١٣]< وذهب صاحبُ [رسائل][١٤] إخوان الصفاء إلى أنّ النفوس الجزئيّة المتعلّقة

---

(١) من: عن AB

(٢) تجرّد: تجرّدهم A

(٣) النفوس: + بعد المفارقة P

(٤) القائلون: مذهب القائلين AB

(٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٤٨/٣ ـ ٥٤٩

(٦) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة. ‖ B66a

(٧) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٥٨/٣

(٨) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٩) من: إلى B

(١٠) النبات: الأجسام النباتيّة P

(١١) الجماد: الأجسام الجماديّة P

(١٢) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٥٩/٣

(١٣) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(١٤) رسائل: ـ AB

بالعناصـر والمركّبات وأجزائهما تُفيضـها[١] النفسُ الكلّيّة، وهي أدنى النفوس في مرتبة الشرف والاستكمال.

ثمّ ينتقل هذه النفوس الجزئيّة إلى الأشـرف فالأشرف، فمن العناصر إلى المركّبات المعدِنيّة، على ترتيبها من الأدنى إلى الأعلى، حتّى تنتهي[٢] إلى أشـرفها[٣]، كالذهب والياقوتِ والدرِّ والزبرجدِ.

ثمّ تصعد[٤] إلى أنواع النبات على الترتيب من الأخسّ إلى الأشرف، حتّى تنتهي[٥] إلى أشرف أنواع النبات، كالنخل والزيتونِ والتينِ والعنبِ.

ثمّ تصعد راقيةً إلى[٦] الحيوانات على الترتيب من الأخسّ إلى الأعلى، من البعوض والنملِ، حتّى تنتهي[٧] إلى الفرس والطاووس.

ثمّ تصـل[٨] إلى مرتبة الإنسـان الذي هو الكمال الأعلى، فتترقّى فيه على اختلاف مراتبه في الكمال والنقص[٩]. ولها في كلّ طبقة من هذه الأبدان مكث ولَبث طويل[١٠]، حتّى تصـل إلى الإنسان[١١] الذين هم سكّان الأطراف على الترتيب، حتّى[١٢] تنتقل[١٣] إلى سـكّان الأوسـاط على الترتيب، وهو آخر مراتب البدء[١٤]، ومن بدن الإنسان يكون البعث، وهو أوّل مراتب العود، فهو الصراط المستقيم والصورة[١٥] الألفيّة.

---

(١) تفيضها: نقيضها A || A177a

(٢) تنتهي: ينتهي AB

(٣) أشرفها: الأشرف B

(٤) تصعد: تنتقل في صعودها P

(٥) تنتهي: ينتهي AB

(٦) تصعد راقية إلى: تنتقل في صعودها إلى أنواع P

(٧) تنتهي: ينتهي AB

(٨) تصل: تترقّى بعد ذلك P

(٩) النقص: النقصان P

(١٠) طويل: في الطول والعرض P

(١١) الإنسان: ـ AB

(١٢) حتّى: ثمّ P

(١٣) تنتقل: ينتقل AB

(١٤) البدء: المبدأ AB

(١٥) B66b

فإن حصّلَت النفسُ فيه الكمالَ العقليّ(١)، واستكملت بالحكمتين، وبرئت(٢) عن محبّة الكثرات البدنيّة(٣)، فعند المفارقة(٤) تتخلّص(٥) عن جهنّم التي هي عالم الكون والفساد، وتتعلّق بالأجرام السماويّة والأجساد الكوكبيّة؛ لِتعوُّدها وتمرُّنها بما حصل فيها من الملَكات البدنيّة الموجبة للتعلّق بالأبدان والتصرّف في الأجساد. ويكون تعلّق النفوس بهذه الأجرام(٦) الفلكيّة(٧) هي أوّل دخولها في عالم الملكوت وأوّل أبواب الجنّة والسعادة.

وإن حصّلَت(٨) الهيئاتِ الرديئةَ والأخلاقَ السيّئةَ، وجهلَت العلّة الأُولى والعالم العقليّ، ولم تعرف المبدأ(٩) ولا المعاد(١٠)، فبعد(١١) المفارقة لا يمكنها عبور(١٢) الصراط المستقيم المؤدّي إلى الجنّة، بل لشقائها وتلطّخها بالرذائل تردّ إلى الهياكل البدنيّة، مائلة عن الصراط المستقيم والأمر القويم، فترجع القهقرى(١٣) إلى طبقات الجحيم(١٤)، ويتعلّق من الأبدان بحسب تلك الهيئات(١٥) المكتسبة التي هي أخلاقها الذميمة. فمتى زالت عنها أخلاق، تعلّقت بأبدان أُخرى [تُناسب](١٦) الأخلاق الأُخرى، وهكذا إلى أن تطهّر بالكلّيّة عن تلك الأخلاق عند أصغر الحيوانات، فتُفارق(١٧)

---

(١) العقليّ: + الإنسانيّ P
(٢) برئت: تنزّهت P
(٣) الكثرات البدنيّة: الأُمور الدنيئة الدنياويّة P
(٤) فعند المفارقة: فبعد مفارقة الصورة الإنسانيّة P
(٥) تتخلّص: تخلص AB
(٦) السماويّة والأجساد ... الأجرام: _ AB
(٧) الفلكيّة: + التي AB
(٨) حصّلت: + النفوس في هذه الأبدان الإنسانيّة P
(٩) المبدأ: المبدع B، مبدأها P
(١٠) المعاد: معادها P
(١١) فبعد: فعند AB
(١٢) المفارقة لا يمكنها عبور: مفارقة الأبدان الإنسيّة لم تتمكّن من العبور على P
(١٣) فترجع القهقرى: فترجع هذه النفوس قهقرى P
(١٤) الجحيم: النيران P
(١٥) الهيئات: المهمّات AB || A177b
(١٦) تناسب: يناسب AB
(١٧) فتفارق: + عالم P

الأجسام إلى أوّل درجات الجنان[١].

وأمّا نفوس السُعَداء فتمرّ على الأجرام العِلويّة على الترتيب[٢]، حتّى [تنتهي][٣] إلى الفردوس الأكبر، و[٤] هو الفلك الأطلس. فإذا استكملت بالكلّ فارقت وصارت مجرّدة بالكلّيّة عقولاً روحانيّة، وهو[٥] وطنها النورانيّ.

وهذا هو كيفيّة حشر الأجساد عندهم. >[٦]

[مذهب المحقّقين من الحكماء والملّيّين]

[٧]< وأمّا [المحقّقون][٨] من الحكماء وأهل الملل، فيقولون: إنّ القيامة الصغرى[٩] هي[١٠] مفارقة النفس للبدن، والكبرى هي مفارقة جميع النفوس[١١] الجزئيّة بالكلّيّة إلى مراتب[١٢] الجنان، كجنّة[١٣] الفردوس، و[١٤] عدن، و[١٥] المأوى، و[١٦] النعيم، و[١٧] الخلد، إلى[١٨] غير ذلك من الأسامي الواردة على لسان الأنبياء[١٩] في الكتب المُنزَلة.

فبعد المفارقة ينتقل النفس إلى أبدان[٢٠] تُناسبها من الأبدان الحسنة البهيّة، تلذّذ

(١) الجنان: + على قول أفاضلهم أو تعود إلى أكمل بدن إنسانيّ وتستكمل به وتفارق إلى مرتبة الأجرام العلويّة على ما أظنّ أنّ بعضهم ذهب إلى ذلك P
(٢) الترتيب: + الصاعد P
(٣) تنتهي: ينتهي AB
(٤) و: الذي P
(٥) وهو: فتخلص إلى عالمها الروحانيّ و P
(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٥٦٠ ـ ٥٦٣
(٧) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٨) المحقّقون: مذهب المحقّقين AB
(٩) الصغرى: ـ A
(١٠) هي: هو AB
(١١) النفوس: + البدنيّة AB
(١٢) B67a
(١٣) كجنّة: جنّة AB
(١٤) و: + جنّة P
(١٥) و: + جنّة P
(١٦) و: + جنّة P
(١٧) و: + جنّة P
(١٨) إلى: و P
(١٩) الواردة على لسان الأنبياء: الآتية P
(٢٠) أبدان: + أُخرى P

بهـا[١]، وهي جنّـة[٢] لهـا. ثمّ لا تزال ترتقي[٣] من مرتبـة أدنى إلى مرتبة أعلى[٤] من[٥] الجنان، إلى أن تحصّـل على[٦] الكمال الخاصّ بها[٧]، اللائق لها، فتصل إلى اللذّات العقليّة والسـعادات الروحانيّة. فإذا وصـلت إلى هذه المرتبة، تمّ لها[٨] الكمال، وأوَت إلى جنّة[٩] المأوى، وسكنت دار القرار.

فـإذا وصـلت النفوس الجزئيّة إلى هذه الكمالات[١٠] والسـعادات التي لها كانت مسـتعدّة لقبولها[١١]، ارتفع العالم الجسمانيّ، وكانت القيامة الكبرى والطامّة العظمى، وهلك كلّ شيء، كما جاء في التنزيل[١٢]: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ﴾[١٣].

ثمّ إنّ[١٤] المبدأ الأوّل[١٥] والمبادئ العقليّة يسـتأنفون خلقَ عالمٍ آخر جسـمانيّ ونفوسٍ أُخرى على سبيل الإبداع، ثمّ يستكمل، كما قال تعالى: ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ﴾[١٦].

فهؤلاء هم القائلون بالمعاد الجسـمانيّ، ويدّعون بأنّهم غير مخالفين[١٧] للشـرائع، بل يقولون: نحن الذين عرفنا أسـرارها، وفهمنا[١٨] مقاصـد أربابها، ولنا مزيد الفضـيلة الكاملة على أهل الظواهر، الذين[١٩] لم يفهموا هذه التفاصـيل التي فهمناها؛ لقصـور أفهامهم وعجز أفكارهم. >[٢٠]

---

(١) تلذّذ بها: المتلذّذة به P
(٢) جنّة: جنبه B
(٣) لا تزال ترتقي: الأبدان يرتقي AB
(٤) أعلى: الأعلى A
(٥) من: + مراتب أبدان P
(٦) على: النفس P
(٧) بها: _ P
(٨) تمّ لها: ثمّ B
(٩) جنّة: جنّته A
(١٠) الكمالات: + لها B
(١١) لقبولها: لها P
(١٢) التنزيل: + و AB
(١٣) القرآن الكريم: ٨٨/٢٨
(١٤) إنّ: + بعض هؤلاء من يزعم أنّ P
(١٥) المبدأ الأوّل: البارئ تعالى P
(١٦) القرآن الكريم: ١٠٤/٢١
(١٧) مخالفين: مخالفون B || A178a
(١٨) فهمنا: فهنا B
(١٩) الذين: الدين B
(٢٠) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٦٤/٣ _ ٥٦٥

(١)< وأمّا النفوس الغير الكاملة(٢) ـمن أهل الجهالات والهيئات الرديئة والأخلاق المذمومةـ فتنتقل(٣) إلى الأبدان المناسـبة لتلك الهيئات والملَكات. ولا يزال(٤) ذلك دأبها في الانتقال في أنواع الأبدان وأشـخاصها، إلى أن يزول عنها تلك الهيئات الرديئة والأخلاق السـيّئة. ثمّ تُطهَّر(٥) بعد ذلك، وتترقّى إلى طبقات الأفلاك، إلى أن تنتهي(٦) إلى(٧) التجرّد(٨) المحض. >(٩)

[مذهب أرباب السلوك]

(١٠)< وأمّا(١١) حكماء فارس، وبابل، ويونان ـكأفلاطون وأتباعهـ، وحكماء مصر ـكأغاثاذيمون وهرمسـ، وغيرهم من(١٢) أرباب السـلوك وأهل الكشـف ومَن وافقهم، كلُّهم قائلون بالنقل. [ثمّ](١٣) إنّهم لا يمنعونه في الأنفس(١٤) الغير الكاملة في الأبدان، ويقولون بأنّ النفوس(١٥) الكاملة تتجرّد(١٦) بعد المفارقة(١٧)، تصـل إلى سـعادتها(١٨) الروحـانيّة(١٩). ويمنعون النقل في مثل هذه النفوس الكاملة(٢٠)، ويوجبون النقل في ما عداها، إلّا أنّهم يمنعون من النقل إلى النبات والمعادن والبسائط(٢١).

---

(١) بـداية العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.
(٢) الكاملة: ـ A
(٣) فتنتقل: فينتقل A، تنتقل P
(٤) B67b
(٥) تطهّر: يظهر A، تظهر B
(٦) تنتهي: ينتهي AB
(٧) إلى: + أعلاها ثمّ تنتقل بعد ذلك إلى P
(٨) التجرّد: + و A
(٩) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٧٧/٣
(١٠) بـداية العبارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.
(١١) أمّا: + مذهب AB
(١٢) من: و AB
(١٣) ثمّ: ـ AB
(١٤) الأنفس: النفوس P
(١٥) الغير الكاملة ... النفوس: ـ AB
(١٦) تتجرّد: بل إنّها AB
(١٧) المفارقة: + الكلّيّة P
(١٨) تصل إلى سعادتها: تتّصل بمحلّ سعاداتها P
(١٩) الروحانيّة: + ولذّاتها النورانيّة وهو عالم العقل P
(٢٠) ويمنعون النقل ... الكاملة: ـ AB
(٢١) البسائط: الأجسام البسيطة وأجزائها الغير المتجزّئة P

[أحوال النفوس الناقصة عند أرباب السلوك]

وبسطُ ما ذهبوا إليه، أنّ النفس لمّا كانت حادثة بحدوث البدن، وأنّ استعداد مزاجه اقتضى فيضَها وتعلّقَها[١]، فلمّا تعلّقَت به وتصرّفَت في قواه واستعملَت آلاته وأمرَت ونهَت في مدينة البدن، أعجبها ذلك؛ لِقرب عهدها به[٢]. فمالت إليه بكلّيّتها وألفَته؛ لأنّه[٣] المستدعي لفيضها من المفارق، فكانت بطبعها مشتاقة إليه وإلى الاستكمال العقليّ[٤]؛ لأنّ تعلّقها به إنّما كان لفقرها في نفسها؛ لكونها بالقوّة، لتصير به بالفعل، وذلك يحصل لها بالتعلّق. فلا جرمَ كانت عاشقةً له بالطبع، مائلةً إليه بالذات، مشتاقةً إلى استعمال آلاته، وكان البدن مظهراً لأفعاله، وحقيبةً لأنواره، ووعاءً لآثاره، ومُعَسكراً لقواه.

والقوى البدنيّة الظلمانيّة لمّا كان حياتها بها وتلذّذُها وانتفاعُها[٥] بسبب تعلّقها بالبدن، عشقَت النفس[٦]، وتشبّثَت بها تشبّثاً عشقيّاً، وجذبَتها إلى عالمها عن العوالم النوريّة المحضة. فانقطع شوقها عن عالمها النورانيّ ووطنها الروحانيّ إلى العالم الظلمانيّ الجسمانيّ.

ولمّا كان البدن الإنسانيّ مزاجُه[٧] أصلحَ الأمزجة وأعدلها، وخلقتُه أتمَّ الخلقات وأحسنها، أمكن[٨] أن يعمل به جميع الأعمال والأفعال على الوجه الأوفى[٩]، فكان مستعدّاً لقبول النفس النفيسة[١٠] أعظم من سائر الأبدان. فلا جرمَ كان أوّل منزل للأنوار

---

(١) استعداد مزاجه اقتضى فيضها وتعلّقها: المزاج البدنيّ باستعداده الخاصّ يستدعي وجودها وتعلّقها بالبدن P

(٢) لقرب عهدها به: لأنّها قريبة العهد بالوجود P

(٣) لأنّه: لأنّ AB

(٤) العقليّ: الفعليّ AB

(٥) B68a || A178b

(٦) النفس: ـ P

(٧) ولمّا كان ... مزاجه: وكان مزاج بدنه AB

(٨) أتمّ الخلقات وأحسنها أمكن: خلقة تامّة يمكن P

(٩) الأوفى: الأدنى B

(١٠) فكان مستعدّاً ... النفيسة: وكان استعداده لقبول النفس النفسيّ P

القدسيّة[١] والأضواء العقليّة[٢].

والأبـدان[٣] قبـل تعلّق النفس[٤] ميّتة، لا حياة لها، ولا ظهور، ولا حركة، بل هو في ذاته مُظلِم. فهو مفتقر بطبعه إلى نور عارض ليظهره[٥]، وإلى نور مجرّد يحيى به ويدبّره. فالبدن الإنســانيّ هو الذي يُفيض[٦] عليه النفوس من المفارق، دون الأبدان الحيوانيّة والنباتيّة[٧] والجماديّة؛ فإنّها غير مســتعدّة للفيض الجديد، بل ينتقل هذه النفوس إليها عند عدم الكمال؛ لأنّها مسـتعدّة لقبول الفيض من النفوس الناقصة المفارقة، فيسمّون بدنَ الإنسان[٨] بابَ الأبواب.

فهو الســبب[٩] في حيـاة جميع الأبـدان العنصــريّة؛ لانتقال النفوس التي لم[١٠] تســتكمـل[١١] إلى هـذه الأبـدان الحيوانيّـة والنباتيّة[١٢]، على قدر الأخلاق والملَكات الرديئة[١٣]. فأيّ نوع منها [تمكّن][١٤] في نفسه، انتقل من البدن الإنسانيّ إلى ما يناسب ذلك من الحيوانات؛ لأنّها إذا فارقت البدن الإنسانيّ الذي هو أوّل منازلها، ولم تكتسب فيه الكمالات والهيئات الفاضلة، بل كانت مكتسبة للجهالات المركّبة والهيئات الرديئة والأخلاق الـذميمـة، فـارقتـه مُظلِمةً جاهلةً، لا تعلم مبادئها ولا ذاتها، فلم [تكن][١٥] مشـتاقةً إليها ولا عاشـقةً إيّاها، بل تميل إلى ما حصلته من الرذائل والأُمور الظلمانيّة؛

---

(١) القدسيّة: + وحافظاً لما قبِل من P
(٢) العقليّة: + على ما هو مذهب حكماء فارس P
(٣) الأبدان: + الإنسانيّة P
(٤) النفس: النفوس بها P
(٥) ليظهره: ليطهّره B
(٦) يفيض: تفيض B
(٧) النباتيّة: البناتيّة B
(٨) بدن الإنسان: البدن الإنسانيّ P
(٩) السبب: سبب A
(١٠) لم: لا A
(١١) تستكمل: يستكمل AB، + فيها P
(١٢) النباتيّة: البناتيّة B
(١٣) B68b
(١٤) تمكّن: يمكن AB
(١٥) تكن: يكن AB

لِتمكُّنها في ذاتها بسبب العلاقة؛ لأنّها قد صارت[١] فيها ملَكات لازمة وأخلاق ثابتة، فلم [تتمكّن][٢] من الاتّصال بعالم العقل؛ لعدم حصول العشق للنور الروحانيّ والشوق إلى المجرّدات العقليّة. [فتنجذب][٣] لا مَحالة إلى العالم السفليّ الظلمانيّ، و[تتعلّق][٤] بما يناسبها من الحيوانات الحاصلة لها تلك الهيئات الظلمانيّة. >[٥]

[٦]< ولا ينتقل إلى البدن الإنسانيّ؛ لأنّه باستعداده يستحقّ فيضانَ نفسٍ من المفارق، بل هي لشدّة شوقها إلى الظلمات البدنيّة منجذبةٌ إلى أسفل سافلين ومأوى المُجرمين. >[٧]

[٨]< ولكلّ خُلق من الأخلاق المذمومة نوعٌ من الحيوانات المتنكّسة. و[٩] بحسب شدّة ذلك الخُلق وضعفه، وما ينضمّ إليه من الأخلاق السيّئة والحسنة، يختلف تعلّقُ تلك النفوس الموصوفة بذلك[١٠] بآحاد أشخاص ذلك النوع[١١]؛ فإنّ النوع المناسب للشرّ هو الكلب، مع أنّ بعض الكلاب أشرّ من بعض، وهو أكثر عذاباً[١٢]، وبعضها أقلّ شرّاً وأكثر نعماً وتلذّذاً واستراحةً، حتّى أنّك ترى بعض الكلاب الصائدة[١٣] لها الثياب الفاخرة، والمآكل[١٤] الحسنة، وأطواق الذهب[١٥]، والمساكن المُظلّلة[١٦]، حتّى أنّ

---

(١) A179a

(٢) تتمكّن: يتمكّن AB

(٣) فتنجذب: فينجذب AB

(٤) تتعلّق: يتعلّق AB

(٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٧٩/٣ ـ ٥٨٢

(٦) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٧) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٨٣/٣

(٨) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٩) و: ـ AB

(١٠) بذلك: ـ AB

(١١) النوع: + من الحيوان P

(١٢) B69a

(١٣) الكلاب الصائدة: كلاب الصيد P

(١٤) المآكل: المأكل A

(١٥) وأطواق الذهب: ـ P

(١٦) المظلّلة: الطيّبة P

بعضهم يجلس[١] مع الملوك[٢] على الأسرّة[٣] يشاركه في طعامه وشرابه، على قدر أخلاقه. وعلى ذلك فقِس باقي أحوال الحيوانات من الرفاهية وعدمها على قدر أخلاق تلك النفوس[٤] المتعلّقة بها. وفي الكتاب العزيز من الآيات ما أُشير به إلى هذه المعاني.[٥]

وكما أنّ كلّ واحد من النوع الإنسانيّ يتفاوتون في تحصيل الأخلاق المذمومة، وفي شدّتها وضعفها، فكذلك حكمُ كلّ واحد من الأخلاق بالنسبة إلى سائر الحيوانات.

فإذا فارقت النفس، وقد تمكّن فيها بعض الأخلاق الرديئة كالحرص ـ مثلاً ـ، فإنّها لا تتعلّق بعد المفارقة بالأبدان النمليّة أوّلاً، بل تتعلّق بأعظم الحيوانات مقداراً وشكلاً إذا كان فيه هيئة الحرص موجودةً. ثمّ تنتقل بعد مفارقة ذلك الجسم إلى ما دونه من الأجسام الموجودة فيه تلك الهيئة أيضاً[٦]. و[٧] لا تزال متنزّلةً على التدريج، فإذا بلغت في النزول إلى التعلّق بالحيوان الذي لا أصغر منه[٨]، فإن زالت الهيئة بالكلّيّة، تعلّقت بعده بأوّل منازل الجنان ومراتبها. وإن لم تُطهَّر[٩] تعلّقت بالمناسب من حيوان عالم المثال على الترتيب، إلى أن يزول الهيئة الرديئة عنها بالكلّيّة، ثمّ تتعلّق[١٠] بأوّل مراتب الجنان، وعلى هذا القياس، سواء كانت الأخلاق التي هي فيه متعدّدةً أو متّحدةً، مختلفةً أو متّفقةً. >[١١]

---

(١) حتّى أنّ بعضهم يجلس: ـ AB

(٢) الملوك: الملك P

(٣) الأسرّة: سريره P

(٤) النفوس: + و A

(٥) كقوله تعالى: ﴿وَبَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ (القرآن الكريم: ٤٨/٣٩)، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلّا مِثْلَها﴾. (القرآن الكريم: ٤٠/٤٠)

(٦) وكما أنّ كلّ واحد ... أيضاً: ـ AB

(٧) و: ـ AB

(٨) منه: فيه AB

(٩) تطهّر: تظهر A

(١٠) تتعلّق: يتعلّق AB

(١١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٨٤/٣ ـ ٥٨٥

[١]< وتلقى[٢] في أيّـام تعلّقهـا بـالأبدان الحيوانيّة أنواعَ الآلام والأصـنافَ العذاب والعقاب، تقوى وتضـعف[٣] بحسـب قوّة الهيئات الرديئة وضـعفها، وبحسـب شـدّة العلاقـة الظلمانيّة وضـعفها. ويقلّ تلك العلاقة وتنقص بشـدّة السـكرات، والموت بالأسباب المؤلمة، والقتل بأنواع العذاب، والآلام والأمراض وأصنافها.

ولهذا قال بعضهم: إنّ كلّ نفس عصَت البارئ ـجلّ جلالهـ، ولم تمتثل[٤] أوامره، وارتكبت[٥] نواهيه في الصورة الألفيّة[٦]، رُدّت إلى هذه الدنيا في صورة باقي الحروف، وابتلاهم بالشدائد تارةً وبالراحة أُخرى.

ولكلّ قوم من أرباب الصـنائع والحرَف والصـناعات ـكالملوك، والوزراء، والجُند، والنجّـار، والبنّـاء، والبقّال، والقصّـاب، وغيرهم من أهل الحرَفـ أُمّة من الحيوانات الصـامتة، يليق[٧] باستعدادهم[٨]، ينتقلون[٩] إليها[١٠] من الأكبر[١١] إلى الأصغر[١٢] في أزمنة متطاولة. >[١٣]

[١٤]< فالهيئاتُ الرديئة والأخلاقُ الذميمة تنتقص وتضـعف وتتغيّر بتلك التعلّقات على التدريج، إلى أن لا[١٥] يبقى منها شيء[١٦]، فتستعدّ للترقّي إلى عالم الأفلاك. >[١٧]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) A179b

(٣) تقوى وتضعف: يقوى ويضعف AB

(٤) تمتثل: تمثّل A؛ تمثيل B

(٥) B69b

(٦) الألفيّة: ـ AB

(٧) يليق: تليق AB

(٨) باستعدادهم: + وتشبههم خلقاً وعيشة P

(٩) ينتقلون: ينقلون AB

(١٠) إليها: + بعد المفارقة على الترتيب والتدريج P

(١١) الأكبر: الكبر A

(١٢) الأصغر: الصغر A

(١٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٥٨٦ ـ ٥٨٧

(١٤) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(١٥) لا: ـ B

(١٦) منها شيء: فيها شيء منها P

(١٧) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٥٨٩ ـ ٥٩٠

[التناسخ في الآيات والروايات]

[١]< واعلَم أنّ ما من أُمّة من الأُمم ولا ملّة من الملل، إلّا وللتناسخ فيها قدم راسخ، وإنّما يختلفون في الطرق[٢].

وفي الكتب الإلهيّة وكلام الأنبياء من الإشـارة إليه كثير، مثل قوله تعالى: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾[٣].

وقوله: ﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا[٤] الْعَذابَ﴾[٥].

وقوله: ﴿كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيها﴾[٦].

وقوله: ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ﴾[٧].

وقوله: ﴿وَجَعَلَ[٨] مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[٩]، أي عبيد الدنيا المستعبدون لأهلها، كالخيل، والإبل، والحمير، والبغال، والبقر، والغنم، وغيرها[١٠].

وقوله: ﴿قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾[١١]، وآيات المسخ كلّها صريحة في صحّة التناسخ.

وقوله[١٢]: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٣].

وقوله: ﴿وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا﴾[١٤].

وقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ[١٥] عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾[١٦].

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٢) يختلفون في الطرق: تختلف طرقهم P

(٣) القرآن الكريم: ٤٠/٧

(٤) ليذوقوا: ليذوق A

(٥) القرآن الكريم: ٥٦/٤

(٦) القرآن الكريم: ٢٠/٣٢

(٧) القرآن الكريم: ٣٨/٦

(٨) جعل: جعلنا A

(٩) القرآن الكريم: ٦٠/٥

(١٠) A180a

(١١) القرآن الكريم: ١٦٦/٧

(١٢) B70a

(١٣) القرآن الكريم: ٢٤/٢٤

(١٤) القرآن الكريم: ٢١/٤١

(١٥) على وجوههم: ـ AB

(١٦) القرآن الكريم: ٩٧/١٧

وقوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ﴾[(١)].

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ﴾[(٢)].

وقوله: ﴿لِكُلِ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[(٣)].

وقوله ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم[(٤)]ـ: «يُحشر الناس يوم القيامة على صور شتّى بحسب اختلاف أخلاقهم»[(٥)].

وقوله: «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تُبعثون»[(٦)].

وقد روي عن عليّ بن أبي طالب ـعليه السلام[(٧)]ـ أنّ النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم[(٨)]ـ سُئل عن المسوخ، فعدّها ثلاثة عشر: الفيل، والدُبّ، والخِنزير، والقِرد، والجِرّيّ[(٩)]، والخفّاش، والعقرب، والدُعموص[(١٠)]، والعنكبوت، والأرنب، وسهيل، والزهرة، وفسّر كيفيّة مسخهم وأسبابها.[(١١)]

وفي كلام جميع الأنبياء[(١٢)] من هذا شيء كثير. >[(١٣)]

[أحوال النفوس الكاملة عند أرباب السلوك]

[(١٤)]< وأمّا إذا لم يتمكّن الهيئات الرديئة والأخلاق الدنيئة في النفس عند الملابسة والمباشرة ـإمّا[(١٥)] بسبب[(١٦)] الاطّلاع على الأُمور الشريفة الفاضلة ومعرفتها بها وشدّة

---

(١) القرآن الكريم: ٨/٨٢

(٢) القرآن الكريم: ٩٥/٤ ـ ٥

(٣) القرآن الكريم: ١٥/٤٤

(٤) وآله وسلّم: ـ B

(٥) لم أعثر عليه في المصادر الروائيّة للفريقين.

(٦) عوالي اللئالي: ٧٢/٤

(٧) عليه السلام: رضي اللّه عنه P

(٨) وآله وسلّم: ـ B، وآله: ـ P

(٩) الجرّيّ: الجرّيث P

(١٠) الدعموص: + أي رأس البغل P

(١١) الخصال: ٤٩٣/٢؛ علل الشرائع: ٤٨٦/٢

(١٢) جميع الأنبياء: أنبياء بني إسرائيل P

(١٣) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٩٣/٣ ـ ٥٩٤

(١٤) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(١٥) إمّا: ـ AB

(١٦) بسبب: + كثرة P

الشوق والعشق إلى ما هناك، أو كانت في فطرتها قويّة بسبب اتّصال(١) أو بسبب ضعف القوى البدنيّة ـ فهؤلاء(٢) لا يجوز انتقال أنفسهم إلى الأبدان الحيوانيّة، بل ترتقي(٣) إلى سعادات(٤) تليق بها(٥).

فالأنفس الطاهرة [ترتقي](٦) إلى عالم النور المحض دون النقل(٧)؛ فإنّ النور النفسيّ(٨) إذا قهر القوى الظلمانيّة(٩) واستولى عليها، وكان شوقه(١٠) إلى العالم النوريّ العقليّ أكثر(١١)، كان كلّما(١٢) ازداد نوراً وعشقاً إلى الأنوار(١٣) العقليّة ونور الأنوار، ازداد قرباً(١٤). فعند فساد البدن تنجذب ـ لكمال قوّتها العقليّة وشدّة انجذابها إلى العوالم النوريّة(١٥) الصرفة ـ إلى معدِن الحياة الصرفة، وينبوع الأنوار المحضة، و[تتخلّص](١٦) بعد الموت إليها، و[تنخرط](١٧) في سلكها، وتصير عقلاً مجرّداً، مستغرقاً(١٨) أبداً في النور الأزليّ والسرور السرمديّ.

ولمّا لم يُتصوّر القرب من العلّة الأُولى والمبادئ العقليّة بالكمال، بل بالصفات العقليّة الروحانيّة، كان أكثر الناس تجرّداً عن العلائق البدنيّة الظلمانيّة أقربَ منها. والعشق(١٩) العقليّ والشوق الروحانيّ(٢٠)، هو حامل الذوات الدرّاكة إلى نور الأنوار(٢١).

---

(١) اتّصال: + من الأسباب الاتّصاليّة P
(٢) فهؤلاء: فهو A
(٣) ترتقي: يرتقون P
(٤) سعادات: سعادة P
(٥) بها: بهم P
(٦) ترتقي: يرتقي AB، تتخلّص P
(٧) النقل: العقل AB
(٨) النفسيّ: القويّ AB
(٩) الظلمانيّة: + البدنيّة P
(١٠) B70b
(١١) أكثر: + منه إلى الأجسام المُظلمة وقواها P
(١٢) كان كلّما: فكلّما P
(١٣) الأنوار: + المجرّدة P
(١٤) ازداد قرباً: فازداد غنىً وقرباً من النور الأوّل P
(١٥) A180b
(١٦) تتخلّص: يتخلّص AB
(١٧) تنخرط: ينخرط AB
(١٨) مستغرقاً: + أزلاً و P
(١٩) ولمّا لم يتصوّر ... العشق: ـ AB
(٢٠) الروحانيّ: + و AB
(٢١) الأنوار: + والمبادئ العقليّة P

فالأتمّ شوقاً وعشقاً أتمّ انجذاباً[(١)].

[تعريف اللذّة والألم]

واعلَم أنّ اللذّة هي وصول[(٢)] ملائم الشيء، وإدراكُه لذلك الوصول.

واحترزنا بقولنا: «وإدراكه لذلك الوصول» عن حصول الملائم الغير المُلِذّ لحصول مانع عن الالتذاذ، كالخوف الشديد ومرارة الفم، المانعَين[(٣)] عن الالتذاذ. فلا حاجة إلى[(٤)] أن يُقيَّد[(٥)] بقيد: «ولا شاغل ولا مضادّ»؛ فإنّ مع وجودهما[(٦)] لا إدراك.

والألم إدراك حصول ما هو غير ملائم، وإدراكُه لذلك الوصول.

والقيد كما سلف في اللذّة.

على أنّ الألم واللذّة من الأُمور البديهيّة الوجدانيّة، فلا[(٧)] تحتاج إلى التعريف، وإن افتقرت إلى التنبيه؛ لأنّ من الأُمور البديهيّة ما يفتقر إلى التنبيه وإخطار[(٨)] بالبال.

[كيفيّة الالتذاذ عند النفوس الكاملة]

ولمّا كانت الإدراكات كلّها حاصلة من النور المجرّد، فلا يمكن أن يكون شيء أدركَ منه لذاته[(٩)] ولغيره، فلا يُتصوّر أن يكون[(١٠)] شيء أعظمَ منه، وألذَّ من كماله وملائماته، حتّى أنّ اللذّة الجسمانيّة رشح من[(١١)] اللذّات العقليّة وظلٌّ منها. وإذا كان كمال النفوس أن تفارق، وهي عارفة بأعيان الموجودات، وتكون صافية نقيّة عن ملابسة

---

(١) انجذاباً: + إلى النور الأوّل P

(٢) وصول: فصول B

(٣) المانعين: المانعان AB

(٤) إلى: _ A

(٥) يقيّد: تقييد B، تقيّد Bs، نقيد P

(٦) وجودهما: وجود الشاغل والمضادّ P

(٧) فلا: التي لا P

(٨) إخطار: إحضار AB

(٩) لذاته: لذّاته A

(١٠) يكون: _ A

(١١) B71a

الجسـمانيّات، فإنّ الغير الملائم لها إنّما[١] هي الهيئات المُظلِمة[٢] الحاصـلة لها من صحبة[٣] البدن وشوقها إليه.

فـإذا لم يكن معها شـيء من هذه الهيئات الرديئة بعد المفارقة، حصـل لها اللذّة الكبرى والراحـة العظمى بـإدراك كمـالاتها وملائماتها. وإنّما لم يلتذّ النفوس الكاملة ويتألّم الناقصـة في حال التعلّق البدنيّ ـتلذّذَها وتألّمَها بعد المفارقةـ لكثرة الشواغل البـدنيّـة والعلائق الجسـمانيّة المانعة لها من[٤] إدراك كمالاتها وملائماتها، كشـديد السُـكر[٥] الذي[٦] وصـل إليه ما يلائمه أو ينافيه[٧]؛ فإنّه لعدم إدراكه لا يلتذّ بالملائم، ولا يتألّم بالمُنافي.

وكذا عليل المعدة أو ممتلئها، لا يلتذّ بما[٨] يحضره من الأغذية[٩] الطيّبة[١٠].

وكذا ساقط القوى عند الموت[١١]، وغير ذلك من الأسباب المانعة عن الالتذاد.

ومن أنكر اللذّة العقليّة النوريّة والبهجة الروحانيّة، فهو كالعنّين الذي ينكر لذّة الجماع.

ولمّا كان لكلّ من القوى الحسّـيّة لذّة وألم ـكالقوّة الباصرة التي[١٢] لذّتها بالألوان المُشـرقة الحسنة، وألمها بالألوان القبيحة المكروهة؛ ولذّة السمع[١٣] بالنغمات الطيّبة المناسـبة، وألمها بالأصـوات الهائلة والمتنافرة؛ ولذّة الذوق بالطعوم الطيّبة، وألمها[١٤] بضدّها[١٥]؛ وكذا باقي القوىـ فكذا النفس الناطقة لها لذّة وألم. فلذّتها بإدراك الكمال

(١) إنّما: + هو B
(٢) المظلمة: + البدنيّة P
(٣) صحبة: صحّة AB
(٤) من: عن P
(٥) السكر: الشكر B
(٦) A181a
(٧) ينافيه: ينافره P
(٨) بما: بها A
(٩) الأغذية: الأطعمة P
(١٠) الطيّبة: الطبّيّة A
(١١) عند الموت: ـ AB
(١٢) التي: ـ AB
(١٣) السمع: السماع A، السماخ B
(١٤) B71b
(١٥) بضدّها: بالطعوم المكروهة P

العقليّ، ومحبّتِهـا وعشــقِهـا لعالم[1] النور، وقهرِها للقوى البدنيّة. وإنّما يحصــل لها الشوق والعشق إلى[2] العالم الروحانيّ والمقام النورانيّ، إذا عرف نفسه، وعرف العالم العقليّ وترتيـب الوجود، وعرف المبدأ والمعاد وســائر الموجودات، بحســب الطاقة والإمكان.

ولمّـا كـانـت العنـايـة بالبدن وتدبيره واجباً ـلتوقّف الكمال عليهـ، فأجوَد التدبير والأخلاق الاعتدالُ[3] في الأُمور الشهوانيّة والغضبيّة[4]. ولا خلاص[5] عن هذا العالم، إلّا إذا ترجّح الشوق إلى ذلك العالم على الشوق إلى هذا العالم[6].

فإذا اطّلعَت النفسُ على الحقائق الإلهيّة، وعشقَت الأنوار الروحانيّة، واشتدّ شوقها إليها[7]، وتطهّرَت من محبّة[8] القوى البدنيّة، فمتى[9] فارقَت البدنَ شاهدَت في الحال عالمَ النور[10]، وانجذبت إليه، وجذبتها إلى عالمها. فتتخلّص إليه بالكلّيّة، وانعكســت عليها الإشــراقاتُ الغير المتناهية من النور الإلهيّ بغير[11] واسـطة وبوسـائط، ومن كلّ واحـد من[12] الأنوار المجرّدة[13]، ومن[14] كـلّ واحـد من النفوس المفـارقـة الغير المتنـاهيـة مراراً غير متنـاهية[15]. فحينئذٍ يحصــل لها لذّات غير متناهية، وابتهاجات مستمرّة غير منصرمة. وكلّ نفس لاحقة تلتذّ بالنفوس السابقة، وهي أيضاً تلتذّ باللواحق

---

(١) لعالم: العالم AB
(٢) إلى: + غير ذلك P
(٣) الاعتدال: الاعتداليّ AB
(٤) الغضبيّة: الغضب B
(٥) لا خلاص: الإخلاص B
(٦) العالم: ـ AB
(٧) إليها: إلى النور الأعلى الربوبيّ P
(٨) محبّة: محبّته A
(٩) فمتى: + حينئذٍ AB؛ فإذا P
(١٠) النور: + ومعدن السرور P
(١١) بغير: من غير P
(١٢) ومن كلّ واحد من: ـ AB
(١٣) المجرّدة: + بغير واسطة وبواسطة P
(١٤) من: توسّط AB
(١٥) A181b

من النفوس المفارقة، فتلتذّ(١) لذّة غير متناهية، فيزيد(٢) هذه الإشراقات في حُسنها وجمالها مع إشراق نور الأنوار ومشاهدته.

[الفرق بين الإدراكات العقليّة والحسّيّة]

واللذّة العقليّة لا يمكن أن يحاط بها في هذا العالم؛ إذ(٣) لا نسبة للإدراكات العقليّة ومُدرِكها ومُدرَكها(٤) إلى الإدراكات الحسّيّة ومُدرِكها ومُدرَكها(٥)؛ فإنّ الأُولى أرفع وأعلى وأتمّ(٦)؛ فإنّ القوى الحسّيّة لا تصل إلى كُنه الشيء(٧)، بل ولا تدرك إلّا مع زوائد لا تدخل في حقيقة المدرَك. فإذا(٨) أردنا(٩) إدراك لونٍ، لا يمكننا إدراكه إلّا بواسطة طول وعرض وقُرب وبُعد وغير ذلك من الأُمور(١٠) الغريبة الخارجة عن حقيقته(١١)، والعقل يدرك الأشياء مجرّدةً عن جميع ما عداها(١٢).

مع أنّ(١٣) مُدرَكات العقل غير متناهية، والإدراكات(١٤) الحسّيّة متناهية محصورة في أعداد قليلة(١٥).

و(١٦) مُدرَكات العقل(١٧) هو الحقّ الأوّل مع الجواهر العقليّة والنفوس المجرّدة السماويّة والبشريّة، والقوى الحسّيّة لا تدرك(١٨) ذلك، وإنّما تدرك الأعراض والسطوح.

---

(١) فتلتذّ: فتلذّ AB
(٢) فيزيد: فتريد B || B72a
(٣) إذ: فإنّه P
(٤) ومدركها: _ AB
(٥) ومدركها: _ AB
(٦) أتمّ: + وأكمل P
(٧) الشيء: + المحسوس P
(٨) فإذا: فإنّا AB
(٩) أردنا: أوردنا A
(١٠) الأُمور: الأعراض P
(١١) حقيقته: حقيقة اللون P
(١٢) جميع ما عداها: ما عداها من الأُمور الغريبة P
(١٣) مع أنّ: وأيضاً P
(١٤) الإدراكات: _ AB
(١٥) أعداد قليلة: عدد قليل P
(١٦) و: + لأنّ P
(١٧) العقل: + إنّما P
(١٨) تدرك: يدرك A

وأيضاً فالعقل لا يغلط[١] في إدراكاته؛ لأنّه يدرك[٢] الشيء على ما هو عليه، بخلاف القوى الحسّيّة؛ فإنّها كثيرة الكذب؛ لأنّك[٣] ترى الكبير صغيراً وبالعكس، والساكن متحرّكاً وبالعكس، وكذا المستقيم مُعوَجّاً وبالعكس، وغير ذلك من الأغلاط.

فإن قلتَ: فما تقول في الاعتقادات الفاسدة والآراء الباطلة[٤] الراسخة في بعض عقول الناس؟ أ ليست من أحكام العقل، وقد[٥] غلط فيها؟

قلتُ[٦]: إنّما هذه الأغلاط الحاصلة لهم من جهة أحكام الوهم والخيال المسلّطَين على العقل في حال التعلّق البدنيّ. وأمّا بعد رفع التعلّق فيرتفع الخيال والوهم، فلا يقع في الأحكام العقليّة مزاحم ولا ممانع، فلا[٧] يقع الغلط أصلاً.

فالإدراكات العقليّة[٨] ولذّاتها هي الإدراكات واللذّات الحقيقيّة، وأمّا غيرها من اللذّات الحسّيّة فرشح عنها وظلّ لها.

[كيفيّة اتّحاد النفوس الكاملة بنور الأنوار والأنوار العقليّة]

ولمّا كانت النفس حال التعلّق يُتوهّم أنّها البدن أو أنّها فيه، وإن لم تكن كذلك[٩]، فكذلك[١٠] النفس الكاملة إذا فارقَت البدن[١١]، فمن شدّة[١٢] نوريّتها وعلاقتها العشقيّة مع نور الأنوار والأنوار العقليّة يُتوهّم أنّها هي. فتصير تلك الأنوار[١٣] مظاهر للنفوس المفارقة، كما كانت الأبدان مظاهر.

---

(١) لا يغلط: فلا يمكن أن يغلط أو يكذب P
(٢) يدرك: مدرك A
(٣) لأنّك: أنّك A
(٤) الباطلة: الباطنة B
(٥) B72b
(٦) قلت: + و A
(٧) فلا: ولا A
(٨) A182a
(٩) كذلك: هي هو ولا فيه P
(١٠) فكذلك: فإنّ AB
(١١) البدن: _ AB
(١٢) فمن شدّة: من شدّة قوّتها و P
(١٣) تلك الأنوار: الأنوار العقليّة P

وإذا صارت الأنوار[١] مظاهر لها[٢]، واستولى عليها قهرها وسلطانها، ودامت عليها إشـراقاتها[٣]، وقعت في لذّة وشـوق وذوق وعشـق وبهجة ليس لها نسبة إلى لذّاتنا[٤]. فهذا حال الكاملين المستعدّين للتجرّد.

[أحوال السعداء عند أرباب السلوك]

وأمّا حال السُـعَداء من المتوسّـطين والزهّاد، فإنّ نفوسـهم بعد المفارقة[٥] ترتقي[٦] إلى عـالم المثُل[٧] المعلّقة التي هي مظاهر لبعض[٨] الأجسـام السـماويّة. فكلّما[٩] كانت النفس أشرف، كان مظهرها فلكاً[١٠] أعلى، وإن كانت أخسّ فأدنى. ثمّ لا تزال[١١] ترتقي إلى ما هو أعلى[١٢]، بعد الإقامة في كلّ فلك زماناً طويلاً أو[١٣] قصـيراً لا يمكننا ضبطه، إلى أن ترتقي إلى الفلك الأعلى.

وقد يسـتعدّ بعض النفوس للتخلّص[١٤] بالتدريج إلى عالم العقل المحض، وهي التي كان[١٥] لها شـوقٌ وميلٌ إلى الروحانيّات، وتفطّنٌ للمجرّدات. وإن لم يكن كذلك دام[١٦] مكثُها في الأفلاك اللائقة بأخلاقها وأعمالها وملَكاتها، مخلّدون فيها؛ لبقاء علاقتهم معها[١٧].

---

(١) الأنوار: + التامّة العقليّة P
(٢) لها: للنفوس المفارقة P
(٣) إشراقاتها: + العقليّة P
(٤) لذّاتنا: الدنيا AB
(٥) المفارقة: + البدنيّة P
(٦) ترتقي: يرتقون P
(٧) المثل: المثال B
(٨) هي مظاهر لبعض: يكون مظاهرها بعض P
(٩) فكلّما: وكلّ ما AB
(١٠) فلكاً: ـ AB
(١١) تزال: + النفوس المتعلّقة بالفلك الأدنى P
(١٢) أعلى: + وهكذا ترتقي من فلك أدنى إلى أعلى P
(١٣) أو: و AB
(١٤) للتخلّص: المتخلّص A
(١٥) B73a
(١٦) دام: ولزم B
(١٧) معها: مع الأجرام وعدم فساد تلك الأجرام الفلكيّة P

وهذه النفوس لها[١] القوّة على اتّحاد[٢] المثُل واستعمالها والتلذّذ بها، فتستحضر الأطعمة الشهيّة، والمشارب الهنيئة، والملابس الفاخرة، والنغمات المناسبة، وغير ذلك من أنواع المشتهَيات وأصناف الملذّات، وتتلذّذ[٣] بها لذّةً أتمّ وأكمل من اللذّات الحسّيّة والمشتهيات المجسّمة؛ لأنّ مظاهر الصور المثاليّة هي الأجرام العِلويّة الثابتة، ومظاهر الصور الحسّيّة[٤] الأجرامُ[٥] السفليّة الفاسدة.

[مراتب النفوس المفارقة]

فظهر ممّا أسلفناه أنّ للنفوس[٦] المفارقة مراتب:

أ. السابقون. وهم الكاملون بالعلم والعمل، المتخلّصون إلى عالم النور[٧] المحض.

ب. السُعَداء، و[٨] هم المحصّلون للعلم، المقصّرون في العمل. فيقيمون في كلّ فلك زماناً، ثمّ يؤوّل حالهم في الأخير إلى التجرّد المحض، والخلاص إلى العالم العقليّ.

ج. الكاملون في العمل، المقصّرون في العلم. فهؤلاء هم المقيمون في الأفلاك[٩]، المخلّدون فيها، كلّ في فلك[١٠]، إمّا أعلى أو أدنى على حسب مراتبهم.

وأصحاب هذه المرتبة والتي قبلها هم أصحاب اليمين.

د. الأشقياء على مراتبهم الكثيرة. وهم الذين لم يتخلّصوا عن عالم الكون والفساد، وقد تقدّم تفاصيلهم[١١]، وهؤلاء[١٢] أصحاب الشمال.

---

(١) لها: + القدرة و P

(٢) اتّحاد: إيجاد P

(٣) تتلذّذ: تلذّذ AB

(٤) الحسّيّة: + وحواملها هي A182b || P

(٥) الأجرام: لأجرام A

(٦) للنفوس: _ AB

(٧) النور: العقل P

(٨) و: _ A

(٩) الأفلاك: + و P

(١٠) كلّ في فلك: _ AB

(١١) تفاصيلهم: تفاصيل أحوالهم P

(١٢) هؤلاء: + هم P

ويبقى مرتبة خامسة، وهم البُله والأطفال و[١] مَن غلب عليه سلامة الصدر والسذاجة[٢] مع خلوّهم من الهيئات الرديئة. فيجب على حكم القواعد[٣] السالفة[٤] أن يتعلّق نفوسهم[٥] ببعض الأجرام السماويّة ـ من الحسّيّة والمثاليّة ـ، ويخلّدون فيها، متنعّمين بجميع اللذّات والمشتهَيات، كما ورد مفصّلاً في الشرائع الإلهيّة. >[٦]



(١) و: + بالجملة كلّ P

(٢) السذاجة: انشراحه A

(٣) القواعد: قواعد A

(٤) B73b

(٥) يتعلّق نفوسهم: يتعلّقوا P

(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٩٥/٣ ـ ٦٠٤

[ماهيّة تعذيب النفوس الشقيّة]

[(١)]< وإذ قد عرفتَ **أنّ الحركات** الفلكيّة **توجب الكائنات، والكلّ بالقدَر السابق،** فلا يكون الالتذاذ الحاصل لهذه النفوس بأمر مباين لها. **وهي** -أعني النفوس الشقيّة[(٢)]- **حاملة لعذابها[(٣)] معها، بلا منتقمٍ خارجيٍّ** انتقم منها وعذّبها، ليلزم كون التعذيب الحاصل لها من المبدأ. **وليس ابتلاؤها بالمعاصي** وحصولها منها **بالقدَر** المذكور، **ليكون تعذيبها** على تلك المعاصي **[ظلماً][(٤)]** بالنسبة إليها؛ لأنّ الذي بالقدر إنّما هو الاتّحاد الحاصل بواسطة الأسباب الموجبة لفيض العناية ما يقتضيه أحكامها بواسطة الاستعداد. **بل إنّما[(٥)] هي أعمالهم** اكتسبوها بواسطة [الآلات][(٦)] والأسباب الموجبة لسوق[(٧)] الأشياء[(٨)] إلى كمالها بمقتضى[(٩)] العناية. فحينئذٍ **رُدَّت إليهم** أعمالُهم، فتعذّبوا بها، **كما قال تعالى:** ﴿**وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ**﴾[(١٠)]. فكان عملُه هو الذي ظهرت[(١١)] له صورتُه في الموطن المعاديّ بالصورة[(١٢)] الأُولى، [فيُعذَّب][(١٣)] به. **وإليه** -أي وإلى هذا المعنى- **أشار بقوله** -عزّ من قائلٍ-: ﴿**وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾[(١٤)]. فجهنّم المحيطة[(١٥)] بهم هي كفرهم الظاهرُ لهم صورتُه عند المفارقة

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) الشقيّة: السفيه A
(٣) لعذابها: عذابها P
(٤) ظلماً: ظلم AB
(٥) إنّما هي: في ما A
(٦) الآلات: آلات AB
(٧) لسوق: لشوق B
(٨) A183a
(٩) بمقتضى: لمقتضى A
(١٠) القرآن الكريم: ٨١/٢
(١١) ظهرت: طهرت B
(١٢) بالصورة: فالصورة A
(١٣) فيعذّب: فتعذّب AB
(١٤) القرآن الكريم: ٤٩/٩، ٥٤/٢٩
(١٥) المحيطة: المحيط A

وانتفاءِ الحجاب البدنيّ، فأحاط بهم، فتعذّبوا به. >[١]

[اختلاف الصور المختلفة لحقيقة واحدة بحسب اختلاف مواطن النفس]

[٢]< وتحصـيـل هـذه الأسـرار يُعلم من أنّ الحقيقة مغايرة لجميع الصـور التي ينجلي[٣] فيها تلك الحقيقة[٤] على المشاعر الظاهرة والباطنة، الجسمانيّة والروحانيّة. فهي[٥] مغايرة لها من حيث ذاتها، لا من حيث[٦] الوجود. وأنّ[٧] تلك الحقيقة في حدّ ذاتهـا قابلة للظهور بصـور متخالفة مختلفة الأحكام. وأنّ[٨] الصـور التي تظهر[٩] بها متسـاوية الأقدام بالنسبة إليها، وليس بعضها أولى بها من البعض في[١٠] ذاتها، بل إنّما تخصّص تلك الصور بعينها لها أحكام المواطن والمشاعر.

فالعلم حقيقة واحدة، يظهر في مواطن[١١] بصـورة[١٢] عرضـيّة محتجبة عن الحسّ الظـاهر، مـدرَكـة بالعقل كلّيّةً، وبالوهم جزئيّةً. وهي بعينها يظهر في مواطن أُخرى[١٣] بصـورة جوهريّة[١٤]. وكما أنّ الظاهرَ على المدارك الباطنة حقيقةُ العلم، كذلك الظاهرُ على المشـاعر حقيقةٌ[١٥] أيضـاً، إلّا أنّه يتجلّى في كلّ موطن بصـورة بعينها[١٦] له[١٧] في[١٨] ذلك الموطن.

---

(١) كلمة التصوّف: ١٢١ (مع تصرّف وتفصيل)
(٢) بداية العبارات المنقولة من: شرح رسالة الزوراء.
(٣) التي ينجلي: الذي يستحيل P، الذي يتجلّي Ps
(٤) تلك الحقيقة: _ P
(٥) فهي: _ P
(٦) B74a
(٧) وأنّ: لأنّ P
(٨) أنّ: + جميع P
(٩) تظهر: يظهر AB
(١٠) في: + حدّ P
(١١) مواطن اليقظة: موطن اليقظة P
(١٢) بصورة: بصور AB
(١٣) مواطن أُخرى: موطن الرؤيا P
(١٤) جوهريّة: + أي صورة اللبن P
(١٥) حقيقة: حقيقيّة B
(١٦) بعينها: + بعينها B
(١٧) له: لها P
(١٨) في: _ AB

ثمّ إنّ المحجوب المنغمس في أحكام الطبيعة، الذي لا يعرف الحقائق إلّا بصورها؛ لتعوّده[١] بالعوائد المألوفة الطبيعيّة، تتنكّر[٢] عليه[٣] الحقيقة عند تبدّل الصورة، فلا[٤] يعرفها؛ لتحوّلها في ملابسها. لكن العارف الدرّاك[٥] الذي له نفس قويّة، لا تصير مغلوبة لأحكام[٦] خصوصيّات المواطن، ولا يحجبها حكم موطن عن أحكام المواطن الآخر يعرفها في سائر ملابسها.

ولمّا كانت[٧] هذه [أسراراً][٨] خفيّةً مخالفةً لِما ارتكز[٩] في الطباع المأووفة المنهمكة في العوائد المألوفة، مع جلالة شأنها وكونها مرقاة إلى الاطّلاع على علوم لطيفة[١٠] نفيسة، فلا بدّ من إتقانها؛ لنباهة شأنها، وأنّها من المدارك[١١] التي منالها[١٢] عزيز.

[فوائد الاطّلاع على هذه الأسرار]

فإذا أيقنتَها وتفطّنتَ لِما فيها من الغوامض، اطّلعتَ بها على حقيقة كيفيّة الانطباق بين العوالم؛ فإنّها بأسرها صور لحقيقة واحدة متخالفة من جهة اختلاف[١٣] المواطن التي يستوطنها النفس في مدارج صعودها ومدارك هبوطها؛ فإنّ المدارك[١٤] هي مقتضيات[١٥] تلك المواطن. بل يعرف به حقيقة العوالم؛ لأنّها صور تظهر على النفس

---

(١) لتعوّدها: لتعدّدها A، لتعوّدها P
(٢) المألوفة الطبيعيّة تتنكّر: المألوف الطبيعة تنكير A
(٣) تتنكّر عليه: ينكر P
(٤) فلا: ولا P
(٥) الدرّاك: الدارك AB
(٦) لأحكام: الأحكام B
(٧) A183b
(٨) أسراراً: أسرار AB، النكتة P
(٩) ارتكز: لم تكن B
(١٠) علوم لطيفة: أسرار P
(١١) B74b
(١٢) منالها: مثالها A
(١٣) اختلاف: تخالف أحكام P
(١٤) فإنّ المدارك: والمدارك التي P؛ المدارك الأُولى من الدركات، والثانية من الإدراك Pa
(١٥) مقتضيات: مقتضبات A

في مواطنها، بل ينكشف عليك بواسطته[١] أسرار كثيرة[٢] غامضة من حقائق[٣] المبدأ وظهوره في الكثرات؛ فإنّ ذلك إنّما يتحصّل ويتقوّم بالنفس[٤] ومراتبها. بل[٥] وأسرار المعاد من ظهور الأعمال والأخلاق الظاهرة في النشأة الدنياويّة بالصور الخاصّة، وفي النشأة الأُخرويّة بالصور التي يقتضيها أحكام تلك النشأة، كما هو مفصّل في الشريعة[٦]. >[٧]

[حقيقة معنى إحاطة جهنّم بالكافرين]

[٨]< فيظهر عليك الأعمال والأخلاق في جميع المواطن بصور الأجساد، فيُعرف به كيفيّة وزن[٩] الأعمال وسرّ حشر الأجساد الأفراديّة[١٠] بصور الأخلاق الغالبة[١١] عليها[١٢]، فيظهر عليك حقيقة[١٣] قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾[١٤]؛ >[١٥]

[١٦]< فإنّ الآية بظاهرها[١٧] تدلّ على إحاطة جهنّم بالكافرين في الزمان الحاضر[١٨]، ولا حاجة إلى الصَرف عن الظاهر؛ بناءً على التحقيق الذي سبق؛ فإنّ الأخلاق الرذيلة والعقائد الباطلة التي هي محيطة بهم في هذه النشأة، هي بعينها جهنّم التي ستظهر[١٩]

---

(١) بواسطته: _ P
(٢) كثيرة: _ P
(٣) حقائق: حقيقة P
(٤) بالنفس: النفس A
(٥) بل: _ P
(٦) الشريعة: + الحقّة P
(٧) شرح رسالة الزوراء: ٢١٨ _ ٢١٩
(٨) بداية العبارات المنقولة من: رسالة الزوراء.
(٩) كيفيّة وزن: وإنّ AB
(١٠) الأجساد الأفراديّة: الأفراد P
(١١) الغالبة: العالية AB
(١٢) عليها: _ P
(١٣) فيظهر عليك حقيقة: واطّلعت على سرّ P
(١٤) القرآن الكريم: ٩/٤٩، ٢٩/٥٤
(١٥) رسالة الزوراء: ١٧٧
(١٦) بداية العبارات المنقولة من: شرح رسالة الزوراء.
(١٧) بظاهرها: بطاهرها B
(١٨) الزمان الحاضر: زمان الحال P
(١٩) ستظهر: يستظهر A؛ ستطهر B

في الصورة الموعودة عليهم، كما أنذرهم[١] الشارع -صلّى اللّه عليه وآله وسلّم[٢]-، إلّا أنّهم لا يعرفون ذلك؛ لعدم ظهورها لهم في هذه النشأة[٣] بتلك الصور[٤]. وهم لفرط جهلهم بالحقائق[٥] لا يعرفون الحقائق إلّا بالصور.

وأمّا النفس المحيطة بالحقائق وتقلّبها بصورها في مواطنها[٦]، فتعرف حقيقة الأمر، بل قد ينعكس[٧] ذلك إلى مرآة خيالها[٨] التي هي مشكاة مصباح[٩] النفس، فتشاهد[١٠] تلك الصور بأعيانها كفاحاً، مع مشاهدتها[١١] للصور المحسوسة؛ فإنّ النفوس[١٢] القويّة لا يشغلها شأن عن شأن، ولا يُلهيهم موطن عن موطن، وإن[١٣] لم يكن هذه[١٤] الحال دائمةً لهم، بل مختلفة بحسب خواصّ الأوقات وما يتبعها من الأحوال.

[شواهد على اطّلاع النفوس القويّة على هذه الحقائق]

كما ورد في الحديث المشتمل على رؤيته -صلّى اللّه عليه وآله وسلّم[١٥]- الجنّةَ[١٦] والنارَ، وهو في الصلاة حذاءَ الحائط.[١٧]

وأمثال ذلك كثير.

كما في حديث الشيخ الجنيد مع إمام المسجد، ورؤيته له في السوق يشتري البقل.[١٨]

---

(١) B75a
(٢) وآله وسلّم: _ B
(٣) A184a
(٤) الصور: + الموعودة P
(٥) بالحقائق: + وتقلّبها في الصور بحسب المواطن AB
(٦) وتقلّبها بصورها في مواطنها: في الصور P
(٧) ينعكس: تنعكس AB
(٨) خيالها: خياله P
(٩) مصباح: مصابيح P
(١٠) فتشاهد: فيشاهد P
(١١) مشاهدتها: مشاهدته P
(١٢) النفوس: النفس A
(١٣) إن: إذا AB
(١٤) هذه: هذا P
(١٥) وآله وسلّم: _ B
(١٦) الجنّة: للجنّة AB
(١٧) بحار الأنوار: ٣٠/٢٢
(١٨) مجلي مرآة المنجي: ١٦٤٨/٤

وقصّة الشيخ الفارسيّ في رؤيته الداخلَ عليه ـ وهو في الحال ـ بصورة الحمار.[١]

إلى غير ذلك من المواطن. >[٢]

والحِكَم والأسرار الإلهيّة كثيرة في هذا المعنى، وكلّها تظهر[٣] بإيقان هذه[٤] الغوامض. ويُعرف بها أنّ جميع ما ورد فيها على الحقيقة جارٍ[٥]، لا على وجه المجاز والتأويل، كما يتوهّمه بعض أهل الفحص عن الحقائق بطريق البحث؛ فإنّ ذلك قصور ظاهر لا يخفى وجهه.

[استدلال على كون الشرّ عدميّاً]

[٦]< فإذا تمهّدَت هذه القاعدة، فنقول: اعلَم أنّ الشرّ عند الحكماء لا ذات له، بل هو أمر عدميّ، إمّا عدم ذات، أو عدم كمالٍ ما لذاتٍ[٧]. ولو كان أمراً وجوديّاً[٨]، لكان إمّا شرّاً لنفسه، أو شرّاً لغيره.

لا جائز أن يكون شرّاً لنفسه، وإلّا لم يوجَد؛ لأنّ وجود الشيء لا يقتضي عدم نفسه، ولا عدم شيء من كمالاته. ولو اقتضى الشيء عدمَ بعض ما له من الكمالات، لكان الشرّ هو ذلك العدم، لا هو نفسه.

ثمّ كيف يمكن أن يكون[٩] الشيء مقتضياً لعدم كمالاته، مع كون جميع الأشياء طالبةً لكمالاتها[١٠] اللائقة بها؟ والعناية الإلهيّة لا تقتضي[١١] إهمال شيء، بل يوجب

---

(١) شرح رسالة الزوراء: ٢٢٠

(٢) شرح رسالة الزوراء: ٢١٩ ـ ٢٢٠

(٣) تظهر: تطهر B

(٤) هذه: هذا A

(٥) جارٍ: جاز A

(٦) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٧) ما لذات: بالذات AB

(٨) B75b

(٩) يكون: تكون B

(١٠) A184b

(١١) تقتضي: يقتضي AB

إيصـــال كلّ شـــيء إلى كماله. فيكون الأشـــياء بطبائعها وغرائزها طالبةً لكمالاتها، لا مقتضيةً لعدمها[١].

ولا جائز أن يكون الشـرّ[٢] شرّاً لغيره؛ لأنّ كونه كذلك فإمّا أن يكون لأنّه يُعدِم ذلك الغير، أو يُعدِم بعض كمالاته، أو لأنّه لا يُعدِم شيئاً.

فإن كان كونه شرّاً لكونه مُعدِماً للشيء أو لبعض كمالاته، فليس الشرّ إلّا عدم ذلك الشيء أو عدم كمالاته، لا نفس الأمر الوجوديّ المُعدِم.

وإن لم يكن مُعدِماً لشيء أصلاً، فليس بشرٍّ؛ لِما فرِض أنّه شرٌّ له.

فإنّ العلم الضـروريّ حاصل بأنّ كلّ ما لا يوجب عدم شيء ولا عدم كماله، فإنّه لا يكون شرّاً لذلك الشيء؛ لعدم استضراره به.

وإذا لم يكن الشرّ الذي فرضناه أمراً وجوديّاً، شرّاً لنفسه ولا لغيره، فلا يكون شرّاً.

وصـورة القياس هكذا: لو كان الشرّ أمراً وجوديّاً لكان الشرّ غير شرّ، والتالي باطل، فكذا المقدّم.

وبيان اللزوم وبطلان التالي ما مرّ. فعُلم أنّ الشـرّ أمر عدميّ، إمّا عدم ذات، أو عدم كمال.

[أمثلة لبيان أنّ المسمّاة بالشرور شرورٌ بالنسبة إلى أُمور أُخرى]

وأنت إذا تأمّلتَ واستقريتَ أحوال الشرور في هذا العالم[٣]، وجدتَ كلّ ما[٤] يطلق عليه اسـم الشـرّ إمّا عدماً محضـاً، أو مؤدّياً إلى عدم. فالموت والجهل والفقر وأمثالها عدميّات محضـة. والأشـياء المانعة لأشـياء أُخرى عن الوصـول إلى كمالاتها ـ كالبرد المُفسِـد للثمـار، والحرّ المُعفِّن لهـا، والمطر المانع للقصّـار، والأخلاق المذمومة،

---

(١) لعدمها: عدمها P

(٢) الشرّ: + على تقدير كونه أمراً وجوديّاً P

(٣) B76a

(٤) كلّ ما: كلّما AB

كالزنا، والسرقة، والغيبة، والنميمة، والظلم، والجور، وما أشبهها من الآلام والأحزان والغموم، وغير ذلك ـ فإنّ كلّ واحد من هذه الأشياء من حيث ذاته ليس بشرٍّ؛ فإنّ الحرّ والبرد كيفيّتان من الكيفيّات الفعليّة، وهما من الكمالات الجسمانيّة، ليسا بشرٍّ. وإنّما الشرّ في أمزجة الثمار الفاسدة[١] وفقدانها الأشياء اللائقة بها.

وكذلك الأخلاق والأفعال المذمومة ليست بشرٍّ من حيث كونها صادرة عن القوّتين[٢] الشهوانيّة والغضبيّة، بل [تلك][٣] من كمالات هاتين القوّتين، فكيف تكون[٤] شرّاً؟ بلى[٥]! قد يكون هذه الأخلاق والأفعال المذمومة شرّاً بالنسبة إلى ضعفاء النفوس العاجزة عن ضبط قواها البدنيّة.

وكذا البواقي؛ فإنّ الزنا إنّما كان شرّاً بالنسبة إلى السياسة المدنيّة.

والظلم إنّما هو شرّ بالنسبة إلى المظلوم.

وكذلك الآلام والأحزان والغموم وغيرها ليست شروراً[٦] من حيث الإدراك لأُمور، أو من حيث[٧] وجودها أو صدورها عن العلل الفاعلة لها، بل هي شرور بالنسبة إلى الأشخاص المتألّمة.

وكذلك إذا تفحّصت عن جميع الأشياء الموجودة في هذا العالم المسمّاة شروراً عند الجمهور، لم تجدها[٨] في أنفسها شروراً، بل هي شرور بالنسبة إلى أُمور أُخرى ـ كما قرّرناه[٩] ـ.

---

(١) A185a
(٢) القوّتين: النفوس AB
(٣) تلك: ذلك AB
(٤) تكون: يكون BP
(٥) بلى: بل AB
(٦) ليست شروراً: ـ AB
(٧) B76b
(٨) تجدها: نجدها A
(٩) قرّرناه: مرّ تقريره P

وذكرنا(١) هذه الأمثلة الدالّة على(٢) أنّها ليست في أنفسها بشرورٍ(٣)، لأنّها أُمور وجوديّة، والشرور(٤) أُمور عدميّة، ليظهر ويتّضح أنّ الشرّ [عدميّ](٥)، وأنّ هذه الأشياء وأمثالها التي يسمّيها العامّة شروراً إنّما هي(٦) بالنسبة إلى غيرها من الأُمور، وإلّا فالبرهان الذي ذكرناه كافٍ في أنّ الشرّ أمر عدميّ، إمّا(٧) عدم ذات، أو عدم كمال.

[أقسام الممكنات من حيث خيرها وشرّها]

وقد قسّم الحكماءُ الممكناتِ إلى خمسة أقسام:

ـ ما هو خير كلّه، لا شرّ فيه.

ـ وما هو خير كثير معه(٨) شرّ قليل.

ـ وما هو شرّ كثير مع خير قليل.

ـ وما يتساوى الخير والشرّ فيه.

ـ وما هو شرٌّ مطلقٌ لا خير فيه أصلاً.

[ما يجب وجوده من هذه الأقسام]

[القسم الأوّل]

فالأوّل هي الأُمور التي وقعت في الوجود تامّة، لا يعوزها(٩) شيء ممّا ينبغي، ولا يخالطها شيء ممّا لا ينبغي. فهي بالفعل من جميع الوجوه، كالعقول والنفوس السماويّة؛ فإنّها وإن كانت فيها ما هو بالقوّة، إلّا(١٠) أنّها غير ممنوعة من إخراجه(١١) إلى

---

(١) وذكرنا: وذكرناه B، وإنّما ذكرنا عدّة من P

(٢) الدالّة على: ـ AB

(٣) بشرور: شرور AB

(٤) الشرور: الشرّ A

(٥) عدميّ: عدمياً AB؛ أنّ الشرّ عدميّ: كيفيّة كون الشرّ عدميّاً P

(٦) هي: هو A

(٧) إمّا: ـ AB

(٨) معه: مع P

(٩) يعوزها: يفوزها A؛ يفوتها Ps

(١٠) A185b

(١١) من إخراجه: عن إخراجه من القوّة P

الفعل. وهذا القسم يجب وجوده؛ بناءً على قاعدة الإمكان الأشرف[١].

[القسم الثاني]

والثاني يجب وجوده أيضاً؛ لأنّ في ترك الخير الكثير لأجل شرٍّ قليلٍ يتبعه شرٌّ كثير. وهو جميع[٢] الموجودات التي لا يمكن أن تكون[٣] على كمالاتها اللائقة، إلّا ويعرض لها بسبب المصادمات والمصاكّات الاتّفاقيّة منعُ غيرها عن كمالاته[٤]، كالنار لها[٥] قوّة الإحراق، و[٦] يعرض لها[٧] إحراق وليّ وثياب نبيّ.

وكذا الماء كماله البرودة والرطوبة، و[٨] يعرض له تغريقُ[٩] بلاد[١٠] وهلاكُ عباد.

وكذا في الهواء والأرض.

وهذا إنّما يكون في الموجودات التي يمكن فيها الإحالة والاستحالة، والكون والفساد. لكنّا إذا تأمّلنا حال الشخص المستضرّ بشيء من هذه العناصر[١١]، وتأمّلنا[١٢] انتفاعَه بها[١٣] طول عمره، لم يكن لذلك الضرر اليسير نسبة يعتدّ[١٤] بها إلى ذلك النفع الكثير. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى شخص واحد[١٥]، فكيف يكون الحال في نسبة ذلك الضرر اليسير إلى انتفاع جميع الأشخاص الإنسانيّة والحيوانيّة؟

وكذا الكلام في وجود الحيوانات التي في[١٦] أنفسها خير، مع أنّه قد يعرض لها

---

(١) الأشرف: + والأخسّ ووجوب وجود الأشرف عند وجود الأخسّ P
(٢) B77a
(٣) تكون: يكون AB
(٤) عن كمالاته: _ AB
(٥) لها: التي كمالها في P
(٦) و: + لكن قد P
(٧) لها: لنا B
(٨) و: + قد P
(٩) تغريق: تفريق A
(١٠) بلاد: البلاد AB
(١١) العناصر: + الأربعة P
(١٢) تأمّلنا: + حال P
(١٣) بها: بكلّ واحد منها P
(١٤) يعتدّ: معتدّ A
(١٥) شخص واحد: الشخص الواحد المستضرّ P
(١٦) في: هي AB

بسبب مصاكّات اتّفاقيّة تأدّى ضررها[١] إلى غيرها من الحيوانات، كالحيّات، والعقارب، والسباع الضارية، والجوارح المُفترِسة[٢].

وكذا القول[٣] في الإنسان المستعدّ للكمالات العقليّة والفضائل الحقيقيّة، قد يعتريه بسبب اتّفاقاتٍ رديئة اعتقاداتٌ فاسدة، وأخلاقٌ مذمومة، وجهالاتٌ بسيطة ومركّبة، واقتراف[٤] خطايا مضرّة في المعاد. لكنّها في أشخاص قليلة أقلّ من أشخاص السالمين عن هذه الشرور، وفي[٥] أوقات أقلّ من أوقات[٦] السلامة الخالية عنها.

[بيان أنّ الشرور الحاصلة من الكون والفساد قليل بالنسبة إلى خيراته]

واعلَم أنّ جميع أنواع الشرور لا توجد إلّا في عالم الكون والفساد بسبب التضادّ الواقع فيه، وهي قليلة بالنسبة إلى الخيرات[٧] التي اشتمل عليها[٨].

فلو لا الكون والفساد الواقع فيه[٩] بسبب التضادّ، ما صحّ[١٠] وجود نفوس غير متناهية وأشخاص كذلك. والنفوس لا تحصل[١١] إلّا عند حصول[١٢] الأبدان واستعدادِها للتعلّق بها، وذلك لا يحصل إلّا بتفاعل الكيفيّات المتضادّة. فالتضادّ[١٣] سبب دوام الفيض، فيكون خيراً بالنبسة إلى النظام الكلّيّ، وإن كان شرّاً بالنسبة إلى الأشخاص الجزئيّة.

على أنّ التضادّ الذي هو سبب الكون والفساد ليس بفعل فاعل؛ لأنّ تضادّ الكيفيّات المتضادّة[١٤] ـ كالحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، وغيرهما[١٥] ـ إنّما هو

---

(١) ضررها: ضرر بها AB

(٢) المفترسة: المفرسة A

(٣) القول: نقول B

(٤) اقتراف: اقتران A

(٥) B77b

(٦) أوقات: آفات AB

(٧) A186a

(٨) اشتمل عليها: فيه P

(٩) فيه: في هذا العالم P

(١٠) صحّ: تصحّ A

(١١) تحصل: يحصل AB

(١٢) حصول: ـ AB

(١٣) فالتضادّ: + الحاصل في هذا العالم P

(١٤) المتضادّة: ـ AB

(١٥) غيرهما: غيرها AB

لـذاتهمـا، فهمـا[١] من لوازم المـاهيّات[٢]. فكما لا يمكن أن يجعل الفاعل الأشــكالَ الكُريّة[٣] متراصّــة دون خلل، ويمكنه ذلك في الأشـكال المسـدّسـة، كذلك لا يمكن لفاعل أن يجعل المتضــادّات غير متضــادّة، بل تضــادّ الكيفيّات من لوازم ماهيّاتها. فـالموجودات الممكنـة وإن كـانت معلولة للعلّة التي منها وجوداتها وماهيّاتها، إلّا أنّ كونها بحيث يحصل منها ترتيب ونظام إنّما هو لماهيّاتها. وتلك الماهيّات يلزمها لوازم أُخرى لا تنفكّ[٤] عنها، كالعناصــر الأربعة التي يلزمها ـ بعد وجودها عن الفاعل[٥] ـ الكيفيّاتُ المتضـادّة التي هي كمالات لها، ثمّ يلزمها[٦] الكون والفساد الذي هو منبع الخير والوجود، ويتبع ذلك بعض الشرور القليلة[٧].

وإذا كانت الموجودات بحالة يحصل من اجتماعها نظامٌ إنّما هو لماهيّاتها، فلا يرد على ذلك قولُ من قال: لمَ انحصـرت الأفلاك في تسعة، والكواكب السيّارة في سبعة؟ ولمَ تعيّنـت نقطتـان للقطبيّة دون غيرهما[٨]؟ فإنّه لو لا الترجّح بالعلّة[٩] ما أمكن وقوع هذه الأشــياء؛ فإنّ للماهيّات والأعداد العارضــة[١٠] لها خواصّ، وللماهيّات بحســب اعتبار العدد خواصّ أيضاً.

والفلك[١١] وإن كانت أوضـــاعه متســـاوية، إلّا أنّها تختلف باختلاف ما تحتها من الإضـافات. وعدم اطّلاعنا على ذلك لا يدلّ على عدم وثاقة النظام؛ فإنّ الأشـياء ما لم تجـب بعللهـا[١٢] لا يمكن وقوعهـا. فجميع الأُمور الواقعـة لهـا بجهـات[١٣] وقوعهـا

---

(١) لذاتهما فهما: لأجل الذات فهو AB
(٢) الماهيّات: ماهيّاتها الموجودة AB
(٣) الكريّة: الكريهة A
(٤) تنفكّ: ينفكّ AB
(٥) الفاعل: ـ A
(٦) يلزمها: + وجود P
(٧) القليلة: + النزرة P || B78a
(٨) غيرهما: غيرها P
(٩) الترجّح بالعلّة: الترجيح بالعلّيّة AB
(١٠) العارضة: العارض AB
(١١) A186b
(١٢) بعللها: تعلّلها B
(١٣) بجهات: لجهات AB

مخصّصات توجب ترجّحَها[١]، ولها تعيّنُ أن[٢] يكون[٣] منها النظام باعتبار ماهيّاتها، دون غيرها.

[سبب عدم حدوث الأقسام الثلاثة الباقية]

وأمّا الثلاثة الباقية من الأقسام[٤]، فإنّها لم توجَد في الوجود؛ لأنّ الموجودات الحقيقيّة والإضافيّة أكثر من الأعدام الإضافيّة الحاصلة على الوجه الذي ذكرناه.

والشرّ لا يحصل في عالم الكون والفساد، إلّا[٥] قليل بالنسبة إلى ما فيه من الخيرات. مع أنّ عالم الكون والفساد نزرٌ حقيرٌ[٦] بالنسبة إلى[٧] العالم الأثيريّ[٨]، فكيف إذاً نسبته إلى مجموع العالم؟

[عدم رضائه تعالى بالشرور من حيث هي شرور]

ويجب أن تعرف[٩] أنّ[١٠] هذه الشرور الواقعة في عالم الكون والفساد داخلةٌ في القدَر الذي هو[١١] تفصيل[١٢] القضاء الأوّل[١٣]، ويعنون بالقضاء الأوّل الحكمَ الكلّيّ الوحدانيّ الذي يترتّب[١٤] عليه التفاصيل.

مثاله أنّه[١٥] تعالى حكَم بموت[١٦] كلّ حيوان، فهذا هو القضاء الأوّل[١٧] الوحدانيّ.

---

(١) ترجّحها: ترجيحها A
(٢) تعيّن أن: تغيّرات AB
(٣) يكون: تكون A
(٤) الأقسام: + وهي التي فيها الشرّ أكثر، والتي كلّها شرّ محض، والتي فيها الخير والشرّ متساويان P
(٥) إلّا: وهو نزر P
(٦) نزر حقير: قليل جدّاً AB
(٧) ما فيه ... إلى: _ A
(٨) الأثيريّ: الأثير AB
(٩) تعرف: تعلم P
(١٠) أنّ: _ A
(١١) هو: + من AB
(١٢) من تفصيل: يفصّل A
(١٣) الأوّل: _ AB
(١٤) يترتّب: ترتّب A
(١٥) مثاله أنّه: مثال ذلك أنّ البارئ P
(١٦) بموت: موت A
(١٧) B78b

ثمّ قدّر موتَ كلّ واحد من الحيوانات بعلّة مخصوصة[١]، في زمان معيّن[٢]، وأرض معيّن، فهذا هو القدَر الذي هو تفصيل ذلك القضاء[٣].

وإذا كانت الشرور داخلةً في قدَر اللّه تعالى، معلومةً في العناية الأُولى الإلهيّة، ومرضيّاً بالعرض من حيث هي لوازم الخيرات الكثيرة التي لا يمكن انفكاكها عن تلك الشرور، فهي من اللوازم التي ليست بجعل جاعل، لا أنّها[٤] مرضيّ بها من حيث هي شرور.

[منبع الشرور الإمكانُ والعدم]

ومنبع الشرور إنّما هو الإمكان والعدم؛ إذ لو لاهما لَما أمكن وجود الشرّ؛ لكون الواجب لذاته خيراً محضاً[٥] لا شرّ فيه أصلاً؛ لِما عرفتَ أنّ الشرّ إمّا عدم أو ما يؤدّي إلى العدم[٦]، فإذا لم يكن هناك عدم لم يكن هناك شرّ.

والأشياء التي بالفعل من جميع الوجوه، لا شرّ فيها. وإنّما الشرّ[٧] الذي يمكن وقوعه في الأشياء التي يعرض لها القوّة[٨].

[سبب المنع من كشف سرّ القدَر]

وإنّما منع الشارع مِن[٩] ذكر سرّ القدَر[١٠]، لأنّ كشفَه يوهم عند العوامّ عجز البارئ

---

(١) مخصوصة: + ومرض مخصوص P

(٢) معيّن: تعيّن A

(٣) القضاء: + الأوّل الوحدانيّ P

(٤) لا أنّها: لأنّها B

(٥) خيراً محضاً: خير محض AB

(٦) إمّا عدم ... العدم: عدم AB

(٧) A187a

(٨) القوّة: بالقوّة AB

(٩) من: عن P

(١٠) مرويّ عن النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآلهـ أنّه قال: «القدَر سرّ اللّه، فلا تظهروا سرّ اللّه» (الوافي: ٥٣٧/١)؛ وعن أمير المؤمنين عليّ ـعليه السلامـ وقد سئل عن سرّ القدَر، فقال: «طريق مُظلِم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسرّ اللّه فلا تتكلّفوه». (نهج البلاغة: ٥٢٦)

تعـالى. فـإنّـه لو قيل: «إنّه تعالى لا يقدر إلّا على الممكنات دون الممتنعات، وإنّه لا يقدر على خلق نار غير حارّة، وإنّه لا يقدر على خلقِ مثله» لَتوهّموا أنّه عاجز. فالأولى أن يُلقى إليهم ﴿أَنَّـهُ عَلى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـديرٌ﴾[١]؛ ليتعظّم في نفوسـهم، ويتفخّم في صدورهم.

[سبب حرمان المتكلّمين عن أسرار العلوم الحقيقيّة]

واعلَم أنّ المتكلّمين فقد حرموا[٢] أسرار العلوم الحقيقيّة؛ لعدم ارتفاعهم عن دائرة الوهم والخيال، ولم يلتفتوا إلى غير[٣] عالم الكون والفساد. فزعموا بجهلهم أنّ الشـرّ في الوجود أكثر من الخير، ويتوهّمون أنّ العالم إنّما خلِق لأجل[٤] الإنسـان الذي هو خلاصة الوجود، ويفضّلونه على الملائكة.

وقد عرفتَ أنّ الشرّ إنّما يكون في عالم الكون والفساد بسبب التضادّ، فهو لا يكون إلّا في الحيوانات القليلة بالنسـبة إلى عالم الكون والفساد، الذي هو ندر[٥] قليل حقير بالنسـبة إلى الوجود. على أنّ الغالب على الحيوان[٦] الصـحّةُ والسلامة، وإنّما يعرض لها[٧] الاستضرار بالشرور[٨] أحياناً.

[سبب عدم حدوث القسم الثاني على وجه لا يلزمه شرّ]

فإن قلتَ: لمَ لَم يوجد القسـم الثاني[٩] على وجهٍ لا يلزمه شـرّ، حتّى لا يكون في الوجود إلّا الخير؟

---

(١) القرآن الكريم: ٦/٢٢
(٢) حرموا: جزموا A
(٣) غير: ـ AB
(٤) B79a
(٥) ندر: نور B، نزر P
(٦) الحيوان: الحيوانات P
(٧) لها: فيها AB
(٨) بالشرور: بالسرور A
(٩) القسم الثاني: + وهو الذي الخير فيه غالب على الشرّ P

قلتُ: لو كان كذلك، لكان هذا القسم هو الأوّل بعينه[١]. فكأنّك[٢] قلتَ: لمَ ما كان الثاني هو الأوّل؟ وذلك فاسدٌ؛ فإنّ في ترك هذا القسم شرّ كثير؛ إذ[٣] يلزمه ترك خير كثير لشرّ قليل، وذلك شرّ كثير ـ كما تقدّم ـ.

[نفي غلبة الشرّ على نوع الإنسان]

فإن قلتَ: أنت[٤] إذا تأمّلتَ[٥] أحوال البشر[٦]، وجدتَ الغالبَ على الإنسان[٧] الشرُّ؛ لوجود الأضداد الكثيرة له، المانعة لكماله، من الجهلين، وغلبة الأخلاق الرديئة، بواسطة قوّتَي الشهوة والغضب. وهذه أُمور مضرّة في المعاد، موجبة للشقاوة، ومانعة من السعادة الأخرويّة. فيكون الشرّ هو الغالب[٨] على هذا النوع الشريف الذي هو خلاصة الوجود الكيانيّ، واستمتاعهم[٩] بلذّات الشهوة[١٠] والغضب حقير بالنسبة إلى ما يحرموه[١١] من سعادات الآخرة[١٢] التي أوجبها أخلاقهم وجهالاتهم الرديئة، المخالفة لسلطان العقل، الموافقة لسلطان[١٣] الهوى[١٤].

أُجيب بأنّ أحوال الناس في الدنيا على أقسام[١٥] ثلاثة:

أ. البالغون في الحسن والصحّة.

---

(١) بعينه: + وهو الذي لا شرّ فيه أصلاً P
(٢) فكأنّك: وكأنّك B
(٣) إذ: أو A
(٤) أنت: إنّا AB
(٥) تأمّلت: تأمّلنا AB
(٦) البشر: أشرف الأنواع التي في هذا العالم وهو الإنسان P
(٧) على الإنسان: عليه P
(٨) A187b
(٩) استمتاعهم: الاستمتاع P
(١٠) بلذّات الشهوة: بالشهوة P
(١١) يحرموه: يحرّمونه AB
(١٢) سعادات الآخرة: السعادة الأُخرويّة P
(١٣) لسلطان: بسلطان A
(١٤) الهوى: الهواء AB
(١٥) أقسام: _ B

ب. المتوسّـطون فيهما، وهم الأكثر و[١] الأغلب، وهم على مراتب: بعضهم قريب إلى[٢] الطرف الأشرف، وبعضها إلى الطرف الأرذل.

ج. البالغون في النقصان، كالقبح، والسقم، والعاهات. وهؤلاء أقلّ من المتوسّطين بكثير، فإذا نسَبتهم إلى مجموع القسـمين الأوّلين كانوا في غاية القلّة والحقارة بالنسبة إليهم.

وكذلك أحوال الناس في الآخرة على ثلاثة:

أ. البالغون في تحصيل الكمالات[٣].

ب. المتوسّـطون في[٤] ذلـك، وهم الأغلـب و[٥] الأكثر، على تفاوت مراتبهم في القرب إلى الطرف الأشرف والطرف الأرذل.

ج. البالغون في الجهالات[٦] من أرباب الدنيا، المُبالغون في تحصـيل الكمالات البدنيّة، المُمعِنون في رذائل[٧] الأخلاق. وهم أقلّ من القسـم الثاني، فإذا نسَـبتهم إلى مجموع القسمين الأوّلين كانوا[٨] في غاية القلّة والحقارة.

مع أنّ أرباب الدنيا ينالون من السـعادة العاجلة حظّاً[٩] وافراً. والمتوسّـطون ينالون حظّاً[١٠] متوسّـطاً، ويختلف النيل بحسب القرب من الأشرف أو الأرذل. والبالغون في النزول ينالون حظّاً حقيراً، فتراهم[١١] طولَ أعمارهم عرضةً الأذى وهدفاً للبليّات.

---

(١) و: _ P
(٢) إلى: من AB
(٣) الكمالات: + العقليّة من العلوم الحكميّة وتهذيب الأخلاق P
(٤) في: + تحصيل P
(٥) و: _ AB
(٦) الجهالات: + البسيطة والمركّبة P
(٧) رذائل: رداءة P
(٨) كانوا: _ AB
(٩) حظّاً: خطّاً B
(١٠) حظّاً: خطّاً B
(١١) فتراهم: ويراهم AB

فكذلك يكون حال الأقسام الثلاثة -من البالغين في تحصيل الكمالات، والمتوسّطين، والبالغين[١] في الجهل ورداءة الأخلاق- من كون القسم الأوّل ينالون من السعادة الآجلة[٢] الحظَّ الأوفر[٣]، وينال[٤] أرباب القسم الثاني منه حظّاً[٥] متوسّطاً على حسب مراتبهم[٦]، وينال أرباب القسم الثالث من الشقاوة الأُخرويّة[٧] ما يقتضيه حالهم[٨].

ولمّا كان[٩] الطرفان في القسمين قليلاً ندراً بالنسبة إلى المتوسّطين فيهما، فكان التوسّط هو الغالب الفاشي. فإذا أضفنا الطرف[١٠] الأفضل إلى الأوسط، كانت السعادة الآجلة[١١] هي الغالب، فبطل قولهم: إنّ الشرّ في النوع الإنسانيّ هو الغالب.

[عدم المنافاة بين قضاء اللّه وقدَره وبين معاقبته لعبده العاصي]

إن قلتَ: إذا كان ما يصدر عن الإنسان من المعاصي والآثام [داخلاً][١٢] تحت قضاء اللّه وقدره -كما قلتم[١٣]-، فيجب وقوع تلك المعاصي والآثام بالضرورة، شاء الإنسان أو أبى. وإذا كان وقوعها واجباً، فلا يحسن من الواجب[١٤] لذاته -الذي هو منبع الخير والجود والكرم- أن يعاقب الإنسان الضعيف العاجز على فعلٍ يجب صدوره عنه على سبيل الاضطرار؛ فإنّ ذلك يُنسَب إلى الظلم والجور والعدوان، وذلك محال على الواجب.

---

(١) البالغين: البالغون AB
(٢) الآجلة: + الأُخرويّة P
(٣) الأوفر: الوافر P
(٤) B80a
(٥) حظّاً: خطّاً B
(٦) مراتبهم: + في القرب من الطرف الأشرف والبعد عنه P || A188a
(٧) الشقاوة الأُخرويّة: السعادة AB
(٨) حالهم: حاله AB
(٩) لمّا كان: ـ AB
(١٠) الطرف: الطرق B
(١١) الآجلة: + الأخرويّة والفوز العظيم P
(١٢) داخلاً: داخل ABP
(١٣) قلتم: اعترفتم به P
(١٤) من الواجب: بالواجب P

أُجيب على مقتضى قواعد الحكمة[١]: أنّ العذاب الوارد على النفس بعد مفارقة البدن إنّما هو على تقصيرها وخطيئتها، لا لمُنتقمٍ خارج يعاقبها وينتقم منها، كما يتوهّمه العامّة من أنّ العقاب الحاصل في[٢] العالم بالأسباب الخارجة، وليس الأمر كذا؛ فإنّ العقاب الحاصل للنفس بعد المفارقة إنّما هو بسبب الهيئات الرديئة والأخلاق السيّئة والملَكات الرذلة[٣] الدنيئة. فهي لذلك حاملة لعذابها معها[٤]، وموجبة[٥] بسبب تلك الهيئات لعقاب نفسها. فإنّ النفس[٦] إذا فارقت متلطّخة بالملَكات المذمومة والهيئات المرذولة، وزال الحجاب البدنيّ عنها، فشاهدَت ثمار تلك الهيئات، وعاينَت مرارة تلك السيّئات، فتأذّت بذلك. وربّما[٧] رُدّ إليها أعمالها القبيحة بعينها، كما قال ـعليه السلامـ: «إنّما هي أعمالكم رُدّت[٨] إليكم»[٩]. ويكون حال هذا الإنسان المتألّم بهذا العقاب والمتضرّر[١٠] بوصول العذاب بسبب الهيئات الرديئة، كحال الإنسان المريض المقصّر في الحِمية والاحتياط، إذا أدّت إليه شهوته وساقت إليه قوّته البهيميّة أوصاباً وأمراضاً مؤلمة، فيكون هذا التألّم من لوازم ما ساق القدَر إليه من الجهة الموجبة[١١] لذلك المتألّم[١٢]، لا لأنّ مُنتقِماً من خارج انتقم منه.

والأُمور الحاصلة للإنسان من الملَكات والهيئات المحمودة والمذمومة، كلّها واقعة بقدَر اللّه تعالى، الذي هو عبارة عن وجود جميع الموجودات في موادّها الخارجيّة[١٣] مفصّلةً واحداً بعد واحد، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ

(١) الحكمة: الحكماء P
(٢) في: + هذا P
(٣) الرذلة: الرديئة AB
(٤) معها: ـ P
(٥) موجبة: + له AB
(٦) B80b
(٧) ربّما: بما P
(٨) ردّت: تردّ P
(٩) توحيد المفضّل: ٩٣
(١٠) A188b
(١١) الجهة الموجبة: السهر الموجب P
(١٢) المتألّم: التألّم AB
(١٣) الخارجيّة: الخارجة AB

وَما نُنَزِّلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[١]. وهو تفصيل قضائه الوحدانيّ الذي هو عبارة عن وجود جميع الموجودات في العالم العقليّ مجتمعةً ومجملةً على سبيل الإبداع، كما مرّ تفصيله.

[استحالة إيجاد العالم أتمّ ممّا هو عليه]

وأنت إذا تأمّلتَ الأُصول السالفة[٢]، وعرفتَ أنّ الواجب لذاته والمبادئ العقليّة لا بُخل[٣] عندها، وأنّ البُخل إنّما هو لقصور القابل[٤] لا غير، فتعرف من[٥] ذلك أنّ الوجود لا يمكن أن يكون أتمّ[٦] ممّا هو عليه. ولو أمكن أن يوجد أتمّ ممّا هو عليه، لَوجب وجوده من الجود الإلهيّ الذي ﴿ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ[٧]﴾[٨].

بل الحقّ أنّ إيجاد[٩] العالم أتمّ ممّا هو عليه من الأُمور المستحيلة، والمحال غير مقدور عليه، وما لا قدرة عليه لا عجز عنه؛ فإنّ العجز إنّما يكون عند كون الشيء ممكن الوجود لذاته، فإذا قصرت العلّة في إيجاده مطلقاً أو[١٠] في إيجاده على الوجه الأكمل كان عجزاً.

[ضلالات المتكلّمين الحاصلة من غفلتهم هذا الأصل]

ويندفع بمعرفة هذا الأصل كثير من الشكوك والشبهات[١١]. ومتكلّمو الملّيّين[١٢] الذين يظنّون أنّ الإنسان هو العلّة[١٣] في خلق العالم بأسره، هم الذين يورِدون هذه

---

(١) القرآن الكريم: ٢١/١٥

(٢) السالفة: السافلة A

(٣) بخل: يخل AB

(٤) القابل: القائل A

(٥) من: _ A

(٦) أتمّ: أشرف B || B81a

(٧) بضنين: بظنين B

(٨) القرآن الكريم: ٢٤/٨١

(٩) إيجاد: اتّحاد A

(١٠) أو: + قصرت P

(١١) والشبهات: _ P

(١٢) الملّيّين: الملّتين A

(١٣) العلّة: الغاية P

الشكوك والشبهات، ويتحيّرون[١] في جوابها[٢] وكيفيّة حلّها، والحكيم الفاضل يحلّها بأدنى إشارة[٣] وأقلّ عبارة.

ومن أعظم ضلالاتهم وجهالاتهم أنّهم يقيسون أفعال الواجب لذاته على أفعال الإنسان، ويجعلون له في فعله وصنعه[٤] أغراضاً كأغراض الإنسان. وذلك وأمثاله هو الموجب لزيغهم عن طريق الحقّ، وميلهم عن جهة الصواب، فتاهوا في بيداء ضلالهم[٥]. وما زادهم النظرُ والبحث في العلوم الإلهيّة إلّا بُعداً عن البارئ تعالى ـ جلّ جلاله ـ وتحيّراً في معرفة[٦] مصنوعاته. و«كلٌّ ميسَّرٌ لِما خلِق له»[٧]، اللّهمّ أرِنا الحقّ حقّاً وارزُقنا اتّباعه. >[٨]



(١) يتحيّرون: متحيّرون A

(٢) جوابها: أجوبتها P

(٣) A189a

(٤) صنعه: صنعته AB

(٥) ضلالهم: ضلالاتهم وجهالاتهم P

(٦) معرفة: ـ P

(٧) مرويّ عن النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ، كما في: التوحيد للصدوق: ٣٥٦؛ عوالي اللئالي: ٤/١١٧

(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٦١٠ ـ ٦٢١

[الفصل الرابع عشر: في النبوّة]

[بحوث في النبوّة]

[١]< **ختامٌ** لمباحث المبدأ والمعاد، اللذين[٢] سبقَت الإشارة إلى ذكرهما، يتمّ به المقصود منها، وهو **أنّ احتياج الناس إلى ضابطٍ لأُمور**[٣] **معاشهم** في ما يتعلّق[٤] بضرورات الاجتماع ـ الذي لا بدّ منه في بقاء النوع ـ من أحوال بُيوعهم وأنكِحتهم وجناياتهم وما يتبع ذلك، واحتياجهم إلى **مذكِّرٍ لهم بأحوال معادهم، [رادعٍ]**[٥] **لهم عن اختلال نظام اجتماعهم، يوجب في العناية وجودَ شخصٍ كاملٍ في كلّ عصر.** وذلك لأنّ بعضهم لا يُذعن لبعض من غير تميّز إلهيّ يوجب له التفضيل عليهم ليُذعنوا له بالطاعة وينقادوا إليه؛ لِما يعلموه من تماميّة كماله وشدّة نورانيّته الجاذبة لنفوسهم. فلا بدّ وأن يكون متّصفاً بصفات كماليّة زائدة[٦] على كمالاتهم؛ ليُذعنوا له بالانقياد والطاعة؛ ليتمّ بهم ما ساق إليه القدَر من الكمال الموصِل[٧] إلى منتهى ما هو حاصل من العناية والقضاء الأوّل؛ ليكون **[قائماً]**[٨] **بذلك، [مُصلِحاً]**[٩] **للنوع؛** لأنّه مأمور من اللّه تعالى بإصلاح النوع. فلا بدّ من كونه **مؤيّداً بأمر إلهيّ** ـ أي بآيات ومعجزات تدلّ على أنّهم جاؤوا من عند اللّه، فيُعلم صدقه ـ **ليفرض عليهم قربات اللّه تعالى؛ ليُخرجهم عن القوّة البهيميّة،** أي حتّى لا يكونوا كالبهائم

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) اللذين: الذين AB

(٣) لأُمور: الأُمور A || B81b

(٤) يتعلّق: معلّق A

(٥) رادع: رادعاً AB

(٦) زائدة: وأيّده A

(٧) الموصل: الموصول A

(٨) قائماً: قائم AB

(٩) مصلحاً: مصلح AB

يأكلون ويتمتّعون، فيكونوا[١] ﴿كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً﴾[٢]. >[٣]

[تعريف النبيّ]

[٤]< وإيضاحُ هذا الباب وكشفُه أنّ كلّ مَن حصل له كمال القوّة النظريّة بالبرهان اليقينيّ مع الذوق والكشف[٥]، بحيث يشاهد تجرّدَ ذاته، فإن ترقّى عن مشاهدة ذاته[٦] إلى مشاهدة ما فوقها من النفوس والعقول، وشاهَد العلّة الأُولى واتّصل بها، فهو[٧] الإنسان[٨] التامّ الكامل الذي ليس وراءه مرتبة أُخرى. >[٩]

[١٠]< فإذا خوطب من الملأ الأعلى بإصلاح النوع كان هو النبيّ والرسول، يُصلِح اللّه بهم البلادَ، ويُرشِد إلى السعادة الأبديّة العبادَ. فالمخاطَب إن كان [في أجلّ][١١] مراتب الكمال، فهو النبيّ الأعظم؛ وإن كان دون ذلك فهو المتوسّط أو الضعيف في النبوّة[١٢]، إذا وقع[١٣] في المرتبة الوُسطى أو الأخيرة. >[١٤]

[سبب الحاجة إلى النبيّ]

[١٥]< ولا بدّ في العناية الأزليّة والتدبير الإلهيّ من وجود هذا الشخص ـعلى أيّ المراتبـ؛ لأنّه لا يكمل هذا العالم إلّا بوجوده، ولا يتمّ الدعوة إلى اللّه والحضّ على

---

(١) فيكونوا: فيكونون A189b || AB
(٢) القرآن الكريم: ٤٤/٢٥
(٣) كلمة التصوّف: ١٢١ (مع تصرّف وتفصيل)
(٤) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(٥) مع الذوق والكشف: والذوق الكشفيّ P
(٦) فإن ترقّى ... ذاته: ويرتقي AB
(٧) B82a
(٨) الإنسان: العارف P
(٩) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٣٢/٣
(١٠) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١١) في أجلّ: من أهل AB
(١٢) في النبوّة: ـ AB
(١٣) إذا وقع: بحسب وقوعه P
(١٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٣٣/٣
(١٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

طلب السعادة الأبديّة والتحذير عن الشقاوة السرمديّة إلّا به.

[توقّف هذا البحث على مقدّمات]

وإثبات وجوده يُبنى[1] على مقدّمات:

[المقدّمة الأُولى]

أ. إنّ الإنسان الواحد لا يمكنه أن يقوم بجميع أُمور معاشه دون معاون؛ فإنّه يحتاج إلى غذاء ولباس ومسكن وسلاح[2] لنفسه ولأزواجه ولأولاده وخدّامه، وما يتعلّق به من أقربائه. وهذه الأُمور جميعها صناعيّة، لا يمكن الشخص الواحد أن يتعلّمها إلّا في مدّة طويلة لا يمكن أن يعيش فاقداً لها. ولو أمكن فبعُسرٍ عظيمٍ يكون منغَّصاً فيها، ممنوعاً من تحصيل الكمالات العقليّة. فلا بدّ من وجود جماعة يتعاونون على تحصيل تلك الصنائع الكثيرة، ويتشاركون في اكتساب تلك الحرَف، فيفرغ[3] كلّ واحد منهم عن مهمٍّ ينتفع به صاحبه. فيتمّ المشاركة والمعاونة، ويكمل حياة النوع الإنسانيّ وغيره من أنواع الحيوانات:

ـ بمعارضةٍ[4]، بأن يعمل كلّ واحد[5] منهم عملاً، إمّا جنس عمل صاحبه[6]، أو من غير جنسه.

ـ ومعاوضةٍ[7]، بأن يعطي كلّ واحد منهم الآخرَ[8] مِن علمه عوضاً ممّا أخذ منه من عمله.

فاضطرّ النوع الإنسانيّ لهذا السبب إلى الاجتماع في مكان واحد، لأجل المعاونة

---

(١) وجوده يبنى: وجود هذا النبيّ العارف يبتني P
(٢) سلاح: صلاح AB
(٣) فيفرغ: فيتفرّع AB
(٤) بمعارضة: لمعارضة B
(٥) B82b
(٦) A190a
(٧) معاوضة: معارضة AB
(٨) الآخر: الأجر A

والمشـاركة اللتين لا يكمل صـلاح الخلق إلّا بهما، ويسـمّى الحكماءُ هذا الاجتماعَ تمـدّنـاً، ولـذلك[١] قالوا: «الإنسـان[٢] مدنيّ بالطبع»، بمعنى أنّه يحتاج[٣] في الحياة ومعيشتها وصلاح دنياه وتكميل نفسه لأُخراه إلى هذا[٤] الاجتماع. فعقَد النوعُ البشريّ لهذا السبب في كلّ مقام ومكان مُدُناً وبلاداً وقرىً[٥] وضياعاً يجتمعون فيها، فيتعاونون على[٦] تحصيل الغذاء الجسمانيّ وتوابعه، ويتشاركون على اكتساب الغذاء الروحانيّ، أعني[٧] كمال النفس الناطقة.

[المقدّمة الثانية]

ب. إنّ هـذا الاجتمـاع التمـدّنيّ[٨] لا يتمّ انتظامه، إلّا إذا كان بين الناس معاملة[٩] وعـدل؛ لأنّ كـلّ واحد من الناس يشـتهي لنفسـه جميعَ المنافع المحتاجة[١٠] إليها، ويتأذّى ممّن يزاحمه عليها[١١]، ويدعوه [قوّتا][١٢] شـهوته وغضـبه[١٣] إلى أن يقاتل[١٤] الناسَ على تحصيلها، ويُعاديهم على أخذها منهم، ويحمله ذلك على الجور والعدوان والظلم، ويقع بسبب ذلك الهرجُ والمرجُ والخلافُ الموجب لفساد الاجتماع التمدّنيّ، واختلال النظـام الاجتمـاعيّ، الـذي يـأباه العناية الأزليّة والرحمة الإلهيّة. فإذا كان في ذلك الاجتماعِ معاملةٌ وعدلٌ يتّفق على صحّتها جميعُ أهل المدينة[١٥]، تمّ الاجتماع[١٦]،

(١) ولذلك: فلذلك P
(٢) الإنسان: للإنسانيّ A
(٣) يحتاج: محتاج A
(٤) إلى هذا: لهذا A
(٥) قرى: قرياً A
(٦) على: في AB
(٧) أعني: الذي هو P
(٨) التمدّنيّ: البدنيّ AB
(٩) معاملة: معاطية A
(١٠) المحتاجة: المحتاج AB
(١١) عليها: _ B
(١٢) قوّتا: قوّتي AB؛ قوّة P
(١٣) شهوته وغضبه: شهويّة وغضبيّة A
(١٤) يقاتل: تقاتل A
(١٥) المدينة: المدنيّة A
(١٦) B83a

واستقام النظام، ولم يختلّ أمر الاجتماع. فلا جرمَ لا بدّ من معاملة يصحبها[١] عدلٌ، وتلك المعاملة والعدل يفتقران إلى واضع قوانين كلّيّة ينتزع منها الجزئيّات التي لا تنحصر. وتلك القوانين الكلّيّة هي الشريعة، التي هي في أصل اللغة مورد الشاربة المتساوين في الانتفاع بها، كاستواءِ الجماعة المدنيّين في الانتفاع بالشريعة التي هي القوانين[٢] الكلّيّة.

[المقدّمة الثالثة]

ج. إنّ هذه الشريعة لا بدّ لها مِن[٣] واضعٍ يضع تلك القوانين الكلّيّة، ويعيّن[٤] ضوابطها، ويقرّر قواعدها، على ما يقتضيه طبيعة الوقت والزمان، ويوجبه الحركات العِلويّة والمكان. وذلك الواضع هو الشارعُ الذي يجب أن يكون أفضلَ البشر وأشرفَهم؛ ليمتاز عنهم بمزيّة استحقاق الطاعة في قبول شريعته[٥]. وذلك إنّما يكون عند اختصاصه بآياتٍ تدلّ على أنّ الشريعة التي وضَعها من عند اللّه تعالى، وإلّا لم يقبل الكافّةُ شريعتَه، ولا يأخذون سنّتَه.

وتلك الآيات هي المعجزات الخارقة للعادات، وهي إمّا[٦] قوليّة أو فعليّة.

فالقوليّة كالإخبار[٧] بالمغيبات، والأُمور الجزئيّة الماضية والمستقبلة، وكلامه الحِكميّ في الإلهيّات والأسرار المتعلّقة بالوجود[٨].

وأمّا الفعليّة فكالتحريكات والتسكينات العظيمة الصادرة عنه، وكذلك الخَسف والزلازل وغير ذلك.

---

(١) يصحبها: بصحّتها A
(٢) A190b
(٣) من: _ AB
(٤) يعين: تعين A
(٥) شريعته: + واستحقاق الطاعة P
(٦) إمّا: + تكون P
(٧) كالإخبار: كالإنذار P
(٨) الأسرار المتعلّقة بالوجود: أسرار الوجود P

و[١] العوامّ أطوَع للمعجزات الفعليّة، والخواصّ أطوَع للقوليّة، لكن الفعليّة[٢] لا تتمّ من غير قوليّة.

[و][٣] النبوّة والمعجزة لا يحصلان من غير دعوة إلى حيّ عالم قادر على جميع الأشياء، فيجب وجود هذا الشارع الفاضل المؤيّد بالمعجزات، وذلك هو النبيّ الأكرم، الذي اختاره اللّه تعالى لإصلاح فساد بلاده، ولإرشاد خواصّ عباده.

[المقدّمة الرابعة]

د. إنّ أكثر العوامّ الذين[٤] غلبت عليهم الشهوات الجسمانيّة، ولم يظفروا بشيء من اللذّات الحقيقيّة، لا يبالون[٥] باختلال العدل والنظام، ولا يلتفتون إلى اضطراب الشرائع والأحكام النافعة لهم في المبدأ والمعاد، فلا جرمَ يُقدِمون على مخالفة الشرائع الإلهيّة التي وضعَتها الأنبياء -عليهم السلام-. فإذا كان مكتوباً في الشريعة أنّ المطيع مُجازى على طاعته بثواب[٦]، والعاصي على معصيته[٧] بعقاب[٨] بعد الموت، فيحملهم رجاءُ الثواب وخوفُ العقاب على طاعة صاحب الشريعة وترك معصيته.

فوجب أن يكون للمحسن[٩] جزاءٌ على إحسانه، وللمُسيء على إساءته، والمُجازي هو اللّه تعالى، القادرُ على مجازاة المحسن، والمُنتقِم من المُسيء، الخبير بكلّ[١٠] جليل وحقير، ممّا يُبدونه ويُخفونه من جميع أحوالهم وأفعالهم.

(١) و: فإنّ AB
(٢) B83b
(٣) و: لكن ABP
(٤) الذين: الدين B
(٥) يبالون: ينالون AB
(٦) المطيع مجازى ... بثواب: للمطيع مجازاةً على طاعته ثواب P
(٧) A191a
(٨) العاصي على معصيته بعقاب: للعاصي على معصيته عقاب P
(٩) للمحسن: للمحسنين AB، للمحبّين Ac
(١٠) بكلّ: لكلّ A

ويجب أن يكون في شريعته واجباً معرفةُ هذا المُجازي والشارع، على كلّ مستعدّ للبحث عن الشريعة. ولمّا لم يكن المعرفة العامّيّة[١] معرفةً حقيقيّةً، لم تكن[٢] يقينيّة ولا ثابتة. فوجب أن يكون معه سببٌ حافظٌ لتلك المعرفة. ففرضت عليهم العبادات المذكورة بالمعبود والشارع، كالصلوات والصيام والزكَوات وغيرها[٣] من أنواع العبادات، وكرّرت العبادات عليهم؛ لئلّا ينسون ويُهملون مع القرن الأوّل الذي يلي النبيّ[٤].

[نتيجة هذه المقدّمات]

فعُلم من هذه المقدّمات أنّ نظام العالم لا يتمّ ولا يكمل إلّا بوجود النبيّ. فيجب أن يدخل في الوجود بحكم العناية الأُولى؛ فإنّه لو لم يوجَد[٥] لزم أن يفوت جميعُ ما ذكرناه من المصالح. فاحتياج الخلق إليه أشدّ من احتياجهم إلى إنبات[٦] الشعر على الأجفان والحاجبَين، وتقعير أخمص الرِجلَين[٧]، وغير ذلك من المنافع الغير الضروريّة. فكيف يجوز في العناية الأُولى إيجابُ هذه الأشياء التي لا ضرورة فيها[٨]، وإهمالُ تلك الأُمور المهمّة؟ وقد عرفتَ أنّ الممكن الأخسّ إذا وُجد وجب وجود الأشرف قبله.

[الفرق بين معجزات الأنبياء وخوارق العادات لغيرهم]

فإن قلتَ: المعجزات التي هي خوارق للعادات الدالّة على صدق الأنبياء[٩]،

---

(١) العامّيّة: العامّة AB

(٢) تكن: يكن AB

(٣) B84a

(٤) النبيّ: + صلّى اللّه عليه وآله وسلّم A

(٥) يوجد: توجد AB

(٦) إنبات: إثبات B

(٧) الرجلين: القدمين P

(٨) فيها: إليها P

(٩) الأنبياء: + كما تصدر عن الأنبياء P

تصـدر[١] عن السحَرة والكهَنة والمُشَعبِذين. فكيف تدلّ هذه الخوارق للعادات[٢] على صدق الأنبياء[٣]، مع كون السحَرة والكهَنة والمُشَعبِذين مشاركين لهم في ذلك؟

قلتُ: الفرق بين المعجزات الخارقة[٤] للعادات الصادرة عن الأنبياء، وبين خوارق العادات الصادرة عن غيرهم، أنّ الخوارق الصادرة[٥] عن الأنبياء أُمور مقرونة بالتحدّي، مع عدم المعارضـة. وأمّا خرقُ العادة الصـادرة عن السحَرة[٦] وغيرهم فإنّها لم يحصل فيهـا هـذان القيدان، فلا يكون معجزة. فـ«خرقُ العادة» قيدٌ يمتاز به النبيّ[٧] عن الأمر الذي يفعله مَن لا يدّعي النبوّة.

[سبب اشتراط التحدّي وعدم المعارضة في تعريف المعجزة]

وإنّما شرطوا الاقترانَ بالتحدّي ليخرج عنه الكاذب الذي اتّخذ[٨] معجزة الأنبياء[٩] الماضين حجّة لنفسه؛ فإنّها غير مقرونة بالتحدّي.

وكذا يتميّز بقيد «التحدّي» الخوارقُ الظاهرة من الأنبياء قبل بعثتهم، ويتميّز أيضـاً به الخوارق الصادرة عن الأولياء التي تسمّى[١٠] كرامات.

ويخرج بقيد «عدم المعارضـة» السـحرُ والشَـعبَذة؛ فإنّها وإن كانت خارقة للعادة مقرونة[١١] بالتحدّي، إلّا أنّها معارضـة. على أنّ العقل يحكم بأنّ مشـاهدة المعجزات الخارقة للعادات ـالتي هي آثار نفوس الأنبياءـ، تدلّ على كمال نفوسهم وتصديق[١٢] أقوالهم.

---

(١) تصدر: يصدر AB
(٢) للعادات: _ AB
(٣) يصدر عن ... الأنبياء: _ A
(٤) الخارقة: الخارق A
(٥) A191b
(٦) السحرة: الشجرة B
(٧) B84b
(٨) اتّخذ: سجد A؛ يجد B
(٩) الأنبياء: + و B
(١٠) التي تسمّى: الذي يسمّى AB
(١١) مقرونة: مقترنة P
(١٢) تصديق: بصدق A

[عدم الانتقاض هذا البحث بالأقوام الخالية من الشريعة]

ولا ينتقض ما ذكرناه بسكّان الأطراف، الذين يعيشون منتظمي الأحوال من غير نبيّ ولا شريعة؛ فإنّا لم ندّعِ أنّ وجود النبيّ والشريعة التي يأتي بها ضروريّتان في حياة الإنسان وبقائه، بل الذي ادّعيناه أنّ نظام الاجتماع المدنيّ في المعاش الدنيويّ والمعاد الأُخرويّ لا يكمل ولا يتمّ إلّا بنبيّ وشريعة على الوجه الذي قرّرناه، وذلك القدر كافٍ[١] في وجوب وجود النبيّ والشريعة. على أنّ سكّان الأطراف لا بدّ لهم في معاشهم من سياسات ضروريّة وضوابط كلّيّة.

[فوائد بعثة الأنبياء]

وقد ذكر الحكماء[٢] من فوائد بعثة الأنبياء ـعليهم السلامـ غير ما ذكرناه.

فمن ذلك[٣]: معرفة طبائع الأشياء[٤] المتكوّنة على وجه الأرض؛ فإنّه لمّا كان بعضها أغذية، وبعضها أدوية نافعة، وبعضها سمّيّة مُهلِكة مُحرِقة، والتجربة لا تفي بمعرفة ذلك إلّا بعد الأزمنة الطويلة، مع أنّ التجربة[٥] لا يخلو عن ضرر. والأنبياء يبيّنون ذلك، ويميّزون بين الأغذية والأدوية[٦] والسموم، ويَهدون الخلق إلى أنواع المنافع والأصناف المضارّ بالوحي الإلهيّ والإلهام الربّانيّ.

ومن ذلك: أنّ الأحكام النجوميّة التي تشتمل[٧] على جملة من المصالح، لا تُعرَف من طريق التجربة؛ إذ التجربة لا تحصل إلّا بالتكرارات الكثيرة والأدوار العظيمة، كأدوار الكواكب الثابتة التي لا تفي بها الأعمار القصيرة، فعرِّفت من جهة النبوّة.

---

(١) كافٍ: يكفي P
(٢) الحكماء: + عدّة P
(٣) ذلك: تلك الفوائد P
(٤) B85a
(٥) التجربة: تجربة A، تجربة ذلك P
(٦) A192a
(٧) تشتمل: يشتمل AB

ومن ذلك[١]: أنّ[٢] الأفعال الصادرة عن الإنسان بحسب مقتضى عقله لا تكون[٣] عبادةً؛ لأنّه كالفعل المعتاد، والعادة لا تكون[٤] عبادةً. بخلاف الأفعال التي يأمر بها الأنبياء والرسُل المعظَّمون في القلوب، ومع ذلك لا يكونون[٥] عالمين بعلّته؛ فإنّ الإتيان بتلك الأوامر عين العبادة. ولأجل ذلك وردت الشرائع الإلهيّة بفعلِ أفعالٍ لا يعرف البشرُ بشيء من فوائدها؛ ليكون الأثر الحاصل منها في النفوس أعظم.

ومن ذلك[٦]: إرشاد الخلق إلى جميع الصناعات النافعة والحرَف[٧] المفيدة، إلى إصلاح[٨] معاش العباد، والاستعانة بها على السعادة في المعاد[٩]. وذلك إنّما يكون بتوقيف الأنبياء، كما قال الكتاب الإلهيّ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها﴾[١٠]. واستخراج هذه الأشياء كلّها بالتجارب فيه عسرٌ عظيمٌ.

فوجب بما ذكرناه من هذه الفوائد بعثةُ الأنبياء وإرسالُ الرسُل؛ لحفظ النظام الدنيويّ، وتحصيل البقاء الأُخرويّ، على الوجه الأفضل الأكمل. >[١١]



(١) ذلك: جملة تلك الفوائد P
(٢) أنّ: _ AB
(٣) تكون: يكون AB
(٤) تكون: يكون AB
(٥) يكونون: يكون AB
(٦) ذلك: تلك الفوائد P
(٧) الحرف: الحرفة P
(٨) إصلاح: صلاح P
(٩) B85b
(١٠) القرآن الكريم: ٣١/٢
(١١) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٣٥/٣ _ ٦٤١

[تحقيق في خوارق العادات والإخبار بالمغيبات]

[١]< وإذا تقرّر ذلك، فاعلَم **أنّ ما تراه من[٢] الأفعال الخارقة[٣] للعادة -من التحريكات، والتسكينات، وإنزال العذاب، والاستسقاء، وغير ذلك ممّا يحصل[٤] من إخوان[٥] التجريد- لا يصعب عليك تعقُّلها والتصديق بها؛** فإنّ العقل حاكم بجوازها؛ **فإنّ بدنَك أطاع الكلمةَ[٦]، مع عدم انطباعها** -أعني الكلمة- **فيه** -أي في بدنك-. **وبدنُك قد يرد[٧] عليه مسخِّن شديد -وإن كان شديد البرودة[٨]- بغضب نفسك. والأوهام رأَينا من تأثيرها أمراً بليغاً،** حتّى أنّها تُسقِط الرجلَ العاقلَ عن حائط مرتفع إذا كان قليل العرض، مع التمكّن في المكان[٩]. وأمثال هذا كثير، **إذا تتبّعه مَن تحدّس الأحوالَ عرف آثاره العجيبة.**

فمتى تمّ كمال النفس، تأيّدَت بروح القدُس، ويفيض عليها الأنوارُ المُشرِقة من الروحانيّات الفعّالة ما تفعل به الأعاجيب، ويتأثّر عنها مادّة العالم، فلا عجب من أن تكون[١٠] كالنفس لجملة العالم؛ لازدياد قوّتها حينئذٍ بذلك الاتّصال؛ لكثرة الإشراقات[١١]، كما نراه من الحديدة[١٢] المُحماة في النار تفعل أفعالاً كفعل النار؛

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) تراه من: تلك A
(٣) الخارقة: الخارجة A
(٤) يحصل: تحصل A
(٥) إخوان: أحوال A
(٦) الكلمة: كلمة اللّه P
(٧) A192b
(٨) البرودة: + و A
(٩) المكان: الإمكان A
(١٠) تكون: يكون B
(١١) B86a
(١٢) الحديدة: حديدة A

لأجل مجاورتها لها وقبول آثارها.

فتدرك العلوم بدون تعلُّمٍ؛ لقوّة جوهرها على إدراك المعقولات في أقصر زمان؛ لِقُربها من المبدأ. وليس ذلك بممتنعٍ[١] بعد ما شاهدتَ تفاوت بني نوعك في الذَكاء: فمِن بليد غير منتفع بالفكر أبداً، ومِن شديد الحدس[٢] يحدس في كثير من المسائل. وليس هنا حدّ يجب الوقوف عنده، فيجوز أن تكون[٣] كلمة قويّة الجوهر، تدرك[٤] المعقولات في زمان[٥] قصير؛ لكمال جوهرها وقوّتها وقربها من المبدأ، كما قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى﴾[٦].

ولهذا جاز لها الإخبار[٧] **بالكائنات، فهو جائز لها،** غير ممتنع عليها؛ **لأنّ الكلمات المتصرّفة في الأجرام الفلكيّة لها الاطّلاع على لوازم حركاتها الماضية والمستقبلة، ولا حجاب بينها وبين الكلمة الإنسانيّة الكاملة**[٨]**؛** إذ الحجاب إنّما هو العلاقة البدنيّة، حتّى لو ضعفت الموانع أحياناً ببعض العوارض، كالنوم لبعض[٩] الناس، أو الأمراض [الموهنة][١٠] للحواسّ، أو [الرياضات][١١] المُخلّة[١٢] للقوى الباطنة من المتوهّمة والمتخيّلة المشوّشَين لقوّة الكلمة[١٣]. فمتى زال عنها ذلك بأحد[١٤] الأسباب المذكورة، زال الحجاب بينها وبين[١٥] الكلمات الفلكيّة؛ إذ لا مانع

(١) بممتنع: ممتنع A
(٢) الحدس: الحسّ A
(٣) تكون: يكون AB
(٤) تدرك: يدرك A
(٥) زمان: + كثير A
(٦) القرآن الكريم: ٥٣/٥ ـ ٦
(٧) الإخبار: الإجبار AB
(٨) الكلمة الإنسانيّة الكاملة: كلماتنا P
(٩) العوارض كالنوم لبعض: ـ A
(١٠) الموهنة: موهنة AB
(١١) الرياضات: لرياضات AB، بالرياضات P
(١٢) المخلّة: محيلة AB
(١٣) الكلمة: النفس P
(١٤) بأحد: يأخذ A
(١٥) A193a

لهـا حينئـذٍ من الانتقـاش بما فيها؛ **إذ متى قطعَت**[١] **العلاقة الجرميّة بالرياضـات [المُخلّة]**[٢] **للمتوهّمة والمتخيّلة المشـوّشَـين لقوّتها بالذَكاء**[٣]**، انتقشَت بالأُمور القدسـيّة، فتسري**[٤] **إلى عالم المثُل**[٥]**، وتلمع**[٦] **في الحسّ المشترك، فترى**[٧] **الأشـياء مشـاهدةً في نوم أو يقظة، وترى**[٨] **صـوراً حسـنة، وتسـمع**[٩] **خطاباً**[١٠] **جيّد السياق، ويظهر لها صـور الغيب مشـاهدةً.** وحينئذٍ لمّا كانت الحواسّ الباطنة ممكناً توهينها وإضعافها دون إبطالها بالكلّيّة، قال تعالى: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِـلَ رَسُـولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشـاءُ﴾[١١]. وهذا هو سرّ هذا الموضع، فتدبَّره. >[١٢]

[سبب صدور خوارق العادات]

[١٣]< وإتمـام هذا البحث أن نقول: القدرة الحاصـلة لإخوان التجريد من خوارق العـادات فسـببها[١٤] شـروقُ الأنوار عليهم من العالم الأعلى؛ فإنّ الحديدة الحامية يكسـوها النار بمجاورتها[١٥] هيئة الإحراق والاضاءة. فكذلك النفس الناطقة التي هي[١٦]

---

(١) B86b
(٢) المخلّة: المحيلة AB
(٣) بالذكاء: بالزكاء A
(٤) فتسري: فيسري P
(٥) المثل: التخيّل P
(٦) تلمع: يلمع الأمر القدسيّ P
(٧) فترى: فيرى P
(٨) ترى: يرى P
(٩) تسمع: يسمع P
(١٠) خطاباً: خطايا A
(١١) القرآن الكريم: ٥١/٤٢
(١٢) كلمة التصوّف: ١٢١ _ ١٢٢ (مع تصرّف وتفصيل)
(١٣) بـداية العبارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.
(١٤) فسببها: وشبهها AB
(١٥) بمجـاورتهـا: لمجـاورتهـا A؛ النـار مجاورتها: مجاورة النار P
(١٦) التي هي: _ P

من عالم الملكوت إذا حصلَت الكمالَ العقليّ، واستعدّت بما اكتسبَته من المناسبة لشروق الأنوار القدسيّة، واكتسَت لباس النور والبهاء، أثّرَت في هذا العالم تأثيراتٍ مختلفةً في الكمّ والكيف بحسب قبولها لآثار[١] ذلك العالم، فتؤمي[٢] إلى الشيء فيحصل، وتشير إليه[٣] فيوجد، ويتصوّره فيقع على حسب ما تصوِّرَت.

ولنذكر هنا[٤] شمّة ممّا يصدر عن إخوان التجريد من خوارق العادات.

فاعلَم أنّه قد[٥] يشاهَد[٦] من الأنبياء والأولياء أفعالٌ وأقوالٌ خارقة للعادة، كحصول زلازل وطوفانات، وهلاك أُمّة، واستنزال[٧] عقوبات[٨]، واستشفاء المرضى، وطاعة عجم الحيوانات، وغير ذلك من إنذاراتهم بالأُمور الغيبيّة وغيرها.

فنقول: إنّك قد علمتَ[٩] أنّ النفس الناطقة المتعلّقة بالبدن غير منطبعة فيه، مع كون البدن خاضعاً لها. ثمّ الأوهام مؤثّرة في كثير من الأشياء؛ فإنّ الماشي على جذع شديد الارتفاع قليل العرض لا يزال وهمه يخوِّفه[١٠] من السقوط، إلى أن يتمّ انفعاله عن تصوّر وهمه وتخويفه فيسقط، ولو كان على قرار من الأرض لم يكن ذلك.

وكذلك التوهّم قد يغيّر مزاجَ البدن، إمّا دفعةً أو على التدريج، فينقبض أرواحه الحيوانيّة تارةً[١١]، وتنبسط أُخرى. ولذلك يصفرّ لونه ويحمرّ، حتّى أنّه ربّما يؤدّي هذا التغيّر إلى مرض البدن الصحيح وصحّة البدن السقيم.

فالأمزجة لا مَحالة متأثّرة من الأوهام العامّيّة، أو بأوهام مؤثّرة في بدو الفطرة تأثيراً

---

(١) لآثار: الآثار AB

(٢) فتؤمي: فترى A

(٣) إليه: _ P

(٤) هنا: _ BP

(٥) قد: _ AB

(٦) B87a

(٧) استنزال: استهزال AB

(٨) عقوبات: + واستسقاء العطشى P

(٩) A193b

(١٠) يخوّفه: مخوفة A

(١١) تارة: _ AB

شـديداً، أو مؤثّرة على سـبيل التدريج بالرياضـات. وإذا كان الأمر كذلك، فلا يبعد أن يكون لبعض النفوس قوّةٌ إلهيّةٌ[١] يتجاوز[٢] تأثيرها إلى غير بدنها من الأجسـام. فيكون تلك النفوس لشـدّة قوّتها كأنّها نفس للعالَم[٣]، مدبّرة له، فيطيعها الأجسـام العنصـريّة طـاعـةَ بـدنها. وكما[٤] كانت النفس مؤثّرة في بدنها بكيفيّة مزاجيّة مباينة[٥] الذات لها، فكذلك يكون مؤثّرة في جسـم العالم. لا سـيّما وقد علمنا[٦] أنّ الأجسـام العنصريّة[٧] وغيرهـا مطيعـة للمجرّدات، وكلّمـا ازدادت النفس تجرّداً أو تشـبُّهاً بالمبادئ العقليّة ازدادت قوّة في ذاتها ومشـاهداتها وتأثيراً في غيرها. وإذا كانت النفس لها التأثير[٨] في الأمزجة والكيفيّات التي هي مبادئ الكون والفسـاد في هذا العالم، فيكون لها التأثير فيه أيضاً بكثير من الغرائب وجملة من العجائب، وخصوصاً في[٩] بعض الأجسام التي تصير أولى بها لمناسبتها له مع بدنه، كملاقاة[١٠]، أو مجاورة، أو مقابلة، أو غير ذلك.

فإن قلتَ: كيف يجوز صـدور هذه الأشياء عن النفس، والعلّة لا تقتضي[١١] ما ليس موجوداً فيها؟

قلـتُ: قد علمتَ أنّه لا يلزم أن يكون كلّ ما[١٢] صـدر عن العلّة موجوداً فيها؛ فإنّ الشـعاع مسـخِّن، وليس هو في نفسـه بحارٍّ. فلا تتعجّب[١٣] من وجود نفس لها هذه القوى[١٤]، فتؤثّر في غير بـدنها من الأجسـام المباينة لبدنها، وتتعلّق[١٥] بأبدان أُخرى

---

(١) قوّة إلهيّة: القوّة الإلهيّة P
(٢) يتجاوز: متجاوز A
(٣) للعالم: العالم AB
(٤) وكما: فكما P
(٥) مباينة: متأتّية AB
(٦) علمنا: علمت P
(٧) B87b
(٨) التأثير: تأثيراً A
(٩) في: من AB
(١٠) كملاقاة: لملاقاة AB
(١١) تقتضي: يقتضي AB || A194a
(١٢) كلّ ما: كلّما AB
(١٣) تتعجّب: يتعجّب AB
(١٤) القوى: القوّة P
(١٥) تتعلّق: يتعلّق AB

غير بدنها، فتؤثّر في قواها كتأثيرها في قوى بدن نفسها، خصوصاً إذا حصَّلَت ملَكة قهر القوى البدنيّة بسهولة، فيسهل عليها قهر القوى البدنيّة من بدن غيرها.

وقد يحرّك هذه النفوس[١] أجساماً يعجز عن تحريكها كثير[٢] من الناس. وأنت إذا طربت طرباً روحانيّاً ربّما تعمل أعمالاً تعجز عنها عند زوال الطرب. فكيف بنفس استضاءت بالأنوار الشارقة والعقول المفارقة، فطربت[٣] باهتزاز عِلويّ ووجد عِلويّ[٤]، واتّصال «بالأُفق المبين»[٥]، ﴿ذي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكينٍ﴾[٦]، فحرّكَت حينئذٍ[٧] ما يعجز عنه كثير من النوع؟

[سبب الإمساك عن الطعام]

ومن جملة[٨] ما يصدر عن العارفين من الغرائب إمساكُهم عن الطعام مدّة يعجز عنها الأكثر؛ لأنّ الإمساك عن الطعام قد يعرض بسبب عوارض:

ـ إمّا[٩] بدنيّة، كما في الأمراض الحادّة.

ـ أو نفسانيّة، كالخوف الشديد.

وذلك يدلّ على أنّ الإمساك عن الطعام مع وجدان العوارض الغريبة ليس بمحال؛ لاشتغال النفس عن البدن بالأمر الوارد عليها وجذب قواها معها؛ فإنّك عرفتَ أنّ[١٠] الهيئات النفسانيّة والبدنيّة ـ صاعدةً ونازلةً ـ عائدةٌ آثار كلّ واحد منها إلى الآخر. فإذا انجذبت النفس إلى جانبٍ، جذبت قواها معها، فيرى[١١] الإنسان الخائف خوفاً يعجز

---

(١) هذه النفوس: أمثال هذه النفس P

(٢) كثير: كثيراً AB

(٣) فطربت: وطربت P

(٤) B88a

(٥) مقتبس من: القرآن الكريم: ٨١/٢٣

(٦) القرآن الكريم: ٨١/٢٠

(٧) حينئذٍ: + جسداً AB

(٨) جملة: حمله AB

(٩) إمّا: ـ AB

(١٠) أنّ: أنّه A

(١١) فيرى: فترى AB

قواه عن الأفعال التي كانت تقدر(١) عليها عند عدم الخوف. وإذا انجذبت النفس إلى العالم العِلويّ، جذبت معها القوى البدنيّة. فحينئذٍ يتعطّل الأفعال الطبيعيّة(٢) المنسوبة إلى النفس النباتيّة ـ كالغاذية، وتوابعها، والنامية، والمولّدة ـ، فيبقى الموادّ المحمودة محفوظةً، فلا يتحلّل منها أكثر ممّا يتحلّل(٣) من المرضى الذين يعيشون زماناً(٤) دون غذاء من خارج، مع كثرة تحلّل الرطوبات بسبب الحرارة الغريبة التي فيهم.

والمقصود من ذكر هذه الصورة معرفةُ حصول نفس الإمساك، و[أنّه](٥) غير ممتنع، وإن اختلف أسباب وجوده؛ فإنّه غير قادح؛ إذ الغرض المقصود(٦) إمكان ثبوته.

[كيفيّة الإخبار بالمغيبات]

وأمّا خرق العادات بالإنذارات والإخبار عن الأُمور الكائنة في الماضي والمستقبل، فإنّ الإنسان قد يطّلع على الغيب في كثير من الأحوال حالةَ النوم، فيكون اطّلاعه عليه من غير تلك الحال ممكناً(٧) ما لم يقم على امتناعه دليل.

أمّا أنّ(٨) الاطّلاع عليه(٩) حالةَ النوم واقعٌ، فدليله(١٠) التجربة(١١) بما نشاهد(١٢) ونسمع(١٣) من صحّة منامات. وصحّة الإنذارات بالأُمور الغيبيّة(١٤) في الماضي والمستقبل، يدلّ على عالمٍ بالجزئيّات كلّها.

---

(١) تقدر: يقدر AB
(٢) A194b
(٣) يتحلّل: + من غيرهم P
(٤) زماناً: ـ A
(٥) أنّه: أنّ AB
(٦) B88b
(٧) ممكناً: ممكن AB
(٨) أنّ: ـ A
(٩) عليه: على الغيب P
(١٠) فدليله: فتدلّ عليه P
(١١) التجربة: التجريد A
(١٢) نشاهد: يشاهد AB
(١٣) نسمع: يسمع AB
(١٤) الغيبيّة: + الواقعة P

وليس هذه العلوم للنفوس البشريّة بذاتها، وإلّا لَما غابت عنها[١]. وليس لها بحسب القوى الخاصّــة، وإلّا لَما أمكن تخلّفها[٢] عنها في وقتٍ ما، وقد تخلّفت. فذلك إنّما هو لهـا لاتّصــالهـا[٣] بـالعـالـم النفســانيّ الفلكيّ المنتقش بجميع الكائنات الجزئيّة والكلّيّـة؛ فـإنّـك قـد علمـتَ أنّ للأفلاك نفوســاً مجرّدة عن المادّة، ولها إرادات كلّيّة وجزئيّة، ولها قوىً[٤] شـبيهة[٥] بقوّتنا النظريّة، وأُخرى بالعمليّة. ولها علوم كلّيّة حاصلة لهـا عن الجواهر العقليّـة، ولهـا حركـات جزئيّـة وعلوم بلوازم حركـاتهـا، وللكـائنات ضوابط[٦] معلومة ـ كما عرفتَ ـ.

وللنفوس البشريّة أن ترتسم[٧] بها عند حصول الاستعداد وزوال المانع؛ فإنّ النفوس النـاطقـة ليس بينهـا وبين المبـادئ العقليّة حجاب[٨]، بل حجابها شـــواغل الحواسّ الظاهرة[٩] والباطنة ـ كما عرفته ـ.

وللإنســان المســتعدّ الانتقاشُ بنقوش[١٠] الكائنات، التي في النفوس الفلكيّة سبيل إلى تخفيف العلائق[١١] وتقليل الشـواغل بالرياضـات والمجاهدات. فيتّصل[١٢] أمثال هذه النفوس أحياناً بالنفوس الفلكيّة في حال اليقظة[١٣] كاتّصـــال غيرها في حال النوم، ويحصل لها العلم بالكائنات الماضية والمستقبلة، كما فصّلناه في ما تقدّم.

---

(١) عنها: + أبداً P
(٢) تخلّفها: لخلفها A
(٣) لاتّصالها: اتّصالها A
(٤) قوى: شيء AB
(٥) شبيهة: شبيه P
(٦) ضوابط: ضابطة A
(٧) ترتسم: يرتسم AB
(٨) A195a
(٩) B89a
(١٠) بنقوش: لنفوس A؛ بنفوس B
(١١) العلائق: العوائق AB
(١٢) فيتّصل: فيصل P
(١٣) اليقظة: النقطة B

[انتقاش الحسّ المشترك بصور المغيبات]

وإذا عرفتَ أنّ النفس وقوى البدن متنازعة متجاذبة، فكلّما[١] انجذبَت النفس إلى شيء من القوى البدنيّة، اشتغلَت عن باقي القوى الأُخرى. وكذا إذا توجّهَت إلى جانب القدس، اشتغلَت[٢] عن البدن وقواه، حتّى[٣] أنّ المتوغّل[٤] في الأفكار يتحيّر[٥] جميع[٦] قواه، وتتعطّل عن إدراكاتها.

ولمّا كان الحسّ[٧] المشترك هو الذي ينطبع فيه مثُل جميع المحسوسات الظاهرة، فتُحَسّ مشاهدةً ـ كيفما كان الارتسامُ ـ من أسباب ظاهرة خارجة[٨] أو[٩] من أسباب داخلة، كما يعرض للمصروعين وللممرورين من مشاهدة صورٍ و[١٠] أشياء لا وجود لها في الخارج، وإلّا لَشاهَدها كلُّ سليم الحسّ. وليست بمعدومة؛ فإنّ العدم لا يمكن أن يشاهده أحد. فهي من أسباب داخلة، وهي القوّة المتخيّلة المتصرّفة في خزانة الخيال، أو من سبب مؤثّر في سبب باطن، كالنفوس التي تتأدّى الصور ـ بسبب[١١] المتخيّلة القابلة لتأثيرها[١٢] ـ إلى الحسّ المشترك.

والقوّة[١٣] المتخيّلة المتصرّفة في خزانتَي الخيال والوهم تنقش[١٤] الحسّ المشترك في حال[١٥] تعطّل الحواسّ الظاهرة، بما في هاتين الخزانتين من الصور والمعاني، كما

---

(١) فكلّما: فكما B
(٢) اشتغلت: اشتعلت B
(٣) حتّى: _ AB
(٤) المتوغّل: التوغّل A
(٥) يتحيّر: + عن AB
(٦) جميع: جمع B
(٧) الحسّ: للحسّ B
(٨) خارجة: خارجاً AB
(٩) أو: _ A، و B
(١٠) و: _ B
(١١) بسبب: _ AB
(١٢) القابلة لتأثيرها: الباطنة لتأدّيها AB
(١٣) والقوّة: فالقوّة P
(١٤) تنقش: ينتقش AB
(١٥) B89b

كـانت المتخيّلة تنتقش[١] في معدِن التخيّل والتوهّم من الحسّ المشـــترك، كما يكون بين المرايا المتقابلة من انطباع ما في[٢] كلّ واحدة[٣] منهما في الأُخرى[٤].

[موانع دوام انتقاش الحسّ المشترك]

وإنّما لم يدم انتقاشُ الحسّ المشترك من القوّة المتخيّلة لشيئين:

أحدهما: عقليّ ووهميّ، يشــغل[٥] الفاعلَ ـالذي هو المتخيّلةـ عن النقش[٦]؛ لاشتغالها في خدمة النفس، واتّباعها لها في الأفكار والأحوال.

وثانيهما[٧]: حسّ ظاهر يشغل القابلَ الذي هو الحسّ المشترك.

فإذا فتر[٨] أحد الشـاغلين ـالعقليّ والحسّـيّـ وسـكن، فربّما عجز الشاغل الآخر عن الضبط.

أمّا سـكون الشـاغل الحسّيّ، فكما في النوم؛ فإنّ سكون الحسّ الظاهر ـالذي هو أحد الشاغلينـ فيه ظاهر.

وأمّا سـكون الشاغل الثاني العقليّ فيه[٩]، فلأنّ القوى الطبيعيّة إذا توجّهت في حال النوم إلى إصلاح[١٠] الغذاء وهضمه وطلب الراحة، فتجذب النفس إلى جهتها؛ لأمرين:

الأوّل: أنّ النفس لو[١١] اشتغلت[١٢] بأحوال ذاتها، ولم تنجذب[١٣] إلى جهة القوى، لَشـايعَتها تلك القوّة، فاشتغلت عن تدبير البدن وإصلاح[١٤] الغذاء، فاختلّ أمر البدن،

(١) تنتقش: ينتقش A
(٢) ما في: ـ AB
(٣) واحدة: واحد A195b || P
(٤) الأُخرى: الآخر P
(٥) يشغل: يشتغل A
(٦) النقش: النفس AB
(٧) ثانيهما: ما بينهما AB
(٨) فتر: افترى A
(٩) فيه: ـ AB
(١٠) إصلاح: + أمر P
(١١) لو: إذا A
(١٢) اشتغلت: اشتعلت B
(١٣) تنجذب: ينجذب A
(١٤) إصلاح: + أمر P

والنفس بالطبع مجبولة على تدبيره، فيجب انجذابها[١] إليه عند النوم.

الثاني: أنّ النوم أشبه[٢] بالمرض منه بالصحّة؛ لكون النوم من الأحوال العارضة للحيوان لأجل تدبير بدنه وإصلاح أحواله، والنفس في حال المرض مشتغلة بمعاونة القوى الطبيعيّة، فهي غير متفرّغة لفعلها الخاصّ بها، إلّا إذا عادت الصحّة إليها.

فإذا سكن[٣] هذان[٤] الشاغلان في حال النوم، فيقوى سلطان المتخيّلة على نقش[٥] الحسّ المشترك الذي لا مانع له عن قبول النقش[٦]، فتنتقش فيه الصور المرئيّة[٧] على سبيل المشاهدة. ولهذا لا يخلو النوم عن رؤيا، لكن النفس لا تحفظه أحياناً.

وأمّا سكون الشاغل الثاني العقليّ، فكما إذا استولى على الأعضاء الرئيسة مرض، فإنّ النفس تنجذب كلّ الانجذاب إلى جهته، وذلك[٨] الانجذاب[٩] شاغل لها عن الضبط الذي لها. فيضعف[١٠] أحد الضابطين المذكورين، وتقوى المتخيّلة على نقش[١١] الحسّ المشترك بالصور والمعاني التي في الخزانتين؛ لضعف أحد الضابطين المذكورين. وكلّما كانت النفس أضعف، كان انفعالها عن المحاذيات أكثر. وكلّما كانت أقوى، كان انفعالها أقلّ، وكان ضبطها للجانبين أشدّ. فلم يمنعها الاشتغال[١٢] ببعض القوى البدنيّة كالشهوة ـ مثلاً ـ اشتغالَها[١٣] بغيرها كالغضب؛ فإنّ النفس القويّة

---

(١) انجذابها: ابدائها AB
(٢) أشبه: أشبهه A
(٣) B90a
(٤) هذان: هذا AB
(٥) نقش: نفس AB
(٦) النقش: النفس AB
(٧) المرئيّة: المرتّبة P
(٨) A196a
(٩) الانجذاب: لانجذاب AB
(١٠) فيضعف: فحينئذٍ يضعف P
(١١) نقش: نفس AB
(١٢) الاشتغال: الاشتعال B
(١٣) اشتغالها: اشتعالها B

يكون اشتغالها[١] عمّا يشغلها عن فعل آخر أقلّ، ويفضل منها لذلك الفعل الآخر فضلة أكثر. فإذا كانت مع ذلك مرتاضةً، كان احترازها وتحفّظها عمّا يبعِّدها عن مطلوبها ويقرِّبها منه أقوى.

فالنفس الناطقة لا مانع لها عن الاتّصال بعالمها إلّا استغراقها[٢] بتدبير البدن والتصرّف. فإذا خفّفت[٣] العلاقة البدنيّة بالرياضات والمجاهدات، سهل عليها الاتّصال بذلك العالم الروحانيّ.

[أسباب اتّصال النفس بعالمها لتلقّي المغيبات]

فإمكان[٤] اتّصال بعض النفوس بعالمها:

ـ إمّا لقوّة له في أصل الفطرة، كما للأنبياء ـعليهم السلامـ؛ فإنّهم لقوّة نفوسهم لا يكون اشتغالهم[٥] بالأُمور البدنيّة مانعاً لهم عن الاتّصال بذلك العالم المُفيض للعلم الغيبيّ، لا يقظةً ولا نوماً.

ـ وإمّا لقوّة مكتسبة، كملَكة الأولياء الحاصلة لهم بالاكتساب والرياضات.

ـ وإمّا لضعف ضروريّ في[٦] العائق، كالنوم الضروريّ.

ـ أو لضعف فطريّ في[٧] العائق، كما يكون في من ضعفت آلاته[٨] البدنيّة؛ فإنّ أمثال هذا الشخص[٩] يكون اشتغال[١٠] النفس التي له تدبيرها[١١] قليلاً، فيتوفّر فيها الجانب الآخر.

---

(١) اشتغالها: اشتعالها B

(٢) إلّا استغراقها: لاستغراقها A

(٣) خفّفت: تحقّقت P

(٤) B90b

(٥) اشتغالهم: اشتعالهم B

(٦) في: من AB

(٧) في: من AB

(٨) آلاته: له الآلة AB

(٩) الشخص: لشخص B

(١٠) اشتغال: ـ AB

(١١) تدبيرها: بتدبير بدنها P

ـ أو يكون لضعف في العائق لا فطريّ ولا مكتسَب، كما للممرورين[١] والمبرسمين الذين[٢] غلبت المرّة السوداء[٣] على أمزجتهم الأصليّة، وكذلك المصروعين؛ فإنّ[٤] هؤلاء يخبرون[٥] عن الأُمور الغيبيّة في كثير من الأحوال.

ـ وقد يكون الاتّصال كسبيّاً بأمرٍ آخر غير ما ذكرناه، كما يستعين بعض المتكهّنين بأشياء[٦] يحصل منها للخيال وقفة، وللحسّ حيرة، فتستعدّ النفس لتلقّي[٧] المغيبات؛ لأنّ العائق قد[٨] ضعف. كما يُحكى عن بعض مشايخ التُرك أنّه يستعين[٩] على إدراك الأُمور الغيبيّة[١٠] بحركةٍ سريعة ودوَرانٍ شديد[١١] لا يزال[١٢] يلتهب[١٣] فيها حتّى يقرب من السقوط، ويغيب[١٤] عن الحسّ، فحينئذٍ يترائى له الأُمور الغيبيّة، فينطق[١٥] بها، ويحفظه الحفَظة المرتّبون[١٦] لذلك؛ ليبنوا[١٧] عليه أحوال معاشهم الدنيويّ ومعادهم الأُخرويّ، وهذا لا يخلو عن ضعف فطريّ.

وقد يستعين بعضُ[١٨] المتكهّنة برقصٍ وتصفيقٍ وتطريبٍ مع تدوير الرؤوس[١٩] زماناً لتلقّي الغيب.

---

(١) كما للممرورين:كالممرورين AB
(٢) الذين: الدين B
(٣) A196b
(٤) فإنّ: + الهواء A
(٥) يخبرون: مخبرون A
(٦) بأشياء: ماشياً A
(٧) لتلقّي: لنقل AB
(٨) قد: البدنيّ P
(٩) يستعين: يستغني B
(١٠) الغيبيّة: الغائبة B
(١١) شديد: سديد B
(١٢) يزال: تزال A
(١٣) يلتهب: ملتهب A، يلهث P
(١٤) يغيب: الغيب A
(١٥) فينطق: فتنطق A
(١٦) المرتّبون: + بها A
(١٧) ليبنوا: فيبنوا A
(١٨) B91a
(١٩) الرؤوس: الرأس P

والنساء والصبيان وغيرهما من أرباب الآلات الضعيفة[١] قد يستنطقون بأشياء محيّرة للبصر بشفيفها[٢] والمُرعِشة له[٣] برجرِجتها، كالبِلّور المضلّع والزجاجة المضلّعة إذا واجهت الشمس؛ أو[٤] المُدهِشة له بشفيفه[٥]، كالبِلّور الصافي المستدير؛ أو لَطخِ باطن الإبهام بالسواد البرّاق والدُهن وجعلها مقابل المُضيء والناظر من الأشخاص المذكورين؛ أو بأشياء تترقرق، كالزجاجة المدوّرة[٦] التي ملِئت ماءً ووضِعت بحيال الشمس أو الشعلة؛ أو بأشياء تمور، كالماء المتموّج[٧] في إناء تموّجاً شديداً، إلى غير ذلك من الأعمال والأفعال؛ فإنّ جميع هذه محيّرة للحواسّ، موهنة للقوى، مخلّة[٨] لها.

وقد يستعينون[٩] على تلقّي الأمر الغيبيّ بالإبهام[١٠] والعزائم[١١] ونصب المنادل، والتخويف بالجنّ والعفاريت، وغير ذلك من الأُمور.

وقد يجتمع السببان[١٢] ـ ضعف العائق، وقوّة النفس بالتطريب ـ كما في كثير من المرتاضين المجتهدين من ذوي الكدّ والنصب. وهذا أفضل وأجوَد ممّا للكهَنة والممرورين والمتخيّلين؛ فإنّ ذلك نقص وإخلال[١٣] بالقوى وإفسادها وتعطيلها، وذلك غير محمود عند الفضلاء.

فكلّ[١٤] هؤلاء[١٥] يتوسّلون بالأُمور التي ذكرناها إلى انتقاش النفس بالأُمور الغيبيّة،

---

(١) الضعيفة: + و A
(٢) بشفيفها: لشفيفها AB
(٣) له: ـ AB
(٤) أو: و AB
(٥) بشفيفه: لشفيفه AB
(٦) المدوّرة: المذكورة AB
(٧) المتموّج: المموّج P
(٨) مخلّة: محيلة AB
(٩) يستعينون: تستعينون A
(١٠) بالإبهام: بالإيهام A
(١١) العزائم: بالعزائم P
(١٢) A197a
(١٣) إخلال: إحلال AB
(١٤) فكلّ: وكلّ B
(١٥) هؤلاء: + المذكورين P

ولا سيّما إذا وكّلوا[١] الوهم وصرفوه[٢] إلى شيء بعينه، فيتخصّص استعدادهم لقبوله[٣] من الذوات المجرّدة العالية.

[محاكاة القوّة المتخيّلة للهيئات الإدراكيّة]

واعلَم أنّ القوّة المتخيّلة خلِقت بالطبع محاكيةً لهيئات إدراكيّة، كمحاكاة الفضائل والخيرات بالصور الحسنة الجميلة، ومحاكاة الرذائل والشرور بالصور المذمومة القبيحة؛ أو لهيئات مزاجيّة، كمحاكاة غلبة السوداء بالألوان السود، وغلبة الصفراء بالألوان الصفر، وكذا باقي الأخلاط بما[٤] يليق من ألوانها.

وهي مع ذلك سريعة الانتقال من الشيء إلى ضدّه، أو مناسبه، أو شبهه[٥]. ولِتخصّص كلّ واحد من هذه الانتقالات سبب[٦] جزئيّ غائب عنّا، لا يمكننا تحصيله[٧]. وهذه القوّة لو لم تكن على هذا الطبع، لم يكن لنا ما نستعين به في انتقالات الأفكار[٨] بتحصيل الحدود الوُسطى، وفي تذكّر الأُمور المنسيّة[٩] والمصالح الجزئيّة التي ينبغي أن تُفعَل وأن لا تُفعَل. وهذه القوّة المتخيّلة جُبِلت على الحركة، لا تفتر[١٠] ليلاً ونهاراً. فكلّ سانح خارجيّ أو باطنيّ فهو محرّك[١١] لها إلى هذا الانتقال المذكور، اللّهمّ إلّا أن ينضبط عندها الشيء الذي انتقلت إليه، فحينئذٍ لا تنتقل[١٢] إلى غيره زماناً ما[١٣].

---

(١) B91b
(٢) صرفوه: صرفوا A
(٣) لقبوله: بقبوله P
(٤) بما: ممّا AB
(٥) شبهه: شبيهه P
(٦) سبب: بسبب AB
(٧) تحصيله: تخصيصه AB
(٨) انتقالات الأفكار: الانتقالات للأفكار AB
(٩) المنسيّة: المنتسبة A
(١٠) تفتر: يفتر A
(١١) محرّك: تحرّك B
(١٢) تنتقل: ينتقل AB
(١٣) ما: ـ AB

وللضبط سببان:

أحدهما: قوّة للنفس تعارِض النفسَ تعارُضَ السانح وتوقّف التخيّل على ما يشتهيه ويريده[١] ويمنعه عن التجاوز إلى غيره، كما يكون للفضلاء من الحكماء عند شروعهم في أفكارهم، وكذلك لأهل[٢] الرأي[٣] الرصين والتدبير[٤] اللطيف عند تفكّرهم في الأُمور المهمّة.

والثاني: شدّة ارتسام[٥] الصورة في الخيال وقوّة انتقاشها فيه؛ فإنّ ذلك من الأسباب الصارفة للخيال[٦] عن الانتقال إلى غيره، كما هو الحال في الحواسّ بالنسبة إلى محسوساتها؛ فإنّ الحسّ إذا شاهد صورة عجيبة أو حالة غريبة، فإنّه يبقى أثرها في الذهن زماناً؛ لأنّ القوى الجسمانيّة إذا اشتدّت إدراكاتها، تقاصرت عمّا وراءها من الإدراكات الضعيفة. فثبات المتخيّلة على صورة حيناً وعدم انتقالها إلى غيرها، إمّا لتلذّذها بها زماناً[٧]، أو[٨] لكثرة تكرّرها وورودها عليها، أو لوضوح انتقاشها، أو لكون[٩] ذلك الشيء ثابتاً مهمّاً شديداً عندها.

فالسوانح القدسيّة والآثار الروحانيّة العارضة للنفس في النوم أو في اليقظة قد تلمع[١٠] كالبرق الخاطف، إمّا مع لذّة خاطفة كما الحال في إخوان[١١] التجريد وأرباب الرياضات، وفي غير هؤلاء قد تلمع وتسنح[١٢] من غير لذّة كما في أكثر المنامات.

---

(١) يشتهيه ويريده: يشبهه ويزيده AB

(٢) B92a

(٣) A197b

(٤) التدبير: تدبير A

(٥) ارتسام: ارتسامهم A

(٦) الصارفة للخيال: الصادفة الخيال A

(٧) زماناً: ـ A

(٨) أو: و P

(٩) لكون: يكون AB

(١٠) تلمع: يلمع AB

(١١) إخوان: الإخوان A

(١٢) تلمع وتسنح: يلمع ويسنح AB

فالنفس الناطقة إذا قلّت شواغلها الحسّيّة في نوم أو يقظة، فيقع لها خلسة إلى جانب القدس، فانتقشت بالأُمور الغيبيّة. فقد تنطوي سريعاً[١]، وقد تشرف[٢] على الذكر، وقد تتعدّى إلى الخيال وإلى لوح الحسّ المشترك الذي هو مظهر جميع المحسوسات الظاهرة، و[٣] ينتقش فيه صورة[٤] جميلة في غاية الحُسن على أتمّ هيئة وأكمل رتبة[٥]، فيُناجيه بالغيب؛ أو ينتقش صورة الأمر الغيبيّ على سبيل المشاهدة، أو على سبيل الكتابة[٦]، أو نداء هاتف، أو على غلبة الظنّ بالأمر الغيبيّ.

[أقسام الآثار السانحة في النوم أو اليقظة]

وبالجملة الآثار القدسيّة السانحة في نوم أو يقظة، لا تخلو عن ثلاثة أقسام[٧]:

أ. ضعيف لا يبقى له أثر في الخيال تُذكِّره[٨] النفس.

ب. متوسّط ينتقل عنه بالتخيّل إلى غيره، ثمّ يمكن أن يعود إليه.

ج. قويّ يكون النفس عنده[٩] ثابتة شديدة القوّة، بحيث تحفظ[١٠] ذلك الأثر السانح، ولا يزول عنها بالنسيان.

وهذه الأقسام الثلاثة لا تكون[١١] مختصّة بهذه الآثار الروحانيّة فحسب، بل هي عامّة لجميع[١٢] الخواطر السانحة على الأذهان؛ فإنّ من الخواطر الواردة على الذهن ما لا ينتقل عنه، ومنها ما ينتقل عنه الذهن وينساه[١٣]. وينقسم[١٤] هذا القسم إلى قسمين:

---

(١) فقد تنطوي سريعاً: وقد ينطوي سريعة AB
(٢) تشرف: يشرق AB
(٣) و: ـ AB
(٤) صورة: صور AB
(٥) B92b
(٦) الكتابة: كناية P
(٧) ثلاثة أقسام: أقسام ثلاثة P
(٨) تذكره: تذكرة A
(٩) A198a
(١٠) تحفظ: يحفظ AB
(١١) تكون: يكون A
(١٢) لجميع: بجميع A
(١٣) ينساه: تنساه A
(١٤) ينقسم: تنقسم A

أ. ما يمكن عوده إليه على القرب بالتخيّل[١].

و**ب.** ما لا يمكن عوده إليه على القرب.

[الفرق بين المحكمات والمتشابهات]

إذا عرفتَ هذا، فاعلَم أنّ ما يبقى من الآثار السانحة من الكلام، محفوظ في النوم أو في اليقظة. فهو إمّا رؤيا صادقة لا يحتاج إلى تعبير، أو وحي صريح لا يحتاج إلى تأويل، وهو المعبَّر عنه في الكتاب الإلهيّ: ﴿مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ﴾[٢].

وإن بطل الأثر السانح وبقيت محاكياته، فهو إمّا رؤيا يحتاج[٣] إلى تعبير، أو وحي يحتاج إلى تأويل، وهو المعبّر عنه في الكتاب بالآيات المتشابهات[٤].

[اختلاف التعبير والتأويل باختلاف الأشخاص والأوقات]

وقد يختلف التعبير والتأويل باختلاف المواضع والأشخاص والأوقات والعادات والأديان وغير ذلك من الأحوال؛ لأنّ الانتقالات التخيّليّة لا تفتقر[٥] إلى التناسب الحقيقيّ[٦]، بل يكفي فيه مجرّد التناسب ـ كيفما كان ـ، سواء كان التناسب ظنّيّاً أو وهميّاً أو غير ذلك.

ولمّا كان التناسب الغير الحقيقيّ ممّا يختلف في الشخص الواحد بحسب اختلاف وقتين أو موضعين أو عادتين، فكيف لا يختلف الأُمور المذكورة بحسب اختلاف شخصين؟ ولهذا السبب قد يختلف التعبير بحسب اختلاف الحرَف والصناعات والولايات والمذاهب والأديان؛ لاقتضاء كلّ واحد منها[٧] من الإلف والعادة غيرَ ما اقتضاه[٨] الآخر.

---

(١) بالتخيّل: بالتحليل P

(٢) القرآن الكريم: ٣/٧

(٣) يحتاج: تحتاج B

(٤) القرآن الكريم: ٣/٧

(٥) التخيّليّة لا تفتقر: التخييليّة لا يفتقر AB

(٦) B93a

(٧) واحد منها: منهما AB

(٨) غير ما اقتضاه: غيرها اقتضاء A

[المظاهر والأسباب للجنّ والغول والشياطين والعفاريت]

ولمّا علمنا(١) أنّ الحسّ المشترك مظهر الصور(٢) الحسّيّة الظاهرة متعدّية منه إليه، فلا يبعد أن ينعكس من الحسّ المشترك مرّة أُخرى إلى الحواسّ الظاهرة(٣)، كالعين واللمس والذوق وغيرها(٤).

وما يُرى من الجنّ والغول والشياطين والعفاريت وغير ذلك من الأنواع والأصناف، فهي وإن كان مظهرها الحسّ المشترك أو بعض تجاويف الدماغ، فلها أسباب باطنة تخيّليّة.

[الإصابة بالعين]

ومن جملة تأثير النفوس والأوهام الإصابةُ بالعين. والمبدأ فيه هيئة نفسانيّة متعجِّبة(٥) تؤثّر في فساد الشيء المتعجَّب منه بخاصّيّة ذاتيّة موجودة في ذات(٦) الشخص المتعجِّب.

[أقسام التأثيرات الغريبة الحادثة في الأوهام]

وبالجملة فإنّ التأثيرات الغريبة(٧) الحادثة في الأوهام(٨) في هذا العالم لا يخلو عن أقسام ثلاثة(٩):

أ. مبدؤه الهيئات النفسانيّة المذكورة التي للعارفين، فيدخل(١٠) فيه الإصابة بالعين. وكذلك السحر؛ فإنّه من جملة تأثيرات النفوس والأوهام.

---

(١) A198b

(٢) الصور: للصور P

(٣) متعدّية منه ... الظاهرة: _ A

(٤) غيرها: غير ذلك P

(٥) متعجّبة: معجبة P

(٦) ذات: نفس P

(٧) الغريبة: _ P

(٨) في الأوهام: _ P

(٩) أقسام ثلاثة: ثلاثة أقسام P

(١٠) فيدخل: ويدخل P

والفرق بين[١] نفوس العارفين والسـحَرة[٢] أنّ هيئات نفوس العارفين تستعمل في الخير، وأمّا الهيئات المؤثّرة في نفوس السحَرة فتستعمل في الشرّ. ويستعين السحَرة في وقوع ما يعملونه من السحر بخواصّ طبائع الأشياء، والكلام الذي هو كشرط في وقوع السحر في الوجود.

ب. مبدؤه خواصّ الأجسام الأرضيّة والأحوال السفليّة، كجذب المغناطيس للحديد. وإذا طحن السندروس[٣] ونفخ بالليل تُجاه سراج رؤي كأنّه نار مشتعلة منتشرة. وأمثال ذلك لا تُحصى[٤] ولا تُعدّ[٥] في هذا العالم، ويسمّى كلّ ما[٦] يدخل في هذا القسم نيرنجات[٧].

ج. الطلسمات، ومبدؤها الأجرام العِلويّة مع أمزجة أرضيّة، أو قوى نفوس أرضيّة مخصوصة بأحوال فلكيّة، لمناسبة بين القوى الفاعلة السماويّة والمنفعلة الأرضيّة الموجبة لحصول[٨] آثار غريبة في هذا العالم.

وهذا العلم مستخرَج من[٩] علمَين: أحدهما النجوم، والآخر الطبّ. فيجب لطالب هذا العلم أن يبرّز[١٠] في النجوم، وطبائع الكواكب، واتّصالاتها بوقت[١١] الأعمال والابتداءات، مع صحّة النيّة وجزمها[١٢]، وإزالة الشكّ والتردّد، ولا يقصّر[١٣] في تحصيل الآلات والأدوات المحتاج إليها في تصحيح الأعمال. >[١٤]



---

(١) الفرق بين: القرب من AB || B93b

(٢) السحرة: السخرة B

(٣) السندروس: السندوس P

(٤) تحصى: يحصى AB

(٥) تعدّ: يعدّ AB

(٦) كلّ ما: كلّما AB

(٧) نيرنجات: نيرنجيات B

(٨) لحصول: بحصول B

(٩) A199a

(١٠) يبرّز: تبرز A

(١١) بوقت: لوقت AB

(١٢) جزمها: جرمها B

(١٣) يقصر: تقصر AB

(١٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٥٥/٣ _ ٦٦٨

Mūḍiḥ al-dirāyah
li-sharḥ Bāb al-bidāyah

Mūḥammad b. Alī b. Abī Jumhūr al-Aḥsāʾī
(d. beginnings of 10th/16th century)

Volume 2

Edition & Research:
Reza Yahyapur Farmad

Mu'assasat Ibn Abī Jumhūr al-Aḥsā'ī
li-Iḥyā' al-Turāth
Bayrūt - 1442/2021

الطبعة الأُولى
لبنان ـ بيروت
١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م
ISBN:

بطاقة تعريفيّة بالكتاب:
عنوان الكتاب: موضح الدراية لشرح باب البداية
تأليف: الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ (المتوفّى أوائل القرن العاشر الهجريّ)
تصحيح وتحقيق: رضا يحيى پور فارمد
الناشر: مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث
وكيل النشر: دار المحجّة البيضاء، لبنان ـ بيروت ـ الرويس، تلفاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٢٨٤٧
عدد الأجزاء: أربعة مجلّدات
تاريخ النشر: ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م
عدد صفحات الكتاب: ١٦٢٠ صفحة
كمّيّة الطبعة الأُولى: ١٠٠٠ دورة

مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث
مؤسّسة علميّة ثقافيّة مستقلّة، تعنى بنشر وإحياء تراث علماء الأحساء
الموقع الرسميّ للمؤسّسة على شبكة الإنترنت: www.Ibnabijumhur.com
البريد الإلكترونيّ للمؤسّسة: Ibnabijumhur@gmail.com
المركز الرئيسيّ للمؤسّسة: لبنان ـ بيروت

موضح الدراية

لشرح باب البداية

تأليف

الحكيم الألهي والفقيه المحدث

الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي

(المتوفى اوائل القرن العاشر الهجري)

المجلد الثالث

تصحيح و تحقيق

رضا يحيى پور فارمد

مؤسسة ابن أبي جمهور الأحسائي

لإحياء التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

[الفصل الخامس عشر: في الشيطان والجنّ]

[بيان أنّ الشيطان هو القوّة الوهميّة]

[١]< واعلَم أنّ هاهنا **دقيقة**، لا بدّ من الإشـارة إليها، والتنبيه على حقيقتها، هي **أنّ الإنسـان ما دام في هذا العالم، لا ينقطع**[٢] **عنه وسواس الخنّاس المسلّط على النـاس؛** إذ ما دام متعلّقاً بهذا البدن في[٣] عالمه الذي كان مظهر آثاره ومبدأ كمالاته، فهو لا[٤] ينقطع عنه غواشي الطبيعة ومتعلّقات الهيولى [الموجبان لإثارة][٥] الخيالات المُردية والأوهام المُفسـدة. فهما مَثار[٦] ﴿الْوَسْـواسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْـوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[٧]. **وذلك** بالحقيقة **هو الوهم،** الذي هو على الدوام في أغلب الأحوال قاهراً للعقل، ومشـوِّشـاً عليه في تحصـيل مطالبه، حتّى أنّه لغلبته عليه لا يمكنه أن يميّز[٨] بين مدرَكاته الخاصّة وبين مدرَكات [الوهم][٩]، ولا يفرّق بينهما. بل وفي بعض الأحوال يُساعده في المقدّمات الصادقة الناتجة لليقين، ثمّ ينكص[١٠] عنه عند النتيجة، ويكذّبه، ولا يتابعه. **فهو** «**إبليس الذي أبى** واسـتكبر»[١١] «بافتخاره وتبختُره[١٢]»[١٣] **عن السجود** والخضوع والانقياد بالطاعة **لكلمة الله وخليفته،** وهو آدم ـعليه السلامـ الـذي هو عبـارة عن الإنسـان، الذي هو «الكلمة التي ألقاها إلى مريم»[١٤]، والخليفة

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) ينقطع: تنقطع A
(٣) في: الذي B94a || AB
(٤) فهو لا: فهؤلاء A
(٥) الموجبان لإثارة: الموجبين لآثاره AB
(٦) مثار: مشار A
(٧) القرآن الكريم: ٤/١١٤ ـ ٥
(٨) يميّز: تميّز A
(٩) الوهم: ـ AB
(١٠) ينكص: تنكص A
(١١) مقتبس من: القرآن الكريم: ٣٤/٢
(١٢) تبختره: تجبّره A
(١٣) مقتبس من: القرآن الكريم: ١٢/٧، ٣٣/١٥
(١٤) مقتبس من: القرآن الكريم: ١٧١/٤

على جيش البدن وإسفهبد عساكره، **الذي «سجدت له ملائكة القوى كلّها»**[١]**؛** فإنّ جميع القوى البدنيّة[٢] هي ملائكة اللّه، الذين[٣] جعَلهم خدماً لسلطان الكلمة، وأمَرهم بالخضوع والإذعان والطاعة لأوامره ونواهيه. فسجد الكلّ منهم سامعاً مطيعاً خاضعاً ذليلاً[٤] مسخَّراً [تحت][٥] تصرّف سلطانه، «إلّا إبليس أبى من بينهم واستكبر»[٦]، فلم يسجد، ولم يخضع، بل نازعه [في][٧] الشرف، وافتخر عليه بسلطان[٨] الناريّة الموجبة[٩] للشرف في زعمه.

ولهذا إنّ الوهم يُنكر أحكامَ العقل من المجرّدات عن الموادّ؛ لأنّه لمّا أبى عن الطاعة، واستكبر عن الإذعان، بقي تائهاً في البحر الغواية، متمادياً في ميدان الضلالة، راكناً[١٠] مسالك العماية، فأنكر ما أذعن له الملائكة المُكرّمون والعباد الصالحون؛ فإنّه لمّا بايَنهم في الطاعة لِما أطاعوا له، بايَنهم في جميع أحوالهم، فأنكر أحكامهم، فلم يعترف بما اعترف به الوزير الصالح من إثبات الأُمور العقليّة المُدرَكة من غير تعلّق أحكام المادّة في وجودها أو حدودها؛ لإلفه بالطبيعة والأُمور الجسمانيّة الكثيفة المُظلِمة مأوى الضالّين، فبعُد عن الأنوار والاستضاءة بها، فبقي من الخاسرين. ولهذا كان «من المُنظَرين إلى يوم البعث»[١١]، فمتى بعث الإنسان من البرزخ وخرج من القبر، حضر أجله، وانقطعت مدّته.



---

(١) مقتبس من: القرآن الكريم: ٣٤/٢، ١١/٧، ٣٠/١٥، ٦١/١٧

(٢) البدنيّة: + التي A

(٣) الذين: الدين B

(٤) ذليلاً: دليلاً A || A199b

(٥) تحت: يجب AB

(٦) مقتبس من: القرآن الكريم: ٣٤/٢

(٧) في: _ AB

(٨) بسلطان: لسلطان A

(٩) B94b

(١٠) راكناً: راكباً B

(١١) مقتبس من: القرآن الكريم: ٣٧/١٥، ٨٠/٣٨

[معنى استسلام الشيطان في الحديث النبويّ]

ومن هذا الباب وما ذكر من الإشارة ما روي عنه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ أنّه قال ـعليه السلامـ: **ما منكم إلّا وله شيطان.** فقيل له: وأنت يا رسول اللّه؟ فقال ـعليه السلامـ: وأنا، ولكن شيطاني أعانني اللّه عليه، فأسلم.[١]

أي: أسلمُ منه، أو أنّه أطاع نفسي الناطقة، وانقاد إلى حكمها، ولم يعارضها.

وأشار [ـعليه السلامـ بذلك][٢] إلى ما أفصحنا عنه من أنّ المراد من إبليس والشيطان هو القوّة الوهميّة المُعارِضة للأحكام العقليّة، والمُبطِلة لأحوال[٣] الاعتقادات الحقّيّة، والمشوِّشة للكلمة الإنسانيّة التي هي خليفة اللّه على ملائكة القوى البدنيّة، والعائقة لها عن الوصول إلى الكمال الأقصى والمطلوب الأعلى، الذي قد استهلك[٤] جميع الخلق وأضلَّهم، إلّا القليل النادر الذي تلطّف إلى دفعه باستعمال المعالجات النفسانيّة، والإدامة على الرياضات المرضيّة، وقطع علائق الشهوة والغضب اللذين[٥] هما مستواه.

[تطبيق هذا البحث بقصّة آدم وإبليس]

وإذا سمعت قصّة آدم وإبليس وما تُليَ من حكايتهما في التنزيل الإلهيّ، فلا[٦] يصعب عليك الجمع بينه وبين ما ذكرناه هاهنا. [فطبِّق][٧] بين[٨] الظاهر والباطن، تكُن[٩] من

(١) عوالي اللئالي: ٩٧/٤
(٢) عليه السلام بذلك: بذلك عليه السلام AB
(٣) B95a
(٤) A200a
(٥) اللذين: الذين AB
(٦) فلا: ولا A
(٧) فطبّق: وطبّق AB
(٨) بين: من A
(٩) تكن: يكن B

أهل التحقيق، وتفوز بفضيلة التعميق في معرفة أسرار الحكمة وأسرار الشريعة، ومعرفة الانطباق بين العوالم. ولا عليك أن تُحقّقه من الأبحاث السابقة، وما أشرنا إليه من ظهور الحقيقة في ملابس الصور الظاهرة على مدارج النفس وسلوكها في مواطنها.

وآدم -عليه السلام- هو الأب الذي هو أوّل مظاهر الكلمة في عالم الشهادة. فإبليسه كان مظهر تلك القوّة المنفصل بصورة المقابلة الحقيقيّة، والملائكة مظاهر قواه، والتي هي مبادئ كمالاته، وكانت(١) عساكره وجنوده. فهُم ملائكة اللّه، القائمون على الطاعة للكلمة والخليفة. ولا كلام في إجراء ذلك على الحقيقة الظاهرة [بصورة](٢) التجلّي على النفس بالمظاهر(٣) العقليّة، وإجراء ذلك في سائر الأنبياء(٤) الذي كانت الكلمة الأُولى أوّل مظاهرهم. فتمّ فيهم سابق القدَر(٥) بما كان في القضاء الكلّيّ، فسرى في جميع أشخاص الكلمات على حسب الترتيب الأوّل والنظام(٦) الحقيقيّ.

فتدبَّر ترشُد. فلو لا خوف الإطالة لَبسطتُ لك ما طويتُه عنك من اللطائف والأسرار المشتمل عليه هذه المباحث. والمُطالع الذكيّ ينتفع بهذه الإشارات، ويقف بها على ما هو المقصود من إيرادها، من غير احتياج إلى زيادةِ تطويلٍ.



---

(١) كانت: كاتب B
(٢) بصورة: بصور AB
(٣) بالمظاهر: بالمظاهرة A
(٤) الأنبياء: الأبناء A
(٥) B95b
(٦) النظام: انتظام A

[سبب مشاهدة الجنّ والشياطين والغول]

واعلَم أنّ **باستيلاء[١] المتخيّلة على الحسّ المشترك ـ لفَترة[٢] الحواسّ عن استعماله[٣]، أو اشتغال النفس عنه[٤] في الأفكار[٥] ـ قد يلوح صور في الحسّ المشترك هي الجنّ.**

وذلك لأنّ الخيال يأخذ من الحسّ المشترك، فإذا استولت المتخيّلة على الحسّ المشترك بأحد[٦] العوارض، لاحت الصور في الحسّ المشترك. ولهذا[٧] ما يُرى من الجنّ وغيرهم ـ كالشياطين والغول ـ المشاهدُ لذلك[٨] لو غمض عينه رآه مع الغموض، فدلّ على أنّه من سبب باطن. >[٩]

[الاختلاف بين الحكماء في ثبوت الجنّ والشياطين ونفيهم]

[١٠]< وقد وقع الخلاف بين الحكماء المتقدّمين والمتأخّرين في ثبوت الجنّ والشياطين ونفيِهم.

[انتساب إنكار الجنّ إلى الشيخ الرئيس]

ونقل الرازيّ[١١] عن أكثر الفلاسفة إنكارهم، واستدلّ عليه[١٢] بقول الشيخ

---

(١) A200b

(٢) لفترة: لقوّة A

(٣) استعماله: اشتغاله P

(٤) عنه: عن استعمال المتخيّلة P

(٥) في الأفكار: بالأفكار AB

(٦) بأحد: يأخذ B

(٧) ولهذا: فلهذا P

(٨) المشاهد لذلك: والمشاهد P

(٩) كلمة التصوّف: ١٢٣ (مع تصرّف وتفصيل)

(١٠) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(١١) التفسير الكبير: ٦٦١/٣٠

(١٢) عليه: عليهم B

الرئيس[١]: إنّ الجنّ حيوان هوائيّ يتشــكّل بأشــكال مختلفة. ثمّ قال[٢]: وهذا شـــرحُ الاســم. فكان قوله: «وهذا شـرح الاسم» يدلّ على أنّ هذا شرح للمراد من هذا اللفظ، وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج.

[ردّ هذا القول]

وهذا[٣] ضـعيف؛ لأنّ[٤] كون هذا اللفظ شـرحاً[٥] لمفهوم اسم الجنّ لا يدلّ على عدم حقيقتهم؛ لجواز أن يكون تلك الحقيقة صـعبةَ الإدراك عسرةَ التصوّر عند الأكثر؛ لعدم حصول الطريق المؤدّي إلى الإدراك.

بل وهذا النقل عن الفلاسفة ليس بصحيح، بل أكثر القدماء منهم قائلون بثبوتهم[٦]. ولعلّ الجاحد لهم بعض أتباع المشّــائين من البحّاثين الخالين عن الســلوك والعلوم الحقيقيّة.

[اتّفاق أرباب الملل وحكماء الإسلام على إثبات الجنّ]

نعم! جميع أصــحــاب العلوم الروحـانيّـة وأرباب الملل وحكماء الإســلام كلّهم يعترفون بوجودهم، ويســمّونها الأرواح الســفليّة. وهي وإن كانت أســرع إجابةً فهي أضعف فعلاً، والأرواح العِلويّة الفلكيّة هي أبطأ إجابةً وهي[٧] أقوى فعلاً[٨].

[اختلاف المُثبتين لهم في كونهم جسمانيّة أو روحانيّة]

واختلف المثبِتون لهم، فزعم بعضـهم أنّها ليست بأجسام حسّيّة ولا حالّة فيها، بل

---

(١) كتاب الحدود: ١٠٣

(٢) أي: قال الشيخ الرئيس.

(٣) هذا: + الاستدلال P

(٤) لأنّ: فإنّ B

(٥) شرحاً: شرح AB || B96a

(٦) بثبوتهم: بوجودهم P

(٧) وهي: _ A

(٨) فعلاً: + وأتمّ عملاً P

هي جواهر قائمة بذاتها، غير متجزّئة[١].

وقال آخرون: إنّها ليست كذلك، وإلّا لَشاركت الباري.

وهو غلط؛ فإنّ المجرّدات العقليّة مشاركة له تعالى في هذه الصفات، ولا يلزم مساواتها له في تمام الماهيّة؛ فإنّ الصفة المختصّة التي لا يشاركه[٢] فيها غيره[٣] هو وجوب الوجود لذاته[٤] مع كماليّة الذات وتماميّة[٥] وشدّة نوريّة[٦]، حتّى لا[٧] يتوهّم متوهّمٌ أتمَّ ولا أكملَ منه.

[أصناف الجنّ]

وهذه الذوات الروحانيّة والجواهر القائمة بذاتها المستغنيةُ عن الزمان والمكان[٨]، بعضها خيّرة، وبعضها شريرة، على طبقات[٩] كثيرة لا يمكن حصرها. وكذلك بعضها[١٠] حرّة[١١] كريمة محِبّة للإحسان والخيرات، وبعضها دنيئة خسيسة محِبّة للشرور والآفات.

والبشر ما داموا في عالم الغربة لا سعة لهم ولا قدرة[١٢] على حصر أنواعهم ولا معرفة أصنافهم؛ لكثرة الأنواع والأصناف[١٣] في كلّ طبقة من طبقات عالم المثال. وهي عالمة بالكلّيّات والجزئيّات على الوجه الأتمّ؛ لاتّصالها بالنفوس الفلكيّة العالمة بذلك. ويصدر عنها الخيرات، وقد يصدر عنها الشرور أحياناً عند استعداد القوابل

---

(١) A201a
(٢) يشاركه: تشاركه A
(٣) غيره: أحد P
(٤) لذاته: له AB
(٥) تماميّة: تماميّته AB
(٦) نوريّة: نورانيّته AB
(٧) لا: + يمكن أن P
(٨) المكان: + المسمّاة بالجنّ P
(٩) B96b
(١٠) بعضها: _ AB
(١١) حرّة: _ A، خيّرة B
(١٢) لا قدرة: إلّا قدره B
(١٣) الأصناف: + الحاصلة P

المســتعـدّات[١]. وتظهر في عـالمنـا هذا، ويظهر[٢] عنها أعمال كثيرة وأفعال عظيمة، وتظهر[٣] في صور وأشكال مختلفة، ولا تسمّى جنّاً.

[ظهور الأرواح السفليّة في هذا العالم]

وأمّا الأرواح السفليّة فإنّها تظهر في عالمنا هذا[٤] في صور شتّى متنوّعة، وتتفاوت[٥] في العلوم والأفعال[٦] الفاضـلة والناقصـة بحسـب وقوعها في الطبقة العُليا والسـفلى والمتوسّـطة[٧]، فيمكنها أن تسمع وتبصر وتشمّ وتذوق وتلمس وتعلم الأحوالَ الجزئيّة وتفعل الأفعالَ المخصوصة[٨].

وهي مختلفة بالنوع، فيجوز أن يصدر عنها من الأعمال الشاقّة والأفعال العظيمة ما تعجز قدرةُ البشر عن ذلك.

[مذهب الرازيّ في تعلّق الجنّ بالأجسام العنصريّة]

وذكر فخر الدين[٩] أنّه[١٠] لا يبعد أن يكون لكلّ نوع منها تعلّق مخصـوص بنوع من الأجسام[١١] العنصريّة. وقد دلّت الدلائل الطبّيّة[١٢] أنّ المتعلَّق الأوّل للنفس الناطقة ـالتي ليس[١٣] للإنسـان إلّا هيـ إنّما هي الأرواح. وقد عرفتَ في العلوم الحكميّة أنّ الأرواح أجسـام بخـاريّـة لطيفـة متولّدة من لطائف الأخلاط، وتتكوّن[١٤] في الجانب

---

(١) القوابل المستعدّات: المستعدّات لذلك P
(٢) يظهر: يصدر P
(٣) تظهر: يظهر AB
(٤) هذا: أيضاً AB
(٥) تتفاوت: يتفاوت A
(٦) العلوم والأفعال: في العلوم الكلّيّة والجزئيّة والأعمال P
(٧) المتوسّطة: المتوسّط A
(٨) المخصوصة: + في عالمنا P
(٩) التفسير الكبير: ٦٦١/٣٠
(١٠) A201b
(١١) B97a
(١٢) الطبّيّة: الظنّيّة AB
(١٣) ليس: ـ AB
(١٤) تتكوّن: يتكوّن A، يكون B

الأيسر من القلب. وبواسطة تعلّق النفس الناطقة بهذه الأرواح، تصير[١] متعلّقة بسائر أعضاء البدن السارية فيها هذه الأرواح. فكذلك أيضاً لا يبعد[٢] أن يكون لكلّ واحد من هؤلاء الجنّ والشياطين تعلّق بجزء من أجزاء الهواء، بحيث يكون ذلك الجزء هو[٣] المتعلَّق الأوّل لذلك الروح. وبواسطة سريان ذلك الهواء في جسم آخر كثيف، يحصل لذلك الأرواح تعلّق وتصرّف في تلك الأجسام الكثيفة.

[ردّ هذا القول]

ولو كان ذلك صحيحاً لَوجب أن يكون الجنّ مرئيّين دائماً، غير محتجبين عن الأبصار، كما لا تحجب الأبدان التي تعلّقت بها الأنفس الناطقة الغير المرئيّة عن الأبصار؛ لكثافة تلك الأجسام النافذة فيها الأهويةُ التي هي المتعلَّق الأوّل لأرواح[٤] الجنّ. وعدم رؤيتهم يدلّ[٥] على أنّ هذا[٦] المذهب لا حاصل له.

[مذهب القائلين بروحانيّة الجنّ]

وبعض الحكماء من الفضلاء[٧] ذكروا في تحقيق الجنّ طريقةً[٨] أُخرى، فقالوا[٩]: إنّ الأرواح البشريّة الناطقة المتعلّقة بالأبدان العنصريّة، إذا فارقت الأبدان كانت[١٠] قد ازدادت قوّةً وكمالاً، بسبب انكشاف الحقائق الروحانيّة والأسرار الربّانيّة الموجودة في ذلك العالم. فإذا اتّفق حدوثُ بدنٍ آخر غير البدن[١١] الذي كان موجوداً لتلك النفس

(١) تصير: يصير A
(٢) يبعد: + أيضاً P
(٣) هو: من AB
(٤) لأرواح: الأرواح A
(٥) يدلّ: تدلّ AB
(٦) هذا: _ AB
(٧) الحكماء من الفضلاء: الفضلاء من الحكماء P
(٨) طريقة: طريقاً AB
(٩) فقالوا: قالوا AB
(١٠) كانت: كان AB
(١١) غير البدن: مشابه للبدن P

المفـارقـة، فإنّ تلك المفارقة تتعلّق[١] بهذا[٢] الحادث، وتصـير معاونة[٣] لنفس ذلك البـدن في الأفعـال والتـدابير للمشـاكلـة الحاصـلة لتلك النفس[٤] المفارقة[٥]؛ فإنّ الجنسيّة علّة للضمّ.

فإن كان ذلك المُعين من النفوس المفارقة خيّراً، يسـمّى[٦] ملَكاً مسـدِّداً، ويسـمّى تلك الإعانة إلهاماً.

وإن كان ذلك المُعين منها شـريراً، يسمّى[٧] شيطاناً غاوياً[٨]، وسمِّيت تلك الإعانة وسوسةً.

[مذاهب القائلين بجسمانيّة الجنّ]

وقال آخرون من الحكماء: إنّهم أجسام، واختلفوا.

[مذهب القائلين باختلافها في الماهيّة]

فزعم بعضـهم أنّ تلك[٩] الأجسـام مختلفة في الماهيّة والحقيقة. <[١٠] [١١]> وإذا كان كذلك لم يوجَد مانع يمنع أن يكون بعض الأجسام اللطيفة الهوائيّة ما هو مخالف لسـائر أنواع الهواء في الماهيّة، بحيث[١٢] تكون تلك الماهيّة تقتضـي[١٣] لذاتها علماً مخصـوصـاً وقدرة مخصـوصة على أفعال عجيبة. فيكون القول بوجود الجنّ على هذا

(١) تتعلّق: يتعلّق A202a || AB
(٢) بهذا: + البدن B97b || P
(٣) تصير معاونة: يصير مغلوبة AB
(٤) النفس: النفوس AB
(٥) المفارقة: + مع ذلك البدن P
(٦) يسمّى: سمّي AB
(٧) يسمّى: سمّي AB
(٨) غاوياً: عادياً A
(٩) تلك: _ P
(١٠) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٦٩/٣ _ ٦٧٣
(١١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٢) بحيث: و P
(١٣) تقتضي: يقتضي A

التقدير ظاهراً[١]، وكذلك القول بأنّها قادرة على التشكّل بالأشكال المختلفة.

[مذهب القائلين باتّفاقها في الماهيّة]

وقال آخرون: إنّ الأجسام كلّها متساوية في تمام الماهيّة، وهؤلاء ينقسمون إلى فرقتين:

إحداهما: الذين يقولون[٢]: إنّ البُنية ليست شرطاً في الحياة[٣]، فجوّزوا قيام الحياة والعلم والقدرة والإرادة بالجزء الواحد، وهو مذهب أبي[٤] الحسن الأشعريّ وأتباعه.

و**[الثانية]**[٥]: المعتزلة، فشرطوا في حلول هذه الأشياء البُنية[٦]، وشرطوا فيها صلابة البُنية[٧]؛ ليُتصوّر قدرته على الأعمال الشاقّة والأفعال الشديدة، ولهذا أنكروا وجود الجنّ. >[٨]

[٩]< والعجب[١٠] مع تصديقهم القرآنَ والأخبار المُثبِتَين[١١] للجنّ[١٢] والملائكة كيف ينكرون الجنّ؟ مع أنّ اللّه تعالى أثبت للملائكة الأفعال الشاقّة العظيمة، والقدرةُ على الأفعال لا تثبت[١٣] إلّا في الأعضاء الكثيفة الصلبة، فيجب أن يكون الأمر كذلك في الملَك، فلا ينبغي الفرق بين الجنّ والملَك. >[١٤]

[مذهب المصنّف]

[١٥]< فكلّ[١٦] هذه المذاهب المحكيّة عن الجنّ صدرت عن غير فكر قويم[١٧]

---

(١) ظاهراً: ظاهر A
(٢) إنّ الأجسام ... يقولون: _ AB
(٣) في الحياة: للحياة P
(٤) أبي: أبو AB
(٥) الثانية: أمّا AB
(٦) البنية: البيّنة B
(٧) البنية: البيّنة B
(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٦٧٥ _ ٦٧٦
(٩) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٠) العجب: + أنّ هؤلاء المعتزلة P
(١١) المثبتين: المثبتة P
(١٢) للجنّ: الجنّ A || B98a
(١٣) تثبت: يثبت A
(١٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٦٧٨
(١٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٦) فكلّ: وكلّ AB
(١٧) قويم: قديم B

ونظر مستقيم، بل عن أوهام[(١)] وخيالات فاسدة[(٢)].

فالمذهب الحقّ فيها وفي باقي الأسامي ـ من الشياطين[(٣)] والعفاريت والغول ـ مذهب السُلّاك المرتاضين[(٤)] من الفلاسفة المتألّهين والفضلاء المتأخّرين، أنّهم كلّهم من النفوس الناطقة البشريّة المفارقة لأبدانها؛ فإنّ النفوس إذا فارقت أبدانها[(٥)]، وكانت قد حصّلت الكمالات العقليّة التامّة، والملَكات الفاضلة، والأخلاق الجميلة، والمكاسب الحميدة علماً وعملاً، تجرّدت[(٦)] عن الموادّ الجسمانيّة بالكلّيّة، بل وعن الصور المثاليّة، وتتّصل بعالم العقل المحض والنور المجرّد الصرف، مجاورة للملأ الأعلى والنور الأبهى، متلذّذة بمشاهدة العلّة الأُولى ومسرورة بالبهجة العظمى أبد الآبدين ودهر الداهرين، ﴿لا يَمَسُّهُمْ فيها نَصَبٌ وَما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجينَ﴾[(٧)]. فهؤلاء[(٨)] قد وقعوا في أجلّ مراتب الكمالات النفسانيّة[(٩)] وأعلى المقامات الروحانيّة العقليّة.

وإن كانت[(١٠)] قد[(١١)] حصّلت بعض الكمالات والملَكات الجميلة دون البعض، أو كانت أخلاقها حميدة إلّا أنّها خالية عن الكمالات العلميّة، فتكون[(١٢)] بعد المفارقة متوسّطة[(١٣)] في السعادة الأُخرويّة، فأمثال هذه النفوس تتعلّق[(١٤)] بالعالم المثاليّ[(١٥)] الذي [مظاهره][(١٦)] الأفلاك والكواكب، وتتلذّذ[(١٧)] بأنواع من اللذّات المثاليّة الجسميّة[(١٨)]

---

(١) أوهام: + كاذبة A202b || P
(٢) فاسدة: + لا حاصل لها P
(٣) الشياطين: + المردة P
(٤) المرتاضين: المرتاضون AB
(٥) أبدانها: لأبدانها AB
(٦) تجرّدت: فإنّها تتجرّد P
(٧) القرآن الكريم: ٤٨/١٥
(٨) فهؤلاء: وهؤلاء AB
(٩) B98b
(١٠) كانت: كان B
(١١) قد: _ AB
(١٢) فتكون: فيكون AB
(١٣) متوسّطة: متوسّط A
(١٤) تتعلّق: معلّقون A، يتعلّقون B
(١٥) المثاليّ: المثال A
(١٦) مظاهره: مظاهرها ABP
(١٧) تتلذّذ: يتلذّذون AB
(١٨) الجسميّة: الجسمانيّة P

وأصــنــاف من المســرّات الروحانيّة، كما جاء[١] ذلك في الكتب المُنزَلة والصــحف المُشـرَّفة النازلة على الأنبياء والرسُـل ـعليهم السلامـ، من المآكل المتنوّعة المُلذّة، والفواكه المختلفة المُبهِجة، والمشـارب العَذبة الحُلوة، والمناكح الطيّبة المشتهاة من الحور والولدان والروح والريحان[٢]، وتلك ألذّ وأبهج وأسرّ ممّا عندنا.

وإن فـارقـت خـاليةً من العلوم الحقيقيّة، منتقشــةً[٣] بما يضــادّها من الاعتقادات الرديئة[٤] والأخلاق السيّئة، فإنّها بعد المفارقة[٥] تتعلّق[٦] ببدن من[٧] أبدان الحيوانات الأرضيّة، بحسب ما يقتضيه الأخلاق المكتسبة في الحياة الدنيا.

فـأوّل[٨] مـا تتعلّق[٩] بـالحيوان الذي فيه الخُلق الغالب على تلك النفس المفارقة. فـإن كـان التكبّر[١٠] والقهر والاســتيلاء والغلبـة هو الغالب على النفوس، كما لنفوس الملوك والسـلاطين وقادة الجيوش وأمثالهم من الناقصـين، فتتعلّق بالسـباع الضـارية والأُســود القاتلة[١١]. ويختلف تعلّقها[١٢] في أنواع الســباع بحســب قوّة ذلك الخُلق الغالب وضعفه. وتسمّى النفوس المتعلّقة بهذه الأنواع أبالسة وشياطين[١٣] ومَرَدة.

وإن كان الغالب هو الشـرارة والأذيّة[١٤]، فتتعلّق[١٥] بأبدان الكلاب الشديدة الشرّ أو الضعيفة، بحسب غلبة الشرّ وضعفه في تلك النفوس، وهي[١٦] أيضاً شياطين.

---

(١) جاء: جاز B
(٢) الريحان: الروحان AB
(٣) منتقشة: منتقش A
(٤) A203a
(٥) المفارقة: + البدنيّة P
(٦) تتعلّق: يتعلّق A
(٧) ببدن من: ببعض P
(٨) فأوّل: وأوّل AB
(٩) تتعلّق: يتعلّق AB
(١٠) التكبّر: الفكر AB
(١١) القاتلة: الهائلة B، الهاتكة P
(١٢) B99a
(١٣) شياطين: الشياطين A
(١٤) الأذيّة: الأضرّيّة AB
(١٥) فتتعلّق: فيتعلّق A
(١٦) هي: هم AB

وإن كان الغالب هو الشَـرَه[١] والشَبَق[٢] والميل إلى المطاعم والمشارب والمناكح، فتتعلّق بأبدان الخنازير والعصافير والبهائم، بحسب اختلاف تلك القوّة.

وعلى هذا القياس تتعلّق بباقي[٣] أبدان الحيوانات البحريّة والبرّيّة والهوائيّة.

فـإذا[٤] تعلّقـت النفوس النـاطقة بهذه الأبدان الحيوانيّة، وتعذّبت بســببها[٥] زماناً طويلاً أو قصــيراً[٦] في أبـدان متنوّعـة، بحيث زالت أكثر الأخلاق الذميمة، وبقي من تلك الآثار شــيء يقتضــي أن لا يتعلّق ببدنٍ حيوانيٍّ حسّــيٍّ آخر[٧]. وهي غير مستعدّة للوصــول إلى عــالم المثُـل الشــريفـة التي مظهرهـا العـالـم العِلويّ الفلكيّ، فتتعلّق بالضرورة بالعالم المثاليّ الأسفل[٨] [الذي مظهره][٩] عالم[١٠] العناصر والمركّبات.

فكلّ[١١] نفس حصــلت في هذا العالم المخصــوص تُســمّى[١٢] جنّاً وشــياطين وعفاريت وغولاً وغير ذلك[١٣].

فإن كانت النفوس الحاصلة في هذا العالم خيّرة مؤمنة صالحة، فهم الجنّ الصلحاء والمؤمنون، وهم قليلو الشـرّ، قلّ أن يتأذّى بهم نوع البشـر. ومظاهر هؤلاء ومســاكنهم أصفى، ولذّاتهم أشرف وأكمل وأتمّ من غيرهم.

وإن[١٤] كـانـت تلك النفوس متمرّدةً، شــديدةَ الشــرّ، قويّةَ الإغواء والرداءة، كثيرةَ الإساءة إلى بني آدم، فيُسمّون بهذا الاعتبار شياطين ومَرَدة.

---

(١) الشره: غلبة الحرص. (لسان العرب)
(٢) الشبق: شدّة الغُلمة. (نفس المصدر)
(٣) تتعلّق بباقي: يتعلّق بها في A
(٤) فإذا: وإذا AB
(٥) بسببها: بسيّئها A
(٦) قصيراً: + أو AB
(٧) آخر: ـ AB
(٨) الأسفل: السفليّ AB
(٩) الذي مظهره: التي مظهرها ABP
(١٠) عالم: + السفليّ AB
(١١) فكلّ: وكلّ B
(١٢) تسمّى: ـ AB
(١٣) A203b
(١٤) B99b

والشيطان في اللغة كلّ متمرّد بعُد[١] عن طاعة اللّه تعالى.

وأمّا العفريت فإنّه الفاسق[٢] من الجنّ، المقتدرُ على الأعمال الشاقّة العظيمة، كما جاء في التنزيل: ﴿قالَ عِفْريتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتيكَ بِهِ﴾[٣].

وأمّا الغيلان فنوع من الجنّ يظهرون في المفاوز والقفار على مظاهر هائلة، فيكون أرجلهم كأرجل الحمار[٤].

ويجوز أن ينتقل بعض النفوس من أوّل وهلة إلى هؤلاء[٥] الجنّ، من غير أن ينتقل إلى شيء من أبدان[٦] هذه الحيوانات الأرضيّة؛ لأنّ الهيئات البدنيّة التي لهم لا تقتضي[٧] التعلّقَ بالحيوانات الأرضيّة، بل المثاليّة.

[تفصيل الكلام في أصناف الجنّ وأحوالهم]

واعلَم أنّ الجنّ خلقٌ كثير، وأُممٌ عظيمة، وقبائل وشعوب وعساكر[٨] لا يعرفهم على التفصيل إلّا اللّه تعالى والمقرّبون إليه. ومنهم[٩] مسلمون، ويهود، ونصارى، ومجوس، وعُبّاد أوثان، ومشركون[١٠]. وبالجملة كلّ ما[١١] هو عندنا من الأديان والملل والأحوال، فهو عندهم على الوجه الأكمل؛ فإنّ الذي عندنا أُنموذج وخيال ممّا هو عندهم. فالنفس المفارقة تبعث[١٢] في هذا العالم على الهيئة النفسانيّة التي كانت عليها في الحياة الدنيا، من الإسلام والتهوّد[١٣] والتنصّر وغيرها من الأديان والمذاهب والأحوال

---

(١) بعد: بعيد P
(٢) الفاسق: الفائق P
(٣) القرآن الكريم: ٣٩/٢٧
(٤) الحمار: الحمير P
(٥) هؤلاء: هواء B
(٦) أبدان: الأبدان A
(٧) تقتضي: يقتضي AB
(٨) عساكر: عشائر P
(٩) ومنهم: فيهم P
(١٠) أوثان ومشركون: الأوثان والمشركون P
(١١) كلّ ما: كلّما AB
(١٢) تبعث: تنبعث AB
(١٣) التهوّد: اليهوديّة P

الموجودة للجنّ في ذلك العالم. وبعض علماء الإسلام يقول بهذا، كالحسن البصريّ وغيره[١]. وهذه الأحوال حاصلة لهم من الهيئات الحاصلة في الحياة الدنيا. فكلّ نفس جنّيّة[٢] تنجذب إلى ما شاكَلها وناسَبها[٣].

وفيهم[٤] الصالحون والطالحون، كما[٥] قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾[٦]. وفيهم العلماء، والحكماء، والأطبّاء، وأهل الأرصاد، والمنجّمون، والمهندسون، وأصحاب سيمياء وكيمياء، و[٧] فقهاء ومفتون على جميع المذاهب، و[٨] زُهّاد، وعُبّاد، وأهل المعرفة، وأُمراء، وقُوّاد[٩] وملوك، على قياس ما كانوا عليه في الدنيا.

ولهم الأسماء والألقاب والكُنى والانتساب إلى[١٠] الأماكن والبلاد، كأبي إسرائيل[١١] الحميريّ، وقيس[١٢] بن مروان، وكثير بن ميمون، وصالح بن النعمان. وهؤلاء أعوان الملك أبي إسرائيل، وله إخوان أُخرى، كأبي محمّد الخليفة، وأخيه دُهَيش وميمون وحِندِس وينكل[١٣]، والمِلك الأحمر والأصفر والأخضر والأسود. وكلّ مِلك وأمير له من الأتباع أُناس كثير، وله اسم معيّن[١٤]، ونسبة إلى إقليم أو بلد أو مدينة أو[١٥] بقعة أو[١٦] أُمّة إلى غير ذلك.

---

(١) والمذاهب والأحوال ... غيره: ــ AB
(٢) جنّيّة: خبيثة AB
(٣) ما شاكلها وناسبها: مشاكلها وتأسّيها A
(٤) وفيهم: فمنهم AB
(٥) A204a
(٦) القرآن الكريم: ١١/٧٢
(٧) و: + فيهم P
(٨) و: + كذلك فيهم P
(٩) قوّاد: فؤاد B
(١٠) الانتساب إلى: الأنساب و AB
(١١) كأبي إسرائيل: ومنهم بني إسرائيل و AB
(١٢) قيس: قفس P
(١٣) ينكل: سكل A؛ شكل B
(١٤) وله اسم معيّن: ــ AB
(١٥) أو: و AB
(١٦) أو: و AB

وبين بعض القبائل و[١] المذاهب[٢] اختلافٌ وعداوةٌ وحروبٌ. وبالجملة[٣] الأحوال التي توجَد عندنا، توجَد عندهم[٤].

وهؤلاء[٥] الجنّ يترقّون من أنواع الكمالات، ويكسبون[٦] في عالمهم أصناف السعادات، فيخلصون إلى طبقات عالم المثال الأفضل على التدريج والترتيب التي مظاهرها العِلويّات الفلكيّة، مع الإقامة في كلّ طبقة زماناً طويلاً أو[٧] قصيراً، إلى أن ينتهوا[٨] إلى أعلى طبقات عالم المثال، فيُقيمون فيها زماناً طويلاً. ثمّ يترقّى[٩] مَن استعدّ منهم إلى العالم العقليّ والصُقع اللاهوتيّ. وذلك الترقّي[١٠] إنّما يكون عند استعداد نفس المترقّي[١١]، و[١٢] عند عدم[١٣] الاستعداد يخلد في بعض الطبقات.

والنفوس الناطقة المفارقة لأبدانها، التي قد حصّلَت بعض الملَكات الجميلة، واكتسبَت بعض الاكتسابات الحسنة[١٤]، وتجرّدت بعضَ التجرّد، ولم تحصل ملَكة الوصول إلى العوالم المثاليّة[١٥] التي مظاهرها العوالم النوريّة أو الفلكيّة، يخلصون إلى عالم المثال [الذي مظاهره][١٦] العناصر ومركّباتها. فيصيرون جنّاً وشياطين وعفاريت، وغير ذلك من أصناف الجنّ وأنواعهم على حسب استعدادهم، ويقيمون هناك إلى أوان حصول استعداد الارتقاء عنه إلى ما فوقه من العوالم العقليّة والمثاليّة.

---

(١) القبائل و: ـ A

(٢) المذاهب: + والأديان اتّفاق و P

(٣) بالجملة: جميع P

(٤) عندهم: عنهم AB

(٥) هؤلاء: + القبائل A

(٦) يكسبون: يكتسبون P

(٧) أو: و AB

(٨) إلى أن ينتهوا: حتّى تنتهي AB

(٩) يترقّى: تترقّى A، يترقّ P

(١٠) الترقّي: + من طبقة إلى طبقة أعلى P

(١١) الحسنة: الحسّيّة AB

(١٢) و: + إلّا P

(١٣) B100b

(١٤) الحسنة: الحسّيّة AB

(١٥) A204b

(١٦) الذي مظاهره: التي مظاهرها ABP

وإن لم يكن لها استعداد الترقّي، خلدَت في هذا العالم الذي هو عالم الجنّ والشياطين. ولهم في هذا العالم أحوال جسمانيّة نافعة وضارّة ـ كالصحّة[١] والمرض، والخوف والفزع، والغم والهمّ، والحزن والفرح، والحياة والموت ـ، وأحوال نفسانيّة توجب الاستكمال تارةً في درجات الكمال، وتارةً أُخرى في مراتب النقص في أنواع الشقاوات.

ويزعم[٢] أهل[٣] الهند أنّهم بعد المفارقة يصيرون جنّاً، يسكنون تحت فلك القمر، لا سبيل لهم إلى الصعود إلى ملكوت السماوات.

ولا يبعد أن يكون قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾[٤] (الآية) إشارةً إلى هؤلاء وغيرهم من الجنّ الساكنين تحت فلك القمر؛ لأنّ عظماء الجنّ والعفاريت يرومون الترقّي[٥] إلى ملكوت السماوات، والقرب منها، والتجسّس[٦] على ما هناك من الغرائب العلميّة والعجائب الكونيّة، ويشتاقون إلى علمها قبل وقوعها[٧]، فيُمنَعون من[٨] ذلك، وتحرق أجسامُهم الشبحيّة بشهاب[٩] روحيّ أو شهاب[١٠] جسميّ؛ فإنّ النفس الروحانيّة لا يمكن أن تعدم أو تحرق[١١].

وقوله تعالى: ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[١٢] إشارة[١٣] إلى الأنفس المحصِّلة للكمالات العقليّة اللائقة[١٤] بالاتّصالات

---

(١) كالصحّة: بالصحّة AB
(٢) يزعم: تزعم AB
(٣) أهل: بعض حكماء P
(٤) القرآن الكريم: ٩/٧٢
(٥) B101a
(٦) التجسّس: + والتحسّس P
(٧) قبل وقوعها: ـ AB
(٨) من: عن P
(٩) بشهاب: شهاب A
(١٠) شهاب: بشهاب P
(١١) تحرق: تخرق A
(١٢) القرآن الكريم: ٣٣/٥٥
(١٣) إشارة: الإشارة A
(١٤) اللائقة: اللائق P

بـالعوالم العِلويّـة الفلكيّة، عند حصـول السـلطان الذي هو تكميل القوى العقليّة[١] وتحصيل[٢] الاستعدادات النفسانيّة؛ فإنّ عند ذلك يتمكّن النفوس من النفوذ في أقطار[٣] السـماوات والأرض، وتصير هذه الأجرام مرايا تتمكّن[٤] بها من الالتذاذ والفرح والسرور في العالم الأوسط المثاليّ.

ولا يبعد أن يكون الرُّقي[٥] والعزائم والخواصّ الطلسـميّة[٦] والسـحريّة وغير ذلك ممّا يناسبه، تقتضي[٧] إحراق الصورة المثاليّة التي تعلّقت بها أرواح الجنّ أو[٨] مظهره، ويظهر بعد ذلك في صورة أُخرى، ويحصل لهم بسبب ذلك آلام.

وأكثر مظـاهر الجنّ في المواضـع الخـاليـة ـكـالبراري، والقفار، وبطون الأودية، ورؤوس الجبال، والآجام، والمَغارات ـ.

وقـد يختصّ الظهور بمواضـع[٩] معيّنـة من الأرض؛ لمنـاسـبة[١٠] لهم إلى تلك الأرض. فيظهرون فيهـا أحيـانـاً يتحـدّثون[١١]، ويقرؤون الكتـب المُنزَلة وكتب العلوم، ويُنشـدون الأشـعار، ويلعبون ويغنّون[١٢] ويطربون ويرقصـون، على[١٣] ما يقتضـيه أحوالهم[١٤]. فيكون تلك الأرض ـ لكثرة ظهورهم فيها ـ مساكن لهم، حتّى أنّهم يؤذون من يُنجّسها ويُسيء الأدبَ فيها أو يسكنها، وقد يحاربون أعداء أرباب تلك الأرض.

وقـد يظهرون في بعض المواضـع بسـبب نبيّ أو وليّ، كما جاء في الروايات من

---

(١) العقليّة: الفلكيّة AB
(٢) تحصيل: يحصل A، تحصل B ‖ A205a
(٣) أقطار: أقطاره A
(٤) تتمكّن: يتمكّن AB
(٥) الرقية: العُوذة. (لسان العرب)
(٦) الطلسميّة: الجسميّة AB
(٧) تقتضي: يقتضي AB
(٨) أو: وإحراق P
(٩) بمواضع: مواضع A
(١٠) لمناسبة: المناسبة AB
(١١) B101b
(١٢) يلعبون ويغنّون: يلقبون ويعنون A
(١٣) على: + حسب P
(١٤) أحوالهم: أحوال أُولئك الجنّ P

ظهورهم على يدي النبيّ وعليّ ـعليهما السلامـ. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾[١]، وغير ذلك.

ومحاربة عليّ ـعليه السلامـ للجنّ مشهورة[٢]، لا يمكن [ردّها][٣].[٤]

وظهور الثُعبان له على منبر الكوفة ممّا وردت الأخبار الصحيحة. ولمّا سئل ـعليه السلامـ عن ذلك قال: هو ملِك من ملوك الجنّ، استشكل عليه مسألة، فجاء يسألني عنها[٥].[٦]

وحديث أبي[٧] دُجانة الأنصاريّ مع الجنّيّ[٨] في صحن داره[٩]، وحرز النبيّ الذي كتب لأبي دُجانة، مشهور.[١٠]

وقد يكثر[١١] ظهورهم في بعض المواضع من الأرض، وبعض أزمان السنة، وأكثر ما يكون ذلك ليلاً. كما يُقال: إنّهم يظهرون كثيراً بمدينة دربند وميانه، وفي دركو من بلاد فارس، وفي أرض سبأ و[مأرِب][١٢] من أرض اليمن، وغير ذلك من ينال وأرض وبار التي حمَتها[١٣]، وتلك الأرض لا يسكنها أحد من خوفهم. إلى أمثال ذلك من بقاع الأرض الكثيرة[١٤]؛ لمناسبة كلّ طائفة منهم إلى أرض معيّنة، ولخواصّ[١٥] فلكيّة

---

(١) القرآن الكريم: ٤٦/٢٩؛ وانظر تفسيره في: تفسير القمّيّ: ٢/٢٩٩؛ التبيان: ٩/٢٨٤

(٢) مشهورة: مشهور B

(٣) ردّها: ردّه AB

(٤) مناقب آل أبي طالب: ٢/٣٠٨

(٥) ومحاربة عليّ ... عنها: ـ P

(٦) الإرشاد: ١/٣٤٩؛ عيون المعجزات: ١٣؛ روضة الواعظين: ١/١١٩؛ إعلام الورى: ١/٣٥١

(٧) أبي: أبا AB

(٨) الجنّيّ: الجنّ A

(٩) A205b

(١٠) دلائل النبوّة: ٧/١١٨

(١١) يكثر: تكثر B

(١٢) مأرب: ماروت AB، مآرب P

(١٣) من ينال ... حمتها: ـ AB

(١٤) B102a

(١٥) لخواصّ: بخواصّ A

لا يطّلع عليها إلّا نفوس[١] سُكّان تلك النواحي، فلها علاقة بها وشوق إليها.

وللعرب في الجنّ[٢] كلام كثير، وحكـايات كثيرة قبل ظهور الإسـلام، حتّى أنّهم يقولون: إنّ منهم من هو على صورةِ نصفِ[٣] إنسانٍ يسمّونه شقّاً[٤]، وكانوا يظهرون لهم في أسفارهم وخلَواتهم[٥]. >[٦]

[٧]< والسِعلاة وصَفها بعضهم، فقال:

وحـافر العَير فـي [ساقٍ][٨] خَدَلَّجةٍ ... وجَفن عينٍ خلاف الإنس في الطول[٩]

والقُطرُب والغيلان[١٠] نوعان آخران من الأنواع الشـيطانيّة[١١]، يُعرفان بهذا الاسـم. والغيلان[١٢] يظهر في أكنـاف اليمن وتهـامـة وأعـالي صـعيـد مصـر، وقد يلحق[١٣] الإنسـان[١٤] أحياناً، فيدعوه إلى مباضـعته[١٥]. فإذا فعل سـمّي منكوحاً، وإلّا سـمّي [مـذعوراً][١٦]. ويداينون[١٧] من المنكوح، ويسـكن المذعور[١٨] ويشـجع. وذلك أنّ الإنسان إذا عاين ذلك[١٩] سقط مَغشيّاً عليه، إلّا[٢٠] أن يكون رجلاً شجاعاً قويّ القلب،

---

(١) إلّا نفوس: ولأنّها AB

(٢) الجنّ: + والغيلان P

(٣) صورة نصف: نصف صورة P

(٤) شقّاً: شقّ AB

(٥) خلواتهم: + والسِعلاة AB

(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٨٠/٣ ـ ٦٨٩

(٧) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.

(٨) ساق: ساقي ABP

(٩) لم أعثر على قـائله، وذكره الجاحظ في: الحيوان: ٤٢٦/٦

(١٠) الغيلان: الغيدان B، الغدار P

(١١) الشيطانيّة: المتشيطنة P

(١٢) الغيلان: الغيدان B، الغدار P

(١٣) يلحق: ألحق A

(١٤) الإنسان: ـ AB

(١٥) مباضعته: مباضعه AB

(١٦) مذعوراً: مدعوراً AB، مدغوراً P

(١٧) يداينون: يداسّون AB

(١٨) المذعور: المدعور P

(١٩) ذلك: + و A

(٢٠) إلّا: ـ A

فلا يكترث[١] به، وهكذا[٢] مشهور في البلاد المذكورة.

ولو حكينا ما شاهَده الخلق من أصناف الجنّ وأنواع الشياطين، لَطال ذلك؛ فإنّ أكثر الخلق يُقرّون بوجودهم، إمّا بمشاهدة أو سماع[٣].

والعجب من المعتزلة، كيف أنكروا ذلك مع اعتقادهم بصحّة القرآن وصدق الخبر المتواتر[٤]؟ والقرآن مشحون بذكر[٥] الجنّ والإخبار[٦] بصحّة وجودهم.

وقد كان كثيراً[٧] من أنبياء بني إسرائيل يقدرون على إحضارهم واستخبارهم عمّا يريدون من أنواع العلوم وأصناف الأغراض، وإحضار ما يريدون إحضارَه من البلاد البعيدة[٨]. وتسخيرُ سليمان بن داوود ـ عليهما[٩] السلام ـ الجنَّ واستخدامُهم مشهورٌ مذكورٌ في الكتاب العزيز[١٠].

وأهل[١١] العلوم الروحانيّة إذا سخّروا[١٢] روحاً[١٣] من الأرواح الجنّيّة[١٤] باسم أو عمل أو بصنعة خاتم أو طلسم من الطلسمات، فإنّه يلازمه ويخدمه ويأتيه بأنواع الأطعمة والأشربة والملابس وسائر المشتهيات؛ لمناسبة روحانيّة وهيئات فلكيّة لا يطّلع عليها أكثر البشر. وقد بلغنا[١٥] من هذا القبيل عجائب لا يحتمل هذا الكتاب إيرادها[١٦].

---

(١) يكترث: تكثّرت AB
(٢) هكذا: هذا P
(٣) سماع: بسماع P
(٤) المتواتر: التواتر P
(٥) بذكر: بحكايات P
(٦) الإخبار: الأخبار P ‖ B102b
(٧) A206a
(٨) البعيدة: النائية في الزمان اليسير P
(٩) عليهما: عليه B، عليها P
(١٠) القرآن الكريم: ٨٢/٢١، ١٧/٢٧ و٣٩، ٣٧/٣٨ ـ ٣٨
(١١) أهل: بعض أرباب P
(١٢) سخّروا: تسخّروا A
(١٣) روحاً: أرواحاً AB
(١٤) الجنّيّة: الجنّ Ac
(١٥) بلغنا: بلغتُ P
(١٦) إيرادها: إيراده P

وكلّ قوم من[1] الجنّ يلائمهم موضع معيّن، ولهم علوم مخصوصة يتلذّذون بها، وكلام وأدعية ورُقي وعزائم وأدخنة وبخورات؛ لمناسبة بينهم وبين هذه الأشياء، ويتضرّرون بغير ذلك ممّا لا يناسبهم.

والطبقة السافلة من العالم المثاليّ هي التي يسكنونها، ويسكنها الشياطين والمَرَدة والعفاريت والأبالسة والغول وغير ذلك. وهو عالم عظيم وصُقع فسيح، لا نسبة له إلى هذا العالم الذي نحن فيه. ويتفاوت طبقاته وطبقات سُكّانه ومراتبهم[2].

وفيهم دُعاة إلى الخير والصلاح[3]، وآخرون دُعاة إلى الشرّ[4] والفساد.

ولا يبعد أن يرسل إليهم رسُل وأنبياء يشرعون لهم شرائع تكون[5] لصلاح دنياهم وأُخراهم[6].

[جواز حصول نفوسهم من فيض العقل دون الانتقال من الأبدان البشريّة]

ولا يبعد أن يكون بعض نفوسهم غير منتقلة من الأبدان البشريّة، بل تكون[7] حاصلة من فيض العقل؛ لاستعداد[8] يحصل للأشباح المثاليّة بسبب حركات[9] الأفلاك المثاليّة، بل القواعد الحكميّة تقتضي[10] ذلك.

بل ولا يبعد[11] أن يكون في كلّ طبقة من طبقات عالم المثال نفوس كثيرة من فيض بعض العقول لا تكون منتقلة من الأبدان البشريّة، بل تكون حاصلة ابتداءً في جميع

---

(١) من: + هؤلاء P
(٢) B103a
(٣) الصلاح: + والعلوم الحكميّة وغيرها P
(٤) الشرّ: الغيّ P
(٥) تكون: + سبباً P
(٦) أُخراهم: آخرتهم A
(٧) تكون: يكون AB
(٨) لاستعداد: الاستعداد A
(٩) حركات: حركة P
(١٠) تقتضي: يقتضي AB
(١١) A206b

طبقات عالم المثال من فيض العقول[١] الفعّالة على الأبدان المثاليّة المستعدّة لذلك، وتكون النفوس المُفاضة[٢] على أبدان الطبقة العُليا أفضل وأنور من النفوس المُفاضة[٣] على أبدان غيرها من الطبقات؛ لأنّ الاستعداد في كلّ ما علا[٤] من الطبقات العُليا أتمّ وأكمل من استعداد غيرها؛ فإنّ وجود المبدأ الأوّل وكماليّته وتماميّته وشدّة قوّته ونوريّته الغير المتناهية يقتضي أن يكون الفيض العقليّ والعطاء القدسيّ غير متناهٍ، وأن يكون الرحمة الإلهيّة عامّة غير مختصّة بعالم دون عالم، بل مهما حصل[٥] الاستعداد المخصوص حصل الفيض العقليّ والجسميّ[٦].

وإذا كان العالم الحسّيّ ـمع خسّته ونقصهـ عند[٧] الاستعداد التامّ يفاض عليه الفيض النفسيّ والجسميّ والعرضيّ، فلأن يكون طبقات العوالم المثاليّة الروحانيّة التي هي أشرف وأتمّ وأكمل أولى لقبول[٨] الفيض الجديد العقليّ والمثاليّ؛ فإنّ النفس غير منطبعة في البدن ولا حالّة فيه، بل متعلّقة به تعلّقَ[٩] شوقٍ وعشقٍ[١٠] بسبب جسم لطيف روحانيّ هو[١١] الروح الحيوانيّ والنفسانيّ، وهذا المعنى موجود في العوالم المثاليّة على وجه أتمّ وأفضل، فلا يستبعد[١٢] قبولها الفيضَ[١٣] العقليّ الجديد. ثمّ استكمالها بسبب تلك الأجسام المثاليّة في سائر أصناف درجات الاستكمال، حتّى تنتهي[١٤] إلى الغاية القُصوى.

---

(١) لا تكون منتقلة ... العقول: ـ AB
(٢) المفاضة: الفيّاضة AB
(٣) المفاضة: الفيّاضة AB
(٤) علا: على AB
(٥) حصل: ـ AB
(٦) الجسميّ: الحسّيّ A
(٧) عند: عن AB
(٨) لقبول: بقبول A
(٩) B103b
(١٠) عشق: + وذلك P
(١١) هو: يسمّى بـP
(١٢) يستبعد: تستبعد AB
(١٣) الفيض: للفيض P
(١٤) تنتهي: ينتهي AB

فـالمجرّدات التي تتعلّق[١] في كلّ طبقة من طبقات عالـم المثال، تكون[٢] دائماً في الاكتســاب والترقّي من طبقـة إلى أُخرى، حتّى تدخل بعد الأزمان الطويلة[٣] والمُدَد المتباعدة في عالم العقل المحض، عند[٤] حصـول الاسـتعداد اللائق بها. وبعضها لا يكون له شوق إلى عالم[٥] العقل، فتخلد في بعض الطبقات[٦].

وطبقـات عالم المثال وإن تناهت[٧] في الطول ـ لوجوب تناهي عللها[٨] العقليّة ـ، لكنّهـا غير متنـاهيـة في العرض؛ لازدياد تلك الأجســام المثاليّة والمظاهر الشــبحيّة وهيئاتها، ووجوب الفيض عليها بواسطة[٩] الاستعداد الغير المتناهي.

والأفلاك ـ لصـفائها ولطافتها وشـفيفها وصقالتها ـ تصلح أن تكون مظاهر لأشباح عـالم المثـال، ولِمـا تعلّق بـه من الأرواح. فـالأجرام الفلكيّة تكون مظاهر النفوس[١٠] النـاطقة المتوسّــطة في السـعادة، ومرايا تظهر[١١] بســببها[١٢] في بعض طبقات عالم المثال، ويحضر[١٣] عندها حينئذٍ جميع اللذّات وأنواع الفرح والمسرّات. >[١٤]



---

(١) تتعلّق: يتعلّق AB

(٢) تكون: يكون AB

(٣) الطويلة: المتطاولة P

(٤) عند: ولكن ذلك بعد P

(٥) A207a

(٦) الطبقات: + أبداً P

(٧) تناهت: وجب تناهيها P

(٨) عللها: عليها A

(٩) عليها بواسطة: عند حصول P

(١٠) النفوس: للنفوس P

(١١) تظهر: تطهر B

(١٢) بسببها: بشفيفها P

(١٣) يحضر: يحصر B

(١٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٩٢/٣ ـ ٦٩٧

[الفصل السادس عشر: في الاشتراك والافتراق بين النبوّة والولاية]

[الاشتراكات بينهما]

واعلَم أنّه لا بدّ في إتمام بحث النبوّة من زيادةِ **كشفٍ** بحال[١] **النبوّة والولاية**[٢]، وتحقيق الفرق بينهما، وحقيقة ما **يشتركان** فيه وما يفترقان به، ممّا هو جامع بينهما وما هو مميّز بين كلّ منهما.

[تحصيل العلم من غير كسب]

وذلك أنّهما يشتركان **في تحصيل العلم من غير كسبٍ؛** فإنّ كلّ واحد منهما ـ من النبيّ والوليّ ـ لا بدّ وأن يكون كاملاً في صفة العلم، وارتسامِ صور المعقولات، وانكشافِ جميع الحقائق بطريق الكشف الإشراقيّ الحاصل عن استعداد النفس بالمجاهدات الرياضيّة الحاصلة لها، إمّا طبعاً أو كسباً[٣]، فيطّلع بذلك على العوالم، و[يُسري بنفسه][٤] في طبقات عالم المثال ومظاهرها الفلكيّة وغيرها، و[يخرق][٥] الحُجُب النوريّة إلى الأنوار الإلهيّة، فيفوز بسناء المجد وبهاء العزّة. فيكافح[٦] الأشياء مكافحةً، ويشاهد الحقائق معاينةً، من غير[٧] [كسبٍ][٨]، أو تعب فكريّ أو خياليّ، أو احتياج إلى معلّم، بل ذلك حاصل له[٩] بواسطة صقالة مرآة نفسه، ومقابلتها[١٠] لجميع الصور المعقولة الكلّيّة والجزئيّة.



---

(١) بحال: محال A
(٢) B104a
(٣) كسباً: كسبيّاً A
(٤) يسري بنفسه: تسري نفسه AB
(٥) يخرق: تخرق AB
(٦) فيكافح: فيكافحه B
(٧) غير: كدّ A
(٨) كسب: كسبيّ AB
(٩) ذلك حاصل له: حاصل له ذلك B
(١٠) مقابلتها: مقابليّتها A

[فعل الخوارق بالهمّة]

وكذلك يشتركان أيضاً في فعل الخوارق بالهمّة؛ فإنّهما بسبب الاشتراك[١] في مشاهدة الأنوار وخرقِهما لجميع العوالم وارتقائِهما[٢] إلى أعالي العوالي، تصيران بسبب الاتّحاد التجرّديّ والاتّصال النسبيّ متساويَين في قوّة النفس وقدرتها على التأثير والتصرّف في مادّة العالم؛ فإنّ الحديدة المُحماة بالنار تفعل أفعالاً[٣] مناسبة لأفعال النار بسبب مجاورتها لها، فكيف بنفسٍ تخلّقت بأخلاق البارئ[٤]، واتّصلت[٥] بمقرّبي[٦] حضرته والقدّيسين من أُولي بريّته؟ فيُطيعها[٧] مادّةُ العالم [بجملتها][٨]، فيتصرّفون[٩] فيها، فيفعلون الأفعال[١٠] الخارقة للعادة بتوجّه[١١] أنفسهم إلى ما يريدون فعله، فيتأثّر عنهم بذلك التوجّه والعزم والهمّة الجازمة، فيفعلون **في ما لم يَجرِ**[١٢] **العادة بفعله إلّا بالقوّة الجسمانيّة.**

وذلك لأنّ أنفسهم بالنسبة إلى جملة العالم كالنفس له، فيكون جميعه[١٣] [مطيعاً][١٤] لهم كطاعة أبدانهم الخاصّة لأنفسهم. ولهذا سمّاهم بعضُ أصحاب هذه الطريقة بالنفس الكلّيّة، بسبب تعلّقها بجميع النفوس وأبدانها. وتصرّفهم فيها بدون

---

(١) A207b
(٢) ارتقائهما: ارتعادهما A
(٣) أفعالاً: انفعالاً A
(٤) بأخلاق البارئ: بأفعال الناريّ A
(٥) B104b
(٦) اتّصلت بمقرّبي: تقرّبت A
(٧) فيطيعها: فتطبعها A
(٨) بجملتها: بجملته AB
(٩) فيتصرّفون: فينصرفون B
(١٠) الأفعال: أفعالاً A
(١١) بتوجّه: يتوجّه A
(١٢) تجر: تجسر A
(١٣) جميعه: جمعه B
(١٤) مطيعاً: مطيع AB

الاحتياج إلى توسّط الآلات الجسمانيّة؛ لكون أفعالهم حينئذٍ مناسبةً لأفعال المبادئ العالية من صدور أفعالهم على سبيل الإبداع والاختراع. فيفعلون بالهمّة والإرادة والتوجّه الجمعيّ ما لا يفعله غيرهم، إلّا بتوسّط القوى الجسمانيّة والآلات الحسّيّة. بل ويصدر عنهم من الخوارق ما لا يقدر القوى الجسمانيّة على التأثير فيه البتّة، من حيث إنّ القوى الجرمانيّة إنّما تؤثّر بواسطة الوضع والمُحاذاة، فتحتاج إلى المناسبة بينها وبين ما يصدر عنها. وليس الأمر في الأفعال الاختراعيّة الإبداعيّة على ما هو في الأفعال الجرمانيّة(١)، على ما هو مقرَّر(٢) في القواعد الحكميّة.



---

(١) على ما ... الجرمانيّة: _ A

(٢) مقرّر: مؤثّر A

[رؤية عالم المثال في الحسّ المشترك]

ويشتركان أيضاً في رؤية عالم المثال في الحسّ المشترك؛ إذ لا بدّ لهما[(١)] في سلوكهما من المرور عليه؛ فإنّ الاتّفاق واقع من جميع سُلّاك الأُمم[(٢)] وجميع أهل التألّه والكشف من سائر الملل، أنّ الوليّ لا يكون وليّاً حتّى يكون له قوّة خلع البدن جانباً وعروجِ النفس إلى العوالم العِلويّة. فلا بدّ من أن يلوح له عند ذلك أو عند ورود الحال عليه صورُ العوالم المثاليّة، فيشاهدها مرتسمةً بجميع حقائقها في القوّة المسمّاة بالحسّ المشترك ـعلى ما تقدّمت الإشارة إليهـ. وإذا كان الوليّ يشاهدها[(٣)]، وباعتبار هذه المشاهدة ينال مرتبة[(٤)] الولاية، ومرتبة الولاية مبدأ مرتبة[(٥)] النبوّة، من حيث سبقها عليها، باعتبار أنّ النبيّ لا يكون نبيّاً حتّى يكون وليّاً، فلا ريب حينئذٍ في اشتراكهما في رؤية عالم المثال، وظهوره في الحسّ المشترك.



---

(١) B105a

(٢) A208a

(٣) يشاهدها: شاهدها B

(٤) مرتبة: بمرتبة A

(٥) مرتبة: المرتبة A

[الافتراقات بينهما]

وإذا عرفتَ اشــتراكهما[١] في هذه الثلاثة، فلا بدّ من بيان ما يفترقان[٢] فيه ومتميّزان به، فنقول:

[الخطاب]

ويفترقـان بالخطاب؛ إذ[٣] خطاب النبيّ غير خطاب الوليّ. وذلك لأنّ النبيّ لا يكون نبيّاً بعد الولاية المطلقة حتّى يكون مروره بإصـلاح الخلق وتدبيرِهم وإيصـالِهم إليـه تعـالى على وجـهٍ مخصــوصٍ لائقٍ بـالتدبير الإلهيّ والقضــاءِ[٤] الكلّيّ والقدرِ التفصــيليّ[٥] بـالأوامر والنواهي المتعيّنة بالتعيّنات الوحييّة[٦]، إمّا صـاحب شــريعة وناموس جديد، أو مؤكِّد [ومقرِّر][٧] لِما ثبت في الشــريعة الســابقة له. فخطابه حينئذٍ يكون مقتضـياً لهذه المرتبة، متخصّصاً بها. ولا كذلك خطاب الوليّ المطلق من حيث الولاية المطلقة؛ فإنّ خطابه إنّما يكون بالأحوال العارضــة في المقامات التي يقتضــيها عروجه والتجلّيات[٨] الإلهيّة التابعة لاستعداده. وكلّها خطابات حاليّة غير مقاليّة.

والنبوّة من حيـث هي جـامعـة للخطـابين. وبهـذا ارتفعَـت مرتبةُ النبوّة على مرتبة الولاية وتفضّلت عليها، وتفاوتا باعتبار المقامات، وإن صحّ اجتماعهما فيها على نوعٍ ما.



---

(١) في رؤية ... اشتراكهما: ـ A

(٢) يفترقان: يفرقان B

(٣) إذ: أو A

(٤) والقضاء: ـ B

(٥) التفصيليّ: التفصيل A

(٦) الوجيهة: الوهبيّة B

(٧) ومقرّر: أو مقرّراً AB

(٨) التجلّيات: التخيّليّات B || B105b

[المعارج]

ويفترقان أيضاً **في المعارج؛ فإنّ معارج الأولياء ليس كمعارج الأنبياء**[1]. وذلك لأنّ أحكام المعارج ترجع إلى قوّة الاستعداد وشدّة الملاحظة بسرعة الانتقال من المقام الأدنى إلى الأعلى. فلمّا كانت النبوّة[2] أتمّ باعتبار قوّة النفس وشدّة استعدادها بسبب الاشتمال على قوّة الجمع بين جانبَي الحضور والغيبة، ولا يشتغل بشأن عن شأن؛ لِما فيها من سعة الدائرة، والاتّصالِ والانفصالِ، والخلعِ واللبسِ، ولا يلهى بحال عن غيره، كانت بذلك[3] الاعتبار متميّزة عن الولاية بأحوال المعارج، فلا شركة بينهما فيها؛ **إذ لو اشتركوا في حكم المعارج، لَوجب أن يكون للوليّ ما للنبيّ، وليس.**
وذلك مبنيٌّ على ما تقدّم من الامتياز وعدم الشركة؛ فإنّ الشركة في الأحكام المعارجيّة تقتضي[4] المساواة؛ إذ الفرض تساويهما في الأحوال السابقة، فمع الشركة في أحكام المعارج لا يقع الامتياز[5]. وحينئذٍ فيجب أن يتحقّق للوليّ من حيث هو وليّ ما للنبيّ من حيث هو نبيّ. وذلك باطل بما حقّقناه من تفاوت أحكام المعارج، وأنّهما متفاوتة بتفاوت الاستعدادات، وأنّ معارج الأنبياء أعلى[6] مرتبةً وأتمّ كمالاً[7] وأسرع حصولاً[8] من معارج الأولياء، فلا يمكن اتّفاقهم فيها.

وحينئذٍ **فاجتماعهما في المقامات؛** لأنّها مواضع المرور ومسالك المعارج، ومنها

---

(١) A208b
(٢) النبوّة: البنوّة B
(٣) بذلك: تلك A
(٤) تقتضي: يقتضي A
(٥) الامتياز: الاعتبار A
(٦) أعلى: على A
(٧) أتمّ كمالاً: لهم كمال A
(٨) B106a

يعرج العارج بعد تحقيق المقام[١] إلى المقام الأعلى، بعد أن يلبث[٢] فيه مدّة قصيرة أو طويلة.

ومن هذا يظهر حال التفاوت في المعارج؛ فإنّه ليس كلّ من وصَل مقاماً [قادراً][٣] على العروج عنه إلى ما هو أعلى منه؛ فإنّ كثيراً[٤] من الأولياء يكون منتهى سلوكه الوصول إلى بعض المقامات، ويبقى خالداً [فيها][٥].

والأنبياء[٦] ـ لاختصاصهم بقوّة الاستعداد وكمال الأنفس بشدّة الاعتدال[٧] ـ لا يحجبون عن العروج إلى المقامات العُليا؛ فإنّ مقتضى حالهم يوجب الارتقاء والعروج، ليصلون إلى ما كمل لهم في القضاء السابق[٨]؛ ليجري فيهم[٩] وبهم القدَر اللاحق.

فاعرِف الأمر، فقد كشِف لك بقدر ما يمكن كشفُه، وعليك حلُّ ما قفِّل منه؛ فإنّ ما ذكِر بابٌ يمكن منه الدخول للفَطِن الذكيّ[١٠].



(١) المقام: ـ A
(٢) يلبث: يثبت A
(٣) قادراً: قادر AB
(٤) كثيراً: كثير A
(٥) فيها: فيه AB
(٦) والأنبياء: فالأنبياء B
(٧) A209a
(٨) السابق: للسابق B
(٩) فيهم: منهم B
(١٠) للفطن الذكيّ: الفطن الزكيّ A

[أقسام المعارج بالنظر إلى النور المسبّب لها]

ولهذا كانت **معارج الأنبياء بالنور المتأصّـل**(١)**، ومعارج الأولياء بالنور المُفاض عن النور الأصــليّ.** وفيـه إشــارة لطيفـة إلى بيان الافتراق بينهما في المعارج، بوجهٍ أظهر(٢) من الأوّل وأكثر فائدةً.

وتقريره أن نقول: كانت المعارج ـبسبب(٣) الافتراق المذكورـ على قسمين متغايرين:

أحدهما: ما هو حاصـل بالأصـل، بسبب نور إشراقيّ أصيل ثابت في مرآة النفس، بواسـطة ما لها من الاسـتعدادات(٤) الحقيقيّة الموجبة لإشراق الأنوار اللاهوتيّة والآثار الجبروتيّة عليها؛ لِما اشـتملت عليه من تمام المقابلة الأصـيلة لجميع(٥) المُشـرقات الأصـيلة(٦). فانطبع الكلّ في مرآتها، فكانت(٧) المعارج إلى المقامات الحاصـلة لها بسـبب ذلك النور الأصـيل المُشـرق ذاتيّةً لها، غير متوقّف حصـولها لها إلى واسـطة. وهذه هي صفات معارج النبوّة(٨).

والثـاني: ما هو حاصـل(٩) بالواسـطة، فلا يكون نوراً أصـيلاً، بل إنّما فاض عليه بواسـطة انعكاس الشـعاع الأصـيل عليه من مرآة النبوّة؛ لِما بين مرآة الولاية وبين مرآة النبوّة من المقابلة. والمرآة الصـقيلة المقابلة للمرآة المتنوّرة، [ينعكس](١٠) منها عليها

(١) المتأصّل: التأصّل A
(٢) أظهر: يظهر A
(٣) بسبب: سبب A
(٤) B106b
(٥) الأصيلة لجميع: الأصليّة بجميع B
(٦) الأصيلة: الأصليّة B
(٧) فكانت: وكانت B
(٨) النبوّة: البنوّة B
(٩) حاصل: حاصلة A
(١٠) ينعكس: تنعكس AB

بواسطة استعدادها بالمقابلة شعاعٌ مماثلٌ لشعاع المرآة الأصيلة. فالنور المُفاض على مرآة الولاية إنّما حصل لها بواسطة[١] النور الأصيل الحاصل من نور الأنوار والنور الأعلى بلا واسطة، ولا ريب أنّ بين الحالتين بون[٢] كثير، فهذا هو السبب[٣] في اختلافهما في المعارج.

ولعلّ هذا إنّما يتمّ في الولاية الخاصّة التي هي[٤] الخلافة عن النبوّة؛ فإنّ الوليّ الذي هو خليفة نبيّه، إنّما يتوصّل إلى مطارح النور بسبب مقابلة نفسه لنفس نفسه، وظهور آثاره فيه بواسطة التشبّه والتشكّل الخُلقيّ وسلوك مواطئ أقدامه، لينعكس عليه شعاعه البهيّ ونوره السنيّ المتلقّى من النور الأعلى[٥] بلا واسطة. فيستحقّ بذلك خلافته، ويقوم في إهداء الخلق وسياسة الرعيّة مقامَه.

وأمّا الولاية المطلقة ـ التي هي مبدأ النبوّة ـ فلا يتمّ فيها ما ذكرناه؛ لمساواتها للنبوّة في المعارج؛ لعمومها لها وشمولها لأحكامها.

فافهَم وأطبِق بين القولين، تجد التحقيق.



---

(١) A209b

(٢) بون: نور B

(٣) السبب: المسبّب A

(٤) هي: بين A

(٥) B107a

[وساطة روحانيّة النبيّ لكلّ ما يأخذه الوليّ]

ولهذا إنّ كلّ وليّ يأخذ ما يأخذه بواسطة روحانيّة نبيّه وصاحبِ شريعته. فمِن مقامه يشهد، ومنه يعرف.

وإذا كان الوليّ بهذه الصفة، فلا يأخذ ما يأخذه ـ من المقامات، والمعارج، والأُمور الفيضيّة، والأحوال الشهاديّة، والاطّلاع على الأنوار، والوصول إلى العالم الأعلى ـ إلّا بواسطة روحانيّة النبيّ الذي هو سالكٌ على طريقته، ومُقتدٍ بأخلاقه، ومتشبّهٌ به؛ ليكون نفسه مقابلةً لنفس نبيّه، بواسطة شدّة الاتّصال وقوّة التشبّه، الموجب للانجذاب، المستلزم لفيض الشعاع وانعكاسه من مرآة نبيّه إلى مرآته. وكان ذلك النبيّ هو صاحب شريعة ذلك الوليّ، بحيث يكون ملزوماً بطريق الناموس الإلهيّ، والتقيّد بأحكام تلك الشريعة، والاقتداء بآثار مواطئ أقدام تلك الطريقة، واتّباع هوادي(١) مسالك تلك السنّة. [فكان](٢) ذلك الوليّ(٣) بالضرورة(٤) من مقام نبيّه الذي به صار نبيّاً مردوداً(٥) إلى هداية الخَلق، والقيام بما يُصلحهم به. وعلى يديه(٦) انجذابهم إلى مواطن روح القدُس، شاهداً لجميع مشاهده، وحاضراً لها، وغير غائب عن شيء منها، بواسطة الملازمة الشبهيّة والاتّصال النسبيّ. فصار من مقام نبيّه يشهد جميعَ ما يشهده، ومنه بواسطة انعكاس شعاعه على مرآته يعرف أحوالَ الوصول، وإدراكَ المقامات، وكيفيّةَ الانتقالات المعارجيّة(٧).

---

(١) الهادية من كلّ شيء: أوّله وما تقدّم منه، والجمع الهوادي. (لسان العرب)

(٢) فكان: كان AB

(٣) الوليّ: ـ A

(٤) A210a

(٥) مردوداً: مردّداً A

(٦) B107b

(٧) المعارجيّة: الخارجيّة A

[شواهد من الروايات]

وإلى هذا أشار نبيّنا محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ في قوله لعليّ ـعليه السلامـ: «إنّك تسمع ما أسمع، وترى ما [أرى][١]، إلّا أنّك لستَ بنبيّ[٢]»[٣]. فأثبت له علّة جميع مقاماته ومدرَكاته في كلّ الأحكام، ما عدا حكم النبوّة، الذي هو كون المعارج[٤] له بواسطة النور الأصيل، وكون معارج خليفته بواسطة النور المُفاض عليه[٥] من مشكاة نبوّته فيه. فبقربه منه، وشدّةِ تخلّقه بأخلاقه، وقوّة مشاهدته لأصواته، وتماميّة مقابلة مرآته لمرآته، شهد ما تحقّق له ـعليه السلامـ من الدقائق الفيضيّة والمشاهدات الحقّيّة.

ولهذا قال عليّ ـعليه السلامـ: «ما لنا مِن خير فمنك يا رسول اللّه»[٦]، اعترافاً له بالافتقار إلى توسّطه.

وقال ـعليه السلامـ في شدّة اتّصاله به ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم[٧]ـ: «كنتُ أتّبعه كما يتّبع[٨] الفصيلُ أُمّه، يرفع لي[٩] كلّ يوم علَماً من أخلاقه»[١٠]. ومن هنا عُلم وجهُ الافتراق بينهما في المعارج على ما ينبغي.



---

(١) أرى: نرى A، ترى B
(٢) بنبيّ: به نبيّ A
(٣) نهج البلاغة: ٣٠١؛ طرف من الأنباء: ٣٢٩؛ الطرائف: ٤١٥/٢؛ عوالي اللئالي: ١٢٢/٤
(٤) المعارج: الخارج A
(٥) عليه: ـ B
(٦) عوالي اللئالي: ١٢٣/٤
(٧) وآله وسلّم: ـ B
(٨) كما يتّبع: اتّباع P
(٩) لي: إليّ AB
(١٠) نهج البلاغة: ٣٠٠؛ مناقب آل أبي طالب: ١٨٠/٢؛ الطرائف: ٤١٥/٢؛ الصراط المستقيم: ٦٥/٢

[سبب عدم التصريح بهذه الأسرار]

ومع تحقيق هذا المقام وقوّة الاطّلاع على غوامضـــه، يُعلم أنّ **هنا**(١) **[أســـراراً]**(٢) **لطيفـة يضــيق عنهـا العبارة، بها يتفاوتون في القرب والبُعد والحالات**(٣). وذلك لأنّه قد عُلم أنّ موضـع الفَرق إنّما هو بواسـطة(٤) الاختلاف في المعارج، وأنّها بالأنوار الأصــليّة(٥) والعارضــة. فعُلم بذلك أنّ هناك بين حالتَي(٦) النبيّ ووليّه والخليفة القائم مقامه ممّا يوجب التماثل والاختلاف أسرار(٧) دقيقة ونكات عميقة، لا ينبغي التصريح بها(٨) والإظهار بحقائقها:

ـ إمّا لكونها [أُموراً](٩) شـهاديّة إنّما تُعرف بالمشاهدة الكشفيّة والاطّلاع الشهوديّ الحضــوريّ، فلا يمكن التعبير عنهـا بـالألفاظ، ولا كشــفها بالعبارات، ولا يحيط بها الصـفات المقاليّة؛ لضيق مجال الألفاظ والعبارات عن أحوال تلك المقامات. وبتلك الأسـرار الشـهوديّة يتفاوتون في أحوال القرب من الحقّ ـ جلّ جلاله وعظم قدسه(١٠) ـ والبُعد منه، والحالات اللازمة لهما باعتبار قلّة الكرّات، وإزالة التعشّقات، وخلع لوازم الإمكان ومتعلّقات المادّة وقيود الطبيعة، وفكّ [غُلول](١١) الأســر بالتخيّلات الوهميّة والأحوال الشــهويّة(١٢) والغضــبيّة، وغير ذلك من الأُمور والتقيّدات. ولمّا كان متعدّداً

---

(١) هنا: هاهنا B

(٢) أسراراً: أسرار AB

(٣) B108a

(٤) A210b

(٥) الأصليّة: الأصيليّة A

(٦) بين حالتي: من جانبي A

(٧) أسرار: + و A

(٨) بها: فيها A

(٩) أُموراً: أُمور AB

(١٠) قدسه: قربه A

(١١) غلول: علول AB

(١٢) الشهويّة: الشهوديّة A

مختلفــاً اختلافاً كثيراً لا يكاد ينضـــبط إلّا في المراتب الجمعيّة، وهي لا تكاد تقع إلّا للرؤســـاء الكبار من ذوي[١] النبوّات على طول الأدوار، والأكابر الأوصـــياء على تعدّد الأعصار، كان التفاوت بين كلّ الأنبياء مع أمثالهم في مرتبة النبوّة، وبين الأولياء[٢] في مرتبة الولاية المطلقة أو الخاصّة، وبين الأنبياء والأولياء بالقياس إلى مرتبة كلّ وليّ من نبيّه. فاعرِف ذلك؛ فإنّه سرّ هذا الكلام، فتفهَّم ترشُد[٣].

ـ وإمّا لكونها لا يصـحّ الإفصاح عنها والكشف عن حقائقها؛ لأنّ العقول لا تحتملها؛ لِضعفها[٤] عن[٥] مطالعة منبع النور الصرف الذي به كانت مقاماتهم متفاوتة متفاضلة.

[إشارة إلى بعض أسرار هذا المقام]

ولنُشِـر إلى بعض أسـرار هذا المقام؛ ليكون أُنموذجاً يُفهم منه الباقي، ويُسـتعان به على فتح أقفال ما أشار إليه من الأُمور اللطيفة الخفيّة[٦].

فنقول: أمّا مقام ولاية محمّد ـعليه الصلاة والسلام[٧]ـ الجامع بين الولاية المطلقة والنبوّة الخاصّـة الجمعيّة كان مقاماً جمعيّاً، فلا أعلى ولا أتمّ منه. فكانت[٨] مرآةُ نفسه مرآةً كلّيّةً انطبع فيه الحقائق الكلّيّة والجزئيّة، وانكشفت بها جميع أشباح العوالم على مراتبهـا، وانعكس منهـا الشـــعاعات الكثيرة[٩] في النشـــأتين. فكانت[١٠] مبدأً لجميع النشئات الكونيّة، فتحقّقت به أحوال المبدأ والمعاد.

وكانت الولاية الخاصّة التابعة للولاية المطلقة المقتضية لخلافة[١١] النبوّة، لا بدّ من

---

(١) ذوي: وقتي A
(٢) B108b
(٣) ترشد: يرشد A
(٤) تحتملها لضعفها: يحتملها لضعف A
(٥) A211a
(٦) الخفيّة: الحقّيّة A
(٧) عليه الصلاة والسلام: صلّى اللّه عليه وآله B
(٨) فكانت: وكانت B
(٩) الكثيرة: الكثرة B
(١٠) فكانت: وكانت B
(١١) لخلافة: بخلافة A

تحقّقها بواسطة ظهور الانعكاسات الشعاعيّة على الأشباح المتأصّلة في عالم النور المحض. فظهرت بها المرايا المتعدّدة، وانعكست فيها الشعاعات [المتقابلة][١]. فكانت هناك مقتضية لظهور مرآة[٢] مشاكلة للمرآة الكلّيّة؛ ليكون مجمعاً لاقتناص الشعاعات[٣]، ويتحقّق بها جميع الانعكاسات. فلمّا ظهرت واقتنص بها ما تفرّق[٤]، واجتمع بها ما تباين[٥]، وظهر[٦] فيها ما خفي، تكاثفت فيها الشعاعات، وتعاكست عليها الأضواء، مع شدّة الصقالة وقوّة القبول. فظهرت فيها الآثار القويّة، وتأيّدت بروح القدُس مراراً متعدّدة. فزادت بكثرة الانعكاسات العارضة على المرآة الأصليّة[٧] بقوّة التأثير، فظهرت فيها الأفاعيل الحاملة لسرّ النبوّة الجمعيّة. وكانت مجمع أحديّة سرّ اسم الرحمن الظاهر فيه سرّ اسم اللّه بواسطة جمع الجمع، فظهر باسم الرحيم، وتأيّد بالجمع الكلّيّ[٨] العارضيّ الانعكاسيّ. فالرحيم مظهر اسم الرحمن، وهو مظهر اسم اللّه، فاستولى على الكلّ، وكان آية النبوّة[٩] الجمعيّة والولاية المطلقة.

فعليّ آية نبوّة محمّد، ظهر بظهوره، وقوي بحمل أسراره، فحمل سرّ الجمع، فظهرت منه الأفاعيل اللاهوتيّة، حتّى هوى فيه من هوى.

فتدبَّر هذه الأسرار، تقف[١٠] على بعض غوامض اللطائف المُشار إليها، وتعرف كيف ظهر عجز القوى والعبارات عن كشف القِناع عن جمال جمائلها، وتذكَّر سرّ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ في أُمِّ الْكِتابِ[١١] لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ﴾[١٢].



---

(١) المتقابلة: المقابلة AB
(٢) B109a
(٣) الشعاعات: الساعات B
(٤) تفرّق: يفرق A
(٥) تباين: يباين A
(٦) ظهر: طهر B
(٧) الأصليّة: الأصيلة A
(٨) A211b
(٩) النبوّة: البنوّة B
(١٠) تقف: يقف B
(١١) في أُمّ الكتاب: ـ B
(١٢) القرآن الكريم: ٤/٤٣

[اشتمال مقام أولياء خاتم الأنبياء على جميع مقامات الأنبياء]

وإذا عرفتَ مُجمَل ما أشـرنا إليه، فاعلَم أنّه **لمّا كان محمّد ـصلّى الله عليه وآله وسلّمـ هو المَجمَع لجميع مقامات الأنبياء**[١]؛ لِما عُلم أنّه سرّ [جمع][٢] الأحديّة الإلهيّة الظاهر باسم الرحمن، حتّى صار مظهر الإلهيّة في بدء[٣] الأمر والنشأة النوريّة، المُشار إليها في قوله ـعليه السلامـ: «أوّل ما خلق اللّه نوري»[٤]. فهو العقل الأوّل باعتبار سريان سرّ الوجود. وبمجامع[٥] الإلهيّة الظاهرة في إشارته ـعليه السلامـ بقوله[٦]: «فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، وقدّسنا فقدّست الملائكة بتقديسنا»[٧] كان ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم[٨]ـ هو المَجمَع الكماليّ. فجميع مقامات الولاية المطلقة ـالتي هي مبدأ لنبوّات الأنبياءـ قد احتوى عليها المقام المحمّديّ الجامع للولاية والنبوّة على أكمل أحوالهما.

وحينئذٍ **كان مقام أولياء محمّد ـصلّى الله عليه وآله وسلّمـ جامعاً لجميع مقامات الأنبياء؛** فإنّ أولياء محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ من مقامه يشهدون، ومنه يعرفون؛ لِما تقرّر أنّ كلّ وليّ إنّما يشهد من مقام نبيّه، ومنه يعرف. فأولياء[٩] محمّد ـعليه السلامـ إنّما يشهدون[١٠] بواسطة مقابلة أنفسهم لنفسه، وظهور انعكاس

(١) B109b
(٢) جمع: جميع AB
(٣) بدء: نذور B
(٤) عوالي اللئالي: ٤/٩٩
(٥) لمجامع: وبمجامع B
(٦) بقوله: لقوله A
(٧) عوالي اللئالي: ٤/١٢٢
(٨) وآله وسلّم: ـ B
(٩) فأولياء: وأولياء B
(١٠) A212a

أشـعّته عليهم، بواسـطة اسـتعداد المرايا المقابلة لمرآته التامّة؛ لأنّهم **بواسـطة النور المحمّديّ الجامع** لكلّ مقامات الولاية والنبوّة على أكمل الأنحاء وأجلّها، **يشهدون جميعها** بواسـطة مشـاهدته -عليه السلام- لها، وفيضه -عليه السلام- عليهم بواسطة الاسـتعدادات القابلة للشـدّة والضـعف. ولهذا اختلفت أحوالهم، وتعدّدت[١] مراتبهم وتفاوتت كمالاً ونقصـاً، بواسـطة اختلافهم وتفاوتهم في الملاحظة المحمّديّة لأحوال القرب والبُعـد، وتخـالف حـالات المشـابهة، إلّا أنّهم مع ذلك التفاوت يشـاهدون مقامات الجمعيّة في مرايا أنفسـهم. **فلهذا صاروا أفضل من الأنبياء وأكمل،** بسبب مشاهدة الأنوار المحمّديّة والاستضاءة بها.

ولا عجب من أفضـليّة الوليّ المتفرّع عن النبيّ الكامل، القائمِ مقامَه، والمشـاهِدِ لمعارجه وأحواله، على النبيّ الذي قصـر عن الكمال الجمعيّ والاطّلاعِ على حقائق مقـامـات الكـامـل، وكيفيّاتِ معارجه وتطوّره بالأطوار الشـهوديّة الجمعيّة. فكان وليّه المشـاهِد من مرآته -بواسـطة انعكاس شـعاعها على مرآة نفسـه المسـتعدّة لقبولها بالضرورة- أتمّ وأكمل من ذلك النبيّ المحجوب عن تلك المشاهدات الجمعيّة.

حتّى قـد يكون الواحـد منهم حـاوياً لمقـامـات أُولي العزم، بسـبب ملاحظة الحالة الأحديّة[٢]، فيكون أكمل منهم، أي يكون أكمل من أُولي العزم، وذلك ظاهر بحسـب ما حقّقنا من الأحوال السابقة؛ فإنّا لمّا ثبت عندنا أنّ الوليّ الخاصّ إنّما يصل إلى مقاماته التي يصـل بواسطة روحانيّة نبيّه، وأنّه به يشهد، ومنه يعرف[٣]، وثبت أنّ[٤] نبيّنا -صـلّى اللّه عليه وآله وسلّم- صاحب الجمعيّة الكاملة، الحاوي لكلّ المقامات، فـأولياؤه منه يشـهدون، وبه يعرفون[٥]. فكانوا بذلك مسـاوين له باعتبار المشـاهدة

---

(١) B110a

(٢) الأحديّة: الأحمديّة A

(٣) A212b

(٤) أنّ: أيضاً A

(٥) B110b

العرضيّة الحاصلة لهم منه[١] بواسطة الانعكاس.

ولا ريب في أكمليّته على الأنبياء ذوي العزم؛ لأنّهم وإن كانوا ذوي جمع، إلّا أنّه ـعليه السلامـ هو صاحب جمع الجمع المشتمل على جميع الدائرة الكلّيّة في جميع الحضرات الألفيّة، من أوّل النشئات النوريّة والتطوّر في المظاهر الكلّيّة، إلى النشأة الصوريّة. فكلّ ما سواه منه يستمدّ؛ لكونه قاصراً عن مرتبة الجمع الكلّيّ.

وإذا كان كذلك، كان أكمل من ذوي العزم وأجمع. فلا يستبعد في أوليائه المشاهدين لمقاماته بواسطة التجلّي الشهوديّ النسبيّ الشبهيّ الاستعداديّ أن يكونوا كذلك، بواسطة ذلك الانعكاس المثليّ من المرآة الكاملة إلى المرآة المقابلة المستعدّة بقوّة التشبّه التامّ[٢]؛ لِما عرف في الطبيعة من تحقّق الانجذاب الشبهيّ وإيجابه[٣] الاتّصافَ بأحوال الجاذب اتّصافاً تامّاً أوجبه الشبه[٤] التامّ الموجب لسرّ الجذب.

فاعرِف حقيقة الأمر، تصب الهُدى، وتطّلع على سرّ قوله ـعليه السلامـ لعليّ ـعليه السلامـ: «إنّك تسمع ما أسمع»[٥] (الحديث).



(١) منه: ـ A
(٢) التامّ: التمام B
(٣) إيجابه: إعانة A
(٤) الشبه: الشبهة A
(٥) نهج البلاغة: ٣٠١؛ طرف من الأنباء: ٣٢٩؛ الطرائف: ٤١٥/٢؛ عوالي اللئالي: ١٢٢/٤

[جواز وراثة أولياء خاتم الأنبياء لبعض مقامات أُولي العزم]

ولهذا **قد يكون منهم،** أي من أولياء محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ، **مَن يرثُ [مقاماً واحداً]**(١) **منهم بسبب ملاحظة**(٢) **حالٍ من الأحوال المحمّديّة المناسبة لذلك المقام.** فيكون الواحد من أولياء محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ بسبب ملاحظة حالٍ من الأحوال المحمّديّة المتطوّرة في المقامات باعتبار مرورها على كلّ واحد منها في أصل الجمعيّة(٣). فإذا استعدّ الواحد من أفراد أولياء محمّد لقبول بعض(٤) تلك الأحوال العارضة لبعض المقامات المشابهة لمقام بعض أُولي العزم الذي تحقّق له في حالة الشهوديّة، فيكون مقامه ذلك هو الموجب له كونه من أُولي العزم. فإذا كان ذلك الوليّ قد لاحظ ذلك المقام الشهوديّ(٥) بواسطة المرآة المحمّديّة، **فيكون** حينئذٍ **حاله**، أعني حال ذلك الوليّ اللاحظ لذلك المقام الشهوديّ لذي(٦) العزم من مرآة(٧) محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ، **كحال إبراهيم أو كحال موسى، بسبب قوّة المعرفة بمقامه مع اتّصافه إلى القطب الذي هو قلب محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ المحيط بقلب**(٨) **إبراهيم وموسى وغيرهما.**

فمتى تحقّق لذلك الوليّ المعرفةُ الشهوديّةُ لذلك المقام الذي هو ـمثلاًـ مقام إبراهيم أو مقام موسى، وتلقّاه تلقّياً كاملاً بواسطة الاستعداد الشبهيّ المستلزم للانجذاب وانطباع الشعاع من المرآة المحمّديّة، كان بالضرورة حالُ ذلك الوليّ

---

(١) مقاماً واحداً: مقام واحد AB
(٢) ملاحظة: ما لأجله A
(٣) A213a
(٤) B111a
(٥) الشهوديّ: الشهوديّة A
(٦) لذي: لدى A
(٧) مرآة: منزلة A
(٨) بقلب: + موسى و A

مشابهاً ومماثلاً لحال ذلك النبيّ الذي عرف ذلك الوليُّ مقامَه وشهده بواسطة المرآة المحمّديّة؛ لأنّه بسبب اتّصافه إلى قطب الولاية ـ أعني الكلمة المحمّديّة ـ المعبّر عنها هنا بالقلب؛ فإنّها محيطة بجميع الأقطاب وكلماتهم التي سمّاها هنا القلب لإبراهيم أو موسى ـ مثلاً[١] ـ أو غيرهما من الأقطاب؛ لأنّ الكلمة المحمّديّة قطب الأقطاب، فهو المركز لجميع دوائر الولاية، و[٢] المحيط [بجميع][٣] مراكز النبوّة. فبالضرورة يكون ذلك الحال والمقام الذي شهده الوليّ المحمّديّ من مرآة القطب الكلّيّ والمركز الأعظم[٤] بحصوله عنه وانضيافه[٥] إليه، مشتملاً على ما اشتمل[٦] عليه مقام ذلك النبيّ، وزيادة الانضياف إلى القلب المحمّديّ، فيظهر قوّته وسَعة اطّلاعه.

ولهذا كان من[٧] الأولياء المحمّديّة الإبراهيميّ والموسويّ والعيسويّ بواسطة مشاهدة ذلك المقام من مركز الدائرة الجامعة، المماثل للمقامات[٨] المختصّة بواحد واحد، فيصحّ انتسابه إليه؛ لِما بينهما من المشابهة الاتّحاديّة الموجبة للانجذاب والتخلّق بالانعكاس من المقام الجمعيّ، على ما مرّ من احتياج إلى مشاهدته مقامَه من نبيّه.



---

(١) مثلاً: ـ A

(٢) و: ـ A

(٣) بجميع: لجميع AB

(٤) الأعظم: + يكون AB

(٥) B111b

(٦) A213b

(٧) من: عن A

(٨) للمقامات: ـ A

[أخذُ مقامات جميع الأنبياء والأولياء في جميع العوالم من خاتم الأنبياء]

ومن هذا ظهر لك ثبوتُ أكمليّة محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ على الكلّ، **بل محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ هو المُعطي لجميع الأنبياء والرسُل وأوليائهم مقاماتهم في عالم النور، وفي عالم الأرواح، وفي عالم المثُل.**

وقد ثبت ما أشرنا إليه في العلوم الحقيقيّة[١] والمكاشفات الإلهيّة، وأشار إليه هو ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ في ما حكاه عن الحديث القدسيّ في خطابه له، الموجب لتشريفه على الكلّ، وأنّه سيّد الكلّ في الكلّ، والغاية للكلّ في الكلّ، بقوله: «لو لاك لَما خلقتُ الأفلاك»[٢].

فقد تقرّر بأنّه المُعطي للموجودات العنصريّة بأجمعهم فيضَ الوجود؛ إذ لو لاه لَما وصل الوجود إليها، فلا بُعد في كونه المُعطي والمحصِّل لجميع الأنبياء والرسُل والأولياء مقاماتهم الشهوديّة في العوالم الثلاثة:

ـ عالم النور، وهو الظاهر فيه الأشباح النوريّة التي مظهرها عالم[٣] الشهادة، البارز بصورة الكثرة بعد سرّ الوحدة الجمعيّة في عالم العقل. فهو لذلك العقل الأوّل الحامل صورة الكثرة، ومقتضيها على الكلّ. فشهدت[٤] أحوالهم المقتضية لمقاماتهم المسمّاة في القضاء الأوّل الكلّيّ من سرّ بدء الكثرة الحاملة لسرّ الوحدة[٥] الجمعيّة، فافهَم الإشارات.

---

(١) الحقيقيّة: الحقيقة A

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٢١٧/١؛ مشارق أنوار اليقين: ٤٦

(٣) B112a

(٤) فشهدت: لشهدت A

(٥) الوحدة: الوجوه B

ـ وفي عالم(١) الأرواح هو ـعليه [السلام](٢)ـ المُعطي للمقامات المقتضية(٣) المتعيّنة به؛ فإنّ بواسطة كلمته(٤) الجمعيّة شهدت جميع الكلمات مقاماتها المتعيّنة لها باعتبار الاستعدادات البدنيّة. فما فاض على جميعها كان بسبب فيض كلمته(٥) الكلّيّة الجمعيّة. فكما كان هو العقل الكلّيّ والعقل الأوّل، كان أيضاً هو الكلمة الكلّيّة(٦) والنفس الكلّيّة المتعلّقة بالكلّ، فمنه شهدت الكلمات مقاماتها الشهوديّة في عالم النفس.

ـ وكذلك هو المُعطي لكلّهم(٧) مقاماتهم في عالم المثُل؛ إذ العالم المثاليّ صورة العوالم(٨) النوريّة والعوالم النفسيّة وغيرها من العوالم. فالمثُل القائمة فيه له [علّة](٩) هي المثُل الكلّيّة المُعطية لجميع المُرتسَمات في عالم المثُل صورَها الشبحيّة. فكان فيض تلك الأشباح المثاليّة عليها بواسطة ما ثبت له فيه المثُل الحقيقيّة الكلّيّة. فشهد الكلّ مقامه في عالم المثُل من مقامه فيه(١٠) بواسطة الإحاطة الجمعيّة، كما في سائر العوالم. **حتّى** بسبب ذلك الإعطاء والفيض من القطب الكلّيّ في العوالم الثلاثة، **لاحت** تلك المقامات والحالات الثابتة في العوالم المذكورة، بواسطة الإمداد المحمّديّ الجمعيّ الكلّيّ العلّيّ الغائيّ، **بالصور الجسميّة**(١١) **في عالم الجرم**(١٢)، الذي هو العالم الحاصل في آخر المراتب بواسطة العوالم الثلاثة؛ فإنّ الصور الجسميّة الظاهرة في عالم الأجرام لا بدّ في تحقّقها من تعيّن أحوالها ومقاماتها في العوالم

---

(١) عالم: + ~~العقل~~ A || A214a
(٢) عليه السلام: عليه A، عليم B
(٣) المقتضية: ـ B
(٤) كلمته: كلمة A
(٥) كلمته: كلمة A
(٦) الكلّيّة: + الجمعيّة B
(٧) لكلّهم: لكلٍّ A
(٨) العوالم: العالم A
(٩) علّة: عليه AB
(١٠) B112b
(١١) الجسميّة: الجمعيّة A
(١٢) الجرم: الجرميّ A

المـذكورة. فلمّـا كـانـت تلك المقامات والحالات الحاصــلة هناك في كلّ واحد من العوالم الثلاثة، إنّما فاضــت وتحقّقت بواســطة النور المحمّديّ الذي [هو][(١)] القطب الكلّيّ والدائرة العظمى[(٢)] [المحيطة][(٣)] بالكلّ، كان هو السـبب في حصـول الصـور الجســميّـة[(٤)] في عـالم الجرم المتوقّف على العوالم المتقـدّمـة. فلاحـت للناظرين، وتحقّق إدراكها للمدرِكين، بواســطة ذلك النور المُشــار إليه في قوله ـعليه الســلامـ: «أوّل ما خلق اللّه نوري»[(٥)]. فتفهَّم الإشارات، تقف على المقصود.

فجميع الأنبياء والأولياء الذين سلفوا يأخذون عنه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ.

فهـذا نتيجـة هـذا البحـث، اللازمـة عمّا قرّر فيه، من أنّ تلك المقامات كلّها التي لجميعهم إنّما لاحت بالصــور الجســميّة وتحقّقت في العوالم الثلاثة بســبب النور المحمّديّ[(٦)]. فحينئذٍ يلزم[(٧)] أن يكون جميع الأنبياء والأولياء الذين سلفوا وظهروا في الصــور الجرميّـة يأخذون عنه مقاماتهم وأحوالهم؛ لأنّه المُفيض والمُعطي والمَجمَع للكلّ، فالكلّ في الكلّ عيال عليه.



---

(١) هو: ـ AB
(٢) العظمى: ـ A
(٣) المحيطة: المحيط AB
(٤) A214b
(٥) عوالي اللئالي: ٩٩/٤
(٦) المحمّديّ: + و A
(٧) B113a

[مشاركة الولاية المحمّديّة للأنبياء في الأخذ عنه]

وإذا كان الأمر كذلك، **فالولاية المحمّديّة شاركت الأنبياء في الأخذ عنه.** وهذا سرٌّ لطيف ومعنىً دقيق نبّه[١] عليه بهذه الألفاظ القليلة، وشرحُ هذا ـعلى ما ينبغي ـ لا يكاد يتمّ إلّا بإسهاب[٢] وتطويل يخرج عن المقصود.

وحلُّ رمزه ـعلى سبيل التقريبـ أنّ الولاية المطلقة لمّا كانت مبدأ النبوّة، من حيث إنّ النبيّ لا يكون نبيّاً حتّى يكون وليّاً مكاشفاً شهوديّاً، عُلم أنّ النبوّة المحمّديّة كذلك. فالولاية المحمّديّة ـالتي هي مبدأ نبوّته الجمعيّةـ لمّا اشتملت[٣] على الكلّ باعتبار الجمعيّة، كانت أيضاً ولايته ولاية جمعيّة كلّيّة مشتملة على سائر الولايات، كما أنّ نبوّته[٤] الجمعيّة الكلّيّة مشتملة على سائر النبوّات. فبالضرورة كانت الولاية المحمّديّة مشاركةً لسائر الولايات النبويّة التي هي مبدأ في نبوّاتهم في أخذها عنه، بسبب الإطلاق الصرف الداخل فيه الولاية المطلقة التي[٥] اختصّ بها من بينهم. فتلك الولاية إنّما تحقّقت في العوالم الثلاثة وفي الصور الجرميّة، بواسطة النور المحمّديّ الذي هو علّة الكلّ، والمُفيض على الكلّ. وإذا كان الأمر هكذا، فالواصل إلى جميع الولايات حصصٌ مقبوضةٌ من تلك الولاية المطلقة[٦] المشاركة لأفرادها في الأخذ عنه، فالكلّ وكلّ واحد اشترك[٧] في الأخذ عنه. هكذا قيل[٨] باعتبار تدقيق البحث.

---

(١) نبّه: نبّهه A
(٢) بإسهاب: بانتهاب A؛ أسهب الرجلُ: أكثرَ الكلام. (لسان العرب)
(٣) اشتملت: اشتمل B
(٤) نبوّته: بنوّته B
(٥) A215a
(٦) B113b
(٧) اشترك: اشتراك A
(٨) قيل: قبل AB

فأمّا إذا أُخذ بما[١] يُفهم من ظاهر[٢] العبارة، فالمراد بالولاية المحمّديّة الولايةُ التي مبدؤها نبوّة محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ. وأشار إلى الأولياء الذين[٣] ظهروا في الأُمّة المحمّديّة؛ فإنّهم أخذوا الولاية عنه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ، فشاركوا سائر الأنبياء في الأخذ عن الولاية المحمّديّة، فظهر[٤] فيها سرّها[٥]، وقاموا بأوصافها، فشاركوا الأنبياء في جميع الأوصاف المأخوذة لهم من الولاية المحمّديّة.



(١) بما: ما B
(٢) ظاهر: طاهر B
(٣) الذين: الدين B
(٤) فظهر: ويظهر A
(٥) سرّها: شرفاً A

[معنى المشابهة بين علماء أُمّة خاتم الأنبياء وأنبياء بني إسرائيل]

ومن هذا التدقيق وسرّه المخفيّ **يُعرف سرُّ قوله ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم**[(١)]**ـ:** «**علماء أُمّتي كأنبياء بني إسرائيل**»[(٢)]؛ فإنّك متى عرفتَ كيفيّةَ سرّ أخذ الولاية المطلقة عنه، وتطلّعتَ على غامض ما أُريد منه، عرفتَ معنى هذه المشابهة[(٣)] المذكورة بين علماء أُمّته ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم[(٤)]ـ وبين أنبياء بني إسرائيل، وعرفتَ أنّ مضمونها حصول الشِبه في الولاية المطلقة التي هي مبدأ جميع الولايات النبويّة[(٥)] وغيرها.

ولمّا تحقّق أنّها شاركت سائر الولايات الخاصّة في الأخذ عن النور المحمّديّ الجمعيّ، عُلم أنّ ولاية علماء أُمّته ـعليه السلامـ مشابهة لولاية أنبياء بني إسرائيل، من حيث احتياج الكلّ إلى الولاية المطلقة المحتاجة إلى النور القطبيّ. فعلماء أُمّته كانوا أولياءه باعتبار أخذهم ما تيسَّر لهم من أحوال[(٦)] تلك الولاية الجمعيّة، التي افتقر إليها أنبياء بني إسرائيل في ولايتهم النبويّة، من حيث هو مُعطي[(٧)] الكلّ في جميع العوالم مقاماتهم. فلا ريب حينئذٍ في وقوع المشابهة الخاصّة في الولاية الخاصّة الحاصلة عن النور الجمعيّ، وكون المطلقة الداخلة تحتها الكلّ شاركت المقيّدات في التحقّق به، فكلّ مقيّد مشابهٌ لِما تقيّد[(٨)] بما قيّد به.

---

(١) صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: عليه السلام B

(٢) الصراط المستقيم: ١٣١/١؛ عوالي اللئالي: ٧٧/٤

(٣) المشابهة: المشاهدة A

(٤) وآله وسلّم: ـ B

(٥) النبويّة: البنويّة A

(٦) A215b

(٧) B114a

(٨) تقيّد: يقيّد A

وأيضاً فإنّ علماء أُمّته ـعليه السلام[١]ـ حصلت لهم[٢] الولاية الخاصّة باعتبار ما[٣] ناله كلّ واحد من مقامه في ولايته المطلقة المشاركة لهم في الأخذ عنه. وأنبياء بني إسرائيل إنّما تحقّقت لهم المقامات النبويّة[٤] من الولاية المحمّديّة الجمعيّة الأحديّة المأخوذة عن النور القطبيّ. فتحقّقت المشابهة المعنويّة بذلك الاشتراك المقاميّ.

ولا عجب في أن يكون الواحد من علماء أُمّته أكثر جمعيّة من بعض أنبياء بني إسرائيل، باعتبار ملاحظة حالات القطب المحمّديّ وكثرة الاطّلاع على مقاماته، فيجتمع له بواسطة انعكاس شعاعات[٥] المقامات المشهودة على مرآته المستعدّة لقبول تلك الشعاعات بواسطة الانجذاب الشبهيّ ما اجتمع لهم. بل وصحّ أن يكون الواحد منهم أكمل وأتمّ من الواحد من أنبيائهم. فتدبَّره؛ فإنّه دقيق لطيف.



---

(١) عليه السلام: ـ B

(٢) لهم: ـ A

(٣) ما: + لهم A

(٤) النبويّة: البنويّة A

(٥) شعاعات: شعاع A

[الحثّ على اقتناء الوراثة المحمّديّة]

فإذا تطلّع سرّك ـ أيّها الذكيّ الفَطِن! ـ **على هذه الغوامض، وتنبّهتَ**[١] **لمعانيها، علمتَ أنّك إن كنتَ حكيماً صرفتَ الهمّة في المجاهدة للوراثة المحمّديّة، حتّى تعرف ما تنال فيها بالاطّلاع على مقامك فيها**؛ إذ لا كلام في أنّ ما ذكره في هذا الكشف أسرار غامضة خفيّة، لا يطّلع عليها إلّا من تأيّد[٢] بنور قدسيّ، لصفاء[٣] جوهر نفسه بجذبة لاهوتيّة ولامع ربّانيّ، حتّى يأتيه يقين حدسيّ يفضي[٤] بالحكم على هذه الأسرار[٥]، ويطّلع على مضمون جواهرها النفيسة[٦]، ويتنبّه لمعانيها[٧] الدقيقة. فإذا وفّق اللّه تعالى بألطافه العميقة لشخص الاطّلاع على هذه المدارك العزيزة [المنال][٨]، فلا ينبغي أن يفرط في إهمال الهمّة؛ لأنّه بالاطّلاع[٩] عليها يكون حكيماً يضع الأُمور مواضعَها؛ إذ لا يعرفها من ليس موصوفاً بالحكمة. وإذا كان حكيماً فلا يسوغ له الإهمال والإضاعة والعطلة، بل يجب له صرف الإرادة الكلّيّة والعزيمة الصادقة في المجاهدة والمبالغة في تحصيل المقام الموصِل له إلى الولاية المحمّديّة المطلقة، والتشبّث ببعض[١٠] درجاتها، حتّى يكون وارثاً لذلك المقام المحمّديّ الحاصل في نوع من الأنواع، المُشار إليه في قوله ـ عليه السلام ـ: «العلماء ورَثة

---

(١) تنبّهت: تبيّنت A
(٢) B114b
(٣) لصفاء: واصفاً A
(٤) يفضي: يقضي B
(٥) A216a
(٦) النفيسة: النفسيّة A
(٧) لمعانيها: على معانيها A
(٨) المنال: المثال AB
(٩) على هذه ... بالاطّلاع: ـ A
(١٠) التشبّث ببعض: المتثبّت لبعض A

الأنبياء»[١].

فـإذا بـالَغ في الجدّ والطلب، فلا بدّ أن يُفاض عليه من المبدأ الفيّاض الذي ﴿ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ[٢]﴾[٣] ما يستحقّه بسبب استعداده واجتهاده الموعود به في قوله ـعزّ من قـائـلـ: ﴿وَالَّـذِينَ جـاهَـدُوا فينـا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنا﴾[٤]. فيُديم[٥] المجاهدة والاستعداد، حتّى ينعكس عليه من المرآة الكلّيّة بعض الشعاعات اللائقة باستعداده، المُشار إليه في قوله ـعليه السلامـ: «كلٌّ ميسَّرٌ[٦] لِما خلِق له»[٧].

فمتى داوَم على ذلك، عرَف بما اطّلع عليه وما ناله من الأُمور الفيضـيّة الشهوديّة ما ناله من الوراثة الأحمديّة، وعرَف موقعَ قدمه في أيّ مقام هو من مقاماتها؛ **فإنّ الحكيم الكامل والمحقّق الفاضل مَن عرَف مقامَه، وعامَل كلَّ حالة ووقت بما يليق به، ولا يخلط مقاماً بمقام؛** فإنّ مَن عرف مقامَه كان قائماً بوظائف الحكمة، محقّقاً لأُصـولها وفروعها. فيعرف فضـله على أبناء زمانه، ممّن لم يبلغ ذلك المقام، فيعامل[٨] أحواله بمعاملة[٩] المحاسبة والمراقبة. فيجعل أحواله وأوقاته مضبوطةً باللائقات لها بحسب تعـدّدهـا في شـؤون[١٠] أطوارهـا. فلا يَخلِط حالاً بحال، ولا مقاماً بمقام؛ لتمييزه بين جميعها، وتدبيرِه أحوالَها العارضـة واللازمة. فلا يفوت[١١] شـيء عن وقته، ولا يذهب

---

(١) الكافي: ٧٧/١؛ بصـائر الدرجات: ١٠/١؛ الأماليّ للصـدوق: ٦٠؛ الاختصاص: ٤؛ ثواب الأعمـال: ١٣١؛ روضـة الواعظين: ٩/١؛ متشابه القرآن: ٢٥١/١؛ غرر الأخبار: ٤٣؛ عوالي اللئالي: ٣٥٨/١

(٢) بضنين: بظنين B

(٣) القرآن الكريم: ٢٤/٨١

(٤) القرأن الكريم: ٦٩/٢٩

(٥) فيديم: فبهداهم اقتده A

(٦) B115a

(٧) مرويّ عن النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآلهـ، كمـا في: التوحيـد للصـدوق: ٣٥٦؛ عوالي اللئالي: ١١٧/٤

(٨) فيعامل: فيعاطي A

(٩) بمعاملة: بمعاطي A

(١٠) A216b

(١١) يفوت: تفوت A

حال عن موضعه. فيصدق عليه اسمُ الحكيم الفاضل والماهر الكامل، بواسطة تلك المعاملة والعدالة.

فإنّ هذه المعاملةَ العدليّة ووضعَ الأشياء على ما هي عليه بحسب الأوقات والأحوال بشدّة المراقبة البالغة[١] للمحاسبة الحاصلين عن تحقيق المقام ومعرفة مواطئ أقدامه في مسالكه، **كانت طريقةَ محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ والأولياء من بعده [ـ عليهم السلام ـ]**[٢]؛ فإنّهم أشدُّ الناس معرفةً بمقاماتهم، وأعظمُهم مراقبةً، وأتمُّهم محاسبةً، وأحسنُهم معاملةً[٣]، وأقوَمُهم عدالةً، فكانوا بذلك قدوة الكلّ في الكلّ، [فاستَلحِق][٤] تَلحَق.

[النسبة بين الولاية والخلافة]

وتتميم هذا البحث والكشف عنه أن نقول: الولاية التي [توجب][٥] لصاحبها التصرّف في العالم العنصريّ، وتدبيره بإصلاح فساده وإظهار الكمالات فيه ـ لاختصاص صاحبها بعناية إلهيّة ـ، توجب له قوّة في نفسه، لا يمنعها الاشتغال بالبدن عن الاتّصال بالعالم العِلويّ، واكتساب العلم الغيبيّ منه في حالة الصحّة واليقظة. بل تجمع بين الأمرين؛ لِما[٦] فيها من القوّة التي تسَع الجانبين، [و][٧] تسمّى خلافة ونبوّة وإمامة، المُشار إليها في قوله ـ عزّ من قائلٍ ـ: ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٨]، وقوله: ﴿يَا داوُودُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾[٩]، وقال تعالى في حقّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ:

---

(١) البالغة: التابعة B
(٢) عليهم السلام: عليه السلام AB
(٣) B115b
(٤) فاستلحق: فالحق AB
(٥) توجب: يوجب AB
(٦) لما: ـ A
(٧) و: ـ AB
(٨) القرآن الكريم: ٢/٣٠
(٩) القرآن الكريم: ٣٨/٢٦

﴿إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً﴾[١]. وذلك بمعنى أنّه يخلفه في العلم والرئاسة؛ لأنّه أقرب إليه من الباقي، يصل الفيض إليهم بتوسّطه[٢]. كما أنّ[٣] حُفّاظ الملِك على المُلك خلفاؤه، فكذا حُفّاظ العلوم الحقيقيّة والقائمون[٤] بحجج اللّه وبيّناته ومُصلِحوا بريّته[٥] خلفاء اللّه في أرضه على[٦] خلقه. فالولاية والخلافة[٧] إذا أُخذتا[٨] على الوجه المطلق، كانتا في الحقيقة شيء واحد.

وقد تؤخذ الولاية والخلافة بالمعنى الأخصّ، فيُراد [بهما][٩] التصرّف المذكور المأخوذ عن النبوّة، بحيث يلاحظ[١٠] [فيهما][١١] كون الكماليّة المشتمل عليها ذلك الشخص المجتمع[١٢] فيه شرائط الخلافة والولاية بسبب قربه من مشكاة النبوّة، وأخذ العلوم الحقيقيّة والكمالات النفسانيّة عنها. فيكون حينئذٍ بينها وبين النبوّة عموم وخصوص مطلق؛ لِصدق «كلّ نبيّ وليٌّ وخليفةٌ»، ولا عكس؛ لأنّ مرتبة النبوّة أقوى من مرتبة الولاية الخاصّة؛ لأنّ هذه الولاية مبدؤها النبوّة؛ فإنّ بلوغ النبيّ الخاصّ مرتبةَ الولاية إنّما هو بسبب الفيض عليه من ولاية النبوّة بخاصّيّة كمال متابعته له، وقوّة سلوكه مواطئ أقدام مقاماته، حتّى يصير متكمّلاً بجميع كمالاته، فيقوم مقامَه في الولاية والخلافة. فهو مقتبس لها من مشكاة النبوّة، مستفيداً لأنوارها منه بغير واسطة شيء خارج، فيوجب له الاستغناء عن المُرشِد والمعلّم. بل يُفيض عليه الكمالَ الأعلى

(١) القرآن الكريم: ١٢٤/٢
(٢) بتوسّطه: بتوسّط B
(٣) أنّ: أنّه A
(٤) العلوم الحقيقيّة والقائمون: العلم الحقيقة قائمون A
(٥) A217a
(٦) على: + ~~أرضه~~ A
(٧) الخلافة: + ~~بالمعنى~~ A
(٨) أخذتا: أخذنا A
(٩) بهما: بها AB
(١٠) يلاحظ: تلاحظ B
(١١) فيهما: فيها AB
(١٢) B116a

والنورَ الأسنى، بسبب مقابلة نفسه لنفسه، وشدّة اتّصالها بها، وحسن صقالتها. فينطبع فيها جميعُ صورها المنتقشة فيها من عالم الغيب؛ لكون نفسه [نفساً][١] قدسيّة كنفسه، في شدّة اتّصالها بالعالم العِلويّ، وجمعِها بين القوّتين، إلّا أنّ ذلك الاتّصال مشروط[٢] باتّصالها بمشكاة النبوّة، التي هي الطريق لها إلى الوصول إلى ذلك الاتّصال.

[النسبة بين الولاية المطلقة والنبوّة]

فعُلم بذلك أنّ مرتبة الولاية المطلقة أجلّ وأعلى وأشرف من مرتبة النبوّة.

أمّا أوّلاً، فلأنّ الولاية مبدأ لها؛ لأنّ النبيّ لا يكون نبيّاً حتّى يكون وليّاً. فالولاية مبدأ النبوّة، وإذا[٣] كانت مبدأً[٤] لها كانت سابقةً عليها، وعلّةً في حصولها. فيكون ولاية النبيّ المطلقة أجلّ وأعلى وأشرف من نبوّته.

وأمّا ثانياً، فلأنّ الولاية أعلى منها رتبةً؛ لأنّ مبدأها الوحدة المطلقة التي هي مقام «لا يسعني ملَك مقرَّب»[٥]. وكمال النبوّة من جهة الكثرة الحاصلة بسبب الردّ إليها بعد مقام الوحدة، المُشار إليها في قوله: «إنّي أُباهي[٦] بكم»[٧]. ولا ريب أنّ مقام الوحدة أجلّ وأعلى من مقام الكثرة، فيكون قوّة النبوّة من الولاية، فتكون[٨] أشرف منها.

وأمّا ثالثاً، فلأنّ الولاية أكملُ حيطةً، وأوسع مجالاً، وأبسط حقيقةً؛ لكونها

---

(١) نفساً: نفس AB

(٢) مشروط: لها شروط A

(٣) B116b

(٤) A217b

(٥) لم أعثر عليه في المصادر الروائيّة للفريقين، لكن نسبه إليه ـصلّى الله عليه وآلهـ بعض المتصوّفة في كتبهم أنّه قال: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملَك مقرَّب، ولا نبيّ مرسَل». (كشف المحجوب: ٤٨٠؛ تمهيدات: ١٢٣؛ كشف الأسرار: ٣١/١؛ كشف الحقائق: ١٦٦)

(٦) أُباهي: أنا هي A

(٧) الكافي: ٥٩٦/١٠؛ تهذيب الأحكام: ٤٠٠/٧؛ التوحيد للصدوق: ٣٩٥؛ عوالي اللئالي: ٢٨٧/٣

(٨) فتكون: فيكون A

كالجنس[١] الداخل تحتها سائر الولايات، والجامعة لأصناف الكمالات؛ لدخول النبوّة تحتها، من حيث إنّها ولاية خاصّة داخلة تحت مطلق[٢] الولاية، والأعمّ أشرف وأكمل من الأخصّ.

[النسبة بين الولاية الخاصّة والنبوّة]

وأمّا الولاية الخاصّة، فالنبوّة أشرف وأعلى وأكمل منها؛ ضرورةَ أنّ الأصل أشرف من فرعه؛ فإنّ نبوّة النبيّ مبدأ لتلك الولاية، ومتقدّمة عليها، فيكون أشرف منها من تلك الحيثيّة.

وأيضاً فإنّ ظهور هذه الولاية عن النبوّة كظهور نور القمر عن نور الشمس؛ لِما عرفتَ من توقّفها عليها واستفادتها منها، فهي عكس لشعاعها وظلّ لها.

هكذا ذكَره بعض المتوغّلين في البحث عن هذه الحقائق.

[مذهب الإشراقيّين في الولاية والخلافة]

[٣]< وأمّا أهل التألّه من الحكماء الإشراقيّين فقالوا: إنّ مبدأ الولاية هي الحكمة.

[مراتب الحكماء]

ومراتب[٤] الحكماء كثيرة، فهم طبقات:

فمنهم: الحكيم الإلهيّ المتوغّل في التألّه، عديم البحث، ككثير من الأنبياء والأولياء[٥].

ومنهم: الحكيم البحّاث عديم التألّه، وهو عكس الأوّل؛ لأنّا نريد[٦] بالبحّاث هنا

---

(١) كالجنس: الجنس A

(٢) مطلق: مطلقة A

(٣) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

(٤) B117a

(٥) الأولياء: + من مشايخ التصوّف P

(٦) نريد: يزيد B

المتوغّل في البحث، كأكثر أتباع المشّائين من زمان أرسطو.

ومنهم: الحكيم الإلهيّ المتوغّل في التألّه والبحث معاً، وهذه[١] الطبقة أعزّ من الكبريت الأحمر. وجميع الأنبياء المشهورين من أُولي العزم والأولياء الكبار كانوا بهذه الصفة.

ومنهم: الحكيم الإلهيّ المتوغّل في التألّه، المتوسّط في البحث.

[ومنهم: الحكيم الإلهيّ المتوغّل في التألّه، الضعيف في البحث.][٢]

ومنهم: الحكيم المتوغّل في البحث، [المتوسّط][٣] في التألّه.

[ومنهم: الحكيم المتوغّل في البحث، الضعيف في التألّه.][٤] وهؤلاء أصحاب النهايات.

[مراتب الطلبة]

وأمّا الطلبة:

فمنهم: طالب التألّه حسب[٥].

و[منهم:][٦] طالب البحث حسب[٧].

و[منهم:][٨] طالبهما[٩].

[المستحقّ للخلافة من مراتب الحكماء]

وإذا[١٠] اتّفق في الوقت متوغّل في البحث والتألّه معاً[١١]، فله رئاسة العالم

---

(١) A218a

(٢) ومنهم ... البحث: _ AB

(٣) المتوسّط: متوسّط AB

(٤) ومنهم ... التألّه: _ AB

(٥) حسب: فحسب P

(٦) منهم: _ AB

(٧) حسب: فحسب P

(٨) منهم: _ AB

(٩) طالبهما: طالبها A

(١٠) وإذا: فإن P

(١١) معاً: _ P

العنصريّ؛ لكماله في الحكمتين، وإحرازه السبقين، واشتماله على الشرفين[١]. فهو خليفة اللّه في أرضه؛ لأنّه أقرب الخلق منه تعالى[٢].

وإن لم يتّفق[٣]، فالمتوغّل في التألّه المتوسّطُ في البحث؛ إذ شرف التألّه أفخم من شرف البحث؛ إذ الحاصل عن البحث لا يسلم عن الشكّ[٤]، بخلاف الحاصل عن التألّه.

وإن لم يتّفق، فالمتوغّلُ في التألّه وإن كان[٥] عديمَ البحث. فهو[٦] خليفة اللّه، ولا يجوز[٧] خلوّ الأرض عن أمثاله، وقد تخلو عن الأوّلَين[٨]، ولا تخلو[٩] من متوغّل في التألّه أبداً.

[عدم استحقاق غير المتوغّلين في التألّه للخلافة]

ولا رئاسة في أرض اللّه للباحث[١٠] المتوغّل في البحث الذي لم يتوغّل في التألّه؛ لأنّ[١١] المتوغّل في التألّه لا يخلو العالم عنه. وهو أحقّ من الباحث حسب[١٢]؛ إذ لا بدّ لخليفة[١٣] الملك ووزيره أن يتلقّى عنه ما هو بصدده، ويأخذَ منه ما يحتاج إليه الخلافة. فالمتألّه له قوّة الأخذ عن البارئ والعقول، دون فكر ونظر، بل[١٤] باتّصال روحيّ. والباحث لا يأخذ شيئاً إلّا بواسطة المقدّمات والأفكار والأنظار، فلهذا كان المتألّه أولى من الباحث فقط. >[١٥]

---

(١) الشرفين: الشرقين A
(٢) تعالى: + لنُدرته وعزّته P
(٣) وإن لم يتّفق: ـ P
(٤) الشكّ: الشكوك P
(٥) كان: + علم A؛ وإن كان: ـ P
(٦) فهو: وهو
(٧) يجوز: يمكن P
(٨) الأوّلين: + لنُدرتهما P
(٩) تخلو: يخلو AB
(١٠) B117b
(١١) لأنّ: فإنّ P
(١٢) حسب: فحسب P
(١٣) لخليفة: بخليفة A
(١٤) نظر بل: تطويل AB
(١٥) شرح حكمة الإشراق: ٢١ ـ ٢٢

وإلى هذا أشار مولانا أمير المؤمنين عليّ ـعليه السلامـ بقوله: «لا يخلو الأرض من قائم للّه بحجّة، إمّا ظاهر مشهور، أو خائف مقهور[١]؛ لئلّا يبطل حجج اللّه وبيّناته»[٢].

[عدم خلوّ الأرض من المتوغّل في التألّه]

وهو ذوق أهل الحكمة الذوقيّة[٣] من الحكماء الإشراقيّين، من زمان هرمس الهرامسة إلى زمان الخاتم؛ فإنّهم قائلون بأنّ العالم ما خلا قطّ من الحكمة وعن قائم بها عنده الحجج والبيّنات؛ [٤]< لأنّ العناية الإلهيّة كما اقتضت وجودَ هذا العالم، فهي تقتضي[٥] صلاحه، وهو إنّما يكون[٦] بالحكماء المتألّهين، الشارعين للشرائع، والمؤسّسين للقواعد. فوجب أن لا يخلو الأرض عن واحد[٧] منهم، يقومون[٨] بحجج اللّه، ويؤدّونها[٩] إلى أهلها عند الاحتياج. بهم يدوم نظام العالم، ويتّصل فيض البارئ. ولو خلا الزمان عنهم لَعظم الفساد، وهلك الناس[١٠] بالهرج والمرج. والعناية الأزليّة تأبى ذلك[١١]؛ إذ من المعلوم أنّ الحاجة إلى شخص به يكمل[١٢] نظام نوع الإنسان أشدّ من الحاجة إلى إنبات الشَعر على الأشفار[١٣] وعلى الحاجبَين، وإلى[١٤] تقعير

---

(١) مقهور: مغمور B؛ ظاهر مشهور أو خائف مقهور: ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مقهوراً P

(٢) تحف العقول: ١٧٠؛ شرح الأخبار: ٣٧٠/٢؛ كمال الدين: ٢٩٤/١؛ نهج البلاغة: ٤٩٧؛ خصائص الأئمّة: ١٠٦؛ نزهة الناظر: ٥٧؛ عوالي اللئالي: ١٢٧/٤

(٣) A218b

(٤) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

(٥) فهي تقتضي: هي يقتضي A

(٦) إنّما يكون: ـ P

(٧) واحد: + أو جماعة P

(٨) يقومون: يقوم AB

(٩) يؤدّونها: يؤدّيها AB

(١٠) B118a

(١١) تأبى ذلك: تأباه P

(١٢) يكمل: تكمل AB

(١٣) الأشفار: أشفار العينين AB

(١٤) إلى: ـ AB

الأخمصَين[١]، وأشياء أُخر من المنافع التي لا ضرورة إليها في البقاء، بل نافعة فيه.

وإذا أمكن وجود هذا الشخص[٢]، فلا يجوز عنده أن يكون العناية الإلهيّة تقتضي[٣] هذه المنافع، ولا تقتضي[٤] ما هو أكثر منها منفعةً، مع أنّ العقل السليم يحكم به على سبيل الحدس. فهو[٥] خليفة اللّه في أرضه، وهكذا يكون ـ ما دامت السماوات والأرض ـ للّه خليفةٌ في أرضه؛ لدوام الأنواع العنصريّة بدوامها[٦]، ويلزم من دوام الأنواع العنصريّة بطريق العناية الإلهيّة دوامُ الخلافة والخليفة. >[٧]

[٨]< وهو ـ كما قلناه ـ حكيم إلهيّ متوغّل في التألّه والبحث معاً. وهذه الطبقة في الناس وإن كانت أعزّ[٩] من الكبريت الأحمر، إلّا أنّ العناية الإلهيّة تقتضي وجود شخص قائم بها في جميع الأوقات >[١٠]، [١١]< فلا يخلو[١٢] العالم عنه؛ لأنّ[١٣] خليفة الملك ووزيره لا بدّ وأن يأخذ[١٤] عنه[١٥] ما هو بصدده، ممّا يحتاج الخلافة إليه. فللمتألّه قوّة الأخذ عن اللّه تعالى وعن العقول، بلا فكر طويل، بل باتّصال روحيّ وحضور إشراقيّ؛ لصفاء جوهر نفسه، وتخليتها[١٦] عن عوائق الطبيعة وشوائب المادّة، بسبب خلعه جلابيبَ ملابس الأبدان. فهو الرئيس المُطاع[١٧]، والمتصرِّف المتّبَع،

(١) الأخمص: باطن القدم. (لسان العرب)

(٢) أمكن وجود هذا الشخص: علم ذلك لشخص AB

(٣) تقتضي: يقتضي AB

(٤) تقتضي: يقتضي AB

(٥) فهو: وهو P

(٦) بدوامها: بدوام السماوات والأرض P

(٧) شرح حكمة الإشراق: ١٨ ـ ١٩

(٨) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

(٩) أعزّ: أغرّ B

(١٠) شرح حكمة الإشراق: ٢١

(١١) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

(١٢) يخلو: تخلو A

(١٣) لأنّ: أنّ A

(١٤) يأخذ: تأخذ A

(١٥) وأن يأخذ عنه: له من أن يتلقّى منه P

(١٦) تخليتها: تحليتها A || A219a

(١٧) B118b

والمدبِّر المُتقِن، والدواء النافع، والإكسير الصائغ، والمالك بالحقّ.

وليست هذه الرئاسة هو التغلّب، ولا تحصل أيضاً به، بل المراد أنّ استحقاق الإمامة والقدوة والرئاسة له بسبب اتّصافه بالكمالات. بل قد يكون المتألّه البحّاث المتوغّل فيهما مستولياً ظاهراً، كالأنبياء ذوي الشوكة؛ وقد يكون خفيّاً مستتراً، وهو الذي سمّاه الكافّةُ القطبَ. فله الرئاسة الكبرى، وإن كان في غاية الخُمول.

وإذا كانت السياسة بيده، كان الزمان مُضيئاً نورانيّاً؛ لتمكّنه من نشر العدل والحِكَم[١]، وبثّ الحقائق وسائر الأخلاق المحمودة، وحمل الناس على المحجّة البيضاء، بقوّة نفسه بالعلم والعمل[٢].

وإذا خلا الزمان عن تدبيره وتصرّفه، كانت الظلمات غالبة. فيكثر[٣] الشرور والمعاصي، ويظهر الجور، ويقصر الكُمّل عن وصول الكمال؛ لغلبة أهل الشرور واستيلائهم على المناصب[٤]؛ لاستيلاء ذوي الغباوة والجهالات، كحال هذه الأزمنة. فلهذا ضعفت الشرائع، وتواترت الوقائع، وانطمست السبُل والمناهج الحكميّة، واندرست المراتب والمدارج العقليّة. <[٥]

اللّهمّ عجِّل لنا بكشف ذلك وإزالته، بظهور القطب [الأتمّ][٦]، مركز دائرة جميع الأُمم، الحجّة الكبرى، والمحجّة العُظمى، خاتم هذه الوراثة والولاية، بل خاتم الختم الذي هو حسنة من حسنات سيّد المرسلين وخاتم النبيّين ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين[٧] ـ.

---

(١) الحكم: الحكمة P
(٢) العمل: العدل A
(٣) فيكثر: فكثر A
(٤) المناصب: المناسب A
(٥) شرح حكمة الإشراق: ٢٢ ـ ٢٣
(٦) الأتمّ: الأُمم AB
(٧) B119a

ذكَر جميعَ هذه المباحث ـكما هيـ أكابرُ أهل هذه الصناعة، وأساطين الحكمة الذوقيّة الكشفيّة. فمن أراد الاستقصاء والوقوف على التفاصيل، فعليه بمطالعة كتب القوم بطوله[١]، يظهر له مواضع التحقيق، واللّه الهادي إلى سواء الطريق.

[مباحث الأفعال]

ولنكمّل هذه المباحث بذكر مباحث الأفعال، وسرّ[٢] من أسرار النبوّة والخلافة. وهي مباحث لطيفة، تعلّقت بالأفعال الصادرة عن أهل التكليف الذي منشؤه النبوّة. ولنقدّم لذلك مقدّمةً:

[ربط العوالم والموجودات بعضها ببعض]

[٣]< اعلَم أنّ الحقّ ـسبحانهـ ربَط العوالم والموجودات ـجليلَها وحقيرَها، و[٤] صغيرَها وكبيرَهاـ بعضها ببعض، وأوقف ظهورَ بعضها على البعض، وجعل بعضها مرائي ومظاهر للبعض. فالعالم السفليّ بما فيه مرآة للعالم العِلويّ ومظهر[٥] لآثاره. وكذلك العالم العِلويّ مرآة يتعيّن فيها[٦] أرواح أفعال السفليّ تارةً، وصورها تارةً، والمجموع تارةً. وعالم المثال الكلّيّ من حيث تقيّده[٧] في بعض المراتب ومن حيث عموم حكمه وإطلاقه، مرآة لكلّ[٨] فعلٍ، ولكلّ موجود، ولكلّ مرتبة. وانفرد الحقّ ـسبحانهـ بإظهار كلّ شيء على حدّ علمه به، لا غير، وجعل ذلك الإظهار تابعاً لأحكام النكاحات[٩]. فظهور[١٠] الموجودات ـعلى اختلاف أنواعها وأشخاصهاـ

---

(١) A219b
(٢) سرّ: شيء B
(٣) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٤) و: ـ P
(٥) مظهر: مظهراً AB
(٦) يتعيّن فيها: يتعيّن وينطبع فيه P
(٧) تقيّده: يفيده A
(٨) لكلّ: الكلّ A
(٩) النكاحات: + الخمسة التابعة للحضرات الخمس P
(١٠) فظهور: وظهور AB

متوقّف على سرّ الجمع[١] النكاحيّ على اختلاف مراتبه وأحكامها ـ كما مرّت الإشارة إليه ـ.

[معرفة الفاعل المطلق لكلّ شيء]

فإذا عرفتَ ذلك، فنقول[٢]: الباعث على الفعل هو الحركة الغيبيّة الإراديّة، التابعة لعلم المنبعث على الفعل. ولتلك الحركة باعتبار علم المريد[٣] حكمٌ يسري[٤] في الفعل الصادر منه، حتّى ينتهي إلى الغاية التي تعلّق بها علمه[٥]، وعلِّق[٦] بها الإرادة. فكلّ فعل يصدر من فاعل مريد[٧] مبدؤه ذلك. ولا بدّ له[٨] من أمر يتعيّن به الغاية، ويظهر صورة الفعل الذي هو مفعول لأجله. ولا بدّ له[٩] من نتيجة وأثر يكون متعلّقه غايةَ ذلك الفعل وكمالَه.

وهذه الأُمور تختلف[١٠] باختلاف الفاعلين وقواهم وعلومِهم ومقاصدِهم[١١] وحضورِهم ومواطنِهم ونشئاتِهم[١٢]. والفاعلُ[١٣] المطلقُ في الحقيقة لكلّ شيء وبكلّ شيء[١٤] وفي كلّ شيء هو الحقّ. ولا يُتصوّر صدور فعل من فاعل ويكون خالياً عن أحكام هذه القيود النسبيّة إلّا النشئات المقيّدة؛ فإنّ أفعال الحقّ من حيث الأسماء والوجه الخاصّ وآثار الحقائق الكلّيّة والأرواح، لا تتوقّف على النشئات المقيّدة، ولكن

---

(١) الجمع: الجميع B
(٢) ذلك فنقول: هذا فأقول P
(٣) المريد: المزيد B || B119b
(٤) يسري: سرى AB
(٥) علمه: العلم P
(٦) علّق: تعلّق A
(٧) مريد: فإنّ P
(٨) له: ـ AB
(٩) له: + أيضاً P
(١٠) تختلف: يختلف AB
(١١) A220a
(١٢) نشئاتهم: نشأتهم AB، + إن كانوا من أهل النشئات المقيّدة P
(١٣) الفاعل: فاعل A
(١٤) وبكلّ شيء: ـ AB

تتوقّف على المظهر؛ لأنّه[١] ليس من شرط المظهر وأقرب من ينضاف[٢] إليه الفعل أن يكون[٣] عارفاً بما ذكرنا أو حاضراً معه؛ فإنّ من الأفعال ما إذا اعتبِر بالنظر إلى أقرب من[٤] ينسب إليه سُمّي لغواً وعبثاً، بمعنى أنّ فاعله ظاهراً[٥] لم يقصِد به مصلحةً ما، وإلّا لكان[٦] له فيه غرض. والشأن في الحقيقة ليس كذلك؛ فإنّ فاعل ذلك الفعل ـ في الحقيقة ـ الذي لا فاعل فعل سواه[٧]، هو الحقّ ـ عزّ وجلّ ـ، ويتعالى أن ينسب إليه العبث؛ فإنّه كما أخبر وفهّم ﴿[أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا][٨] خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾[٩]، ﴿وَما خَلَقْنَا السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا باطِلاً﴾[١٠]. بل له[١١] ـ سبحانه ـ في كلّ تسكينه وتحريكه حكمة[١٢] عجيبة وأسرار غريبة، لا يهتدي أكثر الأفهام إليها، ولا يحيط بها العقول دون تعريفه بكنهها، ولا يستشرف[١٣] النفوس عليها.

فلا بدّ لكلّ ذرّة[١٤] فعلٍ من ثمرة وبداية وغاية، ولا بدّ أن يصحبه حكم القصد الأوّل والحضور التابعَين للعلم[١٥] المتعلّق بالغاية، لكن للفعل ولمن ينسب إليه مراتب. فربّما نعِت الفعل في بعض المراتب بنعوت عرَضت له من حيث النسبة والإضافة، في مرتبة معيّنة، أو حالة مخصوصة، أو بحسب مراتب وأحوال. فيظنّ من لا يعرف السرَّ أنّ الفعل يستند إلى فاعلَين، أو أنّ ذلك النعت ذاتيّ للفعل واجب الحكم عليه[١٦] به على

---

(١) لأنّه: ولا بدّ إلّا أنّه P
(٢) ينضاف: يضاف A
(٣) يكون: كان AB
(٤) من: ما AB
(٥) ظاهراً: طاهراً B
(٦) إلّا لكان: لا كان P
(٧) فاعل فعل سواه: فعل لسواه P
(٨) أ فحسبتم أنّما: ما ABP
(٩) القرآن الكريم: ١١٥/٢٣
(١٠) القرآن الكريم: ٢٧/٣٨
(١١) B120a
(١٢) تسكينه وتحريكه حكمة: تسكينة وتحريكة حكم P
(١٣) يستشرف: يستشرق B
(١٤) ذرّة: ـ P
(١٥) للعلم: للعالم AB
(١٦) عليه: + و AB

كلّ حال وفي كلّ مرتبة منها. وليس(١) كذلك، بل الأمر كما قلناه.

[أقسام الأفعال]

ثمّ(٢) الأفعال على(٣) أقسام: ذاتيّة، وإراديّة، وطبيعيّة، وأمريّة.

والأمريّة على قسمين:

ـ قسم يتّحد بالأفعال الإراديّة ولا يغايرها، كأفعال الملائكة والأرواح النوريّة.

ـ وقسم يخالف(٤) الإراديّة من بعض الوجوه، كالتسخين المنسوب إلى الشمس والقمر وبعض الملائكة.

والطبيعيّة(٥) في الانقسام كالأمريّة(٦).

ثمّ هنا قسمٌ جامعٌ لهذه(٧) الأقسام الستّة. وصدورُ هذه الأقسام الفعليّة من الموجودات على أنواع؛ فإنّ:

ـ من الموجودات ما يختصّ بقسم واحد من هذه الأقسام(٨).

ـ ومنها: ما يختصّ بقسمين وثلاثة(٩) على الانفراد والتركيب، بمعنى أنّ أفعاله تصدر مركّبة(١٠) من هذه الأقسام، أو يكون في قوّته أن يصدر عنه بحسب كلّ قسمٍ فعلٌ أو أفعال شتّى.

ـ ومنها: ما هو(١١) يجمع سائرها.

---

(١) A220b

(٢) ثمّ: + اعلم أنّ P

(٣) على: + ثلاثة AB

(٤) يخالف: تخالف A

(٥) الطبيعيّة: الطبيعة A

(٦) كالأمريّة: كالإراديّة AB

(٧) لهذه: بهذه A

(٨) الأقسام: + المذكورة P

(٩) B120b

(١٠) مركّبة: منه AB

(١١) هو: ـ P

ومظاهرُ هذه الأقسام الأرواحُ النوريّة والناريّة، والصور[١] العِلويّة، والعناصر وما تولّد عنها، وخصوصاً الإنسان وما تولّد منه، في كلّ نشأة وحال وموطن ومقام.

[بيان ما يختصّ بالإنسان من هذه الأقسام]

وأمّا إسناد كلّ قسمٍ من هذه الأقسام[٢] إلى مَن يختصّ به مِن الموجودات على التعيين، فالكلام عليه يحتاج إلى بسط وكشف أسرار غامضة لا يجوز إفشاؤها[٣]. فالمقصود بيان ما يختصّ بالإنسان؛ إذ هو المثال الأتمّ والنسخة الجامعة.

فنقول: الإنسان جامع لسائر أقسام الفعل وأحكامها، وله من حيث مجموع صورته وروحه في الحياة الدنيا أفعالٌ كثيرةٌ، وله من حيث روحانيّته حالَ الانسلاخ بالمعراج الروحانيّ أفعالٌ وآثارٌ شتّى، تقتضي[٤] أُموراً شتّى ونتائج جَمّة[٥]، مع بقاء العلاقة البدنيّة والتقيّد[٦] من بعض الوجوه، بحكم هذه الدار وهذه النشأة العنصريّة. وله أيضاً بعد[٧] مفارقة النشأة العنصريّة بالكلّيّة في نشأته البرزخيّة والحشريّة والجنانيّة وغيرها أفعالٌ وأحوالٌ مختلفة، ولكن كلّها تابعة للنشأة العنصريّة وناتجة عنها. وبتوسّطها يتعدّى أفعال الإنسان من الدنيا إلى البرزخ، ثمّ إلى الآخرة، وتتشخّص[٨] في الحضرات العِلويّة، ويثبت ويدوم حكمها كيف كان الإنسان وحيث كان من المراتب والعوالم[٩] والمواطن؛ فإنّه لا يَعرى عن أحكام المزاج[١٠] العنصريّ ولوازمه ونتائجه التي يظهر بها[١١] وفيها

---

(١) الصور: الصوريّة AB
(٢) هذه الأقسام: أقسام الأفعال P
(٣) إفشاؤها: إفسادها AB
(٤) تقتضي: يقتضي AB
(٥) جمّة: خمسة A
(٦) التقيّد: التقييد AB
(٧) له أيضاً بعد: ـ AB
(٨) تتشخّص: يتشخّص A
(٩) ويثبت ... العوالم: ـ AB
(١٠) المزاج: ـ AB
(١١) يظهر بها: يظهرها A

نفسه؛ إذ لا غَناء[١] له عن مظهر، ومظاهر الإنسان لا تعرى[٢] عن حكم الطبيعة أبداً. >[٣]

[سبب غضّ النظر عن أفعال الجنّ في هذا البحث]

[٤]< فأهمّ ما يجب ذكره وبيانه من هذه التقاسيم كلّها أفعالُ[٥] المكلّفين، المضمونُ لهم عليها الجزاء، وهم[٦] الثقلان.

وأمّا الجنّ، فنحن وإن كنّا لا نشكّ في أنّهم يُجازَون على أفعالهم، لكن لا نتحقّق أنّهم يدخلون الجنّة، وأنّ المؤمن منهم يُجازى على ما عمل مِن خير في الآخرة؛ فإنّه لم يرد في ذلك نصّ، ولا يعرف من جهة الذوق في هذه المسألة ما يوجب الجزم، فقد يَجنون ثمرةَ خيرهم في غير الجنّة، حيث شاء اللّه[٧].

[أقسام أفعال الإنسان في الدنيا]

وأمّا[٨] الإنسان فعَليه[٩] مدار الأمر، وهو محلّ تفصيل الحكم. فنقول: فعلُه لا يخلو:

ـ إمّا أن لا يُقصَد به مصلحةٌ ما، فهو المسمّى عبثاً. وقد سبق التنبيه عليه، وعلى أنّه غير مقصود للحقّ في نفس الأمر.

ـ وإمّا أن يكون مقصوداً ومتعلّقاً بأمر هو غايته. وذلك الأمر إمّا أن يكون الحقّ، أو ما منه.

فما متعلّقه الحقّ، فإنّ مجازاته عليه تكون بحسب عنايته بالعبد الذي هذا شأنه، وبحسب علم العبد بربّه الذي لا يطلب بما[١٠] يفعله شيئاً سواه[١١]، وبحسب اعتقاده

---

(١) غناء: غنى P
(٢) تعرى: يعرى AB
(٣) إعجاز البيان: ١٨٨ ـ ١٩١
(٤) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٥) B122a
(٦) هم: هو AB
(٧) وأمّا الجنّ ... اللّه: ـ AB
(٨) وأمّا: لأنّ AB
(٩) فعليه: عليه AB
(١٠) بما: ممّا A
(١١) A221a

فيه[١]، وحضورِه معه حين الفعل من حيث العلم والاعتقاد. ولهذا المقام أسرار يحرم[٢] كشفها.

وما من الحقّ يتعلّق تفصيله بأربع[٣] مقامات: مقام الخوف، ومقام التقوى، ومقام الرجاء، ومقام حسن الظنّ.

وهي مقامات[٤] تابعة لمقام[٥] المحبّة؛ فإنّ الباعث على الفعل هو الحكم الحبّيّ[٦] ومتعلّقه باعتبار ما من الحقّ: إمّا طلب ما يوافق الطالب، أو دفع ما لا يوافقه عنه، أو الاحتراز من وقوع غير الموافق، أو ترجّي جلب الموافق بالفعل، أو به وبحسن الظنّ بمن يرجو من[٧] فضله نيلَ ما يروم حصولَه من كون المرجوّ جواداً محسناً ونحو ذلك، أو العصمة ممّا يحذر وقوعه منه من كونه قاهراً شديد العقاب، فيخشى أن يصل إليه منه ألم أو[٨] ضرر.

ثمّ كلّ ذلك:

ـ إمّا أن يتقيّد بوقت معيّن، وحالة مخصوصة، ودار دون دار، كالدنيا والآخرة وما بينهما من المواطن.

ـ وإمّا أن لا يتقيّد بشيء ممّا ذكرناه بل يكون مراد[٩] الفاعل أحد الأمرين: إمّا جلب المنافع، أو دفع المضارّ، على كلّ حال وفي كلّ وقت ودار ممّا[١٠] يأتي له من الطرق[١١]، أو يكون الباعث له على فعل الخير هو نفس معرفته بأنّه حسن، واحترازه من

---

(١) فيه :منه AB
(٢) يحرم: يجزم A
(٣) تفصيله بأربع: بتفصيليّ A، بتفصيله B
(٤) هي مقامات: هذه المقامات P
(٥) لمقام: لمقامات P
(٦) الحبّيّ: الحسّيّ AB
(٧) B121a
(٨) أو: و AP
(٩) مراد: المراد A
(١٠) ممّا: بما A
(١١) الطرق: الطرف A

الشرّ هو نفس معرفته بأنّه قبيح و(١) مضرّ.

ونتيجةُ كلّ قسمٍ من أقسام الأفعال تابعةٌ لحكم الأمر الأوّل، الموجبِ للتوجّه(٢) نحو ذلك الفعل، والباعثِ عليه مع مشاركةٍ مِن حكم الاسم الدهر والشأن الإلهيَّين. وحكمُ الموطن والنشأة والنقص والإتمام وما سوى ذلك(٣)، فقط سبق التنبيه عليه.

وظهورُ كلّ فعلٍ من حيث صورته في مقام المجازاة عليه والإنتاج تابعٌ لحكم(٤) الصفة الغالبة على الفاعل حالَ التوجّه نحوه. ومنتهى الفعل حيث مرتبة الفاعل من الوجه الذي يرتبط بتلك الصفة الغالبة، وبحسب متعلَّق همّته. لكن الغلبة المنسوبة إلى(٥) الصفات الجزئيّة من حيث أوّليّتها تابعة للغلبة الكلّيّة الأُولى(٦)، المشتملة على تلك الجزئيّات(٧)، كالأمر في ما سبق به القلم(٨) من السعادة(٩) والشقاوة(١٠) بالنسبة إلى محاسن الأفعال الجزئيّة ومقابحها(١١) الظاهرة بين السابقة والخاتمة. وقد(١٢) ثبت أنّ الحكم في الأشياء هو لأحديّة(١٣) الجمع، ويظهر بالأوّليّات، فتذكَّر(١٤).

[تشخُّص كلّ فعل من أفعال الإنسان بصورة وروح]

ثمّ اعلَم أنّ كلّ فعل يصدر من الإنسان، فإنّ له في كلّ سماءٍ صورةً تتشخّص وتتعيّن بها(١٥) ذلك الفعل في هذا العالم. وروحُ تلك الصورة هو علمُ الفاعل وحضورُه بحسب

---

(١) و: _ P
(٢) للتوجّه: المتوجّه A
(٣) ذلك: هذا P
(٤) لحكم: بحكم A
(٥) A221b
(٦) الأولى: الأوّل A
(٧) الجزئيّات: _ AB
(٨) به القلم: _ AB
(٩) B121b
(١٠) الشقاوة: الشقاء P
(١١) مقابحها: مفاتحها AB
(١٢) قد: _ AB
(١٣) لأحديّة: الأحديّة A
(١٤) فتذكّر: فيدرك AB
(١٥) وتتعيّن بها: حين تعيُّن P

قصده حالَ الفعل، وبقاؤها هو بإمداد الحقّ ـ من حيث اسمه الذي له[١] الربوبيّة ـ على الفـاعـل حين الفعل، وكلّ فعلٍ فلا يتعدّى مرتبةَ الصــفة[٢] الغالبة عليه[٣]، الظاهرةِ[٤] الحكم فيه حين تعيُّنه من فاعله.

[شرط تعدّي الأفعال الحسنة إلى الآخرة]

والشــرط في تعدّي الأفعال الحســنة[٥] وحكمِها من الدنيا إلى الآخرة أمران، هما الأصلان في باب المجازاة ودوامِ صور الأفعال من حيث نتائجها:

أحدهما: التوحيد.

والآخر: الإقرار بيوم الجزاء، وأنّ الربّ الموجِد هو المُجازي.

فإن لم يكن الباعث[٦] أمراً إلهيّاً[٧] كلّيّاً أو معيّناً تابعاً للأصــلَين وناتجاً عنهما، فإنّ الصـورة المتشـخّصـة في العالم العِلويّ، المتكوّنةَ من فعل الإنسـان، لا تتعدّى[٨] إلى الســدرة، ولا يظهر لهـا حكم إلّا في ما دون الســدرة[٩] خارجَ الجنّة في المقام الذي يستقرّ فيه فاعله آخرَ الأمر. هذا إن كان فعلاً حسناً.

وإن كان سـيّئاً، فإنّه ـ لعدم صـعوده وخرقِه[١٠] عالمَ العناصـر ـ يعود، فيظهر نتيجته للفاعل سـريعاً، وتضمحلّ وتفنى أو تبقى[١١] في السدرة؛ لِما يعطيه سرُّ الجمع الكامن في النشء الإنسانيّ، وما يقتضيه دار الدنيا الجامعة[١٢] لأحكام المواطن كلّها. فإذا كان

---

(١) حيث اسمه الذي له: اسم AB
(٢) A222a
(٣) عليه: ـ P
(٤) الظاهرة: ظاهرة A
(٥) الحسنة: للحسنة A
(٦) الباعث: + على الفعل P
(٧) إلهيّاً: + أو AB
(٨) تتعدّى: يتعدّى A
(٩) السدرة: الذرّة AB
(١٠) خرقه: خرقة A
(١١) تضمحلّ وتفنى أو تبقى: يضمحلّ ويفنى أو يبقى AB
(١٢) B122b

يوم الحشر، ميّز اللّه الخبيث من الطيّب، كما أخبر: ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ﴾[١]. وهذه صفة أفعال الأشقياء، الذين لا يصعد لهم عمل حسن، على اختلاف مراتبهم.

والسرّ في ذلك أمران:

أحدهما: أنّ للكثرة[٢] حكمُ الإمكان ـكما بيّنّاـ، ولا بقاءَ لها ولا وجودَ إلّا بالتجلّي[٣] الوجوديّ الأحديّ والحكم الجمعيّ. فأيّ موجود لم يُعقل استنادُه[٤] إلى أحديّة المرتبة الإلهيّة، تلاشَت[٥] أحكامُ كثرته وآثارُها، ولم يبقَ[٦]؛ لعدم الاستناد إلى المرتبة التي بها[٧] يحفظ الحقّ ما يريد حفظَه. ولو لا انسحاب حكم ميثاق ﴿أَ لَسْتُ[٨]﴾[٩] ونفوذه بالسرّ الأوّل، لَتلاشى هو بالكلّيّة.

و[الثاني][١٠]: الأمر الآخر في ما ذكرنا يتضمّن أسراراً[١١] غامضة جدّاً، يجب كتمها، فأبقيناها[١٢] في خزائن غيبها.

وأمّا من يكون فعله تابعاً للأمر الإلهيّ من أهل التوحيد، فإنّ صور أفعاله[١٣] تنصبغ ـكما قلناـ بصفة علمه، ويسري فيها روح قصده، ويحفظها الحقّ عليه من حيث رحمته وإحصائِه بموجب حكم ربوبيّته.

فإن غلب على الفعل حكمُ العناصر وصورةُ النشأة العنصريّة، انحفظت في سدرة

---

(١) القرآن الكريم: ٣٧/٨
(٢) للكثرة: الكثرة AB
(٣) التجلّي: التحلّي A
(٤) استناده: استناره A
(٥) تلاشت: بلا ثبت A
(٦) يبق: تبق A
(٧) بها: ما A
(٨) ألست: السبب AB
(٩) مقتبس من: القرآن الكريم: ١٧٢/٧
(١٠) الثاني: ـ ABP
(١١) أسراراً: أسرار AB
(١٢) فأبقيناها: فألقيناها AB
(١٣) A222b

المنتهى، منبع[١] الأوامر الشــرعيّة الباعثة على الفعل؛ فإنّها غاية العالم العنصــريّ[٢] ومَحتِد الطبيعة من حيث ظهورها بالصـور العنصريّة، فجعلها الحقّ غايةَ مرتقى الآثار العنصــريّة؛ فإنّ أفعال المكلّفين[٣] بالنسـبة الغالبة نتيجةُ الصور والأمزجة المتولّدة من العناصر والمتركّبةِ منها، فلهذا لم يمكن[٤] أن يتعدّى الشيء أصلَه. فما من العناصر لا يتعـدّى عالمَ العناصــر، فإن تعدّى فبتبعيّة حقيقة أُخرى يكون لها الغلبة؛ إذ ذاك هو[٥] الحكم، فافهَم.

فإن خرقَت[٦] همّةُ الفاعل وروحانيّتُه عالمَ العناصــر بالغلبة المذكورة ـ لاقتضـاء مرتبته ذلك وحاله[٧] ـ تعدّى إلى الكرســيّ، وإلى العرش، وإلى اللوح، وإلى العماء، بالقوّة والمناسبة التي بينه وبين هذه العوالم، وكونِه[٨] نتيجةً من سائرها، فانحفظ في أُمّ الكتاب إلى يوم الحساب.

[أقسام أفعال العباد يوم الحساب]

فإذا كان يوم الفصل، انقسمَت أفعال العباد إلى أقسام:

ـ فمنها: ما يصير هباءً منثوراً[٩]، وهو الاضمحلال الذي أشرتُ إليه.

ـ ومنها: ما يقلبها إكسيرُ العناية والعلم بالتوحيد أو به وبالتوبة، فيجعل قبيحها حسناً، والحسـنَ أحسـنَ، فيصير التَمرة[١٠] كأُحُد، ويؤجَر من أتى معصيةً جزاءَ من أتى بمثلها من الحسنات بالموازنة، فالقتل بالإحياء، والغصب بالصدقة والإحسان، ونحو ذلك.

---

(١) منبع: مع AB
(٢) العنصريّ: العنصريّة A
(٣) B123a
(٤) يمكن: يكن A
(٥) هو: و P
(٦) خرقت: خرقة A
(٧) حاله: حالة A
(٨) وكونه: لكونه AB
(٩) مقتبس من: القرآن الكريم: ٢٥/٢٣
(١٠) التمرة: الثمرة AB

ـ ومنها: ما يعفو الحقّ عنه، ويمحو[1] حُكمَه وأثرَه.

ـ ومنها: ما إذا قدم الفاعل عليه، وفّاه له مِثلاً بمثلٍ؛ خيراً كان أو ضدّه.

ونموُّ الجميل من الفعل[2] وغلبتُه الظاهرةُ[3] بصورة الترجيح تارةً، وبالحكم الماحي تارةً أُخرى، راجعٌ إلى العناية والعلم الشهوديّ التامّ مع الحضورِ[4] وسبقِ الرحمة والشفاعة المختصّة بالتوحيد والإيمان، المتفرّعة في الملائكة والرسُل والأنبياء والأولياء والمؤمنين، والآخريّة للعناية السابقة المُضافة إلى الحقّ آخراً من كونه أرحم الراحمين.

ـ ومن الأفعال ما يكون حكمُها في الآخرة هو كسر سَورة[5] العذاب الحاصل من نتائج الذنوب وقبائح الأفعال.

ـ ومن الأفعال ما يختصّ[6] بأحوال الكُمَّل، ونتائجُها خارجةٌ عن هذه التقاسيم كلّها، ولا يعرف حكمَها على التعيين إلّا أربابُها.

[حكمة وصول الجزاء إلى من ظهرت منه الفعل]

والواصلُ من الحقّ في مقابلتها إلى من ظهرَت به لا يسمّى جزاءً ولا معاوضةً. وتسميةُ المحقِّق مثلَ هذا جزاءً وأجراً[7] إنّما هي[8] من حيث إنّ العمل المشروع يستلزم الأجر[9]؛ لكونه ناتجاً عنه وظاهراً به[10]، كما أنّ الإنسان شرطٌ في ظهور عين العمل في الوجود. وتلك سنّة[11] إلهيّة في هذا ونحوه، لا[12] أنّ هذا النوع من الجزاء

---

(١) يمحو: يمحق B
(٢) الفعل: العقل A
(٣) الظاهرة: الظاهر A
(٤) A223a ‖ B123b
(٥) السَورة: الحدّة. (لسان العرب)
(٦) يختصّ: + بها A
(٧) أجراً: أجزاء AB
(٨) هي: هو AB
(٩) الأجر: الآخر AB
(١٠) ظاهراً به: ظاهر أنّه A
(١١) سنّة: نسبة AB
(١٢) لا: إلّا AB

يطلـب مَن ظهر منـه العمـل أو[١] بـه، غيرَ أنّه لمّا لم يكن العمل يقتضـي لذاته قبولَ الأجر[٢] والانتفاع به ـ لأنّه نسـبة[٣]، لا أمر وجوديّ ـ أعاده[٤] الحقّ بفضـله على من أُضـيف إليـه[٥] ذلـك الفعـل[٦] ظـاهراً، مِن أجـل[٧] ظهوره بـه، وتوقّفِ وجوده عليه، ولاسـتحـالـة عوده من هذا الوجه على الحقّ؛ فإنّه كاملٌ غنيٌّ[٨] يتنزّه[٩] ويجلّ[١٠] أن يعود من خلقه[١١] إليه وصفٌ لم يكن ذاته[١٢] من حيث هي مقتضيةً لذلك. وسرّ الأمر أنّ المطلوب من كلّ مرتبة من مراتب الوجود و[١٣] بها وفيها ليس غيرَ الكمال المختصّ بتلك المرتبة ومظاهرِها، كما سبقَت الإشارة إلى ذلك.

[بيان مبدأ الأفعال وكمالها]

وللأفعال والأعمال[١٤] مرتبة، ولها بداية وكمال.

فمبـدؤهـا الحركـةُ الحبّيّة[١٥] والتوجّهُ الإراديّ الكلّيّ المتعلّق بظهور الكمال الذي سبق التنبيه عليه عند الكلام في سرّ الإيجاد وبدئه[١٦].

وكمالها هو ظهور[١٧] نتائجها التي هي غاية كلّ فعلٍ وعملٍ.

فكمالُ الأعمال ونتائجُها إنّما يتمّ حصـوله بصـدورِها عن الحضـرة الذاتيّة الغيبيّة،

---

(١) أو: و A
(٢) الأجر: الآخر AB
(٣) نسبة: ـ A
(٤) أعاده: إعادة A
(٥) إليه: + و AB
(٦) الفعل: العقل A
(٧) من أجل: منذ أجل A؛ متداخل B
(٨) غنيّ: الغنى P
(٩) يتنزّه: منزّه A
(١٠) يجلّ: يحلّ AB
(١١) خلقه: خلفه AB
(١٢) ذاته: ـ AB
(١٣) و: ـ AB
(١٤) B124a
(١٥) الحبّيّة: الحينيّة AB
(١٦) عليه عند ... بدئه: في بدء الإيجاد AB
(١٧) ظهور: طهور B

وبروزِها إلى[١] مرتبة الشـهادة، التي هي محلّ سـلطنة[٢] الاسم «الظاهر»، الذي هو مرآة الاسـم «الباطن» ومَجلاه ومقامُ نفوذ حكمِه. فإذا كمَلت في مرتبة الشـهادة ـلظهور[٣] امتياز نتائجها عنها وتعيّنها لهاـ عاد الأمرُ كلُّه إلى الحقّ تفصـيلاً[٤]، على نحو امتيازه عنده في حضرة علمه أزلاً، مع أن لا فاعل سواه. لكن توقَّف ظهورُ الأفعال على العباد، وإن كـانوا من جملـة الأفعـال. فـالأفعـال إنّما تُنسَــب[٥] إليهم في الحقيقة من حيث ظهورها بهم، لا أنّهم الفاعلون[٦] لها.

وهكذا حكم الصفات التي توهِم الاشتراك بين الحقّ والخلق، على اختلاف أحكامها ومراتبها.

فافهَم وتذكَّر واحفِظ[٧]، تستشرف على أسرار جليلة عظيمة الجَدوى. >[٨]

[مراتب الهداية والإيمان والتُقى]

[٩]< فـإذا عرفـتَ ذلـك، فـاعلَم أنّ للهـداية والإيمان والتُقى مراتب، نبّه عليها في الكتـاب الإلهيّ وعيّنها، هي: بداية، ووسـط، ونهاية. وعرَفها أهل الكشــف والعرفان الذوقيّ.

قال اللّه تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى﴾[١٠]، فنبّه[١١] الألبّـاءَ[١٢] ليتفطّنوا أنّ بعـد الإيمـان باللّه والإقرار بوحدانيّته درجاتٍ هي نفس الإيمان

---

(١) A223b
(٢) سلطنة: سلطنته A
(٣) لظهور: بظهور AB
(٤) تفصيلاً: مفصّلاً P
(٥) تنسب: ينسب A
(٦) الفاعلون: فاعلون A
(٧) احفظ: + سرّ A
(٨) إعجاز البيان: ١٩٢ ـ ١٩٧
(٩) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(١٠) القرآن الكريم: ٨٢/٢٠
(١١) فنبّه: فنبّهوا Ac، + بذلك كلّه P
(١٢) الألبّاء: الإله A

والهـدايـة[١] والتُقى. ثمّ الزيـادة المُشـــار إليهـا في قولـه تعالى: ﴿لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ﴾[٢]. وأهل الظاهر لمّا لم يعلموا هذه الدرجاتِ[٣] ولم يتحقّقوها، خبطوا[٤] في هـذه الأُمور، وقالوا: الصـفات معانٍ مجرّدةٌ لا تقبل[٥] النقص والزيادة. فشـرعوا في التأويل، وهاموا في كلّ وادٍ[٦].

وأمّـا أُولوا الألباب ـ الذين لم يحجبهم القشــور وتعدّوهاـ عرفوا كُنهَ حقائق هذه الأُمور وغرائـب هـذه التنبيهـات الربّـانيّة؛ فإنّ «ثُمّ» المفيدة[٧] للتراخي و[٨] المؤذِنة بـامتيـاز ما بعدها عمّا قبلها دلالةً ظاهرةً[٩]؛ لئلّا يُريبك[١٠] المحجوب. فأين الاهتداء المُشــار إليـه بعد التوبة الإيمانيّة، ثمّ الإيمان اللازم لتلك التوبة والأعمال الصــالحة بتعريف اللّه من الاهتداء؟ وأين الإيمان والتُقى المذكوران في أوّل الآية؟

فعرفـتَ أنّ للهـدايـة[١١] ثلاث مراتب، يقابلها ثلاث درجات من الحيرة ـ التي هي الضلالةـ مقابلةَ الدركات الناريّة الدرجاتِ الجنانيّةَ[١٢]. >[١٣]

[بيان أنّه تعالى غاية كلّ شيء]

[١٤]< ولمّا كان الحقّ تعالى محيطاً بكلّ شـيء وجوداً وعلماً، ومصـاحباً كلّ شـيء بمعيّة[١٥] ذاتيّة مقدّسـة عن المزج والحلول والانقسـام[١٦]، كان ـ سبحانه[١٧]ـ غايةَ كلّ

---

(١) B124b
(٢) القرآن الكريم: ٤٨/٤
(٣) الدرجات: + ولم يعاينوها P
(٤) خبطوا: اختبطوا P
(٥) تقبل: يقبل A
(٦) وادٍ: + من أوديته P
(٧) المفيدة: المقيّدة A
(٨) و: ـ AB
(٩) قبلها دلالة ظاهرة: تقدّمها P
(١٠) يريبك: يرتّبك B
(١١) للهداية: الهداية A
(١٢) الدرجات الجنانيّة: ـ AB
(١٣) إعجاز البيان: ٢٤٩ ـ ٢٥٠
(١٤) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(١٥) بمعيّة: معيّة AB
(١٦) الانقسام: + وكلّ ما لا يليق بجلاله P
(١٧) سبحانه: + منتهى كلّ صراط و P

سالك، كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[١]. فجميع الأشياء تمشي على طريق ـإمّا معنويّ أو محسوس ـ بحسب سالكه، والحقّ غايته. فهو تعالى غاية السائرين، كما أنّه دلالة[٢] الحائرين، لكن لا شرف[٣] في مطلقاته التي لا تفاوت فيها، كمطلقِ خطابه، ومطلقِ معيّته[٤] ومصاحبته[٥]، ومطلقِ الانتهاء إليه[٦]؛ لأنّه من حيث إحاطته ومطلق توجّهه الذاتيّ والأسمائيّ للإيجاد، لا فرق بين توجّهه إلى إيجاد العرش والقلم الأعلى، وبين توجّهه إلى إيجاد النملة من حيث أحديّة ذاته ومن حيث التوجّه. ومَن صار حديد البصر ـلاتّحاد بصره ببصيرته وانصباغهما بالنور الذاتيّ الإلهيّ[٧]ـ «ما [يرى][٨] في خلق الرحمن من تفاوت»[٩].

وكذا الكلام[١٠] في معيّته الذاتيّة وصحبته؛ فإنّه مع أدنى مُكوَّناته[١١] كهو مع أشرفها وأعلاها؛ لِمعيّة[١٢] ذاتيّة قدسيّة لائقة.

وحكمُ مطلق خطابه أيضاً كذلك[١٣]. فهو المخاطِبُ لموسى ومَن شاء مِن مقرّبي حضرته[١٤]، وشرّفهم[١٥] بالمخاطبة[١٦]؛ والمخاطِبُ لأهل النار بـ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[١٧]، ولا شرفَ[١٨] لهم في هذه المخاطبة، ولا فضيلةَ[١٩].

---

(١) القرآن الكريم: ٥٣/٤٢

(٢) دلالة: دالّة A

(٣) لا شرف: الأشرف AB

(٤) معيّته: معيّنه A

(٥) مصاحبته: مصاحبيّته AB

(٦) B125a

(٧) ومن صار ... الإلهيّ: حضرة تصوّره بالنور الذاتيّ الإلهيّ واتّحادهما AB

(٨) يرى: ترى ABP

(٩) مقتبس من: القرآن الكريم: ٣/٦٧

(١٠) كذا الكلام: هكذا الأمر P

(١١) مكوّناته: مكنوناته A

(١٢) لمعيّة: بمعيّة P

(١٣) أيضاً كذلك: ـ AB

(١٤) من مقرّبي حضرته: ـ P

(١٥) شرّفهم: مشرفهم B

(١٦) بالمخاطبة: بخطابه وبما شاء P

(١٧) القرآن الكريم: ١٠٨/٢٣

(١٨) لا شرف: الأشرف A

(١٩) لا فضيلة: الأفضليّة A، + بل يزيدهم ذلك عذاباً إلى عذابهم P

وكـذلك إحاطته؛ فإنّه بكلّ شـــيء محيطٌ[١] رحمةً وعلماً. فرحمته[٢] وجوده[٣]؛ إذ ليس ثَمّـة[٤] مـا يشـترك فيـه الأشـياء ـعلى ما بينها[٥] من التفاوت والاختلافـ إلّا الوجود.

فهو[٦] من[٧] حيث الإحاطة[٨] الوجوديّة والعلميّة غاية كلّ شـيء. وإذا كان غايةَ كلّ شـيء، ومع كلّ شـيء، و[محيطاً][٩] بباطنِ كلّ ذرّة وجزء منقسـمٍ وغير منقسـمٍ[١٠] وبظاهرِ كلّ بسـيط من روح ونسـبة، و[محيطاً][١١] بباطن الكلّ، فإنّ الفائدة لا تعمّ[١٢]، والسعادة لا تشمل.

وإنّـما يظهر الفوائـد بتميّزِ المراتـب[١٣]، واختلافِ النسـب، وتفـاوتِ مـا بـه يخاطبك[١٤]، وبأيّ[١٥] صفة من صفاته يصحبك، وإلى أيّ مقام من حضراته[١٦] العُلى يدعوك ويجذبك، وفي أيّ صـورة مِن صوَر شؤونه ولأيّ أمر من أُموره يُنشئك ويُركّبك، وفي أيّ مقـام يُقيمـك[١٧] ويُثبتك[١٨]، ومِن أيّها ينقلك ويقلّبك، فـ﴿فِي ذلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنافِسُونَ﴾[١٩].

---

(١) محيط: محيطاً A
(٢) فرحمته: ورحمته A
(٣) وجوده: جوده AB
(٤) ثمّة: ثمّ P
(٥) بينها: بيّنها P
(٦) فهو: + سبحانه P
(٧) من: ـ B
(٨) الإحاطة: الإحاطيّة و P
(٩) محيطاً: محيط AB
(١٠) A224b
(١١) محيطاً: محيط AB
(١٢) لا تعمّ: ـ AB
(١٣) المراتب: الرتب P
(١٤) يخاطبك: مخاطبك A
(١٥) بأيّ: + صورة AB
(١٦) حضراته: حضرة AB
(١٧) B125b
(١٨) يثبتك: ينبتك AB
(١٩) القرآن الكريم: ٢٦/٨٣

وغايةُ كلّ موجود مرتبةٌ من مراتب أسـمائه[١]. وهي وإن جمَعها فلكٌ واحدٌ فهي من حيث الحقائق مختلفة. ومن حيث إنّ كلّ اسـم من وجه عين المسـمّى، والمسـمّى واحد، يُقال: إنّها متّحدة. وإلّا فأين الضـارّ من النافع، والمُعطي من المانع، والمُنتقِم من الغـافر[٢]، والمُنعِم اللطيف من القاهر، والرحمة من الغضـب؟ بأحديّة[٣] الجمع حفظت على الأشياء صورة الخلاف[٤]، وبسرّ[٥] الإحاطة والمعيّة حصل بين الأضداد الائتلاف، فـ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[٦].

وممّـا نبّه [به][٧] الحقُّ ـسـبحانه ـ الألبّاءَ على أنّه في البداية و[٨] الغاية والطريق المتعيّن بينهما بحسـب كلّ منهما[٩]، قوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ما مِنْ دابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها﴾[١٠]، فأشار إلى أنّه هو الذي يمشي بها. ثمّ قال[١١]: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١٢]، فهُم على صراط مستقيم[١٣]، من حيث إنّهم تابعون بالقهر لمن يمشي بهم.

وهذه هي الاسـتقامة المطلقة التي لا تفاوت فيها، ولا فائدة من حيث مطلق الأخذ بالنواصـي ومطلق المشـي. ونبّه على ذلك قوله: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

(١) وغاية كلّ ... أسمائه: كلّ اسم من أسمائه سـبحانه، وإن توقّف تعيّنه على عين من أعيان الموجودات، فإنّه غاية ذلك الموجود، ومرتبة ذلك الاسـم قبلته، والاسم هو المعبود P
(٢) الغافر: المغافر A
(٣) بأحديّة: وأحديّة AB
(٤) الخلاف: + الذي وصفت به P
(٥) بسرّ: سرّ A، شرّ B
(٦) القرآن الكريم: ١٢٣/١١
(٧) به: ـ ABP
(٨) و: ـ P
(٩) منهما: منها P
(١٠) القرآن الكريم: ٥٦/١١
(١١) فأشار إلى ... قال: ـ AB
(١٢) القرآن الكريم: ٥٦/١١
(١٣) فهم على صراط مستقيم: ـ AB

اتَّبَعَنِي﴾[١]، بيّن أنّ الدعوة إلى اللّه ممّا هو المدعوّ[٢] فيه.

ولمّـا كان حرف «إلى» يدلّ على الغاية، يوهم أنّ الحقّ متعيّنٌ في الغاية مفقودٌ في البداية. فنبّه[٣] أهل اليقظة على ســرّ ذلك بقوله[٤]: وإنّي إن دعَوتُكم إلى اللّه بصــورة إعراضٍ[٥] وإقبالٍ، فليس ذلك لعدم معرفتي أنّ الحقّ مع كلّ ما أعرض عنه المُعرِض[٦] كهو[٧] مع مـا أقبـل عليـه، لم يُعدَم من البداية فيُطلَب في الغاية. بل أنا ومن اتّبعني في دعوة الخلق إلى الحقّ على بصيرة من الأمر[٨].

﴿وَمَـا أَنَـا مِنَ الْمُشْــرِكِينَ﴾[٩]، أي لو اعتقدتُ شــيئاً من هذا، كنتُ محدِّداً للحقّ ومحجوباً عنه، فكنتُ إذاً مشــركاً. وســبحان اللّه أن يكون محدَّداً[١٠] متعيّناً في جهة أو منقســماً، و[١١] أن أكون من المشــركين ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّــوْءِ﴾[١٢]. وإنّما موجب الدعوة إلى اللّه اختلاف مراتب أسمائه بحسب اختلاف أحوال مَن يُدعى إليه، فيعرضون عنـه[١٣] من حيـث مـا يتّقى[١٤] ويحـذّر، ويُتوقّع معـه من البُقيـا معـه على ذلك الوجهِ الضررُ. >[١٥]

[مراتب الصراط المستقيم]

[١٦]< واعلَم أنّ الصراط المستقيم له ثلاث مراتب[١٧]:

---

(١) القرآن الكريم: ١٠٨/١٢
(٢) المدعوّ: + حاصل P
(٣) فنبّه: أمره أن ينبّه P
(٤) بقوله: فكأنّه يقول لهم P
(٥) A225a
(٦) المعرض: العرض A
(٧) كهو: فهو AB || B126a
(٨) الأمر: الأرض AB
(٩) القرآن الكريم: ١٠٨/١٢
(١٠) محدّداً: محدوداً P
(١١) و: أو P
(١٢) القرآن الكريم: ٦/٤٨
(١٣) عنه: _ AB
(١٤) يتّقى: يبقى AB
(١٥) إعجاز البيان: ٢٥١ _ ٢٥٤
(١٦) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(١٧) الصراط المستقيم ... مراتب: _ AB

ـ الاستقامة المطلقة الشاملة هي العامّة المُشار إليها في ما تقدّم، ولا سعادة تتعيّن[١] بها.

ـ وأمّا الاستقامة الوُسطى هي مرتبة[٢] الشرائع الحقّة الربّانيّة المختصّة بالأُمم السالفة[٣] من لدن آدم إلى بعثة[٤] محمّد ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم[٥]ـ.

ـ والاستقامة بالشريعة المحمّديّة الخاصّة الجامعة المستوعبة ـسواء كان ما انفرد به واختصّ دون الأنبياء، أو ما قرّره في شرعه من أحكام الشرائع الغابرةـ فالاستقامة في ذلك بالاعتدال والثبات[٦]، كما قال ـعليه السلامـ في جواب سؤال الصحابيّ[٧] منه أن يوصّيه[٨]: «قُل آمنتُ باللّه، ثمّ استقِم»[٩]. وهي حالة صعبة عزيزة[١٠] المرام جدّاً[١١]؛ لأنّها التلبّس بالحالة الاعتداليّة الحقّة، ثمّ الثبات عليها.

ولهذا قال ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ: «شيّبتني[١٢] هود[١٣] وأخواتُها»[١٤]، إشارةً إلى ما قال تعالى فيها: ﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ﴾[١٥]؛ فإنّ الإنسان من حيث نشأته الصوريّة وقواه الظاهرة والباطنة يشتمل[١٦] على صفات وأخلاق وأحوال[١٧] وكيفيّات طبيعيّة[١٨] وروحانيّة، ولكلٍّ منها طرفا إفراطٍ وتفريطٍ، والواجبُ معرفة الوسط من ذلك[١٩]، ثمّ

---

(١) تتعيّن: ـ AB

(٢) الوسطى هي مرتبة: بمرتبة AB

(٣) السالفة: ـ AB

(٤) بعثة: ـ AB

(٥) وآله وسلّم: ـ B

(٦) بالاعتدال و: الاعتدال ثمّ P

(٧) الصحابيّ: الأصحابي A

(٨) أن يوصّيه: الوصيّة P

(٩) تنبيه الخواطر: ١٠٤/١

(١٠) عزيزة: غريزة A

(١١) جدّاً: حدّاً A

(١٢) شيّبتني: + سورة P

(١٣) B126b

(١٤) التبيان: ٢٨٨/١٠؛ مجمع البيان: ٢١٢/٥؛ روض الجنان: ٢٣٣/١٠

(١٥) القرآن الكريم: ١١٢/١١

(١٦) يشتمل: يشمل A

(١٧) وأحوال: ـ A

(١٨) طبيعيّة: طبعيّة A

(١٩) A225b

البقـاء عليـه. وبـذلـك وردت الأوامر الإلهيّـة، وشـهدت بصـحّته[١] الآيات الظاهرة والموجودات العينيّـة[٢]، وصـحّ للأكـابر من بركـات[٣] مبـاشـرة الأخلاق والأعمال المشروعة ما صحّ.

ونبّهَت[٤] على ذلك الإشـاراتُ الإلهيّة، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْـرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً﴾[٥].

وكوصـيّتـه[٦] في قولـه: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَـلاتِـكَ وَلا تُخـافِـتْ بِهـا وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً﴾[٧]، ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ﴾[٨]، محرِّضاً[٩] على السلوك على الأمر الأوسط بين البخل والإسراف.

وكجوابه ـعليه السـلامـ لمن سـأله مستشيراً في الترهّب وصيام الدهر وقيام الليل كلّـه بعد زجره إيّاه: «إنّ لنفسـك عليك حقّاً، ولزوجك عليك حقّاً، ولزَورك[١٠] عليك حقّاً. فصُم وأفطِر وقُم ونَم»[١١].

وقال ـعليه السـلامـ لآخرين: «أمّا أنا أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآتي النساء، فمَن رغِـب عن سـنّتي فليس منّي»[١٢]. فنهى عن تغليـب القوى الروحـانيّة[١٣] على القوى الطبيعيّـة بالكلّيّة، كما نهى عن الانهماك في الشـهوات الطبيعيّة. فأمر بلزوم الاعتدال الذي هو الاستقامة.

---

(١) بصحّته: بصحّة A
(٢) العينيّة: الغيبيّة A
(٣) بركات: ـ AB
(٤) نبّهت: تنبّهت A
(٥) القرآن الكريم: ٦٧/٢٥
(٦) كوصيّته: + سبحانه لنبيّه P
(٧) القرآن الكريم: ١١٠/١٧
(٨) القرآن الكريم: ٢٩/١٧
(٩) محرّضاً: محرّصاً B
(١٠) لزورك: لزوجك A
(١١) مجمع البيان: ٣٦٤/٣؛ تفسير جوامع الجامع: ٣٤٩/١؛ كنز العرفان: ٣١٨/٢
(١٢) نفس المصادر.
(١٣) B127a

وكذا باقي الأخلاق؛ إذ الشجاعة صفة متوسّطة بين التهوّر والجبن، والبلاغة صفة متوسّطة بين الإيجاز والاختصار المُجحِف وبين الإطناب المُفرَط. وشريعتنا متكلّفة بذلك[١]، معيِّنة[٢] للميزان الاعتداليّ، في كلّ مقامٍ وحالٍ وترهيبٍ وترغيبٍ، وفي الصفات والأحوال الطبيعيّة والروحانيّة، والأخلاق المحمودة والمذمومة، حتّى أنّه[٣] عيّن للمذمومة مصارفَ إذا استعمِلت فيها كانت محمودة. وراعى هذا المعنى في الإخبارات الإلهيّة والإنباء عن الحقائق؛ فإنّه سلك[٤] طريقاً جامعاً[٥] بين الإفصاح والإشارة. فاكتفِ بالتلويح؛ فإنّ التفصيل يطول.

[ضرورة تعيّن الصراط المستقيم للإنسان]

و[٦] الحال أنّ الإنسان لمّا كان نسخةً من جميع العالم، كانت له مع كلّ عالم[٧] ومرتبة[٨] وحال، بل مع كلّ شيء نسبةٌ ثابتة[٩]. فلا جرمَ فيه ما يقتضي الانجذابَ من نقطةِ وسطه ـ الذي هو أحسن التقويم ـ إلى كلّ طرفٍ، والإجابة لكلّ داعٍ.

وليس كلُّ جذب وانجذاب وإجابة ودعاء بمفيدٍ و[١٠] مُثمِرٍ للسعادة[١١]. فالمقصود إجابة وسير وانجذاب خاصّ إلى معدِن السعادة[١٢]، و[١٣] ما يُثمر سعادةً مرضيّة ملائمة خالصة غير ممتزجة، مؤبَّدةً[١٤] لا موقّتة. فما لم يتعيّن للإنسان من بين الجهات جهةٌ[١٥]

(١) متكلّفة بذلك: قد تكلّفت ببيان ذلك P
(٢) معيّنة: متعيّنة A، وعيّنت P
(٣) أنّه: ـ AB
(٤) سلك: + في ذلك P
(٥) A226a
(٦) و: + جملة P
(٧) عالم: + نسبة AB
(٨) مرتبة: + وأمر P
(٩) بل مع ... ثابتة: ـ AB
(١٠) و: + لا P
(١١) للسعادة: السعادة A
(١٢) السعادة: السعادات P
(١٣) و: + إلى P
(١٤) مؤبّدة: مؤيّدة A
(١٥) الجهات جهة: الجهات المعنويّة وغير المعنويّة الجهة التي P

هي مظنّـة لنيـل مـا ينبغي، أو[١] متكفّلة له بحصـــوله[٢]، ومن الطرق إلى تلك الجهة. وذلك الأمر[٣] أسدُّها[٤] وأقربُها وأسلمُها من العوائق والشواغل[٥]؛ فإنّه ـ مع[٦] وجدان الباعث الكلّيّ إلى الطلب أو[٧] مسيس الحاجة إلى دفع المضرّ[٨] وجلب النافع[٩] ـ لا يعلم كيف يطلب[١٠]، ولا ما يقصـد، ولا بأيّ طريق. فيكون حائراً ضالّاً، حتّى يتعيّن له الأمر والحال[١١]، ويتّضح له[١٢] وجه الصواب باعتبار وقته الحاضر ومآله[١٣]. >[١٤]

[سرّ تقديم ضلالة الإنسان على هدايته]

[١٥]< ولمّا عرفتَ أنّ الضلال ضدّ الهداية[١٦]، فصفة الضلال[١٧] ـ الذي هو الحيرة ـ اللا تعيُّن، والتعيُّن للهداية[١٨]. والسرّ في تقديم ضلالة الإنسان على هدايته، هو تقديم الشـأن المطلق الإلهيّ الـذاتيّ[١٩] من حيـث غيـب هويّته، على نفس التعيّن، كتقدّم الوحدة والإجمال والإبهام[٢٠] على الكثرة والتفصيل والإيضاح[٢١].

وقد كان في بدء[٢٢] الإيجاد تقدُّم مقامِ[٢٣] «كان اللّه، ولا شيء معه»[٢٤]، فلا اسمَ،

---

(١) أو: و AB || B127b

(٢) بحصوله: محصوله A

(٣) وذلك الأمر: ـ AB

(٤) أسدّها: أشدّها B

(٥) الشواغل: الشواغب P

(٦) مع: بعد P

(٧) أو: و AB

(٨) المضرّ: الشرّ A، ما يضرّ P

(٩) النافع: المنافع A، ما ينفع P

(١٠) يطلب: طلب P

(١١) الأمر والحال: ـ AB

(١٢) له: ـ AB

(١٣) باعتبار وقته الحاضر ومآله: بالنسبة إلى الوقت الحاضر والمآل P

(١٤) إعجاز البيان: ٢٥٥ ـ ٢٥٧

(١٥) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(١٦) الضلال ضدّ الهداية: الهداية ضدّ الضلال P

(١٧) الضلال: الضلالة AB

(١٨) والتعيّن للهداية: ـ AB

(١٩) الذاتيّ: ـ AB

(٢٠) الإبهام: الإيهام A

(٢١) الإيضاح: + والإعراب P

(٢٢) بدء: ـ AB

(٢٣) تقدّم مقام: ـ AB

(٢٤) مرويّ عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ كما في: التوحيد للصدوق: ٦٧

ولا صفةَ، ولا حالَ، ولا حكمَ على التعيّن الأوّل الذي هو حضرة أحديّة الجمع، المعيِّن لمفاتيح[١] الغيب. فتقدّمت على الكينونة[٢] العمائيّة الثابتة[٣] المقول بلسانها: «كنتُ كنزاً مخفيّاً لم أُعرَف»[٤]. وتقدُّم[٥] السرّ النونيّ على الأمر القلميّ، وتقدُّم[٦] القلم على اللوح، وتقدّم الكلمة والحكم والأمر[٧] العرشيّ[٨] الوحدانيّ[٩] على الأمر التفصيليّ الصوريّ الظاهر بحكم القدمين في[١٠] الكرسيّ، حتّى انتهى الأمر في الترتيب[١١] إلى آدم الذي هو آخر صور السلسلة وأوّل معناها، واجتماع الذرّيّة واندماجها في صورة وحدته[١٢] كالذرّ[١٣]، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً وَنِساءً﴾[١٤]، فبرزوا بعد الكُمون والاندماج[١٥] في الغيب[١٦] الآدميّ الإجماليّ[١٧]، بإبانة[١٨] الحقّ لهم وبثّه إيّاهم، حتّى شهد كلّ منهم من نفسه ومن غيره ما كان عنه محجوباً بالاندماج، واتّصلت أحكام بعضهم بالبعض بالإبرام والنقض[١٩] غالباً ومغلوباً. فأمعِن التأمّل في ما لوّحتُ لك، تعرف أنّ الهُدى في الحقيقة عين[٢٠] الإبانة والإظهار بالتمييز والتعيين.

---

(١) لمفاتيح: لمفاتح P
(٢) الكينونة: الكينونيّة AB
(٣) الثابتة: الثانية AB
(٤) مشارق أنوار اليقين: ٤١
(٥) تقدّم: تقديم AB
(٦) تقدّم: تقديم A
(٧) الأمر: للأمر A
(٨) A226b
(٩) الوحدانيّ: + الوصف P
(١٠) القدمين في: ـ AB
(١١) في الترتيب: بالترتيب P
(١٢) وحدته: وحديّة A
(١٣) B128a
(١٤) القرآن الكريم: ٤/١
(١٥) الاندماج: الاندماجي AB
(١٦) الغيب: + الإضافيّ P
(١٧) الإجمالي: الجُملي P
(١٨) بإبانة: بأنّه AB
(١٩) النقض: النقص A
(٢٠) عين: غير AB

فللوحدة والإجمال وما نعِت آنفاً بالتقدّم البطونُ، وللكثرة الظهورُ والإبانة[١] والفصل والإفصاح.

ولمّا قدِّر الإنسانُ على الصورة[٢]، وظهر نسخةً وظلّاً، وجاءت نسخته على صورة[٣] الأُصول الأصليّة[٤]، لا جرمَ كانت ضلالته متقدّمة على هدايته، كما أخبر ـ سبحانه ـ عن أتمّ الناس وأكمل النسخ تحقّقاً[٥] وظهوراً[٦] بالكمال الإلهيّ الإنسانيّ بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدى﴾[٧]، أي كنتَ بحالِ مَن لم يتعيّن له وجه الصواب والأولويّة في ما ذا، فعيَّنه[٨] لك، وميّز عن غيره، ﴿وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾[٩]، فكملتَ[١٠] في مرتبة الهداية، وامتلأت حتّى فِضتَ، فهديتَ[١١] وكمّلتَ، وانبسط منك الفيض على غيرك، فتعدّى بك خيري من الكمون[١٢] وبي خيرك. فسبحان الذي خلَق الإنسان، «وهداه النجدَين[١٣]»[١٤].

[كيفيّة انحراف الإنسان عن الاعتدال]

فالجواذب[١٥] ـ يا أخي! ـ من كلّ ناحية وطرف تجذب[١٦]، والدُعاةُ[١٧] بلسان المحبّة ـ من حيث إنّ الإنسان معشوق الكلّ، ومن[١٨] حيث حكم الربوبيّة الذي

---

(١) فللوحدة والإجمال ... الإبانة: ـ AB
(٢) الصورة: صورته AB
(٣) على صورة: لصور AB
(٤) الأصليّة: التابعة لأصله P
(٥) تحقّقاً: محقّقاً A
(٦) ظهوراً: طهوراً B
(٧) القرآن الكريم: ٩٣/٧
(٨) فعيّنه: فعيّنته AB
(٩) القرآن الكريم: ٤/١١٣
(١٠) فكملت: أكملت A
(١١) فهديت: وهديت A
(١٢) من الكمون: إلى الكون P
(١٣) النجدين: طريق الخير وطريق الشرّ. (لسان العرب)
(١٤) مقتبس من: القرآن الكريم: ٩٠/١٠
(١٥) فالجواذب: فالحوادث AB
(١٦) طرف تجذب: ناحية تحدث AB
(١٧) الدعاة: الدعاء AB
(١٨) من: ـ P

انصبغ به الجميع ـ يدعون، والدواعي بحسب الجواذب[١] والمناسبات[٢] للإجابة والانجذاب تنبعث. وأنت عبدُ ما أحببتَ[٣] وما إليه انجذبتَ، والاعتدال[٤] في كلّ مقامٍ وحالٍ وغيرهما وسط، ومَن مال عنه انحرف[٥]، ولا ينحرف إلّا منجذب بكلّه أو[٦] أكثره إلى الأقلّ[٧].

[كيفيّة رعاية الاعتدال]

ومن تساوَت في حقّه أطرافُ دائرة كلّ مقامٍ ينزل فيه أو[٨] يمرّ عليه، ويثبت[٩] في مركزه هيولانيَّ الوصف، حُرّاً من قيود الأحكام والرسوم، مُعطياً كلَّ جاذبٍ[١٠] وَداعٍ حقّه و[١١] قسطه فقط، وهو ـ من حيث ما عدا ما تعيَّن منه[١٢] بالأقساط ـ باقٍ على أصل إطلاقه وسذاجة طلسته[١٣]، دون وصفٍ وحالٍ معيّنٍ ولا حكمٍ ولا اسمٍ، فهو الرجل التابع ربَّه في شؤونه، حيث ﴿أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَ هَدى﴾[١٤]، كما قال بعضهم:

أُصلّي إذا صلّت وأشدُو إذا شدَت[١٥] ويتبعها قلبي إذا هي ولّت[١٦]

فافهَم وتذكَّر عساك تعرف ما أُشير إليه.

[مراتب الاعتدال]

واعلَم أنّ للاعتدال مرتبةً غيبيّةً إلهيّةً، هي عبارة عن الصورة[١٧] المعنويّة، والهيئة

---

(١) بحسب الجواذب: بسبب الحوادث AB
(٢) B128b
(٣) أحببت: أحييت A
(٤) A227a
(٥) انحرف: انحرق B
(٦) أو: و AB
(٧) إلى الأقلّ: لا الأوّل A، لا الأقلّ B
(٨) أو: و AB
(٩) يثبت: ثبت AB
(١٠) جاذب: حادث AB
(١١) حقّه و: منه AB
(١٢) منه: له AB
(١٣) طلسته: طلسه P
(١٤) القرآن الكريم: ٥٠/٢٠
(١٥) شدت: اشتدت A
(١٦) قائله كُثيِّر عَزّة، كما في: الدرّ الفريد: ١٨٥/٦
(١٧) الصورة: الصور AB

الغيبيّة[١] المتعلّقة والمتحصّــلة من الاجتماع الأزليّ الواقع بحكم الجمع الأحديّ بين الأســماء الذاتيّة في العماءِ ـ الذي هو حضــرة النكاح الأوّل الذي[٢] ظهر به القلم[٣] ـ والأرواحِ المُهيَّمة[٤]، وهي أُمّ الكتاب.

فمن تعيّنت مرتبة عينه[٥] فيها، بحيث يكون توجّهات أحكام الأســماء والأعيان إليه توجّهاً متناسباً، وينتظم في حقّه انتظاماً معتدلاً، مع عدم استهلاك حكم شيء منها في غيره، وبقاءِ اختلافها بحاله[٦] على صــورة الأصــل، وإن ظهرت الغلبة لبعضــها على البعض، كالأمر في المزاج العنصـريّ، كان في مقامه[٧] الروحانيّ من حيث الصـفات والأفعال والأحوال الروحانيّة الخصـيصة بروحه[٨] معتدلاً. فكان[٩] اجتماع أُسطقسّاته هنا[١٠] على[١١] حال انتشاء بدنه واقعاً على هيئة متناسبة في الاعتدال. فجمَع بالاعتدال الغيبيّ الأصــليّ المـذكور بين الاعتـدال الروحانيّ والطبيعيّ المثاليّ و[١٢] الحسّــيّ. وكانت أفعاله وأحواله[١٣] وتصـوّراته واقعةً جاريةً على سـنن الاعتدال والاستقامة، سواء كانت تلك الأفعال والآثار من الأُمور الزائلة أو الثابتة إلى أجل أو دائماً.

وكلّ شـيء يصـدر منه صـدوراً معتدلاً، فهو في سيره من ربّه آتياً[١٤] وعائداً، يمشي مشـياً مسـتقيماً على الصـراط المسـتقيم السـويّ، بسيرة مرضيّة، وتطوّرات[١٥] معتدلة

---

(١) الغيبيّة: + و P
(٢) الذي: ـ A
(٣) القلم: + الأعلى P
(٤) المهيّمة: المهيمنة AB
(٥) عينه: عينيّة A
(٦) بحاله: له AB
(٧) B129a
(٨) بروحه: بروجه B
(٩) فكان: وكان P
(١٠) هنا: هذا A
(١١) على: ـ P
(١٢) و: ـ AB
(١٣) A227b
(١٤) آتياً: آئباً AB
(١٥) تطوّرات: تصوّرات AB

رضيّة في نفس الأمر عند اللّه.

ومن انحرف عن هذه النقطة الوسطيّة المركزيّة، التي هي[١] نقطة الكمال في حضرة أحديّة الجمع، فالحكم له وعليه بحسب قُرب مرتبته من هذه وبُعدها، فقريب وأقرب، وبعيد وأبعد. وما بين الانحرافِ التامّ المختصّ بالشيطنة وهذا[٢] الاعتدالِ الإلهيّ الأسمائيّ الكماليّ[٣]، يتعيّن[٤] مراتب أهل السعادة والشقاوة[٥].

فللاعتدال الطبيعيّ السعادةُ الظاهرةُ ـعلى اختلاف مراتبهاـ، والنعيم المحسوس، ويختصّ بالمرتبة الأولى[٦] من مراتب الهداية، وبجمهور[٧] أهل الجنّة.

وللاعتدال الروحانيّ باطنُ الهداية في الرتبة الثانية من رُتَبها[٨]، ويختصّ بالأبرار.

ومن غلبَت عليه أحكامُ الروحانيّة من الأولياء ـكقضيب البان[٩] وأمثالهـ بعلّيّين[١٠].

وأصحاب[١١] الاعتدال الأسمائيّ الغيبيّ الإلهيّ، هم الكُمَّل المقرّبون، أهل التسنيم، وخزَنة مفاتيح الغيب، ويختصّ بهم المرتبة الثالثة من مراتب الهداية الكاملة.

[أقسام أهل الهداية الظاهرة والباطنة]

وينقسم[١٢] أهل الهداية الظاهرة والباطنة على أقسامٍ، عددُها على عدد الأولياء، الذين هم على عدد مراتب الاعتدال الطبيعيّ و[١٣] الروحانيّ:

---

(١) هي: ـ AB
(٢) الشيطنة وهذا: الشيطانيّة بهذا AB
(٣) الكماليّ: للكمال A، الكمال B
(٤) يتعيّن: بتعيّن A
(٥) الشقاوة: الشقاء P
(٦) الأُولى: ـ AB
(٧) بجمهور: لجمهور AB
(٨) الثانية من رتبها: من ربّها P
(٩) أبو عبد اللّه الحسين بن عيسى بن يحيى الحسنيّ، المعروف بقضيب البان، متصوّف من أهل الموصل. تفقّه حنبليّاً، وصحب عبد القادر الكيلانيّ وغيره، له أخبار في الزهد كثيرة. (الأعلام للزركليّ: ٢٥١/٢)
(١٠) بعلّيّين: فبعلّيّين P
(١١) B129b
(١٢) ينقسم: تنقسم A
(١٣) و: ـ A

ـ فمنهم: المُهتدي بكلام الحقّ ـمن حيث رسُله الملَكيّين أو البشريّين ـ في نفسه فقط، أو فيه وفي غيره. ولا يتعدّى أمر هؤلاء المسجدَ الأقصى عند سدرة المنتهى[١]، مع تفاوت عظيم بينهم؛ فإنّ فيهم من لا يتعدّى أمرُه السماءَ الأُولى، ولا الخطابَ الإلهيّ الوارد عليه، ولا الرسولَ[٢] الملَكيّ الآتي إليه. وفيهم[٣] من يختصّ بالسماء الثانية[٤]، وآخر بالثالثة[٥]، وهكذا إلى سدرة المنتهى عند المسجد الأقصى. وليس فوق هذا[٦] المسجد تشريعٌ تكليفيٌّ، ولا إلزامٌ بصراطٍ معيّنٍ يتعبّد[٧] به[٨] بالقهر.

ـ ومنهم: المُهتدى بكلام كلّ قدوة آخذٍ[٩] عن اللّه، مأمورٍ بالإرشاد[١٠]، داعٍ على بصيرة.

ـ ومنهم: المُهتدي بصور أفعال الحقّ، التي هي آيات الآفاق والأنفس.

ـ ومنهم: المُهتدي بأفعال[١١] الرسُل وكلِّ متبوع مُحقّ[١٢]، أو واضعِ شريعةٍ سياسيّةٍ عقليّةٍ مصادفةٍ ما قرّرَتها الرسُلُ، لكن واضعُها ابتدَعها وتبعه فيها غيرُه تقليداً واستحساناً.

ـ ومنهم: المُهتدي بإذنه على اختلاف صور الإذن، وقد نبّه ـسبحانهـ على هذا المقام بقوله: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا[١٣] اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾[١٤].

ـ ومنهم: من اهتدى بإيمانه، كما قال[١٥] ـسبحانهـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

---

(١) ولا يتعدّى ... المنتهى: ـ AB
(٢) A228a
(٣) فيهم: منهم AB
(٤) بالسماء الثانية: بالثانية AB
(٥) وآخر بالثالثة: ـ AB
(٦) فوق هذا: عند AB
(٧) يتعبّد: يتقيّد A
(٨) به: + أحد هنا P
(٩) آخذ: أحد AB
(١٠) بالإرشاد: + و P
(١١) بأفعال: بما فعل P
(١٢) محقّ: بحقّ AB
(١٣) لما: بما AB
(١٤) القرآن الكريم: ٢١٣/٢
(١٥) B130a

يَهْديهِمْ رَبُّهُمْ بِإيمانِهِمْ﴾[١].

ـ ومنهم: من اهتدى بأمر متحصّل من مجموع ما ذكِر أو بعضه، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى﴾[٢].

[انقسام أهل كلّ قسم إلى أقسام]

مع أنّ كلّ قسم من هذه الأقسام، ينقسم أهله إلى أقسام:

ـ فمنهم[٣]: من اهتدى به ـسبحانهـ من حيث بعض أسمائه.

ـ ومنهم: من اهتدى به من حيث جملتها.

ـ ومنهم: من اهتدى به من حيث خصوصيّةِ المرتبة الجامعة بين سائر الاسماء والصفات.

ـ ومنهم: من اهتدى به لا من حيث قيدٍ خاصٍّ، ولا نسبةٍ متعيّنةٍ، من اسم، أو صفة، أو شأن، أو تجلٍّ[٤] في مظهر، أو خطابٍ منضبط بحرف أو صوت[٥]، أو سعيٍ متعمَّل، أو علمٍ موهوب أو مكتسَب وبالأسباب أو الوسائط[٦]. وإنّما عَلِم الحقّ أنّ مقتضى حقيقته[٧] التكيّف[٨] بصورة كلّ شيء، والتلبّس[٩] بكلّ حال، والانصباغ بحكم كلّ مرتبة[١٠] في كلّ وقت وزمان. فلمّا رآها مُضاهيةً لصورة[١١] حضرته، اختارها مَجلىً لحضرة[١٢] ذاته المطلقة[١٣]، التي يستند[١٤] الأُلوهيّة[١٥] إليها، الجامعة للأسماء

---

(١) القرآن الكريم: ٩/١٠

(٢) القرآن الكريم: ٨٢/٢٠

(٣) فمنهم: ومنهم P

(٤) تجلّ: محلّ AB

(٥) أو صوت: وصوت أو عمل مقنَّن P

(٦) الوسائط: + محصَّل P

(٧) حقيقته: حقيقة AB

(٨) التكيّف: المتكيّف A

(٩) التلبّس: التلبيس AB

(١٠) مرتبة: + وكلّ حاكم P

(١١) لصورة: بصورة A

(١٢) مجلى لحضرة: محلّ بحضرة AB

(١٣) A228b

(١٤) يستند: + إليها A

(١٥) الأُلوهيّة: الأُلوهة P

والصفات، فتجلّى فيها تجلّياً يستدعيه هذه الحقيقة، فعَلم كلَّ شيء من حيث تعيّنه في علم ربّه أزلاً بذلك العلم عينه، وهدى كلّ شـيء بكلّ[١] شـيء، وحكم على كلّ شيء بنفس[٢] ذلك الشـيء. فانحفظت به صورُ الحقائق من حيث عدم تغيّرها في مرآته عمّا كانت عليه حالَ[٣] ارتســامها في نفس موجِدها. ولو لا هذا المَجلى[٤] ما ظهر[٥] عن الحقّ بتجلّيه[٦] فيه صورُ الأشياء بين المَجلى والمتجلّي. >[٧]

[أقسام الناس في الاستقامة]

[٨]< واعلَم أنّ الناس في الاستقامة على[٩] أقسام:

ـ مستقيم بقوله وفعله وقلبه.

ـ ومستقيم بقلبه وفعله، دون قوله. ولهذين الفوزُ، والأوّل أعلى.

ـ ومستقيم بفعله وقوله، دون قلبه. وهذا يُرجى له النفع[١٠] بغيره.

ـ ومستقيم بقوله وقلبه[١١]، دون فعله.

ـ ومستقيم بقوله، دون فعله وقلبه.

ـ ومستقيم بقلبه، دون قوله وفعله.

ـ ومستقيم بفعله، دون قوله وقلبه.

وهؤلاء عليهم، لا لهم، وإن كان بعضهم فوق بعض.

---

(١) بكلّ: لكلّ P
(٢) B130b
(٣) حال: ـ A
(٤) المجلى: المحلّ AB
(٥) ظهر: طهر A
(٦) بتجلّيه: بتحلّيه B
(٧) إعجاز البيان: ٢٥٨ ـ ٢٦٣
(٨) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٩) على: + سبعة P
(١٠) النفع: التبع AB
(١١) قلبه: فعله Ac

وليس المرادُ بالاستقامة هنا تركَ الغيبة والنميمة وأشباههما[١] من الأقوال المذمومة[٢]؛ فإنّ الفعل يشتمل[٣] ذلك. بل المراد بالاستقامة في القول إرشادُ الغير إلى الصراط المستقيم[٤] بقوله. وقد يكون عريّاً ممّا يُرشِد إليه.

و[٥] مثاله رجلٌ تفقّه[٦] في[٧] صلاته وحقّقها[٨]، ثمّ علّمها غيره، فهذا مستقيم في قوله. ثمّ حضر[٩] وقتها، فأدّاها على نحو ما علّمها، محافظاً على أركانها الظاهرة، فهذا مستقيم في فعله. ثمّ عَلِم أنّ مرادَ اللّه منه من تلك الصلاة حضورُ قلبه[١٠] معه فيها، فأحضره، فهذا مستقيم بقلبه.

وقِس على ذلك بقيّةَ الأقسام. >[١١]

[أشدّ الاستقامات المشروعة]

[١٢]< وأشدّ[١٣] الاستقامات[١٤] المشروعة ما كان عليه[١٥] نبيّنا ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ قولاً وفعلاً وحالاً على نحو ما نقِل عنه من سيرته. والفائزُ[١٦] بها الكاملُ في الاتّباع لها[١٧] تقليداً لأهله[١٨] أو معرفةً وشهوداً على وجهه[١٩]، وهي الحالة[٢٠]

---

(١) أشباههما: أشباهها B، شبههما P
(٢) من الأقوال المذمومة: _ P
(٣) يشتمل: يشمل P
(٤) الصراط المستقيم: الاستقامة AB
(٥) و: _ P
(٦) تفقّه: يفقه A
(٧) في: + أمر P
(٨) حقّقها: حفظها A
(٩) حضر: حصر A
(١٠) قلبه: إليه A، لبّه B
(١١) إعجاز البيان: ٢٦٤
(١٢) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(١٣) أشدّ: الأسدّ P
(١٤) الاستقامات: الاستقامة A
(١٥) B131a
(١٦) والفائز: فالفائز AB
(١٧) لها: _ P
(١٨) لأهله: _ P
(١٩) على وجهه: _ P
(٢٠) A229a

الوُســطى الاعتداليّة. والناس فيها على مراتب، لكلّ ذي مرتبة منها آية أو آيات[١] تدلّ على صـحّة تبعيّته ونسـبته منه ـصـلّى اللّه عليه وآله وسـلّمـ، بموجب القرابة الدينيّة الشــرعيّة، أو[٢] القرابة الروحانيّة من حيث وِرثه في الحال أو في العلم ـذوقاً ومأخذاًـ أو[٣] في المرتبة الكماليّة التي تقتضى[٤] الجمع والاستيعاب.

وهذه الآيات تكون في حقّ المحجوبين وفي حقّ أهل الاطّلاع.

فـآيتهـا[٥] في الإلهيّـات بالنســبة إلى من هو[٦] دون الكُمَّل والأفراد[٧] فعلاً منه[٨] شــهودُ الحقّ الأحـد في عين الكثرة، مع انتفـاءِ الكثرة الوجوديّـة، وبقـاءِ أحكـامهـا المختلفة. هذا[٩] مع المعرفة اللازمة لهذا الشــهود، وهي معرفة ســبب تفرُّع النِســب والإضافات، ورجوعها حُكماً[١٠] إلى الوجود الواحد الحقّ، الذي لا كثرة فيه أصلاً.

وأهل هذه المرتبة فيها[١١] على درجات في الشــهود والمعرفة والولاية، و[١٢] معرفةِ ســرّ الاتّباع وحكمِه موافقةً واقتداءً، وفي نتائج الأعمال الموقّتة وغير الموقّتة، الصــادرة بالنسبة إلى التابع وبالنسبة إلى الموافق.

[مراتب الاستقامة الوسطيّة]

والاســتقامة الوسـطيّة بالنسـبة إلى غير أهل الكشـف[١٣] من المؤمنين والمســلمين أيضاً على مراتب ودرجات.

---

(١) لكلّ ... آيات: كلّ مرتبة AB
(٢) أو: إذ A
(٣) أو: و AB
(٤) تقتضي: يقتضي A
(٥) فآيتها: فأمّا AB
(٦) هو: ـ AB
(٧) الأفراد: + و B
(٨) فعلاً منه: ـ P
(٩) هذا: ـ AB
(١٠) رجوعها حكماً: رجوع أحكامها AB
(١١) هذه المرتبة فيها: هذا الحال فيه P
(١٢) و: + في AB
(١٣) الكشف: + والمعرفة P

فأتمّهم إيماناً أهل الذوق، وأشدّهم تحرّياً للمتابعة، وأصحّهم تصوّراً لِما يُذكَر من[١] هذا[٢] الشأن، أتمّهم قرباً[٣] من الطبقة الأُولى. ولهم الجمع بين التشبيه والتنزيه؛ إذ الأوّل باعتبار الاسم «الظاهر»، والثاني باعتبار الاسم «الباطن». وبحقيقته[٤] ـسبحانهـ المسمّاةِ بالهويّة الجمعُ بين الظاهر والباطن، كما نبّه عليه[٥] بقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[٦]. فمقام الهويّة[٧] في الوسط بين الأوّليّة والآخريّة، والظاهريّة والباطنيّة.

ودون هذه الطائفة الطائفةُ المنزّهة التي[٨] لا تعطِّل ولا تجزم بما تتأوّل[٩].

و[١٠] دون أُولئك الظاهريّة التي لا تشبِّه[١١] ولا تتحكّم.

وكلّ طائفة من هؤلاء ينقسم إلى أقسام[١٢]، وبين كلّ طائفتين[١٣] منهم درجات في الاعتقادات، لكلّ منها أهل. فمن استقرأ حالَ الفرق الإسلاميّة، عرف حالَهم، وعرف أبعدَهم نسبةً من أقربهم، وما بين الطرفين، ونسبةَ قربهم[١٤] من الطبقة العُليا وبُعدهم عنها. ولو لا خوف التطويل لأشرنا إلى بيان أحوالهم على الخصوص، إلّا أنّ[١٥] في ما ذكرنا غُنية[١٦] للمستبصر اللبيب والفَطِن الأديب. >[١٧]

---

(١) B131b
(٢) هذا: هذه P
(٣) أتمّهم قرباً: أنّهم قرناً AB
(٤) بحقيقته: لحقيقة P
(٥) عليه: على ذلك P
(٦) القرآن الكريم: ٥٧/٣
(٧) الهويّة: الهو AB
(٨) المنزّهة التي: المبرهنة AB
(٩) تجزم بما تتأوّل: تحرم بما تناول AB
(١٠) و: ـ B
(١١) تشبّه: نسبة AB
(١٢) A229b
(١٣) طائفتين: طائفة AB
(١٤) قربهم: قولهم B
(١٥) أنّ: ـ B
(١٦) غنية: عينه AB
(١٧) إعجاز البيان: ٢٦٥ ـ ٢٦٧

[مراتب السير]

[١]< واعلَم أنّ السير الذاتيّ الأصليّ بالنسبة إلى الحقائق الكونيّة، والأسماء الإلهيّة، والأرواح العليّـة[٢]، والأجرام الفلكيّـة، والاســتحـالات الطبيعيّـة، والأحوال الكونيّـة، وجميع التطوّرات الوجوديّة كلِّها دوريٌّ[٣].

فسيرُ الأسماء بظهور آثارها وأحكامها في القوابل.

وسيرُ الحقائق بتنوّعات ظهوراتها في المظاهر المتنوِّعة[٤].

وســـيرُ الأرواح بلَفتَتَيها[٥] ـ اســتمداداً من الحقّ بلَفتةٍ، وإمداداً بلَفتةٍ أُخرى ـ، و[٦] بالمواظبة على ما يخصّها[٧] من العبادة الذاتيّة، مع دوام التعظيم والتشوّق[٨].

وسيرُ الطبيعة[٩] باكتساب[١٠] كلّ ما يظهر عنها صفة، صفة[١١] الجملة وحكمه.

والسـيرُ الخصوصيّ من الوسط، وإليه خطّان[١٢]. والخطّ المستقيم أقصر الخطوط، فهو أقربها. فأقرب الطرق إلى اللّه ـ المعرَّفُ في الشريعة، الذي قرنت السعادة بالتوجّه إليه ـ هو الصراط المستقيم الذي نبّهتُ عليه[١٣].

فأوّل مرتبة الرشاد في السير[١٤] الخصوصيِّ المشروعِ الإسلامُ، وله التنبيه الإجماليّ على حكم التوحيد الكلّيّ والانقياد للّه الموجِد[١٥]، الذي لا يجهل أحدٌ الاســتنادَ إليه ولا الانقيادَ له[١٦].

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٢) العليّة: العقليّة AB
(٣) دوريّ: دوريّة AB
(٤) المتنوّعة: المتبوعة B
(٥) بلفتتيها: تلقينها AB
(٦) بلفتة و ... و: ـ AB
(٧) B132a
(٨) التشوّق: الشوق P
(٩) الطبيعة: الطبيعيّة AB
(١٠) باكتساب: بإكساب P
(١١) صفة: ـ AB
(١٢) خطّان: خطّي AB
(١٣) إليه هو ... عليه: فيه AB
(١٤) السير: الصراط P
(١٥) للّه الموجد: للموحّد AB
(١٦) لا الانقياد له: الانفعال عنه AB

ولـه فروع من الأحكـام والأحوال. وتلبُّس[١] الإنســان بتلك الأحوال وانقيادُه لتلك الأحكام هو سـيرُه في مراتب الإسـلام ودرجاته، حتّى ينفذ[٢] إلى دائرة الإيمان. وهكذا حاله في دائرة الإيمان بالأحكام والأحوال المختصّــة به، حتّى ينتهي إلى حال الطائفة التي تلي طائفة[٣] العرفان والكشف.

[درجات الإيمان]

[مقام التوبة]

ومبـدأ الشــروع في درجـات الكمـال الإيمـانيّ من مقـام التوبـة. فالاســتقامة[٤] الوُسـطى[٥] في التوبة التلبّسُ بالحالة الخالصــة[٦] من الشـوائب المُنافية للصــدق[٧]، والجزمِ عند قصـد الإنابة، بحيث يكون التوبة طاهرةً[٨] من كلّ ما يشـينها ثابتةَ الحكم لتكون مقبولـة، ثمّ التصــديق الخـاصّ بـأنّ اللّـه ﴿يَقْبَـلُ التَّوْبَـةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ﴾[٩] ويعلم ما يفعل عباده.

وإليـه الإشــارة بقولـه: ﴿وَيَعْلَمُ مـا تَفْعَلُونَ﴾[١٠]؛ فـإنّـه تنبيه على هذه المرتبة من الإيمان[١١]؛ إذ[١٢] الإيمان التصديق، فمن صدّق اللّهَ في إخباره أنّه يعلم ما يفعل[١٣]، ولم يُقدم[١٤] متجاسـراً على ما يكره؛ لأنّه من الضعف بمثابة أنّه لو نهاه مخلوق مثله ـ ممّن

---

(١) وتلبّس: فليس AB
(٢) ينفذ: + منه P
(٣) A230a
(٤) فالاستقامة: والاستقامة A
(٥) فالاستقامة الوسطى: فالصراط المستقيم العدل الوسط P
(٦) بالحالة الخالصة: بالخالصة A، بالخاصّة B
(٧) للصدق: والصدق A
(٨) طاهرة: ظاهرة A
(٩) القرآن الكريم: ٢٥/٤٢
(١٠) نفس المصدر.
(١١) المرتبة من الإيمان: الإيمان المشار إليه P
(١٢) إذ: فإنّ P || B132b
(١٣) يفعل: يفعلون P
(١٤) يقدم: تقدم AB

له عليه تسلّط ـ عن أمرٍ ما، وعرّفه[١] أنّه كارهٌ لذلك الأمر، ثمّ تأتّى[٢] له فعل ذلك الأمر مع وفور الرغبة ووجدان الاستطاعة، لكنّه بمرأى من ذلك المتسلِّط الناهي ومَسمَعٍ، فإنّه لا يُقدم على ارتكاب ذلك الفعل أبداً، وإن توفّرت رغبته إلى أقصى الغاية، بل مجرّدُ الحياء من معاينته له مع تقدير الأمن من[٣] غائلته يصدّه[٤] عن ذلك[٥]، فكيف به إذا لم يتحقّق الأمن[٦]؟

فهذا النحو من الإيمان ليس هو نفس الإيمان باللّه وكتُبه ورسُله على سبيل الإجمال، بل هذا إيمان خاصّ.

[فائدة إخبار الحقّ ورسُله عن أحكام القدَر]

ومن أكبر[٧] فوائد إخبار الحقّ ورسُله والكُمَّل من خاصّته[٨] عن أحكام القدَر، تنبيهُ النفوس[٩] والهِمَم وتشويقها للتحلّي[١٠] بعلم القدَر أو التحقّقِ بالإيمان به بعد الإيمان بما ذكرناه[١١]، كقوله تعالى: ﴿ما أَصابَ[١٢] مِنْ مُصيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا في أَنْفُسِكُمْ إِلّا في كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرٌ ۞ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما[١٣] آتاكُمْ﴾[١٤].

وقوله ـ عليه السلام ـ: «إنّ روح القدُس نفث في رُوعي[١٥] أنّ نفساً لن تموت حتّى

---

(١) عرّفه: عرف P
(٢) تأتّى: يأتي AB
(٣) الأمن من: الأمر في AB
(٤) يصدّه: فضدّه A، فصدّه B
(٥) عن ذلك: _ B
(٦) الأمن: _ AB
(٧) أكبر: أكثر AB
(٨) خاصّته: خاصّيّته AB
(٩) النفوس: للنفوس AB
(١٠) للتحلّي: للتجلّي B
(١١) ذكرناه: ذكرنا P
(١٢) أصاب: أصابكم P
(١٣) بما: على ما A
(١٤) القرآن الكريم: ٥٧/٢٢ _ ٢٣
(١٥) A230b

تستكمل[١] رزقها[٢]، فاتّقوا اللّه، وأجمِلوا في الطلب».[٣]

وقوله ـعليه السلامـ: «لا يستكمل إيمانُ عبدٍ مسلم، حتّى يكون[٤] في ما في يد اللّـه أوثقَ منه ممّا في أيدي الناس».[٥] وفي حديث آخر: «حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه، وحتّى يخاف اللّه في مزاحه[٦] وجدّه[٧]»[٨].

ويجرِّب العبدُ بميزانه عملَه[٩]، وبميزان[١٠] ربّه إيمانَه، فيعلم ما حصّل، وما[١١] بقي عليه ولم يحصّله[١٢].

[مقام الثبات على العمل الصالح]

ثمّ الصراط المستقيم العدل الوسط[١٣] بعد التحقّق بالتوبة[١٤]، هو الثبات على العمل الصالح بصفة الإخلاص الذي هو شأن أهل الإنابة. ثمّ الترقّي بالعمل الصالح في الدرجات العُلى[١٥]، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[١٦]، يعني

---

(١) تستكمل: يستكمل A

(٢) رزقها: + وأجلها AB

(٣) مرويّ عنه ـصلّى اللّه عليه وآلهـ كما في: الكافي: ١٨٨/٣؛ تهذيب الأحكام: ٣٢١/٦؛ الأُصول الستّة عشر: ١٥٠؛ بصائر الدرجات: ٤٥٣/١؛ دعائم الإسلام: ١٤/٢؛ تنبيه الخواطر: ١٦٣/١

(٤) B133a

(٥) لم أعثر على هذا الخبر في مصادر الفريقين. وقريب منه ما رواه بعض أهل التصوّف عنه ـصلّى اللّه عليه وآلهـ أنّه قال: «مَن سرَّه أن يكون أغنى الناس، فليكن بما في يد اللّه أوثق منه بما في أيدي الناس». (كنوز الحكمة: ٢١٧)

(٦) مزاحه: مزاجه AB

(٧) جدّه: حدّه AB

(٨) ميزان الحكمة: ١٩٦/١

(٩) عمله: عليه السلام P

(١٠) بميزان: بميزانه B

(١١) ما: ممّا A

(١٢) يحصله: تحصله B

(١٣) الصراط المستقيم العدل الوسط: ـ AB

(١٤) بالتوبة: + والاستقامة و AB

(١٥) العُلى: ـ AB

(١٦) القرآن الكريم: ١٠/٣٥

الأنفس[١] الطاهرة، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[٢]. فلا يزال الإنسان ـ مع إيمانه وتوبته وملازمته[٣] الأعمالَ الصالحةَ[٤] ـ يتحرّى الأسدّ فالأسدّ[٥] والأولى فالأولى من كلّ أمر[٦] وعمل، فيتّقي[٧] ويرتقي من حقّ الإيمان إلى حقيقته.

كما نبّه عليه الرسول[٨] في قصّة الحارثة[٩]، وقد سأله: كيف أصبحتَ يا حارثة[١٠]؟ فقال: أصبحتُ مؤمناً حقّاً. فقال: إنّ لكلّ حقّ حقيقةً، فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفَت نفسي عن[١١] الدنيا، فتساوى عندي ذهبُها وحجرُها. فكأنّي أنظُر إلى عرش ربّي بارزاً، وكأنّ أهل الجنّة ينعَّمون، وأهل النار في النار يعذَّبون. فقال له ـ عليه السلام ـ: عرفتَ فالزِم.[١٢]

فهذا آخر درجات الإيمان، وأوّل درجات الإحسان[١٣].

[مقام الولاية]

ثمّ إنّ العبد يرقى ويزداد من النوافل بعد إحكامِ الفرائض وإتقانِها، وجمعِ الهمّ إلى اللّه، وإحضارِ قلبه في ما يرتكبه للّه، مع مشاهدة التقصير بالنسبة إلى ما يجب[١٤] وينبغي، ثمّ الإكثار[١٥] من النوافل ما كان[١٦] أحبَّ إلى الرسول[١٧] ـ عليه السلام ـ؛

---

(١) الأنفس: الأرواح P

(٢) نفس المصدر.

(٣) ملازمته: ملازمة A

(٤) الصالحة: الصالح A

(٥) الأسدّ فالأسدّ: الأشدّ فالأشدّ B

(٦) كلّ أمر: كلام P

(٧) فيتّقي: فيبقى AB

(٨) الرسول: + صلّى اللّه عليه وآله P

(٩) الحارثة: جارية AB

(١٠) حارثة: جارية AB

(١١) عزفت نفسي عن: نعني AB؛ عزفت نفسي عن الدنيا: أي عافَتها وكرهَتها. (مجمع البحرين)

(١٢) الجعفريّات: ٧٧؛ معاني الأخبار: ١٨٧؛ النوادر للأشعريّ: ٢٠؛ مشكاة الأنوار للطبرسيّ: ٣٩

(١٣) الإحسان: + الأوّل AB

(١٤) يجب: يحبّ A

(١٥) الإكثار: الاختيار AB

(١٦) B133b

(١٧) الرسول: رسول اللّه P

لكونه أحبّ إلى اللّه، فيدأب عليه ويلازمه؛ لحبّ[١] اللّه فيه ورسـوله؛ لكونه[٢] أشـدّ جلاءً للقلـب[٣] الذي عليه مدار الكلّ، وإليه منتهى الكلّ. حتّى ينتهي إلى ما أخبر به على لسـان[٤] نبيّه[٥] بقوله ـصـلّى اللّه عليه وآله وسـلّمـ: «لا يزال العبد يتقرب إليَّ بـالنوافل حتّى أُحبّه. فإذا أحبَبْتُه[٦] كنتُ سـمعه وبصـره»[٧] (الحديث)، وهو[٨] مقام الولاية، وبعده ينتقل إلى خصوصيّات الولاية، التي لا نهاية لها؛ إذ لا نهاية للأكمليّة.

[المراتب بين مقام الولاية ومقام الكمال المختصّ بصاحب أحديّة الجمع]

نعم[٩]! بين مرتبة «كنتُ سـمعه وبصـره[١٠]» ومرتبةِ الكمال المختصّ بصـاحب أحـديّة الجمع مراتب، فما ظنّك بدرجات الأكمليّة التي هي وراء الكمال؟ فمِن جملة مـا بين مرتبة «كنتُ سـمعه وبصـره» وبين مرتبة الكمال[١١]، مرتبة النبوّة، و[١٢] مرتبة الرسالة، و[١٣] مرتبة الخلافة المقيَّدة بالنسبة إلى أُمّة[١٤]، ثمّ الرسالة العامّة، ثمّ الخلافة العامّة، ثمّ الكمال في الجمع، ثمّ الكمال المتضـمّن للاسـتخلاف والتوكيل الأتمّ من الخليفـة لربّه ـسـبحانهـ في كلّ ما كان الحقّ[١٥] قد اسـتخلفه[١٦] فيه، مع زيادةِ ما يختصّ بذات[١٧] العبد وأحواله، كلّها بين المرتبتين المذكورتين[١٨].

---

(١) لحبّ: بحبّ AB
(٢) لكونه: ولأنّه P
(٣) A231a
(٤) على لسان: ـ AB
(٥) نبيّه: رسوله P
(٦) أحببته: + و A
(٧) جامع الأخبار: ٨١؛ إرشـاد القلوب: ٩١/١؛ عوالي اللئالي: ١٠٣/٤
(٨) هو: هذا P
(٩) نعم: بل P
(١٠) وبصره: ـ AB
(١١) فمن جملة ... الكمال: و AB
(١٢) و: ثمّ P
(١٣) و: ثمّ P
(١٤) أُمّة: + خاصّة P
(١٥) الحقّ: + سبحانه P
(١٦) قد استخلفه: استخلفه وليس AB
(١٧) بذات: بذلك AB
(١٨) كلّها بين المرتبتين المذكورتين: ـ P

فكـلُّ نبيّ وليٌّ ولا ينعكس، وكـلُّ رسـول نبيٌّ ولا ينعكس. وكلُّ مَن قرن برسـالته السيفُ فخليفة[١]، وليس كلّ من يُرسَل هذا شأنه. وكلّ من عمّت رسالته، عمّت خلافته إذا منِحها بعـد الرسـالـة. وكـلّ من تحقّق بـالكمـال، علا[٢] على جميع المقـامات والأحوال، وما بعد استخلاف اللّه تعالى والاستهلاك عيناً[٣] والبقاءِ حكماً، مع الجمع بين صفتَي التمحّض والتشكيك[٤] مرمىً لرامٍ.

وأحوال الكـاملين[٥] وسـيَرهم وعلاماتهم يحتاج فهمُها إلى تطويل كثير ومباحث جمّة، لا يكاد يسعها هذا المختصر، فلتطالع[٦] من مظانّها. >[٧]

[أسرار النبوّة]

[٨]< وأمّا أسـرار النبوّة[٩]. فاعلَم أنّ للنبوّة صورةً وروحاً[١٠]، ولكلّ واحد منهما ثمرة وحُكم.

[صورة النبوّة وأقسامها]

فصورة[١١] النبوّة التشريعُ، وهو على ثلاثة أقسام:

ـ قسم لازم يختصّ بكلّ من يعبد[١٢] اللّه في نفسه بشريعةٍ عيّنها له، يسلك عليها، ويعبد ربّه من حيثها. والشريعةُ الطريقةُ.

ـ وقسـم يختصّ بكلّ مُرسَـل للإرشاد[١٣] إلى طائفة خاصّة. فحكمُ[١٤] نبوّته متعدٍّ؛

---

(١) فخليفة: فحليفه B

(٢) علا: ـ AB

(٣) عيناً: غيباً AB

(٤) بين صفتي التمحّض والتشكيك: ـ AB

(٥) B134a

(٦) فلتطالع: فلنطالع A

(٧) إعجاز البيان: ٢٦٨ ـ ٢٧٢

(٨) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(٩) النبوّة: البنوّة AB

(١٠) روحاً: روحانيّة AB

(١١) فصورة: وصورة AB

(١٢) يعبد: تعبد B، تعبّده P

(١٣) للإرشاد: بالإرشاد AB

(١٤) A231b

لأنّه ومن أُرسل إليه من الطوائف شركاء في ما عيِّن له، لكن أمر شريعته لا يعمّ.

ـ والقسم الثالث[١] رسالة نبيّنا ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ؛ فإنّها رسالة مشتملة على جميع ضروب الوحي، وجميعِ صور الشرائع، وأمرُها محيط عامّ مستمرّ لم يعيَّن[٢] لها انتهاء. وإنّما ينقضي حكمها بانخرام نظام[٣] نشأتَي صورة[٤] الكون والفساد[٥] الذي من جملته طلوع الشمس من مغربها، وكفى به عبرةً[٦] وآيةً.

و[٧] ثمّ نقول: وللنبوّة من حيث أصلها الظاهرِ[٨] الأثرِ تماماً في شريعتنا حكمٌ كليٌّ يظهر بتفاريعها الخمسة ـالتي هي: الوجوب، والندب، والحظر[٩]، والكراهية[١٠]، والإباحةـ، باعتبار ترتيبها وانسحابها على سائر المكلّفين، بحسب أحوالهم وأفعالهم وفُهومهم وأوقاتهم ونشئاتهم[١١]، وما تواطئوا عليه، وأنسَته عقولهم، وألفَته[١٢] طباعهم أُلفةً يتعذّر عليهم الانفكاك عنها.

[حكم صورة النبوّة]

وحكمُ صورة النبوّة[١٣]:

ـ حفظُ نظام العالم.

ـ ورعاية[١٤] مصالح الكون للسلوك والترقّي من حيث الصور إلى حيث سعادة السالك المُرتقي ـكما مرّـ.

---

(١) القسم الثالث: أمّا AB

(٢) يعيّن: تعيّن A

(٣) نظام: نظم P

(٤) صورة: صورتَي AB

(٥) الفساد: الزمان P

(٦) عبرة: غيره AB

(٧) و: ـ P

(٨) الظاهر: الطاهر B

(٩) الحظر: الخطر B

(١٠) الكراهية: الكراهة P

(١١) نشئاتهم: نشأتهم AB

(١٢) ألفته: ألفة A

(١٣) النبوّة: البنوّة و A

(١٤) B134b

ـ وإقامة[١] العدل بين الأوصاف الطبيعيّة.

ـ واستعمال القوى والآلات[٢] البدنيّة في ما يجب وينبغي استعماله، مع اجتناب طرفَي الإفراط والتفريط في الاستعمال والتصرّف، بمراقبة الميزان الكلّيّ[٣] الإلهيّ الاعتداليّ في ذلك والعمل بمقتضاه.

ـ والفوز أيضاً بالنعيم المحسوس الطبيعيّ في الدار الآخرة أبدَ الآباد.

ـ وتحصيل[٤] الاستعداد الجزئيّ الوجوديّ؛ لإذعان البدن بجملة قواه للروح القدسيّ الإلهيّ، والانصباغِ بصفته وحكمه[٥]، وما يستلزمان من الأُمور الإلهيّة والفوائد الروحانيّة.

[روح النبوّة]

وروح النبوّة القربةُ.

[ثمرة روح النبوّة]

وثمرتها:

ـ الصفاءُ والتخلية[٦] التامّة.

ـ ثمّ صحّة المُحاذاة، المستلزمة لمعرفةِ الحقّ، وشهودِه، والأخذِ منه، والإخبارِ عنه.

ـ وإحياء[٧] المناسبة الغيبيّة الثابتة بين[٨] روح السالك المتشرّع وبين روح النبيّ أيضاً، والأرواحِ الآتية إليه، والمتلقّية الوحيَ الإلهيّ[٩] والتنزّلاتِ العِلويّةَ الظاهرة[١٠]

---

(١) إقامة: لإقامة P

(٢) الآلات: آلات AB

(٣) الكلّيّ: ـ AB

(٤) تحصيل: يحصل AB

(٥) حكمه: حكمته AB

(٦) التخلية: التجلية AB

(٧) إحياء: هنا AB

(٨) A232a

(٩) الإلهيّ: + عنه AB

(١٠) الظاهرة: الطاهرة B

الحُكم والأثر عليه، عند تقوية الروح وطهارته[١].

ـ ومشــاركته ملائكةَ الوحي والإلقاء في الدخول تحت دائرة المقام الذي منه يتنزّل الوحي المطلق، المنقسـمُ على ملائكة الوحي، والواصـلُ إلى من وصل إليه[٢] بواسطة الملَك.

ـ والمشـاركة أيضاً في الدخول تحت[٣] حكم الاسم الإلهيّ الذي له السلطنة على الأُمّة المُرسَـل إليها الرسولُ، وعلى الملَك والرسول أيضاً، من حيث ما هو رسول تلك الأُمّة.

فإن كان الرسـول هو كامل عصره، كنبيّنا ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم[٤]ـ، فله شرط آخر، وهو أن يصير[٥] مرآةً لحضرة الوجوب والإمكان في مرتبة أحديّة الجمع.

وإن كانت رسالة الرسول جزئيّةً، فإنّ رسالته ناتجة وظاهرة عن اسمين إلهيّين:

أحدهما: الهادي.

والآخر: يتعيّن بحاله وعلمه وشـرعه[٦] ومنهاجه، وليس في الرسُــل مَن صــدرت رسالته عن اسم «اللّه»، الجامعِ لسائر مراتب الأسماء والصفات، المستوعبِ لأحكامها إلّا رسالة نبيّنا ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ. فهو عبد اللّه[٧] ورسوله[٨] ـكما أشار إليهـ.

---

(١) طهارته: طهاراته AB

(٢) إليه: ـ AB

(٣) B135a

(٤) وآله وسلّم: ـ B

(٥) يصير: تصير AB

(٦) شرعه: شِرعته P

(٧) مشير إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّـهِ يَـدْعُوهُ كـادُوا يَكُونُونَ عَلَيْـهِ لِبَداً﴾. (القرآن الكريم: ١٩/٧٢)

(٨) مشــير إلى قوله تعالى: ﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُــولَ اللَّهِ﴾ (القرآن الكريم: ٤٠/٣٣)، وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُــولُ اللَّهِ﴾. (القرآن الكريم: ٢٩/٤٨)

[حكم روح النبوّة]

وحكم النبوّة[١] من حيث روحها:

ـ تنبيه الاستعدادات[٢] بالإخبارِ عن اللّه وعن أسمائه وصفاته[٣]، والتشويقِ إليه وإلى ما عنده، والتعريفِ بأحوال النفوس والسعادات الروحانيّة واللذّات المعنويّة.

ـ وإمداد الهِمَم للترقّي إلى ما لا[٤] يستقلّ عقول الأُمّة بإدراكه دون التعريف الإلهيّ من طريق الكشف المحقَّق والوحي؛ لِتسمُوَ هِمَم النفوس إلى طلبه، وتهتمّ في تحصيله من مظنّته.

ـ وتحصيل[٥] معرفة كيفيّة التوجّه إلى الحقّ بالقلوب والقوالب أيضاً، من حيث تبعيّتها لأحكام القلوب حين انصباغها بوصفها.

ـ ومعرفة عبادة الحقّ الذاتيّة والحُكميّة[٦] الوقتيّة والموطنيّة الحاليّة.

ـ والتوجّه الجمعيّ بالسلوك نحوَه، على الصراط الأسدّ[٧] الأقوَم الأقرب والوجه الأحسن.

ـ وفهم ما أخبرَت عنه سفراؤه والكُمَّل من صفوَته، من العلوم والحقائق والأسرار والحِكم التي لا يستقلّ العقول بإدراكها والاستشرافِ عليها.

ـ ومعرفة إرشاد الخلق للتوجّه إلى الحقّ، التوجّهَ المستلزم لتحصيل الكمال على الوجه الأسدّ والطريقِ الأقصد الأصوَب. وهو الطريق الجامع بين معرفة القواطع المجهولة الخفيّة[٨] الضرر، والأسباب المعيَّنة الخفيّة[٩] المنفعة أيضاً؛ ليتأتّى له طلبُ

---

(١) النبوّة: البنوّة B

(٢) الاستعدادات: للاستعدادات P

(٣) وصفاته: ـ AB

(٤) لا: لم P

(٥) A232b

(٦) الحكميّة: الحكمة B135b || AB

(٧) الأسدّ: الأشدّ B

(٨) الخفيّة: الحقّيّة A

(٩) الخفيّة: الحقّيّة A

كلّ معيَّن محمود يُحتاج إليه ويُستعان به على تحصيلِ السعادات[١] والتحقّقِ بالكمال، على الوجه الأحسن الأيسر، ويتمكّن من الإعراضِ عن[٢] العوائق، وإزالةِ ضرر ما[٣] اتّصل من أحكامها بالإنسان، ومعرفةِ النتائج ـ التابعة للمضارّ والمنافع ـ المنبَّه عليها، وما هو منها مؤجّلٌ ومتناهٍ، وما لا يتقيّد بأجلٍ، ولا يُحكَم عليه بالتناهي.

ـ وإصلاح[٤] الأخلاق بتحسين السيرة، والزهدِ في ما سوى المطلوب[٥].

وغاية كلّ ذلك الفوزُ بكمال معرفة الحقّ، وشهوده الذاتيّ، والأخذ عنه، والتهيّؤ[٦] على الدوام لقبول ما يُلقيه ويأمر به ويريد، دون اعتراض، ولا تثبُّط[٧]، ولا إهمال، ولا تفقّه[٨]، ولا تأويل يقضي بالتقاعد.

وليُراعَ[٩] الأولى فالأولى، والأجدر فالأجدر[١٠] من كلّ أمر، بالقصد أوّلاً، وبأن يصفُو[١١] مرآةُ قلبه وحقيقته ثانياً صفاءً[١٢] يستلزم ظهورَ هذه الأُمور كلّها ـ بل ظهور[١٣] كلّ شيء ـ فيها، وبروزَها[١٤] به[١٥] في الوجود، على ما كانت عليه في علم الحقّ من الحُسن التامّ المطلق الذاتيّ الأزليّ دون تعويق منافٍ للترتيب الذاتيّ الإلهيّ[١٦] يوجبه صَدى[١٧] محلِّ القابل، أو خِداجٌ[١٨] حاصل بسبب نقص الاستعداد، واختلالٌ[١٩] في

(١) السعادات: السعادة A
(٢) عن: من B
(٣) ضرر ما: ضرره A
(٤) إصلاح: + الإخلاص و AB
(٥) المطلوب: + الحقّ P
(٦) التهيّؤ: التجلّي A؛ انتهى B
(٧) تثبَّط عن الأمر: توقَّف. (لسان العرب)
(٨) تفقّه: بفقه A؛ نفقه B
(٩) ليراع: لداعي A؛ داعي B
(١٠) الأجدر فالأجدر: الأحذر فالأحذر AB
|| B136a
(١١) بأن تصفو: ثان بصورة AB
(١٢) حقيقته ثانياً صفاء: حقيقة ثابتاً صفاء و A
(١٣) ظهور: طهور B
(١٤) A233a
(١٥) به: + أي بالإنسان P
(١٦) الإلهيّ: ـ AB
(١٧) صدى: صداء AB
(١٨) الخداج: النقصان. (لسان العرب)
(١٩) اختلال: اختلاف B

الهيئة المعنويّة التي لمرآته يقضي بسوء القبول الذي هو عبارة عن تغيير صورة كلّ ما ينطبع فيها عمّا كان عليه في نفس الحقّ[١]، صفةً كان من صفات الحقّ[٢]، أو خلقاً، أو علماً، أو حالاً، أو اسماً إلهيّاً، أو فعلاً، أو كوناً من الأكوان.

ومنتهى كلّ ذلك ـ بعد التحقّق بهذا الكمال ـ التوغّلُ في الدرجات الأكمليّة، توغّلاً يستلزم[٣] الاستهلاك في اللّه، استهلاكاً يوجب غيبوبةَ العبد في غيب ذات ربّه، وظهورَ الحقّ عنه في كلّ مرتبة من مراتب الإلهيّة والكونيّة، بكلّ وصف وحال وأمر وفعل ممّا[٤] يُنسب إلى هذا الإنسان من حيث إنسانيّته[٥] وكماله[٦]، أو ينسب إلى ربّه من حيث هذا العبد، ظهوراً وقياماً يُوهم[٧] عند[٨] أهل الاستبصار أنّه عنوان الخلافة وحُكمها وحالها[٩]، مع أنّ الأمر في نفسه بعكس ذلك، وهذا شهود عزيز المنال[١٠].

ومن حصلت له هذه الحالة، وشاهَد اللحمة[١١] النسبيّة[١٢] التي بينه وبين كلّ شيء، وانتهى إلى أن علم[١٣] أنّ نسبة الكون كلِّه إليه نسبةُ الأعضاء[١٤] الآليّة والقوى إلى صورته، ونسبةُ القرائب[١٥] الأدنَين[١٦]، وتعدّى مقام السفر[١٧] إلى اللّه ومنه إلى خلقه، وبقي سفره في اللّه لا إلى غاية ولا أمَدٍ، ثمّ اتّخذ الحقّ وكيلاً مطلقاً به عن أمره،

---

(١) الحقّ: الأمر AB
(٢) صفات الحقّ: صفاته P
(٣) يستلزم: تستلزم A
(٤) ممّا: + كان P
(٥) إنسانيّته: إنسانيّة A
(٦) كماله: كمال الإلهيّ P
(٧) يوهم: يعرف AB
(٨) عند: + أكثر P
(٩) حالها: حالنا AB
(١٠) المنال: المثال AB
(١١) اللحمة: ـ A؛ اللحميّة B
(١٢) النسبيّة: النسبة A
(١٣) علم: + اللّه AB
(١٤) الأعضاء: للأعضاء A
(١٥) القرائب: الغرائب A
(١٦) الأدنين: الأُذنين AB
(١٧) B136b

فلســـان حاله يقول[١]: «اللّهمّ أنت الصــاحب في الســفر، والخليفة في الأهل، وأنت حسبي في سفري فيك، والعوضُ عنّي وعن كلّ شيء، ونعم الوكيل»[٢]. >[٣]



(١) فلسان حاله يقول: يقول حالتئذٍ P

(٢) الكـافي: ٢٥٧/٨؛ من لا يحضــره الفقيه: ٥٢٦/٢؛ تهـذيب الأحكام: ٥٠/٥؛ دعائم الإســلام: ٣٤٧/١؛ مصــبـاح المتهجّـد: ٦٧٤/٢؛ مـكـارم الأخلاق: ٢٤٨؛ المزار الكبير: ٢٩٢؛ الأمان: ٤٠؛ عوالي اللئالي: ١٤٥/١ (مع اختلاف يسير)

(٣) إعجاز البيان: ٢٧٣ ـ ٢٧٦

[الفصل السابع عشر: في الرجوع إلى مباحث الطبيعيّات]

[مباحث المبدأ]

وإذا تمّت هذه المباحث، فهاهنا بحث فيه **انتقال** من هذه المباحث المتعلّقة بالأحوال المعاديّة ولوازمها، إلى [ما][١] يتعلّق بمباحث المبدأ، يكون من[٢] جملة المباحث السابقة. وهي أن نقول:

[بيان حكمة بعض عجائب العالم]

[٣]< **وقوع الممكنات جميعها دفعةً مستحيلٌ؛** لأنّ كلّ ما يقع من الصور والهيئات [متناهٍ][٤] بالضرورة؛ لتناهي الأجرام. والكلمات كانت ضروريّة لها[٥] الأبدان ـلِما[٦] سبقـ. ولو قدِّر الغير المتناهي واقعاً، كان يبقى على الإمكان ما لا يتناهى. **ولمّا كانت كلمات اللّه غير متناهية، كما قال تعالى: ﴿قُلْ[٧] لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[٨]. وقوّة الفاعل غير متناهية، والهيولى لها قوّة القبول الغير المتناهي، والمبادئ لا تتغيّر، وهناك أجسام[٩] متحرّكة[١٠] لغرض علويّ، فيلزم[١١] ذلك رشح خير[١٢] دائم، استلزم استعدادات لا يصحّ أن يكون كلّها نوريّة؛ لاشتداد الحرارة حينئذٍ،** فيلزم

---

(١) ما: مباحث AB
(٢) A233b
(٣) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٤) متناهٍ: متناهياً AB
(٥) ضروريّة لها: ضروريّاتها AB
(٦) لما: كما P
(٧) قل: ـ P
(٨) القرآن الكريم: ١٠٩/١٨
(٩) أجسام: أحكام B
(١٠) متحرّكة: متحرّك A
(١١) فيلزم: فينبغي Bs
(١٢) خير: غير A

فساد ما تحتها؛ لأنّ إفراط الحرارة يستلزم الفساد بإفراط اليُبس. **ولا** يصحّ أن يكون[١] تلك الاستعدادات كلّها **ظلمانيّة، وإلّا**[٢] **لَما حصلَت العنصريّات؛ لبقائها في الظلمة دائماً، فلا تستعدّ لقبول النور، فلا يحصل الأنوار المدبّرة. فلا تبقى على حالة واحدة، ولا دائرة واحدة؛ لاستلزامه فساد الكائنات؛** لأنّه إذا ثبت نورها في موضع واحد، لأثّرت بإفراط في ما قابلها، مع حِرمان غيره عن[٣] نورها، فيتحقّق الفساد؛ لعدم الاعتدال الموجب للتركيب.

فلا بدّ حينئذٍ **من حركة سريعة هي اليوميّة لكلّ فلك**[٤] **بالعرض؛** لأنّها تابعة للمحرّك[٥] الأقصى، **وأُخرى بطيئة لنفسه،** يميل[٦] بها إلى النواحي. ولو أنّ ما بين الأرض والأفلاك ذو[٧] لونٍ، ما وقع الشعاع على الأرض. ولو لم يكن الأرض متلوّنة، لَما ثبت عليها الشعاع.

فالنار حينئذٍ **عند الفلك؛** إذ لو جاوَره غير النار لَسخّنه[٨] بالحركة، وأفسَده بكثرة[٩] السخونة الدائمة الموجبة لفرطها، فيفسد عن طبعه بسببها. **ودونها الهواء؛ لشركته معها في الحرارة، ودونه الماء؛ لشركته له في الرطوبة**[١٠]**، ودونه الأرض؛ فهي الثقيل المطلق،** وهي مشاركة للماء في البرودة، بحصول النسبة بين كلّ واحد مع الآخر؛ ليصحّ مجاورته[١١] له على الانتظام التامّ. **فكان**[١٢] **للماء أخاديد**[١٣] **عن**

---

(١) B137a
(٢) إلّا: ـ A
(٣) حرمان غيره عن: جريان A
(٤) لكلّ فلك: للكلّ AB
(٥) للمحرّك: للمتحرّك AB
(٦) يميل: تميل AB
(٧) ذو: ذا P
(٨) لسخّنه: ليسخّنه A
(٩) بكثرة: بكثرته B
(١٠) A234a
(١١) مجاروته: محاورته B
(١٢) فكان: وكان AB
(١٣) الأُخدود: الحفرة، والجمع أخاديد. (لسان العرب)

الأرض لبقاء الحيوان، ﴿ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ [الْعَلِيمِ][١]﴾[٢]؛ إذ لو أحاط الماء بالأرض منعت الحيوانات الشريفة عن استنشاق الهواء، وهي محتاجة إليه، فكان[٣] الماء موجباً للأخاديد المانعة عن الإحاطة، رحمةً من اللّه على البريّة. >[٤]

[حكمة خلق الهيولى]

[٥]< ونظمُ الكلام على السياق أن يُقال[٦]: اعلَم[٧] أنّ الرحمة الإلهيّة لمّا لم يجُز وقوفُها[٨] عند حدّ، يبقى وراءها الإمكان الغير المتناهي ـ لأنّ الواجب لذاته لمّا كانت قوّتة غير متناهية، وَجوده وكرمه غير واقفٍ عند حدٍّ لِيحصل منه قدرٌ متناهٍ من الموجودات الممكنة، فلا جرمَ وجب أن يكون من لوازم ذاته وجود أشياء يلزم عنها وجودُ ما لا يتناهى من الموجودات الممكنة[٩] ـ، فلا جرمَ وُجدت هيولى لها قوّة القبول إلى غير النهاية، كما أنّ المبادئ العقليّة لها قوّة الفعل والإفاضة إلى غير النهاية.

[حكمة خلق الأجرام الفلكيّة]

ولمّا كانت إفاضات الجواهر العقليّة تحتاج[١٠] إلى تجدُّد أمر يكون هو السبب في الفيض، وجب وجودُ أجرام فلكيّة دائمة الدوَران لأغراض عِلويّة، هي السبب في تجدُّد استعدادات الهيولى إلى غير النهاية؛ فإنّك قد عرفتَ أنّ كلّ حادث لا بدّ له من علّة حادثة، وعلّة جميع الحوادث هي الحركات الفلكيّة، فيتبع حركاتِها الدائمةَ استعداداتٌ

---

(١) العليم: الحكيم AB

(٢) القرآن الكريم: ٩٦/٦، ٣٨/٣٦، ١٢/٤١

(٣) فكان: وكان AB

(٤) كلمة التصوّف: ١٢٣ ـ ١٢٤ (مع تصرّف وتفصيل)

(٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٦) يُقال: تعالى A

(٧) B137b

(٨) وقوفها: وقوعها AB

(٩) فلا جرم ... الممكنة: ـ AB

(١٠) تحتاج: محتاج A، يحتاج B

غير متناهية، تنضـــمّ إلى فاعلٍ غير متناهي[١] القوّة، وقابلٍ يقبل الصـــور والأعراض من ذلك الفاعل إلى غير النهاية. وذلك يوجب انفتاحَ أبواب البركات ورشـــحَ الخير الدائم أزلاً وأبداً إلى غير النهاية. وإذا لم يكن الفاعل على الخير[٢] بضـنين، فيحصـل الفيض على كلّ قابل مستعدّ بسبب استعداده، حتّى أنّ النملة ـ مع حقارتها ـ لو كانت مستعدّة لقبول نفس ناطقة، وجب أن يُفاض عليها ذلك.

وقد علمتَ أنّ أشـرف ما يتعلّق بالهيولى[٣] والأجسام إنّما هي النفوس الناطقة التي لا يمكن خروجُ جميع مـا يمكن منهـا[٤] إلى الفعـل دفعـةً واحـدةً، لا مع الأبدان ولا بدونها. فبحســب اســتعداد الهيولى، الاســتعداداتُ الغير المتناهية في الأدوار الغير المتنـاهيـة تقبـل[٥] فيض النفوس من العقل المفارق إلى غير النهاية. ثمّ يرجع منها ما كمَل إلى العالم العقليّ والوطن الأصليّ. وما لم يكمل يرجع إمّا إلى العالم العقليّ، أو الأجرام الفلكيّـة، ولكن بعـد اللَبث[٦] في البرازخ والأجســام أزماناً طويلة[٧] وأحقاباً كثيرة، كما عرفتَ تفصيله.

[حكمة جعل الأرض مركز العالم]

ثمّ كان من عجائب الحكمة وغرائب الرحمة جعل الأرض[٨] مركزَ العالم ووســط الكلّ؛ فإنّها لو كانت مجاورةً[٩] للأجرام الفلكيّة[١٠]، لَاحترقَت لشدّة[١١] تسخّن الحركة

---

(١) متناهي: متناهٍ AB
(٢) الخير: الفيض AB
(٣) A234b
(٤) B138a
(٥) تقبل: يقبل AB
(٦) بعد اللبث: لبث A، ثبت B
(٧) أزماناً طويلة: زماناً طويلاً AB
(٨) الأرض: + في P
(٩) مجاورة: محاورة B
(١٠) الفلكيّة: العلويّة P
(١١) لشدّة: بشدّة BP

الـدائمـة. وعلى تقدير بقائها[١]، ما كان يمكن أن يتكوّن فيها[٢] حيوان ولا ينبت نبات، وذلك ما ذكرناه من الرحمة الإلهيّة التي لا يمكن وقوفها[٣] عند حدّ.

وجعِلت النارُ مجاورةً[٤] للفلك؛ إذ لو جاورَت غيرها من العناصر، تسخّن[٥] بدوام حركته، فصار ناراً، وانضمّ إليها تسخين النار[٦]، وأحرقت[٧] باقي العناصر، وصار الكلّ ناراً، فانفسدت العناصر.

ولمّا كانت العناية الإلهيّة[٨] تقتضـــي[٩] وجود نفوس غير متناهية، ولا يمكن ذلك دون أبدان حيوانيّة ونباتيّة يغلب على أكثرها العنصـــر اليابس الذي بســـببه تنحفظ[١٠] الصـــور والأشـــكـال، وجـب أن يكون الأرض بـاردة يـابســـة متماســـكة[١١] الأجزاء؛ ليجاورها[١٢] الحيوان والنبات الغالب عليهما عنصرها.

ويجب[١٣] أيضاً ـلِما ذكرنا[١٤] من الحكمة[١٥]ـ أن لا يكون الماء محيطاً بالأرض؛ لاحتيـاج أكثر الحيوان والنبات إلى اســـتنشـــاق الهواء وجذبه. ثمّ جعَل الهواء مجاوراً للنار؛ لمناسبته في الحرّ والميعان. وجعَل الماء مجاوراً للهواء؛ لمناسبته للهواء[١٦] في الميعان، ومناسبته للأرض[١٧] في البرد؛ لئلّا يبطل العدل.

---

(١) بقائها: بقائهما A
(٢) فيها: عليها P
(٣) وقوفها: وقوعها AB
(٤) مجاورة: محاورة A
(٥) تسخّن: لتسخّن P
(٦) النار: البارد AB
(٧) وأحرقت: فاحترقت P، + جميع B
(٨) الإلهيّة: الأزليّة P
(٩) تقتضي: يقتضي A
(١٠) بسببه تنحفظ: يبسه بحفظ AB
(١١) متماسكة: فيماسكه A
(١٢) ليجاورها: ليحاورها B
(١٣) يجب: _ AB
(١٤) ذكرنا: ذكرناه P
(١٥) B138b
(١٦) لمناسبته للهواء: لمناسبة الهواء AB
(١٧) مناسبته للأرض: مناسبة الأرض AB

[حكمة جعل الكواكب مضيئةً والأفلاك شفّافةً]

ولو كانت[١] الأجرام العِلويّة الفلكيّة كلّها نوريّةً، لَأحرقَت بالشعاع ما دونها من عالم الكون والفساد. ولو كانت غير شفّافة أو عريّة عن النور، لَبقي أرباب[٢] الهيولى في ظلمة شديدة لا أوحش منها. مع أنّه لو عدمت الكواكبُ أضواءَها، ما أمكن وجود حيوان ونباتٍ[٣]. فجعِلت الكواكب مضيئة، والأفلاك[٤] شفّافة؛ إذ لو كانت ملوَّنة لَوقف الضوءُ على سطوحها، كما يقف على الأجرام الكثيفة الملوَّنة، واشتدّ[٥] الحرّ جدّاً، وقوي إلى حدّ يؤدّي إلى إحراق العناصر.

[حكمة حركات الأفلاك سريعة وبطيئة]

ولو كانت الكواكب النيّرة ثابتة غير متحرّكة، لَأحرقَت ما قابَلها من العناصر، ولم يلحق أثرُها ما غاب عنها، فيؤدّي إلى شدّة البرد، وجمودِ المياه والرطوبات، الموجبة[٦] لهلاك الحيوان والنبات.

ولو كانت الكواكب متحرّكةً بالحركة اليوميّة الواحدة، للازمت دائرةً واحدة، وأحرقَت ما قابَلها من تلك الدائرة، ولم يصل أثر الشعاع إلى باقي النواحي والأقطار.

فجعل للكواكب مع حركة الكلّ السريعةِ حركات أُخرى بطيئة، تميل[٧] بها شمالاً وجنوباً. فيحصل من ذلك الفصولُ الأربعة[٨] التي بها يتمّ الكون والفساد، وباختلافها ينصلح أمزجة البلاد، ويتكوّن الحيوان والنبات.

وإلى هذا المعنى أشار الكتاب الإلهيّ بقوله[٩]: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ

---

(١) A235a

(٢) أرباب: إلى هاوية P

(٣) نبات: بنات B

(٤) الأفلاك: + شعاعيّة AB

(٥) واشتدّ: فاشتدّ P

(٦) الموجبة: الموجب AB

(٧) تميل: نميل A

(٨) B139a

(٩) بقوله: _ P

النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فيهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ﴾[١]، ثمّ قال: ﴿قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتيكُمْ بِضِياءٍ﴾[٢]، (الآية).

ولأجل أنّ مدارها لم يدُم على سمتٍ واحد قال: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ﴾[٣]، أي بالحركة طالعة تارةً وغاربة أُخرى، وشماليّة مرّةً وجنوبيّة أُخرى. وكذلك أوجيّته وحضيضيّته[٤] وموازنته لطبيعة[٥] كلّ برج من الثابتة والمنقلبة وذوات الحدَّين[٦]، وغير ذلك من الأحوال العارضة للكواكب[٧]، كالرجوع، والاستقامة، وكونها في البيوت[٨]، وإشرافها[٩]، وهبوطها، وأمثال ذلك ممّا هو مذكور في كتب الأحكاميّين على الإجمال[١٠]، ولا يُحيط بتفاصيله إلّا الحقّ تعالى أو[١١] خواصّ عبيده، الذين هم أنواره العقليّة وأشعّته الروحانيّة. وبذلك كلّه يحصل[١٢] في العالم كلّه النظامُ، ويدوم[١٣] الكون والفساد، الذي هو أصل النعمة، وتمام الرحمة. والعجائبُ الموجودة في السماوات والأرض، وغيرُ ذلك من أنواع المخلوقات وأصناف المُبدَعات، لا يمكن أن يحيط بها البشر، وهم في[١٤] عالم الغربة وحجُب الظلمة.

والأجرام العِلويّة والسفليّة منطوية تحت قهر[١٥] النفوس، والنفوس تحت قهر

---

(١) القرآن الكريم: ٧١/٢٨
(٢) القرآن الكريم: ٧٢/٢٨
(٣) القرآن الكريم: ٥٤/٧
(٤) أوجيّته وحضيضيّته: أوجيّة وحضيضيّة AB
(٥) موازنته لطبيعة: موازنة AB || A235b
(٦) الحدّين: الجسدين AB
(٧) الأحوال العارضة للكواكب: أحوال الكواكب P
(٨) البيوت: + التي لها P
(٩) إشرافها: إشراقها A
(١٠) الإجمال: الأحمال B
(١١) أو: إذ A
(١٢) يحصل: تحصل A
(١٣) يدوم: + به P
(١٤) في: ـ AB
(١٥) B139b

العقول، والعقول كلّها مقهورة للعقل الأوّل، وهو مقهور للعلّة الأُولى المحيطة[1] بالكلّ والقاهرة له، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾[2]، وقال: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحيطٌ﴾[3].

سبحانك يا مبدعَ العجائب، وصانعَ الغرائب، ومُفيضَ الجود، وواهب الوجود! تلاشى الكلُّ في أنوار جبروتك، واضمحلّ في أضواء ملكوتك، لا إله إلّا أنت، إليك المصير. >[4]



(١) المحيطة: المحيط A

(٢) القرآن الكريم: ٦/١٨ و ٦١

(٣) القرآن الكريم: ٨٥/٢٠

(٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٦٢٢ ـ ٦٢٦

[حكمة خلق المزاج]

[١]< واعلَم أنّ **للعنصـريّات المركّبـة حرارةً محلّلـة ملطّفـة[٢] محرّكة، وبرودةً مسـكّنة عاقدة، ورطوبةً قابلة للتشـكّل مرقّقة[٣]، ويبوسـةً حافظة للشـكل[٤]. والحيوان احتياجه إلى الجوهر لحفظ الصـورة وربط الأجزاء، والعناصر المتركّبة أوجبَـت لكـلّ[٥] مزاج كمالاً؛** إذ لمّا كانت هذه الحيوانات محتاجةً إلى عناية الجوهر اليابس الحافظ للصـور وأشـكال[٦] الأعضـاء وربط الأجزاء، جعِلت في الوسـط عند الجوهر اليـابس البـارد، [فركّبت][٧] العناصـر، وأعدّ لكلّ مزاج كمالاً، ﴿ذلِكَ تَقْديرُ الْعَزيزِ [الْعَليمِ][٨]﴾[٩].



(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) ملطّفة: مطلقة B

(٣) مرقّقة: وفقة P

(٤) للشكل: للأشكال P

(٥) لكلّ: بكلّ A

(٦) أشكال: الأشكال و AB

(٧) فركّبت: فتركّبت AB

(٨) العليم: الحكيم AB

(٩) القرآن الكريم: ٩٦/٦، ٣٨/٣٦، ١٢/٤١

[حكمة خلق القوّة الغاذية]

والتحليـلُ أوجب الغاذيةَ، فيحتاج إليها النبات[(١)] والحيوان؛ لأنّهما لا يحصـلان دون قبول تحليل يحتاج إلى أبداله. فرتّب لذلك قوّة غاذية متصرّفة في الغذاء[(٢)]، مُحيلة لـه إلى شـبيه جوهر[(٣)] المغتذي. فهي القوّة المُحيلة للغذاء ـبعد وروده على البدنـ إلى شبيهه، ليحدث منه بدل المتحلّل، ليكون مهيّأً للنموّ والنُشوء.



(١) A236a

(٢) الغذاء: الغداء B

(٣) جوهر: الجوهر AB

[حكمة خلق القوّة النامية]

والازديادُ في الكمال أحوَج إلى النامية[١]؛ لأنّ الحيوانات والنباتات لا [تحصل][٢] على كمالاتها أوّل مرّة، بل شـيئاً فشـيئاً. فاحتيجَ إلى ما يحصـل به الازدياد، فرتّبَت له القوّة النامية، الموجبة لزيادة أجزاء المغتذي[٣] على نسـبة محفوظة. فهي القوّة الزائدة في الأقطـار الثلاثـة على التناسـب الطبيعيّ، فيخرج الورَم. ويخدمها الغاذيةُ بجميع خوادمها؛ لأنّ فعلَها لا يتمّ بدون الغذاء.



---

(١) B140a

(٢) تحصل: يحصل AB

(٣) المغتذي: + في الأقطار P

[حكمة خلق القوّة المولّدة]

واستبقاءُ النوع استلزَم المولّدةَ؛ لأنّ القوّتَين الأوّلتَين[١] ـ أعني الغاذية و[النامية][٢] ـ هما الحافظتان للشخص والمتصرّفتان لأجله، وهذه هي الحافظة للنوع والمتصرّفة لأجله. وفعلُها لا يتمّ بدونهما؛ لأنّ التولّد لا يحصل إلّا بعد تمام النُشوء وبلوغ غايته المتوقّف على الغذاء. فهُما معاً يخدمانها خدمةً مهيّئة، فهي قوّة قاطعة لفضلة مِن مادّة[٣] هي مبدأ لشخصٍ آخر.

والذي يدلّ على تغاير هذه القوى وجودُ الغاذية أوّلاً دون المولّدة، وبقاءُ المولّدة والغاذية بعد النامية. فالمولّدة هي المُستبقية لنوعٍ ما وجب فسادُه من أشخاصه؛ ليبقى مستمرّاً.

وزاد بعضهم قوّةً أُخرى هي المصوِّرة، توجب تخاطيط الأعضاء وتشكيلها.



(١) الأوّلتين: الأوّلين A

(٢) النامية: المولّدة AB

(٣) مادّة: + و P

[خوادم القوّة الغاذية]

وللغاذية خوادم: جاذبة[١]، وماسكة، وهاضمة، ودافعة. ورتّب للغاذية ما يخدمها:

ـ قوّة جاذبة تأتيها بالغذاء؛ لتتصرّف فيه.

ـ وهاضمة محلّلة للغذاء، مُعِدّة إيّاه؛ لتتصرّف[٢] المتصرّف.

ـ وماسكة تدور حولَه وقت تحليله وتفريقه؛ ليتمّ فيه فعل الهاضمة.

ـ ودافعة لِما لا يقبل المشابهة من الغذاء[٣].

وهذه القوى يشترك[٤] في جميعها النباتُ والحيوان.



(١) جاذبة: غاذية A

(٢) لتتصرّف: لتصرّف B

(٣) A236b

(٤) يشترك: مشترك A || B140b

[عود النفس بعد كمالها إلى ربّها]

وزاد للمزاج(١) **الشـريف المعتـدل**(٢) **بـالكلمـة المُـدرِكـة للمعقولات الكلّيـة،** فتشرّف(٣) بها على جميع الأنواع العنصريّة. **فإذا كمَلت** الكلمة بواسطة العلاقة البدنيّة ـ التي هي مبـدأ كمـالاتهـا، وآلـة [إدراكاتها](٤)، والواسـطة في تعلّقاتها ـ **عادت** بعد المفارقة والاتّصـاف بالكمال الكسـبيّ [بالآلات](٥) الجسـمانيّة **إلى ربّها،** وصـارت بـذلـك العود قريبـةً(٦) منه بالقرب التجرّديّ الأحديّ، البريء عن التعلّقات الإمكانيّة البدنيّة بخروج ما فيها من القوّة إلى الفعل.

فمتى(٧) **فارقت صـارت عقلاً**(٨)**؛** لأنّ المانع لها عن التشـبّه(٩) بالعقول إنّما كان العلاقة الطبيعيّة والعائقة المادّيّة والإشـراك الجرمانيّة. فمتى قطعَت العلاقةُ بينها وبين مـا ذكرنـاه من هذه الموانع، وكانت كاملةً بكسـبها البدنيّ، زال المانع، فتصـير عقلاً مجرّداً بالكلّيّة. <(١٠)

فما خلِق الإنسانُ عبثاً؛ لاستحالة خلُوّ فعلِ الحكيم عن الكمال اللائق بمقتضى(١١) العناية، الموجبة لسـوق(١٢) الأشـياء المسـتعدّة لِما اسـتعدّت له؛ إذ فعل الكامل يستلزم الكمال الأتمّ والنفع اللائق، وإذا لم يكن خلقه عبثاً، بل حكمة وكمالاً، فما كان هملاً.

---

(١) للمزاج: المزاج AB

(٢) الشريف المعتدل: الأشرف الإنسانيّ P

(٣) فتشرف: فتشرق B

(٤) إدراكاتها: إدراكها AB

(٥) بالآلات: بآلات AB

(٦) قريبة: قرينة B

(٧) فمتى: فإذا P

(٨) عقلاً: مُلكاً وملِكاً P

(٩) التشبّه: التشبيه A

(١٠) كلمة التصوّف: ١٢٤ ـ ١٢٥

(١١) بمقتضى: يقتضي A

(١٢) لسوق: لشوق A

بل لا بدّ من رجعته[١] يوم الحشر؛ ليصل إلى مُنتهى كماله، ويتمّ أحواله القاضي لها العناية، بموجب ما دعاه القضاء الكلّيّ في القدَر التفصيليّ، كما نبّهتُ عليه في ما سلف.

[بيان أنّ لكلّ صفة من صفات النفس نظيراً في البدن]

فالمقصود من هذا البحث والخلاصة إنّما[٢] هو لتحقيق بيان أنّ لكلّ صفة من صفات النفس نظيراً في البدن.

[٣]< وإنّما كان كذلك ليشتمل العالمُ الأصغر ـأعني الإنسانـ على مثل ما اشتمل عليه العالمُ الأكبر[٤]؛ لأنّ ممّا لا يشكّ فيه عاقل أنّ بين النفس والبدن علاقةً[٥] ليست علاقتُها به علاقةَ جرمٍ بمثله، ولا عرضٍ بمحلّه، ولا تعلّقَ العلّة والمعلول. فلا يوجِدها[٦] البدن؛ لأنّ تأثيره يختصّ بما يناسبه وضعاً وبحيث هو، ولا يوجِد الشيءُ ما هو[٧] أشرف منه. وليست علّته، وإلّا امتازت دونه؛ إذ ما لم تحصل بخصوصيّتها لم تفعل، وقد سبق أنّها لا تتقدّم[٨].

فهي علاقة شوقيّة؛ لمناسبة بينها[٩] وبين البدن المستعدّ بالمزاج لقبول أفاعيلها. فاقتضت العلاقةُ الشوقيّة أن يفيض من النفس على البدن ما يمكنه قبوله من القوى البدنيّة، التي هي نظائر الكمالات النفسيّة والاعتبارات العقليّة. فلهذا فاضت[١٠] من النفس على البدن قوّة الغضب[١١] بإزاء قهرها لِما تحتها، والشهوةِ بإزاء محبّتها لِما فوقها، إلى غير ذلك. فإنّ النور لمّا كان فيّاضاً لذاته، لا لأمر خارج، وجب[١٢] أن

---

(١) رجعته: + إلى AB
(٢) B141a
(٣) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(٤) الأكبر: + و P
(٥) علاقة: + و P
(٦) A237a
(٧) ما هو: ـ P
(٨) أنّها لا تتقدّم: لم يتقدّم AB
(٩) بينها: بينهما P
(١٠) فاضت: أفاضت AB
(١١) الغضب: الغضبيّة AB
(١٢) وجب: يجب P

يترشّح[١] دقائقُ كمالاته على البدن المستعدّ لقبولها.

ولذلك قال الشيخ الإلهيّ[٢]: وإذا علمتَ أنّ النور فيّاض لذاته، وأنّ له في جوهره مَحبّة لسِنخه وأصله الذي هو فوقه ـ لكونه علّته[٣]، وله قهر على ما تحته، وهو معلوله؛ لكونه فرعه ـ؛ وإذا كان ذلك في العالم الأكبر، فيلزم مثله في العالم الأصغر؛ فالنفس[٤] الإنسانيّة حينئذٍ فيّاضة لذاتها، وذات قهرٍ على[٥] ما تحتها من البدن[٦] وهيئاته المُظلِمة، ومَحبّةٍ لِما فوقها من ربّ النوع[٧]، روح القدُس، صاحب طلسم النوع الإنسانيّ، إلى أن ينتهي إلى[٨] نور الأنوار.

فبذلك وجب أن يكون للنور الإسفهبد في الصياصي الغاسقة[٩] والأبدان المُظلِمة بسبب قهره قوّةٌ غضبيّة، بها يهرب عن المضارّ ويدفعها[١٠]؛ وبتوسّط[١١] محبّته قوّةٌ شهوانيّة، بها تطلب المنافع وتجلبها.

[وجه الحاجة إلى القوّة الغاذية]

وكما أنّ النور الإسفهبد يشاهد صوراً برزخيّة جسمانيّة[١٢]، فيَعقلها[١٣] بأن يجرّد[١٤] صورها عن موادّها[١٥]، ويجعلها صوراً عامّة، أي كلّيّة، بعد أن كانت جزئيّة. وفي بعض النسخ: «يجعل أطوارها عامّة»[١٦]، فيكون أطوار تلك الصور البرزخيّة عامّةً نوريّة، بعد

---

(١) يترشّح: + عنه P
(٢) حكمة الإشراق: ٢٠٤ (مع شرح الشيرازيّ)
(٣) علّته: غلبة A
(٤) فالنفس: والنفس A
(٥) على: ـ AB
(٦) B141b
(٧) النوع: نوعه AB
(٨) أن ينتهي إلى: ـ A
(٩) الغاسقة: العاشقة A
(١٠) يدفعها: تدفعها AB
(١١) بتوسّط: يتوسّطه A
(١٢) جسمانيّة: ـ P
(١٣) فيعقلها: فيعلّقها AB
(١٤) يجرّد: تجرّد P
(١٥) موادّها: + الطينيّة P
(١٦) أي كلّيّة ... عامّة: ـ AB

أن كانت أطوارها جزئيّة ظلمانيّة متقدّرة[١]. فتصير بعد ذلك غير متقدّرة، تليق[٢] بجوهر ذلك الإسفهبد الذي هو محلّ تلك الصور المجرّدة النوريّة؛ لأنّ جوهره نوريّ[٣] غير متقدّر. ومثاله مَن[٤] شاهَد زيداً و[عمرواً][٥]، وأخذ منهما للإنسانيّة[٦] صورةً عامّة تُحمَل[٧] عليهما وعلى غيرهما من الأشخاص الإنسانيّة، يلزم أن يكون في صيصيته قوّةٌ غاذية، مناسبة لتلك القوّة العقليّة الآخذة من المختلفات شيئاً واحداً يناسبها، وهي التي تُحيل الأغذية المختلفة كلّها إلى شبيه[٨] جوهر المغتذي. ولو لا هذه الغاذية لَتحلَّل بدنُ الإنسان، ولم يجد بدلاً، فما استمرّ وجوده؛ لأنّه إنّما يستمرّ بإخلاف الغاذية بدلَ ما يتحلّل من البدن.

[وجه الحاجة إلى القوّة المولّدة]

وكما أنّ مِن سِنخ[٩] النور التامّ أن يكون مبدأً لنور آخر[١٠] ـ لأنّه فيّاض لذاته ـ، فلا بدّ من كلّ نور أن يحصل منه شعاعٌ هو فرعه ومعلوله؛ لكون الأنوار المجرّدة القاهرة[١١] بعضها علّة لبعض. فيحصل من النور الإسفهبد في صيصيته قوّةٌ توجب صيصيةً أُخرى، ذات نور مجرّد[١٢] يتعلّق بها. وهي المولّدة التي[١٣] بها بقاء نوع ما لم يُتصوّر بقاء شخصه، فتقطع قدراً من المادّة التي هي خلاصة الأخلاط وآخر الهضوم؛ ليكون مبدأً لشخص آخر.

---

(١) متقدّرة: منكدرة A || A237b
(٢) تليق: يلين A، يليق B
(٣) جوهره نوريّ: جوهره أيضاً نوريّ مجرّد P
(٤) ومثاله من: كمن P
(٥) عمرواً: عمراً ABP
(٦) للإنسانيّة: الإنسانيّة AB
(٧) تحمل: يحمل AB
(٨) شبيه: شبيهه A
(٩) من سنخ: في سنح AB
(١٠) B142a
(١١) القاهرة: ـ P
(١٢) مجرّد: مجرّدة B
(١٣) المولّدة التي: المولّد بالتي B

[وجه الحاجة إلى القوّة النامية]

وكما أنّ مِن سِنخ[١] النور أن يزداد بالأنوار السانحة العرضيّة الفائضة من نور الأنوار، ويستكمل بالهيئات[٢] النوريّة الفائضة من الأنوار المجرّدة، أو[٣] الحاصلة له[٤] من المشاهدات ـلتغايرهما؛ للفرق بين شروق[٥] شعاع الشمس وبين مشاهدتهاـ، ويخرج ـبواسطة استكماله، وانتقاله من حدّ إلى حدّ، ومرتبة إلى مرتبةـ من القوّة إلى الفعل، فيحصل منه للصيصية[٦] قوّةٌ توجب الزيادة في الأقطار الثلاثة على نسبة لائقة. وهي الزيادات في الأقطار على تناسب طبيعيّ؛ ليبلغ كمال النُشوء، وهي النامية.

فخرج بقولنا «الأقطار» الزياداتُ الصناعيّة؛ لأنّها[٧] إذا زيدت في جانبٍ، نقصت من الآخر.

وبـ[٨] «التناسب الطبيعيّ» زيادةُ الورَم ونحوه.

وبـ[٩] «البلوغ إلى كمال النُشوء» السمنُ.

[الفرق بين الغاذية والنامية]

والفرق بين الغاذية والنامية أنّ الغاذية تُحيل الغذاء الواصل إلى العضو شبيهاً بجوهره لبدل المتحلّل، دون زيادة المقدار. والنامية تُوجب الزيادة في الأقطار، وتُوزِّع الغذاء[١٠] على خلاف فعل الغاذية، فتسلُب جانباً من البدن[١١] ما يحتاج إليه من الغذاء، وتزيده في جهة أُخرى. ولو كانت وحدها لَسوَّت في هذا الفعل، وهما[١٢]

---

(١) سنخ: سنح A

(٢) بالهيئات: بالهيئة AB

(٣) أو: ـ P

(٤) له: ـ A

(٥) شروق: ـ AB

(٦) للصيصية: الصيصة A

(٧) لأنّها: ـ AB

(٨) بـ: ـ AB || A238a

(٩) بـ: ـ AB

(١٠) B142b

(١١) البدن: + و AB

(١٢) هما: هم P

تخدمان[١] المولّدة. فالغاذية[٢] تُمِدّها بالغذاء، والنامية بالتمديدات المتشاكلة[٣].

[اشتراك النبات والحيوان في الاحتياج إلى هذه القوى]

ويشترك النبات والحيوان في الاحتياج إلى هذه الثلاث؛ لأنّ كمال الأشخاص:

ـ باعتبار المقدار ـلمّا كان بالتدريجـ احتيج إلى النامية المُبلّغة إلى الكمال المقداريّ.

ـ وباعتبار التحلُّل احتيج إلى الغاذية؛ لتُخلِف بدلَ المتحلّل.

ـ وباعتبار الفساد احتيج إلى المولّدة الحافظة للنوع بالتعاقب.

[خوادم القوّة الغاذية]

ثمّ تخدم الغاذيةَ:

ـ جاذبةٌ تأتيها[٤] بالمدد؛ لتُخلِف[٥] بدلَ ما تحلّل.

ـ وماسكةٌ تحفظ المدد ليتصرّف الغاذية والنامية فيه؛ فإنّ لكلٍّ تصرّفاً واحتياجاً إلى ماسكة تحفظ[٦] ما يردُ عليه ريثما[٧] يتصرّف فيه.

ـ وهاضـمةٌ تُهيّئُه للمدد، وتُعِدّه وتجعله مُستعدّاً[٨] للتصرّف في الغذاء[٩]؛ إذ لو لا إحالةُ[١٠] الغذاء ـبحيث يصلح أن يصير جزءاً للمغتذيـ لَما قبِل تصرُّفَ الغاذية.

ـ ودافعةٌ لِما لا يقبل[١١] المشابهةَ مع المغتذي.

[جميع هذه القوى فروع للنور الإسفهبد]

وهـذه القوى الثلاث ـأي[١٢] الرؤسـاء التي هي الغاذية[١٣]، والنامية، والمولّدةـ،

---

(١) تخدمان: يخدمان B

(٢) فالغاذية: والغاذية AB

(٣) متشاكلة: مشاكلة P

(٤) تأتيها: يأتيها AB

(٥) لتخلف: لتخلفه AB

(٦) تحفظ: يحفظ AB

(٧) ريثما: ربّما A

(٨) مستعدّاً: مستعدّ A

(٩) للتصرّف في الغذاء: لتصرّف الغاذية P

(١٠) إحالة: إحاطة الهاضمة P

(١١) يقبل: تقبل P

(١٢) أي: هي AB

(١٣) ودافعة ... الغاذية: _ B

والخوادم الأربع ـالجاذبة، والماسكة، والهاضمة، والدافعةـ وغيرُها من القوى، كلّها فروع النور الإسفهبد في صيصيته:

ـ إمّا باعتبار أنّها فائضة منه، فتكون[١] فروعاً له.

ـ وإمّا باعتبار أنّها لا تنفرد[٢] بفعل[٣] دون استعمال النور لها، فهو أصل لها، والقوى فروع له.

ـ وإمّا اعتبار استكمال النفس بها[٤]، وأنّها كالآلات[٥] لتحصيل كمالاتها[٦]، فهي خوادم[٧] لها.

[الفرق بين كون الصيصية صنماً للنور الإسفهبد وكونها صنماً لروح القدُس]

والصيصية صنمٌ للنور[٨] الإسفهبد. والفرق بين كونها صنماً له وبين كونها صنماً لروح القدُس ـعلى ما قال بعض أهل[٩] هذه الطريقة، وهو صاحب طلسم النوع الناطقـ أنّ الإسفهبد لا صنم له غير الصيصية[١٠] التي تعلّق بها، وجميع الصياصي الإنسيّة أصنام[١١] لروح القدُس.

ويحتمل أن يكون البدن صنمَ النفس، والمجموع صنمَ ربّ[١٢] النوع.

قال[١٣]: وهذا أظهرُ؛ لأنّ النوع هو المجموع، لا البدن وحده[١٤].

فتحصل هذه القوى من الإسفهبد باعتبارات فيه، من القهر والمحبّة وغيرهما من الجهات العقليّة والاعتبارات، وبشركة أحوال البرازخ الجسميّة المستعدّة لقبول قوى

---

(١) فتكون: فيكون AB
(٢) تنفرد: ينفرد AB
(٣) بفعل: ـ A
(٤) بها: لها A
(٥) كالآلات: كمالات P
(٦) كمالاتها: كمالها P
(٧) A238b
(٨) B143a
(٩) أهل: أهله B
(١٠) الصيصية: الصيصة A
(١١) أصنام: ـ AB
(١٢) ربّ: لربّ AB
(١٣) أي: قال الشارح الشيرازيّ.
(١٤) وحده: وجده P

النفس وآثارها؛ فإنّ للقابل مدخلاً عظيماً في قبول الفيض؛ فإنّ ما هو أشدّ استعداداً أكثرُ قبولاً، وبالعكس.

[استدلال على تغاير هذه القوى]

ويدلّ على تغاير هذه القوى:

ـ وجودُ بعضها كالغاذية والنامية قبل بعضٍ كالمولّدة؛ أو بعد بعض، كبقاء الغاذية بعد المولّدة، وهما بعد النامية[١].

ـ واختلافُ الآثار؛ لامتناع صدورها عن قوّة واحدة بسيطة.

ـ واختلالُ[٢] بعضها عند كمال بعض.

ولو كانت القوى متّحدةً، لَما كان شيء من ذلك، فهي متغايرة.

[الإنسان نسخة مختصرة من العالم الأكبر]

والإنسان استوفى قوى النبات والحيوان ـ التي هي التغذّي، والنموّ، والتوليد ـ، وزاد عليها[٣] بالكمالات العقليّة والأحوال القدسيّة. فهو نسخة مختصرة من العالَم[٤] الأكبر، فيه ما فيه. فمن عرَف نفسَه وبدنَه على ما هو عليه في الوجود، فقد أحاط بالموجودات علماً. >[٥]



(١) النامية: المولّدة AB

(٢) اختلال: اختلاف P

(٣) عليها: عليهما AB

(٤) B143b

(٥) شرح حكمة الإشراق: ٤٣٨ ـ ٤٤١

[الفصل الثامن عشر: في ذكر بعض الأغاليط، والجواب عنها]

[ذكر بعض الأغاليط، والجواب عنها]

ولنتمّ هـذا[(١)] الانتقال بذكر **ردّ أغاليط** تاه[(٢)] بها جماعةٌ يدّعون الحكمةَ، وليس لهم فيها نصيب.

[الأوّل: قول جالينوس بالمزاج]

منها: **قول جالينوس بالمزاج،** وأنّ النفس عبارة عنه.

[جواب عن هذا القول]

وهو غلط فـاحش خـارج عن سـنن أهل الحقّ. [(٣)]< وذلك أنّه لمّا بيِّن[(٤)] لك أنّ الإنسان ما خلِق عبثاً، وأنّه راجع إلى اللّه[(٥)] يوم الحشر، علمتَ به[(٦)] بطلان هذا المذهب[(٧)] ومذهب الطبائعيّة. ودريتَ به[(٨)] كذبَ جالينوس بأنّ الإنســان هو المزاج، فإذا عدِم عدِم الإنســان. فقـد زعم هو وإخوانـه[(٩)] بظنّهم الجـاهـل أنّهم حكماء[(١٠)]، وهم في طغيانهم متحيّرون، يكذّبون[(١١)] أنبياء اللّه، ولا يرجون اليومَ الآخر، فمُنقلَبهم دار العذاب. >[(١٢)]

وأيضـاً فالمزاج لا يصـحّ أن يكون هو النفس؛ لأنّه عرض يحتاج إلى قاسر وحافظ، وقاسره وحافظه[(١٣)] ليس إلّا النفس الناطقة.



(١) هذا: هذه B
(٢) تاه: أتاه A؛ تاه: هلك. (لسان العرب)
(٣) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٤) بيّن: تبيّن P
(٥) اللّه: + تعالى P || A239a
(٦) به: _ P
(٧) هذا المذهب: مذهب الحشيشيّة P
(٨) به: _ P
(٩) إخوانه: أتباعه P
(١٠) حكماء: حكماً AB
(١١) يكذّبون: مكذّبون A
(١٢) كلمة التصوّف: ١٢٦ _ ١٢٧
(١٣) قاسره وحافظه: حافظه وقاسره A

[الثاني: قول القائلين بقدم العالم]

[1]< ومنها: **قولُ مَن قال بقدم العالم، وأنّه لا قيّم له، بل واجب لذاته.**

[جواب عن هذا القول]

و[الجواب أنّ][2] العالم الممكن المحتاج إلى الصانع لا يُتصوّر أن يكون قديماً؛ إذ لا قديم إلّا واجب الوجود الواحد الفرد؛ لأنّ القديم إمّا هو الذي لم يسبقه العدم، أو هو الذي لا أوّل لوجوده، أو الذي لم يسبقه الغير. واللّه تعالى القديم بالمعاني[3] المذكورة؛ إذ ما عداه محدَث بأحد المعاني الثلاثة المقابلة لها. **فقول المَلاحِدة بقدم العالم وأنّه لا قيّم له، لا يُلتفَت إليه بعد بيان فساده بما تقدّم.** >[4]

[تفصيل الكلام في الاختلاف بين الحكماء والمتكلّمين في حدوث العالم أو قدمه]

[5]< واعلَم أنّ هذه المسألة من المهمّات الحكميّة التي يجب تقرُّرها[6] في الأذهان وحصولُها[7] في العقول، ويُبنى[8] عليها عدّةٌ من المسائل المهمّة.

[مخالفة أرسطاطاليس وبرقلس لسائر القدماء في حدوث العالم]

وقد قيل[9]: إنّ القول بقدم العالم وأزليّةِ الحركات بعد إثبات الصانع والقولِ بالعلّة

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) الجواب أنّ: _ ABP

(٣) B144a

(٤) كلمة التصوّف: ١٢٧

(٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٦) تقرّرها: تقريرها AB

(٧) حصولها: تحصيلها AB

(٨) يبنى: يبتني P

(٩) قد قيل: يقال P

الأُولى[١] إنّما ظهر من[٢] المعلّم الأوّل؛ فإنّه[٣] خالَف القدماءَ، وأبدع هذه المقالة[٤] بناءً على أقيسة برهانيّة سنحت له، ونسج[٥] على منواله تلاميذه[٦].

نعم[٧]! بُرُقلُس ـ المنتسب إلى أفلاطون ـ صنّف في هذه المسألة كتاباً، ذكَر فيه الأدلّة على قِدم العالم.

[مذهب الحكماء]

وهذا مبنيّ على أنّ الواجب لذاته هو المرجِّح لوجود غيره من الممكنات، سواء كان المرجِّح هو ذاته، أو صفة من صفاته[٨]، على ما هو مذهب المتكلّمين؛ لأنّهم قائلون بأنّ له صفاتٍ واجبةَ الوجود. فعلى [كلا][٩] الوجهين هو متقدّم[١٠] على جميع الممكنات؛ لكونه علّتها[١١] والمرجّح لها، وهو تعالى دائم، فيدوم الترجيح؛ إذ[١٢] ما لأجله كان الواجب لذاته صانعاً للعالم ومؤثّراً فيه ـ كوجود وقت، أو زوال مانع، أو وجود شرط أو طبع، أو حصول إرادة أو قدرة، أو[١٣] وجود أيّ حال كان، ممّا يفرضه الصفاتيّة من المعتزلة والأشاعرة ـ لا يخلو إمّا أن يكون أزليّاً[١٤]، أو لا يكون.

فإن كان الأوّل، كان العالم لا مَحالة أزليّاً؛ لامتناع تخلّف المعلول عن العلّة التامّة.

وإن كان الثاني، كان حادثاً، والحادث[١٥] لا بدّ له من مرجّح حادث، وإلّا لكان

---

(١) الأولى: الأوّل A
(٢) من: بعد P
(٣) فإنّه: وإنّه AB
(٤) هذه المقالة: ـ AB
(٥) نسج: نسخ AB
(٦) تلاميذه: تلامذته وتلامذة كتُبه وكلّ من جاء بعده P
(٧) نعم: يعمّ A
(٨) أو صفة من صفاته: مع انضمام صفة إليه AB
(٩) كلا: كلي ABP
(١٠) متقدّم: مقدّم B
(١١) A239b
(١٢) إذ: + كلّ P
(١٣) أو: وبالجملة P
(١٤) أزليّاً: أزلاً A
(١٥) الحادث: كلّ حادث P

الحادث غير حادث. و[١] يعود الكلام إلى المرجّح الحادث في أنّه يحتاج[٢] إلى مرجّح[٣] آخر حادث[٤]، وهكذا إلى غير النهاية، فلا بدّ[٥] من وجود حوادث[٦] لا أوّل لها.

وقد عرفتَ أنّ واجب الوجود واحد من جميع الوجوه، غير متغيّر ولا متبدّل[٧]. فإن لم يوجَد عنه شيء أصلاً[٨]، وجب استمرار العدم، هذا خلف. وإن تجدّد[٩] شيء موجب لوجود العالم، فهو محال؛ لأنّه ليس في العدم الصريح حالٌ يكون الأولى فيه أن يكون العالَم موجوداً، والواجب أن يكون موجِداً، أو يكون فيه حال أُخرى تقتضي[١٠] وجودَه[١١]؛ لِتشابُه الحال في العدم.

[مذاهب المتكلّمين]

وأمّا [المتكلّمون][١٢]، فإنّ بعضهم وإن أثبت للواجب[١٣] صفاتٍ زائدةً ـ كالعلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، وغير ذلك ـ إلّا أنّهم يقولون: إنّ السبب في إيجاد العالم إنّما هو الإرادة.

[ردّ مذهب القائلين بإرادة حادثة قائمة في ذاته]

حتّى أنّ بعضهم[١٤] جعَلها حادثةً قائمة في ذاته[١٥]. والتزم بهذا الحال الشنيع

---

(١) و: ثمّ P

(٢) أنّه يحتاج: احتياجه P

(٣) حادث وإلّا ... مرجّح: ـ B

(٤) حادث: ـ AB

(٥) فلا بدّ: فيلزم حصول المطلوب P

(٦) B144b

(٧) متبدّل: + وأنّه متشابه الأحوال والأفعال P

(٨) أصلاً: + بل كانت الأحوال كلّها على ما كانت عليه P

(٩) تجدّد: تجد A

(١٠) تقتضي: يقتضي AB

(١١) وجوده: لوجوده AB

(١٢) المتكلّمون: المتكلّمين AB، متكلّمو أهل الملل P

(١٣) للواجب: + لذاته P

(١٤) وهم الكرّاميّة، كما في: الاقتصاد في الاعتقاد: ٩٥؛ الأربعين في أُصول الدين: ٢١٥/١؛ شرح المقاصد: ١٣٢/٤

(١٥) في ذاته: بذاته AB

المعلوم البطلان بالضرورة؛ فإنّ علّة ذلك الحادث:

ـ إمّا نفس ذاته، فيجب أن لا ينعدم[١] عنها أبداً.

ـ وإن كان علّته غيره، وجب أن يبطل ببطلان ذلك الغير. فلا بدّ لحدوثه[٢] من علّةٍ ولبطلانه من أُخرى حادثة، وعلّة الحدوث لا تتخلّى[٣] عن الحدوث، وعلّة البطلان لا تتخلى[٤] عنه. وما هذا شأنه هو الحركة الغير المنصرمة[٥]، وهي الوضعيّة الدوريّة. فمحلّ[٦] الحركة:

ـ إن كان[٧] ذات الواجب[٨]، لزم أن يكون جسماً متحرّكاً على الدور، وهو محال[٩].

ـ وإن كان محلّها غير ذاته، فذلك الغير من معلولاته، ويكون الواجب لذاته منفعلاً عن ذلك المعلول[١٠] المتحرّك انفعالاً دائماً، وذلك باطل.

[ردّ مذهب القائلين بإرادات حادثة غير متناهية]

وبذلك يبطل قولُ مَن قال: إنّ[١١] له تعالى إرادات حادثة غير متناهية لا إلى نهاية، ولم يزل البارئ مؤثّراً بتلك الإرادات الحادثة، حتّى حدث إرادة خاصّة موجبة لحدوث[١٢] العالم، ولا يلزم تسلسل الحوادث إلى غير النهاية، ويكون العقول والنفوس والأجرام حادثة.

---

(١) ينعدم: يتقدّم B
(٢) لحدوثه: بحدوثه A
(٣) تتخلّى: يتخلّى A
(٤) تتخلّى: يتخلّى A
(٥) المنصرمة: المتصرّمة AB
(٦) فمحلّ: + هذه P
(٧) A240a
(٨) الواجب: + لذاته P
(٩) وهو محال: ـ AB
(١٠) B145a
(١١) إنّ: إنّه A
(١٢) لحدوث: بحدوث A

[ردّ مذهب القائلين بإرادة حادثة قائمة لا في محلّ]

وبعضهم[١] قال: إنّها قائمة لا في محلّ.

وهو محال؛ فإنّها إذا كانت صفة عرضيّة، احتاجت إلى محلّ تقوم[٢] به، فكيف تقوم لا في محلّ؟

[ردّ مذهب القائلين بإرادة قديمة]

ومنهم[٣] من قال: إنّها قديمة، فقالوا: إنّ الإرادة التي هي السبب[٤] في إيجاد العالم وإن كانت قديمة، إلّا أنّ اللّه تعالى إنّما[٥] أراد إحداث العالم في الوقت الذي حدث فيه[٦]، ولم تكن إرادته متعلّقة بإحداثه في وقت آخر غير الوقت الذي وُجد فيه.

ولا يجوز لأحدٍ أن يسأل عن لمّيّة إحداثه وسبب تخصيصه[٧] في ذلك الوقت دون غيره؛ فإنّ تلك الإرادة لذاتها وماهيّتها تقتضي[٨] التخصيص بذلك الوقت والإحداث فيه، ولوازم الماهيّات لا ينبغي أن تُعلَّل بأمرٍ من الأُمور غير ماهيّاتها التي هي ملزومات لها.

وأنت فقد عرفتَ أنّ الإرادة الحادثة في ذات الباري تعالى باطلة بما تقدّم. ولا يجوز أن يُقال: إنّ الباري تعالى كان عاجزاً عن إيجاد العالم، ثمّ إنّه صار قادراً على إيجاده؛ فإنّك قد عرفتَ كماله[٩] تعالى، وعدمَ جواز تغيّره، واستمرارَ أفعاله، فيلزم[١٠] بطلان هذا الخيال الفاسد.

---

(١) هم البهشميّة من المعتزلة والإماميّة، كما في: المغني: ١٤٩/٦؛ شرح الأُصول الخمسة: ٢٩٦؛ شرح جمل العلم والعمل: ٥٨

(٢) تقوم: يقوم AB

(٣) هم الأشاعرة، كما في: أبكار الأفكار: ٢٩٨/١؛ المحصّل: ٤٢٩؛ شرح المقاصد: ١٢٨/٤

(٤) السبب: المسبّب A

(٥) إنّما: أزلاً AB

(٦) فيه : _ P

(٧) تخصيصه: تخصّصه P

(٨) تقتضي: يقتضي AB

(٩) كماله: كما أنّه B

(١٠) B145b

و[1] لا يمكن أن يُقال: إنّ وجود العالم قبل إيجاده لم يكن مصلحةً وحسَناً، ولا أولى وأليَق، ثمّ صار في[2] الوقت الذي وُجد فيه مصلحةً وحسَناً وأليَق؛ فإنّك قد عرفتَ أنّ العدم الصريح متشابه الأحوال، ولا يتميّز[3] فيه حال يكون الأولى فيه إيجاد العالم. وكلّ ما يُفرَض قبل العالم ممّا هو علّة لوجوده ـ من حدوثِ إرادةٍ أو قدرة أو وقت، أو زوالِ مانعٍ، أو تعلّقِ علمٍ، أو وجودِ مصلحةٍ[4]، أو غير ذلك من الأحوال ـ، فإنّ الكلام عائدٌ في حدوثه واستدعائه لمرجّح حادث، كالكلام في علّة حدوث العالم، وذلك يوجب تسلسل الحوادث[5] إلى غير النهاية.

[نفي انتساب بعض الأقوال إلى الحكماء]

وما حكي عن[6] بعض المتكلّمين أنّه قال: «إنّ الحكماء يقولون: إنّ صدور العالم عن الواجب لذاته في وقت مخصوص ليس أولى من وقت آخر[7] قبله أو بعده، فلا يوجد في ذلك الوقت المخصوص»، فلم يُصِب في النقل عنهم؛ فإنّ الحكماء متّفقون على أنّ الواجب متقدّم على جميع الممكنات تقدّماً ذاتيّاً، والوقت المذكور من جملة الممكنات، وإنّه مقدار الحركة الفلكيّة، فلا يتقدّم[8] على جميع الممكنات[9] تقدّماً ذاتيّاً[10]. وكذا الحركة وموضوعها، وإلّا لزم أن يتقدّم الشيءُ على نفسه، وهو محال.

وكذلك لا يمكن أن يُقال: إنّ الإرادة القديمة[11] أوجبت[12] وجودَ العالم في الوقت

---

(١) و: + كذلك P
(٢) A240b
(٣) يتميّز: يتمّ AB
(٤) وكلّ ما يفرض ... مصلحة: ـ AB
(٥) الحوادث: حوادث AB
(٦) حكي عن: ذكره P
(٧) آخر: + غيره P
(٨) يتقدّم: تتقدّم A
(٩) تقدّماً ذاتيّاً ... الممكنات: ـ A
(١٠) تقدّماً ذاتيّاً: ـ AB
(١١) القديمة: + كما AB
(١٢) أوجبت: أوجب A

الـذي وُجد فيه، وقبل ذلك الوقت لم تكن الإرادةُ القديمة موجبةً لوجوده. كما أنّا[١] إذا أردنا الآن أن نفعل[٢] فعلاً مخصـوصـاً بعد سـنةٍ، فإنّ الإرادة الحادثة الآن تقتضـي[٣] وجود ذلك المراد بعد سنة، ولا تقتضي[٤] وجوده في الحال.

وهذا أيضـاً محال؛ فإنّه ليس قبل جميع الممكنات شـيء يوجب حصـولَ المراد، كالحال في المراد الذي يحصـل بعد سـنة؛ فإنّ هناك أحوالاً تقتضـي[٥] حصولَ المراد بعد سـنة[٦]، وليس قبل وجود العالم إلّا العدم المحض، وهو متشابه الأحوال في جواز تعلّق الإرادة به. فيستحيل أن يتميّز فيه الوقتُ الذي تعلّقت به الإرادة القديمة عن وقت آخر[٧] يماثله. بل كما أمكن تعلّق الإرادة بهذا الوقت، فتعلّقها بالوقت الذي قبله أيضـاً ممكن. فما الذي أوجب تعلّقَ الإرادة بهذا الوقت الممكن[٨]؟ وما الذي ميّزه عن غيره من الأوقـات في تعلّق الإرادة؟ والشـيء لا يتميّز عن غيره[٩] إلّا بمخصِّـص، ولا مخصِّص في العدم الصرف، كما عرفتَه غير مرّة.

فظهر بما ذكرنا دوام أزليّة العالم، وأنّه[١٠] دائم الوجود بدوام مُبدِعه تعالى، وأنّه يلزم من وجود الإرادة الموجبـة لحـدوث[١١] العالم ـسـواء كانت قديمة أو حادثة، كما هو مذهبهمـ عدمُ تناهي الحوادث.

هذا ما قرّره أهل الحكمة.

---

(١) كما أنّا: ـ AB
(٢) نفعل: يفعل AB
(٣) تقتضي: يقتضي AB
(٤) تقتضي: يقتضي B146a ‖ AB
(٥) تقتضي: يقتضي AB
(٦) سنة: السنة BP
(٧) آخر: ـ AB
(٨) فتعلّقها بالوقت ... الممكن: ـ A
(٩) عن غيره: ـ A
(١٠) A241a
(١١) لحدوث: بحدوث A

[استدلال المتكلّمين في الردّ على مذهب الحكماء]

وأمّا المتكلّمون[١] فقالوا بالحدوث، واستدلّوا على[٢] بطلان مذهب القوم[٣] بأنّ الحوادث لو كانت غير متناهية، وهي حركات الأفلاك ودوراتها[٤]، فيلزم أن يكون كلّ واحدة من الدورات مسبوقة بعدمات لا أوّل لها، فيكون العدمات كلّها مجتمعة في الأزل من غير ترتيب؛ لأنّ الترتيب إنّما يكون في الأُمور الوجوديّة، لا[٥] في الأُمور العدميّة. وإذا كانت تلك[٦] العدمات المتقدّمة على كلّ[٧] واحد واحد[٨] من هذه الدورات لها اجتماع في الأزل، فلا يخلو مجموع تلك العدمات إمّا أن يحصل معها في الأزل شيء من الدورات الوجوديّة، أو لا يحصل معها شيء من ذلك.

والأوّل يقتضي أن يكون السابق المتقدّم مقارناً للمسبوق المتأخّر، وذلك محال.

والثاني ـوهو أن لا يحصل مع تلك العدمات المجتمعة في الأزل شيء من الموجوداتـ فيلزم [منه][٩] أن يكون لمجموع الموجودات بداية، وهو المطلوب.

[طريق ثانٍ لهذا الوجه]

وقد يقرّرون هذا الوجه بطريق آخر، فيقولون: إمّا أن يجوز حصول شيء من هذه الحركات والحوادث في الأزل، أو لا يجوز شيء منها[١٠] فيه.

ـ فإن جاز حصول شيء منها فيه[١١] ولم يسبقها غيرها، فيكون لمجموعها بدايةٌ،

---

(١) المتكلّمون: + وأرباب الملل P
(٢) على: + مذهبهم و P
(٣) القوم: القدم P
(٤) دوراتها: دورانها AB
(٥) في الأُمور الوجوديّة لا: ـ AB
(٦) تلك: جميع P
(٧) B146b
(٨) واحد: ـ P
(٩) منه: ـ ABP
(١٠) منها: منهما A
(١١) فيه: في الأزل P

فلا تكون غير متناهية، وذلك هو المطلوب. وإن سبقها غيرها، فذلك الغير هو أوّل الحوادث، فهو بدايتها.

ـ وإن لم يجُز حصول شيء منها في الأزل، كان لمجموعها بداية[١]، وهو المطلوب.

[إشكال الشهرزوريّ على هذين الطريقين]

قال [الشهرزوريّ][٢]: وهذان الطريقان لا يبتنيان[٣] على قاعدةِ أنّ الحكم على الكلّ هو الحكم على كلّ واحد.

[طريق ثالث لهذا الوجه]

وقد يقرّرون[٤] هذا الوجه بناءً على أنّ الحكم على الكلّ هو الحكم على كلّ واحد، فيقولون: كلّ واحد من الحركات والحوادث مسبوق بالعدم، فيكون الكلّ مسبوقاً بالعدم. أو كلّ واحد دخل في الوجود، فيكون الكلّ[٥] داخلاً في الوجود، منحصراً فيه، فلا يكون غير متناهٍ.

[أجوبة الحكماء عن هذه الطرق]

[جواب عن الطريق الأوّل]

أجاب الحكماء عن الطريق الأوّل بأنّكم:

ـ إن عنَيتُم[٦] بكون العدم السابق لكلّ حادث لا أوّل له كونَه غير مسبوق بحادث آخر، فهو ممنوع؛ فإنّ عدم كلّ حركة يكون مسبوقاً بحادث[٧] آخر لا إلى نهاية.

---

(١) فلا تكون غير متناهية ... بداية: ـ AB

(٢) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ AB

(٣) يبتنيان: يبنيان AB

(٤) يقرّرون: يفسّر دون AB

(٥) A241b

(٦) عنيتم: غنيتم A

(٧) B147a

ـ وإن عنَيتُم[١] بكون العدم الســابق لكلّ حادث لا أوّل له، أن يكون كلّ واحد من الحوادث مسبوقاً بعدمٍ ما، و[٢] لا يكون مسبوقاً بالحادث بعينه، فلا يلزم من صحّة هذا اجتماعُ العدمات في الأزل؛ فإنّ معنى كون الشــيء أزليّاً كونُه غير مســبوق بالغير فقط، وإذا كان كذلك، فلا يلزم من عدم الســبق بحادث معيّن عدمُ السبق بحادث أصلاً؛ لِما عرفتَ أنّه لا يلزم من انتفاء الأخصّ انتفاءُ الأعمّ.

[جواب عن الطريق الثاني]

وأمّــا الجواب عن الطريق الثــاني فبــأن يُقال: إنّ مســمّى الحركة أو الحادث ـوهو القدر المشترك بين جميع الأفرادـ إمّا أن يؤخَذ[٣] داخلاً في جملة الحركات والحوادث المذكورة، أو لا يؤخَذ[٤] كذلك.

فإن أُخذ[٥] داخلاً فيها، فإذا قال: إمّا أن يجوز حصولُ شيء من الحركات والحوادث في الأزل أو لا يجوز، فيُختار حينئذٍ حصــولُ شــيء منها[٦] في الأزل، وذلك الشيء هو مســمّى الحركــة. ولا يلزم من كونــه غيرَ مســبوق بغيره، أن يكون أوّل الحركــات أو الحوادث، وإنّما يكون ذلك لازماً إن لو كان هو الأوّل.

و[٧] إذا لم يؤخَذ[٨] ذلك المســمّى[٩] داخلاً فيها، فنحن نختار حصــول شــيء من تلك الحركات والحوادث في الأزل.

قولهم: لو كان كذلك لزم أن يكون لمجموعها بداية[١٠].

---

(١) عنيتم: عينتم P

(٢) و: ـ AB

(٣) يؤخذ: يكون AB

(٤) يؤخذ: توجد A، يوجد B

(٥) أخذ: أجد A

(٦) منها: ـ AB

(٧) و: + أمّا P

(٨) يؤخذ: يوجد A

(٩) المسمّى: الشيء A

(١٠) بداية: لذاته AB

قلنـا: لا نســلّم؛ فإنّ الحقّ ـعلى ما قرّرناـ أنّ كلّ واحد من الحركات والحوادث يسـبقها مثلُها إلى ما لا يتناهى[١]، فيكون مسـمّى[٢] الحركة المذكورة محفوظةً بواسطة تعاقب الحركات أزلاً وأبداً.

[جواب عن الطريق الثالث]

وأمّا الجواب عن الوجه[٣] الذي بُني فيه حكمُ[٤] الكلّ على حكم كلّ واحد، ففساده ظـاهر. ونقول فيـه زيادةً في الإيضــاح: إنّ كلّ ممكن ما عدا الحركة يجوز أن يقع كلّ واحد منها في الوجود دفعة واحدة، ولا كذلك جميع الممكنات التي هي غير الحركة؛ فـإنّهـا لا يمكن وقوعهـا دفعـةً؛ لأنّ منهـا ما لا يقع إلّا على الترتيب الزمانيّ. وكذلك يصـدق أنّ كلّ واحد[٥] من الضدّين يمكن حصوله في محلّ واحد في وقت واحد، ولا كذلك الكلّ؛ فإنّه لا يمكن حصوله في وقت واحد في محلّ واحد.

[جواب الشهرزوريّ عن هذا الطريق]

وجواب آخر ـقال [الشـهرزوريّ][٦]: هو الأصل في هذا البابـ وهو: أنّ الحوادث المـاضــيـة لا يمكن أن يكون لهـا كلّ[٧] مجموعيّ أبداً، ليلزم من ذلك أن يكون ذلك مســبوقـاً بالعدم[٨] أو غير مســبوق؛ لأنّ تلك الحوادث معدومة، والمعدوم لا كلّ له أصلاً، فلا يصحّ الحكم عليه، بل ليس الموجود في الخارج من تلك الحوادث في كلّ وقت إلّا واحداً.

---

(١) B147b

(٢) مسمّى: المسمّى A

(٣) الوجه: + الأوّل A

(٤) A242a

(٥) واحد: + واحد AB

(٦) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ AB

(٧) كلّ: كلّيّ AB

(٨) بالعدم: لعدم A

[استدلال ثانٍ للمتكلّمين في الردّ على مذهب الحكماء]

قال بعض المتكلّمين(١) في إبطال القدم(٢): إنّ الحوادث في الأزل لو كانت غير متناهية، وجب أن يكون وجود كلّ واحد منها متوقّفاً(٣) على انقضاء ما لا يتناهى، وكلّ ما يتوقّف وجوده على انقضاء ما لا يتناهى فوجوده محال، ينتج: أنّ الحوادث في الأزل لو كانت غير متناهية، لكان وجود كلّ واحد منها محالاً، وبطلان ذلك ظاهر.

[جواب الحكماء عن هذا الاستدلال]

والجواب: أنّكم ما تعنون بهذا التوقّف؟

ـ إن عنَيتُم به المفهومَ العُرفيّ ـوهو الذي(٤) إذا قيل فيه: «إنّ شيء(٥) كذا متوقّف على كذا(٦)»، معناه عندهم أنّ ذلك الشيئين يكونان موصوفين بالعدم، إلّا أن الأخير منهما لا يمكن أن يوجد إلّا(٧) بعد وجود المعدوم الأوّل. كما يُقال: إنّ يوم الجمعة المعدوم لا يوجد إلّا بعد وجود يوم الخميس المعدومـ فالملازمة ممنوعة(٨)؛ فإنّه لا وقت من الأوقات يصحّ أن(٩) يُقال فيه: إنّ(١٠) ذلك الشيء الأخير وجودُه متوقّف على ما لا يتناهى؛ لأنّ كلّ ما لا يوجَد إلّا بعد وجود ما لا يتناهى في الزمان المستقبل، فوجوده محال؛ فإنّ التوقّف بهذا المعنى إنّما يُقال على أشياء ما حصلت بعدُ، وتلك الأشياء من حيث عدم حصولها إنّما تكون(١١) في الزمان المستقبل. ويلزم من ذلك أن

---

(١) راجع: مناهج اليقين: ٩٣؛ أنوار الملكوت: ٣٥
(٢) القدم: العدم A
(٣) متوقّفاً: متوقّف B
(٤) B148a
(٥) شيء: شيئاً P
(٦) كذا: + كان P
(٧) إلّا: ـ AB
(٨) ممنوعة: + غير مسلّمة P
(٩) A242b
(١٠) إنّ: ـ AB
(١١) تكون: يكون AB

يكون كلُّ ما يُفرض من الحوادث المستقبلة متوقّفاً على غيره من الحوادث في المستقبل، لا بدّ وأن يكون تلك الحوادث المتوقّف عليها متناهية.

ـ وأمّا إذا عنَيتُم[١] بهذا التوقّف أن يكون الشيء المتوقّف غيرَ واقع في الوجود إلّا بعد وجود حوادث غير متناهية في الماضي، فلا يكون هذا محالاً، بل هو بعينه مذهب الحكماء؛ فإنّ عندهم كلّ حادث يقع لا بدّ وأن يسبقه حوادث غير متناهية في الماضي[٢]، ولا يُتصوّر وقوع كلّ حادث إلّا كذا. فكيف يصحّ أن يمتنع[٣] صحّة توقّف الحادث على ما لا يتناهى في الماضي، وهو نفس محلّ النزاع؟ وأخذُ[٤] محلّ النزاع مقدّمةً مستعملة في إبطال نفسها، من قبيل[٥] المصادرة على المطلوب[٦]، وقد عرفتَ أنّ ذلك من جملة المغالطات.

وبالجملة فالتوقّف المذكور إن عني به المعنى الأوّل العُرفيّ، فالملازمة ممنوعة؛ وإن عني به الثاني، فالملازمة مسلّمة، والاستثناء ممنوع ـ على التفصيل الذي ذكرناه[٧] ـ. >[٨]

[استدلال ثالث للمتكلّمين في الردّ على مذهب الحكماء]

[٩]< قال المتكلّمون: العالم ممكن الوجود لذاته، وكلّ ما هو ممكن الوجود لذاته فهو محدَث؛ لأنّ تأثير المؤثّر فيه:

ـ إمّا في حال وجوده، فيلزم تحصيل الحاصل وإيجاد الموجود، وذلك لا معنى له.

ـ أو في حال العدم، وهو محال، وإلّا لاجتمع الوجود والعدم، وهو محال.

---

(١) عنيتم: ادّعيتم AB

(٢) فلا يكون هذا ... الماضي: ـ AB

(٣) يمتنع: يمنع P

(٤) وأخذ: واحد B

(٥) قبيل: قبل A

(٦) المطلوب: + الأوّل P

(٧) B148b

(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٣٤٥ ـ ٣٥٣

(٩) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

وإذا بطل أن يكون التأثير حال الوجود وحال العدم، تعيّن أن يكون لا في حال أحدهما، بل في حال الحدوث. فكلّ ما له مؤثّر فهو حادث، فالعالم حادث.

[جواب الحكماء عن هذا الاستدلال]

والجواب: أنّا نختار أنّ التأثير حال الوجود، ولا يلزم إيجاد الموجود؛ لأنّه إنّما يكون كذلك لو كان الفاعل يعطيه وجوداً ثانياً[١]. وليس كذلك، بل تأثير الفاعل في مفعوله عبارة عن وجوب وجوده[٢] بعلّته، وحينئذٍ يكون ذلك الأثر واجباً بعلّته حال[٣] وجوده.

والذي يدلّ على ذلك، أنّه لو بطل أن يكون[٤] التأثير حال الوجود، وجب أن يكون التأثير:

ـ إمّا[٥] حال العدم، ويلزم منه الجمعُ بين الوجود والعدم، وذلك محال.

ـ أو لا في حال الوجود ولا في حال العدم، ويلزم من ذلك ثبوت الواسطة بين الوجود والعدم[٦]، وذلك أيضاً محال[٧]. >[٨]

[جواب المصنّف عن هذا الاستدلال]

وأنا أقول: إنّ التأثير حال الوجود أيضاً غير صحيح؛ لأنّ صريح العقل حاكمٌ بأنّ المؤثّر إنّما يفيد الممكنَ صفةَ[٩] الوجود الحاصلة له[١٠] باعتبار استجماع علّة الوجود. فلو كان في تلك[١١] الحال موجوداً، وجب أن يكون[١٢] موصوفاً بالوجود قبل إعطاء الموجِد. فذلك الوجود:

---

(١) ثانياً: ثانٍ AB ‖ A243a

(٢) وجوب وجوده: كونه واجب الوجود P

(٣) حال: حالة P

(٤) أن يكون: ـ AB

(٥) إمّا: + في A

(٦) ويلزم من ... العدم: ـ A

(٧) وذلك أيضاً محال: ـ AB

(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣/٣٥٨ ـ ٣٥٩

(٩) صفة: بصفة A

(١٠) له: ـ A

(١١) تلك: ذلك A

(١٢) يكون: + موجوداً A

ـ إن كان من ذاته، فلم يكن[1] ممكناً، هذا خلف.

ـ وإن كان من غيره، نقلنا[2] الكلام في كيفيّة حصوله.

فالحاصل أنّه لا يصحّ أن يكون التأثير حالة الوجود، وكذلك لا يصحّ أن يلاحظ[3] حالة[4] العدم؛ لأنّ العدم له أيضاً بغيره، وحالة العدم يكون معدوماً بعلّة عدمه، وما دامت علّة العدم حاصلةً لا يمكن وجوده. ولا يجتمع الأثران بحصول العلّتين؛ لأنّه غير معقول.

فالذي يشهد به العقل الصريح أنّ التأثير لا حال الوجود، ولا حال العدم. ولا يلزم الواسطة؛ لأنّه في تلك الحال [أمر عقليّ][5] يُسلَب[6] عنه [وصفا][7] الوجود والعدم؛ لعدم ملاحظة العقل حينئذٍ علّةَ أحدهما. فإذا لوحظ علّةُ الوجود، وجب وجوده بها، واتّصف بالوجود بالفيضان عنها عند تلك الملاحظة العقليّة، وصار متحقّق الوجود في الخارج بملاحظة العلّة الخارجيّة.

نعم! لا يلزم الحدوث الذي معناه سبقُ العدم في زمان سابق على زمان الوجود، الذي هو مطلوب[8] المتكلّمين. نعم! هو حادث، بمعنى احتياجه في اتّصافه بالوجود إلى مُفيض له عليه يكون سابقاً عليه. فهو حادث بالحدوث الذاتيّ. وهو المعنى[9] الذي حقّقه[10] العقل الصريح في هذا المقام، وما أظنّ عاقلاً ينازع[11] في هذا القدر. ولعلّ مراد المتكلّمين بالحدوث هذا المعنى؛ إذ سبق الزمان على جميع الموجودات

---

(١) B149a

(٢) نقلنا: فقلنا B

(٣) يلاحظ: يلاحظه B

(٤) حالة: حال B

(٥) أمر عقليّ: أمراً عقليّاً AB

(٦) يسلب: سلب B

(٧) وصفا: وصفَي AB

(٨) مطلوب: المطلوب A

(٩) A243b

(١٠) حقّقه: حقيقة A

(١١) ينازع: تنازع B

الممكنة غير معقول ولا متصوَّر؛ لاحتياجه إلى تحقّق الأجسام ووجودها قبله. فالحَظ ذلك وتدبَّره؛ فإنّ به الجمع[١] بين هذه[٢] الأقوال.

[نفي توهّم مخالفة أقوال الحكماء للشرائع الإلهيّة]

[٣]< إذا عرفتَ ذلك، فاعلَم أنّه قد يتوهّم أكثر الضعفاء أنّ أقوال الحكماء وحججهم مخالفةٌ للشرائع الإلهيّة ولِما جاءت به الأنبياء ـعليهم الصلاة والسلام[٤]ـ، وأنّ الحكماء ـقدّس اللّه أرواحهم ـ قالوا[٥]: إنّ العالم قديم بالكلّيّة، غير محدَث بوجهٍ من الوجوه.

وليس الأمر كذلك؛ فإنّ الحكمة غير مخالفة للشرائع الإلهيّة الحقّة، ولا لِما جاءت به الأنبياء[٦]. وإنّما يقول بمخالفتها مَن لا معرفة له بتطبيق الخطابات الشرعيّة على البراهين الحِكميّة. ولا يعرف ذلك إلّا مؤيّدٌ مِن عند اللّه، كاملٌ في العلوم الحِكميّة والشرعيّة، مطّلعٌ على الأسرار النبويّة؛ فإنّه قد يكون الإنسان كاملاً في الحكمة لا حظَّ له من العلوم الشرعيّة، وبالعكس[٧].

[إطلاق المحدَث والقديم على ثلاثة معانٍ]

فإذا أردتَ أن تعرف وجهَ الموافقة بين الشريعة والحكمة في هذه المسألة المهمّة، فيجب أن تعرف[٨] جميع معاني «المحدَث». ولفظ[٩] المحدَث[١٠] واقع بالاشتراك

---

(١) B149b

(٢) هذه: هذا A

(٣) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٤) عليهم الصلاة والسلام: ـ AB

(٥) قالوا: يقولون P

(٦) ولا لما ... الأنبياء: ـ P

(٧) بالعكس: العكس A

(٨) تعرف: يعرف A

(٩) ولفظ: فلفظ P

(١٠) المحدث: الحدث A، الحدوث B

على ثلاثة معانٍ، وكذلك لفظ القديم المقابل له يكون مشتركاً بين ثلاثة معانٍ[١] بإزاء المحدَث.

[المعنى الأوّل]

أ. ما يُقال لكلّ ما كان زمانُ وجوده قصيراً «محدَث». ومقابله[٢] «القديم»، وهو الذي[٣] يُقال لكلّ ما طال زمان وجوده. كما يُقال: إنّ هذه المدينة قديمة، وتلك الأُخرى محدَثة.

قال اللّه تعالى: ﴿حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَديمِ﴾[٤]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَفي ضَلالِكَ الْقَديمِ[٥]﴾[٦].

فالذي يقول: إنّ العالم قديم غير محدَث، ويريد بهما ما ذكرناه من هذين المعنيَين، فليس ذلك مخالفاً للشرع، ولا لِما جاءت به الأنبياء.

[المعنى الثاني]

ب. هو الذي يُقال لكلّ موجود يسبق[٧] على أوّل وجوده[٨] زمانٌ إنّه محدَث، فيكون[٩] قبل وجوده زمانٌ[١٠] لم يكن فيه موجوداً، ثمّ انقضى ووُجد ذلك المحدَث في زمان آخر بعده. وهذا المحدَث[١١] يُقال له «محدَث زمانيّ».

وأمّا القديم الذي يقابله، فهو الذي لا يسبق وجودَه زمانٌ لا يكون فيه موجوداً،

---

(١) ثلاثة معان: معاني ثلاثة B
(٢) مقابله: يقابله P
(٣) الذي: أن A
(٤) القرآن الكريم: ٣٦/٣٩
(٥) B150a
(٦) القرآن الكريم: ١٢/٩٥
(٧) يسبق: نسبق A
(٨) A244a
(٩) فيكون: ويكون AB
(١٠) زمان: ـ AB
(١١) المحدث: + له A

ويُقال له «قديم زمانيّ».

وقد عرفتَ أنّ الزمان مقدار الحركة الأُولى(١)، وهذا المقدار يمتنع(٢) وجوده قبل حركة الفلك، فقبل وجود الفلك لا يكون زمانٌ. فلا يصحّ أن يُقال للزمان(٣) الذي هو مقدار الحركة [التي](٤) للفلك ولا للفلك نفسه إنّهما محدَثان بهذا المعنى، أي إنّهما محدَثان حدوثاً زمانيّاً(٥)؛ لأنّ المحدَث الزمانيّ عبارة عمّا يسبق على(٦) أوّل وجوده زمانٌ لم يكن فيه ذلك الحادث موجوداً. فلو كان الفلك أو مقدار حركته محدَثاً زمانيّاً، لزم أن يكون الفلك وحركته سابقين على نفسهما(٧)، وذلك محال(٨).

وإذا كان الفلك و(٩) مقدار حركته من جملة أجزاء العالم، ولا يصدق عليهما الحدوث الزمانيّ، لم يكن كلّ العالم محدَثاً زمانيّاً. فلا يصحّ أن يُقال للعالم إنّه قديم زمانيّ، إن(١٠) عُني بالعالم كلّه؛ فإنّ المركّبات العنصريّة ـ كالمعادن(١١)، والنبات، والحيوان ـ محدَثة حدوثاً زمانيّاً.

ثمّ لا شكّ أنّ بعض أجزاء(١٢) الزمان المفروضة ـ كاليوم، والليلة، والسنة ـ محدَثة(١٣) حدوثاً زمانيّاً؛ لأنّه لا بدّ وأن يسبقها(١٤) ما هو من نوعها من الزمان. ولا يصحّ أن يكون الزمان باعتبار آخر محدَثاً، بل هو قديم؛ لأنّ الزمان السابق عليه زمانٌ آخر، فذلك الزمان السابق:

---

(١) الأُولى: الأوّل A
(٢) يمتنع: يمنع A
(٣) للزمان: الزمان P
(٤) التي: الذي ABP
(٥) بهذا المعنى ... زمانيّاً: زمانيّان P
(٦) على: _ AB
(٧) نفسهما: نفسيهما P
(٨) محال: باطل B
(٩) و: أو P
(١٠) إن: إذ P
(١١) كالمعادن: _ AB
(١٢) B150b
(١٣) محدثة: محدثاً A
(١٤) يسبقها: تسبقها B

ـ إن[١] كان متناهياً، فيكون تلك النهاية زماناً لا يسبقها زمان آخر، فلا يكون محدَثاً زمانيّاً بالتفسير[٢] المذكور.

ـ وإن كان غير متناهٍ، يكون قبل كلّ زمانٍ يُفرَض زمانٌ آخر، فيكون الزمان السابق الأوّل[٣] لا أوّل له، فلا يكون كلّ الزمان محدَثاً زمانيّاً؛ لأنّه لا زمان قبل وجود الزمان؛ لأنّ أيّ زمان فرِض فهو من الكلّ، وليس قبل الكلّ شيء، فالزمان بهذا الاعتبار قديم و[٤] ليس بمحدَث[٥]، كما عرفتَه في نفس الفلك. وليس من يقول بأنّ الفلك أو الزمان قديم بهذا التفسير وليس بمحدَث، يكون مخالفاً للشرائع الحقّة؛ فإنّ الشرائع لا يقول بما يخالف صريح العقل.

[المعنى الثالث]

ج. المحدَث[٦] الذاتيّ، وهو كلّ ما يتأخّر وجوده عن وجود غيره تأخّراً ذاتيّاً. وبإزائه القديم الذي يتقدّم على غيره بالذات ـ كما مرّ تقريرهما ـ.

فالعالَم ـ وهو ما عدا الواجب لذاته ـ محدَث بهذا التفسير؛ لأنّه ممكن الوجود، محتاج إلى العلّة الواجبة الوجود، فيكون متأخّراً بالذات عن تلك العلّة، فيكون محدَثاً بالمعنى المذكور. ومن قال: إنّه قديم بهذا المعنى[٧]، فقد خالف الشرائع الإلهيّة، ولا يكون القديم إلّا واجب الوجود لذاته فقط.

وأمّا الحدوث الزمانيّ فلا يصدق ـ على ما عرفتَ ـ إلّا على بعض أجزاء الزمان وبعض المركّبات العنصريّة. وما عداه فهو إمّا قديم، أو محدَث بالمعاني المذكورة.

---

(١) إن: ـ AB
(٢) بالتفسير: لتفسير A
(٣) الأوّل: ـ P
(٤) و: ـ A
(٥) A244b
(٦) المحدث: الحدوث AB، الحدث P
(٧) B151a

[أهمّيّة مسألة دوام أزليّة الوجود وأبديّته]

وإذا تقرّرت هذه المعاني واتّضحت، سقط النزاع بين العقلاء في هذه المسألة. ولمّا تقرّرَت هـذه المســألـةُ ـكمـا ينبغي ـ في النفس، وإثبـاتُ الواجب لذاته ووحدانيّته، وانضاف إليه[١] علمُ تجرّد النفس وبقائها بعد خراب البدن، ووجودُ المفارقات العقليّة، فقد حصلت الأُمورُ المهمّة من المسائل الحِكميّة. ولا يبالي الإنسانُ بما فاته بعد ذلك من أنواع العلوم، ولم يبقَ لـه إلّا التجرّدُ والرياضــة والانقطاع إلى اللّه تعالى ليشــاهدَ الأنوار العقليّة الروحانيّة. فإن تيسَّر له ذلك، فقد حصل الكمال الإنسانيّ علماً وعملاً.

وهـذه المبـاحث التي ذكرناها[٢] في هذه المســألة، وإن أجملها القدماء[٣]، فهذه التفاصـيل إنّما هي مأخوذة من المعلّم الأوّل؛ فإنّه بذَل وُسعه فيها، وباحَث في تقريرها أشـدّ بحث، بحيث[٤] إنّها كادت أن تسـبق الفطريّات؛ لظهورها ووضـوحها. ولا يصير الطالب حكيماً فيلسوفاً حتّى يتيقّن[٥] هذه المسألة وأخواتها، وتستقرّ في نفسه استقراراً تامّاً، كاستقرار القضايا[٦] الأوّليّة[٧]. فإن يسّر اللّهُ ثبوتَ هذه المسألة في العقل تيسّرت باقي[٨] المســائل، وإن لـم يتيسّــر صـعُب تحصـيل الحكمة وارتفع البحث؛ لأنّ إيجاد العالم[٩] حينئذٍ يكون من غير ســبب؛ لِما ذكرنا من انتفاء الأســباب الموجبة لوجوده. وإيجادُ العالم من غير علّة تقتضي[١٠] وجودَه هو العبث، ولا يبقى مع القدرة العبثيّة[١١] كلام لإمكـان إيجـاد أُمور لا تعلَّل[١٢]، بل يكون مُنافيةً للعقل الصــريح. فلا يبقى أمرٌ

(١) وانضاف إليه: أيضاً و P
(٢) ذكرناها: ذكرنا A
(٣) أجملها القدماء: كان إجمالها للقدماء P
(٤) بحيث: _ AB
(٥) يتيقّن: تيقّن AB
(٦) كاستقرار القضايا: لقضايا A
(٧) A245a
(٨) باقي: ما في A
(٩) B151b
(١٠) تقتضي: يقتضي AB
(١١) العبثيّة: الغيبيّة AB
(١٢) تعلّل: بعلل AB

معقول، ولا يصحّ دليل على مدلول، ويزول الاعتماد على المحسوسات التي ترقّينا[١] منها إلى المعقولات.

فيجب على العاقل إتقان هذه المسألة المهمّة التي يُبنى[٢] عليها كثير من المسائل المهمّة. وإذا ثبت هذه[٣]، ثبت كون الأجرام العِلويّة غير كائنة ولا فاسدة؛ لأنّ حركاتها الدوريّة التي هي أسباب الحوادث دائمة الوجود، وإذا ثبت دوام أزليّة الوجود[٤] ثبت دوام الأبديّة[٥]؛ لعدم التغيّر. >[٦]



(١) ترقّينا: يرقبها A
(٢) يبنى: يبتني P
(٣) هذه: + المسألة P
(٤) الوجود: + و A
(٥) الأبديّة: أبديّته P
(٦) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٣٥٩/٣ _ ٣٦٣

[بيان أنّ حركات الأفلاك إراديّة]

[١]< **ومن** هـذا يُعلم أنّ **حركـات الأفلاك دائرة بـأمره وكلمته**[٢]**، لا بطبعها، كما يقولون** هؤلاء الجهال من الطبيعيّين، من أنّ الأفلاك كلّها دائرة بطبعها، لا بمحرّك حرّكها.

وقد عرفتَ بطلانه، بما أشـــرنا إليه في هذه الألفاظ، وبما تقدّم من إثبات أنّها دائرة بمـا أوجـد لهـا من الأنفس التي هي كلمـات اللّه التامّة العُليا، المدبّرة لها، الموجِدة لحركـاتهـا[٣]. فهي متحرّكة بالاختيار، بأمره تعالى، وتدبيره المحكم المتقن، وقضـــائه المُبرَم، وتقديره المُنزَل.



(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) كلمته: كلماته AB

(٣) لحركاتها: بحركاتها A

[الثالث: نفي تقوّمه تعالى بالأجزاء]

ومنهـا[١]: أنّ المبـدأ **الأوّل تعالى لا يتقوّم بالأجزاء**[٢]، **كما سـبق** بيان ذلك في المباحث السابقة. [فإنّه][٣] لو كان متقوّماً بالأجزاء[٤]، لـم يكن واجب الوجود؛ لاحتياج كلّ متقوّم بالأجزاء[٥] إليها، وهي غيره، هذا خلف.



(١) منها: هاهنا Bc

(٢) بالأجزاء: بالإجراء A

(٣) فإنّه: وأنّه AB

(٤) بالأجزاء: بالإجراء A

(٥) بالأجزاء: بالإجراء A

[إبطال مذهب النصارى في القول بالأب والابن]

فقول[١] **النصـارى بـالأب والابن غلط فـاحش،** على ما نقِل منهم من القول بأنّ الأوّل تعالى أباً لعيسـى[٢]، وأنّ عيسى ابنٌ له. وذلك إذا أُخذ على[٣] الحقيقة العرفيّة ـالتي هي التولّـد الحاصـل بفعل القوّة المولّدة مع باقي أسـباب التوليد، حتّى يُقال للوالـد «أب»، وللمتولّـد منـه «ابن»ـ فلا ريـب في أنّ ذلـك في حقّـه تعـالى محـالٌ بالضرورة، وأنّ القول به على هذا المعنى غلطٌ ظاهر، وكفرٌ صريح، وإنكارٌ لكونه إلهاً، تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون.



(١) B152a
(٢) لعيسى: العيسى A
(٣) A145b

[مذهب المصنّف في المراد من مفهومَي الأب والابن]

ولعلّ مرادهم غير هذه الحقائق العرفيّة؛ **فإنّ الأب بمعنى المُبدِع، والكلمة هو الابن لروح القدُس بمعنى التسبّب**(١)**، لا على ما توهّموه**(٢) >(٣)؛ فإنّه ربّما جاء إليهم في الكتاب الإلهيّ المُنزَل على نبيّهم ما يوهم ظاهر هذه الألفاظ أو التصريح بها، ولا يجوز الحمل فيها على الظاهر؛ فإنّ الكتب(٤) الإلهيّة كالكتب الحكميّة، بل أبلغ منها وأعجب وألطف وأطرف بمراتب لا يتناهى. وجاز أن يكون لأهل الحكمة من الكلمات الرمزيّة التي ينكر الطباع ظواهرها، ولم يُراد منها ذلك، بل إنّما توهَّمه مراداً(٥) أهلُ الغباوة(٦) وقاصرو الفِطنة.

وأمّا أهل الذَكاء ـ الذين لهم الاطّلاع على العلوم الحقيقيّة ـ فيحلّون ذلك الرمز، ويُخرجونه على الوجوه اللائقة. وإنّما فعَل أهل الحكمة ذلك(٧) تشحيذاً للأذهان، وتعظيماً لأمر الحكمة، وتفخيماً لأهلها، وصيانةً عن بذلها لغير المستعدّين لقبولها، واقتداءً(٨) بالكتب الإلهيّة؛ فإنّها كذلك.

وإذا كان الأمر هكذا، فلا مانع أن يكون المراد بالأب المُبدِعَ والموجِدَ؛ لِما بينه وبين الأب العُرفيّ من المناسبة من حيث السببيّة أو الشرطيّة، فكيف بمن(٩) استقلّ بالإبداع وأفاض على الحقائق وجودَها الموجبة لظهورها بعد الخفاء؟ فإنّه هو الأب بالحقيقة.

---

(١) التسبّب: النسبة AB
(٢) توهّموه: توهّمه A
(٣) كلمة التصوّف: ١٢٧ (مع شرح وتفصيل)
(٤) الكتب: كتب A
(٥) مراداً: مراد A
(٦) الغباوة: العبادة A
(٧) ذلك: ـ A
(٨) B152b
(٩) بمن: لمن B

ويُراد بالابن «الكلمةُ المُلقاة إلى مريم من روح القدُس»[١] الذي هو ربّ صنم نوع الإنسان، ويكون معنى كونه ابناً له جوازَ نسبته إليه. فهو ابنٌ بمعنى صحّة تلك النسبة الحُكميّة باعتبار استيلاء ربّ النوع على جميع[٢] الصياصي، وحفظه لها، وتدبيره إيّاها. وليس الكلمة [ابناً][٣] لروح القدُس [حقيقيّاً][٤]، على ما توهّموه أهل الجهل بالحقائق الحِكميّة، فضلاً عن أن يكون ابناً عرفيّاً للحقّ تعالى، وذلك ظاهر.

[الأقانيم الثلاثة عند النصارى]

[٥]< وبسطُ هذا الكلام أنّ النصارى قالوا: إنّ اللّٰه تعالى جوهر واحد، وله ثلاثة أقانيم ذاتيّة، أي ثلاث خواصّ جوهريّة:

- أُقنوم الأب، وهو الذات.
- وأُقنوم الابن، وهو الكلمة.
- وأُقنوم روح القدُس، وهو الحياة.

وهذه الثلاثة واحدة في الجوهريّة.

[اختلافهم في كيفيّة اتّحاد الكلمة بعيسى ـ عليه السلام ـ]

ثمّ قالوا: إنّ الكلمة اتّحدت بعيسى، [واختلفوا في الاتّحاد.

فقال طائفة منهم: الاتّحاد][٦] بمعنى أنّ الكلمة ظهرت في عيسى، فصارت معه هيكلاً. وقالوا: إنّ [للمسيح][٧] جوهران[٨] [أو أُقنومان][٩]: إلهيّ، وإنسانيّ. ولهذا

---

(١) مقتبس من: القرآن الكريم: ٤/١٧١

(٢) A246a

(٣) ابناً: ابن AB

(٤) حقيقيّاً: حقيقيّ AB

(٥) بداية العبارات المنقولة من: معين المعين.

(٦) واختلفوا في ... الاتّحاد: ـ AB

(٧) للمسيح: المسيح AB

(٨) جوهران: جواهران A

(٩) أو أُقنومان: قيّومان AB

صحّ(١) أن يكون(٢) مظهراً للفعلَين، فاخترع الأجسام، وأحيا الموتى، وأكَل وشرِب.

ومنهم طائفة قالوا: إنّ أُقنوم الكلمة نزل من السماء، وتجسّد [مع](٣) روح القدُس، وصار إنساناً هو المسيح. فهو [مركّب من جوهرين:](٤) جوهر لاهوتيّ، وجوهر ناسوتيّ.

[سبب وقوعهم في هذه الشبهات]

والسبب في وقوعهم في هذه الشبهات عدمُ معرفتهم بحلّ(٥) رموز الإشارات الإلهيّة في الكتب السماويّة المُنزَلة على أيدي مقرّبي حضرته؛ فإنّه جاء في الإنجيل؛ فإنّه ذكَر اللّه تعالى بلفظ «الأب»، وذكر عيسى بلفظ «الابن»، وذكر الاتّحاد والحلول؛ فإنّه قال في إنجيل يوحنّا: «يا فيلقوس! من يراني ويعاينني فقد رأى الأب، فكيف أنت تقول(٦): أرِنا الأب؟ ولا تؤمن(٧) أنّي بأبي وأبي بي، وأنّ الكلام الذي أتكلّم(٨) به ليس من قبَل نفسي، بل من قبَل الحالّ فيَّ، يعمل هذه الأعمال الذي أعمل. آمِن وصدِّق أنّي بأبي وأبي بي».

هكذا وُجد عندهم، وقد نقِل إلى العربيّة بعد تداوله عندهم. وهذا ـ كما تراه ـ رموز وإشارات أُريد بها غير ما فهِمه أهلُ الظاهر، المقيّدون بدلالات الألفاظ من حيث تمام المعنى المفهوم عرفاً، وغفلوا عن الدلالات الالتزاميّة الكامنة في هذه اللطائف؛ فإنّ اللّه تعالى سمّاه ابناً تشريفاً(٩)، كما سمّى إبراهيم خليلاً ومحمّداً حبيباً(١٠)، تشريفاً لهما وتعظيماً. مع أنّ مَن توجَّه إلى شيء توجّهاً كلّيّاً وداوَم عليه مقيماً عاكفاً، يُقال له:

---

(١) صحّ: صحّت Ac
(٢) B153a
(٣) مع: من AB
(٤) مركّب من جوهرين: ـ AB
(٥) بحلّ: كلّ A
(٦) أنت تقول: تقول أنت B
(٧) تؤمن: يؤمن A
(٨) أتكلّم: الكلم A
(٩) A246b
(١٠) B153b

«ابنه»، كما يُقال: «ابن(١) الدنيا» و«ابن(٢) السبيل»، فجاز تسميته «ابناً» من حيث توجّهه(٣) في أغلب أحواله شطرَ الحقّ، واستغراقه أغلب الأوقات في جناب القدس.

[المراد من الاتّحاد والحلول في كلام عيسى ـعليه السلام ـ]

وأمّا الاتّحاد فجاز أن يكون المراد به الاتّحادَ التشبُّهيّ(٤) بسبب التجرّد ورفع لوازم الكثرة(٥)؛ فإنّ الاتّحاد يُراد به المماثلة في الصفات. ومع ذلك فإنّ الاثنين إذا تساويا في في شيء يُقال: إنّهما واحدان فيه. ولمّا كان الحقّ تعالى وعيسى تساويا في إظهار الحقّ وبيان الحقائق، جاز إطلاقُ لفظ الاتّحاد عليهما، ولهذا صحّ أن يُقال: أنا وفلان واحدٌ في القول.

وأمّا الحلول فيُراد به حلول الآثار اللاهوتيّة فيه [ـعليه السلام ـ](٦)، وبه جاء في الكتاب من الإشارات في هذا المعنى ما يدلّ على أنّ المراد بها ليس الحقائق العُرفيّة. ففي إنجيل يوحنّا: «فكما أنت ـيا أبي!ـ بي وأنا بك، فليكونوا هم أيضاً نفساً واحدة؛ ليؤمن أهل العالم أنّك أنت أرسلتَني، وأنا قد استودعتُهم المجدَ الذي مجّدتَني به، ودفعتُه إليهم؛ ليكونوا على الإيمان [واحداً](٧). كما أنا وأنت أيضاً واحد، وكما أنت حالّ فيّ، كذلك أنا فيهم؛ ليكون كمالهم واحداً.

ومثله قوله فيها: «إنّي(٨) صاعدٌ إلى أبي(٩) وأبيكم، وإلهي وإلهكم». وهو يدلّ(١٠) على مساواته إيّاهم في معنى النبوّة والعبوديّة. >(١١)



(١) ابن: ابنا B

(٢) ابن: ابنا B

(٣) توجّهه: توجيهه A

(٤) التشبّهيّ: التشبيهيّ A

(٥) الكثرة: الكثيرة A

(٦) عليه السلام: علم A، علّة B

(٧) واحداً: واحد AB

(٨) إنّي: إنّني B

(٩) B154a

(١٠) يدلّ: تدلّ A

(١١) معين المعين (مخطوطة): 28b - 28a

[الرابع: الردّ على اليهود في إبطال النسخ]

ومنها: الردّ على اليهود في إبطال النســخ، وبيان الحال فيه. **وهو أنّ** [١]< **التغيّرات الواقعـة على الأجرام لا [تتعدّى]**[٢] **إلى مُبدِعها، فلا تغير في أمره**[٣]**، بل المتغيّر هو العـالَم، لا المُبـدِع. فبتغيُّر الأحكام لا يتغيّر البارئ، بل يتغيّر الخَلقُ.** >[٤] فردّ على اليهود، وأبطل شبهتهم في النسخ.

وحقيقةُ النســخ ـعلى ما تقرّر[٥] في القواعد الإشــراقيّة والمباحث الذوقيّةـ يظهر ممّا أســلفناه في ما تقدّم[٦] من القواعد؛ فإنّك إذا تفطّنتَ فيها على ما ينبغي، وجدتَ فيها ما يُغنيك عن تكلّفات أهل الظاهر في معنى النســخ، وما لفّقهوه[٧] في جوابات ما أورده اليهود عليهم من الشُــبَه[٨] على نفيه، وما قرّروه من المطاعن على القول بإثباته؛ فإنّ في مباحث الحكمة[٩] الكشـفيّة[١٠] ما يُغني عن تعسّفاتهم في تلك الجوابات، وما التزموه من التطويلات.

[إحاطة علمه تعالى بجميع الأزمنة]

[١١]< وبيانه ـزيادةً في الإيضاح، و[إرشاداً][١٢] إلى المطلوب على جهة التنصيصـ

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٢) تتعدّى: يتعدّى AB

(٣) أمره: آخره AB

(٤) كلمة التصوّف: ١٢٧ (مع تصرّف)

(٥) تقرّر: يقرّر B

(٦) A247a

(٧) لفقوه: تفقّهوه A

(٨) الشبه: الشبهة A

(٩) الحكمة: الحكميّة A

(١٠) الكشفيّة: الكثيفة B

(١١) بداية العبارات المنقولة من: رسالة الزوراء.

(١٢) إرشاداً: إرشاد AB

أن نقول: إنّ الامتداد الزمانيّ الذي هو أصــل التغيّرات والتبدّلات(١)، والمحيط بجميع الحوادث الكونيّة، إذا اعتبرتَه(٢) وجدتَه شــيئاً واحداً متّصــلاً محيطاً بجميع الحوادث المتعـاقبة. فإذا تحدّســتَ في أحوالها، وجدتَ [أنّ](٣) التعاقب فيها(٤) إنّما هو باعتبار حضــور حدود(٥) الامتداد، وغيبوبتها عنك باعتبار ملاحظتك(٦) إيّاه من تحت الزمان المحيط بك. فإذا اعتبرتَ ذلك إلى مَن لا يحيط به الأزمنةُ اضمحلّ التعاقب هناك، فلا تغيُّر(٧) ولا تبدُّل(٨). <(٩)

وبســطُه أنّ الامتداد الزمانيّ بما يشــتمل عليه كالخطّ لا أجزاء فيه فعلاً، وتعاقُب الحوادث الواقعة تحت حيطته نسـبتها إليه كنسبة الأجزاء المفروضة في الخطّ(١٠)؛ لأنّ الحركات الفلكيّة متّحدة شخصاً؛ لأنّ المراد بها التوسّط بين الأوضاع الفرضيّة. فيرتسم في القوّة الخيـاليّـة امتـداد خيـاليّ هو الحركـة بمعنى القطع، والزمـان هو مقدار ذلك الامتـداد الخيـاليّ. فمن حيث إنّه لا جزء للامتداد، لم يكن ثَمّ للزمان(١١) جزء. وتلك الحركة مســتتبعة لحركات(١٢) الموادّ العنصــريّة في كيفيّاتها وكمّيّاتها، فهو أيضــاً حركة واحدة مســتمرّة يحذو حذوَ الحركة الفلكيّة دواماً واســتمراراً. فكما لا جزء في الفلكيّة بالفعل، كذا لا جزء للعنصريّة بالفعل.

وحينئذٍ نقول: نسبةُ الصور المتعاقبة على الموادّ العنصريّة نسبةُ الأجزاء الفرضيّة في الحركات الفلكيّة(١٣)، وكذلك نســبة الكيفيّات والكمّيّات المتعاقبة في الحركتين. فلمّا

---

(١) أصل التغيّرات والتبدّلات: محتد التغيّر والتبدّل P
(٢) اعتبرته: + و A
(٣) أنّ: ـ AB
(٤) B154b
(٥) حدود: + ذلك P
(٦) ملاحظتك: ما لاحظتك A
(٧) تغيّر: يغيّر A
(٨) تبدّل: يبدّل A
(٩) رسالة الزوراء: ١٧٦ ـ ١٧٧
(١٠) الخطّ: الحظّ A
(١١) للزمان: لامتداد الزمان A
(١٢) لحركات: بحركات A
(١٣) A247b

لم يكن الكيفيّات والكمّيّات الحاصلة فيها موجودةً بالفعل، فما يظهر عند الحسّ من وجود تلك الصور واستمرارها وبقائها زماناً ومدّةً مثل ما يظهر من استمرار[١] الكمّيّات والكيفيّات في الحركتين؛ فإنّ شيئاً منها لمّا لم يستمرّ ولا يبقى، كذلك الصور لا تبقى[٢] ولا تستمرّ.

فإن قلتَ: الحسّ يكذّب ذلك؛ لأنّا نشاهد هذا البقاء مدّةً.

قلتُ: إنّ التفاوت لقلّته لا يظهر للحسّ، فتخيّل له أمر واحد مستمرّ، كما تخيّل عنده امتداد الحركة المستلزمة لامتداد الزمان الذي هو مبدأ هذه التغيّرات.

[٣]< فإذا أتقنتَ[٤] هذه الأُصول، اطّلعتَ على غوامض أسرار كثيرة، بل على نفائس دقائق الكونين. وفيه يظهر سرّ وجه[٥] إحاطة علم[٦] الأوّل تعالى بالماضي والحال والاستقبال، من غير تبدّل ولا تغيّر ولا انتقال؛ فإنّ أهل البحث والجدال قد تاهوا في هذا الحال، وأكثروا فيه من القيل والقال. >[٧]

[مثال لتقريب البحث بالأذهان]

[٨]< وما أشبه[٩] ذلك بامتداد مختلف أجزاؤه في اللون[١٠]، أمررتَه في مُحاذاة حدقة الذرّة[١١] وأمثالها ممّا يضيق حدقته عن الاطّلاع والإحاطة بذلك الامتداد، فإنّ تلك الألوان تكون[١٢] مختلفة في الحضور عندها، متعاقبة في المرور على حدقتها؛ لضيقها

---

(١) B155a
(٢) لا تبقى: ـ A
(٣) بداية العبارات المنقولة من: رسالة الزوراء.
(٤) أتقنت: اتّفقت A
(٥) سرّ وجه: شروحه B
(٦) علم: على B
(٧) رسالة الزوراء: ١٧٧ (مع تصرّف)
(٨) بداية العبارات المنقولة من: رسالة الزوراء.
(٩) أشبه: أشبهه A
(١٠) اللون: الكون A
(١١) الذرّة: الدورة A، الدرّة B
(١٢) تكون: يكون A

عن الإحاطة بمجموع ذلك الامتداد. >[١]

فإذا أمررتَه في [مقابل][٢] حدقة قويّة[٣] على الإحاطة بمجموعه وجدتَه[٤] [متساوياً][٥] في الحضور لديها، غير متغيّر ولا متبدّل؛ لقوّة إحاطتها.

[نتيجة هذا البحث]

[٦]< وفي هذا [الوجه اعتبار][٧] لأُولى الألباب، يعلمون به أنّ الحوادث لا تعاقب[٨] لها بالنسبة إليه تعالى. فجميع الحوادث حاضرةٌ لديه، من غير ترتّبٍ وتعاقبٍ ومُضيٍّ[٩] واستقبالٍ. فهو تعالى عالم بكلّ[١٠] منها في وقتها، من غير تبدّل في ذلك العلم المحيط أصلاً، ويعلم مُضيّها واستقبالها وحضورها بالنسبة إلينا أيضاً، من غير[١١] اتّصافها بالنسبة إليه بشيء[١٢] من المُضيّ والاستقبال. والتشبيه[١٣] السابق تقريب لذلك إلى الأفهام، ومنه نعلم حقيقةَ ما تقرّر مِن أنّ اللّه تعالى لا يجري عليه زمان. >[١٤]

[سرّ كيفيّة وجود الحوادث وزوالها]

[١٥]< ويظهر فيه أيضاً سرّ كيفيّة وجود الحوادث وزوالها؛ فإنّ وجودها عبارة عن[١٦] الحضور لدينا، وزوالها عبارة عن غيبوبتها بالنسبة إلينا. ووجه ذلك[١٧] بالنسبة إلينا أنّ

---

(١) رسالة الزوراء: ١٧٧ (مع تصرّف)

(٢) مقابل: مقابلة AB

(٣) قويّة: قوّته A

(٤) وجدته: وحدقة A

(٥) متساوياً: متساوٍ AB

(٦) بداية العبارات المنقولة من: شرح رسالة الزوراء.

(٧) الوجه اعتبار: وجه الاعتبار AB

(٨) تعاقب: يعاقب A

(٩) B155b

(١٠) بكلّ: لكلّ A

(١١) A248a

(١٢) بشيء: نسي A

(١٣) التشبيه: النسبة A

(١٤) شرح رسالة الزوراء: ٢١٠

(١٥) بداية العبارات المنقولة من: شرح رسالة الزوراء.

(١٦) عن: + انقراضها باعتبار AB

(١٧) ذلك: حضورها وغيبوبتها P

المُشــار إليـه بقولنا «أنا» أمر متعيّن موهوم واقع بين طرفَي المنقضــي والآتي، كالآن المفروض في الزمان، والحركة المفروضــة الحاضــرة في الحركة الامتداديّة، فالأنانيّة أيضـاً من الحوادث. فكـلّ مـا قارَن[١] حدودها المفروضــة بحدّ مفروض من أنانيّتها المدرَكة، فهو حاضـر لدينا. وما سـواه[٢]، فإن اتّصف قبل ذلك بالمقارنة بحدّ مفروض في الأنانيّة، فهو ماضٍ. وإذا لم يتّصف بعدُ وسيتّصف، فهو مستقبل. >[٣]

[صعوبة تحقيق سبب وجود الحوادث وزوالها في الحكمة الرسميّة]

[٤]< وبهذا التحقيق يُتخلّص من الشُــبَه الواردة التي [تلزم][٥] على تحقيق بيان[٦] حـالهـا[٧] عنـد أهـل البحـث، وما تكلّفوه من الجوابات التي أظهرها[٨] طباعهم؛ فإنّ [مَن][٩] حقّق ما سـمِعه منهم ممّا هو مشــهور عنهم، وكان سـليم الذائقة من مرارة[١٠] المِراء، عرف ما اشتمل عليه من البَشاعات الغير اللائقة بأهل التحقيق >[١١]؛ [١٢]< فإنّ تحقيق[١٣] سبب وجود الحوادث وسبب زوالها، من المباحث المشكلة في الحكمة[١٤] الرسميّة[١٥].

[إشكال على مذهبهم في سبب وجود الحوادث]

وذلك لأنّ علّة[١٦] وجودها:

---

(١) قارن: + من P

(٢) سواه: سواها P

(٣) شرح رسالة الزوراء: ٢١١

(٤) بداية العبارات المنقولة من: رسالة الزوراء.

(٥) تلزم: يلزم ABP

(٦) بيان: سبب P

(٧) حالها: حاليها AB

(٨) أظهرها: أطهرها B

(٩) من: ما AB

(١٠) مرارة: المرارة A

(١١) رسالة الزوراء: ١٧٧ ـ ١٧٨

(١٢) بداية العبارات المنقولة من: شرح رسالة الزوراء.

(١٣) B156a

(١٤) الحكمة: الحكم AB

(١٥) الرسميّة: الرسيميّة P

(١٦) علّة: سبب P

ـ إن كانت قديمة[١]، يلزم قدمُ الحادث.

ـ وإن كانت حادثة[٢]، يلزم التسلسلُ.

[جوابهم عن هذا الإشكال]

فأجابوا عن ذلك بأن قالوا[٣] باستناد الحوادث إلى أسباب معدّة لها، غير متناهية، ممتنعة الاجتماع[٤]، وهي الأوضاع الفلكيّة المتحصّلة[٥] بحركتها السرمديّة، وكلّ من تلك الأوضاع مسبوق بغيرها[٦] لا إلى نهاية. وزعموا أنّ التسلسل في الأُمور الغير المجتمعة جائز؛ لعدم اجتماع آحادها، فلا يتمكّن العقل[٧] من التطبيق بينها الذي هو مدار البرهان الدالّ على استحالة التسلسل عندهم[٨].

[إشكالان على هذا الجواب]

وأنت خبير بما فيه؛ لأنّ عدم اجتماعها في الخارج لا يدلّ على امتناع التطبيق العقليّ الراجع إلى فرض الانطباق بينها.

وأيضاً لمّا كان أوائل الصادرات عن الواجب هي العقول المجرّدة، وهي قديمة، فكيف يُتصوّر صدورُ الحوادث عنها، وارتباطُ تلك الحوادث بتلك الأُمور القديمة في سلسلة العلّيّة؟

[جوابهم عن هذا الإشكال]

فحاولوا التفصّي[٩] عن ذلك بأنّ الحركة لها جهتان:

---

(١) كانت قديمة: كان قديماً P

(٢) كانت حادثة: كان حادثاً P

(٣) بأن قالوا: ـ P

(٤) الاجتماع: للاجتماع A

(٥) المتحصّلة: المستحصلة AB

(٦) بغيرها: لغيرها A

(٧) A248b

(٨) عندهم: ـ AB

(٩) تفصّى من الشيء: تخلَّص. (لسان العرب)

ـ **إحداهما**[١]: حيثيّة ذاتها، وهي كون الجسم بحالة يصحّ أن يُفرَض[٢] له[٣] في كلّ آنٍ فردٌ من الأوضاع غير[٤] الفرد المفروض في الآن السابق واللاحق، ويعبَّر عن هذا المعنى بالتوسّط بين الأوضاع. وهي بهذا المعنى[٥] قديمة مستمرّة من الأزل إلى الأبد.

ـ **والثانية:** حيثيّة النسب[٦] التي تلزمها[٧]. وهي بهذا الاعتبار حادثة؛ ضرورةَ أنّ النسبة المفروضة[٨] له بحسب القرب والبُعد[٩] من النهاية المفروضة في كلّ آنٍ غير المنفرضة[١٠] له[١١] في آنٍ آخر.

فالحركة قديمة من حيث[١٢] الذات، حادثة من حيث العوارض اللازمة. فهي مستندة من حيث الذات إلى القديم، ومن حيث العوارض تستند[١٣] إليها الحوادث.

[إشكال على هذا الجواب]

ولا يخفى أنّ هذا الكلام[١٤] غير منقَّح؛ فإنّ تلك العوارض:

ـ إمّا مستندة إلى الذات، والمفروض أنّها قديمة.

ـ أو إلى مبادئها، وهي أيضاً قديمة.

ـ أو إلى غيرهما، وهو منتفٍ.

هذا كلّه في علّة وجود الحوادث.

---

(١) إحداهما: أحدهما AB

(٢) يفرض: نفرض B

(٣) له: لها AB

(٤) غير: ـ AB

(٥) المعنى: الاعتبار P

(٦) B156b

(٧) تلزمها: يلزمها P

(٨) المفروضة: المنقرضة AB

(٩) القرب والبعد: القريب والبعيد A

(١٠) المنفرضة: المنقرضة AB

(١١) له: ـ A

(١٢) من حيث: ـ AB

(١٣) تستند: مستند A، مستندة P

(١٤) الكلام: لكلام P

[إشكال على مذهبهم في سبب زوال الحوادث]

وأمّا علّة زوالها ففيها أيضاً[١] إشكال؛ لأنّ سلسلة الحوادث المتعاقبة المنتهية إلى ذلك الحادث[٢]، هي الجزء الأخير من العلّة التامّة عندهم. بمعنى أنّ جميع تلك الحوادث لها مدخل[٣] في وجود ذلك الحادث[٤]، باعتبار وجودها السابق وعدمها الطارئ. فإذا وُجد ذلك الحادث، فلا يمكن زوالها إلّا بزوال علّتها التامّة[٥]. وعلّتها التامّة مركّبة من المبادئ القديمة وتلك الحوادثِ المتعاقبة من حيث إنّها كانت موجودة ثمّ صارت معدومة. وزوال المبادئ القديمة محال. وكذا زوال تلك الحوادث من هذه الحيثيّة؛ فإنّها إلى الأبد متّصفة بأنّها صارت معدومة بعد ما كانت موجودة، وهي بهذا الاعتبار كانت[٦] متمّمةً للعلّة التامّة، وزوالها بهذا الاعتبار[٧] محال. فيلزم زوال المعلول مع بقاء علّته[٨] التامّة على حالها.

[جوابهم عن هذا الإشكال]

فطلبوا التخلّص عنها بأنّ تلك السلسلة علّة لوجود[٩] الحوادث[١٠] بشرط انتفاء حادث معيّن هو المانع من وجود ذلك الحادث. فإذا وُجد ذلك الحادث المانع، زال العلّة التامّة بزوال جزئها، أعني انتفاء المانع الذي هو معتبر فيها؛ فإنّ وجود المانع مستلزم لزوال انتفائه.

---

(١) أيضاً: ـ AB
(٢) الحادث: الحوادث A
(٣) مدخل: تدخّل A
(٤) الحادث: + و AB
(٥) A249a
(٦) كانت: ـ P
(٧) B157a
(٨) علّته: علّة A
(٩) لوجود: موجودة A
(١٠) الحوادث: الحادث AB

[إشكال على هذا الجواب]

فإن أُورد عليه: أنّه يلزم أن يعود[١] ذلك الحادث عند زوال ذلك الحادث المانع ـ على تقدير كونه جائز الزوال ـ؛ لِتحقُّق[٢] العلّة التامّة بجميع أجزائها.

[جوابهم عن هذا الإشكال]

فلهُم[٣] أن يدفعوا ذلك بأنّ عدم المانع السابق على وجوده[٤] جزء لعلّة الحادث، لا عدمه المسبوق بوجوده. فزواله بعد وجوده لا يصير متمّماً للعلّة التامّة.

أو يقولوا: إنّ اتّصاف الحادث بالعدم بعد اتّصافه بالوجود، يستلزم[٥] امتناع اتّصافه بالوجود ثانياً؛ بناءً على استحالة إعادة المعدوم. والأُمور المذكورة علّة تامّة لوجوده، بشرط انتفاء اتّصافه بالعدم بعد الوجود. فذلك الانتفاء[٦] جزء آخر من العلّة التامّة، وهو مفقود[٧] حينئذٍ.

[إشكال على هذا الجواب]

ثمّ يبقى أنّ ذلك الحادث المانع يحتاج في زواله إلى حادث آخر مانع، وهكذا. فإمّا أن يدوم ذلك المانع، فيلزم[٨] عند زوال كلّ حادثٍ[٩] حدوثُ حادث أبديّ، وهو غير لازم عندهم. أو يزول، فيكون هناك حادث آخر مانع عنه[١٠]، وهكذا، فيلزم أن يكون هناك سلاسل[١١] غير متناهية من الحوادث، يستند كلّ واحد من آحادها إلى

---

(١) يعود: يعوذ A

(٢) لتحقّق: فتحقّق AB

(٣) فلهم: قلتم A

(٤) وجوده: وجود A

(٥) يستلزم: مستلزم A

(٦) الانتفاء: لانتفاء A

(٧) هو مفقود: هي مفقودة AB

(٨) فيلزم: + حينئذٍ P

(٩) حادث: + من P

(١٠) B157b

(١١) A249b

واحد من آحاد الأُخرى في زواله[١]، وهو منتفٍ[٢].

[جوابهم عن هذا الإشكال]

والمَخلَص عنه أن يُقال: إنّ ذلك[٣] الحادث المانع هو من آحاد سلسلة الحوادث المتعاقبة، لا خارج[٤] عنها. فإذا أفضَت[٥] سلسلة الأوضاع الفلكيّة إلى حادث معيّن ـ كوجود صور معيّنة[٦] ـ فتلك الأوضاع علّة لوجود تلك الصورة، بشرط عدم وجود الوضع المقتضي لانتفاء تلك الصورة. ثمّ[٧] السلسلة الوضعيّة بعينها تنساق[٨] إلى وجود ذلك الوضع المانع[٩]، ويحدث صورة أُخرى يقتضيها ذلك الوضع.

[إشكال على هذا الجواب]

ثمّ يبقى على ذلك أنّا ننقل[١٠] الكلام إلى زوال ذلك الوضع:

ـ فإن كان لحدوث الوضع اللاحق، وقد تقرّر عندهم أنّ الوضع السابق بوجوده[١١] وزواله علّة لحدوث الوضع اللاحق، لزم الدور.

ـ وإن كان لزوال الوضع السابق، وقد كان زواله جزءاً أخيراً من علّة حدوثه مجامعاً له، فيلزم كون علّة الحدوث والزوال أمراً واحداً بعينه؛ ضرورةَ أنّ تمام ما فرض علّة الزوال من المبادئ القديمة والأوضاع المتعاقبة، وزوال الوضع السابق على هذا الوضع الذي فرض مانعاً، هو بعينه علّة للحدوث.

---

(١) زواله: زوالها P
(٢) منتفٍ: متّصف A
(٣) ذلك: ـ P
(٤) لا خارج: الخارج A
(٥) أفضت: أقضت A؛ اختصّت B
(٦) معيّنة: متعيّنة A
(٧) ثمّ: + تلك P
(٨) تنساق: ينساق AP
(٩) المانع: ـ AB
(١٠) ننقل: ننتقل A
(١١) بوجوده: موجودة B

ـ وإن كان زوال ذلك الوضـع(١) لزوال أمر آخر خارج عن سـلسـلة الأوضـاع، أو لحـدوث(٢) أمر آخر كذلك، لزم أن يكون هناك سـلاسـل غير متناهية من الحوادث، يسـتند آحـاد كلّ منها في زوالها إلى آحاد الأُخرى في وجودها أو زوالها. والحوادث الغير المتنـاهيـة لا [تنتظم](٣) إلّا بالحركات الغير المتناهية. فيلزم أن يكون في الوجود أجسام غير متناهية متحرّكة(٤)، وهو باطل.

[جوابهم عن هذا الإشكال]

وهذا ممّا لا يمكن التفصّـي عنه بوجهٍ يخلو عن حَزازة(٥)؛ إذ غاية ما يمكن أن يُقال أنّ هذه الأوضـاع غير موجودة في الخارج، بل(٦) مفروضـة، كالآنات المفروضـة في الزمان، والحدود المفروضـة(٧) في المسـافة، كما صـرّح به الفارابيّ. وإذا لم تكن(٨) موجودة في الخارج، لا [تقتضي](٩) علّة موجودة في الخارج.

[إشكال على هذا الجواب]

ولا يخفى ما فيه؛ فإنّ تلك الأوضـاع وإن سلِّم أنّها غير موجودة، فهي ليست فرضيّة محضـة؛ ضـرورةَ أنّ الوضـع المقارن للآن غير الوضع المقارن لمثل الآن من الأمس؛ فـإنّ العقـل يشـير إلى هـذا الوضــع، ويحكم عليـه بأنّه مقارن لهذا الآن، وبأنّه ليس مقارناً(١٠) لذلك الآن، حكماً صادقاً مطابقاً للواقع. ولو حكم بعكس هذا، لم يكن مطابقاً للواقع(١١). ولو كان فرضاً محضاً، لم يكن أحد الحُكمين أولى بالصدق من الآخر.

---

(١) هو بعينه ... الوضع: ـ AB
(٢) لحدوث: بحدوث A
(٣) تنتظم: ينتظم ABP
(٤) B158a
(٥) حزازة: إحرازه A
(٦) بل: + هي P
(٧) A250a
(٨) تكن: يكن P
(٩) تقتضي: يقتضي ABP
(١٠) مقارناً: + له AB
(١١) ولو حكم ... للواقع: ـ AB

فهب أنّ ذلك الوضع غير موجود في الخارج، إلّا أنّ له نحواً من الوجود، ولو بالقوّة القريبة قُرباً لم يكن له في الآن السابق، فلا بدّ له من علّة. ثمّ إذا زال عنه هذا النحو من الوجود، فلا بدّ له من علّة أيضاً؛ فإنّ الوصف الذي لم يكن لشيء ثمّ ثبت له، لا بدّ له من علّة. ثمّ إذا زال ذلك الوصف عن ذلك الشيء، فلا بدّ له أيضاً من علّة ضرورةً، سواء كان ذلك الوصف وجوداً بالفعل، أو بالقوّة، أو غيره بأيّ معنىً كان.

ولا مَخلَص عن تلك الشُبَه[١] والشكوك ـ بحيث يرتضي به ذوو الطبائع المستقيمة الناقدة [للحقائق][٢] ـ إلّا بالرجوع إلى[٣] ما[٤] حقّقناه من حال الحوادث أنّها ترجع[٥] إلى أمر واحد مستمرّ لا تبدّل فيه، لكن ينفرض[٦] فيه أُمور متكثّرة بحسب الفرض، متغيّرة بحسبها، متبدّلة بحسب النسب[٧] الواقعة بينها من حيث المقارنة وعدمها، وتلك النسب الواقعة بينها معلولة لذلك الأمر الوحدانيّ دفعةً واحدة. >[٨]

[استئناف القول في إحاطة علمه تعالى بجميع الأزمنة]

[٩]< إذا اعتبرتَ الامتداد الزمانيّ الذي هو مَحتِد التغيّر والتبدّل وعرش الحوادث الكونيّة، بما يقارنه من الحوادث جملة واحدة، وجدتَه شأناً[١٠] من شؤون العلّة الأُولى، محيطاً بجميع الشؤون المتعاقبة. فإذا دقّقتَ[١١] النظر وأمعنتَ الفكر[١٢]، لم تجد التفاوت[١٣] إلّا باعتبار حدود الامتداد بحضورها أو غيبوبتها[١٤] بالنسبة إلى الزمانيّات

(١) الشبه: الشبهة A
(٢) للحقائق: الحقائق AB
(٣) إلى: ـ A
(٤) بالرجوع إلى ما: بما P
(٥) ترجع: يرجع A
(٦) ينفرض: يتعرّض A
(٧) B158b
(٨) شرح رسالة الزوراء: ٢١١ ـ ٢١٦
(٩) بداية العبارات المنقولة من: رسالة الزوراء.
(١٠) إذا اعتبرت ... شأناً: شأن واحد AB
(١١) دقّقت: وقفت A
(١٢) فإذا دقّقت ... الفكر: ثمّ إن أمعنت النظر
(١٣) التفاوت: التعاقب P
(١٤) حدود الامتداد بحضورها أو: حضور حدود ذلك الامتداد و P

الواقعة تحته المُحاطة به(١).

وأمّا المراتبُ العالية على مرتبته(٢)، والخارجةُ عن حيطته، فلا تعاقُب بالنسبة إليها، بل الكلّ متساوية بالنسبة(٣) إليها. فلا تعاقُب ولا تغيُّر ولا تبدُّل(٤) هناك، بل الجميع متحاذية(٥) في الحضور(٦) لديها. فما ظنّك بمن هو أعلى(٧) شواهق العوالي؟ فـ«ليس عند ربّك صباح ولا مساء»(٨). >(٩)

[حكمة النسخ وحقيقته]

(١٠)< وفيه أيضاً ظهور(١١) سرّ النسخ؛ إذ الأحكام المتعلّقة بالأديان كالأحكام المتعلّقة بالأكوان. فكما أنّ التعاقب والتغيّر في الثانية بسبب الوقوع تحت حيطة الزمان، كذلك الأُولى؛ إذ منشأ الأحكام الدينيّة من الكلام الذي منشؤه القدرة الإيجاديّة(١٢) التي(١٣) هي منشأ التكوين. وكلٌّ منهما واجب الإطاعة، إلّا أنّها في الثانية وجوباً طبعيّاً يمتنع التخلّف عنه عقلاً، وفي الأُولى وجوباً وضعيّاً يمتنع التخلّف عنه شرعاً. >(١٤)

(١٥)< فحكمةُ النسخ وغايته مراعاةُ المصالح ـ باعتبار ما يناسب العناية(١٦) ـ التي هي مقتضى خصوصيّات الأزمنة، وما يقارنها من الاستعدادات. كما أنّ حكمة التكوين

---

(١) تحته المحاطة به: تحت حيطته P

(٢) مرتبته: مرتبة A، على مرتبته: عليه P

(٣) متساوية بالنسبة: متساوي النسبة AB

(٤) A250b

(٥) متحاذية: متحاوي A، متحادي B

(٦) الحضور: حضوره AB

(٧) أعلى: على A؛ بمن هو أعلى: بأعلى P

(٨) لم أعثر على قائله في مصادر الفريقين، وادّعى بعض أهل التصوّف أنّه حديث نبويّ، كما في: اصطلاحات الصوفيّة: ١٣

(٩) رسالة الزوراء: ١٧٦ ـ ١٧٧

(١٠) بداية العبارات المنقولة من: رسالة الزوراء.

(١١) ظهور: طهور B

(١٢) الإيجاديّة: الاتّحاديّة A

(١٣) التي: ـ B

(١٤) رسالة الزوراء: ١٧٨ (مع تصرّف)

(١٥) بداية العبارات المنقولة من: شرح رسالة الزوراء.

(١٦) باعتبار ما يناسب العناية: ـ P

مراعاة المصالح بسوق الأشياء إلى كمالاتها على مقتضى العناية.

فحقيقةُ[١] النسـخ مقارنةُ بعض الحدود المفروضـة في الحكم التشـريعيّ المستمرّ بالحدود[٢] المفروضة في الحكم الإيجاديّ[٣] المستمرّ >[٤]، بحيث يحصل الانطباق على مقتضى كلّ واحد منهما في المصلحة الناشئ عن العناية[٥] الأزليّة. فافهَمه موفّقاً؛ فإنّه سرّ عظيم، به ينحلّ عنك جميع الشُبَه[٦] الواردة من اليهود وغيرهم، ممّا أطاله أهل البحث في جواباتهم، واللّه أعلم.



---

(١) B159a

(٢) بالحدود: للحدود AB

(٣) الإيجاديّ: الاتّحاديّ A

(٤) شرح رسالة الزوراء: ٢١٦

(٥) العناية: العبادة B

(٦) الشبه: الشبهة A

[الخامس: الردّ على المجوس في وجود إله لإيجاد الشرور]

[١]< ومنها: الردّ على المجوس في وجود إلهٍ لإيجاد[٢] الشرور، وكشف رموزه. **وهو** أنّ **الجهة الإمكانيّة التي هي أوّل جهاته وحيثيّاته أوّلُ خلقه،** وهو الصادر الأوّل، حاملُ الكثرة الإيجاديّة، أعني العقل الأوّل، وهو الجهة الإمكانيّة الأُولى، **ليست هي منبع الشرّ** كما يقوله[٣] جُهّال المجوس، حيث زعموا أنّ حامل الجهة الإمكانيّة أهرِمَن، وهو الشيطان، منبع الشرور والموجِد لها.

وليس الأمر كما قالوا؛ **إذ منبعه العدم؛** لأنّ الشرّ كلّه عدم. **فالشرّ لا ذات له؛ لأنّ العدم لا ذات له؛** إذ لو [كان][٤] ذاتاً أو له[٥] ذات لَما كان عدماً، بل وجوداً، هذا خلف. **بل الشرّ هو عدم كمال؛ إذ الوجود[٦] لا يُبطِل [شيئاً][٧] عن غيره، ولا يُعَدّ شرّاً، بل الوجود كلّه خير محض، والخير[٨] المحض هو الوجود المحض،** ولا وجود محض سوى الوجود الواجبيّ لذاته. فهو الخير المحض، وما سواه ليس كذلك؛ إذ قد يلزمه شرّ[٩].

بل من الأجسام ما لا يُتصوّر[١٠] إلّا ويتبعه[١١] شرّ[١٢] قليل بالنسبة إلى[١٣]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٢) إله لإيجاد: آلة الإيجاد A
(٣) يقوله: يقول B
(٤) كان: كانا AB
(٥) A251a
(٦) الوجود: وجود شيء P
(٧) شيئاً: _ AB
(٨) والخير: فالخير B
(٩) شرّ: سرّ A
(١٠) يتصوّر: + وجوده P
(١١) ويتبعه: به تبعيّة A، بتبعيّة B
(١٢) شرّ: + يلزمه AB
(١٣) B159b

خيرات وجوده، ولا[١] يجوز في العناية تعطيلُ خيرٍ كثير لشـرٍّ قليل. وإنّما لزم من الجهة الإمكانيّة[٢]، ولوازم الماهيّة لذاتها، لا يمكن رفعُها. فلا يُلتفَت إلى هذيان المجوس حيث قالوا: «إنّ للّه شريكاً»؛ لِما عرفتَ أنّه لا اثنان هما واجبا الوجود[٣].

وما زعم بعضهم[٤] أنّ الصانع حدث فيه ما أوجب الشرّ، فعلمتَ أنّ الكلام يعود إلى ما حدث فيه[٥]، والحقّ تعالى لا يتغيّر، وليس فيه جهة فاعليّة وقابليّة فيتعدّدَ ذاته. بل إنّما أضـلَّهم[٦] الجهةُ[٧] الإمكانيّة التي هي[٨] أوّل ما خلق اللّه تعالى. والإمكان[٩] والعدم منبعا الشـرّ[١٠]، والشـرّ لا ذات له، بل هو عدمٌ ما لكمال[١١] أو غيره؛ إذ وجود شيء لا يُبطِل شيئاً آخر[١٢] عن غيره، ولا يكون ضرراً لغيره ولا لنفسه، وما يُعَدّ شرّاً إنّما هو لتأدّيه[١٣] إلى ما قلناه[١٤].

ومن الأجسام ما لا يُتصوّر وجوده إلّا ويتبعه شرّ قليل أقلّ من نفعه، كالنار المُحرِقة لاتّفاق[١٥] حركات سابقة ثوبَ فقير. ولا يمكن أن تُجعَل النارُ غير النار، والفلكُ غير الفلك، وبالضـرورة يلزم عنهما نحو هذه، ولا يجوز أن يُترَك خير كثير لشـرّ قليل؛ لأنّه حينئذٍ يكون[١٦] شرّاً كثيراً[١٧]. >[١٨]

---

(١) ولا: فلا A
(٢) الجهة الإمكانيّة: جهة الإمكان A
(٣) الوجود: وجود AB
(٤) بعضهم: + من P
(٥) فيه: _ P
(٦) أضلّهم: أصلهم AB
(٧) الجهة: جهة P
(٨) هي: في P
(٩) الإمكان: للإمكان A
(١٠) منبعا الشرّ: منبعان للشرّ P
(١١) ما لكمال: بالكمال A
(١٢) آخر: _ P
(١٣) لتأدّيه: لتأديته AB
(١٤) قلناه: قلنا P
(١٥) لاتّفاق: + و AB
(١٦) لأنّه حينئذٍ يكون: فيكون الشرّ P
(١٧) شرّاً كثيراً: شرّ كثير AB
(١٨) كلمة التصوّف: ١٢٨

[الشرّ من لوازم الماهيّة]

وقد مضَت الإشارة إلى تحقيق هذا البحث بما(١) فيه كفاية(٢). وإن شئتَ أن تقفَ(٣) عليه مرّة أُخرى بعبارة أُخرى ـليكون أوقع في القلب، ولاقتضاء(٤) المقام ذكره ـ، (٥)< فاعلَم أنّ الشرّ في هذا العالم والشقاوة في الآخرة(٦) أقلُّ من الخير والسعادة(٧)، وهما داخلان تحت(٨) قدَر اللّه الذي هو تفصيل قضائه الأوّل. و(٩) الشرّ والشقاوة مرضيّ بهما لا من حيث هو شرّ، بل من حيث هو لازمُ خيرات(١٠) كثيرة(١١) لا يمكن انفكاكُها عنه(١٢)؛ لكونه من اللوازم التي ليست بجعل جاعل.

فالشقاوة والشرّ إنّما لزِما في عالم الظلمات ـأعني(١٣) العالم الحسّيّ والمثاليّ المُظلِمَين ـ من حركات العالَمين(١٤). والظلمة والحركة لزِمتا في عالم الظلمات من جهة الفقر في الأنوار القاهرة ـأي(١٥) العقول ـ والنفوس المدبّرة. والشرّ لزِم بالوسائط؛ للزومه(١٦) بواسطة الحركة والظلمة اللازمتين(١٧) بواسطة جهة الفقر في القواهر والمدبّرات.

ونور الأنوار يستحيل عليه هيئات وجهات ظلمانيّة، فلا يصدر منه شرّ بالذات.

---

(١) بما: ممّا B
(٢) كفاية: كناية A
(٣) تقف: يقف A
(٤) B160a
(٥) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(٦) الآخرة: الآخر A
(٧) السعادة: + بكثير P
(٨) تحت: في P
(٩) و: + أنّ P
(١٠) A251b
(١١) كثيرة: كثير A
(١٢) عنه: + لكن A
(١٣) أعني: عن B
(١٤) العالمين: العلمين A
(١٥) أي: و AB
(١٦) للزومه: للزومها A؛ للزومهما B
(١٧) اللازمتين: اللازمين AB

وكذا العقول لا يصدر منها شرّ بالذات، بل بعرض[١] الفقر اللازم منه الظلمةُ والحركة المقتضية للشرّ.

والفقرُ والظلمات لوازم ضروريّة للمعلولات، كسائر لوازم الماهيّة، الممتنعة السلب عن الماهيّة؛ لأنّ[٢] كون الشيء معلولاً يلزمه لماهيّته كونُه محتاجاً إلى غيره، وهو الفقر اللازم عنه الظلمات، بل الشرّ. فالشرّ لازم للمعلولات، يمتنع سلبه عنها[٣]، كامتناع سلب الزوايا الثلاث عن المثلّث، لمّا كانت لازمةَ ماهيّته وذاته.

[استحالة إيجاد العالم أتمّ وأحسن ممّا هو عليه]

ولمّا استشعر أن يُقال: لو خلِق المعلول بحيث لا يلزمه شرّ، كان أفضل وأولى؛ إذ الوجود إذا كان بريئاً عن الشرّ، كان أحسن[٤].

أُجيب بأنّه لا يُتصوّر الوجود إلّا كما هو عليه[٥]، بجميع ما اشتمل عليه من الأحكام والأحوال[٦]. ومن جملتها أنّ المعلول لا بدّ وأن يلزمه شرّ؛ إذ لو تُصوّر الوجود، وأمكن أن يكون أحسن ممّا هو عليه، لوُجد من الموجِب لذاته؛ لعدم البخل.

ولمن يقول بالمختار أن يقول: لا يمكن العالم أن يكون[٧] أحسن ممّا هو عليه؛ لأنّه:

ـ لو أمكن ذلك، ولم يَعلم أنّه يمكن إيجاد ما هو أحسن منه، فينافي علمَه المحيط بالكلّيّات والجزئيّات.

ـ وإن عَلم ولم يفعل مع القدرة عليه، فهو يناقض[٨] جودَه[٩] الشامل لجميع الموجودات.

---

(١) بعرض: يعرض AB
(٢) لأنّ: أنّ A
(٣) B160b
(٤) أحسن: + وأحرى P
(٥) عليه: + أي P
(٦) الأحكام والأحوال: الأحوال والأحكام B
(٧) العالم أن يكون: أن يوجد العالم P
(٨) يناقض: تناقض A || A252a
(٩) جوده: وجوده P

وهـذا ممّـا ذكره الغزّاليّ في بعض كتبـه[١]، ونقل عنه الشـيخ الكامل محيي الدين [العربيّ][٢] ـرضي اللّه عنهماـ في كتاب الفتوحات[٣]، واستحسنه، وهو حسن.

[عدم انتساب الشرّ إلى الفاعل إلّا بالعرض]

ويجب أن تعلم ـمع ما قد علمتَـ أنّ الشـرّ لا ذات له، بل الشرّ عدم ذات أو عدم كمال لذات. وما يوجَد شـرّاً إنّما[٤] هو لإفضائه إلى عدمٍ ما؛ إذ لو كان موجوداً ما فوّت شـيئاً على غيره، فليس شرّاً لغيره، ولا لنفسه أيضاً؛ لأنّ وجود الشيء لا يقتضي عدمَه، ولا عدمَ شيءٍ ممّا يكمّله[٥]. ولو اقتضى الشيء عدمَ بعض كمالاته، لكان[٦] الشرّ ذلك العـدم، لا هو. على أنّ اقتضـاء ذلـك غير معقول؛ فـإنّ الأشـياء طالبة لكمالاتها، لا مقتضية لعدمها، من حيث هي كمالات.

ويلزم من ذلك أنّ الشرّ لو كان موجوداً، لَما كان الشرّ شرّاً، وإلّا لكان شرّاً إمّا لنفسه أو لغيره. وليس، فليس. والإصبع الزائدة إنّما تؤخذ[٧] شرّاً لأنّها تُبطِل هيئةً[٨] مستحسنة عن اليـد، وكذا غيرها. وكما أنّ العدم بما هو عدم لا يُنسَـب إلى الفاعل إلّا بالعرض، كذلك الشـرّ لا ينسـب إلى الفاعل إلّا بالعرض[٩]، فلا[١٠] يحتاج إلى فاعل آخر، كما ظنّ مَلاحِـدة المجوس، وكـذا القدريّة[١١] الذين هم مجوس هذه الأُمّة[١٢]. كيف؟ وقد

---

(١) إحياء علوم الدين: ٤٩/١٦ (كتاب الإملاء)

(٢) العربيّ: المغربيّ ABP

(٣) الفتوحات المكّيّة: ٢٦٠/١

(٤) إنّما: لهما A

(٥) يكمّله: يكلّمه A

(٦) B161a

(٧) تؤخذ: توجد AB

(٨) هيئة: هيئات AB

(٩) كذلك الشرّ ... بالعرض: ـ AB

(١٠) فلا: ولا AB

(١١) كذا القدريّة: كالقدريّة AB

(١٢) مرويّ عن النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآلهـ أنّـه قـال: «القـدريّة مجوس هذه الأُمّة» (جـامع الأخبـار: ١٦١؛ عوالي اللئـالي: ١٦٦/١)، وعن أبي عبد اللّه ـعليه السلامـ أيضـاً بعين هـذه الألفـاظ. (التوحيـد للصدوق: ٣٨٢)

دريتَ أن لا واجب في الوجود إلّا واحد.

[ما يجب وجوده من الأقسام الخمسة للوجود بحسب خيره وشرّه]

والقسمة تقتضي[(١)]:

ـ خيراً لا شرّ فيه، يجب وجوده عن الحقّ الأوّل، كالعقول والنفوس الفلكيّة.

ـ وشرّاً لا خير فيه، ممتنع الوجود؛ لكونه العدم البحت.

ـ وشرّاً كثيراً مع خير قليل، فلا يحصل عن الخير[(٢)] المطلق هذا، ولا ما[(٣)] يتساوى خيره وشرّه؛ لأنّه ينافي الحكمةَ والخيّريّة.

ـ وخيراً كثيراً يلزمه شرّ قليل، يجب وجوده عن الواجب، ولا يجوز إهماله[(٤)]؛ فإنّ ترك خيرٍ كثير[(٥)] لشرٍّ قليل شرٌّ كثير. وهذا ـ كالماء والنار اللذين[(٦)] لا يتمّ نفعهما إلّا وأن يلزمهما بحسب مُصادماتِ أسبابٍ حرقٌ أو غرقٌ ـ نادرٌ. وكذا الإنسان وغيره[(٧)] من الحيوانات وإن كانت[(٨)] شريرة، فإنّ خيرها أكثر من شرّها.

[سبب استحالة خلق القسم الأخير بريئاً عن الشرّ]

وأمّا أنّه لِم لَم يُخلق هذا القسمُ بريئاً عن[(٩)] الشرّ، فيُجاب[(١٠)] عنه بأنّ هذا السؤال فاسد؛ لأنّه[(١١)] يتضمّن أنّ هذا القسم لِم ما جعِل غيرَ نفسه، ولِم جعِل الماءُ ماءً والنارُ ناراً. ولو تجرّد عنه لكان هو القسم الأوّل، ولَم يوجَد القسم الخامس، مع وجوب

(١) تقتضي: يقتضي A
(٢) الخير: الخيّر P
(٣) ما: ـ AB
(٤) إهماله: + على رحمة المبدع P
(٥) خير كثير: خيراً كثيراً AB
(٦) اللذين: الذين AB
(٧) A252b
(٨) B161b
(٩) عن: من P
(١٠) فيجاب: يجاب P
(١١) لأنّه: ـ AB

صـدوره عن الخيّر الجواد؛ إذ لا يجوز في رحمته إهمالُ المصـالح[١] والخيرات الكلّيّة لشرٍّ جزئيّ. أ لم ترَ أنّ الحكمة توجب قطعَ عضو لسلامة جسد[٢]؟

ولأنّ الموجودات إمّا خير محض، أو خير كثير يلزمه شـرّ قليل، كما في موجودات هذا العالم. فكان الشرّ أقلّ من الخير بكثير في هذا العالم؛ فإنّ الشرّ فيه أقلّ من الخير بكثير، مع أنّ هـذا العالم حقير بالنسـبة إلى عالم الأفلاك، الحقير بالنسـبة إلى عالم العقول، الحقير بالنسـبة إلى عالم الربوبيّة. والشـرّ لا اعتبار له أصـلاً بالنسبة إلى ذلك العالم؛ لجلالة[٣] ذلك وحقارة هذا.

ولو كان عالم الكون والفسـاد كلّه شـرّاً، لكان شـيئاً قليلاً بالنسـبة إلى كلّ الوجود. فكيف؟ والسـلامة فيه غالبة؛ إذ لا توجد هذه الشرور إلّا في حقّ الحيوانات، وهي أقلّ ما[٤] في الأرض. والذي لا يَسـلَم[٥] منها فإنّه في[٦] أكثر الأحوال يَسلَم، وإنّما يستضرّ في بعض الأحوال، وفي بعض الصـفات، لا في الكلّ. ونحن نعلم أنّ المرض والألم وإن كانا كثيرين، إلّا أنّ الصـحّة والسـلامة[٧] أكثر. وبهذا يُعلم أنّ الخير غالب، وأنّ الشرّ نادر وغير مقصود بالذات، وإن كان مُقدَّراً[٨]، بل بالعرض.

[شُبهتا غلبة الشرّ على الخلق، ومنافاة المعاقبة للقضاء والقدَر]

وقولُ مَن قـال: «لِم قلـتَ: إنّ الخير غـالـب، وأكثر النـاس الغالبُ عليهم مضـادُّ كمالاتهم من الجهل والغضـب والشـهوة. سلّمناه، لكن إذا كان الكلّ بالقضاء والقدر، فلم يُعاقَب[٩]» مدفوع.

---

(١) إهمال المصالح: إعمال الصالح A
(٢) جسد: حينئذٍ B
(٣) لجلالة: بجلالة AB
(٤) ما: ممّا AB
(٥) يسلم: نسلّم AB
(٦) في: ـ A
(٧) B162a
(٨) مقدّراً: مقداراً A
(٩) يعاقب: تعاقب A

[ردّ الشبهة الأُولى]

أمّا الأوّل: فبأنّه كما أنّ حال الأبدان على أقسام:

ـ بالغ في كمالاتها من الحُسن والصحّة.

ـ ومتوسّط[(١)]، هو الأكثر، على مراتب: بعضها أقرب[(٢)] إلى الطرف الأفضل، وبعضها إلى الأرذل.

ـ ونازل شديد النزول من القبح والسُقم، وهو أقلّ من المتوسّط، فضلاً عن مجموع القسمين.

فكذلك[(٣)] حال النفوس في الآخرة. فإذا أُضيف الطرف الأفضل ـوهو البالغ في العلم وحُسن الأخلاقـ إلى الطرف الأوسط، كانت السعادة والنجاة هي الغالبة[(٤)].

[ردّ الشبهة الثانية]

وأمّا الثاني: فبأنّ العقاب للنفس على خطيئتها ليس لمنتقمٍ من خارج، بل هي حاملةٌ عذابَها معها، فساقَها الاتّفاقاتُ القدَريّة إلى اقتراف[(٥)] الشهوات[(٦)] وارتكاب الجهالات[(٧)]، ففارقت متلطّخة، وردّ إليها أعمالها، فتأذّت بما معها، كالمتألّم لمرضه لنَهمة[(٨)] سابقة سائقة[(٩)] إليه. والكلّ بالقدَر الذي هو تفصيل القضاء الوحدانيّ، كالقضاء بموت زيد؛ فإنّه أمر واحد، وينفصل إلى موته في يوم كذا، في سنة[(١٠)] كذا، لمرض[(١١)] كذا.

---

(١) متوسّط: + و P

(٢) A253a

(٣) فكذلك: وكذلك AB

(٤) الغالبة: الغالب A

(٥) اقتراف: اقتران A

(٦) الشهوات: شهوات P

(٧) الجهالات: جهالات P

(٨) النهمة: الشهوة في الشيء. (لسان العرب)

(٩) سائقة: ـ AB

(١٠) سنة: سنته A

(١١) لمرض: بمرض P

ومن عرَف أنّ الوجود لا يمكن أن يكون أتمّ ممّا هو عليه[١]، وأنّ الأتمّ منه محال، والمحال غير مقدور عليه، وما لا قدرة عليه لا عجز عنه[٢]، يندفع عنه[٣] بذلك كثير من الإشكالات.

[سبب وقوع أكثر المتكلّمين في هذه الشبهات]

وأكثر من يقع في هذه الشُبَه المُضلّة هم الذين يظنّون أنّ الإنسان هو الغاية في خلق العالم بأسره، ويقيسون أفعاله تعالى على أفعالنا، ويجعلون له في أفعاله أغراضاً كما لنا، كأكثر المتكلّمين، «تعالى اللّه عنه علوّاً كبيراً»[٤]. >[٥]



(١) B162b

(٢) عنه: منه A

(٣) يندفع عنه: _ A

(٤) مقتبس من: القرآن الكريم: ٤٣/١٧

(٥) شرح حكمة الإشراق: ٤٩٥ _ ٤٩٩

[الفصل التاسع عشر: في ممانعة الظلمات عن مشاهدة عجائب العالم العقليّ]

[ممانعة الظلمات عن مشاهدة عجائب العالم العقليّ]

[(١)]< وهاهنا **تحقيق** لا بدّ من التنبيه عليه، يحسن أن يكون إلحاقاً لهذه المباحث، وهو **أنّ في العالم العقليّ والصُقع**[(٢)] **الإلهيّ عجائب لا يحيط بها عقولُ البشر المنغمسةُ في الظلمات. فما يشاهَد**[(٣)] **في عالم الجرم من الغرائب والعجائب** ـالتي أشرنا إلى بعضٍ منها في المباحث السابقة[(٤)]ـ، وإن كان قليلاً من كثير، وقطرة من بحر غزير، **فهناك** ـأي في العوالم العقليّة والمثاليّة والنوريّةـ ما هو **أطرف وأعجب؛ فإنّ تدبير المبدأ الأوّل**[(٥)] **المتقن وتنظيمه المحكم،** في هذا العالم الذي نحن به مقيّدون، وفي أسره محبوسون، وفي العوالم الغائبة عنّا، **لا تدركه أفكارنا** ما دُمنا في حيطة عالم الغربة؛ **فإنّ ظلماتنا** اللازمة لها بسبب حيطته والتعلّق بظلماته، **مانعةٌ** لنا **عن المشاهدة لتلك العجائب؛** فإنّ المقيم في الظلمات والمداومَ على الأُنس بها، يكلّ[(٦)] بصره عن إدراك النور ويضعف عن مشاهدته، كما هو معلوم بالتجربة. **ومَن طمع**[(٧)] **في الاطّلاع على عالم الربوبيّة وعالم العقل، مع تعلّقه بعالم الحسّ وعلائق الأجسام وموانع**[(٨)] **الظلمات، فقد طمع في غير مَطمَع**[(٩)].

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) الصقع: الصنع P

(٣) يشاهد: شاهد A

(٤) السابقة: السالفة B

(٥) A253b

(٦) يكلّ: تكلّ A؛ كلَلتَ من المشي: إذا أعيَيتَ. (لسان العرب)

(٧) B163a

(٨) موانع: مواقع A

(٩) وعلائق الأجسام ... مطمع: ـ P

كما[١] **أنّ الغائص**[٢] **في قعر اللُجّة لا يبصر السماء كمن هو في الهواء. فقِس ما غاب عنك** ـ من حقائق العوالم المذكورة، وما اشتملَت عليه من العجائب والغرائب واللطائف والظرائف، التي هي أعلى وأشرف وأكمل ممّا اشتمل عليه عالم الجرم ـ **على ما حضَرك** من هذا العالم، وما عرفتَ من عجائبه وغرائبه؛ لتعرف عجائب ما هناك بالمقايسة على ما هنا، **حتّى يأتيك**[٣] **العيان** بالتجرّد والانسلاخ عن العلائق المادّيّة والموانع الطبيعيّة، فتخلص عن عالم الجرم، وتصير في العوالم الأُخرى، فتعاينها مشاهدةً، وتطّلع[٤] عليها مكافحةً، وتستغني عن المقايسة بتلك المعاينة. >[٥]

[عجائب كلّ طبقة من طبقات العالم بقدر قربه إلى البارئ تعالى]

[٦]< وإنّما كان الأمر كذلك، لأنّه كلّما كان العالم أقرب إلى البارئ تعالى، كان أعظم وأجلّ قدراً وأكثر عجائب؛ وكلّما كان أبعد، كان الأمر بالعكس.

فالطبقة[٧] الطوليّة من العقول المجرّدة أقرب إلى المبدأ الأوّل. فهي أفخم قدراً، وأجلّ شأناً، وأكثر عجائب.

وبعدها الطبقة العرْضيّة من العقول، وهي أرباب الأصنام النوعيّة، وأصحاب الطلسمات الفلكيّة والعنصريّة ومركّباتها.

ثمّ النفوس المتعلّقة بالأشباح المثاليّة على[٨] ترتيبها، والحسّيّة بحسب[٩] درجاتها.

---

(١) كما: ـ AB

(٢) الغائص: الفائض B، الغائض P

(٣) يأتيك: تأتيك AB

(٤) تطّلع: يطّلع A

(٥) أنوار الحقيقة: ٧٤٠ (مع شرح وتفصيل)

(٦) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٧) فالطبقة: والطبقة AB

(٨) B163b

(٩) بحسب: تحت AB || A254a

ثمّ العالم المثاليّ على ترتيب طبقاته.

ثمّ العالم الحسّيّ على الترتيب والنظام الموجود فيه[١].

فأشرف الموجودات هو[٢] العلّة الأُولى، ثمّ العقول والنفوس. وأخسّ الموجودات هو عالمنا[٣] الذي نحن أُسراء بقيود الهيولى وسلاسل القوى وأغلال الحواسّ، خلّصنا اللّه ـ سبحانه[٤] ـ منه إلى العالم العقليّ والصُقع اللاهوتيّ، بمنّه وكرمه.

[شواهد من الروايات]

والذي يدلّك على كثرة العوالم وكثرة عجائبها[٥]، ما يُروى أنّ بني آدم عُشر الجنّ، والجنّ والإنس عُشر حيوانات البَرّ، وكلّ هؤلاء عُشر الطيور، وكلّهم عُشر حيوانات البحر[٦]، وكلّهم عُشر الملائكة الموكّلين بالأرض[٧] وبما فيها، وكلّ هؤلاء عُشر ملائكة سماء الدنيا، وكلّ هؤلاء عُشر ملائكة السماء الثانية، وعلى هذا الترتيب إلى السماء السابعة. ثمّ هؤلاء في مقابلة ملائكة الكرسيّ يسير. ثمّ كلّ هؤلاء عُشر ملائكة السُرادق الواحد من سُرادقات العرش، التي عددها ستّمئة ألف سُرادق، طول كلّ سُرادق وعرضه وسَمكه إذا قوبلت بجميع السماوات والأرض[٨] وما فيهما[٩] كانت شيئاً يسيراً حقيراً. «وما فيه موضع إلّا وفيه ملك ساجد، أو راكع، أو قائم»[١٠]، «لهم زَجَل[١١] بالتسبيح والتقديس»[١٢]. وكلّ هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين[١٣] يحومون حول العرش كالقطرة

---

(١) فيه: ـ P

(٢) هو: + العلي AB

(٣) عالمنا: + هذا P

(٤) سبحانه: + وتعالى P

(٥) وكثرة عجائبها: ـ P

(٦) البحر: البحور P

(٧) الملائكة الموكّلين بالأرض: ملائكة الأرض الموكّلين بها P

(٨) الأرض: الأرضين P

(٩) فيهما: + وما بينهما P

(١٠) عوالي اللئالي: ١٠٧/٤

(١١) زجل: أي صوت رفيع عالٍ. (لسان العرب)

(١٢) تفسير القمّيّ: ١٩٣/١

(١٣) الذين: الدين B || B164a

في البحر، لا يعرف عددَهم إلّا اللّه. وهذا ينبّهك على أنّ الأمر عظيم، والشأن جسيم.

وقال ـعليه[١] السـلامـ: «أطّت السماء، وحقّ لها أن تئطّ، ليس فيها موضع قدَمٍ إلّا وفيه ملك راكع أو ساجد»[٢].

ورأى ـصـلوات اللّه عليهـ ليلة المعراج ملائكة في موضـع يمشـي بعضـهم تُجاه بعض. فسـأل جبرئيـلَ: إلى أين يذهبون؟ فقال: لا أدري، إلّا أنّي أراهم[٣] منذ خلِقتُ يمشون ولا يرجعون، ولا أرى فيهم من رأيتُه قبل ذلك. ثمّ سأل واحداً منهم: منذ[٤] كم خلِقتَ؟ فقال: لا أدري غير أنّ اللّه ـسـبحانه وتعالىـ يخلق في كلّ[٥] أربعمئة ألف سنة كوكباً واحداً.[٦]

وهذه الأشـياء عن[٧] الصـادقينَ رموز وإشارات، تدلّ على أنّ الأمر عجيب والشأن غريب. فيجب على العاقل اللبيب أن يسـعى في تحصيل الكمالات العلميّة والعمليّة، ويستعدّ للرحلة والانتقال من هذا العالم الضيق الكثير الآلام والمصائب والأحزان إلى العالم[٨] الكريم والصُـقع الشـريف الفسـيح، الذي لا نهاية لفرحه وسـروره، ولا غاية للـذّاته وحبوره، من غير تغافل ولا تكاسـل؛ فإنّ الوقت سـيف قاطع، والأيّام تمرّ ولا تعود، والعمر يذهب ولا يؤوب. >[٩]

[عجز البشر عن إدراك كنه العالمَين الجسمانيّ والروحانيّ]

[١٠]< واعلَم أنّ أفاضـل البشـر قاصـرون عن إدراك كُنه العالم الجسـمانيّ، وكيفيّة

---

(١) عليه: + الصلاة و P

(٢) مرويّ عنه ـصـلّى اللّه عليه وآلهـ، كما في: عوالي اللئالي: ١٠٧/٤

(٣) أراهم: رأيتهم A

(٤) منذ: مذ P

(٥) A254b

(٦) التفسير الكبير: ٣٠٦/٢

(٧) عن: + الأنبياء P

(٨) العالم: + العظيم P

(٩) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٩٧/٣ _ ٦٩٩

(١٠) بـداية العبارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.

تناسب أجزائه، ووضع بعضها مع بعض، وما في كلّ واحد من تلك الأجزاء[١] وأعراضها من الحِكَم والفوائد. فكيف بإدراك العالم الروحانيّ، وما فيه من الحِكَم والفوائد، وكيفيّة ترتيبه؟ فلا يمكن أن يحيط به عقول البشر.

بل[٢] أقول: إنّ الحكماء الذين هم أفاضل الخلق، يعجزون ـ مع كثرتهم ـ عن إدراك حقائق أنفسهم، وتفاصيل أحوال أبدانهم، وجميع منافع[٣] كلّ واحد من أعضائه، وتناسب وضعها وترتيبها، وما في كلّ واحد من تلك الأعضاء من القوى الجسمانيّة المُدرِكة والمحرّكة والقوى النباتيّة والطبيعيّة، وسريان آثارها في جميع البدن، وحفظ الأنواع والأشخاص الغير المتناهية بها. بل الذي أدركوا[٤] من ذلك شيء يسير.

وإذا كانت هذه حال الإحاطة بالإنسان نفسه وبدنه، [ولا تُمكِن][٥] على ما ينبغي، بل هي متعذّرة، فكيف يكون الإحاطة[٦] بجميع العالم الجسمانيّ والروحانيّ، ودقائق الصنع الذي فيهما، وعجائب آثار العناية الإلهيّة؟ إلّا أنّا مع هذا التقصير الموجود في طبعنا والقصور[٧] الحاصل في أنفسنا[٨]، نشير إلى شيء ممّا يُستدَلّ به على عظمة الصانع ـ جلّ جلاله، وتقدّست أسماؤه[٩] ـ، يكون أُنموذجاً يُعرَف به بالمقايسة ما غاب عنّا، ولم يقوَ على معرفته طباعُنا. >[١٠]

[بيان العشق والشوق]

[١١]< فنقول: إنّ لكلّ واحد من الموجودات العقليّة والنفسيّة[١٢] والحسّيّة والطبيعيّة

---

(١) الأجزاء: الإجراء B || B164b
(٢) بل: + و AB
(٣) منافع: منافه P
(٤) أدركوا: أدرك P
(٥) ولا تمكن: لا يمكن AB
(٦) الإحاطة: لإحاطة A
(٧) طبعنا والقصور: الطبع والعجز P
(٨) أنفسنا: النفس P
(٩) A255a
(١٠) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٢١/٣ ـ ٦٢٢
(١١) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٢) والنفسيّة: ـ AB

كمالاً[١]، و[له][٢] عشق وشوق إلى ذلك الكمال.

والعشــق[٣] يختصّ بـالجواهر العقليّـة التي هي بـالفعـل من جميع الوجوه، دون الشــوق. ولغيرهـا من أعيان الموجودات التي يُتصــوّر فيها الفقد[٤] لِما فيها من القوّة عشـقٌ وشوق، للإراديّ[٥] بحسبه، وللطبيعيّ[٦] بحسبه؛ فإنّ كلّ واحد من الموجودات لمّا كان له كمال من الواجب لذاته بحســب مرتبته في الوجود، فكلّما[٧] كان الموجود أقرب منـه تعـالى كـان كمـالـه أتمّ، وكلّمـا كـان أبعـد كـان كمـاله أنقص؛ فإنّ جميع الموجودات لمّا لم تخلُ[٨] عن غياية[٩] الواجب لذاته وظلّه -إذ لو خلا شيء عن ذلك لانطمس[١٠] ولم يمكن وجوده[١١]-، تلـك الغيـاية[١٢] والظلّ تتفاوت[١٣] بالنســبة إلى شدّة القرب والبُعد. وإذا كان كذلك، فكلّ موجود له كمال، فهو لذاته وطبيعته نازع[١٤] ظـلَّ ذلك الكمال المقدَّر له. فيكون لا مَحالة عاشــق في حال وجوده لذلك الكمال، وعاشق له[١٥] ومشتاق إليه عند فقده له.

[الفرق بين العشق والشوق]

فالعشق حاصل للشيء في حالة[١٦] وجوده لكماله، وفي حالة عدمه عنه. وأمّا الشوق

---

(١) كمالاً: كمال AB
(٢) له: _ AB
(٣) والعشق: فالعشق B165a ‖ P
(٤) الفقد: القوّة AB
(٥) للإراديّ: الإراديّ AB
(٦) للطبيعيّ: الطبيعيّ AB
(٧) فكلّما: فكان كلّما AB
(٨) تخل: تحلّ A
(٩) غياية: عناية AB؛ الغياية: ظلّ الشــمس. (لسان العرب)
(١٠) لانطمس: وانطمس AB
(١١) وجوده: + و AB
(١٢) الغياية: العناية AB
(١٣) تتفاوت: يتفاوت A
(١٤) نازع: + إلى P
(١٥) له: _ AB
(١٦) حالة: حال A

فلا يكون حاصلاً إلّا[١] في حالة[٢] فقده فحسب. ولذلك كان العشق سارياً في جميع الموجودات، والشوق غير سارٍ، بل يختصّ بما يُتصوّر في حقّه الفقد[٣]؛ فإنّك إذا نظرتَ في الموجودات وتأمّلت أحوالها، وجدتَها ينقسم:

ـ إلى ما له حياة وإدراك.

ـ وإلى[٤] ما ليس له ذلك.

و[٥] **الأوّل**: هو الواجب لذاته والعقول المجرّدة، وهي غير منفكّة عن العشق.

أمّا الواجب فهو عاشق لذاته ومعشوق لذاته.

وأمّا الجواهر العقليّة فعاشقة له.

وأمّا النفوس الفلكيّة والإنسانيّة فلها العشق والشوق[٦].

وأمّا القسم الثاني: ـ أعني ما لا[٧] حياة له ولا إدراك ـ فهو إمّا نبات أو غيره.

فالنبات[٨] له بحسب كلّ قوّة من قواه شوقٌ.

فله بالنسبة إلى القوّة الغاذية شوقٌ إلى حصول[٩] الغذاء عند احتياجه إليه، وشوقٌ عند استحالة الغذاء إلى جوهره أن يُنميه[١٠]، ويجعله جزءاً من جوهره، ويزيده في الأقطار.

وكذلك له بحسب القوّة المولّدة شوقٌ إلى اختزال قدر من خلاصة الغذاء، بجعله[١١] مبدأً لآخر من نوعه.

---

(١) إلّا: ـ AB

(٢) حالة: حال P

(٣) الفقد: ـ P

(٤) B165b

(٥) و: فالقسم P

(٦) الشوق: المعشوق A

(٧) A255b

(٨) فالنبات: فالبنات B

(٩) حصول: حضور P

(١٠) ينميه: تنمية A

(١١) بجعله: لجعله P

وكذا باقي القوى[١] النباتيّة[٢]، فمِن لوازم جميعها حصول الشوق والعشق.

وأمّا غير النبات[٣] ممّا لا حياة له، فلا يخلو من[٤] أن يكون هيولى، أو يكون صورة، أو عرضاً.

والهيولى عشـقُها للصور ظاهر؛ فإنّها إذا فارقت صورة من الصور[٥] استبدلت بدلها صورة أُخرى على الفور؛ إشفاقاً من ملازمة العدم المحض.

وكذلك الحال في الصور الملازمة لمَحالّها الغير[٦] المنتقلة عنها إلى محلّ آخر.

وكذلك الأعراض اللازمة[٧] لموضوعاتها ومَحالّها، وذلك كلّه لشوق وعشق[٨] لكلّ واحد منها في طبيعته.

[استدلال الحكماء على سريان العشق في جميع الموجودات]

وذكَر الحكمـاء وجهـاً لمّيّـاً عـامّاً في أنّ كلّ واحد[٩] من الموجودات لا يخلو عن العشـق، فقالوا: جميع هويّات الموجودات كما[١٠] لم يكن وجودها من ذاتها، بل من عللها الفيّاضـة[١١]، فكذلك كمالاتها مسـتفادة من تلك العلل التي لها. ولمّا لم يكن تلك[١٢] العلل[١٣] قاصـدةً لإيجاد شـيء من الموجودات، ولا لشـيء[١٤] من كمالاتها، وجب في الحكمة الإلهيّة والعناية الربّانيّة [و][١٥] حسن التدبير وجودة النظام أن يكون في كلّ موجود عشـق كلّيّ؛ ليكون بذلك حافظاً لِما حصـل له من الكمالات اللائقة

---

(١) القوى: القوّة A
(٢) النباتيّة: البناتيّة B
(٣) النبات: البنات B
(٤) من: إمّا AB
(٥) صورة من الصور: ـ AB
(٦) الغير: لا غير P
(٧) اللازمة: الملازمة A
(٨) عشق: + و AB
(٩) B166a
(١٠) كما: لمّا AB
(١١) عللها الفيّاضة: عليها للفيّاضة A
(١٢) تلك: ـ AB
(١٣) العلل: الكلّ A
(١٤) لشيء: شيء P
(١٥) و: ـ ABP

به[١]، ومشتاقاً إلى تحصيلها عند فقدانها، فيكون ذلك سبباً للنظام الكلّيّ وحسن الترتيب الجزئيّ.

وهذا العشق الموجود[٢] في كلّ واحد من أعيان الموجودات غيرُ مفارقٍ لها؛ إذ لو جاز مفارقتها، لَافتقرت إلى عشق آخر يكون حافظاً[٣] للعشق الأوّل عند وجوده، ويستردّه عند عدمه، ويصير أحد العشقين معطّلاً، وذلك محال.

فعُلم أنّ العشق سارٍ في جميع الموجودات وأجزائها، لا يجوز خلُوّ شيء منها عنه. فجميع الموجودات بحسب ما لها من الكمالات اللائقة لها[٤]، طالبةٌ لكمالات الواجب[٥] الوجود لذاته، متشبّهةٌ به في تحصيل ذلك الكمال. فالبارئ ـ جلّ شأنه، وتقدّست أسماؤه ـ هو غاية جميع الموجودات[٦] ونهاية مرامها.

[مذهب المصنّف في سريان العشق في الموجودات]

فالعشق والشوق سبب[٧] وجود الموجودات على كمالاتها الممكنة لها، وسبب[٨] دوامها. ولو لا العشق والشوق لَما أمكن حدوث حادث في العالم الجسمانيّ، بل ولا وُجد موجود في العالم الروحانيّ؛ لأنّك إذا تأمّلتَ أرباب الأنواع وأصحاب الأصنام وكيفيّة تدبيرهم لأنواع الأجسام وأشخاصها واعتنائهم بها، عرفتَ أنّهم[٩] يدبّرونها بأنواع التدابير المختلفة. فعلى الحقيقة هم العشّاق للواجب لذاته ولعِلَلهم العقليّة، ولهم عناية عظيمة بالأجسام التي هي أصنامهم، فيدبّرونها بأحسن ما[١٠] يليق باستعداداتها[١١] على

---

(١) به: ـ AB
(٢) الموجود: موجود AB
(٣) A256a
(٤) لها: بها P
(٥) الواجب: ـ AB
(٦) B166b
(٧) سبب: بسبب B
(٨) سبب: بسبب B
(٩) أنّهم: + هم الذين P
(١٠) ما: تدبير P
(١١) باستعداداتها: باستعدادها P

وجه الحكمة والمصلحة. وبهذا المعنى يسقط[١] سريان العشق في جميع الموجودات العقليّة والحسّيّة، بل ولا يصحّ سريانه إلّا[٢] في الموجودات العقليّة والنفسيّة فحسب. ويكون عشق القوى النباتيّة[٣] لِما هي بصدده من أفعالها، وعشقُ كلّ من الهيولى والصورة للآخر، والأعراضِ لموضوعاتها، من آثار العناية وحسن التدبير[٤] لأرباب الأصنام، فافهَم ذلك.

[انتقاش جميع ما في عالم الكون والفساد في الفلك]

ومن العجائب الواقعة في العالم أنّ كلّ شيء ممّا في عالم الكون والفساد ـ ما وُجد، وما سيوجَد من أوّل الدور وآخره ـ منقوشٌ مصوَّر في الفلك على ما هو موجود عندنا، كلّ نوع بجميع أشخاصه وهيئاته، وكلّ إنسان وفرس وتين وعنب وذهب وفضّة[٥] وغيرها من باقي أشخاص الأنواع، منقوشٌ مع[٦] جميع أحواله من أوّل نُشوئه إلى فنائه، مصوَّرٌ[٧] بجميع حركاته وسكناته، كما قال في[٨] الكتاب الإلهيّ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۞ وَكُلُّ صَغيرٍ وَكَبيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[٩]، وقوله: ﴿ما أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا في أَنْفُسِكُمْ[١٠] إِلّا في كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾[١١]، وقوله: ﴿وَمَنْ[١٢] عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾[١٣]. وكتاب اللّه تعالى لا يكون الكاغذ وجلد الضأن والمَعز، بل ما يليق بجلاله وعظمته.

---

(١) يسقط: + مباحث P
(٢) سريانه إلّا: ـ AB
(٣) النباتيّة: البناتيّة B
(٤) التدبير: + الذي P
(٥) ذهب وفضّة: ذهبه وفضّته A
(٦) مع: من A
(٧) B167a
(٨) A256b
(٩) القرآن الكريم: ٥٢/٥٤ ـ ٥٣
(١٠) في الأرض ... أنفسكم: ـ AB
(١١) القرآن الكريم: ٢٢/٥٧
(١٢) من: ـ AB
(١٣) القرآن الكريم: ٤٣/١٣

وكتُبه نوعان:

أحدهما: العقول المجرّدة.

وثانيهما: النفوس المدبّرة.

فالعقول منقوش فيها الروحانيّات.

وينقش في[١] أجسام[٢] النفوس ـأعني الأفلاكـ جميعُ الجسمانيّات وهيئاتها، كما قال: ﴿وَلا رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إِلّا في كِتابٍ مُبينٍ﴾[٣]. وكلّ نوع من الأنواع العنصريّة البسيطة والمركّبة مع جميع أشخاصه، مصوَّر في الأفلاك، ومنقوش في كلّ واحد منها بجميع هيئاته الجسمانيّة، وعدد[٤] أشخاص كلّ نوع، وكم يقع في كلّ نوع في كلّ[٥] دور، وغير ذلك من الأحوال التي يمكن وقوعها في الوجود.

وبالجملة جميع[٦] ما يحصل في كلّ واحد من أشخاص الأنواع، وما يصدر عن كلّ واحد منها من[٧] دقيقها وجليلها، فالكتب الإلهيّة والألواح العِلويّة منقوشة بجميعها، «لا تُغادر[٨] صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصَتها[٩]»[١٠] وضبطَتها[١١].

[كيفيّة انتقاش الأجسام في الأفلاك]

و[١٢] هاهنا بحث، وهو[١٣] أنّ الأفلاك أجسام بسيطة[١٤] شفّافة خالية عن جميع[١٥]

---

(١) ينقش في: نقش A، نفس B

(٢) أجسام: أحكام AB

(٣) القرآن الكريم: ٥٩/٦

(٤) عدد: عدم B

(٥) كلّ: ـ AB

(٦) جميع: ـ AB

(٧) منها من: ـ AB

(٨) تغادر: يغادر AB

(٩) أحصتها: أحصاها AB

(١٠) مقتبس من: القرآن الكريم: ٤٩/١٨

(١١) ضبطتها: يضبطها AB

(١٢) و: يبقى P

(١٣) وهو: ـ AB

(١٤) بسيطة: + متشابهة P

(١٥) جميع: ـ P

الألوان وسـائر الكيفيّات. فكيف يُتصـوّر فيها الجسـمُ[١] المتّصـف بالسـواد والبياض وســائر الألوان والطعوم والروائح، وغير ذلـك من الألوان التي لا يمكن نقشــهـا في الأفلاك البسيطة؟

أُجيب عنه[٢]: أنّ الأفلاك أُبدِعت منقوشـة ومصوَّرة بجميع الكائنات على الوجه[٣] المذكور، وتلك النقوش والتصـاوير في سطوحها المقعّرة والمحدّبة مملوءة منها على التناسب والترتيب الموجود. فما[٤] أمكن نقشه فهو منقوش، كصورة[٥] الإنسان والفرس والبعوضـة وغيرها من باقي الأشخاص، وكذا شكله وتخاطيطه ومقداره، وغير ذلك ممّا يمكن نقشه.

وهذه الصـور والنقوش غير محسـوسة؛ لأنّها في أجرام الأفلاك وسطوحها[٦] الغير المحسـوسـة، فما يكون فوقها[٧] يكون أيضـاً كذلك، فيجب أن يكون الصور والنقوش التي في الأجرام الفلكيّة على ما يليق بحالها.

وأمّا الهيئات التي لا يمكن تصـويرها، فتكون[٨] منقوشــة ومكتوبة على وجهٍ آخر، وهو حصـــول كلّ صـــورة منها بجميع[٩] أحوالها بالخطّ الإلهيّ اللائق بحال الأفلاك، على نحو كتابة دسـاتير[١٠] الدواوين وما يناسب ذلك. وإلّا فالأفلاك سطوحها المقعّرة والمحدّبة مسـتوية، لا نُتوء[١١] ولا تقعير فيها ليلزم وقوع الخلأ، فلا يُدرَك تلك الصـور بالحواسّ الظاهرة.

---

(١) B167b

(٢) أُجيب عنه: والجواب P

(٣) الوجه: + المفصّل P

(٤) فما: ما P

(٥) كصورة: بصورة P

(٦) A257a

(٧) فوقها: فيها P

(٨) فتكون: فيكون AB

(٩) بجميع: جميع P

(١٠) دساتير: دساتين AB

(١١) نتأ الشيء: خرج من موضعه من غير أن يَبين. (لسان العرب)

والذي يدلّ على أنّ كلّ شـــيء مصـــوَّر في الأفلاك بجميع أحواله، ما يراه[١] الناس في[٢] مناماتهم من أحوال الأشــخاص والأنواع، بل ما يرى الشــخص الواحد في النوم على أحوال شتّى، فيراه[٣] صغيراً مرّة وكبيراً أُخرى، وشابّاً مرّة وشيخاً أُخرى، وغير ذلك من الأحوال المختلفة والهيئات المتفاوتة. >[٤]



(١) يراه: تراه AB

(٢) B168a

(٣) فيراه: فيريه A

(٤) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٢٦/٣ _ ٦٣١

[الفصل العشرون: في بيان أنّه لا مؤثّر في الحقيقة إلّا اللّه]

[بيان أنّه لا مؤثّر في الحقيقة إلّا اللّه]

ولنُشِر[١] إلى **تذكير** لشيء قد سلف -في ما سبق من المباحث- الإشارةُ إليه، ينبغي أن يتمّ به هذه المباحث. فاعلَم أنّ **ما أشرنا إليه من إثبات الوسائط وإسناد التأثير إليها، لا تظنّ أنّه مانع من إسناد الكلّ إليه، بل لا فاعل في الحقيقة عندنا سواه؛ فإنّه لا يُتصوّر استقلالُ فاعلٍ منها بتأثير آثاره في حضور قهره العليّ.**

واعتبر بنور الشمس وقهره على سائر أنوار[٢] الكواكب؛ فإنّ النور التامّ يقهر[٣] الناقص في تأثيره، ولهذا انطمست أنوار الكواكب بطلوع الشمس، فلا تظهر معها، ولا يظهر لها آثار عند تأثيرها، حتّى يصير الفعل بالحقيقة للشمس.

ولمّا كان المبدأ الأوّل إشراقه غير متناهٍ قوّةً وشدّةً، كان قاهراً لِما دونه، فهو الفاعل الغالب مع كلّ واسطة، ومُعطيها فعلها، والفائض عليها[٤] التأثير. فهو الخلّاق المطلق، وهي في الحقيقة شروط. فهو الفاعل بذاته على الحقيقة؛ إذ ما عداه شعاع منه، أو[٥] شعاع من شعاع منه. فما عداه ضعيف مقهور[٦] لأنواره وأشعّة ذاته. فليس شأن في الوجود ليس فيه شأنه[٧]، منه المبدأ[٨] وإليه المنتهى. نعم! قد يتسامح المشايخ في نسبة الفعل إلى غيره على سبيل المجاز، لا الحقيقة؛ إذ لا مؤثّر في الحقيقة إلّا اللّه تعالى.

---

(١) لنشر: لنشير AB

(٢) أنوار: أنواع B

(٣) يقهر: يقهره A

(٤) عليها: ـ A

(٥) A257b

(٦) مقهور: مقهورة A

(٧) B168b

(٨) منه المبدأ: مبدأ A

[(١)]< وذلك لأنّه لمّا لم يُتصوّر استقلال النور الناقص ـكأنوار الكواكب وغيرهاـ بتأثير إنارة[(٢)] أو غيرها في مشهد ـأي[(٣)] حضورـ نور[(٤)] يقهره، كنور الشمس، دون غلبة النور التامّ[(٥)] على ذلك الناقص في نفس ذلك التأثير ـإنارةً[(٦)] كان أو غيرهاـ، كان نور الأنوار ـلشدّة نوره وقهره لسائر الأنوارـ هو المؤثّر بالحقيقة في جميع الأنوار والظلمات، ومُعطيها أنوارها[(٧)].

واعتبر بغلبة نور الشمس على أنوار الكواكب وغيرها، وصيرورتها غير محسوسة مع وجودها في نفس الأمر، وغير متمكّنة مِن فعلٍ[(٨)] عند غلبة نور الشمس عليها، فكان الفعل بالحقيقة للشمس.

ولأنّ العوالم متناسبة. فنور الأنوار ـلكونه غير متناهٍ قوّةً وشدّةً، و[(٩)] قاهراً لجميع ما دونه من الأنوار[(١٠)]ـ هو الفاعل الغالب مع كلّ واسطة، والمحصّل من تلك الواسطة فعلُها، والقائم على كلّ فيض. فهو الخلّاق المطلق مع الواسطة التي هي أشعّة ذاته؛ لأنّها في الحقيقة شروط الفعل، ودون الواسطة. فهو الفاعل بذاته على الحقيقة؛ إذ ما عداه إمّا شعاع منه، أو شعاع من شعاع منه، فما عداه أشعّته الضعيفة المقهورة لأنواره المُنيفة. ليس شأن في الوجود ليس فيه شأنه[(١١)]، منه المبدأ وإليه المنتهى.

على أنّه قد يُتسامح في نسبة الفعل إلى غيره؛ لأنّ نسبة الفعل إلى غير نور الأنوار

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(٢) إنارة: آثاره AB
(٣) أي: ـ AB
(٤) نور: نوره A
(٥) النور التامّ: ذلك التأثير AB
(٦) إنارة: آثاره AB
(٧) كان نور الأنوار ... أنوارها: ـ P
(٨) فعل: + في هذا العالم P
(٩) و: ـ AB
(١٠) الأنوار: + و AB
(١١) B169a

على سبيل المجاز، لا الحقيقة؛ إذ لا مؤثّر على الحقيقة[١] إلّا اللّه. >[٢]

إلّا أنّه لمّا خفي على أكثر العقول المنغمسة في الظلمات مشاهدةُ ذلك النور لشدّة ظهوره، كان مطالعتها متوجّهةً[٣] إلى ما دونه ممّا قويَت على إدراكه. فشاهدَت الآثار القريبة إليه، فتوهّمَت[٤] أنّها منه؛ لشدّة الاتّصال والقرب، فنسبَت[٥] الفعلَ إليها بواسطة ما شهدَته.

فأمّا مع التجرّد عن هذه[٦] العلاقة والتعمّق في التوصّل إلى مشاهدة النور الأتمّ، فإنّه لا يشاهد معه غيره؛ لانقهارها واضمحلالها في مشهده، فلا يدركها، فضلاً عن إدراك آثارها، فلا يدرك سواه وفيضه المُشرِق على الكلّ. فحينئذٍ لا ينسب فعلاً إلى غيره.

ويظهر في المرتبة الأُولى سرُّ التكليف، وبعث الأنبياء، ونصب الأولياء، ومقام الوعد والوعيد، وهو المقام الأغلب على الخلق[٧].

وفي المرتبة الثانية يظهر سرُّ التوحيد الجمعيّ الحقيقيّ، الذي يضمحلّ عنده كلّ شيء، وفيه يضمحلّ ملاحظة الأعمال كلّها، لا فعلها وتركها كما يزعمه بعض الجهّال.

فاعلَم ذلك وتدبَّره؛ فإنّه سرٌّ عظيم، وأمر جسيم، وقع فيه خبط أهل الظواهر من أهل الكلام[٨].

[الواجب لذاته هو نور الأنوار]

وهاهنا تنبيه يتمّ به الاطّلاع على هذا البحث، وغيره من المباحث السابقة[٩]. وهو

---

(١) على الحقيقة: _ P
(٢) شرح حكمة الإشراق: ٣٧٤ _ ٣٧٥
(٣) متوجّهة: متوجّه A
(٤) A258a
(٥) فنسبت: قلبت A
(٦) هذه: هذا A
(٧) الخلق: الحلق B
(٨) B169b
(٩) السابقة: السالفة B

أنّـه لمّـا كان الوجود كلّه [نوراً][١]، وجب أن يكون الواجب منه لنفســه ولذاته الذي لا يحتـاج إلى غيره، هو النور الذاتيّ، والنور بالحقيقة، ونور الأنوار. فهو المبدأ لجميع[٢] الأنوار الذاتيّة والعارضة، والظلماتِ الجسميّة والعرضيّة، بل لا وجود حقيقيّ غيره. فهو الواحـد الحقيقيّ، والوجودُ المطلق العريّ عن القيود، المعبّرُ عنه عندهم بنور الأنوار، جلّ وعلا [عن][٣] أن يحيط به العبارات أو يوصَف بالصفات.

فمـا كـلّ معـلوم يُبـاح مصـونه ... وما كلّ ما أملَت عيون الظباء يروى[٤]

* * *

وإنّ قميـصاً خيط مـن نسج تسـعة ... وعشرين حرفاً عن [معاليه][٥] قاصر[٦]

[٧]< فإنّه قد [تقرّر][٨] وجوبُ انتهاء الأنوار القائمة بذاتها والغواسق[٩] وهيئاتها إلى نور مجرّد عن جميع الموادّ، قائم بذاته، ليس وراءه نور. فهو[١٠]:

ـ نورُ الأنوار؛ لأنّ الجميع[١١] منه.

ـ والنورُ المحيط بجميعهـا[١٢]؛ لشـدّة ظهوره، وكمـال إشـراقـه[١٣] ونفوذه فيهـا بلطفه[١٤].

---

(١) نوراً: نور AB

(٢) لجميع: بجميع A

(٣) عن: ـ AB

(٤) لم أعثر على قـائلـه، وأقـدم مصـدره: إعجاز البيان: ٣٠٠

(٥) معاليه: معانيه AB

(٦) منسوب إلى الجنيد البغداديّ، كما في: البياض: ٤٨٦/١

(٧) بـدايـة العبـارات المنقولـة من: شـرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

(٨) تقرّر: يقرّر AB

(٩) الغواسق: العارضة والبرازخ P

(١٠) فهو: وهو P

(١١) الجميع: جميعها P

(١٢) بجميعها: لجميعها A، بجميع الأنوار P

(١٣) A258b

(١٤) بلطفه: للطفه P

ـ والنورُ القيّوم؛ لقيامه بذاته، وقيام الجميع به.

ـ والنورُ المقدّس المتنزّه عن[١] صفات النقص التي أُمّها[٢] الإمكان.

ـ والنورُ الأعظم الأعلى؛ إذ لا أعلى ولا أعظم منه.

ـ والنورُ القهّار؛ لقهره الكلّ بشدّة إشراقه وقوّةِ لمعان نوره الغير المتناهي شدّةً وقوّةً؛ إذ سائر الأنوار المجرّدة أشعّة[٣] ضعيفة[٤] من[٥] لمَعان[٦] إشراق شمسه وتلويحاتِ [لمَحات][٧] بروقه[٨]، وغيرُ منفصلة عنه، بل متّحدة به نوعاً من الاتّحاد.

واعتبره[٩] باتّحاد نور[١٠] الكواكب وأشعّتها في النهار بنور الشمس وشعاعها. فالنور[١١] العظيم العالي مشتمل على[١٢] الكلّ؛ ضرورةَ اشتمال الأشدّ من النور[١٣] وإحاطته بالأضعف[١٤]، كإحاطة نور الشمس بنور الكواكب. فيصير الأنوار كلّها كالشيء الواحد، والجوهر الواحد[١٥]؛ لأنّها كلّها أنوار مجرّدة محضة[١٦]، لا ظلام فيها[١٧]. ولشدّة نورانيّتها وقوّةِ إشراقاتها وإفراطِ ظهورها، تتجافى عنها الحواسّ، وتنبو عنها[١٨] القوى. فلا يدركها الأبصار، ولا يجول[١٩] فيها الخيال، ولا ينفذ فيها الأوهام، ولهذا لا يصل إلى إدراكها أكثر الأنام.

---

(١) المتنزّه عن: المنزّه عن جميع P
(٢) التي أُمّها: حتّى P
(٣) أشعّة: ـ AB
(٤) B170a
(٥) من: في AB
(٦) لمعان: لمحات P
(٧) لمحات: لمعات AB، لمعان P
(٨) بروقه: برقه P
(٩) اعتبره: اعتبروه AB
(١٠) نور: ـ AB
(١١) فالنور: والنور P
(١٢) على: ـ A
(١٣) الأشدّ من النور: النور الأشدّ P
(١٤) بالأضعف: بالضعف A
(١٥) كالشيء الواحد والجوهر الواحد: كأنّها جوهر واحد P
(١٦) محضة: محيطة A
(١٧) فيها: + ولا تباين بينها P
(١٨) عنها: منها P
(١٩) يجول: يحول A

[وجوب غنائه المطلق]

فهو الغنيّ المطلق(١)؛ إذ ليس وراءه شــيء من مراتب العُلوّ(٢) ليفتقر إليه، فلا يفتقر في ذاته ولا في كمالٍ له إلى غيره، فهو الغنيّ المطلق. >(٣)

[وجوب كونه حيّاً مدرِكاً لذاته]

ولمّا كان واهب(٤) جميع الأنوار [نوراً مجرّداً](٥)، وجب أن يكون حيّاً مُدرِكاً لذاته؛ لأنّه نور بنفســه، وإدراكه لنفســه هو عين إدراكه لغيره؛ لأنّها ناشــئة من ذاته، ولِما بينه وبينها من الاتّحاد.

فتفطَّن ـأيّدك اللّهـ لِما لوّحوا به في هذه الإشـارات الإشـراقيّة؛ فإنّها سـرّ الأسرار، وذوق الحكماء الكبار. فلتكُن على ذهنك(٦)؛ ليكون تأنيساً لك في ما أنت بصدده من مباحث هذا(٧) الكتاب. واللّه الموفِّق للصواب، والهادي إلى حسن المآب.



(١) المطلق: لذاته AB

(٢) مراتب العلوّ: المراتب العليّة P

(٣) شرح حكمة الإشراق: ٢٩٨ ـ ٢٩٩

(٤) واهب: الواهب B

(٥) نوراً مجرّداً: نور مجرّد AB

(٦) B170b

(٧) هذا: هذه A

[الفصل الحادي والعشرون: في بيان أنّ الحقائق العقليّة هي الحقائق الحقيقيّة]

[بيان أنّ الحقائق العقليّة هي الحقائق الحقيقيّة]

واعلَم أنّ من جملة تلويحاتهم **[تلويحاً]**(١) يُعلم به كيفيّة(٢) الانطباق بين عالم المثال والعالم الجرميّ، وبين العالم(٣) الحقيقيّ الذي هو العالم العقليّ والعالم الشهوديّ. وهو أنّك **إذا دقّقتَ**(٤) **نظرك** ـ بإمعان البحث أوّلاً، ثمّ بتلطيف السرّ ثانياً، ثمّ بتحدّس الأحوال العارضة في مرآة النفس ثالثاً ـ **وجدتَ** عند ذلك التدقيق أو بعده **أنّ الحقائق العقليّة هي الحقائق الحقيقيّة**(٥)؛ لأنّها لا تتغيّر(٦) ولا تتبدّل(٧) عمّا هي عليه في أنفسها، وإن ظهرت(٨) للنفس في مرائي متعدّدة، ومظاهر شتّى، وصور كثيرة تظهر في ملابسها بمعانٍ متغايرة؛ فإنّها مع ذلك في جميع الأحوال متحدّدة غير متغيّرة.

وهذه المحسوسات ـ وهي الصور الظاهرة في مدارج النفس ـ **مظاهرها**، فهي في الحقيقة محلّ ظهورها على النفس في تنزّلاتها. **فهي** ـ أي تلك الصور المحسوسة الظاهرة على مدراج النفس ـ **مراياها** يظهر فيها أشباحها. فتبدّلُها وتغيّرُها بواسطة المرايا المتبدّلة لا(٩) يوجب تبدّلَها ولا تغيّرَها عن وحدتها الذاتيّة، وإن ظهرت بتلك المرايا في صور متغايرة.

---

(١) تلويحاً: تلويح AB
(٢) A259a
(٣) العالم: عالم A
(٤) دقّقت: وقفت A
(٥) الحقيقيّة: بالحقيقة B
(٦) تتغيّر: يتغيّر A
(٧) تتبدّل: تبدّل A
(٨) ظهرت: طهرت B
(٩) لا: إلّا A

فالعالم الحقيقيّ هو المثاليّ، والعالم الجرميّ(١) هو الخياليّ؛ إذ(٢) لمّا ظهر أنّ الحقائق العقليّة(٣) لا تتغيّر(٤)، وأنّها هي الحقائق، وأنّ الصور الحسّيّة ليست كذلك، وإنّما هي مراياها ومواضع ظهورها، ظهر أنّ العالم الحقيقيّ المتأصّل في الوجود ـ الذي لا يتغيّر ـ هو العالم المثاليّ الظاهرُ فيه جميع الأشباح، والعالم العقليّ المتأصّلُ فيه جميع الحقائق الكونيّة وغيرها. وإنّما كان الأمر كذلك، لِما عُلم من عدم تغيّره، وأنّه على ما هو عليه أزلاً وأبداً. ولا كذلك العالم الجرميّ الظاهر بالصور الجرميّة، التي عُلم أنّها مرايا يظهر(٥) فيها الحقائقُ المتأصّلة في ذلك العالم. بل ظهر أنّ هذا العالم هو ـ عند التحقيق ـ كالخيال الظاهر بالنسبة إلى المنغمس في ملابس البدن؛ فإنّه لا يتحقّق به [عند](٦) ذلك ما ظهر له في ذلك الخيال، بل(٧) يعُدّه(٨) كالمعدوم؛ لِما أَلِفه من الاطّلاع على الصور بواسطة ملابس البدن. ولم يُرَد أنّ العالم الجرميّ هو عالم الخيال؛ فإنّ ذلك بعينه عالم المثال؛ فإنّ عالم المثال مظهر(٩) الخيال بواسطة الحسّ المشترك، فيظهر على النفس بصورة خياليّة متجلّية بواسطة اندراجها تحت حالة توجب ذلك الظهور.

ومقصودُ سُلّاك الأُمم وصولُ الحقائق بقطع علائق البدن، المانعة للكلمة لتصلَ إلى المقصود؛ فإنّك لمّا عرفتَ أنّ العالم الحقيقيّ هو ما أشرنا إليه، وعرفتَ أنّ هنا سُلّاك وطلّاب يقصدون نحوَ مقصود توجّهت دواعيهم(١٠) إليه، فاعرِف أنّ ذلك

---

(١) الجرميّ: الجوّيّ A
(٢) إذ: و A
(٣) B171a
(٤) تتغيّر: يتغيّر A
(٥) يظهر: يطهر B
(٦) عند: عنده AB
(٧) A259b
(٨) يعدّه: بعده A
(٩) مظهر: مظهره B
(١٠) B171b

المقصـود لجميع السُـلّاك مِن كلّ طوائف الأُمم ليس إلّا الوصـول إلى تلك الحقائق، وانتقاش أنفسـهم بها، واتّصـالهم بتلك العوالم الحقيقيّة، يسكنون(١) فيها ويستقرّون(٢) بهـا؛ [ليكونوا](٣) من الحقـائق الثـابتة الغير المتغيّرة. وسـبب الوصـول إنّما هو قطع متعلّقات البدن بإزاحة الكثرة الإمكانيّة بحسب الطاقة، وإزالةِ التعسّفات المانعة للنفس عن وصولها إلى ذلك المقصود لتصل إليه.

فمَن وصَـل إليه بواسـطة الاستعدادِ ودفعِ(٤) الموانع، **اتّصل** به، واتّحد بمطلوبه(٥)، وصـار من جملة(٦) الحقائق الثابتة المتأصّـلة في العالم الحقيقيّ. ويدلّ على أنّ ذلك هو مقصـود سُـلّاك الأُمم، ما أدركه العقلُ السـالم عن شـائبة الموانع، من أنّ البقاء الحقيقيّ هو الغرض الأقصـى والمطلوب الأعلى، الـذي لا أجـلّ ولا أعلى منـه؛ لمشابهته بالوجوب(٧) الذاتيّ الذي منتهى الكمال.

وإليه الإشارة من جهة النقل **بقوله**(٨) **ـعليه السلامـ: «اللّهمّ أرِنا الحقائقَ كما هي»**(٩). فهو ـعليـه السـلامـ المسـتجـاب في دعـائـه، فهو الواقف على حقـائق [الأشياء](١٠)، ولذلك ظهر عليه ما خفي على مَن قبله مِن الأنبياء.

[نفي الوجود عن الأعيان الثابتة]

فتعرف بمـا ذكرناه أنّ(١١) الحقائق كلّها إذا اعتُبرت [ذواتاً](١٢) مسـتقلّةً مباينة لذات

---

(١) يسكنون: ليسكنون A
(٢) يستقرّون: يستغفرون B
(٣) ليكونوا: لتكونوا AB
(٤) دفع: رفع B
(٥) بمطلوبه: لمطلوبه A
(٦) جملة: حملة A
(٧) لمشابهته بالوجوب: لمشابهة للوجوب A
(٨) بقوله: لقوله A
(٩) عوالي اللئالي: ١٣٢/٤
(١٠) الأشياء: الأبناء AB
(١١) A260a
(١٢) ذواتاً: ذوات AB

العلّة ـ كما هي في مدارك المحجوبين ـ، فهي ممتنعة وجوداً وظهوراً.

[فأمّا امتناع الوجود][١] لأنّ غير الحقّ تعالى الواجب بذاته لا يمكن أن يكون موجوداً.

وأمّا امتناع الظهور، فلأنّه إنّما ينشأ[٢] من ارتباطها[٣] بالموجود الحقّ، وهي قد أُخذت مغايرةً له ذاتاً، فلا [تكون][٤] مرتبطةً به. فأمّا إذا أُخذت من حيث هي تابعة لها وقائمة بها، فهي موجودة بمعنى الارتباط بالوجود، أي ظهورها به.

فالأعيان الثابتة ـ التي هي الحقائق المعتبرة عند الوهم في نظر المحجوبين ـ ليست موجودةً أصلاً؛ فإنّ الإنسان ـ مثلاً ـ عينه الثابت هي الماهيّة المغايرة للحقّ، [المتّصفة][٥] بالصفات المخصوصة، وهي ليست بموجودة أصلاً:

ـ لا حقيقةً؛ لاستحالته.

ـ ولا بمعنى ارتباطها بالوجود؛ لأنّها من تلك الحيثيّة لا ارتباطَ لها بالوجود أصلاً، بل إنّما ينصبغ الحقّ به، بمعنى أنّ رسمه يظهر فيه، فيصير الوصف المجرّد عن الذات موجوداً، بمعنى أنّه يتعلّق بالوجود؛ فإنّ الموجود ـ عند المحقّقين ـ هو ما حقيقته[٦] الوجود، وغيره لا يصير موجوداً بمعنى الاتّصاف؛ فإنّ الوجود ليس وصفاً قائماً بغيره، بل ذاتاً حقّاً. نعم! يصير غيره موجوداً بمعنى تعلّقه بالوجود، وظهوره به.

فافهَم هذا المُجمَل، فسيهديك إلى معنى قول بعض أساطين الحكمة: «إنّ الأعيان الثابتة ما شمَّت رائحة الوجود»[٧]، و«إنّها لم تظهر ولا تظهر أبداً»[٨]، «وإنّما يظهر رسمُها»[٩].

---

(١) فأمّا امتناع الوجود: ـ AB
(٢) ينشأ: تنشأ A
(٣) B172a
(٤) تكون: يكون AB
(٥) المتّصفة: المتّصف AB
(٦) حقيقته: حقيقة A
(٧) وهو قول ابن عربيّ، كما في: فصوص الحكم: ٧٦/١
(٨) منه أيضاً، كما في: النصوص: ٨٨
(٩) لم أعثر على قائله.

[اشتمال كلّ ممكن على جملة من أحكام الوجوب والإمكان، ومرآتيّته لها]

[١]< وإذا أردتَ بسط هذا المقام، فإنّك تحتاج[٢] إلى بيان مقدّمة[٣] تكون كالتوطئة لِما قُصِد فيه[٤]، وهي: اعلَم أنّ توجُّه الحقّ لإيجاد الممكنات[٥] ليس من[٦] أحديّة[٧] ذاته؛ فإنّ نسبة الاقتضاء الإيجاديّ[٨] إليها من هذا الوجه ونفيه[٩] على السواء؛ إذ[١٠] لا ارتباط للذات بشيء من هذا الوجه، ولا مناسبة يقتضي التأثير[١١] والتأثّر؛ فإنّ جميع الأحكام والاعتبارات مستهلكة[١٢] في هذه الأحديّة. فالموجِب[١٣] لإيجاد الأشياء هو حكم العلم الذاتيّ الأزليّ؛ لحيطته[١٤] وعموم حكمه وتعلّقِه بذات الحقّ وأسمائه وصفاته ومعلوماته. وأسبابُ الإيجاد بموجب حكم العلم هي الأسماء الذاتيّة، المعبَّر عنها بمفاتيح الغيب؛ إذ هي[١٥] الفاتحة لغيب الذات، وغيبِ المعلومات. وأُمّهاتُ الصفات الإلهيّة[١٦] ـالتي هي مرتبة الذات المسمّاة بالحياة، والعلم، والإرادة، والقدرةـ هي ظلالات مفاتيح[١٧] الغيب، كما أنّ الأُلوهيّة كالظلّ للذات.

فتوجُّه الحقّ بالتأثير الذاتيّ وإن كان داخلاً في الأصل ـكما ثبت[١٨] عقلاً وشرعاً وكشفاًـ، فإنّ الحيثيّات والاعتبارات والأُمّهات التي هي مفاتيح الغيب ومتعلّقاتها

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.
(٢) تحتاج: يحتاج A
(٣) مقدّمة: + و A
(٤) فيه: بيانه P
(٥) B172b
(٦) من: + حيث P
(٧) أحديّة: أجد به A
(٨) الإيجاديّ: الإعاديّ A
(٩) نفيه: + عنها P
(١٠) إذ: _ P
(١١) التأثير: بالتأثير P
(١٢) A260b
(١٣) فالموجب: وإنّما الموجب P
(١٤) لحيطته: محيطة A
(١٥) إذ هي: فإنّها P
(١٦) الصفات الإلهيّة: صفات الأُلوهيّة P
(١٧) ظلالات مفاتيح: كالظلالات لمفاتيح P
(١٨) ثبت: + ذلك P

أُمّهـاتُ حقـائق العـالم الغيبيّـة(١) لأُمّهـات صـفات الأُلوهيّة. وهي وإن جمَعها ذاتٌ واحـدة(٢)، إلّا أنّهـا متفـاوتـة الـدرجات؛ فإنّ عند الكشـف والتحقيق إنّ الاثنين منها تـابعـان(٣) للأوّلين، كما أنّ تعيّن الأوّلين(٤) من أحديّة الجمع الذاتيّ. وهذا التفاوت(٥) خفي في أسماء الذات(٦)، من حيث إنّها لا يكشفها إلّا الكُمَّل من أهل اللّه وخلفائه(٧)، لكنّه متعقَّل في صـفات الأُلوهيّة التي هي في مرتبة الظلّيّة(٨) بالنسـبة إلى الأسـماء الـذاتيّة(٩). والتفاوت(١٠) باعتبار تفاوت توجّهاتها وآثارها، في ما يبدو بها من الأشـياء المتعيّنـة(١١) المرتسـمـة في العلم الأزليّ لـذاتهـا. ولهـذا تعدّدت متعلّقات(١٢) العلم الوحدانيّ؛ فإنّ العلم في حكمه وتعلّقه يتبع المعلومَ، ولذلك اكتسـب المعلومات(١٣) التعدّد والظهور المتنوّع. وكلّها نِسَـب وإضافات وكيفيّات تظهر(١٤) وتحصل من هيئات اجتمـاعيّة متعلّقة الوقوع(١٥) بين الأسـماء التي هي مفاتيح الغيب، وبين ما يتفرّع عنها من الصفات الأُمّهات(١٦) كأُصول صفات الأُلوهيّة، وغيرها من أُمّهات حقائق العالم.

ثمّ ظهرت(١٧) الموجودات عن التوجّه الذاتيّ من حيثيّات هذه الأُصـول، جملةً بعد جملـة، وعـالَمـاً بعد عالَم، في المراتب المذكورة المنبّه(١٨) عليها من قبل. فينبعث(١٩)

---

(١) الغيبيّة: المعيّنة P

(٢) أمّهات حقائق ... واحدة: _ B

(٣) منها تابعان: تابعين AB

(٤) الأوّلين: + هو P

(٥) هذا التفاوت: النوع من التفاوت وإن P

(٦) الذات: ذات P

(٧) وخلفائه: الخلفاء الأُدباء الأُمناء P

(٨) في مرتبة الظلّيّة: المرتبة الكلّيّة AB

(٩) الذاتيّة: + كشـرف العلم على القدرة بالتقدّم ومزيد الحيطة P

(١٠) B173a

(١١) المتعيّنة: + والمتعدّدة P

(١٢) متعلّقات: تعلّقات P

(١٣) المعلومات: + الوجود الواحد P

(١٤) تظهر: تطهر B

(١٥) الوقوع: + أوّلاً P

(١٦) الصفات الأُمّهات: الأُمّهات التالية P

(١٧) ظهرت: طهرت B || A261a

(١٨) المنبّه: المنتبه P

(١٩) فينبعث: فتبعث P

طبقة طبقة، هكذا إلى آخر الموجود[١]، الذي هو[٢] الإنسان[٣] الأوّل، الذي هو[٤] خاتم المراتب الوجوديّة[٥]. فينتجه أوّل الهيئات الاجتماعيّة المتحصّلة من توجّهات مفاتيح الغيب الذاتيّ الحقيقيّ، وأحكامِ[٦] صفات الأُلوهيّة، وأُصولِ حقائق العالم المتعيّنة أزلاً في علم الحقّ، التابعة لتوجّه الحقّ الذاتيّ، على ما مرّ في مرتبة الغيب الإضافيّ[٧]، هو عالم المعاني باعتبار تعقّل غير الحقّ لها. وذلك هو بروزها من البطون إلى الظهور، وبطونها بالنسبة إليها، و[٨] إلى كلّ[٩] متعقّل لها غير الحقّ. وإلّا فهي لم تزل بالنسبة إلى الحقّ مشهودة له، ومتعيّنة في علمه، على مراتبها المختلفة ودرجاتها المتفاوتة.

ثمّ ظهر عن الحقّ[١٠] من هيئاتٍ اجتماعيّة متحصّلة من اجتماع عدّة معانٍ، وجملةٍ من أحكام الوجوب والإمكان المجتمعة بتأثير[١١] الحقّ من حيثيّة الأحوال[١٢] المذكورة في المرتبة الروحانيّة[١٣] عالمُ الأرواح متفاوتة الدرجات؛ فإنّها[١٤] صور هيئات اجتماعيّة متحصّلة[١٥] من عدّة معانٍ، هي الأسماء والحقائق والآثار المُضافة[١٦] إلى الحقّ. وقد يعبَّر عنها بأحكام الوجوب، كما يعبَّر عن التأثّرات العقليّة[١٧] في القوابل التي هي محلّ آثار هذه الأحكام الوجوبيّة[١٨] بأحكام الإمكان. وكلّ أثر[١٩] هو نتيجة

---

(١) الموجود: الوجود AB
(٢) هو: _ AB
(٣) الإنسان: للإنسان A
(٤) الذي هو: _ AB
(٥) الوجوديّة: الإيجاديّة P
(٦) أحكام: + أُمّهات P
(٧) الإضافيّ: الإلهيّ AB
(٨) و: _ AB
(٩) B173b
(١٠) عن الحقّ: _ AB
(١١) بتأثير: بتأثّر B
(١٢) الأحوال: الأُصول P
(١٣) الروحانيّة: الروحيّة AB
(١٤) فإنّها: فإنّ الأرواح P
(١٥) متحصّلة: + له A
(١٦) المضافة: المضادّة A
(١٧) العقليّة: المتعلّقة P
(١٨) الوجوبيّة: _ AB
(١٩) أثر: أمر AB

هيئـة اجتمـاعيّة واقعة من مفاتيح الغيب، وما يليها من الأحكام الوجوبيّة. وكلّ موجود متعيّن لعَين[١] من الأعيان الممكنة ومتعيّن[٢] بها، فهو نتيجة النتيجة المعنويّة المُشـار إليهـا. فـالهيئـات الاجتماعيّة المتعلّقة في مراتب القوابل مرائي التعيّنات[٣] الوجوديّة، ظـاهرة بالتوجّه الذاتيّ الإلهيّ من حيثيّات الأحوال[٤]، بحســب المرتبة التي يقع فيها ذلـك الاجتمـاع المســمّى بـالنكـاح الغيبيّ[٥]؛ إذ للمفـاتيح بـالتوجّـه الـذاتيّ درجةُ الـذكورة[٦]، وللهيئـات[٧] الاجتمـاعيّة المتعقّلة من أحكام[٨] القوابل درجةُ الأُنوثة[٩]، وللتعيّن الوجوديّ في تلك المرتبة ـ أيّ مرتبة كانت[١٠] ـ بحســبها درجةُ الموجود[١١]. فافهَم ذلك؛ فإنّه سرّ عظيم، تطّلع به على كيفيّة الانطباق.

وحينئذٍ نقول: الاجتماع المتعقَّل[١٢] من توجّهات الأرواح العالية[١٣] بموجب الآثار المتّصـلة بها والسـارية الحكمُ فيها من مفاتيح الغيب[١٤] وبقيّة[١٥] الأحكام الوجوبيّة، على نوعين:

الأوّل: توجّهـاتهـا بـذواتهـا منصــبغةً بالآثار دون أحكام مظاهرها، لكن في مرتبة الطبيعـة أوجـب تعيُّن عـالم المثال؛ إذ[١٦] تعيُّن صــورة كلّ أثر في حقيقة كلّ مؤثّر[١٧]

---

(١) لعين: بعين AB
(٢) متعيّن: _ AB
(٣) مرائي التعيّنات: مراءٍ للتعيّنات P
(٤) الأحوال: الأُصول المذكورة P
(٥) الغيبيّ: العينيّ AB || A261b
(٦) الذكورة: المذكورة A
(٧) B174a
(٨) المتعقّلة من أحكام: المتعلّقة بأحكام AB
(٩) الأُنوثة: + وللمرتبة درجة المحلّيّة P
(١٠) كانت: + و P
(١١) الموجود: المولود P
(١٢) المتعقّل: المنفصل AB
(١٣) العالية: الغالبة AB
(١٤) من مفاتيح الغيب: _ AB
(١٥) بقيّة: _ AB
(١٦) إذ: لأنّ P
(١٧) مؤثّر: + فيه P

إنّما[١] يظهر بحسب محلّ الأثر[٢]، سواء:

ـ كان المحلّ معنويّاً كالمراتب، >[٣] [٤]< وهي التعيّنات الكلّيّة المشتمل[٥] عليها اللازم الواحد الذاتيّ الذي هو العلم[٦]. فهي كالمَحالّ لِما يمرّ عليها من مطلق فيض الصادر عن[٧] الذات، باعتبار عدم مغايرة الفيض والمُفيض[٨]. فكلّ مرتبة محلّ معنويّ معنويّ لجملة من أحكام الوجوب والإمكان. وللمراتب[٩] أعيان ثابتة في عرصة العلم والتعقّل، ولا أثر لها على سبيل الاستقلال، بل بالوجود. >[١٠]

ـ [١١]< أو كان أمراً وجوديّاً.

وهذا أصل كبير لا ينخرم، وإنّه من سنّة اللّه، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[١٢]. ومن ثمرات هذا التوجّه الأرواح التالية للأرواح العالية[١٣] عُمّار السماوات من الملائكة، من حيث أرواحهم، دون مظاهرهم[١٤].

النوع الثاني: توجُّه الأرواح[١٥] ـمن حيث[١٦] مظاهرها المتعيّنة في عالم المثال، والمنصبغةِ بصفته وحكمهـ يُثمر في مرتبة الجسم الكلّ[١٧] المعقول عالمَ الأجسام المحسوسة، التي أوّلها العرش المحيط والجسم البسيط، وهي الولادة الظاهرة من النكاح الروحانيّ. فللأرواح درجة الذكورة ـباعتبار السوابق المذكورة المتقدّمة

---

(١) إنّما: + يكون و P

(٢) الأثر: + و P

(٣) شرح الأربعين حديثاً: ١٣٠ ـ ١٣٣

(٤) بداية العبارات المنقولة من: النصوص.

(٥) التعيّنات الكلّيّة المشتمل: تعيّنات كلّيّة يشتمل P

(٦) العلم: العالم AB

(٧) الصادر عن: ـ AB

(٨) والمفيض: للمفيض P

(٩) للمراتب: للمرتبة AB

(١٠) النصوص: ٢٥٤

(١١) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.

(١٢) القرآن الكريم: ٦٢/٣٣

(١٣) التالية للأرواح العالية: المثاليّة P

(١٤) B174b

(١٥) الأرواح: + العالية P

(١٦) حيث: حيثيّات P

(١٧) الكلّ: الكلّيّ AB

التـأثير[١] ـ، وللطبيعـة درجـة الأُنوثـة، ولمعقوليّـة الجسـم الكـلّ[٢] مرتبـة المحلّيّـة، وللصورة[٣] العرشيّة[٤] مرتبة[٥] المولود. فللطبيعة هنا درجة الأُمومة، وفي ما ذكرته آنفاً درجة المحلّيّة، ولعالم المثال درجة المولد[٦].

فالواقع من توجّهات الأرواح العالية[٧] في المرتبة النفسـيّة، والمولودان هم العُمّار، والقسـمان راجعان إلى[٨] واحد، هو[٩] النكاح الروحانيّ. ثمّ ظهر من آثار جميع هذه الهيئات والأحكام المُضـافة إلى الحقّ، مع[١٠] سـائر الحيثيّات، عالمُ السـماوات التي دون العرش، وعالمُ[١١] الكون والفساد على اختلاف طبقاته وأجناسه وأنواعه.

فـإذا تنبّهـتَ لِما ذكرتُه لك في هذه الأُصـول، عرفتَ أنّ كلّ موجود من الممكنات مشتمل[١٢] على جملة من أحكام الوجوب وأحكام الإمكان. ويكون[١٣] ذلك الموجود من حيث حقيقته ولوازمه الكلّيّة، ومن حيث وجوده المتعيّن في بعض المراتب ولوازمه التفصـيليّة، مرآةً لتلك الجملة الأحكاميّة[١٤]، ومظهراً[١٥] يظهر فيه. فافهَم ذلك واعرِفه حقَّ المعرفة، تظفر بسرائر الوجودين، وتطّلع على أحكام العالمين[١٦].

[الغلبة والمغلوبيّة بين الأحكام وتعيّن درجات الاعتدال والانحراف بهما]

ثمّ نقول: لا بدّ في كلّ جملة أحكاميّة[١٧] من حصـول غلبة ومغلوبيّة[١٨] واقعة بين

---

(١) التأثير: التأثّر P
(٢) الكلّ: الكلّيّ AB
(٣) للصورة: المصوّرة A
(٤) A262a
(٥) مرتبة: درجة P
(٦) المولد: المولود AB
(٧) العالية: الغالبة AB
(٨) إلى: + قسم P
(٩) هو: لأنّهما ليسا بخارجين عن حكم P
(١٠) مع: من P
(١١) عالم: + و P
(١٢) مشتمل: + بالذات P
(١٣) يكون: ـ P
(١٤) B175a
(١٥) مظهراً: مظهر B
(١٦) مظهراً يظهر ... العالمين: ـ P
(١٧) أحكاميّة: إمكانيّة P
(١٨) غلبة ومغلوبيّة: علّيّة ومعلوليّة AB

الأحكـام، يوجبهـا اختلاف الهيئـات الاجتماعيّة، واختلاف حقائق القوابل[١] ولوازمها واسـتعـداداتهـا ومراتبهـا. ويتعيّن بتلـك الغلبـة والمغلوبيّـة[٢] درجـاتُ الانحراف[٣] والاعتـدال في الموجودات، التي هي مَحـالّ[٤] تلـك الأحكام ومجتمعها، حتّى يكون تلك الأحكام الوجوبيّة والإمكانيّة واقعةً في البعض على وجه قريب من التسـاوي، أو يكون الغلبة[٥] لأحكام أحد الطرفين[٦]، وتفاوت الشـرف[٧] والخسّـة بين الموجودات بحسـب ذلـك[٨]. فغلبـة أحكام الوجوب على أحكام الإمكان[٩] تقتضـي لمزيد[١٠] الشـرف، والعكس[١١] يشـهد بالخسّة. واجتماعها[١٢] على وجه قريب من التساوي في درجة من درجات الاعتدال الجمعيّ مخصوص بالنوع الإنسانيّ؛ فإنّ النوع[١٣] الإنسانيّ يشـتمل على درجات شتّى، تتفاوت[١٤] بحسب مزيد الجمعيّة، وبحسب مزيد القرب من الاعتـدال الحقيقيّ[١٥] المختصّ ببرزخ البرازخ، الجـامع بين جميع كلّيّات أحكام الوجوب وأحكام الإمكان؛ فإنّ الكامل من النوع الإنسـانيّ هو المسـتوعب للأحكام التي أحاط بها البرزخ المذكور، والظاهر بها في درجة الاعتدال، الجامع بين:

ـ الاعتـدال[١٦] المعنويّ المتعقَّـل الوقوع في اجتمـاعات المعاني والأحكام، التي ثمرتها وجود الأرواح العالية[١٧].

---

(١) القوابل: الفوائد AB
(٢) الغلبة والمغلوبيّة: العلّيّة والمعلوليّة AB
(٣) الانحراف: الأعراف AB
(٤) محالّ: محلّ AB
(٥) الغلبة: العلّيّة AB
(٦) الطرفين: + الوجوب أو الإمكان P
(٧) الشرف: الشوق A
(٨) ذلك: إحدى هذه الأُمور P
(٩) على أحكام الإمكان: ـ AB
(١٠) لمزيد: بمزيد A
(١١) العكس: عكس ذلك P
(١٢) اجتماعها: اجتماع أحكام الطرفين P
(١٣) النوع: الغرض P || A262b
(١٤) تتفاوت: يتفاوت AB
(١٥) الحقيقيّ: + الإلهيّ P
(١٦) B175b
(١٧) العالية: الغالبة AB

ـ والاعتدال الروحانيّ المتعقَّل بتوجّهات الأرواح، وموجباتها وجود الأرواح العالية[١].

ـ والاعتدال المثاليّ المتعقَّل الوقوع من اجتماع ما يُرقّى[٢] إليه من هذا العالم، إمّا مع تجاوز عالم الأفلاك[٣]، أو ما يتعيّن له من[٤] صورة في فلك من الأفلاك؛ فإنّ لعالم[٥] المثال في كلّ سماء حصّة معيّنة؛ فإنّ كلّ سماء مرآة لقسط[٦] من عالم المثال، يتعيّن فيه من صور الأفعال والأحوال ما يستقرّ منها هناك؛ إذ ليس كلّ ما يرقّى[٧] في هذا العالم في[٨] قوّته وقوّة من صدر عنه أن يتجاوز عالم الأجسام الفلكيّة إلى عالم المثال المطلق. وهكذا حكمُ ما يتنزّل[٩] من[١٠] أحكام حضرة الحقّ. ومن عالم المعاني وعالم الأرواح ينزل عليه في السماوات والأرض، بحسب حصص عالم المثال المتعيّنة في كلّ منها.

ثمّ يلي ذلك الاعتدال الحسّيّ[١١]، وينقسم:

ـ إلى متعقّل الحصول من[١٢] الاتّصالات الكوكبيّة، والتشكّلات الفلكيّة، والامتزاجات الواقعة بين قواها وقوى عُمّارها بحسب كلّ أمرٍ مستودع[١٣] في كلّ سماء، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحى في كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها﴾[١٤].

ـ وإلى اعتدال طبيعيّ، وهو الواقع بين العناصر بموجب الاعتدالات المذكورة، وما ظهر عنها من المولّدات المرتقية[١٥] في درجات الاعتدال إلى المزاج الإنسانيّ[١٦]،

---

(١) المتعقّل بتوجّهات ... العالية: ـ AB
(٢) يرقّى: ترقى AB
(٣) عالم الأفلاك: السماوات والكرسيّ والعرش P
(٤) من: ـ P
(٥) لعالم: العالم A
(٦) لقسط: + ما P
(٧) ما يرقّى: صادر AB
(٨) في: ـ A
(٩) يتنزّل: ينزل P
(١٠) من: في AB
(١١) الحسّيّ: الجنسيّ AB
(١٢) من: في P
(١٣) مستودع: مودّع P
(١٤) القرآن الكريم: ١٢/٤١
(١٥) المرتقية: المرتقبة A
(١٦) B176a

مظهر جميع الاعتدالات، الصاعد[1] إلى الاعتدال المختصّ ببرزخ البرازخ.

فالأرواح[2] العالية[3] الخالية عن أكثر أحكام الكثرة والإمكان ـلِقرب[4] نسبتها في الحضـرة الوحدانيّة ـ هي أشـرف. والإنســان الحقيقيّ الكامل بالفعل أجمع، وأكمل، وأمكن في[5] نقطة وسط الدائرة[6] الوجوديّة والمرتبيّة[7]، وأعدل.

وكلّ فلكٍ من الأفلاك وعالمٍ من العوالم، فهو محلّ ومظهر لضرب[8] من ضروب[9] الاعتـدال. وكـلّ ضــرب مشــتمـل على درجـات تتعيّن[10] بـالهيئـات الاجتمـاعيّـة المتحصّــلـة[11] من ثمرات الصــفـات والقوى والأفعـال والتوجّهـات والامتزاجـات المجتمعة هناك. فكما أنّ[12] العالم السفليّ مرآة للآثار والقوى والخواصّ المودَعة في العـالم العلويّ، فكـذلـك العـالم العلويّ ـعلى اختلاف طبقاته ـ مرآة تتعيّن من كلّ طبقة منه نتائج القوى[13] التي تنزّلت منه[14] وانعجنت في نشـئات[15] أهل هذا العالم، ثمّ انفصلت وعادت إلى ما منه انبثّت بصورة غير صورتها الأُولى، وسيّما نتائج الصفات والأفعال والتوجّهات الصــادرة من الإنســان الذي هو نسـخة من الجميع، ومرآة ينطبع فيهـا قوى كـلّ عــالَم، وآثارُ كلّ فلك، وتوجّه كلّ ملَك، ويتفاوت نســبته إلى كلّ فلك وعــالَم، بحســب غلبـة مـا انعجن من القوى والخواصّ فيـه من ذلك الفلك، في أوّل

(١) الصاعد: ومتجاوزها صعداً P
(٢) فالأرواح: والأرواح AB
(٣) العالية: الغالبة B
(٤) A263a
(٥) في: من AB
(٦) الدائرة: دائرة P
(٧) المرتبيّة: المرتبة AB
(٨) لضرب: + ما P
(٩) ضروب: الضروب A
(١٠) تتعيّن: يتعيّن AB
(١١) المتحصّلة: المحصّلة P
(١٢) فكما أنّ: فإنّه كما أنّ هذا P
(١٣) والقوى والخواصّ ... القوى: ـ AB
(١٤) منه: ـ AB
(١٥) نشئات: نشأة A

تكوينـه، وفي أثنـاء توجّهـه وترقّيـاتـه بعلمه وعمله وأخلاقه واســتعداداته الوجوديّة[١] المستفادة بواسطة نشأته، وبحسب حظّه[٢] من الاعتدال الخصيص بالكُمَّل.

وإلى هذا أشـار النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ بقوله في حديث الإسـراء: أنّه رأى آدم في سـماء الدنيا ـالذي[٣] هو فلك القمرـ، ورأى عيسـى في الثانية، ويوسـف في الثالثة ـالذي هو فلك الزهرةـ، وإدريس في فلك الشـمس، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة.[٤]

فهو إخبار[٥] عن صـور مناسباتهم بذلك الفلك، وتعريف مراتب مظاهرهم الناتجة من أعمـالهم[٦] وصــفـاتهم المكتســبة، ممّا انعجن فيهم من قوى الأفلاك وتوجّهات الأملاك. وحصـلـت الغلبةُ لبعض تلك القوى والآثار على البعض في كلّ منهم حال اجتمـاعهـا فيـه، وحيـازة نشـأتـه لهـا. وإلّا فمِن البيّن أنّ الأرواح غير متحيّزة، فكيف يوصَف[٧] سُكناها[٨] في السماء[٩]؟

[أُصول المناسبة بين الأشياء]

فالسرّ في كلّ اجتماع واقع بين شيئين أو أشياء هو المناسبة. وللمناسبة أُصول[١٠] كلّيّة:

ـ إمّا من حيثيّة الاشتراك في صفةٍ ما، أو صفات.

ـ أو في حالةٍ ما، أو في أحوال.

---

(١) B176b

(٢) حظّه: خطّ A

(٣) الذي: ـ P

(٤) قصـص الأنبياء للراونديّ: ٣٢٥؛ مناقب آل أبي طالب: ١٧٩/١

(٥) إخبار: أخبار P

(٦) أعمالهم: + وأخلاقهم P

(٧) يوصف: توصف AB || A263b

(٨) سكناها: بسكناها A

(٩) السماء: السماوات P

(١٠) للمناسبة أُصول: للمناسبة خمسة أُصول حاصرة P

ـ أو[١] أفعال.

ـ أو[٢] الاشتراك في المرتبة.

ـ أو تكون المناسبة من حيث الذات.

فكلّ مناسبة تُتعقّل بين شيئين أو أشياء، فإنّها لا تخرج عن هذه الأُصول[٣]، وما عداها من المناسبات المتعقّلة[٤] بين الخلق فمتفرّعة عليها. والمناسبة عبارة عن كلّ أمر جامع بين شيئين أو أشياء يتماثل[٥] في الاتّصاف[٦] بأحكامه[٧] وقبول آثاره، إن كان ذلك الشيء من الأُمور المتعيّنة في مرتبة الانفعال، وإلّا فيكون ما ذكرناه واقعاً في مرتبة الفاعليّة. وعلى كلا التقديرَين[٨]، فالتماثل والاشتراك يقع على وجهٍ يرفع حكم التعدّد[٩] ـ بين الشيئين أو الأشياء ـ والامتياز، لا مطلقاً، بل من حيث ما[١٠] يُضاهي به كلّ منهما ذلك[١١] الأمر الجامع[١٢] القاضي بالاشتراك مُضاهاةً حقيقيّة[١٣] لا يبقى ـ كما قلنا ـ تغايراً، أو[١٤] من حيث ما في كلّ شيء من المعنى الذي من جهته يماثل بعضها بعضاً، كالحيثيّات المتقدّم ذكرها. واشتراكها[١٥] أيضاً في ما لها من[١٦] ذلك الأمر الجامع وما فيها منه، والأمر الجامع بالذات، أو المرتبة والذات معاً، من الوجه الذي يتّحد به الأشياء التي هو جامعُها. فلا يمتاز عنه[١٧] حكمُها، يثبت[١٨] له و[١٩]

(١) أو: و AB

(٢) أو: و AB

(٣) الأُصول: + الخمسة P

(٤) المتعقّلة: المتعلّقة AB

(٥) يتماثل: متماثل A

(٦) الاتّصاف: الصفات B177a || AB

(٧) بأحكامه: ـ B

(٨) التقديرين: التقريرين P

(٩) التعدّد: + من P

(١٠) ما: لا A

(١١) ذلك: ذكر AB

(١٢) الجامع: + مع AB

(١٣) حقيقيّة: حقيقة A

(١٤) أو: و P

(١٥) اشتراكها: اشتراكهما P

(١٦) من: ـ P

(١٧) عنه: عنها P

(١٨) يثبت: ثبت A

(١٩) و: أو AB

ينتفي عنه ما ثبت لها وينتفي عنها.

ثمّ إنّ أحكام ما به الامتياز يتداخل ويتمازج بأحكام ما به الاتّحاد. فيقوى في بعض الخلق ـ من حيث الذوات، والصفات، والأحوال، والأفعال، والمراتب، والأُمور المقتضية ـ امتيازُ بعضهم عن البعض على أحكام ما به الاتّحاد، كالأمر في أحكام الوجوب والإمكان المنبّه عليها من قبل. وذلك إمّا من رجحان أحكام ما به الامتياز في القوّة والأصالة و(١) الكثرة العدديّة المستلزمة(٢) للغلبة(٣)، فيظهر التضادّ والجهل والبُعد والفُرقة. وقد يكون الأمر بالعكس، فيقوى حكمُ المناسبة وما به الاتّحاد، فيقع المحبّة، ويظهر سلطنة العلم والوصلة والاجتماع ونحو ذلك.

وفي الجملة، فموجب ظهور الخلاف في الوجود(٤) والاتّفاق والاجتماع والافتراق هو هذا الأصل، فاستحضِره لِتفهم(٥) الغرض المذكور في هذا الأصل.

[سرّ قلّة الاجتماع بين الناس وكثرته]

ومنه يُعرَف سرُّ قلّة الاجتماع بين الناس(٦) وكثرته؛ فإنّهما راجعتان إلى قوّة الخلاف الثابت بينهم وضعفه؛ فإنّ المخالف لك(٧)، هو الذي تُماثله من وجهٍ، وتُباينه(٨) من وجهٍ آخر أو وجوه. وهذا(٩) يكون إذا كانت أحكام(١٠) ما به الاتّحاد يُدني و(١١) يقرب أن يُضاهي في القوّة والكثرة العدديّة أحكامَ ما به الامتياز. فيكون حكمُ الاتّفاق والاجتماع

---

(١) و: أو AB
(٢) B177b
(٣) A264a
(٤) الوجود: + بين الخلق P
(٥) لتفهم: لفهم A
(٦) الناس: + يقظة ومناماً P
(٧) لك: + مثلاً P
(٨) تباينه: تناسبه AB
(٩) هذا: هكذا P
(١٠) أحكام: الأحكام A، لأحكام B
(١١) يدني و: ـ P

في القلّة والكثرة بحسب القرب من تساوي قوى الأحكام المذكورة وبُعدها. وكلّما زاد[١] القرب كثُر الاتّفاق والاجتماع، ويكون الأمر بالعكس إذا ضعُف حكمُ القرب.

ومتى غلبَت أحكامُ ما به الامتياز على أحكام ما به الاتّحاد[٢]، حصل الاختلاف والنقار[٣]. وقد يقوى طرفُ ما به الاتّحاد، فيقوى المحبّة، بحيث لا يكاد الشخصان يفترقان[٤] ولا[٥] يتخالفان. فافهَم هذا السرّ[٦].

فإذا عرفتَ ذلك، عرفتَ أنّ مَحالّ التشخّصات[٧] المثاليّة الحضراتُ المتقدّمة، وما يتضمّنه من[٨] العوالم المفصّلة[٩]. وعرفتَ أنّ السبب الأقوى في الاجتماع[١٠] ـ من حيث صورهم في هذا العالم، ومن حيث نفوسهم في العوالم العالية[١١]، وحالة انسلاخ النفوس عن أبدانها بالنسبة[١٢] لمَن مُنِح التمكّن من ذلك[١٣] ـ هو آثار المناسبات المذكورة.

وكثرةُ الاجتماع فيه[١٤] وقلّتُه راجعتان[١٥] إلى قوّة آثارها وضعفها؛ فإنّ المناسبة إذا ثبتَت بين شيئين[١٦] من حيث الصفات والأفعال معاً، كان أثرها[١٧] أقوى من المناسبات الحاصلة[١٨] من حيث الأفعال. وإذا انضمّ[١٩] إلى المناسبتين المذكورتين حكمُ

---

(١) زاد: أراد A
(٢) الاتّحاد: + و A
(٣) النقار: النفار BP
(٤) يفترقان: يتفرّقان P
(٥) لا: ـ P
(٦) هذا السرّ: ـ P
(٧) B178a
(٨) من: ـ AB
(٩) المفصّلة: التفصيليّة كالعرش والكرسيّ والسماوات السبع وعالم العناصر وما خلق اللّه من اجتماعاتها P
(١٠) الاجتماع: اجتماع الناس بعضهم مع بعض P
(١١) العالية: الغالبة AB
(١٢) بالنسبة: ـ AB
(١٣) التمكّن من ذلك: التمكين AB
(١٤) فيه: ـ P
(١٥) راجعتان: راجعة AB
(١٦) شيئين: اثنين P
(١٧) كان أثرها: كأثرها P
(١٨) المناسبات الحاصلة: المناسبة الثابتة P
(١٩) A264b

مناسبة الحال[١]، كان أزيَد في قوّة الأثر[٢]. فإذا[٣] انضمّ حكم الاشتراك في[٤] المرتبة كان أقوى. فإذا حصلَت المناسبةُ من حيث الذات[٥] مع ذلك كلّه، فقد تمّ الأمر.

[طرق الاجتماع بأرواح الكمّل]

فمَن ثبت له المناسبة بينه و[٦] بين أرواح الكُمَّل ـ من الأنبياء والأولياء ـ من هذه الوجوه[٧]، اجتمع بهم متى شاء يقظةً ونوماً[٨]، بحيث يكون متمكّناً من الاجتماع بروح من شاء من الأنبياء والأولياء[٩]:

ـ إمّا بأن يستنزل[١٠] روحانيّته بهذا العالم، ويدركه متجسّداً في صورة مثاليّة شبيهة بصورته الحسّيّة العنصريّة التي كانت له في الحياة[١١] الدنياويّة، ولا ينجزم[١٢] منها شيء.

ـ أو بأن يحضره في نومه.

ـ أو ينسلخ من هيكله، ويجتمع به[١٣] حيث تعيّنت مرتبة نفسه؛ إذ[١٤] ذاك من العالم العِلويّ بحسب[١٥] رجحان حكم المناسبة الثابتة بين[١٦] نفس ذلك الشيء[١٧] المرئيّ وبين بعض الأفلاك، على أحكام ما بينه وبين باقي الأفلاك والعوالم من المناسبات.

---

(١) مناسبة الحال: المناسبة من حيث الحال P
(٢) أزيد في قوّة الأثر: الأثر أقوى P
(٣) فإذا: وإن P
(٤) حكم الاشتراك في: اشتراك حكم AB
(٥) الذات: الصفات والأفعال AB
(٦) بينه و: ـ AB
(٧) الوجوه: + الخمسة P
(٨) نوماً: مناماً P
(٩) الأولياء: + وسائر الماضين P
(١٠) يستنزل: يشترك AB
(١١) الحياة: حياة A
(١٢) ينجزم: يجزم P
(١٣) به: + من AB
(١٤) إذ: أو AB
(١٥) B178b
(١٦) بين: من P
(١٧) الشيء: ـ P

فهذا من باب صحّة الوراثة النبويّة المُشار إليه في قوله ـعليه السلامـ: «العلماء ورثة الأنبياء»[١]. ولا يستبعد حصول مثل هذا ليفتقر[٢] إلى تأويل سخيف لا تحقيق له[٣]؛ لنبوء فهمك وحالك عن مثل هذا.

[حكمة خلق عالم المثال]

فإذا ظهر ذلك فنقول: اعلَم أنّه لمّا كان عالم الأرواح متقدّماً بالوجود والمرتبة على عالم الأجسام، وكان الإمداد الربّانيّ الواصل إلى الأجسام موقوفاً[٤] على توسّط الأرواح بينهما[٥] وبين الحقّ، وتدبير الأجسام مفوّض إليها[٦]، وتعذّر الارتباط بينها[٧] وبين الأجسام للمباينة الذاتيّة الثابتة بين المركّب والبسيط؛ فإنّ الأرواح كلّها بسيطة، والأجسام كلّها مركّبة، ولا[٨] مناسبة[٩] بين اللطيف والكثيف؛ إذ[١٠] الأرواح في غاية اللطافة، والأجسام في غاية الكثافة. ولا بين النور والظلمة؛ فإنّ الأرواح نورانيّة محضة، لا يخالطها شيء من الظلمة، والأجسام غاسقة مُظلِمة بعيدة عن النورانيّة[١١]. فحينئذٍ لا مناسبة بينهما، فلا ارتباط. ولمّا لم يحصل[١٢] ارتباط، لا تأثير ولا تأثّر، ولا إمداد ولا استمداد[١٣]. فلذلك خلق اللّه عالمَ المثال برزخاً جامعاً بين العالمَين[١٤] ـبين عالم

---

(١) مرويّ عنه ـصلّى اللّه عليه وآلهـ كما في: الأماليّ للصدوق: ٦٠؛ ثواب الأعمال: ١٣١؛ روضة الواعظين: ٩/١؛ وعن أبي عبد اللّه ـعليه السلامـ كما في: الكافي: ٧٧/١؛ بصائر الدرجات: ١٠/١؛ الاختصاص: ٤

(٢) ليفتقر: فتعزّ P

(٣) له: فيه P

(٤) موقوفاً: موقوف AB

(٥) بينهما: بينها AB

(٦) إليها: إلى الأرواح P

(٧) بينها: بين الأرواح P

(٨) ولا: فلا P

(٩) مناسبة: ـ AB

(١٠) إذ: إذا A

(١١) A265a

(١٢) يحصل: يكن P

(١٣) استمداد: + ~~فلابدّ~~ A

(١٤) بين العالمين: ـ P || B179a

الأجسام وعالم الأرواح-؛ ليحصل الارتباط بين[١] أحد العالَمين بالآخر، فيتمّ حصول التأثير والتأثّر، ووصول الإمداد والتدبير. فبعالم المثال وخاصّيّته يتجسّد الأرواح في مظاهرها المثاليّة [الخياليّة][٢]، المُشار إليه في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيّاً﴾[٣].

وبقوله -عليه السلام-: «وأحياناً يتمثّل لي[٤] الملَكُ رجلاً»[٥].

ومن ذلك قوله -عليه السلام- في أمر الجنّة والنار: «مثِّلت الجنّةُ والنار آنفاً في عرض هذا الحائط»[٦].

وقوله في حقّ من يمنع الزكاة: «إنّه يمثَّل له مالُه شجاعاً أقرع»[٧].

وغير ذلك ممّا دلّت عليه[٨] الشريعة.

وهو عالَم يتجسّد فيه الأرواح، ويتزوّج الأجسام. وإلى هذا العالم[٩] يترقّى المتزوّجون[١٠] إلى معارجهم الروحانيّة، الحاصلة بالانسلاخ من هذه الصور الطبيعيّة[١١] العنصريّة، واكتساء أرواحهم المظاهرَ الروحانيّة.

[ظهور أحكام عالم المثال في النوع الإنسانيّ]

وهكذا[١٢] شأن نفس الإنسان في جسمه الطبيعيّ العنصريّ الذي يدبّره، ويشتمل

---

(١) ليحصل الارتباط بين: ليصحّ ارتباط P
(٢) الخياليّة: الخالية AB
(٣) القرآن الكريم: ١٧/١٩
(٤) لي: إليّ AB
(٥) مناقب آل أبي طالب: ٤٣/١
(٦) بحار الأنوار: ٣٠/٢٢
(٧) الكافي: ٣٣/٧؛ من لا يحضره الفقيه: ٩/٢؛ ثواب الأعمال: ٢٣٥؛ معاني الأخبار: ٣٣٥؛ المحاسن: ٨٧/١؛ روضة الواعظين: ٣٥٦/٢؛ إرشاد القلوب: ٥٢/١
(٨) دلّت عليه: أخبرت به P
(٩) هذا العالم: عالم المثال P
(١٠) المتزوّجون: المتروّضون P
(١١) الطبيعيّة: الطبيعة A
(١٢) هكذا: + هو P

عليه علماً وعملاً[١]؛ فإنّه لمّا كانت المباينة المُشار إليها ثابتة بينهما[٢]، وتعذّر الارتباط الذي يتوقّف عليه التدبير ووصــول المدد إليه، خلق اللّه نفســه الحيوانيّة[٣] برزخاً بين البـدن والروح[٤] المفـارق. فنفســه الحيوانيّة من حيث إنّها قوّة معقولة هي بســيطة، تناســب[٥] الروح[٦] المفارق، ومن حيث[٧] إنّها مشــتملة بالذات على قوىً مختلفةٍ متكثّرة منبثّـة في أقطـار البـدن، متصــرّفـة بتصــرّفـات مختلفة، ومحمولة في البخار الضـبابيّ[٨] الذي في التجويف الأيسـر من القلب الصنوبريّ، تُناسِب المزاج المركّب من العناصر. فحصل الارتباط والتأثّر والتأثير، وتأتّى[٩] وصول المدد والتدبير.

فاعلَم[١٠] أنّ القوّة الخياليّة التي[١١] في نشـأة الإنسـان[١٢]، بالنسـبة إلى عالـم المثال المطلق كـالجزء بـالنســبـة إلى الكـلّ، وكـالجـدول بالنســبة إلى النهر الذي هو[١٣] مَشــرعُه[١٤]. فكما[١٥] أنّ طرف الجدول متّصــل بالنهر، كذلك عالم الخيال من حيث طرفه الأعلى متّصل بعالم المثال. لكن الناس في ذلك على قسمين:

ـ قسـم لا يعرفون ذلك الارتباط، ولا يشـعرون به[١٦]، ولا يسـتشـرفون عليه، وهم جمهور الناس.

ـ وقسـم يعلمونه، ويسـتشرفون عليه، ويتشوّقون إليه، بل يتعدّونه إلى عالـم الأرواح وما فوقه، وهم الأقلّون.

---

(١) عملاً: عدلاً A
(٢) بينهما: بين روحه وبدنه P
(٣) نفسه الحيوانيّة: الروح الحيوانيّ AB
(٤) الروح: النفس AB
(٥) بسيطة تناسب: بسيط يناسب AB
(٦) الروح: للروح A
(٧) B179b
(٨) الضبابيّ: الضابيّ P
(٩) تأتّى: يأتي AB
(١٠) فاعلم: فعلم AB
(١١) A265b
(١٢) الإنسان: + من كونه نسخة من العالم P
(١٣) هو: من AB
(١٤) مشرعه: شرعه A
(١٥) فكما: وكما P
(١٦) به: ـ AB

فعالم المثال[١] نسبته إلى صورة العالم الذي هو مظهر الاسم[٢] «الظاهر»، نسبة[٣] ذهن الإنسان وخياله إلى صورته. وروح صورة العالم من وجه مظهر الاسم[٤] «الباطن». فالمجسِّدُ ثَمّ لِما لا صورة له من الأُمور المعقولة، هو الاسم «الباطن» و«المدبّر». ولا نقص[٥] في العلم هناك، ولا في التي[٦] القوّة المصوِّرةُ في الإنسان[٧] نسخة منها؛ فإنّ الحقّ ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[٨]، فلا يتجسّد هناك شيء إلّا بحسب ما علم، ولا جهل يتطرّق في ذلك العلم، فوجبت المطابقة والصحّة هناك.

وكذلك الكلام في العقول والنفوس العالية[٩].

والأمر في الإنسان ليس كذلك؛ فإنّ[١٠] قوّته المصوِّرة تابعة لنوريّة روحه، وما سبق اطّلاعه عليه. فأملأه بذاته على قوّته[١١] المصوِّرة، فيأخذ في[١٢] محاكاته، لكن بحسب المكان والزمان، بخلاف ما يتجسّد[١٣] في عالم المثال، كالاسم «الباطن»، ثمّ العقول والنفوس، كما نبّهنا عليه من أنّ نسبة خيالات الأُناسيّ المقيّدة إلى عالم المثال نسبةُ الجداول إلى النهر[١٤] ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ. >[١٥]



(١) المثال: المثاليّ AB
(٢) الاسم: اسم AB
(٣) نسبة: نسبته A
(٤) مظهر الاسم: مظهره اسم AB
(٥) لا نقص: الأنقص B
(٦) التي: _ AB
(٧) B180a
(٨) القرآن الكريم: ٥١/٥٨
(٩) العالية: _ AB
(١٠) فإنّ :فإنّه AB
(١١) قوّته: قوّة AB
(١٢) في: من AB
(١٣) ما يتجسّد: _ AB
(١٤) النهر: + والمشرع P
(١٥) شرح الأربعين حديثاً: ١٣٣ _ ١٤٥

[وجوب الالتفات بكلا العالمَين الصوريّ والحقيقيّ]

فـإذا عرفتَ ذلك، فاعلَم أنّ علمك بهذا البحث [يجُرّك][١] إلى كيفيّة الاطّلاع على غوامض كثيرة. منها سرُّ أحوال الانطباق بين العالمَين، ومعرفةُ أحكام الظاهر والباطن، وارتبـاطُ أحـدهمـا بـالآخر، وأنّـه لا بـدّ من ملاحظتهما[٢]، ولا يتمّ الكمالُ للكُمَّل إلّا بمعرفة الأرواح بينهما.

فنقول: إذا تحقّق عندك أنّ العالم الحقيقيّ هو المثاليّ والعقليّ، و[أنّهما][٣] الحقائق بالحقيقة، وأنّ العالم الجرميّ لا حقيقة له ـ كما نبّهناك عليه ـ، **فالواصـل** إلى الحقائق بقطع علائق ملابس المـادّة والحُجُـب [الطبيعيّـة][٤] **ينقطع عنـه** بـذلـك الوصـول **المشـاهداتُ الخياليّة**، فلا [يصـير][٥] طامحاً بشـهوده[٦] إليها؛ لترفّعه[٧] عنها إلى المشـاهدات الحقيقيّة. وإذَن عرف أنّ تلك هي الحقائق بالحقيقة، وأنّ ما سـواها من الصـور الظـاهرة في مدارج المحجوبين لا حقيقة لها، بل ولا وجود لها إلّا من حيث ارتباطها بالعلّة. وأمّا من حيث هي لا يتحقّق لها هويّة البتّة، ولا ظهور، بل هي بالنسبة إلى الواصـل إلى الحقائق كالخيالات العارضـة للمحجوبين. فكما أنّهم لعدم ظهور الأشباح عندهم بحقائقها ـ بسبب انحجابهم، وعدم ملاحظتهم لشهود تلك الأشباح ـ [يعدّونها][٨] كالمعدوم الذي لا تميّز له بحسب ذاته إلّا من حيثيّة كونه معدوماً، كذلك

---

(١) يجرّك: يحرّك AB
(٢) A266a
(٣) أنّهما: أنّها AB
(٤) الطبيعيّة: الطبيعيّ AB
(٥) يصير: تصير AB
(٦) بشهوده: شهوده A
(٧) B180b
(٨) يعدّونها: فتعدّدها AB

الصــور الجرميّة بالنسـبة إلى واصـل الحقائق تكون[١] كالمعدوم، بل كالممتنعات، إذا أُخذت لا من حيث[٢] ارتباطها بعللها؛ لامتناع تحقّقها بذواتها.

فالمُشـاهِد للحقائق بقطع[٣] العلائق ـالمنقطع عنه المشـاهدات الجرميّة المعبَّر عنها بالخياليّةـ ربّما توهَّم أنّ ما وصـل إليه هو الكون الحقيقيّ، وينبذ هذه الصـور بالكلّيّة، وليس الأمر كذلك.

فلا تطرح[٤] **الكون بـالكلّيـة،** أي لا تترُك ـأيّهـا الواصـل إلى الحقـائق!ـ الوجودَ الصـوريّ الظهوريّ في عالم الجرم بالكلّيّة، وتجعله[٥] كالمعدوم من كلّ وجه. بل اعرِفه مع الأوّل، واشهَدهما[٦]، **وانظُر**[٧] **العالمَين** ـالعالمَ الحقيقيّ العقليّ والمثاليّ الشبحيّ، والعالمَ الصوريّ الجرميّ الشهوديّ بالنسبة إلى أهل الحُجُبـ، **واعرِف كيفيّة الانطباق بينهما،** أي بين ذَينـك العـالمَين[٨]، بحيث[٩] يتحقّق عندك أنّ كلّ واحد منهما متوقّف على الآخر، باعتبار أنّ ظهور كلّ واحد منهما لا يتمّ إلّا بظهور الآخر.

أمّا العالم العقليّ، فلأنّه لا يتمّ الوصول إليه إلّا بعد المرور على عالم الصور الجرميّة.

وأمّا العالم الجرميّ، فلتوقّف ظهوره بتلك الصور على الأوّل.

فإنّك متى حقّقتَ كيفيّة الانطباق بينهما **تُصِب الحكمة** بملاحظتهما؛ فإنّ الحكيم الفاضـل مَن وصَـل إلى معرفة كيفيّة الجمع، وتحقّق معه شـهود الانطباق، ووصل إلى غوامض جزئيّاته. **فالمثاليّ** والعقليّ **لا يتمّ** في ظهوره وتحقّقه عند أهل الوصـول وأهل البـدايـا **بلا مظاهره،** التي يتجلّى بها على النفس في مدارج هبوطها وصـعودها في

---

(١) تكون: يكون A

(٢) حيث: حيثيّة A

(٣) بقطع: يقطع B

(٤) تطرح: يطرح A

(٥) تجعله: يجعله A

(٦) اشهدهما: اشهدها A

(٧) A266b

(٨) B181a

(٩) بحيث: بحسب A

أحوال منازلها في مشاهدة العوالم. **والمظاهر** الشبحيّة الظهوريّة بالصور الشهوديّة الجرميّة **لا تكون مظاهر بدون كونها مظاهره؛** لِما بينهما من الإضافة النسبيّة؛ فإنّه لمّا كانت مظاهر لذلك العالم ليظهر على النفس في مداركها، لَم يتحقّق لها كونها مظاهر له، إلّا بانتسابها إليه وارتباطها به من حيث النسبة الإضافيّة المتوقّف تحقّقها على تحقّق المنتسبَين وثبوت المضافَين. وبذلك ظهر وجوب [الاعتراف][1] بالانطباق بينهما، وأنّ الحكمة لا تُصاب[2] بدونه.



(١) الاعتراف: الأعراق A، الأعراف B

(٢) تصاب: نصاب A

[التحذير عن التشبّه بالإباحيّة]

ولمّا كان التحقّق بشهود الانطباق موضع مزالقِ الأقدام، وتعارضِ العقول والأوهام، حذَّر من خديعة الوهم للعقل عن التحقّق به، فاعرِفه حقّ المعرفة. **ولا تسلبك أوهام الإباحيّة،** وهُم الذين رفضوا عالم الصور، ونبذوا عالم الجرم وراء ظهروهم، فلم يلتفتوا إليه بحالٍ، وأباحوا ما حرِّم عليهم في الشرائع النبويّة. فلذلك سُمّوا(١) بالإباحيّة(٢) **الناظرين بالعين الواحدة(٣) السقيمة(٤) إلى أحدهما؛** فإنّهم بجهلهم حرموا لذّة الاطّلاعِ الكلّيّ والنظرِ إلى الأشياء بالرؤية السليمة الحاصلة لمجموع العينين، بل صارت مطالعتهم إليها بعينٍ واحدة غير سليمة من الآفات، بل كانت أيضاً سقيمة معتلّة. فنظروا بتلك العين الواحدة العوراء إلى أحد العالمَين، ولم ينظروا إلى الحقيقتَين(٥)، من حيث إنّ مطالعتهم كانت لا بالعينَين فيشاهدوا [بإحداهما](٦) أحدَهما وبالأُخرى الآخر، كما شاهَد مَن نظَر بهما على صحّتهما، [فشاهَد بهما](٧) العالمَين معاً؛ لقوّة إدراك بصره، فلم يضعف عن أحدهما ويشهد الآخر، كما فعَله الإباحيّة من النظر إلى أحدهما خاصّة.

وأغفلوا(٨) بسبب ذلك **كيفيّةَ الارتباط** بين العالمَين؛ فإنّه لو تحقّق عندهم الارتباطُ بينهما على الوجه الذي شهده أهلُ الحقيقة، لَما أغفلوا النظر عن الآخر ولَشاهدوه؛ فإنّ الارتباط موجب لِتوقّف أحدهما على الآخر. فمَن عرف كيفيّته لم

---

(١) سمّوا: سمّيوا B

(٢) بالإباحيّة: بالإباحة A

(٣) A267a

(٤) B181b

(٥) الحقيقتين: الحقيقيّين A

(٦) بإحداهما: بأحدهما AB

(٧) فشاهد بهما: فيشاهدهما A، فشاهدهما B

(٨) أغفلوا: اعقلوا A

يتحقّق عنده الغفلة عن أحدهما، ومَن لم يعرفه وقع في تيه العمى.

فإنّ كثيراً من السالكين الذين أغفلوا كيفيّة الارتباط، **قد استهام بهم الجِبتُ**[١]، أعني الشيطانَ الذي هو الوهم المُردي[٢] المسمّى بالوسواس الخنّاس، الذي لا ينقطع عن أكثر الناس؛ فإنّ لاستيلائه على عقولهم بواسطة إغفال الارتباط، أوقعَهم في مَهامِهِ[٣] الخطأ، وأركبهم سوءُ النظر **إلى الإباحة والإلحاد**[٤]، فقالوا بإباحة[٥] جميع ما منَعه الشرع من المحرّمات الدينيّة، وأخرجوا من الدين ما أوجبه اللّه تعالى على لسان أنبيائه فيه، من الواجبات[٦] الشرعيّة والأعمال الظاهرة بصور الأشخاص التابعة للأمر الإلهيّ، وهو معنى الإلحاد.



(١) الجبت: الخبيث B

(٢) المردي: المروي A

(٣) المَهمَه: المفازة البعيدة، والجمع المهامه. (لسان العرب)

(٤) الإلحاد: الإيجاد B

(٥) بإباحة: إباحة A

(٦) B182a

[استدلال الإباحيّة لتركهم الأحكام التكليفيّة]

فتركوا الظواهرَ بالكلّيّة وثوقاً بالوصـول، وعطّلوا الحدودَ الشـرعيّة والأحكامَ التكليفيّة؛ لأنّهم لمّا وصلوا إلى الحقائق الثابتة في أصل الوجود، علموا أنّه لا موجود[(١)] ولا ذات في الحقيقة غيره، فلا فاعلَ ولا فعلَ، بل الفاعل الحقيقيّ في الكلّ وللكلّ هو المبدأ الأوّل الذي لا وجود لغيره. فالأحكام التكليفيّة والظواهر النقليّة حجبٌ كانت حائلة بينهم وبين الوصـول. فلمّا قطعوها وحصـل الوصـول، ارتفعوا بذلك عن دائرة التكليفات الظاهرة؛ لأنّها مرتبة المحجوبين الملاحظين للصـور الجرميّة الفاعلة الوجوديّة. فالمُرتقي عن هذه الدرجة ينقطع عنه تلك المشاهدات الحُجُبيّة، فلا يحتاج إليها، بل ولا يلاحظ أنّها شـيء بالحقيقة؛ فإنّ الصـلاة الصـوريّة الظاهرة بصـورة الأعضاء[(٢)] والحركات والسكنات، إنّما جعِلت سبيلاً إلى الصلاة الحقيقيّة المعنويّة التي هي الحضـور التجرّديّ الخالي عن أحكام الكثرة الإمكانيّة، المشتمل على الصفات والتخلّفات الوجوبيّة. فالمشـاهدُ[(٣)] لهذا المقام الواصـلُ إليه ينقطع عنه ملاحظة تلك الصـلاة الصـوريّة، وتكون[(٤)] عنده كالمعدوم، فيستغني عنها بالصـلاة الحقيقيّة المعنويّة؛ إذ هي المقصـودة بالذات. والأُولى[(٥)] إنّما وجبَت لكونها وسـيلةً إليها. فمع الوصـول إلى المقصـود بالذات، لم يكن ثَمّ حاجة إلى تلك الوسـيلة، بل

(١) A267b

(٢) الأعضاء: الاقتضاء A

(٣) فالمشاهد: فالشاهد B

(٤) تكون: يكون A

(٥) الأولى: الأوّل A

يكون الاشـتغال بها عبثاً ورجوعاً عن المقصـود بعد الوصول[١] إليه. وعلى هذا القياس في جميع الظواهر[٢] الشـــرعيّـة. فلهذا تركوا الظواهرَ بالكلّيّة، وعطّلوا الأحكامَ النبويّة التكليفيّة.



(١) الوصول: الوصل A

(٢) B182b

[إبطال مذهب الإباحيّة]

وذلك ـعند التحقيق ـ **ضلالٌ عظيم وخسرانٌ مبين،** يعرفه من عرَف سرَّ الانطباق بين العالمَين، وتحقَّق عنده الارتباط بين الصور الظاهرة الجرميّة وبين الحقائق المثاليّة والعوالم العقليّة، وأنّ المعاني لا يتمّ بدون ظواهرها الدالّة عليها. فيتحقّق عنده أنّ جميع الظواهر الشرعيّة والحقائق التكليفيّة وإن كانت وسائل إلى الحقائق العقليّة والصور المثاليّة[(١)]، إلّا أنّها مظاهر لها، يظهر فيها أحكام أحوالها، ويختلف تلك الحقائق بواسطة تلك المظاهر بواسطة الصور المتداولة عليها. فيظهر لها بواسطة الصور [أحكام][(٢)] صفاتيّة يظهر آثارها على النفس في مدارجها. وتلك الصور لا جرمَ أنّها لا [تكون][(٣)] صوراً حقيقيّة، إلّا بواسطة انطباقها على تلك الحقائق، وثبوتِ أحكامها بتمامها فيها. وذلك هو سرّ الانطباق، وكيفيّة الارتباط. فالمُهمِل لهذه الصور وثوقاً بالوصول إلى معانيها، قد ضلّ ضلالاً مبيناً، وخسر خسراناً عظيماً، وجهل جهلاً مؤدّياً إلى سوء العاقبة. هذا هو حال هذه الطائفة.



(١) A268a

(٢) أحكام: أحكاماً AB

(٣) تكون: يكون AB

[التحذير عن التشبّه بالحشويّة]

وأمّا **أهل القصــور** من أهل الظاهر ـالذين قصــر فهمُهم عن الوصــول إلى الحقائق بسـبب الحُجُب ـ **وقفوا على الظواهر،** زعماً أنّها هي الحقائق، وأنّه ليس وراءها شيء؛ لِمـا رأوه في أنفســهم من القصــور عن طلب ما وراءها. فأنكروه؛ عداوةً لِما جهلوه، كما قيل: «المرء عدوّ ما جهله»[١]. [و][٢] **وقفوا** بسـبب ذلك القصـور **بالقشـور** الخالية عن اللبّ؛ إذ رفضُ الحقائق بالكلّيّة والقصـورُ بالعقل على الصـور الجرميّة الظاهرة، من غير معرفة حقائقها التي هي لبابها بالصـورة الحقيقيّة، لا ريب أنّه في الحقيقة [قشور عارٍ][٣] عن الفائدة؛ لِما عرفتَ أنّ هذه الصور ليست حقائق لذاتها، ولا مقصودة[٤] بذاتها، وإنّما هي مظـاهر لتلـك الحقـائق، ووسـائـل إلى تلـك المقـاصـد، وقوالب لتلك المعاني. فالمقتصـرُ عليها الرافضُ لحقائقها قد قنع بالقشـر[٥]، ورضـي بما لا [يُغني][٦] ولا يفيد. فأهلُ الظاهر [المقتصـرون][٧] على فهم العبارات، الذين ملؤوا بطونَهم منها، **وحشـوا معدتَهم بها،** اسـتكثاراً ممّا لا [يُغني][٨] ولا يفيد، ولا يسمع ولا يبصر، و﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْني مِنْ جُوعٍ﴾[٩]. **فوقَعوا بذلك في تيه العمى** والضـلالة، ﴿يَحْسَـبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِـنُونَ صُنْعاً﴾[١٠]، لـ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ﴾[١١].



(١) مرويّ عن أمير المؤمنين ـعليه السلام ـ، كما في: عيون الحكم والمواعظ: ٦٧
(٢) و: ـ AB
(٣) قشور عارٍ: قشورها عاري A، قسور عاري B
(٤) B183a
(٥) بالقشر: بالقسر B
(٦) يغني: يعني AB
(٧) المقتصرون: المقتصرين AB
(٨) يغني: يعني AB
(٩) القرآن الكريم: ٧/٨٨
(١٠) القرآن الكريم: ١٠٤/١٨ || A268b
(١١) القرآن الكريم: ٥٣/٧

[وجوب النظر بكلا العالمَين معاً]

فأخِّر ـ أيّها الطالب للحكمة وإصابة الهُدى! ـ **الطائفتين** معاً، وهُما:

ـ الإباحيّة والمُلحِدون [بترك][1] الظواهر بالكلّيّة.

ـ والحشويّة الظاهريّة [المعطّلون][2] للمعقولات الحقيقيّة.

[فأخِّرهما][3] معاً **وراءك، وانبِذهم على سواء؛** لِما تحقَّق عندك من ضلالتهم، وسوء اختيارهم، واستيلاء الغباوة والجهل على أفئدتهم، فاترُكهم معاً مسوّياً بينهما في الترك والتضليل.

وانظُر بعينك الصحيحة السليمة **إلى العالمَين،** عالم العقل وعالم الجرم، الأوّل بما فيه من الحقائق، والثاني بما فيه من الصور. وانظُر كيفيّة الارتباط بينهما، والانطباق الواجب تحقّقه في معرفتهما. **والمَح ببصيرتك** الفَطِنة الذكيّة الألمعيّة **دقائقَ الكونَين،** الكون الغيبيّ الشهوديّ الحضوريّ، والكون الصوريّ الجرميّ الظهوريّ.

[مفهوم خلع النعلين عند أهل الظاهر وأهل الباطن]

وافهَم بفكرك القويّ ونظرك الجمعيّ **قولَه تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿فَاخْلَعْ[4] نَعْلَيْكَ﴾[5]؛ [فإنّ له][6] ظاهراً وباطناً.**

فإنّ أهل الباطن قالوا: كلّا! لم يكن مع موسى نعلين، وإنّما أراد بذلك أنّك اطرح الكونين، ولا تنظر إليهما؛ لتفوزَ بالتوحيد[7] الحقيقيّ والمقام الجمعيّ.

---

(١) بترك: تترك AB

(٢) المعطّلون: المعطّلين AB

(٣) فأخّرهما: فاجرهما AB

(٤) فاخلع: واخلع B

(٥) القرآن الكريم: ١٢/٢٠

(٦) فإنّ له: فإنّه AB

(٧) بالتوحيد: + الجمعيّ A || B183b

وأهل الظاهر(١) قالوا: إنّه كان لابساً لنعلين كانا من جلد ميتة، فنزّه اللّه ـ سبحانه ـ ذلك المكان [الطاهر](٢) عن الوطئ بذينك النعلين، [فأمَره بخلعهما](٣)، فقصّروه على مدلول اللفظ ظاهراً بالدلالة المطابقيّة(٤). حتّى أنّ بعضهم جعله من الألفاظ المجازيّة، فقال: المراد بالنعلين حبّ [زوجته، فأمَره](٥) بخلعه ورفضه.

[مذهب المصنّف]

وكلٌّ مِن الطائفتين في حدّ الإفراط والتفريط، بل التحقيق الجمعُ بين الأمرين، والالتزام بالانطباق الواجب تحقّقُه بين العالَمين، اللازم من شدّة الارتباط وعدم الانفكاك في جميع الأحوال، فكان الأمر ظاهراً وباطناً. فقبل الأمرَ، وفهم المرادَ، وفعل(٦) المأمورَ به، فطرح الكونَين، وخلع النعلَين، وجمَع بين العالَمين، واتّصف بالصفتَين؛ لِما علِمه من ارتباط الصور بالحقائق؛ فإنّ صورتَي النعلَين [موافقتان](٧) لحقيقة الكونين، فلا يتمّ الامتثال إلّا بهما. وذلك هو عين ما حقّقناه من وجوب الانطباق الجامع الحاصل عن الارتباط الذي هو لبّ الحكمة وعنوان الوصول.

[استشهاد بكلام الغزّاليّ]

(٨)< قال بعض أهل هذه الطريقة: توهّموا أهل الظاهر ممّا سمعوا من ضرب الأمثال ممّا لم يحيطوا به علماً في ترك الظواهر واعتقاد إبطالها، حتّى أنّهم يقولون: لم يكن مع موسى نعلان(٩)، ولم يسمع الخطاب بقوله: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾(١٠). حاش(١١) للّه أن

---

(١) الظاهر: الطاهر B
(٢) الطاهر: الظاهر AB
(٣) فأمره بخلعهما: فأجره بجعلهما AB
(٤) المطابقيّة: المطابقة A
(٥) زوجته فأمره: زوجه فأجره AB
(٦) A269a
(٧) موافقتان: موافقتين AB
(٨) بداية العبارات المنقولة من: مشكاة الأنوار للغزّاليّ.
(٩) نعلان: نعلين AB
(١٠) القرآن الكريم: ١٢/٢٠
(١١) حاش: حاشا P

يكون الأمر كما توهّموا، ولا واللّه ليس كما فهموا؛ فإنّهم لم يعرفوا الموازنة بين العالمَين، ولم يحيطوا بتطابق الكونَين. فالذي يجرّد الظاهرَ حشويٌّ و[١] الباطنَ باطنيٌّ؛ فإنّ إبطال الظاهر زيّ [الباطنيّة][٢] الذين يبصرون بالعين الواحدة العوراء إلى أحد العالمَين. بل فهِم موسى من خلع[٣] النعلين [اطّراح][٤] الكونَين، فامتثل الأمرَ ظاهراً بخلع نعلَيه، وباطناً باطّراح[٥] العالمَين.



(١) و: + الذي يجرّد P
(٢) الباطنيّة: الباطنة AB
(٣) من خلع: بخلع P
(٤) اطّراح: اطرح ABP
(٥) باطّراح: بخلع P

[نماذج لهذا الأمر في الآيات والروايات]

وفي السنّة النبويّة والأخبار الولويّة **من هذا شيء كثير؛** فإنّ أقوال النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ قد اشتملت على هذا النمط، وجاء فيها أحاديث كثيرة، مشار فيها إلى كيفيّة الانطباق ومراعاة الارتباط.

[النموذج الأوّل]

كقوله ـعليه السلامـ: «لا تدخُل الملائكة بيتاً[١] فيه كلب[٢]»[٣]؛ فإنّ بعض أهل الفحص عن المعاني من أهل الباطن قال: ليس مراده بالبيت في الحديث بيتَ المَدَر[٤] أو بيت الشَّعر، ولا بالكلب الكلابَ الحيوانيّة، بل:

ـ المراد بالبيت هنا القلب[٥]؛ لأنّه بيت المعرفة، ومحلّ العلوم الحقيقيّة.

ـ والمراد بالكلب القوّةُ الغضبيّة الشريرة.

ـ والمراد بالملائكة المعارف الربّانيّة. >[٦]

ووجه المناسبة للأُمور الظاهرة ظاهرٌ؛ فإنّ:

ـ البيت ما[٧] يُستقرّ فيه؛ والقلب مقرُّ المعارف ومَسكنُها.

ـ والكلب هو الحامي عن دخول البيت؛ لِما فيه من القوى الشريرة؛ والقوّة الغضبيّة كذلك.

---

(١) بيتاً: بيت AB

(٢) كلب: + أو صورة P

(٣) الطرائف: ٢٢٠/١؛ عوالي اللئالي: ٢٦١/١

(٤) المدر: قِطَعُ الطين اليابس. (لسان العرب)

(٥) B184a

(٦) مشكاة الأنوار للغزّاليّ: ٢٨٣ (مع تصرّف وتفصيل)

(٧) ما: + به B

ـ والملائكـة هم عبـاد اللّـه المُكرَمون؛ ومعارف اللّه تعالى هم الملائكة الذين[١] بهم نجاة النفس الحيوانيّة، بمتابعتها للنفس الناطقة، بواسطة حصول المعارف في بيت القلب. وهي لا تجامع القوّةَ الغضبيّة التي هي كلب بيت القلب.

[مذهب أهل الظاهر]

وأهل الظاهر[٢] قصّروه على محلّ النطق بالدلالة [المطابقيّة][٣]، على ما فهِمه أهل اللغة من معاني هذه الألفاظ عند إطلاقها:

ـ فالبيت بيت المَدَر أو بيت الشَعر.

ـ والكلـب الحيوان المعروف المتّخَـذ في البيوت، الحـارس عن غفلـة أهلها عن الطارق ليلاً[٤] ونهاراً.

ـ والملائكة الصنف[٥] المعلوم من خلق اللّه تعالى.

وأراد ـعليه السـلامـ أنّ الكلب [لشـرارة][٦] فيه لا ينبغي لأهل المنازل [اقتناؤه][٧] و[اتّخـاذُه][٨]؛ لأنّ الملائكـة المتعلّقين بـأهـل ذلـك المنزل يتـأذّون[٩] به؛ لنجاســته و[شــرارتـه][١٠]، فلا يـدخلون [بيتـاً][١١] هو فيـه، فيخلو ذلـك المنزلُ عن ملائكة اللّه الحافظين والمتعاهدين[١٢] له. فنهى[١٣] ـصـلّى اللّه عليه وآله وسـلّمـ عن اتّخاذه في البيوت.

---

(١) الذين: الدين B
(٢) الظاهر: الطاهر B
(٣) المطابقيّة: المطابقة AB
(٤) A269b
(٥) الصنف: الصفّ A
(٦) لشرارة: لشريرة AB
(٧) اقتناؤه: استغناؤه A، استقناؤه B
(٨) اتّخاذه: اتّحاده AB
(٩) يتأذّون: ينادون A
(١٠) شرارته: شريرته AB
(١١) بيتاً: بيت AB
(١٢) التعاهد: التحفّظ بالشيء. (لسان العرب)
(١٣) فنهى: فتخلّى B

[مذهب أهل التحقيق]

وأهلُ التحقيق ـالذين[١] شـأنهم الجمعُ بين العالمَين، والتطبيقُ بين الصـور الجرميّة والحقائق العقليّةـ قالوا: إنّه ـصـلّى اللّه عليه وآله وسـلّم[٢]ـ جمَع بين الأمرَين، وأشـار إلى الحالتَين، وأمر بالجمع بين الصـورتَين الحقيقيّة المعنويّة؛ فإنّ الكلب [للشـرارة][٣] التي فيه كان مظهر القوّة الغضبيّة؛ [للشرارة][٤] اللازمة[٥] لها. فهي كلب القلب الذي هو مسـكن الأُمور العقليّة والمعارف اليقينيّة، التي [هي][٦] ملائكة اللّه الظاهرة[٧] بصـورها في مدارج النفس. وهذا الظاهر بالنسبة إلى البيوت المنزليّة يوافق هذه الأسرار. فنهى ـعليه السـلامـ عن تربية الكلب النهيَ المطابق للعالمَين والمظهر للصـورتَين في بيت القلـب المعنويّ والبيـت المَدَريّ أو الشـعريّ الصـوريّ، اللذين[٨] هما مظاهر صـور الأعمـال ومحـلّ قبولهـا في الحقيقتين؛ لئلّا ينفِر ملائكـةُ[٩] القوى وملائكـةُ المعـارف الظـاهرين[١٠] بسـرّ[١١] ترجمـان المعرفة والحقائق الظاهرة في الأعمال البيّنة[١٢] بأحوال الظاهر والباطن. فكان كلامه ـعليه السلامـ جامعاً بين العالمَين.

قال بعض الفاحصـين[١٣]: وترى [بعض][١٤] أهل الإباحة و[الإلحاد][١٥] إذا سـمع قول النبيّ ـصـلّى اللّه عليه وآله وسـلّمـ: «لا تدخل الملائكة [بيتاً][١٦] فيه كلب، ولا

---

(١) الذين: الدين B
(٢) وآله وسلّم: ـ B
(٣) للشرارة: الشريرة A، للشريرة B
(٤) للشرارة: للشريرة AB
(٥) B184b
(٦) هي: ـ AB
(٧) الظاهرة: الطاهرة B
(٨) اللذين: الذين AB
(٩) ملائكة: الملائكة A
(١٠) الظاهرين: الطاهرين B
(١١) بسرّ: سرّ A
(١٢) البيّنة: البتّيّة A
(١٣) لم أعثر على قائله.
(١٤) بعض: ـ B
(١٥) الإلحاد: الإيجاد B
(١٦) بيتاً: بيت B

صــورة»(١)، فيقتني الكلـبَ في البيت، ويقول: ليس الظاهر من الكلب [مراداً](٢)، بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضبيّة؛ لئلّا يمنع المعرفة التي هي من أُمور الملائكة.

وفرّق بين هذا وبين من يمتثل الأمر ظاهراً، ويقول: ليس الكلب كلباً لصــورته، بل لمعناه، وهو السـبُعيّة والضَــراوة. فإذا كان حفظ البيت الذي هو مقرّ الشـخص والبدن واجباً، كان حفظ القلب الذي هو مقرّ الجوهر النفيس الخاصّ عن شـــرّ الكلبيّة أولى. فالجامع بين [امتثال](٣) الأمر ظاهراً وباطناً هو الكامل(٤).

فتدبَّر وتفطَّن ترشُد(٥) إلى حقيقة الحكمة، وسرِّ عبارات الشريعة المحمّديّة.



---

(١) الطرائف: ٢٢٠/١؛ عوالي اللئالي: ٢٦١/١
(٢) مراداً: مراد B
(٣) امتثال: أمثال B
(٤) قال بعض الفاحصين ... الكامل: ـ A
(٥) ترشد: يرشد ‖ B185a

[النموذج الثاني]

ومن ذلك **قوله ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ: «الذين يشربون في آنية الفضّة إنّما يُجَرجر في بطونهم نار جهنّم»**[١].

ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً﴾[٢].

فإنّ الآية دلّت بظاهرها على وقوع هذا في الحال، وكذلك ظاهر الحديث دالّ على وقوع جرجرة النار في بطونهم في الحال. والجَرجَرة بمعنى النصب[٣]، وهو متعدٍّ، فيكون فاعلُ قوله «يجرجر» الراجع إلى «الذين»، و«نار جهنّم» مفعول له؛ أو بمعنى الحركة، وحينئذٍ فهو لازمٌ، وفاعلها «نار جهنّم».

وفي الآية والحديث ما يُشعر بما نحن بصدده من إثبات الحقائق، وأنّها تظهر بصور الأجساد، وأنّ الأعمال والأخلاق في المواطن المعاديّة والشهوديّة تظهر بصورها المتجسّدة حقائقها الثابتة، وذلك دليلٌ على سرّ الانطباق بين العوالم.

ومنه يظهر سرُّ حشر الأفراد بصور الأخلاق الغالبة عليها، المُشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾[٤].

وقوله ـعليه السلامـ في حقّ أضدادهم: «أهل الجنّة جُردٌ مُردٌ مكحَّلين»[٥].

[النموذج الثالث]

وفي السنّة من هذه المعاني كثير، مثل قوله ـعليه السلامـ: «إنّ الجنّة قيعان، وإنّ

---

(١) المجازات النبويّة: ١٤٣؛ عوالي اللئالي: ٢١٠/٢

(٢) القرآن الكريم: ١٠/٤

(٣) A270a

(٤) القرآن الكريم: ٩٧/١٧

(٥) الاختصاص: ٣٥٨

غِراسها[١] سبحان اللّه وبحمده»[٢]. فإنّ الحديث يدلّ على أنّ هذا القول بعينه غِراسها، وهو بيان لظهور الأعمال بصور الأجساد، بناءً على الارتباط بين الصور والحقائق.

[النموذج الرابع]

ومثله قوله ـعليه السلام[٣]ـ: «الدنيا مزرعة الآخرة»[٤]؛ فإنّه كالبذر، [و][٥] هو مادّة ما ينبت منه، بل هو الذي يظهر بعينه بعد إنباته[٦] بصورة الشجرة وأغصانها وأوراقها وأثمارها. فكذلك الأعمال والأخلاق المكتسَبة في الدنيا مادّة الجنّة والنار، وهي بعينها تظهر في ذلك الموطن بصورتها[٧] وصورة ما يظهر فيها من اللذائذ والمَكاره. وكلّ ذلك دليل على ارتباط الصور بالحقائق، وظهورِ الحقائق في ملابس الصور، وإن لم تظهر على أهل الحُجُب.

[النموذج الخامس]

وما ألْيَق هذا المقام بقوله ـعليه السلامـ: «لا يبولنّ أحدُكم في الماء الدائم»[٨]؛ فإنّ الماء بالصورة[٩] الظاهرة مظهر الأفعال الحقيقيّة[١٠] من الأولياء بالنسبة إلى مقام الهداية والإرشاد [المطهِّرين][١١] من دَنَس غفلة الطبيعة ورجس الحوادث[١٢] المادّيّة، الذي ظهر في الماء بالصورة الظهوريّة[١٣] النافية لدَرَن البدن[١٤] والثياب. والبول الواقع

---

(١) غراسها: أغراسها A
(٢) عوالي اللئالي: ٨/٤
(٣) B185b
(٤) تنبيه الخواطر: ١٨٣/١؛ عوالي اللئالي: ٢٦٧/١
(٥) و: ـ AB
(٦) إنباته: انبساطه B
(٧) بصورتها: بصورها A
(٨) عوالي اللئالي: ١٨٧/٢
(٩) بالصورة: بصورة A
(١٠) الحقيقيّة: الحقيقيّ A
(١١) المطهّرين: المظهرين AB
(١٢) الحوادث: الجواب B
(١٣) الظهوريّة: الطهوريّة A
(١٤) A270b

فيه موجب للدَرَن المُنافي لحقيقته[١] الثابتة بصورة إزالة الدَرَن[٢].

ونسبته[٣] إلى ما يفعله أهل الجهل [من][٤] سوء الاعتقاد في الوليّ، وما يوجّهون إليه من الأفعال الغير الملائمة [لحاله][٥]، نسبةُ[٦] البول إلى الماء في مظاهر الصور، وتلك هي الصور الحقيقيّة. ودوامُ الماء وعدم جريانه، بمنزلة خمول الوليّ باستيلاء ذوي الغباوات على المناصب، وظهور الجهل وفَشوِهِ؛ فإنّ الماء لوقوفه[٧] يكون سريع[٨] التأثّر عن المُلاقي؛ لِعدم قوّةٍ دافعة توجب سرعة الاستحالة للملاقي إليه. وخمولُ الوليّ موافق لهذه الصورة الظاهرة في الماء الدائم؛ لعدم تمكّنه مِن دفع ما يرد عليه من نجاسات ذوي الغباوة، بسبب الخمول وقلّةِ الناصر. فهو سريع[٩] الانفعال عن المُلاقي، كصورة الماء الدائم. ولهذا خصّ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم[١٠] ـ النهي به؛ لأنّ الوليّ الظاهر المبسوط اليد له قدرةُ الدفع والذبّ بالجهاد والقيام بالحجّة، فلا ينفعل عن الملاقي كالماء الجاري.

فتفطَّن ـ نوَّرك اللّه بنور اليقين ـ إلى هذه الأسرار، وظهور الحكمة بالانطباق بين الحقائق وصورها وحصول الارتباط، إلى غير ذلك من الإشارات والحِكَم.



---

(١) المنافي لحقيقته: المنفيّ لحقيقة A
(٢) الدرن: ـ A
(٣) نسبته: تشبه B
(٤) من: ـ AB
(٥) لحاله: لحالة AB
(٦) نسبة: تشبه B
(٧) لوقوفه: لوقوعه B
(٨) B186a
(٩) سريع: + به B
(١٠) وآله وسلّم: ـ B

[تأكيد على ضرورة الالتفات بالعالمَين معاً]

فـإذا كنـتَ واقفـاً على مـا أشــرنا إليه في هذه الرموز، وعرفتَ بها حقّ المعرفة كيفيّةَ الارتبـاط وحقيقـةَ الانطباق، **فلا تطوي بســاط الأحكام الظاهرة**، عند وصــولِك إلى الحقائق ومعرفتِك بأنّ الصـور الجرميّة لا حقيقة لها ولا وجود. **ولا تغفل**[١] **عن الحقائق**، بسـبب مشـاهدة الصور في عالم الحسّ الظاهر لك بسبب الحُجُب [الطبيعيّة][٢]. **فبين الأمرين ارتباطٌ لا يتوفّق له إلّا أُولوا**[٣] **البصـائر**، كما بان لك ـ في ما حقّقناه آنفاً ـ أنّ بين العـالمَين ارتبـاط، لا بـدّ من الوقوف عليه لمن أراد التحقّق[٤] بالحكمة[٥]، والمباينة لطائفتَي الإباحيّة والحشويّة. وذلك مرام عزيز، لا يتوفّق له إلّا من أُيّد ببصيرة نافذة ونفس قدسيّة من الأولياء الكُمَّل.



---

(١) تغفل: تعقل B
(٢) الطبيعيّة: الطبيعيّ AB
(٣) أُولوا: + الألباب A
(٤) التحقّق: التحقيق A
(٥) A271a

[كمال الكمّل بالجمع بين العرفان الحقيقيّ والورع التامّ]

[١]< **فقد قيل: «إنّ الكامل من لا يُطفئ نورُ عرفانه نورَ ورَعه»**[٢]**؛** فإنّ الكمال للكُمَّل إنّما يتحقّق بالجمع بين العرفان الحقيقيّ والورع[٣] التامّ. فلا بدّ أن يكون الكامل جامعاً بينهما، حتّى به يكون كاملاً.

فأمّا مَن[٤] وصَل إلى تمام المعرفة بشهود الحقائق، تاه به، واتّقدَت[٥] نورانيّةُ علمه، فأطفأت صورَ الأعمال الظاهرة ونورَها الحاصل عن الورع عمّا حماه اللّٰه على أهل طاعته، [فانطفأ][٦] نورُ الورع بنور العرفان. فليس حينئذٍ بكامل، ولا يتحقّق[٧] بالكمال، ولا بنور العرفان.

وكذلك من اكتفى بنور الورع عن نور العرفان، واتّكل عليه، وجعَله سُلّماً إلى كماله دون الوصول إلى الحقائق الشهوديّة بنور المعرفة، فليس بكامل أيضاً، ولا متحقّقاً[٨] بمقام الكُمَّل. بل الكاملُ [هو][٩] القائمُ بالأمرين، الجامعُ بين النورين، نور العرفان ونور الورع.

وسرُّ هذا الجمع إنّما يظهر مِن سرّ معرفة الانطباق بين الظاهر والباطن[١٠] وحصول العلم بالارتباط بينهما[١١]؛ فإنّ به يتحقّق الارتباط بين نورَي العرفان والورع. >[١٢]



---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) منسوب إلى ذي النون المصريّ، كما في: اللمع في التصوّف: ٣٩؛ وإلى سهل بن عبد اللّٰه التستريّ، كما في: علم القلوب: ١٢٩؛ وإلى سريّ السقطيّ، كما في: تهذيب الأسرار: ١١

(٣) الورع: لورع P || B186b

(٤) من: + إذا BP

(٥) اتّقدت: انعدمت P

(٦) فانطفأ: فانطفئ AB

(٧) يتحقّق: متحقّق P

(٨) متحقّقاً: متحقّق P

(٩) هو: _ ABP

(١٠) بين الظاهر والباطن: _ AB

(١١) بينهما: _ AB

(١٢) أنوار الحقيقة: ٦٠١ _ ٦٠٢

[محافظة الأنبياء والأولياء على الحدود الشرعيّة]

بل قد شاهدنا **الكُمَّل** من الأنبياء والأولياء ومن ضارَعهم[١] من أتباعهم والسالكين لمواطئ أقدامهم **أشدّ** الناس **مواظبةً على محافظة**[٢] **الحدود الشرعيّة والقيام [بها]**[٣]**. فلَم نجِد لأحدٍ منهم [فَرطةً]**[٤] **في إهمال شيء منها، ولا المسامحة في تركها** أو ترك شيء منها **لغيره.**

وذلك ظاهرٌ بيّنٌ لمَن تتبّع سيَر أنبياء اللّه وأوليائه وخلفائه؛ فإنّه يعلم بالضرورة أنّهم كانوا ـوجميع أتباعهم وأصحابهمـ في غاية المحافظة على الحدود الشرعيّة والأحكام التكليفيّة، فرضها ومسنونها ومحرَّمها[٥] ومكروهها. بل رفضوا أكثرَ[٦] المباحات[٧]، إلّا القدر الضروريّ[٨] الموصِل إلى المسبّبات المقصودة. بل وقابَلوا مَن يتركها بالنهي والزجر والوعيد. بل جاهَدوهم على القيام بها بالسيف وإقامة الحدود، ولم يرخصوا في تركها لأحد ـكائناً مَن كانـ ولا سامَحوا في إهمال شيء من جزئيّاتها، فضلاً عن كلّيّاتها.



---

(١) المضارعة: المشابهة. (لسان العرب)

(٢) محافظة: الحافظة A

(٣) بها: ـ AB

(٤) فرطة: فرط A، فرطه B

(٥) محرّمها: محرّماتها A

(٦) أكثر: أكبر B

(٧) B187a

(٨) A271b

[استدلال الإباحيّة لترك الظواهر الشرعيّة]

فلا تلتفِت(١) بعد علمك بذلك **إلى أوهام الإباحيّة؛** لِما عرفته من ضلالهم(٢) وسوء اختيارهم ووقوعهم في تيه العمى؛ لمخالفتهم في معتقَدهم لجميع أهل اللّه وخاصّة عباده، الذين(٣) هم(٤) أقرب الخلق إليه، وأشدّهم(٥) به معرفةً، وأقوى الخلق اطّلاعاً على الحقائق. فلا تُهمِل ما لا يُهمِله أُولئك الذين هم القُدوة للكلّ.

وقولهم: ـأي وقول الإباحيّةـ «**إنّ الحكمة تركُ الصور ورفض الظواهر؛ إذ بالحكمة يتحقّق معاني الأشياء، دون صورها، فبمُمارستها تطّلع على الحقائق دون الظواهر**»؛ فإنّ الإباحيّة ربّما اعتذروا في ترك الظواهر بأنّ طالب الحكمة ومريد الاتّصاف بها، لا يتمّ له مقصوده إلّا بترك اعتبار الصور الجرميّة ورفضِ جميع الخيالات الظاهرة في مدارك المحجوبين؛ فإنّه ما لم يصل إلى هذه المرتبة و[يتقطّع](٦) عنه متعلّقات الصور كلّها، وإلّا فما كان واصلاً، بل كان محجوباً غير موصوف بالحكمة؛ إذ لو كان حكيماً لَما تحقَّق عنده شيء من هذه الصور البتّة؛ لأنّ بالحكمة الحقيقيّة يتحقّق معاني الأشياء وحقائقها الذاتيّة، دون صورها(٧) الظاهرة في مدارك المحجوبين. فالمُمارس بالحكمة(٨) و[المُتعنّى](٩) بالتوغّل في الاتّصاف بها

---

(١) تلتفت: يلتفت A
(٢) ضلالهم: ضلالتهم A
(٣) الذين: الدين B
(٤) هم: ـ A
(٥) أشدّهم: أسدّهم A
(٦) يتقطّع: يقطع A، تقطع B
(٧) B187b
(٨) بالحكمة: للحكمة B
(٩) المتعنّى: المتعاني AB

يطّلع على جميع الحقـائق بذواتها، دون صــورها. فينقطع عنه المشـاهدات الجرميّة والتعلّقات المادّيّة، فلا تعلّق[١] له بالظواهر؛ لِما بين حاله و[حالها][٢] من المباينة.



(١) تعلّق: يتعلّق A

(٢) حالها: بينها AB

[إبطال مذهب الإباحيّة]

وذلك من الأوهام المُردية[١] والأفكار المُضـلّة؛ فإنّهم تركوا حقيقة الانطباق، **ولم يخطُر ببالهم أنّ الصور مرتبطة بالمعاني[٢]، وظواهر الأشياء مبنيّة على حقائقها.** فلمّا أهمَلوا جانبَ الارتباط بين الصـور الظاهرة في مدارك المحجوبين وبين الظاهرة لأهـل الكشـف، وأنّ الظواهر المعلومـة المُـدرَكـة بـالحسّ إنّمـا تبتني[٣] على تلـك الحقـائق، وأنّـه لا يتمّ أحدهما إلّا بالآخر ـكما مرّ تقريرهـ، وقعوا في هذه الجهالات، وحصلوا على الضلالات.

[٤]< **بـل الحقيقـة تركُ ملاحظـة العمـل، لا ترك العمـل ـ كما توهّموهـ. وإليه الإشارة بقول سيّد[٥] الأولياء: «ما عبدتُك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنّتك، بل وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتُك[٦]»[٧].** فإنّ مَن أراد إلزامَهم وقطعَ ما تعلّقوا به، فليتحقّق معهم البحـث بـأنّ ما ذكرتُموه[٨] به ينقطع ملاحظة العمل، من حيث إنّ الواصـل إلى الحقيقـة[٩] لا يتحقّق عنـده فعل ولا فاعل غيره تعالى، فلا يلاحظ حينئذٍ شـيئاً[١٠] من الأعمال. ولا يلزم من عدم ملاحظة العمل ـمن حيث وجوده عن فاعله في نظر المحجوبينـ عدمُ[١١] ملاحظة فعله ووجوب تركه؛ فإنّ الملاحظة الأُولى لا تنافي[١٢] الثانية.

---

(١) المردية: المرويّة AB
(٢) A272a
(٣) تبتني: تبني A
(٤) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٥) سيّد: سند A
(٦) أهلاً للعبادة فعبدتك: أهل ذلك AB
(٧) نهج الحقّ: ٢٤٨؛ عوالي اللئالي: ٤٠٤/١
(٨) ذكرتموه: + وإن كان AB
(٩) إلى الحقيقة: بالحقيقة P
(١٠) شيئاً: شيء AB
(١١) B188a
(١٢) تنافي: ينافي P

والحديث المُشـار إليه دالّ على هذا المعنى، وبه يُعرَف سـرُّ معنى الإخلاص في العمـل، وتوجّه النفس فيه إلى سـرّ العبوديّة، دون ملاحظة الخصـوص والمخاوف أو غيرهما من الأغراض[١] الحاجبة عن الوصول والاتّصال بالمعبود. >[٢]

[كيفيّة تعيّن مراتب أعمال المكلّفين]

[٣]< وتحقيقُ هذا المبحث وكشـفُ سـرّه أن نقول: ولمّا كان الغالب على أعمال أكثر الخلق وأغلب[٤] الناس الخواصَّ الطبيعيّة[٥] المزاجيّة، وسـدرة المنتهى هي منتهى عالم الطبيعـة ومَحتِـدُ الطبيعة وعنصـرُ[٦] العناصـر، والأعمال البدنيّة فروع المزاج الطبيعيّ، والفرع لا يتجاوز أصـله، والجزء لا يتعدّى كلّه، بل ينجذب إليه ويتّصـل[٧] به، فمراتب الأعمال[٨] متعدّدة. ولها تشابُه من صورها التي لها[٩] نسبةٌ إلى البدنِ الصادر عنه العملُ، المركّـبِ عن العناصـر[١٠]؛ ونسـبةٌ إلى[١١] الروح المدبّر للمزاج و[١٢] المتصـرّف فيه. وللملائكة الموكّلين بعالم الكون والفسـاد، المتعاقبين فينا بالليل والنهار، المُشـار إليهم بقولـه ـعليه السـلامـ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و[١٣] النهار، ويجتمعون[١٤] عند صلاة الصبح و[١٥] العصر»[١٦]، و[للكرام][١٧] الكاتبين الرافعين للأعمال[١٨] في إنشاء[١٩]

---

(١) الأغراض: الأعراض P
(٢) أنوار الحقيقة: ٦٠٢
(٣) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.
(٤) الخلق وأغلب: ـ P
(٥) الطبيعيّة: للطبيعة A
(٦) وعنصر: ـ AB
(٧) ويتّصل: بالذات ليتّصل P
(٨) الأعمال: + وسِدَر انتهاءاتها P
(٩) التي لها: الذي له P
(١٠) A272b
(١١) إلى: ـ AB
(١٢) و: ـ AB
(١٣) و: + ملائكة P
(١٤) ويجتمعون: مجتمعون A
(١٥) و: + صلاة P
(١٦) شرح فروع الكافي: ٤٢٣/٢
(١٧) للكرام: الكرام ABP
(١٨) الرافعين للأعمال: والرافعين لأعمال العباد للعرض على الربّ P
(١٩) إنشاء: انتشاء P

صـورها ومراتب إثباتها، مدخلٌ كثير[١]، يعرفه أهل الذوق الصـحيح والكشف التامّ. ويثبت في مراتب الأعمال البدنيّة ومراتب الأعمال الروحانيّة، فيقع الاشـتباه الناتج[٢] عن الامتزاجات الحاصلة من خواصِّ الأمزجة والقوى الروحانيّة والتصوّراتِ ومتعلّقاتِ الهِمَم.

وإليه الإشـارة في إسباغ[٣] الوضوء في السَبَرات[٤] ونحوه؛ فإنّ[٥] إسباغ الوضوء من حيث هو [هو][٦] عمل بدنيّ[٧] بصـورته الظاهرة على الأعضاء، غير أنّه كان غير ملائم للمزاج ومُشـقّ[٨] عليـه، وكـان الحـامـل على ارتكـابه هو الروح. فمن حيث كان هو أصـل[٩] العمل كان روحانيّاً، ومن حيث الصـورة هو طبيعيّ. فظهر[١٠] متشـابهاً ذا[١١] جهتين[١٢]، فلا بـدّ من إدراك الأقوى من النسـبتَين إلى أحد[١٣] الطرفين ـ أعني طرف الروحـانيّ[١٤] وطرف الطبيعيّ[١٥] ـ. وحينئذٍ يتعيّن مرتبة ذلك العمل؛ فإنّ الامتزاجات المتحصّـلة في صـور الأعمال بين القوى البدنيّة وبين القوى الروحانيّة تقع[١٦] على أنحـاء متعـدّدة[١٧] مختلفـة متعيّنة الصـور[١٨] في العالم العِلويّ، يرفعها[١٩] الملائكة الذين هم[٢٠] عُمّار سدرة المنتهى، التي هي[٢١] منبع الشرائع والمنزل الأوّل للعمل[٢٢]؛

---

(١) كثير: كبير Ps
(٢) B188b
(٣) الإسباغ: المبالغة والإتمام. (لسان العرب)
(٤) السـبرات: السـيرات A؛ السَـبرة: الغداة الباردة، والجمع السبرات. (نفس المصدر)
(٥) فإنّ: لأنّ نفس P
(٦) هو: ـ AB
(٧) بدنيّ: البدن A
(٨) مشقّ: مشتقّ A
(٩) أصل: أصالة P
(١٠) فظهر: وظهر AB
(١١) ذا: ذو AB
(١٢) جهتين: وجهين P
(١٣) أحد: إحدى P
(١٤) الروحانيّ: الروحانيّة AB
(١٥) الطبيعيّ: الطبيعة P
(١٦) تقع: فيقع AB
(١٧) متعدّدة: ـ P
(١٨) الصور: الصورة AB
(١٩) يرفعها: + ويثبتها P
(٢٠) هم: ـ A
(٢١) التي هي: ـ AB
(٢٢) للعمـل: من منـازل الأعمـال المتقبّلة المشروعة P

فـإنّ بعض الأعمال[١] [تتعدّى][٢] إلى العرش، وبعضـه يصـل إلى الجنّة. وكلّ عبادة وعمل ـروحانيّ أو بدنيّـ إذا اقترن به علم محقّق واعتقاد حاصـل عن تصـوّر صحيح مطـابق للمتصــوّر[٣]، فـإنّـه يتجـاوز العرشَ إلى عالم المثال، فيدّخر فيه[٤]. بل[٥] قد يتعدّى منه إلى اللوح، فيتعيّن بصـورته فيه[٦]. بل قد يتّصـل بالمقام[٧] القلميّ. وهاهنا يُتذكّر حديث: «كنتُ[٨] سـمعَه وبصرَه ولسانَه ويدَه ورجلَه، فبي يسمع[٩]، وبي يبصر، وبي ينطق»[١٠]، ويسـتحضـر معنى قوله تعالى[١١] على لسـان عبده: «سـمع اللّه لمن حمده». يُعلم منه منتهى الأعمال المنبعثة بالحقّ، ومنتهى عمل الحقّ تعالى[١٢] بعبده المستصلح لأن ينطق به الحقّ، فلا يتعيّن في مكان معيّن؛ لِتنزُّه الحقّ عن المكان. >[١٣]

[مظاهر أرواح الأعمال صور مثاليّة]

[١٤]< واعلَم أنّ الحقّ ـسـبحانهـ ربَط العوالم والموجودات ـصـغيرها وكبيرها، شـريفها وحقيرها، عاليها ونازلهاـ بعضَها ببعض، وأوقف[١٥] ظهور بعضها ببعض[١٦]، وأودع في الجميع صفتَي التأثّر والتأثير. فليس في الوجود ما يوصَف بالتأثير دون التأثّر، إلّا الحقّ في مرتبـة عزّه وغَنـائه. فلا جرمَ جعل العالمَ السـفليّ[١٧] بما فيه مرآةً للعالم

---

(١) فإنّ بعض الأعمال: أو بعضه AB
(٢) تتعدّى: يتعدّى ABP
(٣) للمتصوّر: ـ AB
(٤) فيه: + لصاحبه إلى يوم الجمع P
(٥) بل: و P
(٦) بصورته فيه: صورته فيه ثمّ يرد إلى صاحبه يوم الجمع P
(٧) بـل قد يتّصـل بالمقام: وثمّ من يتعدّي أعماله من اللوح إلى المقام P
(٨) A273a
(٩) B189a
(١٠) جامع الأخبار: ٨١؛ إرشـاد القلوب: ٩١/١؛ عوالي اللئالي: ١٠٣/٤
(١١) تعالى: عليه السلام إنّ اللّه تعالى قال P
(١٢) تعالى: ـ P
(١٣) شرح الأربعين حديثاً: ١٠٤ ـ ١٠٧
(١٤) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.
(١٥) أوقف: وقف AB
(١٦) ببعض: على البعض P
(١٧) السفليّ: الكلّيّ AB

العِلويّ، ومظهراً ومجمعاً لآثاره. وجعل العالَم العِلويّ مرآةً ينطبع فيها أرواح أفعال الخلق ومظاهرها المتحصّلة من الامتزاجات الواقعة بين القوى الطبيعيّة والقوى الروحانيّة، النازلة[١] من العالم العِلويّ، المتعجّنة[٢] في نشئات[٣] أهل العالم السفليّ، و[٤] خصوصاً الإنسان الذي هو مجمع جميع القوى والآثار. فهو مبدؤها، ومنه تعود إلى منبعها الذي تنزّلت. ومراكز أرواح تلك الأعمال[٥] تقييدات[٦] عالم المثال المطلق. ونسبة[٧] هذه التقييدات الحاصلة في هذه الصورة[٨] إلى مطلق عالم المثال نسبةُ الجداول إلى النهر العظيم؛ فإنّ عالم المثال من حيث تقييداته[٩] مرآة لكلّ موجود ولكلّ فعل يُدرَك مرتبته في صورة. فمظاهر أرواح الأعمال[١٠] صور مثاليّة. والمختصّ بالحقّ هو إظهاره بالتجلّي الوجوديّ والفيض الجوديّ على[١١] كلّ شيء في مرتبته[١٢] على حدّ علمه. >[١٣]

[سبب خشية العالِم من الحقّ تعالى]

[١٤]< وحينئذٍ نقول: إنّ أعمال أكثر العُمّال لمّا تأسّست مبانيها على[١٥] الأوامر والنواهي المشروعة، لزمها[١٦] بطريق الإنتاج الرهبةُ والرغبة من أحد موجِبَين: أحدهما

---

(١) النازلة: المنزلة أوّلاً P
(٢) المتعجّنة: المنعجنة AB
(٣) نشئات: نشأة AB
(٤) و: _ AB
(٥) الأعمال: + من حيث مظاهرها المسمّاة بسدر الانتهاءات P
(٦) تقييدات: تقيّدات A
(٧) نسبة: نسبته A
(٨) هذه الصورة: صور العالم العلويّ P
(٩) تقييداته: تقيّداته AB، + ومن حيث كلّيّته وعموم حكمه P
(١٠) الأعمال: + حيث أُدركت فإنّما هي P
(١١) على: _ P || B189b
(١٢) مرتبته: مرتبة A
(١٣) شرح الأربعين حديثاً: ١٠٩ _ ١١٠
(١٤) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.
(١٥) لمّا تأسّست مبانيها على: إذا ناسبت على منابتها من AB
(١٦) لزمها: لازمَتها P

علميّ، والآخر إيمانيّ.

فموجب الرغبة إمّا تصـديق جُمليّ تامّ بالموعود، أو اطّلاع محقَّق من قبيل ما اطّلع عليه المُخبر الصادق ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ.

وموجب الرهبة أيضاً إمّا تصديق تامّ بما وقع الإنذار به فينتج خوفاً، وإمّا علم محقَّق بالمضارّ والمنافع.

فالتصديقُ ينتج[١] الخوف[٢]، والعلمُ ينتج الخشية، وهي علم[٣] خاصّ يقوم بالعالِم بنتائج الأعمال، وأنّ الحقّ يُظهرها بما يهب لها من الوجود؛ إذ[٤] لا تقييد[٥] في الوجود المطلق إلّا من حيث القابل. فوجود الأصـل الذي هو العمل يسـتلزم وجود النتيجة. فخشـيـةُ العـالِم من الحقّ تعـالى من هذا الوجه، وثمرتُها[٦] عدم الإقدام على فعل[٧] نتيجته متى ظهرَت له واتّصلَت به لا يلائمه ولا يرضيه. >[٨]

[مراتب أفعال الإنسان بحسب قصده]

[٩]< واعلَم أنّ كلّ فعل يصـدر عن الإنسان من أفعال البِرّ، و[١٠] يقصد[١١] به أمراً[١٢] غير الحقّ، فهو فيه يُعدّ[١٣] من الأُجَراء[١٤]، لا من العبيد.

---

(١) A273b

(٢) من أحـد موجبين ... الخوف: بسـبـب العلم الإيمانيّ الموجب للرغبة للتصديق التـامّ بالموعود أو بما وقع الإنذار به فينتج خوفاً AB

(٣) علم: خوف P

(٤) إذ: + لا منع و P

(٥) تقييد: يفيد A؛ يقيّد B

(٦) ثمرتها: + في من قامت به P

(٧) فعل: + يعلم أنّ P

(٨) شرح الأربعين حديثاً: ١١٢

(٩) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(١٠) و: + ما AB

(١١) يقصد: تفصله A

(١٢) أمراً: + ما P

(١٣) يعدّ: بعد A

(١٤) الأُجراء: جمع الأجير. (لسان العرب)

ومتى صـدر[١] منه الفعل المسمّى بِرّاً و[٢] عملاً صالحاً[٣]، ولا يقصد[٤] به أمراً بعينه، بـل يفعلـه لكونـه خيراً فقط، أو لكونـه مـأموراً بفعله[٥]، ويكون مطمح[٦] نظره في العمل الأمرَ، ولكن ليس لكونه أمراً مطلقاً، بل من حيث الحضور فيه مع الآمر، فهو الرجل.

فإن ارتقى بحيث لا يقصد بما يعمله غير الحقّ، كان تامّاً في الرجوليّة.

فـإن تعـدّى هـذا المقـام، بحيث يتحقّق أنّه لا يفعل شـيئاً إلّا بالحقّ، كما ورد في الحديث «فبي يسـمع، وبي يبصر، وبي يسعى[٧]، وبي يبطش»[٨]، صار تامّاً في المعرفة والرجوليّة.

فإن انضـمّ إلى ما[٩] ذكرنا حضـورُه مع الحقّ[١٠]، من حيث صدور أفعاله من العبد وبالعبد، ويتحقّق ذلك ويشـهده بعين[١١] الحقّ لا بنفسـه، من حيث إضـافة الشـهود والفعل والإضافة إلى الحقّ لا إلى نفسه، فهو العبد المخلِص المخلَص.

فإن ظهرت عليه أحكام هذا المقام والمقامِ الذي قبله ـ أعني[١٢] مقام «فبي يسمع، وبي يبصر» ـ وغيرهما من المقامات، غير متقيّد بشيء منها[١٣] ولا بمجموعها[١٤]، مع سـريان حكم شـهوده الأحديّ على النحو المُشار إليه في كلّ مرتبة ونسبة، دون الثبات على أمر بعينه، بل يكون ثابتاً في سـعته وقبوله كلّ وصف وحكم، مع عدم تقيّده بمرتبة دون غيرها، عن علم صحيح منه بما اتّصف به وما انسلخ عنه في كلّ وقت وحال، دون

---

(١) صدر: يصدر A
(٢) و: أو P
(٣) صالحاً: _ AB
(٤) يقصد: بقصد B
(٥) بفعله: به أن يفعله AB
(٦) مطمح: سطح A
(٧) B190a
(٨) بحار الأنوار: ٢٠٧/٥
(٩) ما: _ A
(١٠) الحقّ: + لا AB
(١١) بعين: تعين B
(١٢) أعني: وهو P
(١٣) بشيء منها: بهما P
(١٤) بمجموعها: بمجموعهما P

غفلـة[١] و[٢] حجـاب، فهو الكـامل في العبوديّة والخلافة والإحاطة والإطلاق. حقّقنا اللّه[٣] وسائر الإخوان بهذا المقام المطلق والحال المحقّق، بمنّه وفضله. >[٤]

وهذا هو المُشار إليه بقوله: «ترك ملاحظة العمل، لا ترك العمل».

[وجوه أفعال الإنسان باعتبار توجّه قلب فاعله]

على أنّ [كلّ][٥] فعلٍ يصدر من الإنسان، فإنّ له باعتبار توجّه قلب فاعله إلى بعض الوجوه وحاله خاصّةً.

[الوجه الأوّل]

[٦]< [**الأوّل:**][٧] الوجه المقابل لغيب الحقّ[٨] هو المسـمّى بالوجه الخاصّ[٩] عند المحقّقين، الذي[١٠] ليس للوسـائط ـ من الصـفات والأسـماء وغيرهما ـ فيه حكم ولا مـدخـل، ولا يعرفه ولا[١١] يتحقّق به إلّا الكُمَّل والأفراد وبعض أهل التحقيق من أُولى النظر[١٢]. ولهـذا الأمر[١٣] في الوجود الظـاهر مظـاهر ومراتـب[١٤] وآيات من جملتها الأوّليّـات[١٥]، كـالحركة الأُولى، والنظرة، والخاطر، والسـماع، وكلّ ظاهر أوّل ممّا لا يخفى على أهل الحضـور. ولا يترتّب شـرعاً ولا تحقيقاً[١٦] في جميع العوالم[١٧] على

---

(١) A274a

(٢) و: + لا P

(٣) اللّه: _ AB

(٤) إعجاز البيان: ١٩٨ _ ١٩٩

(٥) كلّ: لكلّ AB

(٦) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(٧) الأوّل: _ AB

(٨) الحقّ: + وهويّته و P

(٩) الخاصّ: _ AB

(١٠) الذي: الذين P

(١١) لا: _ AB

(١٢) أهل التحقيق من أُولي النظر: المحقّقين P

(١٣) الأمر: _ AB

(١٤) B190b

(١٥) وآيات من جملتها الأوّليّات: أوّليّات AB

(١٦) تحقيقاً: تحقّقاً AB

(١٧) العوالم: العالم P

هذا الوجه حكمٌ، ولا يدخل تحت قيد؛ لأنّه[١] إلهيّ باقٍ على حكم التقديس الأصليّ، ولا يتطرّق إليه شكّ ولا غلط ولا كذب أصلاً.

وصاحبُ هذا[٢] الوجه متى راقَب قلبه مراقبةً لا يتخلّلها[٣] فَترة بعد معرفته[٤] سرَّ التجدّد والخلقِ الجديد في كلّ نفس، حكَم بكلّ ما يخطر له، وأصاب[٥]. وكلّ خواطره وإدراكاته واقعة[٦] بالحقّ. فالأفعال الصادرة منه من حيث جميع مشاعره وحواسّه تترتّب[٧] وتبتني على هذا الأساس الإلهيّ. فلا يصدر منه إلّا جميل حسَن وما يوجب رفعَ الدرجة ومزيدَ القرب في عين القرب، لكن من باب المنّة والإحسان، لا المجازاة؛ فإنّ أفعال صاحب هذا المقام ترفّعَت[٨] عن مراتب الجزاء.

وقد أُشير إليه بقوله: ﴿وَهَلْ نُجازي[٩] إِلَّا الْكَفُورَ﴾[١٠]، وبقوله[١١]: ﴿وَما تُجْزَوْنَ إِلّا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِلّا عِبادَ اللَّهِ الْمُخْلَصينَ﴾[١٢].

وكذلك في قصّة كتُب الفُجّار[١٣] والأبرار[١٤] ـ التي هي جرائد أعمالهم ـ، وكون الواحد في سجّين، والآخر في علّيّين. ولم يذكر للمقرّبين كتاباً، ولم ينسب إليهم غير الشهودِ[١٥] واختصاصِهم بالعين[١٦] التي يَطيب بها ويُشرف[١٧] بها[١٨] مشربُ الأبرار[١٩]، فافهَم.

---

(١) لأنّه: فإنّه P
(٢) صاحب هذا: المتحقّق بهذا P
(٣) يتخلّلها: يتحلّلها AB
(٤) معرفته: معرفة A
(٥) أصاب: + فإنّه لا تكرّر عنده كما لا تكرّر في حضرة الحقّ P
(٦) واقعة: واقفة A
(٧) تترتّب: يترتّب A
(٨) ترفّعت: ارتفعت P
(٩) نجازي: يجازي B
(١٠) القرآن الكريم: ١٧/٣٤
(١١) وبقوله: ـ AB
(١٢) القرآن الكريم: ٣٩/٣٧ ـ ٤٠
(١٣) القرآن الكريم: ٧/٨٣
(١٤) القرآن الكريم: ١٨/٨٣
(١٥) القرآن الكريم: ٢١/٨٣
(١٦) A274b
(١٧) يشرف: يشرق B
(١٨) بها: ـ AB
(١٩) القرآن الكريم: ٢٨/٨٣

ففي هذا المقام قيل لرسول اللّه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ[١] ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾[٢]، وهي مِن علامات مَن كان الحقّ سمعه وبصره.

[الوجه الثاني]

والثاني[٣]: الوجه المقابل لعالم الأرواح المُحاذي له، وما[٤] يأخذ به[٥] صاحبه عنها، ويتنقّش فيه منها بحسب المناسبة الثابتة بينه وبينها، وبحسب طهارة الوجه وصقالته [اللذين][٦] بهما يظهر صحّة النسبة وتحيى به رقيقة[٧] الارتباط التي هي كالأُنبوب أو الميزاب[٨] الذي يمرّ عليه الفيض، ويصل به، ويسري فيه، إلى مستقرّه القابل له[٩]. وزكاته[١٠] وصقالته[١١] بالتحلّي[١٢] بالأخلاق المحمودة، واجتنابِ المذمومة، وعدمِ تكمين القوى الطبيعيّة[١٣] من الاستيلاء على القوى الروحانيّة وإطفائها بظلمتها وتكديرها أشعّةَ أنوارها، حتّى يضمحلّ أحكامها وآثارها بقهر الأحكام الطبيعيّة[١٤] المضادّة لها.

وهذا الشرط ـأعني حفظَ صحّة[١٥] أحكام كلّ وجهٍ وحالةٍ والصفاتِ المختصّة به من الغلبة المحذورة من الضدّ والانحراف عن اعتداله الوسطيّ إلى طرفَي[١٦] الإفراط والتفريطـ معتبرٌ في[١٧] كلّ وجه من هذه الوجوه.

---

(١) لك اللّه: اللّه لك B
(٢) القرآن الكريم: ٢/٤٨
(٣) الثاني: ـ AB
(٤) ما: ـ P
(٥) B191a
(٦) اللذين: الذين AB، الذي P
(٧) رقيقة: دقيقة AB
(٨) الميزاب: المرزاب BP
(٩) القابل له: من القابل P
(١٠) زكاته: نكاته A
(١١) صقالته: صقاله P
(١٢) بالتحلّي: بالتجلّي AB
(١٣) الطبيعيّة: الطبيعة A
(١٤) الطبيعيّة: الطبيعة A
(١٥) صحّة: الصحّة AB
(١٦) طرفي: طرف P
(١٧) في: من AB

فزكاة الوجه الأوّل المقابل لغيب الحقّ بصحّة المسامتة وخلوِّه عن كلّ قيد وحكم كونيّ ورقيقةٍ إطلاقه عن القيود وطلسته وعِروِهِ[١] عن النقوش. وحياة تلك الرقيقة بدوام الافتقار المحقَّق، والتوجّهِ الذاتيّ العريّ[٢] عن التعمّل والتكلّف.

[الوجه الثالث]

والثالث[٣]: الوجه المقابل للعالم العِلويّ، وقبولُه لِما يريد الحقّ إلقاءه[٤] إليه من حيث هو يكون بحسب صور[٥] الإنسان، التي له في كلّ سماء، على ما[٦] نبّه عليه السيّد الحِبر[٧] ابن عبّاس[٨]، ووافقه عليه المحقّقون من أهل اللّه وخاصّته قاطبةً.

وزكاة هذا الوجه وإحياءُ رقيقته بعين ما ذكِر[٩] في وجه الأرواح، وبحفظ الاستقامة في الأوصاف الظاهرة الحفظ[١٠] بالتوسّط[١١] المانع من الإفراط والتفريط. ولم[١٢] يتحقّق أحد بذلك ما لم يعلم[١٣] نسبته من كلّ عالَم، ويراعي حكمَ الموازنة والمناسبة في ذلك، ويتفصّل[١٤] له ذوقاً[١٥] ما أجملت الشريعة الإلهيّة الحقّة[١٦] ذكره،

---

(١) عروه: عروة A
(٢) العريّ: العاري P
(٣) الثالث: _ AB
(٤) إلقاءه: _ AB
(٥) صور: + هذا P
(٦) على ما: كما P
(٧) الحِبر والحَبر: العالِم. (لسان العرب)
(٨) لم أعثر عليه في المصادر الروائيّة للفريقين، إلّا أنّ بعض الصوفيّة ينقلون عنه ـ رضي اللّه عنه ـ أنّه قال في أثناء كلام طويل: «إنّ في كلّ أرض من الأرضين السبع خلقاً مثلنا، حتّى أنّ فيهم ابن عبّاس مثلي». (مشارق الدراريّ: ٥٠١؛ تفسير المحيط الأعظم: ١/٥٤٦)
(٩) B191b
(١٠) A275a
(١١) بالتوسّط: المتوسّط P
(١٢) لم: لن P
(١٣) يعلم: يعرف P
(١٤) يتفصّل: ينفصل AB
(١٥) ذوقاً: ذوق AB
(١٦) الحقّة: _ A

وتكفّلت[١] السيرة[٢] المحمّديّة الكماليّة بيانه[٣] بالفعل والحالِ بعد الإفصاح عنه مجملاً. فحينئذٍ متى حكَم أصاب، وعرف كيف يتحرّى طريقَ الجزم[٤] والصواب.

[الوجه الرابع]

و[**الرابع**:][٥] الوجه المقابل لعالم[٦] العناصر وتركيبه[٧] وإحياء رقيقته[٨] معلومٌ بالموازين الربّانيّة المشروعة والمعقولة. وعمدته أمران:

أحدهما[٩]: استعمال الحواسّ والقوى في ما يتعيّن المصلحة فيه حسَب الاستطاعة والإمكان، وتقديم الأهمّ فالأهمّ، والمبادرة إلى ذلك.

والآخر: كفّها عن كلّ ما ليس بمهمّ، فضلاً عن استعمالها في الفضول وما لا ينبغي استعمالها فيه، أو يجب الاحتراز عنه.

[الوجه الخامس]

و[**الخامس**:][١٠] الوجه المقابل لعالم[١١] المثال، وله نسبتان:

ـ مقيّدة، وتختصّ[١٢] بعالم خيال الإنسان[١٣]، وطهارته تابعة لطهارة الوجه المقدّم، المختصّ بعالم الحسّ[١٤]، منضمّ[١٥] إلى ذلك تحسين المقاصد[١٦] حالَ تصوُّرها وانتشائها[١٧] في الحسّ المشترك، والحضورِ مع الخواطر، ومحوِ ما لا يستحسن منها؛

---

(١) تكفّلت: تكلّفت B
(٢) السيرة: + النبويّة P
(٣) بيانه: ببيانه P
(٤) الجزم: الحرم B
(٥) الرابع: ـ ABP
(٦) لعالم: للعالم A
(٧) تركيبه: تزكيته P
(٨) رقيقته: دقيقته B
(٩) أحدهما: ـ AB
(١٠) الخامس: ـ ABP
(١١) لعالم: بعالم A
(١٢) تختصّ: يختصّ AB
(١٣) خيال الإنسان: الخيال الإنسانيّ P
(١٤) الحسّ: + والشهادة P
(١٥) منضمّ: فينضمّ P
(١٦) المقاصد: + ~~حين~~ A
(١٧) انتشائها: امتشائها P

فإنّ هذه أُمور يسري حكمها في ما يصدر عن الإنسان من الأعمال والأنفاس وغيرهما. وهكذا الأمر في الحسّ الظاهر.

ونبّه عليه قوله ـعليه السـلام[١]ـ: «أصدقُكم رؤياً أصدقُكم حديثاً»[٢]؛ فإنّ الخيال لا يتنقّش[٣] فيـه إلّا مـا انتقـل إليـه من عـالم الحسّ، فـإن اختلف فمِن حيث تغيّر[٤] التركيب وتجدّده[٥]. وأمّا المفردات فمُسـتفادة من الحسّ لا مَحالة. فمن صـحّ[٦] وجهُ حسّه وقواه الحسّيّة، صحّ له وجهُ خياله.

ـ والنسبة الأُخرى تختصّ[٧] بعالم الخيال[٨] المطلق، وكمالُ استقامتها ـمن حيث حصّة الإنسان منهاـ ناتج عن استقامة الوجوه الثلاثة الأخيرة، فاعلَم ذلك. >[٩]



(١) B192a
(٢) شرح الكافي، الأُصول والروضة: ١١/٤٤٤
(٣) يتنقّش: ينتقش P
(٤) تغيّر: تغيير AB
(٥) تجدّده: تجدوه A
(٦) صحّ: صحّح AB
(٧) تختصّ: يختصّ AB
(٨) الخيال: المثال B
(٩) إعجاز البيان: ٢٠٧ ـ ٢١٠

[بُعد الإباحيّة عن الحكمة وخبثُ سريرتهم]

فإذا تحقّقتَ بما تلوناه عليك في[1] كشف هذه الأسرار، تحقَّق عندك **و**ثبت لديك أنّ **هؤلاء** -أعني طائفة الإباحيّة- **أبعدُ الطوائف عن الحكماء عقيدةً، وأخبثُ المُعاندين سريرةً.**

وذلك أنّهم مع بُعدهم عن الحقّ يدّعون أنّهم هم الذين أُوتوا الحكمة، وتوفّقوا للوصول إلى الحقائق. وهم ليسوا كذلك، بل هم -عند أهل التحقيق- أحقّ الناس بالبُعد عن الحكمة والاطّلاعِ على حقائقها والاتّصافِ بها؛ لِمخالفتهم الشرائعَ الحقّة، ورفضِهم الأعمالَ الظاهرة التي جاء بها أنبياء اللّه ورسُله، الذين هم الكُمَّل، وبهم الوصولُ إلى الكمال، والوقوفُ على دقائق الحكمة وأسرار الحقيقة. فمَن رفض ما جاؤوا به، فهُم أشرّ الناس سرّاً وعلانيةً، وأجهلُ أهل العناد، وأخبثُهم اعتقاداً. نعوذ[2] باللّه ونسأله الثباتَ على دين أنبيائه، والاعترافَ بتصديقهم، ومداومةَ العمل بطريقهم، إنّه كريمٌ جوادٌ.

[موجبات معرفة الخيال وأحوال الرؤيا]

ومن الفوائد[3] الناشئة عن[4] هذه المباحث معرفةُ الخيال وأحوال الرؤيا؛ فإنّ لهما عدّة موجبات، بعضها مزاجيّة، وبعضها خارجة[5] عن المزاج:

---

(١) A275b
(٢) نعوذ: نعود B
(٣) الفوائد: الفواسد B
(٤) B192b
(٥) خارجة: خارجيّة A

ـ فالمختصّ منها بالمزاج صحّةُ هيئة الدماغ، وما سبق ذكرُه.

ـ والخارج عن المزاج بقاءُ الاتّصال بين خياله وبين عالم المثال، عن علمٍ ومناسبة محقَّقة تقتضي[١] إيجاده من إحدى جهتَيه.

وهذا كشــف عالٍ قلّ مَن يشــاهده. ومَن دخل فيه مِن[٢] بعض مظاهره من الخيال المقيّد توصَّل[٣] إلى عالم المثال من باب الاتّصال، وينتهي به الحال إلى آخره. فيخرج منه إلى عالم الأرواح، ثمّ إلى فضــاء عالم الأنوار المجرّدة، ثمّ إلى[٤] مطلع الأضــواء الإلهيّة، و﴿ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ﴾[٥].

[أقسام الناس بحسب رؤياهم]

<[٦] والناس في مراتبهم على أقسام مختلفة، تنحصر في ثلاثة:

[القسم الأوّل]

قسمٌ نازلٌ قد طُبع[٧] على قلوبهم، فلا يتّصل مِن نفوسهم إلى قلوبهم شيء ممّا هو منتقش في نفســه ســابقاً أو متجدّداً[٨]، إلّا نادراً[٩] بحالٍ عارض سريع الزوال[١٠] بطيء الإتيــان. بــل إنّما ينتقش من غيب العالم العِلويّ وما فوقه شــيءٌ في نفســه[١١]؛ لعدم الصــفاء، والانحراف[١٢] التامّ عن نقطة الاعتدال، والمســامتة الصــحيحة في حضــرة

---

(١) تقتضي: يقتضي A

(٢) من: في P

(٣) توصّل: يوصل A

(٤) إلى: + فضاء A

(٥) القرآن الكريم: ٥٤/٥، ٢١/٥٧، ٤/٦٢

(٦) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.

(٧) طبع: + اللّه P

(٨) متجدّداً: متجدّد AB

(٩) نادراً: في النادر P

(١٠) A276a

(١١) نفسه: + لكن AB

(١٢) الانحراف: الانخراق A

المُحاذاة، والمواجهة بحضرة[(١)] الحقّ و[(٢)] مراتب الأرواح. لكن لا يتفطّن له، فلا يرسخ في نفسه، بل يزول بسرعة[(٣)].

[القسم الثاني]

وقسمٌ يحصل لقلوبهم أحياناً صفاءٌ وفراغ من الشواغل، واتّصالٌ من خياله بعالم[(٤)] المثال المطلق. فكلّ ما[(٥)] تدركه نفوسهم في الوقت، فإنّه ينعكس انعكاساً شعاعيّاً إلى القلب[(٦)]، وينعكس من القلب إلى الدماغ، فينطبع[(٧)] فيه.

فإن وجَد في ما يرى أثرَ حديث نفسٍ، فللقوّة المصوِّرة في ذلك مدخل بحسب الآلة والمزاج وما ذكرناه[(٨)].

وإن خلَت[(٩)] عن حديث النفس، وكانت هيئة الدماغ صحيحة والمزاج مستقيماً[(١٠)]، كانت رؤياً من اللّه، وكانت في الغالب لا تعبير[(١١)] لها؛ لأنّ عكس العكس ظاهر بصورة الأصل. وهكذا رؤية الأنبياء ـعليهم السلامـ، وهذا هو السبب في عدم تأويل الخليل ـعليه السلامـ رؤياه، وأخذه بظاهرها[(١٢)].[(١٣)]

ومن صار قلبه مستوى الحقّ، لا ينطبع في قلبه غالباً أمرٌ من خارج، بل من قلبه يكون المنبع والانطباع الأوّل في الدماغ. ولمّا اعتاد الخليلُ الحالةَ الأُولى، وشاء اللّه[(١٤)] أن

---

(١) بحضرة: لحضرة P
(٢) و: أو AP
(٣) لكن لا يتفطّن ... بسرعة: ـ P
(٤) بعالم: لعالم B
(٥) فكلّ ما: فكلّما AB
(٦) إلى القلب: ـ P
(٧) B193a
(٨) ذكرناه: ذكرنا P
(٩) خلت: حلت AB، + الرؤيا P
(١٠) مستقيماً: مستقيم P
(١١) تعبير: تعسر AB
(١٢) بظاهرها: لظاهرها P
(١٣) القرآن الكريم: ١٠٢/٣٧ ـ ١٠٧
(١٤) اللّه: ـ A، الحقّ P

ينقّلـه إلى مقـام «مَن وسِـع قلبُـه الحقَّ»[١]، كان انطباع[٢] ما انبعث من قلبه الإلهيّ إلى دماغه انطباعاً واحداً، فلم يظهر بصـورة الأصـل، فاحتاج إلى التأويل المُعرِب عن الأمر المراد بذلك التصـوير على نحو تعيُّنه[٣] في العالم العِلويّ وذوات العقول والنفوس تعيّناً روحانيّاً، أو على نحو انبعاثه[٤] من القلب متوحّد الكثرة[٥] بصفة أحديّة الجمع.

[فوائد هذا الكلام]

فأمعِن التأمّل هاهنا؛ فإنّ هذا الكلام يتضمّن علوماً كثيرة[٦] خفيّة:

يُعلم منها تفاوتُ مراتب النفوس ودرجاتها، وسببُ إدراكاتها السقيمة والصحيحة.

ويُعلم[٧] الفرقُ بين الخيال المقيّد والمثال المطلق.

ويُعلم نسـبـةُ كلّ واحد منهما[٨] إلى الآخر وإلى الحقّ؛ فإنّ كلّ خيال مقيّد[٩] هو حكمٌ من أحكام الاسم «الباطن»، تجسّد في عالم المثال المطلق تجسُّداً[١٠] صحيحاً؛ لصـحّة[١١] العلم والقوى المحاكية. وتجسّـد[١٢] في كلّ خيال مقيّد هنا بحسـب القوّة المصـوّرة، وبحسـب المحلّ، وبحسب أحوال[١٣] المُدرِك، والغالب عليه من الصفات زمانَ الإدراك.

ويُعلم أنّ الرؤيـا التي لا تأويل لها ما أوجبه، وأنّ الرؤيا التي تحتاج[١٤] إلى التأويل

---

(١) مشـير إلى قوله في الحديث القدسـيّ: «لا يسـعُني أرضـي ولا سمائي، ولكن يسعُني قلبُ عبدي المؤمن». عوالي اللئالي: ٤/٧

(٢) انطباع: الانطباع P

(٣) تعيّنه: نعيّنه P

(٤) نحو انبعاثه: انبعاثها P

(٥) لكثرة: الكثرة A

(٦) كثيرة: ـ P

(٧) A276b

(٨) منهما: منها AB

(٩) مقيّد: مقيّدة AB || B193b

(١٠) تجسّداً: بجسد AB

(١١) لصحّة: بصحّة P

(١٢) تجسّد: تجسّده AB

(١٣) أحوال: + ~~المطلق~~ A

(١٤) تحتاج: يحتاج A

تكون[1] لأنزلِ الطوائف[2] وتكون[3] لأكمل الخلق، بخلاف التي لا تأويل لها؛ فإنّها حال المتوسّطين.

وغير ذلك.

[القسم الثالث]

وأمّا الهيئات المتحصّلة من أحكام الأحوال[4] في المراتب الانحرافيّة المقابلة للمراتب الاعتداليّة المنبَّه عليها، مع انحراف مزاج ذي الرؤيا، خصوصاً[5] إذا انضمّ إلى ذلك سوء هيئة الدماغ وسوء السيرة؛ فإنّ رؤيا مَن هذا شأنه مِن الشيطان. فهو القسم الثالث من أقسام مراتب الرؤيا وأُصول مراتب الرائين، وسبب تفاوت درجاتهم وعلّة اختلاف[6] أحوالهم في ذلك[7].

[ثمرات مباحث الرؤيا]

ومَن تدبّر ما أسلفناه[8]، عرف نتائج تلك الأُصول وثمراتها، ويعرف من نفس رؤيا كلّ راءٍ لها ـ متى ذكِرت له ـ ما الذي رأى، وهل المرئيّ المظنون فيه أنّه النبيّ الفلانيّ أو الوليّ الفلانيّ، أو زيد أو عمرو، سواء كان المرئيّ في زعم الرائي أنّه الميّت الفلانيّ أو الحيّ الفلانيّ، أو كان المرئيّ غير ذلك[9] في نفس الأمر، هل[10] هو مثال معقوليّة المناسبة الثابتة بين الرائي[11] والمرئيّ[12]، من حيث الحال أو[13] الصفة أو الفعل أو

---

(١) تكون: يكون A

(٢) لأنزل الطوائف: لا تزل الطرائف A

(٣) تكون: يكون A

(٤) الأحوال: الأُصول P

(٥) خصوصاً: وسيّما P

(٦) اختلاف: أخلاق AB

(٧) ذلك: + كلّه P

(٨) أسلفناه: أسلفنا P

(٩) وهل المرئيّ ... ذلك: ـ AB

(١٠) هل: ـ AB

(١١) الرائي: الرأي P

(١٢) المرئيّ: المرائي AB

(١٣) أو: و AB

المرتبـة أو الـذات ـعلى ما مرّ ـ، أو هو ذلك النبيّ أو الوليّ، أو هو زيد أو عمرو، كما اعتقـده الرائي وظنَّـه[١]. فمن لـم يعرف على التحقيق مـا ذكرناه[٢]، لم يُفِد رؤياه علماً محقَّقاً، ولم يعوّل على ظنّه ومعتقَده وجزمه[٣].

[مُساءلة الأحياء عن الأموات من أحوال الآخرة]

وأمّـا من يرى بعض الأموات، فيســأله عن مســائل من[٤] أحوال الآخرة، فلا يُجيبه، وينقلـب منـه، وإن أجـابه فإنّما يُجيبه بجواب غير تامّ أو غير[٥] صــحيح، فالســرّ فيه أنّ المرئيّ إذا كانت له صـورة المناسـبة من حيث الحال أو الفعل أو الصـفة، فلا تقتضــي[٦] الاطّلاع على الأمر المسـؤول عنه[٧]. فلهذا لا يحصل جوابٌ محقَّق ولا إجماعٌ مفيد[٨]؛ فإنّ ذلك صـور أحوال[٩] عارضة، لا ثبات لها، ولا معوَّل عليها. بخلاف ما إذا كان الرائي قد رأى[١٠] روح ذلك المرئيّ[١١] في مظهر مثاليّ في البرزخ، أو حيث يثبت[١٢] المناســبة بينـه وبين روح الرائي من صــور العوالم العِلويّة، أو[١٣] يكون المناســبة ثابتة بينهما من حيـث المقـام والمرتبـة والـذات جمعاً وفُرادى؛ فإنّ الأجوبة والمفاوضــات[١٤] الواقعة بينهما[١٥] تكون[١٦] صـحيحة، وإن كان المرئيّ ممّن حصـل له الاطّلاع على ما سئل عنه في هذه الدار قبل الموت، أو كان اعتقاده في ما ســأله عنه[١٧] الرائي اعتقاداً مطابقاً لِما هو

---

(١) أو هو ذلك ... ظنّه: ـ AB
(٢) ذكرناه: ذكرنا P
(٣) جزمه: حرمة A؛ جرمه B
(٤) من :+ مسائل AB
(٥) B194a
(٦) تقتضي: يقتضي A || A277a
(٧) عنه: عنها P
(٨) إجماع مفيد: اجتماع مقيّد P
(٩) أحوال: حول P
(١٠) قد رأى: ـ AB
(١١) المرئيّ: النبيّ أو الوليّ P
(١٢) يثبت: ثبت AB
(١٣) أو: و AB
(١٤) المفاوضات: العارضات P
(١٥) بينهما: بين الرائي والمرئيّ P
(١٦) تكون: يكون AB
(١٧) عنه: عند A

الأمر عليه[١] في نفســه. ومتى لم يكن كذلك، كان الجواب ثمرة اعتقاد المرئيّ المسؤول عنه[٢] ما سـئل[٣]. وقد يكون صـواباً أو قريباً من الصـواب، وقد لا يكون صـواباً، وذلك بحسب جودةِ اعتقاد الرائي والمرئيّ وفسادِهما، والله أعلم. >[٤]



(١) عليه: _ AB
(٢) عنه: منه BP
(٣) سئل: سأل AB
(٤) شرح الأربعين حديثاً: ١٤٦ _ ١٥٠

[الفصل الثاني والعشرون: في الفضائل والرذائل]

[سرّ تربية النفس]

وحانَ لنا بعد كشف هذه الأسرار الانتقالُ إلى **إرشاد** الطالب إلى ما به يصل إلى هذه المطالب، بل وإلى الغاية القُصوى والنهاية العظمى، التي هي الاتّصال بحضرة القدس[١].

فنقول: [٢]< **إذا أدمتَ فكركَ في الملكوت، مواظباً على الذكر الصادر عن خضوعٍ، وفكرةٍ لطيفة مستعدّة عن تقليل الأغذية وإماتة الشهوات وإسهار الليالي، بالذُلّ والاستكانة عند الربّ الجليل**[٣] **بالإخلاص وحُسن الطَوِيّة**[٤]. >[٥]

[٦]< ومقدّمةُ ذلك والموصِلُ إليه أن نقول: إنّ التربية حقيقة كلّيّة يتضمّن مُعظَمَ أسرار التدبير الوجوديّ والحُكمِ الكونيّ[٧]؛ فإنّ الإبقاء[٨]:

ـ إمّا بمنع[٩] ما ينافي البقاء، حتّى لا يقهر ذلك المُنافي[١٠] الشيءَ الذي يُراد بقاؤه، إمّا بإذهاب عينه، أو بإخفائها، أو بضعف حكمها.

ـ وإمّا بإمداد ما يوجب غلبةَ[١١] الضدّ المقتضي للفناء[١٢].

فحينئذٍ نقول: التربية[١٣] مخصوصة بالأغذية التي يدوم بها الحياة والبقاء. والغذاء

---

(١) القدس: القدّوس A
(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٣) B194b
(٤) الطويّة: الضمير. (لسان العرب)
(٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٣
(٦) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٧) الكونيّ: + والربّانيّ P
(٨) فإنّ الإبقاء: فالإبقاء B
(٩) بمنع: يمنع A
(١٠) حتّى لا يقهر ذلك المنافي: عن أن يغلب P
(١١) غلبة: عليه AB
(١٢) للفناء: الفناء AB
(١٣) A277b

عبارة عمّا به قوام الصورة الوجوديّة والحياةِ القائمة بها، وله ظاهر وباطن.

فلمطلق الصورة الوجوديّة[١] الأعيانُ وأحكامها. وللصورة[٢] المتشخّصة من حيث الظاهر المشابه لِما منه تركيب[٣] الصورة الظاهرة، ومن حيث الباطن ما لا يُعرَف تلك الحقيقة إلّا به، ولا يظهر ذاتها ولا حكمها بدونه. وما عدا هذين الأصلين فتبع لهما وفرع عنهما.

ونسبةُ كلّ صورة[٤] معيّنة إلى مطلق الصورة الوجوديّة نسبةُ الأعضاء، ولكلّ واحد منها ارتباط بمرتبة روحانيّة من مراتب الأرواح، ولكلّ روح استناد إلى حقيقة إلهيّة من[٥] الأسماء، ولتلك الحقائق[٦] نسب مختلفة توجب في الأرواح قوىً مختلفة، يظهر[٧] سرُّ ذلك وأثره في مظاهر الأرواح، من الصور[٨] العِلويّة وغيرها، بواسطة الحركات والتشكّلات والامتزاجات المعنويّة والروحانيّة والصوريّة الفلكيّة والكوكبيّة وسواها. وبين الجميع[٩] تناسبٌ من وجهٍ وتنافرٌ من وجهٍ.

وهكذا الأمر في الصورة الإنسانيّة، بمعنى أنّ لكلّ عضو من أعضاء الإنسان قوّةً، ولكلّ قوّة ارتباطٌ بحقيقة روحانيّة وأسمائيّة وكونيّة صوريّة مادّيّة. وكلّ آخذٍ من الكلّ معطٍ للكلّ، وكلّ فرد لفرد آخر يُناسبه[١٠]، والنسب والإضافات تنشأ[١١] في ما بين ذلك، ويظهر حكمها.

---

(١) الوجوديّة: + في AB

(٢) للصورة: المصوّرة A

(٣) تركيب: تركّبت AB

(٤) صورة: + كونيّة P

(٥) من: _ A

(٦) لتلك الحقائق: للحقائق P

(٧) تظهر: تطهر B

(٨) الصور: الصورة P

(٩) الجميع: الجمع B195a || P

(١٠) يناسبه: تناسبه AB

(١١) تنشأ: ينشئ AB

وهكـذا الأمر في مطلق الصـورة الوجوديّـة مع الحقائق الغيبيّة التي هي الصـورة المعنويّة التي طابقَتها هذه الصورة الظاهرة العامّة الكونيّة.

ويمتاز الإنسـان من بين سـائر الصور الوجوديّة بعدّة أُمور، منها[١] أنّ كلّ ما عداه له غذاء خاصّ، من حيث مرتبة خاصّـة، على وجه لا يتعدّاه، ولا يتأتّى له التغذّي بسـواه. والإنسان بجمعيّته وإطلاقه يتغذّى بسائر[٢] أنواع الأغذية. هذا له من حيث صورته.

وأمّا غذاؤه من حيث معناه وباطنه هو[٣] قبوله جميعَ أحكام الحقائق[٤] وآثارِ النسب والأسماء، وظهورُه[٥] بها، وإظهارُه لكلّها[٦]، والاتّصافُ بجميعها.

واعلَم أنّ الغذاء ـ بجميع أنواعه على اختلاف ضـروبه ـ مَظهر صـفة البقاء، الذي هو من سدَنة[٧] الاسم[٨] «القيّوم»، ولا يتغذّى شيءٌ بمُنافيه[٩] من الوجه المُنافي[١٠]، والمراد من التغذّي حبّ دوام ظهور[١١] الاسم «الظاهر» وأحكامه.

وسرّ التفصيل في عين الجمع بتجلّي النور[١٢] الذي هو الوجود. و[١٣] التنزّه عنه عبارة عن عودِ[١٤] التجلّيات[١٥] عند انسـلاخها من ملابس أحكام المتجلّى له، وانتهاءِ حكمها فيه إلى معدِنها[١٦]، الذي هو الغيب الإلهيّ[١٧]، والمرتبة[١٨] المُشـار إليها بقوله: «كنتُ

---

(١) بعدّة أُمور منها: ـ A، مع B
(٢) بسائر: بجميع P
(٣) هو: ـ P
(٤) A278a
(٥) ظهوره: طهوره B
(٦) لكلّها: كلّها P
(٧) سدنة: شأنه A؛ شدّته B
(٨) الاسم: اسم AB
(٩) بمنافيه: لمنافيه A
(١٠) المنافي: الذي A
(١١) ظهور: ـ AB
(١٢) النور :الاسم النوريّ P
(١٣) و: ـ A
(١٤) عود: عدد A
(١٥) التجلّيات: التحلّيات B
(١٦) معدنها: مغذّيها A
(١٧) الإلهيّ: الذاتيّ P
(١٨) B195b

كنزاً مخفيّـاً»[١] (الحـديـث)، ومقـامُ «كـان اللّـه، ولا شـيء معـه»[٢]، «واللّه غنيّ عن العالمين»[٣].

فمتى كاد الاسـم «الظاهر» أن يميل من مقام اعتداله ميلاً[٤] يوجب انصباغَ الباطن بحكمه[٥]؛ لكونه صاحب الوقت والغاية، أظهر الاسمُ «الباطن» قوّته وغناه الذاتيّ.

ومتى بالَغ «الباطن» في ترجيح مرتبة بنسـبة[٦] غناه ونزاهته، أظهر «الظاهرُ» سـرّ توقّف معرفته عليه، وكون الظاهر مطلوباً للباطن، والظاهر مستغنٍ، فلا يزال المجاذبة[٧] والمقارعة واقعةً بين المرتبتين.

والحافظ للحدّ ـ أعني الإنسـان الكامل ـ برزخ بين الحضـرتين، جامع لهما، بيده الميزان، دائم النظر إلى عين الميزان، الذي هو مقام الاعتدال ونقطة وسط الدائرة. فتراه حارسـاً واقياً حافظاً بأحديّة الجمع صـورةَ الخلاف، مظهراً ناظماً[٨] فاصـلاً يطلب من ربّه أن يجوع يوماً ويشـبع يوماً، تأسّـياً[٩] بصـورة الأصـل، وتطبيقاً تناسـبيّاً بين حكم الحقائق الغيبيّة المجرّدة الباطنة والموادِّ الصوريّة[١٠] التركيبيّة الظاهرة؛ فإنّ العصمة من لوازم الاعتدال وأحكامه، على اختلاف مراتب الاعتدال المعنويّة والروحانيّة والطبيعيّة، بالنسـبة إلى الصـور البسـيطة والمركّبة. وضـدّ الاعتدال ـ حيث كان ـ يلزمه الفناءُ والاختلال والتحليـل[١١] وظهور الأحكـام الشـيطانيّة. فاعتبر ما ذكرتُه لك ـ كلّيّاً عامّاً وجزئيّاً ـ في كلّ مرتبةٍ[١٢] وصورة معيّنة، وعضوٍ ظاهر وباطن، وأمرٍ طبيعيّ أو روحانيّ،

---

(١) مشارق أنوار اليقين: ٤١

(٢) مرويّ عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ كما في: التوحيد للصدوق: ٦٧

(٣) مقتبس من: القرآن الكريم: ٣/٩٧

(٤) ميلاً: مثلاً AB

(٥) بحكمه: بحكمة A

(٦) بنسبة: ينسبه A

(٧) المجاذبة: المجاوبة A

(٨) ناظماً: باطناً B

(٩) تأسّياً: ناشئاً AB

(١٠) الصوريّة: الصورة A

(١١) A278b

(١٢) B196a

تستشرف[1] على أسرار غريبة غزيرة[2] عظيمة الجَدوى.

[سيرة الكمّل لرعاية الاعتدال في أمزجتهم الصوريّة والروحانيّة]

ثمّ أقول[3]: إنّه كما اختصّ كلّ مزاج صوريّ باعتدالٍ يخصّه ويناسبه، وبحفظه ينحفظ[4] صحّةُ ذلك المزاج، ويدوم بقاء صاحبه، ويظهر[5] أحكامُ القوى البدنيّة في ذلك المزاج، على الوجه الموافق والميزان المناسب، بالتوسّط[6] بين طرفَي الإفراط والتفريط، حتّى يتأتّى[7] لجميع[8] القوى التصرّف[9] في أفانين أفعالها، ويتعلّق المدارك بمدرَكاتها، كذلك للروح الإنسانيّ قوىً وصفات وأخلاق[10] يحصل بينها امتزاج روحانيّ ومعنويّ يقوم منها نشأة نورانيّة. فلذلك المزاج اعتدالٌ يخصّه، وميزان يناسبه[11]، بحفظه تنحفظ[12] تلك النشأة، ويتأتّى[13] لقواه التصرّف في ما لها[14] التصرّف فيه.

فمتى انفتحَت عينُ[15] البصيرة لإدراك تلك النشأة وخواصِّها وقواها وصفاتها وأغذيتها وأحكامها، سرى حكمُ النشأة الباطنة وقواها في النشأة الظاهرة سريانَ صورة الاسم «الظاهر» و[16] «الباطن» فيها عند تمام المُحاذاة وارتفاع الحُجُب المانعة من الإدراك؛ فإنّها الجامعة بين الصورتين، والفائزة بالحُسنيَين[17]، وهي المخلوقة على

---

(١) تستشرف: يستشرف A؛ يستشرق B

(٢) غزيرة: عزيزة P

(٣) أقول: اعلم P

(٤) بحفظه ينحفظ: يحفظه بتحفّظ AB

(٥) يظهر: تطهر B

(٦) بالتوسّط: بالمزج المتوسّط P

(٧) يتأتّى: ينافي A

(٨) لجميع: بجميع AB

(٩) التصرّف: أن تتصرّف P

(١٠) أخلاق: اختلاف P

(١١) يناسبه: تناسبه AB

(١٢) بحفظه تنحفظ: يحفظ بتحفّظ AB

(١٣) يتأتّى: تتأتّى A

(١٤) لها: أُبيح له P

(١٥) عين: _ AB

(١٦) و: + الاسم P

(١٧) بالحسنيين: بالحسنتين AB

الصــورة، والصــورةُ الظاهرة الإنســانيّة جزء منها؛ فإنّ الصــورة الظاهرة نســخة الاســم «الظاهر»، والأحوال الإنســانيّة ـ من حيث تبعيّتها لعينه[١] الثابتة وحال كونها بأســرها ثابتة ـ هي نسخة[٢] صورة الاسم «الباطن».

وهـذه الصــورة المنتشــئةُ[٣] والنـاتجـةُ بينهمـا من الصــفات[٤] والعلوم الإلهيّة والأخلاق[٥] بالامتزاج المذكور، التالي للامتزاج المختصّ بالنشأة الظاهرة، هي نسخة صورة الحقّ من حيث حضرة الجمع والوجود ـ كما مرّ ـ.

فإذا انفتحَت عينُ البصــيرة، واتّحد نورها بنور البصــر، عرف صــاحبُها سرَّ تقويم[٦] الصــحّة وحفظِها على النفس، وعرف قدر الغذاء الحافظ لها[٧]، وتصريفِ كلّ قوّةٍ في مــا خلِقــت لــه، ولم[٨] يتجــاوز بهــا حدّها، ولم يمزج بين الصــفات، ولم يخلط بين المراتب[٩]، وأقام العدل في نفســه وخاصّــةِ رعاياه، وتحقَّق باســم[١٠] العدل، وصــار صــحيحَ الكشــف صــحيحَ المزاج الروحانيّ والصوريّ[١١]؛ كنبيّنا[١٢] ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ والكُمَّل قبله وبعده مِن ورثته.

فما[١٣] كان كمال[١٤] كشــفه إدراكَه في مرتبة المثُل، كشَــفه ممثَّلاً. وما كان كمال كشــفه أن يدرك في الحسّ[١٥]، إدراكه[١٦] في الحسّ. وما كان كمال كشفه أن يدركه في

---

(١) لعينه: لغيبه A

(٢) نسخة: ـ A

(٣) المنتشئة: المنتسبة AB

(٤) B196b

(٥) الأخلاق: الاختلاف AB

(٦) A279a

(٧) وعرف قدر ... لها: ـ P

(٨) ولم: ـ AB

(٩) المراتب: + وأحكامها P

(١٠) باسم: بالاسمَين الحكَم P

(١١) والصوريّ: ـ P

(١٢) كنبيّنا: فإنّ نبيّنا AB

(١٣) فما: ـ AB

(١٤) كمال: ـ AB

(١٥) الحسّ: + المشترك AB

(١٦) إدراكه: أدركه P

عالم المعاني المجرّدة والحضرات الروحانيّة، إدراكه[١] في مرتبته[٢] ـ حيث كان ـ على ما هو عليه.

ومَن تحقَّق بهذا الأمر، ما استعمل قوّةً من قواه إلّا في ما خلِقت له، حتّى تشكره قواه عند الحقّ؛ لإقامة العدل فيها، وتصريفِه إيّاها في ما خلِقت له[٣]. وهذا من أعلى صفات مرتبة[٤] الكمال عند مَن عرف ما الكمال. فكُن ـ يا أخي! ـ ممّن عرف واستعمل، توفَّق ـ إن شاء اللّه ـ.

[سيرة المحجوبين في خروج أمزجتهم الروحانيّة عن الاعتدال]

وفي مقابلة صاحب[٥] هذا الذوق المحجوبون عن عالم الكشف، وهم الذين بعُدت نسبة أمزجتهم الروحانيّة عن الاعتدال المذكور، بطمس قواهم النفسانيّة، واستيلاءِ حكم بعض الصفات[٦] الطبيعيّة بقهرها لباقي الصفات، وانصباغِ ما عدا الغالب بحكم تلك الصفة الغالبة انصباغاً أوجب اضمحلالَ خاصّيّته واستهلاكه، كما أشرنا إلى ذلك في التجلّي الذاتيّ بالنسبة إلى المتجلّى له التامِّ[٧] التوجّه والاستعداد.

فالمزاج الروحانيّ للجاهل الفَدم[٨] البعيد الفِطنة جدّاً، في مقابلة المزاج الروحانيّ المختصّ بصاحب الكمال المذكور[٩].

---

(١) إدراكه: أدركه P
(٢) مرتبته: مرتبة A
(٣) حتّى تشكره ... له: ـ A
(٤) مرتبة: ـ A
(٥) صاحب: + مرتبة A
(٦) B197a
(٧) خاصّيّته واستهلاكه ... التامّ: ـ AB
(٨) الفدم: العدم A؛ + الغليظ الأحمق الجافي P؛ الفدم: العييّ عن الحجّة والكلام. (لسان العرب)
(٩) المذكور: + الذي يبصر بالحقّ ويسمع به ويبصر أيضاً به الحقّ ويسمع به كما ورد في الحديث الثابت P

[وجود مراتب بين الكمّل والمحجوبين في رعاية الاعتدال وعدمه]

وبين مرتبة الكامل(١) ومرتبة(٢) المحجوب مراتب ودرجات. فمَن كانت نسبته إلى المرتبة الكماليّة أقرب، كان حظّه من الكشف والصورة الإلهيّة والعلم بالحقّ وغير ذلك من صفات الكمال بمقدار ذلك القرب(٣). ومَن كانت نسبته إلى المرتبة المقابلة للكمال أقرب، كان حجُبه أكثر، وحظّه(٤) من الكشف والصحّة(٥) أقلّ. والميزان الإلهيّ في كلّ زمان، هو كامل ذلك الزمان في أحواله ومكاشفاته. ومنه(٦) يُعرف(٧) الاعتدال والانحراف في جميع الصور(٨)، و(٩) باقي مراتب الاعتدال.

[العلاقة بين صور الأغذية والكشف الروحانيّ]

ولكلّ ما يغتذى به من صور الأغذية خواصٌّ وقوىً روحانيّة غير(١٠) القوى والخواصّ المشهودة والمُدرَكة(١١)، ولتلك الخواصّ أحكام مختلفة. وبين الأغذية والمغتذي(١٢) ـ من حيث المزاجين(١٣) ـ مناسبات من وجه، ومنافرات من وجه. والحكم(١٤) يظهر للغالب منها. وأكثرها خفيّة(١٥) يعسر الاطّلاع عليها وعلى(١٦) معرفتها، إلّا بتعريف إلهيّ.

---

(١) الكامل: + وحاله P
(٢) مرتبة: + الجاهل P
(٣) القرب: + وتلك النسبة P
(٤) حظّه: خطّه A
(٥) الصحّة: الصورة P
(٦) A279b
(٧) يعرف: يعلم حكم P
(٨) جميع الصور: مطلق الصورة الوجوديّة والصور المتعيّنة الإنسانيّة P
(٩) و: + في P
(١٠) غير: عن AB
(١١) المدركة: + من حيث صورته وأثره في الأجسام P
(١٢) المغتذي: من يغتذي بها P
(١٣) المزاجين: المزاج الصوريّ والمزاج الروحانيّ والمعنويّ P
(١٤) الحكم: + في كلّ وقت للاسم الربّ إنّما P
(١٥) خفيّة: خُفية P
(١٦) الاطّلاع عليها وعلى: ـ P

فعلى[١] قدر المناسبة وصحّة المزاج الروحانيّ يقوى الكشف، ويصحّ ويكثر، ويعلو مرتبته، ويشرف نتائجه[٢] من العلوم والأذواق والتجلّيات[٣]. وعلى قدر المباينة وقلّة[٤] المناسبة[٥] وضعف المزاج يكثر الحُجُب، ويقلّ الكشف والعلم والإدراك الذوقيّ ولوازمُ كلّ ذلك[٦].

ثمّ إنّ[٧] للطبيعة -من حيث هي [هي][٨]- أحكاماً[٩]، ولها من حيث تعيّن حكمها في مزاجٍ مزاجٍ أحكام[١٠]، وللأرواح[١١] أيضاً صفات وأحكام، وللأمر الجامع لهما أحكام، ولمرتبة الاجتماع -من حيث هي[١٢] [هي][١٣]- أحكام، وللوازم التابعة للاجتماع بها[١٤] أحكام، وللأمر الجامع أحكام.

فالتدريج والرياضة والتهذيب والسياسة يُنتفع بها في خروج ما في القوّة إلى الفعل، ورسوخِ بعض الأحكام[١٥] العارضة المحمودة لتصير ذاتيّة أو كالذاتيّة، وفي إزالة بعض الصفات ورفع أحكامها المذمومة؛ لئلّا ترسخ وتعذَّر[١٦] الانسلاخ عنها، ويبقى في المحلّ أحكامها[١٧] ثابتة مضرّة. وكلّ ذلك ليتدرّج[١٨] الإنسان، فيصل إلى ما يناسبه من الاعتدال المعنويّ والروحانيّ والصوريّ المثاليّ وغير المثاليّ[١٩]، ويستمرّ

---

(١) فعلى: فعل AB
(٢) B197b
(٣) التجلّيات: التخيّلات AB
(٤) المباينة وقلّة: _ AB
(٥) المناسبة: المناسب B
(٦) كلّ ذلك: ذلك كلّه P
(٧) إنّ: اعلم أنّ P
(٨) هي: _ ABP
(٩) أحكاماً: أحكامها AB
(١٠) أحكام: الأحكام A
(١١) للأرواح: الأرواح A
(١٢) هي: _ AB
(١٣) هي: _ ABP
(١٤) بها: _ AB
(١٥) الأحكام: أحكام A
(١٦) ترسخ وتعذّر: تترسّخ فيتعذّر P
(١٧) أحكامها: أحكام P
(١٨) ليتدرّج: ليندرج B
(١٩) المثاليّ: المثال A

حكمه[١] المؤجَّل إلى الأجل المعلوم المقدَّر وغير المؤجَّل.

ومَن عرف ما ذكرناه، عرف سرَّ الصورة والظهورِ بها، وسرَّ الكشف والحجاب وما للأغذية في ذلك من الحكم، ويعرف سرَّ الحلال من الأغذية[٢] والحرام، وسرَّ المجاهدة والرياضة، وغير ذلك من الأسرار العظيمة المصونة عن الأغيار[٣].

[غلبة المزاج على قوّة الغذاء]

و[٤] كما أنّ الغذاء إذا ورد على محلّ قد غلب عليه كيفيّةٌ ما، فإنّه يستحيل إلى تلك الكيفيّة، وكون المزاج -إذا كان قويّاً- أبطل قوّةَ الغذاء وحكمه[٥] بغلبة قوّته[٦] عليه، فلم[٧] يظهر أثر[٨] للخواصّ المودَعة في ذلك الغذاء، الذي[٩] لو لم يصادف[١٠] هذا المقامَ[١١] القاهرَ لَبدا أثره[١٢]؛ كذلك[١٣] حكم الخواصّ والقوى الروحانيّة المودَعة في كلّ غذاء مع المزاج الروحانيّ الذي للمتناول، الحاصل من اجتماعات القوى الروحانيّة والصفات النفسانيّة، العلميّة منها والعمليّة؛ فإنّ هذا المزاج ينتهي في القوّة إلى حدٍّ يقلب[١٤] أعيان الصفات الروحانيّة إلى الصفة المحمودة الكاملة، الغالب حكمُها على صاحب الحال والمزاج الروحانيّ المُشار إليه، ويضمحلّ قواها وخواصّها في جنب[١٥] قوّة هذا الشخص[١٦].

---

(١) حكمه: حكم AB
(٢) الأغذية: الأطعمة P
(٣) A280a
(٤) و: + اعلم أنّه P
(٥) حكمه: حكمة A
(٦) بغلبة قوّته: يغلبه قويّة AB
(٧) B198a
(٨) أثر: أثره عليه AB
(٩) الذي: التي P
(١٠) يصادف: تصادف P
(١١) المقام: المقاوم B
(١٢) أثره: أثرها P
(١٣) كذلك: فكذلك P
(١٤) يقلب: يغلب AB
(١٥) في جنب: من حيث AB
(١٦) الشخص: + وروحه P

وهكذا الأمر في الطرف المذموم ومقامِ النقائص، بالنسبة إلى من هو في مقابلة[١] أهل الكمال؛ فإنّ الفيض الإلهيّ وآثار القوى العالية والتوجّهات الملَكيّة تصل إليهم في غاية التقديس والطهارة، متميّزةً[٢] بعضها عن بعض. فإذا اتّصلت بهم[٣]، انصبغت بحسب أحوالهم والصفةِ الناقصة المذمومة المستولية عليهم، فانقهرت الآثارُ[٤] الأسمائيّة والتوجّهاتُ الروحانيّة تحت حكم طبيعتهم وأمزجتهم المنحرفة الناقصة، وظهر عليها سلطان صفاتهم المذمومة، فحجبَتها[٥] وأخفَت حكمَها.

[سرّ الحلّ والحرمة]

ومِن سرّ هذا المقام يُعرف[٦] سرُّ الحِلّ[٧] والحرمة. فيُعلم ثمّ أُمور[٨] هي بالنسبة إلى بعض الخلق نافعة، وبالنسبة إلى غيرهم غير نافعة. واعتبِر هذه[٩] الأحكام بما يظهر لك من أمثالها من أحكام الطبيعيّات. فما ظهر من الأحكام الطبيعيّة[١٠] فاعتبر مثله في المراتب الروحانيّة والصفات النفسانيّة؛ لأنّ الأحكام الطبيعيّة[١١] متحصّلة عن الأحكام الروحانيّة، والروحانيّة ناتجة عن الحقائق الغيبيّة. ولتعتبِر[١٢] بعد اعتبارك لتبعيّة الطبيعيّات للروحانيّات[١٣] تولُّدَ الأرواح[١٤] الجزئيّة من[١٥] الأمزجة[١٦]

---

(١) مقابلة: مقابله AB
(٢) متميّزة: متميّزاً P
(٣) بهم: + ثمّ AB
(٤) الآثار: آثار A
(٥) وأمزجتهم المنحرفة ... فحجبتها: _ AB
(٦) سرّ هذا المقام يعرف: تفاصيل هذا السرّ والمقام تستشرف على P
(٧) الحلّ: أكل A
(٨) فيعلم ثمّ أُمور: فتعلم أنّ ثمّة أُموراً P
(٩) هذه: هذا A
(١٠) B198b
(١١) الطبيعيّة: الطبيعة A
(١٢) لتعتبر: _ AB
(١٣) للروحانيّات: الروحانيّات AB
(١٤) الأرواح: الروح A
(١٥) من: عن P
(١٦) A280b

الطبيعيّة[١]، وما للمزاج فيها، وما يختصّ بها من الأحكام والآثار، من حيث إنّها متعيّنة بعد[٢] الأبدان و[٣] بحسب المزاج.

[غذاء كلّ مرتبة من مراتب الوجود]

وَارْقَ بعد ذلك إلى حكم الأعيان مع الأسماء والوجود الواحد المطلق ـعلى ما عرفتَ في ما تقدّمـ. وانظُر ما يبدو لك من المجموع، ترَ[٤] العجب العُجاب، وتنزَّه في عموم حكم الغذاء في كلّ مرتبة.

فغذاء الأسماء أحكامُها بشرط المظاهر التي هي محلّ الحكم، و[٥] هو عالم المعاني والحقائق[٦] الغيبيّة.

وغذاء الأعيان الوجودُ[٧].

وغذاء[٨] الوجود أحكامُ الأعيان[٩].

وغذاء الجواهر الأعراضُ.

وغذاء الأرواح علومُها وصفاتها.

وغذاء الصور العِلويّة حركاتُها وما به دوام حركاتها[١٠]، الذي هو لدوام استمدادها من أرواحها المستمدّة من الحقائق الأسمائيّة.

وغذاء العناصر[١١] ما به[١٢] بقاء صورها، المانعُ لها من الاستحالة إلى المخالف والمضادّ.

---

(١) الطبيعيّة: الطبيعة A
(٢) بعد: بقدر P
(٣) و: ـ A
(٤) تر: ترى AB
(٥) و: + هذا P
(٦) الحقائق: + من A
(٧) الوجود: الوجوديّة P
(٨) غذاء: ـ AB
(٩) الأعيان: الإذعان A
(١٠) حركاتها: حركتها P
(١١) العناصر: العنصريّة A
(١٢) به: ـ AB

وغذاء الصور الطبيعيّة الكيفيّاتُ التي منها تركّبت تلك الصورة والمزاج. فالحرارة لا تبقى إلّا بالحرارة، وكذا البرودة وغيرهما من الكيفيّات الروحانيّة[١]. والرطوبة الأصليّة التي هي مظهر الحرارة لا تبقى إلّا بالرطوبة المستمدّة من الأغذية، لكن لا[٢] يتأتّى قيامُ المعنى بالمعنى وانتقالُه إليه حقيقةً وحكماً إلّا بواسطة الموادّ[٣] والأعراض اللازمة. وهي شروط يتوقّف عليها الأمر[٤]، وليست مقصودةً لذاتها، ولا مرادةً بالقصد الأوّل الأصليّ. فوظيفتها أنّها توصل إلى[٥] المقصود وتنفصل، فيعقّبها [المِثل][٦]. وهكذا الأمر في كلّ غذاء ومغتذٍ، على اختلاف مراتب الأغذية والمغتذين الذين سبق ذكر مراتبهم.

ولمّا كان الوجود واحداً ولا مِثل له، كانت تعيّناته الحاصلة الظاهرة بالأعيان هي التي يخلف بعضها بعضاً مع أحديّة الوجود.

[ثمرة هذا البحث]

فافهَم هذا؛ فإنّه يشتمل [على][٧] أسرار لا يمكن كشفها. لكن مَن تدبَّر ما أومأتُ إليه واطّلع على مقامه وأصله، عرف سرَّ ظهور صور العالم بأسرها، و[٨] سرَّ أرواحه والنشئات[٩] الدنياويّة والأُخرويّة والبرزخيّة[١٠]، وعرف ما ينتشئ[١١] من الحركات والأفعال والأحوال، من كلّ متحرّك وفاعل[١٢] ذي حال، ومن كلّ كون وفساد واقع في

---

(١) التي منها ... الروحانيّة: ـ AB
(٢) لا: ـ AB
(٣) B199a
(٤) الأمر: الأثر AB
(٥) إلى: ـ P
(٦) المثل: الميل AB، المثُل P
(٧) على: ـ AB
(٨) و: + من AB
(٩) النشئات: النشأة AB
(١٠) البرزخيّة: + وغيرها P
(١١) ينتشئ: ينشئ AB
(١٢) A281a

العالم، وما[1] المراد بالقصد الأوّل من المجموع[2]، وما[3] المراد بالتبعيّة وبالقصد الثاني[4]، وما هو شرط فحسبُ من وجه ومراد من وجه، وما هو شرط في مرتبة وتبع، وهو بعينه مراد ومتبوع في مرتبة أُخرى، وحكمَ الوقت والحال والمرتبة والموطن، والإنسانَ الكامل ودوره وعصره، والمرتبةَ المتضمّنة لهذه التفاصيل قبل ظهور الإنسان الكامل[5]، وهل يصحّ ذلك أم لا. ويعرف سرَّ الدوام والحياة والبقاء والإبقاء[6]، وسرَّ الزوال والموت والفناء والإفناء، وغير ذلك من العلوم التي يتعذّر تفصيلها، ويتعذّر تسمية بعضها بأحقّ[7] أسمائها[8]؛ لِما في القوّة عن ذلك من [الأحظار][9] بل وفي إظهاره بين من الأخطار[10]. وفي ما ذكرناه تذكرةٌ للمعتبِرين وعبرةٌ للمستبصِرين، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَ وَهُوَ يَهْدِي السَّبيلَ﴾[11]. >[12]



(١) ما: + هو P

(٢) المجموع: + وفيه P

(٣) ما: + هو P

(٤) الثاني: الذاتيّ A

(٥) الكامل: _ AB

(٦) الإبقاء: اللابقاء A

(٧) تسمية بعضها بأحقّ: تسميتها بأخصّ AB

(٨) B199b

(٩) الأحظار: الإحصاء A، الإحضار B

(١٠) الأخطار: الإحضار B

(١١) القرآن الكريم: ٤/٣٣

(١٢) إعجاز البيان: ١٥٩ _ ١٦٨

[حصول البوارق والخلسات على أثر تربية النفس]

وإذا عرفتَ هذه المقدّمة، فالتزم بما أوصيتُ من مراعاة ما ذكِر، مع إزاحة الكثرة الإمكانيّة التي منشؤها التعشّقات الشهويّة، وكثرة الملازمة للباب طول الليل، متذلّلاً خاضعاً مُستكيناً، عند جلال عظمته التي خضعت لها الأنوار المجرّدة والقاهرة والمدبّرات وبرازخها، بكمال العزم الخالي عن المشارك والشوب بغير المراد، أو التعرّض للأغراض على أحسن الوجوه اللائقة وأحراها[1] بالقلب؛ فإنّك [2]< **لا**[3] **تلبَث** على هذه الحالة **إلّا قليلاً، وتأتيك البوارقُ اللامعة، والأنوارُ المُشرِقة، والخلساتُ اللذيذة.** >[4]

[حصول القرب الإلهيّ بالتخلّق بأخلاقه]

[5]< اعلَم أنّ الذات المتجرّدة[6] عن الكمالات الزائدة على الذات، إذا كان لها في نفسها من الكمالات ما للذات التي[7] حصل لها الكمالات الزائدة، بل أكثر، فهي أتمّ وأكمل من الذات التي كمالُها زائد؛ لافتقارها في ذلك الكمال إلى أمر زائد على الذات، بخلاف الأُولى؛ فإنّها غير مفتقرة إلى ما هو خارج عنها؛ إذ كمالها هو نفس ذاتها.

---

(١) أحراها: أجراها B

(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٣) لا: + ~~تلتفت~~ A

(٤) أنوار الحقيقة: ٧٣٣

(٥) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٦) المتجرّدة: المجرّدة P

(٧) التي: _ AB

فالواجب لذاته لمّا كان له من الكمالات الغير الزائدة ما للمحفوفة بها، بل لا نسبة[١] لكمالات الممكنات الناقصة[٢] إلى كمالاته التامّة، فهو لا مَحالة أكمل وأتمّ بدرجات ومراتب لا تتناهى[٣]، ولا يدرِك[٤] البشرُ منها إلّا القليل اليسير، ولا يدرِكها[٥] كما هي إلّا هو[٦] العزيز الحكيم. وهذه مقدّمة أُخرى.

فإذا تحقّقَت عندك هذه المقدّمةُ، فاعرِف أنّه يجب على مَن عرف البارئ ـ جلّ جلاله ـ بصفات جلاله ونعوت كماله، أن يتخلّق بأخلاقه بقدر الطاقة البشريّة والقوّة الإنسانيّة. فبقدر[٧] ما يزيد له وصفٌ من الأوصاف الربوبيّة والأسماء اللاهوتيّة، يزيد له قربٌ إليه، ويترقّى درجةً درجةً[٨] إلى المقام الأفضل والجناب الأكمل؛ فإنّ القرب من الواجب لذاته ليس بالمكان؛ لتنزُّهه عنها، بل بالصفات والمعاني. فكلّما[٩] كانت الصفات الإلهيّة الحاصلة للعبد أكثر، كان القرب منه أكثر وأتمّ.

فالنفس إذا تكمّلَت بالعلوم الحقيقيّة، وتطهّرَت من الأخلاق الدنيئة، وخفّفَت العلاقة البدنيّة، وداومَت على الذكر في الخلوات، لم تلبث زماناً إلّا والبارقات الإلهيّة تومَض إليها والخطفات الربّانيّة تشرق[١٠] عليها. فإن دامَت على هذا، فسيأتيها بعد البرق حرق[١١]، ثمّ طمس. وهذه الأشياء لا يهتدي[١٢] إليها الفكر الصائب، بل الذكر الدائم بالقلب، وصرفُ الهمّة إلى جناب القدس بالكلّيّة بجميع الإرادات والعزائم[١٣].

---

(١) A281b

(٢) B200a

(٣) تتناهى: يتناهى AB

(٤) يدرك: تدرك AB

(٥) يدركها: تدركها A

(٦) هو: + لا إله إلّا هو P

(٧) فبقدر: فيقدر A

(٨) درجة: ـ P

(٩) فكلّما: وكلّما AB

(١٠) تشرق: يشرق AB

(١١) حرق: خرق AB

(١٢) يهتدي: يهدي P

(١٣) بجميع الإرادات والعزائم: ـ P

فإذا دامَت على هذا الحال، انتقش فيها صـورة الوجود[١] كلّه، فتصير كأنّها عقلاً مجرّداً عن المادّة. فبعد خراب البدن تعرج بذاتها إلى الملأ الأعلى[٢] والمقام الأسنى، ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظيمِ﴾[٣].

والنفس الفـاضـــلة الكاملة هي العارفة بالذات والصـــفات، وحينئذٍ فيكفيها[٤] من العمل اليســـيرُ. كما حُكي أنّ داوود ـعليه الســـلام ـ قال لربّه: يا ربّ! لا يحلّ[٥] لمن عرفك أن يقطع رجاءه منك. فقال له: يا داوود! إنّما يكفي أوليائي[٦] اليسـيرُ من العمل، مثل كفاية المِلح للطعام.[٧] <[٨]

وذلك سرّ عظيم، وأمر جسيم.

[أصناف الأنوار المُشرقة على إخوان التجريد]

[٩]< واعلَم أنّ إخوان التجريد يُشـرِق[١٠] عليهم أنوار، وذلك بعد خلاص نفوســهم عن العلائق البدنيّة والعوائق الجسـميّة، ومداومتهم على الرياضات، وملازمتهم للذكر الدائم.

ولها أصناف؛ فإنّ:

ـ منها: ما يرد على أهل البدايا.

ـ ومنها: ما يرد على المتوسّطين وأوّل مراتب المنتهين في السلوك.

---

(١) صورة الوجود: صور الوجود والوجود AB
(٢) B200b
(٣) القرآن الكريم: ٢١/٥٧، ٤/٦٢
(٤) فيكفيها: فيكيّفها A
(٥) لا يحلّ: ما يحمل AB
(٦) A282a
(٧) عوالي اللئالي: ١١٧/٤
(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٢٩٢/٣ ـ ٢٩٣
(٩) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(١٠) يشرق: يشرف A

ويختلف ورودها اختلافاً شديداً، بحسب اختلاف استعداد السالك. ولا يمكن ضبطها من جهة الكمّ والكيف، على أنّ البوارق واللوامع لا بدّ من ورودها في أوّل الأمر.

وأوّل ما يرد على أهل البدايا أنوارٌ خاطفة لذيذة، تسمّى[١] الطوالع واللوائح، وهي كلمعة برق[٢] سريعة الانطواء.

ثمّ يُمعنون[٣] في الرياضة إلى أن يكثر عليهم ورودها؛ لملَكة متمكّنة فيهم. وقد يخرج عن اختيارهم هجومها؛ لازدياد الارتياض.

ثمّ بعد ذلك تثبت[٤] الخواطف، وعند ثباتها تسمّى السكينة، وعند التوغّل في الرياضة تصير ملَكة.

ثمّ بعد ذلك يحصل لهم قوّة عروج إلى الجناب الأعلى. وما[٥] دامَت النفس مُبتهجة[٦] باللذّات[٧] من حيث هي اللذّات[٨]. فهي بعدُ غير واصلة؛ لأنّها إذا فرحت بما وصلها من أثر الحقّ، كان لها نظران:

ـ نظر إلى الحقّ الذي ابتهجت به.

ـ ونظر إلى ذاتها المُبتهجة بالحقّ.

فليست مُقبلة بكلّيّتها على الحقّ، فلا يكون قد حصل لها إليه وصولٌ تامّ حقيقيّ. وإذا غابت[٩] عن شعورها بذاتها وشعورها بلذّاتها، فذلك الذي سمّوه بالفناء[١٠].

---

(١) تسمّى: وسمّوها P

(٢) برق: بارق P

(٣) يمعنون: يعنون A

(٤) تثبت: ثبت A

(٥) B201a

(٦) مبتهجة: متبهّجة A

(٧) باللذّات: بالذات AB

(٨) اللذّات: الذات AB

(٩) غابت: غاب AB

(١٠) بالفناء: الفناء P

[عدم منافاة الفناء لإدراك النفس لذاتها]

وهذا لا ينافي[(١)] ما ثبت من كون النفس لا تغفل عن ذاتها، وأنّ حقيقتها أنّها مُدرِكة لـذاتهـا، وإن كـان ظاهر اللفظ يدلّ على منافاته له؛ فإنّ المراد بالغيبة المذكورة أنّها لا تلحظ[(٢)] ذاتَها من حيث هي مُنتقشـةٌ[(٣)] ولاحظة. والملاحظة الثانية[(٤)] قبل[(٥)] ملاحظة النفس لـذاتها، لا من هذه الحيثيّة[(٦)]، بل من حيث هي ملتذّة ومُبتهجة[(٧)] بالحقّ؛ فإنّ ذلك وإن كان بسبب الحقّ، فهو إعجابٌ من النفس وتيهٌ[(٨)] وتبجُّح[(٩)].

والحالة التي يعبّر عنها العارفون بالفناء[(١٠)]، هي أن لا يحسّ السـالكُ بشيء[(١١)] من ظواهر جوارحه، ولا من الأشياء الداخلة فيه والخارجة عنه، بل يغيب عن جميع ذلك، ذاهبـاً إلى ربّه أوّلاً، ثمّ فيه آخراً، متّحداً به على الوجه الذي سـتعرفه. فإن خطر له في أثناء ذلك أنّه قد حصـل له الفناء المذكور، فهو شَوب وكدورة، بل كمال الفناء أن يفنى عن الفناء.

وقد يعرض مثل[(١٢)] هذه الحالة بالإضـافة إلى بعض محبوبات هذا العالم، فيصـير الإنسـان[(١٣)] مُسـتغرقاً لشـدّة شـهوته بالفكر في محبوبه، أو لشـدّة الغضب بالفكر في عدوّه، حتّى لا يبقى فيه متّسَع[(١٤)] لشيء أصلاً. فيخاطَب فلا يفهم، ويجتاز[(١٥)] بين يديه

---

(١) ينافي: تنافي A

(٢) تلحظ: يلحظ A

(٣) منتقشة: منفيّة AB

(٤) الثانية: الثابتة P

(٥) قبل: قيل B، + هي P

(٦) A282b

(٧) مبتهجة: متبهّجة A

(٨) التيه: الكبر. (لسان العرب)

(٩) تبجّح: تبهّج A؛ التبجّح: الفخر. (نفس المصدر)

(١٠) بالفناء: الفناء P

(١١) بشيء: شيء A

(١٢) مثل: قبل A

(١٣) B201b

(١٤) متّسع: تمتّع AB

(١٥) يجتاز: يختار A

مُجتاز[١] فلا يراه. وهو في هذا الاستغراق غافل عن كلّ شيء، وعن الاستغراق أيضاً؛ إذ[٢] لو التفت إلى الاستغراق لكان مَعوقاً عن المستغرق به، وهذا من الأُمور التي يجدها[٣] الإنسان من نفسه. والعارف ما دام لا يزول عنه النظرُ إلى العرفان، فهو بعدُ متوسّط حتّى ينسى العرفانَ في جلال[٤] المعروف.

وكما أنّ شدّة العلاقة التي بين النفس والبدن ـ مع أنّها ليست فيه ـ توجب الإشارة إليه بـ«أنا»، حتّى أنّ[٥] أكثر النفوس نسيَت[٦] أنفسها، وظنَّت أنّ هويّاتها هي[٧] البدن، فكذلك لا مانع أن يحصل للنفس مع المبادئ علاقة شوقيّة عشقيّة، يمحو[٨] عنها الالتفات إلى شيء، بحيث يُشير[٩] إلى مبدئها بـ«أنا» إشارةً روحانيّةً، كما حُكي[١٠] عن بعض العارفين. >[١١]

[أقسام الأنوار السانحة عند السهرورديّ]

وذكر الشيخ الإلهيّ أنّ الأنوار السانحة خمسة عشر:

[١٢]< ـ نور بارق يرد على أهل البدايا[١٣]، وينطوي كلمعة بارق لذيذ.

ـ ويرد على غيرهم أيضاً نور بارق أعظم منه، وأشبه منه بالبرق[١٤]، هائل. وربّما سمع معه صوت كصوت رعد أو دويّ في الدماغ.

ـ نور وارد لذيذ يُشبه ورودُه ورودَ[١٥] ماء حارّ[١٦] على الرأس.

---

(١) مجتاز: مختار A
(٢) إذ: و P
(٣) يجدها: تجدها A
(٤) جلال: حال A؛ حلال B
(٥) أنّ: بأنّ AB
(٦) نسيت: نسبت A
(٧) هي: هو AB
(٨) يمحو: تمحو A
(٩) يشير: يسير AB
(١٠) حكي: يُحكى P
(١١) شرح حكمة الإشراق: ٥٢٧ ـ ٥٢٩
(١٢) بداية العبارات المنقولة من: حكمة الإشراق.
(١٣) البدايا: + يلمع P
(١٤) بالبرق: + إلّا أنّه برق P
(١٥) ورود: ـ A || A283a
(١٦) ماء حارّ: ما جاز B

ـ نور ثابت زماناً طويلاً، شديد القهر، يصحبه خدَر[١] في الدماغ[٢].

ـ نور لذيذ جدّاً، لا يُشبه البرق، بل يصحبه بهجة لطيفة حُلوة، متحرّك[٣] بقوّة المحبّة.

ـ نور مُحرِق يتحرّك مِن تحرُّك القوّة العزّيّة[٤]. وقد يحصل من سماع طبول وأبواق أُمور هائلة للمبتدئ، أو لتفكّر وتخيّل يورث عزّاً.

ـ نور لامع في خطفة[٥] عظيمة، يظهر مشاهدة وإبصاراً[٦] أظهر من الشمس في لذّة مُغرِقة.

ـ نور برّاق لذيذ جدّاً، يُتخيّل كأنّه متعلّق بشعر الرأس زماناً طويلاً.

ـ نور سانح مع[٧] قبضة مثاليّة تُترائى[٨] كأنّها قبضت شعرَ رأسه، وتجرّه جرّاً[٩] شديداً، وتؤلمه ألماً لذيذاً.

ـ نور مع قبضة تُترائى كأنّها[١٠] متمكّنة في[١١] الدماغ.

ـ نور يشرق من النفس على جميع الروح النفسانيّ، ويظهر[١٢] كأنّه تدرّع[١٣] بالبدن شيء[١٤]، ويكاد يقبل روح جميع البدن صورةً نوريّة، وهو لذيذ جدّاً.

ـ نور مبدؤه في صولة، وعند مبدئه يتخيّل الإنسان كأنّ شيئاً ينهدم.

ـ نور سانح يسلب[١٥] النفس، وتبيّن معلّقة محضة، منها تشاهد[١٦] تجرّدها عن

---

(١) الخدر: الفتور والضعف. (لسان العرب)

(٢) B202a

(٣) متحرّك: يتحرّك P

(٤) العزّيّة: الغربة A

(٥) خطفة: حفظه AB

(٦) إبصاراً: إبصار B

(٧) مع: من A

(٨) تترائى: يترائى AB

(٩) جرّاً: ـ P

(١٠) قبضت شعر ... كأنّها: ـ A

(١١) في: من AB

(١٢) ويظهر: فيظهر P

(١٣) تدرّع: لبس الدِرع. (لسان العرب)

(١٤) شيء: + بالبدن A

(١٥) يسلب: بسلب A

(١٦) تشاهد: يشاهد AB

الجهات، ولو[١] لم يكن لصاحبها[٢] علمٌ قبل ذلك.

ـ نور يُتخيّل[٣] معه ثقلٌ لا يكاد يُطاق.

ـ نور معه قوّة تُحرّك البدنَ، حتّى يكاد يقطع مفاصله. >[٤]

[إظهار العجائب والغرائب باستمداد من هذه الإشراقات]

قال شارح كتابه: [٥]< وسياق هذا الكلام يُشعِر بأنّ هذه الإشراقات والبوارق واللوائح ممّا وردت على الشيخ[٦].

وهذه الأنوار[٧] كلّها إشراقات من العقل المفارق على النفس الإنسانيّة التي [هي][٨] النور المدبّر. وقد يهتدي صاحب الإشراق منه ـ إذا[٩] كان ذكيّاً مستبصراً نوريّاً ـ إلى معرفة النفس التي عليها الإشراق، ولا يهتدي منه إليها إن كان[١٠] غافلاً بليداً ظلمانيّاً.

وتلك الإشراقات تنعكس[١١] من النور المدبّر إلى الهيكل البدنيّ، وإلى الروح النفسانيّ. وعلامته أن يظهر على البدن الأنوارُ المُشرِقة ظهوراً بيّناً مع حُسنٍ تامّ وأُبّهةٍ[١٢] مُدهِشة. وهذه الأنوار غايات المتوسّطين من السُلّاك[١٣].

وقد يحملهم[١٤] هذه الأنوارُ إذا قويَت لاستعداد تامّ[١٥] في النفس والبدن للقبول،

---

(١) لو: ـ A، إن P

(٢) لصاحبها: صاحبها AB

(٣) يتخيّل: متخيّل AB

(٤) حكمة الإشراق: ٢٥٢ ـ ٢٥٤

(٥) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.

(٦) الشيخ: ـ A، المصنّف رحمه اللّه P

(٧) الأنوار: + الخمسة عشر المذكورة P

(٨) هي: ـ AB

(٩) صاحب الإشراق منه إذا: من الإشراق صاحبه إن P || B202b

(١٠) كان: + صاحب الإشراق P

(١١) تنعكس: ينعكس AB

(١٢) أبّهة: أبّهته A

(١٣) من السلّاك: في السلوك P

(١٤) يحملهم: + أي المتوسّطين من السُلّاك P

(١٥) A283b

فيمشُــون على الماء والهواء، وقد يصـعدون إلى الســماء مع أبدان مثاليّة، لا جسمانيّة، فيلتصقون[١] ببعض السادة العِلويّة من السيّارات والثوابت.

وهذه الأُمور ـ أعني المشــي[٢] على الماء والهواء، والصــعود إلى الســماء، وطيّ الأرض، وأمثالها ـ من أحكام الإقليم الثامن، أي[٣] عالم المثال؛ لأنّ العالم المقداريّ منقســمٌ بثمانية أقســام[٤]، سبعة منها هي الأقاليم[٥] السبعة التي فيها المقادير الحسّيّة، والثـامن فيهـا[٦] المقـادير المثـاليّـة، وهي عالم المثُل المعلّقة الذي يؤخذ منه الأبدانُ الصـاعدة إلى السماء؛ لاستحالة صعود الأبدان العنصريّة إليها. وأكثرُ إظهار العجائب والغرائب من الأنبياء للوصــول[٧] إليه[٨] ومعرفةِ مظاهره وخواصّــه. وهو العالم[٩] الذي فيــه جابَلق وجابَرص وهورقليا ذات العجائب، وهي أســماء مُدُن في هذا العالم. وقد نطق بها الشــارع ـ عليه الســلام ـ، إلّا أنّ جابَلق[١٠] وجابَرص مدينتان من مُدُن عالم عناصر المثُل، وهورقليا من عالم أفلاك المثُل. >[١١]



---

(١) فيلتصقون: فليتّصفون AB

(٢) المشي: المسمّى A

(٣) أي: من AB

(٤) أقسام: _ AB

(٥) الأقاليم: الإقليم AB

(٦) فيها: فيه B

(٧) للوصول: والوصول A

(٨) إليه: إلى هذا العالم P

(٩) وهو العالم: _ P

(١٠) B203a

(١١) شرح حكمة الإشراق: ٥٣٠ _ ٥٣١

[وجوب الطهارة ظاهراً وباطناً]

وإذا تنقّش ذلك في مرآة نفسـك، فاعلَم وتحقَّق [١]< **أنّ كمال نفسـك إنّما هو بتشبُّهها[٢] بالمبادئ العالية بحسب الطاقة البشريّة. فتجرَّد بحسب القدرة، وتلطَّف بتلطيف سـرّك بالأفكار الصـحيحة والرياضـات المهذّبة بتهذيب أخلاقك؛** >[٣]

[٤]< فإنّ قلّة الوسـائط وأحكام الكثرة الإمكانيّة توجب[٥] الطهارةَ وثبوتَ المناسـبة مع الحضـرة الوحدانيّة[٦]، فيسـتلزم قبول العطايا الإلهيّة. ولكثرة الأحكام الإمكانيّة وقوّتها وخواصِّ إمكانات الوسـائط ـ التي هي النجاسـات المعنويّة اللازمة للموجودات ـ في وجوب نقص قبول[٧] الفيض وتعسُّـره[٨] مـدخـلٌ عظيم[٩]. ولكـلّ من هـذه الطهـارة والنجـاسـة أحكـام شـتّى، يحصـل بينهمـا[١٠] في مظـاهرهما الوجوديّة الصـوريّة والروحانيّة[١١] امتزاجاتٌ على أنحاء، ويحصل في ما بينهما[١٢] غلبة ومغلوبيّة يقتضي[١٣] الوصفُ بالغالب منهما[١٤] في المحلّ حُكماً معيّناً في الحقيقة والشريعة. >[١٥]

ولهـذا وجـب[١٦] تهـذيبُ ظاهرك وأخلاقك، [١٧]< **وطهارةُ ظاهرك وباطنك من**

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) بتشبّهها: تشبّهها A

(٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٣

(٤) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.

(٥) توجب: يوجب A

(٦) الوحدانيّة: + الإلهيّة P

(٧) قبول: القبول وتغيّر P

(٨) تعسّره: تعسيره B

(٩) عظيم: عظيمة A

(١٠) بينهما: بينها P

(١١) والروحانيّة: ـ AB

(١٢) بينهما: بينها P

(١٣) A284a

(١٤) منهما: منها P

(١٥) شرح الأربعين حديثاً: ٧

(١٦) وجب: يوجب A

(١٧) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

جميع الكدورات، >(١) أعني الذنوبَ، وهي كلّها نجاسات باطنة، وإنّ لبعضها(٢) خواصّ [تتعدّى](٣) من الباطن إلى الظاهر.

[بيان أنّ الطاعات كلّها مطهِّرات]

(٤)< واعلَم أنّ الطاعات كلّها مطهِّرات.

فتارةً بطريق المحو، المُشار إليه(٥) في قوله(٦) تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(٧)، وبقوله ـ عليه السلام ـ: «أتبع السيّئةَ الحسنةَ(٨) تَمحُها»(٩).

وتارةً بطريق التبديل، المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾(١٠).

فالمحو المذكور عبارة عن حقيقة العفو(١١)، والتبديل عبارة عن مقام المغفرة. >(١٢)

فإذا تنبّهتَ لذلك، عرفتَ الفرق بين العفو والمغفرة.



---

(١) أنوار الحقيقة: ٧٣٣

(٢) لبعضها: بعضها A

(٣) تتعدّى: يتعدّى AB

(٤) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.

(٥) B203b

(٦) في قوله: بقوله P

(٧) القرآن الكريم: ١١٤/١١

(٨) الحسنة: للحسنة B

(٩) تنبيه الخواطر: ٩٠/١

(١٠) القرآن الكريم: ٧٠/٢٥

(١١) العفو: العقود A

(١٢) شرح الأربعين حديثاً: ٩ ـ ١٠

[تشبّه النفوس القويّة بالعقول المفارقة في أُمور]

[١]< وعند ذلك **ليكن لنفسـك اسـتعلاءٌ على البدن، لا العكس؛ فإنّ كمالها بعلاقتها معه.** >[٢]

[٣]< وذلـك لأنّ اختلاف النفوس في الصـفـات الأصـليّـة يرجع إلى قوّة النفس وشـرفها، وإلى ما يقابل ذلك[٤] مِن ضِـعَتها[٥] وخسّتها. فالنفس القويّة هي التي تفعل الأفعال الكثيرة العظيمة، والضعيفة ما يقابل[٦] ذلك؛ إذ[٧] المتأمّل يرى نفوساً ضعيفة، وهي التي يشـغلهـا فعلٌ ما[٨]. فإن مالت إلى الفكر، اختلّ الحسّ، وبالعكس. وإن مـالـت إلى الـذكر، اختلّ الفكر، وبالعكس. وإذا اشـتغلَت بالتحريك الإراديّ تعطّل إدراكها. ويرى نفوسـاً قويّة، وهي[٩] تجمع[١٠] بين أصـناف من الأفعال. فتسمع كلاماً، وتبصـر شـيئاً، وتُفكِّر في شيء، وتتحرّك إلى شيء آخر في زمان واحد، إلى غير ذلك. فالأوّل هو صاحب النفس الضعيفة، والثاني هو صاحب النفس القويّة.

فهي[١١] تُشـبـه[١٢] في غريزتها[١٣] العقولَ المفارقة في الحكمة، والحرّيّة، والعفّة،

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٣
(٣) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رسـائل الشجرة الإلهيّة.
(٤) يقابل ذلك: يليهما AB
(٥) ضـعتها: ضـعفها AB؛ الضـعة: خلاف الرفعة في القدر. (لسان العرب)
(٦) يقابل: قابل AB
(٧) إذ: إذاً A
(٨) ما: _ P
(٩) هي: + التي P
(١٠) تجمع: يجمع A
(١١) فهي: وأمّا النفس الشريفة P
(١٢) تشبه: نسبة AB
(١٣) غريزتها: + نسبة AB

والخيّريّة(١)، والكرم، والرحمة، والفتوّة(٢).

[الحكمة]

فأمّا «الحكمة» فغريزيّة(٣) ومكتسَبة.

والأُولى(٤) هي النفس الصادقة الأحكام في القضايا النظريّة، فهي الاستعداد الأوّل لاكتساب(٥) الحكمة الكسبيّة. ويتفاوت(٦) النفوس في هذه الحكمة الغريزيّة تفاوتاً كثيراً، حتّى أنّ البالغ فيها إلى الدرجة العُليا هو المسمّى بالنفس القدسيّة. ويُقابل هذه النفسَ النفسُ(٧) البهيميّة، وهي التي لا تنتفع(٨) بتنبيه منبِّه، ولا بتعليم معلِّم(٩) أصلاً.

[الحرّيّة]

وأمّا «الحرّيّة(١٠)» فهي أن لا تتوق(١١) بغريزتها إلى الأُمور الدنيئة(١٢). و(١٣) سمِّيت بهذا الاسم لأنّ الحرّيّة تطلق(١٤) في اللغة على ما يقابل العبوديّة، والشهوات مستعبِدة للنفس، فيكون(١٥) التائقةُ(١٦) إلى الأُمور البدنيّة غيرَ حُرّة، سواء تركَتها(١٧) أو لا؛ لأنّ التائق التارك أسوَء حالاً من التائق الواجد(١٨)؛ لأنّ التوقان مع الحِرمان يشغل النفسَ عن اكتساب الفضائل، إلّا أنّه يكون أحسن حالاً من الواجد(١٩) في المآل؛ لأنّ عدم

---

(١) والعفّة والخيّريّة: _ AB
(٢) الفتوّة: القسوة AB
(٣) فغريزيّة: فتنقسم إلى غريزيّة P
(٤) الأولى: الأوّل A
(٥) لاكتساب: لاستعداد AB
(٦) A284b
(٧) النفس: _ AB
(٨) تنتفع: ينتفع AB
(٩) معلّم: تعلم AB
(١٠) الحرّيّة: حرّيّة النفس P
(١١) تتوق: تسوق A، تتشوّق P
(١٢) الدنيئة: البدنيّة P
(١٣) و: + إنّما P
(١٤) تطلق: يطلق AB
(١٥) فيكون: فالنفس P
(١٦) التائقة: التابعة AB
(١٧) تركتها: تركها AB
(١٨) الواجد: الواحد AB
(١٩) الواجد: الواحد AB

الوجدان في الحال واشـتغالَ النفس بغيرها قد يُزيل عن النفس التوقان في ثاني الحال. ويُعلم[١] من هـذا أنّ الحرّيّـة عفّـة غريزيّـة للنفس، وهي غير[٢] التي تكون بـالتعويـد والتعليم، وإن كانت تلك أيضـاً فاضلة. وهو معنى قول المعلّم الأوّل: «إنّ الحرّيّة ملَكة نفسـانيّة حارسة[٣] للنفس حراسةً جوهريّة، لا صناعيّة»[٤]. فالنفس كلّما كانت علاقتها البدنيّة أضـعف والعقليّة أقوى، كانت أكثر حرّيّةً، وإلّا كانت أقلّ حرّيّةً وأضـعف. وهو معنى قول أفلاطون: «النفوس المرذولة في أُفق الطبيعة وظلّها، والنفوس الفاضــلة في أُفق العقل وظلّه»[٥].

[العفّة]

وأمّا «العفّة» فإنّ معناها يقرب[٦] من معنى الحرّيّة[٧]، إلّا أنّ الاصطلاح يخصّص[٨] الحرّيّةَ لقلّة[٩] الجزع إلى المفقود، ويخصّــص[١٠] العفّة لعدم[١١] التوقان إلى اللذّات المُستكرَهة عند الجمهور.

[الخيّريّة]

وأمّا «الخيّريّة» فهي التذاد النفس بخيرٍ ينال[١٢] غيرها، وتأذّيها بشرٍّ يصل إليها، كما تلتذّ وتتألّم[١٣] بخيرٍ أو بشرٍّ[١٤] يصل إلى نفسها.

---

(١) يعلم: تعلم P
(٢) غير: _ AB
(٣) حارسة: حارسيّة A
(٤) أقدم مصادره في مصنّفات الحكماء: المعتبر: ٣٨٧/٢
(٥) أقدم مصادره في مصنّفات الحكماء: نفس المصدر: ٤٢٦/٢
(٦) يقرب: تقرب AB
(٧) B204b
(٨) يخصّص: تخصّص AB
(٩) لقلّة: بقلّة P
(١٠) يخصّص: تخصّص AB
(١١) لعدم: بعدم P
(١٢) ينال: تنال A
(١٣) تلتذّ وتتألّم: يلتذّ ويتألّم AB
(١٤) بشرّ: شرّ P

ويتفرّع على هذه الصفة «الكرم» و«الرحمة».

[الكرم]

فـ«الكرم» التذاذ النفس بالخيرات الواصلة إلى الغير.

[الرحمة]

و«الرحمة» تأذّيها بالشرور الواصلة إلى الغير. إلّا أنّ هذه الفضيلة لا تحصل[١] إلّا[٢] عند حصول الحرّيّة؛ فإنّ النفس إذا كانت طالبةً للذّات بدنيّة[٣]، يمنعها الاستغراقُ في الطلب عن الاشتغال بإيصالها[٤] إلى الغير؛ إذ[٥] كان مطلوب غيرها هو مطلوبها، فيكون اشتياقها إليه مانعاً من إيصاله[٦].

[شرارة النفس وفرعاها]

ويقابل[٧] خيّريّةَ النفس شرارتُها، وهو استيثارها[٨] بالفوائد الحاصلة في هذا العالم، دون غيرها، مع كونها غير ملتذّة بخيرِ غيرها، ولا متأذّية بشرٍّ غيرها.

وفرعا[٩] ذلك «البخل» و«القسوَة».

فـ«البخل[١٠]» عدم الالتذاذ بخيرِ غيرها، بل يكون شأنها الاستيثار[١١] بالخيرات دون غيرها.

وأمّا «القسوَة» فهي[١٢] أن لا يتأذّى النفسُ بشرٍّ يصل إلى الغير، ولا تُبالي[١٣] بمَضرّة غيره.

---

(١) تحصل: يحصل AB
(٢) إلّا: _ P
(٣) للذّات بدنيّة: للّذّات البدنيّة P || A285a
(٤) بإيصالها: + الخير AB
(٥) إذ: أو AB
(٦) إيصاله: + إلى الغير P
(٧) تقابل: يقابل A
(٨) استيثارها: استيفاؤها A
(٩) فرعا: فرع B
(١٠) البخل: + هو P
(١١) الاستيثار: الاستبشار A
(١٢) فهي: فهو A
(١٣) تبالي: يبالي AB

[بيان أنّ كلّ واحد من قوّة النفس وشرفها يزيد في الآخر]

واعلَم أنّ كلّ واحد من قوّة النفس وشرفها يزيد في الآخر، وذلك لأنّ[١]:

«الكرم» قـد يكون لقوّة[٢] النفس وعلوّها عن[٣] الالتفات إلى حفظ المال[٤]؛ وقد يكون شرفها لخيّريّتها.

و«الشـجاعة» قد تكون[٥] لقوّة النفس، واحتقار الخصـم، واستشعار الظفر به؛ وقد تكون[٦] لشـرف النفس والترفّع عن المذلّة[٧] والمهانة؛ كما ذكر أرسطو: «أنّ النفس[٨] الشريفة تأبى مقارنة الذلّة، وترى موتَها في حياتها، وحياتَها في موتها»[٩].

وقد يتّفق القوّة والشـرف في اللوازم، كحبّ[١٠] النفس القويّة الشـريفة[١١] للرئاسة، وحـبّ الحماقة والترأّس في النفس القويّة الجاهلة[١٢]؛ فلجهلها[١٣] تظنّ[١٤] أنّها أهل لذلك، ولقوّتها تُقدِم على الطلب.

وأمّـا «غَنـاء[١٥] النفس» فربّمـا كـان لقوّتهـا ووثاقتها على دفع الاحتياج في أوقاتها بالقدرة؛ وربّما كان لشرفها وقلّة التفاتها بالموجود والاهتمام بالمفقود.

وفقرهـا قـد يكون لضـعفهـا وظنّهـا فقدَ ما تحتاج[١٦] إليه عند الحاجة؛ وقد يكون لخسّتها و[١٧] احتقارها[١٨].

---

(١) لأنّ: أنّ P

(٢) لقوّة: من قوّة P

(٣) علوها عن: غلوّها من A

(٤) حفظ المال :حظّ AB

(٥) تكون: يكون A

(٦) تكون: يكون AB

(٧) المذلّة: + والإهانة P

(٨) النفس: النفوس P

(٩) أقدم مصادره في مصنّفات الحكماء: المعتبر: ٤٢٧/٢

(١٠) B205a

(١١) الشريفة: ـ AB

(١٢) الجاهلة: الخاملة P

(١٣) فلجهلها: جهلها AB

(١٤) تظنّ: نظر A

(١٥) غناء: غنى P

(١٦) تحتاج: يحتاج A

(١٧) و: أو A

(١٨) احتقارها: احتكارها AB

و«العدالة» فهي لازمة[١] لشرف النفس، لا سيّما عند وجود القوّة.

و«الجور» لازم لخسّتها؛ لشوقها إلى جمع الحُطام[٢].

و«الصدق» لازم لشرف النفس.

و«الكذب» لازم لخسّتها.

و«الحلم» لازم للقوّة مع الشرف.

و«السَفَه» لازم للضعف مع الخسّة.

و«الحرص» و«كبر الهمّة» لازم لقوّة النفس[٣] الشريفة.

وأمّا «الفشل» و«صغر الهمّة» فلازم لضعف النفس الخسيسة.

وهذه الصفات ربّما كانت بسبب الأمزجة، أو[٤] بسبب الأُمور الخارجة، أو يكون السبب جوهر النفس. >[٥]



(١) فهي لازمة: لازم AB

(٢) حطام الدنيا: كلّ ما فيها من مال يفنى. (لسان العرب)

(٣) A285b

(٤) أو: و AB

(٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٨٥/٢ _ ٤٨٩

[مباحث تهذيب الأخلاق]

[العدالة المطلقة]

وبما أفَدناه[١] في هذه الغوامض، ظهر كيفيّةُ استعلاء[٢] البدن على النفس، وكونُ العكس من لوازم طلب الكمال، وأنّ كمالها بالعلاقة[٣]. [٤]< **وإنّما يحصل ذلك** للنفس باتّصافها **بالعدالة** التي هي يُراد بها الخُلق، وهو هيئة تحدث للنفس الناطقة من جهة انقيادها للبدن، ولا انقيادِها له.[٥] ونريد بالعدالة هنا العدالةَ **المطلقة المركّبة تركيباً اجتماعيّاً من الحكمة والشجاعة والعفّة، وكلّ واحدة منها وسط بين طرفَي إفراط وتفريط، فهي فضيلة محفوفة برذيلتَين.** >[٦]

[٧]< **فالأُولى** ـوهي الحكمة[٨]ـ **وسط بين البَلادة والجَربَزة.** ويُراد بها توسّط القوّة [العقليّة][٩] في ما يدبّر[١٠] به الحياة ولا يدبّر[١١]. وهذه الحكمة غير الحكمة التي هي ارتسام الحقائق في النفس؛ فإنّها كلّما كانت أكثر، كانت أجوَد. فقد قيل لصاحب الشرع ـعليه السلامـ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْني عِلْماً﴾[١٢].

---

(١) أفدناه: أخذناه A

(٢) استعلاء: استعداد A

(٣) بالعلاقة: بعلاقتها معه P

(٤) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٥) التعريف للشيخ الرئيس، كما في: المبدأ والمعاد: ١٠٩

(٦) أنوار الحقيقة: ٧٣٣

(٧) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٨) B205b

(٩) العقليّة: العمليّة ABP

(١٠) يدبّر: تدبّر AB

(١١) يدبّر: تدبّر AB

(١٢) القرآن الكريم: ١١٤/٢٠

والثانية ـوهي الشجاعةـ هي توسّط القوّة الغضبيّة[١] في ما يغضب له ولا يغضب[٢] بحسب الرأي الصحيح، فهي وسط **بين الجبن والتهوّر.**

والثالثة ـوهي العفّةـ توسّط القوّة الشهوانيّة في ما تشتهي ولا تشتهي[٣] بحسب الرأي الصحيح، فهي وسط **بين الشَرَه**[٤] **والخُمود**[٥].

وكلُّ الفضائل والرذائل داخلةٌ تحتها، وهذه أُصولها.



(١) الغضبيّة: الغضب A

(٢) ولا يغضب: ـ AB

(٣) تشتهي: يشتهي A

(٤) الشره: الشبق P؛ الشبق: شدّة الغُلمة وطلب النكاح. (لسان العرب)

(٥) الخمود: الجمود AB

[فروع الحكمة]

ففروع[١] الحكمة:

الفِطنة: وهي جودة الحدس، وهو سرعة هجوم النفس على المبادئ الموصِلة[٢] إلى الحقائق من غير طلب كثير. ويوازيها من الرذائل الغباوةُ.

والبيان: وهو تحسين نقلِ ما في الضمير من[٣] المخاطِب إلى ضمير مَن يخاطبه. ويقابله العيّ[٤].

وإصابة الرأي: وهي[٥] حُسن ملاحظة عواقب الأُمور التي يُتفكّر فيها، حتّى يُدرَك جهات الصواب على الوجه الملائم.

والحزم[٦]: وهو تقديم العمل في الحوادث الممكن وقوعُها بما هو أبعد وأسلم عن الضرر[٧]. ويوازيه العجز.

والصدق: وهو موافقة الآلة المعبّرة[٨] للضمير، بحيث يتوافقان إيجاباً وسلباً، وصدقهما هو موافقتهما[٩] للأمر في نفسه. ويوازيه الكذب.

والوفاء: وهو ثبات النفس على مقتضى ما ضمنَت والتزمَت به. ويوازيه الجفاء والغدر.

---

(١) ففروع: ففرع A

(٢) الموصلة: ـ P

(٣) الضمير من: ضمير P

(٤) العيّ: الغيّ A

(٥) هي: هو AB

(٦) الحزم: الجزم A

(٧) الضرر: الغرر AB || A286a

(٨) المعبّرة: ـ AB

(٩) موافقتهما: موافقهما AB

والرحمة: وهي لحوق الرقّة على ما حلّ[١] به من المكروه من الجنس. ويقابله[٢] القساوة.

والحياء: وهي[٣] هيئة للنفس تقتضي[٤] الامتناع عن أمر يلاحظ[٥] تأدّيه[٦] إلى اللوم. ويوازيه الوقاحة.

وعِظَم[٧] الهمّة: وهو[٨] أن لا يرضى الإنسان من الفضائل إلّا بأعلى ما يقدر عليه. ويوازيه دناءة الهمّة.

وحسن العهد: وهو المحافظة على أحوال القرابات والصداقات، والاعتناء بها[٩]. ويوازيه[١٠] سوء العهد.

والتواضع: وهو حطّ[١١] الإنسان نفسَه دون منزلةٍ يستحقّها[١٢] من غير نقيصة[١٣]. ويوازيه التكبّر والصَلَف[١٤].



---

(١) حلّ: _ AB
(٢) يقابله: مقابله B
(٣) هي: هو AB
(٤) تقتضي: يقتضي A
(٥) يلاحظ: يلاحظه A
(٦) B206a
(٧) عظم: _ AB
(٨) هو: هي AB
(٩) بها: + وتذكّرها P
(١٠) يوازيه: + من الرذائل P
(١١) حطّ: خطّ A
(١٢) يستحقّها: استحقّها AB
(١٣) نقيصة: مقتضيه P
(١٤) الصلف: مجاوزة القدر والادّعاء فوق ذلك. (لسان العرب)

[فروع العفّة]

وفروع العفّة:

القناعة: وهي ضبط القوّة الشهوانيّة عن الاشتغال بالزائد على الكفاية، وعن الحرص على ما يشاهد من الغير. وهي بين الحرص والاستهانة بتحصيل الكفاية.

والسخاء: وهو ملَكة الإنسان لبذل ما له من المال لجنسه، على حسب الحاجة والرأي الصحيح. وهو بين البخل والإسراف.

والصبر: وهو ضبط القوّة[١] الغضبيّة عن[٢] شدّة التأثّر[٣] بالمكروه النازل الذي يوجب العقلُ احتمالَه وعدم الجزع عنه، أو ضبطُها عن حبّ مُشتهىً[٤] يوجب العقلُ اجتنابَه.

والحلم: وهو الإمساك عن الابتداء[٥] إلى دعاء الغضب إلى الانتقام من الجاني، بحسب ما يقتضيه العقلُ، لا بناءً على أمر خارج.

وسَعة الصدر: وهو أن لا يتأثّر النفس بهجوم الحوادث بحيث تتحيّر[٦]، بل تستعمل[٧] الواجبَ، وإن عظُم الوارد.

وكتمان السرّ: وهو ضبط قوّة الكلام عن إظهار ما في النفس[٨] في غير[٩] وقته وأهله.

---

(١) القوّة: _ B
(٢) عن: عند AB
(٣) التأثّر: التأثير A
(٤) يوجب العقل ... مشتهى: _ AB
(٥) الابتداء: الابتذار AB
(٦) تتحيّر: يتحيّر A
(٧) تستعمل: يستعمل AB
(٨) النفس: الضمير P
(٩) في غير: قبل AB

والأمانة: وهي حفظ النفس عن التصـرّف في مال الغير عنده[١] لينتفع به، وحفظ ذلك من غير صاحبه إلّا بإذنه، وضبطه عمّا يفسده بحسب الطاقة[٢].

ويقابل[٣] هذه الأشـياءَ الحقدُ، والحسـد، وسـرعة الانتقام، والشـتيمة، والنميمة، والغيبة، وإذاعة السرّ، وضيق[٤] الصدر، والخيانة. >[٥]



---

(١) عنده: + وذبّه عنه P
(٢) الطاقة: + إن كان ممّا يحتاج إلى ذلك P
(٣) A286b
(٤) ضيق: ضيقة AB
(٥) كلمة التصوّف: ١٢٩ ـ ١٣١

[فروع الشجاعة]

[(١)]< **وفروع الشجاعة:**

الإقدام: وهو إيراد النفس على ملاقاة[(٢)] العدوّ، لِما[(٣)] يقتضيه الحال بحسب العقل.

والقهر: وهو التسلّط على ما دونه، بالامتلاك والاستخدام واستتباع[(٤)] الأوامر، على مقتضى الصلاح.

والتثبّت: وهو شــدّة الحـذر من وقوع المكروه من الجـانـب الغير المعلوم، وقوّةُ مراعاته، وعدمُ سرعة الهجوم على الأمر قبل بيان حاله.

وقوّة العزم: و[هي][(٥)] حبس الهمّة على المعنى[(٦)] في ما تعلّقَت به الإرادةُ من الأمر.

والشهامة: وهي قوّة النفس على مكافحة الشديد من الأمر، فلا يؤثّر شدّتُه في قوّة عزيمته في إمضائه.

والنجدة: وهي القدرة على نصرة الجنس عند الحاجة، من غير تقصير ولا توقّف.

والغيرة: وهي سـرعة الغضـب على ما يلحق[(٧)] الأرحام، من الجور وتسـلّط الغير عليهم بأمر لا يليق بمقتضى العقل.

فإذا وقفتَ على العدالة وأُصـولها وفروعها، **فاستكمِل** بها وفروعها وأُصولها، وكُن متّصــفـاً بجميعها على أبلغ وجوهها، حتّى بها **تكمُل** نفســك، فترقى إلى معارجها،

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) B206b
(٣) لما: _ A
(٤) استتباع: استباع B
(٥) هي: _ AB
(٦) المعنى: المضي A
(٧) يلحق: تلحق A

وتصل إلى مطالبها؛ فإنّ وصولها بكمالها. >[١]

وهذا البحث[٢] الغرض منه الإشــارةُ إلى تهذيب الأخلاق، وهو المتعلّق بخاصّ[٣] ذات الإنســان من غير شــركة. واســتيعابه يحتاج إلى بســط كثير، إلّا أنّا نحتاج هنا إلى الإشارة منه إلى ما يتعلّق بغرض[٤] الرسالة.

[الخُلق]

[٥]< فنقول: الخُلق ملَكة يصدر عنها جميع الأفعال بسهولة، من غير فكر ورويّة[٦].

[الاختلاف بين الحكماء في إمكان تغيير الخُلق]

وزعم جمـاعـة من الحكمـاء أنّ الخُلق كالخَلق[٧] لا يمكن تغييره، بل[٨] هو الذي يقتضــيه المزاج المخصــوص، كالذي يكون حارّ مزاج القلب[٩]؛ فإنّه يكون شــجاعاً، وضدّه جباناً، وكذا بقيّة الأخلاق.

والصــواب أنّـه ليس كـذلـك، بـل[١٠] يمكن تبديله وتغييره[١١] بالزيادة والنقصــان والاعتدال، بكثرة[١٢] مزاولة الأفعال والأقوال والحركات والسـكنات والتصوّرات. ولو لا ذلـك لَمـا اجتهـدت الأنبياء والحكماء والأولياء في الدعوة إلى اللّه بكلّ طريق، ولَما أُمِرَت بمكارم الأخلاق. كيف؟ وقد قال سـيّد البشــر ـصـلّى اللّه عليه وآله وسـلّم ـ:

---

(١) أنوار الحقيقة: ٧٣٣ (مع شرح وتفصيل)

(٢) البحث: المبحث A

(٣) بخاصّ: خاصّ A

(٤) بغرض: بفرض A

(٥) بـدايـة العبـارات المنقولة من: رســائل الشجرة الإلهيّة.

(٦) رويّة: رؤية A

(٧) كالخلق: ـ P

(٨) بل: + الخُلق P

(٩) B207a

(١٠) ليس كذلك بل: ـ P

(١١) A287a

(١٢) بكثرة: + الاعتدال A

«بعِثتُ لأُتمّم مكارم الأخلاق»[١]. والعاقل يمكنه أن يعرف ذلك بكثرة التأمّل والتجربة.

[أجناس الفضائل]

وينبغي أن يُعلم[٢] أنّ الإنسان له قوىً ثلاث:

ـ النفس الناطقة، المعبَّر عنها بالقوّة العقليّة.

ـ والقوّة الشهوانيّة.

ـ والقوّة الغضبيّة.

فالقوّة العقليّة هي النفس الملَكيّة، وهي مبدأ التمييز والفكر والشوق إلى إدراك الحقائق، ويسمّى تهذيبُ هذه القوّة[٣] حكمةً نظريّة.

وأمّا الشهوانيّة فهي النفس البهيميّة. وهي مبدأ الشهوة، وطلب الغذاء، والشوق إلى الالتذاذ بالمآكل والمشارب والمناكح.

و[٤] القوّة الغضبيّة هي النفس السبُعيّة[٥]. وهي مبدأ الغضب والإقدام على الأهوال، والشوق إلى التسلّط والترفّع والجاه والعزّ.

والعدالة مركّبة من هذه الثلاثة، بحيث يكون[٦] هذه القوى معتدلة، لا تخرج إلى حدّ الإفراط والتفريط، بل تكون[٧] لا ميل فيها. فإن خرجوا إلى حدّ الإفراط تسمّى[٨] بالنسبة إلى الحكمة[٩] جَربَزة، وإلى الشهوة شَرَهاً، وإلى الغضب تهوّراً. وإلى التفريط بالنسبة[١٠] إلى الحكمة بَلَهاً، وإلى الشهوة خُموداً[١١]، وإلى الغضب جُبناً.

---

(١) مكارم الأخلاق: ٨

(٢) يعلم: تعلم P

(٣) هذه القوّة: القوّة النظريّة P

(٤) و: + أمّا P

(٥) السبعيّة: السبعة B

(٦) تكون: يكون A

(٧) تكون: يكون A

(٨) تسمّى: سمّي AB

(٩) الحكمة: + سفهاً أو ABP

(١٠) بالنسبة: ـ P

(١١) خموداً: جموداً AB || B207b

وإذا اعتدلَت يحدث فضيلة [رابعة][(١)]، وهي العدالة الحادثة من تهذيب الأخلاق بالقوّة[(٢)] العمليّة، وطرفاها الظلم والانظلام.

وإذا هذِّبت القوّة العقليّة تسمّى حكمة.

وإذا هذِّبت القوّة الشهوانيّة تسمّى[(٣)] عفّة.

وإذا هذِّبت القوّة الغضبيّة تسمّى شجاعة.

وكلّ واحدة[(٤)] من هذه[(٥)] القوى بعد التهذيب تسمّى بهذه الأسماء التي هي الحكمة والعفّة والشجاعة[(٦)]. فإذا تركّبَت بعضها مع بعض بالهيئة الاجتماعيّة، حدثَت العدالة[(٧)]. فهي وسط بين طرفين[(٨)]، والوسط محصور، والأطراف لا تنحصر عند حدّ، بل تذهب إلى غير النهاية. فكلّ فضيلة هي وسط بين رذيلتين، أعني الإفراط والتفريط، والوسط[(٩)] هو الصراط المستقيم. فيجب أن لا يتجاوزه طالب[(١٠)] الكمال. فبحسب انحرافه ينحرف من السعادة الأُخرويّة.

وهذا هو الداء المعضل والأمر المشكل الذي يعجز عنه البشر، إلّا الشريد الفريد من الأفاضل والأماثل. وكلام الأنبياء والحكماء يدلّ على ما ذكرناه من صعوبة الطريق، وأنّ الواقف على الوسط قليل، وأنّ الناس يمترقون[(١١)] ويتفرّقون في البرازخ الغير المتناهية بعد خراب الهياكل والأبدان، ويقيمون في كلّ برزخ[(١٢)] زماناً بحسب ما

---

(١) رابعة: ثالثة ABP

(٢) الاخلاق بالقوّة: القوّة P

(٣) تسمّى: + حينئذٍ P

(٤) واحدة: واحد P

(٥) هذه: _ AB

(٦) A287b

(٧) فإذا تركّبت ... العدالة: _ P

(٨) وسط بين طرفين: الوسط من الطرفين P

(٩) والوسط: _ A

(١٠) طالب: صاحب P

(١١) يمترقون: يتمزّقون P؛ الامتراق: سرعة المرق. (لسان العرب)

(١٢) كلّ برزخ: تدرّج AB

يقتضيه الهيئة. ثمّ يترقّون من منزل[١] إلى منزل عند ذهاب تلك الهيئات، على ما ذكرناه في مقامات[٢] أحوال النفس عند المفارقة وقبلها.

واعلَم أنّ تحت كلّ واحد من[٣] الفضائل الأربع أنواع لا تتناهى[٤]، إلّا أنّا[٥] نذكر[٦] ما هو المشهور؛ ليكون الفائدة أعظم.

[الأنواع الداخلة تحت الحكمة]

أمّا الأنواع التي تحت الحكمة فستّة:

ـ الذَكاء: وهو سرعة إنتاج القضايا، وسهولة استخراجها؛ لكثرة مزاولة المقدّمات، ويصير[٧] ذلك ملَكة.

ـ وسرعة الفهم: وهي[٨] حركة النفس من الملزومات[٩] إلى اللوازم بلا توقّف مع ملَكة.

ـ وصفاء الذهن: أن يكون للنفس استعداد استخراج المطلوب من غير اضطراب.

ـ وسهولة التعلّم[١٠]: أن يكون للنفس حِدّة في اكتساب المطلوب من غير ممانعة الخواطر المتفرّقة، بل تكون[١١] بكلّيّتها متوجّهة[١٢] إلى المطلوب.

ـ وأمّا التحفّظ: فهو[١٣] أن يكون صور الأُمور المُدرَكة بالعقل أو بالوهم بقوّة التفكّر أو التخيّل مستحصلةً بأقلّ نظر.

ـ وأمّا التذكّر: فهو[١٤] أن يلاحظ النفس صور[١٥] المحفوظ في أيّ وقت شاءت

---

(١) منزل: + ومنزل A
(٢) B208a
(٣) من: + هذه P
(٤) تتناهى: يتناهى A
(٥) أنّا: إنّما AB
(٦) نذكر: يذكر A
(٧) يصير: تصير AB
(٨) هي: هو A، وهي: ـ B
(٩) الملزومات: الملازمات A
(١٠) التعلّم: + وهو P
(١١) تكون: يكون AB
(١٢) متوجّهة: متوجّه A
(١٣) فهو: وهو P
(١٤) فهو: وهو P
(١٥) صور: تصوّر P

بسهولة من جهة الملَكة المكتسبة.

[الأنواع الداخلة تحت الشجاعة]

وأمّا الأنواع الداخلة[١] تحت الشجاعة فأحد عشر[٢]:

ـ كبَر النفس: وهو عدم المبالاة بالكرامة والهَوان[٣].

ـ والنجدة[٤]: أن يكون الإنسـان واثقاً بثبات نفسه عند الخوف من الجزع الموجب للحركات المضطربة.

ـ وعلوّ الهمّة[٥]: أن يكون النفس غير مستبشرة بالسعادة الدنيويّة، ولا متضجّرة بها، غير خائفة من الموت.

ـ وثبات الهمّة[٦]: أن يكون للإنسان قوّة مقاومة[٧] الآلام والشدائد.

ـ والحلم[٨]: قوّة تمنع[٩] النفس عن الغضب بسهولة.

ـ والسكون[١٠]: أن يكون النفس في الخصومات حافظة لأدب الشرع والعقل.

ـ والشـهـامـة: أن يكون النفس[١١] حريصـة على اقتناء الأُمور العظيمـة لتوقّع الذكر الجميل[١٢].

ـ والتحمّل[١٣]: أن يكون النفس قويّة على استعمال الآلات[١٤] في اكتساب الأُمور اللائقة.

---

(١) A288a

(٢) عشر: + نوعاً P

(٣) الهوان: نقيض العزّ. (لسان العرب)

(٤) النجدة: + وهي P

(٥) الهمّة: + وهو P

(٦) الهمّة: + وهو P

(٧) مقاومة: مفاد A

(٨) الحلم: + وهو P

(٩) تمنع: يمنع A

(١٠) السكون: + وهو P

(١١) في الخصومات ... النفس: ـ AB

(١٢) والشهامة ... الجميل: ـ AB

(١٣) التحمّل: التجمّل AB

(١٤) B208b

ـ والتواضع[١]: أن لا تجعل لنفسك مرتبةً على ما هو دونك[٢] في الجاه.

ـ والحميّة[٣]: أن يحافظ الإنسان على ما يجب محافظته من غير تهاوُن.

ـ والرقّة[٤]: أن يكون النفس تتأثّر[٥] من ألم[٦] أبناء الجنس من غير اضطراب.

[الأنواع الداخلة تحت العفّة]

وأمّا الأنواع الداخلة تحت العفّة فاثنا عشر:

ـ الحياء: وهو تغيّر يحصل في النفس عند استشعار ارتكاب القبيح، احترازاً عن استحقاق[٧] المذمّة.

ـ والرفق[٨]: انقياد النفس إلى الأُمور الحادثة[٩] على جهة التبرّع[١٠].

ـ وحسن الهُدى[١١]: أن يكون للنفس في تكميل نفسها رغبة صادقة.

ـ والمُسالمة: وهي أن تظهر المُجاملة في النفس عند المنازعة في الآراء بلا اضطراب.

ـ والدَعة: وهي أن تكون النفس ساكنة عند حركة الشهوة، مالكة لزمام نفسها[١٢].

ـ والصبر[١٣]: مقاومة النفس للأُمور المُلذّة القبيحة[١٤] حتّى لا تصدر.

ـ والقناعة[١٥]: رضى النفس بضروريّات البدن.

ـ والوقار[١٦]: كون النفس عند توجّهها إلى المطالب[١٧] خاليةً عن الاضطراب.

---

(١) التواضع: + وهو P
(٢) دونك: وذلك A
(٣) الحميّة: + وهي P
(٤) الرقّة: + وهي P
(٥) تتأثّر: يتأثّر A
(٦) ألم: الألم A
(٧) استحقاق: استخفاف A
(٨) الرفق: + وهو P
(٩) الحادثة: الجاذبة AB
(١٠) التبرّع: الشرع AB
(١١) الهدى: + وهو P
(١٢) والمسالمة ... نفسها: ـ AB
(١٣) الصبر: + وهو P
(١٤) القبيحة: بالقبيحة AB
(١٥) القناعة: + وهي P
(١٦) الوقار: + وهو P
(١٧) المطالب: المطالبة A

ـ والورَع(١): أن يكون النفس ملازمة على الأعمال الجيّدة والأفعال اللائقة.

ـ والانتظام(٢): أن يكون للنفس تقدير وترتيب بحسب الوجوب ورعاية المصالح، ويكون ذلك ملَكة.

ـ والحرّيّة(٣): أن(٤) يتمكّن النفس من اكتساب المال من المكاسب(٥) الجميلة، وتصرّفها في الوجوه المحمودة.

ـ والسخاء: هو إنفاق المال على الوجه الأسهل.

[الأنواع الداخلة تحت السخاء]

وتحت السخاء أنواع ثمانية:

ـ الكرم(٦): أن يسهل على النفس إنفاق الأموال الكثيرة العامّة النفع على ما يقتضيه المصلحة(٧).

ـ والعفو(٨): أن يسهل على النفس ترك المكافأة.

ـ والمروءة(٩): أن يكون للنفس رغبة في التحلّي بزينة(١٠) الإفادة وبذلِ ما لا بدّ منه.

ـ والنُبل(١١): أن يكون النفس(١٢) مبتهجة بملازمة السيرة الحسنة.

ـ والمُواساة(١٣): معاونة الأصحاب والمستحقّين في المعيشة والمال.

ـ [والسماحة: وهي بذل ما لا يجب بذله، من طريق الاختيار.](١٤)

---

(١) الورع: + وهو P

(٢) الانتظام: + وهو P

(٣) الحرّيّة: + وهي P

(٤) أن: + يكون A

(٥) المكاسب: الملكات A

(٦) الكرم: + وهو P

(٧) إنفاق الأموال ... المصلحة: بذل ما يحتاج إليه عند ظهور الاستحقاق AB

(٨) العفو: + وهو P || A288b

(٩) المروءة: + وهي P

(١٠) بزينة: برتبة A

(١١) النبل: النيل AB، + وهو P

(١٢) النفس: ـ AB

(١٣) المواساة: + وهي P

(١٤) والسماحة ... الاختيار: ـ ABP، وما أضفناه من: أخلاق ناصري: ٧٩

ـ والمسامحة[١]: ترك ما لا يجب تركه، من طريق الاختيار.

ـ والإيثار: وهو أن يسهل على النفس بذل ما يحتاج إليه، عند ظهور الاستحقاق[٢].

[الأنواع الداخلة تحت العدالة]

وأمّا الأنواع الداخلة[٣] تحت العدالة فاثنا عشر:

ـ الصداقة: وهي محبّة صادقة تبعث على تهيّؤ أسباب فراغة الصديق.

ـ والأُلفة: وهي معاونة[٤] بعض لبعض في تدبير المعيشة من جهة الاعتقاد في الصحبة.

ـ والوفاء[٥]: التزام طريق المُواساة والمعاونة الغير المتجاوزة.

ـ والشفقة[٦]: أن يكون النفس[٧] عند مشاهدة حالٍ غير ملائمة بأحد تهتمّ[٨] بإزالة ذلك.

ـ وصلة الرحم[٩]: أن يشرك الأقرباء والمتعلّقين في الخيرات الدنيويّة.

ـ والمكافأة[١٠]: أن يقابل الإحسان الذي صُنِع به بمثله أو بأكثر منه.

ـ وحسن الشركة[١١]: أن يكون الأخذ والعطاء في المعاملات على جهة[١٢] الاعتدال الموافق.

ـ وحسن القضاء[١٣]: أن يكون الحقوق المتوجّهة عليه[١٤] يؤدّيها على وجه لا يكون فيها منّة و[١٥] ندامة.

---

(١) المسامحة: + وهي P

(٢) والإيثار ... الاستحقاق: ـ AB

(٣) B209a

(٤) وهي معاونة: ـ AB

(٥) الوفاء: + وهو P

(٦) الشفقة: + وهي P

(٧) النفس: للنفس AB

(٨) بأحد تهتمّ: بأخذهم A؛ تأخذ بهم B

(٩) الرحم: + وهي P

(١٠) المكافأة: + وهي P

(١١) الشركة: + وهو P

(١٢) جهة: وجه P

(١٣) القضاء: + وهو P

(١٤) عليه: عليها A

(١٥) منّة و: منه AB

ـ والتودّد[١]: طلب مودّة الأكفاء وأهل الفضل بحسن النظر والقول.

ـ والتسليم[٢]: أن يكون الفعل المتعلّق بالبارئ لا يعترض عليه.

ـ والتوكّل: و[٣] هو أن يكون[٤] الأفعال المتعلّقة بالقدرة والكفاية البشـريّة، لا يرى أنّه هو المتصرّف فيها[٥] والفاعل، ولا يطلب زيادةً[٦] ولا نقصاناً، ولا تعجيلاً ولا تأخيراً.

ـ والعبادة: أن يكون[٧] البارئ تعالى مُعظَّماً في النفوس، مُمجَّداً في القلوب. وكذا مقرَّبات الحضرة الإلهيّة، كالملائكة، والأنبياء، والأولياء ـعليهم السلامـ وطاعتهم.

فهذه أنواع الفضائل الأربع، ينبغي لطالب الكمال أن يحصّلها بأسرها، ويضمّها إلى الأجناس المذكورة، ولا يتساهل في شيء منها، فيتساهل في منزلته في[٨] المعاد.

[أصناف الرذائل]

ولمّـا ذكرنا أنّ كلّ واحد من الفضـائل الأربعة وسـط بين رذيلتين ـأعني الإفراط والتفريطـ، فكـذلـك[٩] لكـلّ من الفضـائل النوعيّة طرفا[١٠] إفراط وتفريط[١١]، وهما رذيلتان، يجب اجتنابهما[١٢].

[الرذائل للأنواع الداخلة تحت الحكمة]

فالمتعلّق بأنواع الحكمة:

ـ الذَكاء: وهو وسط بين الخُبث[١٣] ـأعني الإفراطـ والبَلادة ـأعني التفريطـ.

---

(١) التودّد: + وهو AB

(٢) التسليم: السليم AB، + وهو P

(٣) و: ـ AB

(٤) يكون: يرى أنّ AB

(٥) فيها: ـ P

(٦) يطلب زيادة: لطلب AB

(٧) أن يكون: وهي كون P

(٨) منزلته في: منزلة AB

(٩) كلّ واحد ... فكذلك: ـ AB

(١٠) طرفا: طرفين AB

(١١) A289a

(١٢) B209b

(١٣) الخبث: الجنب A، الجربزة B

ـ وسـرعة الفهم: وسط بين سرعة التخيّل على سبيل الاختطاف الغير المحكم[١] ـوهو الإفراطـ و[٢] بين الإبطاء في الفهم ـوهو التفريطـ.

ـ وصفاء الذهن: وسط بين الظلمة الحادثة في النفس، وبين تأخير استنباط النتائج.

ـ وسهولة التعلّم: وسط بين مبادرة الذهن إلى استثبات الصور سريعاً، وبين الصعوبة في ذلك[٣].

ـ وحسـن التعقّل: وسط بين زيادة صرف الفكر في إدراك المعقولات[٤] المطلوبة، وبين قصور[٥] الفكر في تعقّل المطلوب.

ـ والحفظ: وسـط بين الأشـياء التي يُصـرَف[٦] العناية إلى حفظها بلا فائدة، وبين الغفلة في استثبات الأُمور المهمّة.

ـ والتذكّر: وسط بين فرض استعراض الأُمور الزائدة المقتضية تضييعَ الوقت وكلالَ الآلة، وبين النسيان للذي[٧] ينبغي حفظُه.

[الرذائل المكتنفة ببعض أنواع الفضائل الباقية]

وأمّا الرذائل المكتنفة ببعض[٨] أنواع الفضائل الباقية، فمثل:

ـ فضيلة الحياء، وطرفاه الرذلان: الوقاحة والخُرق.

ـ وفضيلة السخاء، وطرفاه الرذلان: الإسراف والبخل.

ـ وفضيلة التواضع، وطرفاه الرذلان: التكبّر والتذلّل.

ـ وفضيلة العبادة، وطرفاه الرذلان[٩]: الفسق والتحرّج.

---

(١) المحكم: المحكمة A

(٢) و: ـ A

(٣) في ذلك: ـ AB

(٤) المعقولات: + الظاهرة A

(٥) قصور: تصوّر AB

(٦) يصرف: تتصرّف AB

(٧) للذي: الذي A

(٨) ببعض: لبعض AB

(٩) الوقاحة والخرق ... الرذلان: ـ AB

[صعوبة التمييز بين الفضيلة والرذيلة]

ويجوز أن يكون فضيلةٌ[١] بالنسبة إلى الوسط وجوديّةً[٢]، ولا تكون[٣] وسطاً حقيقيّاً، كالشجاعة والسخاوة[٤]؛ فإنّه قد يلتبس على بعض الناس ـلنقص النظرـ [في][٥] طرف[٦] الإفراط[٧] بين تلك الرذيلة ونفس الفضيلة، ولا يمكنه الفرق. حتّى أنّه كلّما شاهَد الإسراف والتهوّر أكثر، توهَّم أنّ[٨] الفضيلة أكمل. وفي طرف التفريط لا يشتبه كذلك[٩]، مثل الجبن والبخل؛ فإنّهما عدميّان، والتفاوت بين الوجود والعدم ظاهر.

وفي الفضيلة التي بالإضافة تكون[١٠] عدميّة، يكون الحكم بالعكس، مثل التواضع[١١] والحلم. ففي طرف التفريط ملتبس، وفي طرف الإفراط يكون وجوديّاً[١٢] لا يلتبس.

وفي الفضيلة التي لا يترجّح طرف على طرف ـمثل[١٣] العدالةـ، يكون الأمر واضحاً[١٤].

فيجب على العاقل أن يكتسب جميع أجناس الفضائل وأنواعها، ويتجنّب ما يقابل ذلك من الرذائل. >[١٥]

[أصناف السعداء]

[١٦]< ويُعلم من هذا أنّ السعداء[١٧] ثلاثة أصناف:

---

(١) فضيلة: فضله A
(٢) وجوديّة: وجودته A
(٣) تكون: يكون AB
(٤) السخاوة: السخاء P
(٥) في: بين ABP
(٦) طرف: طرفي A
(٧) الإفراط: + و ABP
(٨) أنّ: ـ A
(٩) كذلك: ذلك P
(١٠) تكون: يكون AB
(١١) B210a
(١٢) وجوديّاً: وجود ما AB
(١٣) A289b
(١٤) واضحاً: واضح AB
(١٥) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٧٨/١ ـ ٤٨٨
(١٦) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٧) السعداء: السعادة AB

أ. أن يكون فيه أثر ظاهر من جانب البارئ، كريم الطبع، يحبّ[١] مجالسة[٢] الأخيار ومؤانستهم، ويميل إلى الفضلاء، ويحترز عن ضدّهم.

ب. أن لا يكون في الأوّل كذا، بل حصّله بالسعي وطلب الحقّ والمواظبة على الخير، إلى أن يبلغ[٣] مرتبةَ الحكمة[٤] من صحّة الرأي وصواب العمل، وذلك يحصل بالتفلسُف[٥] وترك المعصية.

ج. أن يكون بالإكراه، بتأدّب الشرع أو بتعلّم[٦] الحكمة.

والسعادة الحقيقيّة تكون للأوّل، وبعده للثاني، ثمّ[٧] الثالث، وما عداهم فشقيٌّ هالك.

[الفرق بين الفضائل وما يُشبهها من الرذائل]

وأمّا الفرق بين الفضائل و[٨] التي هي[٩] شبيهه بها وهي في الحقيقة رذائل، فاعلَم أنّا بيّنّا أنّ تكميل القوى بتحصيل الحكمة والعفّة والشجاعة والعدالة وما تحتها من الأنواع، والذات السعيدة [هي][١٠] الجامعة لهذه[١١] الصفات. فالحكمة تتعلّق[١٢] بالقوّة النظريّة، والثلاثة الباقية[١٣] تتعلّق[١٤] بالعمل. فالمظهر لآثار الحكمة النفسُ الناطقة، ومظهر آثار الأجناس[١٥] الثلاثة[١٦] البدنُ.

---

(١) يحبّ: يجب A
(٢) مجالسة: بحاله Bc
(٣) يبلغ: + إلى P
(٤) الحكمة: الحكماء P
(٥) بالتفلسف: بالتعسّف B
(٦) بتعلّم: بتعليم A
(٧) ثمّ: و P
(٨) و: ـ P
(٩) هي: هو A
(١٠) هي: ـ ABP
(١١) لهذه: بهذه A
(١٢) تتعلّق: يتعلّق A
(١٣) الثلاثة الباقية: ثلاثة AB
(١٤) تتعلّق: يتعلّق A
(١٥) الأجناس: ـ AB
(١٦) الثلاثة: + هو P

والأفعال الصادرة من الناس تُشبه[١] أفعالَ أهل الفضل، فيشكل التمييز[٢] بينهما.

[في الحكمة النظريّة]

أمّا في الحكمة النظريّة، فمثلُ جماعة حفظوا مسائل من العلوم، و[٣] يناظرون فيها؛ ليتعجّب المستمعون من فضيلتهم ووفور فضائلهم. وما أخذوا تلك الحقائق إلّا بالتقليد والتلقُّف[٤]، لا باليقين[٥] الحاصل بالبرهان والعيان، الذي هو ثمرة الحكمة. فثمرة معرفتهم[٦] هو الحيرة والضلالة والشكوك والشُبَه[٧].

[في العفّة]

وكذلك العفّة تصدر ممّن ليس بعفيف[٨]، مثل جماعة يُعرِضون عن الشهوات واللذّات:

ـ لانتظار حصول شيء من ذلك الجنس أكثر مقداراً، إمّا في الدنيا أو في الآخرة[٩].

ـ أو بسبب أنّه لا نصيب[١٠] لهم في ذلك الجنس، أو أنّه ما ذاقه[١١]، كسُكّان الصحاري والجبال والضياع[١٢].

ـ أو[١٣] بسبب امتلاء العروق والأوعية[١٤] وكلالة الآلة وملالة الحاسّة.

ـ أو بسبب خمود[١٥] الشهوة ونقصان الخلقة.

---

(١) تشبه: تشبّهه A

(٢) التمييز: التميّز A

(٣) و: ـ AB

(٤) تلقّفه: تناوله بسرعة. (لسان العرب)

(٥) B210b

(٦) معرفتهم: معارفهم P

(٧) الشبه: الشبهة A

(٨) بعفيف: + النفس P

(٩) الآخرة: الأُخرى AB

(١٠) نصيب: يصيب A

(١١) A290a

(١٢) الضياع: الضباع A

(١٣) أو: و A

(١٤) الأوعية: الأدعية B

(١٥) خمود: جمود AB

ـ أو بسبب استشعار الخوف من تناوله، كالأمراض والآلام.

فهؤلاء قد صدرت عنهم أعمال الأعِفّاء.

وبـالحقيقة العفّة [تكون][(١)] لمن عرف حدّها وحقيقتها، وعمل بذلك. والباعث له على الأعمال إيثارُ الفضيلة والتحلّي[(٢)] بها من غير شائبةِ غرضٍ آخر.

[في السخاوة]

وكذلك عمل الأسخياء الصادر من المُرائين[(٣)] والمُطمعين وطالبي الجاه:

ـ أو لأجل دفع الضرر عن النفس والعِرض والمال.

ـ أو الحزن.

ـ أو الخوف من الشرّ.

ـ أو[(٤)] السخريّة[(٥)] و[(٦)] الضحك واللهو.

ـ أو التوقّع للزيادة[(٧)] كأفعال التجّار.

وصــدور أفعال[(٨)] الأســخياء عنهم لأنّ بعضــهم بأصــل الطبيعة شــرهٌ و[(٩)] حريص، وبعضهم للرئاء، وبعضهم[(١٠)] للربح، وبعضهم[(١١)] بسبب قلّة المعرفة بقدر المال، كالوارث ومن اجتمع عنده بلا تعب؛ لأنّ المال مَدخله صعب، ومَخرجه سهل. ومثَّلت الحكماءُ[(١٢)] ذلك أعني الدخلَ بالصاعد بالحجر إلى فوق، والخرجَ[(١٣)] بالمُدَحرِج له إلى أسفل.

---

(١) تكون: يكون ABP

(٢) التحلّي: التجلّي A

(٣) المُرائي: من يُري الناس أنّه يفعل ولا يفعل بالنيّة. (لسان العرب)

(٤) أو: و A

(٥) السخريّة: للسخريّة BP

(٦) و: + أنواع P

(٧) أو التوقّع للزيادة: وتوقّع الزيادة P

(٨) أفعال: الفعل A

(٩) و: ـ B

(١٠) بعضهم: + وبعض B

(١١) بعضهم: بعض AB

(١٢) B211a

(١٣) الخرج: بالخرج AB

والاحتياجُ إلى المال ضــروريٌّ في تدبير العيش، ونافعٌ في إظهار فضــيلة الحكمة. واكتسابه من المكاسب الجميلة مُشقّ[١] متعذّر على الأحرار. وأمّا غير الأحرار فلا يُبالون بالمكاسب الرذيلة.

وفي الأغلب الأحرارُ يكونون ناقصــي المال، يشكون الزمان[٢]. والأضدادُ كثيري[٣] المال من وجوه الخيانات والطرق الرديئة، طيّبي[٤] العيش، يغبطهم الناس ويحسدونهم[٥]. والعـاقـل منزّه عن[٦] المـذمّـة والخيـانة وتدنُّس العِرض والظلم اللازم لجمع[٧] المال من[٨] غير الوجه.

[في الشجاعة]

وكذلك الشجاعة تصدر[٩] عمّن ليس بشجاع، مثل ركوب الأهوال والأخطار لِطلب مُلكٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو شـرهٍ. فالثبات[١٠] على هذه الأشـياء[١١] ليس لفرط[١٢] الشجاعة، بل لغاية الحرص والشَـرَه. وكثير من العيّارين والأراذل يتشـبّهون بالأعِفّاء والشَـجعان، وهم أخسّ[١٣] الخلق؛ لأنّهم يُعرِضــون عن الشــهوات، ويصــبرون[١٤] على العقوبات العظيمة، من الضــرر وقطع الأعضاء وأنواع العذاب؛ ليحصّلون الاسم والذِكر بين أبناء الجنس، الذين يماثلونهم[١٥] في سوء الاختيار[١٦] ونقصان الفضيلة.

---

(١) مشقّ: شاقّ AP
(٢) الزمان: للزمان A
(٣) كثيري: كثير P
(٤) طيّبي: طيّب P
(٥) يحسدونهم: حسدوهم P
(٦) عن: من P
(٧) لجمع: بجمع AP
(٨) من: + وجه A
(٩) تصدر: يصدر P
(١٠) فالثبات: والثبات AB
(١١) A290b
(١٢) لفرط: بفرط A
(١٣) أخسّ: أنحس B، أبخس P
(١٤) يصبرون: يصيرون A
(١٥) يماثلونهم: يلونهم AB
(١٦) الاختيار: الاختبار B

وكذلك[١] يكون الشجاعة من ملامة[٢] القوم والعشيرة[٣]، أو من خوف السلطان، أو سقوط الجاه، أو يظفر بالأقران على سبيل الاتّفاق.

وكذلك إقدام العشّاق على الأُمور الهائلة واختيار الموت على الحياة.

وأمّا شجاعة الأسد والنمر والذئب والحيوانات فهي شبيهة بالشجاعة، وليست بشجاعة؛ لأنّ إقدامه[٤] بقوّة وثوقه[٥] على الظفر، فإقدامه بطبيعة الغلبة والقدرة، لا بطبيعة الشجاعة. فهو بمثل[٦] تامّ السلاح والقوّة في قصده ضعيفَ القوّة بلا سلاح.

لكن الشجاع بالحقيقة [هو][٧] الذي يحذر من ارتكاب أمر قبيح[٨] شنيع أكثر من حذره من[٩] انصرام الحياة، وبهذا السبب يختار الموتَ الجميل على الحياة المذمومة؛ لأنّ مبادئ الشجاعة وإن كانت مؤذية[١٠]، لكن عواقبها مُلذّة في دار الدنيا، وبعد مفارقة البدن، خاصّة مثل المجاهدين والغُزاة والذابّين عن الحوزة، ويعلم أنّ الفرار[١١] قبيح، ولا يمكن بقاؤه في هذه الدنيا الفانية[١٢]، وإن يبقى[١٣] أيّاماً يكون منغَّص العيش[١٤]، مكدَّر الحياة، فيتعجّل الموت مع فضيلة الشجاعة والذكر الباقي.

وقد قال أمير المؤمنين عليّ ـعليه السلامـ: «أيّها الناس! إنّكم إن لم تُقتَلوا تموتوا. والذي نفسُ ابن أبي طالب بيده، لَألف ضربة بالسيف على الرأس لَأهوَن مِن ميتة على الفراش»[١٥].

---

(١) كذلك: كذا P

(٢) ملامة: مسالمة AB

(٣) العشيرة: الغيرة AB

(٤) إقدامه: إقدام A

(٥) وثوقه: ـ B || B211b

(٦) بمثل: مثل P

(٧) هو: ـ ABP

(٨) أمر قبيح: ـ P

(٩) من: على P

(١٠) مؤذية: مروية A

(١١) الفرار: القرار A

(١٢) الفانية: الغائية A

(١٣) يبقى: بقي AB

(١٤) نغّص عليه عيشه: أي كدّره. (لسان العرب)

(١٥) الأماليّ للطوسيّ: ٢١٦

ويجب على الملوك والعقلاء تعظيمُ الشجاع وتبجيله وتفضيله على أبناء جنسه؛ فإنّ المُتهاون(١) بالموت والصابر(٢) على الشدائد والمَكاره قليل الوجود.

وينبغي أن يكون انتقامُ(٣) الشجاع في المواضع اللائقة(٤)، وبقدر ما يقتضيه الشجاعة محمودة(٥) وبخلافها مذمومة.

[جودة هذه الفضائل عند صدورها من الحكماء]

فيُعلم(٦) من هذا أنّ العفّة والسخاوة والشجاعة لا تكون(٧) جيّدة إلّا من الحكماء، ولا يتمّ شرطها(٨) إلّا بالحكمة، مع كلّ نوع في مقامه الذي يليق به، وفي وقته، وبمقدار الحاجة، على ما يقتضيه المصلحة. فيلزم أن يكون كلّ عفيف وشجاع حكيماً(٩)، وبالعكس.

[في العدالة]

وكذا العملُ الشبيه بالعدالة، الصادرُ(١٠) عمّن ليس بموجود(١١) فيه العدالة، ويُظهِر(١٢) أعمالَ العدالة للرئاء والسُمعة؛ ليحصّل مالاً أو جاهاً أو غيرهما(١٣).

ولا يجوز أن يسمّى أمثال هؤلاء عدولاً؛ لأنّ العدالة الحقيقيّة هي(١٤) التي تُعدِّل(١٥) القوى النفسانيّة، وتُقوِّم(١٦) الأفعال والأحوال الصادرة عن(١٧) تلك القوى، حتّى لا يغلب

---

(١) المتهاون: التهاون P
(٢) A291a
(٣) يكون انتقام: يقام AB
(٤) المواضع اللائقة: الموضع اللائق P
(٥) محمودة: المحمودة AB
(٦) فيعلم: ويعلم B
(٧) تكون: يكون AP
(٨) شرطها: شروطها P
(٩) حكيماً: حكيم AB
(١٠) الصادر: الصادرة P
(١١) B212a
(١٢) يظهر: تظهر A
(١٣) غيرهما: غيرها A
(١٤) هي: ـ P
(١٥) تعدّل: يعتدل AB
(١٦) تقوّم: يقوّم P
(١٧) عن: من P

البعض، ويكون نظره في[١] اقتناء فضيلة العدالة في عموم الأوقات لا يكون له غرض غيره، وفي الفضائل الأُخرى يعتبر المحافظة ويميّزه[٢] عن الشبيه.

[شرف العدالة على الفضائل الأُخرى]

وأمّا شرف العدالة على الفضائل الأُخرى، فلفظ العدالة يُفهَم منه المساواة، والمساواة لا يُعقَل بدون اعتبار الوحدة. وكما أنّ الوحدة في أقصى مراتب الكمال، وسريان الآثار من المبدأ الأوّل ـ الذي هو الواحد الحقيقيّ ـ على جملة الموجودات[٣] مثلُ فيضان أنوار وجوده من العلّة الأُولى ـ الذي هو الموجود المطلق ـ على جملة الموجودات، فكلّ ما قرب من الوحدة كان أشرف من غيره. فلهذا السبب ليس شيء من النسب أشرف من نسبة المساواة. وليس شيء من الفضائل أفضل وأكمل من العدالة؛ لأنّ العدالة وسط حقيقيّ، وما عداها فهي طرف بالنسبة إليها[٤]، ومرجع[٥] الكلّ إليها، كما أنّ مرجع كلّ[٦] الكثرة إلى الوحدة، والعدالة ظلّ الوحدة[٧]. ولو لم يكن الاعتدال لَما تمّت دائرةُ الوجود؛ لأنّ تولّد المواليد الثلاثة من[٨] العناصر مشروط بالامتزاجات المعتدلة.

والمساواة تقتضي[٩] نظام المختلفات[١٠]. وفي جميع الأُمور كلّ شيء له نظام وترتيب، ففيه شيء من العدالة، وإلّا[١١] يرجع إلى الفساد. فنسبة المساواة بعينها توجَد في:

---

(١) في: من AB
(٢) يميّزه: تشبيهه AB
(٣) الموجودات: المعدودات A
(٤) إليها: ـ AB
(٥) A291b
(٦) إليها ... الكلّ: ـ A
(٧) والعدالة ظلّ الوحدة: ـ AB
(٨) B212b
(٩) تقتضي: يقتضي AB
(١٠) المختلفات: المتخلّفات P
(١١) إلّا: لا A

ـ الموضـــعِ الموجود فيه المماثلة، التي هي عبارة عن الوحدة في الجوهر، وهي[(١)] الحاصلة بالكمّ[(٢)].

ـ والموضعِ الذي يكون المماثلة فيه[(٣)] مفقودة[(٤)].

[أقسام العدالة]

فإذا اعتبرنا العدالة في الأُمور المقتضـية لنظام المعيشة، ويكون للإرادة فيه مدخل، تنقسم[(٥)] إلى ثلاثة أنواع:

الأوّل: ما يتعلّق بقسمة الأموال والكرامات.

والثاني: ما يتعلّق بقسمة المعاملات والمعاوضات[(٦)].

والثالث: ما يتعلّق بقسمة الأُمور التي للتعدّي فيها مدخل، كأنواع السياسات والتأديبات.

أمّا[(٧)] القســم الأوّل، فكما إذا قلنا: نسـبة هذا الشـخص إلى هذه الكرامة أو المال، مثل نســبة[(٨)] شــخص في مثل مرتبته إلى كرامة ومال مثل قســطه. فهذه الكرامة وهذا المال حقّ له من غير زيادة ولا نقصان، وهذه النسبة شبيهة بالنسبة المنفصلة.

وأمّا[(٩)] القسم الثاني، فتارةً تقع[(١٠)] شبيهة بالمنفصلة، وتارةً بالمتّصلة[(١١)].

أمّا المنفصلة، فكما تقول: نسبة هذا الحائك إلى هذا الثوب، كنسبة النجّار إلى هذا الكرسيّ، فلا يكون حيف في المعاوضة.

---

(١) وهي: ـ P

(٢) بالكمّ: في الكمّ AB

(٣) فيه: ـ P

(٤) مفقودة: مقصودة AB، + يكون المساواة ABP

(٥) تنقسم: منقسم AB

(٦) المعاوضات: المعارضات A

(٧) أمّا: + في P

(٨) نسبة: تسمية P

(٩) أمّا: + في P

(١٠) تقع: يقع AB

(١١) وتارة بالمتّصلة: ـ AB

وأمّا المتّصلة، فكما تقول: نسبة هذا الثوب إلى هذه الدنانير، كنسبة هذه الدنانير إلى هذا الكرسيّ، فلا يكون حيف في المعاوضة بين الثوب والكرسيّ[١].

وأمّا في القسم[٢] الثالث، فالنسبة شبيهة بالهندسة[٣]، كما تقول: نسبة هذا الشخص إلى رتبة نفسه، كنسبة شخص آخر إلى رتبة نفسه. فإن أبطل هذا[٤] التساوي بحيف أو ضرر أوصله إلى الشخص[٥] الآخر، فينبغي أن يوصل إليه حيف أو ضرر يقابل[٦] ذلك؛ ليحصل التعادل والتكافؤ[٧].

[واضع العدالة هو الناموس الإلهيّ]

والعادل[٨] هو الذي يعطي المساواة والتناسب. ويتيسَّر لمن [يقف][٩] على طبيعة الوسط؛ ليردّ[١٠] الأطراف إليه في جميع الأشياء، ويراعي الزيادةَ والنقصان اللازمَين للربح والخسران، ويعيّن[١١] الوسطَ من[١٢] كلّ شيء؛ ليردّ الأطراف إلى العدالة، وينعقد صورها[١٣]، ويكون ناموساً إلهيّاً. فبالحقيقة[١٤] واضعُ التساوي والعدالة الناموسُ الإلهيّ، الذي هو منبع الوحدة.

[توقّف العدالة على النواميس الثلاثة]

ولمّا كان الإنسان مدنيّاً بالطبع، ولا يمكن أن يكون معيشته إلّا بالتعاون الموقوف

---

(١) B213a

(٢) القسم: _ AB

(٣) بالهندسة: بالهندسيّة P

(٤) هذا: هو P

(٥) الشخص: شخص A

(٦) يقابل: مقابل AB

(٧) التكافؤ: التكافي P

(٨) العادل: التعادل AB || A292a

(٩) يقف: وقف ABP

(١٠) ليردّ: أن يردّ AB

(١١) يعيّن: تعين A

(١٢) من: في P

(١٣) صورها: صورتها P

(١٤) فبالحقيقة: فبالحقيقيّ A

على أن يخدم البعضُ البعضَ، فيأخذ ويعطي ليحصل المكافأة والمساواة والمناسبة. فيعطي النجّارُ عملَه للحائك، ويأخذ منه، فيتكافئا[١]. ويجوز أن يكون عملُ النجّار أكثرَ من عمل الحائك وأجوَد، وبالعكس. فبالضرورة يحتاج إلى متوسّط ومقوّم، وهو الدينار والدرهم. فهما العادلان المتوسّطان بين الخلق، وهو العادل الصامت، ويحتاج إلى عادل ناطق ثانٍ؛ ليحصل التعادل به عند الاستعانة إذا تعذّرت استقامة[٢] المتعاوضات بالدينار الصامت، والناطق هو الإنسان، فمن هذه الجهة احتاج[٣] إلى حاكم.

فعُلم[٤] من هذا أنّ العدالة بين الخلق لا تحصل بدون هذه الثلاثة: الناموس الإلهيّ، والحاكم[٥] الإنسانيّ، والدينار.

وقد قال أرسطاطاليس: «إنّ الدينار ناموس عادل». ومعنى الناموس في لغته[٦] التدبيرُ والسياسة. ومن هذه الجهة يسمّى الشريعةُ الناموسَ الإلهيّ.

وذكر في كتاب نيقوماخيا[٧]: «الناموس الأكبر يكون من عند اللّه، والناموس الثاني من قبَل الناموس الأكبر، والثالث الدينار».

فالناموس الإلهيّ مقتدى النواميس، والناموس الثاني يكون حاكماً ويقتدي بالناموس الإلهيّ[٨]، والناموس الثالث يقتدي[٩] بالناموس الثاني. ولأجل ذلك قال اللّه تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْميزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَديدَ﴾[١٠] (الآية).

---

(١) فيتكافئا: فيتكافؤها A
(٢) استقامة: الاستقامة A؛ استقامت B
(٣) B213b
(٤) فعلم: وعلم P
(٥) الحاكم: الحكم A
(٦) لغته: لغة A
(٧) نيقوماخيا: بنوماحيا AB
(٨) مقتدى النواميس ... الإلهيّ: ـ A
(٩) يقتدي: يعتدي A
(١٠) القرآن الكريم: ٢٥/٥٧

والـدينـار[١] ـالـذي يعطي المســاواة في المختلفـات ـ احتيج[٢] إليه من جهة أنّ تقويم[٣] المختلفات بأثمان مختلفة، لو لم يكن ما انتظمت[٤] المعاملات والمشاركات والأخذ والعطاء[٥].

أمّا إذا كان الدينار ينقص من هذا ويزيد في هذا، يحصل الاعتدال والمساواة. وهذا هو العـدل المـدنيّ، الـذي قيـل: «عمـارة[٦] الـدنيـا بالعدل المدنيّ، وخرابها بالجور المدنيّ»[٧]. وكثيراً ما يكون العملُ القليل يساوي العملَ الكثير، كنظر المهندس الذي في مقابله[٨] العملُ الكثير والمشـقّة العظيمة، وكذا تدبير صـاحب العسـكر الذي في مقابله[٩] محاربة جميع الجيش والمبارزين[١٠].

[الجائر وأقسامه]

وبإزاء العادل الجائرُ، والجائر[١١] هو الذي يُبطِل التساوي.

و[١٢] على منوال القواعد السالفة[١٣] الجائرُ ثلاثة أنواع:

أ. الأعظم، الذي لا ينقاد إلى الناموس الإلهيّ.

ب. الأوسط، وهو الذي لا يطيع الحاكم.

ج. الأصغر، وهو الذي لا يمضي على حكم الدينار.

---

(١) الدينار: + هو AB
(٢) احتيج: احتاج P
(٣) A292b
(٤) ما انتظمت: منتظمة A، منتظمه B
(٥) العطاء: الإعطاء P
(٦) عمارة: عمارات AB
(٧) تهذيب الأخلاق: ٢٠٣
(٨) مقابله: مقابلة AP
(٩) مقابله: مقابلة AP
(١٠) B214a
(١١) الجائر: ـ P
(١٢) و: الذي AB
(١٣) السالفة: + و AB

ويحصـل منه الجور والفسـاد في هذه المرتبة، كالغصب[١]، ونهب الأموال، وأنواع السرقة والخيانة. والفساد الحاصل من جور المرتبة[٢] الثانية أعظم المفاسد.

[كلام أرسطو في العدالة والجور]

وقال أرسـطو: «مَن تمسّـك بالناموس، عمِل بطبيعة المسـاواة، واكتسـب الخير والسعادة من وجوه العدالة».

والناموس الإلهيّ لا يأمر إلّا بالخير من قبل البارئ، وبالأشـياء المؤدّية إليه، وينهى عن الفسـاد المدنيّ[٣]. فيأمر بالشجاعة وحفظِ الترتيب في المصاف[٤] والجهاد. فيأمر بالعفّة، وحفظ الفروج، والتحفّظ[٥] من[٦] الفسـق والافتراء والشـتم. وبالجملة يحثّ على الفضيلة، ويمنع عن الرذيلة.

والعادل يستعمل العدالة في نفسه وشركائه من أهل المدينة.

قال: فالعدالة جزء من الفضـيلة[٧]، بل كلّ الفضـيلة. والجور جزء من الرذيلة، بل كلّها. ولكن[٨] بعض أنواع الجور أظهر من البعض، مثلاً الجور الواقع في البيع والشرى والعـاريـة والكفـالـة أظهر عنـد أهـل المدينة من السـرقة والفجور والقيادة ومخادعة المماليك وشهادة الزور.

والإمـام العادل يحكم بالسـويّة[٩]، ويرفع هذه المفاسـد، ويكون خليفة الناموس الإلهيّ في حفظ[١٠] المسـاواة. وأهل الحكمة والعقل والتمييز[١١] والفضـيلة يستعدّون

---

(١) كالغصب: كالغضب AB

(٢) المرتبة: ـ AB

(٣) المدنيّ: البدنيّ P

(٤) المصاف: المضاف A

(٥) التحفّظ: يمنع P

(٦) من: في AB

(٧) الفضيلة: + بل الفضيلة AB

(٨) لكن: ليكن A

(٩) A293a

(١٠) B214b

(١١) التمييز: التميّز A

لهذه المرتبة[١]. فهاتان المرتبتان سبب الرئاسات[٢] والسيادات الحقيقيّة.

[أسباب المضرّات]

وأسباب المضرّات محصورة في أربعة أنواع:

أ. الشهوة، ويتبعها الرداءة.

ب. الشرارة، ويتبعها[٣] الجور.

ج. الخطأ، ويتبعها الندم.

د. الشقاء، ويتبعها الحيرة والحزن والمذلّة.

فهذا هو شرح العدالة وأسبابها.

[أقسام العدالة في الأفعال]

وأمّا أقسامها في الأفعال، فقد قسّمها[٤] الحكيمُ الأوّل إلى ثلاثة أقسام:

أ. ما يجب على الخَلق من القيام بحقّ البارئ تعالى، واهب الحياة ومُفيض الخيرات والكرامات، الذي كلّ وجود تابع لوجوده. والعدالة تقتضي[٥] في الأُمور التي بين الخَلق[٦] والخالق سلوكَ الطريق الأفضل بقدر الطاقة، وأن يراعي[٧] شرائط وجوب بذل المجهود.

ب. ما يختصّ القيام بحقوق أبناء الجنس، وتعظيم الرؤساء، وأداء الأمانات، والإنصاف في المعاملات.

---

(١) يستعدّون لهذه المرتبة: يسعدون بهذه المنزلة AB

(٢) سبب الرئاسات: بسبب الرياضات A، بسبب للرئاسات P

(٣) يتبعها: تتبعها P

(٤) قسّمها: قسّم العدالة P

(٥) تقتضي: يقتضي AB

(٦) الخلق: المخلوق P

(٧) أن يراعي: إن راعى AB

ج. أداء حقوق الأسلاف، كقضاء الديون، وإنفاذ الوصايا.

[وجوب أداء حقّ الواجب تعالى]

ولمّا كان حقُّ البارئ تعالى يجب على شريطة العدالة في الأخذ والعطاء والكرامات، فإنّ ما يصل إلينا من كرامات الخالق ونعَمه(١) الغير المتناهية يجب الشكر عليها والقيام بحقّها. بل العدالة تقتضي(٢) الاجتهادَ في المكافأة والمجازاة في(٣) كلّ لحظة من غير تقاعد ولا إهمال. وإن شئتَ تصوّر(٤) النعم التي لا تُحصى في(٥) الأجرام الفلكيّة وأحوالِ الأشعّة الكوكبيّة والتركيبِ الإنسانيّ(٦) وما فيه من العجائب، فلاحِظ(٧) أفعاله، تدرك عجائبه. وتشريح بدن الإنسان يؤمي إلى شمّة منه.

وأمّا ما(٨) في(٩) المجرّدات من الحكمة والنعمة، فهو بحر لا يُدرَك ساحله. فيجب أداء حقّ الواجب(١٠) من الثناء والذكر(١١) والمدح والشكر.

وأمّا في حقّ نوعه فبالمُواساة(١٢) بالحكمة والموعظة. ويتفكّر(١٣) في الإلهيّات، ويتصرّف في المجادلات؛ ليتدرّب بمزيد(١٤) المعرفة في البارئ(١٥)، ليتكمّل معرفته ويتمّ توحيده.

وقال قوم: الواجب الذي للّه(١٦) على الخلق(١٧) شيء واحد غير(١٨) معيّن يلتزمونه،

---

(١) نعمه: نعمة A
(٢) تقتضي: يقتضي AB
(٣) في: ـ P
(٤) تصوّر: يتصوّر A، تتصوّر B
(٥) في: + تركيب P
(٦) B215a
(٧) فلاحظ: تلحظ P
(٨) ما: ـ P
(٩) ما في: باقي A
(١٠) الواجب: + الوجود P
(١١) والذكر: ـ P
(١٢) A293b
(١٣) يتفكّر: يتذكّر B
(١٤) بمزيد: لمزيد AB
(١٥) البارئ: + تعالى P
(١٦) للّه: + تعالى P
(١٧) الخلق: + ليس AB
(١٨) غير: ـ AB

ولا هو نوع واحد، بل يختلف بحسب طبقات الناس ومراتبهم في العلوم والطبائع.

[مذهب بعض الحكماء في أنواع العبادة]

وقال بعض الحكماء المتأخّرين[١]: عبادة اللّه تعالى تنحصر في ثلاثة أنواع:

أ. ما يتعلّق بالأبدان، كالصلاة، والصيام[٢]، والوقوف في المواقف الشريفة للدعاء والمناجات.

ب. ما يتعلّق بالنفوس، كالاعتقادات الصحيحة، من التوحيد، والتمجيد للبارئ تعالى[٣]، والتفكّر في كيفيّة إفاضة الجود، والحكمة، وما يتعلّق بذلك.

ج. ما يتعلّق بالمشاركات بين الخلق، كالإنصاف في المعاملات والمزارعات والمناكحات، وأداء الأمانات[٤]، والنصيحة، وجهاد الأعداء، وحماية الحريم.

[مذهب بعض آخر في أنواع العبادة]

وقومٌ آخرون قالوا: عبادة اللّه[٥] ثلاثة أشياء: اعتقاد الحقّ، وقول الصواب، والعمل الصالح. وتفصيله يختلف باختلاف الأوقات والأزمنة والإضافة والاعتبار. والأنبياء والعلماء يبيّنون[٦] ذلك ويفصّلونه، ويجب على عموم الخلق[٧] متابعتهم؛ ليتحفّظ أمر الحقّ.

[مقامات النوع الإنسانيّ بالنسبة إلى القرب من الحضرة الربوبيّة]

وينبغي أن يُعلم[٨] أنّ للنوع الإنسانيّ بالنسبة إلى القرب من الحضرة الربوبيّة منازل ومقامات:

---

(١) لم أعثر على قائله، ونسبه أبو عليّ مسكويه إلى الحدث من الفلاسفة، كما في: تهذيب الأخلاق: ٢٠٩

(٢) الصيام: الصائم B

(٣) للبارئ تعالى: ـ AB

(٤) الأمانات: الأمارات A

(٥) اللّه: + تعالى P

(٦) يبيّنون: ينيبون A

(٧) B215b

(٨) يعلم: تعلم P

أ. مقام أهل اليقين، ويسمّون بالموقنين[١]، وهي مرتبة الحكماء والعلماء المجتهدين.

ب. مقام أهل الإحسان، ويسمّون بالمحسنين، وهي مرتبة مَن وصل[٢] إلى كمال العلم مع التحلّي[٣] بالعمل والفضائل التي مرّ ذكرها[٤].

ج. مقام الأبرار، وهم المشتغلون[٥] بإصلاح العباد والبلاد، [و][٦] يسعون في تكميل الخَلق.

د. مقام أهل الفوز، ويسمّون به وبالمخلَصين. ونهاية هذه المرتبة هي منزل الاتّحاد، وليس وراءه مقام.

[أسباب الاتّصال بحضرة العزّة]

والمعدّات لتحصيل هذه المنازل أربع خصال:

أ. الحرص والنشاط في الطلب.

ب. اقتناء العلوم الحقيقيّة والمعارف اليقينيّة.

ج. الحياء من الجهل ونقصان القريحة التي هي نتيجة الإهمال[٧].

د. ملازمة سلوك طريق الفضائل بحسب الطاقة.

وتسمّى[٨] أسباب الاتّصال بحضرة العزّة.

[أسباب الانقطاع عن حضرة العزّة]

وأمّا أسباب الانقطاع عن تلك الحضرة فأربعة أنواع[٩]:

---

(١) بالموقنين: المؤمنين AB

(٢) من وصل: ـ AB

(٣) التحلّي: التجلّي A

(٤) مرّ ذكرها: وصفناها وعدّدناها P

(٥) المشتغلون: المشغولون P

(٦) و: ـ ABP

(٧) مقام أهل الفوز ... الإهمال: ـ AB

(٨) تسمّى: يسمّى AB

(٩) أنواع: ـ P

أ. السقوط الموجب للإعراض، والاستهانة لازمة[١] بالتبعيّة.

ب. السقوط المقتضي للحجاب، والاستخفاف[٢] لازم بالتبعيّة.

ج. السقوط الموجب للطرد[٣]، والمَقت[٤] لازم بالتبعيّة.

د. السقوط الموجب للبُعد عن الحضرة، والبغض لازم بالتبعيّة.

[أسباب الشقاوة الأبديّة المؤدّية إلى هذه الانقطاعات أربعة]

وأسباب الشقاوة الأبديّة المؤدّية إلى هذه الانقطاعات أربعة:

أ. الكسل والبطالة، وتضيع العمر يتبع ذلك.

ب. الجهل والغباوة الحاصلة من ترك النظر ورياضة النفس وتعلُّم[٥] الخير.

ج. الوقاحة اللازمة[٦] من إهمال النفس وخَلاعة العِذار[٧] بتبع[٨] الشهوات.

د. رضى النفس بالرذائل باستمرارها على القبائح، وترك الإنابة[٩] يلزمه.

وقد جاء في التنزيل بإزاء الأربعة أربعةُ ألفاظ: زيغ[١٠]، ورين[١١]، وغشاوة[١٢]، وختم[١٣].

فهذه كلمات[١٤] الحكماء في العبادة للّه.

[كلام أفلاطون في العدالة]

وقال أفلاطون الإلهيّ: «إذا حصلت العدالة فاض النور الشديد، ولمع على النفس؛

---

(١) لازمة: لازم B

(٢) الاستخفاف: الاستحقاق A || A294a

(٣) للطرد: الطرد B

(٤) المقت: البغض. (مجمع البحرين)

(٥) وتعلّم: بتعلّم P

(٦) اللازمة: الحاصلة P

(٧) خلَع عِذاره: أي خرج عن الطاعة وانهمك في الغيّ. (لسان العرب)

(٨) بتبع: يتّبع A

(٩) الإنابة: الأمانة AB

(١٠) القرآن الكريم: ٧/٣

(١١) القرآن الكريم: ١٤/٨٣

(١٢) غشاوة: غباوة A؛ القرآن الكريم: ٧/٢، ٢٣/٤٥

(١٣) القرآن الكريم: ٧/٢، ٤٦/٦، ٢٣/٤٥

(١٤) B216a

لأنّ العدالة أصــل جميع الفضــائل». فالنفس على أداء الفعل الخاصّ بها[١] أقدر على أفضل الوجوه. وهذه الحال[٢] غاية القوّة البشريّة.

[تعريف العدالة]

وصــاحب العدالة لا يخالف صاحبَ الناموس الإلهيّ، ولا يضادّه، بل يوافقه ويعاونه ويتابعه؛ لأنّ المساواة منه توجد، وطبعه يطلب[٣] المساواة.

والعدالة هيئة نفسانيّة صادرة منه. وتلك الهيئة غير الفعل، وغير المعرفة؛ لأنّ الفعل يصــدر عن[٤] غيره هذه الهيئة، كما ذكِر أنّ أفعال[٥] العدول تصــدر[٦] عن غير العادل. والمعرفة والقوّة[٧] تتعلّق[٨] بالضــدّين تعلّقاً واحداً؛ لأنّ العلم بالضــدّين والقدرة عليه واحدة. وكلّ هيئة تقبل[٩] أحد الضــدّين غير الهيئة التي تقبل[١٠] الضدّ الآخر. ويُتصوّر هذا في جميع[١١] الفضائل؛ إذ هو من أسرار هذا العلم.

[النسبة بين التفضّل والعدالة]

والتفضّــــل[١٢] من العـدالة، وليس خارجاً[١٣] عنها، بل هو[١٤] أشــرف من العدالة؛ لأنّه[١٥] مبالغة في العدالة.

---

(١) بها: الذي لها يكون P
(٢) الحال: الحالة P
(٣) يطلب: بطلب A
(٤) عن: من P
(٥) أفعال: الأفعال A
(٦) تصدر: يصدر A
(٧) القوّة: + يصدر A
(٨) تتعلّق: يتعلّق AB
(٩) تقبل: يقبل A
(١٠) تقبل: يقبل A
(١١) جميع: + الملكات و P
(١٢) التفضّل: التفضيل AB
(١٣) ليس خارجاً: ليست خارجة P
(١٤) هو: هي P
(١٥) لأنّه: لأنّها P

[وقوع العدالة في جميع المقولات]

وإشـارات أصـحاب النواميس إشـارات كلّيّة[١]، لا جزئيّة؛ لأنّ العدالة مساواة، تارةً تقع[٢] في الجواهر، وتارةً في الكمّ، وتارةً في الكيف، وقد[٣] تقع[٤] في بقيّة المقولات.

والعناصر[٥] الأربعة متكافئة في الكيفيّة والقوّة، و[٦] متساوية، حتّى لا يُفني البعضُ البعضَ، لكن الجزء الذي في الطرف يُفني الجزءَ الذي يحيط به؛ ليظهر بذلك[٧] أنواع الحكمـة. ولأجلـه قال ـصـلّى اللّه عليه وآله وسـلّمـ: «بالعدل قامت السـماوات والأرض»[٨]، وفي حديث: «بالعدول قامت السماوات والأرض»[٩].

[الاعتبارات الثلاثة للهيئات النفسانيّة]

ولمّا كانت العدالة هيئة نفسانيّة، فللهيئات اعتبارات ثلاثة:

أ. بالنسبة إلى ذات تلك الهيئة.

ب. بالنسبة إلى صاحب[١٠] تلك الهيئة.

ج. بالنسبة إلى المعامل بتلك[١١] الهيئة.

فبالاعتبار الأوّل يسـمّى ملَكة نفسـانيّة، وبالاعتبار الثاني فضيلة نفسانيّة، وبالاعتبار الثـالـث يسـمّى العـدالـة. وهـذا أصـل يمكنك أن تعقله[١٢] في جميع الأخلاق[١٣] والملَكات.

---

(١) كلّيّة: + كلّيّة B

(٢) تقع: يقع A

(٣) قد: كذا P

(٤) في الجواهر ... تقع: ـ A

(٥) A294b

(٦) و: ـ A

(٧) B216b

(٨) عوالي اللئالي: ١٠٣/٤

(٩) نفس المصدر.

(١٠) صاحب: صفات AB

(١١) المعامل بتلك: لوازم تلك AB

(١٢) تعقله: يعقله A

(١٣) الأخلاق: الحالات AB

[وجوب استعمال العدالة الكلّيّة]

والواجب على العاقل أن يستعمل العدالة الكلّيّة في نفسه بتعديل قواه وتكميل الملَكات؛ لأنّه إن لم يعدّل القوى، فالشهوة تبعثه على أمر يلائم[1] طبيعة الشهوة، والغضبُ على أمر يخالف ذلك، حتّى يكون الدواعي[2] المختلفة تطلب أصناف الشهوات وأنواع الكرامات. ويلزم من اضطراب وانقلاب هذه الأحوال وتجاذب قوى النفس أن يحدث أنواعُ الشرور والضرر. وكذا الحال في كلّ موضع يكون الكثرة بلا رئيس قاهر ينتظم[3] تلك الكثرةُ به[4]. وهذه الوحدة ـ التي هي ظلّ الإلهيّة ـ تعطي الثبات والقوام. وقوّة التمييز في الإنسان بمنزلة خلافة اللّه تعالى[5] حاكم قويّ[6] يحفظ[7] شرائط الاعتدال والتساوي[8]؛ ليرتفع سوء النظام الحاصل من الكثرة. >[9]

فهذا هو تعديل[10] النفس، الذي هو أساس كلّ خير، ورأس كلّ عمل، ومنبع كلّ فضيلة، وحافظ كلّ صورة، أشرنا إليه إشارةً خفيفة[11] جامعة بجوامع علم الأخلاق، واللّه الموفِّق للخيرات.



---

(١) يلائم: ملائم A
(٢) الدواعي: بالدواعي P
(٣) ينتظم: ينظم P
(٤) به: _ P
(٥) تعالى: _ P
(٦) قويّ: القوى AB
(٧) يحفظ: بحفظ B
(٨) التساوي: + و A
(٩) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٥٢٣/١ _ ٥٣٩
(١٠) B217a
(١١) خفيفة: حفيفة B

[الفصل الثالث والعشرون: في مقامات السالكين]

[تتميم مباحث السير والسلوك]

وإذا دريتَ بأحوال العدالة، فلنشرع في **تتميم** مباحث السير والسلوك(١)، فنقول:

[أوّل المقامات]

(٢)< **تعويدُك(٣) نفسَك للخيرات، والاتّصافُ بالكمالات حتّى تصير ملَكة لك، أوّلُ مقاماتك.** والمقام عبارة [عن](٤) ملَكة وقدرة على الشيء، متى أُريد من غير احتياجٍ إلى تفكّر وكسب واستصعاب.

[الحال]

واعرِف أنّ **ما يعرض لك من الكمال، ثمّ ينطوي عنك بسرعةٍ، حالٌ.** وهو غير محسوس(٥)؛ لسرعة انطوائه.

[الخاطر]

وما يرد على النفس من السوانح الداعية إلى أمرٍ ما ـ سواء كان متعلّقاً بالجنبة العالية أو السافلة ـ **خاطرٌ.**

[أقسام الخاطر]

فإن كان عن الوهم، فخاطر شيطانيّ. وهو معارضة(٦) الوهم للعقل(٧) في أُمور

---

(١) A295a

(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة وكلمة التصوّف.

(٣) تعويدك: تعويذك A

(٤) عن: ـ AB

(٥) محسوس: + به AB

(٦) معارضة: مفارقة AB

(٧) للعقل: للعدل A

غير محسوسة، كإنكاره الموجودَ[١] لا في جهة، وتناهي الامتدادات، وإنكاره لنفسه، وغير ذلك من الخواطر الشيطانيّة. فأمّا ما يرد من الدواعي[٢] إلى العبادة وصالح العمل، فهو خاطر الورع.

وما هو عن دواعي الشهوة والغضب، نفسانيّ. فخاطر النفس عندهم[٣] سوانح من قبَل القوّة النزوعيّة، داعية إلى تحريكات شهوانيّة و[٤] غضبيّة. وخاطر[٥] النفس عند أكثرهم عبارة عن مجرّد القوّة النزوعيّة.

وما هو في[٦] إصلاح القوّة العمليّة، ملَكيّ؛ لأنّه يطلب[٧] العدالة. ومنه طلب السعادة الوهميّة التي للبُله والعامّة.

والكلمة الزكيّة خاطر الحقّ؛ لأنّ خاطر الحقّ ما يرد على الكلمة الزكيّة من الداعي إلى إشراقها على كمالات القوّة النظريّة، وتعرضها لإشراق[٨] الأنوار اللذيذة عليها.

وربّما خصّ[٩] بعضُهم هذا الخاطرَ ـ ما دام الإنسان مبتهجاً[١٠] بلذّاته ومعارفه ـ بـ[١١] «خاطر الروح»، فإذا عبر[١٢] هذا المقام فهو خاطر الحقّ.

والخواطر[١٣] الرديئة تقطع[١٤] بذكر[١٥] اللّه وأنواره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا

---

(١) الموجود: لموجود P
(٢) الدواعي: الداعي B
(٣) عندهم: + و A
(٤) و: أو P
(٥) خاطر: ـ AB
(٦) في: ـ P
(٧) B217b
(٨) لإشراق: الإشراق A
(٩) خصّ: حضّ B
(١٠) مبتهجاً: ـ AB
(١١) بـ: ـ P
(١٢) عبر: غيّر AB
(١٣) الخواطر: الخاطر P
(١٤) تقطع: يقطع P
(١٥) بذكر: ذكر AB

إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[١].

[التوبة]

وتـداركُ الفـائـت والندم على فواته توبةٌ. فهي في الحقيقة عبارة عن تألّم النفس على ما ارتكبَت[٢] من الرذائل، مع جزم القصد إلى تركها. >[٣]

[أقسام التوبة]

[٤]< فالتوبة في البدايات[٥]: الرجوعُ عن المعاصي بتركها[٦] والإعراض عنها.

وفي الأبواب: تركُ الفضـــول القوليّـة والفعليّـة المباحة، وتجريدُ النفس عن هيئات الميل إليها وبقايا النزوع إلى الشهوات الشاغلة عن التوجّه إلى الحقّ.

وفي المعـاملات: الإعراضُ عن رؤيـة فعـل الغير، والاجتنابُ عن الدواعي وأفعال النفس برؤية أفعال الحقّ.

وفي الأخلاق: التوبةُ عن إرادته وحوله وقوّته.

وفي الأُصول: الرجوعُ عن الالتفاتِ إلى الغير، والفتورِ في العزم.

وفي الأوديـة: الانخلاعُ[٧] عن علمـه في علم الحقّ، والتوبةُ عن الذهول عن الحقّ في حضوره، ولو طَرفة عين.

وفي الأحوال[٨]: السُلُوّ[٩] عن المحبوب، والنزاعُ[١٠] إلى ما سواه، ولو إلى نفسه.

---

(١) القرآن الكريم: ٢٠١/٧

(٢) ارتكبت: ارتكب AB

(٣) الخطوط الضـخيمـة من: أنوار الحقيقـة: ٧٣١؛ وسائر العبارات من: كلمة التصوّف: ١٣٢ ـ ١٣٣

(٤) بداية العبارات المنقولة من: شرح منازل السائرين.

(٥) البدايات: البداية AB

(٦) بتركها: تركها A || A295b

(٧) الأودية الانخلاع: الأدوية الانخداع AB

(٨) الأحوال: + في A

(٩) السلوّ: السير AB؛ سلا عنه سلوّاً: نسيَه. (لسان العرب)

(١٠) النزاع: الفراغ P

وفي الولايات: عن الهدوء بدون[١] الوجد.

وغير ذلك من المقامات. >[٢]

[الإرادة]

[٣]< **وحركةُ النفس للطلب**[٤] ـ أي لطلب الاستكمال بالفضائل ـ **إرادةٌ. فالطالب للطهارة الحقيقيّة مريد،** وإليه الإشـــارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٥]، وهو جمعٌ بين المقامَين.

[الرجاء]

وابتهاجُ النفس[٦] **بملائمها رجاءٌ،** بشرط استحضارها وإمكان حصوله في المستقبل.

[الخوف]

وتألّمُها بمكروهٍ خوفٌ، إذا حضرَت أسباب[٧] **حصوله** في المستقبل. ويتخصّص عندهم بالأُمور والهيئات[٨] النفسانيّة من الفضائل والرذائل، ومن أحوال المبادئ.

وأمّا أهل النهايات فمبرّؤون من الخوف، ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٩].

[الزهد]

وإمساكُها عن الاشتغال بمَلاذّ البدن زهدٌ. وكذا يشترط فيه الإمساك عن جميع

---

(١) بدون: وبذل AB

(٢) شرح منازل السائرين: ١٠٥ ـ ١٠٦؛ وقريب منه ما ذكره في: اصطلاحات الصوفيّة: ٩٣

(٣) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة وكلمة التصوّف.

(٤) B218a

(٥) القرآن الكريم: ٢٢٢/٢

(٦) النفس: + للطلب A

(٧) إذا حضرت أسباب: أخطرت إمكان P

(٨) الهيئات: الهيئة AB

(٩) القرآن الكريم: ٦٢/١٠

قواه، إلّا بحسب ضرورة تامّة، وهو يزيد على القناعة بترك كثير من الكفاية العرفيّة.

[الصبر]

وحبسُها عن الاضطراب صبرٌ. وقد مضى ذكر الصبر وفوائده في أوّل الكتاب.

[الشكر]

وملاحظتُها لنعم اللّه شكرٌ. فهو ملاحظة النفس لِما نالَت مِن نعم اللّه تعالى عليها ممّا[١] ينبغي لها، أو دفع ما لا ينبغي ـكان من كمالات النفس[٢] أو البدنـ وتحريكُ الآلة المعبّرة[٣] لإخبار النوع بذلك.

و[٤] لمّا لم يكن الشكر من شرطه أن يكون لكمال بدنيّ، صار أفضل من الصبر؛ لأنّه ملاحظة النعم ـكانت[٥] نفسانيّة أو بدنيّةـ، والصبر متعلّق بالبليّات[٦].

ومن فضيلة الصبر والشكر أنّه خصّص الاعتبارُ بالآيات بهما، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٧].

[التوكّل]

وملاحظتُها[٨] للقضاء والقدر بلا طبيعةٍ توكّلٌ، بأن يلاحظهما[٩] في جميع الحوادث، دون اقتصار النظر على الأسباب الطبيعيّة.

[الرضى]

وعدمُ تألّمها بهما[١٠] رضىً. فهو ملَكة نفسانيّة يلقي بها[١١] النفسُ لِما يأتي به

---

(١) من نعم ... ممّا: ممّن أنعم عليها من إعطاء ما P
(٢) A296a
(٣) المعبّرة: المغيّرة A
(٤) و: ـ P
(٥) النعم كانت: النعمة كنت P
(٦) بالبليّات: بالبدنيّات P
(٧) القرآن الكريم: ١٤/٥، ٣١/٣١، ٣٤/١٩، ٤٢/٣٣
(٨) B218b
(٩) يلاحظهما: ملاحظتهما A
(١٠) تألّمها بهما: تألّمه بها P
(١١) بها: ـ P

القدرُ من الحوادث الجرمانيّة، على وجهٍ لا تتألّم[١] بوقوعه، بل مع ابتهاج لطيف، نظراً إلى العلّة السابقة العجيبة.

[المعرفة]

وارتسامُ الحقائق في مرآتها معرفةٌ. أي حصول الحقائق الكلّيّة[٢] في النفس ـبمقدار ما يرتقي[٣] إليه طاقةُ البشرـ من ذات واجب الوجود تعالى، وما يليق بصفاته وأسمائه وأفعاله ونظامه[٤]، ومعرفة مقرّبي حضرته، ومعرفة العوالم ـعالم الجبروت، وهو عالم العقل، والعالم العقليّ[٥]؛ وعالم الملكوت، وهو عالم النفس، والعالم النفسانيّ، وعالم الكلمات، وعالم القواهر؛ ويسمّى العالمَين معاً عالم الأنوار، وعالم المثُل المعلّقة؛ وعالم المُلك، وهو عالم الأجرامـ وكيفيّة المعاد ونحوه.

[المحبّة]

وابتهاجُها بما هي فيه محبّة. أي ابتهاج النفس بالحال الذي هي فيه وفرحُها به محبّة.

[فروع المحبّة]

وأمّا الشوق: فهو[٦] الحركة إلى تتميم هذه البهجة. وكلّ مشتاق وجد شيئاً وعدم شيئاً، فإذا وصل بالكلّيّة، بطل الشوق؛ لبطلان[٧] الطلب.

ويتبعه الوجد: وهو كلّ ما[٨] يرد على النفس، وتجده في ذاتها، من الأُمور المتعلّقة بالفضائل.

---

(١) تتألّم: يتألّم AB
(٢) الكلّيّة: ـ P
(٣) ترتقي: يرتقي A
(٤) نظامه: نظام صنعه P
(٥) العقليّ: العقل A
(٦) فهو: هي P
(٧) لبطلان: و P
(٨) كلّ ما: كلّما AB

والتواجد: هو استجلاب الوجد[١].

والبسط: هو كون النفس في ما هي بسبيله، على نشاط وضرب من[٢] بهجة.

والقبض[٣]: حزن يقع على[٤] النفس، يكـاد يبطل دواعيها[٥] في ما هي فيه[٦]. وقد يكون لكلال القوى[٧] الجرمـانيّـة، أو لقنوط، أو لإلهام ونوم مُحزِن[٨] لم يبقَ في الذكر عينه، ولكن بقي أثره، فيتحيّر الشخص في سببه. وقد يكون لشهادة النفس بالنكبة[٩].

وكلّ هذه الأُمور من توابع المحبّة وفروعها.

[النفحات]

والخلسات[١٠] اللذيذة المنطوية بسرعة بعد طريانها كالبروق الخاطفات ـ[كما][١١] قـال تعـالى: ﴿هُوَ الَّـذي يُريكُمُ الْبَرْقَ خَوْفـاً وَطَمَعاً﴾[١٢]ـ تســمّى[١٣] **نفحات**[١٤]، وتسمّى[١٥] مبادئ الرحمة[١٦] واللوائح.

[السكينة]

وإن بقيت زماناً فسكينة. فهي خلسة[١٧] لذيذة تثبت[١٨] زماناً، أو خلسات متتالية لا تنقطع[١٩] حيناً من الزمان، وهي سريعة[٢٠].

---

(١) الوجد: + بالتكلّف P
(٢) من: ـ P
(٣) القبض: + هو P
(٤) يقع على: ـ P
(٥) A296b
(٦) B219a
(٧) القوى: قوى B
(٨) محزن: يحزن A
(٩) بالنكبة: بالنكتة AB
(١٠) الخلسات: الخسات P
(١١) كما: ـ AB
(١٢) القرآن الكريم: ١٢/١٣
(١٣) تسمّى: يسمّى A
(١٤) نفحات: نفخات B
(١٥) تسمّى: يسمّى A
(١٦) الرحمة: + والنفحات AB
(١٧) خلسة: خلسات AB
(١٨) تثبت: يثبت A
(١٩) تنقطع: ينقطع A
(٢٠) سريعة: حالة شريفة P

ومن اللوائح والسكينة ينشقّ[١] جميع الأحوال الشريفة.

والسكينة هي السحاب الثقال، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ السَّكينَةَ في قُلُوبِ الْمُؤْمِنينَ﴾[٢]، فإذا حصلَت ملَكة السكينة سهُل الأمر.

[التفرقة والجمع]

وتصرّفُ النفس في قواها البدنيّة تفرقةٌ. وفي مقابلها الجمع، وهو إقبال النفس على الجنبة العالية، دون الالتفات إلى الكثرة الجرميّة.

وإلى التفرقة أشار بعضهم: (شعر)

وتحقّقتك في سرّي فناجاك لساني ... فاجتمعنا لمعانٍ وافترقنا لمعاني

إن يكن غيّبك التعظيم عن نصب[٣] عياني ... فلقد[٤] صيّرك الوجد من الأحشاء داني[٥]

[الغيبة]

وحضور الغيب[٦] بخلسة الكلمة عن حواسّها[٧] غيبة. وهي خلسة النفس[٨] إلى عالمها، بحيث تغيب عن الحواسّ، فتحضر في الغيب؛ لأنّ حضور الحواسّ غيبة[٩] عن القدس.

قال بعضهم: (شعر)

إذا نأى[١٠] عذّبني وإن دنا قرّبني ... إذا تغيّبتُ بدا وإن بدا غيّبني[١١]

---

(١) تنشقّ: ينشقّ A

(٢) القرآن الكريم: ٤/٤٨

(٣) نصب: لحظ P

(٤) فلقد: ولقد AB

(٥) منسوب إلى الجنيد، كما في: اللمع في التصوّف: ٢١٢؛ وإلى الحلّاج، كما في: ديوان الحلّاج: ١٦٤

(٦) الغيب: الغيبة P

(٧) حواسّها: جوانبها A

(٨) النفس: للنفس P

(٩) غيبة: غيبته A؛ غيبه B

(١٠) نأى: ناري A

(١١) منسوب إلى أبي الحسين النوريّ، كما في: حلية الأولياء: ٢٥٠/١٠

[السُكر والصحو]

والسوانح القدسيّة المُبطِلة نظامَ الحركات[١] سكر، والرجوع عن هذه الحالة هو الصحو.

[الهيبة]

وملاحظةُ مراتب المبادئ هيبة؛ لأنّها عند ملاحظة[٢] المبادئ لا ترى نفسها متأهّلة للقرب، ولا للانتساب إلى واجب الوجود، وإن كان[٣] بنسبة بعيدة.

[الأُنس]

وانطماس الكلمة بالنسبة إلى المبادئ أُنس، بسبب ما يرد عليها[٤] من الأنوار المُلذّة، فتصير منطمسة بالنسبة إليها، فيحصل الأُنس بها، وعدمُ الانزعاج والهيبة.

[التوحيد]

وإفرادها عن عالم الأجرام ـ بحيث ينطوي ملاحظة المبادئ والترتيب في عظمته القيّوميّة ـ توحيدٌ؛ لأنّ التوحيد ليس هو عبارة عمّا هو مشهور من معرفة اللّه بالوحدانيّة والقيّوميّة، بل هو إفراد النفس[٥] عن تعلّقها بعلائق الأجرام بحسب الإمكان، بحيث ينطوي عنها بساط[٦] ملاحظة المبادئ الفعّالة[٧]، وترتيب الوجود الحاصل بسبب وساطتها بالنظر إلى[٨] العظمة القيّوميّة[٩]، بأن لا يُرى تأثير غير تأثيره، ولا موجود غير وجوده، ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[١٠].

---

(١) B219b
(٢) ملاحظة: + مراتب P
(٣) كان: كانت A
(٤) A297a
(٥) النفس: الكلمة P
(٦) ينطوي عنها بساط: يطوي P
(٧) الفعّالة: _ P
(٨) وترتيب الوجود ... إلى: والترتيب في P
(٩) القيّوميّة: القيّومة A
(١٠) القرآن الكريم: ٧/٥٤

وفـــي كـــلّ شـــيء لـــه آيـــة تـــدلّ علـــى أنّـــه واحـــد[١]

فليس[٢] وراءه مقام، وإن كان له مراتب متعدّدة بحسب قوّة الملاحظة وضعفها[٣]، وتغايرِ الأحوال، وشدّةِ تفرّد النفس وعدمه.

[المكاشفة]

وما تعلّق[٤] بالأُمور الجزئيّة من السوانح الغيبيّة مكاشفةٌ، سواء كان حصولها بفكر أو حدس أو لسانح غيبيّ[٥] واقع في الماضي أو المستقبل.

وبعدها المشاهدة: وهي شروق الأنوار[٦] على النفس، بحيث ينقطع منازعة الوهم.

وقد خصّها[٧] بعضُ الناس بما يرتسم من الصور الغيبيّة في الحسّ المشترك، فيُرى ظاهراً محسوساً، وإن كان في زماننا جماعةٌ من الجُهّال يظنّون دُعابة المتخيّلة ـ إذا استهزأت بهم ـ مشاهدةً[٨].

وإنّما أخّروها[٩] عن المكاشفة وذكروها بعد الوقت، إغفالاً عن ترتيبها[١٠] ومساهلةً في ذكر هذه الأُمور ـ كيف اتّفق[١١] ـ.

[الوقت]

والهيئات الفلكيّة الموجِبة لحصول[١٢] هيئة في النفس الناطقة، طرأت بطريانها، وزالت بزوالها، وقتٌ.

---

(١) ديوان أبي العتاهية: ١٢٢

(٢) فليس: وليس AB

(٣) وضعفها: وضعها A

(٤) تعلّق: يتعلّق P

(٥) غيبيّ: + متعلّق بأمر جزئيّ P

(٦) B220a

(٧) خصّها: خصّه AB

(٨) بهم مشاهدة: ـ AB

(٩) أخّروها: أجودها A

(١٠) ترتيبها: ترتّبها B

(١١) وإنّما أخّروها ... اتّفق: ـ P

(١٢) لحصول: بحصول A

واعلَم أنّ الوقت عندهم ليس عبارة عن مجرّد لذّة أو نور، بل عبارة عن هيئة فلكيّة أوجبَت[١] حصول هيئة للنفس الناطقة، طرأت بطريانها، وزالت بزوالها. فقالوا: «الوقت سيف قاطع»، و«الصوفيّ ابن الوقت». فرُبّ هيئةٍ أوجبَت حالاً من غير تعب[٢] كثير، وما عادَت بتجشّم[٣] كسب[٤]، على ما تضمّنه الحديث. <[٥]

فلا ينبغي للطالب أن يترك الأوقات الصالحة؛ فإنّ الأوقات موجبة للنفحات. ولهذا جاء في السنّة ترغيبُ الدعوات في أوقات معيّنة، وذكِر فيها خواصّ لا تحصل في غيرها، وأُمِر بالمحافظة عليها. ولهذا شرِعت الصلاةُ[٦] في الأوقات المحدودة، وأُمِر بالمحافظة عليها وعدم إهمالها. كلّ ذلك لِما فيها من الأسرار اللاهوتيّة، والنفحات[٧] الإلهيّة، والرحمات النازلة، وذلك من أعظم الأسرار.

[التعرّض]

[٨]< ولهذا رُبّ هيئةٍ أوجبَت حالاً من غير تعب كثير، وما عادَت لا بدّ من التعرّض لها. ولهذا قال ـ عليه السلام ـ: «إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها»[٩]. <[١٠]

[أقسام التعرّض]

[١١]< اعلَم أنّ[١٢] التعرّض ينقسم:

---

(١) أوجبت: أو حيث A
(٢) تعب: تعجّب A297b || P
(٣) بتجشّم: بالجسم A
(٤) كسب: + كثير P
(٥) الخطوط الضخيمة من: أنوار الحقيقة: ٧٣١ ـ ٧٣٢؛ وسائر العبارات من: كلمة التصوّف: ١٣٣ ـ ١٣٦
(٦) الصلاة: الصلوات B
(٧) النفحات: النفخات B
(٨) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٩) عوالي اللئالي: ١١٨/٤ || B220b
(١٠) أنوار الحقيقة: ٧٣٢
(١١) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.
(١٢) أنّ: ـ AB

ـ إلى ما هو عارٍ عن[١] التعمّل[٢].

ـ وإلى ما هو ممزوج بالتعمّل.

[القسم الأوّل]

فالأوّل هو التعرّض بالاستعداد الذاتيّ الغير المجعول، ولا يقترن به أمر أصلاً، وهذا أعلى[٣] مراتب التعرّض.

ويليه التعرّض بصفاء الروحانيّة، وسَعة دائرة فلكها المعقول، التي هي من[٤] أحكام المرتبة وصاحبها. وأهل هذه متفاوتو[٥] الدرجات، بحسب قوّة الروح، وشرف جوهره[٦]، وعلوّ مرتبته.

فهذان[٧] خاليان[٨] عن التعمّل، غير أنّ القسم المختصّ بصفاء الروحانيّة وسَعة الدائرة إنّما كان تالياً[٩] للأوّل لاكتسابه[١٠] من الحصّة[١١] الوجوديّة المقبولة[١٢] من فيض الحقّ تعالى بالاستعداد[١٣] الكلّيّ السابق بالمرتبة على الوجود المقبول؛ لكونه غير مجعولٍ استعداداً[١٤] وجوديّاً متجدّداً يصدق الحكم عليه بالجعل؛ فإنّه من ثمرات الوجود الحاصل للروح الموصوف بالصفاء وغيره. فهو[١٥] وإن كان[١٦] من أحكام الاستعداد الكلّيّ و[١٧] من صفاته[١٨]، إلّا أنّ ظهوره وتحقّقه موقوف على الوجود و[١٩] حاصل به.

---

(١) عارٍ عن: عارض A

(٢) التعمّل: تعمّل AB

(٣) هذا أعلى: هو أوّل P

(٤) التي هي من: في P

(٥) أهل هذه متفاوتو: أصلها متفاوتة P

(٦) جوهره: جوهريّته P

(٧) فهذان: هذا AB

(٨) خاليان: حالتان A

(٩) تالياً: بالياً A؛ نالياً B

(١٠) لاكتسابه: لأنّه يكتسب P

(١١) الحصّة: حصّة P

(١٢) المقبولة: التي قبلها P

(١٣) بالاستعداد: باستعداده P

(١٤) استعداداً: + جزئيّاً P

(١٥) فهو: + أعني هذا الاسم الاستعداد الجزئيّ P

(١٦) كان: + من وجه حكماً من P

(١٧) و: + صفة P

(١٨) صفاته: صفائه AB

(١٩) و: ـ P

[القسم الثاني]

ويليهما التعرّض بالمحبّة، ويلازمها الفقر لا مَحالة. فإمّا فقر مطلق، أو فقر مقيّد. وأهلها[١] على[٢] درجات متفاوتة:

فأهل الدرجة الأُولى هم المتعرّضون[٣] للحقّ بصفة[٤] المحبّة الخالصة[٥] المطلقة، لا يطلبون[٦] شيئاً سواه، بل لا يحبّونه ولا يطلبونه من حيث علمهم به أو إخبار أقوالهم[٧] عنه، بل لا يعرفون لمَ يحبّونه، فلا يتعيّن لهم مطلوب ما منه. وهذا تعرّض[٨] يوجبه مناسبة أصليّة ذاتيّة تُشبه[٩] التعرّضَين اللذين[١٠] لا تعمُّل فيهما، ولا يمتاز عنهما[١١] إلّا بوجدان ميل وانجذاب لا يقدر على دفعه، بل يرى في نفسه ارتباطاً وفقراً[١٢] مطلقاً[١٣] أو[١٤] انجذاباً وتعشّقاً وميلاً إلى الحقّ، لا يعرف له سبباً معيّناً. فينجذب بميل ويشتاق، ولا يدري كم وكيف. وهذه هي المناسبة الذاتيّة.

ويليها التعرّض بالمحبّة[١٥] لأُمور معيّنة[١٦] جمعاً وفُرادى، كالعلم به، أو[١٧] شهوده، أو[١٨] القرب منه مع لوازم ذلك[١٩]، وهو أوّل درجات الفقر المقيّد.

ويلي ذلك التعرّض بالمحبّة[٢٠] للحقّ، باعتبار ما يكون من الحقّ ممّا لا يختصّ ولا

---

(١) أهلها: أصلها P

(٢) A298a

(٣) المتعرّضون: المعترضون P

(٤) بصفة: بصفات P

(٥) الخالصة: _ P

(٦) يطلبون: يظنّون AB

(٧) أقوالهم: لهم A

(٨) تعرّض: تعريض AB

(٩) تشبه: شبيه P

(١٠) اللذين: الذين AB

(١١) عنهما: عنها B221a || P

(١٢) فقراً: فقر B

(١٣) مطلقاً: مطابقاً P

(١٤) أو: و AB

(١٥) بالمحبّة: بصفة المحبّة P

(١٦) معيّنة: + و A

(١٧) أو: و A

(١٨) أو: _ P

(١٩) ذلك: + كلّه P

(٢٠) بالمحبّة: بصفة المحبّة P

يرتبط بالحقّ. فالأشياء التي مرّ ذكرها ـ من المعرفة، والشهادة[١]، والقرب منه[٢]، و[الاحتظاء][٣] به[٤] ـ إنّما يتعرّض[٥] لمطالب خاصّة جمعاً وفُرادى، كالظفر بأسباب السعادة، من حيث تشخّصها في ذهنه، بموجب إخبار[٦] الرسول الصادق، أو[٧] الاطّلاع من بعض الوجوه.

ولهذا القسم[٨] تفاصيل تختصّ بمقام[٩] واحد، حكمه[١٠] طلبُ المنافع ودفعُ المضارّ، عاجلاً وآجلاً، موقّتاً وغير موقّت. ويتنظّم[١١] في هذا القسم صيغ[١٢] المرغّبات والمرهّبات ـ على اختلاف ضروبها ـ. والفقر المقيّد مصاحب لجميع[١٣] ذلك ما عدا الأوّلين؛ فإنّ الفقر المصاحب لهما هو الفقر المطلق المُكنّى عنه بالتعرّض[١٤]، فاعرِف ذلك. ومتعلّق هذا الفقر طلب استكمال متوقّف على تحصيل مطلب[١٥] أو مطالب عقيب[١٦] ذكر أُصولها بعد التعرّضين[١٧] الأوّلين. وما ذكرنا فإنّما هو تعرّض بصور[١٨] الوسائل، كالأعمال، والتوجّهات، وصور الأدعية[١٩]، وأمثال ذلك. وليس للتعرّض مرتبة كلّيّة غير[٢٠] ما ذكرناه، بل[٢١] تفاصيل هذه[٢٢] الأُصول، واللّه أعلم. >[٢٣]

---

(١) الشهادة: شهوده P
(٢) منه: ـ AB
(٣) الاحتظاء: الاختطاء ABP؛ احتظى به: إذا كان ذا حُظوة ومنزلة عنده. (لسان العرب)
(٤) به: بل AB
(٥) يتعرّض: ـ AB
(٦) إخبار: أخبار P
(٧) أو: إذ A، و P
(٨) القسم: انقسم A
(٩) تختصّ بمقام: فمقام P
(١٠) حكمه: حكم P
(١١) يتنظّم: يندرج P
(١٢) صيغ: ـ P
(١٣) لجميع: لجمع P
(١٤) بالتعرّض: بالفرض AB
(١٥) مطلب: بطلب AB
(١٦) عقيب: عينتُ P
(١٧) التعرّضين: ـ AB
(١٨) تعرّض بصور: بقدر تصوّر AB
(١٩) الأدعية: الأوعية A
(٢٠) غير: بل AB
(٢١) بل: من AB
(٢٢) A298b
(٢٣) شرح الأربعين حديثاً: ١٧١ ـ ١٧٣

[الفناء]

[١]< **وغيبوبةُ الكلمة في ملاحظة لذاتها بمحبوبها[٢] ـ لشدّة استغراقها معه، حتّى سقط شعورها ـ فناءٌ. وهذا المقام ـ أعني مقام الفناء ـ هو آخر المراتب وأعلى المقامات**؛ >[٣] [٤]< فإنّه سقوط الملاحظة من النفس؛ لشدّة الاستغراق في ملاحظة ذات الحقّ[٥]. وإذا سقط شعورها بما[٦] سوى محبوبها، فقد [فنَت][٧] عن كلّ شيء، بل وعن الفناء أيضاً، فهو مقام المحو والطمس. والعارف ما دام لا يزول عنه النظر إلى العرفان، فهو بعد متوسّط حتّى ينسى العرفان في جلال[٨] المعروف. وهذه الأشياء كلّها تُبنى[٩] على اللذّة النوريّة.

والسكينة إذا تمّت على حسب الاستعدادات، أوجبَت هذه الأحكام.

قال سيّد الطائفة الجنيدُ ـ رحمه اللّه ـ: (شعر)

طوارق أنوار تلوح إذا بدت　　　فتظهر كتماناً وتخبر عن جمع[١٠]

وسُئل الشِبليّ ـ رحمه اللّه ـ، فقيل له: هل[١١] يظهر آثار الوجد على الواجد؟ فقال: أنوار تلوح على الأرواح، فيظهر آثارها على الهياكل. >[١٢]

[مراتب العارفين عند أهل الحكمة والعرفان]

[١٣]< وعقد الباب أن يُقال: قد عرفتَ معنى العارف الأوّل، الذي هو المرتبة الأُولى

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) بمحبوبها: لمحبوبها AB
(٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٢ || B221b
(٤) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.
(٥) ذات الحقّ: ذاتٍ ما يلتذّ به P
(٦) بما: عمّا P
(٧) فنت: فنيت AB
(٨) جلال: خلال AB
(٩) تبنى: تبتني P
(١٠) الرسالة القشيريّة: ١٢٦
(١١) هل: ـ AB
(١٢) كلمة التصوّف: ١٣٧
(١٣) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

ـأعني النبوّةـ. فأمّا من تيسَّـر له من العارفين مشاهدةُ المجرّدات دون العلّة الأُولى، أو شـاهَد تجرُّد ذاته حسبُ(١)، ولم [يترقّ](٢) إلى مشاهدة المجرّدات العقليّة من النفوس والعقول(٣)، فهو العارف الأدنى، والأوّل هو المتوسّط.

وليس بعد هذا الأخير إلّا(٤) مرتبة المحجوبين.

فمنهم(٥) الكامل في القوّة النظريّة من جهة البرهان، لا غير، ولم يستبصر بمشاهدة ذاته ولا غيرها، وهو العارف(٦) الناقص المستبصر باليقين البرهانيّ، وهو علم اليقين.

كما أنّ المراتب التي(٧) من قبلهم هي عين اليقين.

والعارف الكامل المُشاهِد لجميع(٨) المجرّدات مع العلّة الأُولى بحقّ(٩) اليقين.

وأهل التصـوّف لا يعتبرون في المعرفة(١٠) كمالَ القوّة النظريّة من جهة البرهان، بل إنّما(١١) يعتبرون كمالَ النفس بالمشاهدة والعيان(١٢).

وآخر مراتـب العـارفين ـعلى رأي الصـوفيّةـ هو العارف بنفسـه، وعلى مذهب الحكمـاء هو العـارف بـالوجود من جهة البرهان، وعلى المذهبين ليس وراء(١٣) هاتين المرتبتين إلّا مرتبة المستبصرين بالعقد الإيمانيّ الحاصل لهم بسبب(١٤) الكاملين.

والعارفون:

ـ إن(١٥) خوطبوا من الملأ الأعلى بإصلاح النوع، فهم الأنبياء(١٦)، وقد مرّ بيان أحوالهم.

---

(١) حسب: فحسب P

(٢) يترقّ: يترقّي AB، يمكن من الترقّي P

(٣) والعقول: ـ AB

(٤) إلّا: إلى A

(٥) فمنهم: وهو P

(٦) العارف: ـ AB

(٧) التي: ـ AB

(٨) لجميع: بجميع A

(٩) بحقّ: حقّ AB

(١٠) B222a

(١١) إنّما: ـ P

(١٢) A299a

(١٣) ليس وراء: لا يكون بعد P

(١٤) بسبب: + بعض P

(١٥) إن: في أيّ مرتبة كانوا حتّى P

(١٦) فهم الأنبياء: كانوا أنبياء ورسلاً P

ـ وإن لم يخاطبوا، فذلك العارف إمّا حكيم أو شيخ[١]، بحسب معرفته وإحاطته بالبراهين العقليّة والدلائل الحكميّة، وعدم ذلك.

فهذه مراتب أهل العرفان[٢] على مقتضى قواعد الحكماء وأهل العرفان[٣]، ومن عداهم[٤] فهم المقلّدون، وخلاصتهم[٥] طائفتان: الزهّاد، والعبّاد.

[الفرق بين الزاهد والعابد والعارف]

وعرّف الشيخُ الرئيس الزاهدَ والعابد والعارف[٦] في الإشارات[٧]، فقال: «المُعرِض عن متاع الدنيا وطيّباتها يختصّ[٨] باسم الزاهد، والمواظب على نفل[٩] العبادات من القيام والصيام يختصّ[١٠] باسم العابد، والمنصرف[١١] بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق الأنوار الحقّيّة[١٢] يختصّ[١٣] باسم العارف».

فطالب[١٤] الحقيقة[١٥] يلزمه أن يُعرِض عن كلّ ما يبعِّده عن مطلوبه أوّلاً، ثمّ بإقبال ما يقرّبه إليه[١٦] ثانياً. لكن ما سوى الحقّ ـ من لذّات الدنيا وطيّباتها ـ لمّا كان شاغلاً ومبعِّداً عنه، وجب على طالب الحقيقة تركُه. ثمّ يلزمه الإقبالُ على كلّ ما يعتقد[١٧] أنّه يقرِّبه إلى مطلوبه، من أنواع العبادات وأصناف القربات. فإذا ترقّى الطالبُ من مرتبة

(١) شيخ: + من مشايخ التصوّف P
(٢) أهل العرفان: العارفين P
(٣) أهل العرفان: المتصوّفة P
(٤) من عداهم: ما عداها P
(٥) المقلّدون وخلاصتهم: المقلّدون أرباب العقد الإيمانيّ فخلاصتهم P
(٦) والعارف: ـ AB
(٧) الإشارات والتنبيهات: ٣٥٥ ـ ٣٥٦
(٨) يختصّ: يخصّ P
(٩) نفل: فعل P
(١٠) يختصّ: يخصّ P
(١١) المنصرف: المتصرّف B
(١٢) الأنوار الحقّيّة: نور الحقّ في سرّه P
(١٣) يختصّ: مختصّ A
(١٤) فطالب: وطالب P
(١٥) الحقيقة: الحقيقيّ A
(١٦) إليه: ـ AB
(١٧) يعتقد: معتقد A

الزهد والعبادة إلى مرتبة[١] معرفة نفسه، فهو أوّل مراتب المعرفة. ثمّ إن[٢] ساعدته العناية الإلهيّة حتّى ترقّى[٣] إلى المراتب التي بعدها، فهو السعادة العظمى والراحة الكبرى.

والعارف في الغالب لا بدّ[٤] أن يجتمع فيه الزهد ـ أعني[٥] الإعراض عمّا يشغله عن مطلوبه من الأُمور الدنيويّة ـ في الأوّل، ولا يلزمه أن يجتمع فيه الزهد في ثاني[٦] الحال بعد حصول المعرفة.

وأمّا العبادة، فلا يلزم أن[٧] تجتمع[٨] مع العارف[٩]، لا في الأوّل، ولا بعده.

فقد يكون العارف زاهداً عابداً، وقد يكون زاهداً[١٠] غير عابد، وبالعكس. وقد يكون الزاهد خالياً عن العبادة والمعرفة، وكذلك العابد.

ويختلف[١١] غرض الزاهد والعابد والعارف من الزهد[١٢] والعبادة، مع اتّحاد الفعل؛ فإنّ غرض الزاهد غير العارفِ[١٣] المعاملةُ. فهي بالنسبة إلى الزهد تجري مجرى تاجرٍ يشتري[١٤] بمتاع[١٥] الدنيا متاعَ الآخرة، وبالنسبة إلى العبادة بمجرى بأجيرٍ[١٦] يعمل عملاً لأخذ أُجرة[١٧] في الآخرة، هي الأجر والثواب.

وكذلك حكم العابد.

---

(١) مرتبة: ـ AB
(٢) B222b
(٣) ترقّى: يرقى AB
(٤) بدّ: + و P
(٥) أعني: الذي هو P
(٦) ثاني: ـ A
(٧) A299b
(٨) تجتمع: يجتمع A
(٩) العارف: الفارق A
(١٠) زاهداً: زاهد AB
(١١) يختلف: مختلف A
(١٢) الزهد: الزاهد A
(١٣) العارف: + من الزهد والعبادة P
(١٤) يشتري: شرى B
(١٥) بمتاع: لمتاع A
(١٦) بمجرى أجير: تجري مجرى أجير P
(١٧) لأخذ أُجرة: لا يأخذ أجره A

وأمّا غرض العارف من[١] الزهد في حال توجّهه إلى الحقّ[٢] التنزّهُ عمّا يشغل سرَّه عن الحقّ؛ إيثاراً للمقصود الذي يؤمّه[٣]. وغرضه من الزهد في الحالة التي يكون فيها ملتفتاً عن الحقّ إلى غيره، التكبّرُ عمّا سوى الحقّ؛ استحقاراً لغيره.

وأمّا غرضه من العبادة، فارتياض لِهِمَمِه[٤] التي هي مبادئ إراداته[٥] وعزماته الشهوانيّة والغضبيّة وغيرهما، وارتياضُ القوى النفسيّة التي هي الخيال والوهم؛ ليجرّهما بالتعويد عن العالم الأدنى إلى العالم[٦] الأعلى، بحيث يصير هذه القوى مشيّعةً للنفس عند توجّهها إلى ذلك العالم، ويصير ذلك التشييع ملَكةً لها وعادةً مستمرّة، لا تُنازع النفسَ في حال التوجّه، ولا تُزاحِمها عند الخلوص إلى المشاهدة. فحينئذٍ يخلص النفس[٧] إلى العالم العقليّ والنور الربوبيّ، مع تشييع جميع ما تحتها من القوى، وموافقتها في التوجّه إلى ذلك العالم. >[٨]

[تفرُّد العارف في طلب الحقّ بالذات]

[٩]< إذا عرفتَ ذلك، فنقول: إنّ العارف يريد الحقّ الأوّل، لا لشيء غيره[١٠]؛ لأنّه عاشق للكمال الحقيقيّ. فلا يؤثر شيئاً على عرفانه وعبادته للحقّ تعالى، لا لرغبة في ثواب[١١]، أو لخوف[١٢] من عقاب[١٣]، بل لأنّه مستحقّ للعبادة. فإرادته[١٤] وعبادته له

(١) من: في AB
(٢) الحقّ: + وإعراضه عمّا سواه P
(٣) يؤمّه: يهمّه P
(٤) لهممه: لهمّته AB
(٥) إراداته: إرادته AB
(٦) B223a
(٧) عند توجّهها ... النفس: _ AB
(٨) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٣٢/٣ _ ٦٣٥
(٩) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.
(١٠) لشيء غيره: غير AB
(١١) ثواب: الثواب P
(١٢) لخوف: بخوف A
(١٣) عقاب: العقاب P
(١٤) فإرادته: فأراده A، فإرادة العارف P

يتعلّقـان بـالحقّ الأوّل لـذاته، وإن تعلّقا أحياناً بغيره، فيكون ذلك التعلّق لأجل الحقّ؛ لأنّ العارف هو الذي يقصد الحقَّ ويطلبه بالذات، وغيرَه بالعرض(١) لأجله.

وجمهور الخلق مقصـــودهم من الزهـد والعبـادة ليس هو الحقّ، بـل هو الثواب والخوف(٢) من العقاب، ويكون الحقّ(٣) واســطة في ذلك. والمتّخذُ توسّــط(٤) الحقّ محروم؛ لأنّـه لم يطعم لذّة البهجة فيتطعّمها(٥)، بل أنســه من(٦) اللذّات الجســمانيّة والشهوات الظلمانيّة.

وقيل(٧) في الوحي الإلهيّ لداوود ـعليه السلامـ: «يا داوود! مَن أظلم ممّن عبدني لجنّة أو نار؟ و(٨) لم أخلُق الجنّةَ والنار(٩) لأن أُعبَد»(١٠).

[درجات العارفين]

وللعارفين(١١) درجات، ويعرض لهم بحسب كلّ درجة ومرتبة أحوالٌ:

[الأُولى: الإرادة]

فأوّل درجاتهم بحسـب الحركة(١٢) الإرادةُ؛ فإنّها مبدأ الحركة(١٣). وعلّة حصولها(١٤) تصـوّرُ الكمال الذاتيّ الخاصّ بالواجب لذاته، الفائض على كلّ قابل مسـتعدّ بحسب اسـتعداده، مع التصـديق بوجوده على طريق اليقين والجزم وسكون النفس، سواء كان

---

(١) بالعرض: بالغرض A
(٢) A300a
(٣) الحقّ: ـ AB
(٤) المتّخذ توسّط: المستحلّ توسيط P
(٥) فيتطعّمها: فيستطعمها P
(٦) من :مع P
(٧) قيل: قبل B
(٨) و: + لو P
(٩) النار: + لم أكن أهلاً P
(١٠) لم أعثر عليه في مصـادر الفريقين، أقدم مصادره عند أهل التصوّف: قوت القلوب: ٩٢/٢
(١١) للعارفين: العارفين A
(١٢) الحركة: حركاتهم P
(١٣) مبدأ الحركة: المبدأ القريب للحركة P
(١٤) حصولها: حصول الإرادة P

ذلك التصـديق[(١)] حاصـلاً بالبرهان أو بالتقليد[(٢)]؛ فإنّه موجب لتحريك الطالـب لطلب ذلك الفيض.

فلا جرمَ كانت الإرادة المترتّبة[(٣)] على هذا التصـديق هي ما يعتري المستبصرَ باليقين البرهانيّ، أو السـاكنَ النفس إلى العقد الإيمانيّ[(٤)]، رغبةً في الاعتصـام بالواجب لذاته والجواهر العقليّة الثابتة التي لا تزول ولا تتغيّر. فهي السـبب في حركة النفس إلى العالم العقليّ والنور الإلهيّ. وغـايتهـا هو أن ينـال من روح الاتّصـال من ذلك العالم بقدر[(٥)] استعداده.

وقد عرفتَ أنّ مبادئ الحركة الحيوانيّة[(٦)] الإدراكُ، ثمّ الشـوق، ثمّ العزم المسـمّى بـالإرادة الجازمة، ثمّ القوى المنبثّة في الأعضـاء. وهذه[(٧)] الحركة إراديّة غير حيوانيّة، فمبادئها الإدراكُ والشوق والعزم، والرابعة لا دخل لها؛ لاختصاصها بالحركة الجسمانيّة.

[الثانية: الرياضة]

ومتى حصـلـت الإرادة الجـازمـة للطالب[(٨)]، وجب عليه الرياضـة التي هي في الـدوابّ[(٩)] عبـارة عن منعهـا عن الإقـدام على الحركـات الغير المرضـيّـة، وتعليمها الحركات المرضـيّة، وصـيرورتها ملَكةً مسـتقرّة وعادةً مستمرّة. وهي في الإنسان عبارة عن طـاعـة القوى الحيوانيّـة ـ التي هي مبـدأ الإدراكات والأفاعيل[(١٠)] ـ للقوّة العاقلة، بحيث يصـير[(١١)] ذلك ملَكةً ثابتة[(١٢)]؛ إذ لو لـم يكن القوى الحيوانيّة صـادرةً عن أحكام

---

(١) التصديق: + اليقينيّ P

(٢) B223b

(٣) المترتّبة: المرتّبة A

(٤) البرهانيّ أو ... الإيمانيّ: ـ AB

(٥) بقدر: + إمكانه و P

(٦) الحيوانيّة: ـ AB

(٧) هذه: هي AB

(٨) للطالـب: للمريـد الطـالب للترقّي في درجات الكمال P

(٩) الدواب: الذوات AB

(١٠) A300b

(١١) يصير: تصير A

(١٢) ثابتة: ثانية A

القوّة العـاقلة، كانت بمنزلة بهيمة غير مرتاضـــة، تطلب ما تشـــتهي بحســـب التخيّل والتوهّم المتصوّر، أو[١] بحسب ما أدّته الحواسّ الظاهرة إليها. فتتحرّك[٢] بذلك السبب حركات مختلفة، بحســـب اختلاف شـــهوتها وغضـــبها، وتســـتخدم القوّة العقليّة في تحصـيل مراداتها. فحينئذٍ تسمّى نفساً أمّارة بالسوء، فتكون مخدومة للعقل المطيع لها عن غلبـة واضـــطرار[٣]، بخلاف ما إذا كانت القوّة العقليّة قويّةً، فراضـــت تلك القوى الحيوانيّة، ومنعَتها عن التخيّلات الفاســدة، والأوهام الكاذبة، والإحســاســات الزائدة، وغير ذلك من الأفعال المُثيرة للشـــهوة والغضـــب، وجعلَتها بكثرة الدُربة[٤] والتدريج مطيعـةً للعقـل العمليّ، منقـادةً إلى أوامره، منتهيـة[٥] عن مناهيه. فيكون القوّة العقليّة حينئذٍ نفســاً مطمئنّة، يصـــدر عنها الأفعال والأقوال على الوجه الأصـــوَب، متّفقة غير مختلفـة المبـادئ، وتكون القوى الحيوانيّـة كلّها مطيعة ومؤتمرة بأوامرها، ويكون بين هاتين الحالتين حالات أُخرى[٦]، مختلفة بحســـب غلبة القوّة العقليّة أو الحيوانيّة. فإذا منعَـت[٧] القوّةُ العاقلة القوّةَ[٨] الحيوانيّة عن هواها وعصَـــتها[٩]، ثمّ ندمت بعد ذلك، فلوّمت[١٠] نفسها، سمِّيت نفساً لوّامة.

فعُلم من هـذا التقرير أنّ ريـاضـــة النفس، و[١١] نهيَهـا عن هواهـا، وأمرَهـا بطـاعة العقل[١٢]، من المبادئ[١٣].

---

(١) المتصوّر أو: المتصوّران P
(٢) فتتحرّك: فيتحرّك A
(٣) واضطرار: اضطراراً P || B224a
(٤) الدُربة: العادة والتجربة. (لسان العرب)
(٥) منتهية: منتهة A
(٦) أُخرى: _ B
(٧) منعت: أمعنت A
(٨) القوّة: _ AB
(٩) عصتها: غضبها AB
(١٠) فلوّمت: فلزمت P
(١١) و: هي P
(١٢) العقل: الفعل A
(١٣) من المبادئ: _ P

[أقسام الرياضات]

والرياضات تختلف بحسب اختلاف الأغراض العقليّة:

ـ فمنها: الرياضات العقليّة التي ذكرها الحكماءُ في الحكمة[١] العلميّة والعمليّة.

ـ ومنها: الرياضات السمعيّة، وهي[٢] التي ورد بها الأنبياء والأئمّة ـعليهم السلام[٣]ـ، وهي المسمّاة بالعبادات الشرعيّة.

وأمّا رياضــات العارفين فهي أدقّ جميع[٤] أنواع الرياضــات، وأغمض أصــنافها؛ لأنّ[٥] حاصل رياضاتهم[٦] وغايتها إرادةُ وجه اللّه تعالى، وطلبُ مرضاته دون غيره من الموجودات[٧]، ومنعُ النفس عن الالتفات إلى ما ســواه[٨]، وإجبارُها على التوجّه إليه، حتّى يصير الإقبال عليه[٩] والانقطاع عن غيره ملَكةً ثابتة لها.

وأنت إذا تأمّلتَ أحوال[١٠] الرياضــات وأصــنافها، وجدتَها داخلةً في هذه الرياضة، من غير عكس.

[أغراض الرياضة]

إذا عرفتَ هذا، فاعلَم أنّ الغاية القُصــوى من الرياضــة إنّما[١١] هو تحصــيل الكمال الحقيقيّ، الذي لا يحصــل إلّا بحصــول أمر وجوديّ، وهو الاستعداد الذي يشترط في حصــوله زوال المانع. والموانع إمّا أن تكون[١٢] من داخل، وإمّا[١٣] من خارج، فصارت

---

(١) الحكمة: الحكميّة A

(٢) وهي: ـ P

(٣) عليهم السلام: ـ P

(٤) جميع: + جميع B

(٥) A301a

(٦) رياضاتهم: رياضتهم AB

(٧) B224b

(٨) سواه: + تعالى P

(٩) عليه: غلبة P

(١٠) أحوال: أنواع P

(١١) إنّما: ـ P

(١٢) تكون: يكون AB

(١٣) إمّا: + أن تكون P

الرياضة متوجّهة[1] إلى أغراض ثلاثة:

الأوّل: تنحية[2] ما دون الحقّ عن مُستَنّ[3] الإيثار، وهو إزالة الموانع[4] الخارجة.

والثـاني: هو تطويع النفس الأمّـارة للنفس المطمئنّـة. فعند توجّه النفس المطمئنّة إلى العالم العِلويّ ينجذب معها التخيّل والتوهّم، مع تشـيـيع جميع[5] القوى البدنيّة، وهو إزالة الموانع الداخلة التي هي الدواعي الحيوانيّة.

والثـالـث: تلطيف السـرّ، وهو تهيّؤ النفس للانتقـاش بـالصـور العقليّة، وقبولها للإشراقات العِلويّة بسرعة، وهو تحصيل الاستعداد.

[المُعينات على هذه الأغراض]

[المُعين على الغرض الأوّل]

فالغرض الأوّل يُعين عليه[6] الزهدُ الحقيقيّ، الذي هو[7] التنزّه عمّا يشغل السرّ عن الحقّ[8].

[المُعينات على الغرض الثاني]

والغرض[9] الثاني يُعين عليه العبادةُ المقرونة بالفكر؛ لأنّ العبادة البدنيّة[10] تجعل البدن تابعاً للنفس. فإذا كانت النفس مع ذلك منصرفة[11] إلى الجناب الأعلى بالأفكار الصـائبة الصـافية عن شـوائب المحسوسات، صار الإنسان الذي هذه شيمته[12] مُقبِلاً

---

(١) متوجّهة: موجّهة AB

(٢) تنحية: تنجية A

(٣) مستنّ: سنن AB

(٤) الموانع: المانعة A

(٥) جميع: سائر P

(٦) يعين عليه: غلبة A

(٧) هو: + عبارة عن P

(٨) الحقّ: + تعالى P

(٩) الغرض: الفرض B

(١٠) البدنيّة: _ P

(١١) منصرفة: متصرّفة A

(١٢) شـيمته: صـفته P؛ الشـيمة: الخُلق. (لسان العرب)

على الحقّ[١] بـالكلّيّة. وإلّا فالعبادة إذا خلَت عن الذكر والفكر، كانت وبالاً عليه، كما قال الكتاب الإلهيّ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَـلِّينَ ۝ الَّذينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ﴾[٢]. وإذا[٣] كانت العبادة مقرونةً بالفكر والذكر، صارت تلك العبادة رياضةً[٤] لهِمَم العارف وقوى نفسه[٥]، لتجرّها بالتعويد عن العالم السفليّ إلى العالم الأعلى الربوبيّ.

ومن المُعينات[٦] الألحانُ الموسيقيّة[٧] المعتدلة الغير المخالفة للأُمور الشرعيّة[٨]؛ فإنّها لا مَحالة مؤثّرة في جوهر النفس[٩]، فهي مُعينة[١٠] بالذات وبالعرض.

أمّا بالذات، فلأنّ النفس عند سـماع[١١] هذه[١٢] الألحان المتناسبة، تنفعل عنها[١٣] بالكلّيّة، متعجّبة منها، فتذهل عن اســتعمال القوى البدنيّة الحيوانيّة، فتتخلّص النفس إلى الجناب الأعلى.

وأمّا بالعرض، فلأنّها[١٤] توقع[١٥] الكلام الواقع فيها[١٦] ـمن[١٧] المنظوم والمنثورـ موقعَ القبول من الأوهام؛ للمحاكاة المائلة[١٨] إليها النفسُ بالطبع. وخصـوصـاً إذا كان الكلام من كلام أهل[١٩] التوجّه والاسـتبصـار، حاثّاً على تحصـيل الكمال الإنسـانيّ، وطلب العلم الروحانيّ؛ فإنّ النفس[٢٠] تصـير مشـتاقةً متهيّئة[٢١] لتحصـيل أسـباب

(١) B225a
(٢) القرآن الكريم: ١٠٧/٤ ـ ٥
(٣) وإذا: فإذا P
(٤) رياضة: رياضته A || A301b
(٥) نفسه: بنفسه AB
(٦) المعينات: المعيّنات A
(٧) الموسيقيّة: الموسيقي A
(٨) المعتدلة ... الشرعيّة: ـ P
(٩) جوهر النفس: جواهر النفوس P
(١٠) معينة: + على هذا الغرض P
(١١) سماع: ـ AB
(١٢) هذه: ـ P
(١٣) تنفعل عنها: تقبل عليها P
(١٤) فلأنّها: فلأنّ الألحان الموسيقيّة P
(١٥) توقع: موضع A؛ بوضع B
(١٦) الواقع فيها: المقارن لها P
(١٧) من: ـ AB
(١٨) المائلة: الهائلة A
(١٩) أهل: ـ A
(٢٠) النفس: + حينئذٍ P
(٢١) متهيّئة: متنبّهة P

السعادات، فتقهر[١] جميعَ القوى الشاغلة، وتجعلها[٢] مطيعةً لها.

ومن المُعينات كلامُ الواعظ، الذي يفيد التصــديق الإقناعيّ في ما ينبغي أن يعمل في أمر المعاد وأحوال السـعادات؛ فإنّ ذلك يجعل[٣] النفس مسـتيقظةً متنبّهة قاهرة[٤] للقوى[٥] الحيوانيّة.

وإذا[٦] انضمّ إلى كلام الواعظ أربعة أُمور كانت أبلغ في النفع[٧]:

ـ كونه زكيّاً؛ لأنّه كشهادة تؤكّد صدقَه؛ فإنّ الواعظ إذا لم يكن متّعظاً بوعظه، فإنّه لا ينتفع غيرُه[٨] بوعظه؛ لتكذيب فعلِه قولَه.

ـ وأن يكون اللفظ بليغاً واضحَ الدلالة على كمال المعنى المقصود.

ـ وأن يكون بنغمة حسنة رخيمة ليّنة؛ ليُعدّ[٩] النفسَ على سرعة القبول. ولكلّ نغمة من النغمات وصــنف منها تأثيرٌ خاصّ يناســب[١٠] صــنفاً من[١١] الهيئات النفســانيّة. ولذلك كان أطبّاء النفوس وخطباؤهم يعالجون بها[١٢] الأمراضَ النفسانيّة.

ـ وأن يكون مؤدّياً إلى التصديق النافع للمريد في[١٣] سلوكه.

[المُعينات على الغرض الثالث]

ويعين على الثالث:

---

(١) فتقهر: فيقهر AB
(٢) تجعلها: يجعلها A
(٣) يجعل: تجعل A
(٤) قاهرة: فأمره A
(٥) B225b
(٦) وإذا: فإذا P
(٧) أربعة أُمور ... النفع: ـ AB
(٨) ينتفع غيره: ينفع الغير P
(٩) ليعدّ: ليسعد AB
(١٠) يناسب: تناسب A
(١١) صنفاً من: صفاء AB
(١٢) بها: هما A
(١٣) في: + طريق P

ـ الفكر اللطيف[١] المعتدل في الكيف والكمّ. وإنّما يكون باعتدال البدن في المآكل والمشارب، وغيرهما من الأحوال البدنيّة الشاغلة عن الإدراكات العقليّة؛ فإنّ أمثال هذه الأفكار تفيد النفس هيئة نورانيّة تُعدّها لإدراك[٢] مطلوبها[٣] على الوجه الأسهل.

ـ والعشق العفيف، الذي منبعه مشاهدة[٤] شمائل المعشوق، لا سلطان الشهوة؛ فإنّك قد عرفتَ العشق الحقيقيّ الذي للعلّة الأُولى والجواهر العقليّة والنفسيّة، وما عداه[٥] مجازيّ ينقسم:

ـ إلى نفسانيّ، مبدؤه مشاكلة نفس العاشق لنفس معشوقه في الجوهر. وهذا[٦] سببه إعجاب العاشق بشمائل المعشوق، التي هي أخلاقه وأوصافه؛ لأنّها آثار حاصلة عن النفس.

ـ وإلى حيوانيّ، مبدؤه شهوة لطلب لذّة حيوانيّة. وهذا العشق سببه إعجاب العاشق[٧] بصورة معشوقه، وتخطيط أعضائه، وشكله ولونه وغيرها من الأحوال[٨] البدنيّة، التي[٩] يوجبها استيلاء[١٠] النفس الأمّارة بالسوء المستخدمة للنفس الناطقة، وهو المُعين على الفجور[١١].

وأمّا[١٢] النفسانيّ فهو العشق[١٣] العفيف، وهو الذي يجعل النفس لطيفةً، شديدة

---

(١) A302a
(٢) لإدراك: الإدراك A
(٣) مطلوبها: مطالبها AB
(٤) مشاهدة: + ممّا A
(٥) عداه: + من أنواع العشق P
(٦) هذا: + العشق P
(٧) بشمائل المعشوق ... العاشق: ـ AB
(٨) B226a
(٩) التي: الذي AB
(١٠) استيلاء: سبيل A
(١١) الفجور: + في الغالب P
(١٢) أمّا: + العشق P
(١٣) العشق: ـ AB

الشـوق، كثيرة الوجد، ذات لين[١] ورقّة، مُعرِضـة عمّا سـوى المعشوق، مُقبِلة بجملتها عليه. وذلك موجب لانقطاعها عن جميع الشواغل البدنيّة، وإقبالها على الأُمور الربّانيّة الحقيقيّة.

[الثالثة: الوقت]

فمتى[٢] بلغ السـالك هذا الحدّ من الرياضـة، ووصـل[٣] هذا المقام بالمجاهدة، عنَـت له خلسـات من إطلاع نور الحقّ لذيذة جدّاً، كأنّها[٤] بروق تومض[٥] إليه، كما قال تعالى: ﴿يَكادُ سَـنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصـارِ﴾[٦] من شدّة الخطفات وقوّة اللمعان[٧]، ثمّ تخمـد[٨] عنـه زمانـاً. وتسـمّى هـذه البروق و[٩] اللوامع عنـد أهـل التصـوّف «الأوقات[١٠]». هكذا ذكره الشيخ الرئيس في الإشارات[١١].

وذكر المحقّق الشـارح[١٢] أنّه لاحظ في تسـميته بالوقت قوله ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم[١٣]ـ: «لي مع اللّه وقت لا يسعني فيه ملَك مقرَّب، ولا نبيّ مُرسَل»[١٤].

وقال [الشهرزوريّ][١٥]: إنّ هذه الحالة العارضة له ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم[١٦]ـ

---

(١) لين: أُنس AB
(٢) فمتى: فإذا P
(٣) وصل: + إلى P
(٤) كأنّها: كلّها P
(٥) تومض: ترمض A
(٦) القرآن الكريم: ٤٣/٢٤
(٧) اللمعان: اللمعات AB
(٨) تخمد: تجسد A
(٩) و: ـ AB
(١٠) الأوقات: أوقاتاً P
(١١) الإشارات والتنبيهات: ٣٦٠
(١٢) شـرح الإشـارات والتنبيهات للطوسيّ: ٣٨٤/٣
(١٣) صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: عليه السلام P
(١٤) لـم أعثر عليـه في المصـادر الروائيّـة للفريقين، وادّعى أهل التصـوّف أنّه حديث نبويّ، كما في: كشـف المحجوب: ٤٨٠؛ تمهيدات: ١٢٣؛ كشـف الأسـرار: ٣١/١؛ كشف الحقائق: ١٦٦
(١٥) الشهرزوريّ: الشيخ الإلهيّ AB
(١٦) صلّى اللّه عليه وآله وسلّم: عليه السلام P

التي[١] سمّاها بالوقت، يجب أن تكون غير هذه الحالة التي سمّاها[٢] الصوفيّة أوقاتاً؛ فإنّ الحالة التي لا يسعه فيها ملَك مقرَّب ولا نبيّ مُرسَل، حالة شريفة عظيمة في الغاية، لا يسع النفس فيها غير الحقّ.

وأمّا الحالة الثانية فهي أوّل مرتبة الوجدان، فهي مرتبة المبتدئين، الحاصلة لهم في أقلّ زمان، فكيف تكون هي[٣] هذه الحالة التي يكاد أن تكون آخر المقامات للسالكين[٤]؟ بل هذه الحالة التي هي البوارق واللوامع الأليَق أن تكون هي الأوقات المُشار إليها بقولهم: «الوقت سيف قاطع»، وهي أوّل درجة[٥] الوجدان الحاصل بعد حصول شيء من الاستعدادات المستفادة[٦] بالإرادة والرياضات المذكورة.

ولا تزال هذه الأنوار البرقيّة والخطفات الإلهيّة تتزايد بتزايُد الاستعداد وتكثّر علّته[٧]، كلّما أمعن في الارتياض. فإذا توغّل فيها، فربّما تغشاه[٨] في غير وقت الارتياض. ويكون في هذه الحالة نظره عن غيرة[٩]، وسكوته عن حيرة[١٠]، بحيث إنّه كلّما لمح شيئاً من العالم الجسمانيّ، رجع عنه إلى العالم الروحانيّ، متذكّراً بعض أحواله، فيغشاه غاشٍ، فيكاد يرى الحقّ في كلّ شيء. إلّا أنّه ربّما انزعج أحياناً عند مغافصة هذه الأنوار العقليّة عن هجومها. فإذا دام[١١] تواليها بدوام الرياضة، زال عنه الانزعاج.

[الرابعة: السكينة]

ثمّ إنّ الرياضة إذا طالت بهذا السالك، واتّصل استمرارها، وبلغت به مَبلغاً ما، يثبت

---

(١) التي: الذي AB ‖ A302b ‖ سقط من هنا من مخطوطة A بقدر ورقة واحدة.
(٢) التي سمّاها: المسمّاة عند P
(٣) هي: ـ AB
(٤) المقامات للسالكين: مقامات السالكين P
(٥) B226b
(٦) المستفادة: المستفاد AB
(٧) علّته: عليه B
(٨) تغشاه: يغشاه AB
(٩) غيرة: عبرة AB
(١٠) حيرة: خبرة AB
(١١) دام: + دام B

تلك الأنوارُ الخاطفة والبوارق اللامعة أحياناً، وعند ثبوتها تسمّى السكينة. قال اللّه تعالى: ﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ السَّكينَةَ في قُلُوبِ الْمُؤْمِنينَ﴾[١]. ويدوم حينئذٍ ابتهاجُه بذاته، واستمتاعه بها وبما فوقها.

[الخامسة: التردّد]

ثمّ لا يزال دوام السكينة واستمرار الرياضة به[٢] إلى تمامها. فإذا تمّت رياضة العارف، ووصل إلى مطلوبه من الاتّصال بالجواهر العقليّة، فيستغني عنها بعد أن يصير سرّه[٣] كمرآة مجلوّة تُحاذي[٤] شطر الحقّ[٥]. فتتوالى عليه اللذّاتُ العقليّة والمسّراتُ الروحانيّة، وفرح بنفسه ممّا[٦] حصل فيها من آثار الحقّ، فيكون له نظران: نظر إلى الحقّ، ونظر إلى نفسه، فهو لذلك متردّد.

[السادسة: الوصول التامّ]

ثمّ لا يزال الفيض متوالياً عليه، ثابتاً لديه، إلى أن يغيب[٧] عن نفسه، فيلحظ جنابَ القدس فقط. وإن لحظ نفسَه فمِن حيث هي لاحظة للحقّ، لا من حيث هي متنقّشة متزيّنة به[٨]. وهذه الملاحظة لا تُنافي غيبةَ النفس عن ذاتها وملاحظتها جناب الحقّ.

وهذه الملاحظة دون الملاحظة السابقة التي ذكرنا أنّها ملاحظة النفس[٩] من حيث هي متزيّنة[١٠] بالحقّ تعالى، فهي مبتهجة بذاتها. وهذا[١١] الابتهاج وإن كان سببه الحقّ

(١) القرآن الكريم: ٤/٤٨
(٢) به: _ AB
(٣) يصير سرّه: تصير نيّرة AB
(٤) تحاذي: يحاذي به P
(٥) B227a
(٦) ممّا: لما P
(٧) يغيب: تغيب AB
(٨) متزيّنة به: مترتّبة منه AB
(٩) النفس: للنفس P
(١٠) متزيّنة: مترتّبة AB
(١١) هذا: هذه AB

الأوّل، فهو إعجاب بالنفس، متوجّه إليها. فيكون[١] السالك متوجّهاً إلى نفسه تارةً، وإلى الحقّ أُخرى، فيكون لذلك متردّداً. وفي مسألتنا هذه يكون متوجّهاً إلى الحقّ بالكلّيّة، إلّا أنّه يلحظ نفسَه من حيث هو لاحظُ المتوجّهَ إليه، وملاحظتُه المتوجّهَ إليه تستلزم ملاحظته[٢] المتوجّهَ، فهي غير منفكّة عنها، فتكون[٣] ملاحظة مجازيّة.

وهذه المرتبة آخر درجات إلى الحقّ تعالى، وهي درجة الوصول التامّ، ولم يبقَ بعدها إلّا درجات السلوك فيه تعالى[٤]، وهي تنتهي عند المَحق[٥] والفناء.

[السابعة: الاتّحاد والوقوف]

وتحقيق هذا أنّ عظماء الصوفيّة يزعمون أنّ تكميل الناقصين إنّما يكون بأمرين:

أحدهما: تخلية وتزكية، وهو خلوّ القلب عمّا سوى اللّه، وهو أمر سلبيّ، و[٦] قد تقدّم ذكره.

وثانيهما: تحلية، وهي تحلية القلب بالأُمور الوجوديّة، التي هي نعوت الإلهيّة وصفات[٧] الربوبيّة. وهي ليست بأقلّ من درجات التخلية عن الأخلاق الذميمة العائدة إلى الأوصاف العدميّة.

وتفصيلها على سبيل الإجمال أنّ[٨] العارف إذا تخلّى عمّا سوى اللّه، وانقطع عن نفسه، ثمّ اتّصل بالحقّ تعالى، فإنّه[٩] يرى كلَّ قدرة مستغرقةً في القدرة الإلهيّة المتعلّقة[١٠] بجميع المقدورات، وكذلك كلَّ علم وإرادة [مستغرقاً][١١] في إرادته وعلمه

(١) فيكون: فتكون AB
(٢) ملاحظته: ملاحظة P
(٣) فتكون: فيكون AB
(٤) وهي درجة ... تعالى: _ AB
(٥) المحق: المحو P
(٦) و: _ P
(٧) B227b
(٨) أنّ: لأنّ B
(٩) فإنّه: + كما B
(١٠) نهاية الورقة الساقطة من مخطوطة A
(١١) مستغرقاً: مستغرق ABP

المحيط بجميع الأشـيـاء. وبالجملة كلّ وجود وكمال للوجود[١] فهو صـادر [له][٢]، وقاهر له[٣]، ومحيط به، ومشتمل عليه. فيصـير الحقّ تعالى بصرَ هذا العارف وسمعَه ويـدَه ورجلَـه وقـدرتَه، كما جاء في الخبر[٤]: «لا يزال العبد يتقرّب إليَّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحبَبتُه صرتُ بصرَه الذي يبصر به، وسمعَه الذي يسمع به، ويدَه التي يبطش بها»[٥]، وكذلك في جميع النعوت والأوصاف. فيصير السالكُ العارف متخلّقاً بأخلاق البارئ[٦]، ويشاهد تكثُّرها[٧] بالقياس إلى الموجودات الممكنة، واتّحادَها بالنسبة إلى مبدأ الكلّ الواحد من جميع الوجوه؛ فإنّك[٨] قد علمتَ ـ في ما قبل ـ أنّ علمه وقدرته وإرادته وغير ذلك من الصـفات الإضافيّة عين ذاته، وأنّ الوجود الذاتيّ إنّما هو له، دون غيره من أنواع الممكنات. فيُعلم[٩] من ذلك أنّه ليس في الوجود صفاتٌ مغايرة للذات، وليس هناك ذات توصَف بالصفات، بل الكلّ شيء واحد، لا شيء غيره.

فإذا انتهى السالك إلى هذا المقام[١٠]، لم يبقَ هناك واصف ولا موصوف، ولا سالك ولا مسلوك، ولا عارف ولا[١١] معروف، ويسمّى هذا المقامُ مقامَ الاتّحاد والوقوف.

[غرض العارف من المعرفة]

ويجب أن تعلم أنّ غرض العارف من المعرفة إذاً ليس[١٢] نفس العرفان، فليس عند عظماء هذه الطائفة من الموحّدين لإرادته مع الحقّ غيرَ الحقّ تعالى؛ فإنّ العرفان غير

(١) للوجود: وجود AB
(٢) له: عنه ABP
(٣) قاهر له: فائض عنه P
(٤) الخبر: + أنّه P
(٥) جامع الأخبار: ٨١؛ إرشـاد القلوب: ٩١/١؛ عوالي اللئالي: ١٠٣/٤
(٦) البارئ: الحقّ P
(٧) تكثّرها: بكثرها A
(٨) فإنّك: فأنكر A
(٩) فيعلم: فعلم P
(١٠) المقام: + مقام الاتّحاد P
(١١) B228a
(١٢) ليس: كان P

المعروف لا مَحالة، فيكون حاله كحال[١] المبتهج بذاته[٢]، وإن كان بالحقّ. و[٣] إن كان غرضه من المعرفة نفس الحقّ الأوّل، وغاب عن نفسه، فقد غاب عن العرفان الذي هو عبارة عن حالة ذاته. فهذا العارف هو الواجد[٤] للعرفان، كأنّه لم يجده، بل[٥] يجد المعروف لا غير.

فهذا هو العارف المحقّق الواصل إلى ذات الحقّ الأوّل ـ تبارك وتعالى ـ، وهي آخر درجة الوصول إلى الحقّ، ولم يبقَ بعدها[٦] إلّا درجات السلوك فيه، وهي درجات التحلية بالأُمور الوجوديّة التي هي الأوصاف[٧] الإلهيّة[٨].

[استحالة التعبير عن درجات السلوك فيه]

وهذه الدرجات متناهية بالنسبة إلى قوى السالكين من البشر؛ لأنّ آخرها هو الفناء في التوحيد، وهو الاتّصال التامّ بالحقّ، والسلوك فيه، والاستغراق فيه و[٩] في مشاهدته، مع الغيبة عن الشعور بذاته، وهي غير متناهية بالنسبة إلى شدّة نوريّته الغير المتناهية.

ولا يمكن التعبير عن هذه الدرجات العظيمة والمراتب الجليلة؛ لكون العبارات إنّما هي موضوعة للمعاني المتصوَّرة لأرباب اللغات بالقوى البدنيّة الخياليّة والوهميّة المخزونة في الحافظة المتذكّرة. وهذه الدرجات لا يمكن أن يصل إليها إلّا السالك الغائب عن ذاته؛ لاستغراقه بالحقّ، فكيف يمكن أن يعبَّر عنها بالعبارات[١٠] اللفظيّة المحتاجة إلى الآلات الجسمانيّة والقوى البدنيّة؟ فوضعُ الألفاظ لتلك الدرجات

(١) كحال: كحالة AB
(٢) بذاته: برتبة ذاته P
(٣) و: ـ A
(٤) هو الواجد: فهو الواحد A
(٥) بل: + لم AB
(٦) المعروف لا غير ... بعدها: ـ AB
(٧) الأوصاف: + الوجوديّة P
(٨) A303a
(٩) فيه و: ـ P
(١٠) B228b

والتعبير عنها بالعبارات محال.

وما أحسن ما عبّر الشيخ الرئيس عن هذا بقوله: «فإنّه لا يفهمها الحديث، ولا يشرحها العبارة، ولا يكشف[١] المقال عنها غير الخيال[٢]. ومن أحبّ أن يعرفها[٣] فليتدرّج إلى أن يصير من أهل المشاهدة، دون المشافهة، ومن الواصلين إلى العين، دون السامعين للأثر»[٤]؛ فإنّ ما يمكن أن يعايَن بعين اليقين، لا يمكن أن يعايَن بعلم اليقين، المفتقرِ إدراكه إلى القوى البدنيّة والألفاظ المعنويّة اللغويّة.

[مراتب الوصول عند بعض الحكماء والصوفيّة]

وبعض الحكماء والصوفيّة يجعلون مراتب الوصول ثلاثة؛ لأنّ السالك إذا قطع العلائق البدنيّة والشواغل الحسّيّة، وداوَم على الذكر زماناً، فيأتيه البوارق والخواطف، وتتوالى[٥] عليه حتّى يكثر[٦] عليه ورودها، ثمّ تثبت[٧] وتصير سكينة.

ولا يزال[٨] في الزيادة حتّى يصل[٩] إلى المرتبة الثانية[١٠]، وهي الحرق، وهي[١١] مشاهدة النفس مجرّدة عن جميع الأقطار والجهات.

ثمّ لا يزال[١٢] في الترقّي والازدياد حتّى تبلغ[١٣] المرتبة الثالثة، وهي الطمس[١٤]، أي انطماس النفس في الأنوار المجرّدة ومحوها فيها.

وأنت لا يخفى عليك هذه المراتب الثلاثة بعد إحاطتك بما ذكرناه[١٥].

---

(١) يكشف: تكشف AB
(٢) الخيال: الحال AB
(٣) يعرفها: يتعرّفها P
(٤) الإشارات والتنبيهات: ٣٦٤
(٥) تتوالى: ما يتوالى AB
(٦) يكثر: تكثر A
(٧) تثبت: يثبت A
(٨) يزال: تزال AB
(٩) يصل: تصل AB
(١٠) الثانية: الثابتة AB
(١١) وهي: _ P
(١٢) يزال: تزال AB
(١٣) يبلغ: تبلغ B
(١٤) A303b
(١٥) ذكرناه: + من قبل P

[توهُّم الاتّصال لبعض السلّاك عند حصول بعض الأنوار الواردة عليهم]

وذكر الشيخ الإلهيّ في حكمة الإشراق(١) بعد أن ذكَر أصناف الأنوار الواردة على إخوان(٢) التجريد، أنّ أعظم الملَكات الحاصلة للسالكين ملَكةُ موت ينسلخ النور المدبّر عن الظلمات البدنيّة انسلاخاً غير خالٍ عن بقيّة علاقة(٣)، ويصير(٤) كأنّه موضوع في النور(٥) المحيط.

قال: وهذا المقام عزيز جدّاً، حكاه أفلاطون عن نفسه، وكذا هرمس وكبار الحكماء، وكذلك صاحب هذه الشريعة وغيرهم من المنسلخين عن النواسيت.

وذكر في المطارحات(٦) أنّ السُلّاك حصلت لهم في حال التعلّق البدنيّ أنوارٌ مُلذّة في غاية اللذّة من إفاضات الجواهر العقليّة. فللمبتدئ نور خاطف، وللمتوسّط نور ثابت، وللفاضل نور طامس ومشاهدة عِلويّة.

ثمّ ذكر أنّ بعضهم توهّم أنّ حضور هذه الأنوار المذكورة وغشيانها، إنّما هو لاتّصال النفس بالحقّ الأوّل(٧).

[بطلان الاتّحاد والحلول]

وأنت فقد عرفتَ بطلان الاتّحاد المذكور، اللّهمّ إلّا أن يعنى(٨) به حالة روحانيّة تليق(٩) بالمفارقات العقليّة ـ كما ذكرناه قبل، وسنذكره في ما بعد ـ من غير أن يُفهَم منه

(١) حكمة الإشراق: ٢٥٥

(٢) B229a

(٣) علاقة: علائقه A، + إلّا أنّه يبرز إلى العالم العلويّ والنور الربوبيّ ويتعلّق بالأنوار المجرّدة العقليّة وحينئذٍ يرى جميع الحجب النوريّة بالنسبة إلى نور الأنوار كأنّها شفّافة P

(٤) يصير: تصير A

(٥) النور: + AB

(٦) المشارع والمطارحات (العلم الثالث): ٥٠١

(٧) الأوّل: + تعالى P

(٨) يعنى: نعني A

(٩) تليق: ـ AB

اتّصالٌ جرميّ وامتزاجٌ جسمانيّ، أو[١] بطلانُ إحدى[٢] الهويّتين.

وتوهُّم الحلول نقص وجهـل، إلّا أن يعنى[٣] بـه أمر آخر[٤]، وهو أنّ النفس وإن لم تكن[٥] في البدن، فبينها وبينه علاقة شـوقيّة شديدة. فهي لذلك تشير إلى البدن بـ«أنا»، حتّى ظنّ أكثر الخلق أنّ الأبدان[٦] هي ذواتها، لنسيانها أنفسها، كما قال اللّه[٧] تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿نَسُـوا اللَّهَ فَأَنْسـاهُمْ أَنْفُسَـهُمْ﴾[٩]. وإذا كان كذلك، فيمكن أن يحصـل لبعض النفوس[١٠] مع الحقّ الأوّل علاقةٌ شـوقيّة عشـقيّة نوريّة، بحيث يحكم عليها شعاعٌ طامس منه[١١]، يمحو عنها الالتفات إلى غيره تعـالى. فحينئـذٍ تغيب عن ذاتها وغيرها ما عدا الحقّ، فتشـير إلى[١٢] الحقّ[١٣] بـ«أنا» إشـارةً روحـانيّة، فيسـتغرق الإنّيّات[١٤] في النور الأوّل القاهر الغير المتناهي شـدّةً. والفاضـل المتألّه هو[١٥] الذي يصير بدنه كقميص، يخلعه[١٦] تارةً، ويلبسه أُخرى. فإن شاء عرج إلى عالم النور البحت، وإن شاء ظهر في أيّ صورة أراد. >[١٧]



(١) أو: و A

(٢) إحدى: أحد AB

(٣) يعنى: نعني A

(٤) أمر آخر: امتزجه AB

(٥) تكن: يكن AB

(٦) الأبدان: للأبدان A

(٧) اللّه: _ P

(٨) القرآن الكريم: ٢٤/٨

(٩) القرآن الكريم: ١٩/٥٩

(١٠) B229b

(١١) منه: _ AB

(١٢) فتشير إلى: فيشير AB

(١٣) A304a

(١٤) الإنّيّات: الإنسان AB

(١٥) هو: _ AB

(١٦) يخلعه: يجعله A

(١٧) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٦٤٢/٣ _ ٦٥٥

Mūḍiḥ al-dirāyah
li-sharḥ Bāb al-bidāyah

Mūḥammad b. Alī b. Abī Jumhūr al-Aḥsāʾī
(d. beginnings of 10th/16th century)

Volume 3

Edition & Research:
Reza Yahyapur Farmad

Mu'assasat Ibn Abī Jumhūr al-Aḥsā'ī
li-Iḥyā' al-Turāth
Bayrūt - 1442/2021

الطبعة الأُولى
لبنان ـ بيروت
١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م
ISBN:

بطاقة تعريفيّة بالكتاب:
عنوان الكتاب: موضح الدراية لشرح باب البداية
تأليف: الشيخ محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ (المتوفّى أوائل القرن العاشر الهجريّ)
تصحيح وتحقيق: رضا يحيى پور فارمد
الناشر: مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث
وكيل النشر: دار المحجّة البيضاء، لبنان ـ بيروت ـ الرويس، تلفاكس: ٠٠٩٦١١٥٥٢٨٤٧
عدد الأجزاء: أربعة مجلّدات
تاريخ النشر: ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢١ م
عدد صفحات الكتاب: ١٦٢٠ صفحة
كمّيّة الطبعة الأُولى: ١٠٠٠ دورة

مؤسّسة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث
مؤسّسة علميّة ثقافيّة مستقلّة، تعنى بنشر وإحياء تراث علماء الأحساء
الموقع الرسميّ للمؤسّسة على شبكة الإنترنت: www.Ibnabijumhur.com
البريد الإلكترونيّ للمؤسّسة: Ibnabijumhur@gmail.com
المركز الرئيسيّ للمؤسّسة: لبنان ـ بيروت

موضح الدراية لشرح باب البداية

تأليف

الحكيم الإلهي والفقيه المحدث

الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي

(المتوفى اوائل القرن العاشر الهجري)

المجلد الرابع

تصحيح و تحقيق

رضا يحيى پور فارمد

مؤسسة ابن أبي جمهور الأحسائي
لإحياء التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

[الفصل الرابع والعشرون: في ملاحظات حول هذه المقامات]

[تقارُب معاني جميع هذه الاصطلاحات]

وبعد الاطّلاع على هذه الغوامض، فلا[١] يتمّ لك المراد بها إلّا بواسـطة **جمع** هذه الاصطلاحات.

وحينئـذٍ نقول: [٢]< **اعلَم -أعـانك اللّه ووفّقك- أنّ هذه الاصـطلاحات وإن اختلفَت في عباراتها، فإنّ معانيها متقاربة. ويجمعها أنّها سـوانح تعرض للكلمة، إمّا من البدن، أو من العالم الأعلى الروحانيّ. ومحو الروحانيّات للجرمانيّات؛** >[٣] فإنّ تحقُّق[٤] الأُمور الروحانيّات، وقهرَها على المحلّ النفسـانيّ، بالضـرورة موجبٌ لامتحاء الآثار الجرميّة والصـفات المادّيّة. [٥]< وثبوتُ[٦] الصـور الجرميّة في النفس، واشـتغالُها بشـواغلها العائقة عن وصـول الروحانيّات، سببٌ لمحو الأنوار وانطماسها. وإليه الإشـارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ[٧] وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾[٨]، الذي هو واهب العلوم، وفيه الصور الحقيقيّة بأسرها. >[٩]



(١) فلا: ولا A

(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٣ _ ٧٣٤

(٤) تحقّق: يتحقّق A

(٥) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٦) ثبوت: إثبات P

(٧) يشاء: شاء B

(٨) القرآن الكريم: ٣٩/١٣

(٩) كلمة التصوّف: ١٣٧

[النسبة بين المعرفة والمحبّة]

[١]< **وأمّا المعرفة فقد تتقدّم[٢] على المحبّة، وقد يتقدّم المحبّة عليها. ومتى كمُلت[٣] المعرفة أوجبَت المحبّة، وإذ تمّت المحبّة استدعَت المعرفة.** >[٤]

[٥]< ولكن كثير من المحبّين يتلذّذون بالأنوار، ولا يعرفون حقائق العارفين[٦]، وقد شوهِد جماعةٌ كثيرة من هذه الطائفة[٧].

وما أحسن ما قال الجنيد ـ رحمه اللّه ـ: «لا يضرّ زيادة العلم مع نقصان الوجد، وإنّما يضرّ زيادة الوجد مع نقصان العلم»[٨].

والمحبّة من لوازم المعرفة، وإن كانت[٩] قليلة. وكلّ معرفة توجب محبّة، وإن كانت المحبّة قليلة. فإذا كمُلت النفس بهما، فذلك ﴿نُورٌ عَلى نُورٍ﴾[١٠]. >[١١]



---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) تتقدّم: يتقدّم A

(٣) كملت: كلمت P

(٤) أنوار الحقيقة: ٧٣٤

(٥) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٦) B230a

(٧) شوهد ... الطائفة: شاهدتُ منهم جماعة P

(٨) رسائل الجنيد: ٢٦٤

(٩) كانت: + المعرفة P

(١٠) القرآن الكريم: ٣٥/٢٤

(١١) كلمة التصوّف: ١٣٧ ـ ١٣٨

[اشتراط الفطنة لنيل الغرض من دون تعب كثير]

(١)< **ومتى كنتَ ذا فِطنة وحدس قويّ، تحدّسـتَ أحوالك في تنزّلاتك.** <(٢) وإنّما يحصل(٣) ذلك للمحبوب. فمن كان لنفسه فِطنة قويّة وحدس بالغ، فهو محبوب. وحينئذٍ فهو ينال غرضَه من دون تعب كثير وكدّ عظيم، ما لا يناله(٤) غيره.

و[تعرف تنزّلاتك](٥) (٦)< **من مكاشـفات المفارقات، ونلتَ مقصـودك من دون تعـب كثير، مـا لا ينالـه غيرك مع شـدّة التعـب.** <(٧) وذلـك أنّه متى عرف منازله ومقاماته ومناسـباته في المقامات المذكورة، وخصـوصـاً في مقام المكاشـفة(٨)، فإنّه يعرف مقدار ما حصل له من القرب من المفارقات.

ولهـذا قـال بعضـهم: إنّ العارف قد ينتقل من مقام إلى غيره، وقد بقي فيه بقايا لم [يسـتوفها](٩)، فتتّضح له، ويطّلع عليها من المقام الأعلى؛ لأنّ كلّ مقام له فروع كثيرة ودقائق خفيّة، لا يدركها حقَّ(١٠) الإدراك ما دام في ذلك المقام؛ لأنّ المقارن للشيء لا يطّلع عليه [اطّلاعاً](١١) تامّاً؛ لشدّة القرب الذي هو كالحجاب، كحال المبصَر الشديد القرب من الباصـرة. فإذا ارتقى عنه، وتعلّى عليه، وصـار متجرّداً(١٢) عن [العوائق](١٣)،

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٤
(٣) A304b
(٤) يناله: ينال A
(٥) تعرف تنزّلاتك: يعرف تنزّلاته AB
(٦) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٧) أنوار الحقيقة: ٧٣٤
(٨) المكاشفة: المكاشف A
(٩) يستوفها: يستوفيها AB
(١٠) حقّ: حتّى A
(١١) اطّلاعاً: _ AB
(١٢) B230b
(١٣) العوائق: عوائق AB

تمّت المقابلة بحصول المفارقة والخروج عنه. فالتجرّد بالنسبة إليه الموجب لسلخ العلاقة موجب للاطّلاع على غوامضه وأسراره، وهكذا حاله[١] في جميع المقامات.

وبعضهم قال بوجوب ذلك، وزعم أنّ العارف ما لم يرتقِ إلى المقام الأعلى، لا يطّلع على حقيقة المقام الأدنى غايةَ الاطّلاع؛ لأنّ الاطّلاع على الأشياء إنّما هو من جهة ما هو أعلى منها.

وفي هذا سرٌّ دقيق؛ إذ به يُعرَف أنّه لا يمكن الاطّلاع على حقيقة نور الأنوار؛ لأنّه لا أعلى ولا أجلّ [منه][٢]، وليس وراءه ما هو أتمّ منه، ليرتقي إليه، فيطّلع عليه به.



(١) حاله: حالة A

(٢) منه: به AB

[دور الشيخ في توصيل السالك إلى المقصود]

[١]< **وللمشـايخ في ذلك مدخل عظيم؛** >[٢] [٣]< لأنّ لهم بواسـطة الاطّلاع على حقـائق العرفـان، والعلمِ بـالمقامات، وكيفيّةِ قطعها، والانتقالِ من كلّ واحد منها أدنى إلى ما هو أعلى منه، قدرةً على تعريف السـالك، وإيقافِه في المواقف[٤]، وتوصيلِه إلى المطالب، بدون تعب كثير وكدّ مُتعِب.

ولا ريـب في أنّ لهم في ذلك [مدخلاً قويّاً][٥]؛ فإنّ الشـيخ لمّا سـلك الطريق، وعرفه، وتشـعّبت له كثرة فنونه[٦]، صـار له خبرة قويّة[٧] في أنّ[٨] أيّ الطرق[٩] أقرب، وأيّها أسهل، وأيّها أسرع، فيسلك بالطالب من ذلك الطريق، فيصل[١٠] في أقرب وقت. بخلاف من لم يأخذ عن الشـيخ، ويريد أن يصـل وأن يسـلك بنفسـه؛ فإنّه يحتاج إلى معاناة وسـلوك طرق[١١] متعدّدة، حتّى يعرف أيّها الطريق الموصِلة. فربّما سلك طريقاً، واتّضـح له غيرُه، فترَكه، فكاد أن لا يصـل، وإن وصل فبعد كدٍّ ومعاناةٍ طويلة[١٢] مُتعِبة وطول زمانٍ. >[١٣]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٤
(٣) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٤) A305a
(٥) مدخلاً قويّاً: مدخل قويّ ABP
(٦) فنونه: قنوته A
(٧) قويّة: ـ P
(٨) أنّ: ـ AB
(٩) الطرق: الطريق BP
(١٠) فيصل: ـ P
(١١) طرق: طريق B، ـ P
(١٢) B231a
(١٣) أنوار الحقيقة: ٧٢٤

ويحتمـل أن [يكون][١] للمشـــايخ مدخل في تعريفك مقاماتك بالعلامات[٢]، فلا تشتبه عليك، ولا تختلط[٣]، فيسهل عليك التفرقة، فيقرب[٤] الوصول.



(١) يكون: ـ AB

(٢) بالعلامات: بالمقامات A

(٣) تختلط: يختلط A

(٤) فيقرب: بقرب A

[حصول الأهليّة بالمعارف والمكاشفات]

(١)< **والأهليّة للخدمة إنّما تحصــل بالمعارف والمكاشــفات.** >(٢) والمُعَنّى لا يكون من أهل هذه الطريقة إلّا بأمرين:

ـ بحصــول الحقـائق والمعارف الحقيقيّة الحاصــلة(٣) عن البراهين الحقّة؛ فإنّها الطريق إلى الوصـول، والسُلّم للصعود. ومن رام الوصول بدونها، خبَط خبطَ عَشواء(٤)، واستَهوَته(٥) الشياطين بكثرة الأوهام والتخيّلات المُردية(٦).

ومن هذا قال بعضــهم: إنّ المباحث الكلاميّة طريق إلى الحكمة البحثيّة والحقائق الرســميّة، فهي(٧) سُــلّم العروج إليها. والحكمة الرســميّة البحثيّة سُــلّم وطريق إلى الحكمة الإشـراقيّة، والدخولِ في أنوارها اللامعة وإشـراقها المضيئة. فمَن رام التوصّل، فليتـدرّج وليُعوّد(٨) نفسَــه بالترقّي في هذه الدرجات؛ فإنّ ذلك هو الشــرط الأوّل في الوصول إلى المطلوب(٩) بالذات.

ـ والشرط الثاني: حصولُ المكاشفات الإلهيّة بالمجاهدات المرضيّة، والرياضات النفسـيّة، وتحلية(١٠) السرّ بالأخلاق الحميدة، كما أُشير إليه في تضاعيف مباحث هذا

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٤

(٣) الحاصلة: الحاصليّة A

(٤) يُضـرَب مثلاً للسادر الذي يركب رأسه، ولا يهتمّ لعاقبته. (لسان العرب)

(٥) استهوته: ذهبَت بعقله وحيّرَته. (نفس المصدر)

(٦) المردية: المروية A

(٧) فهي: وهي A

(٨) ليعوّد: ليتعوّد A

(٩) المطلوب: المقصود B

(١٠) تحلية: يحلّيه A

الكتـاب[1] ورســالته الأصــليّة، مِن جمعِهما بين الأمرين، واطّلاعك بمعرفتهما على الحكمتين.

فلا يحصل الأهليّةُ للمكاشف من دون المعرفة، ولا للعارف من دون المكاشفة[2]. فلا بدّ من الجمع بين الفضيلتَين؛ ليفوزَ بالمقام الأعلى والمحلّ الأسنى، ﴿ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ﴾[3].



(١) A305b

(٢) B231b

(٣) القرآن الكريم: ٥٤/٥، ٢١/٥٧، ٤/٦٢

[تحقيق معنى الاتّحاد والاتّصال]

[١]< واعلَم أنّ الاتّحاد والاتّصــال لا يُتصــوَّر ـ على الظواهر[٢]ـ في ما ليس بجسم، بل هو راجع إلى[٣] استغراق النفس لأجل العلوم، بل راجع إلى انتقاش النفس بأمر غيبيّ يتأدّى إلى الحسّ المشــترك، فهو معنى الاتّصــال والاتّحاد. فالاتّصال بالعالم القدسيّ[٤] هو رفع الحُجُب[٥]، فهو اتّحاد عقليّ. >[٦]

[استحالة الاتّحاد والاتّصال والامتزاج في غير الأجسام]

[٧]< وبيانه: أنّ الاتّصــال والامتزاج ليس بمتصوَّر[٨] ـعلى المعاني الظاهرةـ في ما ليس بجســم، ولا الاتّحادَ؛ فإنّ النفوس بعد المفارقة، إن اتّصــل بعضــها ببعض، أو[٩] بواجب الوجود، أو[١٠] امتزجت، فهي أجسام، وهذا محال.

وشيئان غير جسمين لا يمكن اتّحادهما؛ لأنّه[١١]:

ـ إن بقي كلاهما، فهما اثنان، فلا اتّحاد.

ـ أو بطل كلاهما، فلا اتّحاد.

ـ أو بقي أحدهما وانتفى الآخر، فلا اتّحاد أيضاً.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) الظواهر: ظواهر A

(٣) إلى: ـ A

(٤) القدسيّ: ـ AB، + والحضور في حضراته P

(٥) الحجب: ـ P

(٦) أنوار الحقيقة: ٧٣٤

(٧) بداية العبارات المنقولة من: كلمة التصوّف.

(٨) بمتصوّر: يتصوّر A

(٩) أو: و AB

(١٠) أو: و AB

(١١) لأنّه: فإنّه P

[المراد من هذه الألفاظ عند الصوفيّة]

بل هذه الألفاظ كلّها راجعة إلى اختلاس النفوس واستغراقها في اللذّة والبهجة ـ على ما سبق ـ.

وقد عرفتَ أنّ النفس ليست واحدة لجميع[١] الأبدان، وإلّا كان مُدرَك كلّ واحد مُدرَكاً للكلّ، وأنانيّة كلّ واحد بعينها أنانيّة الآخر، وهو محال.

فهذه الأحوال كلّها راجعة إلى علوم ولذّات سمِّيت تلك اللذّات[٢] ـ إن كانت سريعة الزوال ـ سوانح. فإذا ثبتَت على وجهٍ[٣]، تسمّى[٤] باسم، وعلى آخر بآخر. والكلّ راجع إلى علم و[٥] بهجة و[٦] معرفة وانتقاش بأمر غيبيّ يتأدّى إلى الحسّ المشترك. فما يُتوهّم حينئذٍ[٧] من الاتّحاد[٨] فإنّما هو لشدّة القرب[٩].

وقد اعترف الحلّاج ـ رحمه اللّه ـ بذلك حيث قال: «أدنيتَني[١٠] منك حتّى ظننتُ أنّك[١١] أنّي[١٢]»[١٣].

بل اعترف الحكماء[١٤] والأولياء بالاتّصال[١٥] بالعالم الأعلى، وهو عبارة عن[١٦] رفع الحُجُب، فيكون اتّحاداً عقليّاً.

ويظهر في المقام[١٧] أُمور كتمُها[١٨] أولى[١٩] مِن إظهارها، وطيُّها أحسن مِن نشرها،

---

(١) لجميع: بجميع AB
(٢) اللذّات: + و AB
(٣) وجه: جهة P
(٤) تسمّى: يسمّى AB
(٥) و: أو P
(٦) و: ـ P
(٧) حينئذٍ: ـ P
(٨) B232a
(٩) القرب: قرب P
(١٠) أدنيتني: أدّبتني A
(١١) أنّك: أنكر A
(١٢) أنّي: أنا AB
(١٣) ديوان الحلّاج: ١٦٥
(١٤) الحكماء: + والعلماء P
(١٥) بالاتّصال: باتّصال P
(١٦) عن: ـ A
(١٧) يظهر في المقام: هاهنا P
(١٨) كتمها: كتمانها P
(١٩) A306a

يعرفها أهلُ ذوقها، واللّه الموفِّق. >[١]

[مذهب فرفوريوس وأتباعه في اتّحاد العاقل بالمعقول]

[٢]< وقد يقرَّر هذا البحث بطريق آخر، فنقول: قد ظنّ جماعةٌ مِن قدماء الحكماء ـ كفرفوريوس وأتباعه ـ أنّ إدراك ما من شأنه أن يدرِك ـ كالنفوس الناطقة ـ أن يصير المدرِك نفسُه نفسَ صورة المدرَك عند إدراكه له[٣]، وهذا هو[٤] اتّحاد المدرِك بالصورة[٥] المدرَكة. وقد سبق إلى بطلان هذا إشارةٌ[٦] من أنّ شيئاً[٧] لا يصير بعينه شيئاً آخر؛ فإنّه:

ـ إن بقي الأوّل مع حصول الثاني، فهما[٨] اثنان، فلا اتّحاد.

ـ وإن بطل الأوّل وبقي الثاني، أو بقي الأوّل وبقي الثاني، فليس ذلك باتّحاد؛ لأنّه لم يصِر أحدهما الآخر بعينه.

ـ وإن بطلا كلاهما[٩]، فلم يبقَ شيء ليصحّ عليه الاتّحاد[١٠].

فعلى كلّ واحد من التقادير[١١]، لا يصحّ قولهم: «إنّ المُدرِك[١٢] يصير نفس الصورة المُدرَكة عند الإدراك»، وقد علمتَ أنّ شيئين لا يصيران شيئاً واحداً، إلّا باتّصال وامتزاج وتركيب. والإدراك ليس فيه شيء من ذلك، فليس بطلانُ أحد جزئَي شيء وبقاء الآخر، أو بطلانُهما[١٣]، أو بقاؤهما اتّحاداً حقيقيّاً، وإن سُمّي اتّحاداً فعلى سبيل المجاز.

ومع كون الاتّحاد الإدراكيّ[١٤] على هذا الوجه ليس باتّحاد حقيقيّ، فهو غير حاصل

---

(١) كلمة التصوّف: ١٣٨ ـ ١٣٩

(٢) بداية العبارات المنقولة من: رسائل الشجرة الإلهيّة.

(٣) له: ـ AB

(٤) هو: ـ AB

(٥) بالصورة: الصورة A

(٦) إشارة: الإشارة AB

(٧) شيئاً: واحداً بعينه AB

(٨) فهما: فيها A

(٩) الأوّل وبقي الثاني ... كلاهما: ـ AB

(١٠) عليه الاتّحاد: وقوع الاتّحاد عليه P

(١١) التقادير: + الأربعة P

(١٢) المدرك: + نفسه P

(١٣) أو بطلانهما: ـ AB

(١٤) الإدراكيّ: الإدراك AB

إلّا[(١)] للأجسام والأجرام، دون غيرها من الجواهر والأعراض. فالاتّحاد من خواصّ الأجسام[(٢)]، فلا يصحّ أن يُقال في النفس الناطقة التي هي جوهر مفارق: «إنّها تتّحد[(٣)] بالمعقولات والمُدرَكات التي تدركها[(٤)]».

فبطل أيضاً الاتّحاد الذي يدّعيه[(٥)] بعضُ جُهّال الصوفيّة وجماعة من النصارى، القائلين باتّحاد العارف والمسيح مع الحقّ تعالى[(٦)].

وأمّا الاتّحاد الحقيقيّ فهو ـ كما ذكرنا ـ أن يصير شيء واحد بعينه شيئاً[(٧)] واحداً[(٨)] آخر، وهو باطل؛ لِما[(٩)] مرّ.

نعم[(١٠)]! قد يصير الأسود أبيض، والماء هواء، ولكن ليس[(١١)] معناه أنّ الأسود من حيث هو أسود يصير أبيض، ولا[(١٢)] الماء من حيث هو ماء يصير هواء، بل معناه أنّ الجسم الذي كان موصوفاً بالسواد زال عنه السواد[(١٣)]، وحصل فيه البياض. والصورة المائيّة زالَت عن الماء، وحصلت فيه الصورة الهوائيّة، والمحلّ في الصورتين واحد متعيّن[(١٤)]. فالنفس إن حصلَت بلا[(١٥)] صورة، أو حصلَت صورة[(١٦)] ولا نفس، أو بطلا، فلا إدراك؛ وإن بقيا فهما اثنان، فلا اتّحاد.

والنفس[(١٧)] ليست ممّا يتجدّد في كلّ وقت، بل[(١٨)] جوهر ثابت واحد قبل الإدراك

---

(١) إلّا: ـ AB

(٢) B232b

(٣) تتّحد: يتّحد A

(٤) تدركها: يدركها A

(٥) يدّعيه: مدّعيه A

(٦) فبطل أيضاً ... تعالى: ـ P

(٧) شيئاً: شيء A، ـ P

(٨) واحداً: واحد A

(٩) لما: بما AB

(١٠) نعم: بلى P

(١١) ليس: ـ AB

(١٢) لا: ـ A

(١٣) A306b

(١٤) متعيّن: غير متغيّر P

(١٥) بلا: ولا P

(١٦) صورة: الصورة P

(١٧) النفس: + الشاعرة التي فينا P

(١٨) بل: + هو P

وبعده ومعه. والصـورة تحصل[١] مع بقاء النفس؛ فإنّي أعلم بالضرورة أنّي أنا[٢] مع الشعور ودونه، فلا معنى لهذا الاتّحاد الذي ذكره فرفوريوس. فهذا حكاية مذهب الاتّحاد[٣].

[مذهب قوم آخر من الحكماء الأوائل]

وقوم[٤] من الحكمـاء قالوا[٥]: إنّ النفوس إذا أدركت شـيئاً، فإدراكها هو اتّحادها[٦] بالعقل الفعّال، بحيث[٧] يصير النفوس المُدرِكة نفس حقيقة العقل[٨] الفعّال عند الإدراك. وهذا بطلانه كالأوّل.

[مذهب الشهرزوريّ في تبرير كلامهم]

وقـال بعض المتـأخّرين[٩]: إنّ هـاتين الطـائفتين من الحكمـاء المتـألّهين، وهم القائلون باتّحاد النفس بالصـور المدرَكة أو بالعقل الفعّال عند الإدراك. وهؤلاء[١٠] من الأفاضـل الواصلين[١١] والمجرّدين السالكين، وهم يقولون ببقاء النفوس بعد المفارقة، فيكون كـلّ واحـد[١٢] منهـا قـائمـاً بذاته، وله شـعور بذاته[١٣] وبغيره، ولكلّ واحد[١٤] ابتهاجات مخصـوصـة. ومن يقول بهذا، كيف يحكم بأنّ كلّ واحد من النفوس يتّحد بالصور[١٥] المذكورة أو بالعقل الفعّال؟

---

(١) تحصل: يحصل AB
(٢) أنا: + أنا P
(٣) فإنّي أعلم ... الاتّحاد: _ AB
(٤) قوم: + آخرون P
(٥) الحكماء قالوا: الحكماء الأوائل ظنّوا P
(٦) اتّحادها: اتّحادهما A
(٧) بحيث: فحيث B
(٨) العقل: _ B
(٩) وهو الشـهرزوريّ، في: رسـائل الشجرة الإلهيّة: ٤٧٤/٣
(١٠) وهم القائلون ... هؤلاء: _ AB
(١١) الواصلين: الحكماء المتألّهين P
(١٢) واحد: واحدة AB
(١٣) B233a
(١٤) واحد: واحدة AB
(١٥) بالصور: بالصورة P

فما نقَله الجماعةُ عنهم من الاتّحاد[١] على ظاهر أقاويلهم، ولا يتوجّه على مقاصدهم ولطائف كلماتهم[٢]. بل الحقّ أنّ مرادهم بالاتّحاد[٣] الاتّحادُ الذي يشير إليه أرباب التجريد ومشايخ الصوفيّة وأهل التحقيق من أهل الذوق التامّ[٤]، أنّ النفس إذا اتّصلت ببعض الأنوار المجرّدة في بعض الخلسات والانخلاع عن البدن، فلقوّة ما يلحقها[٥] من الابتهاجات العقليّة والالتذاذاتِ الروحانيّة وشدّةِ الإشراقات النوريّة، تغيب[٦] عن ذاتها وعن شعورها بذاتها، ويستولي عليها سلطانُ الأنوار المجرّدة[٧] العقليّة، فتفنى حينئذٍ عن ذاتها، ويعبّرون عن هذه الحالة بالاتّحاد.

وإذا[٨] وصل السالك إلى هذا المقام، وتلاشى نورُه الأضعف في النور الأشدّ الأقوى، وسكر[٩] بلذّات الأنوار القاهرة، وصارت الأنوارُ المجرّدة العقليّة مظاهرَ النفوس[١٠] الناطقة المتّصلة بها، فلا يرى النفسُ التي هذه حالها إلّا المظهرَ فقط. فينطق حينئذٍ بلسان ذلك المظهر، حتّى قال بعضهم: «أنا الحقّ»[١١].

و«سبحاني! ما أعظم شأني!»[١٢].

و«ليس[١٣] في الجبّة[١٤] سوى اللّه»[١٥].

---

(١) نقله الجماعة ... الاتّحاد: أورده الجماعة على الاتّحاد يتوجّه P

(٢) كلماتهم: + تدلّ على ذلك P

(٣) بالاتّحاد: باتّحاد النفوس بالصور العقليّة أو بالعقل الفعّال P

(٤) وأهل التحقيق ... التامّ: _ P

(٥) يلحقها: لحقها P

(٦) تغيب: بعينه A

(٧) المجرّدة: المجرّد A

(٨) وإذا: فإذا P

(٩) A307a

(١٠) النفوس: للنفوس P

(١١) قائله الحلّاج، كما في: الطواسين: ١٠٤

(١٢) قائله أبو يزيد البسطاميّ، كما في: قوت القلوب: ١٢٣/٢

(١٣) وليس: فليس AB

(١٤) الجبّة: الحقيقة AB

(١٥) قائله الجنيد، كما في: سرّ الأسرار: ٥٥

و:

أنـا مـن أهــوى ومـن أهــوى أنـا　　　نــحــن روحــان حــللــنا بدنــاً

فــإذا أبــصــرتنــي أبصــرتــه　　　وإذا أبــصرتــه أبــصــرتنــا[١]

وقد جاء في الخبر النبويّ: «إنّه لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل والعبادات[٢] حتّى أُحبّه. فإذا أحبَبتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورِجله الذي يمشي عليها»[٣].

فهذا أيضاً[٤] إشارة إلى ما ذكرناه.

وأمّا في العقل الفعّال، فلأنّ النفس لا تتمكّن[٥] من إدراك الصور العقليّة حتّى يشرق نورُ العقل:

ـ على الصور العقليّة، فتصير[٦] بذلك مجرّدة عن المادّة.

ـ وعلى النفس الناطقة، فتستعدّ[٧] بذلك لإدراك الصور العقليّة.

ويكون ذلك الإشراق العقليّ على النفس، وشدّة لمَعانها عليها، وانمحاق نورها في نور الفعّال، واستيلائه عليها، يعبَّر عن هذه الحالة بالاتّحاد؛ فإنّ النور الأضعف يغيب في النور الأشدّ، ولا يبقى للأضعف أثر عند استيلاء نور العقل عليه.

وأمّا اتّحاد النفس بالصور العقليّة، فإنّ النفس عند إدراك الصور المعقولة لا التفات لها إلى ذاتها، ولا إلى شعورها بذاتها وإدراكها لإدراكها[٨]. فهي لا تدرك إلّا ذلك

---

(١) قائله الحلّاج، كما في: ديوان الحلّاج: ١٥٨

(٢) B233b

(٣) جامع الأخبار: ٨١؛ إرشاد القلوب: ٩١/١؛ عوالي اللئالي: ١٠٣/٤

(٤) فهذا أيضاً: ـ AB

(٥) تتمكّن: يتمكّن A

(٦) فتصير: فيصير AB

(٧) فتستعدّ: فيستعدّ AB

(٨) لإدراكها: ـ A

المعقولَ المجرّد الروحانيّ، لا غير. فكأنّها[1] غائبة عن ذاتها باشتغالها بذلك المعقول. فلِلطافة المُدرِك[2] والمُدرَك وقوّة اتّصالهما، سمّوا ذلك الإدراكَ «اتّحادَ العاقل بالمعقول».

فهذا هو مراد الأوائل ـ رضـي اللّه عنهم ـ من الاتّحاد[3]، وليس مرادهم أنّ الاثنين يصيرا[4] واحداً من جميع الوجوه؛ فإنّ ذلك لا يقوله عاقل[5]، فضلاً عن الحكماء المتألّهين المؤيّدين بالأنوار الشارقة والإلهامات الصادقة. فاعرِف[6] ذلك؛ فإنّه الذوق التامّ. >[7]



(١) فكأنّها: فكلّها A
(٢) المدرك: المدركة AB
(٣) من الاتّحاد: بالاتّحاد AB
(٤) الاثنين يصيرا: شيئين صارا P
(٥) A307b
(٦) فاعرف: وقد أعرف A
(٧) رسائل الشجرة الإلهيّة: ٤٧٢/٣ ـ ٤٧٦

[الفصل الخامس والعشرون: في وصيّة المصنّف]

[بيان أنّ الواحد الحقيقي لا يتكثّر بانطباعه في مرايا متعدّدة]

ولمّا أكمل الرسالة، و[جمَع][١] مقاصده[٢] فيها، أشار إلى **وصيّة** هي خاتمة الرسالة، متعلَّق الوصـيّة طلّاب الوصـول إلى الحقّ. وهي: **اعلَم** ـأيّها الطالب لهذا المقصـود، والسـالكُ في هذا الطريق!ـ [٣]< **أنّ الشمس الواحدة لا تتعدّد[٤] بتعدّد مظاهرها؛** >[٥] فإنّ الشـعاع الحاصـل عن الشـمس متكثّر جدّاً بواسـطة تكثّر قوابله وحوامله، مع أنّ الشـمس جرم واحد بسيط، لا تعدّد فيه ولا تكثّر. فما[٦] لزم مِن تكثّر هذه الأشعّة الظاهرة فيها آثار جرم الشمس تكثّرُ الجرم الشمسيّ ولا تعدُّده. فاجعل ذلك مقياساً لك، تكسِر[٧] بـه صَـولـة نبوء[٨] طبعك عن عرفان أنّه الحقّ الواحد، وإنّما المتعدّد أفعالُه، الظاهر فيها آثارُه ومناسـباتُه وحيثيّاتُه ووجوهُه وأطوارُه ومظاهرُه. فهو في كلّ شـيء، وغيرُ كلّ شـيء. فهو الواحد الكثير، الباطن الظاهر، الأوّل الآخر، ﴿سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٩]. فهو الواحد الحقيقيّ، وإن تكثّر ظهورُه في المظاهر المتعدّدة فإنّه لا ينفى.

[١٠]< **بل والواحد الحقيقيّ لا يتكثّر بانطباعه في مرايا متعدّدة.** >[١١] وهذا تأنيساً آخر، تتسـلّق[١٢] به على معرفة[١٣] ما أنت بصـدده، من معرفة حقائق آثاره، وأنّه لا يلزم

---

(١) جمع: جميع AB
(٢) B234a
(٣) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٤) تتعدّد: يتعدّد P
(٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٤
(٦) فما: ـ A
(٧) تكسر: فكسر A
(٨) نبوء: بنور A
(٩) القرآن الكريم: ٩/٣١
(١٠) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١١) أنوار الحقيقة: ٧٣٤
(١٢) تتسـلّق: يتسـلّق A؛ تسـلّق: صـعِد على حائط. (لسان العرب)
(١٣) معرفة: ـ A

منهـا تكثّرُ حقيقتـه الوحدانيّة؛ فإنّك إذا تأمّلتَ شـخصـاً واحداً في مقابلة مرايا متعدّدة محيطـة بـه من جميع جهـاتـه، فإنّك تجد صـورةً منطبعة في جميع تلك المرايا. فتعدُّد صـورِه[١] فيها، وانطباعُه في كلّ مرآة منها، وانصـباغُه بهيئة كلّ واحدة وشـكلها[٢]، غيرُ مسـتلزم لتكثُّر ذلك الواحد ولا تعدُّده. كلّا! بل هو واحد في حقيقته[٣]، جزئيّ، لا تعدُّد فيه ولا تكثُّر. والتكثّرُ راجعٌ إلى تلك المظاهر والصـور المنطبع فيها آثاره. فناسِـب ذلك بما[٤] أنت فيه؛ فإنّه تناسُب لطيف[٥].



(١) صوره: صورة A

(٢) B234b

(٣) حقيقته: حقيقة A

(٤) بما: ما A

(٥) A308a

[تعدُّد الطرق الموصلة إليه تعالى]

[(١)]< **والمدينة واحدة.** >[(٢)] وكنى بها هاهنا عن حضـــرة الربوبيّة، من حيث إنّها مقصـود ومطلوب ومسـلوك إليه. فهو معشـوق الجميع ومطلوب الكلّ، فتلك الحضرة المقدّسة كالمدينة الواحدة.

[(٣)]< **والطرق إليها كثيرة** >[(٤)] شتّى؛ لأنّ المدينة الواحدة قد يتعدّد طرُقها[(٥)]، التي يســلُكها القوافلُ والداخلون إليها من جميع نواحيها، طلباً للمنافع المشــتملة عليها. فليس كثرةُ طرقها وتعدُّد المُستطرقين[(٦)] إليها [موجباً][(٧)] لتعدُّدها، بل هي على وحدتها الصِرفة. والحديث النبويّ مشيرٌ إلى هذا المعنى، في قوله ـعليه السلامـ: «إنّ الطرُق إليـه تعـالى بعـدد[(٨)] أنفـاس الخلائق»[(٩)]، إلّا أنّ [طريق الحقّ واحـد مفرد][(١٠)]، والسالكون طريقَ الحقّ أفراد. فلا تستوحِش من سلوك طريق الحقّ لقلّة سالكه.

وتـلـك الـطـرق مع كثرتهـا [(١١)]< **مختلفـة في القرب والبُعـد، والحُزونـة[(١٢)] والســهولـة. والحركـات متعـدّدة [بتعـدّد][(١٣)] المتحرّكين.** >[(١٤)] ولهذا يختلف[(١٥)]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٤

(٣) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٤) أنوار الحقيقة: ٧٣٤

(٥) طرقها: طرفها A

(٦) المستطرقين: المستطرقون A

(٧) موجباً: موجب AB

(٨) بعدد: تعدّد A

(٩) لم أعثر عليه في كتب الفريقين.

(١٠) طريق الحقّ واحد مفرد: الطريق الحقّة واحدة مفردة AB

(١١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(١٢) الحزونة: الخزونة B؛ الحزونة: الخشونة. (لسان العرب)

(١٣) بتعدّد: يتعدّد AB

(١٤) أنوار الحقيقة: ٧٣٤

(١٥) يختلف: مختلف A

وجوهُها باختلاف أحوال سالكيها، من اعتدالِ المزاج وانحرافه، وملازمةِ الباعث ومَغيبه، وقوّةِ روحانيّته وضعفها، واستقامةِ [همّته][١] وميلها، وصحّةِ توجُّهها وسقمه. فمنهم [مَن][٢] يجتمع له هذه الأوصاف كلّها، ومنهم مَن يجتمع له[٣] بعضها. فقد يكون مطلب[٤] القوّة[٥] الروحانيّة شريفاً، ولا يساعده المزاج.

[القرب والبُعد بالنسبة إلى الحضرة الإلهيّة]

[٦]< وبسط البحث ونشره أن نقول: اعلَم أنّ التقرّب لا يكون[٧] إلّا بين اثنين فصاعداً. ويتفاوت من حيث ما[٨] نحن بصدده[٩]، بحسب قرب النفس من الحضرة النوريّة[١٠] وبُعدها، وبحسب نسبة المُدرِك[١١] من المقام الأحديّ الذي هو أوّل مراتب التعيّن[١٢] الذاتيّ، وبمقدار[١٣] حظّه من الصورة الإلهيّة؛ فإنّ كثرةَ الحُجُب وقلّتها وضعفَ الصفاء وقوّته تابعٌ لِما ذكِر.

وسرّ[١٤] ذلك أنّ للحضرة[١٥] الإلهيّة حقيقةً وحُكماً، و[١٦] لها مظاهر. فالقرب الإلهيّ المذكور راجع إلى أمرين، لا ثالث لهما غير نسبة جمعهما.

أحدهما[١٧]: الأحديّة الإلهيّة[١٨]. وأتمُّ الموجودات حظّاً من هذا المقام عالمُ

---

(١) همّته: همّه A، همّة B
(٢) من: ـ AB
(٣) هذه الأوصاف ... له: ـ A
(٤) مطلب: يطلب A
(٥) B235a
(٦) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٧) التقرّب لا يكون: القرب لا يصحّ P
(٨) ما: الأمر الذي P
(٩) بصدده: بصدد بيانه P
(١٠) النوريّة: + العلميّة P
(١١) المدرك: المدارك AB
(١٢) التعيّن: التعيين P
(١٣) بمقدار: مقدار A
(١٤) سرّ: يتيسّر A
(١٥) للحضرة: الحضرة AB
(١٦) و: ـ AB
(١٧) أحدهما: أحدها AB
(١٨) الإلهيّة: + الأُولى P ǁ A308b

الأمر، وأتمُّ عـالم الأمر قربـاً وحظّـاً ممّـا ذكرنـاه العقـلُ الأوّل ومَن رتبتُـه مِن العقول والملائكة[١]، ومِن الموجودات المتقيّدة[٢] بالصور العرشُ والكُمّل و[٣] الأفراد من بني آدم[٤] بعد تحقّقهم بمقام الفرديّة والكمال.

وبالجملة[٥] أيّ موجود كانت نسـبته إلى مرتبة الأحديّة والتعيّن الأوّل أقربَ، وقلَّت الوسـائط بينه وبين موجِده أو ارتفعَت، فهو إلى الحقّ أقرب من حيث الاسم «الباطن» والحضرة العلميّة الأحديّة.

والثـاني: هو من حيث اعتبار ظهورِ حكم الإلهيّة والتحقّقِ بصـورتها، فأيّ موجود كانت حصّـته من الصـورة أكثر، وكان ظهور الحقائق الإلهيّة[٦] فيه وبه أتمّ، فهو إلى الحقّ أقرب[٧]، وحُجُبه أقلّ. والمسـتوفي لِما ذكرناه[٨] هو الإنسـان الكامل، فهو أقرب الخلق إلى الحقّ من هذه[٩] الحيثيّة، وأعلمهم[١٠] به.

ومرتبة البُعد في مقابله مرتبة القرب، فاعتبِر الأحكامَ فيها بعكس هذه[١١]، تعرفْها.

ولا تفاوتَ بين الموجودات ونسبتها إلى الحقّ بالقرب والبُعد بغير[١٢] ما ذكرناه. وما سوى ذلك ممّا[١٣] يُعدّ قرباً[١٤]، فإمّا أن يكون قرباً من السعادة، أو بالنسبة[١٥] إلى ما في نفس المعتقِد والمقلِّد والمتوهِّم[١٦] من الحقّ تعالى[١٧].

---

(١) ومن رتبته ... الملائكة: والملائكة المهيّمة P
(٢) المتقيّدة: المقيّدة A
(٣) الكمّل و: الكلّيّ AB
(٤) بني آدم: الأجرام AB
(٥) بالجملة: + منَ A، في الجملة P
(٦) الحقائق الإلهيّة: حقائق الأُلوهيّة P
(٧) أقرب: + من حيث الاسم الظاهر P
(٨) ذكرناه: ذكر P
(٩) B235b
(١٠) أعلمهم: أعلم A
(١١) بعكس هذه: بالعكس فيها AB
(١٢) بغير: يعين A
(١٣) ممّا: ما B
(١٤) يعدّ قرباً: يسمّى قرباً إلهيّاً P
(١٥) بالنسبة: _ AB
(١٦) والمقلّد والمتوهّم: من التقليد أو التوهّم AB
(١٧) تعالى: لا غير P

فالمظاهرُ والصــفاتُ الظاهرة والموادُّ من الصــور البســيطة والمركّبة، كلّها آلات لتوصـيل[١] المعاني، بل هي السبب[٢] لإدراكها من[٣] حضرة الغيب. وذلك بالتفات[٤] الروح وتوجّـه[٥] القلب من عالم الكون، بالرجوع إلى الحضــرة العلميّة النوريّة، على صراط الوجه الخاصّ.

فإن كانت المناسبة بين العالِم وما يُراد[٦] معرفته ثابتةً والنسبة القريبة قويّةً[٧]، كانت الحاجة إلى أدوات التوصّـل[٨] أقلّ، حتّى لتُغني الكلمة الواحدة أو الإشارة في تعريف ما في نفس المخاطِب من المعاني الجمّة، وتوصــيلها إلى المخاطَب، وفي[٩] تذكيره الأسرارَ[١٠] العزيزة[١١] والمعلوماتِ الكثيرة[١٢]. بل[١٣] ربّما يكثر[١٤] المناسبة ويقوى[١٥] حكم القرب والتوجّه[١٦]، بحيث يقع الاســتغناء عن الوســائط غير[١٧] نســبة المُحاذاة المحقَّقـة المعنويّـة والمواجهـة التـامّـة؛ لاســتحـالة الاتّحاد والمخاطبة في مقام[١٨] الأحديّة. وحينئذٍ[١٩] ينطق لســان هذه المناسـبة، بنحو ما قال بعض تراجمة الحقائق والمراتب، سواء[٢٠] كان قد[٢١] علم سرّ ما قال، أو لم يعلم: (شعر)

---

(١) لتوصيل: لتوسّل A؛ لتوصّل B
(٢) بل هي السبب: وإن شئت قلت سبب P
(٣) من: في P
(٤) بالتفات: بالتفاوت B
(٥) توجّه: وجه P
(٦) يراد: يراده B
(٧) قويّة: + قويّة A
(٨) التوصّل: التوصيل P
(٩) في: _ AB
(١٠) A309a
(١١) العزيزة: الفريدة A
(١٢) الكثيرة: _ AB
(١٣) بل: و P
(١٤) يكثر: يكمل P
(١٥) يقوى: تقوى B
(١٦) التوجّه: التوحّد P
(١٧) غير: ما عدا P
(١٨) مقام: المقام A
(١٩) حينئذٍ: _ AB
(٢٠) B236a
(٢١) سواء كان قد: _ P

تكــلَّمُ منّا فــي الوجــوه عيــونُنا فنحـن سكـوتٌ والهـوى يتكــلّم[١]

ولسان حال مرتبة الإشارة في قوله[٢]: (شعر)

تشير فـأدري مـا تقـول[٣] بطَـرفها وأطـرقُ طرفـي عنـد ذاك فتعـلم[٤]

لكن لا بدّ من حركة أو حرف[٥] يكون مُظهراً لتلك النسـبة الغيبيّة، حتّى يظهر سـرّ الجمع، فيحصـل الأثر والفائدة؛ لتعذّر حصولهما[٦] بأقلّ من ذلك. فتلك[٧] الحركة أو الحرف إذا انضــافـت إلى حكم المُحـاذاة[٨] والمواجهـة المـذكورة المُبقية للتعدّد[٩] والمُثبتة سـرَّ المخاطبة، كَفَت في ظهور[١٠] الخطاب، وحصـول الأثر الذي هو وصف الكلام[١١].

ولا يصـحّ الأثرُ إلّا بأحديّة الجمع، مع تحقّق الارتباط والمناسـبة. فإذا غلب حكمُ الوحـدة[١٢] على حكم الكثرة[١٣]، كـان الأثر أقوى وأسـرع. وإذا انعكس الأمر، كـان أضعف.

والمختصّ بمرتبة الكلام من نِسَــب القرب هو المقام[١٤] الأوّل الأحديّ[١٥]. وعدمُ تأثّر السـامع مِن كلام مَن لا يعرف اصطلاحه أو ما يقارب[١٦] ذلك من الأُمور[١٧]، إنّما

(١) لم أعثر على قائله، وذكره الشـيخ الأكبر في: ذخائر الأعلاق: ٧٢

(٢) في قوله: بقوله P

(٣) تقول: نقول A

(٤) نفس المصدر.

(٥) حرف: + في الظاهر P

(٦) حصولهما: حصول الفائدة P

(٧) فتلك: + الكلمة أو P

(٨) المحاذاة: المواجهة AB

(٩) المبقية للتعدّد: المنفية التعدّد AB

(١٠) ظهور: + سرّ P

(١١) الذي هو وصف الكلام: _ AB

(١٢) الوحدة: + الجامعة P

(١٣) الكثرة: + التفرقة P

(١٤) المقام: + الذي A

(١٥) الأحديّ: + الجمعيّ P

(١٦) يقارب: تقارب A

(١٧) اصطلاحه أو... الأُمور: لغته واصطلاحه P

هو مِن كثرة الوسائط، وحكمِ التعدّد[١]، وخفاءِ حكم الأحديّة والمناسبة.

وظهر من سـرّ[٢] هذا المقام حكمُه في الأوامر الإلهيّة[٣] بالوسائط وبدونها. فما لا يظهر للواسـطة فيه عين أو سـلطنة، لا يُعصـى[٤] ولا يتأخّر نفوذه. والواصـلُ من جهة الوسـائط مخالفٌ[٥] لِما ذكرنا. و[٦] قد ينفذ سـريعاً إذا ناسـب حكمُ الجمعيّة حكمَ الأحديّة[٧] مناسـبةَ المرآة الصافية الصحيحة الهيئة في المقدار للصورة المنطبعة فيها، وقد يتأخّر.

وأمّـا إذا كـانـت المبـاينـة[٨] بين المتعلّم[٩] ومـا يَطلُـب معرفتَه شـديدةً[١٠]، وحكم النسـبة[١١] ضـعيفاً، فإنّ المعرِّف[١٢] والمفيد يحتاج إلى تكثير أدوات التفهيم والتوصـيل، وتنويع[١٣] التراكيـب والتشـكّلات[١٤] المـادّيّـة من الكلمات[١٥] والأمثلة التي هي[١٦] مظاهر المعاني[١٧] الغيبيّة. ومع ذلك فقد لا يحصل المقصود من التعريف والإفهام:

ـ بـأن يكون مـا يُراد إفهـامـه مسـتعلياً في المرتبة على مراتب العبارات والأدوات الظاهرة، فلا يسَعه العبارة، ولا يفي بمعرفته وتعريفه[١٨] أدوات التفهيم.

ـ أو بأن يكون قوّة المتعلّم[١٩] قاصـرةً، أو المخاطَب قوّته[٢٠] قاصـرةً عن إدراك ما

(١) التعدّد: البُعد P

(٢) سرّ: أسرار P

(٣) الإلهيّة: + الواردة P

(٤) يعصى: يقصى P

(٥) مخالف: + المخالف في النعت P

(٦) و: ـ P

(٧) B236b

(٨) المباينة: المناسبة P

(٩) A309b

(١٠) شديدة: سديدة B

(١١) النسبة: + القريبة P

(١٢) المعرّف: العرف A

(١٣) تنويع: تنزيع A

(١٤) التشكّلات: التشكيلات P

(١٥) الكلمات: الحروف P

(١٦) هي: + منصّات و P

(١٧) المعاني: للمعاني P

(١٨) تعريفه: تعريف B

(١٩) المتعلّم: التعليم A

(٢٠) قوّته: قويّة AB

يُقصَد توصيلُه إليه، وتفهيمُه إيّاه؛ لبُعد المناسبة في الأصل. >[١]

[الاستفادة منه تعالى دون واسطة]

[٢]< وطرق [حصول][٣] العلم كثيرةٌ عند المستفيدين من الوسائط والأسباب، بعد معرفة ما يدرك بالكشف ـعلى ما مرّـ، أو بطريق الحواسّ، أو بطريق العبارة، وغيرها من الطرق. لكن إذا شاء الحقّ أن يعلمها أحدٌ من عباده المكرّمين[٤] المتحقّقين بمعرفته، دون واسطة؛ لعلمه تعالى[٥] أنّ هممهم[٦] قد خرقَت[٧] حُجُبَ الكون، وارتفعت[٨] عن الأخذ عمّا سواه، تجلّى لهم في مرتبة ذلك الطريق[٩]، ثمّ أفادهم ما أحبّ تعليمه[١٠]، فاستفادوه[١١] منه ـسبحانه[١٢]ـ دون واسطة، مع بقاء الأُصول السابقة[١٣]؛ إذ ما سبق به العلم لا يمكن تبديله[١٤].

ومِن عباد اللّه من يحصل لنفسه في بعض الأحيان عند هبوب النفحات[١٥] الجوديّة الإلهيّة أحوال توجب لها[١٦] الإعراض عمّا سوى الحقّ. والنفس من ذلك قد تعرف[١٧] هذه المراتب والتفاصيل، وقد لا تعرف[١٨] مع تحقّقها بما حصل لها من العلم.

---

(١) إعجاز البيان: ٦٤ ـ ٦٧
(٢) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٣) حصول: ـ AB
(٤) المكرّمين: + المحقّقين P
(٥) تعالى: سبحانه P
(٦) هممهم: همّتهم AB
(٧) خرقت: خرجت A
(٨) ارتفعت: أنفت P
(٩) الطريق: + الحسّيّ أو ما كان P
(١٠) تعليمه: + إيّاهم P
(١١) فاستفادوه: فاستفادوا B، فاستفادوا ذلك العلم P
(١٢) B237a
(١٣) الأُصول السابقة: الخاصّيّة التي حكم بها العلم السابق على حالها P
(١٤) يمكن تبديله: يقبل التبديل P
(١٥) النفحات: النفخات B
(١٦) لها: إمّا P
(١٧) تعرف: يعرف A
(١٨) لا تعرف: يعرف AB

[تحقيق في كلامه تعالى]

وكلّ متعيّن من الأسـماء والصـفات[١] حجابٌ على أصـله، الذي لم يتعيّن، ولم يتميّز[٢]. والكلام من جملة الصفات، فهو حجاب على المتكلّم، من حيث نسبة علمه الـذاتيّ. فالكلام[٣] المنسـوب إلى الحقّ هو التجلّي الإلهيّ من غيبه وحضـرة علمه في[٤] النفَس الرحمـانيّ، ومَنزل تعيُّن[٥] سـائر المراتـب والحقـائق. فيتعيّن حكمُ هذا التجلّي بالتوجّه الإراديّ للإيجاد أو الخطاب، من حيث مظهر المرتبة، والاسـم الذي يقتضـي أن يُنسـب إليه النفَسُ والقولُ الإيجاديّ. فيظهر نسـبة الاسـم «المتكلّم»، ثمّ يسـري الحكم المذكور في المقام النفَسـيّ الرحمانيّ ـالذي هو حضرة الأسماءـ إلى المخاطَب بالتخصـيص الإراديّ والقبول الاستعداديّ الكونيّ. فيظهر سرُّ ذلك التجلّي الكلاميّ في كلّ مُدرِك له وسـامع حيث ما اقتضـاه حكمُ الإرادة، مع انصـباغه بحكم حـال مَن ورد عليه، وما مرّ به من المراتب والأحكام الوقتيّة والموطنيّة[٦]، إن اقتضـى الأمرُ الإلهيّ مرورَه على سـلسـلة الترتيب بما فيه من الحضـرات. وإن[٧] وصـل من الوجه[٨] الذي لا واسـطة فيه، فلا ينصـبغ إلّا بحكم حال مَن ورد عليه ووقتِه وموطنِه ومقامِه، لا غير.

والكلام في كـلّ مرتبة[٩] لا يكون إلّا بتوسّـط حجاب بين المخاطِب والمخاطَب. ولذلك الحجابِ مرتبةُ الرسـالة بالنسبة إلى مَن هو محلّ ذلك الخطاب[١٠]، والحُجُب

---

(١) الصفات: + وغيرهما P
(٢) يتميّز: + إلّا بمعيّن P
(٣) فالكلام: والكلام AB
(٤) في: + العماء الذي هو P
(٥) A310a
(٦) الموطنيّة: + هذا P
(٧) إن: إذا P
(٨) الوجه: + الخاصّ P
(٩) B237b
(١٠) الخطاب: الحجاب P

والوسائط تقلّ وتكثر. وأقلّها أن يبقى حجاب واحد، وهو نسبة المخاطبة بين المخاطبين. فالحروف والكلمات المنظومة الظاهرة رُسُل وحُجُب للكلمات والحروف[١] الذهنيّة، والذهنيّة رُسُلٌ وحُجُب للحروف المعقولة، والحروف المعقولة تتضمّن[٢] رسالة معنى[٣] الكلام الوحدانيّ، وهو[٤] يتضمّن رسالة المتكلّم به[٥] من حيث نسبة ما تكلّم به. ثمّ المفهوم من المتكلّم به يتضمّن مراد المتكلّم من حيث الأمر الخاصّ المفهوم من كلامه. ثمّ الاطّلاع على ذلك الأمر الخاصّ يفيد معرفةَ الباعث على صدور ذلك الكلام من المخاطِب إلى المخاطَب. وهذا هو سرّ الإرادة [التي][٦] ينشأ[٧] منه صفة الكلام، من حيث[٨] كونه كلاماً، وفوقه مرتبة العلم[٩] المحيط. وبأحكام الغايات[١٠] يُعرَف سرُّ أوّليّات البواعث والمقاصد وعللها وأسرارها؛ لأنّ الخواتم التي هي[١١] عين السوابق خفيَت بين طرفَي البداية والغاية[١٢] للامتزاج[١٣] وتداخل الأحكام. >[١٤]

[١٥]< والكلام هو تأثير[١٦] المتكلّم في المخاطَب بقوّة تابعة[١٧] لإرادته المتعلّقة بإيصالِ[١٨] ما في نفسه، وإبرازِه إلى المخاطَب.

---

(١) تقلّ وتكثر ... الحروف: _ AB
(٢) تتضمّن: يتضمّن AB
(٣) معنى: يعني A
(٤) وهو: ثمّ الكلام الوحدانيّ P
(٥) به: _ AB
(٦) التي: الذي ABP
(٧) ينشأ: تنتشئ P
(٨) حيث: _ P
(٩) العلم: + الذاتيّ P
(١٠) بأحكام الغايات: بالغايات وأحكامها P
(١١) التي هي: _ P
(١٢) A310b
(١٣) للامتزاج: للمزج P
(١٤) إعجاز البيان: ٦٨ _ ٦٩
(١٥) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(١٦) تأثير: + من P
(١٧) تابعة: بالغة P
(١٨) بإيصال: باتّصال P

وهكذا الأمر في إيجادِ الحقّ الأعيانَ الممكنة -التي هي كلماته وحروفه- وإظهارِه لها من نفسه بالحركة الغيبيّة[١] المعبَّر عنها بالتوجّه الإراديّ الظاهر حكمُه[٢] بواسطة جمعِ[٣] الأعيان بالوجود الواحد الشامل لها وتركيبِها؛ ليُعرَف -سبحانه- وليَظهر حكمُ صفاته وأسمائه وكماله. فافهَم ذلك؛ فإنّه سرّ من الأسرار الكبار. >[٤]



(١) الغيبيّة: + الحبّيّة P

(٢) حكمه: _ AB

(٣) جمع: جميع A

(٤) إعجاز البيان: ٧١

[بيان أنّ اختفاءه تعالى لشدّة ظهوره]

واعلَم أنّ [١]< **المقصـود**[٢] **عزيز المنال، والوصـول إليه عسـير، وأكثر الطرق خطير؛** >[٣] لِما يشـتمل عليه من[٤] كثرة الخواطرِ الوهميّة، والقواطعِ الخياليّة، والموانعِ الطبيعيّـة، والظنونِ الكـاذبـة. فـالأمر عظيم، والمطلوب جسـيم. ولهـذا كثُرت الموانع، وازدحمَـت القواطع، وطـالـت المسـافـة. ومع ذلك فالزمان قصـير، والعقبات متعدّدة كؤودة[٥]. فيحتاج الطالب إلى مهامّ عدّة، لا يكاد تحصل[٦] إلّا للقليل[٧] الشاذّ[٨] والقدر النادر.

[٩]< فقد تقرّر[١٠] عند [أهل][١١] الطريقة أنّ السـلوكَ إلى ربّ العزّة، والوصـولَ إلى حضـرته، والرجوعَ به من عنده إلى خلقه من غير مفارقة، هو المطلوب الأقصـى؛ فإنّه ما ثَمّ في الوجود إلّا اللّـه تعـالى وصـفـاتـه وأفعـالـه. فالكلّ هو وبه ومنه وإليه[١٢]. فلو[١٣] احتجـب عن العـالـم طَرفـة عين لفنى العـالـم دفعةً[١٤]، فبقاؤه بحفظه[١٥] ونظره إليه. فهو أشـدّ الأشـيـاء ظهوراً، وأبيَنها معرفةً، إلّا أنّ[١٦] مَن اشـتدّ ظهوره في نوره، يجب[١٧] أن

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) B238a

(٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٤

(٤) من: ـ A

(٥) كؤودة: كوروده A؛ عقبـة كؤود: شـاقّـةُ المَصعَد، صعبةُ المُرتقى. (لسان العرب)

(٦) تحصل: لا يحصل A

(٧) للقليل: القليل A

(٨) الشاذّ: الشارد B

(٩) بداية العبارات المنقولة من: رسالة الأنوار.

(١٠) تقرّر: يقرّر B

(١١) أهل: أهلّة AB

(١٢) وإليه: ـ AB

(١٣) فلو: ولو P

(١٤) دفعة: + واحدة P

(١٥) بحفظه: يحفظه B

(١٦) فهو أشدّ ... أنّ: غير أنّه P

(١٧) يجب: بحيث P

يضعف الإدراكات عنه، فيسمّى ذلك الظهور حجاباً. >[1]

ومنـه ما قيل: «خفي، لا بما يخالف الظهور». فظهوره حجابه، فهو الظاهر الباطن، الخفيّ الظاهر.

ولهذا قيل: إنّ الظلمة الشـديدة لا تُدرَك، وكذا الضـوء الشـديد؛ لأنّهما في طرفَي النقيض وغاية البُعد. فالمُدرَك هو المتوسّط، فتدبَّر.



(١) رسالة الأنوار: ١ ـ ٢

[طرق تحصيل الأُهبة للسلوك]

[١]< **فـاجتهـد** ـأيّهـا الطالب!ـ **في أخذ الأُهبة**[٢] **بكثرةِ الزاد وكثرةِ الرواحل**[٣] **وإعدادِ الآلات**[٤]**.** >[٥]

أوصـــى في تحصـــيل الأُهبة، المُعدّة[٦] للمطلوب، الموجِبة لقوّة الاســتعداد لقطع الطريق، وجعلها ثلاثة أُمور:

أ. كثرة الزاد: وهو كنـاية عن كثرة المعارف الحقّيّة، الناشــئة عن البراهين القطعيّة، الحاصلة عن مشكاة النبوّة والولاية.

ب. كثرة الرواحل: وأراد بها الاطّلاع على أحوال المشايخ والزهّاد والسُلّاك، وكيفيّة سلوكهم، ومعرفة دقائق الأولياء[٧] الذين قد رحلوا إليه، فهم أهل الخبرة بذلك الطريق. فالاطّلاع على أحوالهم والنظر في سيَرهم ومطالعة مصنّفاتهم يُعين[٨] غايةَ الإعانة.

ج. إعداد [الآلات][٩]: وأراد بها العلوم الآليّة، والرياضة، والتخلّق بالأخلاق الجميلة، ونفي الأخلاق المذمومة، وبالجملة [كلّ ما][١٠] يتوقّف عليه المقصودُ من الشرائط.



---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) الأُهبة: العُدّة. (لسان العرب)
(٣) كثرة الرواحل: الراحلة A311a || P
(٤) الآلات: آلات AB
(٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٤
(٦) B238b
(٧) الأولياء: + لفهم B
(٨) يعين: معين A
(٩) الآلات: آلات AB
(١٠) كلّ ما: كلّما AB

[حكمة التكليف]

[١]< وعليك بعد ذلك كلّه بتقوى اللّه، والإخلاص في النيّة، بعد حفظ شرائعه بأوامره ونواهيه؛ فإنّها سَوطه الذي أدّب به عبادَه. >[٢]

وهذا إشارة إلى إلزام[٣] أحوال التكليف والأعمال بالصورة المحسوسة، المُشار إليها في الأحكام الشرعيّة، المعبَّر [عنها][٤] بالتكليف.

[٥]< ولا شكّ أنّ كلّ نسبة تُعقَل[٦] بين أمرين، فإنّ ثبوتها وتحقّقها يتوقّف على ذينك الأمرين. ولا مَحالة التكليفُ نسبة لا تُعقَل[٧] إلّا بين مكلِّف قادر قاهر عليم، وبين مكلَّف له صلاحية أن يكون محلّاً لنفوذ اقتدار[٨] المكلِّف، وقابلاً حكمَ تكليفه.

ولمّا علِمنا[٩] بما نوَّر به ـسبحانهـ عقولَنا وبصائرنا أنّ له تعالى الكمال المطلق الأتمّ[١٠]، بل هو ينبوع كلّ كمال، و[١١] عرفنا بواسطة نبيّه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّم[١٢]ـ حين قال له في كتابه العزيز: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾[١٣]، تحقّقنا ـبما نوّرنا به أوّلاً وبما أخبرنا به ثانياًـ أنّ الأفعال والأحكام الصادرة منه ـسبحانهـ تصدر منه منصبغةً بالوصف الكماليّ. فليس منها حكمٌ ولا فعلٌ إلّا وهو كامل، مشتمل على فوائد[١٤] وأسرار وحِكَم شتّى، لا يحيط بها علمُ أحدٍ سواه. وإنّما غاية الخلق

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٤
(٣) إلزام: التزام P
(٤) عنها: عنه AB
(٥) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٦) تعقل: يعقل A
(٧) تعقل: تتعقّل P
(٨) اقتدار: الاقتدار A
(٩) علمنا: + باللّه أو قل P
(١٠) B239a
(١١) و: ثمّ P
(١٢) وآله وسلّم: _ B
(١٣) القرآن الكريم: ٨٤/١٧
(١٤) A311b

وقُصاراهم[١] أن يعرفوا اليسير[٢] منها بموهبته[٣] ـسبحانهـ، لا بتسلّط كسبيّ، ولا على سبيل الإحاطة بذلك اليسير.

لكن مع هذا لا شكّ[٤] أنّ أفعاله وإن كانت من حيث صدورها منه ونسبتها إليه ـكما قلناـ خيراً محضاً وكمالاً صرفاً؛ فإنّها متفاوتة في نفسها بحسب مراتب الأسماء والصفات والمواطن والحضرات. فبعضُ تلك الأفعال يكون لِما ذكرنا أعظمَ جَدوىً من البعض، وأجلّ قدراً، وأتمّ إحاطة، وأشمل حُكماً، وأكثر استتباعاً للحِكَم والأسرار.

والحكم التكليفيّ مِن أجلّ الأفعال والأحكام وأتمّها حيطةً، وأجلّها نفعاً[٥]؛ فإنّه عنوان العبوديّة المنسحبة الحكم[٦] على كلّ شيء بقوله[٧]: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً﴾[٨]، وقوله: ﴿اللَّهُ خالِقُ كُلِ شَيْءٍ﴾[٩]، و﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[١٠]. ولا شكّ أنّ كلّ مسبّح له[١١] مُقرٌّ بعبوديّته له، بل نفس تسبيحه[١٢] إقرار منه بالعبوديّة للّه إقرارَ علمٍ، كما أخبر ـسبحانهـ بقوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[١٣]. فكلّما يطلق عليه اسم «شيء»، فهو داخل في حيطة هذا الحكم والإخبار الإلهيّ.

واعلَم أنّ لكلّ[١٤] حقيقة أو صفة تنضاف[١٥] إلى الكون بطريق الخصوصيّة ـأي[١٦]

---

(١) قصاراهم: قصار لهم A
(٢) اليسير: السير B
(٣) بموهبته: بوهب منه P
(٤) شكّ: نشكّ P
(٥) أجلّها نفعاً: أشملها حكماً P
(٦) الحكم: ـ AB
(٧) بقوله: بسوط BP
(٨) القرآن الكريم: ٩٣/١٩
(٩) القرآن الكريم: ١٦/١٣، ٦٢/٣٩
(١٠) القرآن الكريم: ٤٤/١٧
(١١) له: للّه P
(١٢) تسبيحه: + بحمده P
(١٣) القرآن الكريم: ٤١/٢٤
(١٤) B239b
(١٥) تنضاف: ينضاف A
(١٦) أي: التي هي من P

خصائص الممكنات ـ؛ أو بطريق الاشتراك، بمعنى أنّه[١] يصحّ نسبتها إلى الحقّ من وجهٍ[٢]، وإلى الكون من وجهٍ[٣]؛ فإنّ لتلك الحقيقة أصلاً[٤] في الجناب الإلهيّ، و[٥] إلى ذلك الأصل ترجع[٦]، وإلى الحقّ من ذلك الأصل تستند[٧].

والتكليف من جملة الحقائق؛ فإنّه[٨] ظهر بين أصلين، هما له كالمقدّمتين أو كالأبوين. وهكذا كلّ أمر يظهر في مراتب التفصيل؛ فإنّ مَظهره مِن[٩] بين أصلين. فالأصلان الأوّلان حضرةُ الوجوب والإمكان.

وأنت إذا راجعتَ[١٠] ما أسلفناه في بدء الإيجاد وسرِّه وسرِّ الوحدة، تذكّرتَ ما بيّنّا أنّ الأحديّة لا تقتضي[١١] إظهار شيء[١٢] ولا إيجاده، وأنّ الواجب[١٣] من حيث ذاته وأحديّته غنيّ عن العالمين، لا يناسب شيئاً، ولا يرتبط به، ولا يناسبه أيضاً شيء، ولا يتعلّق به؛ فإنّ التعلّق والمناسبة إنّما ثبتا من جهة المراتب بحكم التضايف الثابت بين الإله والمألوه، والخالق[١٤] والمخلوق. وقد بيِّن[١٥] أنّ الأثر[١٦] لا يصحّ بدون الارتباط، والارتباط لا يكون إلّا للمناسبة.

وحينئذٍ نقول: فالأصل الواحد الذي يستند إليه التكليف هو الإيجاب الإلهيّ المختصّ بذلك الجناب، وهو إيجاب ذاتيّ منه عليه قبل أن يظهر للغير عين[١٧]، أو

---

(١) بمعنى أنّه: لمعنى AB
(٢) وجه: + وباعتبار P
(٣) من وجه: أيضاً كذلك P
(٤) أصلاً: أصل AB
(٥) و: ـ P
(٦) ترجع: يرجع AB
(٧) تستند: يستند AB
(٨) فإنّه: وأنّه P
(٩) فإنّ مظهره من: فإنّه لا بدّ وأن يكون ظاهراً P
(١٠) راجعت: رجعت إلى P
(١١) تقتضي: يقتضي AB
(١٢) A312a
(١٣) الواجب: الحقّ P
(١٤) الخالق: الخلق AB
(١٥) بيّن: مرّ P
(١٦) الأثر: الأمر A
(١٧) للغير عين: للعين غين AB

يبدو لمرتبته[١] حكمٌ.

ولسانُ مقام هذا الأصل هو الناطق في الكتاب[٢] العزيز بقوله[٣]: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٤]، وقوله: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾[٥]، وقوله: ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾[٦]، و﴿كانَ عَلى رَبِّكَ[٧] حَتْماً مَقْضِيّاً﴾[٨]، و﴿ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[٩].

و[١٠] في الأخبار النبويّة: «وجبَت محبّتي للمتحابّين فيَّ»[١١] (الحديث).

و«إنّ حقّاً على اللّه أن لا يرفع شيئاً من هذه الدنيا إلّا وضَعه»[١٢].

وغير ذلك.

والأصل الآخر ـ الذي منه[١٣] نشأ التكليف، وبه ظهر سرُّ المجازاة بما لا يوافق من بعض الوجوه ـ هو أنّ التجلّي الوجوديّ المقتضي إيجادَ العالم ـ وإن شئتَ فقل: الوجود الفائض من ذات الحقّ على حقائق الممكنات ـ له الإطلاقُ التامّ عن سائر القيودِ الحُكميّة والصفاتِ التعيّنيّة المتكثّرة الإمكانيّة. ومن حيث انطباعِه في الأعيان الممكنة، و[١٤] اقترانِه وانبساطِه عليها، وظهورِه بحسب مراتبه[١٥] الذاتيّة واستعداداتها ـ كما بيِّن لك في ما تقدّم ـ أُضيفت إلى الوجود المنبسط الذي له الأوصاف المتعدّدة

---

(١) لمرتبته: لمرتبة AB
(٢) B240a
(٣) بقوله: + تعالى P
(٤) القرآن الكريم: ٥٤/٦
(٥) القرآن الكريم: ٣٣/١٠، ٦/٤٠
(٦) القرآن الكريم: ١٣/٣٢
(٧) على ربّك: ذلك AB
(٨) القرآن الكريم: ٧١/١٩
(٩) القرآن الكريم: ٢٩/٥٠
(١٠) و: + نحو ذلك P
(١١) مشكاة الأنوار للطبرسيّ: ٢٠٨؛ إرشاد القلوب: ١٩٩/١
(١٢) تنبيه الخواطر: ١٣٣/١؛ عوالي اللئالي: ٢٦٥/٣
(١٣) منه: _ A
(١٤) و: أو قل P
(١٥) مراتبه: مراتبها P

المختلفة، وتقيَّد بالأحكام والأسـماء والنعوت تقيّداً غير منفكّ عنه، بحيث اسـتحال تعقُّله بإدراكه مجرّداً عنها جميعِها، بل قُصارى الأمر التجرّدُ عن أكثرها. وأمّا عن جميعها بالكلّيّة فمحال، إلّا[1] بالفرض. وأنهى الأمر الانتهاءُ إلى قيد واحد إضافيّ في أعلى مراتب الإطلاق.

فلا جرمَ اقتضَت الحكمةُ العادلة وحكمُ الحضرة الجامعة الكاملة ظهورَ[2] سرّ المجازاة، ووضعَه بسرّ[3] المناسبة والموازنة المحقَّقة. فظهر التكليف الإلهيّ للعباد كلّهم، وكلّ[4] ما سواه عبدٌ. فتعيّنَت القيودُ الأمريّة والأحكامُ الشرعيّة، في مقابلة ما عرض للوجود[5] من التقيّدات[6] الغيبيّة. وأحكامُ المراتب الكونيّة الإمكانيّة، والعباداتُ المقرَّرة على نمط خاصّ، في مقابلة[7] ما يختصّ كلّ موطن وعالَم وزمان ونشأة وحال مِن الأحكام، وتقتضيه بحيث لا يمكن تعيّنُ الوجود فيه، ولا ظهورُ الحقّ وتصرّفه إلّا بحسبه. فتقرّرَت العبادات ـ كما قلنا ـ في أهل كلّ عالَم ودور ووقت خاصّ ونشأة وحال ومزاج ومرتبة بحسب ما يقتضيه حكم الحال والزمان، وما ذِكر[8] بحسب الصفات[9] اللازمة لكلّ ذلك أيضاً. وثبت ذلك جميعه في الكائنات، كثبوت[10] الحكم المذكور هناك لا جرمَ، لو انتهى الإنسان ـ الذي هو الأُنموذجُ لجميع[11] الكائنات، والنسخةُ الجامعة لخصائصها وحقائقها ـ في أمره وحاله وترقّيه إلى أقصى مراتب الإطلاق، علماً وشهوداً، وحالاً ومقاماً، وتجريداً وتوحّداً؛ فإنّه لا يتّصف

---

(١) A312b

(٢) B240b

(٣) بسرّ: سرّ B

(٤) وكلّ: فكلّ AB

(٥) للوجود: للموجود AB

(٦) التقيّدات: التقييدات A

(٧) مقابلة: مقابله B

(٨) ذكر: + و P

(٩) الصفات: الزمان AB

(١٠) كثبوت: لثبوت AB

(١١) لجميع: بجميع AB

بالحرّيّة التامّة الرافعة لجميع[١] الاعتبارات والنسب والإضافات وأحكام القيود أصلاً، حيث كان وكيف كان[٢]. بل لا بدّ وأن ارتقى إلى ما عسى أن يرتقي، إلى حيث لا حيث ولا أين ولا كيف، وبحيث أن[٣] يسقط عنه الأحكام التقييديّة الإمكانيّة والصفاتيّة الأسمائيّة أيضاً، بعد سقوطِ التكليفات الأمريّة عنه، وخروجِه عن حصر[٤] الأحوال والنشئات والمواطن والمقامات، فلم يحصره[٥] عالَم ولا حضرة[٦] ولا غيرهما، لا بدّ وأن يبقى معه حكمُ قيدٍ واحد إمكانيّ[٧] في مقابلة القيد[٨] الاعتباريّ[٩] في أعلى[١٠] مراتب الإطلاق للوجود المطلق.

وهذا القيد الباقي للإنسان هو حظّه المتعيّن من غيب الذات، الذي أشرنا فيه أنّه لا يتعيّن لنفسه من حيث هو إلّا بأمر[١١]، ولا يتعيّن فيه لنفسه شيء. فتعيّنه بحسب ما ظهر متعيّناً به[١٢]، وهو حاله المسمّى في ما بعد بالممكن. وبهذا التعيّن[١٣] ظهر ارتباط الحقّ بالإنسان، وارتباط الإنسان به، من حيث يدري الإنسان ومن حيث لا يدري.

ولمّا ذكرنا توقّف تعقّل الوجود المطلق على نسبة أو مظهر يفيد[١٤] التمييز، فعدم شعور قوم من أهل الشهود الخالي عن[١٥] هذا التمييز لا ينافي ثبوته في نفسه؛ فإنّ[١٦] الكُمَّل[١٧] من أهل الصَحو ـالمخلَصين من ورطة السُكر[١٨] والمشاهدات المقيّدة

---

(١) لجميع: بجميع AB
(٢) حيث كان وكيف كان: _ P
(٣) لا بدّ وأن ... أن: ولو ارتقى ما عسى أن يرتقي بحيث P || B241a
(٤) حصر: حضر AB
(٥) فلم يحصره: بحيث لم يحضره AB
(٦) حضرة: حضره B
(٧) إمكانيّ: مكانيّ B
(٨) القيد: قيد A
(٩) A313a
(١٠) أعلى: أنهى P
(١١) إلّا بأمر: لا يأمر B
(١٢) ما ظهر متعيّناً به: ما به ظهر متعيّناً P
(١٣) التعيّن: التعيين P
(١٤) يفيد: بقيد P
(١٥) الخالي عن: الحالي P
(١٦) فإنّ: قال A
(١٧) الكمّل: + والمحقّقين P
(١٨) السكر: الشكر A

عن استقرارهم من وجه في مركز مقام الكمال الإحاطيّ[١] الأحديّ الوسطيّ، المُعايِنين[٢] من أطراف المحيط وأهلها ما خفي عن المنحرفين ـ يحكمون بما ذكرنا.

ثمّ إنّا[٣] نقول: ولكلّ واحد من هذين القيدين ـ قيد الوجود[٤]، وقيد الإنسان ـ حكمٌ ثابت يعطي آثاراً[٥] جَمّة، يعرفها الأكابر، ويشهدونها مِن أنفسهم ومِن سواهم وفي أحوالهم، فيعرفون من الناس ـ بل ومن الأشياء[٦] ـ ما لا يعرفه شيء مِن نفسه، فضلاً [عن][٧] أن يعرفه مِن سواه.

وأمّا أحكام[٨] التكاليف والقيود اللازمة لنا، فتتفاوت[٩] في الخلق بالقلّة والكثرة، والدوام وعدمه، بحسب القيود المضافة إلى الوجود من جهة كلّ فرد من أفراد الخلق. فمن كانت مرآة عينه الثابتة ـ في ضرب المثل ـ أقربَ إلى الاعتدالِ والاستدارةِ وصحّةِ الهيئة والشكل، متناسبةَ الأحوال والصفات والقوى والأحكام، بحيث لا تُظهر[١٠] في الأمر المنطبع فيها والظاهر بها، حكماً مخالفاً لِما يقتضيه الأمر في نفسه لذاته من حيث هو، كان[١١] أقلَّ المجالي تكليفاً، وأتمَّها استحقاقاً[١٢] للمغفرة الكبرى، التي لا يعرفها أكثر المحقّقين، وأقربَها نسبةً إلى الإطلاق، وأسرعَها انسلاخاً عن الأحكام الإمكانيّة والصفات التقييديّة[١٣]، ما عدا القيد الواحد الذي نبّهنا[١٤] عليه، كنبيّنا محمّد ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ، ثمّ الكُمَّل مِن عباد اللّه مِن الأنبياء والأولياء. ولهذا

---

(١) الإحاطيّ: + الجمعيّ P
(٢) المعاينين: العالمين A
(٣) إنّا: ـ P
(٤) B241b
(٥) آثاراً: آثار AB
(٦) الأشياء: + كلّها P
(٧) عن: ـ AB
(٨) أحكام: الأحكام A
(٩) فتتفاوت: فيتفاوت AB
(١٠) تظهر: يظهر AB
(١١) كان: ـ AB
(١٢) أتمّها استحقاقاً: ألمها استخفافاً A
(١٣) A313b
(١٤) الذي نبّهنا: المنبَّه P

وغيره قيل له: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾[١]، وأُبيح[٢] له ولمن شاء اللّه ما حجر على الغير.

وصاحب هذه المرآة التامّة هو العبد المحقِّق، ذو القَدم القديم[٣] والفضيلةِ الذاتيّة الأزليّة، الذي[٤] لم يؤثّر بنقص القبول في صورة كلّ ما تجلّى فيه خِداجاً[٥] ولا نقصاً وتغيّراً، ولا اكتسب[٦] الأمر المنطبع فيه وصفاً متجدّداً لم يكن ثابتاً له أزلاً سوى التعيّن بحسب القيد الواحد، الذي لا مندوحة عنه بخلاف غيره. فهذا العبد يُحاذي ويقابل كلَّ شيء بالطهارة الصرفة؛ ليظهر[٧] كلّ من شاء بما هو عليه في نفسه. وكلّ من هذا شأنه فإنّه يحفظ على كلّ شيء صورتَه الذاتيّة الأصليّة، على نحو ما كانت مرتسمةً في ذات الحقّ، ومتعيّنة في علمه أزلاً، ما دام محاذياً له. فإن انحرف عن كمال المسامتة ـلاقتضاء حكم حقيقة الانحرافـ فلا يلومنّ إلّا نفسه. «من وجد خيراً فليحمد اللّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه»[٨]. انظُر ما الذي أخبرك ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ عن ربّه أنّه قال لك، فافهَم عنه.

وقد أخبرتُك أنّك[٩] مرآة وجوده، وهو مرآة أحوالك، و[١٠] كرّرتُ. وربّما تزعم[١١] أنّي طوّلتُ، وأنا ـواللّهـ قد أوجزتُ واختصرتُ. ولو عرفتَ ما ذكرتُ لك لطار قلبك، ودهش لبّك، ولكن ـواللّهـ ما أراك تفهم مقصودي. وأنت معذور، كما أنّي في[١٢] التلويح لك بهذا القدر مأمور ومجبور.

---

(١) القرآن الكريم: ٤٨/٢
(٢) وأبيح: راجع A
(٣) B242a
(٤) الذي: الأبديّ A
(٥) الخداج: النقصان. (لسان العرب)
(٦) اكتسب: أكسب P
(٧) ليظهر: ليطهر B
(٨) الحكايات في مخالفات المعتزلة: ٨٥
(٩) أنّك: + من وجه P
(١٠) و: + قد P
(١١) تزعم: زعمت P
(١٢) كما أنّي في: لأنّي في غاية AB

وأمّـا حكمُ[١] مَن نزل عن هذه الدرجة وهذا المقام، فبحســب قربه وبُعده من هذا المقام وزناً بوزن، لا ينخرم ولا يختلّ سنةُ اللّه، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ[٢] تَحْوِيلاً[٣]﴾[٤].

إذا عرفتَ هذا، فاعلَم أنّ الأحكام التقييديّة إن انضــافت إلى الوجود من جهة مرتبة موجودٍ ما، أو من وجهٍ يقتضـــي منها من كلّ وجهٍ منها حكماً[٥] ويتعيّن وصــفاً وحالاً خـاصّــاً، فـإنّ حكم التكليف يظهر فيـه، وينفذ من حيث تلك الوجوه وبحســبها[٦]. ويقلّ[٧] الأحكام التكليفيّة وتكثر، بحســب الوجوه التي للممكن، وما يُعطي من الآثار المضـافة إلى الوجود. وسـببُ كثرة الوجوه هو تضـاعف أحكام الإمكان، لكن بالنسبة إلى كلّ ممكن كثُرت[٨] الوسـائط بينه وبين موجِده؛ لنقص القبول، وقصـور الاستعداد الذاتيّ، لا للجمع والاستيعاب؛ فإنّ الإنسان من حيث صورته أكثرُ الموجودات وسائطَ من حيث سـلسلة الترتيب، وآخرُها ظهوراً، لكن إنّما كان ذلك ليجمعَ سرَّ كلّ واسطة، ويحيطَ[٩] بحكم ما اشتملت عليه الدائرة، وينختمَ به من حيث إنّه آخر مستمدّ، مع أنّه من مرتبته[١٠] يحصـل المدد للقلم الأعلى، الذي هو أوّل مُمدٍّ من الوسائط[١١]. فافهَم، فهاهنا تفصيل يطول شرحُه[١٢].

[أُصول التكاليف]

وقد سـبقت منّا الإشـارةُ إليه ـفي ما مضـى من هذا الكتاب ـ في باب كيفيّة ترتيب

---

(١) حكم: ـ AB
(٢) B242b
(٣) تحويلاً: تبديلاً P
(٤) القرآن الكريم: ٣٥/٤٣
(٥) حكماً: حكم A || A314a
(٦) بحسبها: كسبها AB
(٧) يقلّ: نقل A؛ نفل B
(٨) كثرت: كثرة AB
(٩) يحيط: محيط A
(١٠) من مرتبته: عن مرتبة P
(١١) الوسائط: + بعد الحقّ P
(١٢) شرحه: ذكره P

الموجودات(١). ولمّا كانت مراتب الموجودات من الوجه الكلّيّ تنحصر في خمس مراتب، كلّ مرتبة تقتضي(٢) أحكاماً شتّى(٣)، كانت أُصول التكاليف خمسة. فالخمسة التي تختصّ(٤) بالمكلّف هو:

ـ حكم عينه الثابتة من حيث تميّزها في علم الحقّ(٥).

ـ وحكم(٦) من حيث روحانيّته.

ـ وحكم(٧) من حيث صورته(٨) ونشأته الطبيعيّة، وما يختصّ بها.

ـ وحكم(٩) من حيث الوجود(١٠) باعتبار سريانه في المراتب.

ـ و(١١) الخامس من حيث معقوليّة الجمع(١٢) بين الأربعة بالهيئة المعنويّة الحاصلة من اجتماعها، الذي هو مقام أحديّة الجمع.

ويستلزم ما ذكرنا حكمَ الاسم الدهر والشأن والموطن والمقام والسرّ الجامع بين سائرها(١٣).

[شروط التكليف]

واستلزمت هذه خمسةً أُخرى، هي شروط تابعة للأُولى، منشعبة عنها:

ـ سلامة عقل المكلَّف.

ـ وتبيين(١٤) التكليف.

---

(١) الموجودات: الوجودات B

(٢) تقتضي: تفيض AB

(٣) شتّى: + لذلك P

(٤) تختصّ: يختصّ A

(٥) الحقّ: + أزلاً P

(٦) حكم: حكمه P

(٧) حكم: حكمه P

(٨) صورته: صوره P

(٩) حكم: حكمه P

(١٠) الوجود: العماء P

(١١) و: + الحكم P

(١٢) الجمع: الأمر الجامع P || B243a

(١٣) ويستلزم ما ... سائرها: ـ AB

(١٤) تبيين: سنّ P

ـ والاستطاعة[١].

ـ والعلم المتوقّف على بلوغ الدعوة.

ـ والدخول تحت حيطة أمر الوقت الإلهيّ، من حيث تعيّنه، كمواقيت الصلاة[٢] وصوم رمضان، وأداء الزكاة في رأس الحول، والحجّ في ذي الحجّة[٣].

فكان أركان[٤] الإسلام خمسة، وكذلك الإيمان، وكذلك الأحكام الخمسة والعبادات الكلّيّة[٥].

[حكمة المجازاة]

وحَبّةُ[٦] المجازاة[٧] وبذرُ شجرها[٨] ومنبعُ أنهارها هو من أنّ الأعيان الكونيّة لمّا كانت شرطاً في تعيُّن[٩] أحكام الأسماء والصفات، وظهورِ[١٠] نسبة أكمليّتها في الوجود العينيّ[١١] بنفوذ أحكامها في القوابل، ورجوعِ تلك الأحكام ـبعد الظهور التفصيليّ المشهودـ إلى الحقّ على مقتضى معلوميّتها ومعقوليّتها باطناً في حضرة الحقّ، اقتضى العدلُ والجود المحتويان أن عوِّضت بالتجلّي الوجوديّ، وظهرت[١٢] به أعيانها لها، ونفذ حكم بعضها في البعض بالحقّ جزاءً تامّاً وفضلاً[١٣] عدلاً شاملاً عامّاً.

---

(١) الاستطاعة: + من صحّة ونحوها P

(٢) الصلاة: الصلوات P

(٣) A314b

(٤) أركان: إن كان B

(٥) الكلّيّة: + خمس AB

(٦) حبّة: جنّة AB

(٧) المجازاة: المحاذاة A

(٨) بذر شجرها: بذرة شجرتها P

(٩) تعيّن: تعيين AB

(١٠) ظهور: طهور B

(١١) العينيّ: الغيبيّ AB

(١٢) وظهرت: فظهرت P

(١٣) فضلاً: فصلاً AB

فافهَم هذا الأصل الشريف؛ فإنّ جميع أنواع المجازاة ـ الإجماليّة والتفصيليّة ـ متفرّعة عنه، وعن الأصل المتقدّم الذي ثبت[١] أنّه أصل التكليف وسببه[٢]، وأنّ التكليف مجازاة أوجبها تقيُّد[٣] الوجود بالأعيان، على نحو ما ذكِر[٤]. فاذكُر، ترشُد. >[٥]



(١) ثبت: بيّنتُ P
(٢) أصل التكليف وسببه: سبب التكليف P
(٣) تقيّد: بقيد A
(٤) ذكر: مرّ ذكره P
(٥) إعجاز البيان: ٢١٢ ـ ٢١٩

[النهي عن الاشتغال بالزوائد]

فما أقمتَ بوظائف[1] سـرّ الشـريعة المحمّديّة، فاسـتقِم على ذلك. [2]< **واضـبِط نفسَـك عن الاشـتغـال بـالزائد عن مهمّ بذلك الضـروريّ. واسـتكمِل بالعلم، فيتأتّى[3] لك كثيرٌ من الفضائل. وصُم عن الشهوات، وصلّ والليل مُظلِم، وعليك بـالأوراد والتسـابيحِ وقطعِ الخواطر الرديئـة.** >[4] ويُراد بهـا هاهنا خواطر النفس، وهي الخواطر الشيطانيّة ـسواء كانت وهميّةً، أو خياليّة، أو شهويّة، أو غضبيّةـ.



---

(١) B243b

(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٣) فيتأتّى: فتأتّى P

(٤) أنوار الحقيقة: ٧٣٤ ـ ٧٣٥

[الأمر بطهارة النفس]

[١]< **وأكثِر من التطهير بطهارة روح القدُس.** <[٢] وهي الطهارة المعتبرة هنا، وهي الطهارة التي يتكلّم [عنها][٣] الكُمَّل من الحكماء والأولياء.

[٤]< وهي عندهم تظهر وتحصل[٥] من أحكام الجمع الوحدانيّ الوجوبيّ الوجوديّ، والإطلاقِ عن كلّ تقيّد[٦] يقضـى بالحصـر، وبالعلم المحقَّق، والتوحيد الشهوديّ الوجوديّ، والخلوّ باطناً عمّا سوى الحقّ أو عمّا سوى ما يحبّه ـ سبحانه[٧] ـ ويرضاه.

[درجات الطهارة]

فأوّل درجاتها[٨] المختصّة بالأرواح[٩] الإيمانُ والتوحيد[١٠] الاستحضاريّ الخصيص به ولوازم ذلك الإيمان والتوحيد.

وأعلى مراتبها[١١] دوام التحقّق بمعرفة الحقّ، وشهوده بالتجلّي الذاتيّ الذي لا حجاب بعده، ولا مستقرّ للكُمَّل دونه.

وباقي[١٢] درجاتها منحصر[١٣] بين هذين الطرفين. <[١٤]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٥
(٣) عنها: عليها AB
(٤) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.
(٥) تظهر وتحصل: تطهّر يحصل AB
(٦) تقيّد: تقييد AB
(٧) سبحانه: ـ AB
(٨) فأوّل درجاتها: وأوّل درجاتها المشروعة P
(٩) بالأرواح: بالقلوب والأرواح P
(١٠) والتوحيد: التوحيديّ AB ǁ A315a
(١١) مراتبها: مراتب الطهارة التي يتحلّى بها الإنسان P
(١٢) باقي: + أنواعها و P
(١٣) منحصر: يتعيّن P
(١٤) شرح الأربعين حديثاً: ١٠ ـ ١١

[١]< وطهارة القلب[٢] إنّما تحصـل بقلّة التعشّـقات والتعلّقات وإذهابها[٣] ما خلا تعلّقه بالحقّ.

وطهارة بدنه من جميع القاذورات.

وطهارة[٤] حواسّه من إطلاقها في ما لا يحتاج[٥] إليه من الإدراكات.

وطهـارة الأعضـاء من إطلاقهـا في التصـرّفـات الخارجة عن دائرة الاعتدالات[٦] المعلومة من الموازين العقليّة والشرعيّة.

وطهـارة خيـاله عن الاعتقادات الفاسـدة، والتخيّلات الرديئة، وجوَلانه في ميدان الآمال والأمانيّ.

وطهارة ذهنه من الأفكار الرديئة، والاستحضارات الغير اللائقة.

وطهارة عقله من التقيّد بنتائج[٧] الأفكار في ما يختصّ بمعرفة الحقّ، وما يصاحب فيضه[٨] المنبسط على الممكنات[٩].

وطهارة قلبه[١٠] من التشعّب[١١] بسبب[١٢] التعلّقات الموجبة لتوزيع الهمم وتشتيت العزمات[١٣].

وطهـارة النفس من أغراضـهـا[١٤]، بل من عينها[١٥]؛ فإنّها خميرة الآمال والأمانيّ،

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: شـرح الأربعين حديثاً.

(٢) القلب: باطن الإنسان أعني روحه وقلبه P

(٣) إذهابها: ذهابهما P

(٤) وطهارة: بطهارة AB

(٥) يحتاج: تحتاج A

(٦) B244a

(٧) التقيّد: التقييد بغير AB

(٨) فيضه: فيه A

(٩) الممكنات: + من غرائب الخواصّ والعلوم والأسرار P

(١٠) قلبه: القلب P

(١١) التشعّب: التقليب التابع للتشعيب P

(١٢) بسبب: سبب B

(١٣) الموجبة لتوزيع ... العزمات: _ AB

(١٤) أغراضها: أعراضها AB

(١٥) عينها: عيبها AB

والتعشّق بالأشياء، وكثرة التشوّشات[١] المختلفة التي هي نتائج الأذهان والتخيّلات[٢].

وطهارة الروح من الحظوظ[٣] الشـريفة المرجُوّة من الحقّ، كمعرفته، والقرب منه، والاحتظاء[٤] بمشاهدته، وسائر أنواع النعيم الروحانيّ.

وطهارة الحقيقة الإنسانيّة من عون[٥] ما في[٦] الجمعيّة، بطهارة بدنه و[٧] بطهارة كلّ خلق منه.

وطهارة روحه بالتأييد القدسيّ والإمدادات الروحانيّة. وثمرة ذلك كلّه[٨] الطهارة ممّا تلوّث[٩] به الروح من صحبة مزاجه الطبيعيّ، وما اتّصل به من الخواصّ المضرّة زمانَ الارتباط التدبيريّ.

وأمّا طهارة سرّه ـ الذي هو الحصّة من مطلق التجلّي الجمعيّ[١٠] ـ هو باتّصاله بالحقّ المطلق الجامع، و[١١] زوال الأحكام التقييديّة التي عرضت له بسبب المعيّة مع العين الثابتة التي هي المَجلى المقابلة لذلك التجلّي والمقيّدة إيّاه[١٢].

[الطهارة العامّة والطهارة الخاصّة]

فطهارة الإنسان[١٣] العامّة هي كونه نسخةً من حضرة الحقّ وحقائق[١٤] العالم، وجامعاً لأحكامها. فالأجمع هو الأتمّ تحقّقاً بالطهارة.

---

(١) التشوّشات: التشوّقات P
(٢) المختلفة التي ... التخيّلات: ـ AB
(٣) الحظوظ: غير الحضوض AB
(٤) الاحتظاء: الاحتضاء AB؛ احتظى به: إذا كان ذا حظوة ومنزلة عنده. (لسان العرب)
(٥) عون: غور A، عوز B
(٦) ما في: تنافي A
(٧) و: ـ A
(٨) كلّه: + في هذه الدار P
(٩) تلوّث: يلوث AB
(١٠) التجلّي الجمعيّ: التحلّي الجمعيّ و AB
(١١) و: ـ AB
(١٢) مع العين ... إيّاه: ـ AB
(١٣) A315b
(١٤) B244b

أمّا طهارته[١] الخاصّة[٢]، فبمقدار تحقّقه بالحقّ، واحتظائه بالتجلّي الذاتيّ الذي لا حجاب بعده ولا مستقرّ للكُمَّل دونه، مع الحضور التامّ والمعيّة الذاتيّة المنبسطة[٣] على عالَم الغيب والشهادة وما اشتملا عليه، فتدبَّر.

[النسبة بين الطهارة وسَعة الرزق]

ولهذا قال ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ: «أدِم على الطهارة، يوسَّع عليك الرزق»[٤]؛ فإنّه أشار بالطهارة إلى ما ذكرناه في هذه الأسرار. وأشار بالرزق إلى الرزق المعنويّ، وهو لوازم هذه الطهارة من الفيض والاتّصال[٥] والقرب. >[٦]

[٧]< فإنّ طهارة باطن الإنسان[٨] يكون بسبب[٩] قلّة التعلّقات وإذهاب التعشّقات[١٠] ما خلا تعلّقه بالحقّ، وتقليل خواصّ الكثرة والصفات الإمكانيّة، وأحكام إمكانات الوسائط، والسلامة من ضرر الخواصّ المودَعة في الأشياء الموجبة لكدورة القلب والروح، والحِرمان والحُجُب والانصباغ بالخواصّ المُضرّة المودَعة في الأشياء التي هي مظاهر النجاسة.

فكما أنّ الطهارة المذكورة توجب مزيدَ الرزق[١١] المعنويّ، وقبولَ العطايا الإلهيّة، ووفورَ الحظّ منها، كذلك الطهارة الظاهرة[١٢] توجب مزيدَ الرزق الحسّيّ؛ لأنّ عالم

---

(١) طهارته: طهارة AP

(٢) الخاصّة: + بعد تجاوزه ما ذكرنا من طهارة بدنه وروحه وسرّه P

(٣) المنبسطة: المنبسط A

(٤) عوالي اللئالي: ٢٦٨/١

(٥) الاتّصال: الإيصال A

(٦) شرح الأربعين حديثاً: ١٥ ـ ١٩ (مع تلخيص)

(٧) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.

(٨) الإنسان: + أعني قلبه وروحه P

(٩) بسبب: سبب AB

(١٠) التعشّقات: التعسّفات A

(١١) الرزق: رزق A

(١٢) الظاهرة: + الصوريّة P

الصور الظاهرة الجسمانيّة تابع لعالم الأرواح في الوجود والأحكام والصفات. فالجامع للطهارتَين فائزٌ بالرزقَين. >[١]

[٢]< فمَن نظر[٣] إلى ما حقّقناه، عرَف سرَّ هذا الحديث، وعرَف كيفيّة التطهير واستجلاب الرزق[٤]، وعرَف أنّ التحليل والتحريم من الحقّ[٥] لمحض[٦] إشفاقه على خلقه[٧]، وأنّه طبّ إلهيّ لقلوبهم وأرواحهم[٨] وصفاتهم، بل[٩] ولصورهم تبعاً لها[١٠].

وعرَف سرّ قوله ـعليه السلامـ: «من أخلصَ للّه أربعين صباحاً، ظهرت[١١] ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[١٢].

وسرَّ قوله: «ما وسعَني أرضي ولا سمائي، ووسعَني قلب عبدي المؤمن التقيّ النقيّ»[١٣]. وفي رواية: «الليّن الوادع[١٤]»[١٥]. >[١٦]

فـ«التقيّ» من التقيّد[١٧] بأحد طرفَي الأسماء دون الآخر، «النقيّ» من شهود كثرة الأسماء والامتياز بينها بخصوصيّتها، «الليّن» في قبول التجلّيات الذاتيّة، «الوداع» عمّا سوى الحقّ اللّه بالفناء في اللّه.

وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾[١٨] (الآية).

---

(١) شرح الأربعين حديثاً: ١٥
(٢) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.
(٣) B245a
(٤) الرزق: + المعنويّ والحسّيّ P
(٥) الحقّ: + بواسطة رسوله P
(٦) لمحض: المحض B
(٧) خلقه: عباده P
(٨) أرواحهم: + وأخلاقهم P
(٩) بل: ـ AB
(١٠) تبعاً لها: بطريق التبعيّة P
(١١) ظهرت: طهرت B
(١٢) جامع الأخبار: ٩٤
(١٣) عوالي اللئالي: ٧/٤
(١٤) A316a
(١٥) إحياء علوم الدين: ٢٦/٨
(١٦) شرح الأربعين حديثاً: ١٩ ـ ٢٠
(١٧) التقيّد: القيد A
(١٨) القرآن الكريم: ٧٢/٣٣

[فـالأمـانـة][1] عبـارةٌ عن التجلّيـات الكلّيّـة الجمعيّة الإحاطيّة الأكمليّة. [و][2] قوله: ﴿فَأَبَيْنَ﴾ لعدم القابليّة لها. وقوله: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ﴾ لكمال القابليّة والمُضاهاة التامّة لها. [و][3] قوله: ﴿ظَلُوماً جَهُولاً﴾ لظلمه على نفســه بإفنائها في نور اللّه جهولاً؛ لعدم تعيّن الحقّ.

فافهَم ذلك، فإذا فهمتَه فاتّصِف بتلك الطهارة.



(١) فالأمانة: الأمانة AB

(٢) و: ـ AB

(٣) و: ـ AB

[الأمر بمقابلة النفس للنفوس القدسيّة]

(١)< **ونوِّر قلبَك باستحضار الأنفس المنوّرة القدسيّة، وقابِل معهم نفسَك؛ لتنجذب**(٢) **بالمماثلة، وينعكسَ عليها بعضُ شعاعاتهم، فتتخلّق بأخلاقهم؛** >(٣)

فإنّه قد تقرّر في الحكمة أنّ المقابَلة علّةٌ في انعكاس الشعاع من المرآة النوريّة إلى المرآة(٤) المصقولة. فيصير لها(٥) [نور شبيه](٦) بنور المقابل، وينعكس منها على ما يقابلها من المتنوّرات(٧). فيظهر نورها عليها، وينبسط على ما يقابلها مع عدم الحجاب.

وتقرّر فيها أيضاً أنّ المشابهة علّةٌ في الانجذاب، فالشِبه ينجذب طبعاً إلى مشابهه.

وحينئذٍ نقول(٨): كما أنّ الشمس مرآة نوريّة قابَلها مرآة القمر المتهيّئة لقبول نورها، [و](٩) انعكس عليه شعاعها، فتنوّر به، ثمّ فاض(١٠) على العوالم السفليّة، فنوّرها بواسطة الانعكاس منه إليها؛ كانت النفس المستعدّة [لجميع](١١) ما ذكرناه، مع مقابلتها للنفوس المتنوّرة(١٢) القدسيّة ـ كنفوس الأنبياء والأولياء، بسبب الاستحضار لهم ودوام الذكر القلبيّ، بعد المعرفة التامّة بما يجب لهم من التعظيم والإجلال ـ، موجباً للتجلّي

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) لتنجذب: لتجذب P

(٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٥

(٤) المرآة: + أمّا B

(٥) B245b

(٦) نور شبيه: نوراً شبيهاً AB

(٧) المتنوّرات: المتوارب A

(٨) نقول: يقول B

(٩) و: ـ AB

(١٠) فاض: أفاض B

(١١) لجميع: بجميع AB

(١٢) المتنوّرة: المنوّرة A

بصفاتهم، والقبول لكمالاتهم، والاتّصاف بالأخلاق الحميدة التي كانت لهم، بواسطة الانعكاس من المرايا النيّرة إلى المرآة المصقولة[١].

وكذلك التشبُّه[٢] بهم بواسطة الالتزامِ بالأحكام الشرعيّة والطرائق المرضيّة التي كانوا عليها وأُمروا [بها][٣]، وتتبُّعِ مَسالكهم، والمشيِ على آثارهم، يوجب الانجذابَ الشبهيّ إليهم، ويكون النفس المتشبّهة منجذبةً معهم، فتنتظم[٤] في سِلكهم، ويُفاض عليها الأنوارُ القدسيّة من تلك الحضرات بذلك الانجذاب والتخلّق.

[سرّ تشريع زيارة الأنبياء والأولياء]

[فواظِب][٥] على ذلك، [فمنه][٦] يظهر سرُّ معنى تشريع[٧] زيارةِ الأنبياء والأولياء، وقصدِ مَشاهِدهم الشريفة[٨] مِن شاسِع[٩] البلاد؛ فإنّ بذلك التوجّه يحصل المقابلة والتخلّق والتشبّه[١٠] بالمَزور، باعتبار تصوّرِ المطلوب، وارتسامِ صورته الجرميّة في القوّة الخياليّة، الموجبة لارتباط المتوجِّه [فيها][١١] إلى المتوجَّه [إليه][١٢]، المستلزم للفيض من النفس المقدّسة المتعلّقة بتلك الصورة المعنويّة المرتسَمة في الخيال بواسطة التوجّه المذكور.

ومنه يظهر أسرار كثيرة في زيارة[١٣] الصلحاءِ والإخوانِ في الإيمان والمشايخِ، بل وبه يُعرَف ـ بطريق التحدّس ـ أسرارُ الحجّ وأفعاله الحاصلة بالصور التكليفيّة. ولو لا

---

(١) A316b
(٢) التشبّه: التشبيه A
(٣) بها: ـ AB
(٤) فتنتظم: قسطهم A
(٥) فواظب: مواظب A، مواصب B
(٦) فمنه: ففيه AB
(٧) تشريع: التشريع A
(٨) الشريفة: + مع A
(٩) الشاسع: المكان البعيد. (لسان العرب)
(١٠) B246a
(١١) فيها: ـ AB
(١٢) إليه: ـ AB
(١٣) زيارة: زيادة B

خوف كشفِ قناعٍ[١] الإجمال[٢] عن دقائق أسرارٍ لا نتمكّن[٣] من الإفصاح عنها والتصريح بها، لَبسَطنا الكلامَ في هذا المعنى؛ فإنّه مجال[٤] واسع يحتمل البسط، إلّا أنّا اقتصرنا على التلويح والإشارة بما ذكرنا. ولعلّ الفَطِن الذكيّ لا يخفى[٥] عليه ما أرَدنا بهذه الإشارات، ولا يتقيّد بهذه العبارات؛ فإنّها كالتلويحات لأُولى البصائر، فأدِم.



(١) القناع: ما تتقنّع به المرأة رأسَها ومحاسنها. (لسان العرب)

(٢) الإجمال: الإحمال A

(٣) نتمكّن: يتمكّن A، تتمكّن B

(٤) مجال: محال A

(٥) يخفى: تخفى A

[الأمر بالدعاء والسؤال منه تعالى]

[١]< **والتزم بالالتجاء إلى نور الأنوار، وَقِف على باب الملكوت بخضوع واستكانة، وتعرَّض لنفحاته[٢]، وأكثِر من الدعاء والابتهال إلى حضرة ذي الوجود والجود والإفضال[٣]، واسأل[٤] منه؛ فإنّه المُعطي الوهّاب.** >[٥]

[٦]< وذلك لأنّه تعالى فتَح بابَ الدعاء بأمره[٧] بالدعوة بجميل الوعد والترغيب والإنذار، وفتَح بابَ[٨] سؤاله بالحاجة والترجّي وحسن الظنّ و[٩] الانتظار. >[١٠]

[أقسام السؤال والدعاء]

[١١]< والسؤال والدعاء قد يكون بلسان الظاهر ـأعني الصورة[١٢]ـ، وقد يكون بلسان الروح، وبلسان الحال، وبلسان المقام، وبلسان[١٣] الاستعداد الكلّيّ الذاتيّ الغيبيّ[١٤] الساري الحكم من حيث الاستعدادات الجزئيّة الوجوديّة التي هي تفاصيله.

[أقسام الإجابة]

والإجابة أيضاً على ضروب[١٥]:

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) لنفحاته: لنفخاته B
(٣) الإفضال: الاتّصال A، الأفضال P
(٤) اسأل: سأل A
(٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٥
(٦) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٧) بأمره: يأمره A
(٨) A317a
(٩) الظنّ و: ـ AB
(١٠) إعجاز البيان: ١٣٧
(١١) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(١٢) B246b
(١٣) بلسان: لسان P
(١٤) الغيبيّ: + العينيّ P
(١٥) أيضاً على ضروب: ـ AB

ـ إجابة[١] في عين المسؤول، وبذلُه على التعيين دون تأخير، أو بعد مدّة.

ـ وإجابة بمعاوضة في الوقت، أو بعده مدّة[٢].

ـ وإجابة ثمرتُها تكفير المعاصي[٣]، وقد نبّهَت الشريعةُ على ذلك.

ـ وإجابة بلبّيك و[٤] ما يقوم مقامَه.

[سرّ إجابة الدعاء]

وكلّ دعاء وسؤال يصدر من الداعي بلسان من الألسنة المذكورة، في مقابلته ـ في[٥] أصل المرتبة التي يستند إليها ذلك اللسانُ حسَب علم الداعي به[٦] واعتقاده فيه ـ إجابةٌ[٧] يستدعيها الداعي من حيث ذلك اللسان، ويتعيّن بالوصف والحال الغالبَين عليه وقتَ الدعاء.

ولصحّة التصوّر وجَودة[٨] الاستحضار في ذلك أثر عظيم، اعتبره النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم[٩] ـ وحرّض عليه عليّاً ـ عليه السلام ـ لمّا علّمه الدعاءَ، و[١٠] فيه: «اللّهمّ اهدِني وسدِّدني»، فقال: «واذكُر بهدايتك هدايةَ الطريق، وبالسَداد سدادَ السهم»[١١]، فأمره باستحضار هذين الأمرين حالَ الدعاء.

فافهَم هذا، تلمح كثيراً من أسرار الدعاء، و[١٢] أسرارِ إجابة الحقّ دعاءَ الرسُلِ والكُمَّلِ والأمثلِ فالأمثل من صفوَته. وأنّ صحّةَ التصوّر واستقامةَ[١٣] التوجّه حالَ[١٤]

---

(١) إجابة: بمعاوضة في الوقت A

(٢) أو بعد مدّة: أيضاً P

(٣) تكفير المعاصي: + وإحباطها AB، التكفير P

(٤) و: أو P

(٥) في: من P

(٦) به: ـ AB

(٧) إجابة: الإجابة A

(٨) وجودة: وجوده AB

(٩) وآله وسلّم: ـ B

(١٠) و: ـ A

(١١) رياض السالكين: ٤/٤١٨

(١٢) أسرار الدعاء و: ـ P

(١٣) استقامة: الاستقامة و AB

(١٤) B247a

الطلب والنداء عند الدعاء شرطٌ قويّ في الإجابة.

وممّـا ورد وممّا يدلّ على ذلك ويؤيّده[١] قوله ـعليه السـلامـ في حديث طويل: «ولو عرفتُم اللّـه حقّ[٢] معرفتـه، لَزالَـت بـدعائكم الجبال»[٣]. فنبّه على ما ذكرنا؛ لأنّ الأتمّ معرفةً بالشيء أصحّ تصوّراً له، كما نبّهتُ عليه[٤] في ما تقدّم[٥].

وبيانه: أنّ مَن تصـوَّر المُنادى[٦] والمسـؤول منه تصـوّراً صحيحاً عن علم[٧] ورويّة سـابقَين أو حاضـرَين حالَ الدعاء، ثمّ كلّمه ودعاه، وسـيّما بعد أمره له بالدعاء والتزامِه بـالإجـابـة؛ فـإنّـه يجيبه لا مَحالة. ومَن زعم أنّه يقصـد مناداةَ زيد والطلبَ منه، وهو يسـتحضر غيرَه و[٨] يتوجّه إلى سواه، ثمّ لا يجد الإجابة، لا يلومنّ إلّا نفسه؛ فإنّه ما نادى الآمرَ بالدعاء القادرَ على الإجابة والإسـعاف، وإنّما توجّه إلى ما اسـتحضره في ذهنه، وأنشأه من صفات تصوّراته بالحالة الغالبة عليه. وذلك[٩] لا جرمَ أنّ سؤاله لا يثمر، وإن أثمر فبشـفاعة حُسن ظنّه بربّه وشفاعة المعيّة الإلهيّة وحيطته ـسبحانهـ؛ لأنّه ـتعالى شـأنهـ مع كلّ تصـوُّر ومتصـوِّر ومتصوَّر. فالمتوجّهُ المحكومُ عليه بالخطأ مصيبٌ من وجهٍ، فهو كالمجتهد المُخطئ مأجورٌ، غير محروم بالكلّيّة، فاعلَم ذلك. >[١٠]



---

(١) وممّا يدلّ ... يؤيّده: ما يؤيّد ما ذكرنا P

(٢) حقّ: عن A

(٣) عوالي اللئالي: ١٣٢/٤

(٤) عليه: ـ AB

(٥) في ما تقدّم: قبل هذا P

(٦) المنادى: المبادئ AB

(٧) A317b

(٨) و: لم AB

(٩) وذلك: إذ ذاك P

(١٠) إعجاز البيان: ٢٨٠ ـ ٢٨١

[الأمر بتلاوة القرآن]

[١]< وتلاوة كتابه العزيز المحكم بالتدبّر لمعانيه[٢] من أعظم الذخائر وأجدى المنافع في حصول مطلوبك.

[مناجاة السهرورديّ لبيان كيفيّة الطلب منه تعالى]

وقُل كما قاله بعضُ أهل[٣] الطريقة ـ بل صاحب الطريقة بالحقيقة[٤] ـ في بعض رسائله[٥]: >[٦]

وأراد به الشيخَ الأكمل، صاحبَ حكمة الإشراق. وكثيراً ما نُشير إلى أقواله في كتابنا، ونسمّيه بالشيخ الإلهيّ، وهو [يحيى بن حبش][٧] السهرورديّ؛ فإنّه ذكَر هذه المناجاةَ في رسالة له سمّاها بـ كلمة التصوّف[٨].

[٩]< وفتح باب هذه المناجاة بصحّة المواجهة المعقولة وحسنِ التلقّي الأدبيّ، والتسليمِ والابتدار[١٠]. وفتح باب الثناء عليه[١١] بالتعريف لِما تضمّنه مقامُ الربوبيّة من اللطف والرحمة في حقّ المربوب، مع ثبوت المُلك والتمكّن[١٢] مِن فعل ما شاء كيف

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) لمعانيه: في معانيه Ps

(٣) أهل: أهلّة AB

(٤) B247b

(٥) رسائله: حالاته P

(٦) أنوار الحقيقة: ٧٣٥

(٧) يحيى بن حبش: عمر بن محمّد AB

(٨) أصل المناجاة من السهرورديّ، كما ذكره في: كلمة التصوّف: ١٠٢ ـ ١٠٤؛ لكن هذه العبارات نقلها المصنّف من أنوار الحقيقة للسيّد حيدر الآمليّ، كما سنذكر.

(٩) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(١٠) ابتدر القومُ أمراً: بادَر بعضُهم بعضاً أيّهم يسبق إليه، فيغلب عليه. (لسان العرب)

(١١) عليه: ـ P

(١٢) التمكّن: التمكين AB

شــاء[١]، على كلّ حال وفي كلّ دار[٢]. وفتح باب شــكره[٣] بالإحســان وبابَ المزيد بالشـكر، وأشـهد نفوذ أحكام قهره في مَن أبى[٤] مِن حيث حقيقة قبول إحسانه ولطفه؛ تحـذيراً من ازدِراء[٥] النعم، وتـذكرةً لأهـل الاعتبـار. وفتح بـاب تحميـده وتعظيمه[٦] بإشهاد ذلّ العبوديّة تحت عزّ الربوبيّة، بترك[٧] الشطح والتعاظم[٨] والافتخار. >[٩]

وهذه هي المناجاة[١٠] الفاتحة لهذه الأبواب:

[١١]< **يا قيّوم! الظلامُ أحاط بي.** >[١٢] وأراد به غلبةَ الأحوالِ الطبيعيّة، ومتعلّقاتِ الأُمور المادّيّة الجاذبة[١٣] للنفس إلى التعلّق بالأُمور البدنيّة، [الموجبة][١٤] لاســتيلاءِ الشـهوة والغضب على العقل، وظهورِ النفس الحيوانيّة على النفس الملَكيّة. وكلّ هذه ظلمات حاجبة ومانعة عن الوصول.

[١٥]< **وحيّـاتُ الشــهوات لســعَتني؛** >[١٦] فإنّ ذلك في الحقيقة[١٧] كذلك؛ لِما عرفتَ من كيفيّة ظهور الأعمال بصور الأجساد، فكانت الشهوات المقترفة حيّات مؤذية بســمّهــا، قـاتلة [بلدغها][١٨] ونهشـــها، وإن لم يظهر ذلك في الحال لأهل الحُجُب؛ لِغفلتهم عن ذلك بعدم إدراك الحقائق.

---

(١) شاء: + و A
(٢) دار: وارد A
(٣) شكره: الشكر P
(٤) أبى: ـ AB
(٥) الازدراء: الاحتقـار والانتقاص والعيب. (لسان العرب)
(٦) تحميده وتعظيمه: التمجيد والتعظيم P
(٧) بترك: لترك P
(٨) التعاظم: التكبّر. (لسان العرب)
(٩) إعجاز البيان: ١٣٧ ـ ١٣٨
(١٠) A318a
(١١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٥
(١٣) الجاذبة: الحاوية A
(١٤) الموجبة: الموجب AB
(١٥) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٦) أنوار الحقيقة: ٧٣٥
(١٧) B248a
(١٨) بلدغها: بلذعها AB

[١]< **وتماسيح الهوى قصدَتني.** <[٢] والحال فيها كما في حال الشهوات. وسُمّي أتباعُ الأهوية تماسيحَ باعتبار السياحة المعنويّة في لجّة تلك الأهوية، المشتملة على بحار فيها تلك الحيوان الذي شأنه الأذى.

[٣]< **وعقارب الدنيا [الدغَتني]**[٤]. <[٥] وذلك باعتبار تصرّفات الحركات الأرضيّة، وتصريف الإنسان وتقلّباته[٦] في طلب المعاش الدنيويّ؛ فإنّها عقارب [لادغة][٧] مؤلمة بسبب ما يوجبه حكمُ رعاية التدبير المُلكيّ الذي دأبه الخلاص عن شوائب الغفلة عن المقصود.

[٨]< **فصرتُ** لأجل هذه المذكورات **بين خُصومي غريباً،** <[٩] لا ناصرَ لي يخلّصني[١٠] من هذه الحيوانات المُضرّة القاصدة إليّ. وتحقّق الغربة باعتبار أنّ النفس مباينة لهذه العوالم الحيوانيّة، صادها شرك الأقفاص البدنيّة، فصارت في بلد غير موطنها الأصليّ، فهي حينئذٍ في بلد الغربة. ومع كثرة الخصوم وحصول الغربة يكون أعظم للأذيّة، وأشدّ للنكاية[١١]، وأقوى في المصيبة.

[١٢]< **فخلِّصني يا ربّ! أُناديك يا ربّ! [أنا]**[١٣] **غريق في بحر الطبيعة.** <[١٤] وهي الظلمات السابقة؛ فإنّها في الحقيقة بحر[١٥] وقعَت فيه النفس، فانغمسَت فيه،

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٥
(٣) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٤) لدغتني: لذعتني AB
(٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٥
(٦) تقلّباته: ملقّباته A؛ بلقاته B
(٧) لادغة: لاذعة AB
(٨) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٩) أنوار الحقيقة: ٧٣٥
(١٠) يخلّصني: بخصلتي Bc
(١١) للنكاية: للنكابة A؛ نكيتُ في العدوّ نكايةً: أي هزمتُه وغلبتُه. (لسان العرب)
(١٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٣) أنا: _ ABP
(١٤) أنوار الحقيقة: ٧٣٥
(١٥) B248b

وغرقَت بأمواجه، واستولى عليها ظلماته.

[١]< **هالكٌ**[٢] **في نَهمة الشـهوات؛** >[٣] فإنّ النَهمة كثرةُ الأكل، ولا ريب أنّ مَن حلّى نفسَــه ولــذّاتهــا[٤]، وترَكهــا والانهمــاك في طلــب المشــتهيــات ـ من المآكل، والملابس، والمنــاكح، والمراكــب، وغير ذلــك ـ، لم يكن لها في ذلك حدّ ينتهي إليه. ولا يزال ينتقل به من شهوةٍ إلى أُخرى، ومن لذّةٍ مفارقة إلى تحصيل غيرها، بلا شَبع ولا فُتور.

[٥]< **أنا مطروح على باب كبريائك.** >[٦] وهذا هو فتحُ باب الانقطاع إلى الملِك، والالتجاء إليه، بعد الاعتراف بالإساءة والعجز.

[٧]< **أ يحسـن من لطفك ردّ الفقير؟** >[٨] وهذا فتحُ باب الاستعطاف، والاعتراف بالنعم، وإنزال الرحمة، وحُسن الرعاية.

[٩]< **عبدك الملتجئ إلى جناب جبروتك، خلِّصه بجذبة من جذبات نورك.** >[١٠] وهذا فتحُ باب المسـألة والطلب بعد الاعتراف بالإحسـان، وحسن الانقطاع إليه، وثوقاً بما عنده، واعتماداً على حُسن رعايته.

[١١]< **سبحان ربِّ الجبروت، سبّوحٍ قدّوسٍ، ربِّ الملائكة والروح.** >[١٢] وهذا فتحُ بــاب العظمــة والثنــاء على الملِــك، بتعــديــد[١٣] مُلكه، وسَــعة قهره، وعِظَم دائرة

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) A318b

(٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٥

(٤) لذّاتها: لذّتها B

(٥) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٦) أنوار الحقيقة: ٧٣٥

(٧) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٨) أنوار الحقيقة: ٧٣٥

(٩) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(١٠) أنوار الحقيقة: ٧٣٥

(١١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(١٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٥

(١٣) بتعديد: بتعدّيه B

إحاطته، بما هو أعظم ممّا يدركه الحواسّ من مُلكه.

[١]< **إلهي! أنا العبد الآبِق[٢]، حلّ بي مرضُ المعاصي، ساقط[٣] على بابك على ظَمأٍ، فما بالُ مريضك لا تُعالجه، وظمآن لطفك[٤] لا تسقيه شربة من زلال عفوك؟** >[٥] وهذا فتحُ باب الاعترافِ بالخطيئة والخضوعِ بباب المخدوم، طلباً للشفاء من الأمراض المنتهية[٦] إلى الموت، وطلباً للسقي[٧] النافعة من الظمأ الذي هو سبب المرض، وتذلّلاً وخضوعاً يريد به طلباً لرحمته وعطفه.

[٨]< **يا مَن قذف بنوره في هويّات السابقين[٩]، وتجلّى بجلاله على أرواح السائرين، وانطمس في عظمته ألباب الناظرين!** >[١٠] وهذا فتحُ باب تعديد نعمه على أهل الاستحقاق من أوليائه وأحبّائه[١١].

وأراد بالسابقين أهلَ الحضور الشهوديّ؛ فإنّه بسبب ظهور أنواره في[١٢] هويّاتهم واستكمالهم بشهودها سبقوا مَن تخلَّف[١٣] عن مقاماتهم، فاختصّوا بها.

وأراد بالسائرين أهلَ البدايا من أهل السلوك؛ فإنّهم باعتبار تجلّياته وظهور[١٤] آثاره على أرواحهم الحيوانيّة استمرَّت مُنقادةً للأنفس الملَكيّة. فتحقّق منهم صحّة السير والسلوك، وصحّت عزائمهم و[إراداتهم][١٥]، فكانوا من المحبّين المشتاقين إلى

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) أَبَق: أي هرَب، فهو آبِق. (لسان العرب)
(٣) ساقط: ساقطة A
(٤) B249a
(٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٥
(٦) المنتهية: المنهيّة AB
(٧) للسقي: للسقيا B
(٨) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٩) السابقين: الشائقين A
(١٠) أنوار الحقيقة: ٧٣٥ ـ ٧٣٦
(١١) أحبّائه: أحبابه A
(١٢) A319a
(١٣) تخلّف: تحلف B
(١٤) ظهور: طهور B
(١٥) إراداتهم: إرادتهم AB

الوصول والإيصال بالحضرة الإلهيّة.

وأراد بالناظرين أهلَ البحثِ والنظرِ وتحصيلِ المقاصد بالبراهين القطعيّة؛ فإنّهم مع تعميقِهم في المباحث وتدقيقِهم في الأفكار، لم يصلوا إلى ما أرادوا من تلك المباحث بالأنظار. بل عظمتُه وجلالُه وشدّةُ إشراقاته وظهوره طمس الألباب القويّة القادرة على استخراج المجهولات[١]؛ فإنّ أنوار الأفكار وإن قويَت واشتدَّت، فإنّها ضئيلة[٢] ضعيفة بالنسبة إلى أشعّة الذات وأنوارها الشعشعانيّة. فلا تُظهر عندها أثرها، بل انقهرَت وانحسرَت عن الوصول. وما أحسنَ ما عبّر من هذه المراتب الثلاث القاسمة لأهل الطلب إلى هذه الأقسام.

وعبّر [عن][٣] المرتبة الأُولى بالهويّات؛ نظراً إلى الاتّصال الحقيقيّ العقليّ الحاصل لهم.

وعبّر عن المرتبة الثانية بالأرواح؛ نظراً إلى توجّهها إلى المطالب، مع بقاء المباينة والانفصال؛ لعدم حصول التشبّه الموجب للاتّصال.

وعبّر [عن][٤] المرتبة الثالثة بالألباب؛ لأنّها محلّ الأفكار ومواضع العلوم.

[٥]< **اجعَلني من المشتاقين إليك، العالِمين بلطائفك.** >[٦] وهو فتحُ باب الطلب التوجّهيّ باعتبار قبض القابليّات.

[٧]< **يا ربَّ العجائب وصاحب العظائم، ومُبدِع الماهيّات وموجِد الإنّيّات، ومُنزِل البركات ومُظهِر الخيرات!** >[٨] وهو تكرار لفتح باب الثناء والتعظيم والمدح

(١) B249b

(٢) الضئيل: النحيف. (لسان العرب)

(٣) عن: في AB

(٤) عن: في AB

(٥) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٦) أنوار الحقيقة: ٧٣٦

(٧) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٨) أنوار الحقيقة: ٧٣٦

على الملِك، بذكر[١] مَمالكه وتعداد مصنوعاته. وفيه فوائد [تتعلّق][٢] بالمُناجي، موجبة لقوّة [بهيّة][٣].

[٤]< **اجعَلنا من[٥] المُخلَصين الشاكرين الذاكرين، الذين رضوا بقضائك، وصبروا على بلائك. إنّك الحيُّ القيّوم، ذو الجودِ العظيم والأيدِ المتين، والغفورُ الرحيم.** >[٦] وفي هذا جمعُ البابين وفتحٌ لهما؛ لاشتماله على تعداد الثناء بذكر الأسماء الحسنى[٧]، مع الطلب[٨] لِما يكون سبباً للنجاة ووصولاً إلى مراتب السعادة، باعتبار الاتّصال[٩] إلى مقامَي الرضى والصبر، وهما أعلى مقامات الواصلين، وأعظم درجات العارفين، ونهاية مَصاعد السالكين.

[١٠]< **يا ربَّ الأرباب! يا مُمِدَّ[١١] الملكوت بنور جلاله!** >[١٢] لأنّ عالم الملكوت [متّسعٌ][١٣]، عظيم الدائرة، غير ذي نهاية. وذلك لأنّه أنوارُ الذات المقدّسة وأشعّتُها المجرّدة.

[١٤]< **يا مَن إذا تجلّى لشيء خضع له! يا خفيّ اللطف!** >[١٥] وهذا فتحُ باب التعظيم بذكر آثار القدرة وانقهارِ الأشياء لها، وإن كان يخفى[١٦] كيفيّةُ ذلك الانقهار،

---

(١) بذكر: تذكر A
(٢) تتعلّق: يتعلّق AB
(٣) بهيّة: بهيئة AB
(٤) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٥) A319b
(٦) أنوار الحقيقة: ٧٣٦
(٧) الحسنى: الحسبيّ B
(٨) B250a
(٩) الاتّصال: الإيصال A
(١٠) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١١) ممدّ: ممتدّ ABP؛ وما أثبتناه من: كلمة التصوّف: ١٢٦
(١٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٦
(١٣) متّسع: متّسعاً AB
(١٤) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٦
(١٦) يخفى: مخفيّ A

ولم يُعلم سرُّ سريان ذلك التجلّي، المستلزم للخضوع مع لطف التدبير، فلا يُستطاع الاطّلاعُ على دقائق تلك الآثار.

[١]< **يا من رشّ نورَه على ذوات مُظلِمة، فنوَّرها، وقذَف شعلةَ شوقه على الأفلاك، فدوّرها وسيّرها!** >[٢] وهذا فتحُ لباب[٣] حقيقة الإبداع [الأوّل][٤]، وظهورِ آثاره في العالم الإيجاديّ، باعتبار صحّة الانطباق بينهما.

ورشُّ النور هنا كناية عن بسط الوجود على القابليّات، وظهوره في أطوارِه وشؤونِه ومناسباتِه.

وأراد بالذوات المُظلِمة جملةَ الممكنات؛ فإنّها باعتبار الإمكان الذاتيّ اللازم فيه جانب العدم اشتملَت على الظلمة العدميّة. فاحتاجت إلى الإظهار بالاستنارة من رَشاش نور الأنوار على جهاتها الظلمانيّة[٥]. فاستنارت بها، فعرض لها وجوبُ الوجود الغير الطارد والنافي[٦] للعدم[٧] الذاتيّ. ولزم من هذا الظهور النورانيّ ظلالُ الأفلاك الجسميّة تحت طبقته الطوليّة، ممتدّاً[٨] إلى الأجرام العنصريّة بأطوارها.

وشعلةُ الشوق المديرة[٩] للأفلاك، المقذوفة في أجسامها، كنايةٌ عن النفوس الفلكيّة المتعلّقة بها؛ فإنّ سببَ تحريكها لأجرامها إنّما الشوقُ العشقيّ لمعشوقاتها العقليّة، المقتضي للتشبّه بها، كما تقدّم بيانه في المباحث السالفة.

[١٠]< **خضعَت لعظمتك الرقاب، ولانَت لهيبتك الصِلاب، وتلذّذَت بذكرك**

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٦

(٣) لباب: الباب A

(٤) الأوّل: الأوّليّ AB

(٥) B250b

(٦) النافي: الثاني A

(٧) A320a

(٨) ممتدّاً: مستعدّاً Bc

(٩) المديرة: المديدة A

(١٠) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

الأرواح الراقصات، وركدَت لبارق عزّتك[١] الحواسّ الحائرات. >[٢] وهذا فتحُ باب الهيبةِ، والعظمةِ، وجلالةِ الحال، والرفعةِ، والكبرياءِ، والعزّةِ، وظهورِ[٣] السلطان، والقهرِ، وخلوصِ التملّك، والغلبةِ.

وأراد بالأرواح الراقصات الأنفسَ الفلكيّة. وإنّما كانت كذلك بحصول الحركات المختلفة الأنحاء[٤] والأطوار.

وأراد بالحواسّ الحائرات الأنفسَ الإنسانيّة. سمّاها بذلك لافتقارها في كمالاتها إلى الحواسّ. وإنّما كانت حائرةً باعتبار التردّد العارض في تعقّلاتها[٥] وكمالاتها واستعداداتها[٦] بواسطة العوائق الطبيعيّة[٧] والعلائق البدنيّة.

[٨]< **يا من برَق برقُ[٩] عزّته[١٠] في سرائر[١١] المُنيبين، وزَمجَر[١٢] رعدُ هيبته في قلوب الخاشعين!** >[١٣] وهذا فتحُ باب العطايا والهِبات الإنسانيّة في حقائق القابليّات. ولا شكّ أنّ الراجع إليه إنّما كان رجوعُه بعد الهرب بسبب بوارق العزّ[١٤] الإلهيّ البارق في سرائره، لفتح باب الرحمة بذلك الرجوع والإنابة الإجابيّة الطلبيّة. والذي خشع بعد قَسوَته، ولانَ بعد تجبُّره[١٥] وعُتُوّه، إنّما كان ذلك منه لقوّة أصوات الوعيد

---

(١) عزّتك: عزّك P

(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٦

(٣) ظهور: طهور B

(٤) الأنحاء: الإيجاد B

(٥) تعقّلاتها: تعلّقاتها A

(٦) استعداداتها: + ما AB

(٧) الطبيعيّة: الطبيعة A

(٨) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٩) برق: ـ A

(١٠) عزّته: غرّته P

(١١) B251a

(١٢) الزمجرة: الصوت، وخصّ بعضهم به الصوتَ من الجوف. (لسان العرب)

(١٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٦

(١٤) العزّ: الغير A

(١٥) تجبّره: تحيّره A؛ تجبّر الرجل: تكبّر. (لسان العرب)

الإلهيّ التشريعيّ. فهي هنا الرعدُ المُشار إليه في مَجامع قلبه، فخشع وخضع واستكان.

[١]< **يا صاحبَ الكلمة العُليا!** >[٢] وهي النفس الكلّيّة الجامعة[٣] لصفات الكمال بسرّ جمع[٤] الربوبيّة، وظهورها بالمظاهر الإلهيّة. فلا كلمةَ أعلى ولا أجلّ منها.

[٥]< **وربَّ السكينة الكبرى!** >[٦] وهي الشريعة المحمّديّة الجامعة لأسرار الشرائع كلّها، والحاويةُ[٧] على جميع مكارم الأخلاق، المُشار إليها في قوله ـعليه السلامـ: «إنّما بعِثتُ لأُتمّم مكارم الأخلاق»[٨]، وقد جمَعها اللّهُ تعالى في قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ﴾[٩].

[١٠]< **هَب لنا من لدنك رحمةً. أفِض[١١] على نفوسنا لوامع بركاتك، وعلى أرواحنا سواطع خيراتك. اجعَلنا مِن السُعَداء العارفين لجلالك[١٢]، المشاهدين لجمالك، الراهبين منك، إنّك على كلّ شيء قدير.** >[١٣]

وهذا آخر المناجاة وتمامها، وهو فتحُ باب السؤالِ وطلبِ العطاء للوهبيّ، إمّا باعتبار الطلب اللسانيّ أو الحاليّ أو المقاميّ أو الوجوديّ. وما طلب في هذه[١٤] المناجاة هو غايةُ مآرب العارفين، وما يؤول إليه خاصّةُ أهل وسُلّاك طريق الوصول إليه. فلعلّ الجواد الوهّاب يجعلنا[١٥] من أهله، بفضله وكرمه.



(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٦
(٣) A320b
(٤) بسرّ جمع: سرّ جميع A
(٥) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٦) أنوار الحقيقة: ٧٣٦
(٧) الحاوية: الجاذبة A
(٨) مكارم الأخلاق: ٨
(٩) القرآن الكريم: ١٩٩/٧
(١٠) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١١) أفض: اقض A
(١٢) لجلالك: لجلاك P
(١٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٦
(١٤) B251b
(١٥) يجعلنا: لجعلنا A

[الفصل السادس والعشرون: في أحوال السالكين إلى نور الأنوار]

[أحكام الذكر]

ولمّا أتمّ الوصـيّةَ الخاتمة للمقصود بالذات مِن وضع الرسالة، أكملَها وجمَلها بما فيه عبرةٌ لذوي البصـائر وتبصرةٌ وعبرةٌ لمن اهتدى. وهو **واردٌ** به يتمّ الرسالة، ويظهر[١] جمـالهـا، ويحســن بذكره مقالها، [٢]< **ورد على بعض أهـل العرفان من مشـايخ الصوفيّة**[٣]**، مسطورٌ في لوح الذكر من العقول العالِمات، والنفوس القاهرات**[٤]**، المنتقشة بجميع الكائنات**[٥]**.** >[٦]

[٧]< اعلَم أنّ الذِكر:

ـ إمّا أن يقترن معه علم به وبالمذكور.

ـ أو بأحدهما.

ـ أو لا يقترن.

فإن اقترن فهو مُظهِر للحضور وسبب له، والحضور حقيقة متعلَّقها استجلاء المعلوم. ومراتبه:

ـ حضور[٨] مع الشيء من حيث عينه حسبُ[٩].

ـ أو من حيث وجوده.

ـ أو من حيث روحانيّته.

---

(١) يظهر: يطهر B

(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٣) أهل العرفان من مشايخ الصوفيّة: العارفين المكاشفين B

(٤) القاهرات: الظاهرات AB

(٥) الكائنات: الكانيات P

(٦) أنوار الحقيقة: ٧٣٦

(٧) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(٨) حضور: الحضور P

(٩) حسب: فحسب P

ـ أو من حيث صورته.

ـ أو من حيث مرتبته الجامعة بين هذه الأحكام[(١)] الأربعة.

وأمّا الحضور مع الحقّ، فإمّا أن يكون من حيث ذاته، أو من حيث أسمائه.

والذي من حيث أسـمائه، فإمّا أن يكون متعلَّقه اسـماً من أسـماء الأفعال، أو من أسماء الصفات.

والمختصّ[(٢)] بالأفعال يتعيّن[(٣)] بالفعل[(٤)] بحسب أنواعه.

والذي من حيث الصفات، فإمّا أن يكون متعلَّقه أمراً سلبيّاً أو ثبوتيّاً.

والـذي متعلَّقـه الـذات، إمّـا[(٥)] أن يكون مرجعه إلى أمر تقرَّر في الذهن من حيث الاعتقاد[(٦)] السـمعيّ، أو البرهان النظريّ، أو الإخبار النبويّ، أو المشـاهدة الذوقيّة، أو أمراً مركّباً عن[(٧)] المجموع، أو من بعضـها مع بعض. ولا بدّ في الكلّ من انضمامه إلى أحد الأحكام الخمسة المذكورة.

وأتمُّ[(٨)] مراتب الحضـور مع الحقّ أن يحضـر معه لا باعتبارٍ معيّن من حيث تعلّقٍ خاصّ، أو اعتبار حكم وجوديّ، أو نسـبيّ، أو[(٩)] أسـمائيّ، بسلب[(١٠)] أو إثبات، بصورة جمعٍ أو فرق، أو تقيّد[(١١)] بشـيء من ذلك أو كلّه بشـرط الحصر. وما ليس كذلك، فهو إمّا حضور نسبيّ من حيث مرتبة خاصّة، أو اسم معيّن إن كان صاحبه من أهل الصراط المستقيم، وإلّا فهو حضور مع السوى[(١٢)] ـكيف كانـ.

---

(١) A321a

(٢) والمختصّ: فالمختصّ P

(٣) يتعيّن: يختصّ AB

(٤) بالفعل: + وينقسم P

(٥) إمّا: فإمّا P

(٦) B252a

(٧) عن: من P

(٨) وأتمّ: فأتمّ P

(٩) أو: ـ AB

(١٠) بسلب: سلب B

(١١) تقيّد: يفيد A

(١٢) حضور مع السوى: مع حضور الشيء AB

ثمّ نقول[١]: والعلم المقترن بالذكر:

ـ إمّا أن يتعدّى الذكرَ[٢] ويتعلّق بالمذكور، ويتبعه الحضور المنبَّه على سرّه، ويكون تعلّقه به تابعاً[٣] للأُمور المذكورة في نتائج الأذكار[٤] من بعد[٥] بحسب ما سبق التنبيه عليه[٦].

ـ أو لا يتعدّى، فيكون متعلَّقة نفسَ الذكر، ويكون الحضور حينئذٍ معه فحسب، أو معه ومع المفهوم منه، إن كان ممّا يدلّ على معنىً زائد على نفس الذكر و[٧] دلالته على المذكور.

فإن اقترن مع ذلك كلّه حكمُ الخيال[٨]، استحضر ما كان صورة الذكر سبباً لتشخّصه في الذهن، فعلاً كان أو حركةً أو كيفيّةً أو صورةً وجوديّة، لفظاً كان أو غيره، أو أمراً متركّباً[٩] من ذلك كلّه أو بعضه.

وإن لم يقترن[١٠] مع ذلك تخيّلٌ حاكم، فهو ـأعني المسمّى ذكراً[١١]ـ عبارة عن نطقٍ بحروف نُظمت نظماً خاصّاً، تصلح[١٢] أن يُجعَل[١٣] أو يُفهَم لها[١٤] مدلولٌ ما ـكائناً ما[١٥] كانـ.

وأمّا نتائج الأذكار، فإنّها تظهر:

---

(١) ثمّ نقول: فنقول P
(٢) الذكر: الذاكر AB
(٣) تابعاً: تابعة A
(٤) الأذكار: الأفكار A
(٥) بعد: + و P
(٦) التنبيه عليه: ـ AB
(٧) الذكر و: ـ AB
(٨) الخيال: للخيال A
(٩) أمراً متركّباً: ـ AB
(١٠) يقترن: يفيد A؛ يقيّد B
(١١) ذكراً: وكذا A
(١٢) تصلح: يصلح AB
(١٣) B252b
(١٤) A321b
(١٥) كائناً ما: ـ AB

ـ بحسب اعتقاد الذاكر وعلمه.

ـ وبحسب ما يتضمّنه الذكر من المعاني التي يدلّ عليها.

ـ وبحسب الخاصّيّة اللازمة للهيئة التركيبيّة الحاصلة من اجتماع حروف الاسم[١] الذي[٢] يتلفّظ به الذاكر، أو يستحضره في خياله، أو يتعقّله[٣].

ـ وبحسب الصفة الغالبة على الذاكر حالَ[٤] الذكر، وغلبة أحد[٥] الأحكام الخمسة المذكورة.

ـ أو بحسب[٦] جمعيّة الأُمور المُسنَدة[٧] إلى الذكر نفسه.

واستيلاءُ أحدها أو[٨] كلّ ذلك بحسب الموطن والنشأة والوقت، وأوّليّةِ[٩] الباعث على التوجّه، وروحانيّةِ المحلّ والاسم الإلهيّ الذي له السلطنة إذ ذاك[١٠].

فافهَم وتدبَّر وأمعِن التأمّل في ما بيِّن لك؛ فإنّه إن فُكّ لك معمّاه، شاهدتَ بعقلك النظريّ الآليّ[١١] ما يهولك أمرُه، ويطيب لك خبرُه وأثره. واللّه وليّ الإحسان، والهادي إلى الحقّ وإلى صراط مستقيم. <[١٢]

فالحَظ[١٣] معنى الذكر، وداوِم على السير والسلوك.



(١) الاسم: النفس AB

(٢) الذي: التي A

(٣) يتعقّله: يتعلّقه A

(٤) حال: حين P

(٥) أحد: إحدى AB

(٦) بحسب: + حكم P

(٧) المسندة: المستندة P

(٨) أو: و AB

(٩) أوّليّة: + الأمر P

(١٠) ذاك: ذلك AB

(١١) الآليّ: إلى AB

(١٢) إعجاز البيان: ١٣١ ـ ١٣٣

(١٣) فالحظ: فالخطّ B

[حصول الطهارة للسالكين بالعلوم الحقيقيّة والأخلاق المرضيّة]

[١]< **وهو**[٢] **أنّ السالكين**[٣] **السائرين إلى نور الأنوار ـ الحقّ**[٤] **تعالى وتقدّس ـ يقرعون أبواب النور، ويتوسّلون بالعلوم الحقيقيّة**[٥] **والأخلاق [المرضيّة]**[٦] **بالإخلاص والصبر، فيُجنّون**[٧] **[بتُحَف]**[٨] **الملكوت**[٩]. >[١٠] وذلك هو نتيجة الأُمور المذكورة؛ فإنّهم متى علِم الحقّ تعالى مجاهدتهم وصدق نيّتهم، أفاض عليهم التُحَف الملكوتيّة، واطّلعهم على أسرار[١١] عالم الملكوت، وما يشتمل عليه من العجائب والآثار.

وذلك إنّما يكون لهم [١٢]< **بالإشراقات النوريّة عليهم؛** >[١٣] لقوّة استعدادهم لقبولها، فيشرق عليهم الأنوار الإلهيّة.

[١٤]< **ويُفاض عليهم صبّاً**[١٥] **من ماء ينبوع البهاء**[١٦] **والجلال** >[١٧] الإلهيّ، الذي هو عين الحياة التي مَن قرب منها لم يمُت، واتّصف بالحياة الدائمة التي هي

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) وهو: ـ AB
(٣) السالكين: الساكلين P
(٤) الحقّ: ـ P
(٥) الحقيقيّة: الحقيقة A
(٦) المرضيّة: الرضيّة ABP
(٧) فيجنّون: فيحبّون ABPs
(٨) بتحف: بتحائف ABP
(٩) الملكوت: الملوك A
(١٠) أنوار الحقيقة: ٧٣٦
(١١) أسرار: أسرارها B || B253a
(١٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٦
(١٤) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٥) صبّاً: فيضاً A
(١٦) البهاء: إليها A
(١٧) أنوار الحقيقة: ٧٣٦ ـ ٧٣٧

غـايـةُ بهـاء النفس[١] والجلال العقليّ، [٢]< **ومنبع الكمـال والجمال. فيطهَّرون**[٣] **بـالطهـارة النوريّـة؛ فـإنّ ذا الطَول**[٤] **يحـبّ**[٥] **طُهرَ**[٦] **الوافـدين إليـه بـالعلوم**[٧] **الحقيقيّة والأخلاق المرضيّة**[٨] >[٩] ـ كما تقدّمَت الإشارةُ إليه ـ.

[أقسام الطهارة والنجاسة]

[١٠]< واعلَم أنّ كلّ[١١] واحد من الطهارة والنجاسة ينقسم أوّلاً:

ـ إلى مـا هو غير مجعول، بمعنى أنّـه ليس للكسـب[١٢] والتعمّـل فيه مدخل، ولا فـائـدة للتوصـيـة والتحريض، أمراً[١٣] بـالتحلّي[١٤] بـه، أو نهياً عن التلوّث، أو[١٥] التطهّر والاحتراز[١٦] من[١٧] التلبّس بذلك.

ـ وإلى[١٨] طهـارة ونجـاسـة وجوديّـة مجعولة، وهو الذي يتعلّق به الأمر والنهي، ويفيد فيه الوصيّة والتحريض[١٩]، ويُجدي[٢٠] فيه السعي والتعمّل.

[قبول العطايا الذاتيّة والأسمائيّة بحسب الطهارة الباطنة والظاهرة]

واعلَم أنّ الحقّ تعـالى جوادٌ مطلقٌ، فيّاضٌ على الدوام بسـوابغ[٢١] الإنعام، دون

---

(١) بهاء النفس: بها النفسيّ A
(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٣) فيطهّرون: فيظهرون AB
(٤) الطَول: الغنى والفضل. (لسان العرب)
(٥) يحبّ: يجب AB
(٦) طهر: ظهر A
(٧) A322a
(٨) المرضيّة: الرضيّة P
(٩) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(١٠) بداية العبارات المنقولة من: شرح الأربعين حديثاً.
(١١) كلّ: لكلّ AB
(١٢) للكسب: الكسب A
(١٣) أمراً: في الأمر AB
(١٤) بالتحلّي: بالتجلّي B
(١٥) أو: و AB
(١٦) الاحتراز: الاحتراس AB
(١٧) من: عن A
(١٨) إلى: القسم الثاني هو P
(١٩) التحريض: التحريص A
(٢٠) يجدي: يحدي A
(٢١) بسـوابغ: بسـوابع P؛ سـبَغت النعمة: اتّسعَت. (لسان العرب)

بخلٍ، ولا التماس عوضٍ، ولا تخصيص طائفةٍ بعينها تخصيصاً يوهم[١] منعاً وتحجيراً على آخرين. والخلائق بأجمعهم يقبلون من عطاياه الذاتيّة والأسمائيّة بمقدار استعداداتهم الكلّيّة الغير المجعولة التي بها قبلوا منه الوجودَ أوّلاً[٢] حالَ ارتسامهم في علمه ـسبحانهـ. ويقبلون من عطاياه باستعداداتهم التفصيليّة الوجوديّة المجعولة بحسب طهارتهم الباطنة والظاهرة الوجوديّة.

وإنّما قلتُ[٣] «الوجوديّة» مِن أجل أنّ الطهارة المختصّة بالاستعداد الكلّيّ الموجب قبولَ الوجود من الحقّ القبولَ التامّ، عبارة عن سلامة حقيقة القابل من أكثر أحكام[٤] الإمكان، وقوّة مناسبة تلك الحقيقة للحضرة الوحدانيّة الإلهيّة، التي منها ينبسط الفيض على جميع القوابل الممكنة، وهي الطهارة الأصليّة الأُولى التي قلتُ: «إنّها غير[٥] مجعولة».

ويقابلها النجاسةُ[٦] المجعولة أيضاً، المقتضية قبولَ الفيض الإلهيّ، لا على الوجه التامّ، وتغييره[٧] عمّا كان عليه من الطهارة الأصليّة[٨] الإلهيّة، بسبب كثرة الأحكام الإمكانيّة وخواصِّ الوسائط.

وأمّا مرتبة النجاسة الكلّيّة الأُولى ـالتي هي في مقابلة الطهارة المذكورةـ فعبارة عن أحد وجهَي الإمكان الذي يلي العدمَ، وهو مَحتِد الأحكام المُشار إليها. ولهذا قلنا: إنّ سبب النجاسة غلبةُ أحكام الإمكان، وكثرتها، وخواصّ إمكانات الوسائط الثابتة بين الحقّ الموجِد ـسبحانهـ وبين القابل لفيضه ـكما سبقَت الإشارةُ إليه[٩]ـ.

---

(١) يوهم: توهم B
(٢) B253b
(٣) قلت: قلّت B
(٤) أحكام: الأحكام A
(٥) غير: ـ AB
(٦) النجاسة: + الغير P
(٧) تغييره: تعبيره A
(٨) الأصليّة: ـ P
(٩) وأمّا مرتبة النجاسة ... إليه: ـ AB

فافهَم، فهذا من أحكام مرتبة النجاسة الكلّيّة الأُولى، التي هي في(١) مقابلة الطهارة المذكورة.

ثمّ اعلَم أنّـه كمـا أنّ(٢) قلّةَ الوســائط وأحكام الكثرة الإمكانيّة توجب(٣) الطهارةَ(٤) وثبوتَ المناسبة مع الحضرة الوحدانيّة الإلهيّة، فيستلزم قبولَ العطايا الإلهيّة على وجه تـامّ، فكـذلـك كثرةُ الأحكـام الإمكانيّة وقوّتها، وخواصّ إمكانات الوســائط التي هي النجاســات المعنويّة اللازمة للموجودات، توجب(٥) نقصَ القبول وتغيّرَ(٦) الفيض(٧) المقدّس المقبول تغيّراً(٨) يُخرجه عن تقديسه الأصليّ.

ولكلّ واحد من هذه الطهارة والنجاسة اللازمة للموجودات أحكامٌ شتّى، تحصل(٩) بينها(١٠) ـفي مراتبها(١١) أوّلاً، و(١٢) في مظاهرها الوجوديّة(١٣) الصوريّة والروحانيّة ثانياًـ امتزاجـاتٌ على أنحـاء، ويحصــل في مـا بينهـا(١٤) غلبة ومغلوبيّة يقتضــي وصــف الموصوف بالغالب فيه منها(١٥) حكماً. وكذلك الحكمُ عليه في الشريعة.

فوُفور الحظوظ(١٦) من عطاياه ـسـبحانهـ الذاتيّةِ والأســمائيّةِ ونقصــانُها راجعٌ إلى كمال اسـتعدادات القوابل ونقصـانِها، وكمالُ اسـتعداد كلّ قابلٍ ونقصـانُه هو معبَّر عنه بالطهارة والنجاسة المُشار إليهما.

---

(١) في: ـ AB
(٢) كما أنّ: ـ P
(٣) توجب: يوجب AB
(٤) A322b
(٥) توجب: يوجب AB
(٦) تغيّر: يعتبر AB
(٧) B254a
(٨) تغيّراً: تغييراً AB
(٩) تحصل: يحصل P
(١٠) بينها: بينهما AB
(١١) مراتبها: مراتبهما B
(١٢) و: ـ AB
(١٣) الوجوديّة: + و AB
(١٤) بينها: بينهما AB
(١٥) منها: منهما AB
(١٦) الحظوظ: الخطوط AB

[شواهد من الكتاب والسنّة]

وهـذا من المتّفَق عليـه عنـد المحقّقين، وقـد صـرّح به جماعةٌ من أكابر أهل اللّه وخاصّـته في كتُبهم، وإليه الإشـارةُ في الحديث القدسـيّ[١] الذي في[٢] آخره: «فمن وجد خيراً فليحمد اللّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه»[٣].

ولقوله[٤] ـعليه السلامـ مخاطباً لربّه: «الخير كلّه بيديك، والشرّ ليس إليك»[٥].

ويؤيّد ذلك قولُه تعالى[٦]: ﴿ما أَصـابَكَ مِنْ حَسَـنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَما أَصـابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[٧].

ونحو ذلك ممّا تكرّرَت الإشارةُ إليه[٨] في الكتاب العزيز والسنّة الكريمة، وتحقّقَت بمعرفته أهلُ العقول المنوّرة، وأربابُ الأذواق الصحيحة والأرواح الطاهرة[٩].

[بيان أنّ الذنوب نجاسات والطاعات مطهِّرات]

واعلم أنّ المتّفَق عليه ـعقلاً وشـرعاً وكشفاًـ أنّ عالم الأرواح متقدّم بالوجود على عالم الأجسام، وأنّ عالم الأجسام[١٠] أوجده اللّه[١١] بواسطة عالم الأرواح، وجعَله تابعاً له في الصـفات والأحكام، كتبعيّته له في قبول الوجود[١٢] من الموجِد[١٣]، فهو كالظلّ لعالم الأرواح.

---

(١) القدسيّ: الإلهيّ P

(٢) في: ـ A

(٣) الحكايات في مخالفات المعتزلة: ٨٥

(٤) لقوله: بقوله P

(٥) الكـافي: ١٤٠/٦؛ من لا يحضـره الفقيه: ٣٠٤/١؛ تهذيب الأحكام: ٦٧/٢؛ المقنع: ٩٢؛ مصـباح الـمتهجّـد: ٣٦/١؛ فلاح السائل: ١٣٢

(٦) تعالى: + و A

(٧) القرآن الكريم: ٧٩/٤

(٨) الإشارة إليه: به الإشارة AB

(٩) الطاهرة: الظاهرة B

(١٠) B254b

(١١) اللّه: + تعالى P

(١٢) A323a

(١٣) الموجد: الموجود الحقّ P

وأقول على سبيل الإجمال: إنّ الذنوب كلّها نجاسات باطنة، وإنّ[١] لبعضها خواصّ تتعدّى[٢] من الباطن إلى الظاهر، كما أشار إليه ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ بقوله[٣]: «إنّ العبد لَيحرم الرزقَ بالذنب يُصيبه»[٤].

وقد يكون الحِرمان بالنسبة إلى الرزق المعنويّ[٥] الروحانيّ، وقد يكون[٦] من الرزق الظاهر المحسوس، وقد يكون [من][٧] كليهما[٨].

والطاعات كلّها مطهِّرات:

ـ فتارةً بطريق المَحو، المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٩]، وبقوله ـعليه السلامـ: «أتبع السيّئةَ الحسنةَ تَمحُها»[١٠].

ـ وتارةً بطريق التبديل، المُشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[١١].

فالمحوُ المذكور عبارة عن حقيقة العفو، والتبديلُ عبارة عن مقام المغفرة. فإذا تنبّهتَ[١٢] لِما أشرتُ إليه، عرفتَ الفرق بين العفو والمغفرة.

[تعدّي خواصّ المعاصي والطاعات من ظاهر الإنسان إلى باطنه وبالعكس]

ولكلّ واحد من المعاصي والطاعات خواصٌّ تتعدّى من ظاهر الإنسان إلى باطنه، وبالعكس[١٣]؛ فإنّ:

---

(١) إنّ: إن كان P

(٢) تتعدّى: يتعدّى AB

(٣) بقوله: ـ AB

(٤) الأماليّ للطوسيّ: ٥٢٨؛ مكارم الأخلاق: ٤٦٠؛ تنبيه الخواطر: ٥٤/٢

(٥) المعنويّ: + و P

(٦) يكون: + الحرمان P

(٧) من: ـ AB

(٨) وقد يكون من كليهما: ـ P

(٩) القرآن الكريم: ١١٤/١١

(١٠) تنبيه الخواطر: ٩٠/١

(١١) القرآن الكريم: ٧٠/٢٥

(١٢) تنبّهت: تدبّرت AB

(١٣) بالعكس: + ومع التعدّي AB، + وقع التعدّي P

ـ منها[١]: ما يقبل[٢] الزوالَ بسرعة.

ـ ومنها: ما لا يقبل الزوالَ إلّا ببطوء مع كُلفة.

ـ ومنها[٣]: ما يستمرّ حُكمُه إلى الموت، ويزول[٤] في البرزخ.

ـ ومنها: ما لا يزول إلّا في المحشر.

ـ ومنها: ما لا يزول إلّا بعد دخول النار[٥]، نعوذ باللّه منها[٦].

وهذا بشرط ثبوت التوحيد في باطن مَن هذا شأنُه، وقد نبّهَت الشريعةُ على جميع ذلك.

[منشأ الطهارة]

ثمّ إنّ الطهارة تظهر وتحصل من أحكام الجمعِ الوحدانيّ الوجوبيّ الوجوديّ، والإطلاقِ عن كلّ تقيّد[٧] يقضي بالحصر، وبالعلم المحقَّق، والتوحيد[٨] الشهوديّ الوجوديّ، والخلوّ باطناً عمّا سوى الحقّ أو عمّا سوى ما يحبّه ـ سبحانه ـ ويرضاه.

[درجات الطهارة]

وأوّل درجاتها المشروعة المختصّة بالقلوب والأرواح[٩] الإيمانُ والتوحيد الاستحضاريّ[١٠] الخصيص به، ولوازمه أيضاً ـ أعني لوازم الإيمان ـ، ولوازم توحيده.

وأعلى مراتب الطهارة[١١] التي يتحلّى بها الإنسان دوامُ التحقّق بمعرفة الحقّ، وشهوده بالتجلّي الذاتيّ الذي لا حجاب بعده، ولا مستقرّ للكُمَّل دونه.

---

(١) منها: فيها AB

(٢) يقبل: تقبل A

(٣) منها: فيها AB

(٤) يزول: يزب A

(٥) B255a

(٦) نعوذ باللّه منها: ـ AB

(٧) تقيّد: تقييد AB

(٨) التوحيد: توحيد A

(٩) الأرواح: + لا AB

(١٠) الاستحضاريّ: الاستحصاريّ AB

(١١) A323b

وباقي أنواعها ودرجاتها يتعيّن بين هذين الطرفين.

[منشأ النجاسة]

وأمّا أنواع النجاســة التي يُراد التطهّرُ(١) منها(٢) والاحترازُ عنها(٣)، بعد التطهّر(٤) من التلوّث بها، بانصــباغ المَحالّ بأحكامها؛ فإنّها تظهر(٥) وتنشــأ(٦) من الجهل والشــرك، وأحكام القيود القاضـية بالحصر(٧) في عقيدة مخصوصة ناشئة من التأويلات، والآراء الفــاســدة، والعــادات(٨) الرديئـة، والشــهوات القاهرة للقوى الروحانيّة، والمقتضــية للانهماك(٩) بصفة الإطلاق عن الضوابط الشرعيّة والعقليّة.

ومن أنواع النجـاســة التفرقةُ المقابلة للجمعيّة، وأحكام الكثرة الإمكانيّة من حيث نِسَبها العدميّة.

[أقسام الطهارة والنجاسة من حيث المحالّ الموصوفة بها]

وينقســم أيضــاً كلّ واحد من الطهارة والنجاســة(١٠) ـ من حيث المَحالّ الموصـوفة بها ـ إلى ثلاثة أقسام: قسم ظاهر، وقسم باطن، وقسم مشترك.

فمرتبـة الطهـارة البـاطنـة تختصّ(١١) بعـالم الأرواح، والنفوس الزكيّة، والصــفات المضــافة إليها(١٢) من حيث ذواتها، ومن حيث ما تجتذبه وتســتصــحبه(١٣) من لطائف الصور التي كانت تُدبِّرها.

---

(١) التطهّر: التطهير AB
(٢) منها: هنا A
(٣) عنها: ـ P
(٤) التطهّر: التطهير AB
(٥) تظهر: تطهر A
(٦) تنشأ: تنتشئ P
(٧) بالحصر: الحصر P
(٨) العادات: العاديات AB
(٩) للانهماك: الانهماك P
(١٠) B255b
(١١) تختصّ: يختصّ AB
(١٢) إليها: ـ AB
(١٣) تجتذبه وتستصحبه: يحدثه ويستصحبه AB

وأمّـا مظـاهر الطهـارة الظـاهرة فتختصّ ببعض المعـادن والنبـاتـات المتولّـدة من العناصر، ما لم يقترن بها شيء من فضَلات الحيوانات.

وإنّما خصّـصـتُ الطهارة(١) الظاهرة(٢) بصـورة المولّدات(٣)، ولم أصِـفها(٤) بالطهارة التامّة الجامعة، مِن أجل أنّ لكلّ صـورة من صور المولّدات قوىً وخواصّ باطنة، بعضها يلائم الإنسـان وينفع نفسَـه بإذن اللّه في باب السـلوك والاسـتكمال، وبعضها يضرّه ولا يلائم نفسَـه، وإن لم يتّصل به، بل بمجرّد القُرب والمجاورة. فمثل هذه الصور من حيث ظاهرها يكون طاهرةً، ومن حيث خواصّـها نجسة نجاسةً باطنة، يجب الاحتراز عنها لمن عرفها(٥).

وكـذلـك(٦) الحيوانـات التي يحلّ أكلُها، فإنّها من حيث صـورها طاهرة(٧)، ما لم يقترن بها شيء من فضَلات بعض الحيوانات ـكما مرّـ.

وما سـوى ما ذكرتُ من الصـور ـكصـور العالم العِلويّ، والعناصـر، والمعادن، والنباتات الخالية من الخواصّ الرديئة التي سـبقَت الإشـارةُ إليهاـ [فطاهرةٌ](٨) طهارةً ظاهرة وباطنة.

[أقسام الحلال والحرام]

واعلَم أنّ الحِلّ من لوازم الطهارة، والحُرمة منبع النجاسة. وكلّ واحد(٩) من الحلال والحرام ينقسم(١٠) ثلاثة أقسام، كانقسام الطهارة والنجاسة.

---

(١) الطهارة: ـ AB

(٢) الظاهرة: الطاهرة A

(٣) المولّدات: + قوى A

(٤) أصفها: أضفها P

(٥) لمن عرفها: ـ P

(٦) A324a

(٧) طاهرة: ظاهرة AB

(٨) فطاهرة: وطهارته AB، فظاهرة P

(٩) B256a

(١٠) ينقسم: + إلى P

والحلالُ[١] التامّ الطاهر هو كلّ ما لا ضررَ فيه من حيث مزاجه، بالنسبة إلى الإنسان المؤمن المأمور بوصيّة قوله ـعليه السلام ـ لمّا شكى إليه بعضُ أصحابه الفقرَ والقلّة، فقال له ـعليه السلام ـ: «دُم على الطهارة، يوسَّع عليك الرزق»[٢].

ولا يتعلّق به حقّ لأحد يستلزم توجّه نفسه إليه؛ فإنّ لتوجّهات النفوس إلى الأشياء على هذا[٣] الوجه خواصّ رديئة تسري في بدن الإنسان المباشر لذلك الشيء، دون حقّ له فيه ـأكلاً كان[٤] أو لباساً أو مسكناً أو غير ذلك من التصرّفات ـ، فكلّها حاملة نجاسات معنويّة.

والقسم الآخر من الحلال ـالذي هو دون القسم الأوّل في الطهارة ـ هو كلّ مباشر ومُستعمِل[٥] من المآكل والمشارب وغيرهما يكون سليماً من تعلّقات أحكام[٦] النفوس وخواصّها بموجب[٧] من الموجبات المذكورة، غير أنّه لا يخلو في نفسه ـمن حيث مزاجه، ومن حيث روحانيّته أيضاً ـ من خواصّ رديئة لا تُلائم[٨] أكثرَ الناس. وأمثال هذه ليست في مقام الحِلّ التامّ والطهارة، كالذُباب[٩] واليَرابيع وجملة من الحشرات. هذا في باب المآكل والمشارب[١٠].

وهكذا الأمر في الملابس، إذا فُصِلَت وخيطَت[١١] في وقت رديء، اتّصل بها[١٢] خواصّ رديئة.

وكذلك ما ورد التنبيه عليه في الشريعة من شُؤم المرأة[١٣] والفرَس والدار، وشهدَت

---

(١) والحلال: فالحلال P
(٢) عوالي اللئالي: ١/٢٦٨
(٣) هذا: ـ P
(٤) كان: ـ P
(٥) مستعمل: يستعمل A
(٦) أحكام: الأحكام A
(٧) بموجب: لموجب P
(٨) تلائم: يلائم AB
(٩) كالذباب: كالضباب P
(١٠) والمشارب: ـ P
(١١) خيطت: خيِّطت P
(١٢) بها: بهما AB
(١٣) المرأة: المرآة A || A324b

بصحّته التجاربُ المكرّرة؛ فإنّ لجميع[(١)] هذه في بواطن[(٢)] أكثر الناس -بل في ظواهرهم أيضاً- خواصّ مضرّة، تتعدّى[(٣)] من بدن المُغتذي[(٤)] والمباشرِ والمصاحبِ إلى نفسِه وأخلاقِه وصفاتِه، فيحدث بسببها للقلوب والأرواح تلويثات هي من أقسام[(٥)] النجاسات. وقد نبّهَت الشريعةُ على كراهتها[(٦)]، دون الحكم بحرمتها، إلّا في بعض منها على بعض المذاهب الإسلاميّة، بل أقواها.

والقسم الآخر هو الطاهرُ[(٧)] صورةً، النجسُ معنىً من حيث إنّه حرام، كالطعام المغصوب[(٨)]، واللباس، والشراب، والمسكن، والمشمومات[(٩)]، ونحو ذلك.

وأمّا التامّ النجاسة ظاهراً و[(١٠)] باطناً فهو كلّ ما[(١١)] حرم بعينه، كالدم، والميتة، ولحم الخنزير، وكلّ ذي نابٍ من السِباع، وذي مِخلَب من الطير، والكلب، وكالخمر في المشروبات؛ فإنّ هذه كلّها نجسة ومحرّمة؛ لأنّها مُضرّة للإنسان من حيث الخواصّ والصفات التي جُبِلت عليها؛ لِتعدّي ضررها الذاتيّ المتناول. فالحرمة فيها للصفة اللازمة لذاتها من الأُمور المغصوبة[(١٢)]، فالتضرّر بها إنّما يحصل من موجب خارجيّ.

[الامتزاج بين أحكام الطهارة والنجاسة]

فإذا عرفتَ هذا، فاعلَم أنّ لأحكام الطهارة والنجاسة والحِلّ والحُرمة امتزاجاتٍ على أنحاء، وغلبةً ومغلوبيّةً، بحسب قوّة بعض الأحكام ورجحانِها -لكمال القوّة، أو

---

(١) لجميع: بجميع AB
(٢) B256b
(٣) تتعدّى: يتعدّى AB
(٤) المغتذي: المتغذّي P
(٥) من أقسام: ارتسام AB
(٦) كراهتها: كرامتها P
(٧) الطاهر: الظاهر B
(٨) المغصوب: المغضوب A
(٩) المشمومات: كالمشمومات P
(١٠) و: أو B
(١١) كلّ ما: كلّما AB
(١٢) المغصوبة: المغضوبة A

الكثرة[١]، أو لهما[٢] معاً ـ على غيرها[٣] من الأحكام التي يقع بينها[٤] الممازجة. وهذا هو القسم المشترك؛ فإنّها لا بدّ في الامتزاجات من حصول[٥] هيئات متعلّقة متوحّدة الكثرة[٦] لمزاج، هي مَحتِد[٧] الآثار المنسوبة إلى تلك الأحكام والتسمية والوصف. والحكم يترتّب[٨] على تلك الامتزاجات بحسب الغلبة[٩] والمغلوبيّة. وتعقُّل المساواة بين قوى تلك الخواصّ[١٠] وأحكامها أو القرب من المساواة هو مرتبة المكروه والمتشابه، المُشار إليه في الشريعة بقوله: «حلال بيّنٌ، وحرام بيّنٌ، وبينهما أُمور مشتبهات[١١]. فمَن استبرأ لدينه، اجتنب المتشابهَ»[١٢]. فندبَت الشريعة إلى التورّع في هذا القسم؛ احترازاً من ضرر متوقَّع.

[أسباب طهارة الباطن وكدورته]

إذا عرفتَ ذلك، فاعلَم أنّ طهارة باطن الإنسان ـ أعني قلبَه وروحَه ـ تكون وتحصل[١٣] بسبب قلّة التعشّقات والتعلّقات أو ذهابهما[١٤] ما خلا تعلّقه بالحقّ، وبسبب قلّة خواصّ الكثرة والصفات الإمكانيّة، وخصوصاً أحكام إمكانات الوسائط، والسلامة من ضرر الأحكام والخواصّ المنبَّه عليها من قبل، المودَعة في الأشياء المذكورة.

---

(١) الكثرة: لكثرة P

(٢) لهما: ـ AB

(٣) غيرها: غيرهما AB

(٤) بينها: بينهما A

(٥) B257a

(٦) الكثرة: لكثرة A

(٧) محتد: متّحدة AB

(٨) يترتّب: ترتّب AB

(٩) الغلبة: الغلبيّة AB

(١٠) A325a

(١١) مشتبهات: متشابهات P

(١٢) الكافي: ١/١٧٠؛ من لا يحضره الفقيه: ٣/١٠؛ تهذيب الأحكام: ٦/٣٠٢؛ الاحتجاج: ٢/٣٥٦؛ عوالي اللئالي: ١/٨٩

(١٣) تكون وتحصل: يكون ويحصل AB

(١٤) ذهابهما: إذهابها AB

وكـدورةُ القلـب والروح والحُرمة والحِرمان والمنع والحُجُب ونحو ذلك، تكون[١] بالصــفات المتقابلة لهذه، ككثرة الأحكام الإمكانيّة، وخواصّ إمكانات[٢] الوســائط، وكثرة التعلّقات، والانصـباغ بالخواصّ والأحكام المُضرّة المودَعة في الأشياء التي هي مظاهر النجاسة.

وكمـا أنّ طهـارة الأرواح والقلوب ممّـا ذكِرت يوجب مزيدَ الرزق المعنويّ[٣]، وقبولَ العطـايـا الإلهيّـة على ما ينبغي، ووفورَ الحظّ منها، فكذلك الطهارةُ الظاهريّة الصــوريّة يجـب أن يســتلزم مزيـدَ الرزق الحسّــيّ؛ لِمـا بيّنّـا مِن تبعيّة عالم الصــور[٤] الظاهرة الجســمانيّة لِعالم الأرواح في الوجود والأحكام والصـفات. ومَن جمَع[٥] بين الطهارتين، فـاز بالرزقين. وظهور[٦] التفاوت بين الرزقين إنّما يوجبه[٧] غلبةُ طهارة الباطن ورجحانُها أيضاً بالسعةِ[٨] والجوهريّةِ وقوّةِ المناسبة على الطهارة الظاهرة[٩]، وبالعكس. >[١٠]

فاعلَم ذلك، وطهِّر نفسَك بهذه الطهارة الحقيقيّة؛ لتكون من الوافدين.



(١) تكون: يكون AB
(٢) إمكانات: إمكان A
(٣) B257b
(٤) الصور: الصوريّة A
(٥) جمع: جميع A
(٦) وظهور: فظهور P
(٧) يوجبه: موجبه AB، + ظهور P
(٨) بالسعة: بالتبعيّة A
(٩) الظاهرة: _ A
(١٠) شرح الأربعين حديثاً: ٥ _ ١٥

[طلب إخوان البصيرة لخلاص أنفسهم الناطقة المحبوسة بعلائق البدن]

(١)< **فإنّ إخوان البصيرة اجتمعوا واتّفقوا على التنزيه المعنويّ أو اللسانيّ** أو كليهما(٢)، **ملازمين بخضوع وقنوت، و**(٣) **يذكرون ناظمَ طبقات عالمِ العناصر وعالمِ الأفلاك وعالمِ المثُل**(٤) **المعلّقة**(٥) **وعالمِ الأنوار المجرّدة، ويجتنبون الظلمات** ـوهي الدنيا(٦)ـ **وأبناءها قياماً**(٧) **في هياكل قرباتهم،** >(٨) وهي الأبدان؛ إذ بها يحصل كمالُ النفوس، وقربُها من العقول.

أو يكون هياكلُ القربات الصوامعَ والمساجدَ وأمثالَها من مواضع خلوات الذكر والعبادة؛ لأنّ فيها يُتقرَّب إلى اللّه تعالى.

(٩)< **يُناجون أهل الحجُرات،** >(١٠) وهي مواضع العزّة، ويريد(١١) بها العقول.

(١٢)< **يطلبون خلاص أسيرهم المحبوس في علائق الغواسق،** >(١٣) وهو النفس الناطقة المحبوسة بعلائق البدن.

(١٤)< **ويقتبسون النورَ من معدِنه،** >(١٥) أي محلّه ومكانه(١٦)، فينفعلون من ذلك.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) أو كليهما: ـ P

(٣) و: ـ P

(٤) المثل: المثال A؛ الميل B

(٥) A325b

(٦) وهي الدنيا: ـ P

(٧) قياماً: ما A

(٨) أنوار الحقيقة: ٧٣٧

(٩) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(١٠) أنوار الحقيقة: ٧٣٧

(١١) يريد: يزيد A

(١٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(١٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٧

(١٤) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(١٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٧

(١٦) B258a

[١]< **اقتداءً بالصافّين** عند اللّه[٢]، **والملائكةِ المقرّبين** >[٣] في المراتب العقليّة، والمرتّبين بترتيبها.

[النسبة بين الإنسان ومستنده الذي في وجوده]

[٤]< واعلَم[٥] أنّ لك مستنداً في وجودك، ولا شكّ أنّه أشرف منك[٦] من حيث استنادك إليه؛ إذ له رتبة الفعل والغنى، ولك رتبة الفقر والانفعال. فأشرف توجّهاتك نحوَ مستندك، وأشرف أحوالك ـ من حيث سيرك إليه، وقصدك له للقرب منه و[٧] الاحتظاء[٨] به معرفةً وشهوداً ومكانةً[٩] وتمكيناً ـ أن تقصده[١٠] بقلبك، الذي هو أشرف ما فيك؛ فإنّه المتبوع لجملتك[١١] بتوجّهٍ[١٢] مطلق[١٣]، لا من حيث نسبة أو اعتبار معيّن[١٤] يستلزم حكماً بنفيٍ أو إثباتٍ[١٥]، بصورةِ جمعٍ أو فرق وسواهما من الاعتبارات المتفرّعة على النفي والإثبات[١٦]، كتنزيهٍ[١٧] أو تشبيهٍ[١٨] وغيرهما ممّا[١٩] هو تابع لهما، ما عدا نسبة واحدة[٢٠] لا يصحّ سير ولا توجّه ولا رجاء ولا طلب بدونها، وهي نسبة تعلّقك به وتعلّقه بك. أو قُل: تعلّقه لك وتعلّقك له من حيث تعيّنه في

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) عند اللّه: ـ P

(٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٧

(٤) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(٥) واعلم: لا شكّ P

(٦) منك: + وسيّما P

(٧) و: أو AB

(٨) الاحتظاء: الاحتضار A

(٩) مكانة: مكانه AB

(١٠) تقصده: يقصده A

(١١) لجملتك: بجملتك AB

(١٢) بتوجّه: يتوجّه A

(١٣) مطلق: + جمليّ P

(١٤) معيّن: + علميّ أو شهوديّ أو اعتقاديّ P

(١٥) بنفي أو إثبات: نفي أو إثباتيّ AB

(١٦) بصورة جمع ... الإثبات: ـ AB

(١٧) كتنزيه: كتنزيهه A

(١٨) تشبيه: تشبيهه A

(١٩) غيرهما ممّا: ما AB

(٢٠) نسبة واحدة: النسبة الواحدة التي P

علمك واعتقادك. ولو ارتفعَت هذه النسبة كغيرها، لم يصحّ السلوك[١].

ولا تظنّنّ أنّ هذا[٢] إنّما هو بالنسبة إلى المحجوب[٣] فقط، بل ذلك ثابت في حقّ العارف المشاهِد أيضاً[٤]؛ فإنّه[٥] لو بلغ أقصى درجات المعرفة[٦]، لا بدّ أن يبقى معه اعتبارٌ مُبقٍ للتعدّد علماً، لا عيناً. ولو لاه لَما ثبتت مرتبةُ شاهدٍ ولا مشهود[٧]، ولا سير ولا طلب[٨]، ولا لسان ولا بيان، ولا رشد ولا إرشاد[٩].

والعارف قد يرى هذه النسبة[١٠] بعين الحقّ، لا من حيث[١١] نفسه، ولا بعينه و[١٢] بحسب مرتبته، فيحكم بأنّ مشاهدة[١٣] النسبة لا تقدح في تجريد التوحيد[١٤]. وربّما ذهل عنها؛ لقوّة سلطنة الشهود، أو حجبَته[١٥] سَطوَة التجلّي عن إدراكها، لكن عدم إدراكها لا ينافي بقاءها في نفس الأمر؛ لأنّ عدم الوجدان[١٦] لا يفيد عدمَ الوجود.

فإذا عرفتَ أنّه لا مندوحة عن[١٧] بقاءِ نسبةٍ باقية[١٨] قاضية باحتياجك إليه بسبب امتيازك عنه، فاجمَع همَّك عليه[١٩]، وخلِّص توجّهَك إليه، مع كلّ ما[٢٠] تعيّن منه لك[٢١]، من الاعتقادات والعلوم والمشاهدات، ممّا منعه غيرَك وخصّك به وحباك دون

---

(١) السلوك: + ولا الاستناد ولا غيرهما P
(٢) هذا: + الحال P
(٣) المحجوب: المحجوبين AB
(٤) أيضاً: _ AB
(٥) فإنّه: + و P
(٦) المعرفة: + والشهود P
(٧) مشهود: + ولا شهود P
(٨) طلب: + ولا بداية ولا غاية ولا طريق، ولا فقر ولا تحصيل، ولا توقّع ولا وصول A326a || P
(٩) إرشاد: رشاد P، + ولا ضالّ ولا هادٍ P
(١٠) النسبة: + الباقية P
(١١) B258b
(١٢) و: + لا A
(١٣) مشاهدة: + تلك P
(١٤) تجريد التوحيد: توحيد التجريد A
(١٥) حجبته: + سلطنة AB
(١٦) الوجدان: الوجودان B
(١٧) عن: من P
(١٨) باقية: _ P
(١٩) عليه: إليه P
(٢٠) كلّ ما: كلّما AB
(٢١) لك: + أو لسواك P

الخلق. وقابِل حضرتَه -بعد تخليص توجّهك على النحو المذكور- بالإعراض في باطنك عن تعقّل سائر[١] الاعتبارات الوجوديّة والكونيّة الإمكانيّة إعراضَ سائل حرّ[٢] عن الانقياد[٣] بحكم شيء منها، فتكون متوجّهاً إليه من حيث ثبوت شرفه عليك، وإحاطته بك، بقلب طاهر أخلص من هذا التوجّه، قابلٍ لأعظم التجلّيات، وليفني وحدة توجّهك الخالص المحرّض على التجلّي به سائر متعلّقات علمك وإرادتك. فلا يتعيّن لك معلوم ولا مراد، ولا حال ولا صفة، إلّا توجّهك الذاتيّ الكلّيّ المنزَّه عن كلّ[٤] تعيّن. ومتى تعيّن لك[٥] أمراً -إلهيّاً كان أو كونيّاً- كنتَ -بحسبه وتبعاً له من حيث هو، لا من حيث أنت- بحيث إنّه متى[٦] أعرضتَ عنه عُدتَ إلى حالك[٧] من الفراغ التامّ بالصفة[٨] الهيولانيّة المطلقة. وزمان تبعيّتك لِما تعيّن لك، إنّما هو[٩] من نفسك ونسخة وجودك. فنسبةُ ذلك الأمر إلى ما تعيّنت نسبته منك، نسبةُ التعيّن إلى المتعيّن. فإذا قابلتَ التعيّنَ[١٠] بتعيّن مثله، ظهر الوفاق والعدل التامّ. وما سوى ما تعيّن منك من[١١] ذاتك، فباقٍ على إطلاقه، لا صفة له، ولا اسم، ولا كيفيّة، ولا وسم[١٢]، ولا تعيّن، ولا رسم، كما هو الحقّ -سبحانه-؛ فإنّ[١٣] ما تعيّن من ذاته بالنسبة إلى عرصة[١٤] الأُلوهيّة[١٥] ليس إلّا ما استدعته استعدادات الأعيان المتّصفة بالوجود المنبسط منه، وهو -من حيث ما عدا ما استدعته وتعيَّن[١٦] بحسبها- باقٍ على الطلسة

---

(١) سائر: + الاعتقادات و AB
(٢) سائل حرّ: شامل خرج AB
(٣) الانقياد: الانقهار P
(٤) كلّ: + توجّه A
(٥) لك: _ AB
(٦) بحيث إنّه متى: فمتى AB
(٧) حالك: + الأوّل P
(٨) B259a
(٩) هو: تعيّن له P
(١٠) التعيّن: للتعيّن A
(١١) A326b
(١٢) وسم: رسم AB
(١٣) فإنّ: فإنّه P
(١٤) عرصة: عرضه AB
(١٥) الأُلوهيّة: الأُلوهة P
(١٦) تعيّن: + بها و P

الغيبيّة الذاتيّة، منزّهٌ عن القيود و[١] التقييد[٢] بصفة أو اسم أو حكم أو حال أو مرتبة أو رسم. فافهَم وسَل ربَّك أن تتحقّق[٣] بذلك[٤].

وكلّ حال ينتقل فيها السائرون إلى اللّه، الماشون على الصراط[٥] المستقيم، بنفس تنقّلهم في تلك الأحوال من حالٍ إلى حالٍ، ومن حكم إلى حكم، تأثيراً وتأثّراً، هو حكمُ[٦] حالك المطلق. كما أنّ مرجع الألوان المختلفة[٧] إلى مطلق اللون الكلّيّ الذي هو أصلها. فسيرُ هذا اللون المطلق الذي هو المثال نحوَ الكمال الخصيص بحقيقته هو بالألوان تنويعاً وتفصيلاً، وكمالُ جميعها في عودها إليه توحّداً.

فالمَح ما أشرتُ إليه وأضِفه[٨] إلى ما سلف من أمثاله، تعرف غايةَ الغايات، وكيفيّة[٩] المشي على الصراط المستقيم، المتّصل بأعلى رُتَب النهايات، >[١٠] الجامع [الجميع][١١] التنزيهات المعنويّة ـ المقرونة بذلك الخضوع والقنوت بالطور ـ التي[١٢] سلفَت، الموصِل[١٣] إلى ذكر الواحد المُنشئ لأطوار الطبقات الحاصلة في هذه العوالم.



---

(١) القيود و: ـ P
(٢) التقييد: التقيّد A
(٣) تتحقّق: يتحقّق A
(٤) بذلك: + لتكون على صورته وظاهراً بسورته P
(٥) الصراط: صراط AB
(٦) حكم: الحكم A
(٧) المختلفة: + التفصيليّة P
(٨) وأضفه: واصفه A
(٩) الغايات وكيفيّة: ـ AB
(١٠) إعجاز البيان: ٢٨٢ ـ ٢٨٤
(١١) لجميع: بجميع AB
(١٢) التي: إلهيّ A
(١٣) B259b

[أحوال إخوان البصيرة بعد ظهور عجائب الملكوت لهم]

فإخوان البصـيرة [لمّا][١] تحقّقوا بهذه الصفات، وتحلّوا بهذه الكرامات، فظهر لهم عجائب ملكوته.

[٢]< **فقالوا: سـبحان مَن جعَل الشـمسَ ـنوره الأوّلـ وسـيلةً لفيض جوده وإشـاعة[٣] وجوده.** >[٤] والنور الأوّل[٥] ـالمعبّر عنه هنا بالشمسـ هو العقل الأوّل؛ فإنّه [واسـطة][٦] الوجود على سائر القابليّات، فهو [سبب][٧] في إفاضة الجود وإشاعة الوجود.

[٨]< **وجواري شـمسـه وقمره خليفةً[٩].** >[١٠] وهما النيّران اللذان كان بسـببهما إفاضة النور العرضيّ ولوازمه وآثاره في العالم السفليّ[١١]، فهما خليفةٌ له في هذا العالم.

[١٢]< **وباقيها،** >[١٣] أي باقي الخمسـة المتحيّرة ـزحل، والمشـتري، والمرّيخ، والزهرة، وعطـارد[١٤]ـ جملةً في القرب إلى اللّه، والإفاضـة بالخيرات منه[١٥] على ما تحتها من العوالم السفليّة.

---

(١) لمّا: لم AB
(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٣) إشاعة: إفاضة P
(٤) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(٥) الأوّل: الأولى B
(٦) واسطة: الواسطة AB
(٧) سبب: سبباً AB
(٨) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٩) خليفة: وسيلة P
(١٠) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(١١) A327a
(١٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(١٤) عطارد: + و AB
(١٥) منه: فيه A

[١]< **فيتنعّمون** >[٢] في أنفسـهم بنعم اللّه عليهم، بما اختصّـهم[٣] به مِن القُرب، ووهَبهم مِن الشرف، وأعطاهم مِن القوى الدرّاكة الفعّالة.

[٤]< **ويُنعِمون** >[٥] بفضـل ما أوسـع اللّه عليهم مِن نعمه على غيرهم بالفيض[٦] والإشراق؛ فإنّه في العالم السفليّ حاصل [٧]< **بفيضهم**[٨] **وإشراقهم وأضوائهم في مدارجهم،** >[٩] أي حركاتهم في أفلاكهم؛ فإنّ الحركة توجب إشـخاص الضـوء من الكواكب المذكورة.

[١٠]< **فينتفعون** >[١١] بسبب ذلك بإشراق اللّه تعالى عليهم.

[١٢]< **ويُنفِعون**[١٣] **النازلين في السوافل من المستعدّين؛** >[١٤] لتوقّف الفيض على الاستعداد. فالعوالم السفليّة بالاستعدادات[١٥] التي لها تنتفع[١٦] منهم بحسب تلك الاستعدادات، وكلٌّ يقبل منه بقدر ما استحقّه بواسطة استعداده، وبذلك اختلفت أحوالهم في وصول ذلك النفع.

[١٧]< **وأهل التطهير في مَحاريبهم**[١٨] **في الصلاة خاشعين بالقرآن والأذكار؛** >[١٩] لأنّ اللّه تعالى لمّا ألقى بلطفه التقديس[٢٠] والتطهير على قلوبهم ـبسـبب إيوائِهم[٢١]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(٣) اختصّهم: احتضاهم AB
(٤) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(٦) بالفيض: بالقبض A
(٧) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٨) بفيضهم: بقبضهم A
(٩) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(١٠) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١١) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(١٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٣) ينفعون: ينقعون P
(١٤) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(١٥) B260a
(١٦) تنتفع: ينتفع A
(١٧) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٨) محاريبهم: محاربتهم Ps
(١٩) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(٢٠) التقديس: التقدّس B
(٢١) إيوائهم: أبوابهم A

إلى المَحاريب[١]، وقيامِهم فيها بالصلوات والأدعية وتلاوة الكتُب المُنزَلة ـ صاروا من أهـل الاسـتعـداد للقرب وإفاضـةِ الأنوار، فقامَت حالهم بالطلب الحقيقيّ، فيألهون لذلك.

[٢]< **وينادون: ربّنا! اطمِس عنّا غياهب ظلمة الجهل؛ إنّه دثار الظالمين.** >[٣] فـالأحوال التي لهم تُنـادي الربّ ـجـلّ جلالـهـ، فيقول: إلهنـا! اطمِس[٤] غيهـب[٥] النُكر[٦] وظلمة الجهل بالأنوار الإلهيّة، بسـبب استيلاء ظلمات الطبيعة وشهواتها؛ فإنّ ذلك ممّا اشتغل[٧] به أهلُ الظلم لأنفسهم وخالقِهم[٨]، وصار شِعارهم ودِثارهم[٩].

وأهـل التخلّص[١٠] يقولون: إلهنـا! [١١]< **إنّـا آتيناك طائعين، وأشـارَت**[١٢] **إليك أرواحُنـا بـالتقـاديس** ـالتي هي أصـنـاف التنزيـهـ **وأنواع التطهير؛ طلباً للترقّي والصعود إلى مقاعد جلالك** وعظمتك من كرسيّك[١٣] الفسيح، **ومَطرَح نورك** الرشيد الهادي. **فطهِّرنا** وقدِّسـنا **بأيدك القويّ** المتين. >[١٤] [١٥]< ركضَـت في طلب النور الأزليّ نفوسُ أُولى البصـائر في جولتها إذا رمَقت نحو[١٦] ضـوئك الكريم، إنّ ضـوءك الكريم[١٧] غياث المسـتجيرين. فهداية اللّه[١٨] أدركَت قوماً اصـطفوا باسـطي أيديهم،

---

(١) المحاريب: جمع المحراب. (لسان العرب)
(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(٤) طمس: امّحى. (لسان العرب)
(٥) غيهب: الظلمة. (نفس المصدر)
(٦) النكر: الفكر A
(٧) اشتغل: اشتعل B
(٨) خالقهم: خالفهم A
(٩) الدثار: الثوب الذي يكون فوق الشـعار. (لسان العرب)
(١٠) A327b
(١١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٢) أشارت: إشارات P
(١٣) كرسيّك: كرهتك A
(١٤) أنوار الحقيقة: ٧٣٧
(١٥) بداية العبارات المنقولة من: شـرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(١٦) نحو: + عرضات P
(١٧) B260b
(١٨) اللّه: _ AB

ينتظرون الرزق السماويّ من العلوم والمعارف والكشف. >[١]

[٢]< **ولذلك**[٣] **بسَطنا أيدينا لرزقك من الكشف والعرفان. فافتَح**[٤] **أبصارَنا بنورك؛ فإنّ جلالك وجدناه فوقَ أساطين الجبروت، ونظامه من ملوك**[٥] **الحضرة مرتدياً بالكبرياء.** >[٦] وذلك لأنّ الذين انفتحت أبصارهم بنور هداية اللّه لهم، وجدوا في مكاشفاتهم الشهوديّة اسمَه تعالى فوق نطاق الجبروت، وفوق أساطين العقول، الذين هم ملوك عقول الحضرة الربوبيّة.

[٧]< **وتحت شعاعه جميعُ الأنوار المجرّدة والقاهرة إليه ينظرون؛** >[٨] فإنّ باقي[٩] العقول وجميعَ النفوس الفلكيّة منقهرة تحت الشعاعِ الأكمل والنورِ الأعظم، بل وتحت أشعّة أنوار الأساطين من العقول. وكلّها ناظرةٌ إليه، مشاهِدةٌ له؛ لعدم الحُجُب بين الأنوار.



---

(١) شرح حكمة الإشراق: ٥٢٠

(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٣) ولذلك: فلذلك AB؛ لذلك: _ P

(٤) فافتح: وافتح P

(٥) ملوك: الملوك A

(٦) أنوار الحقيقة: ٧٣٧

(٧) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٨) أنوار الحقيقة: ٧٣٧

(٩) باقي: أنا في A

[ضرورة وجود الكمّل على الأرض]

[١]< **فأُولوا العزيمة والكمال في البسـيطة[٢] يطهّرون؛ ليصـلحوا لجواره[٣]، ويبغضـون السـيّئات والمعاصـي. ولو لاهم لقذفت السـماء وبالاً وعذاباً على البسـيطة، فترتجّ[٤] وترتعد، وتطحّن الظالمين.** >[٥] فالكاملون يطهّرون أنفسَـهم المتعلّقـة بأبدانهم وقتَ التعلّق بالطهارة الحقيقيّة والصـوريّة ـ المُشـار إليهما في ما تقـدّم ـ؛ ليَليقوا للقرب إلى اللّه تعـالى. فهُم أحبـاب[٦] الربّ ـ سـبحانه ـ، فيبعُدون ويجتنبون [كـلّ ما][٧] يُباعِد عن جواره وقربه. فلا يُلمّون[٨] بالذنوب[٩] والأرجاس، بل يكرهونها لأنفسـهم ولغيرهم، ويكرهون مَن يتلوّث بها؛ غضباً للّه. فلو لا أنّ الأرض لا [تخلو][١٠] عمّن هو مِن أهـل هـذه الصـفـة، لَمـادَت الأرض بـأهلهـا، ورَمَتهُم أهـلُ السـمـاوات بأنواع العذاب، فيُزلزَل[١١] الأرضُ، ويَنهَد[١٢] جبالُها، فيهلُك مَن فيها مِن سـكّـانهـا ممّن اقترف السـيّئات وتدنّس بالخطايا؛ لأنّ أهل السـماء[١٣] يبغضـون المعاصـي، فيبغضـون أهلَها. ولهم قدرةُ الإهلاك؛ لأنّها الأنوار القاهرة على ما تحتها بالتصرّف فيها. فلو لا الكُمَّل مِن عباده، لَخربت الأرض وزُلزِلت زلزالاً شديداً.



---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٢) البسيطة: البسطة B

(٣) لجواره: لجواده A

(٤) ترتجّ: ترتخّ P؛ ارتجّ البحر وغيره: اضطرب. (لسان العرب)

(٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٧ ـ ٧٣٨

(٦) A328a

(٧) كلّ ما: كلّما AB

(٨) الإلمام: مقاربة الذنب. (لسان العرب)

(٩) B261a

(١٠) تخلو: تحلوا AB

(١١) فيزلزل: فتنزل Bc

(١٢) نهد: نهض وتقدَّم. (لسان العرب)

(١٣) السماء: + و A

[أقسام الناس حسب مواجهتهم للأنبياء]

[١]< ولمّا بعث اللّهُ أنبياءَه إلى خلقه لِيعبدوه، فريقٌ نسكوا، وفريقٌ زاغوا، فمالوا مبعَدين[٢] عن الحقّ.

فالناسكون[٣] مرفوعون[٤] إلى مشاهدة[٥] الضياء والعوالم العقليّة، ويدخلون في صفوف هذه[٦] الملائكة، و[يطهّرهم][٧] اللّهُ ويقدّسهم بطهارته[٨]، فيُنعَمون دائمون.

وأمّا الزائغون[٩] فيبعُدون عن جواره، يُلقى عليهم الذُلّ والهَوان، مُنكَّسون على الرؤوس في حجاب الظلمات وحَنادس[١٠] الجسمانيّات. >[١١]

[معنى العبادة]

[١٢]< واعلَم أنّ «العبادة» في اللغة أقصى غايات الخضوع والتذلّل. و[١٣] منه «ثوب ذو عبَدة»، إذا كان في غاية الصَفاقة[١٤]، فكأنّه إشارةٌ إلى قبوله للانفعال[١٥] والتأثير القويّ. و«أرض معبَّدة»، أي: مذلَّلة. >[١٦]

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) مبعدين: معتدين P
(٣) فالناسكون: فالناكسون P
(٤) مرفوعون: موقوعون A
(٥) مشاهدة: مشاهد AB
(٦) هذه: عزّة AB
(٧) يطهّرهم: تطهّرهم AB، فطهّرهم P
(٨) ويقدّسهم بطهارته: _ P
(٩) الزائغون: الرائغون AB
(١٠) حِندِس: الظلمة، والجمع الحَنادس. (لسان العرب)
(١١) أنوار الحقيقة: ٧٣٨
(١٢) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(١٣) و: _ AB
(١٤) الصفاقة: + وقوّة النسج P
(١٥) للانفعال: الانفعال P
(١٦) إعجاز البيان: ٢٢٨

[أقسام العبادة]

[١]< واعلَم أنّ للإنسان عبادتين: عبادة ذاتيّة مطلقة، وعبادة صفاتيّة مقيّدة.

فالذاتيّة قبولُ شيئيّته[٢] الثابتة[٣] المتميّزة في علم الحقّ[٤] أزلاً للوجود الأوّل من موجِده[٥]، وإجابتُه لندائه، وامتثالُه[٦] الأمرَ[٧] التكوينيّ المتعيّن بـ«كُن». وهذه العبادة[٨] مستمرّةُ الحكم من[٩] حال القبول الأوّل والإجابة والنداء المُشار إليه إلى حدّ[١٠] متناهٍ؛ فإنّه من حيث عينه ومن حيث كلّ حال من أحوالها مفتقر[١١] إلى الموجِد دائماً؛ لانتهاء[١٢] مدّة الوجود المقبول في النفَس الثاني من زمان تعيّنه وظهوره[١٣]. والحقّ يمدّه[١٤] دائماً بوجوده المطلق المتعيّن والمتخصّص بقبول[١٥] الإنسان من الأسماء[١٦] وغيره من الممدودين به. والحركاتُ والأفعال التي لا تعمُّل فيها للإنسان والأنفاسُ أيضاً من لوازم ذلك[١٧] القبول، ومن جملة صور هذه العبادة[١٨].

والعبادة المقيّدة الصفاتيّة تختصّ[١٩] بكلّ ما[٢٠] يظهر[٢١] عن ذات العابد من حيث حكم صفاته، أو خواصّه، أو لوازمه، من حال أو زمان معيّن ذي بداية ونهاية وغيرهما.

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.

(٢) شيئيّته: شيئة B

(٣) الثابتة: الثانية A

(٤) B261b

(٥) موجده: موجبه AB

(٦) امتثاله: امتثال A

(٧) الأمر: للأمر P

(٨) وهذه العبادة: فهذه العبادات AB

(٩) من: في AB

(١٠) حدّ: أمد P

(١١) مفتقر: مفتقراً A

(١٢) A328b

(١٣) ظهوره: طهوره B

(١٤) يمدّه: بمدّة A، ممدّه P

(١٥) بقبول: لقبول A

(١٦) الإنسان من الأسماء: القابل إنساناً AB

(١٧) ذلك: هذا P

(١٨) العبادة: العباد AB

(١٩) تختصّ: يختصّ AB

(٢٠) بكلّ ما: بكمّلها A

(٢١) يظهر: يطهر B

فيختصّ[١] بهذه العبادة أيضاً عبوديّةُ الأسباب الكونيّة، وتفاوتُ الخلق فيها بحسب غلبة أحكام الصفات على حكمِ الذات[٢] وحكمِ ما يناسبها ـأعني الصفاتـ من الأُمور المؤثّرة في الإنسان الذي هو منفعلٌ لها، ومنجذبٌ[٣] بالقهر ـالذي هو الاستعباد[٤] في الحقيقةـ إليها؛ فإنّك عبد ما انفعلتَ له، وظهر[٥] عليك سلطانه. ولهذا قال رسول اللّه[٦] ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ: «تعَس[٧] عبدُ الدينار، تعَس[٨] عبدُ الدرهم، تعَس[٩] عبدُ الخميصة»[١٠].

والضابط في هذا المعنى أنّ التأثير مطلقاً ـحيث كانـ لسرّ[١١] الربوبيّة، والانفعالَ مطلقاً لمعنى العبوديّة. والكامل العبد لا يتأثّر[١٢] أصلاً، إنّما هو مرآة تامّة صحيحة[١٣] الهيئة، يظهر[١٤] كلّ منطبع فيها بحسب ما هو عليه في نفسه.

وهاتان العبادتان هما في مقابلة رحمة الوجوب ورحمة الامتنان. وكما أنّ في رحمة الوجوب رائحة التكليف، ورحمة الامتنان[١٥] مطلقة، لا إيجاب فيها ولا إلزام، كذلك العبادة الذاتيّة التي لا تكليف فيها، وليست من نتائج الأمر. وإنّما متعلَّق الأمر والتكليف العبادةُ المقيّدة الصفاتيّة ـالمُشار إليهاـ رأفةً من اللّه ورحمةً، واحتياطاً وتحذيراً من ميل[١٦] الإنسان بجاذب[١٧] إحدى صفاته إليها[١٨]. فيحصل بذلك الميل

---

(١) فيختصّ: ويختصّ P
(٢) الكونيّة وتفاوت ... الذات: ـ AB
(٣) منجذب: ينجذب AB
(٤) الاستعباد: الاستعداد A؛ استعداد B
(٥) وظهر: فظهر AB
(٦) رسول اللّه :النبيّ P
(٧) تعس: نفس A؛ التَعس: الهلاك. (لسان العرب)
(٨) تعس: تعيّن A
(٩) تعس: تعيّن A
(١٠) المجازات النبويّة: ٢٩٣
(١١) لسرّ: بسرّ AB
(١٢) يتأثّر: يؤثّر P
(١٣) B262a
(١٤) يظهر: يطهر B
(١٥) وكما أنّ ... الامتنان: ـ AB
(١٦) ميل: مثل A
(١٧) بجاذب: لجاذب A
(١٨) إليها: ـ AB

الذاتيّ لتلك الصفة الغلبةُ(١) على غيرها من الصفات، بحيث يستهلك أحكامُ باقي الصفات التي بظهور سلطنتها(٢) يحصل الاستكمال المتوقّف على حفظ الصحّة والاعتدال الروحانيّ والمعنويّ، المختصّ بالمزاجَين المتحصّلَين(٣) من الاجتماعات، الواقعة بين الأرواح وقواها الباطنة، وبين الصفات أو غيرها من المعاني المجرّدة.

[النسبة بين العمل والعبادة]

ثمّ(٤) إنّ العمل جسد(٥)، وروحه العبادة. فالعمل يطلب(٦) الثوابَ من جنّة وغيرها، لكن لا مطلقاً، بل من حيث يستند إلى أصل وحدانيِّ المرتبة، شاملِ(٧) الحكم. والعبادة تطلب المعبودَ. والعبادة(٨) من أحوال الروح، والأعمال تختصّ(٩) بالبدن أو بما تنضاف(١٠) إلى الروح باعتبار تعلُّقِه بالبدن، وتلبُّسِه بأحكامه الطبيعيّة(١١)، وظهورِه بحسب أحكام أصباغها، وحضورِ العبد بصفة الذُلّ بين يدي ربّه ـ عزّ وجلّ(١٢) ـ في كلّ فعلٍ(١٣) ـ مِن طاعة وغيرها ـ مِن أحوال العارفين، الذين يُصدِرون الأعمالَ مصحوبةً بالحياة الرفيعة، التي أوجبها(١٤) علمُهم وحضورُهم مع مشهودهم. فيعلوا العمل إلى منتهى مِرقاة(١٥) من المرتبة التي يستند إليها معرفتهم و(١٦) توجّههم وشهودهم(١٧). >(١٨)

---

(١) الغلبة: العلّيّة AB

(٢) سلطنتها: سلطانها A

(٣) المتحصّلين: المتخلّصين A || A329a

(٤) ثمّ: + نقول اعلم P

(٥) جسد: حينئذٍ B

(٦) يطلب: بطلب AB

(٧) شامل: كامل A

(٨) العبادة: العبادات P

(٩) تختصّ: يختصّ AB

(١٠) بما تنضاف: ينضاف AB

(١١) بأحكامه الطبيعيّة: بأحكام الطبيعة A

(١٢) عزّ وجلّ: ـ P

(١٣) فعل: فعله P

(١٤) أوجدها: أوجبها AB

(١٥) B262b

(١٦) معرفتهم و: بحسب AB

(١٧) شهودهم: مشهودهم B

(١٨) إعجاز البيان: ٢٣٧ ـ ٢٣٩

[سبب الأمر بالعبادة]

[١]< وأمّا لسان الربوبيّة في ما أنزل على عباده مِن أمرِهم بعبادته على هذا الوجه، فهو أنّه ـ سبحانه وتعالى[٢] ـ لمّا علِم أنّ القلوب وإن كانت مفطورةً على معرفته والعبادةِ له واللَجأ إليه، فإنّ الشواغل والغفَلات[٣] التي هي من خصائص هذه النشأة تُذهل[٤] الإنسانَ في بعض الأوقات عن تذكّر[٥] ما يجب تذكّرُه واستحضارُه، فاحتاج إلى التذكير والتعيين. فالأولى[٦] له الدؤوب[٧] عليه؛ لأنّ ما لا يتعيّن لا يثمر ولا يؤثّر. لا جرمَ أمَره تعالى بالعبادة، تذكيراً له أنّ[٨] الذي يجده من العلم والقوّة، لا يظنّ أنّه فيه مستقلّ، أو له بشيء من الكمالات اختصاصٌ، بل ذلك كلّه منه تعالى وإليه، كما قال الكامل المكمّل ـ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم ـ: «إنّما نحن به وإليه[٩] وله»[١٠].

فالمرتبة الربّانيّة تُعرِّف العبدَ بتعذّر الاستقلال[١١]. وهذا من غاية العدل، حيث ينبّهك[١٢] الحقُّ ذو[١٣] الفضل والإحسان والنعم ـ التي لا تُحصى ـ على ما للعبد[١٤] من المدخل في تكميل صورة إحسانه، فيعتدّ لذلك[١٥] ويعتبره[١٦] ولا يهمله، كما قال

---

(١) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٢) وتعالى: ـ P
(٣) الغفلات: العقلات AB
(٤) تذهل: يذهل AB
(٥) تذكّر: يذكر A
(٦) التعيين فالأولى: تعيين ما الأولى P
(٧) دأب فلانٌ في عمله دؤوباً: أي جدّ وتعب. (لسان العرب)
(٨) أنّ: وأمّا AB
(٩) وإليه: ـ P
(١٠) الكافي: ١٨٩/١٥؛ الأماليّ للصدوق: ٥٠٧؛ الغارات: ١٥٦/١؛ الغيبة للنعمانيّ: ٣٢٤؛ شرح الأخبار: ٣٧٠/١؛ الإرشاد: ٢٣٤/١؛ تنبيه الخواطر: ٥٠/٢؛ أعلام الدين: ٢٢٦
(١١) الاستقلال: + في الطرفين P
(١٢) ينبّهك: نبّهك AB
(١٣) ذو: + الجود و P
(١٤) للعبد: لك P
(١٥) لذلك: لك بذلك P || A329b
(١٦) يعتبره: يعتبر له A

ـسبحانه وتعالىـ معرِّفا ومنبِّهاً[١]: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها﴾[٢]، ثمّ قال: ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظيماً﴾[٣]. >[٤]

[عدم الاستقلال في العابديّة والمعبوديّة من الطرفين]

[٥]< واعلَم أنّ اللّه لمّا خلَق الخلقَ لعبادته ـكما أخبر[٦]ـ، وهَبهم مِن وجوده وصفاته[٧] ما قدَّر لهم قبولَه، فعبدوه به؛ إذ لا يصحّ أن يعبدوه بهم على جهة الاستقلال؛ لأنّهم من حيث هم لا وجود لهم، فلا يتأتّى منهم عبادة. ولهذا شرع[٨] لهم أن يقولوا بعد قولهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[٩] قولَهم: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ﴾[١٠]؛ لعدم الاستقلال. فانبعثوا عند هذا التنبيه طالبين منه المعونةَ على عبادته، كما كان القبول منهم لوجوده حالةَ الإيجاد معونةً لاقتداره[١١] ـسبحانه وتعالىـ؛ إذ لو لا مناسبة ذاتيّة غيبيّة أزليّةٌ يشهدها الكُمَّل المقرّبون، ما صحّ ارتباطٌ بين الربّ والمربوب، ولا أمكن إيجادٌ.

فالإيجاد خدمةٌ وعبادةٌ بصورة إحسان، والعبادة إيجادٌ لصور أعيان أعمال، ونُشوئه[١٢] إنشاء وإحياء لنشئات[١٣] العبادات[١٤]، ليرجع[١٥] إلى المنشئ ممّا ظهر وانتشأ به[١٦] كمالٌ لم يكن ظاهراً من قبل، كظهوره بعد الانتشاء[١٧]. فكذلك الأمر في

(١) منبّهاً: منهيّاً A
(٢) القرآن الكريم: ٤/٤٠
(٣) نفس المصدر.
(٤) إعجاز البيان: ٢٤٠
(٥) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٦) في قوله تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾. (القرآن الكريم: ٥١/٥٦)
(٧) B263a
(٨) شرع: سوّغ B
(٩) القرآن الكريم: ١/٥
(١٠) نفس المصدر.
(١١) لاقتداره: باقتداره AB
(١٢) نشوئه: تسوية P
(١٣) لنشئات: لنشأة A
(١٤) العبادات: العبادة P
(١٥) ليرجع: لترجع AB
(١٦) انتشأ به: انتشائه B
(١٧) الانتشاء: الإنشاء P

الطرف الآخر؛ فإنّه لو لا ظهورُ آثار الأسـماء، ما عرِف كمالُها. ولو لا المرائي المتعيّنةُ في المرآة الجامعة التي هي محلّ[١] ما امتاز مِن غيب الذات و[٢] التي ظهر فيها كوامن التعدّدات الحاليّة المستجنّة[٣] في غيب الذات، ما ظهرَت أعيانُ الأسماء.

فنحن العابدون وهو المعبود، وهو الموجِد ونحن الموجودون؛ لأنّه لا نفوذ[٤] لاقتدار الحقّ إلّا بعد قبولهم للوجود. فعدم الاستقلال ثابت من الطرفين؛ لأنّهما متضايفان. وما أحسن ما قال بعضُهم في المعنى: (شعر)

لـو لاه ولو لانا، لَمـا كان الذي كانا ... فصار الكون مقسوماً[٥] بإيّاه وإيّانا[٦]

فـ«لام العلّة» المنبّه على أحد حكمَيها[٧] بقوله تعالى: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٨] ذاتيّة في الجانبَين. فأظهر أحدَ حكمَي هذا السرّ بهذه[٩] اللام المذكورة في: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ حكمةً ظاهرةً، وأخفى حكمَها الآخَر[١٠] وأظهره[١١] في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١٢] حكمةً باطنةً؛ لأنّ له ـسبحانهـ في كلّ شيء ـولا سيّما في شرائعه[١٣] وأوامره وإخباراتهـ حِكَماً ظاهرة وباطنة، يشهدها[١٤] ويتحقّق بمعرفتها[١٥] الكُمَّل[١٦] من أهل الكشف والذوق[١٧]. وأهل العلوم الرسميّة إنّما

---

(١) محلّ: مجلى P
(٢) و: + لو لا P
(٣) المستجنّة: المستحبّة AB
(٤) B263b
(٥) مقسوماً: مقسوم AB
(٦) قائله ابن عربيّ، كما في: فصوص الحكم: ١٤٣/١ || A330a
(٧) أحد حكميها: حكمها AB
(٨) القرآن الكريم: ٥٦/٥١
(٩) بهذه: بهذا AB
(١٠) الآخر: بالآخر A
(١١) وأظهره: ـ P
(١٢) القرآن الكريم: ٥/١
(١٣) شرائعه: + وأمره B
(١٤) يشهدها: ليشهدها B
(١٥) بمعرفتها: معرفتها AB
(١٦) الكمّل: + والمتمكّنون P
(١٧) الذوق: الوجود P

يشعرون من ظاهر تلك الحِكَم بالأقلّ(١) القليل منها في بعض الصور التكليفيّة بطريق التعليل.

[تحقيق في حضرة أحديّة الجمع]

واعلَم أنّ لكلٍّ مِن هاتين المرتبتين ـ الربّانيّة والكونيّة ـ المُشار إليهما(٢)، نشأةً معنويّة غيبيّة، ذاتَ أحوال وحقائق متناسبة و(٣) متباينة، ولأحكامها في ما بينهما امتزاج وتداخل بائتلاف واختلاف. وهي من جانب الحقّ عبارة عن الصور التي حُذيَت(٤) عليها الصورة الآدميّة، وتعيّنها(٥) من غيب الحقّ(٦) هو من حيث المرتبة الإنسانيّة الكماليّة، المسمّاةِ(٧) بحضرة أحديّة الجمع، المُظهرةِ(٨) أعيانَ الأشياء وأحكامَ الأسماء والصفات والشؤون الإلهيّة المتقابلة من جهة الأثر، والمتفاوتةِ في الحيطة(٩) والحُكم، كالقابض، والباسط، والمانع، والمُعطي، والمُميت، والمُحيي، والعليم، والقدير، والمريد، وكالسخط، والرضى، والفرح، والحياء، والغضب، والرأفة(١٠)، والرحمة، والقهر، واللطف، ونحو ذلك؛ فإنّ لهذه(١١) في حضرة أحديّة الجمع ـ التي هي البرزخ بين مطلق الغيب الذاتيّ(١٢)، وبين الحضرة التي امتازت عن الغيب(١٣) من وجهٍ، وكانت محلَّ نفوذ الاقتدار، وهدفَ أسهُم التوجّهات الغيبيّة والآثار ـ تعيّناً وانتظاماً بهيئة غيبيّة علميّة، يُضاهيها نظمُ النشأة الإنسانيّة بقواها الطبيعيّة، وأخلاقِها الروحانيّة،

(١) بالأقلّ: + من P
(٢) إليهما: إليها AB
(٣) و: ـ P
(٤) حذيت: حدثت AB
(٥) تعيّنها: بعينها A، بعضها B
(٦) الحقّ: + الذاتيّ P
(٧) المسمّاة: المسمّى AB
(٨) المظهرة: المظهر AB
(٩) B264a
(١٠) الرأفة: الراحة A
(١١) لهذه: لهذا كلّها P
(١٢) الذاتيّ: ـ AB
(١٣) عن الغيب: ـ AB

وخصائصِها المعنويّة الغيبيّة. والحقيقة[١] الإلهيّة التي ينضاف إليها الصورةُ المذكورة[٢] في مقابلتها العينُ الثابتة التي للإنسان، وإنّها عبارة عن صورة علم ربّه[٣] أزلاً وأبداً في نفسه ــسبحانهــ، كما أنّ صورة ربّه عبارة عن صورة علمه ــسبحانهــ بذاته وشؤونها، وصور العالم[٤] عبارة عن صور نسب علمه. ونسبُ علمه في ذوق المقام[٥] المتكلّم منه[٦] عبارة عن تعيّنات وجوده التي هي[٧] من حيث تعدُّدها أحوالُه، ومن حيث توحُّدها عينُه. وأحواله تتعيّن[٨] في هذا البرزخ المسمّى بحضرة[٩] أحديّة الجمع، وتظهر[١٠] متعدّدةً في الحضرة الكونيّة، التي هي[١١] أحد وجهَي حضرة تلك الأحديّة[١٢] المشتمل على صورة الكثرة؛ فإنّ هذه الحضرة[١٣] هي مقامُ الكمالِ الظاهرِ الحكم بالإنسانِ الكامل، المرآةِ لغيب الذات ولِما تعيَّن من الغيب[١٤] فيها[١٥] وبها.

وهذا البرزخ هو مبدأ تعيُّنه ــسبحانهــ بنفسه لنفسه بصفتَي[١٦] ظاهريّته[١٧] ومظهريّته، وجمعِه ببرزخيّته[١٨] المذكورة بين الطرفين من حيث الإنسان الكامل. وهذا التعيُّن الوسطيّ البرزخيّ هو أصل كلّ[١٩] تعيُّن، والمنبعُ لكلّ ما سمِّي[٢٠] شيئاً سواء[٢١]:

---

(١) الحقيقة: الحقيقيّة AB
(٢) A330b
(٣) ربّه: + به P
(٤) العالم: _ P
(٥) المقام: الكلام A
(٦) منه: فيه P
(٧) هي: قلنا إنّها P
(٨) تتعيّن: يتعيّن A
(٩) المسمّى بحضرة: الذي هو AB
(١٠) تظهر: تطهر B
(١١) هي: + عبارة عن P
(١٢) تلك الأحديّة: أحديّة الجمع P
(١٣) هي أحد ... الحضرة: _ B
(١٤) الغيب: العيب B
(١٥) فيها: فيه P
(١٦) بصفتي: بصفة P
(١٧) ظاهريّته: طاهريّته B
(١٨) جمعه ببرزخيّته: جهة تبرز حيثيّة AB
(١٩) B264b
(٢٠) سمّي: يسمّى P
(٢١) سواء: سوى AB

ـ نُسِب ذلك التعيّن(١) إلى الحقّ(٢).

ـ أو(٣) إلى الكون.

ـ أو اعتُبر أمراً ثالثاً(٤)، أعني(٥) ظهور الحقّ من حيث عينه ثانياً، بالنسبة إلى ما قام منه مَجلىً لسائر تعيّناته أوّلاً وثالثاً ورابعاً، وهلمّ جرّاً إلى ما لا نهاية له.

وقد اختلفت العبارات في تعريف هذا البرزخ المسمّى بأحديّة الجمع.

فقيل: إنّها الحقيقة الإنسانيّة الإلهيّة الكماليّة، التي(٦) كان كلّ إنسان كامل من حيث صورته الظاهرة مَظهراً لتلك الحقيقة ولوازمِها.

وقيل: هي برزخ الحضرتين الإلهيّة والكونيّة؛ لاشتمالها على جميع الأحكام الإلهيّة والإمكانيّة، مع أنّها ليست بشيء زائد على معقوليّة أحديّة جمعِها كسائر البرازخ.

وقيل: هي مرآةُ الحضرتين، أو مرتبة صورة الحقّ والإنسان الكامل من غير تعديد، [أو](٧) الحدّ الفاصل بين(٨) ما تعيَّن من الحقّ، وكان مَجلىً لِما لَم يتعيّن منه ولم يتعدّد.

وكلّها صحيحة، وجميعُ ذلك ذاتيّ لها دائماً أزلاً وأبداً. وتقيُّد(٩) الكُمَّل ـ الذين هم أصحاب هذه المرتبة ـ من حيث بعض النشئات التي يَظهرون بها بالزمان، لا يقدح في ما أصّلناه، ولا ينافيه.

ثمّ نقول(١٠): الإنسان(١١) الكامل في كلّ عصر من حيث(١٢) أحد وجهَي هذه المرتبة ـ أعني الوجهَ الذي يلي غيبَ ذات الحقّ، ولا يغايره، ولا يمتاز عنه ـ يُترجِم(١٣)

---

(١) التعيّن: + أيّ تعيّن كان P

(٢) الحقّ: + بمعنى أنّه اسم له أو صفة أو مرتبة P

(٣) أو: + نسب P

(٤) أمراً ثالثاً: أمر ثالث AB

(٥) أعني: وهو P

(٦) التي: الذي AB

(٧) أو: و ABP || A331a

(٨) بين: ـ A

(٩) تقيّد: يقيّد A

(١٠) نقول: يقول B

(١١) الإنسان: للإنسان AB

(١٢) من حيث: ـ AB

(١٣) يترجم: مترجم A

عن غيب الذات وشؤونها[١] التي هي حقائق الأسماء بـ«نحن» و«إنّا» و«لدينا» وغير ذلك. ومن حيث الوجه الآخر الذي ينطبع فيه الأعيانُ وأحوالُها يُترجِم[٢] عنها وعنه من حيث هي وبلسانها، ومن حيث هو[٣] بلسان جمعيّة خصوصيّته وما حَوَته ذاته من الأجزاء والخصائص والصفات والقوى الروحانيّة والجسمانيّة الطبيعيّة بـ«نعبد» و«نستعين» و«اهدنا»؛ لإحاطة مرتبته الكماليّة بالطرفين[٤]، وما اشتملا عليه غيباً[٥] وشهادة، وروحاً وجسماً، عموماً وخصوصاً، قوّة وفعلاً، إجمالاً وتفصيلاً.

فافهَم هذا الكلام، وأمعِن التأمّل؛ فإنّك إذا فككتَ[٦] ختامَ[٧] هذا الكلام، عرفتَ سرّ الربوبيّة والعبوديّة في كلّ شيء، وسرّ العبادة والتوجّه والطلب والفوز والحِرمان، وتحقّقتَ أنّ كلّ عابدٍ متوجّهٌ ـ من حيث فرعيّته وخلقيّته[٨] ـ إلى أصله الإلهيّ المتعيّن به من مطلق غيب الذات في المرآة المذكورة الكماليّة الإنسانيّة الإلهيّة، بانعكاس حكميّ راجع عن[٩] عرصة الإمكان إلى المرآة المذكورة. فإيّاه نعبد[١٠]، وإليه نتوجّه[١١]، ومنه بدأنا[١٢]، وإليه نعود[١٣].

و[١٤] هذا مع أنّه ما عبَد[١٥] أحدٌ إلّا اللّه، ولا توجَّه إلّا إليه، من حيث إنّ تلك المرآة الكماليّة الإلهيّة قبلةُ كلّ موجود كان ويكون، ومن حيث مواجهة[١٦] كلّ شيء من هذه

---

(١) B265a
(٢) يترجم: مترجم A
(٣) هو: + أيضاً P
(٤) بالطرفين: هذه الطرفين P
(٥) غيباً: عيناً AB
(٦) فككت: ملكت A
(٧) فإنّك إذا فككت ختام: فإنّه إن فكّ لك ختم P
(٨) خلقيّته: خليفيّته A
(٩) عن: من P
(١٠) نعبد: يعبد P
(١١) نتوجّه: يتوجّه P
(١٢) بدأنا: بدأ P
(١٣) نعود: يعود P
(١٤) و: ـ P
(١٥) عبد: عند AB
(١٦) مواجهة: مواجهته AB

المرآة وفيها أصله المُحاذي والمتعيّن له به من غيب الذات. فكلّ أحد له قسطٌ من الحقّ، أخَذه[١] من مشكاة هذه المرتبة الكماليّة[٢] المسمّاة بالمرآة، وذلك القسط هو[٣] تعيُّن الحقّ من حيث هو[٤] شأن من شؤونه، وذو القسط صورة ذلك الشأن.

فافهَم، فإنّما تعرف إن أيّدك اللّه بنورٍ منه[٥]، وما فاز بالحقّ إلّا الكامل؛ فإنّه يواجه غيبَ الذات بأحد وجهَيه المنبَّه عليه[٦] مواجهةً[٧] ذاتيّة، لا يمتاز المتوجِّه فيها[٨] عن المتوجَّه إليه[٩] إلّا بالجمع بين الوجهَين المشتملَين على أحكام الحضرتين. فهو المطلق المقيّد، و[١٠] البسيط المركّب، والواحد الكثير، والحادث الأزليّ، له وجِد الكون، وبه ظهر[١١] كلّ وصل وبَينٍ.

فتنبَّه وانظُر بما بيّنّا صحّةَ حكمِ قولِه تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[١٢]، وقولِه الآخر: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[١٣]، وقضاؤه حكمُه بلا شكٍّ، وأمره الحقيقيّ نافذٌ دون ريب، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿فَلَا رَادَّ [لِفَضْلِهِ][١٤]﴾[١٥] و﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[١٦]. فلو لم يكن سرّ العبادة كما ذكِر، لزم أن يصحّ عبادةُ غير اللّه والتوجّهُ إليه، ولزم تعقيبُ حكمه[١٧] وردُّ أمره، ويتعالى[١٨] اللّه عن ذلك وعن كلّ ما[١٩]

---

(١) A331b
(٢) B265b
(٣) هو: عبارة عن P
(٤) هو: ـ P
(٥) فافهم فإنّما ... منه: فو اللّه ما أظنّك تعرف مقصودي إلّا أن أمدّك اللّه بأيده ونوره P
(٦) عليه: ـ AB
(٧) مواجهة: مواجه A
(٨) فيها: ـ AB
(٩) إليه: ـ AB
(١٠) و: ـ AB
(١١) ظهر: ظاهر A
(١٢) القرآن الكريم: ٢٣/١٧
(١٣) القرآن الكريم: ٤٠/١٢
(١٤) لفضله: لأمره ABP
(١٥) القرآن الكريم: ١٠٧/١٠
(١٦) القرآن الكريم: ٤١/١٣
(١٧) حكمه: ـ AB
(١٨) يتعالى: تعالى A
(١٩) كلّ ما: كلّما AB

لا يليق بجلاله علوّاً كبيراً.

فـالتخطئـة والمؤاخـذة وقعتا من أجل الحصــر والتعيين والإضــافة؛ لأنّ إضــافةَ اسـتحقاق العبادة لشـيء، واعتقادَ أنّه الربُّ المطلق التصـرّف[١] ذو الأُلوهيّة الشـاملةِ الحكم على سـبيل حصـرِ هذه الأُمور فيه والتعيينِ[٢]، جهلٌ وخلاف الواقع. فصـحَّت المؤاخذة مع نفاذ[٣] الحكمِ الأوّل والأمرِ المفصّل[٤]. >[٥]

[٦]< ولمّا كان[٧] كلّ واحدة من المرتبتَين المذكورتَين ـاللتين كانت حضـرة أحديّة الجمع مرآةً لهما وجامعةً بالذات بينهماـ أصــلاً من وجهٍ، وفرعاً من آخر، كما سـبق التنبيه عليه في قولنا: إنّ الحقّ من حيث باطنه مَظهر لأحوال العالَمين، ومرآة من حيث حضـرة أحديّة الجمع لأعيانها[٨]. فيه يرى البعضُ منها البعضَ، ويتّصل حكمُ البعض بالبعض، ويظهر أثرُ المتبوعِ المتقدّمِ بالشرف[٩] المرتبيّ والوجود والزمان على المتأخّرِ التابعِ، وبالعكس أيضـاً، من حيث إنّ التابع المتأخّر من وجهٍ آخر متقدّمٌ متبوع وشرط. كما تبيّن[١٠] من قبلُ في أوّليّة الحقّ من حيث الوجود، و[١١] آخريّته من حيث الصفات. كما أخبر ـسبحانهـ وأبان بقوله: ﴿خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[١٢].

وبقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ﴾[١٣].

وبقوله في بيان مرتبة آخريّة من حيث الصفات: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾[١٤].

---

(١) التصرّف: الصرف AB
(٢) التعيين: التعيّن P
(٣) نفاذ: نفاد B
(٤) المفصّل: المؤصّل P
(٥) إعجاز البيان: ٢٤١ _ ٢٤٥
(٦) بداية العبارات المنقولة من: إعجاز البيان.
(٧) B266a
(٨) A332a
(٩) بالشرف: بالشرق B
(١٠) تبيّن: بيِّن P
(١١) و: _ B
(١٢) القرآن الكريم: ١٠٢/٦، ١٦/١٣، ٦٢/٣٩، ٦٢/٤٠
(١٣) القرآن الكريم: ٣/٥٧
(١٤) القرآن الكريم: ٧/٤٧

وبقوله ـعليه السلام ـ: «مَن عرف نفسه، فقد عرف ربّه»[١].

وقوله: «إنّ اللّه لا يمَلّ حتّى تمَلّوا»[٢].

وبقوله: «كنتُ كنزاً مخفيّاً لم أُعرَف، فأحبَبت أن أُعرَف»[٣].

ومن حيث إنّ الحقّ مسمّىً بالظاهر، كان العالَم من حيث حقائقه مظاهرَ لوجوده ومَجالي تعيّنات شؤونه. وكلّ مظهر مرئيّ[٤]، وإن كان الأثر له. وكلّ منطبع فظاهر، ولا ينسب إليه أثر من حيث هو كذلك.

ولهذا[٥] ولغيره قلنا: إنّ كلّ فرعٍ متوجّهٌ إلى أصله، وعائد إليه[٦]. ولهذا سرَت أحكامُ العبوديّة والربوبيّة[٧] في كلّ شيء بحسب ما يليق به، وظهر[٨] سرّ المعيّة الإلهيّة الذاتيّة في كلّ شيء بالإحاطة الوجوديّة والعلميّة والحُكميّة. فكلّ[٩] حاكمٍ فبصفة الربوبيّة، وكلّ مجيبٍ وتابعٍ فبالصفة الأُخرى.

وقد عرفتَ[١٠] مراتب ظهور هذه الأُمور في الأشياء، كيف تكون[١١]، ومتى تصحّ[١٢]، ومتى تمتنع. وفي الشيء الواحد أيضاً بحسب شؤونه المختلفة، والمَحالّ والمراتب والمَجالي[١٣] المتباينة والمؤتلفة. >[١٤]



---

(١) مصباح الشريعة: ١٣؛ متشابه القرآن: ٤٤/١؛ عوالي اللئالي: ١٠٢/٤

(٢) تنزيه الأنبياء: ١٣٠؛ أماليّ المرتضى: ٥٥/١؛ الأماليّ للطوسيّ: ٦

(٣) مشارق أنوار اليقين: ٤١

(٤) مرئيّ: فغير مرئيّ P

(٥) ولهذا: فلهذا P؛ جواب لقوله: «ولمّا كان كلّ واحدة ...» في أوّل البحث.

(٦) عائد إليه: عابد له P

(٧) B266b

(٨) وظهر: فظهر P

(٩) فكلّ: وكلّ AB

(١٠) عرفت: عرّفتك P

(١١) تكون: يكون AB

(١٢) تصحّ: نصحّ A

(١٣) المجالي: المحالي P

(١٤) إعجاز البيان: ٢٤٦ ـ ٢٤٧

[أحوال النفوس الطاهرة بعد الخروج من ظلمات الأبدان]

فتذكَّر وتدبَّر، ترشُد إلى أسرارِ الوجود وأسرارِ أحكام العبوديّة والعبادة، وتعلم أنّه لمّا حصل ذلك المحلُّ[١] الأعلى والمقامُ الأسنى، [٢]< **برزَت النفوسُ الطاهرة**[٣] **من ظلمات الهياكل إلى فضاء**[٤] **الأنوار.** >[٥] وذلك لكونها ذواتاً صالحة، فتحقّق الخروج من ظلمات الأبدان الجرميّة بالانسلاخ السلوكيّ[٦] إلى مشاهدة[٧] ضياء الفضاء الوجوديّ النوريّ، الذي لا ظلمة فيه؛ لتنزّهه عن الجرميّة، فاستحقّوا الهبات والصلات الربّانيّة.

ولمّا كانت نفوساً مستعدّة لذلك، [٨]< **وهب لها** أي لتلك النفوس **البسيطةَ والسعةَ** والإحاطةَ بالكلّ، **فرجعوا مُكرَّمين** بكرامة اللّه لهم، **وضمان اللّه لهم،** >[٩] [١٠]< أي في الأزل إنّ قوماً تاهوا وتحيّروا في سوق مرتع الجلال، الذي[١١] هو مأوى أحياء السرمد[١٢] من العقول والنفوس، حولَ قبّة الديهور الذي هو الفلك الأعظم بما فيه؛ فإنّها قبّة واحدة سرمديّة دائمة أبد[١٣] الدهر؛ لأنّ الديهور مبالغة في الدهر، فضمان اللّه لهم. >[١٤]

---

(١) المحلّ: المجد B
(٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٣) الطاهرة: الظاهرة B
(٤) فضاء: فضائل P
(٥) أنوار الحقيقة: ٧٣٨
(٦) السلوكيّ: السلوك A
(٧) A332b
(٨) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٩) أنوار الحقيقة: ٧٣٨
(١٠) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(١١) مرتع الجلال الذي: مربع الحلال AB
(١٢) السرمد: لسرمد A
(١٣) أبد: أمد AB
(١٤) شرح حكمة الإشراق: ٥٢١

[١]< **يقبضهم**[٢] ذلك الضمان **إلى جناب الحقّ وعالم العقل في عين الحيوان، مع الأنوار وبحر**[٣] **النور وعين الحياة على الآباد.** >[٤] [٥]< يسبّحون عِظَم موقف[٦] قوم وقفوا في المحاريب، يركعون في دُجى الليل، يمطُر أعينُهم من خشية اللّه[٧] ربّهم، ويبكون[٨]. كتَب[٩] اللّه في زبور الرحمة أن لا يذر على وجوههم غبَرة[١٠] حتّى يلقونه، ويجعلَهم بلقائه فائزين. >[١١]

[١٢]< **فمطيعُ الرحمن يغشاه بارقٌ من نوره** >[١٣] [١٤]< من[١٥] البوارق[١٦] الإلهيّة، على حسب استعداده لطُروق الأنوار الإلهيّة والرحمة الربّانيّة. >[١٧]

[١٨]< **ويجعلهم بلقائه فائزين، ألا ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[١٩]**، جعَلنا اللّهُ وإيّاكم من المستعدّين، وألهَمنا وإيّاكم حسنَ اليقين، ورزَقنا وإيّاكم الفوزَ**[٢٠] **مع الفائزين برحمته، فهو أرحم الراحمين.** >[٢١]



---

(١) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(٢) يقبضهم: لقبضهم A || B267a
(٣) بحر: نهر P
(٤) أنوار الحقيقة: ٧٣٨
(٥) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(٦) موقف: موقع P
(٧) اللّه: _ P
(٨) يبكون: يتلون AB
(٩) كتب: كتاب A
(١٠) الغبرة: الغبار. (لسان العرب)
(١١) شرح حكمة الإشراق: ٥٢١
(١٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٣) أنوار الحقيقة: ٧٣٨
(١٤) بداية العبارات المنقولة من: شرح حكمة الإشراق للشيرازيّ.
(١٥) من: هنّ B
(١٦) البوارق: بوارق A
(١٧) شرح حكمة الإشراق: ٥٢١
(١٨) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.
(١٩) القرآن الكريم: ٥٦/٧
(٢٠) الفوز: الفور B
(٢١) أنوار الحقيقة: ٧٣٨

[خاتمة الكتاب]

[خاتمة الكتاب]

والحمدُ للّه ربّ العالمين، وصلواته وتحيّاته على محمّد وآله الطاهرين وأصحابه الفاضلين.

فرغتُ من تأليفها ـ وكانت بنت ليلتها ـ في منتصف آخر ليلة من شهر ربيع الأوّل، سنة اثنين وتسعين وثمانمئة، على يد الفقير إلى اللّه الغفور، محمّد بن عليّ بن [أبي][١] جمهور، بالمشهد الغرويّ المقدّس ـ على ساكنه أفضلُ الصلاة والسلام ـ. وغفر اللّهُ لنا و[لكم][٢] ولجميع المؤمنين، إنّه غفور رحيم.

[مناجاة لطلب الاستقامة على الصراط]

[٣]< وأختمَت الرسالةُ بآخر الوارد، وفيه من التنبيه على الأُمور التي هي مباحث الرسالة وما هو بصدده فيها ـ من الحثّ على الخروج من هذه القيود والأغلال ـ ما فيه كفاية لطالب[٤] النجاة. ولهذا أرشد اللّهُ عبادَه، وعلّمهم أن يطلبوا منه الاستقامةَ على صراط مَن أنعَم عليهم بالإنعام الخاصّ الخالص من شَوب الغضب و[محنة][٥] الضلال.

فلسانُ مقامهم يقول: يا ربّنا! رحمانيّتُك الأُولى العامّةُ الشاملةُ قضَت بإيجادنا، و[رحيميّتُك][٦] الأُولى خصّصَتنا بهذه الخصوص الوجوديّة المختصّة بكلّ واحد منّا. كلّ ذلك من حيث نعمتِك الذاتيّة، ورحمتِك الامتنانيّة.

---

(١) أبي: ـ AB

(٢) لكم: إيّاكم AB ll A333a

(٣) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(٤) B267b

(٥) محنة: محبّة ABP، وما أثبتناه من: إعجاز البيان: ٢٨٩

(٦) رحيميّتك: رحمتك ABP، وما أثبتناه من: إعجاز البيان: ٢٨٩

ورحمـانيّتُـك [الثانية][١]، التي أوجبتَها على نفســك بكرمك من حيث[٢] عموم[٣] اسـمك الهادي، عمَّتنا ـمعشـرَ المؤمنينـ، كما أشرتَ إلى ذلك بقولك: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٤].

فلمّا شـملَتنا بنعمة[٥] الإيمانِ، والانقيادِ لأمرك[٦]، والاسـتسلامِ لحُكمك، والإقرارِ بتوحيـدك، انبَرى[٧] كـلّ منّـا يـذكّرك، ويُثني عليـك، ويمجّـدك[٨]، ويفوّض[٩] إليك، ويفرّدك[١٠] بالعبادة بعد إقراره لك بالسـيادة[١١]، ويطلب منك العون بصـورة الإبانة[١٢] عن صفة العجز ونقص[١٣] الكون.

ثمّ إنّك خصّــصــتَنا برحيميّتك الثانية، التي تحكم[١٤] بالحكم الخاصّ من أحكام اسـمك الهادي، المقتضـي طلبَ أشـرف صـور الهداية والسـلوك على أقوَم السـبُل وأقصدها وأسلمها، طلبنا ذلك منك؛ لاستلزامه الفوز[١٥] والاحتظاء بالنعم التي جُدتَ بها على الكُمَّل من أحبّائك[١٦]، حيث سـلكتَ بهم على سـبيل الصراط وأسدّه وأقوَمه وأقربه وأسـلمه، حتّى ألقوا عُصـيَّ[١٧] [تَسيارهم][١٨] بفنائك، وحظوا ـبعد التحقّق[١٩]

---

(١) الثانية: الثابتة ABP

(٢) حيث: + حكم AB

(٣) عموم: عمومك A

(٤) القرآن الكريم: ٥٤/٦

(٥) بنعمة: برحمة P

(٦) لأمرك: بأمرك A

(٧) انبرى: هنا بمعنى شرَع.

(٨) يمجّدك: لمجدك AB

(٩) يفوّض: نعوّض A

(١٠) يفرّدك: بفردك A

(١١) بالسيادة: بالسياسة P

(١٢) الإبانة: الإنابة A

(١٣) نقص: نقض P

(١٤) الثانية التي تحكم: الثابتة AB

(١٥) الفوز: الغور A؛ الفور B

(١٦) أحبّائك: أحبابك P

(١٧) العُصـيّ والعِصـيّ: جمع العصـا. (لسـان العرب)

(١٨) تسـيـارهم: بسـيارهم A، سـيارهم B، تيّـارهم P، ومـا أثبتنـاه من: إعجـاز البيان: ٢٩٠ || B268a

(١٩) التحقّق: التحقيق P

بمعرفتك[١] وشهودك ـ بسابغ[٢] إحسانك، وأشرف نعمائك، وأخلص [حِبائك][٣]، المقدّس عن شَوب[٤] المزج و[شَين][٥] النفاد[٦]، المقرونَين بالنعم المبذولة لأهل الفساد، المغضوب عليهم ظاهراً[٧]، والضالّين باطناً عن[٨] سبيل الرشاد.

فاستجِب يا ربّ! ﴿وَآتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْميعادَ ۝ فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ﴾[٩] يوم القيامة. فاجعلنا اللّهمّ ممّن استجاب لك، وآمن بوعدك ووعيدك، وأوفى بعهدك، وقام بخلافتك التي خلّفتَه[١٠] عليها، يا ربّ العالمين! >[١١]

[وصيّة المصنّف]

[١٢]< وهذا آخر هذا الكتاب، وقد فرقتُ[١٣] لك فيه جُمَلاً من الأسرار، وبيّنتُ لك فيه طريق الأخيار[١٤] ومقامات الأبرار، على توالي الأعصار، من الحكماء[١٥] الكِبار والأنبياء والأولياء الذين هم الحجّة والمحجّة وبهم الاعتبار، وعليهم الإيراد والإصدار.

فإن أردتَ الاطّلاعَ على هذه الجواهر والغوصَ على هذه[١٦] اللئالي، فأمعِن التأمّل

---

(١) بمعرفتك: لمعرفتك B

(٢) بسابغ: بسائغ AB

(٣) حبائك: جنابك ABP، وما أثبتناه من: إعجاز البيان: ٢٩٠؛ الحباء: ما يحبو به الرجل صاحبَه ويُكرِمه به. (لسان العرب)

(٤) A333b

(٥) شين: سنن ABP، وما أثبتناه من: إعجاز البيان: ٢٩٠؛ الشَين: خلاف الزَين. (لسان العرب)

(٦) النفاد: النفاذ A

(٧) ظاهراً: طاهراً B

(٨) عن: على AB

(٩) القرآن الكريم: ١٩٤/٣ ـ ١٩٥

(١٠) خلّفته: خلّفت A، خلقته P

(١١) أنوار الحقيقة: ٧٣٨ ـ ٧٤٠

(١٢) بداية العبارات المنقولة من: أنوار الحقيقة.

(١٣) فرقت: فرغت B

(١٤) الأخيار: الأخبار B

(١٥) الحكماء: الأقطاب والأولياء P

(١٦) الجواهر والغوص على هذه: ـ P

والمطالعة في هذا الكتاب، وألحِق آخرَ الكلام بأوّله، واجمَع النكت المبثوثة فيه؛ فإنّ في الزوايا خبايا[١]. ولا تقصد[٢] الحكمةَ[٣] مِن موضع منه؛ فإنّها متفرّقة فيه. فاجمَع وتفطَّن ترشُد[٤].

وما قصِد تفريقه فيه من غامضات الأسرار، فإنّه العجب العُجاب[٥]. وما يتوهّمه المتأمّل[٦] تكراراً، فإنّه كذلك[٧]، وعن عمدٍ فعلتُه؛ فإنّ ما فيه من الخفايا لا يمكن التصريح به دفعة واحدة، فيُعاد ذكره بتعريفٍ أو تضمّن في كلام آخر في غير محلّه، بلقب[٨] غير اللقب، وعبارة غير العبارة؛ لينكشف بذلك قناع[٩] الإجمال عن جمال[١٠] غرائبه، وينفتح بلسان التكرار أزهارُ أشجار غرائبه، اقتداءً بالربّ وسنن الكُمَّل من أهل اللّه وخاصّته. فاجمَع، وتذكَّر، واستبصِر، واللّه يهديك إلى سواء الصراط، «وهو حسبنا ونعم الوكيل»[١١].

ثمّ إنّي أُعلِمك -أيّها الواقف عليه!- أنّي قد جنيتُ لك ثماراً طيّبةَ المأكل، لذيذةَ المَطعَم، من جنّات[١٢] متعدّدة مَسقيّة[١٣] بماء النعيم، راضية مرضيّة. وأفَدتُك خلاصةَ ما تلقَّمتُه بجدّي وكدّي[١٤] من المظانّ[١٥] البعيدة المتفرّقة. فأرصدتُه لك، وحويتُه في

---

(١) خبايا: الخبايا P

(٢) تقصد: يقصد A

(٣) الحكمة: الحقائق P

(٤) ترشد: برشد AB

(٥) العجاب: العجائب P؛ العجاب: الذي تجاوز حدّ العجب. (لسان العرب)

(٦) B268b

(٧) فإنّه كذلك: _ P

(٨) بلقب: ملقّب A

(٩) القناع: ما تتقنّع به المرأة رأسها ومحاسنها. (لسان العرب)

(١٠) جمال: جمائل P، حمائل والأحمال Ps

(١١) مقتبس من: القرآن الكريم: ١٧٣/٣

(١٢) A334a

(١٣) مسقيّة: مستقيمة P

(١٤) كدّي: كدحي BP

(١٥) المظانّ: المصان A؛ المضان B

دستور، وجمعتُه وطرحتُه بين يديك. فاستَوصِ به خيراً، وقُم بواجبِ حقّه غايةَ القيام، واعرِف قدرَه غايةَ المعرفة؛ فإنّه كتاب جليل في فنّه[١]، عجيب في جنسه، قليلٌ وقوع مثله. وقد يسّر اللّه ـبمنّه وكرمهـ على يدَيّ منه[٢] ما لم يتيسّر على يدَي غيري من أمثالي، وذلك من فضله علَيّ وإحسانه لدَيّ. فله الشكر كثيراً، وله الحمد فاضلاً.

فصُنه ـأيّها الظافر به!ـ عن غير أهله، ولا تكن بالضنين[٣] به على من عرف محلَّه ومحلَّ أهله. ولا تؤت[٤] الحكمة غير أهلها، فتكون[٥] من أهل ظلمها، ولا تمنَعها[٦] أهلها، فتكون[٧] من أهل ظلمهم.

وأحسِن الظنَّ بجميع ما فيه، ولا تُسرِع بالردّ أو[٨] الإنكار لِما عساه تعسّر[٩] عليك العلم بمكنونه؛ فإنّ فيه مكتومات كثيرة وعبارات لطيفة يُحتاج في معرفتها إلى تلطيف السرّ وإصلاح المزاج. بل وقد اشتمل على مشكلات لا يكاد تتّضح[١٠] إلّا بعد الكشف والمعاينة؛ فإنّ هذا الكتاب وأضرابه ليس في مرتبة البحث الصرف، ولا مقامات أهل الأنظار خاصّة، بل قد جمَع بين الحكمتين، وفاز بالنعمتَين[١١].

وليس أقول هذا بمجرّد الدعوى، بل يعرفه مَن امتحنه. والقائمُ بمباحثه[١٢] على جهتها لا يحتاج إلى إعلامه بذلك؛ فإنّه يعرفه ويتحقّق عنده عِظَم موقعه وعلوّ قدره. فلا يخالطك شكّ في شيء ممّا[١٣] أوردتُه عليك من الغوامض الآبية على ذهنك، أو

(١) فنّه: فيه A
(٢) منه: ـ P
(٣) بالضنين: بالظنين B
(٤) تؤت: يؤتي AB
(٥) فتكون: فيكون AB
(٦) تمنعها: يمنعها AB
(٧) فتكون: فيكون AB
(٨) أو: و AP
(٩) تعسّر: يعسر AP
(١٠) تتّضح: يتّضح AB
(١١) خاصّة بل قد ... بالنعمتين: ـ P
(١٢) بمباحثه: بمباحثته P
(١٣) في شيء ممّا: في ما P

المخـالفة لِما ظهرَت عليه وألِفَته من الظواهر والصـور الجرميّة؛ فإنّك إذا فارقتَ هذه الطريقة متعمّقاً في البحث عمّا وراءها، عرفتَ غرض[١] الكتاب، وتحقّق عندك علمُ ما اشـتمل عليه[٢] من الحكمة التي هي لبّ خلاصـة أقوال أهل اللّه من الأقدمين، ولبّ أفكار أهل[٣] البحث من المدقّقين.

فأمعِن[٤] النظر، وجِدَّ[٥] في الطلب، واعمَل بما فيه؛ لتصلَ إلى مقصودك، فتقفَ[٦] على ما فيه؛ لأنّ البحث الصرف لا يُغنيك[٧] فيه[٨]. فاطلُب التألّه، وتوجَّه[٩] كلَّ التوجّه على الشرائط المذكورة في الكتاب؛ لتفوزَ من مقامات الأبرار بالحظّ الأوفر، وتنخرطَ[١٠] في سلك أنبياء اللّه[١١] وأوليائه في يوم المحشر.

وأحمدُ اللّهَ تعالى وأشكرُه على ما يسّره[١٢] لك على يدَيّ[١٣]. فإذا وصلتَ واتّصلتَ فقـد فُزتَ فوزاً عظيمـاً، وحللـتَ بـدار تكون[١٤] عند أهلها كريماً. وأسـألُ منك أن لا تنسـاني من الذكرِ الجميل والمكافأةِ على الإحسـان إليك، بطلب المغفرة والنجاة من أهوالِ العرصة[١٥] والحلولِ بدار الكرامة والخلاصِ من فزع[١٦] يوم القيامة. فلعلّي أنتفع بـدعـائـك، وأُشـاركك في ثوابك[١٧]، من غير نقص عليك، ولا بَخس[١٨] لديك؛ فإنّ المُعطي الكريم فضلُه وَجودُه لي ولك عميم.

---

(١) غرض: عرض AB
(٢) عليه: _ A
(٣) A334b
(٤) فأمعن: فأنعم AB
(٥) جد: حد B
(٦) فتقف: فيقف A
(٧) يغنيك: يعينك B
(٨) لأنّ البحث ... فيه: _ P
(٩) توجّه: يوجه A
(١٠) تنخرط: ينخرط AB
(١١) اللّه: وأئمّته P
(١٢) يسّره: يسّر A
(١٣) B269b
(١٤) تكون: يكون B
(١٥) العرصة: العرضة AB
(١٦) فزع: فرع B
(١٧) ثوابك: براتك A
(١٨) بخس: نجس AB

وأنا ـ مع ما ذكرتُه من الإطراء[1] للكتاب[2] ـ لستُ[3] بمادحٍ نفسي ولا معجبٍ بفعلي[4]، بل مُقرٌّ بالقصور والنقص والفتور في الفكر والنفس. كيف؟ وقد مضى من العمر كثيره[5]، وبقي منه يسيره[6]؛ وكدورات الأزمان متواترة، ووقائع المصائب بالأحباب والأصحاب متظافرة[7]، والانشعابات[8] بكثرة الأحزاب متطايرة. ولكن المرجوّ من كرم الناظر حسنُ العفو والمسامحة، والإغضاء[9] عن المكاشفة والمكافحة، والإصلاح لِما يراه من الخلل[10]، والتسديد لِما يطّلع عليه من الزَلَل. >[11]

وقد اتّفق كتابةُ هذا الشرح بعد إتمام أصله، بقريب [من][12] خمسة عشر ليلة من فراغه من الشهر الذي فيه تأريخه في تلك السنة، بالمشهد الغرويّ المقدّس. وكان وقوعُ ذلك الأصل والشرح في المدّة القصيرة من روحانيّة صاحب المشهد المُعظَم، الحجّة الكبرى والمحجّة العظمى، [أبي][13] السادة النُجَباء، خامس أهل الكِساء، العُروة الوُثقى، أمير المؤمنين[14]، عليه أفضل الصلوات[15] وأكمل التحيّات، وعلى ذرّيّته الطاهرين، بعد الصلاة على سيّد الأوّلين والآخرين، محمّد خاتم النبيّين والمُرسَلين، والحمد للّه ربّ العالمين.

وكان الفراغ من هذه النسخة تبييضاً من المُسوَّدة المعمولة بالمشهد في منتصف

---

(١) الإطراء: مجاوزة الحدّ في المدح. (مجمع البحرين)

(٢) للكتاب: لكتاب P

(٣) لست: ليس ABPs

(٤) بفعلي: بفضلي P

(٥) كثيره: كثيرة A

(٦) يسيره: يسيرة A؛ وقد مضى ... يسيره: ـ P

(٧) متظافرة: متطافرة AB

(٨) الانشعابات: الانشعاعات AB

(٩) الإغضاء: التغافل. (مجمع البحرين)

(١٠) الخلل: الحلل B

(١١) أنوار الحقيقة: ٧٤٢ ـ ٧٤٤

(١٢) من: ـ AB

(١٣) أبي: أبو AB

(١٤) A335a

(١٥) B270a

ليلة الأحد، في العشر الأواخر من الصفر، ختِم بالخير والظفر، أحد شهور سنة ثلاثة وتسعين وثمانمئة، ببلدة الأحساء، حماها اللّه من الأسواء، بقرية التيميّة، حُفَّت بالألطاف الإلهيّة، على يد مؤلّفه الفقير إلى اللّه الغفور، محمّد بن عليّ بن إبراهيم بن حسن بن أبي جمهور الأحساويّ أصلاً ومَنشأً ومَسكَناً بمنزله. والحمد للّه(١) أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً(٢).



(١) الحمد للّه: أحمد اللّه A

(٢) باطناً: + تمّ هذا الكتاب بعون الملِك الوهّاب، بيد الراجي إلى رحمة اللّه العزيز، الفقير عبد العزيز. وكان الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة في يوم الاثنين في العشر الآخر من شهر ربيع الآخر، ختمه اللّه بالخير والظفر، في سنة إحدى عشر وثلاثمئة بعد الألف من هجرة النبيّ ـصلّى اللّه عليه وآله وسلّمـ. والحمد للّه أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً. كتبتُ هذه النسخة الشريفة بالتماس أحقر عباد اللّه المُعين، الفقير محمّد جمال الدين الحسينيّ اللاهوريّ، غفر اللّه له ولوالديه، وأوصله اللّه إلى مقاصده، بحرمة النبيّ وآله الأطهار، صلوات اللّه عليهم وسلامه إلى يوم الدين، آمين، ثمّ آمين، ثمّ آمين A || + اللّهمّ اغفر لنا ولإخواننا من المؤمنين، ولوالدينا ولكافّة المسلمين، ولمن نظر فيه، واستفاد منه، ودعا لنا بالمغفرة، إنّك غفور رحيم. قد وقع الفراغ من هذه النسخة يوم الاثنين من شهر ذي القعدة سنة ١٠٧٦. وبلغ مقابلة بنسخة المصنّف، التي كتِب منها. وقد كانت النسخة غير سليمة من السهو والسقط والإهمال في بعض المواضع، وكثير من المواضع تبيّن وجهُ الصواب فيها على خلاف ما أثبته بخطّه. وكان هذا واقعاً في العبارات التي نقلها المصنّف مِن كتب مَن تقدّمه ـكما أشار إليهـ، ولم يتفطّن لضيق المقام لتصحيحها، واللّه أعلم. وكتب عبد اللّه الغنيّ، محيي الدين الطريحيّ المسلميّ الحويزيّ، في الثاني عشر من ربيع الثاني، أحد شهور سنة ثمان وسبعين وألف من الهجرة، وصلّى اللّه على محمّد وآله الطاهرين B

الفهارس التفصيليّة

فهرس المطالب

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث القدسيّة

فهرس الروايات

فهرس الأخبار

فهرس الأقوال

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس القواعد والأحكام

فهرس المفاهيم والاصطلاحات والتراكيب

فهرس الأعلام والألقاب والكنى

فهرس الفرق والمذاهب و الشعوب والقبائل والجماعات

فهرس الكتب والرسائل

فهرس الأماكن

فهرس الأيّام والوقائع والعصور

فهرس الحيوانات والنباتات والأشياء

فهرس مصادر التصدير والتحقيق

١. **القرآن الكريم**.
٢. **أبكار الأفكار في أُصول الدين**، سيف الدين الآمديّ، دار الكتب، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
٣. **إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات**، محمّد بن حسن الحرّ العامليّ، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤٢٥ هـ.
٤. **الاحتجاج على أهل اللجاج**، أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ، منشورات مرتضى، مشهد، ١٤٠٣ هـ.
٥. **أخلاق ناصريّ**، محمّد بن محمّد الطوسيّ، منشورات علميّة إسلاميّة، طهران، ١٤١٣ هـ.
٦. **إرشاد القلوب إلى الصواب**، حسن بن أبي الحسن الديلميّ، منشورات الشريف الرضيّ، قم، ١٤١٢ هـ.
٧. **الإرشاد في معرفة حجج اللّه على العباد**، محمّد بن محمّد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد، المؤتمر العالميّ للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ هـ.
٨. **الإشارات والتنبيهات**، حسين بن عبد اللّه بن سينا، مؤسّسة بوستان كتاب، قم، ١٤٣٤ هـ.
٩. **اصطلاحات الصوفيّة**، عبد الرزّاق الكاشانيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٦ هـ.
١٠. **الأُصول الستّة عشر من الأُصول الأوّليّة**، عدّة من العلماء، مؤسّسة دار الحديث الثقافيّة، قم، ١٤٢٣ هـ.
١١. **اعتقادات الإماميّة**، محمّد بن عليّ بن بابويه، المؤتمر العالميّ للشيخ المفيد، قم، ١٤١٤ هـ.
١٢. **إعجاز البيان في تفسير أُمّ القرآن**، صدر الدين القونويّ، مؤسّسة بوستان كتاب، قم، ١٣٨١ ش.
١٣. **أعلام الدين في صفات المؤمنين**، حسن بن أبي الحسن الديلميّ، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٨ هـ.
١٤. **إعلام الورى بأعلام الهدى**، حسن بن الفضل الطبرسيّ، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٧ هـ.
١٥. **الأعلام**، خير الدين الزركليّ الدمشقيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م.

١٦. **الإقبال بالأعمال الحسنة في ما يعمل مرّة في السنة**، عليّ بن موسى بن الطاووس، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٣٧٦ ش.
١٧. **الألواح العماديّة**، شهاب الدين يحيى السهرورديّ، مجموعة المصنّفات، ج٤، مؤسّسة الدراسات والبحوث الثقافيّة، طهران، ١٣٧٥ ش.
١٨. **أماليّ المرتضى**، الشريف المرتضى عليّ بن الحسين الموسويّ، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٩٩٨ م.
١٩. **الأماليّ**، محمّد بن حسن الطوسيّ، دار الثقافة، قم، ١٤١٤ هـ.
٢٠. **الأماليّ**، محمّد بن عليّ بن بابويه، منشورات كتابچي، طهران، ١٣٧٦ ش.
٢١. **الأماليّ**، محمّد بن محمّد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد، المؤتمر العالميّ للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ هـ.
٢٢. **الأمان من أخطار الأسفار والأزمان**، عليّ بن موسى بن الطاووس، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٩ هـ.
٢٣. **أمل الآمل**، محمّد بن حسن الحرّ العامليّ، مكتبة أندلس، بغداد، ١٣٨٥ هـ.
٢٤. **أنوار الحقيقة وأطوار الطريقة وأسرار الشريعة**، السيّد حيدر الآمليّ، منشورات نور على نور، قم، ١٣٨٢ ش.
٢٥. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**، محمّد باقر بن محمّد تقيّ المجلسيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٢٦. **البرهان في تفسير القرآن**، السيّد هاشم بن سليمان البحرانيّ، مؤسّسة البعثة، قم، ١٣٧٤ ش.
٢٧. **بستان القلوب**، شهاب الدين يحيى السهرورديّ، مجموعة المصنّفات، ج٣، مؤسّسة الدراسات والبحوث الثقافيّة، طهران، ١٣٧٥ ش.
٢٨. **بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد**، محمّد بن حسن الصفّار، مكتبة آية اللّه المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤٠٤ هـ.
٢٩. **البياض**، تاج الدين أحمد وزير، مجمع الذخائر الإسلاميّة، قم، ١٤٢٣ هـ.
٣٠. **تاريخ نسخه پردازي وتصحيح انتقادي نسخه هاي خطّي**، نجيب مايل هروي، مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، ١٣٧٩ ش.
٣١. **تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة**، السيّد شرف الدين عليّ الحسينيّ الأسترآباديّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٠٩ هـ.
٣٢. **التبيان في تفسير القرآن**، محمّد بن حسن الطوسيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٣٣. **تحف العقول**، الحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحرّانيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٠٤ هـ.

٣٤. **تفسير القرآن الكريم**، صدر الدين محمّد بن إبراهيم الشيرازيّ، منشورات بيدار، قم، ١٣٦١ ش.

٣٥. **تفسير القمّيّ**، عليّ بن إبراهيم القمّيّ، دار الكتاب، قم، ١٤٠٤ هـ.

٣٦. **التفسير الكبير**، فخر الدين الرازيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٣٧. **تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضمّ في تأويل كتاب اللّه العزيز المحكم**، السيّد حيدر الآمليّ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران، ١٤٢٢ هـ.

٣٨. **تفسير جوامع الجامع**، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ، مركز مديريّة الحوزة العلميّة، قم، ١٤١٢ هـ.

٣٩. **التلويحات اللوحيّة والعرشيّة**، شهاب الدين يحيى السهرورديّ، مؤسّسة الحكمة والفلسفة، طهران، ١٣٨٨ ش.

٤٠. **تمهيدات**، عين القضاة الهمدانيّ، منشورات جامعة طهران، ١٣٤١ ش.

٤١. **تنبيه الخواطر ونزهة الناظر (مجموعة ورّام)**، ورّام بن أبي فراس، مكتبة الفقيه، قم، ١٤١٠ هـ.

٤٢. **تنزيه الأنبياء**، الشريف المرتضى عليّ بن الحسين الموسويّ، دار الشريف الرضيّ، قم، ١٣٧٧ ش.

٤٣. **تهذيب الأحكام**، محمّد بن الحسن الطوسيّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٤٠٧ هـ.

٤٤. **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، أبو عليّ أحمد بن محمّد مسكويه، طليعة النور، ١٤٢٦ هـ.

٤٥. **تهذيب الأسرار في أُصول التصوّف**، أبو سعد عبد الملك محمّد الخركوشيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٧ هـ.

٤٦. **التوحيد**، محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٣٩٨ هـ.

٤٧. **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال**، محمّد بن عليّ بن بابويه، دار الشريف الرضيّ، قم، ١٤٠٦ هـ.

٤٨. **جامع الأخبار**، تاج الدين محمّد بن محمّد الشعيريّ، المطبعة الحيدريّة، النجف.

٤٩. **الجديد في الحكمة**، سعد بن منصور بن كمّونة، جامعة بغداد، ١٤٠٢ هـ.

٥٠. **الجعفريّات (الأشعثيّات)**، محمّد بن محمّد بن أشعث، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

٥١. **الحكايات في مخالفات المعتزلة من العدليّة**، محمّد بن محمّد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد، المؤتمر العالميّ للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ هـ.

٥٢. **حكمة الإشـراق**، شـهاب الدين يحيى السـهرورديّ، مجموعة المصـنّفات، ج٢، مؤسّـسة الدراسات والبحوث الثقافيّة، طهران، ١٣٧٥ ش.

٥٣. **حلية الأولياء وطبقات الأصـفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه الأصـبهانيّ، دار أُمّ القرى، القاهرة.

٥٤. **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراونديّ، مؤسّسة الإمام المهديّ، قم، ١٤٠٩ هـ .

٥٥. **خصائص الأئمّة**، محمّد بن حسين الموسويّ المشهور بالشريف الرضيّ، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، ١٤٠٦ هـ .

٥٦. **الدرّ المنثور في التفسـير بالمأثور**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطيّ، مكتبة آية اللّه المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤٠٤ هـ .

٥٧. **دعائم الإسـلام وذكر الحلال والحرام والقضـايا والأحكام**، نعمان بن محمّد التميميّ المغربيّ، مؤسّسة آل البيت، قم، ١٣٨٥ هـ .

٥٨. **ديوان أبي العتاهية**، إسـماعيل بن القاسـم بن سـويد العينيّ، دار بيروت للطباعة والنشـر، بيروت، ١٤٠٦ هـ .

٥٩. **ديوان الحلّاج**، الحسين بن منصور الحلّاج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٢ م.

٦٠. **ديوان كـامل شـمس مغربي**، شـمس الدين محمّد التبريزيّ المغربيّ، منشـورات زوّار، طهران، ١٣٥٨ ش.

٦١. **ذخـائر الأعلاق شـرح ترجمـان الأشـواق**، محيي الدين ابن عربيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٠ هـ .

٦٢. **رسـالـة الأنوار**، محيي الـدين ابن عربيّ، رسـائـل ابن العربيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٣٦٧ هـ .

٦٣. **رسالة الزوراء**، جلال الدين محمّد الدوانيّ، سبع رسائل، ميراث مكتوب، طهران، ١٤٢٣ هـ .

٦٤. **الرسالة القشيريّة**، أبو القاسم عبد الكريم القشيريّ، منشورات بيدار، قم، ١٣٧٤ ش.

٦٥. **رسـالة في التوحيد والنبوّة والولاية**، داوود القيصـريّ، رسـائل قيصـريّ، مؤسّـسة الحكمة والفلسفة، طهران، ١٣٨١ ش.

٦٦. **رسائل إخوان الصفاء وخلّان الوفاء**، الدار الإسلاميّة، بيروت، ١٤١٢ هـ .

٦٧. **رسائل الجنيد**، أبو القاسم الجنيد بن محمّد النهاونديّ البغداديّ، دار اقرأ، دمشق، ١٤٢٥ هـ .

٦٨. **رسـائل الشـجرة الإلهيّة في علوم الحقائق الربّانيّة**، شـمس الدين الشـهرزوريّ، مؤسّسة الحكمة والفلسفة، طهران، ١٣٨٣ ش.

٦٩. **روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن**، أبو الفتوح الحسين بن عليّ الرازيّ، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، ١٤٠٨ هـ.
٧٠. **روضات الجنّات**، محمّد باقر الخوانساريّ، مؤسّسة إسماعيليان، قم، ١٣٩٠ هـ.
٧١. **روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين**، محمّد بن حسن الفتّال النيسابوريّ، منشورات الشريف الرضيّ، قم، ١٣٧٥ ش.
٧٢. **رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين**، السيّد عليّ خان المدنيّ الشيرازيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٠٩ هـ.
٧٣. **رياض العلماء**، عبد اللّه الأفنديّ الأصفهانيّ، شركة دار المصطفى لإحياء التراث، بيروت، ٢٠٠١ م.
٧٤. **سرّ الأسرار ومظهر الأنوار في ما يحتاج إليه الأبرار**، عبد القادر الجيلانيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٨ هـ.
٧٥. **شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار**، نعمان بن محمّد التميميّ المغربيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٠٩ هـ.
٧٦. **شرح الأربعين حديثاً**، صدر الدين القونويّ، منشورات بيدار، قم، ١٣٧٢ ش.
٧٧. **شرح الإشارات والتنبيهات**، فخر الدين الرازيّ، منتدى الأعمال والأرقام الثقافيّة، طهران، ١٣٨٤ ش.
٧٨. **شرح الإشارات والتنبيهات**، نصير الدين محمّد بن محمّد الطوسيّ، نشر البلاغة، قم، ١٣٧٥ ش.
٧٩. **شرح الأُصول الخمسة**، عبد الجبّار المعتزليّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
٨٠. **شرح الكافي (الأُصول والروضة)**، محمّد صالح بن أحمد المازندرانيّ، المكتبة الإسلاميّة، طهران، ١٣٨٢ هـ.
٨١. **شرح المقاصد**، سعد الدين التفتازانيّ، منشورات الشريف الرضيّ، قم، ١٤٠٩ هـ.
٨٢. **شرح جمل العلم والعمل**، الشريف المرتضى عليّ بن الحسين الموسويّ، دار الأُسوة، قم، ١٤١٩ هـ.
٨٣. **شرح حكمة الإشراق**، قطب الدين الشيرازيّ، منتدى الأعمال والأرقام الثقافيّة، طهران، ١٣٨٣ ش.
٨٤. **شرح رسالة الزوراء**، جلال الدين محمّد الدوانيّ، سبع رسائل، ميراث مكتوب، طهران، ١٤٢٣ هـ.

٨٥. **شرح عيون الحكمة**، فخر الدين الرازيّ، مؤسّسة الصادق، طهران، ١٣٧٣ ش.
٨٦. **شرح فروع الكافي**، محمّد هادي بن محمّد صالح المازندرانيّ، مؤسّسة دار الحديث، قم، ١٤٢٩ هـ .
٨٧. **شرح فصوص الحكم**، داوود القيصريّ، شركة منشورات العلميّة والثقافيّة، طهران، ١٣٧٥ ش.
٨٨. **شرح منازل السائرين**، عبد الرزّاق الكاشانيّ، منشورات بيدار، قم، ١٣٨٥ ش.
٨٩. **الشفاء (الإلهيّات)**، حسين بن عبد اللّه بن سينا، مكتبة آية اللّه المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤٠٤ هـ .
٩٠. **الشفاء (الطبيعيّات)**، حسين بن عبد اللّه بن سينا، مكتبة آية اللّه المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤٠٤ هـ .
٩١. **الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم**، عليّ بن محمّد العامليّ النباطيّ، المكتبة الحيدريّة، النجف، ١٣٨٤ هـ .
٩٢. **الطرائف**، عليّ بن موسى بن الطاووس، مطبعة خيّام، قم، ١٤٠٠ هـ .
٩٣. **طرف من الأنباء والمناقب**، عليّ بن موسى بن الطاووس، منشورات تاسوعاء، مشهد، ١٤٢٠ هـ .
٩٤. **الطواسين** (المطبوع مع ديوان الحلّاج)، الحسين بن منصور الحلّاج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٢ م.
٩٥. **علم القلوب**، أبو طالب المكّيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٤ هـ .
٩٦. **عوالي اللئالي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة**، محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، دار سيّد الشهداء، قم، ١٤٠٥ هـ .
٩٧. **عيون الحكم والمواعظ**، عليّ بن محمّد الليثيّ الواسطيّ، دار الحديث، قم، ١٣٧٦ ش.
٩٨. **عيون الحكمة**، أبو عليّ حسين بن عبد اللّه بن سينا، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠ م.
٩٩. **الغارات**، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفيّ، منتدى الأعمال الوطنيّة، طهران، ١٣٩٥ هـ .
١٠٠. **غرر الأخبار ودرر الآثار في مناقب أبي الأئمّة الأطهار**، أبو محمّد الحسن بن أبي الحسن الديلميّ، منشورات دليلنا، قم، ١٤٢٧ هـ .
١٠١. **الغيبة**، محمّد بن إبراهيم النعمانيّ، منشورات الصدوق، طهران، ١٣٩٧ هـ .
١٠٢. **الفتوحات المكّيّة**، محيي الدين ابن عربيّ، دار صادر، بيروت.
١٠٣. **فصوص الحكم**، محيي الدين ابن عربيّ، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٩٤٦ م.

١٠٤. **فلاح السائل ونجاح المسائل**، عليّ بن موسى بن الطاووس، مؤسّسة بوستان كتاب، قم، ١٤٠٦ هـ.
١٠٥. **فهرس مخطوطات مكتبة آية اللّه المرعشيّ النجفيّ**، محمود مرعشيّ، مكتبة آية اللّه المرعشيّ النجفيّ، ج ٤٦، قم، ١٣٩٥ ش.
١٠٦. **فهرس مصنّفات ابن أبي جمهور الأحسائيّ**، عبد اللّه الغفرانيّ، جمعيّة ابن أبي جمهور الأحسائيّ لإحياء التراث، بيروت، ١٤٣٤ هـ.
١٠٧. **الفوائد الرضويّة**، عبّاس قمّيّ، المكتبة المركزيّة، طهران، ١٣٢٧ ش.
١٠٨. **في النفس**، أرسطو، دار القلم، بيروت.
١٠٩. **قصص الأنبياء**، قطب الدين سعيد بن هبة اللّه الراونديّ، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، ١٤٠٩ هـ.
١١٠. **قوت القلوب في معاملة المحبوب**، أبو طالب المكّيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٧ هـ.
١١١. **الكافي**، محمّد بن يعقوب الكلينيّ، دار الحديث، قم، ١٤٢٩ هـ.
١١٢. **كتاب الحدود** (المطبوع مع رسائل ابن سينا)، أبو عليّ حسين بن عبد اللّه بن سينا، منشورات بيدار، قم، ١٤٠٠ هـ.
١١٣. **كشف الأسرار وعدّة الأبرار**، أبو الفضل رشيد الدين الميبديّ، منشورات أمير كبير، طهران، ١٣٧١ ش.
١١٤. **كشف الحقائق**، عزيز الدين النسفيّ، منشورات العلميّة والثقافيّة، طهران، ١٣٨٦ ش.
١١٥. **كشف المحجوب**، عليّ بن عثمان الهجويريّ، منشورات طهوريّ، طهران، ١٣٧٥ ش.
١١٦. **كلمة التصوّف**، شهاب الدين يحيى السهرورديّ، مجموعة المصنّفات، ج ٤، مؤسّسة الدراسات والبحوث الثقافيّة، طهران، ١٣٧٥ ش.
١١٧. **كمال الدين وتمام النعمة**، محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ المشهور بالشيخ الصدوق، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٩٥ هـ.
١١٨. **كنز العرفان في فقه القرآن**، المقداد بن عبد اللّه السيوريّ، المكتبة المرتضويّة، طهران، ١٣٧٣ ش.
١١٩. **كنوز الحكمة**، أبو نصر أحمد بن أبي الحسن الجاميّ، مؤسّسة الدراسات والبحوث الثقافيّة، طهران، ١٣٨٧ ش.
١٢٠. **لسان العرب**، محمّد بن مكرّم بن منظور، صحّحه يوسف خيّاط، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

١٢١. **لطائف الأعلام في إشـــارات أهل الإلهام**، عبد الرزّاق الكاشـــانيّ، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، ١٤٢٦ هـ .
١٢٢. **اللمع في التصوّف**، أبو نصر عبد اللّه بن عليّ السراج الطوسيّ، مطبعة بريل، ليدن، ١٩١٤ م.
١٢٣. **لؤلؤة البحرين**، يوسف بن أحمد البحرانيّ، دار النعمان، بيروت، ١٩٦٦ م.
١٢٤. **المبدأ والمعاد**، أبو عليّ حسين بن عبد اللّه بن سينا، مؤسّسة الدراسات الإسلاميّة، طهران، ١٣٦٣ ش.
١٢٥. **متشابه القرآن ومختلفه**، ابن شهر آشوب المازندرانيّ، منشورات بيدار، قم، ١٣٦٩ ش.
١٢٦. **المجازات النبويّة**، محمّد بن حسـين الموسويّ المشهور بالشريف الرضيّ، دار الحديث، قم، ١٤٢٢ هـ .
١٢٧. **مجالس المؤمنين**، نور اللّه بن شـريف الدين الشـوشـتريّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٤٥ ش.
١٢٨. **مجمع البحرين**، فخر الدين الطريحيّ، المكتبة المرتضويّة، طهران، ١٣٦٢ ش.
١٢٩. **مجمع البيان في تفسـير القرآن**، حسـن بن الفضـل الطبرسـيّ، منشـورات ناصـر خسـرو، طهران، ١٣٧٢ ش.
١٣٠. **المحاسن**، أحمد بن أبي عبد اللّه البرقيّ، دار الكتب الإسلاميّة، قم، ١٣٧١ هـ .
١٣١. **المحصّل**، فخر الدين الرازيّ، دار الرازيّ، عمّان، ١٤١١ هـ .
١٣٢. **المزار الكبير**، أبو عبد اللّه محمّد بن جعفر المشهديّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٩ هـ .
١٣٣. **مسـتدرك الوسـائل**، حسـين بن محمّد تقيّ النوريّ، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٠٨ هـ .
١٣٤. **المشـارع والمطارحات (الطبيعيّات)**، شـهاب الدين يحيى السـهرورديّ، مكتبة مجلس الشورى الإسلاميّ، طهران، ١٣٩٤ ش.
١٣٥. **المشـــارع والمطارحات (العلم الثالث)**، شـــهاب الدين يحيى الســـهرورديّ، مجموعة المصنّفات، ج١، مؤسّسة الدراسات والبحوث الثقافيّة، طهران، ١٣٧٥ ش.
١٣٦. **مشارق الدراريّ**، سعيد الدين سعيد الفرغانيّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم، ١٣٧٩ ش.
١٣٧. **مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين**، رجب بن محمّد البرسيّ، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، ١٤٢٢ هـ .
١٣٨. **مشـــكاة الأنوار في غرر الأخبار**، عليّ بن حســـن الطبرســـيّ، المكتبة الحيدريّة، النجف، ١٣٨٥ هـ .

١٣٩. **مشكاة الأنوار**، أبو حامد الغزّاليّ، مجموعة رسائل الإمام الغزّاليّ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦ هـ .

١٤٠. **مصباح الشريعة**، جعفر بن محمّد الصادق، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٠ هـ .

١٤١. **مصباح المتهجّد**، محمّد بن حسن الطوسيّ، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت، ١٤١١ هـ .

١٤٢. **المطالب العالية من العلم الإلهيّ**، فخر الدين الرازيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٤٠٧ هـ .

١٤٣. **معاني الأخبار**، محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤٠٣ هـ .

١٤٤. **المعتبر في الحكمة**، أبو البركات البغداديّ، جامعة أصفهان، ١٣٧٣ ش.

١٤٥. **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد اللّه الحمويّ، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م.

١٤٦. **معين المعين في أُصول الدين**، محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائيّ، مكتبة آية اللّه المرعشيّ النجفيّ، قم، مخطوطة رقم ٥٢٨٤.

١٤٧. **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، عبد الجبّار المعتزليّ، الدار المصريّة، القاهرة، ١٩٦٥ م.

١٤٨. **المقاومات** (العلم الثالث)، شهاب الدين يحيى السهرورديّ، مجموعة المصنّفات، ج١، مؤسّسة الدراسات والبحوث الثقافيّة، طهران، ١٣٧٥ ش.

١٤٩. **المقنع**، محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ، مؤسّسة الإمام المهديّ، قم، ١٤١٥ هـ .

١٥٠. **مكارم الأخلاق**، رضيّ الدين حسن بن فضل الطبرسيّ، منشورات الشريف الرضيّ، قم، ١٤١٢ هـ .

١٥١. **من لا يحضره الفقيه**، محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ المشهور بالشيخ الصدوق، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٣ هـ .

١٥٢. **مناقب آل أبي طالب**، محمّد بن عليّ بن شهر آشوب، مؤسّسة منشورات العلّامة، قم، ١٣٧٩ هـ .

١٥٣. **النصوص**، صدر الدين القونويّ، مركز النشر الجامعيّ، طهران، ١٣٧١ ش.

١٥٤. **نهج البلاغة**، محمّد بن حسين الموسويّ المشهور بالشريف الرضيّ، دار الهجرة، قم، ١٤١٤ هـ .

١٥٥. **النوادر**، أحمد بن محمّد بن عيسى الأشعريّ القمّيّ، مدرسة الإمام المهديّ، قم، ١٤٠٨ هـ .

١٥٦. **الوافي**، محمّد محسن بن شاه مرتضى المشهور بالفيض الكاشانيّ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامّة، أصفهان، ١٤٠٦ هـ.

Mūḍiḥ al-dirāyah
li-sharḥ Bāb al-bidāyah

Mūḥammad b. Alī b. Abī Jumhūr al-Aḥsāʾī
(d. beginnings of 10th/16th century)

Volume 4

Edition & Research:
Reza Yahyapur Farmad

Mu’assasat Ibn Abī Jumhūr al-Aḥsā’ī
li-Iḥyā’ al-Turāth
Bayrūt - 1442/2021